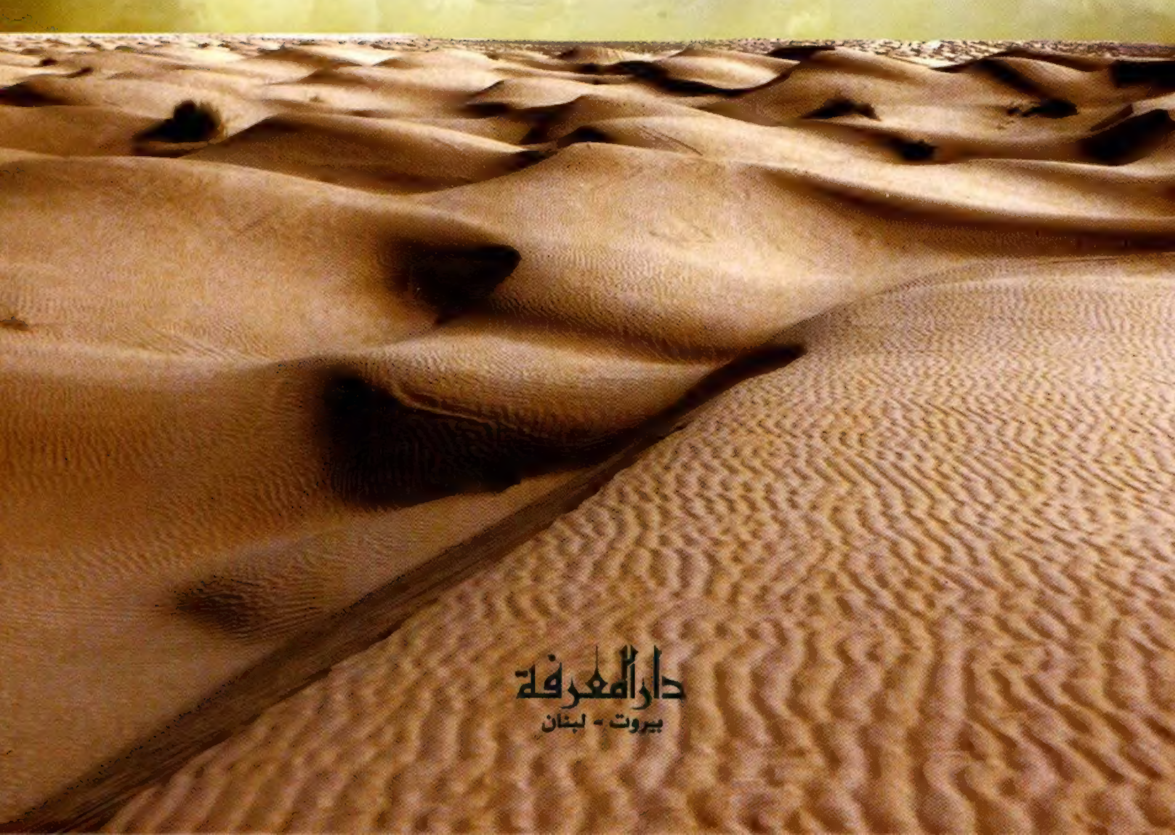
الأستاذ الدكتور زغلول النجار

من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم



دار المعرفة
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

[النساء: 164 ـ 166]



جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لدار المعرفة - بيروت - لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**
Beirut - Lebanon

ISBN: 9953 - 85 - 325 - 8

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م



جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ــ بيروت ــ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

1 ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران: 62].

2 ـ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام 130 ـ 131].

3 ـ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: 6 ـ 7].

4 ـ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: 101].

5 ـ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 49].

6 ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: 100 ـ 102].

7 ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 117 ـ 120].

8 ـ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: 1 ـ 3].

9 ـ ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 111].

10 ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: 76].

11 ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: 78].

12 ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: 99 ـ 101].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـة

إن الحمد للَّه نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونؤمن به ونتوكَّل عليه، ونثني عليه الخير كله، ونصلِّي ونسلِّم على كافة أنبياء الله ورسله أجمعين، وعلى مَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونخصّ منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم خاتمهم أجمعين: سيدنا محمَّد بن عبد الله، وهو النبيّ العربي الأمين، الذي ختم الله ـ تعالى ـ ببعثته النبوات، وأكمل برسالته كل رسالات السماء ووصف ذلك مخاطباً المسلمين جميعاً بقوله العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

فالإسلام هو دين الله الذي علّمه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، والذي عاشت به البشرية عشرة قرون كاملة (بين آدم ونوح عليهما السلام) على التوحيد الخالص للَّه ـ تعالى ـ ويؤكِّد ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»**[1].

ويفصل ابن عباس هذه الحقيقة فيقول: **«إن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ**

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد حديث رقم (73).

العلم عبدت»[1]. وكانت هذه الردَّة في **قوم نوح** أوَّل وثنية في تاريخ البشرية.

ولما تفشَّت هذه الوثنية بعث الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه «نوحاً» ليرد قومه إلى الإسلام القائم على التَّوحيد الخالص للَّه ﷻ. وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً من دعوة نوح لقومه، لم يستجب منهم لدعوته إلَّا القليل، فعاقب الله الذين أشركوا بالطوفان الذي أبادهم، **ونجّى بقدرته نوحاً والذين آمنوا معه**، وفي ذلك يقول ربنا ـ وقوله الحق ـ:

● ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: 59 ـ 64].

ويقول ﷻ:

● ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: 71 ـ 74].

---

(1) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن حديث رقم (4920).

ويقول ـ عزّ من قائل ـ:

● ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

[العنكبوت: 14، 15].

وهاجر النَّاجون مع عبد الله نوح عليه السلام إلى مكة المكرمة وعاشوا على الإسلام الخالص حتى جاء من نسلهم «قوم عاد» الذين سكنوا جنوب الجزيرة العربية، ثم جاءهم الشيطان موسوساً لهم بالشِّرك فأطاعوه، وجدَّدوا عبادة الأصنام، فبعث الله ـ تعالى ـ لهم نبيًّا من بين أظهرهم هو هود عليه السلام لردّهم إلى الإسلام القائم على التَّوحيد الخالص للَّه، ولدعوتهم إلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها، فما آمن معه إلَّا قليل. وأشركت غالبية قوم عاد، وبالغوا في شركهم، وأفحشوا في عداوتهم لنبيّهم، وأسرفوا في خروجهم على أوامر ربهم، فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم الريح عاصفة فأهلكتهم، ونجّى الله تبارك وتعالى نبيّه هوداً والذين آمنوا معه، فرحلوا إلى مكة المكرّمة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: 65 ـ 72].

ويقول:

● ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: 50 ـ 60].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

● ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾
[الشعراء: 123 ـ 140].

ويقول ـ وقوله الحق ـ:

● ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ

أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 21 ـ 25].

ويقول ـ عزَّ من قائل ـ:

● ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: 18 ـ 22].

ويقول ربنا ـ جلّت قدرته ـ:

● ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6 ـ 8].

وجاء «**قوم ثمود**» من نسل الناجين من «قوم عاد» ولذلك عُرفوا باسم «**عاد الثانية**» تمييزاً لهم عن أسلافهم «**عاد الأولى**». وسكن قوم ثمود «**منطقة الحجر**» في الرّكن الشمالي الغربي من أرض الحجاز، على الطريق القديم بين مدينتي يثرب وتبوك.

كانت «**منطقة الحجر**» منطقة مُحصَّنة تحصيناً طبيعيًّا هائلاً، وغنيّة بكل من الماء وخصوبة التربة، وعاش فيها قوم ثمود عيشة هنية على التوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ ثم جاءت الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فأشركوا باللّه، وعادوا إلى عبادة الأصنام والأوثان. لذلك بعث الله ـ تعالى ـ إليهم من بينهم نبيّه صالحاً عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام، ذلك الدين القائم على التَّوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة

شرع الله وعدله فيها فعارضوه، ورفضوا دعوته إلّا أقل القليل منهم. وبعد سنوات عديدة من دعوة عبد الله ونبيه صالحاً لقومه أصرّت الغالبية العظمى منهم على ما كانوا قد انزلقوا إليه من شرك في العبادة، وفساد في الأخلاق، وسوء في المعاملات، فأنزل الله ـ تعالى ـ بهم عقابه في شكل صيحة صاعقة طاغية: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾. نجّى الله ﷻ كلًّا من نبيّه صالحاً والذين آمنوا معه، فلجأوا إلى مكة المكرّمة، ومنها انتقلوا إلى الطائف، وكان من ذريتهم **قبيلة ثقيف**، الذين عاشوا على التوحيد، ثم اجتالتهم شياطين الإنس والجن فعادوا إلى عبادة الأصنام والأوثان وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: 73 ـ 79].

● ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي

دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: 61 ـ 68].

● ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [الشعراء: 141 ـ 159].

ويقول:

● ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: 45 ـ 53].

ويقول:

● ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

[القمر: 23 ـ 32].

وقد ظلّت البشرية على هذا المنوال: تتأرجح بين الإيمان والكفر، وبين التَّوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج الله ـ تعالى ـ والخروج عليه، والله ـ من رحمته بعباده ـ يرسل النبيّ تلو النبيّ، والرسول تلو الرسول، من أجل إنقاذ الناس من ضلالاتهم، وتفهيمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عباداً للّه، مكلّفين بعبادة خالقهم بما أمر، وبالارتقاء بأنفسهم خلقاً وسلوكاً إلى مقامات التكريم التي كرّمهم بها الله، ومستخلفين مؤتمنين في الأرض مُطالبين بعمارتها، وبإقامة شرع الله وعدله في ربوعها حتى يأتيهم أمر الله، وليس لهم من بعد ذلك إلا القبر وحسابه، (والذي إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)، ثم البعث، والحشر والحساب، والجزاء بالخلود إمَّا في الجنة وإما في النار.

ونعلم من أنبياء الله ورسله كلًّا من ساداتنا **آدم**، **إدريس**، **نوح**، **هود**، **صالح**، **إبراهيم**، **لوط**، **إسماعيل**، **إسحاق**، **يعقوب**، **يوسف**، **شعيب**، **موسى**، **هارون**، **ذو الكفل**، **داود**، **سليمان**، **أيوب**، **إلياس**، **اليسع**، **يونس**، **زكريا**، **يحيى**، **عيسى**، **ومحمَّد** ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وهؤلاء نماذج من بين عشرات الآلاف من الأنبياء، ومئات المرسلين الذين بعثهم الله ـ تعالى ـ لإنقاذ البشرية في صراعها الأزلي الطويل مع الشيطان وجنوده وأعوانه.

وفي ذلك أخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّه قال: «أتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله! أي الأنبياء كان أول؟ قال ﷺ: «آدم» قلت:

يا رسول الله! ونبيّ كان؟ قال: «**نعم نبيّ مكلم**»، قال: **قلت يا رسول الله!** كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيراً**»[1]. وفي رواية أبي أمامة ﷺ قال أبو ذر: (... **قلت يا رسول الله!** كم وفَّى عدد الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً**»[2]. وقد أخبرنا القرآن الكريم عن خمسة وعشرين فقط من أنبياء الله ورسله، مؤكّداً أنَّهم جميعاً بُعثوا بالإسلام العظيم القائم على التَّوحيد الخالص للَّه الخالق، وتنزيهه عن الشريك والشبيه، والمنازع، والصاحبة والولد، لأن الخالق ﷻ منزَّه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

كذلك يؤكّد القرآن الكريم أنَّ كلّ نبيّ وكل رسول دعا قومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده بما أمر، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق حتى يتمكَّنوا من حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، ويتزودوا بالضَّوابط التي تمكنهم من مقاومة وساوس شياطين الإنس والجن، ونفثهم، ومؤامراتهم، وإغواءاتهم المتوافرة في الحياة الدنيا ـ وهي دار ابتلاء واختبار وامتحان.

كلّ ذلك يؤكّد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأُخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً، فكما أنَّ إلٰهنا واحد فلا بدَّ وأن تكون هدايته للبشرية واحدة، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

● ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: 213].

---

(1) مسند أحمد ـ حديث رقم (1438، 21444).

(2) مسند أحمد ـ حديث رقم (22189).

وقال ـ وقوله الحق ـ:

● ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: 18 ـ 20].

وقال ـ عزَّ من قائل ـ:

● ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران: 81 ـ 85].

وقال ـ وهو أحكم القائلين ـ:

● ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ: 34 ـ 36].

وقال ـ تعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ:

● ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر: 24 ـ 26].

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في حديث طويل جاء فيه: **«الأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد»**[1]...

وباستعراض تاريخ البشرية على الأرض نجد أنَّ فترات النبوة والالتزام بدين الله **(الإسلام)** كانت ومضات بارقة سريعة من النور وسط ظلمات الجاهلية الحالكة. والإنسان كأنه لم يتعلم من هذه التجربة الطويلة التي استمرت لعشرات الألوف من السنين، والتي تخللتها الهداية الربانية التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على مائة وأربعة وعشرين ألف نبيّ، اصطفاهم من بين عباده الصالحين، واصطفى من بينهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، وبعث بهم إلى مختلف الأمم والشعوب. وكل واحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين أكَّد لقومه أنَّ الحياة الدنيا لا تستقيم بغير دين، وأنَّ الدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وذلك لأنَّ الدين يقوم على ركائز من الغيب في مجال العقيدة، ومن الأوامر الإلٰهية بالعبادة، ومن ضوابط الأخلاق والسلوك، والتاريخ يؤكّد عجز الإنسان عن وضع أيّة ضوابط صحيحة لنفسه في أي من هذه المجالات، **ومن هنا كانت ضرورة الدين لاستقامة الحياة على الأرض، ووجب أن يكون الدين وحياً ربانياً خالصاً لا تداخله أيّة تصورات بشرية.**

وبعد جهود هذه السلسلة الطويلة من الأنبياء والمرسلين، فَقَدَ أهل الأرض اتصالهم بالهداية الربانية فيما عدا آحاد متناثرة من الأحناف الذين علم الله ﷻ فيهم

(1) نص الحديث ومرجعه: أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة في كتاب الفضائل حديث رقم (6085) أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهْلِكُ الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهْلِكُ الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

خيراً فثبّتهم على الدين الحق. وكان ضياع رسالات السماء من بين أيدي الناس هو السبب في فقدان الاتصال بهداية الله. ومع بقاء بعض الذكريات الباهتة عن تلك الرسالات السماوية السابقة ظل أتباعها يتناقلونها مشافهة من الآباء إلى الأبناء، من الأجداد إلى الأحفاد في صور شتى من التراث الشعبي الذي أُضيف إليه من خيالات رواته ما أضيف، وحذف منه ما حذف، ونُسي منه ما نُسي، وحُرِّف ما حُرِّف. وعندما جاء وقت التدوين بعد أعداد متطاولة من السنين (من العقود في بعض الحالات، ومن القرون في حالات أخرى) تم ذلك بأيدي أناس مجهولين، ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فلم يكونوا معصومين في التبليغ بأمور الدين، فزادوا الأمر سوءًا، وزادوا الطين بلَّة، كما زادوا العقيدة فساداً وبلبلة. وظل الشيطان يغوي غالبية أهل الأرض بتلك المعتقدات المحرفة، ويمدّهم بالعديد من الخرافات والأساطير، وبالانحرافات الشديدة عما أنزل ربّ العالمين لهداية خلقه. ونتيجة لذلك ضلّ غالبية أهل الأرض وأضلوا، وملأوا المجتمعات الإنسانية فساداً وانحرافاً. ومن ثم بالغ الناس في ظلم أنفسهم، وظلم غيرهم، وأغرقوا الأرض في بحار من الكفر والشرك والضلال، وأدخلوا أهلها في دوّامات من الهواجس الظنية، والخرافات المصطنعة، والأساطير الوهمية. وبذلك فسدت المعتقدات، وحُرِّفت العبادات، وتدنّت الأخلاق والمعاملات إلى ما دون المستويات المقبولة من الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكرم، المكلَّف، صاحب الإرادة الحرة، وصاحب الرسالة المحددة على الأرض.

ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ إنقاذ البشرية ممَّا تردَّت فيه من ضلال، وإعادة نور الهداية الربانية إليها من جديد، وإعطاء بني آدم فرصتهم الأخيرة من أجل الاستقامة على منهج الله في الدنيا، والنجاة من عذابه في الآخرة، فَمنَّ على البشرية ببعثة الرسول الخاتم (الذي ليس من بعده نبيّ ولا رسول)، وجعله رحمة للعالمين، ولذلك تعهّد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

وكان هذا العهد بحفظ القرآن الكريم حفظاً كاملاً في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ إلى ما شاء الله من أجل تحقيق العدل الإلٰهي الذي وصفه ربنا ـ تبارك اسمه ـ بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15].

فبقاء القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه **(اللُّغة العربية)** على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، يمثل وجوداً معنوياً لرسول الله ﷺ بين أهل الأرض جميعاً إلى قيام الساعة، يأمرهم بأوامر الله، وينهاهم بنهيه حتى تقوم الحجَّة على العباد، ويتحقَّق عدل الله المطلق الذي ألزم ذاته العلية به.

ولمَّا كان القرآن الكريم هو كلام ربّ العالمين، المحفوظ بحفظه ـ تعالى ـ، في نفس اللغة التي أوحى بها (اللُّغة العربية) كان لا بدَّ وأن يكون معجزاً للبشر في كل أمر من أُموره، بمعنى عجز البشر جميعاً، بل الإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ عن الإتيان بشيء من مثله. فما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلَّا ويرى منها وجهاً من أوجه الإعجاز فيه، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82].

وقال ـ عزَّ من قائل ـ:

- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: 166].

وقال ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: 174].

وقال ـ سبحانه ـ مادحاً محكم كتابه:

● ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 37، 38].

وقال ﷻ متحدياً بالقرآن:

● ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88].

ولمّا كان القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام ربّ العالمين المحفوظ بين أيدي الناس اليوم، بعهد من الله ﷻ، والذي بقي محفوظاً بحفظ الله على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللُّغة العربية)، والذي تعهد الله ـ تعالى ـ تعهداً مطلقاً بحفظه إلى ما شاء الله، **فلا بدَّ وأن يكون هذا الكتاب العزيز هو المرجع الوحيد للإنسانية كلها في أمر الدين، وفي كل الأمور الغيبية التي أنزلها** الله ـ تعالى ـ إلى عباده هداية لهم وإرشاداً. وانطلاقاً من ذلك فلا بد وأن يكون القرآن الكريم مُغَايِراً مُغَايَرةً كاملة لكلام البشر، ولا بدَّ وأن يكون معجزاً في كل أمر من أموره، وأن تتعدَّد جوانب الإعجاز فيه بتعدد زوايا النظر المحايد إليه (بمعنى عجز الإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ عن الإتيان بشيء من مثله).

ومن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ما يمكن إيجازه فيما يلي:

1 ـ **الإعجاز اللّغوي**: ويشمل فيما يشمل الإعجاز البياني، والبلاغي، والنظمي، واللَّفظي، والدَّلالي لكل حرف، وكلمة، وآية، وسورة من سور القرآن الكريم، وللقرآن كله.

2 ـ **الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة)**: بمعنى فضل الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك أو ببعضه. وفضل توحيد الله ـ تعالى ـ توحيداً مطلقاً على الشرك باللَّه. وفضل

تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، على الانحطاط بمدلول الأُلوهية إلى مستويات الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد. وفضل الإيمان بوحدة رسالة السماء وبالأخوة بين الأنبياء على التحلق حول نبيّ واحد من الأنبياء والمبالغة في تقديسه إلى حدٍّ عبادته من دون الله، أو الشرك به في عبادة الله.

والإيمان بالأخوّة بين الأنبياء أفضل من الإيمان ببعض والتنكّر للبعض الآخر. والإيمان بالأخوّة بين الناس (باعتبار أن نسبهم جميعاً ينتهي إلى أب واحد وأُم واحدة) أفضل من دعاوى التمييز العرقي، أو الطبقي، أو العنصري، أو العقدي أو المذهبي، أو الطائفي الذي يمزق أهل الأرض اليوم، ويشعل الحروب والفتن بينهم، ويغرقهم في بحور من الدماء والأشلاء والخراب والدمار. وأنَّ الإيمان بكل من القضاء والقدر، وبالغيب، وبالآخرة أفضل من إنكار كل ذلك أو بعضه، أو التنكر له، وكله من حقائق الدين.

3 ـ **الإعجاز التعبّدي (الإعجاز في كل عبادة أمرنا بها الله)**: بمعنى إثبات المردود الإيجابي على الفرد لكل فريضة فرضها الله ـ تعالى ـ على عباده المسلمين (من الإعلان بالشهادتين، إلى كل من الصلاة والزكاة، والصيام، وحج بيت الله) ولكل سُنَّة سنَّها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ؛ وذلك لأنّ العبادة لا بدَّ وأن تكون أوامر إلٰهية صريحة، ومن هنا كان كل ابتداع في العبادة أمراً مرفوضاً ومردوداً رفضاً ورداً كاملين.

4 ـ **الإعجاز الأخلاقي (إعجاز الدستور الأخلاقي)**: بمعنى كماله في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومواءمته لما تقبله الطبيعة البشرية السوية من ضوابط تنظيمية، بغير غلو ولا إقلال.

5 ـ **الإعجاز التشريعي**: بمعنى إظهار الحكمة من كل تشريع شرعه الله ـ تعالى ـ لعباده، خاصة في مجال الأحكام العملية من العبادات والمعاملات وذلك بالدراسات العلمية التي تثبت صحة المقاصد من مثل هذه التشريعات والمصالح المترتبة على تطبيقها. ويتَّضح ذلك من عدم إمكانية المماثلة بين

الشريعة الإلٰهية والقانون الوضعي بأيٍّ شكلٍ من الأشكال، لأن الشريعة تتسم بالكمال والسُّمو والدوام، وحكمتها واضحة فوق جميع القوانين الوضعية التي تتسم بالقصور والعجز والحاجة إلى المراجعة باستمرار.

6 ـ **الإعجاز الإنبائي**: ويشمل الإخبار بالعديد من الأحداث والحقائق الغيبية غيبية مطلقة، ومن الوقائع التي تمت فيما قبل التاريخ (أي قبل عشرة آلاف سنة) كما يشمل الإنباء بأحداث قبل وقوعها وجاء وقوعها مطابقاً لإنباء القرآن الكريم بها، أو لم تقع بعد ولا زلنا ننتظر وقوعها.

7 ـ **الإعجاز التاريخي**: ويشمل الدقة الفائقة في استعراض عدد من المواقف التاريخية الهامة في سِيَر عدد من أنبياء الله ورسله، وفي تفاعل أُمَمهم معهم سلباً أو إيجاباً، وسِيَر عدد من الصالحين، وعدد من الطالحين من بني آدم (رجالاً ونساءً). ويتضح وجه الإعجاز هنا بمقارنة القصص القرآني مع ما جاء في التراث الإنساني الموجود بأيدي الناس اليوم، ومع ما أثبتته الكشوف الأثرية والتاريخية المتعددة.

8 ـ **الإعجاز العلمي**: ويقصد به سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد من حقائق العلم، في إيجاز وشمول وكمال لم تبلغه المعارف المكتسبة بعد. وهذه الحقائق لم تصل المعارف المكتسبة إلى شيءٍ منها إلَّا في القرنين الماضيين، ولم تصل إلى معظمها إلّا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. وهذا السبق العلمي جاء في أكثر من ألف ومائتي آية قرآنية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى تقترب دلالتها من الصراحة، دون خطأ علمي واحد. وورود هذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في كتاب هو في حقيقته كتاب هداية ربانية في أمر الدين (بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات) هو من أنصع صور الإعجاز في كتاب الله وأنسبها للدعوة إلى دين الله في زمن العلم الذي نعيشه.

9 ـ **الإعجاز النفسي**: ويتَّضح في خطاب القرآن الكريم إلى النفس الإنسانية خطاب الخبير بها، العليم بدخائلها، ولذلك يرتقي بتلك النفس في

معارج الله كما لا يقوى على ذلك أي خطاب آخر، مُفصّلاً في ذلك دقائق النفس الإنسانية، ومزاياها، وأمراضها، وعللها وطرائق علاجها.

10 ـ **الإعجاز الاقتصادي**: وذلك بإبراز الحكمة من العديد من التشريعات القرآنية من مثل تشريع الزكاة، وتحريم الربا بمختلف أشكاله وصوره (ومنها: الغش في الصنعة، وتطفيف الكيل والميزان في التجارة)، ووضع الضوابط الربانية لكافة المعاملات المالية، والتشديد في إجراءات الإثبات في التعاقد عند كتابة العقود، وإثبات الحقوق، (ومنها: كتابة الديون والإشهاد عليها، ومنها: العدل البيّن في تطبيق أحكام المواريث).

11 ـ **الإعجاز الإداري**: ويتجسّد في إبراز ما يأمر الإسلام به من الحرص على حُسْن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات بتولية الكفاءات العالية، وفي المحافظة على إنسانية الإنسان، والعمل المستمر على تطوير قدراته، والأمر بالعدل بين المرؤوسين، والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات، والحرص على احترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على المصالح العامة والخاصة، والقيام بحسن الائتمان عليها، وحسن التدبير لها.

12 ـ **الإعجاز التربوي**: ويتَّضح في توصية القرآن الكريم على تنمية المتربي تربية متكاملة، تشمل كلًّا من النفس والعقل والبدن والأخلاق والقِيم والسلوك، كما تُعوّده الحرص على اكتساب المعارف النافعة، وعلى تطبيقها أمراً واقعاً في حياة الناس، وعلى تأصيلها تأصيلاً إسلامياً صحيحاً، والدعوة إلى شمولية المعرفة مع احترام التخصص، وإلى فهم كل من المربي والمتربي لحقيقة رسالته في الحياة من أجل تربية الإنسان الصالح.

13 ـ **إعجاز الشمول**: بمعنى قدرة القرآن الكريم على تناول العديد من قضايا الوجود دون خطأ واحد، تناولاً لكليات الأشياء، مع ترك التفاصيل لاجتهاد الناس جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة.

14 ـ **الإعجاز الصوتي**: ويتَّضح ذلك في روعة الجرس الذي ييسر الحفظ،

ويُحرّك القلب، ويُطرب السمع، ويُمتع العقل، ويجذب انتباه كل من القارئ والسَّامع له، وينقل له سلسلة من المعاني المتَّصلة بكل من الكلمة والآية، فتتداعى الكلمة مع غيرها في الآية الواحدة، وتتداعى الآيات في السورة الواحدة في تكامل للمعنى، وانسجام في الصوت، وجمال في الجرس والإيقاع لا تستطيعه أساليب المخلوقين ـ فرادى ومجتمعين ـ مهما اجتهدوا في إتقان ذلك.

15 ـ **إعجاز رسم الحروف**: يتميز الحرف العربي ـ بصفة عامة ـ بالجمال، والتَّناسق، والطواعية للتشكيل. وقد وُضعت لكتابة المصحف العثماني قواعد لخطّه، ولرسم حروف كلماته (وذلك من مثل: الحذف، الزيادة، الهمزة، البدل، الفصل والوصل وغير ذلك من القواعد). ويستوعب ذلك كل اللهجات العربية، ويحقق إمكانية حمل الآية الواحدة لأكثر من معنى واحد (كلها يتحملها النص القرآني) في تكامل لا يعرف التنافر أو التضاد، وليس هذا لغير القرآن الكريم.

16 ـ **إعجاز الحفظ**: حفظ كتاب الله على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، في نفس لغة وحيه (اللُّغة العربية) دون إضافة أو حذف حرف واحد منه، ودون خطأ واحد في اللغة أو في المحتوى ـ على تعدد موضوعاته ـ ممّا يمثل واحداً من أعظم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم. وبذلك يسَّر الله ـ تعالى ـ لأعداد كبيرة جدًّا من المسلمين حفظ كتاب الله عن ظهر قلب في مختلف أقطار الأرض، وفي كل زمن من الأزمنة بعد تمام الوحي به.

17 ـ **إعجاز التحدي**: جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدى كلًّا من الإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثله، دون أن يستطيع عاقل التقدم بشيء من مثل القرآن الكريم، ولو من مثل أقصر سوره. وقد ظهر هذا العجز البشري حتى من فصحاء العرب في زمن الوحي، وقد كان زمن إتقان اللغة وحسن التمكن منها، وزمن كثرة الفصحاء والبلغاء من أبنائها.

18 ـ **الإعجاز في وصف مشاهد الساعة**: والمقصود بالساعة اللحظات الأخيرة

من عمر الكون الحالي أثناء تَهدُّمه. ومن هنا يمكن تفسير عملية تَهَدُّم الكون في ضوء القوانين الحاكمة للكون القائم، وذلك لأن «الساعة» مغايرة لكل من «القيامة» و«الآخرة»، وإن اختلطت هذه الألفاظ الثلاثة في مفاهيم الناس لسرعة تتابعها، وحدّدها القرآن الكريم تحديداً معجزاً.

هذا، وقد سبق لنا معالجة بعض جوانب الإعجاز العلمي في كتاب الله، وصدر ذلك في ستة مجلدات بالعناوين التالية:

1 ـ **السماء في القرآن الكريم** (نشر دار المعرفة ـ بيروت).

2 ـ **الأرض في القرآن الكريم** (نشر دار المعرفة ـ بيروت).

3 ـ **النبات في القرآن الكريم** (نشر دار الشروق الدولية ـ القاهرة).

4 ـ **الحيوان في القرآن الكريم** (نشر دار المعرفة ـ بيروت).

5 ـ **خلق الإنسان في القرآن الكريم** (نشر دار المعرفة ـ بيروت).

6 ـ **الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم** (نشر دار المعرفة ـ بيروت).

وفي هذا الكتاب (بجزأيه) نناقش بعض جوانب **الإعجاز الإنبائي والتاريخي** في كتاب الله، مع التأكيد على أنَّ القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية ربانية للإنسان في قضايا كل من **العقيدة** (وهي من أمور الغيب المطلق)، **والعبادة** (وهي من الأوامر التوقيفية الخالصة)، **ودستور الأخلاق وفقه المعاملات** (وكلاهما من ضوابط السلوك)، والتاريخ يؤكد عجز الإنسان عجزاً كاملاً عن وضع أية تصورات صحيحة لنفسه في أي من هذه القضايا كما أسلفنا.

وقد شجع على هذه الدراسة تبجُّح عدد من غلاة كل من اليهود والنصارى بالادعاء الباطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن كل من «العهدين القديم والجديد». وينسى هؤلاء الغلاة أن دين الله ـ تعالى ـ واحد، وأن هذا الإله الواحد الأحد الذي أنزل كلاً من «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل»، هو الذي أنزل «القرآن الكريم»، وأنه ـ تعالى ـ لم يُنزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو

«العهد الجديد»، وكلاهما صناعة بشرية خالصة، لا علاقة لها بوحي السماء، وإن تحدثت عنه. كذلك فإن كلاً من «العهدين القديم والجديد» عبارة عن خليط من الكتابات التي خطَّت بأيدي مجهولين ـ ممن هم ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فلم يكونوا معصومين. وهذه الكتابات خطَّت بأقلام مختلفة، وفي أزمنة متباعدة، وفي أماكن متفرقة، ثم جُمعت بعد ذلك بقرون، ومن هنا فقد شابها ما شابها من تناقضات، وتحريفات، وأخطاء في كل أمر من أمورها، خاصة في الجوانب العقدية والعلمية والتاريخية كما اتضح من كل مقارنة سابقة وكما سيتضح في هذا الكتاب.

وليواري كل من غلاة اليهود والنصارى سوءاتهم عند اعترافهم الصريح بأن كتبهم لها تاريخ، بدأوا في الادعاء بأن القرآن الكريم أيضاً له تاريخ، وأنه تأثر بما عندهم من قصص!! وازدادت نبرات حناجرهم حدة بهذا الادعاء **بعد اكتشاف مخطوطة للقرآن الكريم في مسجد صنعاء العتيق**، وإيكال أمر تحقيقها إليهم ـ للأسف الشديد ـ وهم ليسوا بأهل كفاءة علمية أو لغوية لتحقيق ذلك. كما أنهم ـ في غالبيتهم ـ يفتقرون إلى الأمانة العلمية حين يكون للأمر علاقة بالإسلام، وللتأكيد على ذلك أسوق الواقعة التالية:

في سنة (1972م) قامت السلطات اليمنية بترميم واحد من أقدم المساجد في عاصمة اليمن (صنعاء) والذي يعرف باسم «الجامع العتيق». وهذا المسجد كان رسول الله ﷺ قد حدد قبلته وهو في مكة، وجاءت الصور المأخوذة بواسطة الأقمار الصنعية مؤكدة دقة هذا التحديد وذلك بقوله الشريف: «**إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له: ضين**»[1]. وفي أثناء عملية الترميم اكتشف

(1) أبو نعيم: «في معرفة الصحابة»، ج5، ص2732، حديث رقم 6516؛ عن عبد الملك بن عبد الرحمٰن الذماري (واللفظ له) وعن ابن حجر (في الإصابة ج6، ص468 أن كلاً من ابن السكن، وابن منبه قد رويا هذا الحديث، وزاد ابن السكن في روايته أن ابن وبر قال: «هذا الموضع الذي أمرني به رسول الله ﷺ أن أضع فيه المسجد».

العمال في سقف ذلك المسجد مجموعة من المخطوطات الجلدية والورقية، فحملوها في مجموعة من الأكياس، ووضعوها بجوار دَرَج إحدى مآذن المسجد. وعند مرور القاضي إسماعيل الأكوع (رحمه الله) أمام هذا المسجد العتيق ـ وكان آنذاك يشغل منصب مدير عام دائرة الآثار اليمنية ـ أدرك أهمية هذا الكنز من المخطوطات التي نقلها إلى دائرة الآثار. وعلى الفور بدأ القاضي الأكوع في الاتصال بعدد من المنظمات الدولية للمساعدة في ترميم ما تمّ العثور عليه من مخطوطات. ولكنه فوجىء في سنة 1977م بزائر ألماني يعرض عليه إمكانية التدخل لدى الحكومة الألمانية من أجل المساعدة في ترميم تلك المخطوطات، وبالفعل تطوعت «جامعة سارلاند» الألمانية (Saarland University, Saarbrücken, Germany) بالقيام بعملية الترميم، وأرسلت مجموعة من المختصين في ترميم المخطوطات القديمة بقيادة «جيرد پوين» (Gerd Ruediger Puin)، وتحت إشراف ألبرخت نوث (Albrecht Noth) الأستاذ بجامعة هامبورج. وأخذ القاضي الأكوع على فريق الترميم الألماني تعهداً بعدم نشر أي شيء عن هذه المخطوطات، أو نقل أي شيء منها إلى خارج اليمن قبل إتمام تحقيقها بواسطة المختصين اليمنيين في داخل اليمن. استمر «پوين» ومعاونوه في عمل الترميمات للمخطوطات اليمنية طوال الفترة من 1981 إلى 1985م. وبعد ذلك انضم إليهم ألماني آخر هو «هانز ـ كاسبر جراف فون بوتمر» (Hans - Casper Graf von Bothmer) الذي قام سراً بتصوير (35,000) ميكروفيلم للمخطوطات اليمنية، وبتهريبها إلى ألمانيا، خيانة للعهد الذي قطعوه على أنفسهم ووقّعوا عليه مع القاضي إسماعيل الأكوع (رحمه الله)، وهكذا أعداء الإسلام في كل زمان ومكان.

هذا، وقد تمّ تحديد العمر المطلق لهذه المخطوطات بواسطة الكربون المشع (C_{14}) وثبت أنه في حدود (645 ـ 690م)، بينما يستنتج من حروف الكتابة عمراً لها يتراوح بين (710، 715م). وقد أودعت هذه المخطوطات في دار سميت باسم «دار المخطوطات اليمنية» شيدت بجوار المسجد العتيق في سنة 1984م.

وفي الفترة ما بين (1983، 1996م) تمّ ترميم ما بين (15,000، 40,000) صفحة مكتوبة بدقة فائقة، وبفن رفيع حسب وصف «پوين» نفسه. وعلى الرغم من اعتراف «پوين» هذا في خطاب كتبه لأحد المواقع الإلكترونية بعد مقال سيىء نشرته له المجلة الأمريكية المعروفة باسم «أتلانتيك الشهرية» (Atlantic Monthly) في سنة (1999م)، ومقال آخر نشرته جريدة «الجارديان» البريطانية (The Guardian) في سنة (2001م) تحت عنوان «التشكيك في القرآن» (Querying the Qur'an) وقال في هذا الخطاب ما ترجمته:

«إن ما تمّت دراسته من هذه المخطوطات اليمنية يُمثل أقدم نسخة كاملة للقرآن الكريم، وأنها لا تختلف عن النسخ الموجودة في المتاحف والمكتبات المعروفة إلا في بعض التفصيلات الدقيقة التي لا تمس نص القرآن، لأنها مجرد اختلافات في تهجية بعض الكلمات».

وعلى الرغم من هذه الشهادة الصريحة فإن خيال «پوين» الجامح، وكراهيته الشديدة للإسلام دفعاه إلى الادعاء الباطل بأن القرآن ليس نسيجاً واحداً، وأن أغلبه لم يكن مفهوماً حتى في زمن محمد ﷺ، وأن بعض المعلومات الواردة فيه هي أقدم من الإسلام ذاته (يقصد بذلك قصص الأنبياء). وانطلاقاً من هذا التحيُّز الواضح للباطل الكامن في عقله الباطن فإن «پوين» أرجع القصص القرآني إلى الأصول المسيحية. كذلك ادعى هذا المرمم الألماني أن خمس القرآن الكريم كلام غير مفهوم مما يجعل أمر ترجمته إلى لغات أخرى أمراً مستحيلاً.

وهذا الحكم الجائر ناتج عن جهله بكل من الإسلام واللغة العربية وبالعديد من ترجمات معاني القرآن الكريم، خاصة وأن أساطين اللغة العربية من غير المسلمين شهدوا لهذا الكتاب العزيز بإعجاز بيانه وروعة نظمه!!

وقد تبع «پوين» هذا في غلوائه، وفي محاولة تشويه ما أثبتته مخطوطة اليمن من دقة حفظ القرآن الكريم، تبعه جيش من غلاة اليهود والنصارى من أمثال:

Carole Hillenbrand, Toby Lester, Andrew Rippin, Ursula Dreibholz, Maxime Rodhinson, Sujit Das, Fred Leemhuis, Michael Cook & P. Crone, E.M. & E.F.Caner, Estelle Whelan, A.Sina, The so-Called «Ibn Warraq», Sam Vaknin, R.C.Sproul & Abdul-Saleeb, Robert Spencer ، وغيرهم كثير.

من هنا كان الخطأ الفادح الذي وقع فيه القاضي إسماعيل الأكوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تسليم هذا الكنز من المخطوطات إلى أعداء الله، وكان من الأوْلى اللجوء إلى بعض الجهات المسلمة المعروفة بقدرتها على التعامل مع مثل هذه المخطوطات النادرة وترميمها، وما أكثرها في عالمنا الإسلامي.

ورداً على هذه الهجمة الصهيونية/ الصليبية الحاقدة كانت هذه الدراسة الموضوعية للقصص القرآني، مقارناً بما جاء عنه في كل من «العهدين القديم والجديد» ليدرك كل ذي بصيرة الفرق بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام البشر في القصة الواحدة.

من هنا فإننا نقرر بأن كلاً من الأخبار الإنبائية، والإشارات التاريخية في كتاب الله لا تأتي من قبيل السرد التاريخي أو الإخبار المباشر، ولكنَّها تأتي في مقام استخلاص الدروس والعبر من الأحداث، وتقويم المواقف تقويماً إسلامياً صحيحاً يوضح سنن الله في الكون، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ، ودور الإنسان في ذلك. وتأتي هذه الآيات الإنبائية، والأخبار التاريخية أيضاً في مقام الاستدلال على صدق القرآن الكريم في كل إشارة أوردها، مما يثبِّت لكلِّ ذي بصيرة بأنَّ هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. كما تأتي هذه الآيات شاهدة على صدق نبوة الرسول الخاتم ﷺ وعلى وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوّة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً. وتأتي شاهدة كذلك على وحدانية الخالق ﷻ، وعلى نبوة خاتم أنبيائه ورسله، وعلى طبيعة الصراع بين الشيطان والإنسان، والتحذير من غواية الشيطان ووساوسه. وتأتي مؤكدة على حتمية انتصار الحق وجنده على الباطل وأهله، مهما ساد أهل الباطل وعلوا، ومهما طال بهم الزمن.

والقصة ترد في القرآن الكريم إما كاملة في سورة واحدة (كما جاء في قصة

عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام) وإما ترد مُجزّأة في عدد من المواقف التربوية المُعلِّمة، كل موقف أو مجموعة مواقف منها ترد في السورة الواحدة حسب طبيعة السورة، ومناسبة الموقف أو المواقف التاريخية لها. وبذلك قد ترد القصة القرآنية الواحدة في عدد من السور القرآنية، وفي عدد من المواضع والمناسبات في السورة الواحدة، حسب السياق الذي تعرض فيه، تحقيقاً للرسالة المبتغاة من إيراد القصة أو الموقف المحدد منها.

وقد يتخيَّل بعض الناس أنَّ شيئاً من التكرار قد وقع عند إيراد القصة الواحدة، أو الموقف الواحد منها، في أكثر من موضع من كتاب الله، ولكن الحقيقة البيّنة أنَّه ما أعيدت الإشارة إلى القصة أو إلى إحدى حلقاتها إلَّا وكان هناك رسالة جديدة تؤديها، ومن هنا تنتفي شبهة التكرار في القرآن الكريم. وانطلاقاً من ذلك فإن **المناسبة الموضوعية للسور القرآنية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع من كتاب** الله، كما تحدد طريقة العرض، وأسلوب الأداء وخصائصه، وذلك لأن القرآن الكريم هو كتاب تعليم لدين الله، وإعلام بهذا الدين الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه. والقرآن الكريم ـ فيَ نفس الوقت ـ هو دستور الأمة المؤمنة، ومنهج الحياة التي يرتضيها ربّ العالمين من عباده الصالحين. وفي هذا الإطار الذي وضعه الله ـ تعالى ـ لمحكم كتابه، تأتي الإشارة إلى القصة أو إلى إحدى حلقاتها بالقدر المختار بدقة فائقة، وإحكام بالغ، وبالأسلوب المناسب لجو السورة القرآنية وسياقها العام. ويجيء ذلك كله في إطار من إبداع الأسلوب، ودقة العرض، وجمال الأداء، وفي تقرير للحقيقة، وتيسير لاستخلاص الدروس والعبر المستفادة من السورة كلها، أو من القصة ذاتها، أو من موقف محدد من مواقفها. وقد يكون هذا الدرس المستفاد من القصة القرآنية أو من إحدى حلقاتها هو موضوع السورة القرآنية التي أوردته، ومن هنا فإن القصة تساق، أو يساق عدد من حلقاتها، أو ترد حلقة واحدة منها في السورة القرآنية بالقدر الذي يتناسب مع موضوع السورة، ومع الدروس المستفادة منها، وذلك بالأسلوب الذي يبرز تلك الدروس ويجليها

لقارئ القرآن الكريم تجلية كاملة.

والقصص القرآني يجسد الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الالتزام بمنهج الله والخروج عليه وذلك عبر تاريخ الإنسان على الأرض. لذلك فإن قصص القرآن الكريم يشمل سِيَر عدد من أنبياء الله ورسله، وأخبار أُممهم، وتفاعل كل واحدة من تلك الأمم مع دعوة نبيّها، وكيف كان جزاء المؤمنين منهم، وعقاب الكافرين. والهدف من كل ذلك هو استخلاص الدروس والعبر من سِيَرِهم؛ واستعراض حركة الإسلام في التاريخ البشري كله من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ لعل البشرية أن تستفيد بذلك في فهم حتمية الصراع بين الإنسان والشيطان.

وفي مجال **الإعجاز التاريخي** سوف نقتصر على **سير الأنبياء** الذين عاشوا في حدود التاريخ المدوّن، والمحدد بعشرة آلاف سنة مضت. أمّا الذين جاؤوا قبل تدوين التاريخ من أمثال كل من أنبياء الله الصالحين: **آدم وإدريس ونوح** عليهم السلام فسوف تتم مناقشة سيرة كل واحد منهم تحت عنوان «**الإعجاز الإنبائي**» الذي يشمل فيما يشمل الإنباء بالعديد من الوقائع والأحداث التي تمّت فيما قبل التاريخ، كما يشمل الإنباء بأحداث تاريخية قبل وقوعها، وجاء وقوعها موافقاً لإنباء القرآن الكريم بها، أو لم يتم ذلك بعد ولا نزال ننتظر وقوعه.

وقصص الأنبياء في القرآن الكريم يمثل موكب الإيمان عبر التاريخ، ويجسِّد حاجة الإنسانية دوماً إلى هداية ربّ العالمين، من أجل استقامة الحياة على الأرض، وتمكين الإنسان من تحقيق رسالته في هذه الحياة. ويؤكد هذا القصص القرآني مسيرة الدعوة إلى دين الله، واستجابة المؤمنين لها، وانصراف الكفار والمشركين والعاصين عنها. ويعرض قصص القرآن الكريم كذلك أثر الإيمان في صلاح العباد في الدنيا، ويبشر بنجاتهم في الآخرة إن شاء الله، كما يعرض آثار الكفر والشرك والضلال في صدأ القلوب، وانغلاق العقول التي تشقي أصحابها في

الدنيا، وتوردهم موارد التهلكة في الآخرة.

من هنا كان **للقصص القرآني** دور كبير في تثبيت المؤمنين على إيمانهم، وفي التأكيد على معية الله ـ تعالى ـ لهم، وتطمينهم على مستقبل حياتهم في الآخرة التي يصفها الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 88 ـ 89].

والقصص القرآني ـ في نفس الوقت ـ يوقظ القلوب الغافلة، وينتشلها من غفلتها، كما يُنبّه العقول الضالة، وينقذها من تيهها وانحرافها، ويردّها إلى الصواب والحق؛ وذلك لأنَّ القصص له طريقته الخاصة في عرض الحقائق، وفي إيصالها إلى القلوب والعقول، بأسلوب واقعي، كما تجري الأحداث في حياة الناس، وهذا أوقع في النفس من مجرد عرض تلك الحقائق بطريقة مجردة.

والأنبياء الذين أورد القرآن الكريم ذكرهم هم:

1 ـ **آدم** عليه السلام: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم خمسة وعشرين (25) مرة في تسع (9) من سور هذا الكتاب العزيز هي: (البقرة، آل عمران، المائدة، الأعراف، الإسراء، الكهف، مريم، طه، يّس).

2 ـ **إدريس** عليه السلام: وقد جاء ذكره مرتين (2) في القرآن الكريم، في سورتين (2) من سوره، هما: (مريم والأنبياء).

3 ـ **نوح** عليه السلام: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين (33) مرة، في ثمان وعشرين (28) سورة من سور هذا الكتاب العزيز، وسميت إحداها باسمه وهذه السور هي: (آل عمران، النساء، الأنعام، الأعراف، التوبة، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، مريم، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، غافر، الشورى، ق، الذاريات، النجم، القمر، الحديد، التحريم، ونوح).

4 ـ **هود** عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره عشر (10)

مرات في أربع (4) من سوره، هي: (البقرة، الأعراف، هود، والشعراء).

5 ـ **صالح** عليه السلام: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم تسع (9) مرات في أربع (4) من سوره، هي: (الأعراف، هود، الشعراء، والنمل).

6 ـ **إبراهيم** عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره تسعاً وستين (69) مرة في خمسة وعشرين (25) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، التوبة، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، مريم، الأنبياء، الحج، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، صٓ، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الحديد، الممتحنة، والأعلى).

7 ـ **لوط** عليه السلام: وجاء ذكره سبعاً وعشرين (27) مرة في كتاب الله، في أربعة عشر (14) سورة من سوره، هي: (الأنعام، الأعراف، هود، الحجر، الأنبياء، الحج، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، صٓ، قٓ، القمر، والتحريم).

8 ـ **إسماعيل** عليه السلام: وجاء ذكره اثنتا عشرة (12) مرة في القرآن الكريم، في ثمانٍ (8) من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، وصٓ).

9 ـ **إسحاق** عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم سبعة عشر (17) مرة، في اثنتي عشرة (12) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، الأنبياء، العنكبوت، الصافات، وصٓ).

10 ـ **يعقوب** عليه السلام: وجاء ذكره في كتاب الله ثمانية عشرة (18) مرة؛ ستة عشر (16) منها باسم «يعقوب»، ومرتان (2) باسم «إسرائيل»، وذلك في عشرة (10) من السور، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، هود، يوسف، مريم، الأنبياء، العنكبوت، وصٓ).

11 ـ **يوسف** عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره سبعاً

وعشرين (27) مرة في كتاب الله، في ثلاثة (3) من سوره، هي: (الأنعام، يوسف، وغافر).

12 ـ **شعيب** عليه السلام: وجاء ذكره إحدى عشرة (11) مرة في كتاب الله، وذلك في أربع (4) من سوره، هي: (الأعراف، هود، الشعراء، والعنكبوت).

13 ـ **أيوب** عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم أربع (4) مرات في أربع (4) من سوره، هي: (النساء، الأنعام، الأنبياء، صٓ).

14 ـ **ذو الكفل** عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم مرتان (2) في سورتين (2) من سوره، هما: (الأنبياء، صٓ).

15 ـ **موسى** عليه السلام: وجاء ذكره مائة وست وثلاثين (136) مرة في كتاب الله، في أربع وثلاثين (34) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، السجدة، الأحزاب، الصافات، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الأحقاف، الذاريات، النجم، الصف، النازعات والأعلى).

16 ـ **هارون** عليه السلام: وجاء ذكره عشرين (20) مرة في ثلاث عشرة (13) سورة من سور القرآن الكريم، هي: (البقرة، النساء، الأنعام، الأعراف، يونس، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، القصص، والصافات).

17 ـ **داود** عليه السلام: وجاء ذكره ستة عشر (16) مرة في تسع (9) من سور القرآن الكريم، هي: (البقرة، النساء، المائدة، الأنعام، الإسراء، الأنبياء، النمل، سبأ، وصٓ).

18 ـ **سليمان** عليه السلام: وجاء ذكره سبعة عشر (17) مرة في كتاب الله، موزعة على سبع (7) من سوره الكريمة، هي: (البقرة، النساء، الأنعام، الأنبياء، النمل، سبأ، صٓ).

19 ـ **إلياس** عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم ثلاث (3) مرات، مرتين (2) باسم (إلياس) ومرة واحدة باسم (إل ياسين)، وذلك في سورتين كريمتين من سوره (2)، هما: (الأنعام، والصافات).

20 ـ **اليسع** عليه السلام: وجاء ذكره مرتين (2) فقط، وذلك في سورتين (2) من سور القرآن الكريم، هما: (الأنعام، صَ).

21 ـ **يونس** عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره أربع (4) مرات في أربع (4) من سور هذا الكتاب العزيز، هي: (النساء، الأنعام، يونس، والصافات).

22 ـ **زكريا** عليه السلام: وجاء ذكره سبع (7) مرات في كتاب الله موزعة على أربع (4) من سوره، هي: (آل عمران، الأنعام، مريم، والأنبياء).

23 ـ **يحيى** عليه السلام: وجاء ذكره خمس (5) مرات في أربع (4) من سور القرآن الكريم، هي: (آل عمران، الأنعام، مريم، الأنبياء).

24 ـ **المسيح عيسى ابن مريم** عليه السلام: وجاء ذكره ستة وثلاثين (36) مرة في القرآن الكريم، منها خمسة وعشرين (25) مرة باسم (عيسى)، وإحدى عشرة (11) مرة باسم (المسيح) وذلك في اثنتي عشرة (12) سورة من سور القرآن، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، التوبة، مريم، الأحزاب، الشورى، الزخرف، الحديد، والصف).

25 ـ **خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد بن عبد الله** النبي العربي ﷺ وجاء ذكره في القرآن الكريم مئتين وثماني عشرة (218) مرة، منها أربع (4) مرات باسم (محمَّد)، وذلك في سور (آل عمران، الأحزاب، محمَّد، والفتح)، ومرة واحدة (1) باسم (أحمد)، وذلك في سورة (الصف)، وثمان وثلاثون (38) مرة بصفته النبوية (النبيّ)، ومائة وخمسة وسبعون (175) مرة بصفته الرسولية (الرسول)، وسميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم (سورة محمَّد). هذا بالإضافة إلى مئات من صيغ النداء عليه وتوجيه الحديث إليه؛

لأنَّ الخطاب القرآني موجه في غالبيته إليه ﷺ.

وقصص الأنبياء جاء كذلك تثبيتاً لرسول الله ﷺ وللعصبة المؤمنة من حوله، وتسرية لهم، خاصة في أوقات الشدائد والمحن التي تعرضوا لها وابتلوا بها. فرسول الله ﷺ وصحابته الكرام والذين تبعوهم ولا يزالون يتبعونهم بإحسان إلى يوم الدين حينما يعلمون طرفاً من أخبار الابتلاءات والشدائد التي تعرّض لها أنبياء الله والصالحون من أتباعهم كان ذلك مما يُهوّن عليهم ما يتعرضون له هم من شدة، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: 101، 102].

● ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: 100].

● ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120].

● ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: 1 ـ 3].

● ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 111].

● ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: 13].

● ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: 99].

وبالإضافة إلى قصص الأنبياء يشمل القصص القرآني **سِيَر عدد من الصالحين**

من مثل كل من: **لقمان الحكيم، ذو القرنين، طالوت، مؤمن آل فرعون، امرأة فرعون، مريم ابنة عمران وأبواها، وأصحاب الكهف**، وغيرهم.

كذلك يشمل القصص القرآني **سِيَر عدد من الطغاة المفسدين في الأرض، والمتجبرين على الخلق**، وذلك من أمثال كل من: **فرعونَي موسى: (فرعون الاضطهاد رمسيس الثاني، وفرعون الخروج ابنه منفتاح الأول) ووزيرهما هامان وجنودهما، والنمرود بن كنعان، وجالوت، ومن مثل كل من أقوام نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وكفرة بني إسرائيل، وكل: من قارون، وأصحاب السبت، والسامري، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الرس، وأصحاب الفيل، وغيرهم.**

والقرآن الكريم لا يستعرض سير تلك الأمم، ولا قصص هؤلاء الأنبياء والأفراد، استعراضاً تاريخياً ـ على عادة الكتابات التاريخية التي تهتم بالأسماء، والتواريخ، والتفاصيل الدقيقة ـ ولكنه يركز على عددٍ من المواقف الملفتة للنظر سلباً أو إيجاباً. وذلك لأن الله ـ تعالى ـ أنزل ذلك القصص من أجل أن يتعلم قارئ القرآن الكريم الدروس والعبر المستفادة من كل موقف من تلك المواقف، ويخرج بمعرفة الحكمة من إيرادها في كتاب الله، ذلك الكتاب الذي يهتم بتهذيب الأنفس وتربيتها على التواصي بالحق والتواصي بالصبر. ولذلك فإن النص القرآني غالباً ما يخلو من تفاصيل أنساب الأشخاص، وأعيان الذوات، لأنه يهتم بتصوير نماذج البشر عبر التاريخ، وأنماط الطباع المتباينة بينهم، تعليماً وتثقيفاً لقارئ القرآن الكريم. كذلك يتجاوز كتاب الله كل التفصيلات غير المهمة للحوادث التي يستعرضها، كما يستعيد كل الجزئيات الهامشية للوقائع التي يرويها، من أجل تجسيد القيم التي يريد الله ـ تعالى ـ أن يثبتها في نفس المسلم، وأن يعلمه السنن التي يقوم عليها نظام الكون. والسنن الكونية لا تتوقف، ولا تتعطل، ولا تتخلف أبداً، بغض النظر عن الحوادث والأشخاص التي مروا بها، أو مرت بهم، ومن هنا كانت أهمية التذكير بها.

وسوف نعرض في هذا الكتاب بجزأيه لعدد من تلك المواقف في سير الأُمم، والأنبياء، والأفراد، من أجل إبراز ما فيها من دقة تاريخية محكمة. وهذه الدقة التاريخية تسجل مواقف تفرد بها القرآن الكريم، وأخرى يصحح بها ما جاء من خلط عنها في الكتب المتداولة بين أيدي الناس اليوم (من أمثال العهدين القديم والجديد). وقد امتلأت هذه الكتب بالتصورات البشرية المريضة عن أشراف الخلق من كل من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من صالحي بني آدم، الذين رُمُوا في تلك الكتب بأوصاف لا تليق بأراذل الناس، وهم المفروض فيهم أنَّهم المثل العليا للإنسانية في أرقى صورها. وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد أدّب هذه الصفوة من خلقه فأحسن تأديبهم حتى يكونوا مثلاً علياً يقتدي بهم كل من آمن برسالتهم. كما امتلأت تلك الكتب الموضوعة بالآراء المريضة، والخيالات المغرقة في الخرافات والأساطير عن الذات الإلٰهية المنزهة عن كل نقص، والمغايرة لجميع صفات الخلق.

ومن صور **الإعجاز الإنبائي والتاريخي** في كتاب الله أنَّ جميع الثوابت التاريخية والكشوف الأثرية جاءت لتؤكد كل ما ذُكِرَ عنها في القرآن الكريم، وذلك من مثل كشف بقايا سفينة نوح ﷺ فوق «جبل الجودي»، وكشف «إرم ذات العماد» بالأحقاف (في الركن الجنوبي الشرقي من الربع الخالي)، ودراسة آثار كل من قوم ثمود (مدائن صالح) في الحجر (واد القرى)، وآثار كل من عبد الله ونبيه إبراهيم، وولده النبي إسماعيل ﷺ في مكَّة المكرَّمة، وقرى قوم لوط في جنوب البحر الميت، وآثار كل من موسى وقارون في كل من وادي النيل وشبه جزيرة سيناء، وآثار كل من كهف الفتية في الأردن، وأصحاب الأخدود في جنوب الجزيرة العربية، وغير ذلك كثير مما جاء مطابقاً لما ذكره القرآن الكريم.

وكتابنا هذا يعرض لأكثر من مائة آية قرآنية كريمة يحتوي كلّ منها على معجزة، أو على أكثر من معجزة إنبائية أو تاريخية. وفي معالجتنا **للإعجاز الإنبائي والتاريخي** في هذه الآيات اعتمدنا أساساً على القرآن الكريم، ثم على الأحاديث

النبويّة الشريفة، ثم على الكشوف الأثرية والوقائع التاريخية المثبتة، وذلك من أجل التخلص من كمٍّ الإسرائيليات والخرافات والأساطير التي امتلأت بها كتب الأولين عن الأنبياء والمرسلين وعن كثير من أخبار الخلق الصالحين والطالحين.

وهذا المنهج أثبت بوضوح ربانية القرآن الكريم، كما أثبت صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنَّه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلَّماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، فإن أصبت في ذلك فمن الله وبتوفيق منه، وإن أخطأت فمن نفسي، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين.

الراجي رحمة ربه

زغلول راغب محمَّد النجَّار

القاهرة في 25/ 7/ 1431هـ ـ 7/ 7/ 2010م



الباب الأول

من أنبياء وشخصيات ما قبل التاريخ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

[هود: 49]

أولاً: عرض القرآن الكريم لقصّة أبينا آدم عليه السلام

يقرر القرآن الكريم أن آدم عليه السلام هو أبو البشر جميعاً، ويقرر حديث رسول الله ﷺ أنه كان أوّل الأنبياء جميعاً، وقد سمي بهذا الاسم لأنّه خلق من أديم الأرض. وجاء ذكر أبينا آدم عليه السلام في القرآن الكريم خمسة وعشرين (25) مرّة في تسع من سوره، وامتدحه الله ـ تعالى ـ بالاصطفاء والاجتباء. وعلى الرغم من مجيء قصّة أبينا آدم عليه السلام في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم إلا أنها أجملت في عشر آيات من سورة «البقرة»، يقول فيها ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 30 ـ 39].

والخلافة هنا هي عن الله ـ تعالى ـ وجاءت إمضاءً لأحكامه وأوامره بإعطاء الإنسان حريّة الإرادة ابتلاءً واختباراً له. ورد الملائكة جاء انطلاقاً من حقيقة أنّ الجن كانوا قد استخلفوا في الأرض من قبل، وهم خلق عاقل مكلف، منحوا

حريّة الإرادة فأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً وسفكوا الدماء.

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكّد اصطفاء الله ـ تعالى ـ لأبينا آدم على جميع ما قد خلق من قبله من مخلوقات، وجاء ذلك في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: 33 ـ 34].

وليس معنى الاصطفاء هنا أنّه كان من أناسي أو أشباه أناسي كما يدعي البعض، لأن التأكيد على خلقه بمعجزة خاصة جاء في قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

كذلك تم استعراض قصّة أبينا آدم عليه السلام في سورة **«الأعراف»** تأكيداً على عداوة الشيطان للإنسان، وعلى حتميّة الصراع بينهما إلى يوم الدين، وجاء ذلك في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: 11 ـ 25].

وفي سورة «**الإسراء**» جاء التأكيد على ترصد الشيطان للإنسان وحرصه على إغواء بني آدم وإغرائهم بالخروج على منهج الله، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: 61 ـ 65].

وفي سورة «**الكهف**» جاء التأكيد على أنَّ إبليس كان من الجن وأنَّه خرج على أوامر الله فأصبح من الفاسقين، وذلك في قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

وجاء في سورة «**طه**» تحذير ربنا جل جلاله لأبينا آدم عليه السلام ولذريته من بعده من عداوة الشيطان لهم، كما جاء التأكيد على إمكانية تعرض الإنسان للخطأ، وعلى تمكّنه من التوبة إلى الله (وهو التوّاب الرحيم)، وذلك في قول الحق ـ تبارك اسمه ـ:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ

عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 115 ـ 124].

وجاء في سورة «**السجدة**» التأكيد على أنَّ بداية خلق الإنسان كانت من الطين، وذلك نفياً لإرهاصات الضالين، ولتخرصات المتخرصين من دعاة أسطورة التطور العضوي، وفي ذلك يقول ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 6 ـ 9].

وفي سورة «صٓ» يؤكد القرآن الكريم قصة خلق أبينا آدم من طين ومن نفخة روح، هي هبة من ربِّ العالمين، كما يؤكد على أنَّه مخلوق مكرم، ولكن الشيطان الرجيم كان دوماً له بالمرصاد يحاول إنزاله عن مقامات التكريم، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [صٓ: 71 ـ 85].

وفي شرح قوله ـ تعالى ـ أنَّه خلق الإنسان من تراب قال رسول الله ﷺ:

«**إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك**»[1].

(1) أخرجه كلّ من الأئمة أبو داود حديث رقم (4693)، والترمذي حديث رقم (2955).

رمزية خلق آدم عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم:

1 ـ إنَّه رمز لطلاقة القدرة الإلٰهيّة المبدعة في خلق الحياة ـ بصفة عامة ـ وخلق الإنسان ـ بصفة خاصة ـ من طين الأرض، بل من سلالة من هذا الطين، ثم خلق نسله من ماء مهين ومن سلالة من طين على مراحل متتابعة وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7].

ويقول:

● ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67].

2 ـ إنَّه رمز لكمال الخلق، لأنَّ الله ـ تعالى ـ خلقه بعد تمام خلق جميع المخلوقات الأخرى، وهو كذلك رمز للقدرة على المحافظة على هذا الكمال أو التخلّي عنه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: 4 ـ 6].

3 ـ إنَّ خلق آدم عليه السلام وخلق زوجه من نفس واحدة هو رمز لوحدانية الخالق تبارك وتعالى الذي خلق جميع خلقه من أصل واحد، وخلقهم في زوجية واضحة (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) حتى يبقى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

4 ـ إنَّه رمز للمخلوق المعد إعداداً خاصاً للاستخلاف في الأرض وذلك بنص القرآن الكريم الذي جاء فيه:

● ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30].

5 ـ إنَّه رمز للاستعداد الفطري في الإنسان لاكتساب المعارف والعلوم بمختلف مجالاتها، وقد أُوتي الأدوات اللازمة لتحقيق ذلك، ومن هنا كان تفضيل الله ـ تعالى ـ له على كثير ممن خلق وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: 31].

فقد علّمه الله ـ تعالى ـ مسميات وحقائق الأشياء، والسنن التي تحكمها، وتضبط خيرها وشرها، وأقدره على وضع اسم على كلِّ شيءٍ تقع عليه عينه.

6 ـ إنَّه رمز لوحدة اللُّغات وتأصلها في لغة واحدة هي اللغة العربية التي أنطقه الله ـ تعالى ـ بها، والتي تفرعت عنها جميع لغات أهل الأرض بعد ذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحْمٰن: 1 ـ 4].

7 ـ إنَّه رمز للطبيعة البشرية المعرضة للوقوع في الخطأ ثم المسارعة بالتوبة إلى الله ـ تعالى ـ ومن هنا كانت مخالفته لأوامر الله، ثم توبته، وإخراجه من الجنة، وذلك انطلاقاً من قول الحق ـ تبارك اسمه ـ:

● ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 37، 38].

● ويقول ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 122].

8 ـ إنَّه ـ كغيره من أنبياء الله ـ كان رمزاً لتلقي العلم الموهوب عن طريق الوحي من الله ﷻ ثم تعليمه لغيره من بني آدم، كما كان مؤهلاً لكسب المعارف بعقله وحواسه (العلم المكتسب) وفي ذلك تأكيد على حاجة

الإنسان إلى الهداية الربانية، وإلى الاجتهاد في كسب العلم، وفي ذلك يقول ربنا ـ جلّ وعلا ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

● ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1 ـ 5].

9 ـ في نبوته المعصومة من الخطأ كان آدم عليه السلام رمزاً للاصطفاء والاجتباء وللنبوّة الموصولة برب العالمين، وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

● ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ [آل عمران: 33، 34].

10 ـ إنَّه رمز لتأصل البشرية وردها إلى أب واحد وأم واحدة وذلك لقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء: 1].

أي أنَّ كلًّا من آدم وحواء قد خلق من طينة واحدة، وخُلِقَ كل منهما خلقاً مستقلاً بذاته من أصل واحد، وذلك انطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: 49].

● وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13].

ـ وقال ﷺ: **«كلّكم بنو آدم وآدم خلق من تراب»**[1]:

والإيمان بالأصل الواحد للبشر جميعاً، بمعنى ردهم إلى أب واحد وأم واحدة، يلغي جميع أوجه العصبيات العرقية، والاعتقادية، والمذهبية، والاجتماعية

(1) متّفق عليه.

التي عانت منها البشرية طويلاً، ولا تزال تعاني منها إلى اليوم.

11 ـ إنَّه رمز لتأصل الإيمان باللَّه، ذلك الإيمان الفطري المزروع في الجبلة الإنسانيّة التي شهدت على نفسها في عالم الذر، وذلك انطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ:

● ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وعلى ذلك فإن الإنسان خلق عالماً عابداً ناطقاً، ولم يبدأ وجوده جاهلاً، ولا كافراً، ولا أبكماً كما يدّعي أغلب علماء الدراسات الإنسية المعاصرون والذين يعرفون باسم (Modern Anthropologists).

12 ـ إنَّه رمز للتكريم الإلٰهي للإنسان:

فقد خلقه اللَّه ـ تعالى ـ بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه من علمه، وأدخله الجنّة، وأسجد الملائكة له، ثم استخلفه في الأرض، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وسخر له ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً من اللَّه ـ تعالى ـ القائل:

● ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: 70].

ويؤكّد ربّنا ﷻ ذلك بقوله الكريم:

● ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [صۤ: 71 ـ 73].

ونسبة الروح إلى اللَّه ـ تعالى ـ هنا ليست إلّا تشريفاً لآدم ﵇ فروح الإنسان من خلق اللَّه، وإضافتها إلى اللَّه ـ تعالى ـ هي إضافة تكريم وتشريف، لأن (من) هنا هي للتشريف والتكريم، وليست للتبعيض، واللَّه ـ تعالى ـ كل لا يتجزأ، ومنزّه

عن كل إضافة. وكذلك (السجود) هنا هو سجود تكريم، وليس سجود عبادة، لأنَّ سجود العبادة لا يكون إلَّا للَّه ـ تعالى ـ وحده.

وعلى ذلك فإنَّ سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام كان طاعة لأمر الله، وتكريماً لأبينا آدم عليه السلام، ولم يكن عبادة لآدم الذي خلقه الله ـ تعالى ـ لعبادة رب العالمين وحده بما أمر، وللتبليغ عن الله ـ تعالى ـ بما علمه الله بواسطة الوحي المنزل عليه (كما أنزل على أنبياء الله ورسله، من بعده)، وللقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض حسب هذا العلم الذي وهبه الله ـ تعالى ـ إياه، والذي علمه لبنيه وأحفاده من بعده.

13 ـ في بشريتهما التي تخطئ وتصيب، وتستغفر وتتوب، بواسطة الإرادة الحرّة التي وهبهما الله عز وجل إيّاها، كان كل من أبوينا آدم وحواء عليهما السلام رمزاً للصراع بين الحق والباطل، وللمعركة المحتدمة بين الشيطان والإنسان على مَر الزمان، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20].

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23].

- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27].

- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: 115].

- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 121، 122].

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117].

- وقال ﷺ: **«إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم»**[1].
- وقال: **«ما منكم من أحد إلّا وقد وكل به قرينه من الجن»** قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: **«وإيّاي، إلّا أنَّ الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلّا بخير»**[2].
- وقال: **«إذا سرّتك حسناتك وساءتك سيئاتك، فأنت مؤمن»**[3].

14 ـ إنَّ الجنَّة التي سكنها أبوانا آدم وحوّاء عليهما السلام كانت جنَّة في الأرض، ولم تكن جنّة الخلد التي لا يدخلها أحد من الخلق إلّا بعد التكليف والوفاء، وذلك جزاءً له في الآخرة على ما عمل في الدنيا، ورحمة من الله ـ تعالى ـ وفضل. وجنّة الآخرة لا يغادرها مَن يدخلها أبداً، ولا يدخلها الشيطان أبداً، ويأتي هذا الاستنتاج من قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55].
- وقوله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 17، 18].
- وقوله ـ عزّ مَن قائل ـ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: 25].

15 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ خلق آدم عليه السلام خلقاً خاصًّا على صورته الآدميّة وذلك انطلاقاً من الآيات القرآنيّة العديدة التي عرضناها آنفاً، ومن قول رسول الله ﷺ: **«إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإنَّ الله خلق آدم على صورته»**[4]. وأخرج كل من الإمامين البخاري وأحمد مثل هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه. والضمير في (صورته) عائد على الأخ

---

(1) أخرجه الإمام البخاري حديث رقم (21).

(2) أخرجه الإمام مسلم، حديث رقم (7039).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (2166).

(4) أخرجه الإمام مسلم، حديث رقم (6598).

المضروب، وذلك تكريماً لآدم عليه السلام.

وقال ﷺ: «**إنَّ الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً،... فلم يزل الخلق ينقص بعد**»[1].

16 ـ كان أبوانا آدم وحواء ـ كما كان غيرهما من مختلف المخلوقات ـ رمزاً لمرحلية الحياة الدنيا التي لا بد وأن يتبعها الموت. وذلك لأن الله ـ تعالى ـ الذي فرضه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على جميع خلقه، ليبقى وحده متفرداً بصفات الألوهية ومنها التنزيه عن حدود كل من المادة والطاقة، والمكان والزمان، وعن جميع صفات المخلوقين، وعن كل وصف لا يليق بجلال الله الذي وصف ذاته العلية بقوله: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

17 ـ أما عن وفاة آدم عليه السلام فيذكر ابن كثير رضي الله عنه في كتابه «البداية والنهاية» أنَّ آدم عليه السلام توفي في سن متقدمة جدًّا، وعندما قُبض غسّلته الملائكة وكفنوه وحنطوه، وصلوا عليه صلاة الجنازة، ثم أدخلوه قبره فلحدوه ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا: «يا بني آدم هذه سُنَّتكم». وذكر أنَّه دُفن في مكَّة المكرَّمة في غار بجبل أبي قبيس يقال له: «**غار الكنز**». كذلك ذكر أنَّ حواء ماتت بعده بفترة قصيرة ودفنت بالقرب من قبره (رحِم الله أبوينا آدم وحواء برحمته الواسعة وجعل مستقرّهما جنَّات النَّعيم وألحقنا بهما على الإيمان الكامل اللهم آمين يا ربَّ العالمين).

الدروس المستفادة من قصّة آدم عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم:

1 ـ الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ رباً واحداً أحداً، فرداً صمداً (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد)، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (6227)، ومسلم حديث رقم (7092).

الآخر، وبالجن صالحهم وطالحهم.

2 ـ اليقين بأنَّ الله ـ تعالى ـ هو خالق كلِّ شيءٍ في زوجيّة كاملة، حتى يبقى ـ سبحانه ـ متفرّداً بالوحدانيّة المطلقة فوق جميع خلقه، وأنه ـ تعالى ـ خلق أبوينا آدم وحوّاء بعد أن أتم خلق كلِّ شيء فتوّج بخلقهما جميع ما قد خلق.

3 ـ التسليم بأن الله ـ تعالى ـ خلق آدم عليه السلام في صورته الآدميّة، خلقاً خاصًّا، (لا علاقة له بالخلق الحيواني من قبله)، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه من علمه، وأدخله الجنَّة، وأسجد له الملائكة، ثم استخلفه في الأرض وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

4 ـ الإيمان بكل من الروح، والملائكة، والجن، وكلّها من عوالم الغيب التي لا يعلمها إلَّا الله ـ تعالى ـ الذي قد يُعلِّم من يرتضي من الأنبياء والمرسلين شيئاً من تلك الغيوب.

5 ـ اليقين في حتميّة الصراع بين الإنسان والشيطان وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾
[الأعراف: 16، 17].

● ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 116، 117].

● ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾
[الأعراف: 22].

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾
[البقرة: 168، 169].

6 ـ التسليم بأنَّ مسؤولية الخضوع لوسوسة الشيطان، والوقوع في معصية الرحمن، والخروج من الجنَّة تقع على كاهلي آدم وحواء معاً، وليس على كاهل حواء وحدها، كما يدعي كاتبو «العهد القديم». والخطاب القرآني في هذا الأمر موجّه إليهما معاً [البقرة: 35، 36، 286؛ الأعراف: 20 ـ 23 ـ 27].

7 ـ إنَّ خطأ آدم وحواء لا ينال أيًّا من أفراد نسلهما (كما يدعي كل من العهدين القديم والجديد)، فكلّ فرد منَّا يتحملُ مسؤوليّة أعماله، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: 164].
- ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15].
- ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثّر: 38].

ويقول ـ عزَّ مَن قائل ـ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: 124].

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 97].
- ويقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: 18].
- ويقول ـ جلَّ شأنه ـ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: 7].

● ويقول ﷻ: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: 38].

8 ـ إن الله ـ تعالى ـ منزّه تنزيهاً كاملاً عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، بينما يحاول نفر من بني آدم الانحطاط بمدلول الألوهية عن هذا التنزيه، فقد جاء في **سفر «التكوين»** (الإصحاح الأوّل: 27، 28) ما نصّه: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كلّ الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم».

وانطلاقاً من ذلك فإنَّ كثيراً من أهل الكتاب يعتقدون أنَّ الله الخالق يشبه في شكله الإنسان (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) بل تجاوز بعض الوثنيين هذا الحدّ باعتبار ملوكهم آلهة أو أبناء آلهة. وقد ساد هذا التصور الخاطئ مختلف المجتمعات الوثنيّة القديمة، كما ساد بعض المجتمعات الوثنيّة الحديثة من مثل كل من المجتمع الياباني والمجتمع الهندي. ففي المجتمع الياباني ظلَّ الفرد يعبد إمبراطور بلاده، انطلاقاً من الاعتقاد الخاطئ أنّه من نسل الآلهة. واستمر هذا الشرك بالله حتى نهاية الحرب العالميّة الثانية (1945م) حين ظهر الإمبراطور على شاشة التلفاز معترفاً بكذبه، وببطلان ادعائه بعد هزيمة بلاده في تلك الحرب. وعلى الرَّغم من ذلك فلا يزال اليابانيون يسجدون لإمبراطور بلادهم عند لقائه إلى يومنا الرّاهن.

ونحن ننزّه الله ـ تعالى ـ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وقد وصف ذاته العلية بقوله العزيز:

● ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: 11].

وقال آمراً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وآمراً كل مؤمن به من بعده بتوحيد الله ـ تعالى ـ وتنزيهه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله وذلك

بالأمر القاطع الذي يقول ﷻ فيه:

- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذُّرِّ ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ أو تقولوا ـ إلى قوله ـ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾»**[1].

وقال ﷺ: **«يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال، فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»**[2].

9 ـ إن آدم أبو البشر، وأول الأنبياء كان مثلاً أعلى للإنسانية، كما كانت زوجته أمنا حواء، وإن كان «العهد القديم» يصفهما بغير ذلك، فقد جاء في سفر التكوين (2/ 24، 25) ما ترجمته: «لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويصيران جسداً واحداً. وكان آدم وامرأته عريانين، ولم يعترهما الخجل».

وهذا الكلام يناقض ما جاء في سفر التكوين (3/ 6، 7) مما ترجمته:

«وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل، وشهية للعيون، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضاً فأكل معها، فانفتحت للحال أعينهما، وأدركا أنهما عريانان، فخاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين».

فهل كان آدم وزوجه عريانين قبل الأكل من الشجرة أم بعد ذلك؟

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (2451).
(2) مسند أحمد رقم (23).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: 78]

ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة أبينا آدم عليه السلام

1 ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾

[الإنسان: 1].

أثبتت دراسات علوم الأرض والفضاء أنّنا نحيا في كون يقدر عمره بحوالي الأربعة عشر ألف مليون سنة (13.7 b.y.) وعلى أرض يقدّر عمر أقدم صخورها بأكثر من أربعة آلاف وستمائة مليون سنة (4.6 b.y.)، وأنَّ أقدم أثر للحياة على الأرض يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة مليون سنة مضت (3.8 b.y.)، وقد وجد هذا الأثر على هيئة جزيئات لمركبات عضوية متأحفرة تشبه العديد من الخلايا الحيّة المعاصرة. وقد اكتشفت هذه البقايا في صخور جزيرة جرينلاند في سنة 1978م بواسطة سيريل بونامبروما (Cyril Ponnamperuma) الأستاذ بجامعة ميريلاند الأمريكيّة.

وقد أدّى هذا الكشف إلى اعتبار الفترة من (4.6) بليون سنة مضت إلى (3.8) بليون سنة مضت (وقدرها 800 مليون سنة) فترة إعداد وتهيئة للأرض من أجل استقبال الحياة، ويطلق عليها اسم «زمان (أو أبد)» ما قبل خلق الحياة، أو زمان انعدام الحياة» (The Azoic Eon).

وتلى ذلك اكتشاف أحافير لكائنات وحيدة الخلية تشبه البكتيريا في صخور يرجع عمرها إلى نحو ثلاثة بلايين ونصف البليون سنة في جنوب غربي أستراليا.

وبالمثل تمّ اكتشاف عدد من الأحافير لكائنات وحيدة الخلية شبيهة بالطحالب والبكتيريا المعاصرة وذلك في تتابع من الصخور الرسوبيّة غير المتحولة يعرف باسم

متكون شجرة التين (The Fig Tree Formation) وذلك في جنوب إفريقيا.

ثمّ تمّ اكتشاف بقايا للطحالب الخضراء المزرقة (Blue green-Algae) في روديسيا (Rhodesia)، وذلك في صخور جيرية يرجع عمرها إلى (2.7 بليون سنة) وتمّ اكتشاف بقايا مشابهة في منطقة أنتاريو (Ontario) (كندا) في صخور يرجع عمرها إلى (1.9 بليون سنة مضت).

وبالمثل تمّ اكتشاف العديد من أحافير الطحالب والبكتيريا والفطريات الأولية، وذلك في صخور من الصوّان الكربوني الظاهرة في وسط أستراليا والتي قدّر عمرها بألف مليون سنة مضت.

وهذه الكائنات القديمة تصنف تحت أُمة واحدة تعرف باسم «**أُمة أوليات الأنوية**» (Domain Prokaryota)، وتحت مملكة واحدة هي مملكة البدائيات (Kingdom Monera) التي تشمل كلاً من البكتيريا، والطحالب الخضراء المزرقة. وأفراد هذه الأمة الأولية بسيطة التركيب، ويتكوّن الفرد منها من خلية واحدة، أو من عدد من الخلايا، ولكن هذه الخلايا لا تتمايز إلى أنسجة، ولا إلى أعضاء، مهما تعدّدت، ولكنّها قد تتفرّع إلى عدّة أفرع. والفرد من أفراد هذه الكائنات ليست له نواة محدّدة، ولكن تنتشر محتويات النواة في سائل الخلية دون أن تتركز على هيئة نواة أو نوية تحمل الصبغيات الحاملة للصفات الوراثية.

ووجدت بقايا أوّل خلية حية ذات نواة محدّدة في «**أمة ذوات الخلايا محدّدة النواة**» (Domain Eukaryota) في صخور يرجع عمرها إلى نحو (1.4 بليون سنة) في شرقي ولاية كاليفورنيا الأمريكية. والكائنات وحيدة الخلية وذات النّوى المحدّدة المحاطة بغشاء نووي يفصلها عن سائل الخلية (السيتوبلازم) تصنف في عدد من الممالك خاصة منها «**مملكة الطلائعيات**» (Kingdom Protista)، وتضم العديد من الكائنات البسيطة مثل **السوطيّات** (Flagellata)، **والجرثوميّات أو البوغيات** (Sporozoa)، والهدبيات (Ciliata)، **والطحالب** (Algae) وغيرها؛ ومن الطلائعيات كذلك «**مملكة الفطريات**» (Kindgom Fungi).

أمّا **مملكة الحيوانات** (Kingdom Animalia) والتي تضم أكثر من عشرين قبيلة

من قبائل الحيوانات غير الفقارية وحدها فقد وجدت أولى بقاياها في صخور يقدر عمرها المطلق بنحو (600 مليون سنة) مضت. وبناءً على ذلك تعتبر الفترة من (3.8 بليون سنة) مضت إلى (600 مليون سنة) مضت زماناً خاصًّا يعرف باسم «**زمان (أو أبد) الحياة المستترة**» (The Cryptozoic Eon) وقد دام لأكثر من ثلاثة بلايين سنة (3.2 بليون سنة). وبالمثل اعتبرت الفترة من (600 مليون سنة) إلى اليوم زماناً آخر يعرف باسم «زمان (أو أبد) الحياة الظاهرة» (The Phanerozoic Eon) ازداد فيه تنوع مختلف صور الحياة النباتيّة والحيوانيّة التي عمرت الأرض بالتدريج حتى وصلت الحياة الأرضيّة إلى صورتها الحاليّة. وبذلك تعددت صور النباتات من الطحالب، إلى الحزازيات، إلى ذيل الحصانيات، إلى السراخس، ثم النخيليات، والمخروطيات (الصنوبريات)، إلى النباتات المزهرة. وقد خلقت أوَّل النباتات الأرضية منذ نحو (400 مليون سنة) في مطلع العصر السيليوري، بينما بقيت الحياة في الماء لأغلب تاريخ الأرض (من 3.8 بليون سنة وحتى اليوم).

وتنوّعت مجموعات الحياة الحيوانيّة غير الفقارية لتشمل أكثر من عشرين قبيلة متمايزة، ثم خلق الله ﷻ الأسماك، ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم الطيور، ثم الحيوانات اللبونة ذات الأثداء (Mammals). ونَوَّع الخالق ـ جلَّت قدرته ـ خلق الحيوانات اللبونة تنوعاً مذهلاً حتى خلقت الثدييات المشيمية (Placental Mammals)، وكان منها آكلات الحشرات (Insectivores)، والخفاشيات، وذوات الحوافر (الحافريات) ومنها كل من الخيول، والغزلان، والماشية، وغيرها. وكان منها الحيوانات المفترسة المفترسات أو الضواري (Carnivores))، والحيوانات القارضة أو القوارض (Rodentia)، وذوات الخرطوم أو الخرطوميات مثل الفيلة، وكان منها كل من الحيتان والدلافين. ومن الثدييات المشيمية الرئيسيات (The Primates) ومنها القردة العادية، والشمبانزي، والغوريللا، وغيرها. وبعد أن تمّ خلق جميع أنواع الحياة النباتيّة، والحيوانيّة، خلق الله ـ تعالى ـ الإنسان الذي توج الله ﷻ به جميع خلقه.

وقد أثبتت المعارف المكتسبة أنَّ عمر الإنسان على الأرض يتراوح بين (40، 50) ألف سنة فقط، وهو ما يمثّل حوالي الواحد من خمسين ألف من العمر المقدر لأقدم

الصخور المعروفة على الأرض، بينما يرجع أقدم أثر للحياة على الأرض إلى قرابة الأربعة بلايين من السنين (3.8 بليون سنة). وهنا تتَّضح ومضة الإعجاز العلمي والإنبائي في قول ربنا ـ تبارك اسمه ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1]. ويتضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي وضوحاً أشد إذا قارنّا هذه الحقيقة القرآنيّة التي أنزلت من قبل ألف وأربعمائة سنة بما جاء في العهد القديم عن خلق الإنسان، أو بما ذكره القس الإنجيلي جيمس أشر (James Ussher) الذي شغل منصب كبير أساقفة أرماغ في إيرلندا (Archbishop of Armagh)، وعاش في الفترة من 1581 ـ 1656م. فقد أعلن هذا القس في سنة 1625م أنَّ الأرض قد خلقت في تمام الساعة العاشرة من صباح الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة 4004 قبل الميلاد. إذا قارنا ذلك بنص الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصددها، أدركنا فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب، وفضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات، وفضل خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ على غيره من أنبياء ورسل الله. ويبرز ذلك الفضل لصفة خاصة إذا علمنا أنَّ هذا التاريخ الذي أعلنه «جيمس أشر» ظلَّ مثبتاً في معظم كتب العهدين القديم والجديد حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

ويقسم العلماء زمان **الحياة المستترة** (The Cryptozoic Eon) إلى حقبين متتاليين هما من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 ـ **حقب الحياة السحيقة** (The Archaeozoic Era): وقد امتد طوال الفترة من (3.8) بليون سنة مضت إلى (1.4) بليون سنة مضت (أي أنَّه دام لمدة ألفين وأربعمائة مليون سنة، وقد تميّز بوجود بقايا لكائنات غاية في البساطة والندرة تنتمي إلى مملكة البدائيات (Kingdom Monera).

2 ـ **حقب الحياة الابتدائيّة** (The Proterozoic Era): وقد امتد طوال الفترة من (1.4) بليون سنة مضت إلى حوالي ستمائة مليون سنة (590 مليون سنة) مضت، أي أنَّه دام لحوالي ثمانمائة وعشرة (810) مليون سنة. وقد تميّز هذا الحقب بوجود بقايا قليلة لكائنات وحيدة الخلية من طلائعيّات الحياة التي تنتمي إلى أُمّة ذوات الخلايا محددة النواة (Domain Eukaryotes) وإلى

كل من مملكتي الفطريات (Kingdom Fungi) والطلائعيات (Kingdom Protista) والتي تضم العديد من الكائنات البسيطة التركيب من مثل السوطيات (Flagellata)، والهدبيات (Ciliata)، والجرثوميات أو البوغيات (Sporozoa)، والطحالب (Algae).

أمّا زمان **الحياة الظاهرة** (The Phanerozoic Eon) فيتميز ببدء وجود بقايا الكائنات متعددة الخلايا ذات الأنوية المتميّزة ومنها الحيوانات البعدية (Metazoa)، ويقسم إلى الأحقاب الثلاثة التالية:

(أ) **حقب الحياة القديمة** (The Paleozoic Era):

ويمتد من حوالي (590 ـ 600 مليون سنة مضت) إلى حوالي (245 ـ 250 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لحوالي (345 ـ 350 مليون سنة)، ويقسم إلى سَبْعَة عصور من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 ـ **العصر الإيدياكاري** (The Ediacarian Period): وامتد (من حوالي 590 مليون سنة إلى حوالي 570 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لمدّة عشرين مليون سنة، وتميز ببدء تواجد بقايا الحيوانات متعدّدة الخلايا المميّزة بأنوية محدّدة.

2 ـ **العصر الكمبري** (The Cambrian Period): وقد امتد (في الفترة من 570 مليون سنة مضت إلى 510 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لفترة تقدر بحوالي ستين مليون سنة وتميز بوجود بقايا لحياة حيوانيّة بحرية مميزة من القشريات (Crustacea) تعرف باسم ثلاثيات الفصوص (Trilobita)، ومن عضديات الأقدام (Brachiopoda)، ومن شوكيات الجلد (Echinodermata)، ومن الرخويات الصدفية (Shelled Mollusca).

3 ـ **العصر الأوردوفيشي** (The Ordovician Period): وقد امتد (من حوالي 510 مليون سنة مضت إلى حوالي 439 ـ 440 مليون سنة مضت)، وتميز بوجود بقايا المرجانيات الرباعية (Tetra-Corals) لأوّل مرة، والأسماك عديمة الفكوك (جمع فك).

4 ـ **العصر السيليوري** (The Silurian Period): وقد امتد (من حوالي 439 إلى 440 مليون سنة مضت إلى حوالي 408.5 إلى 410 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لحوالي ثلاثين مليون سنة، وتميّز بوجود بقايا كل من الأسماك العظمية والنباتات الأرضية لأوّل مرة.

5 ـ **العصر الديفوني** (The Devonian Period): وقد امتد (من حوالي 410 أو 408.5 مليون سنة مضت إلى حوالي 362.5 أو 365 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لحوالي (45 ـ 46 مليون سنة)، وتميز بوفرة من بقايا الأسماك، وبوجود بقايا كل من سمك القرش والبرمائيات لأول مرة.

6 ـ **العصر الكربوني أو الفحمي** (The Carboniferous Period): وقد امتد (من حوالي 362.5 أو 365 مليون سنة مضت إلى 290 مليون سنة مضت)، أي أنَّه دام لحوالي (72.5 ـ 75 مليون سنة)، وتميّز بتجمع كميات هائلة من الفحم الحجري وبوجود بقايا لكلٍّ من الزواحف والحشرات المجنحة لأول مرة.

7 ـ **العصر البرمي** (The Permian Period): وقد امتد (في الفترة من 290 مليون سنة مضت إلى 245 مليون سنة) مضت (أي أنَّه دام لمدة 45 مليون سنة)، **وتميز بالزحف الجليدي في نصف الكرة الجنوبي**، وباندثار كل من المرجان الرباعي، وشوكيات الجلد الكيسانية (Blastoidea)، والحوصلانية (Cystoidea)، والفقاريات حاملة الدروع في الجلد أو درعيات الجلد (Placoderms).

(ب) حقب الحياة المتوسطة (The Mesozoic Era):

ويمتد (من 245 مليون سنة إلى 65 مليون سنة مضت) أي أنه دام لمدة (180 مليون سنة) ويقسم إلى ثلاثة عصور من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 ـ **العصر الترایاسي أو الثلاثي** (The Triassic Period): وقد امتد (من 245 مليون سنة مضت إلى 208 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لفترة 37 مليون

سنة، وتميز بوجود بقايا الزواحف العملاقة الديناصورات (Dinosaurs)، والعظاءات أو السحالي (Lizards)، والسلاحف (Turtles) وبعض الثدييات الصغيرة (Small Mammals) لأول مرة في تاريخ الأرض.

2 ـ **العصر الجوري** (The Jurassic Period): وقد امتد (من 208 مليون سنة مضت إلى حوالي 145.6 أو 146 مليون سنة مضت)، أي أنَّه دام لحوالي 62 مليون سنة، وتميّزت صخوره بكثرة بقايا كل من الزواحف العملاقة (Dinosaurs)، والأمونيتات (Ammonites)، والطيور.

3 ـ **العصر الطباشيري** (The Cretaceous Period): وقد امتد (من حوالي 146 مليون سنة مضت إلى 65 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لفترة 81 مليون سنة، وقد تميّزت صخوره بوفرة في بقايا كل من الديناصورات (Dinosaurs) والأمونيدات (Ammonoidea) والبلمنيدات (Belemnoidea)، والمنخربات الهائمة (Planktonic Foraminiferida).

(ج) حقب الحياة الحديثة (The Caenozoic or the Cainozoic Era):

ويمتد من 65 مليون سنة مضت إلى اليوم، ويقسم إلى ثلاثة عصور من القديم إلى الحديث كما يلي:

1 ـ **عصر الأصول القديمة للحياة الحديثة** (The Paleogene Period):

وقد امتدّ (من 65 مليون سنة مضت إلى حوالي 23.3 أو 25 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لحوالي أربعين مليون سنة، وتتميّز صخوره بكثرة بقايا الثدييات السرية (Placental Mammals)، وأوائل الرئيسيات (Primates) وبانتشار بقايا النباتات المزهرة (Flowering Plants).

2 ـ **عصر الأصول المتوسطة للحياة الحديثة** (The Mesogene Period):

وقد امتد في الفترة (من حوالي 25 أو 23.3 مليون سنة مضت) إلى حوالي مليوني سنة مضت أو 1.64 مليون سنة مضت) أي أنَّه دام لحوالي (21.66 إلى 23 مليون سنة)، وتميّزت صخوره ببدايات الزحف الجليدي في نصف الكرة

الشمالي، وكثرة بقايا الثدييات السرية (Placental Mammals).

3 ـ **عصر الأصول الحديثة للحياة المعاصرة** (The Caenogene Period):

ويمتد (من حوالي مليوني سنة مضت أو 1.64 مليون سنة مضت إلى اليوم)، وقد تميّزت صخوره بآثار الزحف الجليدي في نصف الكرة الشمالي، وقد انتهى هذا الزحف الجليدي في حدود بدايات العشرين ألف سنة الأخيرة، وتميّزت صخوره بوجود آثار الإنسان (منذ حوالي أربعين إلى خمسين ألف سنة مضت).

وبهذا التسلسل الموجز لعمارة الأرض بمراحل متتالية من خلق الحياة والذي بدأ منذ (3.8) بليون سنة مضت، وختم بخلق الإنسان منذ فترة لا تتجاوز (40 ـ 50 ألف سنة مضت) يتّضح لنا وجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

● ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1].

وعن رسول الله ﷺ «**أن الله ـ تعالى ـ خلق آدم يوم الجمعة**»، وفي رواية أخرى: «**في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة**»[1] إشارة إلى أنه كان آخر الخلق.

وهذا التتابع في تدرج عمارة الأرض بمراحل متتالية من الخلق لم يدرك إلّا في القرنين الماضيين، ولم يتم التصور الصحيح له إلا بعد مجاهدة استغرقت آلاف العلماء. وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله، خاصة إذا ما قورن ذلك بما جاء في «العهد القديم» تحت عنوان «بدء الخليقة» والذي يقول بالنص ما يلي:

(1) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (6985).

Genesis

The Beginning

1 In the beginning God created the heavens and the earth. 2 Now the earth was formless and empty, darkness was over the surface of the deep, and the Spirit of God was hovering over the waters.

3 And God said, "Let there be light," and there was light. 4 God saw that the light was good, and he separated the light from the darkness. 5 God called the light "day," and the darkness he called "night." And there was evening, and there was morning–the first day.

6 And God said, "Let there be an expanse between the waters to separate water from water." 7 So God made the expanse and separated the water under the expanse from the water above it. And it was so. 8 God called the expanse "sky." And there was evening, and there was morning–the second day.

9 And God said, "Let the water under the sky be gathered to one place, and let dry ground appear." And it was so. 10 God called the dry ground "land," and the gathered waters he called "seas." And God saw that it was good.

11 Then God said, "Let the land produce vegetation: seed-bearing plants and trees on the land that bear fruit with seed in it, according to their various kinds." And it was so. 12 The land produced vegetation: plants bearing seed according to their kinds and trees bearing fruit with seed in it according to their kinds. And God saw that it was good. 13 And there was evening, and there was morning–the third day.

14 And God said, "Let there be lights in the expanse of the sky to separate the day from the night, and let them serve as signs to mark seasons and days and years, 15 and let them be lights in the expanse of the sky to give light on the earth." And it was so. 16 God made two great lights–the greater light to govern the day and the lesser light to govern the night. He also made the stars. 17 God set them in the expanse of the sky to give light on the earth, 18 to govern the day and the night, and to separate light from darkness. And God saw that it was good. 19 And there was evening, and there was morning–the fourth day.

20 And God said, "Let the water teem with living creatures, and let birds fly above the earth across

كِتَابُ التَّكْوِينِ

بدء الخليقة

١ فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. ٢ وَإِذْ كَانَتِ الأَرْضُ مُشَوَّشَةً وَمُقْفِرَةً وَتَكْتَنِفُ الظُّلْمَةُ وَجْهَ الْمِيَاهِ، وَإِذْ كَانَ رُوحُ اللهِ يُرَفْرِفُ عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ،

٣ أَمَرَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ». فَكَانَ نُورٌ. ٤ وَرَأَى اللهُ النُّورَ فَاسْتَحْسَنَهُ وَفَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظَّلاَمِ. ٥ وَسَمَّى اللهُ النُّورَ نَهَاراً، أَمَّا الظَّلاَمُ فَسَمَّاهُ لَيْلاً. وَهَكَذَا جَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ، فَكَانَ الْيَوْمَ الأَوَّلَ.

٦ ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ يَحْجُزُ بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». ٧ فَخَلَقَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْمِلُهَا السُّحُبُ وَالْمِيَاهِ الَّتِي تَغْمُرُ الأَرْضَ. وَهَكَذَا كَانَ. ٨ وَسَمَّى اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. ثُمَّ جَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي.

٩ ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِتَتَجَمَّعِ الْمِيَاهُ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَهَكَذَا كَانَ. ١٠ وَسَمَّى اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضاً، وَالْمِيَاهَ الْمُجْتَمِعَةَ بِحَاراً. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ.

١١ وَأَمَرَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْباً وَبَقْلاً مُبْزِراً، وَشَجَراً مُثْمِراً فِيهِ بِزْرُهُ الَّذِي يُنْتِجُ ثَمَراً كَجِنْسِهِ فِي الأَرْضِ». وَهَكَذَا كَانَ. ١٢ فَأَنْبَتَتِ الأَرْضُ كُلَّ أَنْوَاعِ الأَعْشَابِ وَالْبُقُولِ الَّتِي تَحْمِلُ بُزُوراً مِنْ جِنْسِهَا، وَالأَشْجَارَ الَّتِي تَحْمِلُ أَثْمَاراً ذَاتَ بُذُورٍ مِنْ جِنْسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ. ١٣ وَجَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ.

١٤ ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُفَرِّقَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، فَتَكُونَ عَلاَمَاتٍ لِتَحْدِيدِ أَزْمِنَةٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ، ١٥ وَتَكُونَ أَيْضاً أَنْوَاراً فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُضِيءَ الأَرْضَ». وَهَكَذَا كَانَ. ١٦ وَخَلَقَ اللهُ نُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِيُشْرِقَ فِي النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِيُضِيءَ فِي اللَّيْلِ. كَمَا خَلَقَ النُّجُومَ أَيْضاً. ١٧ وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُضِيءَ الأَرْضَ، ١٨ وَلِتَتَحَكَّمَ بِالنَّهَارِ وَبِاللَّيْلِ، وَلِتُفَرِّقَ بَيْنَ النُّورِ وَالظَّلاَمِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ. ١٩ وَجَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ.

٢٠ ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِتَزْخَرِ الْمِيَاهُ بِشَتَّى الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ، وَلْتُحَلِّقِ الطُّيُورُ فَوْقَ الأَرْضِ عَبْرَ فَضَاءِ السَّمَاءِ».

[٢١]وَهَكَذَا خَلَقَ اللهُ الْحَيَوَانَاتِ الْمَائِيَّةَ الضَّخْمَةَ، وَالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ الَّتِي اكْتَظَّتْ بِهَا الْمِيَاهُ، كُلاًّ حَسَبَ أَجْنَاسِهَا، وَأَيْضاً الطُّيُورَ وَفْقاً لأَنْوَاعِهَا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ. [٢٢]وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «انْتَجِي، وَتَكَاثَرِي وَامْلَإِي مِيَاهَ الْبِحَارِ. وَلْتَتَكَاثَرِ الطُّيُورُ فَوْقَ الأَرْضِ». [٢٣]ثُمَّ جَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمَ الْخَامِسَ.

[٢٤]ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ كَائِنَاتٍ حَيَّةً، كُلاًّ حَسَبَ جِنْسِهَا، مِنْ بَهَائِمَ وَزَوَاحِفَ وَوُحُوشٍ وَفْقاً لأَنْوَاعِهَا». وَهَكَذَا كَانَ. [٢٥]فَخَلَقَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ، وَالْبَهَائِمَ وَالزَّوَاحِفَ، كُلاًّ حَسَبَ نَوْعِهَا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ. [٢٦]ثُمَّ قَالَ اللهُ: «لِنَصْنَعِ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَمِثَالِنَا، فَيَتَسَلَّطَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى الأَرْضِ، وَعَلَى كُلِّ زَاحِفٍ يَزْحَفُ عَلَيْهَا». [٢٧]فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. [٢٨]وَبَارَكَهُمُ اللهُ قَائِلاً لَهُمْ: «انْمُوا وَتَكَاثَرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا. وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَتَحَرَّكُ عَلَى الأَرْضِ». [٢٩]ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ أَصْنَافِ الْبُقُولِ الْمُبْزِرَةِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى كُلِّ سَطْحِ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ مُثْمِرٍ مُبْزِرٍ، لِتَكُونَ لَكُمْ طَعَاماً. [٣٠]أَمَّا الْعُشْبُ الأَخْضَرُ فَقَدْ جَعَلْتُهُ طَعَاماً لِكُلٍّ مِنْ وُحُوشِ الأَرْضِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَالْحَيَوَانَاتِ الزَّاحِفَةِ، وَلِكُلِّ مَا فِيهِ نَسَمَةُ حَيَاةٍ». وَهَكَذَا كَانَ. [٣١]وَرَأَى اللهُ مَا خَلَقَهُ فَاسْتَحْسَنَهُ جِدّاً. ثُمَّ جَاءَ مَسَاءٌ أَعْقَبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمَ السَّادِسَ.

the expanse of the sky." [21]So God created the great creatures of the sea and every living and moving thing with which the water teems, according to their kinds, and every winged bird according to its kind. And God saw that it was good. [22]God blessed them and said, "Be fruitful and increase in number and fill the water in the seas, and let the birds increase on the earth." [23]And there was evening, and there was morning–the fifth day.

[24]And God said, "Let the land produce living creatures according to their kinds: livestock, creatures that move along the ground, and wild animals, each according to its kind." And it was so. [25]God made the wild animals according to their kinds, the livestock according to their kinds, and all the creatures that move along the ground according to their kinds. And God saw that it was good. [26]Then God said, "Let us make man in our image, in our likeness, and let them rule over the fish of the sea and the birds of the air, over the livestock, over all the earth, and over all the creatures that move along the ground." [27]So God created man in his own image, in the image of God he created him; male and female he created them. [28]God blessed them and said to them, "Be fruitful and increase in number; fill the earth and subdue it. Rule over the fish of the sea and the birds of the air and over every living creature that moves on the ground." [29]Then God said, "I give you every seed-bearing plant on the face of the whole earth and every tree that has fruit with seed in it. They will be yours for food. [30]And to all the beasts of the earth and all the birds of the air and all the creatures that move on the ground–everything that has the breath of life in it–I give every green plant for food." And it was so. [31]God saw all that he had made, and it was very good. And there was evening, and there was morning–the sixth day.

2 ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [صٓ: 71].

جاء ذكر خلق أبينا آدم عليه السلام، وخلق نسله من بعده في العديد من آي القرآن الكريم وأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ ومن ذلك نختار الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة التالية:

(أ) خلق آدم عليه السلام من تراب:

1 ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59].

2 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: 5].

3 ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: 20].

4 ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: 11].

5 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر: 67].

(ب) خلق آدم عليه السلام من طين (أي بإضافة الماء إلى التراب فصار طيناً):

1 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

2 ـ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: 12].

3 ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴿٦١﴾ [الإسراء: 61].

4 ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7].

5 ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾
[صٓ: 71 ـ 76].

(ج) خلق آدم عليه السلام من سلالة من طين (أي باختيار ما يناسب من خلاصة الطين لخلق آدم عليه السلام):

ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 12].

(د) خلق آدم عليه السلام من طين لازب (أي بالجفاف النسبي للطين حتى أصبح لازباً أي ملتصقاً بعضه ببعض):

ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾
[الصافات: 11].

(هـ) خلق آدم عليه السلام من صلصال من حمأٍ مسنون (وهي مرحلة جفاف الطين حتى اسودَّ لونه وأنتنت رائحته):

ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: 26 ـ 33].

(و) خلق آدم عليه السلام من صلصال كالفخار (وهي مرحلة تيبس الطين على هيئة صلصال كالفخار):

ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 14].

(ز) الإشارة إلى خلق الإنسان من الأرض:

جاءت الإشارات القرآنيّة العديدة إلى خلق الإنسان من الأرض وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55].

ـ ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 17، 18].

(ح) التأكيد على أنَّ بني آدم جميعاً كانوا في صلب أبيهم آدم لحظة خلقه: وذلك من مثل قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11].

(ط) التأكيد على تسلسل البشر من أبوين اثنين بعملية التزاوج:

وجاء ذلك في قوله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وجاء تفسير ذلك في قول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك**»[1].

كذلك قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ـ تعالى ـ خلق آدم يوم الجمعة**» وفي رواية أخرى: «**في آخر ساعة من يوم الجمعة**»[2]، ممَّا يؤكّد على أنَّ خلقه كان خلقاً خاصاً بالأمر الإلهي «كن فيكون».

---

(1) أخرجه كل من الأئمة أبو داود حديث رقم (4693)، والترمذي حديث رقم (2955).

(2) تقدم تخريجه.

(ي) تسوية الإنسان ونفخ الروح فيه: وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 7، 9].

ونسبة الروح إلى الله ـ تعالى ـ هي من قبيل التشريف لها، لا من قبيل التبعيض، وذلك لأنَّ الله ﷻ كلٌّ لا يتجزأ، فهو واحد أحد، فرد صمد، منزّه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والروح التي نفخت في آدم هي من جنس ما استأثر الله بعلمه لقوله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

وللتأكيد على أنَّ الخلق عملية مغايرة للتسوية والتصوير جاء قول ربنا ـ جلَّت قدرته ـ:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 6 ـ 8].

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن حاتم وأبي هريرة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإنَّ الله خلق آدم على صورته**»[1].

والضمير في كلمة (صورته) يعود على الأخ المضروب، لا على الله ـ تعالى ـ لأنَّ الله ـ سبحانه ـ لا يشبهه أحد من خلقه. وإن كان كل من اليهود والنصارى والمشركين والوثنيين في كل عصر قد اعتقدوا خطأ أنّ الله ـ تعالى ـ قد خلق آدم

(1) أخرجه مسلم حديث رقم (6598).

على هيئة الذات الإلٰهيّة. ومن الثابت شرعاً وعقلاً أن الله الخالق البارئ المصور منزّه عن الشبيه، والشريك، والمنازع، والصاحبة والولد، ومنزّه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله. ويتضح ذلك من قول ربنا ـ عزّ من قائل ـ عن ذاته العلية: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وإذا قارنّا ذلك بما جاء في سفر التكوين (1/ 26 ـ 31) من الادعاء الباطل بأنّ الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان على صورة الله (تعالى الله عن ذلك الخطل علواً كبيراً) يتضح لنا بجلاء الفرق بين كلام الله عن ذاته العلية، وكلام البشر الموضوع. وقد سبق لنا إيراد ذلك النص كما جاء في العهد القديم باللغتين العربية والإنجليزية.

ومن الغريب أنّ علماء الفلك يكادون أن يجمعوا اليوم على أن الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، والمنضبط في كل أمر من أموره، لا بد له من مرجعية في خارجه يسمونها تجاوزاً بوصف أو باسم نقطة مرجعية (A Reference Point).

والمنطق السوي يقول: إن نقطة المرجعية تلك لا بد وأن تكون مغايرة لجميع ما في الكون من المخلوقات فلا تشكلها المادة ولا الطاقة، ولا تحدها أبعاد أي من المكان أو الزمان، وفي ذلك تعبير دقيق عن الوصف القرآني للذات الإلهية بالمغايرة الكاملة لجميع صفات خلقه.

الإعجاز العلمي والإنبائي في تقرير حقيقة خلق الإنسان من طين:

يتَّضح من هذا الاستعراض السريع لقضيّة خلق الإنسان في القرآن الكريم وفي السُّنَّة النبويّة المطهرة أنَّ الإنسان مخلوق مكرم، خلقه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في أحسن تقويم، وسواه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأدخله الجنة، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه الأسماء كلها، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً. وبعد إخراجه من الجنة حَمَّله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أمانة الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة عدل الله فيها، وعبادة خالقه بما أمر. والإنسان هو المخلوق

المتميّز بالعقل والذكاء، وبالقدرة على كسب المعارف وتعليمها، وعلى كسب المهارات وتطبيقها، وعلى التفكير والإبداع، وعلى الشعور والانفعال، وعلى البيان المنطقي المرتب، وعلى التعبير عن الذات وعن المشاعر بدقّة ووضوح، ومن ثم كان مكلّفاً بمسؤولية الاستخلاف في الأرض، ومحاسباً على أقواله وأعماله وعلى مختلف نشاطاته فيها.

والإنسان هو توازن دقيق بين المادة والنفس، وميزانه في ضبط هذا التوازن هو عقله الذي يعينه على تحصيل المعارف المكتسبة، وعلى تفهّم القوانين الحاكمة للكون ولسنن الله فيه. والإنسان مطالب بتوظيف ذلك كله في عمارة الأرض، وفي التعرف على الخالق العظيم من خلال التعرف على بديع صنعه في خلقه، كما هو مطالب بتلقي الهداية الربانيّة في الأُمور التي لا يقوي على وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها من مثل ركائز الدين (من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات). وبذلك يخضع الإنسان لخالقه بالطاعة والعبادة بما أمر، وبالالتزام بمكارم الأخلاق وطيب المعاملات، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض حتى يصل إلى كسب رضاء الله، وهي الغاية المرجوة من وجوده في هذه الحياة الدنيا.

والإنسان بالإضافة إلى نفسه وعقله هو جسد مادي خُلِقَ من عناصر الأرض، ولذلك فهو خاضع لقوانين المادة ولسنن الله فيها. وهذا الجسد الإنساني يتكوّن أساساً من الماء (بنسبة 54% إلى أكثر من 70%) بالإضافة إلى قدر من المواد البروتينية (من 11% إلى 17%) والدهون (14% إلى 26%) وإلى عدد من العناصر والمركبات غير العضوية (5% إلى 6%) وتشمل الكالسيوم، الفوسفور، الكبريت، البوتاسيوم، الصوديوم، الكلور، الماغنيسيوم، بالإضافة إلى آثار طفيفة من كلٍّ من اليود والفلور، والبروم والحديد والنحاس، والمنجنيز، والزنك، والكروم، والكوبالت، والنيكل، والموليبدينوم، والقصدير، والفاناديوم، والسيليكون، والألومينيوم، وكلها من عناصر الأرض. ولو اختلفت نسب تلك المواد في جسم الإنسان قليلاً ما استقام بناؤه، وحتى شوارد العناصر التي توجد بنسب في حدود الآحاد من الألف في المائة فإنَّ أقل خلل في نسبها بالزيادة أو النقصان في جسم

الإنسان قد يؤدي إلى اعتلاله أو إلى فنائه.

ويتكون جسم الإنسان من ألف تريليون (أي: ألف مليون مليون) خلية حيّة في المتوسط، وهي خلايا متخصّصة تتنوع بتنوع وظائفها، وتنتظم كل مجموعة متخصصة من تلك الخلايا في أنسجة متخصصة، ثم في أعضاء متخصصة، ثم في أجهزة ونظم متخصصة، تتعاون كلها في خدمة هذا الكيان المبهر في دقة بنائه. والعلماء يعجزون اليوم عن إدراك كيفية تعرف الخلايا المتخصصة على بعضها بعضاً لبناء الأنسجة المتخصصة، وعن تعرف الأنسجة المتخصصة على بعضها بعضاً لتكون كلاً من الأعضاء المتخصصة، والأجهزة المعقدة، وعن توافق الأجهزة المختلفة لبناء هذا الجسد الدقيق البناء والمحكم الأداء، ولكنه تدبير الخالق العظيم ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ . . .﴾ [السجدة: 7].

والخلية الحية في جسم الإنسان لا يتعدّى قطرها في المتوسط 0.03 من المليمتر، ولا يتعدى وزنها جزءًا من مليار جزء من الجرام وهي ـ على الرغم من دقتها تلك ـ تعتبر فائقة التعقيد في البناء، وفائقة الكفاءة في الأداء. فبناء الخلية الحية يفوق في تعقيده جميع المصانع التي أقامها الإنسان، بل التي فكر في إقامتها ولم يتمكّن من تحقيق ذلك بعد. فالخلية البشرية لها **جدار حي** يتبادل مع الخلايا الحية المحيطة كلًا من الغازات والعناصر التي تحتاجها الخلية أو تريد التخلّص منها. ولها سائل خاص يعرف باسم الهيولى السيتوبلازم (Cytoplasm)، ولها **نواة** (Mucleus) تمثل مركز التحكم في الخلية (عقل الخلية)، ويغلّف النواة غشاء خاص يسمح بتبادل المعلومات والبروتينات النووية مع هيولى الخلية، بدقة وإحكام بالغين. وللخليّة جسيمات حيّة متناهية الضآلة في الحجم تعوم في سائل الخلية وتعرف باسم **العضيات** (Organelles)، ومنها مولدات الطاقة أو **المتقدرات** (Mitochondria)، ومراكز تصنيع البروتينات أو **الريباسات** (Ribosomes) وغيرها. والغشاء الخلوي المحيط بالخلية الحية له كفاءة عالية في المحافظة على كيان الخلية كوحدة مستقلة دون عزلها عمّا حولها من الخلايا التي تتعايش معها في تفاعل حيوي كامل.

وفي داخل النواة توجد **الشيفرة الوراثية** (The Genetic Code) المكونة من **الصبغيات** (Chromosomes) على هيئة شبكة صبغية تحمل **نوية واحدة**. وعدد الصبغيات في الخلية الحية هو عدد محدّد لكل نوع من أنواع الحياة، والصبغيات تحمل الصفات الوراثية كما تحمل مراكز توجيه صنع البروتينات المختلفة التي يحتاجها الجسم.

وتستطيع الخلية الحية إنتاج ثمانين ألف صنف من البروتينات يكفي الجسم منها ألف بروتين أساسي، ويعجز الإنسان بجميع إمكاناته العلمية والتقنية الراهنة عن إنتاج هذا العدد من البروتينات في الزمن الذي تنتجه الخلية الحية.

ويختلف بناء الجزيء البروتيني (Protein Molecule) باختلاف عمله، فهناك بروتينات خاصة لكلٍّ من الغضاريف، والعضلات، والأوعية الدموية، والأنسجة الرئوية، وبروتينات خاصة كذلك لكلٍّ من الجلد والشعر، والدم وسرعة تجلطه، وهناك الإنزيمات والهرمونات المختلفة، وغيرها من المركبات الكيميائية، والفيتامينات المختلفة التي يحتاجها الجسم، والتي تنتجها الخلية الحية حسب الحاجة إلى كل منها بدقة وكفاءة بالغين.

هذه العجالة تؤكد لكل ذي بصيرة أن تكوّن خلية حية واحدة، لا يمكن أن يتم بعشوائية أو بمصادفة، فما بالنا بألف تريليون خلية حية ـ في المتوسط ـ في جسد الفرد الواحد من بني آدم! إنَّ ذلك بالقطع يحتاج إلى تقدير الخالق البارئ المصوّر ﷻ. وليس هذا فقط، بل إنَّ العلم التجريبي يجزم بأنَّ تكون جزيء بروتيني واحد من بلايين الجزيئات المكونة للخلية الحية بمحض الصدفة هو أمر مستحيل، بل إنَّ تكون جزيء واحد من جزيئات الأحماض الأمينية المكونة للجزيء البروتيني، لا يمكن أن يتم إلَّا بتقدير مسبق وتدبير حكيم، وعلى ذلك فإن المصادفة لا تجدي في إنتاجه أبداً.

وإذا قرر العلم التجريبي ذلك، فلا مفر من الاعتراف بحقيقة الخلق، وتدبير الخالق ﷻ، وعليه فإنَّ الخالق العظيم إذا قال: ﴿... إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فإنَّ

المخلوقين من العقلاء المكلفين لا يملكون التمحك في تفسير ذلك مهما توافرت المشاهدات، لأنَّهم لم يشهدوا خلق أنفُسهم، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: 51].

ويقول ربنا ـ عزّ من قائل ـ:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 20].

وندرة شواهد الخلق، وتناثرها في صفحة الكون، يجعل من مناقشتها بمعزل عن الهداية الربانيّة مضيعة للوقت والجهد دون أدنى طائل. وهنا يتَّضح فضل كل من القرآن الكريم والسُنَّة النبويّة المطهّرة في تجلية مثل هذه الأُمور الغيبية، والتي تشغل بال الإنسان قلَّت ثقافته أو زادت. وتبقى هذه التجليات في تأكيد خلق أبينا آدم عليه السلام من طين قائمة في خلق كل فرد من بني آدم إلى اليوم. فالمولود منا يولد من خليتين من خلايا التناسل مورثتان من أبوينا آدم وحواء عليهما السلام . وبالتصاق الجنين الناتج عن التحام هاتين الخليتين بجدار رحم أمه يتغذى وينمو جسده من دمائها، والدماء مستمدّة من غذائها، وغذاؤها مستمد من عناصر طين الأرض. وبعد ميلاده يتغذى الوليد على لبن الأم، أو على لبن بديل، واللبن مستمد من الغذاء المستمد من تراب الأرض ومائها (أي من طين الأرض). وبعد الفطام يتغذى الجنين على منتجات الأرض النباتية والحيوانية، وجميعها مستمد من عناصر الأرض. من هنا فإن الإشارة إلى خلق أبينا آدم عليه السلام من طين تأتي وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله، لا ينكرها إلا جاحد. وهذا الكلام ينطبق على خلق أمنا حواء عليها السلام وذلك لأن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء في الوجود (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا سبحانه وتعالى متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ولذلك قال ـ عز من قائل ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: 1].

وإذا قارنا هذا الكلام مع ما جاء عن خَلق أبينا آدم عليه السلام في سفر التكوين (2/ 1 ـ 14) اتضح لنا بجلاء الفرق بين كلام الله وكلام البشر.

2 Thus the heavens and the earth were completed in all their vast array.
[2]By the seventh day God had finished the work he had been doing; so on the seventh day he rested from all his work. [3]And God blessed the seventh day and made it holy, because on it he rested from all the work of creating that he had done.

Adam and Eve

[4]This is the account of the heavens and the earth when they were created. When the LORD God made the earth and the heavens– [5]and no shrub of the field had yet appeared on the earth and no plant of the field had yet sprung up, for the LORD God had not sent rain on the earth and there was no man to work the ground, [6]but streams came up from the earth and watered the whole surface of the ground– [7]the LORD God formed the man from the dust of the ground and breathed into his nostrils the breath of life, and the man became a living being. [8]Now the LORD God had planted a garden in the east, in Eden; and there he put the man he had formed. [9]And the LORD God made all kinds of trees grow out of the ground–trees that were pleasing to the eye and good for food. In the middle of the garden were the tree of life and the tree of the knowledge of good and evil.
[10]A river watering the garden flowed from Eden; from there it was separated into four headwaters. [11]The name of the first is the Pishon; it winds through the entire land of Havilah, where there is gold. [12](The gold of that land is good; aromatic resin and onyx are also there.) [13]The name of the second river is the Gihon; it winds through the entire land of Cush. [14]The name of the third river is the Tigris; it runs along the east side of Asshur. And the fourth river is the Euphrates.

٢ وَهٰكَذَا اكْتَمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِكُلِّ مَا فِيهَا. [٢]وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَتَمَّ اللهُ عَمَلَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَاسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ. [٣]وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ اسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَلْقِ.

آدم وحواء

[٤]هٰذَا وَصْفُ مَنْشَئِيُّ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَوْمَ خَلَقَهَا الرَّبُّ الإِلٰهُ. [٥]وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَبَتَ بَعْدُ فِي الأَرْضِ شَجَرٌ بَرِّيٌّ وَلَا عُشْبٌ بَرِّيٌّ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلٰهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَرْسَلَ مَطَراً عَلَى الأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِنْسَانٌ لِيَفْلَحَهَا. [٦]إِلَّا أَنَّ ضَبَاباً كَانَ يَتَصَاعَدُ مِنَ الأَرْضِ فَيَسْقِي سَطْحَهَا كُلَّهُ. [٧]ثُمَّ جَبَلَ الرَّبُّ الإِلٰهُ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. [٨]وَأَقَامَ الرَّبُّ الإِلٰهُ جَنَّةً فِي شَرْقِيِّ عَدْنٍ وَوَضَعَ فِيهَا آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. [٩]وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلٰهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ بَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَلَذِيذَةٍ لِلأَكْلِ، وَغَرَسَ أَيْضاً شَجَرَةَ الْحَيَاةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ. [١٠]وَكَانَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَسِمَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَنْهُرٍ. [١١]الأَوَّلُ مِنْهَا يُدْعَى فِيشُونَ، الَّذِي يَلْتَفُّ حَوْلَ كُلِّ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ يُوجَدُ الذَّهَبُ. [١٢]وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ، وَفِيهَا أَيْضاً الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. [١٣]وَالنَّهْرُ الثَّانِي يُدْعَى جِيحُونَ الَّذِي يُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. [١٤]وَالنَّهْرُ الثَّالِثُ يُدْعَى حِدَّاقِلَ وَهُوَ الْجَارِي فِي شَرْقِيِّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ هُوَ الْفُرَاتُ.

سفر التكوين (2/ 1 ـ 14)

3 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: 30].

يؤكد هذا النص القرآني الكريم على أن أصل البشرية كلها زوج واحد خلقه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ خلقاً خاصاً، وسماه بـ(الخليفة) لأنه ـ تعالى ـ وضع في بنائه القدرة على التزاوج وإنتاج سلالة خصبة ملأت الأرض ببلايين من الأفراد الذين عاشوا وماتوا، وبالبلايين الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والبلايين الذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة.

وهذا من معاني لفظة **(الخليفة)** لأن البشر يخلف بعضهم بعضاً على الأرض، ولأن كل فرد منهم مستخلف من الله ـ تعالى ـ على الأرض استخلاف تخويل وإنابة، وذلك من باب الابتلاء والامتحان لكل فرد من بني الإنسان.

وحقيقة الخلق الخاص للإنسان طمرتها الحضارة المادية المعاصرة تحت ركام فكرة **«التطور العضوي»، وهي فكرة أشاعها عدد من شياطين الإنس للتخلص من الإيمان بالخلق، ومن السجود للخالق ﷻ** في طاعة وعبودية كاملين. وقد أغواهم الشيطان بذلك عن طريق السجل الأحفوري الذي يشير إلى قدم الحياة على الأرض (نحو 3800 مليون سنة) وإلى قصر عمر سلالة الإنسان عليها (نحو أربعين إلى خمسين ألف سنة فقط) وإلى تدرج عمارة أرضنا بموجات متتابعة من صور الحياة التي بدأت بقلة في العدد، وببساطة في البناء والتركيب، ثم تزايدت عدداً، وتعقدت بناءً وتركيباً مع الزمن، على الرغم من عدم تكامل السجل الأحفوري، وكثرة الثغرات فيه.

وهذه الملاحظة العلمية الصحيحة استخدمتها الحضارة المادية المعاصرة في محاولة يائسة لنفي عملية الخلق، والتنكر للخالق ﷻ انطلاقاً من ادعاءات ثلاثة:

أولها: الادعاء الباطل بعشوائية تخلق الصور الباكرة للحياة، وقد أثبت العلم استحالة ذلك.

وثانيها: الادعاء بعشوائية التدرج في تتابع الحياة، علماً بأن هذا التتابع يسير دوماً إلى تكامل في الخلق، والعشوائية تعجز عن تحقيق ذلك التكامل.

وثالثها: الادعاء الباطل بأن الإنسان منبثق عن سلسلة الحياة الحيوانية السابقة على وجوده، وهذا ما لم يستطع أحد إثباته من أدعياء التطور العضوي إلى اليوم. وذلك لتميز الصفات التشريحية والوراثية الخاصة بالإنسان عن جميع المخلوقات السابقة على وجوده، مع التسليم بوحدة البناء في الخلائق جميعاً وهي تشهد على وحدانية الخالق ﷻ. وإذا أضفنا إلى ذلك الذكاء الواضح في الإنسان وقدراته الذهنية الحاضرة، وتمكنه من الإدراك، والشعور، والانفعال بدرجات متميزة، ومن التعبير عن انفعالاته ومشاعره بوضوح، ومن النطق بالكلام المنطقي المرتب، بالإضافة إلى قدراته على اكتساب المعارف وتعليمها، وعلى إتقان المهارات وتوريثها، وغير ذلك من القدرات التي اختص الله ـ تعالى ـ بها الإنسان، يتضح زيف المحاولات اليائسة لربط الإنسان بسلسلة الحيوانات السابقة على وجوده. ومن أبرز الأدلة على نفي الفكرة الخاطئة التي تنادي بأن الإنسان متسلسل عما قبله من الحيوانات هو حقيقة التسلسل الوراثي الذي ينتهي بنسب البشر جميعاً إلى أب واحد، وأم واحدة هما أبوانا آدم وحواء عليهما السلام اللذان وصفهما ربنا ـ تبارك اسمه ـ مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بقوله العزيز:

● ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30].

وأكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على حقيقة خلق أبوينا آدم وحواء من نفس واحدة فقال ـ عزَّ من قائل ـ:

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

كذلك أكد الله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ على خلافة البشر لبعضهم البعض، وهم من أصل واحد فقال ـ وقوله الحق ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13].

ويؤكد القرآن الكريم أن البشر جميعاً (إلى قيام الساعة) كانوا في صلب أبيهم آدم عليه السلام لحظة خلقه، وأن الله ـ تعالى ـ قد أسجد الملائكة لأبي البشر ونحن جميعاً في صلبه، فكأنما أسجدهم لنا جميعاً نحن الخلفاء في الأرض، (آدم وجميع نسله إلى آخر فرد من هذا النسل)، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11].

ومن هنا تتضح ومضة الإعجاز الإنبائي والعلمي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وذلك بالتأكيد يدل على الحقيقة التاريخية لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام واللذان أرادت الحضارة المادية المعاصرة إنكار وجودهما إنكاراً تاماً، ورد البشرية إلى عدد من الأصول الحيوانية المختلف عليها، دون دليل قاطع.

ويؤكد القرآن الكريم أن آدم عليه السلام هو أبو البشر جميعاً، وأول أنبياء الله جميعاً، وأن الله ـ تعالى ـ خلقه من أديم الأرض بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه من علمه، وأسجد له الملائكة سجود احترام وتوقير، وأدخله هو زوجه الجنة، ثم استخلفه ونسله في الأرض، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

ولفظة (خليفة) في هذا النص القرآني الكريم، جاءت بالإفراد مما دفع بعدد من المفسرين إلى اعتبار الخليفة هو آدم عليه السلام وحده، ولكن لما كانت ذرية آدم جميعها قد خلقت في صلبه لحظة خلقه، كانت خلافة الأرض لآدم ولجميع بنيه من بعده إلى قيام الساعة. وعلم الوراثة يقول عن الفرد منا (والذي يتكون جسده من ألف تريليون خلية في المتوسط)، أنه يُرَدُّ إلى خليتين تناسليتين لا تريان بالعين المجردة (إحداهما من الأب والأخرى من الأم). ويرد جسد كل واحد من الآباء والأمهات بالتسلسل الزمني حتى يصل بكل واحد منهم إلى خلية تناسلية من أبينا

آدم عليه السلام وأخرى من أمنا حواء ـ عليها رضوان الله ـ. ومعنى ذلك أن البشر جميعاً (الذين عاشوا وماتوا، والذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والذين سيأتون من بعدنا إلى قيام الساعة) كانوا في صلب أبوينا آدم وحواء عليهما السلام لحظة خلقهما، لذلك عبر النص الكريم ـ الذي نحن بصدده ـ عن هذه البلايين التي لا تعد ولا تحصى باللفظ المفرد (خليفة).

ولما كان علم الوراثة هو من أحدث المعارف المكتسبة، فإن سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى تلك الحقيقة العلمية من قبل ألف وأربعمائة سنة **يعد واحداً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب** الله الذي أكد على حقيقة وجود بني آدم جميعاً في صلب أبيهم آدم عليه السلام لحظة خلقه، وذلك بوصف استخلاف آدم وذريته في الأرض بالإفراد (خليفة). وزاد القرآن الكريم في تأكيد هذا المعنى بقوله ـ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وبمقارنة هذه الحقائق بما جاء عن خلق الإنسان في العهد القديم يتضح الفارق بين كلام الله وكلام البشر.

[15] وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليفلحها ويعتني بها. [16] وأمر الرب الإله آدم قائلاً: «كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة، [17] ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت».

[18] ثم قال الرب الإله: «ليس مستحسناً أن يبقى آدم وحيداً. سأصنع له معيناً نظيره». [19] وكان الرب الإله قد جبل من التراب كل وحوش البرية وطيور الفضاء، وأحضرها إلى آدم ليرى بأي أسماء يدعوها، فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حي اسماً له. [20] وهكذا أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم. غير أنه لم يجد لنفسه معيناً نظيره. [21] فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، ثم تناول ضلعاً من أضلاعه وسد مكانها باللحم. [22] وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم.

[23] فقال آدم: «هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. فهي تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت». [24] لهذا، فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فيصيران جسداً واحداً. [25] وكان آدم وامرأته عريانين، ولم يعترهما الخجل.

second river is the Gihon; it winds through the entire land of Cush. [14]The name of the third river is the Tigris; it runs along the east side of Asshur. And the fourth river is the Euphrates.

[15]The LORD God took the man and put him in the Garden of Eden to work it and take care of it. [16]And the LORD God commanded the man, "You are free to eat from any tree in the garden; [17]but you must not eat from the tree of the knowledge of good and evil, for when you eat of it you will surely die."

[18]The LORD God said, "It is not good for the man to be alone. I will make a helper suitable for him." [19]Now the LORD God had formed out of the ground all the beasts of the field and all the birds of the air. He brought them to the man to see what he would name them; and whatever the man called each living creature, that was its name. [20]So the man gave names to all the livestock, the birds of the air and all the beasts of the field. But for Adam no suitable helper was found. [21]So the LORD God caused the man to fall into a deep sleep; and while he was sleeping, he took one of the man's ribs and closed up the place with flesh. [22]Then the LORD God made a woman from the rib he had taken out of the man, and he brought her to the man.

[23]The man said, "This is now bone of my bones and flesh of my flesh; she shall be called 'woman,' for she was taken out of man." [24]For this reason a man will leave his father and mother and be united to his wife, and they will become one flesh. [25]The man and his wife were both naked, and they felt no shame.

سفر التكوين (2/ 15 - 25)

4 ـ ﴿... قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: 30].

يشير هذا النص القرآني الكريم إلى الحوار الذي جرى بين ربِّ العالمين وملائكته، وهو من أمور الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إلى شيء منه إلا بإنباء من الله ـ تعالى ـ أو بإبلاغ من رسوله ﷺ. وذلك لأن الإنسان لا يملك الوسيلة المناسبة للوصول إلى أي من القضايا الغيبية غيبة مطلقة إلا بهذا الإنباء الإلٰهي، أو التبليغ النبوي. ولولا أن الله ـ تعالى ـ قد أخبرنا في محكم كتابه بهذا الموقف الذي جرى بينه وبين ملائكته، ما كان لأحد من بني آدم وسيلة من الوسائل البشرية يمكن أن تعينه في الوصول إلى معرفة ذلك، ومن هنا كان هذا النص القرآني صورة من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

وقد اختلف المفسرون في فهم فحوى سؤال الملائكة، وفي كيفية علمهم بأن الإنسان المستخلف في الأرض يمكن أن يفسد فيها وأن يسفك الدماء؟

وغالب الرأي أن الملائكة قاست الإنس بالجن، لأن كلاً منهما خلق عاقل، حر، مكلّف، صاحب إرادة، وأن الجن كانوا قد سبقوا الإنس في عمارة الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء في غالبيتهم. وعلى ذلك فإن فحوى سؤال الملائكة هو الاستعلام والاستفسار عن أن الله ـ تعالى ـ قد وهب الجن حرية الإرادة، وهم خلق عاقل مكلف، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، وتظالموا فيما بينهم، فما هي الحكمة من تكرار الأمر مع خلق آخر عاقل مكلف ذي إرادة حرة؟ وما هو الهدف من استخلاف الإنسان في الأرض إذا كان الذين قد استخلفوا من قبل قد أفسدوا وسفكوا الدماء؟ والملائكة خلق مفطورون على طاعة الله وعبادته، يصفهم القرآن الكريم لرسول الله ﷺ بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ٢٠٦﴾ [الأعراف: 206].

وكأن الملائكة رأوا أن الاستخلاف في الأرض لخلق مفطورين على طاعة الله ـ تعالى ـ وعبادته من أمثالهم هو أولى من خلق الإنسان، خشية أن يستخدم إرادته الحرة في الإفساد وإراقة الدماء في الأرض كما فعلت الجن من قبل، ولذلك قالوا: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

ومن المحتمل أن تكون الملائكة قد علمت ذلك من معنى الاستخلاف ذاته، لأن المستخلف على الشيء مؤتمن عليه، وإذا كان هذا المؤتمن ذا إرادة حرة فإما أن يؤدي الأمانة أو أن يخونها، وهم مشفقون على أهل الأرض من تضييع الأمانة، ومن عواقب تضييعها.

ومن المحتمل أيضاً أن يكون الملائكة ـ حين أمرهم الله ـ تعالى ـ بالسجود لآدم عليه السلام ـ قد سألوا عن هذا الخلق المستخلف على الأرض، فأخبرهم الله تعالى بأنه خلق عاقل، مكلف، مكرم، ذو إرادة حرة، وأنه يستخلف في الأرض للابتلاء والاختبار حتى يثبت كل فرد منهم ـ بعمله ـ استحقاقه لرحمة الله، وإدخاله الجنة، وخلوده فيها، أو عقابه بإدخاله في النار. والله ـ تعالى ـ أعلم بكل فرد من خلقه، ولكنه ـ من عدله المطلق ـ أراد أن يقيم الحجة على كل فرد من بني آدم، وأن يشهده على نفسه بعمله الذي يسجله الله ـ تعالى ـ له أو عليه، استعداداً ليوم الحساب والفصل، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 28 ـ 31].

وقال ـ تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 1، 2].

وقال رسول الله ﷺ لأمته: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها**

فينظر كيف تعملون»[1]. ومن هنا جاء الرد الإلٰهي على سؤال الملائكة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[البقرة: 30].

ومن معاني هذا النص القرآني الكريم أن الله ـ تعالى ـ استخلف آدم وذريته في الأرض للابتلاء والاختبار بأعمالهم، وهو ـ سبحانه ـ أعلم بكل فرد منهم علماً أكمل وأشمل من علم أي منهم بنفسه وذلك لكي يقيم الحجة على كل فرد منهم بعمله. وقد استخلف آدم عليه السلام ذريته على التوحيد الكامل للّه جل جلاله، وعلى الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في الحياة الدنيا: عبداً للّه الخالق البارئ المصور، شاهداً لجلاله بالألوهية والربوبية، والخالقية، وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وبالتنزيه الكامل عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وقد عاشت البشرية عشرة قرون كاملة (بين آدم ونوح عليهما السلام) دون أن يتمكن الشيطان من إخراج فرد واحد من التوحيد إلى الشرك، كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وانطلاقاً من ذلك فإنه يجب على كل مستخلف في الأرض الخضوع للّه بالعبادة بما أمر، وبالطاعة لكل ما أمر به، وباجتناب كل ما نهى عنه، وذلك طيلة فترة استخلافه في الأرض (وهي أجله). والآجال محددة في علم الله، وليس للإنسان بعدها إلا الموت، وحياة البرزخ، ثم البعث والحشر، والحساب والجزاء وذلك بالخلود إما في الجنة وإما في النار.

وهذا هو الإسلام الذي استخلف الله ـ تعالى ـ به أبانا آدم عليه السلام في الأرض، والذي استخلف آدم به ذريته. وظل بنو آدم يستخلف بعضهم بعضاً إلى يومنا هذا،

(1) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات، حديث رقم (6883).

وسوف يبقون كذلك إلى قيام الساعة. وكل إنسان خليفة لمن سبق من أسلاف، ومستخلف لمن لحق به أو انحدر عنه من ذرية حتى تأتي نفخة الصور الأولى التي يفنى على إثرها كل حي، فينتهي هذا الوجود الدنيوي بالكامل. ثم تأتي نفخة الصور الثانية التي يبعث على إثرها كل ميت، فيحشرون للحساب الذي من بعده ينتقل الخلق إلى الحياة الآخرة بخلود لا موت فيه، إما في الجنة وإما في النار.

وفي رحلة الاستخلاف تلك ينجو من التزم بشرع الله وأوامره، ويهلك من انحرف عن الهداية الربانية، وهذا هو الهدف من عملية الاستخلاف في الأرض الذي خفي على علم الملائكة فجاءهم الرد الإلهي المباشر:

﴿... قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: 30].

وقد فصل القرآن الكريم هذا الأمر في مقام آخر بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان: 1 ـ 3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ [الأحزاب: 72، 73].

وقد أعطى ربنا ـ تبارك اسمه ـ الإنسان عقلاً يفكر به، ويميز الخير من الشر، والحق من الباطل، كما أعطاه الإرادة الحرة التي يختار بها ويدع، ويفعل ويترك، ووهبه كل المقومات اللازمة لحمل أمانة التكليف، ومن هنا وجب حسابه، وتحددت أسباب استخلافه في الأرض من أجل الابتلاء والاختبار. فالإنسان مؤتمن على ملك الله في الأرض، ومسؤول أمام الله ـ تعالى ـ عن أمانته في التعامل مع ملك الله وخلقه، ومطالب بعبادة الله بما أمر. وبذلك فإن عمارة الأرض، وعبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر صارتا وجهان لعملة واحدة هي

صك الاستخلاف في الأرض الذي وقّعه أبونا آدم وذريته كانت لا تزال في عالم الذر الذي قال عنه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وهذا الإخبار الإلٰهي للملائكة، واستفسارهم من الله ﷻ عنه هو من الأمور الغيبية غيبة مطلقة عن علم الإنسان، ومن هنا كان إخبار القرآن الكريم عنه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وهو وجه لا يدركه كثير من الناس. فمن أخبار القرآن الكريم ما يقع تحت مسمى الإعجاز التاريخي، ومنها ما يجمع تحت مسمى الإعجاز الإنبائي، ومنه **الإعجاز الإنبائي المستقبلي** الذي قد يدركه الناس عند وقوعه، ومنه **الإعجاز الإنبائي الماضي** الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إليه إلّا ببيان من الله ـ تعالى ـ أو ببلاغ من رسوله ﷺ.

ويشير هذا النص القرآني الكريم إلى حقيقة من حقائق الغيب الماضي، لأن الحوار الذي دار بين الله ـ تعالى ـ وملائكته بخصوص استخلاف آدم في الأرض هو غيب قديم، لم يشهده أي من بني آدم. وكل الغيوب المطلقة ستبقى محجوبة عن الإنسان طيلة فترة استخلافه في الأرض، ما لم يخبره الله ـ تعالى ـ أو رسول من رسله بها أو ببعضها. والغيب بالنسبة إلى الإنسان غيبان: أحدهما **غيب مرحلي** قد يصل إليه الإنسان بأساليب الكشف العلمي المتأنية، وثانيهما **غيب مطلق لا** سبيل للإنسان في الوصول إلى شيء منه إلا ببيان من الله ـ تعالى ـ أو من أحد أنبيائه أو رسله، ومن هنا كانت ضرورة إنزال وحي السماء.

والتأكيد على حقيقة الغيب أصبح من النتائج العلمية المؤكدة، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن علماء الفلك ـ بكل التقنيات المتطورة التي استخدموها في الزمن الراهن ـ يعترفون بأنّ ما يدركونه من مختلف صور المادة والطاقة في الجزء المدرك من السماء الدنيا هو أقل من 1% مما تشير الحسابات في مجال الفيزياء الفلكية إلى وجوده. وذلك لأن أغلب مادة وطاقة الكون موجودة بهيئات لا تستطيع

وسائل الإنسان إدراكها ولذلك أطلقوا عليها أسماء من مثل «**المادة السوداء**» أو «**المادة الداكنة**»، و«**الطاقة الخفية أو غير المدركة**». ويعترف علماء الفلك اليوم بحقيقة الغيوب التي لا يستطيع الإنسان الوصول إليها في كون شاسع الاتساع، يلفه الظلام، ويمتلئ بالغيوب المرحلية والمطلقة.

من هنا امتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في مطلع سورة «البقرة» الذين يؤمنون بالغيب، وأكد حاجة الإنسان إلى بيان من الله الخالق عن هذه الغيوب المطلقة (من أمثال الذات الإلٰهية، الملائكة، الروح، الجن، وقت الساعة، حياة البرزخ، البعث، الحشر، الحساب، الميزان، الصراط، الجنة والنار، وغيرها كثير).

وهذه القضايا لو لم يصل إلى الإنسان فيها بيان من الله ـ يكون بياناً ربانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية ـ فإما أن ينكر الإنسان كل الغيب (مع وجوده)، أو أن يبتدع عنه أعداداً من التصورات القاصرة من عنده، فيضل ضلالاً بعيداً، كما ضلّ كل منكري الوحي السماوي عبر التاريخ، وكما أغرق أصحاب الخيال الجامح في بحار من الخرافات والأساطير عن هذه الغيوب.

وهنا تتضح ومضة الإعجاز الإنبائي في إيراد هذا الحوار بين ربِّ العالمين وملائكته، والذي لو لم يخبرنا به الله تعالى في محكم كتابه، ما كان أمام الإنسانية كلها من سبيل إلى معرفته، خاصة إذا علمنا أنه لم ترد أدنى إشارة إلى هذا الحوار في أي من العهدين القديم أو الجديد!!!.

5 ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: 31].

يؤكد هذا النص القرآني الكريم أن الإنسان بدأ عالماً، عابداً، ناطقاً، متكلماً بلغة منطقية مفهومة، في الوقت الذي ينادي أغلب علماء الدراسات الإنسية (الأنثروبولوجيا Anthropology) بأن الإنسان الأول لم تكن له قدرة على الكلام، ولم تكن له لغة يتكلم بها مع غيره سوى لغة الإشارة باليد الواحدة أو باليدين. كذلك يصر علماء الدراسات الإنسية اليوم على أن الإنسان الأول لم تكن له أية عقيدة محددة، أو أية معرفة بذاته أو بالكون من حوله، ثم تعلّم اللغة من الطيور ومن غيرها من الحيوانات، وتعرف على الله ـ تعالى ـ بعد ذلك من خلال خوفه من الظواهر الطبيعية وفزعه من آثارها. وانطلاقاً من هذا الفهم الخاطئ كتب (مايكل كورباليس) الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية كتاباً بعنوان: «في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم».

Corballis, Michael C. (2002):

«From Hand To Mouth: The Origins Of Language»; Princeton University Press, Princeton U.S.A.

وجاء في هذا الكتاب ما ترجمته: «وأنا أزعم أن اللغة في معظم هذه الفترة كانت إشارية في الدرجة الأولى، على الرغم من أن الأصوات أخذت تتخللها بصورة متزايدة...» ويضيف: «... وقد يكون إصدار الأصوات قد خدم جزئياً ـ في نشأة اللغة ـ لكونه إضافة إلى إشارات الوجه والفم واليدين، وجعل الإشارات غير المنظورة لكل من اللسان والتجويف الفمي مسموعة. واللغة بالطبع ـ حتى لغة اليوم ـ نادراً ما تكون صوتية خالصة».

وهذا التضارب في تحقيق قضية غيبية غيبة مطلقة كقضية **نشأة اللغة عند الإنسان** سببه الانخداع بفكرة التطور العضوي التي فندتها الكشوف العلمية أخيراً ودحضتها دحضاً كاملاً، خاصةً في مجالات مثل مجالات علوم الوراثة، وعلم الخلية الحية، وعلم الأحياء الجزيئي.

وجميع ما وضع من نظريات وفروض لتفسير نشأة اللغة بعيداً عن حقيقة خلق أبينا آدم عليه السلام خلقاً خاصاً، وتعليم خالقه له الأسماء كلها لحظة خلقه، وعن تهيئة جسد الإنسان تشريحياً للنطق بالكلام، هي نظريات وفروض باطلة. ويدحض تلك الفروض والنظريات التقارب الشديد بين جميع لغات أهل الأرض، وشيوع العديد من الألفاظ بينها، خاصةً بين اللغات القديمة منها، مع تسليمنا بأن اللغة تنمو وتتطور كما ينمو ويتطور كل كائن حي. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن أكثر من خمسين في المائة من ألفاظ كل من اللغتين السريانية والعبرية هي ألفاظ عربية الأصل. وبالتحليل الدقيق للغات أهل الأرض (التي يقدر عددها اليوم بأكثر من خمسة آلاف لغة ولهجة) يمكن ردها إلى أصل واحد هو لغة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام ، وقد كانت هي **اللغة العربية**، كما جاء في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة والآثار الإنسانية التي تمّ الكشف عنها. **ومن أقوال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ المؤيدة لهذا الاستنتاج ما يلي:**

1 ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: 31].

2 ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: 1 ـ 4].

3 ـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1 ـ 5].

كذلك؛ فإن خلق الإنسان مزوداً بأجهزة للسمع والنطق، (منها الأذنان، واللسان، والتجويف الفمي، والأحبال الصوتية المرتبطة بجهاز عصبي غاية في دقة البناء، وإحكام الأداء) ينفي بشكل قاطع جميع ادعاءات الدهريين بأن الإنسان بدأ وجوده جاهلاً، كافراً، أبكماً، ثم تعلم النطق بتقليد أصوات الحيوانات من حوله، كما تعرف على الله من خلال فزعه من الظواهر الطبيعية. وعلى الرغم من وضوح ذلك فإن كثير من الملاحدة والمشركين الذين زادت أعدادهم زيادة مفزعة في ظل الحضارة المادية المعاصرة لا يزالون يتنكرون لخالقهم، وينسبون كل شيء إلى

الطبيعة، دون أن يتمكنوا من تحديد دقيق لمدلول لفظة «الطبيعة» الذي ابتدعوه للتهرب من نسبة الخلق إلى الخالق ﷻ.

أما نحن معشر المسلمين فنؤمن بأن الإنسان خلق عالماً، عابداً، ناطقاً، مفكراً، مزوداً بكل صفات التكريم التي كرّمه بها خالقه، ومزوداً كذلك بكل الأدوات اللازمة لتأهيله بالقدرات المطلوبة لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض، والقيام بكل تكاليفها. ونؤمن كذلك بأن أبوينا آدم وحواء عليهما السلام قد خلقا وهما يتكلمان العربية الفصحى (أم اللغات كلها) التي علّمها لهما ربّهما بتقديره ومَنِّه وإحسانه، وعلم كلا منهما حقيقة وجوده، وفضل موجده عليه وعلى نسله من بعده، وتفاصيل رسالة الإنسان على الأرض، ومسؤولية استخلافه فيها، وحمل أمانة التكليف بكل ذلك.

ومن معاني كلمة (**العربية**) الإبانة والإيضاح، ومن هنا سمي الإعراب (إعراباً) لتبيينه الأمر وإيضاحه. ومن ذلك قول المسلمين في الجزيرة العربية أنهم كانوا يستحبون أن يلقنوا الصبي حين يعرب ـ أي حين ينطلق ويتكلم ـ أن يقول: لا إلٰه إلَّا ٱللَّهُ سبع مرات.

ومن أحاديث رسول الله ﷺ باب خاص في مناقب فضل العرب جاء فيه ما يلي: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا سلمان لا تبغضني فتفارق ديني**»، قلت: يا رسول الله؛ كيف أبغضك! وبك هدانا الله، قال: «**تبغض العرب فتبغضني**»[1].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي**»[2].

من ذلك يتضح فضل اللغة العربية على جميع لغات أهل الأرض، لأنها

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3927).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3928).

أصل هذه اللغات جميعاً، وهي لغة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام التي علّمهما إياها ربُّ العالمين الذي (علّم آدم الأسماء كلها)، أي أسماء كل شيء بمسمياته. لذلك فلا بدَّ وأن تكون جميع لغات أهل الأرض (المقدرة اليوم بأكثر من خمسة آلاف لغة ولهجة) قد انبثقت عن اللغة العربية، التي أنزل بها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ رسالته الخاتمة إلى الثقلين (الإنس والجن)، وتعهد بحفظ هذه الرسالة الخاتمة في نفس لغة الوحي بها (اللغة العربية)، فحفظت في القرآن الكريم وفي سُنَّة خاتم النبيين ﷺ على مدى فاق الأربعة عشر قرناً. كذلك تعهد ربنا ـ تبارك اسمه ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاءت إرادته، حتى يبقى الإسلام ـ الذي اكتمل في كتاب الله وفي سُنَّة خاتم أنبيائه ورسله ـ حجة للّه على جميع خلقه إلى يوم الدين.

من هنا فإن الإشارة القرآنية إلى تعليم الله تعالى لأبينا آدم عليه السلام الأسماء كلها (أي أسماء كل شيء بمسمياته) تبقى لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي الغيبي التي لو لم يخبرنا بها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ما كان أمام الإنسان من سبيل للوصول إليها. وتضطرب آراء غير المسلمين في تفسير نشأة اللغة عند الإنسان، كما ضربنا مثلاً واحداً على ذلك بكتاب مايكل «كورباليس» الذي سبقت الإشارة إليه (وغيره كثير). فقد خلق الله تعالى أبوينا آدم وحواء عليهما السلام وفي فم كل واحدٍ منهما لسان ينطق به، وجعل لكل منهما حنجرة، وعدداً من الأوتار الصوتية، وشفتين، وصفين من الأسنان، ورئتين، وهذه هي المكونات الأساسية للنطق، التي يحركها المخ والجهاز العصبي، وينظم حركاتها في أثناء الكلام حتى تخرج الحروف والألفاظ جلية واضحة. والمنطق السوي يحكم بأن الله ـ تعالى ـ لم يزود أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بهذا الجهاز المتقن للكلام ثم يدعهما أبكمين لا يعرفان لغة يتكلمان بها، ولا يجدان إلا الإشارة كوسيلة للتفاهم بينهما.

وتكفي في ذلك أيضاً الإشارة إلى أن اللسان البشري يتألف من سبع عشرة عضلة متشعبة في مساحته بالكامل (ثماني عضلات منها مزدوجة، وعضلة واحدة مفردة)، ويتخلل هذه العضلات ويحيط بها أعداد من الخلايا والأنسجة المتخصصة

التي من بينها أنسجة دهنية وليمفاوية، وأعداد من الغدد اللعابية التي تبقي اللسان رطباً باستمرار. ويغلف ذلك كله بغشاء مخاطي رقيق. وبناءً على هذا التركيب المرن جداً يستطيع الإنسان تحريك لسانه في كل الاتجاهات بمرونة كبيرة، كما يستطيع تغيير شكل هذا اللسان وحجمه ووضعه بمرونة كبيرة كذلك. وترتبط عضلات وأنسجة اللسان بالفك الأسفل بواسطة عظمة ذات رأسين تحكم حركته ولا تعوقها.

أما الشفتان اللتان يستكمل وجه الإنسان بهما جماله، وإحساسه، وقدرته على النطق فهما مليئتان بالأوعية الدموية التي تتفرع بكثافة عالية في الأغشية المخاطية المكونة لهما، ولذلك يبدوان باللون الأحمر. وهناك حزمة متمركزة من العضلات اللافة حول الشفتين لتمثل واحدة من مجموع العضلات المعقدة المعينة على النطق بالكلام والمحددة لتعبيرات الوجه. وتلعب الشفتان في الإنسان دوراً مهماً في النطق، فعند الكلام تجمع الحبال الصوتية في مكان واحد، وتهتز جراء حركة تيار الهواء الخارج عند الزفير، كما يتحرك كل من اللسان والشفتين والأسنان، فيتمكن الإنسان من النطق بالكلام.

وكذلك صممت القدرة الإلٰهية المبدعة كلاً من الأنف والفم في الإنسان، على أن يعطيا جميع المواصفات الخاصة بإطلاق الصوت. وفي الوقت الذي تبدأ فيه الكلمات بالخروج من الفم بسلاسة، فإن اللسان يأخذ وضعاً بين الاقتراب والابتعاد من سقف الفم بمسافات محددة، وتتقلص الشفتان أو تتوسعان، ويتحرك في هذه العمليات العديد من العضلات بشكل سريع حتى يتحقق النطق عند الإنسان.

ولولا هذا البناء المحكم لجهاز النطق ما استطاع الإنسان الكلام، على الإطلاق، ومن هنا يَمُنُّ اللهُ ـ الخالق البارئ المصور ـ على الإنسان بقوله العزيز: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 8 ـ 10].

وهل يمكن لعاقل أن يتصور خلق أجهزة الكلام المعقدة في الإنسان بغير

تقدير الله؟ وهل يمكن أن يقدر الله ﷻ للإنسان هذا كله ثم لا يعلمه لغة يعرف بها أسماء الأشياء؟ ومن هنا يأتي هذا النص القرآني الكريم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ معجزة علمية حقيقية، كما يأتي معجزة إنبائية غيبية، تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ، وحفظه (دون نقص أو زيادة حرف واحد) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى أن يشاء الله، حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وإذا قارنّا هذا النص القرآني الكريم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا...﴾ بما جاء عن هذه الحقيقة في «العهد القديم» يتضح لنا بجلاء الفرق الهائل بين كلام الله ـ تعالى ـ وصياغة البشر. فقد جاء في سفر التكوين (2/ 19، 20) ما نصه:

سَأَصْنَعُ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ». [19] وَكَانَ الرَّبُّ الإِلَهُ قَدْ جَبَلَ مِنَ التُّرَابِ كُلَّ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ الْفَضَاءِ وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى بِأَيِّ أَسْمَاءٍ يَدْعُوهَا، فَصَارَ كُلُّ اسْمٍ أَطْلَقَهُ آدَمُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ اسْماً لَهُ. [20] وَهَكَذَا أَطْلَقَ آدَمُ أَسْمَاءً عَلَى كُلِّ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ مُعِيناً نَظِيرَهُ. [21] فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، ثُمَّ تَنَاوَلَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِاللَّحْمِ. [22] وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ امْرَأَةً أَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.

good and evil, for when you eat of it you will surely die."
[18]The LORD God said, "It is not good for the man to be alone. I will make a helper suitable for him." [19]Now the LORD God had formed out of the ground all the beasts of the field and all the birds of the air. He brought them to the man to see what he would name them; and whatever the man called each living creature, that was its name. [20]So the man gave names to all the livestock, the birds of the air and all the beasts of the field. But for Adam no suitable helper was found. [21]So the LORD God

سفر التكوين (2/ 19 ـ 20)

6 ـ ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ...﴾ [البقرة: 35].

يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35].

وأكد ربنا ـ تبارك اسمه ـ على نفس المعنى في مقام آخر من القرآن الكريم فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: 19].

وقد اختلف المفسرون في تحديد الجنة التي أدخل إليها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام، هل هي «جنة المأوى» المعروفة باسم «جنة الخلد»؟ وهي دار جزاء وخلود، لا يخرج داخلها منها أبداً!! أم هي جنة في الأرض أعدها الله تعالى لهما، وجعلها دار ابتلاء واختبار؟

والواضح من كل من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أنها كانت جنة على الأرض، أي: منطقة مرتفعة على هيئة ربوة تعلو ما حولها من السهول والوديان، وكانت محاطة بالأشجار، زاخرة بمختلف الثمار، ذات ظلال وارفة، ونضرة ناعمة، وبهجة دائمة، ولذلك وصفها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز ـ موجهاً الخطاب إلى أبينا آدم عليه السلام قائلاً له:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 118 ـ 119].

هذا بالإضافة إلى أن الجنة التي أسكنها الله ـ تعالى ـ أبوينا آدم وحواء كانت دار ابتلاء واختبار تم تكليفهما فيها ألَّا يأكلا من شجرة معينة، وابتليا فيها بذلك، والأرض هي دار الابتلاء، وجنة الخلد هي دار الجزاء التي وعد الله تعالى المتقين بدخولها في الآخرة، وهي ليست دار ابتلاء أبداً.

كذلك فإن إبليس دخل على أبوينا آدم وحواء جنتهما الأرضية، لأنه محروم من الدخول إلى جنة المأوى، وأن مجرد إخراج أبوينا آدم وحواء من الجنة التي كانا قد أسكنا فيها ينفي عنها أن تكون هي جنة الخلد التي لا يخرج منها من دخلها أبداً.

والاحتجاج بتعريف (الجنة) التي سكنها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام بـ (أل) التعريف لا يدل أبداً على أنها هي جنة المأوى، وذلك لأن الألف واللام هنا للتعريف، وليسا للتعميم، ويستدل على ذلك من وصف القرآن الكريم لعدد من جنات الأرض بالتعريف، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القلم: 17].

وكذلك فإن الاحتجاج بأن ذكر (الهبوط) من الجنة التي أدخل إليها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام يمكن أن يشير إلى النزول من السماء إلى الأرض لا سند له على الإطلاق، وذلك لأن الهبوط قد يكون من مرتفع على الأرض إلى ما دونه، كما قد يكون هبوطاً معنوياً وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

1 ـ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36].

2 ـ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38].

3 ـ ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: 24].

والهبوط قد يكون من مرتفع إلى منخفض، كما قد يكون من السفينة إلى البر، ودليلنا على ذلك أقوال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ التي منها:

1 ـ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61].

2 ـ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: 48].

ومما يؤكد أن الجنة التي أدخلها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام كانت جنة أرضية أنهما خلقا من طين الأرض، وخلقا للخلافة في الأرض، ولم يرد أنهما رفعا إلى السماء، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

2 ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: 7].

3 ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [صٓ: 71].

ويؤكد ذلك أيضاً أقوال المصطفى ﷺ التي منها قوله الشريف: «**إن الله ـ تعالى ـ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وجاء بنو آدم على قدر الأرض: فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وما بين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب**»[1].

ليس هذا فقط، بل إن هناك من أقوال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ما يشير إلى أن جنة الخلد ستكون في الأرض الجديدة التي سوف تتبدل عن أرضنا الحالية وسوف تحتوي كل ذراتها بالكامل، وذلك من مثل آياته ـ تعالى ـ التي منها:

- ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: 133].
- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: 25].
- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: 48].
- ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه: 55].
- ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾ [الزمر: 74].

---

(1) تقدم تخريجه.

- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: 21].
- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 17، 18].

كل هذه الأدلة تؤكد أن الجنة التي سكنها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام كانت ربوة مرتفعة على الأرض ذات أشجار نضرة، وثمار يانعة، وظلال وارفة، تتوافر لهما فيها جميع حاجاتهما دون عناء أو تعب، فلما خالفا أمر ربهما وأكلا من الشجرة التي نُهيا عنها أُهْبِطا إلى أرض الابتلاء والنصب، والشقاء والتعب، والكدر والنكد، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 35، 36].

وهذا الحين هو أجل كل منهما، وأجل كل فرد من ذريتهما إلى قيام الساعة. ولا يعني ذلك أبداً أنهما كانا خارجين عن حدود الأرض، فقد خلقا منها، وأدخلا الجنة عليها، وأهبط بهما من تلك الجنة الأرضية. وكان هذا الهبوط هبوطاً معنوياً من مقومات الرعاية الإلٰهية الكاملة التي لا تكلف الفرد أية مسؤولية عن توفير احتياجاته كلها (الضرورية منها والكمالية) إلى واقع الكدح الحقيقي من أجل توفير شيء من تلك الاحتياجات، وتحمل المسؤولية الكاملة عن تحقيق ذلك، لأن أبوينا آدم وحواء خلقا من تراب هذه الأرض، وللحياة عليها ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿... إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: 30].

والتجربة التي مر بها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام كانت تربية لهذين المخلوقين اللذين استخلفهما الله في الأرض، وإعداداً لهما من أجل فهم حقيقة رسالة الإنسان

في هذه الحياة: عبداً للَّه، يعبده بما أمر، ومستخلفاً في الأرض مطالباً بعمارتها وبإقامة عدل الله فيها. وفي فترة الاستخلاف الأرضية فإن كل إنسان مطالب بمقاومة كل محاولات الشيطان من أجل إغوائه عن تحقيق رسالته في هذه الحياة الدنيا، حتى تكون هذه الحياة بحق هي دار ابتلاء للإنسان، وفترة اختبار وامتحان يثبت لنفسه في نهايتها استحقاقه بالخلود في الجنة أو في النار. وبذلك يقيم الله - تعالى - الحجة على كل فرد من بني آدم بعمله على نفسه، وإلَّا فإن علم الله المحيط بكل شيء غني عن هذا الاختبار حتى يميز أهل الجنة عن أهل النار.

من هنا كانت حكمة الله - تعالى - من إدخال أبوينا آدم وحواء عليهما السلام في الجنة الأرضية حتى يدركا شيئاً من نعيمها، ثم يعرضهما ربهما لمحاولة من إبليس لإغوائهما عن الالتزام بأوامر الله، وذلك من أجل تحذيرهما وتحذير ذريتهما من بعدهما منه. ثم يسر الله - تعالى - لأبوينا آدم وحواء سبيل التوبة، والندم على مخالفة أمره، ومعرفة حقيقة العداوة بين الشيطان والإنسان، حتى يحتاط كل إنسان عاقل لنفسه من غواية شياطين الجن والإنس. وكان من أهداف هذه التجربة أن يعرف الإنسان كيف يعود إلى ربه إذا غلبه الشيطان على نفسه، حتى لا ييأس من رحمة الله، ويتعلم كيف ينتصر على عدوه الأول إذا شاء الانتصار عليه، ويعرف مصيره إذا سمح للشيطان بالانتصار عليه!!.

وقصة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام هي من أوجه الإعجاز الإنبائي في القرآن الكريم، وهو إنباء غيبي لأن أياً من بني آدم لم يشهد خلق أبويه آدم وحواء.

من هنا يتضح أن فتنة إبليس لكل من أبوينا آدم وحواء عليهما السلام كما جاءت في القرآن الكريم لم تنقل من كتب الأقدمين، وإن كان بعض التشابه في القصة يؤكد أن أصلهما واحد، وإن كان أحدهما قد تعرض للتشويه البشري، وبقي الآخر بروايته الربانية. ويتضح ذلك بجلاء بمقارنة الرواية القرآنية الكريمة مع ما جاء عنها في «سفر التكوين» من «العهد القديم» بالنص التالي:

The Fall of Man

3 Now the serpent was more crafty than any of the wild animals the LORD God had made. He said to the woman, "Did God really say, 'You must not eat from any tree in the garden'?" [2]The woman said to the serpent, "We may eat fruit from the trees in the garden, [3]but God did say, 'You must not eat fruit from the tree that is in the middle of the garden, and you must not touch it, or you will die.' " [4]"You will not surely die," the serpent said to the woman. [5]"For God knows that when you eat of it your eyes will be opened, and you will be like God, knowing good and evil." [6]When the woman saw that the fruit of the tree was good for food and pleasing to the eye, and also desirable for gaining wisdom, she took some and ate it. She also gave some to her husband, who was with her, and he ate it. [7]Then the eyes of both of them were opened, and they realized they were naked; so they sewed fig leaves together and made coverings for themselves.

[8]Then the man and his wife heard the sound of the LORD God as he was walking in the garden in the cool of the day, and they hid from the LORD God among the trees of the garden. [9]But the LORD God called to the man, "Where are you?" [10]He answered, "I heard you in the garden, and I was afraid because I was naked; so I hid." [11]And he said, "Who told you that you were naked? Have you eaten from the tree that I commanded you not to eat from?" [12]The man said, "The woman you put here with me–she gave me some fruit from the tree, and I ate it." [13]Then the LORD God said to the woman, "What is this you have done?" The woman said, "The serpent deceived me, and I ate." [14]So the LORD God said to the serpent, "Because you have done this, "Cursed are you above all the livestock and all the wild animals! You will crawl on your belly and you will eat dust all the days of your life. [15]And I will put enmity between you and the woman, and between your offspring and hers;

سقوط الإنسان

٣ وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَمْكَرَ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ. فَسَأَلَتِ الْمَرْأَةَ: «أَحَقّاً أَمَرَكُمَا اللهُ أَلّا تَأْكُلا مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» [٢]فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: «يُمْكِنُنَا أَنْ نَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا. [٣]مَا عَدَا ثَمَرَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلا مِنْهُ وَلا تَلْمَسَاهُ لِكَيْ لَا تَمُوتَا». [٤]فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! [٥]بَلْ إِنَّ اللهَ يَعْرِفُ أَنَّهُ حِينَ تَأْكُلانِ مِنْ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا فَتَصِيرَانِ مِثْلَهُ، قَادِرَيْنِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». [٦]وَعِنْدَمَا شَاهَدَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ لَذِيذَةٌ لِلْمَأْكَلِ وَشَهِيَّةٌ لِلْعُيُونِ، وَمُثِيرَةٌ لِلنَّظَرِ، قَطَفَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، ثُمَّ أَعْطَتْ زَوْجَهَا أَيْضاً فَأَكَلَ مَعَهَا. [٧]فَانْفَتَحَتْ لِلْحَالِ أَعْيُنُهُمَا، وَأَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَخَاطَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ مِنْ أَوْرَاقِ التِّينِ.

[٨]ثُمَّ سَمِعَ الزَّوْجَانِ صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَآ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ الإِلَهِ بَيْنَ شَجَرِ الْجَنَّةِ. [٩]فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» [١٠]فَأَجَابَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَاخْتَبَأْتُ خَشْيَةً مِنْكَ لأَنِّي عُرْيَانٌ». [١١]فَسَأَلَهُ: «مَنْ قَالَ لَكَ إِنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا؟» [١٢]فَأَجَابَ آدَمُ: «إِنَّهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا رَفِيقَةً لِي. هِيَ الَّتِي أَعْطَتْنِي مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلْتُ». [١٣]فَسَأَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ الْمَرْأَةَ: «مَاذَا فَعَلْتِ؟» فَأَجَابَتْ: «أَغْوَتْنِي الْحَيَّةُ فَأَكَلْتُ». [١٤]فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَزْحَفِينَ، وَمِنَ التُّرَابِ تَأْكُلِينَ طُوَالَ حَيَاتِكِ. [١٥]وَأُثِيرُ عَدَاوَةً دَائِمَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ نَسْلَيْكُمَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَلْدَغِينَ عَقِبَهُ».

سفر التكوين (3/ 1 - 24)

Genesis 3,4 5 / ٥ **التكوين ٣، ٤**

[١٦]ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «أُكَثِّرُ تَكْثِيراً أَوْجَاعَ مَخَاضِكِ فَتَلِدِينَ بِالآلامِ أَوْلاداً، وَإِلَى زَوْجِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْكِ». [١٧]وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ أَذْعَنْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ، وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا، فَالأَرْضُ مَلْعُونَةٌ بِسَبَبِكَ وَبِالْمَشَقَّةِ تَقْتَاتُ مِنْهَا طَوَالَ عُمْرِكَ. [١٨]شَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. [١٩]بِعَرَقِ جَبِينِكَ تَكْسَبُ عَيْشَكَ حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ، فَمِنْ تُرَابٍ أُخِذْتَ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

[٢٠]وَسَمَّى آدَمُ زَوْجَتَهُ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. [٢١]وَكَسَا الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ رِدَاءَيْنِ مِنْ جِلْدٍ صَنَعَهَا لَهُمَا.

[٢٢]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا، يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَتَنَاوَلُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَيَأْكُلُ، فَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». [٢٣]فَأَخْرَجَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْ تُرَابِهَا. [٢٤]وَهَكَذَا طَرَدَ اللهُ الإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَقَامَ مَلائِكَةَ الْكَرُوبِيمِ وَسَيْفاً نَارِيّاً مُتَقَلِّباً شَرْقِيَّ الْجَنَّةِ لِحِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى «شَجَرَةِ الْحَيَاةِ».

he will crush your head, and you will strike his heel." [16]To the woman he said, "I will greatly increase your pains in childbearing; with pain you will give birth to children. Your desire will be for your husband, and he will rule over you." [17]To Adam he said, "Because you listened to your wife and ate from the tree about which I commanded you, 'You must not eat of it,' "Cursed is the ground because of you; through painful toil you will eat of it all the days of your life. [18]It will produce thorns and thistles for you, and you will eat the plants of the field. [19]By the sweat of your brow you will eat your food until you return to the ground, since from it you were taken; for dust you are and to dust you will return."

[20]Adam named his wife Eve, because she would become the mother of all the living. [21]The LORD God made garments of skin for Adam and his wife and clothed them.

[22]And the LORD God said, "The man has now become like one of us, knowing good and evil. He must not be allowed to reach out his hand and take also from the tree of life and eat, and live forever." [23]So the LORD God banished him from the Garden of Eden to work the ground from which he had been taken. [24]After he drove the man out, he placed on the east side of the Garden of Eden cherubim and a flaming sword flashing back and forth to guard the way to the tree of life.

سفر التكوين (2/1 ـ 25؛ 3/1 ـ 24)

7 ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل إحدى الوقائع الغيبية الهامة في قصة خلق أبينا آدم عليه السلام لم يشهدها أحد من ذريته، وإيرادها في كتاب الله يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي فيه. ويتضح هذا الوجه من حقيقة أن «سفر التكوين» لم يورد شيئاً عن تلك الواقعة، بل صوّر إبليس في صورة الحية التي أغوت حواء أولاً بمخالفة أمر الله، ثم ادعى أن حواء قامت بإغواء آدم فأدت إلى سقوط الإنسان، وهذا مما لا يوجد دليل واحد عليه في كتاب الله ولا في سنّة خاتم أنبيائه ورسله.

ومعنى هذه الآية الكريمة يؤكده ربنا ـ تبارك اسمه ـ في أربعة مواضع أخرى من محكم كتابه فيقول:

1 ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11].

2 ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: 61].

3 ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

4 ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 116].

وكما سبق أن ذكرنا فإن سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام هو سجود تكريم واحترام وتوقير، لا سجود خضوع وعبادة وتسليم كسجود العباد لخالقهم جل جلاله، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ خص ذاته العلية بعبادة جميع خلقه له وحده، وأمرهم بعدم الخضوع بالسجود أبداً لغيره جل جلاله واعتبر السجود لغيره ـ سبحانه ـ ضرباً من الشرك بالله.

والملائكة خلق غيبي بالنسبة لنا، وخلقهم سابق لخلق الإنسان، وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم خلقوا من نور، وذلك انطلاقاً من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(1).

والملائكة يصفهم القرآن الكريم بأنهم عباد الله المكرمون، وبأنهم هم الملأ الأعلى، وهم السفرة، الكرام البررة.

والإيمان بالملائكة واجب إسلامي لقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾
[البقرة: 285].

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: 136].

ويصف القرآن الكريم الملائكة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: 49، 50].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾
[الأنبياء: 19، 20].

ويضيف القرآن الكريم في وصف الملائكة قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 1].

ويؤكد القرآن الكريم طاعة الملائكة الفطرية لله بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (11143)، كما ذكره كل من الإمامين مسلم والبخاري.

عنهم بأنهم: ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: 6].

والأمر الإلٰهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام (وذريته جميعاً إلى قيام الساعة موجودون في صلبه) هو إعلان من الله ـ تعالى ـ بتكريم الإنسان، ذلك المخلوق الذي خلقه الله عز وجل بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأدخله جنته، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً. وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: 70].

ومبعث هذا التكريم أن الله ـ تعالى ـ توّج الحياة الأرضية بخلق الإنسان، وجعله أشرف هذه المخلوقات جميعاً، وميّزه بكل من البيان والعقل، وبالقدرة على التفكير الإيجابي، وعلى اكتساب المعارف والمهارات، وعلى تعليمها. ومن ثم جعل الإنسان مخلوقاً عاقلاً، مكلفاً، مسؤولاً، ومحاسباً عن كل عمل يعمله في هذه الحياة الدنيا.

فهناك العالم المادي (بجوامده، وسوائله، وغازاته)، وهناك عوالم الحياة غير المكلفة: النباتية والحيوانية، وعوالم الحياة العاقلة غير المحسوسة، ومنها المسخر (كالملائكة) والمكلف (كعالم الجن)، وهناك الإنسان. والإنسان مخلوق له القدرة على التفكير وعلى إدراك ما يفكر فيه، كما يستطيع الإدراك في نفسه لمعانٍ وقيم للأشياء والأفعال تجعله قادراً على العيش في عالم من التصورات، والذكريات، والعواطف، والمشاعر، والأحاسيس، والتعبير عن ذلك كله تعبيراً يقبله العقل السوي. وقد مكن ذلك كله الإنسان من إدراك ذاته بصورة متميزة عن كل ما سواه من الكائنات الحية، رغم ما بينه وبينها من شبه في البناء يشير إلى وحدانية الخالق عز وجل، ومن تمايز في مستوى هذا البناء يشير إلى طلاقة القدرة الإلٰهية في إبداع خلق الإنسان، كما يشير إلى مبررات التكليف الذي فرضه عليه خالقه.

والإنسانية في الإنسان ليست بجسده المادي المعقد البناء، ولا بصفاته

الجسدية الظاهرة، ولا بخصائصه التشريحية الخفية، لأن ذلك كله تحكمه قوانين المادة ومظاهر الحياة. والإنسانية في الإنسان ليست كذلك بنسبته إلى سلالة معينة من الكائنات الحية هي السلالة البشرية (بمعنى كونه بشراً، أي مخلوقاً ظاهراً على جميع الكائنات الحية الأرضية) أو بكونه إنسياً من الإنس (أي غير الجن)، فهذه كلها صفات مادية محضة. ولكن الإنسانية في الإنسان تتجَسد في قدرته على الارتقاء بذاته إلى الدرجة التي تؤهله للقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، واحتمال تبعات التكليف الإلٰهي الذي كلفه به الله ـ تعالى ـ وذلك بقوله العزيز: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: 30]، والارتقاء بذاته كذلك إلى الدرجة التي تؤهله لحمل الأمانة التي وصفها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72].

وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان هو ـ في الحقيقة ـ توازن دقيق بين طبيعته المادية وروحه التي نفثها فيه خالقه، وجعل له عقلاً يحول دون طغيان أحد جانبيه هذين على الآخر. فالإنسان يعلو على متطلبات جسده بعقله، ويعلو على أحكام عقله بروحه، لأنه يتصل بدوافع الحياة بواسطة كل من جسده وعقله، ويتصل بخالقه عن طريق روحه. وواجب العقل البشري أن يدرك ما وسعه إدراكه من العوالم المحسوسة من حوله، ولكنه لا يستطيع إدراك ما فوق ذلك من عوالم الغيب المطلق إلَّا ببيان من الله ـ تعالى ـ عن طريق الوحي المنزل على أنبياء الله ورسله. من هنا كانت ضرورة الدين لاستقامة حياة الإنسان على الأرض، وتمكينه من تحقيق رسالته فيها بنجاح.

والدين الذي يرتضيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده علمه ﷻ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، وأنزله على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين من بعده، وأتمه وحفظه في الرسالة الخاتمة التي بعث بها الرسول الخاتم ـ سيد الأولين والآخرين من ولد آدم، سيدنا محمد النبي العربي الأمين ﷺ. ولما كان كل من النبوة

والرسالة قد انقطع من بعد هذا الرسول الخاتم، فقد تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً فحفظت في القرآن الكريم، وفي سُنَّة خاتم المرسلين ﷺ. واستمر هذا الحفظ مدى أربعة عشر قرناً إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ في نفس لغة الوحي بهما (اللغة العربية) حتى يبقيا حجة الله البالغة على خلقه إلى يوم الدين.

وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يحيا على هذه الأرض حياةً سوية بغير الدين، والدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، لقيامه على عدد من ركائز الغيب المطلق (كقضية العقيدة) وعلى عدد من الفرائض التعبدية التي لا بدَّ للإنسان من تلقي أوامرها من الله ﷻ، وعلى دستور أخلاقي وفقه للمعاملات، وهذه من القضايا التي لا تقوى الطبيعة البشرية على وضع أية ضوابط صحيحة فيها، ومن هنا كانت ضرورة الدين.

والإنسان بفضل عقله، وإرادته الحرة المستنيرة بالعقل يستطيع التمييز بين معتقد صحيح وآخر غير صحيح، وذلك بدقة حفظ الوحي السماوي الذي أنزل بهذا المعتقد. وذلك لأنه هو الكائن المتميز بالقدرة على تحصيل العلم، وبالاستعداد لكسب المعارف عن طريق ذلك التحصيل، وبالقدرة على التفكير والاستعداد للإلهام والالتزام بوحي السماء. لذلك كان الإنسان قادراً على تدبير حياته، وعلى توجيه قواه وملكاته المادية والنفسية، وعلى تسخير ما في الأرض من قوى وكائنات، وما في الكون من سنن وقوانين لعمارة الحياة على الأرض. ومن هنا كان الإنسان قادراً على التعرف على خالق الكون ومبدع الوجود، وعلى فهم الرسالة التي كلفه «بها» في هذه الحياة: بكونه عبداً للّه، مطالباً بعبادته بما أمر، ومستخلفاً ناجحاً في الأرض، مطالباً بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها. وكان هذا كله من مبررات الأمر الإلٰهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام وفي صلبه جميع بنيه (من لحظة خلقه إلى قيام الساعة).

أما إبليس فهو من الجن، كما جاء في سورة «الكهف»، والجن من عالم

الغيب الذي لا نراه، وهم قد عمروا الأرض قبل الإنس، وأساءوا في غالبيتهم، وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء قبل أن يسفكها بنو آدم. وقد سمي الجن جناً لاستتارهم عن أبصار الإنس. والجن خلق عاقل مكلف كالإنس، ومنهم المؤمن والكافر، وهم يأكلون ويتناسلون ويموتون. والإنس قد عرفوا عن الجن من كتاب الله ﷻ ومن سُنَّة رسوله ﷺ، فقد جاء ذكر الجان في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وفي العديد من أحاديث سيد المرسلين، ومن هنا وجب الإيمان بوجودهم وإن لم نستطع رؤيتهم.

وقد شمل أمر الله ـ تعالى ـ إلى الملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام كل من كان معهم ـ على الرغم من كون الأمر للملائكة خاصة ـ وقد كان معهم إبليس وكان يعبد الله ﷻ بعبادة الملائكة، فشمله الأمر بالسجود لآدم، ولكنه أبى حسداً لأبينا آدم عليه السلام وحقداً عليه.

هذه الواقعة لم يشهدها أي من بني آدم، ولم يسمع بها كفار ومشركو قريش، ولم ترد لها أية إشارة في «العهد القديم»، ومن هنا فإن عرضها في خمسة مواضع مختلفة من القرآن الكريم (في كل من سورة «البقرة»، «الأعراف»، «الإسراء»، «الكهف»، و«طه») يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب المجيد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

8 ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 11، 12].

وأصل (الخلق) هو الإبداع والتقدير الدقيق المستقيم، ويستعمل في التعبير عن الإبداع للشيء على غير مثال سابق أي: من غير أصل ولا احتذاء، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 73]. أي أبدعهما على غير مثال سابق بدلالة وصفه لذاته العلية بقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117].

ويستعمل الفعل (خلق) كذلك في التعبير عن إيجاد شيء من شيء آخر وذلك من مثل قوله تعالى: ...﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1].

و (الخلق) الذي يقصد به الإبداع (أي الإيجاد من العدم على غير مثال سابق) لا يكون إلّا للَّه عز وجل الذي وصف ذاته العلية بـ(الخالق) و(الخلّاق)، وفرّق بين الخالق والمخلوق بقوله العزيز:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: 17].

وفعل (الخلق) لا يستخدم في حق المخلوقين إلّا على وجهين أحدهما يعني التقدير لشيء من شيء آخر، والثاني في التعبير عن الكذب ويسمى (الاختلاق) بمعنى الافتراء، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

أمّا قوله ـ تعالى ـ: ...﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: 14]. فمعناه أحسن المقدرين لأنَّ الله عز وجل هو خالق كل شيء، وغيره لا يخلق وإن استطاع التقدير أي استطاع تحويل شيء عن شيء آخر.

ولفظة (**الخلق**) تقال في معنى (المخلوقين)، ولفظتا (الخَلْقُ) و(الخُلُقُ) في الأصل واحد، ولكن خُصَّ (الخَلْقُ) بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر، وخُصَّ (الخُلُق) بالسجايا المدركة بالبصيرة أي (الأخلاق). و(الخَلَاقُ) هو ما يكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، و(الخليقة) و(الخلائق) هم خلق الله، و(الخِلْقَةُ) هي الفطرة. يقال: فلان (خليق) بكذا أي: جدير به، كأنَّه مخلوق فيه ذلك، أو كأنَّه مجبول بفطرته على ذلك، أي: مدعو إليه بالفطرة، و(الخَلَاقُ) هو النصيب، و(الخَلُوقُ) ضرب من الطيب.

والفعل (صَوَّر) معناه: صنع (صورة)، و(الصورة) هي الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة التي خصّ بها كل مخلوق؛ أو هي الهيئة التي يوجد عليها الشيء، ومنها **الصور المحسوسة** التي يدركها كل من الخاصة والعامة بالمعاينة والمشاهدة الحسيّة (وذلك من مثل الصور المادية الملموسة المجسمة لكل من الإنسان والحيوان والنبات والجماد). ومنها **الصور المستنتجة** (أي: غير المدركة بالحسّ) كالصور الضمنية التي اختص الإنسان بها من مثل قدرات الذكاء الفائق، والإدراك الدقيق، والمشاعر المرهفة، والأحاسيس العميقة، والانفعال المباشر، والتعبير الصادق، والقدرة على كسب كل من العلم والمهارات اليدوية وتعليمهما، وغير ذلك من الملكات التي اختصّ الله ﷻ بها الإنسان. وقد أشار القرآن الكريم إلى هاتين الصورتين بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: 6].
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: 11].
- ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: 64].
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن: 3].

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 7، 8].

ووصف ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ذاته العلية بالمصوّر فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ...﴾ [الحشر: 24].

وجمع (الصورة): (الصُّور) بضم الصاد وكسرها. يقال (صوَّره) (تصويراً) (فتصور)، وتصوَّرت الشيء: توهمت (صُورتَه) (فتُصوِّر) لي، و(التَّصاوير) هي: التماثيل.

و(السجود) أصله الخضوع والتطامن والتذلل للَّه ـ تعالى ـ وعبادته بما أمر، ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض، وهناك السجود الإرادي الاختياري للمخلوقات المكلفة ذات الإرادة الحرّة كالإنس والجن، وهناك السجود الفطري، التسخيري، وهو للمخلوقات غير المكلفة كالملائكة والجمادات والنباتات والحيوانات.

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي في الآيتين الكريمتين (11، 12) من سورة «الأعراف» ما يلي:

(أ) الناس جميعاً يردون إلى أب واحد، وأم واحدة هما آدم وحواء عليهما السلام:

فالخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصددها مُوجَّه إلى الناس كافة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: 11].

والآية السابقة مباشرة تؤكد ذلك الفهم وتدعمه إذ يقول فيه الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ [الأعراف: 10].

ولكن تكملة الآية الحادية عشرة تتحدّث عن أبينا آدم عليه السلام مما يشير إلى حقيقة أنَّ ذريته جميعاً كانوا في صلبه لحظة خلقه بدليل قوله ـ تعالى ـ في نفس السورة:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

[الأعراف: 172].

وبدليل قوله ـ عزَّ من قائل ـ في نفس السورة أيضاً:

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾

[الأعراف: 189].

ودراسات علم الوراثة الحديثة تشير إلى دقّة هذه الحقيقة القرآنيّة، وذلك لأن الشيفرة الوراثية تتكدّس في حيِّز لا يتعدى حجمه واحداً من نصف المليون من المليمتر المكعب في داخل نواة الخلية. والخلية الحية في جسم الإنسان لا يتعدى قطرها (0,03مم) في المتوسط، وتحتوي هذه الشيفرة على 46 جسيماً صبغياً، يتكوَّن كل منها من تجمعات لعدد من البروتينات والحمض النووي. وتتشكل هذه الصبغيات على هيئة لفائف مزدوجة الجانب لافة حول محور وهمي بهيئة حلزونيّة تعرف باسم «لفائف الحلزون المزدوج للحمض النووي الريبي غير المؤكسد» (Double Helix DNA Strands or Templets). ويبلغ سمك جدار هذه اللفيفة (1/ 50 مليون مم)، ويبلغ قطرها (1/ 500,000مم)، ويصل طولها إذا فردت إلى قرابة المترين، وتحمل كل واحدة منها ما يزيد على الأربعمائة مليون قاعدة كيميائية بمجموع (404,347,800 × 46 صبغي = 18,6 بليون قاعدة كيميائية) مرتبة ترتيباً محكماً دقيقاً، لو اختلّت قاعدة واحدة منها عن مكانها فإنَّ هذا البناء ينهار تماماً أو يُشَوَّه. ويقسم كل صبغي على طوله بعدد من العلامات المميزة (Markers) إلى عدد من المورثات (Genes) تنتشر على مسافات محددة من بعضها بعضاً، ويحمل كل مورث عدداً من الأوامر لإنتاج كل من الأحماض الأمينية، والإنزيمات، والهرمونات، والمضادات الحيوية، وغيرها من البروتينات اللازمة لبناء مختلف خلايا الجسم. ويتحكَّم كل مورث في عدد من صفات الفرد من بني آدم، بما يميزه عن غيره من البشر. وقد وهب الله ﷻ الخلية الحية الواحدة من خلايا جسم الإنسان القدرة على إنتاج أكثر من ثمانين ألف نوع من أنواع البروتينات اللازمة

لبناء ذلك الجسم، والتي تحضر بأوامر من الشيفرة الوراثية داخل جسيمات ميكروسكوبية خاصة من عضيات الخلية الحية تعرف باسم الريباسات (Ribosomes).

وتحتوي كل خلية من خلايا جسم الإنسان على (46) صبغياً موزعة في (23) زوجاً، منها (22) زوجاً مهمتها الانقسام المتكرر لبناء مختلف خلايا الجسم، وزوج واحد من هذه الصبغيات للتناسل. ويتكوَّن زوج التناسل من صبغيين متماثلين في الأنثى (XX)، وغير متماثلين في الذكر (XY). وفي الوقت الذي يتمّ فيه انقسام الخلايا الجسدية انقاسماً طوليًّا يعرف باسم الانقسام الفتيلي (Mitosis) يحافظ على عدد الصبغيات في كل خليتين وليدتين بالانقسام، فقد شاءت إرادة الخالق العظيم أن تتكوَّن الخلايا التناسلية من الخلايا الجسدية بانقسام انتصافي (Meiosis) ليعطي لكل خلية تناسلية نصف عدد الصبغيات في الخلية الجسدية، حتى إذا ما اتَّحدت خليتان تناسليتان (إحداهما من الأب والأخرى من الأُم) تكامل عدد الصبغيات المحدّد للنوع في النطفة الأمشاج (المختلطة)، مما يؤكد على حتمية التزاوج بين الجنسين (الذكر والأنثى) من أجل استمرار الحياة على الأرض.

ويبدأ تخلُّق جنين الإنسان من اندماج نطفتي الزوج والزوجة لتكوين «**النطفة الأمشاج**» التي تنشط في الانقسام فتكرر ذاتها لمرات عديدة مكونة «**التويتة**» (Morula) التي تتحوَّل إلى «**الكرة الأرومية**» بمزيد من الانقسام، ثم تنقسم الكرة الأرومية كي تنغرس ببطانة الرحم لتنمو في عدد من الأطوار المحددة حتى يتم الوضع للجنين (الميلاد).

وبالرجوع بعمليات انقسام الخلايا التناسلية إلى الوراء مع الزمن فإنَّ نسل أبينا آدم عليه السلام من بداية خلقه وحتى قيام الساعة يلتقي كله في صلبه لحظة خلقه، (ويشمل ذلك كل بلايين البشر الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والبلايين التي عاشت من قبل وماتت، وتلك التي سوف تخلق إلى قيام الساعة). ومن هنا فإنَّ الخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصددها كما هو موجّه إلى أبينا آدم عليه السلام، فإنه

موجّه إلى جميع نسله إلى قيام الساعة. وعلى ذلك فإنَّ المقصود بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ هو خلق أبينا آدم عليه السلام من طين ثم إكرامه بنفخة الروح فيه، وخلق جميع ذريته في صلبه لحظة خلقه.

وتفاصيل قوانين الوراثة لم تُدرَك إلَّا في أوائل القرن العشرين، والإشارة إليها في هذا النص الكريم لمما يقطع بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق، ولمما يشهد بالنبوّة وبالرسالة للنبي الخالق الذي تلقَّاه، فصلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

ويبقى الإخبار بحقيقة الخلق والتصوير، وبالأمر الإلٰهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام (وذريته جميعاً في صلبه)، وتحقق سجودهم بالفعل، وتمرد إبليس على الأمر الإلٰهي بالسجود، ومحاولة تبريره لذلك الموقف، يبقى كل ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا علمنا أنه لم ترد أية إشارة إليه في أي من العهدين القديم أو الجديد.

(ب) الإشارة إلى تقدير صفات الجنين عبر مراحل متتالية بوصف التصوير:

وذلك انطلاقاً من قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: قدَّرنا صفاتكم الوراثية تقديراً كاملاً وأنتم في عالم الذر في صلب أبيكم آدم عليه السلام حتى يكون كل فرد منكم على صورته التي خصه الله ـ تعالى ـ بها، ووضعنا الأوامر بذلك في الشيفرة الوراثية الخاصة بكل فرد منكم. وقد جاء هذا الإخبار العلمي الدقيق بتقدير الصفات الوراثية في الإنسان، والعالم تسوده الخرافات والأساطير عن خلق الجنين. وكان من هذه الخرافات التصور الخاطئ بخلق الجنين كاملاً بصورة مصغرة في ماء الرجل (وقد سادت هذه الخرافة حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي أي إلى سنة 1694م)، أو في ماء المرأة (كما ساد ذلك الوهم حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي أي إلى سنة 1745م). واستمرت المعارك بين أنصار كل من هاتين الأسطورتين حتى ثبت دور كل من الذكر والأنثى في تكوين

الجنين، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولم يتم الإجماع على تلك الحقيقة إلَّا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الميلاد. وكان القرآن الكريم قد نزل من قبل أربعة عشر قرناً مؤكداً هذه الحقيقة، وواصفاً مراحل خلق الجنين البشري بدقة وشمول بالغين يفتقر إليهما حتى العلم الحديث، وقد أجمل ذلك في التعبير القرآني ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الذي جاء في الآية الكريمة التي نحن بصددها.

فربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد قدَّر صفات كل فرد من بني آدم في علمه الأزلي وضمَّن صلب أبينا آدم عليه السلام تلك الصفات لحظة خلقه، وأظهرها في الوقت الذي حدَّده لظهورها، على هيئة شيفرة مبرمجة نصفها في صلب الأب الموعود، ونصفها الآخر في صلب الأم المختارة، فإذا التقيا في زواج تكاملت الصفات المحددة في النطفة الأمشاج التي تستقر في الرحم فتمر بعدد من المراحل المقدَّرة بدقة فائقة (**العلقة، المضغة، ثم تخلق العظام وتكسى لحماً**، ثم ينشأ **الجنين خَلْقاً آخر**). ومن الأُمور المبهرة حقًّا في عملية التصوير التي تتم من خلال تلك المراحل هو الاختيار الدقيق لنطفة محددة من بلايين النطف التي يهبها الخالق العظيم للزوج، لتلتقي مع بُيَيْضة محددة من بين آلاف البُيَيْضات التي يهبها الله ـ تعالى ـ للزوجة، لتتخلَّق منهما نطفة أمشاج محددة الصفات تحديداً مسبقاً في علم الله الحكيم الخبير، ولعل ذلك من مقاصد عملية التصوير التي جاءت في الآية الكريمة التي نحن بصددها، وفي العديد غيرها من آيات القرآن الكريم.

والانقسامات السريعة **للنطفة الأمشاج** من أجل تكوين «**التويتة**» ثم «**الكرة الأرومية**» التي هيأها الله ـ تعالى ـ بعدد من الخلايا الآكلة التي تحفر لها طريقاً في بطانة الرحم فتنغرس فيه بعد انشطارها، وتتشبث به، لكي تتغذى على دم الأم بعد نفاد غذائها، حتى تأخذ طور «**العلقة**». ثم يظهر «**الشريط الأولي**» على سطح العلقة فتتخلق كل خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة الجسم من الخلايا الجذعية لتلك المرحلة، والتي يهبها الخالق العظيم قدرات فائقة على التشكُّل والتكيُّف لكل عضو

حسب وقت ظهوره، وهو ما يمكن أن يدخل تحت «عملية التصوير» التي وصفها القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾. وهذا التصوير يتم على مستوى الصفات المحددة في المورِّثات وهو أمر مقدر سابقاً، ثم على مستوى الخلايا والأنسجة والأعضاء التي يتم تصويرها عبر الأطوار المتتالية التي حددها القرآن الكريم بدقة بالغة قبل أن تصل العلوم المكتسبة إلى معرفة شيء عنها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الميلاد.

والجنين البشري لا يبدأ في اكتساب الملامح الإنسية إلَّا بعد نفخ الروح فيه، وذلك بنهاية الأسبوع السادس من عمره، وتبقى فترة الحمل إلى وضع الجنين (بنهاية الأسبوع الثامن والثلاثين) مرحلة للنمو والتكامل في بناء الأعضاء والأجهزة المختلفة. وهذه الأطوار من «النطفة الأمشاج» إلى اكتمال نمو الجنين يمكن إدخالها في مرحلة التصوير التي قدَّرها الخالق ﷻ في الشيفرة الوراثية لكل فرد منا، والتي كانت موجودة في صلب أبينا آدم عليه السلام، والتي يفرزها الله ـ تعالى ـ بعملية الانقسام، ويطلقها إلى حيِّز الوجود عند لحظة تخلق كل فرد من بني آدم.

ومن أوجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة الإنباء بأنَّ الله ـ تعالى ـ خلق جميع بني آدم وصوَّرهم (بمعنى أنَّه ﷻ أعطى كل فرد منهم وجوده وصفاته الوراثية) وهم في صلب أبيهم آدم لحظة خلقه. وفي الإخبار بأنَّ الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود (سجود التحية والتكريم) لأبينا آدم عليه السلام، ومن خلاله لجميع بني آدم الذين كانوا جميعاً في صلبه لحظة خلقه، واستجابة الملائكة لأمر الله بذلك هو كذلك وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، خاصة إذا علمنا أنه لا يوجد ذكر لتلك الواقعة في أي من العهدين القديم أو الجديد. والإخبار بامتناع إبليس عن السجود لأبينا آدم عليه السلام بحجّة أنَّه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، يجسد صورة من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله لأنَّ أحداً منَّا لم يشهد هذا الموقف العظيم، ولم تدونه أي من كتب السابقين المتداولة بين أيدي النّاس اليوم.

وإنباء القرآن الكريم بهذا الغيب المطلق، وتضمينه ذلك بالعديد من الحقائق العلمية التي لم يتمكن الإنسان من الوصول إلى شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين، وذلك من قبل أربعة عشر قرناً، وفي زمن لم تتوافر فيه أية وسيلة من وسائل التكبير أو التصوير أو الكشف العلمي لمِمَّا يشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ وحفظه حفظاً كاملاً: كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهَّد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم تعهداً مطلقاً حتى يبقى ذلك الكتاب الخالد حجة الله على جميع الخلق إلى يوم الدين.

9 ـ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36].

هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن غواية إبليس اللعين لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام، وأكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تلك الواقعة في كل من سورتي «الأعراف» و«طه» فقال ـ عزَّ من قائل ـ:

● ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 20 ـ 27].

وقال ـ وقوله الحق ـ:

● ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

[طه: 115 ـ 124].

والفعل (**أزلّهما**) أي: أزلقهما، بمعنى أذهبهما، من (الزلل) وهو عثور القدم، ثم استعمل اللفظ في ارتكاب الخطيئة مجازاً؛ يقال (زل)، (يزل)، (زلاً)، (زللاً) و(زليلاً) بمعنى سقط منزلقاً في طين، و(الإزلال) هو (الإزلاق). والاسم (الزلة)، كذلك يقال: (أزله) غيره و(استزله) بمعنى أزلقه في الطين أو الوحل، أو أوقعه في خطيئته. وقد يكون اللفظ مستمداً من (الإزالة) بمعنى التنحية والإبعاد. (والمزلة) بفتح الزاء وكسرها هي المكان الدحض، وهو موضع (الزلل) أي الوقوع على الأرض لعثرة القدم؛ و(الزلل) و(الزلق) بمعنى واحد تقريباً.

والضمير في قوله ـ تعالى ـ (فأزلهما) عائد على أبوينا آدم وحواء عليهما السلام، وكانا قد أسكنا الجنة ثم طردا منها، بمعنى أن الشيطان بوسوسته إليهما قد أوقعهما في الخطأ الذي كان سبباً في إخراجهما من الجنة وتنحيتهما عنها.

والتعبير يوحي بصورة الشيطان وهو يجرهما بغوايته، ويلقي بهما إلى خارج الجنة إلقاء بعنف، ويدفع بهما إلى خارجها دفعاً عنيفاً، فتزل أقدامهما من تحتهما لشدة الدفع، وتهوي بهما من مقامات التكريم في الجنة إلى كدح الحياة الأرضية وشظفها؛ وهنا يأتي الأمر الإلٰهي بالنص التالي:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

[البقرة: 36].

(**والهبوط**) هو النزول من أعلى إلى أسفل؛ وتستخدم اللفظة مجازاً بمعنى النزول من مقامات التكريم والدعة والتنعيم، إلى مقامات المسؤولية والكدح والعرق والجهد والنصب الذي قدّر لكل من أبوينا آدم وحواء أن يعيشا فيه، ثم لذراريهما من بَعْدُ إلى يوم الدين. وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة بين الشيطان والإنسان من جهة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، وذلك بواسطة الشيطان الذي

يصر دوماً على صرف الإنسان عن الحق، وإغوائه بالباطل، وعلى إيقاع العداوة والبغضاء بين بني آدم في كل زمان ومكان.

و(**المتاع**) هو اسم لما يستمتع به من أكل وشرب ولبس وأنس، واللفظة مستمدة من (المتوع) وهو الامتداد والارتفاع. و(المتاع) انتفاع ممتد الوقت، يقال: (متعه) الله بكذا، و(أمتعه) فتمتع أو استمتع به، وكل ما يتمتع به أو ينتفع به على وجه من الوجوه فهو (متاع) و(متع)، و(الماتع) هو كل ما يمتع.

و(**الحين**) الوقت أو وقت بلوغ الشيء وحصوله، ويقصد به هنا الأجل المقسوم لكل من آدم وحواء، ولكل فرد من ذراريهما إلى يوم القيامة.

وجاء في مقام آخر قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾
[الأعراف: 20 ـ 22].

و(**الوسوسة**) هي الصوت الخفي المكرر، ويقصد به الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في وعي الإنسان ليقارف ذنباً من الذنوب. ﴿... لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ...﴾ أي ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا يراها أحدهما من الآخر.

و(**ووري**) من (المواراة) وهي الستر، وسميت العورة سوأة لأن انكشافها يسوء صاحبها.

﴿... إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ...﴾ أي كراهة ذلك، وأقسم أنه من الناصحين لهما، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: 21].

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ...﴾ [الأعراف: 22]. أي أنزلهما من رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرّهما به من القسم، و(**التدلية**) هي إنزال الشيء من أعلى إلى أسفل، و(**الغرور**) هو إظهار النصح مع إبطان الغش، وهذا هو أسلوب الشيطان دوماً في تغريره بالإنسان.

﴿... وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ...﴾ أي أخذا يلزقان على عوراتهما من ورق الجنة لسترهما، ورقة فوق أخرى.

وعاتبهما ربهما قائلاً: ﴿...أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف: 22].

فلما سمع آدم وزوجه عتاب ربهما لهما على مخالفة أمره، ألهمهما التوبة والاستغفار من ذنبهما، فتاب الله عليهما وهو التوّاب الرحيم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: 23].

فأمرهما الله ـ تعالى ـ بالنزول من مقامات التكريم والتنعيم والدعة التي كانا يتمتعان بها في الجنة إلى حياة الكدح والنصب وتحمل المسؤولية في الحياة الدنيوية، وذلك كي ينفذ الله ـ تعالى ـ ما أراده من استخلاف آدم وحواء وذراريهما على الأرض، وعمارتها بهم إلى الأجل المسمى لكل واحد منهم حتى قيام الساعة. وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة بين الخير والشر، الخير الممثل في الفطرة التي فطر الله ـ تعالى ـ عليها عباده، والشر المجسد في شياطين الجن والإنس، وعلى رأس أهل الشر جميعاً إبليس اللعين ولذلك جاء القرار الإلٰهي بالنص التالي:

﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾ [الأعراف: 24، 25].

وجاءت القصة في مقام آخر من كتاب الله في سورة «طه» وذلك بخطاب من الله (تعالى) إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يقول له فيه إنه ـ تعالى ـ كان قد

أوصى أباه الأول آدم عليه السلام من قبل ألَّا يخالف للّه أمراً، فنسي العهد وخالف أمر الله، مثبتاً ضعف عزيمته. والحكم هنا مطلق على آدم وجميع نسله من بعده إلَّا مَن رحم الله، فلم يثبت لأبينا آدم أنه صبر على الطاعة، حتى لا يمكن الشيطان من الوصول إليه بوسوسته، وكذلك كانت الغالبية من نسله.

وتُذَكِّر الآيات خاتم المرسلين ﷺ بواقعة حدثت قبل بعثته الشريفة بعشرات الآلاف من السنين، ومؤداها أن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لأبينا آدم عليه السلام سجود تكريم واحترام وتوقير (وليس سجود خضوع وعبادة وتسليم) فامتثل الملائكة أجمعون لأمر الله ـ تعالى ـ وكان معهم إبليس فأبى السجود، أي: امتنع عنه حسداً لآدم، وغروراً واستكباراً عليه. وعلى الفور خاطب الله ـ تعالى ـ آدم محذراً إياه من عداوة الشيطان له ولزوجه، (ولذريتهما من بعد إلى قيام الساعة) كما هو واضح في كثير من آيات القرآن الكريم. وهذا التحذير الإلٰهي لأبوينا آدم وحواء جاء صريحاً قاطعاً حتى لا يوسوس الشيطان لهما بالمعصية، وعلى الرغم من ذلك وقعا فيها فكان ذلك مبرراً كافياً لإخراجهما من الجنة. وتؤكد الآيات أن الشيطان احتال على أبينا آدم بوسوسته إليه بصوت خفيض متكرر، مرغباً له ولزوجه في الأكل من الشجرة التي نهاهما الله ـ تعالى ـ عن الأكل منها بدعوى أنها تهب الآكل منها خلوداً وملكاً لا يفنى ولا يزول. فانخدع آدم وزوجه بوسوسة إبليس وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله ـ تعالى ـ عن الأكل منها، فظهرت لهما عوراتهما، وأخذا يقطعان من أوراق شجر الجنة ما يحاولان به ستر عوراتهما، وكان ذلك قبل نبوة آدم عليه السلام.

وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 116 ـ 122].

والفعل (غوي) من الغواية أي الضلال والفساد، يقال: (غوي) (يغوي) (غياً)، و(غوي) (غواية)، أي: ضَلَّ ضلالاً.

و**(الاجتباء)** هو الاصطفاء والتقريب، والمقصود هنا **منح أبينا آدم النبوة، بعد أن قبل الله ـ تعالى ـ توبته**، وهداه إلى الاستغفار عن زلته. وبالرغم من ذلك فقد أخرجه وزوجه من الجنة التي كانا فيها، وحكم عليهما وعلى ذراريهما (الموجودون في صلبيهما) بالنزول من مقامات التكريم والرعاية الإلٰهية إلى أرض الكدح وتحمل المسؤولية، وذلك بصدور الأمر الإلٰهي الذي حسم به ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الموقف بحكمة الذي جاء فيه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 123، 124].

وهذه الآيات ـ وأمثالها كثيرة في كتاب الله ـ تؤكد أن الصراع بين الحق وجنده من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى هو من سنن وجود الإنسان في الحياة الدنيا.

وهذا الموقف من سيرة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام لم يشهده أي من أبنائهما ولا ذراريهما، ولم يكن كفار ومشركو مكة على علم به، ولم توره أي من الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب، ولذلك يبقى وصفه في القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي فيه، خاصة إذا ما قورن مع ما جاء في «العهد القديم» تحت عنوان «سقوط الإنسان» والذي يقول ما يلي:

The Fall of Man

3 Now the serpent was more crafty than any of the wild animals the LORD God had made. He said to the woman, "Did God really say, 'You must not eat from any tree in the garden'?" [2]The woman said to the serpent, "We may eat fruit from the trees in the garden, [3]but God did say, 'You must not eat fruit from the tree that is in the middle of the garden, and you must not touch it, or you will die.' " [4]"You will not surely die," the serpent said to the woman. [5]"For God knows that when you eat of it your eyes will be opened, and you will be like God, knowing good and evil." [6]When the woman saw that the fruit of the tree was good for food and pleasing to the eye, and also desirable for gaining wisdom, she took some and ate it. She also gave some to her husband, who was with her, and he ate it. [7]Then the eyes of both of them were opened, and they realized they were naked; so they sewed fig leaves together and made coverings for themselves.

[8]Then the man and his wife heard the sound of the LORD God as he was walking in the garden in the cool of the day, and they hid from the LORD God among the trees of the garden. [9]But the LORD God called to the man, "Where are you?" [10]He answered, "I heard you in the garden, and I was afraid because I was naked; so I hid." [11]And he said, "Who told you that you were naked? Have you eaten from the tree that I commanded you not to eat from?" [12]The man said, "The woman you put here with me–she gave me some fruit from the tree, and I ate it." [13]Then the LORD God said to the woman, "What is this you have done?" The woman said, "The serpent deceived me, and I ate." [14]So the LORD God said to the serpent, "Because you have done this, "Cursed are you above all the livestock and all the wild animals! You will crawl on your belly and you will eat dust all the days of your life. [15]And I will put enmity between you and the woman, and between your offspring and hers;

سقوط الإنسان

٣ وكانت الحية أمكر وحوش البرية التي صنعها الرب الإله. فسألت المرأة: «أحقا أمركما الله ألا تأكلا من جميع شجر الجنة؟» [٢]فأجابت المرأة: «يمكننا أن نأكل من ثمر الجنة كلها، [٣]ما عدا ثمر الشجرة التي في وسطها. فقد قال الله: لا تأكلا منه ولا تلمساه لكي لا تموتا». [٤]فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا، [٥]بل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمر هذه الشجرة تنفتح أعينكما فتصيران مثله، قادرين على التمييز بين الخير والشر». [٦]وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضا فأكل معها. [٧]فانفتحت للحال أعينهما، وأدركا أنهما عريانان، فخاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين.

[٨]ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ من حضرة الرب الإله بين شجر الجنة. [٩]فنادى الرب الإله آدم: «أين أنت؟» [١٠]فأجاب: «سمعت صوتك في الجنة فاختبأت خشية منك لأني عريان». [١١]فسأله: «من قال لك إنك عريان؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟» [١٢]فأجاب آدم: «إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي. هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة، فأكلت». [١٣]فقال الرب الإله المرأة: «ماذا فعلت؟» فأجابت: «أغوتني الحية فأكلت». [١٤]فقال الرب الإله للحية: «لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تزحفين، ومن التراب تأكلين طوال حياتك. [١٥]وأضع عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وكذلك بين نسليكما. هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه».

ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في ذكر القرآن الكريم لقصّة ولدي آدم عليه السلام

10 ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ...﴾ [المائدة: 27].

هذه الواقعة لم يشهدها من البشر أحد سوى آدم وزوجه وولديه وبنتيه، ولولا أنَّ القرآن الكريم قد سجلها بهذا التفصيل الدقيق الذي يُمَكِّن من استخلاص العبرة منها، ما علم بها أحد من البشر بعد، وما كان أمام العلماء والمؤرخين من وسيلة للوصول إلى معرفة شيء من تلك الواقعة التي طواها الزمن في أستاره.

من أوجه الإعجاز الإنبائي في النصّ الكريم:

يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: 27 ـ 31].

والخطاب هنا موجّه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ يقول له فيه ربّ العالمين: اقرأ يا محمَّد على اليهود في المدينة حقيقة خبر ابني آدم عليه السلام

حين تقرّب كل منهما إلى الله (تعالى) بقربان، فتقبّل ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ قربان أحدهما (لإخلاصه وتقواه)، ولم يتقبّل من الآخر (لعدم توافر الإخلاص فيه). من هنا حسد فاقد الإخلاص أخاه التقي المخلص، وتوعّده بالقتل، فردّ عليه أخوه التقي الصالح مؤكداً أنَّ الله ـ تعالى ـ لا يتقبّل العمل إلّا من عباده الأتقياء المخلصين. وأضاف قائلاً لأخيه المعتدي: لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوي لتقتلني، فأنا لن أمدّ إليك يدي لأقتلك، وذلك لأني أخاف الله ربّ العالمين، وسوف أتركك تفعل ما تريد لتحمل ذنب قتلي بغير إثم جنيته، فتكون من أهل النار، والنار هي جزاء الظالمين في الآخرة.

وعلى الرَّغم من هذا الأدب في الحوار، والتحذير الشديد من النار، فإنَّ الأخ الظالم سوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين.

وبعد وقوع أوَّل جريمة قتل لآدميّ على وجه الأرض، أصابت القاتل مختلف ضروب الحسرة والحيرة والندم. وذلك لأنَّه فوجئ بأخيه جثَّة هامدة أمامه بلا حراك، ولم يدر ماذا يصنع بها بعد أن قتل صاحبها، وبدأت الجثة في التعفن أمامه. ولإخراجه من حيرته أرسل الله ـ تعالى ـ إليه غراباً ينبش أمامه في تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً كي يُعَلِّم **هذا القاتل الأول من بني آدم** كيف يواري جثة أخيه في تراب الأرض ستراً لها. ولما رأى ذلك المنظر انفجر هذا القاتل باكياً، ومتحسراً على جريمته، ومستشعراً سوء عمله وعجزه وحيرته قائلاً: ﴿... يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ ...﴾ فقام بدفن جثة أخيه وهو يبكي ندماً على جريمته.

وكما كانت هذه هي أوَّل جريمة قتل يقترفها الإنسان، كانت عملية دفن جثة هذا القتيل هي أوَّل عملية دفن في تاريخ البشرية. والدفن في تراب الأرض كان بأمر من الله ـ تعالى ـ عن طريق عمل الغراب إكراماً للميت، ومنعاً لانتشار الأمراض والأوبئة في الأرض إذا بقيت جثث الموتى معرضة للهواء.

وعقاباً لقاتل أخيه بغير ذنب. وتجريماً لعملية القتل ظلماً، روى الإمام أحمد

بسنده عن ابن مسعود، رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلماً إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كفل من دمها لأنَّه كان أوَّل مَن سنَّ القتل**»[1].

وكطبيعة القرآن الكريم، أوردت الآيات (27 ـ 31) من سورة «المائدة» قصة ابني آدم، دون الدخول في التفاصيل كالأسماء، والأماكن، والتواريخ، وذلك من أجل إبراز الدروس والعبر المستفادة من عرض القصّة. والقصة تعرض لنموذجين من نماذج البشرية: **أولهما** النموذج النقي الصالح، **وثانيهما** النموذج الشقي الطالح، وكلاهما في موقف من مواقف العبادة للَّه ـ تعالى ـ إذ يقدم كلّ واحد منهما قربانه إلى ربّه. . . فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر. وبراءة الذي تقبل منه قربانه واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، حيث لم تكن له يد في قبوله، ومن هنا لم يكن لأخيه مبرر في الغضب منه أو الحنق عليه حتى يجيش في نفسه خاطر قتل أخيه. ولكن في ثورة من الغضب هدد أخاه بالقتل قائلاً: «لأقتلنك»، فلم يكن عند صاحب التقوى والورع من جواب إلَّا أن يقول: «**إنَّما يتقبّل الله من المتّقين**»، وهذا هو **الدرس الأوَّل** المستفاد من عرض القرآن الكريم لهذه القصّة.

ويضيف الأخ الصالح قائلاً لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾. ولما أصر الأخ الشرير على قتل أخيه وهدده بذلك، بدأ في تحذيره من الوقوع في جريمة القتل، قائلاً: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، والإثم الأوَّل: هو إثم قتل أخيه الذي كانت تراوده به نفسه الأمارة بالسوء، والإثم الثاني: هو إثم عدم الإخلاص للَّه الذي أدى إلى عدم قبول القربان منه، وإن كان الإثم الأوَّل قد جاء لاحقاً للإثم الثاني.

وما قاله الأخ الصالح التقي للأخ الطالح الشقي كان **من أجل إقناعه بخطورة جريمة القتل**، في محاولة لصدّه عن الوقوع فيها دون جدوى، وقد سجَّل القرآن

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك والإمام أحمد حديث رقم (3630).

الكريم ذلك، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، **وهذا هو الدرس الثاني المستفاد من إيراد هذه الواقعة، لأنَّه** قتل نفساً بغير حقّ، **فأورد** نفسه موارد المسؤولية أمام الله. وكان المقتول هو أخوه شقيقه، المفروض فيه أنَّه عونه ونصيره في الحياة الدنيا في أيامها الأولى، حين لم يكن على وجه الأرض سوى أسرة واحدة هي أسرة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام. وقيام الأخ بقتل أخيه ظلماً أدى إلى خسرانه الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وقد شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن توقف هذا الشقيق القاتل أمام عجزه عن كيفية التخلّص من جثة أخيه الذي قتله بيده، وتركه مسجياً على الأرض جثة هامدة تتعفّن أمام ناظريه، وهو لا يدري ماذا يفعل بها. والموت له رهبة لا يستطيع القلم وصفها، لأن الإنسان مخلوق مكرم حيًّا وميتاً، وهذا ما أوقع القاتل لأخيه في حيرة شديدة. وبينما الأخ القاتل في حيرته هذه، وسط دوامة من المشاعر والأحاسيس المتضاربة بين الندم والحيرة، بعث الله ـ تعالى ـ إليه غراباً يعلّمه كيف يواري سوءة أخيه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وهنا قام هذا الشقيق القاتل بدفن جثمان أخيه كما علّمه الغراب، **فأصبح دفن أموات بني آدم سُنَّة ألهمها الله ـ تعالى ـ لعباده من الغراب، ذلك الطائر الصغير، وهذا هو الدرس الثالث المستفاد من إيراد قصة ولدي آدم في القرآن الكريم، وهي تؤكد تصارع الخير والشر في الحياة الدنيا، حتى بين الأشقاء، وبين أبناء الأنبياء.**

وتبيّن الواقعة كذلك أنَّ الباطل لا منطق له ولا حجّة تدعمه، ولذلك فسلاح أهل الباطل هو دوماً البطش والقتل والطغيان، دفاعاً عن مواقفهم الهزيلة، كما يحدث اليوم على أرض فلسطين، وفي كل من سوريا، وليبيا، واليمن. وكما حدث ولا يزال يحدث على أراضي كل من البوسنة والهرسك، والعراق،

وأفغانستان، والصومال، والسودان، وكشمير، وأراكان، وإنجوشيا، والشيشان، وفي غيرها من بلاد المسلمين حيث يبطش أهل الباطل بأهل الحق دون ذنب جنوه، أو إثم ارتكبوه!! **وهذا هو الدرس الرابع المستفاد من إيراد تلك الواقعة،** وإيرادها هو من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، لأنَّ الواقعة لم يشهدها أي من النّاس سوى أبوينا آدم وحواء وأبناؤهما المباشرون. ولم يكن لأحد من أهل الجزيرة العربيّة في زمن الوحي إلمام بهذه الحادثة على الإطلاق، وكانت قد وقعت من قبل عشرات الآلاف من السنين.

وإذا علمنا أنَّ العرب في زمن الجاهليّة لم يكونوا أهل علم وتدوين، بل كانوا في غالبيتهم من الأُميين، وكذلك كانت غالبية أهل الكتاب الذين كانوا موجودين في عدد من الجيوب المعزولة على أطراف شبه الجزيرة العربيّة كالمناذرة (الذين سكنوا كلاً من شمال الجزيرة العربيّة وبلاد الشام والعراق، وكانوا عرباً اعتنقوا النصرانيّة وتحالفوا مع الفرس، ثم دخلوا الإسلام بعد الفتح الإسلامي)، وكالغساسنة (وهم سلالة عربيّة كذلك، يمنية الأصل هجرت بلادها عند انهيار سدّ مأرب في القرن الثالث الميلادي، واستوطنت كلاً من بلاد حوران، وشرقي الأردن، وفلسطين ولبنان، واعتنق عدد من أبنائها الديانة النصرانيّة، ثم أسلمت غالبيتهم بعد الفتح الإسلامي) وكيهود كل من خيبر، ويثرب، والذين أسلم بعضهم بعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ويهود ونصارى كل من نجران واليمن.

إذا علمنا ذلك، أدركنا ومضة الإعجاز الإنبائي في إيراد القرآن الكريم لقصة ولدي آدم بالصورة التي اتَّسم بها هذا الكتاب العزيز في إيراد القصة ـ لا بتفاصيلها التاريخيّة (المكانيّة والزمانيّة)، ولا بكثرة أسماء وأعمار الأشخاص الواردة أسماؤهم فيها، ولكن بإيراد الدروس والعبر المستفادة منها ـ وهذا هو الفارق بين الوحي السماوي الذي حفظ بعهد من الله ـ تعالى ـ وبين قصص التراث الشعبي الذي نقل مشافهة عبر آلاف السنين فأضيف إليه ما أضيف وحذف منه ما حذف.

ففي «العهد القديم» جاء تحت عنوان «تقدمتا قابين وهابيل» في «سفر التكوين» (4/ 1 ـ 16) عن قصة ولدي آدم ما ترجمته:

تقدمتا قايين وهابيل

٤ وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ، وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». [٢] ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ، وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِياً لِلْغَنَمِ، أَمَّا قَايِينُ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. [٣] وَحَدَثَ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قَايِينُ مِنْ ثِمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ، [٤] وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ، [٥] لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدّاً وَتَجَهَّمَ وَجْهُهُ كَمَداً. [٦] فَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ لِمَاذَا تَجَهَّمَ وَجْهُكَ؟ [٧] لَوْ أَحْسَنْتَ فِي تَصَرُّفِكَ أَلاَ يُشْرِقُ وَجْهُكَ فَرَحاً؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنِ التَّصَرُّفَ، فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ تَنْتَظِرُكَ، تَتَشَوَّقُ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَيْكَ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَتَحَكَّمَ فِيهَا».

[٨] وَعَادَ قَايِينُ يَتَظَاهَرُ بِالْوُدِّ لأَخِيهِ هَابِيلَ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا مَعاً فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ هَجَمَ عَلَى أَخِيهِ هَابِيلَ وَقَتَلَهُ. [٩] وَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: «أَيْنَ أَخُوكَ هَابِيلُ؟» فَأَجَابَ: «لاَ أَعْرِفُ. هَلْ أَنَا حَارِسٌ لأَخِي؟» [١٠] فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ إِنَّ صَوْتَ دَمِ أَخِيكَ يَصْرُخُ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. [١١] فَمُنْذُ الآنَ، تَحِلُّ عَلَيْكَ لَعْنَةُ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا وَابْتَلَعَتْ دَمَ أَخِيكَ الَّذِي سَفَكَتْهُ يَدُكَ. [١٢] عِنْدَمَا تَفْلَحُهَا لَنْ تُعْطِيَكَ خَيْرَهَا، وَتَكُونُ شَرِيداً وَطَرِيداً فِي الأَرْضِ». [١٣] فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «عُقُوبَتِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحْتَمَلَ. [١٤] هَا أَنْتَ الْيَوْمَ قَدْ طَرَدْتَنِي عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ أَمَامِ حَضْرَتِكَ أَخْتَفِي، وَأَكُونُ شَرِيداً طَرِيداً فِي الأَرْضِ، فَيَقْتُلُنِي كُلُّ مَنْ يَجِدُنِي». [١٥] فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «سَأُعَاقِبُ كُلَّ مَنْ يَقْتُلُكَ بِسَبْعَةِ أَضْعَافِ الْعُقُوبَةِ الَّتِي عَاقَبْتُكَ بِهَا». وَوَسَمَ الرَّبُّ قَايِينَ بِعَلاَمَةٍ تَحْظُرُ عَلَى مَنْ يَلْقَاهُ اغْتِيَالَهُ. [١٦] وَهَكَذَا خَرَجَ قَايِينُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

[١٧] وَعَاشَرَ قَايِينُ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ وَأَنْجَبَتِ ابْناً دَعَاهُ «حَنُوكَ».

Cain and Abel

4 Adam lay with his wife Eve, and she became pregnant and gave birth to Cain. She said, "With the help of the LORD I have brought forth a man." [2] Later she gave birth to his brother Abel. Now Abel kept flocks, and Cain worked the soil. [3] In the course of time Cain brought some of the fruits of the soil as an offering to the LORD. [4] But Abel brought fat portions from some of the firstborn of his flock. The LORD looked with favor on Abel and his offering, [5] but on Cain and his offering he did not look with favor. So Cain was very angry, and his face was downcast.

[6] Then the LORD said to Cain, "Why are you angry? Why is your face downcast? [7] If you do what is right, will you not be accepted? But if you do not do what is right, sin is crouching at your door; it desires to have you, but you must master it."

[8] Now Cain said to his brother Abel, "Let's go out to the field." And while they were in the field, Cain attacked his brother Abel and killed him.

[9] Then the LORD said to Cain, "Where is your brother Abel?" "I don't know," he replied. "Am I my brother's keeper?" [10] The LORD said, "What have you done? Listen! Your brother's blood cries out to me from the ground. [11] Now you are under a curse and driven from the ground, which opened its mouth to receive your brother's blood from your hand. [12] When you work the ground, it will no longer yield its crops for you. You will be a restless wanderer on the earth." [13] Cain said to the LORD, "My punishment is more than I can bear. [14] Today you are driving me from the land, and I will be hidden from your presence; I will be a restless wanderer on the earth, and whoever finds me will kill me." [15] But the LORD said to him, "Not so; if anyone kills Cain, he will suffer vengeance seven times over." Then the LORD put a mark on Cain so that no one who found him would kill him. [16] So Cain went out from the LORD's presence and lived in the land of Nod, east of Eden.

[17] وعاشر قايين زوجته فحبلت وأنجبت ابنا دعاه «حنوك». وكان قايين آنئذ يبني مدينة فسماها «حنوك» على اسم ابنه. [18] ثم ولد حنوك عيراد، وولد عيراد محويائيل، وولد محويائيل متوشائيل، وولد متوشائيل لامك. [19] وتزوج لامك امرأتين، اسم الواحدة عادة، واسم الأخرى صلة. [20] وولدت عادة كلا من «يابال» أول رعاة المواشي وساكني الخيام. [21] وأخيه يوبال أول العازفين بالعود والمزمار. [22] وولدت صلة «توبال قايين» أول صانعي آلات النحاس والحديد. كما ولدت «نعمة» أخت توبال قايين. [23] وقال لامك لزوجتيه: «ياعادة وصلة، اسمعا قولي، يازوجتي لامك أصغيا لكلامي، إني قتلت رجلا جرحني وشابا كسرني. [24] فإن كان ينتقم لقايين سبعة أضعاف، فإنه ينتقم للامك سبعة وسبعين ضعفا».

[25] وعاشر آدم زوجته حواء مرة أخرى فأنجبت له ابنا أسمته «شيثا» إذ قالت: «قد عوضني الله نسلا آخر عوضا عن هابيل الذي قتله قايين». [26] وولد لشيث أيضا ابن سماه أنوش وعندئذ ابتدأ الناس يدعون باسم الرب.

Cain went out from the LORD's presence and lived in the land of Nod, east of Eden.

[17] Cain lay with his wife, and she became pregnant and gave birth to Enoch. Cain was then building a city, and he named it after his son Enoch. [18] To Enoch was born Irad, and Irad was the father of Mehujael, and Mehujael was the father of Methushael, and Methushael was the father of Lamech. [19] Lamech married two women, one named Adah and the other Zillah. [20] Adah gave birth to Jabal; he was the father of those who live in tents and raise livestock. [21] His brother's name was Jubal; he was the father of all who play the harp and flute. [22] Zillah also had a son, Tubal-Cain, who forged all kinds of tools out of bronze and iron. Tubal-Cain's sister was Naamah. [23] Lamech said to his wives, "Adah and Zillah, listen to me; wives of Lamech, hear my words. I have killed a man for wounding me, a young man for injuring me. [24] If Cain is avenged seven times, then Lamech seventy-seven times."

[25] Adam lay with his wife again, and she gave birth to a son and named him Seth, saying, "God has granted me another child in place of Abel, since Cain killed him." [26] Seth also had a son, and he named him Enosh. At that time men began to call on the name of the LORD.

سفر التكوين (4/ 17 ـ 26)

والفارق بين روايتَي كل من «العهد القديم» والقرآن الكريم لقصة ولدَي آدم هو الفارق بين كلام الله ـ تعالى ـ وتعبير البشر عن الواقعة الواحدة، وذلك بكل ما لله ـ تعالى ـ من صفات الكمال المطلق، والعلم المحيط بكل شيء، وما للبشر من محدودية العلم، وقصور الحواس، وعرضة النسيان والنقص في كل شيء، أو الرغبة في التدليس، والتزوير في كثير من الأحيان.

11 ـ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: 31].

من الدلالات العلمية والإنبائية لهذا النص القرآني الكريم أن الغراب طائر شديد الذكاء، ومن أوضح الأدلة على ذلك أنه يدفن موتاه، ولا يتركها نهباً للجوارح من الطيور، ولغيرها من الحيوانات المفترسة، أو للتعفن والتحلل في الجو صوناً لكرامة الميت، وترفقاً بالبيئة والأحياء فيها. وقد ثبت أن الغراب يقوم بحفر الأرض بواسطة كل من مخالبه ومنقاره ليكوِّن حفرة عميقة فيها، ثم يقوم بطي جناحي الغراب الميت وضمهما إلى جنبيه، ورفعه برفق لوضعه في قبره، ثم يهيل عليه التراب حتى يخفي جسد الميت تماماً، كما يفعل المسلمون اليوم بموتاهم احتراماً لهذا الجسد حياً وميتاً.

والغراب (Crow) طائر من الجوارح، أسود اللون، خشن الصوت، يأكل الخضراوات واللحوم، وإن كان ميله لأكل اللحوم أكبر. ويعرف العلماء اليوم من أنواع الغراب أكثر من خمسة وثلاثين نوعاً، تنتشر في مختلف بيئات الأرض، وهو يتبع جنس (Corvus) وعائلة (Corvidae). وللغربان قدرة فريدة على صناعة الأدوات الحجرية لاستخدامها في الحفر، وفي التنقيب على الحشرات في شقوق الأرض لافتراسها والتغذي عليها، كما تستخدم الأدوات الحجرية في حفر القبور من أجل دفن موتاها.

وقد ثبت علمياً ـ بالدراسة والملاحظة ـ أن الغراب هو أذكى الطيور وأمكرها على الإطلاق، ولا يدانيه في الذكاء والمكر إلَّا بعض الببغاوات. ويعلل ذلك بأن الغراب يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنسبة إلى حجم الجسم

في كل الطيور المعروفة، والتي يقدَّر عددها بأكثر من عشرة آلاف نوع، ويقدر عدد أفرادها بعشرات البلايين. ولذلك تظهر علامات الذكاء المتميز على الغراب من مجالات مثل مجالات المعرفة، الإدراك، الذاكرة، القدرة على الاتصال، التحايل على حل المشكلات، بناء مجتمعات دقيقة التنظيم، والقيام بالعديد من الأعمال الجماعية (من مثل الصيد، والدفاع، والرعاية للصغار، واللعب، والبناء للأعشاش، والمحاكمات الجماعية) والقدرة على المحاكاة، والفضول وحب الاستطلاع، وشدة اليقظة والانتباه، وقوة الملاحظة، والقدرة على التحايل في اختطاف الطعام وفي طرائق إخفائه، وعلى التمييز في التعامل بين القريب والغريب.

فقد شوهدت الغربان وهي تلقي على الطرق العامة ما لم تستطع فتحه من الثمار والأصداف الصلدة مثل جوز الهند، وأصداف بلح البحر، وبعض الحيوانات الكبيرة الحجم مثل السنجاب كي تقوم السيارات المارة بدهسها وإعدادها لقمة سائغة لها. كذلك شوهدت الغربان وهي تقلد الصيادين في عمليات صيد السمك بمهارة فائقة، وفي ترطيب الطعام الجاف بالماء.

وللغربان محاكم تلتزم قوانين العدالة الفطرية، تحاكم الجماعة فيها أي فرد يخرج على نظامها من مثل محاولات التعدي على حرمات غراب آخر من أنثى، أو بيض، أو فراخ أو عش، أو طعام. ولكل جريمة من هذه الجرائم عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها، ففي حالة اغتصاب طعام الفراخ الصغار تقوم جماعة الغربان بنتف ريش الغراب المعتدي حتى يصبح عاجزاً عن الطيران كالفراخ الصغار قبل اكتمال نمو ريشها. وفي حالة اغتصاب العش وتهدمه في مراحل الدفاع عنه تكتفي محكمة الغربان بإلزام المعتدي ببناء عش جديد لصاحب العش المعتدى عليه. وقد يُتْبَعُ ذلك بالطرد من الجماعة إذا تكررت الأخطاء من هذا النوع. وفي حالة اغتصاب أنثى غراب آخر فإن جماعة الغربان تقضي بقتل المعتدي ضرباً بمناقيرها حتى الموت.

وتنعقد محاكم الغربان عادةً في حقل من الحقول الزراعية أو في أرض فضاء واسعة، تتجمع فيه هيئة المحكمة في الوقت المحدد، وينحى الغراب المتهم تحت حراسة مشددة، وتبدأ محاكمته فينكس رأسه، ويخفض جناحيه، ويمسك عن النعيب اعترافاً بذنبه.

فإذا صدر الحكم بالإعدام، وثبت جماعة الغربان على المذنب توسعه تمزيقاً بمناقيرها الحادة حتى الموت، وحينئذٍ يحمله أحد الغربان بمنقاره ليحفر له قبراً يتواءم مع حجم جسده، يضع فيه جسد الغراب القتيل بعد ضم جناحيه إلى جنبيه وإرقاده في قبره ثم يهيل عليه التراب احتراماً لحرمة الموت.

وهكذا تقيم الغربان العدل الإلٰهي في الأرض أفضل مما يقيمه كثير من بني الإنسان. وتطبيق العدل عند الغربان هو من الأمور الغريزية الفطرية، لأنها لا تشرع لنفسها، ولكنها تتحرك بفطرتها المسلمة بأن الحاكمية للَّه وحده. والتشريع هو أهم بنود الحاكمية، لأن المشرع هو الله ﷻ، الذي شرع لكل الخلائق، وغرس شريعته في جبلة كل مخلوق غير مكلف، حتى أصبح العدل الإلٰهي جزءًا لا يتجزأ من تكوينه وفطرته. أما الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكلف إذا لم يكن ملتزماً بشرع الله فإنه يحاول التشريع من عنده بعلمه المحدود، وقدراته المحدودة في محاولة لإقامة عدل نسبي من عنده فظلم نفسه وظلم غيره كثيراً، وملأ الأرض جوراً وفساداً.

والغربان من الطيور آكلة كل من النبات والحيوان، وإن كان ميلها لأكل الحيوان أكبر، فهي تأكل الحبوب والثمار، والفراشات، والجراد، والضفادع، والفئران، والبيض، وفراخ الطيور الأخرى، كما تأكل النفايات والجيف، وبذلك تلعب دوراً مهماً في تنظيف وتطهير البيئة. وفي كل عام تزيل الغربان وأشباهها من الطيور الجارحة آلاف الأطنان من الجيف المتجمعة على الأرض، وملايين الحشرات والديدان، خاصةً الحشرات الوبائية التي تصيب العديد من المحاصيل الزراعية فتحد من انتشارها.

وعلى الرغم من هذه الميزات العديدة للغربان فقد درج بعض الناس على التشاؤم من رؤيتها، وذلك بسبب التقاطها البذور المبذورة في الأرض من قبل إنباتها، أو قضائها على بعض المحاصيل الزراعية من قبل جمعها، أو أثناء وجود تلك المحاصيل في مراحل الدرس والتذرية، وبسبب افتراس الغربان لبعض الحيوانات الأليفة مثل الدجاج وفراخه وبيضه.

والغربان تجمع في ما يسمى باسم طائفة الطيور (Class aves)، وهي طائفة من الحيوانات الفقارية تتميز بالريش الذي يغطي جسمها، وبوجود عدد من أجهزة العزل الحراري الجيد. ويعمل الريش على تجميع الهواء بداخله، وتدفئته ليساعد بذلك على حفظ درجة حرارة الجسم التي تتميز بالثبات، وبالارتفاع إلى ما هو أعلى من درجة حرارة جسم الإنسان بعدة درجات. ولتحقيق ذلك جعل الله - تعالى - للطيور عدداً من الأكياس الهوائية بالإضافة إلى الرئتين، وتنتشر هذه الأكياس في مختلف أجزاء جسم الطائر (بما في ذلك العظام الكبيرة) مما يعين على تخفيف وزنه، ومساعدته على الطيران، كما يزيد من حجم الحيز المتوافر لتخزين الهواء إلى عشرة أضعاف حجم الرئتين، ويساعد على الاحتفاظ بدرجة حرارة ثابتة في داخل جسم الطائر. كذلك فإن مرور كميات كبيرة من الأكسجين المصاحب لهذا الهواء يعين على ارتفاع معدل التمثيل الغذائي، وعلى دوران الدم بشكل سريع وفعال في الجسم، ويحفظ الدم المؤكسد بعيداً عن الدم غير المؤكسد، مما يعين بعض الطيور على العيش في المناطق الباردة والمتجمدة. وهناك أكثر من عشرة بلايين طائر بري تعيش على مختلف قارات الأرض، بالإضافة إلى بلايين الطيور البحرية التي تعيش على محيطاتها وعلى الجزر المنتشرة في تلك المحيطات.

وتتميز الطيور عموماً بالعيون التي وهبها الله (تعالى) القدرة على الرؤية من ارتفاعات شاهقة ولمسافات شاسعة. كذلك تتميز الطيور بعدد من مراكز التنظيم الحركي على درجة كبيرة من الكفاءة، ويتضح ذلك في الغراب بشكل خاص.

ويرجع تاريخ الطيور على الأرض إلى نحو 150 مليون سنة مضت (في العهد الجوري المتأخر)، وإن لم تنتشر انتشاراً واسعاً إلَّا في العهد الطباشيري المتأخر (أي منذ تسعين مليون سنة مضت تقريباً). ولم تخلق الطيور الحديثة إلَّا منذ ستين (60) مليون سنة فقط تقريباً (أي في العهد القديم لفجر الحياة الحديثة) أو ما يعرف باسم الپاليوسين (Paleocene period)، ولم تنتشر انتشاراً واسعاً إلَّا في عهد الإيوسين (Eocene period) أي: منذ خمسة وخمسين مليون سنة مضت.

وعلى ذلك فالغراب سابق في وجوده للإنسان على الأرض بأكثر من 55 مليون سنة على أقل تقدير، وسابق لغيره من الطيور بذكائه وملكاته الفطرية التي وهبه إياها الله، ولذلك كان من الحق له أن يقف من ابني آدم موقف المعلم الذي علم «قابيل» قاتل أخيه «هابيل» كيفية دفن أول قتيل من بني آدم. والدفن في التراب بالإضافة إلى ما فيه من تكريم للميت، يمنع انتشار الكثير من الأمراض والأوبئة، ويحافظ على نظافة البيئة وطهارتها.

ومن صور ذكاء الطيور بصفة عامة ـ وذكاء الغربان بصفة خاصة ـ تلك القدرة الفائقة للطيور المهاجرة في التعرف على أماكن كل من فقسها وتربيتها، والعودة إلى كل منها مهما كانت أبعاد المسافات بينها. وما زالت البحوث العلمية دائبة على دراسة نظم هجرة الطيور، في محاولة لفهم الطرق التي تتعرف بها على الاتجاهات في مثل هذه الرحلات الطويلة. والمراقبون للطيور والدارسون لسلوكها لا يستطيعون تفسير عملية تواجد أعداد الطيور من نوع معين في مكان محدد، في زمن محدد من أزمنة السنة، وبقاء هذا العدد ثابتاً ثباتاً نسبياً. ولا يستطيعون تفسير كيفية تحديد مناطق النفوذ لكل نوع من أنواع الطيور.

ومعظم الطيور ـ ومنها الغربان ـ لها أرض خاصة لجمع الغذاء أو الصيد، غير الأرض التي تعيش فيها. وعادةً ما تكون أرضاً مألوفة لها، تمتد على مساحة من عشرات إلى مئات الكيلومترات المربعة، لا تغيرها إلَّا مع تغير الظروف البيئية، وتأثير ذلك على وفرة الطعام.

والطيور في تحركها من أوكارها إلى مناطق صيدها أو رعيها، أو في هجراتها المختلفة تعتمد على اتجاه الرياح، وعلى غير ذلك من الظروف الجوية، كما تعتمد على كل من موقع الشمس، والمجالات المغناطيسية للأرض. وهذا يعني وجود ساعة حياتية تعطي للطائر إحساساً بالوقت وبالتغيرات الفصلية، كالتغير النسبي في طول كل من النهار والليل مع تغير الفصول المناخية. ويبقى هذا التوازن ثابتاً حتى تحت ظروف التجارب المصطنعة كالظلام المستمر أو النور المستمر.

والطيور ـ ومنها الغربان ـ كما تستخدم حواسها المختلفة في التوجيه كالنظر الحاد، والشم لأقل نسب من الروائح، والإحساس بفروق درجات الحرارة، وغير ذلك، من المتغيرات المناخية، فإنها تتأثر بالمجال المغناطيسي للأرض، وبأية تغيرات فيزيائية أو كيميائية أخرى في غلافها الغازي.

والغراب ـ كغيره من الطيور ـ له قدرة فائقة على تحويل وسائل إدراكه من حاسة إلى أخرى بمنتهى السهولة، وذلك بالإلهام والفطرة (Instinct)، وبالتوجيه (Orientation)، وبالتعود (Habitation)، وبخاصية من مثل خاصية الارتباط بالجماعة أو التعلم من الجماعة (Learning by Association)، والتعلم بالتمييز بين الأشياء (Learning by Discrimination)، والتعلم بالتجربة والخطأ (Learning by Trial and Error)، والتعلم بحل المشكلات (Learning by Problem-Solving)، وبالانطباع في الذاكرة (Memory Imprinting)، أو بتأثير البيئة المثالية للنوع (Effect of the Species-Typical Environment). وهذا كله يؤكد أن الطيور ـ ومنها الغربان ـ لها عقل، وذاكرة، وقدرات إدراكية واعية تحكم سلوكها الاجتماعي بالتعاون، والمنافسة، والتأقلم، ولها مهارات اتصال فائقة. (Excellent Communication Skills) منها الاتصال الصوتي اللفظي، والسمعي، والبصري، والإشاري، واللوني (أي بتغيير الألوان) وبالتحفيز المتبادل، أو بالإثارة المتبادلة (Reciprocal Stimulation).

وبتطبيق هذه المهارات على مدى يزيد على 55 مليون سنة تكونت عند

الغربان حصيلة تجربة هائلة تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل حتى جاء خلق الإنسان ـ ذلك المخلوق المكرم ـ ولكنه كان قليل الخبرة في بدء الخلق فأرسل الله ـ تعالى ـ إليه غراباً يعلمه كيف يواري سوءة أخيه.

ويقرر القرآن الكريم في آيات عديدة أن الطيور تسبِّح الله ـ تعالى ـ، وهي ليست وحدها في ذلك، فجميع الكائنات الحية، بل وكل الجمادات، بل الكون (بكل ما فيه) يعبد الله ـ تعالى ـ ويحمده ويسبحه ويمجده إلَّا عصاة الإنس والجن.

كذلك يقرر القرآن العظيم أن جميع الدواب والطيور وغير ذلك من المخلوقات هي أمم كأمثال الأمم الإنسية (لها منطق ـ أي لغات ـ تتفاهم بها فيما بينها، وتقوم بتنسيق روابطها الفردية والجماعية بواسطتها). وتتمتع هذه الكائنات بقدر من الشعور والإدراك الخاص الذي يتفاوت من كائن إلى آخر، وتعاون الفطرة السليمة، والإلهام والتسخير تلك المخلوقات غير المكلفة في الثبات على منهج الله، وعدم الخروج عنه.

من هنا تتضح روعة الإشارة القرآنية إلى الغراب، **معلم الإنسان الأول كيفية الدفن الصحيح للموتى.** ويأتي العلم المكتسب ـ في قمة من عطائه ـ ليؤكد لنا أن الغراب قد وهبه الله ـ تعالى ـ من المواهب الحسية والمعنوية ما جعله أذكى الطيور على الإطلاق، وأقدرها على التحايل. وربما كان من مبررات ذلك أنه يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنسبة إلى حجم الجسم في جميع الطيور المعروفة لنا، والتي يزيد عدد أنواعها على العشرة آلاف نوع، وأن له من حدة البصر ما يمكنه من التقاط التفصيلات الدقيقة من الارتفاعات الشاهقة على مساحات تقدر بمئات الكيلومترات المربعة، وبتفاصيل تفوق قدرة الإنسان بثلاث إلى أربع مرات.

وهذه الواقعة التي تَعَلَّم فيها أحد ولدي آدم كيفية دفن الموتى من الغراب هي من جوانب الإعجاز الإنبائي في كتاب الله حيث لم يشهدها إلا «قابيل» وحده، وليس لها ذكر في أي من أسفار «العهد القديم» أو «العهد الجديد».

رابعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام في سورتين من كتاب الله هما «مريم» (56، 57)، والأنبياء (85).

● وفي سورة مريم يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: 56، 57].

أما في سورة الأنبياء فجاءت الإشارة إلى عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام على النحو التالي:

● ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ [الأنبياء: 85].

12 ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: 56، 57].

في هاتين الآيتين الكريمتين يصف الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه إدريس عليه السلام بأنه كان صدّيقاً نبيًّا. والصديق هو المؤمن إيماناً كاملاً يجعله يصدق كل ما جاءه من الحق تصديقاً لا ريبة فيه. والنبوة هي الاتصال بوحي السماء، والقيام بالتبليغ عن الله ﷻ، والجهاد في سبيله من أجل هداية الخلق إلى معرفة الحق، ومنه معرفة الله وإدراك كل من حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وحتمية مصيره من بعدها.

وكان عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام رمزاً للرفعة الإلٰهية لعبد من عباد الله، سواء كانت تلك الرفعة حسيّة أو معنويّة أو الاثنتين معاً، فقد قال عنه ابن عبَّاس رضي الله عنه: «هو أوّل نبيّ بُعث بعد آدم عليه السلام، وكان يصعد له في اليوم من العبادة ما لا يصعد

لبني آدم من أهل الأرض جميعاً ـ في زمانه ـ في السّنة، فحسده إبليس، وعصاه قومه، فرفعه الله مكاناً علياً، وأدخله الجنّة. وقد ذكره رسول الله ﷺ، في حديث الإسراء والمعراج حيث مرّ به في السماء الرابعة».

وقيل عن إدريس عليه السلام أنّه كان أوّل مَن خطّ بالقلم، وخاط الثياب، وأوّل مَن اتخذ المكاييل والموازين والأسلحة، وأوّل مَن نظر في النجوم ووضع منها حساب الزمن، ورفع وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين (365) سنة إلى السماء الرابعة (والله ـ تعالى ـ هو أعلى وأعلم).

وكان إدريس عليه السلام رمزاً لإخلاص العبادة للَّه ـ تعالى ـ والتفاني في أدائها ولذلك رفعه الله مكاناً عليًّا.

وفي تفسير قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ قيل أنَّ المقصود بذلك هو شرف النبوّة، والتكريم عند الله ـ تعالى ـ من علو الشأن، ورفعة القدر وحسن الثواب، فليس أرفع من درجة النبوّة شيء في بني آدم ـ بصفة خاصة ـ وفي خلق الله ـ بصفة عامة ـ فالأنبياء هم صفوة الله ـ تعالى ـ من خلقه، وأعلاهم مكاناً عنده.

وقيل في ذلك كلام كثير لم يثبت عن رسول الله ﷺ شيء منه، وعلى ذلك فلا حجيّة له لأنَّ الظاهر أنَّ أغلبه من الإسرائيليات، ومن ذلك ما ذكره القفطي في كتابه المعنون «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص1) من أن إدريس النبي ﷺ ولد بمصر وسموه «هرمس».

وفي «سفر التكوين» من «العهد القديم» جاء ذكر إدريس عليه السلام مرة باسم حنوك (Enoch) ابن قابيل، وحفيد آدم (التكوين: 4/ 17، 18)، ومرة أخرى باسم «أخنوخ» على أنه ابن يارد بن مهللئيل (التكوين: 5/ 18 ـ 24). وإشارة القرآن الكريم إليه تبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا ما قورنت بما جاء عنه في «العهد القديم» والذي ترجمته كما يلي:

[17] وَعَاشَرَ قَايِينُ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ وَأَنْجَبَتِ ابْناً دَعَاهُ «حَنُوكَ». وَكَانَ قَايِينُ آنَئِذٍ يَبْنِي مَدِينَةً فَسَمَّاهَا «حَنُوكَ» عَلَى اسْمِ ابْنِهِ. [18] ثُمَّ وَلَدَ حَنُوكُ عِيرَادَ، وَوَلَدَ عِيرَادُ مَحُويَائِيلَ، وَوَلَدَ مَحُويَائِيلُ مَتُوشَائِيلَ، وَوَلَدَ مَتُوشَائِيلُ لامَكَ. [19] وَتَزَوَّجَ لامَكُ امْرَأَتَيْنِ، اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ، وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ. [20] وَوَلَدَتْ عَادَةُ كُلاً مِنْ «يَابَالَ» أَوَّلِ رُعَاةِ الْمَوَاشِي وَسَاكِنِي الْخِيَامِ. [21] وَأَخِيهِ يُوبَالَ أَوَّلِ الْعَازِفِينَ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ. [22] وَوَلَدَتْ صِلَّةُ «تُوبَالَ قَايِينَ» أَوَّلَ صَانِعِي آلاتِ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ. كَمَا وَلَدَتْ «نَعْمَةَ» أُخْتَ تُوبَالَ قَايِينَ. [23] وَقَالَ لامَكُ لِزَوْجَتَيْهِ: «يَاعَادَةُ وَصِلَّةُ، اسْمَعَا قَوْلِي، يَازَوْجَتَيْ لامَكَ أَصْغِيَا لِكَلامِي، إِنِّي قَتَلْتُ رَجُلاً جَرَحَنِي وَشَابّاً كَسَرَنِي. [24] فَإِنْ كَانَ يُنْتَقَمُ لِقَايِينَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ، فَإِنَّهُ يُنْتَقَمُ لِلامَكَ سَبْعَةً وَسَبْعِينَ ضِعْفاً».

[17] Cain lay with his wife, and she became pregnant and gave birth to Enoch. Cain was then building a city, and he named it after his son Enoch. [18] To Enoch was born Irad, and Irad was the father of Mehujael, and Mehujael was the father of Methushael, and Methushael was the father of Lamech. [19] Lamech married two women, one named Adah and the other Zillah. [20] Adah gave birth to Jabal; he was the father of those who live in tents and raise livestock. [21] His brother's name was Jubal; he was the father of all who play the harp and flute. [22] Zillah also had a son, Tubal-Cain, who forged all kinds of tools out of bronze and iron. Tubal-Cain's sister was Naamah. [23] Lamech said to his wives, "Adah and Zillah, listen to me; wives of Lamech, hear my words. I have killed a man for wounding me, a young man for injuring me. [24] If Cain is avenged seven times, then Lamech seventy-seven times."

سفر التكوين (4/ 17 ـ 24)

[18] وَكَانَ عُمْرُ يَارَدَ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ أَخْنُوخَ. [19] وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِي مِئَةِ سَنَةٍ، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [20] وَمَاتَ يَارَدُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَاثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً.

[21] وَكَانَ عُمْرُ أَخْنُوخَ خَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ مَتُوشَالَحَ. [22] ثُمَّ عَاشَ أَخْنُوخُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلاثَ مِئَةِ سَنَةٍ سَارَ فِيهَا مَعَ اللهِ. وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [23] وَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاثَ مِئَةٍ وَخَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً. [24] وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، ثُمَّ تَوَارَى مِنَ الْوُجُودِ، لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ إِلَيْهِ.

[18] When Jared had lived 162 years, he became the father of Enoch. [19] And after he became the father of Enoch, Jared lived 800 years and had other sons and daughters. [20] Altogether, Jared lived 962 years, and then he died.

[21] When Enoch had lived 65 years, he became the father of Methuselah. [22] And after he became the father of Methuselah, Enoch walked with God 300 years and had other sons and daughters. [23] Altogether, Enoch lived 365 years. [24] Enoch walked with God; then he was no more, because God took him away.

سفر التكوين (5/ 18 ـ 24)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 117 ـ 120]

خامساً: من الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه نوح عليه السلام

يعتبر نوح عليه السلام أوّل مَن بلغنا خبره من أنبياء الله بعد كلّ من آدم وإدريس عليهما السلام، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم (43) مرة، في ثمان وعشرين سورة من سور هذا الكتاب العزيز، وسميت باسمه إحدى سوره وهي (سورة نوح) ورقمها (71) في المصحف الشريف، وهو أوّل مَن نعرف من أُولي العزم من الرّسل.

أُرْسِلَ نوح عليه السلام إلى قومه، وكانوا يعيشون على أرض العراق بين نهري دجلة والفرات. ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي. وبعد عشرة قرون من زمن آدم عليه السلام كان الناس فيها على التوحيد الخالص للّه، جاء الشيطان فاجتال قوم نوح عن دينهم، وأغراهم بالشرك وبعبادة الأصنام، فتبعوه حتى عمَّ الفساد.

بُعِثَ نوح عليه السلام إلى قومه، ولبث في دعوتهم (950) عاماً، وعلى الرّغم من طول هذه المدة لم يؤمن من قومه إلّا أقل القليل، وفي ذلك يأمر ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن يُذكِّر قومه بما نزل بقوم نوح من عذاب فيقول:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: 71 ـ 73].

ويفصل ربنا ﷻ حوار نوح مع قومه وتلطّفه معهم، وجفاءهم وغلظتهم في الرد عليه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: 25 ـ 31].

ويعاود القرآن الكريم إلى ذكر تبجّح الكفّار والمشركين من قوم نوح في الردّ على دعوته، واستكبارهم عليه، واستعجالهم نزول عذاب الله بهم فيقول:

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود: 32 ـ 35].

وتصف الآيات لحظة الأمر الإلٰهي إلى نوح عليه السلام بصناعة السفينة التي سوف ينجيه الله ـ تعالى ـ والذين آمنوا معه فيها وقت الطوفان، وسخرية الكفّار والمشركين من قومه على هذا الصنيع العجيب فتقول:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 36 ـ 40].

ثم يأتي وصف لحظة المفارقة بين إنجاء نوح عليه السلام والقلة القليلة من الذين آمنوا معه، وإغراق الكفار والمشركين من قومه بحادثة الطوفان التي كانت إحدى المعجزات الكبرى في تاريخ الأرض ويرويها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: 40 ـ 47].

والتنور الذي أشارت إليه الآيات في سورة «هود» هو البركان الذي قذف بكميّات هائلة من بخار الماء ليغذي السحُب الممطرة. ويبدو أن تلك الثورة البركانية الهائلة قد صحبتها هزات أرضية عنيفة دفعت بتيارات الماء إلى ارتفاعات هائلة حملت سفينة نوح إلى الرسو على سفح جبل الجودي الذي يزيد ارتفاعه على ألفي متر (سبعة آلاف قدم).

وفي مقام آخر يستعرض القرآن الكريم قصّة نوح عليه السلام مع قومه، ورفضهم دعوته، واستكبارهم على الحق الذي جاءهم به، رغم أدبه في دعوتهم، وفي تبيان حجّته لهم، ورغم تعدّد أساليب ذلك فيقول:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ

يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: 1 ـ 9].

وفي وصف البغاة من قوم نوح يقول ربنا ـ تعالى ـ:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذّاريات: 46].

وفي وصف استعلاء الكافرين من قوم نوح وصلفهم يقول ربنا ـ وقوله الحقّ ـ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: 59 ـ 64].

ونظراً لكفر قوم نوح برسالته، بعد كل مواعظه التي أسداها لهم على فترة طويلة من الزمن، فإنَّه شكا إلى ربّه مكرهم وإصرارهم على الشرك، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: 21 ـ 24].

ثم دعا نوح على الكفّار والمشركين من قومه بعد يأسه من هدايتهم، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: 26، 27].

واستجاب الله ـ تعالى ـ لدعاء عبده ونبيه نوح، وأمر بإغراق الكافرين من قومه، ولذلك أمره ببناء السفينة التي سوف ينجّيه الله ﷻ فيها هو ومَن آمن معه، وما اصطحبه من صنوف النبات والحيوان.

وتلخّص الآيات في سورة «الشعراء» قصّة نوح عليه السلام مع قومه فتقول:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء: 105 ـ 122].

وجاء الطوفان عقاباً للكفّار والمشركين من قوم نوح فقضى عليهم، ونجّى الله عبده نوحاً والذين آمنوا معه من واحدة من أخطر الكوارث التي نزلت بالأرض، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 48، 49].

ويذكّرنا القرآن الكريم بحقيقة أنّ نوح عليه السلام لبث يدعو قومه لفترة طويلة من الزمن، ممّا يشير إلى طول أعمار البشر في الأزمنة الغابرة فيقول:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 14، 15].

وتصف الآيات أنَّ عملية إغراق الكافرين من قوم نوح كانت نتيجة تكذيبهم لنبيّهم، وأنَّ إغراقهم كان بالماء العذب فتقول:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 9 ـ 17].

وتشير الآيات في سورة الأنبياء إلى ضخامة الشدائد التي لقيها نوح عليه السلام في مواجهة الكفّار والمشركين من قومه فتقول:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: 76، 77].

وتشير الآيات في سورة «المؤمنون» إلى دعوة نوح عليه السلام قومه برفق شديد، وإلى صلفهم في الردّ عليه، واتّهامهم إيّاه بالجنون، وتسجل شكواه إلى الله منهم، وتنجية الله ـ تعالى ـ له وللقلّة التي آمنت معه، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون: 23 ـ 31].

وكجميع ما جاء في القرآن من قصص فإنَّ لقصّة عبد الله ونبيه نوح عليه السلام رسالة ذات ثلاث شعب أوّلها استخلاص الدروس والعبر من القصة، وثانيها ضرورة استخدام التحقيق الموضوعي للقصّة جغرافيًّا وتاريخيًّا وعلميًّا في الدعوة إلى دين الله في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، وثالثها إثبات دقّة حفظ القرآن الكريم وضياع أُصول كل صور الوحي السابقة على نزوله (بلا استثناء).

أوَّلاً: الدروس المستفادة من إيراد قصّة نوح عليه السلام في القرآن الكريم:

1 ـ **التأكيد على وحدة رسالة السماء القائمة على الدعوة إلى الإيمان بالله** الواحد الأحد، الفرد الصمد، وعلى الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبحقيقة الوحي الذي ينزله الله تعالى هداية لعباده، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك اسمه ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

والتأكيد كذلك على أن الإنسان بدأ عالماً عابداً ثم أغواه الشيطان بالشرك فأشرك بالله، وعبد الأصنام والأوثان، كما عبد النجوم والكواكب، وأن أول الشرك كان في قوم نوح بعد عشرة أجيال من التوحيد الخالص بين كل من آدم ونوح عليهما السلام، وأن قوم نوح أشركوا بعبادة كل من «ود» و«سواع» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر».

وذكر الطبري بسنده عن محمَّد بن قيس أنَّ هذه الأسماء كانت أسماء أقوام صالحين من قوم نوح، فلمَّا ماتوا صوَّر الشيطان لنفر من بعدهم أن يضعوا لهم

نصباً أمام البيوت التي عاشوا فيها ويلبسوها شيئاً من ثيابهم لعلّهم يتذكّرونهم، فيعملوا بأعمالهم. وقالوا: لو صوّرناهم كانوا أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوَّروهم، وظلَّ الناس يتقرّبون إليهم حتى عبدوهم من دون الله، والشيطان يوسوس إليهم أنَّ أسلافهم كانوا يعبدونهم ويسقطون بهم المطر، ومن هنا نشأت فكرة الوثنيّة وعبادة الأصنام والأوثان من دون الله ـ تعالى ـ وقد ظلّت هذه الأسماء معروفة في جزيرة العرب طوال زمن الجاهليّة.

2 ـ **التأكيد على وحدانية الخالق ﷻ**، والتحذير من الكفر أو الشرك به، وأن هذه كانت دعوة كل نبي من أنبياء الله، وكل رسول من رسله، وفي ذلك يقول الحق ـ جلّ شأنه ـ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: 23].

3 ـ **ضرورة استخدام التحقيق الموضوعي للقصة** في الدعوة إلى دين الله:

فقد جاءت قصّة طوفان نوح عليه السلام في «العهد القديم» كما جاءت في القرآن الكريم، والذي يقرأ القصّتين بشيء من الموضوعيّة والحيدة يدرك الفرق جليًّا بين كلام البشر وحديث ربّ العالمين. وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما جاء في الإصحاح الثاني من «سفر التكوين» أنَّ الطوفان قد عمَّ الأرض جميعها، وغمر قمم الجبال بأكثر من عشرين قدماً، والدراسات المتأخرة تثبت أنَّه أغرق المنطقة بين نهري دجلة والفرات فقط، إلى حدود الجبال المحيطة بهذين النهرين؛ ومن جبال جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي حيث كان يقطن قوم نوح. كذلك ذكر «العهد القديم» أنَّ سفينة نوح عليه السلام رست فوق «جبل أراراط»، وظلَّ كل الناس يرددون هذا الزعم إلى يومنا هذا. ولكن في سنة 1980م أثبت الأثري دكتور تشارلز ويليس (Dr. Charles Willis). أنَّ الموقع الصحيح الذي وجدت فيه بقايا سفينة نوح هو «جبل الجودي» (Mount Cudi or Judy Dagh) على بعد 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أراراط». و«جبل الجودي» يمثّل قمة عالية في سلسلة جبال

جنوب تركيا إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: 44].

ويذكر سفر التكوين أنَّ عموم الأرض كان قد أغرق بالطوفان، وأنَّ الماء علا قمم الجبال 15 ذراعاً، ونتيجة ذلك أُبيدت كل صور الحياة من إنسان ووحش وطير ودبابات على وجه الأرض، بينما يؤكّد القرآن الكريم على إغراق العاصين من قوم نوح فقط، وكانت فيهم كل من امرأته وأحد أبنائه. وكذلك يؤكد القرآن الكريم على ضرورة حفظ سفينة نوح حتى تبقى آية لمكتشفيها إلى يوم الدين فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾ [القمر: 13 ـ 15].

وأكد القرآن الكريم ذلك في مقام آخر بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾ [العنكبوت: 15].

والآيات القرآنية الكريمة تؤكد كذلك أنَّ الله ـ تعالى ـ جعل ذرية كل من نوح ومن نجا معه هم الباقين، وقوانين الوراثة تؤكّد ذلك وتدعمه.

4 ـ **التأكيد على تحقيق الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة**، وهو من سنن الله الجارية في الحياة الدنيا دون توقف أو تخلف أو تعطل:

فقد بيّنت قصّة نوح عليه السلام ما اقترف قومه من ذنوب ومعاصي عديدة، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ في الدنيا بذنوبهم، وتوعّدهم بعذاب الآخرة، وهو أشد وأنكى. وفي المقابل كانت نجاة نوح والذين آمنوا معه بمعجزة كبرى، ضرباً من التكريم الإلٰهي، ويؤكد القرآن الكريم أنَّ أجرهم في الآخرة أعظم وأوفى، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: 37].
- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 49].
- ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: 116].
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: 25].
- ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: 76، 77].
- ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: 32، 33].
- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: 73].

وبذلك تؤكد الآيات القرآنية الكريمة على حتمية نزول عقاب الله بالكفّار والمشركين وبالعاصين المتنطعين في الدنيا قبل الآخرة، كما تؤكد على تنجية الله - تعالى - لعباده الصالحين من كل سوء، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -.

- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء: 119، 120].

5 - **الإشارة إلى إصرار الكافرين والمشركين على كفرهم وشركهم بالرّغم** من تسليمهم بوجود الله - تعالى - ووجود ملائكته. وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: 24].

ويقول ـ عزَّ من قائل ـ:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر: 5، 6].

6 ـ **التأكيد على مرحلية الحياة الدنيا**، فهذا نوح عليه السلام كان من أطول بني آدم عمراً على الأرض، ولمّا جاءه ملك الموت بعد أن عاش لأكثر من ألف سنة سأله: كيف رأيت الدنيا؟ قال نوح عليه السلام مثل رجل بنى بيتاً له بابان فدخل من أحدهما وخرج من الآخر.

7 ـ **التأكيد على حقيقة كل من الغيب المرحلي، والغيب المطلق**، فقصة نوح عليه السلام من أمور الغيب المرحلي، فلم يكن يعلم بها خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتيه الوحي بها، ولم يكن يعلم بها أحد من قومه، ولم يكن الأمر متداولاً في زمانه، ولذلك يبقى الإخبار بهذه القصة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

8 ـ **الإشارة إلى أنَّه ليس بالضرورة أن يخرج الأبناء على مثال أبويهم، ولا أن تتبع الزوجة زوجها الصالح حتى ولو كان نبياً مرسلاً**، فهذا ولد نوح يعصي أباه ويرفض النجاة معه في الفلك، وهو يعلم أنَّ أباه نبيّ مرسل، وكذلك فعلت زوجة نوح، وعلى ذلك فإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: 10].

وفي «سفر التكوين» من العهد القديم جاءت قصة عبد الله ونبيه نوحاً عليه السلام بالنص الذي ترجمته ما يلي:

From Adam to Noah

5 This is the written account of Adam's line. When God created man, he made him in the likeness of God. [2]He created them male and female and blessed them. And when they were created, he called them "man."

[3]When Adam had lived 130 years, he had a son in his own likeness, in his own image; and he named him Seth. [4]After Seth was born, Adam lived 800 years and had other sons and daughters. [5]Altogether, Adam lived 930 years, and then he died.

[6]When Seth had lived 105 years, he became the father of Enosh. [7]And after he became the father of Enosh, Seth lived 807 years and had other sons and daughters. [8]Altogether, Seth lived 912 years, and then he died.

[9]When Enosh had lived 90 years, he became the father of Kenan. [10]And after he became the father of Kenan, Enosh lived 81 years and had other sons and daughters. [11]Altogether, Enosh lived 905 years, and then he died.

[12]When Kenan had lived 70 years, he became the father of Mahalalel. [13]And after he became the father of Mahalalel, Kenan lived 840 years and had other sons and daughters. [14]Altogether, Kenan lived 910 years, and then he died.

[15]When Mahalalel had lived 65 years, he became the father of Jared. [16]And after he became the father of Jared, Mahalalel lived 830 years and had other sons and daughters. [17]Altogether, Mahalalel lived 895 years, and then he died.

[18]When Jared had lived 162 years, he became the father of Enoch. [19]And after he became the father of Enoch, Jared lived 800 years and had other sons and daughters. [20]Altogether, Jared lived 962 years, and then he died.

[21]When Enoch had lived 65 years, he became the father of Methuselah. [22]And after he became the father of Methuselah, Enoch walked with God 300 years and had other sons and daughters. [23]Altogether, Enoch lived 365 years. [24]Enoch walked with God; then he was no more, because God took him away.

ذرية آدم

٥ هَذَا سِجِلُّ بِمَوَالِيدِ آدَمَ. يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ، صَنَعَهُ اللهُ عَلَى مِثَالِهِ. [2]وَقَدْ خَلَقَهُ ذَكَراً وَأُنْثَى. وَيَوْمَ خَلَقَهُ، بَارَكَهُ وَسَمَّاهُ آدَمَ. [3]كَانَ عُمْرُ آدَمَ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ وَلَداً كَشَبَهِهِ وَمِثَالِهِ، وَسَمَّاهُ شِيثاً. [4]وَعَاشَ آدَمُ بَعْدَ مَوْلِدِ شِيثٍ ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [5]وَمَاتَ آدَمُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَثَلاَثُونَ سَنَةً.

[6]كَانَ عُمْرُ شِيثٍ مِئَةً وَخَمْسَ سَنَوَاتٍ عِنْدَمَا أَنْجَبَ أَنُوشَ. [7]وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سَنَوَاتٍ، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [8]وَمَاتَ شِيثُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَاثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً.

[9]وَكَانَ عُمْرُ أَنُوشَ تِسْعِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ قِينَانَ. [10]وَعَاشَ أَنُوشُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [11]وَمَاتَ أَنُوشُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَخَمْسُ سَنَوَاتٍ.

[12]وَكَانَ عُمْرُ قِينَانَ سَبْعِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ مَهْلَلْئِيلَ. [13]وَعَاشَ قِينَانُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [14]وَمَاتَ قِينَانُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَعَشْرُ سَنَوَاتٍ.

[15]وَكَانَ عُمْرُ مَهْلَلْئِيلَ خَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ يَارِدَ، [16]وَعَاشَ مَهْلَلْئِيلُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [17]وَمَاتَ مَهْلَلْئِيلُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِي مِئَةٍ وَخَمْسٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

[18]وَكَانَ عُمْرُ يَارِدَ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ أَخْنُوخَ. [19]وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وُلِدَ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [20]وَمَاتَ يَارِدُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَاثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً.

[21]وَكَانَ عُمْرُ أَخْنُوخَ خَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ مَتُوشَالَحَ. [22]ثُمَّ عَاشَ أَخْنُوخُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ سَارَ فِيهَا مَعَ اللهِ، وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. [23]وَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً. [24]وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، ثُمَّ تَوَارَى عَنِ الْوُجُودِ، لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ إِلَيْهِ.

Methuselah and Noah

[25]When Methuselah had lived 187 years, he became the father of Lamech. [26]And after he became the father of Lamech, Methuselah lived

متوشالح ونوح

[25]وَكَانَ عُمْرُ مَتُوشَالَحَ مِئَةً وَسَبْعاً وَثَمَانِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ لاَمَكَ. [26]وَعَاشَ مَتُوشَالَحُ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ

782 years and had other sons and daughters. [27]Altogether, Methuselah lived 969 years, and then he died. [28]When Lamech had lived 182 years, he had a son. [29]He named him Noah and said, "He will comfort us in the labor and painful toil of our hands caused by the ground the LORD has cursed." [30]After Noah was born, Lamech lived 595 years and had other sons and daughters. [31]Altogether, Lamech lived 777 years, and then he died.

[32]After Noah was 500 years old, he became the father of Shem, Ham and Japheth.

سنة، وُلِدَ لهُ فيها بنونَ وبناتٌ. [٢٧]ومات متوشالح ولهُ من العمر تسع مئة وتسع وستون سنة. [٢٨]كان عمر لامك مئة واثنتين وثمانين سنة عندما أنجب ابناً، [٢٩]فسماه نوحاً قائلاً: «هذا يعزينا عن أعمالنا ومشقة أيدينا في الأرض التي لعنها الرب». [٣٠]وعاش لامك خمس مئة وخمساً وتسعين سنة بعد ولادة نوح، وُلِدَ لهُ فيها بنون وبنات [٣١]ومات لامك ولهُ من العمر سبع مئة وسبع وسبعون سنة.

[٣٢]كان عمر نوح خمس مئة سنة عندما أنجب ساماً وحاماً ويافث.

Noah Builds an Ark

6 When men began to increase in number on the earth and daughters were born to them, [2]the sons of God saw that the daughters of men were beautiful, and they married any of them they chose. [3]Then the LORD said, "My Spirit will not contend with man forever, for he is mortal; his days will be a hundred and twenty years."

[4]The Nephilim were on the earth in those days–and also afterward–when the sons of God went to the daughters of men and had children by them. They were the heroes of old, men of renown.

نوح يصنع فلكاً

٦ وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض ووُلِدَ لهم بنات، [٢]انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات، فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم. [٣]فقال الرب: «لن تمكث روحي مجاهداً في الإنسان إلى الأبد، هو بشري زائغ، لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط». [٤]وفي تلك الحقبة، كان في الأرض جبابرة. وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم.

God's Punishment of Mankind

[5]The LORD saw how great man's wickedness on the earth had become, and that every inclination of the thoughts of his heart was only evil all the time. [6]The LORD was grieved that he had made man on the earth, and his heart was filled with pain. [7]So the LORD said, "I will wipe mankind, whom I have created, from the face of the earth–men and animals, and creatures that move along the ground, and birds of the air–for I am grieved that I have made them." [8]But Noah found favor in the eyes of the LORD.

[9]This is the account of Noah. Noah was a righteous man, blameless among the people of his time, and he walked with God. [10]Noah had three sons: Shem, Ham and Japheth. [11]Now the earth was corrupt in God's sight and was full of violence. [12]God saw how corrupt the earth had become, for all the people on earth had corrupted their ways.

[13]So God said to Noah, "I am going to put an end

عقاب الله للبشرية

[٥]ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور فكر قلبه يتسم دائماً بالإثم. [٦]فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان. [٧]وقال الرب: «أمحو الإنسان الذي خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء، لأني حزنت أني خلقتهم». [٨]أما نوح فقد حظي برضى الرب.

[٩]وهذا سجل مواليد نوح. كان نوح صالحاً كاملاً في زمانه، وسار نوح مع الله. [١٠]وأنجب نوح ثلاثة أبناء هم سام وحام ويافث. [١١]وإذ ساد الشر الأرض أمام الله وعمها الظلم، [١٢]نظر الله وإذا بها فاسدة لأن كل بشر على الأرض قد سلك في طريق الإثم.

[١٣]فقال الله لنوح: «قد أزفت نهاية البشر جميعاً أمامي، لأنهم

to all people, for the earth is filled with violence because of them. I am surely going to destroy both them and the earth. [14]So make yourself an ark of cypress wood; make rooms in it and coat it with pitch inside and out. [15]This is how you are to build it: The ark is to be 450 feet long, 75 feet wide and 45 feet high. [16]Make a roof for it and finish the ark to within 18 inches of the top. Put a door in the side of the ark and make lower, middle and upper decks. [17]I am going to bring floodwaters on the earth to destroy all life under the heavens, every creature that has the breath of life in it. Everything on earth will perish. [18]But I will establish my covenant with you, and you will enter the ark–you and your sons and your wife and your sons' wives with you. [19]You are to bring into the ark two of all living creatures, male and female, to keep them alive with you. [20]Two of every kind of bird, of every kind of animal and of every kind of creature that moves along the ground will come to you to be kept alive. [21]You are to take every kind of food that is to be eaten and store it away as food for you and for them." [22]Noah did everything just as God commanded him.

ملأوا الأرض ظلماً. لذلك سأبيدهم مع الأرض. [١٤]ابن لك فلكاً من خشب السرو، واجعل فيه غرفاً تطليها بالزفت من الداخل والخارج. [١٥]اصنعه على هذا المثال، ليكن طوله ثلاث مئة ذراع (نحو مئة وخمسة وثلاثين متراً)، وعرضه خمسين ذراعاً (نحو اثنين وعشرين متراً ونصف المتر) وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (نحو ثلاثة عشر متراً ونصف المتر). [١٦]واجعل له نافذة على انخفاض ذراع (نحو خمسة وأربعين سنتيمتراً) من السقف، وباباً تقيمه في جانبه. وليكن للفلك طوابق سفلية ومتوسطة وعلوية. [١٧]فها أنا أغرق الأرض بطوفان من المياه لأبيد كل كائن حي فيها من تحت السماء. كل ما على الأرض لابد أن يموت. [١٨]ولكني سأقيم معك عهداً، فتدخل أنت مع بنيك وامرأتك ونساء بنيك إلى الفلك. [١٩]وتأخذ معك في الفلك زوجين، ذكراً وأنثى، من كل كائن حي ذي جسد، لاستبقائها معك. [٢٠]تدخل معك اثنين من كل صنف من أصناف الطيور والبهائم والزواحف على الأرض، حفاظاً على استمرار بقائها. [٢١]وتدخر لنفسك من كل طعام يؤكل وتخزنه عندك ليكون لك ولها غذاء». [٢٢]وفعل نوح تماماً بمقتضى كل ما أمر الرب به.

Entering the Ark

7 The LORD then said to Noah, "Go into the ark, you and your whole family, because I have found you righteous in this generation. [2]Take with you seven of every kind of clean animal, a male and its mate, and two of every kind of unclean animal, a male and its mate, [3]and also seven of every kind of bird, male and female, to keep their various kinds alive throughout the earth. [4]Seven days from now I will send rain on the earth for forty days and forty nights, and I will wipe from the face of the earth every living creature I have made." [5]And Noah did all that the LORD commanded him.

[6]Noah was six hundred years old when the floodwaters came on the earth. [7]And Noah and his sons and his wife and his sons' wives entered the ark to escape the waters of the flood. [8]Pairs of clean and unclean animals, of birds and of all creatures that move along the ground, [9]male and female, came to Noah and entered the ark, as God had commanded Noah.

الأمر بملء الفلك

٧ وقال الرب لنوح: «هيا ادخل أنت وأهل بيتك جميعاً إلى الفلك لأني وجدتك وحدك صالحاً أمامي في هذا الجيل. [٢]خذ معك من كل نوع من الحيوانات الطاهرة سبعة ذكور وسبع إناث، وزوجين ذكراً وأنثى من كل نوع من الحيوانات الأخرى غير الطاهرة. [٣]وخذ معك أيضاً من كل نوع من الطيور سبعة ذكور وسبع إناث لاستبقاء نسلها على وجه كل الأرض. [٤]فإني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً، ليلاً ونهاراً، فأمحو عن وجه الأرض كل مخلوق حي». [٥]وفعل نوح بموجب كل ما أمره الرب به.

[٦]وكان عمر نوح ست مئة سنة عندما حدث طوفان الماء على الأرض. [٧]فدخل نوح إلى الفلك مع زوجته وأبنائه وزوجاتهم (لينجوا) من مياه الطوفان. [٨]وكذلك الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة، والطيور والزواحف، [٩]دخلت مع نوح إلى الفلك زوجين زوجين، ذكراً وأنثى، كما أمر الله نوحاً.

The Flood

[10]And after the seven days the floodwaters came on the earth. [11]In the six hundredth year of Noah's life, on the seventeenth day of the second month– on that day all the springs of the great deep burst forth, and the floodgates of the heavens were opened. [12]And rain fell on the earth forty days and forty nights. [13]On that very day Noah and his sons, Shem, Ham and Japheth, together with his wife and the wives of his three sons, entered the ark. [14]They had with them every wild animal according to its kind, all livestock according to their kinds, every creature that moves along the ground according to its kind and every bird according to its kind, everything with wings. [15]Pairs of all creatures that have the breath of life in them came to Noah and entered the ark. [16]The animals going in were male and female of every living thing, as God had commanded Noah. Then the LORD shut him in. [17]For forty days the flood kept coming on the earth, and as the waters increased they lifted the ark high above the earth. [18]The waters rose and increased greatly on the earth, and the ark floated on the surface of the water. [19]They rose greatly on the earth, and all the high mountains under the entire heavens were covered. [20]The waters rose and covered the mountains to a depth of more than twenty feet., [21]Every living thing that moved on the earth perished–birds, livestock, wild animals, all the creatures that swarm over the earth, and all mankind. [22]Everything on dry land that had the breath of life in its nostrils died. [23]Every living thing on the face of the earth was wiped out; men and animals and the creatures that move along the ground and the birds of the air were wiped from the earth. Only Noah was left, and those with him in the ark. [24]The waters flooded the earth for a hundred and fifty days.

الطوفان

[10]وَمَا إِنِ انْقَضَتِ الأَيَّامُ السَّبْعَةُ حَتَّى فَاضَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ [11]فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ عُمْرِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْهُ، تَفَجَّرَتِ الْمِيَاهُ مِنَ اللُّجَجِ الْعَمِيقَةِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ، وَتَفَتَّحَتْ أَمْطَارُ السَّمَاءِ الْغَزِيرَةُ. [12]وَاسْتَمَرَّ هَذَا الطُّوفَانُ عَلَى الأَرْضِ لَيْلاً وَنَهَاراً مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً. [13]فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ الطُّوفَانُ دَخَلَ نُوحٌ وَزَوْجَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ وَزَوْجَاتُهُمُ الثَّلاثُ إِلَى الْفُلْكِ. [14]وَدَخَلَ مَعَهُمْ أَيْضاً مِنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ وَالزَّوَاحِفِ وَالطُّيُورِ وَذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ كُلٌّ حَسَبَ أَصْنَافِهَا، [15]مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ أَقْبَلَتْ إِلَى الْفُلْكِ، وَدَخَلَتْ مَعَ نُوحٍ زَوْجَيْنِ زَوْجَيْنِ [16]ذَكَراً وَأُنْثَى دَخَلَتْ، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. ثُمَّ أَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ بَابَ الْفُلْكِ. [17]وَدَامَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْماً عَلَى الأَرْضِ، وَطَغَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ فَوْقَ الأَرْضِ، [18]وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ وَطَغَتْ جِدّاً، فَكَانَ الْفُلْكُ يَطْفُو فَوْقَ الْمِيَاهِ. [19]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ جِدّاً فَوْقَ الأَرْضِ حَتَّى أَغْرَقَتْ جَمِيعَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ كُلِّهَا. [20]وَبَلَغَ ارْتِفَاعُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعاً (نَحْوَ سَبْعَةِ أَمْتَارٍ) عَنْ أَعْلَى الْجِبَالِ. [21]فَمَاتَ كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ طُيُورٍ وَبَهَائِمَ وَوُحُوشٍ وَزَوَاحِفَ وَكُلِّ بَشَرٍ [22]مَاتَ كُلُّ مَا يَحْيَا وَيَتَنَفَّسُ عَلَى الْيَابِسَةِ. [23]وَبَادَ مِنْ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ سَوَاءٌ مِنَ النَّاسِ أَمِ الْبَهَائِمِ أَمِ الزَّوَاحِفِ أَمِ الطُّيُورِ، كُلُّهَا أُبِيدَتْ مِنَ الأَرْضِ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. [24]وَظَلَّتِ الْمِيَاهُ طَاغِيَةً عَلَى الأَرْضِ مُدَّةَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً.

The Receding of the Water

8 But God remembered Noah and all the wild animals and the livestock that were with him in the ark, and he sent a wind over the earth, and the waters receded. [2]Now the springs of the deep and the floodgates of the heavens had been closed, and the rain had stopped falling from the sky. [3]The water receded steadily from the earth. At the end of the hundred and fifty days the water had gone down, [4]and on the seventeenth day of the

تناقص المياه

٨ ثُمَّ افْتَقَدَ اللهُ نُوحاً وَمَا مَعَهُ فِي الْفُلْكِ مِنْ وُحُوشٍ وَبَهَائِمَ، فَأَرْسَلَ رِيحاً عَلَى الأَرْضِ فَتَقَلَّصَتِ الْمِيَاهُ. [2]وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ اللُّجَجِ وَمَيَازِيبُ السَّمَاءِ، وَاحْتَبَسَ الْمَطَرُ. [3]وَتَرَاجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ تَدْرِيجِيّاً. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً نَقَصَتِ الْمِيَاهُ. [4]وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ عَلَى جَبَلِ أَرَارَاطَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ لِلطُّوفَانِ.

حَيَاتِهِ وَلَنْ أُقْدِمَ عَلَى إِهْلَاكِ كُلِّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. [٢٢]وَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ الْأَرْضِ مَوَاسِمَ زَرْعٍ وَحَصَادٍ وَبَرْدٍ وَحَرٍّ وَصَيْفٍ وَشِتَاءٍ وَنَهَارٍ وَلَيْلٍ، لَنْ تَبْطُلَ أَبَداً».

destroy all living creatures, as I have done. [22]As long as the earth endures, seedtime and harvest, cold and heat, summer and winter, day and night will never cease."

الله يبارك نوحاً

٩ وَبَارَكَ اللهُ نُوحاً وَأَبْنَاءَهُ قَائِلاً لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَتَكَاثَرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ. [٢]لِتَقَعَ الْخَشْيَةُ مِنْكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، وَعَلَى كُلِّ مَا يَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، فَإِنَّهَا كُلَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَاضِعَةً لَكُمْ. [٣]وَلْيَكُنْ كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٍ طَعَاماً لَكُمْ، فَتَأْكُلُونَ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا تَأْكُلُونَ الْبُقُولَ الْخَضْرَاءَ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ. [٤]وَلَكِنْ لَا تَأْكُلُوا لَحْماً بِدَمِهِ. [٥]وَأُطَالِبُ أَنَا بِدَمِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أُطَالِبُ بِهِ، وَمِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ أَيْضاً أُطَالِبُ الْأَخَ بِنَفْسِ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ. [٦]فَسَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِسَفْكِ دَمِهِ لِأَنَّ اللهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. [٧]أَمَّا أَنْتُمْ فَأَثْمِرُوا وَتَكَاثَرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الْأَرْضِ».

God Blesses Noah

9 Then God blessed Noah and his sons, saying to them, "Be fruitful and increase in number and fill the earth. [2]The fear and dread of you will fall upon all the beasts of the earth and all the birds of the air, upon every creature that moves along the ground, and upon all the fish of the sea; they are given into your hands. [3]Everything that lives and moves will be food for you. Just as I gave you the green plants, I now give you everything. [4]"But you must not eat meat that has its lifeblood still in it. [5]And for your lifeblood I will surely demand an accounting. I will demand an accounting from every animal. And from each man, too, I will demand an accounting for the life of his fellow man. [6]Whoever sheds the blood of man, by man shall his blood be shed; for in the image of God has God made man. [7]As for you, be fruitful and increase in number; multiply on the earth and increase upon it."

عهد الله مع نوح

[٨]وَخَاطَبَ الرَّبُّ نُوحاً وَأَبْنَاءَهُ مَعَهُ قَائِلاً: [٩]«هَا أَنَا أُبْرِمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ ذُرِّيَّتِكُمْ [١٠]وَمَعَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ مِنْ طُيُورٍ وَبَهَائِمَ، وَمِنْ كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي خَرَجَتْ مَعَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ، مَعَ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ. [١١]أُبْرِمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ بِأَنْ لَا يُبِيدَ الطُّوفَانُ كُلَّ ذِي جَسَدٍ ثَانِيَةً، وَأَنْ لَا يَكُونَ هُنَاكَ طُوفَانٌ لِيَطْغَى عَلَى الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ». [١٢]وَقَالَ الرَّبُّ: «وَهَذِهِ هِيَ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي أُقِيمُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: [١٣]أَضَعُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلَامَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ. [١٤]فَيَكُونُ عِنْدَمَا أُغَيِّمُ بِالسَّحَابِ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَتَظْهَرُ الْقَوْسُ، [١٥]أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ ذَوَاتِ الْجَسَدِ، فَلَا تَتَحَوَّلُ الْمِيَاهُ إِلَى طُوفَانٍ يُبِيدُ كُلَّ حَيَاةٍ. [١٦]وَتَكُونُ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، فَأُبْصِرُهَا، وَأَذْكُرُ

God's Covenant With Noah

[8]Then God said to Noah and to his sons with him: [9]"I now establish my covenant with you and with your descendants after you [10]and with every living creature that was with you–the birds, the livestock and all the wild animals, all those that came out of the ark with you–every living creature on earth. [11]I establish my covenant with you: Never again will all life be cut off by the waters of a flood; never again will there be a flood to destroy the earth."
[12]And God said, "This is the sign of the covenant I am making between me and you and every living creature with you, a covenant for all generations to come: [13]I have set my rainbow in the clouds, and it will be the sign of the covenant between me and the earth. [14]Whenever I bring clouds over the earth and the rainbow appears in the clouds, [15]I will remember my covenant between me and you and all living creatures of every kind. Never again will the waters become a flood to destroy all life. [16]Whenever the rainbow appears in the clouds, I will see it and remember the everlasting covenant

seventh month the ark came to rest on the mountains of Ararat. [5]The waters continued to recede until the tenth month, and on the first day of the tenth month the tops of the mountains became visible.

[6]After forty days Noah opened the window he had made in the ark [7]and sent out a raven, and it kept flying back and forth until the water had dried up from the earth. [8]Then he sent out a dove to see if the water had receded from the surface of the ground. [9]But the dove could find no place to set its feet because there was water over all the surface of the earth; so it returned to Noah in the ark. He reached out his hand and took the dove and brought it back to himself in the ark. [10]He waited seven more days and again sent out the dove from the ark. [11]When the dove returned to him in the evening, there in its beak was a freshly plucked olive leaf! Then Noah knew that the water had receded from the earth. [12]He waited seven more days and sent the dove out again, but this time it did not return to him.

[13]By the first day of the first month of Noah's six hundred and first year, the water had dried up from the earth. Noah then removed the covering from the ark and saw that the surface of the ground was dry. [14]By the twenty-seventh day of the second month the earth was completely dry.

Noah Comes Out of the Ark

[15]Then God said to Noah, [16]"Come out of the ark, you and your wife and your sons and their wives. [17]Bring out every kind of living creature that is with you–the birds, the animals, and all the creatures that move along the ground–so they can multiply on the earth and be fruitful and increase in number upon it."

[18]So Noah came out, together with his sons and his wife and his sons' wives. [19]All the animals and all the creatures that move along the ground and all the birds–everything that moves on the earth–came out of the ark, one kind after another.

[20]Then Noah built an altar to the LORD and, taking some of all the clean animals and clean birds, he sacrificed burnt offerings on it. [21]The LORD smelled the pleasing aroma and said in his heart: "Never again will I curse the ground because of man, even though every inclination of his heart is evil from childhood. And never again will I

[5]وظلت المياه تتناقص تدريجيا حتى الشهر العاشر، وفي اليوم الأول من الشهر العاشر بدت قمم الجبال.

[6]وبعد أربعين يوما أخرى فتح نوح النافذة التي كان قد عملها في الفلك، [7]وأطلق غرابا، فخرج وظل يحوم مترددا إلى الفلك حتى جفت المياه عن الأرض. [8]ثم أطلق نوح حمامة من الفلك ليرى إن كانت المياه قد تقلصت عن وجه الأرض. [9]ولكن الحمامة لم تجد موضعا تستقر عليه رجلها فرجعت إليه في الفلك، لأن المياه ظلت تغمر سطح الأرض. فمد يده وأخذها، وأدخلها عنده إلى الفلك. [10]وانتظر سبعة أيام أخرى ثم عاد فأطلق الحمامة من الفلك. [11]فرجعت إليه عند المساء تحمل في منقارها ورقة زيتون خضراء، فأدرك نوح أن المياه قد تناقصت عن الأرض. [12]فمكث سبعة أيام أخرى ثم أطلق الحمامة فلم ترجع إليه هذه المرة.

[13]وفي اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الواحدة والستمئة من عمر نوح، جفت المياه عن الأرض، فرفع نوح سقف الفلك وتطلع حوله، فرأى أن سطح الأرض قد أخذ في الجفاف. [14]ولكن الأرض لم تجف تماما إلا في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني.

الخروج من الفلك

[15]وخاطب الله نوحا قائلا: [16]«اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك. [17]وأخرج كل ما معك من الكائنات الحية، من طيور وبهائم وكل ما يزحف على الأرض ليتوالد ويتكاثر على الأرض». [18]وخرج نوح وبنوه وامرأته وزوجات بنيه معه. [19]وكذلك خرجت معه كل الحيوانات، والزواحف والطيور، وكل ما يدب على الأرض، كل منها كجنسها.

[20]وبنى نوح مذبحا للرب ثم اختار بعضا من جميع البهائم والطيور الطاهرة وقربها محرقات على المذبح. [21]فتقبلها الرب برضى، وقال في نفسه: «لن ألعن الأرض مرة أخرى من أجل الإنسان، لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ

ٱلْمِيثَاقَ ٱلْأَبَدِيَّ ٱلْمُبْرَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمِيعِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ٱلْحَيَّةِ عَلَى ٱلْأَرْضِ». [١٧]وَقَالَ ٱللهُ لِنُوحٍ: «هَذِهِ هِيَ عَلَامَةُ ٱلْمِيثَاقِ ٱلَّذِي أَبْرَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ حَيٍّ عَلَى ٱلْأَرْضِ».

between God and all living creatures of every kind on the earth." [17]So God said to Noah, "This is the sign of the covenant I have established between me and all life on the earth."

أبناء نوح

[١٨]أَمَّا أَبْنَاءُ نُوحٍ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ ٱلْفُلْكِ فَكَانُوا: سَاماً وَحَاماً وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو ٱلْكَنْعَانِيِّينَ. [١٩]هَؤُلَاءِ كَانُوا أَبْنَاءَ نُوحٍ ٱلثَّلَاثَةَ ٱلَّذِينَ تَفَرَّعَتْ مِنْهُمْ شُعُوبُ ٱلْأَرْضِ كُلُّهَا.

[٢٠]وَٱشْتَغَلَ نُوحٌ بِٱلْفِلَاحَةِ وَغَرَسَ كَرْماً. [٢١]وَشَرِبَ مِنَ ٱلْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ. [٢٢]فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو ٱلْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ ٱللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً. [٢٣]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى ٱلْوَرَاءِ إِلَى دَاخِلِ ٱلْخَيْمَةِ، وَسَتَرَا عُرْيَ أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدِيرَا بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَهُ. [٢٤]وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ٱبْنُهُ ٱلصَّغِيرُ [٢٥]قَالَ: «لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ ٱلْعَبِيدِ لِإِخْوَتِهِ». [٢٦]ثُمَّ قَالَ: «تَبَارَكَ ٱللهُ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. [٢٧]لِيُوَسِّعِ ٱللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي خِيَامِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ».

[٢٨]وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. [٢٩]ثُمَّ مَاتَ وَلَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

The Sons of Noah

[18]The sons of Noah who came out of the ark were Shem, Ham and Japheth. (Ham was the father of Canaan.) [19]These were the three sons of Noah, and from them came the people who were scattered over the earth.

[20]Noah, a man of the soil, proceeded to plant a vineyard. [21]When he drank some of its wine, he became drunk and lay uncovered inside his tent. [22]Ham, the father of Canaan, saw his father's nakedness and told his two brothers outside. [23]But Shem and Japheth took a garment and laid it across their shoulders; then they walked in backward and covered their father's nakedness. Their faces were turned the other way so that they would not see their father's nakedness. [24]When Noah awoke from his wine and found out what his youngest son had done to him, [25]he said, "Cursed be Canaan! The lowest of slaves will he be to his brothers." [26]He also said, "Blessed be the LORD, the God of Shem! May Canaan be the slave of Shem. [27]May God extend the territory of Japheth; may Japheth live in the tents of Shem, and may Canaan be his slave."

[28]After the flood Noah lived 350 years. [29]Altogether, Noah lived 950 years, and then he died.

والأخطاء في هذا النص أكثر من أن تحصى، ونذكر منها ما يلي:

1 ـ الادعاء بأن الله ـ تعالى ـ صنع الإنسان على مثله، أي على صورته، والله ـ تعالى ـ منزَّه عن جميع صفات خلقه.

2 ـ كثرة إيراد الأسماء والأعمار بدون أدنى توثيق، وبدون أدنى مناسبة، مع التكرار المُخِل والمُمِل.

3 ـ الإشارة إلى أن الناس كانوا قد بدأوا يتكاثرون على سطح الأرض، علماً بأنه لم يكن موجوداً على سطح الأرض في هذا الزمان سوى قوم نوح.

4 ـ الادعاء بأن الله ـ تعالى ـ ملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان، فقرر محوه من على وجه الأرض، مع سائر الناس، والحيوانات، والزواحف، وطيور السماء. وكأن الإنسان ليس من الناس، وكأن الزواحف والطيور ليست من الحيوانات!!

5 ـ الادعاء بأن الله ـ تعالى ـ قال: «قد أزفت نهاية البشر جميعاً أمامي» دون استثناء، فكأن نوحاً والذين آمنوا معه ليسوا من البشر!!

6 ـ الادعاء بأن سفينة نوح كانت (135م) في الطول، (22.5م) في العرض، (13.5م) في الارتفاع، والكشف الأثري عن حطام السفينة يؤكد أنها كانت أصغر من هذه الأبعاد كثيراً.

7 ـ الادعاء بأن الطوفان قد أباد كل حي في الأرض مما تحت السماء. والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف بقيت أحياء المناطق النائية كالأمريكتين، وكل من أوروبا وأفريقيا وأستراليا ونيوزلندة، والقارتين الآسيوية والقطبية الجنوبية؟

8 ـ الادعاء بنجاة كل من امرأة نوح وجميع بنيه وزوجاتهم، دون الإشارة إلى الذين آمنوا معه، والقرآن الكريم يؤكد أن امرأته وأحد أبنائه لم يرافقاه.

9 ـ الادعاء بأن نوحاً أخذ معه في السفينة زوجين اثنين (ذكراً وأنثى) من كل

كائن حي ذي جسد، وهذا عملياً أمر يستحيل على نوح تحقيقه. كذلك فإن الادعاء بأنه أقرّ بحمل سبعة ذكور وسبع إناث من كل نوع من أنواع الحيوانات الطاهرة، وزوجين ذكراً وأنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات غير الطاهرة فهو كلام متناقض ومستحيل التطبيق.

10 ـ يذكر النص في «سفر التكوين» أن مياه الطوفان تفجرت من اللجج العميقة في باطن الأرض، والماء تحت سطح الأرض مخزون في قشرتها فقط، وعلى هيئة خيوط شعرية دقيقة بين حبيبات الصخر وليس على هيئة لجج عميقة.

11 ـ الادعاء بأن مياه الطوفان أغرقت جميع الجبال العالية التي تحت السماء كلها، وأن ارتفاعها بلغ نحو عشرين قدماً (أي حوالي سبعة أمتار) عن أعلى الجبال فمات كل كائن حي يتحرك على الأرض. وهذا الكلام باطل تماماً، لأن الطوفان كان محصوراً في المنطقة بين نهرَي دجلة والفرات بحدود الجبال المحيطة بهما، ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي كما أثبتت ذلك الدراسات الأثرية. وهو باطل كذلك إذا علمنا بأن مساحة سطح الأرض تقدر بحوالي (510) مليون كم^2، وأن أعلى القمم على سطحها (قمة إڤرست) يقدر ارتفاعها بحوالي تسعة كيلومترات (8848م) وعلى ذلك فإن جميع ماء الأرض المقدر بحوالي (1400) مليون كم^3 لا يمكنه تغطية جميع الجبال العالية التي تحت السماء كلها بسبعة أمتار (أو بعشرين قدماً) كما ذكر «العهد القديم»!! تحقيق ذلك!!

12 ـ الادعاء بأن الله ـ تعالى ـ افتقد نوحاً ومن كان معه في الفلك!! والله ﷻ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

13 ـ الادعاء بأن سفينة نوح استوت على جبل أراراط، وحطامها وجد فوق جبل الجودي كما جاء في القرآن الكريم، والمسافة بين هذين الجبلين تزيد على (250) ميلاً، وهما مفصولان ببحيرة عظيمة (بحيرة ڤان) وطبيعتهما مختلفة تماماً لأن جبل «أرارات» جبل بركاني ثار عدة مرات منذ زمن نوح عليه السلام فلو

رست عليه سفينة نوح لكانت قد احترقت، بينما جبل «الجودي» جبل رسوبي وجدت بقايا سفينة نوح على سفحه مطمورة في رسوبيات للماء العذب.

14 ـ النص التكويني القائل: «وليكن كل حَيٍّ متحرك طعاماً لكم فتأكلون كل شيء» هو كلام واضح الخطأ والعوار، لأنه ليس كل حيّ يتحرك يصلح طعاماً للإنسان!!

15 ـ الادعاء الباطل بأن عبد الله ونبيه نوح شرب الخمر فسكر، وتعرى داخل خيمته (سفر التكوين: 9/ 20، 21) وهو كلام لا يليق بالأنبياء الذين بعثهم الله ـ تعالى ـ مثلاً علياً للبشر، يدعون إلى الخير، ويحملون دين الله ـ تعالى ـ إليهم، ويطبقونه تطبيقاً عملياً لأممهم.

16 ـ التزوير الواضح بلعن «كنعان» لمجرد أنه أصبح بعد ذلك أباً للفلسطينيين، وذلك لغرض مبيت في نفسية اليهود الحاقدة على غير اليهود عامة، وعلى الفلسطينيين بصفة خاصة، وهو من الأدلة الدامغة على تزوير اليهود للعهدين القديم والجديد.

17 ـ ذكر أن عبد الله ونبيه نوحاً عليه السلام مات عن (950) سنة، والقرآن الكريم يؤكد أنه ظل يدعو قومه بعد بعثته الشريفة ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأنه عاش بعد ذلك لفترة لا يعلمها إلّا الله عقب نجاته والذين آمنوا معه من الطوفان.

13 ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: 25، 26].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تؤكدان كلا من الحقيقة الإنبائية عن قصة عبد الله ونبيه نوحاً وقومه، وحقيقة العقيدة التي علّمها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام، كما علّمها لسيدنا نوح عليه السلام ولكل نبي من أنبياء الله. وقد عاشت البشرية بعقيدة التوحيد الكامل للّه ـ تعالى ـ عشرة قرون كاملة بين آدم ونوح عليهما السلام. وقد أكد لنا نبينا المصطفى ﷺ ذلك بقوله الشريف: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق**»(1).

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**أن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا، فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**»(2). فكانت هذه هي أول عبادة وثنية قام بها إنسان على وجه الأرض، ثم تفشت الوثنية بعد ذلك في قوم نوح، فبعثه الله ـ تعالى ـ إليهم ليردهم إلى توحيد الله من جديد، فلم يستجب لدعوته إلا أقل القليل من قومه، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: 25 ـ 31].

وهذه الآيات تؤكد وحدة الرسالة السماوية من آدم إلى محمد ـ صلَّى وسلّم وبارك عليهما وعلى أنبياء الله أجمعين ـ والتي مؤداها: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. وقد جاء أنبياء الله ورسله أجمعون بتقرير هذه الحقيقة، داعين إلى الإيمان الكامل بها، ومحذرين من غواية الشيطان للإنسان حتى يوقعه في وحل الشرك باللَّه، والشرك باللَّه هو الظلم المبين للنفس الإنسانية التي يسعى الشيطان دوماً للإيقاع بها فيه.

وتصور الآيات القرآنية الكريمة من سورة «هود» (25 ـ 31) رد الفعل عند مشركي قوم نوح حينما دعاهم إلى توحيد الله ـ تعالى ـ، وإلى تنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وهكذا كان المشركون ـ في كل العصور ـ وقد اغتالتهم شياطين الجن والإنس، وحرفتهم عن دين الله، وعن الفطرة السوية التي فطرهم عليها الله، كانوا يندفعون إلى رفض دعوة الأنبياء، وإلى التطاول عليهم، والاستعلاء على أشخاصهم وأشخاص الذين آمنوا معهم. كما يندفعون بكل طاقاتهم من أجل تكذيب ما يدعو أنبياؤهم إليه، ومتنكرين لوحي السماء، ولنبوة الأنبياء، ولكل صفة علوية نبيلة جعلها الله ـ تعالى ـ أساساً للمفاضلة بين عباده. وهؤلاء المكذبون بالدين، المشركون بعبادة ربّ العالمين، قد التصقوا بماديات هذه الحياة الدنيا، وغفلوا عن حقيقة رسالة الإنسان في الأرض: عبداً للَّه ـ تعالى ـ الذي خلقه، ومستخلفاً في هذه الحياة، مطالباً فيها بعبادة الله بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها حتى يلقى ربه وهو راضٍ عنه. وكل من يغفل عن معرفة الدين

الحق الذي يفصل هذه الرسالة بوضوح، يستذله الشيطان بإغراقه في بحار الشرك باللَّه، ويغريه بالإغراق في ماديات الحياة، وبالإفساد في الأرض، فلا يرى وجهاً للحق أبداً حتى يطويه الموت في تراب الأرض.

والآيات توضح بجلاء كيف كان نوح عليه السلام يتلقى سفاهة المكذبين من قومه بالرد عليهم بسماحة النبوة ومودتها، واستعلائها في غير كبر، وبصدق الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وباليقين في الوحي الذي كان يتلقاه من ربه، وبالاطمئنان إلى صحة ما يدعو إليه، في غير مبالغة أو افتعال. ويتعامل معهم بالفهم العميق لما غرق فيه قومه من جهل برسالتهم في هذه الحياة، مؤكداً لهم أن الأصل في الدين الحق هو حرية الاختيار بعد إتمام البلاغ إلى الناس، دون أدنى إكراه أو إجبار.

وبالرغم من كل هذه السماحة من العبد الصالح والنبي الصالح نوح عليه السلام فإن مشركي قومه قابلوا سماحته بالسخرية منه، والاستهزاء به، وبالتهوين من كل ما حذّرهم منه، وأنذرهم به من ألوان العقاب الإلٰهي، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: 32 ـ 34].

وهذا التحدي السافر من كفار قومه لم يخرج عبد اللّٰه ونبيه نوحاً عن وقار النبوة، فأخبرهم بأنه رسول مبلغ عن ربّ العالمين الذي له الأمر كله، والذي لا دخل لأحد من الخلق في قراره. كذلك أكد لهم نبيهم نوح عليه السلام أنهم ليسوا بمعجزين في الأرض ولا بعيدين عن أن ينالهم قدر اللّٰه، فإذا كان مقدراً لهم الهلاك بغوايتهم في هذه الحياة الدنيا فإن قدر اللّٰه ـ تعالى ـ ماضٍ فيهم لا محالة، مهما بذل لهم نوح من النصح. وليس ذلك لأن اللّٰه جل جلاله سيصدهم عن قبول هذا النصح، ولكن تصرفاتهم هم بأنفسهم تقتضي نفاذ قدر اللّٰه فيهم. والخلق جميعاً لا مفر لهم من الرجوع إلى اللّٰه ـ تعالى ـ بعد الموت ثم البعث، والحشر، والعرض

الأكبر أمام خالقهم ومدبّر أمورهم، والخضوع لحسابه الدقيق، وجزائه العادل بالخلود إما في الجنة وإما في النار.

وتأكيداً على ومضة الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لهذا العدد من المواقف في سيرة عبد الله ونبيه نوح عليه السلام، تتوجه الآيات بالخطاب إلى مشركي قريش مؤكدة أن الرسول الخاتم محمداً ﷺ تلقى هذه الأخبار عن ربّ العالمين، ولم يبتدعها من عنده، وفي ذلك تأكيد لنبوته، واستنكار لتكذيبهم له، منزهة إياه تنزيهاً كاملاً عن كل ذلك فتقول:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود: 35].

وتأتي هذه الآية الكريمة تأكيداً لنفس المعنى الذي سبق في نفس السورة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: 13، 14].

وبعد ذلك تستمر الآيات في استعراض موقف آخر من سيرة عبد الله ونبيه نوح عليه السلام مع قومه فتقول:

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: 36 ـ 39].

وهذه المواقف كلها لم يرد لها ذكر في «العهد القديم» مما يجعل من عرض القرآن الكريم لها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

14 ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: 40].

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى وقوع كارثة طوفان «نوح»، وإلى أن الذي لعب الدور الرئيس في إحداث الطوفان هو ثورة البراكين بأمر من الله ـ تعالى ـ. وبعض البراكين في زماننا تبعث بأكثر من (70%) مما يندفع من فوهاتها من غازات وأبخرة، على هيئة بخار الماء الذي يرتفع إلى الجو ليتكثف ويعود مطراً إلى الأرض. كما أنه قد ثبت أن كل ماء الأرض المقدر بحوالي (1400 مليون كم مكعب) قد أخرجه الله ـ تعالى ـ كله في الأصل من داخل الأرض بانصهار مكوناتها، ثم بثورة البراكين، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾ [النازعات: 30، 31].

وعلى ذلك فإن في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، إشارة إلى ثورة البراكين، وهي من المعجزات العلمية والإنبائية في هذا النص الكريم.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [هود: 40].

إشارة إلى ما أُمِرَ نوحٌ بحمله معه من أنواع النبات والحيوان المتوافرة من بيئته، حتى يعيد بها إعمار الأرض التي كان يقطنها وقومه بعد زوال آثار الطوفان عنها. وليس من معاني ذلك أبداً أن نوحاً قد حمل معه في السفينة كل نوع من أنواع الحياة الأرضية، لاستحالة تحقيق ذلك، وإنما قيل هذا الكلام لمجرد دعم الادعاء الباطل في «العهد القديم» بأن الطوفان كان قد غمر كل الأرض، وعلا كل قمم الجبال لعشرين قدماً أو يزيد، وهو ادعاء مستحيل التحقيق.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: 40].

إشارة إلى أن نفراً من أهله لم يركب معه سفينته. ويوضح القرآن الكريم في مقامات أخرى أن كلاً من امرأة نوح وأحد أبنائه قد رفض ركوب السفينة معه فأهلكهما الله ـ تعالى ـ فيمن أهلك بإغراق الطوفان لهم. وهذا وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، حيث لا يوجد ذكر لتلك الحقيقة في «العهد القديم» الذي يؤكد نجاة امرأة نوح وجميع أبنائه وزوجاتهم معه.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 40].

تأكيد على أن الغالبية العظمى من قوم نوح آثرت الكفر على الإيمان، وفضّلت الشرك على التوحيد، وفرحت بالخروج على منهج الله وبالإفساد في الأرض، بدلاً من الإلتزام بأوامر ربها وحسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها، فاستحقت الاستئصال الكامل بعقاب من الله تعالى. ولذلك كان الطوفان الذي أغرق الكفار والمشركين من قوم نوح وقضى عليهم؛ وهذه اللفتة القرآنية الكريمة هي من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، الذي جاء فيه قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ

أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 36 ـ 49].

ومن معاني هذه الآيات الكريمة أن نوحاً عليه السلام أرسل إلى قومه نذيراً مبيناً، وهي رسالة كل أنبياء الله، التي تؤكد على وحدة الرسالة السماوية المنطلقة من وحدانية الخالق جل جلاله. وفحوى هذه الرسالة: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ومن مبرراتها ما قاله نوح لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وبذلك تتم الرسالة بهذا الإبلاغ وهذا الإنذار. فيرد الطغاة المتكبرون من قومه (بنفس ردود أمثالهم في كل عصر) فيرفضون نبوته، ويسخرون من دعوته، ويحقرون من شأن تابعيه متهمينه ومن تبعه بالكذب.

ويتلقى عبد الله ونبيه نوحاً عليه السلام كل هذه الإهانات بسماحة النبوة، واستعلائها على كل باطل، ويقينها بالوحي الذي تتلقاه عن الله ـ تعالى ـ وباستشعار أمانة التبليغ دون إكراه أو التزام من جانبه. كما يتضمن رد نوح أن لا يمكنه القيام بطرد الذين آمنوا معه، وإن كانوا من فقراء القوم، وأقلهم وجاهة في مجتمعهم، دون ادعاء من جانبه بأية ميزة له فوق بشريته، مع اصطفاء الله ـ تعالى ـ له بالنبوة وبالرسالة.

وفي مقابل هذا الأدب الجم، والتواضع الشديد من عبد الله ونبيه نوحاً عليه السلام، فإن كفار قومه أخذتهم العزة بالإثم حتى طالبوه بإنزال ما حذرهم منه، وما أنذرهم به من صنوف العذاب، إن كان من الصادقين في نبوته، وفي التبليغ عن ربّ العالمين. ومرة أخرى يرد عليهم نوح بأدب النبوة، مؤكداً أن إنزال العذاب هو بأمر من الله ـ تعالى ـ وليس منه هو، وذلك لأن الله جل جلاله هو المقدر لكل شيء، والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعند هذا المقطع من قصة نوح عليه السلام يوجه السياق القرآني دعوة لمشركي قريش الذين كذبوا بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، مدعين أنه افترى القرآن على ربّ العالمين، نافياً تلك التهمة الباطلة عنه. ثم تنتقل الآيات لاستكمال قصة نوح مع قومه بوحي من الله ـ تعالى ـ بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ـ وهو تعالى أعلم بقلوب عباده ـ ولذلك فإنه لم يبق مجال للمضي في دعوة هؤلاء المتكبرين، المعاندين، المكذبين، المصرين على الشرك باللّه. وتنصح الآيات نوحاً عليه السلام بعدم الاكتراث بهم، أو الحزن على ما ينتظرهم من مصير، كما تنصحه بصناعة السفينة برعاية من الله ـ تعالى ـ وتوجيه منه، وبعدم التشفع لمشركي قومه في شيء، لأن الله ـ تعالى ـ قد قرر إغراقهم جميعاً.

وعندما جاء أمر الله بإغراق المشركين من قوم نوح فجّر الأرض بثورة بركانية، عبّر عنها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ وبعض البراكين المعاصرة تنفث بخار الماء بنسب تزيد على 70% مما يتصاعد من فوهاتها من غازات وأبخرة، ويرتفع هذا البخار إلى الطبقات العليا في نطاق المناخ، وهي طبقات باردة، حيث يتكثف ويعود للأرض مطراً غزيراً.

ويأتي الأمر الإلٰهي للنبي نوح عليه السلام أن يحمل معه على سفينته من كل نبات وحيوان في بيئته زوجين اثنين (ذكراً وأنثاً) ليعاود بكل زوج منها إعمار الأرض التي كان يسكنها بعد جفافها من مياه الطوفان. كما أُمِرَ بأن يحمل أهله (إلا من سبق عليه القول) في إنباء له بأن كلًّا من امرأته وأحد أبنائه لن يقبل بالصعود إلى السفينة معه. ويحمل نوح معه من آمن من قومه، وتقرر الآيات ما قاله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: في محكم كتابه ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

ثم تقرر الآية الكريمة (رقم 41 من سورة «هود») ما قاله نوح لأصحابه، وذلك بقول ربنا ـ سبحانه ـ:

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

[هود: 41].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ...﴾ فيه إشارة ضمنية رائعة إلى مصاحبة الهزّات الأرضية العنيفة لثورة ذلك البركان (التنور) العنيف، والتي صاحبتها موجات مَدٍّ عنيفة وغير عادية لمياه الطوفان تشبه موجات المَد البحري التي تحدث نتيجة للهزات الأرضية تحت قيعان المحيطات (Tsunamis) وهذه الموجات العنيفة هي التي حملت سفينة نوح حتى أرستها على سفح جبل الجودي، الذي يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم (2133م) فوق مستوى سطح البحر في سلاسل جنوب تركيا.

ثم يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿... وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: 42، 43].

وفي ذلك تأكيد على أن أحد أبناء نوح عليه السلام لم يركب معه في الفُلك وغرق مع الغارقين، على عكس ما ورد في «العهد القديم» [سفر التكوين (6/ 17 ـ 22، 7/ 1)].

وفي الإشارة إلى استواء سفينة نوح على «جبل الجودي» لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي والأثري في كتاب الله سوف نناقشها بعد ذلك.

ثم يأتي أمر الله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: 48].

وفي هذا النص من لمحات الإعجاز الإنبائي والعلمي ما لا نجد له نظيراً في «العهد القديم». والنص يقول لنوح عليه السلام: اهبط من السفينة بسلامة وأمن من الله ـ تعالى ـ، وبما أفاء عليك وعلى مَن معك من الخيرات، وبما قدّر من الخير على بعض ذرياتهم المؤمنة، وأما ذرياتهم المشركة أو الكافرة فسوف يمتِّعهم الله متاع الحياة الدنيا، ثم يذيقهم العذاب الأليم في الآخرة. وقوانين الوراثة تؤكد أن البلايين من البشر الذين عمروا الأرض من بعد طوفان نوح إلى اليوم، كانوا كلهم من نسل عبد الله ونبيه نوحاً، ونسل الذين نجوا معه في السفينة. والتاريخ يؤكد أن

هذه الأمم تأرجحت بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك ولا تزال تتأرجح بين هذه المعايير إلى اليوم، وسوف تستمر كذلك إلى قيام الساعة.

وعلى الرغم من ضخامة حدث «طوفان نوح»، وعلى ضرورة بقائه عالقاً في الأذهان، ولو من قبيل التراث الشعبي الذي يحمله الناس شفاهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، إلَّا أنَّ أهل الأرض جميعاً ـ في زمن الوحي المحمدي، بعد آلاف السنين من طوفان نوح ﷺ وكان منهم العرب في زمن الجاهلية ـ كانوا في جملتهم قد فقدوا الصلة تماماً بوحي السماء، وشاع بينهم العديد من صور الكفر والشرك والضلال، حتى نسوا تاريخهم القديم، وامتلأت حياتهم بالخرافات والأساطير.

من هنا يأتي ذكر عبد الله ونبيه نوحاً ﷺ في ثلاثة وأربعين موضعاً من كتاب الله، كما تأتي تفاصيل قصته مع عصاة قومه حتى تم القضاء عليهم بالطوفان في عشرات من الآيات التي جاءت في ثمان وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وتأتي تسمية إحدى سور هذا الكتاب العزيز باسم عبد الله ونبيه نوحاً ﷺ (وهي السورة الحادية والسبعون في ترتيب سور المصحف الشريف)، يأتي ذلك كله وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله. وتأكيداً على ذلك فإن الله ـ تعالى ـ يوجه الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 49].

ثم تأتي الكشوف الأثرية مؤخراً لتثبت صدق كل خبر جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك واقعة طوفان نوح، واستواء سفينته على جبل الجودي، وحفظ بقاياها في رسوبيات للماء العذب على سفح هذا الجبل حتى تبقى شاهدة لأهل عصرنا بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن سيدنا محمداً ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، وأنه ما كان ينطق عن الهوى بل عن وحي يوحى إليه من عند رب العالمين.

ففي منتصف شهر مايو من سنة 1948 اكتشف أحد رعاة الغنم الأتراك [وكان اسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan)] بقايا خشبية على سفح جبل الجودي (Mount Judi or Cudi Dagh), مطمورة في طبقة من الرسوبيات، وعلى إثر هذا الاكتشاف تتابعت دراسات الموقع بدءاً من سنة (1953) إلى وقتنا الراهن، وتم إصدار العديد من النشرات عنه من أمثال أعمال كل من مارتن روي (Martin Wroe, 1994)، تشارليس ويلليس (Charles Willis, 1980), وجون وارويك مونتجومري (John Warwick Montegomry) في السبعينيات من القرن العشرين، التي أثبتت جميعها أن هذه البقايا الخشبية هي بقايا سفينة نوح ﷺ.

وعلى الرَّغم من هذا الاكتشاف، ومن إخبار القرآن الكريم برسو السفينة على جبل الجودي، ومن وجود بعض الكتابات التاريخية القديمة التي تم اكتشافها أخيراً، والتي تسجل رسو سفينة نوح فوق جبل الجودي وذلك من مثل كتابات كل من بيراسوس (Berasus) وهو من كهان الحضارة البابلية، وأبيدينوس (Abydenus) أحد تلامذة سقراط، وهو من رموز الحضار اليونانية القديمة، فقد ظلت محاولات الغربيين مستميتة في إثبات رسو سفينة نوح على «جبل أرارات» (أراراط أو غري داج). وقد ظلّ الحال كذلك حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس بتاريخ 25/ 3/ 2005 في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأنباء (The Interfax News Agency) أنَّه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على «جبل أرارات»، وأنَّ جميع العينات الصخرية التي درست من هذا الجبل تؤكد ذلك، وقد أعلن هذه النتائج ڤادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborov) الذي أوفد مجموعة العلماء تلك للقيام بدراسة جبل أرارات.

15 ـ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: 42].

هذه الآية القرآنية الكريمة تحوي عدداً من الحقائق الغيبية التي تشهد للقرآن الكريم بالإعجاز الإنبائي، وبأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك لتناسقها مع الآيات السابقة عليها واللاحقة بها، ولاحتوائها على عدد من الأخبار التي تفردت بها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾:

هذا النص القرآني الكريم يشير إلى وقوع عدد من الهزات الأرضية العنيفة التي حركت أمواج طوفان نوح مغرقة الكافرين من قومه. وكانت هذه الأمواج على هيئة جبال من الماء المتلاطم الأمواج ذات القمم السامقة، التي حملت سفينة نوح حتى أرستها فوق أحد سفوح «جبل الجودي» الذي يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42] وهذا الوصف القرآني المعجز يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله، وذلك لأن الآيات السابقة مباشرة في نفس السورة أشارت إلى ثورة بركان عظيم سمّته الآيات بكنية «التنور» قائلة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...﴾ [هود: 40].

واندفعت الأبخرة والغازات من فوهة هذا البركان الثائر لتوفر كمًّا هائلاً من بخار الماء الذي تكثف في طبقات الجو العليا الباردة من نطاق المناخ ثم عاد إلى الأرض مطراً هاطلاً، يجري على سطحها سيولاً جارفة، تحركها الهزات الأرضية في موجات مَد عنيفة، غير عادية، ومتكررة تشبه موجات المَد البحري التي تحدث نتيجة للهزات الأرضية تحت قيعان المحيطات في أيامنا هذه، والتي تعرف بالاسم

الياباني تسونامي (Tsunami). وموجات المَد العنيفة تلك كانت تتحرك وسط مياه طوفان نوح في موج كالجبال هو الذي حمل سفينة نوح وأرساها فوق أحد سفوح «جبل الجودي»، لتحفظ بإذن الله حتى يتم الكشف عنها فتكون إحدى آلاف الوثائق التي تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين.

وقد ثبت ذلك اكتشاف بقايا سفينة نوح عليه السلام في منتصف شهر مايو سنة 1948م بواسطة أحد رعاة الغنم الأتراك فوق «جبل الجودي» وهو واحد من أعلى القمم الجبلية في سلسلة جبال جنوب تركيا على الحدود الفاصلة بين تلك الدولة وكل من سوريا والعراق. وتتابعت دراسة الموقع بدءًا من سنة 1953م وحتى اليوم مما أكد حقيقة أنها بقايا سفينة نوح، وقد زاد من هذا التحقيق أن بقايا تلك السفينة وجدت مطمورة في كم من رسوبيات المياه العذبة كما أوضحت دراسات كل من «جون واريك مونتجمري» في السبعينات من القرن العشرين (John Warwick Montgomery, 1970)، و«تشارلس ويلليس» في سنة 1980م (Charles Willis, 1980) و«مارتن روي» في سنة 1994م (Martin Wroe, 1994) ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [هود: 44].

وقد زاد من هذا التأكيد أن الرسوبيات المتجمعة من مياه الطوفان وجدت منتشرة بين نهري دجلة والفرات من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي بسمك يتراوح بين (8) و(11) قدماً، وهي خالية من الآثار الإنسية، وتغمر آثاراً لقرى قديمة يعتقد بأنها قرى قوم نوح. وقد استمر التنقيب عن تلك الآثار من سنة 1854م إلى سنة 1932م، وثبت أن رسوبيات الماء العذب هذه والخالية من أية آثار إنسية تعلوها رسوبيات غنية ببقايا عدد من الحضارات القديمة التي تتراوح أعمارها بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد (Woolley, Sir Charles Leonard, 1934). وبالفحص المجهري للعينات

التي أخذت من طبقة الغرين الخالية من الآثار البشرية في منطقة مدينة «أور» اتضح أنها تتكون من مواد جرفتها المياه العذبة على هيئة طوفان عظيم على منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات إلى حدود سلسلتي الجبال المحيطة بهما شرقاً وغرباً. وقد وجدت رسوبيات مشابهة لتتابعات منطقة «أور» في أربعة مواقع على الأقل بسهول ما بين النهرين، كما وجدت في أحد كهوف شمال العراق ويعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave). وقد تفرد القرآن الكريم بالإشارة إلى أن مصدر مياه الطوفان كانت ثورة البراكين المصاحبة بالهزات الأرضية العنيفة مما ساعد على رفع سفينة نوح إلى سفح جبل «الجودي» وجعل من هذا النص القرآني وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿... وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: 42].

نجد أن القرآن الكريم قد تفرد بإيراد هذا الموقف من قصة نوح عليه السلام، فلا يوجد لها نظير في «العهد القديم». والهدف من إيراد هذا الموقف الغريب هو التأكيد على حقيقة أن روابط بني آدم ليست مقصورة على رابطة الدم والنسب، أو رابطة الأرض والوطن، أو رابطة العشيرة والقبيلة، بل يسمو المسلم فوق ذلك كله برابطة الإيمان والعقيدة التي يجب أن تعلو على كل ما سواها من روابط. وتروي الآيات في سورة «هود» هذا الموقف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: 41 ـ 44].

وقيل أن ابن نوح هذا كان كافراً أو منافقاً، ولذلك كان في معزل عن أبيه، وعن الذين آمنوا مع هذا النبي الكريم. انعزل عنهم عزلة مادية بوجوده خارج السفينة، وعزلة معنوية بخروجه على دعوة أبيه، والتحاقه بالمشركين من معارضي الدين الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على أبيه، ولذلك قال هذا الابن العاق لأبيه: ﴿سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ أي سوف ألجأ إلى جبل يحميني بارتفاعه من وصول الماء إليّ، ويرد الأب المكلوم بفقد ابنه على الفور قائلاً:

﴿...لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

[هود: 43].

وهذه الآيات بالإضافة إلى كونها وجهاً من أوجه **الإعجاز الإنبائي في** كتاب الله، فإنها تبقى كذلك وجهاً من أوجه **الإعجاز التربوي في هذا الكتاب** العزيز، والتربية هي إحدى أهداف القصص القرآني إن لم تكن هدفه الرئيس. ولذلك جاءت هذه الواقعة مؤكدة أنه ليس بالضرورة أن يكون الابن على منوال أبيه، حتى لو كان هذا الأب نبياً مرسلاً، كما جاءت مؤكدة مسؤولية كل فرد من بني آدم عن أعماله، «**فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»!!! وجاءت الآيات كذلك مؤكدة على حقيقة أن أساس الرابطة بين بني آدم هي رابطة العقيدة الصحيحة، التي يجب أن تتجاوز روابط العرق والدم، وروابط اللغة واللون، وروابط الأرض والوطن، وروابط العشيرة والنسب، وغيرها من الروابط القائمة على أساس من المصالح الدنيوية الفانية. وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾

[هود: 45 ـ 48].

والآية الأخيرة [هود: 48] تأمر النبي نوحاً بالهبوط من السفينة بسلام وأمن من الله ـ تعالى ـ وبما أفاء الله عليه وعلى الناجين معه من خير، وبما كان قد قدّر في علمه القديم من الخير لذراريهم المؤمنة. وأما ما خرج من أصلابهم من الكفار والمشركين فقد قدّر الله ـ تعالى ـ أن يمتعهم في الدنيا ثم يوفيهم حسابهم في الآخرة. وقوانين الوراثة تؤكد تحقق ذلك بتفاصيله، وهو وجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في قصة سيدنا نوح كما أوردها القرآن الكريم.

ويختتم هذا المقطع من قصة سيدنا نوح عليه السلام بتوجيه الحق ـ تبارك وتعالى ـ الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 49].

وهذه الآية الكريمة صريحة في التأكيد على أن أيًّا من رسول الله ﷺ وقومه من أهل مكة لم تكن لديهم هذه المعلومات عن طوفان نوح، ومن هنا فإن الإخبار بها يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لم يرد لها ذكر في «العهد القديم». هذا بالإضافة إلى الدروس التربوية العديدة التي يمكن الاستفادة بها في تربية ناشئة المسلمين عند استعراض المواقف المتتالية في ذكر هذا النبي والرسول الصالح الذي جاهد جهاداً طويلاً في إصلاح قومه، وفي تبليغهم رسالة التوحيد والتي مؤداها: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

ومن قبيل التَّخفيف عن رسول الله ﷺ في مواجهة كفر الكافرين، وشرك المشركين المكذِّبين بالدين الحق، أشارت الآيات في سورة «الفرقان» إلى عدد من أنبياء الله ـ تعالى ـ وإلى تفاعل أقوامهم معهم سلباً وإيجاباً، وإلى جزاء كل منهم على موقفه، ومنهم أقوام كل من أنبياء الله موسى وهارون، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وأقوام غيرهم من أنبياء الله الذين أهلكهم الله بذنوبهم ودمر ديارهم تدميراً وفي ذلك تقول الآية: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: 37].

وجاءت الإشارة إلى طوفان نوح في العديد من الأسفار القديمة من مثل كتب كل من اليهود، والمجوس، والآثار البابلية القديمة، وكتب العقائد اليونانية القديمة وغيرها، حتى لا تكاد تخلو أدبيات أي من الحضارات الإنسانية من ذكر لواقعة الطوفان. ولكن الفارق بين تلك الروايات القديمة وما جاء به القرآن الكريم هو الفارق بين كلام البشر وبيان ربّ العالمين. وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما جاء في «الإصحاح الثاني» من «سفر التكوين» في «العهد القديم» من أنَّ الطوفان قد عمَّ كلّ الأرض، والدراسات العلمية تؤكد أنَّه كان سيلاً عظيماً أغرق المنطقة بين نهري دجلة والفرات فقط، من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي.

كذلك أشار «سفر التكوين» إلى أنَّ سفينة نوح رست فوق «جبل أراراط»، بينما يؤكد القرآن الكريم رسوها على «جبل الجودي» وقد اكتشفت بقايا السفينة فعلاً فوق هذا الجبل الذي يقع على مسافة 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبل أراراط.

ويذكر «سفر التكوين» أنَّ الطوفان قد علا الأرض كلها بارتفاع (15) ذراعاً، ونتيجة لذلك أبيدت كل صور الحياة من إنسان ووحش وطير ودبابات على وجه الأرض بالكامل، بينما يؤكد القرآن الكريم أنَّ الطوفان كان محدوداً بحدود أرض قوم نوح، وتؤكّد الدراسات العلمية أنَّ أكثر من مليون ونصف المليون نوع من مختلف أنواع الحياة التي لا تزال تعمر الأرض لم تتعرض لهذه الإبادة الجماعية.

ومن غريب القول أن يذكر «العهد القديم» أنَّ سفينة نوح كانت تضاء بغير الشمس والقمر لأنَّهما كانا قد استراحا!! وهو ما ينفيه العلم تماماً، كما يذكر أسباباً لهلاك قوم نوح لا يقبلها المنطق السوي. ومن هنا لا يمكن للقرآن الكريم الذي وصف طوفان نوح بتفاصيله الدقيقة أن يكون قد استقى هذه الواقعة من أي من تلك الكتب القديمة التي ملئت بالأساطير الموضوعة، والخرافات المبتدعة!!.

ومن ملامح الدقة القرآنية في وصف الطوفان أنَّه كان ناجماً عن تفجر مكامن

المياه الأرضية، في منطقة قوم نوح، وعن اندفاع كميات مهولة من بخار الماء إلى جو الأرض عبر فوهات بركان عظيم، وعن هطول الأمطار بمعدلات غير عادية. وتشير الآيات إلى مصاحبة ثورة ذلك البركان العظيم بهزات أرضية عنيفة أدّت إلى حدوث موجات مَد غير عادية ومتكررة في مياه الطوفان تشبه موجات المَد الناتجة عن الزلازل العنيفة التي تحدث في قيعان المحيطات اليوم والتي تعرف بالتعبير الياباني تسونامي (Tsunami). ويبدو أن أمواج ذلك المد المائي الهائلة والتي يصفها القرآن الكريم بتعبير ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾ هي التي رفعت سفينة نوح إلى أحد سفوح «جبل الجودي» الذي يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر.

وفي سنة 1854م بدأت أعمال البحث عن طوفان نوح بالحفر في منطقة مدينة «أور» في جنوب العراق على رأس الخليج العربي، ثم تجددت في الفترة من 1920م إلى 1932م بواسطة بعثة مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية تحت قيادة «تشارلس ليونارد وولي» الذي نشر نتائج البحث في سنة 1934م في مجلدين تحت عنوان «أور الكلدانية والمقبرة الملكية»:
(Woolley, Sir: Charles Leonard (1934): «Ur of the Chalidees, and the Royal Cemetery»; in 2 vols.)

وفي هذا البحث عثرت البعثة على طبقة من الطين الجاف في تل العبيد شمال مدينة «أور» يبلغ سمكها (3) أقدام تعود إلى العصر الحجري، وتحتوي على أدوات صوانية، وأوانٍ فخارية، وبقايا من المرو والزجاج البركاني الأسود (Obsidian). كذلك تم العثور على ستة عشر قبراً من القبور الملكية، ووجدت بها أدوات زينة، وأحجار كريمة، وحلى ذهبية، وأوانٍ فخارية متقنة الصنع. وتحت مستوى هذه القبور وجدت طبقة اختلط فيها مع الغرين العديد من النفايات البشرية، وقطع الآجر، **والرماد البركاني**، والأواني الفخارية المهشمة. وتحت هذه الطبقات زالت فجأة كل آثار للبقايا الإنسية، وظهرت طبقة من الغرين لا أثر فيها للإنسان، وهذه الطبقة يتراوح سمكها بين (8) و(11) قدماً، وقد ترسبت من وسط مائي

عذب، فترجح لدارسي الموقع أنَّ هذه الطبقة الغرينية الخالية من أيَّة آثار بشرية تمثل فترة طوفان نوح، خاصة أنَّه قد وجد أسفل منها آثار عديدة للقوم الذين كان الطوفان قد جاء لإغراقهم، ومنها بقايا قراهم المدمرة.

ومن الفحص المجهري للعينات التي أخذت من طبقة الغرين الخالية من الآثار البشرية اتضح أنَّها تتكون من مواد جرفتها المياه من نهر الفرات على هيئة فيضان عظيم يقدر أنَّه قد بلغ حوالي (25) قدماً في الارتفاع على أقل تقدير. واستقر رأي «السير وولي» على أنَّ هذا الطوفان لم يشمل الأرض كلها كما يذكر «العهد القديم»، ولكنه كان سيلاً مغرقاً طغى على المنطقة ما بين النهرين (دجلة والفرات)، وأغرق المنطقة ما بين الجبال المحيطة بهما شرقاً وغرباً، ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي.

وفي أربعة مواقع ـ على الأقل ـ في منطقة ما بين النهرين وجدت رسوبيات مشابهة لتتابعات منطقة «أور»، كما وجدت هذه التتابعات في أحد كهوف شمال العراق ويعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave).

وتتكون هذه التتابعات من رسوبيات للمياه العذبة يقدر عمرها بحوالي مائة ألف سنة مضت، وتحوي بقايا إنسية قام بدراستها الدكتور رالف سولسكي (Dr. Ralph Solecki). وهذه الآثار تثبت واقعة الإغراق بمياه الطوفان العذبة كما سجل القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة، بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: 37]، وهذه الإشارة تعتبر من معجزات القرآن التاريخية والإنبائية.

(أ) **في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾:**

انطلاقاً ممَّا جاء في «سفر التكوين» أنَّ سفينة نوح رست على «جبل أراراط» في أقصى الشمال الشرقي من تركيا (على الحدود مع أرمينيا) بذل علماء الآثار

جهوداً مضنية للبحث عن أثر للسفينة على هذا الجبل دون جدوى، ثم أثبتت إحدى البعثات العلمية الروسية في سنة 2005م استحالة بقاء أي أثر للسفينة على «جبل أراراط» نظراً لكونه جبلاً بركانياً نشطاً، ولانفجار بركان فيه في سنة (1840م)، وأنَّ ما ظنَّه بعض المتوهّمين أخشاباً من بقايا السفينة لم يكن سوى بقايا نباتية متحجّرة بفعل النشاط البركاني بالمنطقة، الذي كان حتماً يقضى على أية بقايا خشبية علية.

وقبل ذلك بربع قرن (أي في سنة 1980م) فاجأ الدكتور تشارلس ويلليس (Dr. Charles Willis) العالم بإعلانه أن البقايا الخشبية التي كان أحد الرعاة الأتراك قد اكتشفها من قبل في سنة 1948م على أحد سفوح جبل الجودي تمثل بقايا سفينة نوح مطمورة في رسوبيات للمياه العذبة. ويقع هذا الجبل على الحدود التركية مع كلّ من العراق وسوريا على بعد (250) ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أراراط».

ثم تأكّد هذا الكشف بواسطة إحدى البعثات العلمية الأمريكية التي قادها رون وايت (Ron White) الذي قام بتصوير طبعة السفينة كاملة وهي محفوظة في رسوبيات للمياه العذبة، وبجوارها بعض الألواح الخشبية المتحجرة وعدَّة نقالات (Pallets)، ومرساة السفينة، وبعض المسامير المعدنية (الدسر) المكونة من سبيكة من عدد من الفلزات. وقد أعلنت نتائج هذا الكشف في سنة (2005م) بعد عمل استمر لقرابة ثلاثين عاماً.

ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الفرقان: 37] وأكد ذلك في مقام آخر بقوله العزيز: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 15].

وكذلك قال في سورة القمر: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا

ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 9 ـ 17].

وكما سبق أن أشرنا إلى أنَّ قصة الطوفان جاءت في العديد من مدونات الأمم السابقة، سواء ما كانت له علاقة بالمعتقدات أو بالتراث الشعبي وهنا تتضح ومضة كل من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾، وفي قوله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾.

(ب) **في قوله تعالى:** ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

الواضح من هذا النص القرآني الكريم أنَّ المقصود بوصف (الظالمين) هم المشركون من قوم نوح، وممن تابعهم على الشرك بالله إلى يومنا هذا وحتى يوم الدين، ولكن النص يحتمل كذلك أن يشمل المكذبين بهذه الواقعة التاريخية الكبيرة، وما أكثرهم، خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه، وما أجرأهم على الله ورسوله!!.

فعلى الرغم مما تم إعلانه من كشوف إلَّا أنَّ كثيراً من العلماء المعاصرين لا يزالون ينفون حادثة الطوفان، أو محاولين ردها إلى أحداث طبيعية لا علاقة لها بالعقاب الإلٰهي للعاصين من العباد. ومن هؤلاء المكابرين اثنان من علماء البحار الأمريكيين هما: «وليام ريان»، وزميله «والتر بتمان» اللذان اندفعا إلى نفي واقعة الطوفان بالكامل، وردها إلى حدث من الأحداث الأرضية المتكررة وذلك في كتاب لهما بالعنوان التالي:

William Ryan & Walter Pitman 1998: «Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event That Changed History»; Simon & Schuster, New York, N.Y. 10020.

وقد حاول هذان العالمان نفي قصة طوفان نوح من أساسها انطلاقاً من دراسة قاما بها حول البحر الأسود. وقد أثبتا في هذه الدراسة أنَّ فيضاناً حدث

من قبل (7600) سنة بسبب التغيرات المناخية السريعة التي أدت إلى انخفاض منسوب المياه في البحر الأبيض المتوسط حتى جف بالكامل، وتحول قاعه إلى صحراء جرداء. ثم ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات فجأة فاندفع الماء من المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق ليملأ حوض البحر الأبيض المتوسط بالماء من جديد، وكان ذلك قبل خمسة ملايين من السنين. ومنذ (7600) سنة تكرر ارتفاع منسوب المياه في جميع بحار ومحيطات الأرض، وكان منها البحر الأبيض المتوسط الذي وصل منسوب الماء فيه إلى مستوى وادي البوسفور فاندفع منه الماء المالح بتدفق شديد ليغمر موقع البحر الأسود، وكان من قبل بحيرة عذبة الماء، محاطة بالمروج والمزارع الخضراء العامرة بالسكان فدمر الطوفان كلّ ما اعترض طريقه من منشآت وأحياء، فمات من مات وهلك من هلك، وهاجر من نجا من هذه الكارثة، ثم تصحرت المنطقة بالكامل مرة أخرى من جديد.

وهذه الدورات المناخية تختلف اختلافاً كاملاً عن المعجزات الإلٰهية التي تتم بأمر من الله ـ تعالى ـ بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. إلَّا أنَّ هذه الرؤية القاصرة عند هذين الكاتبين قد أكدتها المبالغة في المادية المفرطة، ورفض الدين انطلاقاً من الأخطاء الكثيرة التي أوردتها رواية «العهد القديم» عن واقعة طوفان نوح، ولكن عدداً من الألواح الصلصالية التي كانت قد اكتشفت في خربة نينوي من قبل أكثر من قرن من الزمان تحمل أخباراً مكتوبة عن فيضانات مشابهة أقدم من هذا الفيضان المذكور بكثير من الزمن، ولعلها تشير إلى طوفان نوح.

وتبقى رواية القرآن الكريم عن هذا الطوفان (طوفان نوح) هي أدق الروايات وأحكمها بياناً، ونظماً، وهداية، وتربية، وعلماً من جميع الروايات التي تعرضت لهذا الأمر.

16 ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: 44].

في هذه الآية الكريمة عدد من الدلالات العلمية والإنبائية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: 44]:

وفي هذا النّص القرآني الكريم نُسِبَ الماء إلى الأرض، وأرضنا هي أغنى الكواكب المعروفة لنا بالماء الذي تقدر كميته عليها بحوالي 1,400 مليون كيلومتر مكعَّب، ولذلك سميت الأرض باسم الكوكب المائي أو الكوكب الأزرق.

وقد احتار العلماء منذ القدم في تفسير مصدر هذه الكميّة الهائلة من الماء، والتي بدونها لم يكن ممكناً للحياة التي نعرفها أن توجد على الأرض. وقد وضعت فروض ونظريات عديدة من أجل تفسير أصل ماء الأرض. ومن ذلك كانت فرضية اصطدام المذنبات بالأرض، والتي ظلت سائدة لفترة طويلة، ثم انهارت كما انهار غيرها من الفروض والنظريات. وكان ذلك باكتشاف علماء البراكين أنَّ أكثر من 70% مما يتصاعد من فوهات بعض البراكين من أبخرة وغازات يتكوّن من بخار الماء. وبحسبة رياضية بسيطة لعدد فوهات البراكين على سطح الأرض، ومعدّل ثورة كلّ منها، ومتوسط ما يتصاعد من بخار الماء في كلِّ ثورة وصل العلماء إلى نفس كمية الماء المتجمّعة على سطح الأرض وفي صخور ورسوبيات قشرتها، وفي الغلاف الغازي المحيط بها (أي حوالي 1,400 مليون كيلومتر مكعب)، وبذلك ثبت أنَّ كل ماء الأرض قد أخرجه ربّنا تبارك وتعالى أصلاً من داخل الأرض وفي ذلك قال عزّ مَن قائل: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾ [النازعات: 30، 31].

وتحدّث القرآن الكريم عن دورة الماء حول الأرض في آيات أخرى عديدة، منها

نسبة الماء إلى الأرض في الآية الرابعة والأربعين من سورة «هود» وهو سبق قرآني واضح حيث لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفة ذلك إلّا في العقود المتأخّرة من القرن العشرين. وفي هذا النص القرآني كذلك إشارة إلى اشتراك عيون الأرض المتفجّرة في إحداث طوفان نوح عليه السلام وهو ما يؤكّده القرآن الكريم بقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 9 ـ 17].

(ب) في قوله تعالى: ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: 44]:

يؤكّد هذا النص القرآني الكريم أنَّ طوفان نوح عليه السلام كان بالماء العذب، تمييزاً له عن العديد من صور الطغيان البحري الذي تعرّضت له الأرض عبر تاريخها الطويل. وعلى الرّغم من ذلك يأتي اثنان من علماء فيزياء الأرض وعلوم البحار الأمريكيين في سنة 1998م وهما وليام ريان، ووالتر بتمان ليجزما بأنَّ الطوفان كان بماء البحر، وذلك في كتابهما المعنون «طوفان نوح: الاكتشافات العلميّة الجديدة عن الحدث الذي غيَّر مجرى التاريخ»، ويؤكّد هذان العالمان أنَّ ما وصفاه من طوفان بحري فوق بحيرة من الماء العذب كان حدثاً طبيعيًّا لا علاقة له بما جاء من أخبار قوم نوح عليه السلام.

William Ryan, & Walter Pitman (1998):
«Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event that Changed The History»; Simon Schuster, NewYork, NY 10020.

وفي هذا المؤلف الذي ناقشناه من قبل يذكر الكاتبان أنَّ هذا الحدث قد تمَّ قبل 7600 سنة حين أدّى ارتفاع منسوب الماء في البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادي البوسفور ليدمر كل شيء مرَّ به، ويؤدّي إلى عدد من الهجرات البشريّة الكبيرة. ولكن اكتشاف بقايا سفينة نوح عليه السلام على سفح «جبل الجودي»، مطمورة وسط طبقات من رسوبيات الماء

العذب التي تمتد من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي، مروراً بالمساحة الهائلة من أرض ما بين النهرين (دجلة والفرات)، ينفي مزاعم الكاتبين الأمريكيين أن ما ذكروه من طوفان بحري له علاقة بطوفان نوح، ويؤكّد دقة الوصف القرآني لواقعة الطوفان وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة.

(ج) في قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: 44]:

في اللّغة العربية يقال: (غاض) الماء أي: غار في الأرض حتى قلَّ ونضب، و(انغاض) الماء مثله، و﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: فُعِلَ به ذلك بمعنى (غاضه) أو (أغاضه) الله تعالى، و(الغيضة) هي الأجمة بمعنى مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، والجمع (غياض) و(أغياض). وفي هذا النصّ القرآني إشارة واضحة إلى انحسار الماء عن اليابسة بابتلاع الأرض لجزء منه ولفيض الباقي إلى منخفضات الأرض، بينما تذكر الترجمة العربية لـ«سفر التكوين» ما نصّه: «وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه..» ولست أدري ما علاقة الريح بانحسار الماء عن الأرض!! وهنا يثار سؤال هام مؤداه: هل عمّ طوفان نوح جميع الكرة الأرضية، أم كان محدوداً بالمنطقة التي سكنها قوم نوح؟ وهذه المنطقة يجمع الأثريون والمؤرخون على كونها المنطقة الممتدّة من جبال جنوب تركيا إلى ما بين نهري دجلة والفرات والسهول المنبسطة من حولهما إلى حدود المرتفعات التي تحدها. وكل من اليهود والنصارى يؤمنون بعالمية الطوفان (سفر التكوين: 7/ 19 ـ 24؛ 8/ 1 ـ 14). والمنطق ينادي بمحدوديته بأرض قوم نوح حيث كان استقرار جميع بني آدم، ثم تفرق أبناء الناجين من الطوفان بعد ذلك إلى مختلف مناطق الأرض.

وطوفان نوح عليه السلام كان من معجزات هذا النّبي، والأصل في المعجزات أنَّها لا تعلل لأنَّها خوارق للسنن، والذي يخرق السنن لا تستطيع السنن تفسيره، من هنا فإن التوقف عند حدود ما جاء في كتاب الله تعالى من معجزات، (ومنها معجزة طوفان نوح) يصبح واجباً على المؤمنين من العباد أن يؤمنوا بها، دون الخوض في التفاصيل التي لا طائل من ورائها، وذلك من مثل ما جاء في سفر

التكوين (الإصحاح السادس إلى التاسع). ففي الإصحاح السابع من هذا السفر جاء ما قراءته: «وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض، وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًّا على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه المياه، وتعاظمت المياه كثيراً جدًّا على الأرض. فغطّت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. خمس عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه، فتغطت الجبال». وأنا أعجب كيف أمكن لخمس عشرة ذراعاً من الماء أن تغطي جميع الجبال الشامخة!!؟ أو كيف ارتفعت المياه حتى غطت قمم الجبال الشامخة بمقدار خمسة عشر ذراعاً!!؟.

أمّا ما جاء في النصّ القرآني الذي نحن بصدده فيوحي بأن عدداً من الهزّات الأرضية العنيفة قد رافقت ثورة البركان العظيم (التنور)، فأحدثت أعداداً من الموجات المائية العنيفة والمتتابعة والتي تشبه تحرك أمواج المحيط الذي تحدث في قاعه هزة أرضية عنيفة تحدث أمواج المَد البحري المدمرة والتي تعرف اليوم بالوصف الياباني تسونامي (Tsunami).

وبعد إغراق الكافرين من قوم نوح أمر الله ـ تعالى ـ كلاً من الزلازل والبراكين وأمواج المَد المائي بالتوقف، كما أمر كلاً من مياه الأمطار وعيون الأرض بالتوقف كذلك، وأمر بابتلاع الأرض لجزء من مياه الطوفان، وتسرب الباقي إلى منخفضات الأرض بعد أن حقق الطوفان الغاية منه وهي القضاء على كفّار ومشركي قوم نوح، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: 44].

(د) في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: 44].

في هذا النصّ القرآني الكريم تأكيد على أنَّ سفينة نوح عليه السلام استقرّت على جبل اسمه «الجودي»، وهذا الجبل يقع حقيقة في جنوب شرقي تركيا إلى الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر (على ضفاف نهر دجلة) بالقرب من الحدود التركية/ العراقية/ السورية، وإلى الشمال من مدينة الموصل. وقد أثبتت الدراسات الأثرية التي استعرضنا طرفاً منها من قبل صحة ذلك ودقته.

ففي منتصف شهر مايو من سنة 1948م اكتشف أحد رعاة الغنم من الأكراد واسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan) بقايا من أخشاب سفينة نوح ﷺ مطمورة في كم من الرسوبيات في قمة جبل «**الجودي**». وتتابعت دراسات الموقع بعد ذلك في السنوات 1953، 1959م، 1980م، 1987م، 1994م، وظلّت تتتابع إلى يومنا هذا. كذلك وجد سُمْكٌ هائل من رسوبيات المياه العذبة في سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتي كانت مهداً لعدد من الحضارات القديمة التي تمّ اكتشاف بعضها، والتي يتراوح عمرها بين ثلاثة وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد. ومن المرجّح أن تكون هذه الرسوبيات تالية لرسوبيات الطوفان التي وجدت أسفل منها، ووجدت خالية من الآثار الإنسية وغامرة لحضارات سابقة وذلك لانتشارها الأفقي على مساحات شاسعة من الأرض. ولسُمْكِها الذي يزيد على عشرة أقدام، ولطمرها للعديد من القرى القديمة التي استمر التنقيب عنها في الفترة من 1922م إلى 1934م، وتتابع هذا التنقيب عن تلك الحضارات القديمة متقطعاً بعد ذلك إلى اليوم. وقد تأكّدت هذه الاستنتاجات بدراسة الرسوبيات المتجمعة في أحد كهوف شمال العراق والمعروف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave)، ويرجع عمر الرسوبيات فيه إلى حوالي مائة ألف سنة مضت، وتحوي رسوبياته عدداً من البقايا الإنسيّة التي قام بدراستها دكتور رالف سولسكي (Ralph S. Solecki) من معهد سمسثونيان بالولايات المتحدة الأمريكية.

هذا مع العلم بأنَّ الترجمة العربية للإصحاح الثامن من «سفر التكوين» تذكر ما يلي: (واستقرّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل «**أراراط**» وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أوّل الشهر ظهرت رؤوس الجبال). ولكن العديد من الروايات التاريخيّة القديمة التي تمّ اكتشافها مؤخراً تشير إلى رُسُوِّ سفينة نوح ﷺ فوق «**جبل الجودي**»، وذلك من مثل كتابات كل من بيراسوس (Berasus) من كهان الحضارة البابلية، وأبيدنوس (Abydenus) من تلامذة سقراط، ومن رموز الحضارة اليونانية القديمة. وعلى الرّغم

من ذلك ظلّت محاولات كل من اليهود والنصارى مستميتة في إثبات رُسُوٍّ سفينة نوح على «جبل أراراط» دفاعاً عمّا جاء في «عهدهم القديم». وظل الحال كذلك حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس في يوم الجمعة الموافق 25/ 3/ 2005م في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأنباء (The Interfax News Agency) أنّه لا توجد أيّة آثار لسفينة نوح على «جبال أراراط». وأنَّ جميع العينات التي درست تؤكّد ذلك. كما أكّدته دراسات فادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborv) مدير مركز كوزموبويسك للأبحاث العلميّة (Cosmopoisk Center For Scientific Research) الذي أوفد مجموعة العلماء هذه للقيام بتلك الدراسة، وقاد المؤتمر الصحفي المشار إليه قائلاً: بعد الثورة البركانية التي وقعت في «جبل أراراط» سنة 1840م فإنَّ كل شيء في هذا الجبل قد تمزّق بما في ذلك الكتل النباتية المتحجّرة (والتي ظنّها نفر من السابقين خطأً على أنّها قد تكون من بقايا سفينة نوح، ومن هنا فلا يمكن القول بأيّة إمكانيّة لوجود بقايا محفوظة لتلك السفينة فوق «جبال أراراط». وقد قامت هذه المجموعة العلميّة بدراسة «جبل أراراط» في خريف سنة 2004م وعادت بالكثير من أشرطة الفيديو والعينات الصخرية (من مثل النباتات المتحجّرة، وكتل الصخور التي شكلتها عوامل التعرية على هيئة مصنعة أو شبه مصنعة) وأثبتت دراسة ذلك أنّها من فعل النشاط البركاني، ولا علاقة لها بسفينة عبد الله ونبيه نوح عليه السلام التي ثبت رسوها على «**جبل الجودي**».

(هـ) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44].

هذا النصّ القرآني الكريم يوحي بأنّه بالقضاء على كفار ومشركي قوم نوح فإنَّ الله تعالى قد عافى البشريّة من أشر شرار بني آدم. وهؤلاء لو قدرت لهم النجاة لأفسدوا في الأرض إفساداً عظيماً، ولتبعتهم في هذا الإفساد ذراريهم. لذلك اجتث الله جل جلاله شأفتهم بالطوفان لعلمه بهم وبما يحملون في أصلابهم من ذراري، ولذلك قال موجهاً الخطاب إليهم: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44]. وبذلك هلك شطر من مخزون الوراثة الذي كان في صلب أبينا آدم عليه السلام ووصل إلى

أصلاب قوم نوح، وقد تم ذلك أثناء طوفان نوح، وقوانين الوراثة تؤكّد ذلك وتقف من ورائه. كذلك فإن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ تأكيد على أنه لم يكن على وجه الأرض من بني آدم في هذا الزمن إلا قوم نوح. وهذا ينفي الحاجة إلى عموم الطوفان جميع الأرض كما جاء في «العهد القديم».

هذه الحقائق مجتمعة ومتفرّقة لم تكن معروفة للناس في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أُمّي ﷺ وفي أمّة كانت غالبيتها الساحقة من الأُميين لمما يثبت لكلّ ذي بصيرة أنَّ هذا الكتاب لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وامتد حفظه له على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وهذه الواقعة جاءت الإشارة إليها في (الإصحاح 8/ 1 ـ 14) من «سفر التكوين» تحت عنوان (تناقص الماء) وبمقارنته بالنص القرآني [هود: 36 ـ 49] يتضح الفرق بين كلام الله وكلام البشر.

17 ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 14، 15].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تتحدثان عن عدد من الحقائق الغيبية التي لم تكن معروفة في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعد زمن الوحي، مما يجعل منهما وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله؛ ويمكن عرض ذلك في النقاط التالية:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾:

لا يعرف المؤرخون شيئاً عن نبي الله نوح عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وفي سنّة خاتم النبيين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ وذلك في مواضع عديدة من هذين المصدرين الكريمين من مصادر الإسلام.

وصحيح أن «العهد القديم» أشار إلى نوح عليه السلام وإلى الطوفان الذي عاقب الله ـ تعالى ـ به كفار ومشركي قومه، ولكن رواية «العهد القديم» مختلفة تماماً عن رواية القرآن الكريم لسيرة هذا الرسول الصالح، ثم إن العرب في زمن الجاهلية لم يكونوا أهل اطلاع على ما عند اليهود من أخبار.

ويوضح القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ بعث عبده ونبيه نوحاً إلى قومه وسجّل هذا الكتاب العزيز حواراته معهم في أماكن متفرقة منه أشرنا سابقاً إلى شيء منها.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾:

في هذا النص القرآني الكريم معجزتان إحداهما غيبية، والأخرى علمية. أما المعجزة الغيبية فهي الإخبار عن أن نوحاً عليه السلام عاش بين قومه تسعمائة وخمسين

سنة يدعوهم إلى توحيد الله ـ تعالى ـ ونبذ الشرك. وذلك قبل أن يغرقهم الله ﷻ بالطوفان لرفضهم الهداية الربانية، بينما يذكر «العهد القديم» أن نوحاً مات وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة فقط.

والمعجزة العلمية تتلخص في إثبات طول الأعمار للأجيال المتقدمة من بني آدم، وذلك لأن الشيفرة الوراثية في صلب أبينا آدم عليه السلام أعطت بالانقسام الموجة الأولى من البشر إلى عهد نوح عليه السلام وكانت على هيئة عشرة أجيال، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، ثم جاءت موجة البشر الثانية من صلب نوح وأصلاب الذين نجوا معه والذين عمروا الأرض منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

وعلوم الوراثة تؤكد ضعف الشيفرة الوراثية بالانقسام المستمر من عهد أبينا آدم إلى اليوم وحتى قيام الساعة مما يشير إلى أن البشر في عهودهم الأولى كانوا بالقطع أضخم أجساماً وأطول أعماراً، ومن هنا تأتي هذه اللمحة القرآنية ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله. كذلك يأتي تأكيد رسول الله ﷺ على هذه الحقيقة في حديثه الذي قال فيه: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً... فلم يزل الخلق ينقص بعد إلى الآن**»[1].

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾:

في هذا النص القرآني الكريم تأكيد على وقوع طوفان نوح الذي حاول كثير من الدهريين إنكاره، ورده إلى عدد من الأحداث الطبيعية المتكررة من مثل السيول الجارفة، أو طغيان البحار على اليابسة، كما فعل الأمريكيان وليام ريان، وزميله والتر بتمان اللذان سبقت الإشارة إليهما. وقد جاء نفيهما لحادثة طوفان نوح وردها إلى واحدة من التغيرات المناخية التي تؤدي إلى طغيان البحار على اليابسة ثم انحسارها عنها وذلك في كتابهما المعنون: «طوفان نوح: الاكتشافات العلمية الجديدة عن الحادثة التي غيرت التاريخ» والذي نشراه بمدينة نيويورك في سنة 1998م:

(1) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، حديث رقم (5759).

William Ryan & Walter Pitman (1998): «Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event that Changed History»; Simon & Schuster, New York, N.Y.

وينفي هذا الفكر الخاطئ من أساسه اكتشاف بقايا سفينة نوح فوق جبل الجودي في سنة 1948م بواسطة أحد الرعاة الأتراك وتأكيد هذا الكشف بدراسات استمرت لقرابة ثلاثين عاماً. وقد سبق ذلك دراسات لآثار العراق منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1854م) في منطقة «أور» أثبتت وجود طبقة من الصلصال تعود للعصر الحجري يبلغ سمكها ثلاثة أقدام، وتحتوي على أدوات من الصوان، وعلى أوانٍ فخارية، وبقايا من المرو والزجاج البركاني الأسود. وتحت هذا المستوى وجدت طبقة من الغرين المختلط بالنفايات البشرية، والرماد البركاني. ودون هذا المستوى وجدت طبقة من الغرين لا أثر للإنسان فيها، يتراوح سمكها بين (8)، (11) قدماً، وثبت ترسبها من وسط مائي عذب. وقد أدى ذلك إلى الاستنتاج الصحيح بأن هذه الطبقة تمثل طوفان نوح، الذي قال ـ تعالى ـ فيه:

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وهذا النص القرآني الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا قورنت رواية القرآن الكريم عن هذا الحدث الجلل بما جاء عنه في العهد القديم.

رابعاً: في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 15].

وفي هذا النص الكريم إشارة إلى أن البشر جميعاً من بعد نوح إلى اليوم، وحتى قيام الساعة هم من نسل هذا النبي ونسل الذين نجوا معه، وفيه تأكيد على حتمية اكتشاف السفينة حتى يجعلها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ آية للعالمين، وقد تحقق ذلك بالفعل في سنة 1948م، وفي الدراسات التي تلت ذلك التاريخ إلى اليوم، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين، وللرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

18 ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: 11، 12].

كان طوفان قوم نوح واحداً من أخطر أحداث العقاب الإلهي للمشركين من أهل الأرض، لأن تفجر البراكين ساعد على خروج بخار الماء بكميات هائلة مما شجع على هطول الأمطار، وإغراق الأرض بالماء. كذلك كان في تفجر الأرض بعيون الماء ما زاد هذا الإغراق زخماً، وكان في رجفة الأرض المصاحبة لثورة البراكين ما حرك أمواج الماء بعنف جعلها كالجبال، وساعدها على رفع سفينة الناجين مع عبد الله ونبيه نوح عليه السلام وإرسائها على «جبل الجودي» في سلسلة جبال جنوب تركيا.

من الدلالات العلمية والإنبائية للآية الكريمة:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: 11].

خطاب من الله ـ تعالى ـ موجه إلى البشر من بعد نوح وحتى قيام الساعة، باعتبار أن الذين حُمِلُوا مع عبد الله نوح عليه السلام في السفينة هم الأصول التي انحدر منها أهل الأرض من بعد نوح إلى اليوم، وذلك لكي يجعلها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تذكرة (أي: عبرة وعظة) للناس جميعاً، لما كان فيها من نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين، ولكي تحفظها كل أذن حافظة لما تسمع من تلك الأخبار، من (الوعي) بمعنى الحفظ في الذاكرة.

و(الجارية) هي سفينة نوح عليه السلام، التي جرت في ماء الطوفان الذي أغرق المنطقة فيما بين دجلة والفرات بماء المطر، وبتفجر الأرض عن مخزونها المائي في الصخور بعدد هائل من العيون. وقد علا الماء الأرض فأغرق كل حي في منطقة ما بين النهرين إلَّا نبي الله نوح ومن حملهم معه من البشر والحيوان والنبات في السفينة.

فقد أثبت الأثري دكتور تشارلز ويلليس (Dr. Charles Willis) في سنة 1980م ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ أن بقايا سفينة نوح قد تم اكتشافها فوق «جبل الجودي» (Mount Cudi or Judy Dagh) على بعد 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أرارات». و«جبل الجودي» يمثل أعلى قمة في سلسلة جبال جنوب تركيا، إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، وقد وجدت بقايا السفينة مطمورة في رسوبيات تواضعت من مياه عذبة تعلو سفح ذلك الجبل.

كذلك فإن سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتي كانت مهداً لعدد من الحضارات القديمة سجلت خبر الطوفان الذي وجدت آثاره على هيئة سمك من رسوبيات الماء العذب تغطي المساحة ما بين النهرين، وقد تم الحفر عليها في أربعة مواقع على الأقل هي «أور» (UR)؛ «إيريك» (Erech)؛ «كيش» (Kish) أو تل الأحمر؛ و«شوروباك» (Shuruppak) أو تل العقدة. ويتراوح عمر هذه الرسوبيات بين ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد قام بدراسة هذه المواقع مجموعات متتابعة من العلماء منهم هول (R.H.Hall)، وليونارد وولي (Leonard Woolley) في مشروع مشترك بين المتحف البريطاني بلندن وجامعة بنسلفانيا (University Of Pennsylvania). وقد استمرت هذه البحوث في الفترة من 1922م إلى 1934م، وكشفت عن بقايا حضارات قديمة على عمق عشرة أقدام، تتكون من رواسب الماء العذب: كالغرين والصلصال والرمل التي تمتد أفقياً لآلاف الكيلومترات المربعة، والتي لا يمكن أن تنتج إلّا عن طوفان غامر. وقد تأكد ذلك بدراسة تمت في كهف يقع في شمال العراق يعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave) يحوي قطاعاً من الرسوبيات يعود عمرها إلى مائة ألف سنة مضت ويحوي بقايا إنسية قام بدراستها دكتور رالف سونسكي (Dr. Ralph Sonecki).

وقد حملت كل رسالات السماء التي أنزلت من بعد نبي الله نوح ـ على نبينا وعليه من الله السّلام ـ أخبار هذا الطوفان حتى تكون فيه العبرة لبني الإنسان، ويكون فيه التحذير من الوقوع في أوحال الشرك ـ دون جدوى ـ!!.

ويبقى وصف طوفان نوح كما جاء في القرآن الكريم هو المرجع الحق عن هذه الواقعة الكبرى في تاريخ الإنسانية، وقد لخصها القرآن الكريم في عشرات الآيات الكريمة: (يونس: 71 ـ 73؛ هود: 25 ـ 49؛ المؤمنون: 23 ـ 30؛ الشعراء: 105 ـ 122؛ العنكبوت: 14، 15؛ القمر: 9 ـ 17؛ التحريم: 9، 10؛ نوح: 1 ـ 28).

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]

والضمير في (حملناكم) يعود على البشرية كلها من بعد طوفان نوح عليه السلام وذلك منه ومن ذراريه وممن حملهم معه في سفينته ومن ذراريهم، أي: إلى البشرية كافة من بعد طوفان نوح إلى اليوم وحتى قيام الساعة. وذلك لأن الآية الكريمة تشير إلى حمل أصول تلك البشرية الثانية في صلب نوح عليه السلام وفي أصلاب صحبه الذين نجاهم الله عز وجل معه من نازلة الطوفان. والمعارف المكتسبة في علم الوراثة تؤكد أن البشرية كلها من لدن أبينا آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة كانت في صلبه لحظة خلقه، ثم بدأت في التوزع إلى زوجه حواء عليها السلام، ثم إلى أبنائهما وأحفادهما الذي مثلوا **الموجة الأولى من بني آدم**. ولما انحرف الناس عن منهج الله بعد عشرة قرون من خلق آدم، أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ورسوله نوحاً عليه السلام واستعصى على غالبية قومه قبول هدايته، فعاقبهم الله عز وجل بالطوفان الذي قضى عليهم. وبقيت فضلة من مجموع المورثات التي خلقها الله (الخالق البارئ المصور) في أول الأمر، وأودعها صلب أبينا آدم عليه السلام حتى وصل جزء منها إلى أصلاب كل من نوح عليه السلام والناجين معه، ليخلق الله ـ تبارك وتعالى ـ من تلك الأصلاب **موجة البشرية الثانية** إلى قيام الساعة. ومن هنا كان الخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصددها موجهاً إلى تلك الموجة الثانية من البشرية التي نجت من طوفان نوح، واستمرت في التكاثر إلى اليوم، وستبقى مستمرة في ذلك إلى قيام الساعة بانقسام الشيفرات الوراثية عند تكون الخلايا التناسلية وتكاملها بالتزاوج.

وبالرجوع بعمليات انقسام الخلايا التناسلية إلى الوراء مع الزمن فإن جميع

الشيفرات الوراثية في خلايا السبعة بلايين إنسان الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، وفي خلايا ذراريهم إلى قيام الساعة، تلتقي مع الشيفرات الوراثية التي كانت في صلب نوح عليه السلام وفي أصلاب الناجين معه، ومن هنا كان الخطاب لجميع أفراد موجة البشر الثانية بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: 11، 12].

ولما كان علم الوراثة من أحدث المعارف المكتسبة (لأن قوانين الوراثة لم تتبلور إلَّا في أوائل القرن العشرين)، ولما كان مرسى سفينة نوح لم يحدد إلَّا في نهاية القرن العشرين، كانت هاتان الومضتان المبهرتان في الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة «الحاقة» تمثلان حقيقتين علميتين صحيحتين، تشهدان للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وهاتان الآيتان الكريمتان تمثلان كذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، لأن أحداً من الخلق لم يكن يعلم شيئاً عن تلك الحقائق في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعده. كذلك فإن في الآية الثانية عشرة من هذه السورة المباركة إعلام من الله ـ تعالى ـ بأن كشف سفينة نوح سوف يتم في المستقبل، وقد تم ذلك بالفعل في سنة 1948م، حتى يبقى هذا الحادث الجلل تذكرة للبشر جميعاً تعيه عقولهم وتستوعبه آذانهم وهو من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

19 ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يسٓ: 41].

في عدد من الآيات الكونية المبهرة التي ساقتها سورة «يٓس» للاستدلال على حقيقة الألوهية، وعلى طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في الخلق، وشهادة ذلك على إمكانية البعث وحتميته، جاءت هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يسٓ: 41].

والخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى كل الناس بأن ذريتهم جميعاً: من البلايين التي عاشت وماتت من بعد طوفان نوح إلى اليوم، والبلايين التي تملأ جنبات الأرض حالياً، وممن سوف يخلفوننا إلى قيام الساعة، كل هؤلاء كانوا محمولين في الفلك المشحون في صلب عبد الله ونبيه نوح ـ على نبينا وعليه من الله السّلام ـ، وفي أصلاب الذين آمنوا برسالته، فنجاهم الله ـ تعالى ـ في معية هذا العبد الصالح والنبي الصالح. فالموجة الثانية من ذرية آدم إلى آخر من يُعَقِّب كانت في سفينة نبي الله نوح ﷺ، وعلى ذلك فإن هذا النبي وصحبه الكرام يمثلون الأبوة الثانية للبشرية، بعد هلاك جميع من كفر من قوم نوح بالطوفان.

والمعارف المكتسبة من علم الوراثة تؤكد على حقيقة أن بني آدم جميعاً كانوا في صلب أبيهم آدم ﷺ لحظة خلقه، أي في شيفرته الوراثية المتخلقة في خلاياه التكاثرية، والتي يخلقها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من موضع دقيق بين الصلب والترائب. وهذا المخزون الوراثي (Genetic Pool) الذي كان في صلب أبينا آدم ﷺ شاركته فيه أمنا حواء ﵂ التي خلقها الله ﷻ من نفس الأصل الذي خلق منه أبانا آدم ﷺ لأن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء في زوجية واضحة حتى يبقى ـ سبحانه ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. ثم جعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من التزاوج بين بني آدم سُنَّة من سنن الحياة، وسبباً في تكاثر الخلق وعمارة الأرض. لذلك جعل هذا الخالق (العظيم الحكيم) الشيفرة الوراثية

للإنسان في معظم خلاياه، وجعلها محمولة على عدد محدد من الصبغيات هو (46) صبغياً في الإنسان، وجعل الخلايا الجسدية ـ أي التي ينبني منها الجسد ـ تحمل عدد الصبغيات كاملاً (46 صبغياً)، بينما شاءت إرادته الحكيمة أن تحمل خلايا التكاثر النطف أو الحيامن (Sperms)، والبييضات (ôcytes) نصف عدد الصبغيات (23 صبغياً فقط) في كل خلية تكاثرية، حتى إذا اتحدا وتمت عملية الإخصاب بنجاح تكامل عدد الصبغيات إلى (46)، وهو العدد المحدد للنوع الإنساني.

والنطفة المخصبة (Fertilized ovum or Zygote)، والتي يسميها القرآن الكريم باسم **النطفة الأمشاج** ـ أي المختلطة ـ تبدأ في الانقسام المستمر حتى تكون التوتية (Morula) الحوصلة الأريمية (Blastocyst) التي تنغرس في جدار الرحم، بعد انشطارها، وتستطيل مكونة مرحلة العلقة (Leech-like stage)، أو الأريمة المنغرسة (Implanted Blastula). ثم تتحول العلقة بالتدريج إلى مرحلة المضغة التي تشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ (An embryo in the shape of a chewed piece of meat) وتتحول المضغة إلى مرحلة العظام (The Skeletal Stage) ثم تتم كسوة العظام باللحم، وتحويل الجنين (Embryo) وإنشائه خلقاً آخر حين ينتقل إلى مرحلة الحميل (Fetus) بعد نهاية الأسبوع الثامن من ليلة الإخصاب. ويخرج هذا الحميل عند ميلاده بعد فترة تتراوح بين 177 ليلة إلى 266 ليلة ـ أي بعد ستة إلى تسعة أشهر قمرية ـ حاملاً نصف صفاته عن أبيه وأسلاف أبيه إلى آدم عليه السلام، والنصف الآخر عن أمه وأسلافها إلى حواء رضي الله عنها.

وإذا علمنا أن الشيفرة الوراثية في الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان تتكون من 18.6 بليون جزيء من ثلاثة مركبات كيميائية موزعة عليها بالتساوي (6.2 بليون جزيء لكل واحد من هذه المركبات الكيميائية الثلاث)، وهذه المركبات هي القواعد النيتروجينية، والفوسفات، والسكر. وتتجمع هذه البلايين من الجزيئات، في 3.1 بليون **نويدة** (Nucleotide)، حيث يجتمع لكل

نويدة زوج من القواعد النيتروجينية يستند كل واحد منهما إلى جزيئين أحدهما من السكر والآخر من الفوسفات، وتتوزع هذه النويدات في أكثر قليلاً من بليون **شفيرة** (Codon) تتكون كل واحدة منها من ثلاث نويدات. وتتوزع هذه الشيفرات في حوالي أربعين ألف **مورث** (Gene). وتنتشر الجينات على طول الصبغيات الستة والأربعين المحددة لنوع الإنسان. وإذا علمنا أن هذا الحشد من 18.6 بليون قاعدة كيميائية تكتب الصفات الوراثية للإنسان، وأنه إذا اختل وضع جزيء واحد من هذه البلايين من الجزيئات عن وضعه المحدد له، فإن صاحبه إما أن يشوه خلقياً أو لا يكون. وإذا علمنا كذلك أن هذه الشيفرة الوراثية تتكدس في حيز لا يزيد على الواحد من نصف مليون من المليمتر المكعب، وأن قطر الخلية الحية من خلايا جسم الإنسان لا يزيد على 0.03 من المليمتر في المتوسط، وأن الصبغيات تنقسم باستمرار لتكوين خلايا التكاثر العجيبة (النطف)، وأنه إذا عدنا بعملية الانقسام لتكوين تلك الخلايا التكاثرية إلى الوراء مع الزمن، فإن الشيفرات الوراثية لجميع بني آدم الذين تم خلقهم ثم ماتوا، وبلايين الأحياء (الذين يموت منهم الملايين في كل يوم)، والبلايين من بني آدم الذين سوف يخلقون من بعدنا إلى قيام الساعة، كل هؤلاء كانوا في صلب أبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه. ومن هذا **المخزون الوراثي الأول** انتقل جزء إلى صلب نوح عليه السلام، وإلى أصلاب من آمن به ونجا معه، وهذا الجزء يشكل **المخزون الوراثي الثاني** الذي خلق منه، ولا يزال يخلق، وسوف يظل يخلق منه كل البشر من بعد طوفان نوح إلى قيام الساعة، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً الناس من بعد نوح: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يسٓ: 41]، وقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: 11]، وقال ـ وهو تعالى أصدق القائلين ـ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: 3].

ومن معاني هذه الآيات القرآنية الكريمة الثلاث: أن جميع **أفراد الدورة الثانية للبشرية** (من لدن نجاة عبد الله ونبيه نوح ﷺ، والذين آمنوا معه من نازلة الطوفان إلى قيام الساعة) كانوا جميعاً في الفلك المشحون (أي في سفينة نوح ﷺ)، ولم يكن ممكناً تصور هذه الحقيقة إلّا بعد التطور المذهل في علوم الوراثة مع بداية القرن العشرين. وسبق القرآن الكريم بالإشارة الضمنية إلى هذه الحقيقة، والتأكيد على أنها من آيات الله في الخلق يشهد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، كما يشهد للآية الحادية عشرة من سورة «يسٓ» بأنها وجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله القائل:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يسٓ: 41 ـ 44].

The Table of Nations

10 This is the account of Shem, Ham and Japheth, Noah's sons, who themselves had sons after the flood.

سلالات أبناء نوح

١٠ هذا سجل مواليد سام وحام ويافث أبناء نوح، ومن وُلد لهم من بعد الطوفان.

The Japhethites

[2]The sons of Japheth: Gomer, Magog, Madai, Javan, Tubal, Meshech and Tiras. [3]The sons of Gomer: Ashkenaz, Riphath and Togarmah. [4]The sons of Javan: Elishah, Tarshish, the Kittim and the Rodanim. [5](From these the maritime peoples spread out into their territories by their clans within their nations, each with its own language.)

أبناء يافث

[٢]أبناء يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس. [٣]وأبناء جومر: أشكناز وريفات وتوجرمة. [٤]وأبناء ياوان: أليشة وترشيش وكتيم ودودانيم. [٥]وتفرع من هؤلاء سكان الجزائر وتفرقوا في مناطقهم حسب قبائلهم وأممهم ولغاتهم.

The Hamites

[6]The sons of Ham: Cush, Mizraim, Put and Canaan. [7]The sons of Cush: Seba, Havilah,

أبناء حام

[٦]وأبناء حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان. [٧]وأبناء كوش:

Sabtah, Raamah and Sabteca. The sons of Raamah: Sheba and Dedan. [8]Cush was the father of Nimrod, who grew to be a mighty warrior on the earth. [9]He was a mighty hunter before the LORD; that is why it is said, "Like Nimrod, a mighty hunter before the LORD." [10]The first centers of his kingdom were Babylon, Erech, Akkad and Calneh, in Shinar. [11]From that land he went to Assyria, where he built Nineveh, Rehoboth Ir, Calah [12]and Resen, which is between Nineveh and Calah; that is the great city. [13]Mizraim was the father of the Ludites, Anamites, Lehabites, Naphtuhites, [14]Pathrusites, Casluhites (from whom the Philistines came) and Caphtorites. [15]Canaan was the father of Sidon his firstborn, and of the Hittites, [16]Jebusites, Amorites, Girgashites, [17]Hivites, Arkites, Sinites, [18]Arvadites, Zemarites and Hamathites. Later the Canaanite clans scattered [19]and the borders of Canaan reached from Sidon toward Gerar as far as Gaza, and then toward Sodom, Gomorrah, Admah and Zeboiim, as far as Lasha. [20]These are the sons of Ham by their clans and languages, in their territories and nations.

The Semites

[21]Sons were also born to Shem, whose older brother was Japheth; Shem was the ancestor of all the sons of Eber. [22]The sons of Shem: Elam, Asshur, Arphaxad, Lud and Aram. [23]The sons of Aram: Uz, Hul, Gether and Meshech. [24]Arphaxad was the father of Shelah, and Shelah the father of Eber. [25]Two sons were born to Eber: One was named Peleg, because in his time the earth was divided; his brother was named Joktan. [26]Joktan was the father of Almodad, Sheleph, Hazarmaveth, Jerah, [27]Hadoram, Uzal, Diklah, [28]Obal, Abimael, Sheba, [29]Ophir, Havilah and Jobab. All these were sons of Joktan. [30]The region where they lived stretched from Mesha toward Sephar, in the eastern hill country. [31]These are the sons of Shem by their clans and languages, in their territories and nations.

[32]These are the clans of Noah's sons, according to their lines of descent, within their nations. From these the nations spread out over the earth after the flood.

سبا، وحويلة، وسبتة ورعمة وسبتكا. وأبناء رعمة: شبا وددان. [٨]وأنجب كوش نمرود الذي ما لبث أن أصبح عاتياً في الأرض. [٩]كان صياداً عاتياً أمام الرب. لذلك يقال: «كنمرود جبار صيد أمام الرب». [١٠]وقد تكونت مملكته أول الأمر من بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار. [١١]ومن تلك الأرض خرج إلى أشور وبنى مدن نينوى ورحوبوت عير وكالح، [١٢]ورسن الواقعة بين نينوى وكالح. وهي المدينة الكبيرة. [١٣]ومن مصرايم تحدرت هذه القبائل: اللوديون والعناميون، واللهابيون والنفتوحيون [١٤]والفتروسيون والكسلوحيون، ومنهم تحدر الفلسطينيون والكفتوريون. [١٥]وأنجب كنعان صيدون ابنه البكر ثم حثاً. [١٦]ومنه تحدرت قبائل اليبوسيين والأموريين والجرجاشيين، [١٧]والحويين والعرقيين والسينيين، [١٨]والأرواديين والصماريين والحماتيين، وبعد ذلك انتشرت القبائل الكنعانية [١٩]في الأراضي الواقعة بين صيدون وغزة مروراً بجرار، وبين صيدون ولاشع مروراً بسدوم وعمورة وأدمة وصبوييم. [٢٠]كان هؤلاء هم المتحدرون من حام بحسب قبائلهم ولغاتهم وبلدانهم وشعوبهم.

أبناء سام

[٢١]وأنجب سام، أخو يافث الأكبر، أبناء. ومنه تحدر جميع بني عابر. [٢٢]أما أبناء سام فهم: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام [٢٣]وأبناء أرام: عوص، وحول، وجاثر وماش. [٢٤]وأنجب أرفكشاد شالح، وولد شالح عابر. [٢٥]وولد لعابر ابنان، اسم أحدهما فالج (ومعناه انقسام) لأن أهل الأرض انقسموا في أيامه. واسم أخيه يقطان. [٢٦]وأنجب يقطان ألموداد وشالف وحضرموت ويارح، [٢٧]وهدورام وأوزال ودقلة، [٢٨]وعوبال وأبيمايل وشبا، [٢٩]وأوفير وحويلة ويوباب. وهؤلاء جميعهم أبناء يقطان. [٣٠]وقد استوطنوا في الأراضي الواقعة بين ميشا والتلال الشرقية من جبل سفار. [٣١]هؤلاء هم المتحدرون من سام حسب قبائلهم ولغاتهم وبلدانهم وشعوبهم.

[٣٢]هذه هي القبائل المتحدرة من أبناء نوح حسب شعوبهم، ومنهم انتشرت الأمم في الأرض بعد الطوفان.

الباب الثاني

من أنبياء وشخصيات فترة التاريخ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: 99].

أولاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخيّ في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه هود عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه هود عليه السلام سبع (7) مرّات، في أربع من سور القرآن الكريم، (هي: الأعراف: 65؛ هود: 50، 53، 58، 60، 89؛ والشعراء: 124)، وسمّيت باسمه إحدى سور هذا الكتاب العزيز (**سورة «هود»**) وهي السورة الحادية عشرة في ترتيب سور المصحف الشريف، كما سميت باسم المنطقة التي عاش فيها سورة أخرى هي سورة «**الأحقاف**»، وهي السورة رقم (46) في المصحف الشريف، وجاء ذكر عبد الله ونبيه هود عليه السلام فيها بوصف «أخو عاد» حيث يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحقاف: 21 ـ 28].

وجاء ذكر قوم (**عاد**) في القرآن الكريم (24) مرة، وكانوا من العرب العاربة (البائدة)، وكانت مساكنهم بالأحقاف (جمع حِقْفٍ) وهي تجمعات كثبان

الرمال السافية المستطيلة المتموجة. وتقع الأحقاف في أطراف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي بين كل من عمان، وظفار (اليمن)، والمملكة العربية السعودية. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: 21].

وجاء ذكر (الأحقاف) في القرآن الكريم كله مرّة واحدة فقط، وذلك في هذه الآية الكريمة التي سميت باسمها السورة (سورة الأحقاف).

وعبد الله ونبيه هود عليه السلام هو من نسل سيّدنا نوح عليه السلام، وكان أشبه ولد آدم بآدم عليه السلام كما جاء في حديث رسول الله ﷺ[1]. وهذا النّبي الكريم وقومه **(عاد الأولى)** لم يرد لهما ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، مما يجعل ذكر القرآن الكريم لهما وجهاً من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله، وينفي التهمة الباطلة، التي لا سند لها، ولا دليل عليها، والتي يتشدق بها غلاة كل من اليهود والنصارى اليوم بأن القصص القرآني كله منقول عن «العهد القديم»!!

وكان قوم عاد يسكنون الخيام ذات الأعمدة الضخمة، كما بنوا المدن الفاخرة مثل مدينة (إرم ذات العماد).

والقرآن الكريم يشير إلى أنَّ موسى عليه السلام قد أخبر قومه محذراً من عقاب مثل الذي حدث لكلٍّ من أقوام نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم حيث يقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4074).

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: 8 ـ 12].

وقوم عاد: هم من نسل الذين نجوا مع عبد الله نوح عليه السلام ولجأوا إلى مكة المكرمة، ومنها إلى الأحقاف في أقصى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وكانوا مسلمين على التوحيد الخالص. ثم خلف من بعدهم خلف ضعف إيمانهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وأغرتهم بعبادة الأصنام. وكان «قوم عاد» عمالقة شداداً، وكان الله ـ تعالى ـ قد أفاء عليهم بخير كثير، فأترفتهم النعمة، وكانت سبباً في طغيانهم، بدلاً من أن تكون سبباً لشكر الله ـ تعالى ـ عليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: 69].

وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت: 15].

ونظراً لردة قوم عاد فإن الله ـ تعالى ـ أرسل نبيّه «هوداً» عليه السلام ليردّ قومه من الشرك إلى التوحيد الخالص، وكان عربيًّا، ولسانه العربية، كما كان كل من جاء بعده من الأنبياء العرب: من أمثال كل من أنبياء الله صالح، وشعيب، ومحمّد ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم وعلى أنبياء الله جميعاً ـ وفي ذلك تقول الآيات القرآنيّة الكريمة:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾

قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: 65 ـ 68].

وتقول: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: 50 ـ 52].

وعلى الرَّغم من هذا الإلحاح من عبد الله ونبيه هود عليه السلام إلَّا أنَّ غالبية قومه أنكروه، ورفضوه، وتمرَّدوا على دعوته، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: 123 ـ 135].

وعلى الرَّغم من كلِّ هذا النصح الخالص من هود عليه السلام لقومه، والتحذير الواضح لهم من مغبة الشرك باللَّه، إلا أن غالبية قوم «**عاد الأولى**» أعرضوا عن دعوة سيِّدنا هود عليه السلام وناصبوه العداء، وسخروا منه، واستهزأوا بدعوته، فتوعّدهم بوقوع عذاب الله بهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: 70، 71].

وعلى الرغم من وضوح حجّة عبد الله ونبيه هود عليه السلام، إلَّا أنَّ قومه اتّهموه بأنَّ بعض أصنامهم قد أصابته بشيء من المس فأصبح يهذي بغير وعي، وفي ذلك تقول الآيات على لسان كفار قوم عاد: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا

بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [هود: 53، 54].

وبعد إصرارهم على الشرك، ورفضهم لدعوة الحق، وإنكارهم للعذاب، وتكذيبهم الواضح لنبيهم، نزل عقاب الله بالكافرين من قوم عاد، وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء: 136 ـ 140].

ويروى لنا كل من الأئمة: الترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري أنَّ رسول الله ﷺ ذكر أنَّ قوم عاد عندما أصرَّوا على الشرك باللَّه واستمروا في عبادة الأصنام أمسك الله ـ تعالى ـ عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك. ثم بعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم، وكان تقديس الحرم المكي من عادات أهل ذلك الزمان، ومن بقايا الحق القديم. ولكن لم يستجب الله ـ تعالى ـ لدعائهم، وأنَّى يستجاب لهم وقد بقوا مقيمين على الاستكبار في الأرض، وعلى الشرك باللَّه، يعبدون أصناماً وأوثاناً لهم، مصرين عليها، فأهكلهم الله ـ تعالى ـ بالريح السموم أي شديدة الحر القاتل أو شديدة البرودة المهلكة، من الصَّر (بالفتح) وهو شدة الحر، أو الصِّر (بالكسر) وهو شدة البرد الذي يصيّر (أي يجمع ظاهر جلد الإنسان ويقبضه) أو هي الريح شديد الصوت (من صرَّ، يصِرُّ، صَرًّا، وصَريراً (أي علا صوته بشدة)، واللفظة تجمع كل ذلك. وعلى الرغم من عنف الواقعة، فإن الله ـ تعالى ـ نجَّى عبده هوداً والذين آمنوا معه. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: 15، 16].

ويفصل القرآن الكريم عقاب قوم عاد بعد تكرار إنذار نبيهم «هود» لهم، وتكرار تحديهم له بطلب إنزال عقاب الله بهم فيقول:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف: 22 ـ 26].

ويزيد القرآن الكريم وصف ما نزل بقوم عاد من عذاب تفصيلاً فيقول:

﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: 18 ـ 22].

وقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6 ـ 8].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

وفي غمرة إنزال العذاب بقوم عاد نجى الله ﷻ عبده ونبيه هوداً عليه السلام والذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان رب العالمين:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: 58 ـ 60].

وفاة نبي الله هود عليه السلام:

بعد هلاك الكافرين من قوم عاد أُمِرَ نبيّ الله هود عليه السلام والذين آمنوا معه بالارتحال إلى مكّة المكرّمة، فعاشوا فيها ما قدَّر الله ـ تعالى ـ لهم العيش. واختلف المؤرّخون في تحديد مكان وفاة سيّدنا هود عليه السلام كما اختلفوا في تحديد مكان قبره. فمنهم مَن قال بأن قبره بمكّة المكرّمة ما بين الحجر الأسود وبئر زمزم، ومنهم مَن قال بأرض الشحر من بلاد حضرموت، ومنهم مَن قال بدمشق، والله ـ تعالى ـ هو الأعلم. ولكن أغلب الرأي هو القائل بأنَّ عبد الله ونبيه هوداً عليه السلام دفن بأرض حضرموت لرواية رواها عامر بن وائل قال: سمعت من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيباً أحمر تخالطه مدرة حمراء ذات أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت؟ هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنَّك لتنعته نعت رجل قد رآه! قال: لا، ولكني قد حُدِّثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود ـ صلوات الله عليه ـ. وقد تكرر ورود ذلك عنه مراراً رضي الله عنه[1].

اكتشاف «إرم» ذات العماد:

في سنة 1975م تمّ اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سورية باسم مدينة إبلا (Ebla) تمَّ تحديد عمرها بحوالي 2500 سنة قبل الميلاد (أي قبل 4500 سنة مضت). وفي بقايا مكتبة قصر الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة كبيرة من الألواح الصلصالية حوالي (15) ألف لوح تحمل كتابات بإحدى اللّغات القديمة التي تمَّ معرفة مفاتيحها فتمّت قراءة الألواح كما جاء في مقال «هوارد لافاي» المنشور بالمجلّة الجغرافيّة الأهلية في عددها الصادر في شهر ديسمبر سنة 1978م تحت عنوان: «روعة إمبراطورية غير معروفة» كما يلي:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4062).

Howard La Fay (1978): «Ebla: Splendour of an unknown empire»; National Geographic Magazine, v. 154, n. 6, PP. 731- 759, 1978).

وأشار هذا الكاتب إلى أنَّ من الأسماء التي وجدت على ألواح مدينة «إبلا» الاسم «إرم»، وأضاف قوله أنَّه اسم لمدينة غير معروفة، جاء ذكره في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

وبعد ذلك بعام واحد (أي في سنة 1979م) نشر اثنان من الأثريين الأمريكيين هما «حاييم بيرمانت»، و«ميخائيل فتزمان» كتاباً عن هذا الكشف ذكرا فيه أنَّ الأسماء الثلاثة: «**شاموتو**» (**أو ثمود**) و«**عاد**» و«**إرم**» التي ذكرت في السورة رقم (89) من القرآن الكريم وجدت على ألواح «إبلا»، والكتاب عنوانه كما يلي:

«إبلا: فتح في مجال علم الآثار القديمة».

Chaim Bermant & Michael Wetzman (1979). «Ebla: A Revelation in Archaeology».

وأضاف هذان الكاتبان أن «ثمود» هو اسم لقبيلة مندثرة ذكرها سارجون الثاني (Sargon-II) في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما الاسم «إرم» قد اختلف فيه. فبعض المؤرخين اعتبره اسماً لإحدى القبائل المندثرة، ومنهم مَن اعتبره اسماً لمدينتهم. أما عن الاسم الثالث «عاد» فقد اعتبروه اسماً أسطورياً. وربما كان ذلك من قبيل تزييف التاريخ الذي برع فيه الصهاينة منذ القدم. وفي تاريخ الجزيرة العربية ـ على وجه التحديد ـ سبقت جيوش من مزيفي التاريخ، كان على رأسهم توماس برترام (Thomas Bertram) الذي قام في الثلاثينيات من القرن العشرين بنشر كلام مشابه لما ذكره كل من «حاييم بيرمانت» و«ميخائيل ڤيتزمان».

وفي يوليو سنة 1990م تشكل فريق بحث من كل من وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) ومعهد الدفع النفاث (J.P.L) بكاليفورنيا للبحث عن مدينة «إرم» ولكن المهمة تأجلت بسبب حرب الخليج الأولى (سنة 1990م).

وفي يناير (1991م) بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حدّدتها الصور المأخوذة بواسطة الأقمار الصناعيّة واسمها **منطقة (الشيصار)**، واستمر البحث حتى سنة (1998م) حين أعلن فريق البحث عن اكتشاف قلعة ثمانية

الأضلاع، سميكة الجدران، بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلى تسعة أمتار، ويصل قطره إلى ثلاثة أمتار كما جاء في كتابات كل من:

1 - Ricahrd Ostling (1992): «Arabia's Lost Sand Castle»: Time (17/12/1992).
2 - Bill Harris (1993): «Lost Civilizations».
3 - Nicholas Clapp (1998): «The Road to Ubar».
4 - Pico 1yer (1999): «Falling Off The Map: Some Lonely Places In The World».

وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدوليّة بما يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد ومنه:

1 ـ أنَّهم كانوا في نعمة وافرة سبق أن وصفها كل من بطليموس الإسكندري وبليني الكبير، ووصفوا فيها الأنهار المتدفقة والبحيرات المزدهرة بالحياة والثروات التي لم يكن لها نظير في زمانهم.

2 ـ أنَّهم سكنوا منطقة «الأحقاف» في الطرف الجنوبي الشرقي من الربع الخالي، على الحدود بين كل من المملكة العربية السعودية، وعمان وحضرموت، وأنَّهم أنشأوا فيها مدينة باسم «إرم» تميّزت بأعمدة قلاعها، وكانت أعمدة فارهة في الطول، عظيمة في السّمك.

3 ـ أنَّ هذه الحضارة الزاهرة طمرتها عاصفة رملية غير عادية.

بعض الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم قصّة عبد الله ونبيه هود ﷺ:

1 ـ ضرورة الإيمان باللَّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإلَّا وقع عذاب الله على المتنكرين لذلك.

2 ـ حتمية التطهر من الشرك بكلّ أشكاله وألوانه وصوره، لأنه كان ـ ولا يزال ـ سهم الشيطان الأول الذي يستخدمه في تدمير الإيمان في العقول والقلوب.

3 ـ إنَّ من الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ تذكر نعمه بالشكر، فبالشكر تدوم النعم، وإلَّا فإن زوالها يصبح من الأمور الحتمية.

4 ـ إنَّ من أجمل صور الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ هو حسن التوكّل عليه، كما فعل عبد الله ونبيه هوداً عليه السلام، وفعل غيره من الأنبياء والصالحين.

5 ـ إنَّ على الداعية لدين الله عز وجل أن يتجمَّل بالصبر، وسعة الصدر، في مواجهة الضالين من الكفار والمشركين، ومن الظالمين الجائرين المفسدين في الأرض.

6 ـ إنَّ التوبة إلى الله ـ تعالى ـ والإكثار من استغفاره وطلب العفو منه يشكل طوق النجاة للمؤمنين، لأنَّ كل بني آدم خطَّاؤون وخير الخطَّائين التوَّابون.

7 ـ انطلاقاً من الإيمان بوحدانية الخالق عز وجل يتحتم الإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء وبالأخوة بين الناس أجمعين.

8 ـ ضرورة التسليم بكل ما وقع بعصاة الأُمم السابقة من العذاب، ومن صوره عذاب الكافرين من قوم عاد بالريح الصرصر العاتية التي دمرتهم وطمرت مساكنهم، بأكوام هائلة من الرمال السافية التي لا يعرف لها نظير على وجه الأرض، في كمِّها وكثافتها والمساحة التي تغطيها اليوم في منطقة الربع الخالي ـ بصفة عامة ـ وفي الأحقاف منه ـ بصفة خاصة.

9 ـ أنَّ الله ـ تعالى ـ يمهل ولا يهمل، ولكنَّه إذا أخذ فإنَّ أخذه شديد.

10 ـ إن أجيال بني آدم الأولى كانت تتمتع بأجساد أضخم، وبأعمار أطول، وبقدرات بدنية أعظم من الأجيال المتأخرة التي تتجه بصفة عامة إلى تناقص في الحجم، وتقاصر في الأعمار، وإلى قدرات بدنية أقل، وإن رافق ذلك تقدم علمي وتقني مطرد، ما لم تنتكس الحضارة الإنسانية، أو تدمرها الحروب. وعلوم الوراثة ـ في تقدمها المذهل ـ تؤيد ذلك وتدعمه.

11 ـ إن عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه هود عليه السلام يجسد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأن كتب الأولين من مثل «العهدين القديم والجديد» لا تذكر شيئاً عنه. وهذه الحقيقة وحدها كافية لدحض كل ادعاء باطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم».

20 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6، 8].

جاء ذكر «قوم عاد» في سورتين من سور القرآن الكريم، سميت إحداهما باسم نبيهم «هود» عليه السلام، وسميت الأخرى باسم موطنهم «الأحقاف»، كما جاء في عشرات الآيات القرآنية الأخرى التي تضمها ثماني عشرة سورة من سور القرآن الكريم والتي نختار منها ما يلي من أقوال الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: 65 ـ 72].

2 ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا

خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠﴾ [الشعراء: 123 ـ 140].

3 ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت: 13 ـ 16].

4 ـ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٢١ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف: 21 ـ 26].

5 ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٢٢﴾ [القمر: 18 ـ 22].

6 ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ٨﴾ [الحاقة: 6 ـ 8].

7 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ٨﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

وفي غير هذه الآيات جاء ذكر قوم عاد في كل من سورة (التوبة: 70)، (هود: 50، 60)، (إبراهيم: 9)، (الحج: 42)، (صٓ: 12)، (غافر: 31)، (قٓ: 13)، (الذاريات: 41)، (الفرقان: 38)، (العنكبوت: 38)، و(النجم: 50).

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ في التراث الإسلامي:

في تفسير ما جاء عن (قوم عاد) في القرآن الكريم نشطت أعداد من المفسرين والجغرافيين والمؤرخين وعلماء الأنساب المسلمين، من أمثال الطبري، والسيوطي، والقزويني، والهمداني، وياقوت الحموي، والمسعودي في الكشف عن حقيقة هؤلاء القوم، فذكروا أنَّهم كانوا من (**العرب البائدة**)، وهو تعبير يضم كثيراً من الأمم التي اندثرت قبل بعثة المصطفى ﷺ بمئات السنين، ومنهم **قوم عاد**، **وثمود**، **والوبر**، وغيرهم كثير. وواضح من آيات القرآن الكريم أنَّ مساكن قوم عاد كانت بالأحقاف ـ (جمع حِقْف: وهو كثيب الرمل السافي المستطيل المتموج أي: ما اعوج من الرمال السافية واستطال). والأحقاف ـ هي جزء من جنوب شرقي الربع الخالي، بين حضرموت جنوباً، ومعظم الربع الخالي (المملكة العربية السعودية) شمالاً، وعمان شرقاً. والقرآن الكريم يثبت أن النبي الذي بعثه الله ـ تعالى ـ إلى قوم «**عاد**» كان هو سيِّدنا **هود** عليه السلام، وأنَّه بعد هلاك الكافرين، من قومه سكن هود أرض حضرموت حتى مات، ودفن فيها قرب (وادي برهوت) إلى الشرق من مدينة تريم، وإن قيل أنه هاجر إلى مكة المكرمة حيث عاش إلى أن مات ودفن في حجر المسجد الحرام بين الحجر الأسود وبئر زمزم.

أما عن ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ فقد ذكر كلٌّ من الهمداني (المتوفى سنة 334هـ/ 946م)، وياقوت الحموي (المتوفى سنة 627هـ/ 1229م) أنَّها كانت من بناء شداد بن عاد، ثم اندرست ـ أي: طُمِرَت بالرمال ـ فهي لا تعرف الآن، وإن ثارت من حولها كثير من الأساطير.

الكشف الحديث عن ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾:

في سنة 1984م زوّدت وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) أحد مكوكات

الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار (يعرف باسم جهاز رادار اختراق سطح الأرض (Ground Penetrating Radar Or GPR)، فكشف هذا الجهاز عن العديد من المجاري المائية الجافة والمدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً. وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة بواسطة هذا الجهاز، تقدم أحد هواة دراسة الآثار الأمريكان ـ واسمه نيكولاس كلاب (Nicholass Clapp) ـ إلى مؤسسة بحوث الفضاء الأمريكية (NASA) يطلب الصور التي أخذت بتلك الواسطة لجنوب الجزيرة العربية. واستجابت الهيئة إلى طلبه، ومنحته الصور المطلوبة، وعند دراستها اتضح له وجود آثار مدقات طرق قديمة يعتقد بأنها كانت تؤدي إلى مدن مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي. وقد شجع على هذا الاستنتاج وجود عدد من أودية الأنهار القديمة، والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلومترات مدفونة برمال الربع الخالي، وهي رمال سافية.

وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى الكتابات القديمة الموجودة في إحدى المكتبات المتخصصة في ولاية كاليفورنيا، وتعرف باسم مكتبة هنتنجتون (Huntington Library)، كما لجأوا إلى عدد من المتخصصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، وفي مقدمتهم الأمريكي جوريس زارينز (Juris Zarins)، والبريطاني رانولف فينيس (Ranulph Fiennes). أجمع الدارسون على أنَّ آثار منطقة «الشيصار» هي آثار عاصمة قوم عاد، الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم الذي ذكر اسم مدينتهم (إرم) في «سورة الفجر»، وهي السورة رقم (89) في تسلسل سور القرآن الكريم. وقد قدر عمر مدينة «إرم» بالفترة من 3000ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية. وعلى الفور قام معمل الدفع النفاث، وهو أحد المكونات الأساسية لمعهد كاليفورنيا للتقنية بولاية كاليفورنيا الأمريكية (The Jet Propulsion Laboratories (J.P.L.), California Institute of Thechnology) بإعداد تقرير مُطوَّل يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي قد تملأ فراغاً في

تاريخ البشرية. وكان عنوان التقرير هو: البعثة عبر الجزيرة العربية (The Trans-Arabia Expedition)، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآيتان الكريمتان رقما (7، 8) من سورة الفجر. وقد أُرْسِلَ إليَّ هذا التقرير لدراسته، وقمت بذلك فعلاً، وقدمت رأيي فيه كتابة إلى المسؤولين بالمملكة العربية السعودية.

وقد ذكر هذا التقرير أنَّ اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة أرض «قوم عاد» في أواخر عهدها. وكتب هذان العالمان أن المنطقة كانت لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات زاخرة بالحياة، والأرض مكسوة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة فيها، وذلك قبل أن يهلكهم الله ـ تعالى ـ بفترة قصيرة. وكان أحد هذين العالمين هو بليني الكبير [Pliny the Elder = Caius Plinius Secundus C.C.A.] وهو أحد كبار علماء الحضارة الرومانية، والذي عاش في الفترة من 23م إلى 79م، والآخر كان هو الفلكي والجغرافي المصري بطليموس الإسكندري (Potolomy of Alexandria) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية، وعاش في الفترة (من 100م إلى 170م تقريباً). قام بطليموس الإسكندري هذا برسم خريطة لمنطقة «الأحقاف» بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المتشعبة، والتي تلتقي حول مساحة واسعة من الأرض، سماها باسم (**سوق عمان**).

ووصف بليني الكبير حضارة «**عاد الأولى**» بأنَّها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها. فقد عاشت هذه القبيلة على مفترق طرق التجارة بين كلٍّ من الصين والهند من جهة، وبلاد الشام وأوروبا من جهة أخرى، والتي كانت قبيلة عاد تصدِّر إليها كلاً من البخور، والعطور، والأخشاب، والفواكه المجفّفة، والذهب، والحرير وغيرها. ونظراً لما يسود منطقة الربع الخالي اليوم من قحولة وجفاف، فإن كثيراً من المتأخرين قد علّق على كتابات كلٍ من بليني الكبير وبطليموس الإسكندري، ووصفوها بأنَّها ضرب من الخرافات والأساطير. كذلك لا يزال يتشكك فيها بعض

المعاصرين، ممن لم يستطيعوا تصوّر أن الربع الخالي ـ وهو من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافاً اليوم ـ كان مليئاً في يوم من الأيام بالأنهار والبحيرات والعمران. ولكن الصور التي أخذها المكوك الفضائي مؤخراً جاءت مطابقة لخريطة بطليموس الإسكندري، ومؤكدة لما كان قد كتبه من قبل، ولما كان قد كتبه أيضاً بليني الكبير، وقد جاء ذلك بالتفصيل في تقرير معهد الدفع النفاث المعنون بعنوان «البعثة عبر الجزيرة العربية» (The Trans-Arabia Expedition).

إرهاصات قبل الكشف عن مدينة «إرم»:

في سنة 1975م تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سوريا باسم مدينة (إبلا) (Ebla)، تم تحديد تاريخها بحوالي 4500 سنة مضت، وفي بقايا مكتبة قصر الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة كبيرة من الألواح الصلصالية (حوالي 15,000 لوح) تحمل كتابات بإحدى اللّغات القديمة التي تم معرفة مفاتيحها وتمت قراءتها. وفي عددها الصادر بتاريخ ديسمبر 1978م نشرت المجلة الجغرافية الأهلية (National Geographic Magazine) مقالاً بعنوان: «إبلا: روعة إمبراطورية غير معروفة» (Ebla: Splendour of an unknown Empire (vol. 154, No 6, PP 731-759) لكاتب باسم هوارد لافاي (Howard la Fay) جاءت فيه الإشارة إلى أنَّ من الأسماء التي وجدت على ألواح مدينة إبلا الاسم (إرم) على أنّه اسم لمدينة غير معروفة جاء ذكره في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

بعد ذلك بعام واحد ـ أي في سنة 1979م ـ نشر اثنان من الأثريين الصهاينة الأمريكيين هما: حاييم برمانت، وميخائيل ويتزمان Chaim Bermant and Michael Wetzman (1979): كتاباً بعنوان: «(إبلا) فتح في مجال علم الآثار» «Ebla-A revelation In Archaeology» ذكرا فيه أسماء ثلاثة وجدت مكتوبة على ألواح الصلصال المكتشفة في (إبلا) هي: **شاموتو (أو ثمود)**، و**(عاد)**، و**(إرم)** وذكرا أنَّ هذه الأسماء الثلاثة ذكرت في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

وأضاف هذان الكاتبان أنَّ (ثمود) هو اسم قبيلة مندثرة ذكرها سارجون الثاني (Sargon II) في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما الاسم (إرم) قد اختُلِف فيه، فمن المؤرخين من اعتبره اسماً لإحدى القبائل، ومنهم من اعتبره اسماً لمكان، أما عن الاسم الثالث (عاد) فقد اعتبراه اسماً أسطورياً، وهذا من قبيل تزييف التاريخ الذي برع فيه الصهاينة منذ القدم، وقد سبقهم في ذلك جيش من مزيفي تاريخ الجزيرة العربية كان على رأسهم «توماس برترام» (Thomas Bertram) الذي نشر في الثلاثينيات من القرن العشرين كلاماً مشابهاً.

في يوليو سنة 1990م تشكل فريق من البُحَّاث في وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) برئاسة «تشارليس إيلاتشي» (Charles Elachi)، ومن معهد الدفع النفاث (J.P.L) برئاسة «رونالد بلوم» (Ronald Blom) للبحث عن «إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ» تحت رعاية وتشجيع عدد من الأسماء البارزة التي كان منها كل من: (Armand Hammar, Sir Ranoulph Fiennes, George Hedges) ولكن البحث تأجل بسبب حرب الخليج الأولى (1990م).

ماذا بعد الكشف عن إرم؟:

في يناير سنة 1991م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية، واسمها الحالي «الشيصار»، واستمر العمل إلى مطلع سنة 1998م، وأُعْلَن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع، سميكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة، يصل ارتفاع كل منها إلى 9 أمتار، وقطره إلى 3 أمتار.

- في 17/ 2/ 1992م نشر في مجلة تايم (Time) الأمريكية مقال بعنوان: «القلعة الرملية المفقودة في جزيرة العرب» بقلم الكاتب رتشارد أوستلنج (Arabia's Lost Sand Castle» By Richard Ostling) ذكر فيه الكشف عن مدينة إرم.
- بتاريخ 10/ 4/ 1992م كَتَبْتُ مقالاً بعنوان (اكتشاف مدينة إرم ذات العماد)

نُشِرَ بجريدة الأهرام القاهرية لخصت فيه ما وصلني من أخبار ذلك الكشف حتى تاريخه.

- في سنة 1993م نشر «بيل هاريس» كتابه المُعَنْوَن بعنوان «حضارات مفقودة» (Bill Harris: Lost Civilizations).

- بتاريخ 23/ 4/ 1998م نشر «نيكولاس كلاب» (Nicholas Clapp) كتابه المُعَنْوَن: «الطريق إلى أوبار» «The Road to Ubar»، ويعتبر «أوبار» اسماً بديلاً لمدينة «إرم».

- بتاريخ 16/ 6/ 1999م نشر «بيكو إير» (Pico Iyer) كتابه المُعَنْوَن: «سقوط من الخارطة: بعض الأماكن المعزولة في العالم»
(Falling off The Map: Some Lonely Places in The World).

وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدولية منذ ذلك التاريخ، ولكن تكتّم القائمون على الكشف نشر المزيد من أخباره حتى يتمكنوا من تزييفه، وإلحاقه بأساطير اليهود، كما فعلوا من قبل في كل من لفائف البحر الميت، وآثار (إبلا)، وفي غيرهما من المواقع. وكلّ ما نشر ـ على قلته ـ يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم عن «قوم عاد»، والذي يمكن تلخيصه فيما يلي:

1 ـ أن قوم «عاد» كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنهم بطروها ولم يشكروها، ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنّها لم يكن يدانيها في غناها حضارة أخرى، (In its affluence it was next to nothing) وجاء ذلك كأنّه ترجمة لمنطوق الآية الكريمة: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾.

2 ـ أنَّ هذه الحضارة قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية، وهو ما سبق القرآن الكريم بالإشارة إليه، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6 ـ 8].

3 ـ أنَّ هناك محاولات مستميتة من اليهود لتزييف تاريخ تلك المنطقة، ونسبة كل حضارة تكتشف فيها إلى تاريخهم المُحَرَّف، ولذلك كان هذا التكتُّم الشديد على نتائج الكشف حتى يفاجئوا العالم بما قد زيفوه، ومن ذلك محاولة تغيير اسم (إرم) إلى اسم عبري هو أوبار (Ubar).

هذه قصة ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾، مدينة قوم عاد التي جاءت الكشوف الأثرية الحديثة بإثبات ما ذُكر عنها في القرآن الكريم. وإذا كان نفر من الأقدمين قد حاول إنكار ذلك تطاولاً على الله وكتابه، فإن نفراً من المحدثين قد حاول إنكاره تطاولاً على العلم وأهله في زمن (يتكلم فيه الرويبضة)[1] كما أخبرنا رسول الله ﷺ ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه.

ولكن كل ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لقوم عاد ولمدينتهم ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾، ولما أصابها وأصابهم من دمار بعاصفة رملية غير عادية يبقى صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، تشهد لهذا الكتاب العزيز بصفائه الربَّاني، وإشراقاته النَّورانيّة، وبأنَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(1) مسند أحمد حديث رقم (13298).

21 ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 24، 25].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تشيران إلى ما أنزل الله ـ تعالى ـ بقوم عاد من عقاب قبل عدة آلاف من السنين. ولم يعرف معظم المؤرِّخين وعلماء الآثار شيئاً عن «قوم عاد» إلّا ما أورده القرآن الكريم عنهم، حتى كانت سنة 1984م حين تمَّ تزويد إحدى مركبات الفضاء بجهاز رادار له قدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عشرات الأمتار فكشف عن العديد من البحيرات والمجاري المائية الجافة المدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً كما سبق وأن أشرنا. وبتحليل الصور المأخوذة لجنوب الجزيرة العربية بواسطة تلك المركبة اتَّضح وجود أعداد من تلك الأودية والأنهار والبحيرات الجافة المطمورة بواسطة رمال الربع الخالي، كما اتَّضحت آثار طرق برية قديمة تؤدي إلى عديد من الأبنية المدفونة التي تمَّت نسبتها إلى آثار «قوم عاد» ولعاصمة ملكهم «إرم». وقد اهتم معهد الدَّفع النفاث بولاية كاليفورنيا وهو جزء من معهد كاليفورنيا للتقنية بإعداد تقرير مطوَّل عن نتائج دراسة تلك الصور، ويدعو التقرير في ختامه كلًّا من الحكومات العربية ورجال الأعمال العرب إلى دعم عملية الكشف عن تلك الآثار التي لا يعرف الأثريون والمؤرخون شيئاً عنها. على الرَّغم من أنَّ اثنين من قدامى المؤرخين قد أوردا في مدوناتهما أنَّ كلًّا منهما قد زار أرض «قوم عاد» منفرداً في أواخر عهدها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة مادية زاهرة، الأنهار فيها متدفقة بالمياه، والبحيرات عامرة بالحياة، واليابسة مكسوة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة في زمانهم قبل أن يهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم وشركهم. وكان أحد الزائرين هو

بليني الكبير (Pliny the Elder) وهو من مؤرخي الحضارة الرومانية (عاش في الفترة من 23م إلى 79م تقريباً)، وكان الآخر هو بطليموس الإسكندري (Potolomy of Alexandria) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية (وعاش في الفترة من 100م إلى 170م تقريباً). وقد قام بطليموس هذا برسم خارطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سمَّاها باسم «سوق عُمَان». كذلك وصف بليني الكبير حضارة عاد بقوله: إنَّها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أُخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها المادية، حيث كانت على مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند شرقاً، وبلاد الشام وأوروبا غرباً.

وكانت قبيلة «عاد» تصدر كلًّا من البخور والعطور والأخشاب والفواكه المجففة والذهب، والحرير، وغيرها إلى كل الدول من حولها.

وقد علَّق كثير من المتأخرين على كتابات كل من هذين المؤرِّخين واصفين إيَّاها بالأساطير والخرافات، لأنَّهم لم يستطيعوا تصور أنَّ منطقة الربع الخالي وهي من أكثر مناطق الأرض قحولةً وجفافاً اليوم (إن لم تكن أكثرها على الإطلاق) كانت مليئة بالماء والحياة والعمران في يوم من الأيام.

ولكن في يناير سنة 1991م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية، واستمر العمل بها حتى سنة 1998م، ثم توقف بسبب حرب الخليج الثانية، وتم استئنافه بعدها وظل مستمراً إلى اليوم. وخلال هذه الفترة تمَّ الإعلان عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سميكة الجدران بأبراج مراقبة في زواياها قائمة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلى تسعة أمتار، ويصل قطره إلى ثلاثة أمتار ونسبت القلعة إلى مدينة «إرم» التي وصفها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: 7، 8].

وكما سبق وأن أشرنا توالى بعد ذلك نشر العديد من الكتب والمقالات

والمواقع على شبكة المعلومات الدولية عن هذا الكشف الأثري الفريد الذي يؤكّد الحقيقة التاريخية عن «قوم عاد»، وأنَّهم كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنَّهم بطروها ولم يشكروها فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بـ: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والدّراسات على آثارهم تؤكّد أن مناطق سكناهم طمرت بعاصفة رملية غير عادية.

من الإشارات التاريخية والعلمية في النص الكريم:

في الآيتين رقم (24)، (25) من سورة «الأحقاف» عدد من الحقائق التاريخية والعلمية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...﴾ [الأحقاف: 24]:

يسجل هذا النص القرآني الكريم أن الله ـ تعالى ـ حبس عن «قوم عاد» المطر بعد أن كانت الأنهار متدفقة في أراضيهم، والبحيرات زاخرة بالحياة، فأصاب منطقة «الأحقاف» دورة من دورات الجفاف والتصحُّر الشديد، وكان ذلك عقاباً لهم على مغالاتهم في الشرك، وقسوتهم في الرد على نبيهم سيدنا «هود» عليه السلام، واستهتارهم بما حذّرهم به من العذاب، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف: 21، 22].

ومن معاني هاتين الآيتين الكريمتين أن سيدنا هود عليه السلام لم يكن أول منذر لقومه، فقد سبقه العديد من الرسل إلى أقوامهم، لأن وحي السماء كان متصلاً من زمن آدم إلى زمن هود، ومن زمن هود إلى زمن محمد ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليهم وعلى كافة أنبياء الله ورسله أجمعين ـ. وإنذار الرسل كان واحداً، وهو التحذير من مغبّة الشرك بالله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي قالت «عاد» جواباً لتحذير نبيهم هود لهم: أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة أصنامنا؟ وهو استفهام يراد به التسفيه والتجهيل والاستهتار بما أنذرهم به، ولذلك أضافوا قولهم المتحدي: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: أنهم استعجلوا نزول عقاب الله بهم، استبعاداً منهم لإمكانية وقوعه.

ويروي عدد من أئمة الحديث والتفسير من أمثال كل من الترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري أن رسول الله ﷺ ذكر أن «قوم عاد» عندما أصرُّوا على الشرك بالله، واستمروا في عبادة الأصنام، أمسك الله ـ تعالى ـ عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك. وعندما طال عليهم الجفاف بعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم المكي، ولكن أنّى يستجاب لهم في شركهم واستكبارهم في الأرض؟

ثم فوجئوا بالسحاب معترضاً في أفق السماء متجهاً نحو أوديتهم، فاستبشروا به، ظنًّا منهم بأنه السحاب الحامل للمطر إليهم. ويثبت القرآن الكريم هذه الواقعة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...﴾.

وربما كان ذلك هو بدايات تصحُّر جنوب الجزيرة العربية، وإشارة القرآن الكريم إليه هو سبَق علمي وتاريخي مشهود.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا...﴾ [الأحقاف: 24، 25]:

أي قال لهم نبيهم هود عليه السلام: ليس الأمر كما زعمتم أنه المطر، بل هو ما استعجلتم به من العذاب، ثم فسّره بقوله: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا...﴾ أي تخرب وتدمر وتهلك كل شيء أتت عليه من الأحياء والجمادات والعمران. وهي الريح الصرصر العاتية التي جاء وصفها في سورة «فصلت» بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: 16].

وجاء في سورة «الذاريات» قول ربنا ـ سبحانه ـ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: 41، 42].

وجاء في سورة «القمر» قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر: 18 ـ 20].

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، فقلت: يا رسول الله! الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: **«يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾»**[1].

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 25]:

أي فأصبح كفار ومشركو «قوم عاد» صرعى لا ترى إلا مساكنهم، لأن هذه الريح الصرصر العاتية لم تبقِ منهم إلا الديار الخاوية، التي طمرتها الرمال السافية بعد ذلك حتى تمّ الكشف عن بعضها في أواخر القرن العشرين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما جاءت الريح على «قوم عاد» كانت تأتي على الرجال والمواشي فترفعهم من الأرض وتطير بهم إلى السماء حتى يصبح الواحد منهم كالريشة، ثم تضربهم على الأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وتركت مساكنهم قائمة خاوية موحشة حتى طمرتها الرمال.

وتختتم الآيات بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4829).

أي أن هذه هي سنّة الله في الذين أدمنوا الإجرام، وأفسدوا في الأرض، وهي سنّة لا تتوقف، ولا تتبدل، ولا تتعطل أبداً.

وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى «قوم عاد»، وأنهم أشركوا باللَّه ـ تعالى ـ بعد كل ما كانوا فيه من نعيم العيش ورغده، وتحديد اسم النبي الذي بعثه الله ـ تعالى ـ إليهم وهو «هود» عليه السلام، ووصف موقفهم من دعوته، ووصف عقاب الله تعالى لهم بالتدمير الكامل بـ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم. وذلك لأن الدراسات الحديثة على موقع «إرم» أثبتت أن «حضارة عاد» قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية بعد أن كانت أغنى الحضارات في زمانها، وأوفرها ثراءً وعمراناً. ومع عدم وجود أي ذكر لهذه الأُمة أو لنبيّها في أي من «العهدين القديم أو الجديد» فيه الردّ الدَّافع ببطلان دعوى المدعين بأن القرآن الكريم أخذ قصصه عن تلك الكتب. وفي ذلك ما يؤكد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الموحى به إلى خاتم أنبيائه، ورسله، والمحفوظ في نفس لغة وحيه (اللُّغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، والذي سوف يبقى محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله، تحقيقاً للوعد الإلٰهي المطلق الذي قطعه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على ذاته العليّة فقال ـ عزَّ مَن قائل ـ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: 101]

ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه صالح عليه السلام

جاء ذكر اسم عبد الله ونبيه صالح عليه السلام في القرآن الكريم تسع (9) مرَّات في أربع من سور هذا الكتاب العزيز هي: «الأعراف»، «هود»، «الشعراء»، و«النمل». وكان هذا العبد الصالح، والنبي الصالح قد بُعث إلى قومه قبيلة «ثمود»، وهم بقيّة قوم (عاد الأولى) ولذلك يُطلق عليهم اسم (عاد الثانية). **ويقال بأنهم كانوا قد سمّوا على اسم جدّهم (ثمود) بن عابر بن إرم بن سام بن نوح** عليه السلام، وكانوا من العرب العاربة، الذين سكنوا منطقة الحجر (بوادي القرى، على الطريق القديم بين مدينتي يثرب وتبوك) في محافظة «العلا». وقد اختلف المؤرّخون في ذكر نسب عبد الله ونبيه صالح اختلافاً كبيراً قبل جده (ثمود)، واتّفقوا على ما بعد ذلك. وقال أبو عمرو بن العلاء أن (ثموداً) سميت بهذا الاسم لقلة مائها، لأن (الثمد) في اللغة العربية هو الماء القليل، وإن كانت آثارهم في «وادي القرى» تشير إلى غير ذلك.

وقد جاء ذكر «قوم ثمود» في القر«ن الكريم (26) مرة، كما جاء ذكر مكان إقامتهم (**الحجر**) مرّة واحدة في القرآن الكريم وسمّيت باسمه إحدى سور ذلك الكتاب العزيز (سورة «**الحجر**»)، وفيها يقول ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: 80].

وكثيراً ما يقرن القرآن الكريم بين كل من قومي «عاد» و«ثمود»، وذلك لأنَّ «ثمود» هم نسل الذين نجوا مع عبد الله ونبيّه هود عليه السلام من عذاب قوم «عاد»، فهاجروا من منطقة «الأحقاف» إلى مكَّة المكرَّمة، ثم بعد ذلك سكنت ذراريهم منطقة «الحجر».

ولا يوجد ذكر لأي من قبيلتَيْ «عاد» أو «ثمود» في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، علماً بأنَّ القرآن الكريم يؤكّد على علم موسى عليه السلام بأخبارهم، ويسجل القرآن الكريم ذلك حين وجه عبد الله ونبيه موسى عليه السلام إنذاره إلى قومه الذين عاندوه وجحدوا هدايته قائلاً لهم: إن تجحدوا نِعم الله عليكم ولا تشكروها، فإنَّ الله ـ تعالى ـ غني عنكم وعن جميع مَن في الأرض، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

[إبراهيم: 8 ـ 12].

هذا وقد تمّ اكتشاف آثار قوم «ثمود»، وهي قرية تقع في محافظة «العلا»، على الطريق القديم بين المدينة المنورة ومدينة «تبوك». كذلك تمّ العثور على عدد من الإشارات القديمة إلى «قوم ثمود» في ألواح الصلصال التي وجدت في أطلال مدينة إبلا (Ebla) الأثريّة المكتشفة سنة 1985م في شمال غربي سوريا، وقد تمّ تحديد عمر هذه الألواح بحوالي 4500 سنة مضت كما جاء في المقال الذي سبق وأن أشرنا إليه والمعنون:

Howard la Fay (1978): «Ebla: Splendour Of An Unknowm Empire»; National Geographic Magazine, V. 154, N: 6, pp. 731-759).

وتقرر طائفة من المراجع القديمة القول بوجود اسم «ثمود» في عدد من الآثار القديمة، وذلك من مثل نقش الملك الآشوري «سرجون»، ويرجع تاريخ هذا النقش إلى سنة 715ق.م. ويشير إلى حروب قامت بين قوم ثمود والأشوريين. ومن ذلك أيضاً كتابات كل من أرسطو، وبطليموس الإسكندري، وبليني الكبير، الذين ذكروا من منازل ثمود مناطق عديدة سموها بأسماء «دمثة» (Domutha) و«هجرة» (Hegra). وقد استشهد عدد من شعراء الجاهلية (من مثل الأعشي وأميّة بن أبي الصّلت) بما حدث لكل من «عاد» و«ثمود» على زوال متاع الدنيا عند الاغترار بها، وعند جحود نِعم الله وعدم شكرها.

ويذهب «جليزر» (Glaser) إلى أنَّ ثمود كانوا وثيقي الصّلة بقبيلة (لحيان) التي ذكرها بليني الكبير باسم (الشيني). ولا يزال اسم (لحيان) يطلق على حيين من أحياء قبيلة هذيل إلى اليوم، وذلك لأنَّ هلاك «ثمود» ـ كما يقول جليزر ـ يتّفق ونهاية مملكة لحيان (فيما بين عامي 400م، 600م).

وينسب علماء الآثار النقش المحفور على الصخرة التي وجد عليها صور كلّ من (هوبر) و(يونتج) وغيرهما في منطقتي «العلا» و«الحجر» وما جاورهما إلى «قوم ثمود»، أو إلى «قوم لحيان». كذلك يربط المؤرّخون بين الذين نجوا من قوم صالح عليه السلام وبين قبيلة «ثقيف» الذين سكنوا منطقة الطائف فيما بعد.

قصّة ناقة صالح عليه السلام:

سبق وأن ذكرنا بأن الذين نجوا من عذاب قوم «عاد الأولى» مع نبيّهم هود عليه السلام لجأوا إلى مكّة المكرَّمة، ومنها انتقلت ذراريهم إلى منطقة العلا (الحجر) في «وادي القرى» على الطريق القديم بين المدينة وتبوك. و«وادي القرى» تميز بوفرة نسبية في كل من الماء وخصوبة التربة، في منطقة محميّة حماية طبيعية بسلاسل الجبال المحيطة بها. وقد قامت «ثمود» بنحت مساكنهم في السلاسل الجبلية المحيطة بجانبَيْ الوادي، كما أتوا بكتل هائلة من صخورها إلى بطن الوادي

ونحتوها قصوراً. وكان النَّاجون من «قوم عاد الأولى»، ومَن جاء من نسلهم (عاد الثانية أو ثمود) على التوحيد الخالص، ثم اجتالت الشياطين نفراً من ذراريهم عن دينهم، وأغوتهم بالشرك فعبدوا الأصنام والأوثان حتى عمَّ ذلك قبيلة «ثمود» بأسرها، فأرسل الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيّه صالحاً عليه السلام ليردّهم إلى التوحيد من جديد، فكفروا برسالته، وقاوموا دعوته، وحاربوه، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً.

كان صالح عليه السلام من أشرف أبناء «قبيلة ثمود» نسباً، وأكثرهم حلماً، وأصفاهم عقلاً، ولكن عندما آتاه الله النبوة جفاه قومه، وحاربوه، وسَفَّهوا رأيه وسخروا من دعوته. وعلى الرغم من ذلك كله استمر صالح عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وإلى تنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، واستمر قومه في معارضته، ومقاومة دعوته، وتسفيه قوله، فصبر على جهالتهم وفسادهم. وبقي يحذِّرهم من مخاطر الشرك، ومن عواقب الإفساد في الأرض والاغترار بالدنيا الفانية، ويذكّرهم بضرورة التوبة إلى الله من المعاصي التي كانوا قد وقعوا فيها، وبضرورة الشّكر للّه على النِّعم التي كان قد أغدقها عليهم، خشية زوالها، فلم يؤمن معه إلَّا القليل من قومه، وظلَّت الأغلبيّة الساحقة منهم في محاربته والاستهزاء به، والسخرية منه.

ولمَّا طال صبر نبيّهم على كفرهم واستكبارهم، سألهم ماذا يريدون إثباتاً لصدق نبوته؟ فطلبوا منه ـ من قبيل التعجيز ـ إخراج ناقة لهم من صخرة أشاروا إليها، وذكروا أوصافاً محدّدة للنّاقة، وتعنّتوا في تحديد تلك الأوصاف، ومن ذلك أن تكون عشراء (أي مضى على حملها عشرة أشهر). فقال لهم صالح عليه السلام: إن رأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به؟ قالوا: نعم، فأخذ منهم العهود والمواثيق على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلَّى ودعا ربّه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فانفطرت الصخرة عن ناقة بنفس المواصفات التي طلبوها، ومنها أنَّها كانت عشراء، فآمن من قوم صالح مَن آمن،

ولكن بقيت غالبيتهم على كفرهم وشركهم. وفي ذلك يقول ربنا ـ سبحانه ـ:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: 61 ـ 64].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: 73 ـ 79].

وقال ـ عز من قائل ـ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ

نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [الشعراء: 141 ـ 159].

عقرت «ثمود» الناقة، على الرَّغم من أنَّ نبيّهم صالحاً عليه السلام كان قد أمرهم ألّا يمسّوها بسوء، وأن يجعلوا الماء لها ولفصيلها يوم ولهم يوم، وكانوا يأخذون من لبنها كفايتهم. ولكن الشيطان سوّل لهم عقر الناقة فعقرها أحد أشقيائهم، وهرب فصيلها إلى قمة الجبل، ورغا ثلاث مرّات، وامتنع عنهم، فأنذرهم صالح عليه السلام بعذاب قريب. هددت ثمود بقتل نبيهم صالحاً وقتل أهله، فجاءت الصيحة من السماء فأهلكت الكافرين من قوم «ثمود»، ويصف القرآن الكريم ذلك بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: 65 ـ 68].

ويقول ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

[النمل: 45 ـ 53].

بعد أيّام الإمهال الثلاثة، جاءت «قوم ثمود» صيحة من السماء وفي صبيحة

اليوم الرابع، فاضت أرواحهم، وزهقت نفوسهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر: 23 ـ 32].

وفي هذا الصّدد روى الإمامان البخاري ومسلم ـ كل في صحيحه ـ **أنَّ** رسول الله ﷺ لمَّا نزل بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت «ثمود»، فاستقى النّاس من الآبار، التي كانت تشرب منها «ثمود» فعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، فأمرهم أن يستقوا منها. ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا، وقال: «**إنِّي أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم**» وتقنَّع بردائه وهو على الرحل[1].

ويُروى أيضاً في الصحيحين أنَّه ﷺ قال وهو بالحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلَّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»[2].

الدروس المستفادة من قصّة عبد الله ونبيه صالح مع قومه «ثمود»:

1 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ أعلم جميع خلقه بضرورة الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فبعث النّبيين، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وسخر الوحي، وحذر العاصين لأوامره من نزول عقابه بهم في الدنيا قبل

(1) مسند أحمد حديث رقم (5984).

(2) أخرجه مسلم حديث رقم (7389)، والبخاري حديث رقم (433).

الآخرة، إن لم يؤمنوا بربّهم، ويستقيموا على أوامره، ويجتنبوا نواهيه.

2 ـ إنَّ الناس منذ زمن نوح عليه السلام إلى اليوم ظلّوا ينتقلون بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج الله والخروج عنه، وسيبقون كذلك حتى قيام الساعة. والعاقل هو الذي يثبت على الإيمان باللَّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، وينجو بنفسه من وساوس الشيطان، لأنَّ الشيطان متربّص دوماً بالإنسان.

3 ـ إنَّ الأجيال المتقدّمة زمنيًّا من البشر كانت تتمتَّع بأجساد أضخم، وبأعمار أطول، وبقدرات بدنية أكبر من الأجيال المتأخرة التي تتجه بصفة عامة إلى قلّة في حجم الجسم، وقصر في العمر، وبقدرات بدنية أقل، وقدرات ذهنيّة ومعرفيّة أكبر، وهذا ما تؤيّده قوانين الوراثة.

4 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ قادر على كل شيء، ومن ذلك قدرته على خلق ما يشاء، وقت ما يشاء، وأينما يشاء، وبالكيفية التي يشاء، وذلك من مثل خلق ناقة صالح عليه السلام من صخرة في الجبل، فأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون.

5 ـ إنَّ التنكر لأنعم الله ـ تعالى ـ هو من أسباب زوالها، ومن موجبات نزول عقاب الله في الدنيا قبل الآخرة، فبالشكر تدوم النعم.

6 ـ ضرورة الإيمان بكلِّ صور العقاب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ بالبغاة الكافرين من الأُمم السابقة من أمثال قوم «ثمود».

7 ـ إنَّ كافة صور الوحي السابقة على تنزل القرآن الكريم قد ضاعت، وما بقي من ذكريات عن القليل منها نقلت شفاهاً، ثم دوّنت بعد انتقال المرسلين الذين تلقّوها بقرون عديدة، وكتبت بأيدي مجهولين ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين ومن هنا لم يكونوا معصومين من الخطأ فيما كتبوا، وكتبت بلغات غير لغة الوحي، ومن هنا فإنَّها لا يمكن أن تكون مصدر هداية لأتباعها، مهما تعلقوا بها.

22 ـ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 9].

تقرر هذه الآية الكريمة حقيقة تاريخية مؤداها أن قوم «ثمود» ـ الذين عاشوا في الألفية الثانية قبل الميلاد ـ قد قاموا بجلب كتل هائلة من الصخور إلى بطن «وادي القرى» ثم قاموا بتجويف تلك الكتل على هيئة القصور، والدواوين، والمساكن، وغيرها، وعملوا على تزيينها بقدر هائل من الأعمدة والزخارف والنقوش المتقنة، وذلك بالحفر اليدوي في ذلك الزمن الموغل في القدم. وذكر القرآن الكريم لهذه الحقيقة هو وجه من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله. وهنا قد يقول قائل: إن مدائن صالح قائمة منذ ذلك التاريخ القديم، ولكن سورة «الفجر» مكيّة، ورسول الله ﷺ لم يمر بمدائن صالح إلا في السنة التاسعة للهجرة، وهو في طريقه إلى تبوك.

وتقع «مدائن صالح» في منطقة «**الحجر**» بوادي «**القرى**» على الطريق القديم بين المدينة المنوّرة وتبوك، في إقليم العلا. والمنطقة تتكون أساساً من صخور رملية عالية المسامية والنفاذية، تتبع «مجموعة جبل الساق» التي تمثل أهم خزان للمياه تحت سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية. وتحد المنطقة من الغرب «**حرة عويرض**» المكونة من الصخور البازلتية، والتي ينتج عن تعريتها رواسب طينية غنية بالمواد اللازمة للإنبات، تملأ الأودية العديدة التي تقطع أراضي المنطقة. من هنا كانت منطقة «الحجر» مهيأة تهيئة كاملة للإعمار، كما كانت منطقة آمنة لإحاطتها بالجبال من كل جانب. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان صالح عليه السلام، موجهاً الخطاب إلى قومه قائلاً لهم:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: 146 ـ 152].

وكان القوم عمالقة، جبارين، مفسدين في الأرض، وكان الله ـ تعالى ـ قد ابتلاهم ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، فأصابهم شيء من الغرور، والبطر، والاستعلاء على الخلق، فأشركوا باللّه ـ تعالى ـ بعد أن كانوا موحدين. أشركت «ثمود» على الرغم من أن أسلافها كانوا قد حملوا ذكرى هلاك قوم عاد بسبب شركهم. ولذلك يجمع القرآن الكريم بين عاد وثمود في العديد من الآيات من مثل ما جاء في سور «الأعراف»، «التوبة»، «إبراهيم»، «الفرقان»، «صّ»، «قّ»، «النجم»، و«الفجر»، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ على لسان نبيه صالحاً عليه السلام موجهاً الخطاب إلى قومه «ثمود» قائلاً لهم:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: 74].

وبالرغم من أن ذكرى هلاك قوم «عاد» كانت لا تزال ماثلة في أذهان «قبيلة ثمود»، إلا أن غالبية أفراد هذه القبيلة كانت قد انحرفت عن منهج الله، وعبدت الأصنام والأوثان والشهوات فأرسل الله ـ تعالى ـ إليهم نبيه صالحاً ليصلح لهم دينهم، وليردهم إلى التوحيد من جديد، فما آمن معه إلا أقل القليل منهم، ولذلك استحقوا نزول عقاب الله الصارم بهم.

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 9].

ومضة تاريخية وعلمية معجزة، وذلك لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي وإلى أواخر القرن العشرين يعلم شيئاً عن قوم «ثمود» غير ما جاء عنهم في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد المرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، وذلك على الرغم من بقاء آثارهم شاخصة للعيان.

و(**الجواب**) في اللغة هو القطع، والتجويف، والخرق، ، يقال: (جَابَ) (جَوْباً) و(تَجْواباً) الصخرة أي: فرقها، وكذلك (اجتاب) الصخرة أي: جابها، و(اجتاب) البئر أي حفرها، و(الجوبة) هي الحفرة وجمعها (جُوَب). وعمليات تجويف الصخر في وادي القرى هي عمليات قام بها قوم «ثمود» في الجبال المحيطة على جانبيه، فنحتوا فيها البيوت والقبور، والنوادي، والمنتزهات. ولم يكتفوا بذلك، فكانوا يجلبون كتلاً ضخمة من الصخور إلى بطن الوادي، ثم ينحتون منها القصور، والدواوين، والمساكن من طابقين وثلاثة طوابق. وزودوا كل ذلك بالدرج الخارجي، والمداخل المقامة على الأعمدة المزدانة بأدق النقوش والزخارف، والدرج الداخلي، وتجاويف كل من الغرف، والممرات، والأبواب، والنوافذ، والشرفات. وقد ساعدهم على ذلك قلة تماسك الصخور الرملية، وسهولة تشكيلها، مع تباين ألوانها من البياض إلى كل من الصفرة والحمرة. وقد وصف القرآن الكريم تلك الأعمال الخارقة للعادة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً قوم «ثمود» على لسان نبيهم صالح عليه السلام قائلاً لهم:

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: 149].

ومدائن صالح: بقصورها، ودواوينها، ومساكنها، وقبورها المنحوتة في الجبال المكونة لجانبي وادي القرى، وفي الكتل الصخرية الهائلة المجلوبة إلى بطن الوادي تمثل نموذجاً معمارياً فريداً. فالمدينة مقسمة بعدد من الشوارع الفسيحة، المستقيمة، والمنظمة تنظيماً دقيقاً، والمقطوعة في الكتلة الجبلية المكونة للمنطقة مما يدل على الجهود الجبارة التي بذلت في تخطيط وإنشاء تلك المدينة العجيبة. وعلى منوال مدائن صالح أقام الأنباط «مدينة البترا» (مدينة الصخر أو المدينة الوردية أو «سلع»، أو «رقيمو» كما تسمى باللغة النبطية) وكان ذلك في سنة (400ق.م). وتم اكتشاف «البترا» في سنة 1812م على يد الأثري السويدي «يوهان بيركاردت»، ثم انتهت دولة الأنباط سنة (105ق.م) بسبب الغزو الروماني للمنطقة العربية.

ودراسة منطقة «الحِجْر» تؤكد أن بعض جبالها مفرغة من الداخل تفريغاً

هندسياً رائعاً، يجعل منها السكن، والستر، والحصن، والوقاية، ومناطق الدفاع عن المدينة، وممرات التحرك والتنزه فيها، وأماكن دفن الموتى بها.

وفي الأودية التي تقطع جبال المنطقة تم حفر عدد من الآبار بواسطة «قوم ثمود»، وبذلك تمت تهيئتها للزراعة في زمن قوم ثمود (وإن كان أغلبها قد صار مطموراً الآن).

ولا يمكن لزائر المنطقة أن يتخيل كيف تم نقل الكتل الصخرية الهائلة من الجبال إلى بطن الوادي، ولا إمكانية تشكيل تلك الكتل على هيئة القصور، والدواوين، والمساكن، والقبور، بالحفر اليدوي، ولا يمكنه أن يتخيل إمكانية تزيينها بهذا القدر من الأعمدة والزخارف والنقوش المتقنة في ذلك الزمن البعيد الذي لم يكن متوفراً فيه شيء من أدوات وأجهزة اليوم.

ومن ومضات الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 9] هو التمييز بين النحت في الجبال، والنحت في الكتل الصخرية المجلوبة إلى بطن الوادي، وهو ما لا يقدر على تمييزه إلا الخبراء في علوم الأرض. وذلك لأن هناك فروقاً كبيرة بين الكتل الصخرية الثابتة في مكانها، والكتل المنقولة من أصولها إلى بطون الأودية بواسطة السيول الجارفة أو الإنسان. ويؤكد هذا الوجه من أوجه الإعجاز أن أغلب الآيات القرآنية التي تتحدث عن قوم ثمود وعن نبيهم صالح ﷺ هي من الآيات المكيّة، ورسول الله ﷺ لم يمر بمدائن صالح إلا وهو في طريقه لغزوة تبوك في السنة التاسعة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة.

روى الإمام أحمد عن عمرو (عامر) بن سعد رضي الله عنه أنه لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس: «**الصلاة جامعة**». قال: فأتيت النبي ﷺ وهو ممسك ببعيره وهو يقول: «**ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم**»، فناداه رجل: نعجب منهم يا رسول الله! قال ﷺ: «**أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم**

وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً»[1].

وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن قوم «ثمود» كما اختلفوا في تحديد زمن أسلافهم قوم «عاد»، ولكن الإشارات القرآنية تؤكد أنهم كانوا قبل زمن عبد الله ونبيه موسى عليه السلام بفترة طويلة. ويؤكد ذلك تحذير مؤمن آل فرعون قومه من العذاب الذي نال أقوام كل من نوح وعاد وثمود والذي جاء نصه في القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: 30، 31].

ولما كان الأثريون يؤرخون فترة حكم فرعون موسى «رمسيس الثاني» (المعروف باسم فرعون الاضطهاد) بالفترة من (1301ق.م) إلى (1234ق.م) فإن «قوم ثمود» لا بدَّ وأنهم عاشوا في النصف الأول من الألفية الثانية من قبل الميلاد على أقل تقدير (من 2000 ـ 1500ق.م).

ووجود العديد من **النقوش الثمودية والنبطية والآرامية** في أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية (بما فيها مدائن صالح) يشير إلى أن المنطقة كانت قد سكنت بالعديد من الأقوام من بعد هلاك «قوم ثمود» لأن القرآن الكريم يؤكد هلاك المشركين من هؤلاء القوم هلاكاً تاماً وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم: 50 ـ 56].

وكذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

(1) مصنف ابن أبي شيبة، المغازي (36320).

بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: 66 ـ 68].

أما وجود إشارات إلى «قوم ثمود» في نقش للملك الآشوري (سرجون الثاني، 722 ـ 705ق.م) سجل فيه انتصارات للجيوش الآشورية على عدد من القبائل الثمودية في شمال الجزيرة العربية فإن هذه الآثار تشير بالتأكيد إلى سلالات الناجين من دمار «قوم ثمود». ويدعم ذلك الزعم أن هناك ما يشير إلى أن عدداً من الذين نجوا مع نبي الله صالح عليه السلام قد نزحوا إلى كل من منطقة الطائف في جنوب الحجاز، ومنطقة الرس في شمال شبه الجزيرة العربية، بعد إقامتهم في مكة المكرمة.

من هذا الاستعراض تتضح ومضة الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

23 ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: 61].

في هذه الآية القرآنية الكريمة عدد من الحقائق الإنبائية، والتاريخية، والعلمية التي تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، ويمكن استعراض ذلك في النقاط التالية:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ...﴾ [هود: 61]

في هذا النص القرآني الكريم إثبات تاريخي لنبوة صالح عليه السلام، فالخطاب في هذا النص موجه إلى قبيلة «ثمود» من نبيهم صالح عليه السلام. والآثار الباقية من «العهدين القديم والجديد» لا تذكر شيئاً عن هذا النبي الصالح، ولا عن قومه، وهنا تسقط الحجة الكاذبة التي كثيراً ما يثيرها غلاة كل من اليهود والنصارى مدّعين أن رسول الله ﷺ قد نقل القصص القرآني عن هذين العهدين، وبالذات عما جاء في الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم»، وهي لا تحوي شيئاً عن اثنين من أنبياء الله هما هود عليه السلام النبي المبعوث إلى قوم عاد»، وصالح عليه السلام وقد بعث إلى قوم «ثمود».

والقرآن الكريم كثيراً ما يقرن بين ذكر عاد وثمود (كما جاء في كل من سور التوبة، إبراهيم، الفرقان، صٓ، قٓ، النجم، والفجر) لتقاربهما الزمني، ولكون «ثمود» ممن نجوا من إهلاك «قوم عاد» حتى ليطلق عليهم أحياناً اسم «عاد الثانية». وكل من «العهدين القديم والجديد» لا يذكر شيئاً عن هاتين الأمتين، وإن أثبت القرآن الكريم معرفة موسى عليه السلام بهما كما جاء في سورة [إبراهيم: 8، 9].

وأفراد قبيلة ثمود ـ في مرحلة من مراحل انحرافهم عن منهج الله ـ تعالى ـ

عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نبياً منهم هو صالح ﷺ، الذي اصطفاه الله ﷻ من بينهم بعلمه وحكمته وقدرته، فاشتهر عندهم برجاحة العقل، واستقامة الفكر، وطهارة السلوك.

ويقال بأن هذا النبي الصالح كان الحفيد الرابع لمؤسس «قبيلة ثمود»، وعندما آتاه الله ـ تعالى ـ النبوة، وبدأ في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وإلى نبذ عبادة الأصنام والأوثان، عارضه قومه، وسخروا من دعوته، واتهموه بالسحر، وحاربوه، وحاولوا قتله، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك. ثم طالبوه بالمعجزات والخوارق التي تشهد على صدق ما جاءهم به، وكان من بين ذلك أن طالبوه ـ من قبيل التعجيز ـ أن يخرج لهم من صخرة منعزلة عن الجبل ناقة بمواصفات خاصة وضعوها. أخذ عبد الله ونبيه صالحاً العهود والمواثيق على قومه إن جاءهم بما طلبوا أن يؤمنوا بما جاءهم به وعند استجابتهم لذلك شرع صالح في الصلاة والدعاء للّه ـ تعالى ـ حتى تمخضت الصخرة عن ناقة بالمواصفات التي طلبوها، ثم وضعت هذه الناقة فصيلاً يشبهها ضخامةً وهيبةً فآمن من آمن، وكفر من كفر، وما آمن منهم إلّا أقل القليل.

قال عبد الله ونبيه صالح ﷺ لقومه: هذه ناقة الله لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، ولكن الكفار لم يصبروا على ذلك، فعقروا الناقة بواسطة تسعة رهط من المفسدين في الأرض، فأنذرهم نبيهم بعذاب عاجل من الله ـ تعالى ـ قائلاً لهم: لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب بعد ذلك. وفي ضحى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم وهم في ديارهم جاثمين، ونجَّى الله ﷻ نبيه صالحاً والذين آمنوا معه فلجأوا أولاً إلى بلاد الشام، ثم إلى مكة المكرّمة حيث عبدوا الله ـ تعالى ـ حتى أتاهم اليقين. وكان من نسل الناجين كل من «الأنباط» في الشمال و«قبيلة ثقيف» التي سكنت جبال الطائف في الجنوب.

وكان في تسجيل القرآن الكريم، لنبوة صالح ﷺ ولقصته مع قومه شهادة

صدق على ربانية القرآن الكريم وعلى نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ لأن أيًّا من آثار أهل الكتاب المتوافرة بين أيديهم اليوم لا يشير إلى هذا النبي، ولا إلى قومه، كما لا يشير إلى أسلافهم (عاداً الأولى) ولا إلى نبيهم هود ﷺ.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ على لسان عبده ونبيه صالح ﷺ: ﴿...قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ...﴾ [هود: 61].

في هذا النص الكريم تأكيد على حقيقة وحدانية الله ﷻ وهي حقيقة يقبلها المنطق السوي، كما يدعمها العلم.

فقد أثبتت الدراسات العلمية أننا نعيش في كون له بداية تقدر بحوالي (13,700) مليون سنة مضت، وكل ما له بداية لا بد وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية. وكل ما له بداية ونهاية لا يمكن أن يكون خالقاً، بل هو مخلوق لخالق عظيم هو الله، الخالق، البارئ، المصور الذي هو فوق حدود كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة.

كذلك أثبتت الدراسات العلمية أن الأصل في مادة هذا الكون المخلوق هو غاز الهيدروجين الذي اتحدت نوى ذراته في درجات عالية جداً من الضغط والحرارة لتكون أغلب العناصر البانية للكون، وتعرف هذه العملية باسم عملية «الاندماج النووي» التي تستمر حتى تخلق عنصر الحديد في داخل النجوم العملاقة فينفجر النجم. أما العناصر التي هي أعلى في وزنها الذري من الحديد فإنها تتكون في صفحة السماء باصطياد نوى ذرات الحديد للبنات الأولية للمادة. وقد أدى ذلك إلى الاستنتاج الصحيح بتآصل العناصر جميعاً من أصل واحد، يشير إلى وحدانية الخالق ﷻ.

وذرة الهيدروجين ـ على ضآلتها ـ تتكون من بروتون واحد في نواتها يحمل شحنة كهربائية موجبة، وإلكترون واحد يدور في فلك حولها، حاملاً شحنة سالبة

مكافئة. وهذه الزوجية في ذرة الهيدروجين تشهد للخالق بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه الذين خلقهم جميعاً في زوجية كاملة: من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان حتى يبقى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. والذرة تشبه في بنائها المجموعة الشمسية: نواة في الوسط تشبه الشمس وإلكترونات تدور في فلكها كما تدور الكواكب في فلك الشمس.

وصخور الأرض ـ مهما تباينت أنواعها ـ فأصلها واحد هي الصخور النارية التي تتكون أساساً من المعادن، وتتكون المعادن من العناصر والمركبات، وعناصر الأرض فاقت المائة بقليل. وليست المعادن وحدها هي التي تتكون من العناصر، فكل شيء مادي يتكون من تلك العناصر: النجوم والكواكب، والأقمار، والمذنبات، والشهب، والنيازك، الأرض وأغلفتها الصخرية، والمائية، والهوائية، والحيوية، والمادة بين كل من الكواكب والنجوم، وغير ذلك من مختلف صور المادة التي ترد كلها إلى غاز الهيدروجين. ومن المركبات، البسيط، ومنها ما هو غاية في تعقيد البناء، وكلها يرد إلى العناصر التي ترد إلى غاز الهيدروجين. وكل ذلك يشير إلى وحدانية الخالق ﷻ.

وتبلغ الذرة من الدقة أن أبعادها تقاس بجزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر، وتقدر كتلتها بجزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام. وإذا مست نواة الذرة بشعاع من النيوترونات فإنها تنقسم، وإذا انقسمت النواة انفصم كل من البروتونات والنيوترونات عن بعضها بعضاً، وبانفصامها تخرج منها الطاقة الرابطة لهذه الجسيمات وتعرف باسم «**القوة النووية الشديدة**»، وهي قوة هائلة للغاية.

وفي الوقت الذي ترد المادة إلى لبنات ثلاث هي: البروتون، والإلكترون، والنيوترون، وهي تتكون من جسيمات أدق تعرف باسم اللبنات الأولية للمادة (أو الكواركات) مما يرد المادة كلها إلى أصل واحد، وإن تعددت أشكالها، فإن مختلف صور الطاقة ترد أيضاً إلى أصل واحد هو «**الجاذبية العظمى**».

وتأتي النظرية النسبية الخاصة لتكافئ بين المادة والطاقة، وتنادي بأنهما سواء، وتصدق التجارب هذه النظرية، وفي مقدمة ذلك انفلاق الذرة في القنبلة اليورانيومية. وإذا تساوت المادة والطاقة، لم يبق من أشياء هذا الكون إلا القوى والمكان والزمان. وتحاول النظرية النسبية العامة أن تربط بين الزمان والمكان فتجعل منهما شيئاً متواصلاً، فلا يوجد مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان، كما لا يوجد مكان وزمان بغير مادة وطاقة.

كذلك تحاول نظرية الحقل الواحد أن تسوي بين كل من القوتين النوويتين الضعيفة والشديدة، وكل من الطاقة الكهربائية/ المغناطيسية، وقوة الجاذبية فيما يعرف باسم «**الجاذبية العظمى**». وهكذا يتحلل الكون أجمع إلى مركباته من المادة، والطاقة، والزمان، والمكان إلى شيء واحد يمثل الوحدة العظمى التي تجري في الكون كله، شاهدة للإله الخالق سبحانه وتعالى بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه التي أمر بها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ جميع أنبيائه ورسله ليبلغوها كل إلى أمته، كما جاء على لسان عبد الله ونبيّه صالح عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ...﴾.

والإيمان بالله الخالق البارئ المصوّر يستلزم توحيده توحيداً كاملاً في ربوبيته (بمعنى التسليم بأنه ـ تعالى ـ ربّ كل شيء ومليكه، ولا ربَّ سواه)، كما يستلزم توحيده سبحانه وتعالى توحيداً كاملاً في ألوهيته (بمعنى الإيمان بأنه وحده المستحق للعبادة الخالصة لجلاله دون سواه) ويستلزم توحيداً كاملاً لله في أسمائه وصفاته (بمعنى ألا يدعى الله أبداً إلا بما أثبت لذاته العلية من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأن يُنَزَّه ـ جلّ شأنه ـ عن أسماء وصفات خلقه أجمعين).

وهذا الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، عرّف ذاته العلية لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام لحظة خلقهما، وأشهد ذريتهما جميعاً على ربوبيته وهم في عالم الذر في أصلاب آبائهم. من هنا كان الإيمان بالله ـ تعالى ـ رباً واحداً أحداً، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله هو من البدهيات الفطرية

التي يدركها الإنسان السوي بغير عناء أو مشقة. ولكن الإنسان إذا تلوثت فطرته بنزغات الشياطين من الإنس والجن فإنه يفقد هذا الإيمان فقداناً جزئياً بالشرك، أو كلياً بالكفر. من هنا يخبرنا المصطفى ﷺ أنه: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق**». ويروي ابن عباس رضي الله عنهما «**أن رجالاً صالحين من قوم نوح** رضي الله عنه **هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**»[1]. وكانت هذه أول صورة من صور الشرك باللَّه، وأول وثنية في تاريخ البشرية.

ولما تفشت الوثنية في قوم نوح بعثه الله تعالى إليهم ليردهم إلى التوحيد فلم يستجب لدعوته إلا القليل فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بالطوفان، ونَجّى نوحاً والذين آمنوا معه. ومن ذرية هؤلاء جاء «قوم عاد» الذين كانوا على التوحيد ثم اجتالتهم الشياطين فأشركوا باللَّه وعبدوا الأصنام والأوثان، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيه هوداً عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد فلم يؤمن معه إلا أقل القليل فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بالرياح التي طمرتهم بالرمال، ونجا الله ـ تعالى ـ نبيه هوداً والذين آمنوا معه. وجاء من ذرية هؤلاء «قوم ثمود» الذين عاشوا على التوحيد، ثم اجتالتهم الشياطين عن دينهم فأشركوا باللَّه، وعبدوا الأصنام والأوثان فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بالصاعقة التي قضت عليهم، ونجا عبده ونبيه صالحاً والذين آمنوا معه. وجاء من نسل هؤلاء «قوم ثقيف» الذين كانوا على التوحيد ثم وسوست إليهم الشياطين فأشركوا باللَّه وعبدوا الطواغيت من الأصنام، والأوثان، والنجوم والكواكب. وظلت البشرية تتأرجح بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على منهج الله تارة، وبين الكفر والشرك والخروج على منهج الله تارات إلى اليوم، وسوف تظل كذلك إلى قيام الساعة. ولذلك قال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «... **خلقت**

(1) تقدم تخريجه.

عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»(1).

والكون كله بمن فيه وما فيه يشهد للإله الخالق بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. فعلماء الفلك يقرون بأن هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة لا بد له من مرجعية في خارجه. وأن هذه المرجعية لا بد وأن تكون فوق كل من المكان والزمان، وفوق كل من المادة والطاقة، وكأنهم يترجمون وصف الحق ـ تبارك وتعالى ـ لذاته العلية بقوله العزيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11]. فالكون يشهد لخالقه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه ويتضح ذلك في الانتقال من الذرة، إلى المجموعة الشمسية، إلى المجرة، إلى المجموعات المحلية، إلى الحشود المجرية، إلى التجمعات المحلية العظمى، إلى الحشود المجرية العظمى وإلى الكون كله. وذلك يؤكد أن الكون مبني على نظام واحد يشهد لخالقه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. والبناء الدقيق للسماء ـ وهي دائمة الاتساع ـ تحكمه قوانين شديدة الانضباط حيث يدور كل جرم سماوي حول محوره، ويجري في مدارات محددة له دون توقف أو تعطل، ودون اصطدام أو ارتطام، أو خروج أو حيود إلى أن يرث الله ـ تعالى ـ الكون بكل ما فيه ومن فيه مما يشهد له تعالى بالربوبية الحقة. ووحدة البناء في الكون تؤكد على أن توحيد الخالق أفضل من الشرك به، وأن تنزيهه سبحانه وتعالى فوق جميع خلقه أفضل من الانحطاط بمدلول الألوهية إلى الحجر أو الشجر أو البشر أو أجرام السماء، وكل ذلك يوجب الخضوع له بالألوهية والربوبية والخالقية وبالعبادة لذاته العلية دون سواه.

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ...﴾:

هذا الخطاب من عبد الله ونبيه صالح عليه السلام إلى قومه من قبيلة «ثمود» يمن

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، حديث رقم (7136).

عليهم فيه أن الله ـ تعالى ـ قد أنشأهم من الأرض أي من عناصرها المختلفة. وهذه الحقيقة تنطبق على كونهم من نسل آدم عليه السلام، وكانوا جميعاً في صلبه لحظة خلقه، وقد خلقه الله جل جلاله من تراب الأرض. كما تنطبق على كون أجسادهم قد نمت أصلاً من عناصر الأرض.

والقرآن الكريم يؤكد لنا فيه الخالق جل جلاله أنه خلق الإنسان على مراحل متتالية كما يلي:

1 ـ ﴿مِن تُرَابٍ﴾
[آل عمران: 59، الكهف: 37، الحج: 5، الروم: 20، فاطر: 11، غافر: 67].

2 ـ ﴿مِّن طِينٍ﴾ ـ وهو التراب المعجون بالماء ـ
[الأنعام: 2، الأعراف: 12، السجدة: 7، صٓ: 71 و76، الإسراء: 61].

3 ـ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ـ أي من خلاصة منتزعة من الطين برفق ـ
[المؤمنون: 12].

4 ـ ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ ـ أي لاصق بعضه ببعض ـ [الصافات: 11].

5 ـ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ـ أي أسود منتن ـ [الحجر: 26 و28 و33].

6 ـ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14].

7 ـ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الطلاق: 12].

8 ـ ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الفرقان: 54].

9 ـ ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].

10 ـ ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20].

11 ـ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود**

وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك»[1].

ولما كان الإنسان قد خلق أصلاً من تراب الأرض، ويحيا على خلاصة من عناصره تجهزها له النباتات في ثمارها وحبوبها، كما تجهزها له المباحات من الحيوانات ومنتجاتها التي تستمد أجسادها من عناصر الأرض عن طريق ما تأكله من نباتات أو تستخلصه من مياه البحار والمحيطات قال ربنا: (وقوله الحق) ممتناً على العصاة المتجبرين من قوم ثمود: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بمعنى كيف تعصون الله ـ تعالى ـ وتعصون رسوله، وترفضون هدايته وقد خلقكم ونماكم من تراب الأرض؟! وهو سؤال تقريري، تقريعي، توبيخي، يدرك كل إنسان حقيقة الإجابة عليه!!.

رابعاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾:

والخطاب هنا موجه إلى كفار ومشركي قوم «ثمود»، يمتن الله ـ تعالى ـ عليهم فيه بأن نجّى أسلافهم من العذاب الذي أهلك به كفار ومشركي قوم «عاد»، ومكّنهم من الهجرة شمالاً إلى مكة المكرمة، ثم إلى أرض «منطقة الحجر» بوادي القرى. وأعانهم الله ـ تعالى ـ على إعمار منطقة وادي القرى (الحجر) بما هيأه لهم فيها من أسباب. وكان من تلك الأسباب: وفرة الماء، وخصوبة التربة، وتباين التضاريس، وحماية طبيعية بإحاطة الجبال بهذا الوادي الحصين. وكان منها ما وهب الله صخور تلك المنطقة الرملية من مسامية ونفاذية عاليتين لخزن الماء تحت سطح الأرض، وطراوة متوسطة مكنتهم من نحت بيوتهم فيها، وفواصل طبيعية مكنت عوامل التعرية من تحريك كتل كبيرة من تلك الصخور إلى بطن الوادي لتفريغها وتجويبها على هيئة قصور فارهة، ويذكرهم الله ـ تعالى ـ بتلك النعم فيقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا

(1) تقدم تخريجه.

﴿تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: 74].

ويقول ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الحجر: 80 ـ 84].

وهذا كله مما يشهد للقرآن الكريم بالإعجاز الإنبائي والتاريخي حيث لم تدرك هذه الحقائق إلا بعد دراسة مدائن صالح في القرن العشرين.

خامساً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾:

في تقرير هذا النص الكريم بأن الله ـ تعالى ـ قريب مجيب تأكيد على حقيقة سمو الله على حدود كل من المكان والزمان، وعلى غير ذلك من الحدود التي وضعها الخالق العظيم ليحكم بها خلقه. وكل من المنطق السوي والعلم التجريبي يؤكد على ضرورة ذلك، فالله الذي خلق كلاً من المادة والطاقة والمكان والزمان لا بد وأن له من صفات الألوهية والربوبية والخالقية والوحدانية ما ينزهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. والمنطق السوي والعلمي ينادي بضرورة وجود مرجعية للكون، ويؤكد على حتمية تنزيه تلك المرجعية على حدود كل من المادة والطاقة والمكان والزمان، وهو ما نادى به القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة فوصف الخالق ﷻ بقوله العزيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11].

وهذا النص القرآني الكريم الذي جاء في الآية رقم (61) من سورة «هود» بما جاء فيه من حقائق إنبائية، وتاريخية، وعلمية يكفي وحده للشهادة بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

24 ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ [القمر: 23].

تؤكد هذه الآية الكريمة أن «قوم ثمود» كذبوا نُذُرَ رَبِّهم التي جاءهم بها نبيهم صالحاً عليه السلام. وبذلك استحقوا نزول العذاب بهم من الصيحة، والصاعقة، والطاغية التي تركتهم في ديارهم جثثاً هامدة، جاثمة على ركبها بسبب الهول والرعب والذل الذي عاشوه أثناء نزول العقاب الإلٰهي بهم. وهذه من الحقائق القائمة التي لم ترد في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، ولم يدون التاريخ شيئاً عنها.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه صالح عليه السلام مع قومه قبيلة «ثمود». وهذا الوجه لا يقتصر على مجرد ذكر هذا النبيّ الصالح وذكر قومه، ولكن يتجلّى في ذكر عدد من أحداث هذه القصة، وقد كان بينها وبين بعثة المصطفى ﷺ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ولم يكن العرب يومئذٍ أُمة تدوين أو توثيق للتاريخ.

وقد جاءت قصة ثمود في سورة «القمر»، بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر: 23 ـ 32].

وهذا الإيجاز المعجز للقصة في سورة «القمر» فصَّلته آيات أخرى عديدة في عدد من سور القرآن الكريم، كما سبق وأن أشرنا. ففي سورة «الأعراف» جاء التفصيل بأنَّ صالحاً عليه السلام كان معروفاً لدى قومه «ثمود» بصلاحه واستقامته ونبل خلقه. وعندما بعثه الله ـ تعالى ـ لهداية قومه وكانوا قد أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان، ذكَّرهم بأنَّهم بقية الناجين من قوم عاد. كما ذكَّرهم بأنَّ الله ـ تعالى ـ

قد منَّ عليهم ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، وبخيرات كثيرة في المنطقة التي عاشوا فيها (وادي القرى). وأن ذلك قد ساعدهم على نحت كل من القصور والبيوت والقبور في الجبال المحيطة بالوادي الذي عاشوا فيه، كما مكَّنهم من جلب كتل صخرية هائلة إلى بطن الوادي، ومن نحتها على هيئة الدواوين والقصور الفارهة. ونصحهم نبيّهم بأنَّ من قبيل الشكر للّه ـ تعالى ـ على هذه النِّعم ضرورة توحيده توحيداً كاملاً، وحمده على نعمائه، والاجتهاد من أجل الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها، وإقامة عدل الله ـ تعالى ـ في ربوعها.

وتؤكد الآيات أنَّ عبد الله ونبيه صالحاً ظل يدعو قومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده فلم يؤمن معه إلَّا قليل من ضعفاء القوم وفقرائهم. أما أصحاب المال والجاه والسلطان فقد استكبروا على دعوته، وأعرضوا عن هدايته، وقاوموا وصيته، وكذبوا نبوَّته، وحاولوا فتنة الذين آمنوا معه، واتهموه بالسحر. ثم طالبوه بالمعجزات الخارقة كي تشهد له بالنبوَّة، وكان من ذلك أنَّهم طالبوه بناقة عشراء، تخرج من صخرة في جبل محدد، ثم تلد سقباً (وهو ولد النَّاقة ساعة أن يولد). فدعا عبد الله ونبيه صالحاً ربه أن يحقق طلبهم فاستجاب الله ـ تعالى ـ لدعائه، وخرجت النَّاقة العشراء من نفس الكتلة الصخرية التي حددوها، وبركت بين أيديهم وولدت سقباً كما طلبوا. ثم حذرهم نبيهم من أن يَمَسُّوا الناقة بسوء فيأخذهم عذاب أليم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم عقروا النَّاقة ـ مخالفين أمر الله ـ وتندروا بما وعدهم به نبيّهم من عذاب حتى استعجلوه به، فأخذهم العذاب الذي توعدهم به الله ـ تعالى ـ ونجَّى نبيّه صالحاً والذين آمنوا معه.

وتؤَكد سورة «هود» أنَّ كفار ثمود أُمْهِلُوا ثلاثة أيام فقط بعد أن عقروا النَّاقة ثم جاءهم عذاب الله (الصَّيحة، والصَّاعقة، والطَّاغية) فتركهم في ديارهم جثثاً هامدة جاثمة على ركبها، وذلك من قبيل الإذلال لعصاة قوم ثمود بعد أن كانوا متكبرين، شامخين على نبيّهم، ومتمردين على هدايته لهم، في عتوٍّ وغرور بالغين.

كذلك تؤكِّد الآيات في سورة «الشعراء» ما كان الله ـ تعالى ـ قد وهب قوم

ثمود من سعة في الرزق، وبسطة في الجسم، وبدلاً من شكر هذه النعم فإنَّها أبطرتهم، وجعلتهم يتكبرون على رسول ربِّهم، ويتَّهمونه بأنَّه مسحور، حتى نزل بهم إنذار من الله في صورة قحط أصابهم لعلهم يرجعون.

وتذكر الآيات في سورة «النمل» انقسام «قوم ثمود» إلى قلَّة مؤمنة مع نبيهم، وكثرة فاجرة ضده وقد تشاءمت الكثرة الفاجرة بنبيهم وبمن معه، وبرز من بين المشركين تسعة رهط (أي تسعة أشخاص) من المفسدين في الأرض والذين كانوا قد غلبوا بالتشاؤم لما أصابهم من قحط بسبب كفرهم وشركهم فخططوا لعقر النَّاقة، وتآمروا على قتل نبيّهم وأهله والذين آمنوا معه، بمباغتتهم وغدرهم ليلاً حتى لا يُعْرَفَ قاتلوهم، ثم ينقلوا لولي الدم أنَّهم ما شهدوا مقتلهم، فدمرهم الله ـ تعالى ـ وقومهم بالصيحة، والصاعقة، والطاغية حتى أصبحوا في ديارهم جاثمين.

ومضمون الآية الكريمة أنَّ الدمار في الدنيا قبل الآخرة هو جزاء كل كافر ومشرك وظالم ومفسد في الأرض في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وذلك لأن سُنَّة الله في خلقه واحدة لا تتبدَّل ولا تتغيَّر. وفي المقابل فإن موقف الناس من الهداية الرَّبانيَّة ينقسم إلى مؤمن وكافر، وإلى موحد ومشرك. وأن نصرة الله لعباده المؤمنين، وتدميره للكفار والمشركين يجب أن يكون دافعاً لمعرفة الناس بخطورة الخروج على منهج الله، وهذا هو أحد أهداف ورود قصص الأولين في كتاب ربّ العالمين. فهذه ديار «قوم ثمود» بخرابها، وهجرها، وببقايا الهياكل العظمية فيها، لا تزال قائمة، شاهدة على شدّة ما نزل بهؤلاء القوم الكافرين من عذاب. وكفار «ثمود» كانوا قد انخدعوا بما وهبهم الله ـ تعالى ـ من سعة في الرزق وبسطة في الجسم، فغفلوا عن شكر تلك النعم، وبطروا بها، فكفروا بربهم، وأشركوا به، وتنكروا لهدايته، وحاربوا كلاً من نبيّه، ودعوته وأولياء الله الصالحين، فاستحقوا ما نزل بهم من عقاب قضى عليهم أجمعين، ونجَّى الله ـ تعالى ـ نبيّه صالحاً والذين آمنوا معه، لتبقى آثار كفار قوم «ثمود» آية لكلِّ من جاء بعدهم من الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وفي ذلك دعوة للاعتبار بآثار الأُمم البائدة، وإشارة خاصة إلى بيوت قوم «ثمود» الخربة، والمعروفة باسم «الحجر» أو «مدائن صالح»، والتي أبقاها الله ـ تعالى ـ عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين إلى يوم الدين: بأنَّ جزاء المعرضين عن هداية ربِّ العالمين هو التدمير الكامل في الدنيا، والخلود في عذاب الآخرة.

وعن جابر رضي الله عنه أنَّه قال: لـمَّا مرَّ رسول الله ﷺ بالحجر قال: «**لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح، فكانت** (يعني النَّاقة) **ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها. وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة، أخمد الله بها كل مَن كان منهم تحت أديم السماء إلَّا رجلاً واحداً كان في حرم الله** فقالوا: مَن هو يا رسول الله؟ قال: «**أبو رغال» فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**»[1].

هذه التفاصيل عن قصة عبد الله ونبيه صالح عليه السلام وعن موقف قومه (قبيلة ثمود) منه لم تكن معروفة لأحد من الناس في زمن الوحي، ولم يذكر المؤرخون عنها شيئاً، والنزر اليسير الذي اكتشفه الآثاريون مؤخراً لا يروي الغليل من محاولة التعرف على أسرار الحجر (أو مدائن صالح). من هنا فإن قصّة قوم «ثمود» مع عبد الله ونبيه إليهم صالح عليه السلام تبقى كما تبقى كل قصص القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز في كتاب الله نسميّه باسم الإعجاز الإنبائي والتاريخي، وهذا الوجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على خلق الله أجمعين إلى ما شاء الله ربّ العالمين.

(1) مسند أحمد حديث رقم (14160).

25 ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: 4].

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن كلًا من قبيلتي «عاد» و«ثمود» ـ في غالبيتهما ـ كانوا قد كذبوا بالقارعة، والقارعة هي الساعة التي تقرع القلوب بأهوالها، وتقرع الكون بتدميره وطيه على ذاته، وتحطيم كل ما فيه ومن فيه، إلَّا ما شاء الله، فيعود الكون إلى سيرته الأولى: نقطة واحدة متناهية الضآلة في الحجم إلى ما يقرب من العدم. واتساع الكون اليوم يشير إلى حقيقة بدئه من نقطة مشابهة، كما يؤكد حتمية عودته إليها. ثم يحول الخالق ﷻ هذه النقطة إلى سحابة من دخان يخلق منه أرضاً غير أرضنا، وسمٰوات غير السمٰوات المحيطة بنا. ولسوف تحتوي الأرض الجديدة كل ذرات الأرض القديمة وفيها بقايا الخلق التي سوف يبعثون منها. وكانت قضية البعث عبر التاريخ هي حجة الكفار المعاندين، والمتنطعين المتكبرين الذين يقيسون قدرة الله ـ تعالى ـ بمعايير البشر، وشتان ما بين القدرتين!!.

وقد لخص القرآن الكريم قضية خلق الكون وإفنائه وإعادة بعثه في خمس آيات كما يلي:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: 47].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30].

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: 48].

من الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

من الثابت أن الناجين من «عاد الأولى» كانوا على التوحيد الخالص، ثم اجتالت الشياطين نسلهم (قوم ثمود)، عن دينهم، وأغوتهم بالشرك، فعبدوا الأصنام والأوثان. ومن رحمة الله ـ تعالى ـ بهم أرسل إليهم نبيه صالحاً عليه السلام ليردهم إلى الإسلام ـ القائم على التوحيد الخالص للّه، وعلى تنزيهه جل جلاله عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله ـ فرفضوا دعوته إلَّا قليلاً منهم. ثم أغوى الشيطان غالبية قومه، بمحاربته ومقاومة دعوته حتى سخروا منه وأنكروا المعجزات التي أيده الله ـ تعالى ـ بها ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه. فأمهلهم الله ـ تعالى ـ ثلاثة أيام، وفي صبيحة اليوم الرابع جاءتهم صيحة من السماء ففاضت أرواح الكافرين، وزهقت نفوسهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: 4 ـ 6].

«وعاد» ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ هم قوم نبي الله «هود» عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم سبع (7) مرات وسميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم «سورة هود»، كما سميت سورة أخرى باسم المنطقة التي عاش هو وقومه فيها «الأحقاف».

والنبي «هود» عليه السلام كان من نسل عبد الله ونبيه «نوح» عليه السلام ، وكان أشبه ولد آدم بأبي البشرية «آدم» عليه السلام. وجاء ذكر قوم (عاد) في القرآن الكريم خمساً وعشرين (25) مرة، وكانوا من العرب العاربة «البائدة»، وكانت مساكنهم بالأحقاف (جمع حِقْف) وهي كثبان الرمال السافية المستطيلة المتموجة، وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من الربع الخالي بين كلٍّ من عمان، واليمن، والمملكة العربية السعودية.

وقوم «عاد» هم نسل الذين نجوا مع نوح عليه السلام وكانوا مسلمين موحدين، ثم خلف من بعدهم خلفٌ اجتالتهم الشياطين، وأغرتهم بعبادة الأصنام والأوثان،

فانحرفوا عن دين الله. وكان قوم عاد عمالقة شداداً، وكان الله ـ تعالى ـ قد أفاء عليهم بخيرٍ كثير، فغرتهم النعمة، وكانت سبباً في طغيانهم، فاستكبروا في الأرض بغير حق. ثم أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم نبيه «هوداً» عليه السلام ليردهم إلى التوحيد الخالص لخالقهم، ولكنهم أبوا إلا الشرك باللّه، وعبادة الأصنام. كان هود عليه السلام عربياً، وكانت لغته هي العربية، كما كان من بعده كل بقية الأنبياء العرب وكان منهم صالح، وشعيب، ومحمد (صلّى الله وسلّم وبارك عليهم وعلى كافة أنبياء الله).

أعرضت غالبية قوم عاد عن دعوة نبيهم هود عليه السلام وأصروا على عبادة الأصنام، فأمسك الله ـ تعالى ـ عنهم المطر ثلاث سنوات حتى أجهدهم الجفاف، فبعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند أول بيت وضع للناس في مكة المكرَّمة، وكانت هذه من عادات العرب، ومن بقايا الحق القديم عندهم، رغم انحرافهم عن التوحيد إلى الشرك. لم تنفعهم صلوات استسقائهم بسبب شركهم فلم ينزل الله مطراً عليهم، ثم سخّر عليهم الريح العقيم الذي أهكلهم ونجّى الله ـ تعالى ـ عبده هوداً والذين آمنوا معه، وأمرهم بالارتحال إلى مكة المكرَّمة التي عاشوا فيها ما قَدَّر الله ـ تعالى ـ لهم من السنين. جاء من نسل الناجين من قوم عاد من عرفوا باسم «قوم ثمود» الذين ارتحلوا من مكة إلى وادي القرى حيث سكنوا منطقة «الحجر» لوجود الماء فيها وخصوبة تربتها.

وكان غالبية المؤرخين ينكرون وجود قوم «عاد» رغم عدد من الإشارات الأثرية إلى سابق وجودهم. ونزل القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة مسجلاً قصتهم مع نبيهم هود عليه السلام في خمسة وعشرين (25) موضعاً من هذا الكتاب العزيز، كما سمي باسم كلٍّ من نبيهم والأرض التي سكنوها سورتين من سوره الكريمة هما سورتا «هود» و«الأحقاف».

والكشوف الأثرية تؤكد صدق كل ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد ومنه ما يلي:

(أ) أنهم كانوا في نعمة وافرة سبق وأن أشار إليها كل من بطليموس الإسكندري (أمين مكتبة الإسكندرية في القرن الميلادي الأول)، وبليني الكبير (أحد مؤرخي الحضارة الرومانية) ووصف كل منهما الأنهار التي كانت متدفقة، والبحيرات التي كانت زاخرة بالحياة، والثروات التي لم يكن لها نظير في زمانها والتي وصفها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

2 ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: 123 ـ 135].

3 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

(ب) إن حضارة قوم عاد بدأت بالاضمحلال بانقطاع المطر وإصابة أرضها بالجفاف والتصحر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: 50 ـ 52].

(ج) أن حضارة قوم «عاد» دمرتها عاصفة رملية غير عادية، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت: 15 ـ 18].

2 ـ ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: 18 ـ 22].

3 ـ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 5 ـ 8].

وهذه الإشارات القرآنية الكريمة وأمثالها في كتاب الله تؤكد أن كلاً من قبيلتي **«عاد»** و**«ثمود»** كان قد أنكر حتمية الساعة وما يصاحبها من تهدم الكون، واندفع وراء غواية شياطين الإنس والجن بدعوى أزلية الكون وأبديته، وهو باطل ينكره المنطق السوي، كما أنكرته جميع رسالات السماء والصحيح من المعارف المكتسبة. وتبقى الإشارة إلى هاتين الأمتين **(عاد وثمود)** في القرآن الكريم، وإلى من بعث إلى كل منهما من الأنبياء، وإلى إنكار غالبية القوم لنبوّتهما، ولما بعثا به من الحق، احتجاجاً بإنكار الساعة، يبقى كل ذلك واحداً من أبرز جوانب الإعجاز التاريخي في هذا الكتاب العزيز الذي حفظه الله ـ تعالى ـ بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

[الأنبياء: 51]

ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

جاء ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم تسعة وستين (69) مرَّة، في خمسة وعشرين (25) سورة، وسُميت باسمه إحدى سُور هذا الكتاب العزيز (سورة إبراهيم) وهي السورة الرابعة عشرة في ترتيب سور المصحف الشريف. ويُذكر أنَّ عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام جاء من نسل سام بن نوح، وأنَّه وُلد في أوائل الألفيّة الثانية قبل الميلاد، بمدينة (أور) من أرض بابل، في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق). وكان ميلاد إبراهيم في زمن النمرود بن كنعان بن كوش ملك (أور)، وكان «النمرود» جبّاراً، مستبداً، مُستعلياً في الأرض، ومُتجبّراً على الخلق، وكان ضالًّا تائِهاً في أمر الدين. فقد غرَّهُ من أمور الدنيا سِعَة مُلكِه، واستِكانةِ شعبه، وضياع أصول الوحي السماوي من قبله، فأقام من نفسه إلٰهاً لأهل (أور)، وأجبرهم على عبادته وعلى عبادة ما كان قد اتخذ لهم من الأصنام والأوثان.

وقد ظهرت على إبراهيم استقامة الفِطرة، مع الذكاء والنبوغ منذ صغره، فاستنكَر عبادة قومه للأصنام والأوثان، أو للشمس أو القمر أو النجوم أو الكواكب، كما استنكر خضوعهم الذليل للنمرود. وانطلاقاً من ذلك بدأ إبراهيم مُتأمّلاً في ذاتِه وفي الكون من حوله، حتى تعرَّفَ على خالقِه بالفِطرةِ السويّة التي وهبه الله ـ تعالى ـ إيَّاها، والتي أكَّدَها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: 51]، وقد تمثل هذا الرشد في عدد من المواقف التي وقفها إبراهيم، والتي كان منها ما يلي:

(أ) تفكُّر إبراهيم عليه السلام في الكون:

عندما سئم إبراهيم عبادة قومه للأصنام، أو للنجوم والكواكب، أو «الملكهم

النمرود»، رفع بصرهُ إلى السماء فرأى فيها جانباً من جوانب عظمة الخالق ـ سبحانه ـ وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: 75 ـ 83].

وخلاصة كلام المُفسّرين في هذه الآيات الكريمة، أنَّها كانت نوعاً من النظر والمناظرة. فالذين رأوا أنَّها كانت نوعاً من التأمّل والنظر، قالوا أنَّ دليل ذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾. والذين قالوا أنَّها كانت نوعاً من المناظرة، استشهدوا بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في القرآن الكريم: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾. والأمر في الحقيقة كان في الأول نظراً ثم كان بعد ذلك مناظرة.

(ب) موقف إبراهيم عليه السلام من أبيه:

كان والد إبراهيم عليه السلام من صُنّاع وعَبَدةِ الأصنام والأوثان، فدعاهُ ابنه إبراهيم برفق واحترام بالغين إلى عبادة الله الواحد القهّار، وبيّن له زيف عبادة الأصنام

والأوثان، وانتهى الحوار بطرد إبراهيم من بيت أبيه الذي هدَّده بالقتل رجماً بالحجارة إن لم يتوقّف عن دعوته التي يدعو إليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾ [مريم: 41 ـ 50].

ويقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤)﴾ [الأنعام: 74].

وبذلك اعتزل إبراهيم أباهُ، لكنَّه لم يتخلّ عن دعوته إلى دين الله الحق، وإلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده.

(ج) موقف إبراهيم عليه السلام من قومه:

وقف إبراهيم عليه السلام من قومه (عبدة كل من الأصنام والأوثان وأجرام السماء) موقف المُفاصلة والمُواجهة والتحدّي الواضح القويّ، مُستنكراً ما يفعلون، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: 51 ـ 70].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 69 ـ 89].

وقال ـ عزَّ من قائل ـ:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصّافات: 79 ـ 99].

ويفهم من هذه الآيات أنَّ إبراهيم عليه السلام تظاهرَ بالمرض، كي لا يخرج مع قومه في احتفالهم بعيد من أعيادهم الوثنيّة. وواضح الأمر أنَّه أراد أن يحطّم أصنامهم في غيبتهم، ليثبت لهم ـ بطريقة عمليّة ـ أنَّ تلك الأصنام لا تضرّ ولا تنفع، ولا تملك من أمرها شيئاً، فتركوه وراءَهم في المدينة، ومضوا خارجين إلى ساحة الاحتفال بعيدهم، بعد أن تركوا لأصنامهم كميّة من الطعام كعادة الوثنيين من قديم الزمن وحتى اليوم.

وبعد أن خلت المدينة من أهلها، توجّه إبراهيم على الفور إلى معبد الأصنام وبيده فأس، فقدّم إلى الأصنام الطعام في سخرية قائلاً لهم: «ألا تأكلون؟»، ثم قام بتحطيم تلك الأصنام تحطيماً شديداً بالفأس، وترك أكبر الأصنام لم يُحطمه ليُعلق الفأس في رقبته. وكان هدفه من ذلك أن يسخر من قومه، ويحتج عليهم بأن كبير الأصنام هو الذي حطم بقيّتهم، لعلَّهم يرجعون إليه فيسألونه: مَن الذي حطم أصنام المعبد؟ فلا يجيبهم، فيكون ذلك سبباً في يقظتهم من غفلتهم التي دفعتهم إلى عبادة الأصنام. ولكن القوم حين عادوا ورأوا أصنامهم مُحطّمة، أدركوا أنَّ ذلك من فعل إبراهيم، فتسارعوا إلى اعتقاله لمحاسبته على فعلته.

(د) مُحاولة حَرق إبراهيم عليه السلام في النَّار:

ناظر إبراهيم عليه السلام قومه ـ وفيهم أبوهُ آزر ـ حتى أفحمهم، ثم دعاهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وسفَّه لهم عبادة غير الله من مثل الأصنام، أو الأوثان، أو أجرام السماء، وأثبت لهم بُطلان ذلك كله. وعلّل لهم تحطيمه للأصنام بأنها محاولة عملية يثبت لهم بها عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن ذواتها، وعن فعل أي شيء للإنسان. حينئذٍ قرَّر القوم معاقبة إبراهيم بإحراقه حيًّا في النّار، ولذلك قاموا

بتقييد كل من يديه وقدميه، ووضعوه في كفة المنجنيق، وألقوه في حفرةٍ كانوا قد ملئوها بجذوع الأشجار وفروعها التي أضرموا فيها النيران حتى صارت جمراً. وعندما وقع إبراهيم في حفرة النيران أخذ يردّد: «**لا إلٰه إلَّا أنت سبحانك، لكَ الحمد ولكَ المُلك، لا شريك لك، حسبنا الله ونعم الوكيل**». فنجَّاه الله ـ تعالى ـ من النار التي لم تحرق سوى قيوده فقط، وذلك بالأمر الإلٰهي العزيز الذي يصفه القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: 69، 70].

وفوجئ القوم بخروج إبراهيم عليه السلام سليماً من وسط النيران، ممَّا أذهلهم وحيَّرَ عقولهم، فآمن معه من آمن، وكفرَ مَن كفر!

(هـ) حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود ذلك الملك الكافر مدّعي الربوبية:

اهتزَّ النمرود حين رأى مُعجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من النيران، فدعاه إليه ليُحاوره، وعندما ذهب إليه إبراهيم عليه السلام داعياً وهادياً، ورفضَ النمرود قبول دعوته، وحاجه كما ذكر القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

وبذلك أفحم إبراهيم عليه السلام، النمرود بعد أن تخيّل هذا الملك الطاغية أنَّه بالإتيان بسجينين كانا محكوماً عليهما بالإعدام، فقتل أحدهما وعفى عن الآخر، أنَّه بذلك قادر على الإحياء والموت، وهو يعلم تمام العِلم أنه عاجز كل العجز عن ذلك. وبدلاً من مطالبة إبراهيم له بإحياء من قتله، نقلهُ نقلة أخرى إلى إبداع الله في الكون، وإلى عجز النمرود عن تغيير أي شيء في نظام هذا الكون، وبذلك انكشفت دعواه المُزيفة بالأُلوهيّة، وانكشف عوار استسلام قومه لهذا الزعم الباطل الذي لا يقبلهُ عقل سليم، ولا يُقرِّه منطق سوي.

بعد هذا التحدي بدأ النمرود في التضييق على عبد الله ونبيه إبراهيم، ليحول دون تمكينه من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، فلم يبق أمام إبراهيم إلّا الهجرة. هاجر إبراهيم عليه السلام ومَن آمن معه أوّلاً إلى حرَّان، ثم إلى فلسطين ومعه زوجته سارة، وابن أخيه لوط وزوجه. وقبل أن يهاجر دعا والده مرّة أخرى إلى الإيمان باللّه فرفض، وتبيّن لإبراهيم أنَّ أباه عدوٌّ للّه فتبرَّأ منه، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: 114].

(و) سؤال إبراهيم لربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى:

وهذا الموقف يصفه القرآن الكريم بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: 260].

وسؤال إبراهيم عليه السلام ربّهُ أن يُريه كيف يُحيي الموتى، لا يدلّ على شكٍ في قدرة الله على ذلك، وإنّما يدل على عجز العقل البشري عن إدراك كيفيّة وقوع ذلك. من هنا يتضح أن الدافع وراء طلب سيّدنا إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يُريه كيف يُحيي المَوتى، هو لتمكينه من تأكيد ذلك للخلق من أُمّته التي كُلّفَ بدعوتها إلى الإيمان بالبعث، كما كُلِّف بدعوتها إلى الإيمان باللّه وملائكته وكُتبه ورُسله واليوم الآخر. لذلك قال حينما سأله الله ـ تعالى ـ وهو الأعلم به: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾.

والتعبير باطمئنان القلب أبلغ من الإيمان العقلي والتسليم المنطقي بذلك فقط، وهو نوع من الإيمان بالغيب الذي امتدحه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في القرآن الكريم في أكثر من موضع واعتبره من شروط التقوى، فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: 1 ـ 3].

. ولا يزال في «مَزارع شبعا» اللبنانيّة المُحتلة من قبل الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين أربعة قمم جبليَّة، يُطلق عليها أهل تلك المزارع اسم «مشهد الطير». كما أثبت ذلك فضيلة (الشيخ محمَّد طه الولي من مؤرخي لبنان وعلمائه)، ويعتقد بأنَّها هي القمم الأربع التي وضع إبراهيم عليه السلام جزءًا من الطيور الأربع التي ذبحها وجزَّأَهَا ووزع أجزاءها على كل جبل من تلك الجبال الأربع، ثم دعاهن فأتين سعياً إليه.

(ز) هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين:

مع تضييق النمرود وزبانيته على عبد الله ونبيّه إبراهيم عليه السلام، ومنعه من دعوة الناس إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، لم يبقَ أمام سيّدنا إبراهيم إلَّا الهجرة والرحيل عن أهله وبلده. هاجر إبراهيم عليه السلام أوّلاً إلى حرّان، وكان أهلها من عبَدة النجوم والكواكب، فلبث فيهم مدّة يدعوهم إلى عبادة الله وحده فلم يستجيبوا لدعوته، فسار بأهله وبالقلّة التي آمنت معه (وكان منهم ابن أخيه لوط وزوجته) من حَرّان إلى بلاد الشام، حتى نزلوا بأرض فلسطين. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ

إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

[العنكبوت: 16 ـ 26].

(ح) هجرته عليه السلام إلى مصر:

بعد أن أقام إبراهيم في بلاد الشام مدّة من الزمن، حدثت مجاعة اضطرّته إلى الهجرة وكانت هجرته هذه المرّة إلى أرض مصر، وكانت معه زوجته السيّدة (سارة)، وابن أخيه لوط وزوجته، وقد شجّعه على ذلك أن غالبية أهل الشام لم يستجيبوا لدعوته، وظلّوا على شركهم وضلالهم.

أقام سيّدنا إبراهيم وصحبه في مصر ما شاء الله لهم أن يُقيموا، وأهداه ملك مصر فتاة مصريّة اسمها (هاجر)، ثم عاد إلى أرض فلسطين ليستقرّ في مدينة الخليل التي سُمِّيَت بلقبِه، ويستقرّ ابن أخيه لوط في قرى سدوم إلى الجنوب من البحر الميت.

(ط) ابتلاء إبراهيم وسارة بعدم الذريّة لفترة زمنيّة طويلة:

عاش النَّبي إبراهيم عليه السلام مع زوجه السيّدة سارة حتى قارب التسعين من عمره ولم تنجب. وشعرت سارة بأنَّ زوجها حُرِم الذريّة بسبب عقمها، وأدركت بحسها أن نفسه تتوق أن يكون له ولد، فأشارت على زوجها إبراهيم بالزواج من الفتاة المصريّة (هاجر)، لعلَّ الله ـ تعالى ـ أن يرزقه منها طفلاً. وبالفعل قبل إبراهيم اقتراح زوجتِه سارة وتزوّج بالشابة المصرية (هاجر)، فحملت وبعد شهور معدودات ولدت السيّدة هاجر أوّل ابن لإبراهيم، وسمياه إسماعيل، بعد سنواتٍ من الدعاء الذي ظلَّ إبراهيم يُردّده بلا يأس قائلاً: «ربِّ هب لي من الصالحين».

(ي) ابتلاء إبراهيم بالأمر الإلٰهي بوضع زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل في وادي مكَّة المهجور من الناس والمحروم من الماء ومن الزرع:

أمر الله ـ تعالى ـ عبده إبراهيم عليه السلام بوضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل، عند قواعد البيت الحرام في وادي مكَّة، وكان آنذاك وادياً مُقفراً، لا ماء فيه ولا حياة، ولا بناء ولا بشر. امتثل إبراهيم لأمر الله ووضع زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل هنالك، وترك عندهما جراباً فيه شيء من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء وودعهما عائداً إلى الخليل. فَجَرَت وراءه أم إسماعيل قائلة: يا إبراهيم إلى مَن تتركنا في هذا الوادي القفر؟ وإبراهيم لا يردّ عليها، وكرَّرت ذلك ثلاث مرَّات وهو لا يردّ عليها، فأدركت بحسِّها الفِطريّ أنَّ ذلك قد يكون أمراً من الله ـ تعالى ـ، خاصّة وهي تعلم أنَّ زوجها من أُولي العَزم من الرُّسل. فسألته: آللّه أمرَكَ بهذا؟ فأدارَ وجهه إليها وقال: نعم! وبفطريّة عجيبة وإيمان راسخ قالت: إذن لن يُضيعَنا، وعادت إلى رضيعها. سار إبراهيم حتى وصل إلى ثنية بوادي مكَّة ورفع يديه إلى السماء بهذا الدعاء الذي سجّله القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: 37].

تحرك إبراهيم في طريقه إلى بلاد الشام، وعادت هاجر إلى رضيعها تأكل من التمر، وتشرب من الماء، وترضع صغيرها حتى نفد الماء، وبدأ الرضيع في البكاء. ركضت أم إسماعيل بين الصفا والمروة، ترقى على تلك التلّة مرّة، وعلى التلّة الأخرى مرة ثانية، لعلّها أن ترى طيراً يحُطّ على شيء من الماء، أو قادماً يحمل معه شيئاً منه. ركضت سبعة أشواط بين الصفا والمروة حتى أجهدت، فبعث الله ـ تعالى ـ إليها جبريل عليه السلام ليطمئنها من الضيعة، وليَضرب بعقبه أو بجناحه أرض مكَّة الصمّاء فانفجرت عين زمزم. جرت أم إسماعيل إلى عين الماء تحوطها بالرّمال والحصى وهي تقول: زُمّي زُمّي، ومن هنا كانت التسمية (زمزم).

ثمّ جاءت قبيلة جرهم اليمنية إلى مكّة من رحلة تجارة في بلاد الشام، واستأذنت أم إسماعيل في التزوّد من ماء زمزم، ثم في الاستقرار حولها، وعمَرت المنطقة استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام.

(ك) ابتلاء إبراهيم عليه السلام بالأمر بذبح وحيده:

كبر إسماعيل حتى بلغ مبلغ الشباب، وتعلّق قلب أبيه بحبه، ثم فوجئ بالأمر الإلٰهي بذبحه، وكان الأمرُ في المنام حتى يكون الانصياع له أعظم ابتلاء وامتحاناً. وكان المقصود هو اختبار إخلاص قلب إبراهيم لربّه، واختبار طاعة إسماعيل لأوامر الله ـ تعالى ـ ولأوامر أبيه. فلمَّا امتثل كلّ من إبراهيم ووحيده إسماعيل للأمر الإلٰهي، فدى الله ـ تعالى ـ عبده إسماعيل بذبح عظيم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان إبراهيم:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصّافات: 100 ـ 113].

والآيات تُصوّر حجم الابتلاء، الذي تعرّض له كل من إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ومدى استسلامهما لأوامر الله ـ تعالى ـ بصبر ورضاء كاملين. وانطلق ذلك من إيمانهما التامّ باللّه، إيماناً لا يداخله أدنى قدر من الشكّ أو الارتياب، وطاعةً وتسليماً ليس فيهما أدنى قدر من التردد. لذلك أكرمهما الله ـ تعالى ـ في اللّحظة التي كان السكّين يتهيّأ لإنفاذِ الأمر الإلٰهي، فأوحى الله إلى إبراهيم أنّه قد صدَّق الرّؤيا، وفدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وأصبح ذلك اليوم عيداً للمُسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

(ل) الملائكة تُبشّرُ كلًّا من إبراهيم وسارة بميلاد إسحاق:

أرسل الله ﷻ وفداً من ملائكته إلى عبده إبراهيم، ليُخبروهُ بأنَّهم أرسلوا لتدمير الفاسقين من قوم لوط، وليبشّروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وكان هو وزوجته سارة قد بلغا من الكبر عتيًّا. وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 83، 84].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: 69 ـ 76].

ويقول ـ عزَّ من قائل ـ على لسان عبده ونبيه إبراهيم:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: 39، 40].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ

﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذّاريات: 24 ـ 30].

(م) تلقى إبراهيم الأمر من الله ـ تعالى ـ برفع القواعد من البيت (الكعبة):

أمر ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عبدهُ ونبيّه إبراهيم ﷺ برفع القواعد من البيت العتيق، فذهب إلى مكّة وتعاون هو وولده إسماعيل ﷺ، على إعادة بناء أوّل بيتٍ وُضِعَ للناس في الأرض، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: 124 ـ 132].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

[آل عمران: 96، 97].

ويقول ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجّ: 26 ـ 29].

(ن) وفاة كلٍّ من سارة وإبراهيم:

تُوفّيت السيّدة سارة في حياة إبراهيم عليه السلام في سن مُتقدّمة، ثمّ توفي إبراهيم بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا. تاركاً لأمّتِه ما كان قد أنزل عليه من الوحيّ، والذي سمّاهُ القرآن الكريم باسم «**صحف إبراهيم**». وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

[الأعلى: 14 ـ 19].

ويُذكر أنَّ إبراهيم عليه السلام عاش قرابة المائتي سنة، وأنَّه مات ودُفن في مدينة الخليل. وقد سُئل ابن تيميّة عن قبور الأنبياء التي يزورها الناس فقال: «... القبرُ المُتفق عليه هو قبر سيّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم؛ وقبرُ الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنَّه قبره». فينبغي بناءً على ذلك أن تُراعى حُرمة مدينة الخليل، وألّا تُترك لأنجاس الصهاينة يُدَنِّسونها بجرائمهم وشِركهم وخروجهم على منهج الله ـ تعالى ـ مهما كلَّف ذلك المسلمين الصادقين من ثمن. وذلك لأن يهود اليوم هم شياطين الإنس، ولا حق لهم في التواجد على أرض فلسطين: لا ديناً، ولا عرقاً ولا لغة، ولا تاريخاً، ولا قانوناً، ولا بأي مبرر منطقي آخر. وهؤلاء الشياطين قد احتلوا مدينة الخليل، واقتسموا مسجد أبينا إبراهيم عليه السلام مع المسلمين، واقترفوا في هذا المسجد من الجرائم والموبقات ما يتنافى مع حرمة المكان.

مكانة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم:

كان من فضل الله ـ تعالى ـ على عبده ورسوله إبراهيم أن جعله إماماً للنّاس، وجعل في ذرّيته النبوّة، واتَّخذهُ خليلاً. ويقول ـ تبارك وتعالى ـ في امتداح عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام آياتٍ كثيرة، منها أقواله ـ تعالى ـ:

- ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: 130].
- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: 135].
- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: 67].
- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: 125].
- ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: 161].
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: 120 ـ 123].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: 77، 78].

- ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: 4].

من أوصاف القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام:

وصف القرآن الكريم عبد الله ونبيه إبراهيم بالعديد من الأوصاف الطيّبة التي منها:

1 ـ أنّه **حليمٌ أوّاهٌ**، والحليم هو الذي يملك نفسه عند الغضب، وكثيرُ الحُلم على الجاهلين؛ والأوّاه هو كثير التأوّه خِشيةً للّه ـ تعالى ـ وخوفاً من أهوال يوم القيامة، وفي ذلك يقول:

- ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: 114].

2 ـ ومنها أنّه (**مُنيب**)، أي كثير الإنابة والتوبة إلى الله ـ تعالى ـ وفي ذلك يسجّل القرآن الكريم قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ.

- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: 75].

3 ـ ومنها أنّه (**حنيف**)، أي مُستقيم على طاعة الله، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: 135].

4 ـ ومنها أنّ الله ـ تعالى ـ شرّفه هو وولدُه إسماعيل عليهما السلام، **برفع قواعد الكعبة المباركة**، بعد أن كانت قد تهدّمت بالكامل، وأنزل إليهما كُلًّا من الحجر الأسعد ومقام إبراهيم، وفي ذلك يقول ربنا ـ عزّ من قائل ـ:

- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 127، 128].

5 ـ ومنها **أنَّه العبد الذي وفَّى، وزاد على الوفاء بالإحسان**، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: 37].

أيّ الذي تمّم وأكمل ما أمرهُ الله ـ تعالى ـ به، وبالغ في وفائه في تنفيذ جميع أوامر الله عز وجل له حتى بلغ درجة الإحسان.

إبراهيم عليه السلام في أحاديث رسول الله ﷺ:

1 ـ امتدح خاتم الأنبياء والمُرسلين ﷺ: عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام كثيراً، وكان من ذلك ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل، بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: قال رجلٌ لرسول الله ﷺ: يا خير البريّة، فقال ﷺ: «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[1].

2 ـ ويذكُر سيّدنا محمَّد ﷺ أنَّ إبراهيم كان أشبه الناس به، فقال: «**رأيت عيسى ابنُ مريم وموسى وإبراهيم، فأمّا عيسى فأحمر جَعدٌ عريضُ الصَّدر، وأمّا موسى فآدمٌ جسيم**». قالوا: فإبراهيم؟ قال ﷺ: «**انظروا إلى صاحبكم**»، يعني نفسه[2].

3 ـ لذلك كان إبراهيم عليه السلام أحد الخمسة الكبار من رُسل الله، الذين وُصفوا بوصف **أولي العزم من الرُّسل**، وهم إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى، ومحمَّد (صلَّى الله وسلَّم وبارك عليهم أجمعين).

---

(1) مسند أحمد حديث رقم (12826).

(2) الإمام البزار رقم (9539).

4 ـ أكد رسول الله ﷺ وصف القرآن الكريم لعبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام بأنَّه (**خليل الرَّحمٰن**)، وفي هذا الوصف من التكريم ما لم ينلهُ إلَّا خاتمُ الأنبياء والمُرسلين ﷺ، الذي قال: «**لو كنت مُتَّخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله**»[1].

فخلّة الله ـ تعالى ـ اختصّ بها عبدَيه، إبراهيم عليه السلام **ومحمَّد ـ صلوات الله** وسلامهُ عليه ـ. ويُسمّى الخليلُ خليلاً، لأنَّ محبَّتهُ تتخلّلُ القلب فلا تدع فيه مكاناً إلَّا ملأته، وهي مرتبة تبلغُ كمال المحبّة وتمامها، أي: هي فوق المحبّة، ولذلك قال رسولنا ﷺ: «**لا يُؤمن أحدكم، حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممَّا سِواهما**»[2].

وعلى ذلك فإنّ خِلّة الله ـ تعالى ـ اختصّت كلًّا من خليليْه إبراهيم وحفيده محمَّد ـ عليهما الصَّلاة والسَّلام ـ، لما بذلاه من جهادٍ في سبيل تبليغ كلمة الله للعباد، وما تحمّلاه من المَشاقّ من أجل تحقيق ذلك.

الدروس المُستفادة من عرض قصّة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم:

1 ـ ضرورة تحكيم العقل في أُمور الدين بمجرّد بلوغ سنّ الرّشد، دون الاتّباع الأعمى لدين الآباء والأجداد، أو التأثّر بالسّائِد الشائع من المُعتقدات.

2 ـ أنَّ النظر في خلق الله ـ تعالى ـ بعين الاعتبار، هو من وسائل التعرّف على الخالق جل جلاله، ومعرفة جانب من طلاقة قدرته في إبداعه لخلقه. والنظر المعْتَبِرُ في الخلق هو وسيلة من وسائل البحث عن الحقّ، الذي إذا تغلغل في قلب وعقل العبد، صنع منه إنساناً يَرقى إلى مقامات التكريم التي كرّمه بها الله.

(1) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (6125).

(2) مسند أحمد حديث رقم (13959).

3 ـ أنَّه إذا ضُيّقَ على مُؤمن في بلدٍ من البلاد، إلى الحدّ الذي لا يُمكّنه من مُمارسة دينه والتبليغ عنه، فعليه بالهجرة إلى غيره من بُلدان أرض الله الواسعة.

4 ـ أنَّ صاحب الدّين الحقّ عليه أن يَجهرَ به في حِكمة، وأن يدعو إليه بالمَوعظة الحَسنة وبالحُجّة البالغة المُقنعة، وألّا يكتفي بالصّمت على ذاته، لأنَّ الله ـ تعالى ـ سوف يُسائِلُه يوم القيامة عن الضّالين من حوله.

5 ـ ضرورة التأدّب في التعامل مع الوالدَين، حتى لو كانا على الكفر أو الشرك باللّه ـ تعالى ـ، وضرورة الحرص على إكرام الضيف، لأن هذه من أخلاق المؤمنين.

6 ـ أنَّ الابتلاءات الرّبانية هي وسيلة من وسائل تربية النفس الإنسانيّة، والصبر على الابتلاءات وطاعة الله فيها، تعتبر من أعظم العبادات له (تعالى).

ـ ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بكفر كل من أبيه وقومه، أو شركهم باللّه ـ تعالى ـ، وكفر أو شرك غالبيّة الناس من حوله، ولم يمنعه ذلك من الدعوة إلى توحيد الله، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلّ وصف لا يليق بجلاله. وهذا درس لكل أصحاب الدعوة.

ـ وابتُليَ بمحاولة قومه تحريقه في النار، ولكن الله ـ تعالى ـ نجَّاه منها بمعجزة، وهو درس في حسن التوكل على الله.

ـ وابتُليَ بالنمرود وتألّهه وتجبّره على الخلق، ومطاردته له، ومحاربة أتباعه، فناظره إبراهيم وحاجه حتى انتصر عليه بالحجة البالغة وبهته.

ـ وابتُليَ إبراهيم بالهجرة من بلاده، والبعد عن أهله وقومه، وبكثرة الترحال بين فلسطين والحجاز ومصر، امتثالاً لأوامر الله، وهذا درس لكل أصحاب الدعوات.

ـ وابتُليَ بالاصطبار على زوجةٍ عاقر لسنين عديدة، وهو درس لكل من ابتلي بذلك.

- وابتُليَ بالأمر بوضع زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل عليه السلام وكان وحيده الذي رزقه الله ـ تعالى ـ إياه على الكبر في قفر وادي مكّة، فامتثل وفعل.

- وابتُليَ بالأمر بذبح وحيده الذي رزقه على الكبر ـ وقد شبّ وصار صبياً ـ، بعد أن ألحَّ على الله ـ تعالى ـ بالدّعاء أن يرزقه إيَّاه. وكان الأمرُ في المنام ليكون قبول تنفيذهُ أعظم ابتلاءً؛ وامتثل إبراهيم لأمر الله، وقدَّم طاعة الله على محبَّته لوَحيده، فافْتدى الله ـ تعالى ـ وحيدهُ بذبح عظيم.

- وابتُليَ بتكليف الله ـ تعالى ـ له برَفع القواعد من البيت الحرام هو وولَدَه إسماعيل، فقاما بالأمر وأتمّاهُ وحدهما دون مُساعدة، وهو عمل يحتاج إلى جهود عشرات من الرّجال الأشداء.

- وابتُليَ بالموت كغيره من جميع الخلق ـ وهو خليل الرَّحمٰن ـ، فمات وقبر؛ وقيل أن قبره في مدينة الخليل، بأرض فلسطين.

- وكانت ابتلاءات الله ـ تعالى ـ له في غير تلك المجالات عديدة، فتقبّلها بالرضى والصبر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124].

7 ـ اليقين بأنَّ دعوى كل من اليهود والنصارى باتِّباع دين إبراهيم عليه السلام، هي دعوى باطلة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: 65 ـ 68].

8 ـ ضرورة الشكر على نعم الله كي تدوم (فبالشكر تدوم النِّعم) ولذلك كان

إبراهيم ﷺ دائم الشكر للَّه ـ تعالى ـ وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان عبد اللَّه ونبيه إبراهيم ما نصه:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39].

9 ـ إنَّ روابط العقيدة أعزُّ عند اللَّه ـ تعالى ـ من روابط الدمّ، مع الحرص عليها، وعدم قطعها حتى في حالات الكُفر أو الشرك باللَّه (تعالى).

10 ـ التسليم بقدرة اللَّه ـ تعالى ـ على إحياء الموتى بعد أن ترم أجسادهم وتبلى، وبأنَّ اللَّه ـ تعالى شأنه ـ على كلّ شيء قدير.

هذا، وقد جاءت قصة عبد اللَّه ونبيه إبراهيم في «العهد القديم» على النحو التالي:

The Call of Abram

12 The LORD had said to Abram, "Leave your country, your people and your father's household and go to the land I will show you. [2]"I will make you into a great nation and I will bless you; I will make your name great, and you will be a blessing. [3]I will bless those who bless you, and whoever curses you I will curse; and all peoples on earth will be blessed through you." [4]So Abram left, as the LORD had told him; and Lot went with him. Abram was seventy-five years old when he set out from Haran. [5]He took his wife Sarai, his nephew Lot, all the possessions they had accumulated and the people they had acquired in Haran, and they set out for the land of Canaan, and they arrived there. [6]Abram traveled through the land as far as the site of the great tree of Moreh at Shechem. At that time the Canaanites were in the land. [7]The LORD appeared to Abram and said, "To your offspring I will give this land." So he built an altar there to the LORD, who had appeared to him. [8]From there he went on toward the hills east of Bethel and pitched his tent, with Bethel on the west and Ai on the east. There he built an altar to the LORD and called on the name of the LORD. [9]Then Abram set out and continued toward the Negev.

دعوة أبرام

١٢ وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «ٱتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَٱذْهَبْ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي أُرِيكَ. [٢]فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ ٱسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً (لِكَثِيرِينَ). [٣]وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَأَلْعَنُ لاعِنِيكَ، وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلأَرْضِ». [٤]فَٱرْتَحَلَ أَبْرَامُ كَمَا أَمَرَهُ ٱلرَّبُّ، وَرَافَقَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ فِي ٱلْخَامِسَةِ وَٱلسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ حَارَانَ. [٥]وَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ زَوْجَتَهُ وَلُوطاً ٱبْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مَا جَمَعَاهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ وَكُلَّ مَا ٱمْتَلَكَاهُ مِنْ نُفُوسٍ فِي حَارَانَ، وَٱنْطَلَقُوا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَنْ وَصَلُوهَا.

[٦]فَشَرَعَ أَبْرَامُ يَتَنَقَّلُ فِي ٱلأَرْضِ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَوْضِعَ شَكِيمَ إِلَى سَهْلِ مُورَةَ. وَكَانَ ٱلْكَنْعَانِيُّونَ آنَئِذٍ يَقْطُنُونَ تِلْكَ ٱلأَرْضَ. [٧]وَظَهَرَ ٱلرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ ٱلأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ». فَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَهُ. [٨]وَٱنْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى ٱلْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ نَصَبَ خِيَامَهُ مَا بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ غَرْباً وَعَايَ شَرْقاً وَشَيَّدَ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَدَعَا بِٱسْمِهِ. [٩]ثُمَّ تَابَعَ أَبْرَامُ ٱرْتِحَالَهُ نَحْوَ ٱلْجَنُوبِ.

Abram in Egypt

[10]Now there was a famine in the land, and Abram went down to Egypt to live there for a while because the famine was severe. [11]As he was about to enter Egypt, he said to his wife Sarai, "I know what a beautiful woman you are. [12]When the Egyptians see you, they will say, 'This is his wife.' Then they will kill me but will let you live. [13]Say you are my sister, so that I will be treated well for your sake and my life will be spared because of you."

[14]When Abram came to Egypt, the Egyptians saw that she was a very beautiful woman. [15]And when Pharaoh's officials saw her, they praised her to Pharaoh, and she was taken into his palace. [16]He treated Abram well for her sake, and Abram acquired sheep and cattle, male and female donkeys, menservants and maidservants, and camels. [17]But the LORD inflicted serious diseases on Pharaoh and his household because of Abram's wife Sarai. [18]So Pharaoh summoned Abram. "What have you done to me?" he said. "Why didn't you tell me she was your wife? [19]Why did you say, 'She is my sister,' so that I took her to be my wife? Now then, here is your wife. Take her and go!" [20]Then Pharaoh gave orders about Abram to his men, and they sent him on his way, with his wife and everything he had.

أبرام في ديار مصر

[١٠]وَعَمَّتْ تِلْكَ ٱلْبِلَادَ مَجَاعَةٌ، فَٱنْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ فِيهَا لِأَنَّ ٱلْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي ٱلْأَرْضِ. [١١]وَمَا إِنِ ٱقْتَرَبَ مِنْ تُخُومِ مِصْرَ حَتَّى قَالَ لِزَوْجَتِهِ سَارَايَ: «أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكِ ٱمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، [١٢]فَمَا إِنْ يَرَاكِ ٱلْمِصْرِيُّونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذِهِ هِيَ زَوْجَتُهُ فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَحْيُونَكِ. [١٣]لِذَلِكَ قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، فَيُحْسِنُوا مُعَامَلَتِي مِنْ أَجْلِكِ وَتَنْجُو حَيَاتِي بِفَضْلِكِ».

[١٤]وَلَمَّا ٱقْتَرَبَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ ٱسْتَرْعَى جَمَالُ سَارَايَ أَنْظَارَ ٱلْمِصْرِيِّينَ. [١٥]وَشَاهَدَهَا أَيْضاً رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ فَأَشَادُوا بِهَا أَمَامَهُ. فَأُخِذَتِ ٱلْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. [١٦]فَأَحْسَنَ إِلَى أَبْرَامَ بِسَبَبِهَا وَأَجْزَلَ لَهُ ٱلْعَطَاءَ مِنَ ٱلْغَنَمِ وَٱلْبَقَرِ وَٱلْحَمِيرِ وَٱلْعَبِيدِ وَٱلْإِمَاءِ وَٱلْأُتُنِ وَٱلْجِمَالِ. [١٧]وَلَكِنَّ ٱلرَّبَّ ٱبْتَلَى فِرْعَوْنَ وَأَهْلَهُ بِبَلَايَا عَظِيمَةٍ بِسَبَبِ سَارَايَ زَوْجَةِ أَبْرَامَ. [١٨]فَٱسْتَدْعَى فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَسَأَلَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا زَوْجَتُكَ؟ [١٩]وَلِمَاذَا ٱدَّعَيْتَ أَنَّهَا أُخْتُكَ حَتَّى أَخَذْتُهَا لِتَكُونَ زَوْجَةً لِي؟ وَٱلْآنَ هَا هِيَ زَوْجَتُكَ، خُذْهَا وَٱمْضِ فِي طَرِيقِكَ». [٢٠]وَأَوْصَى فِرْعَوْنُ رِجَالَهُ بِأَبْرَامَ، فَشَيَّعُوهُ وَٱمْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُ.

Abram and Lot Separate

13 So Abram went up from Egypt to the Negev, with his wife and everything he had, and Lot went with him. [2]Abram had become very wealthy in livestock and in silver and gold. [3]From the Negev he went from place to place until he came to Bethel, to the place between Bethel and Ai where his tent had been earlier [4]and where he had first built an altar. There Abram called on the name of the LORD.

[5]Now Lot, who was moving about with Abram, also had flocks and herds and tents. [6]But the land could not support them while they stayed together, for their possessions were so great that they were not able to stay together. [7]And quarreling arose between Abram's herdsmen and the herdsmen of Lot. The Canaanites and Perizzites were also living in the land at that time. [8]So Abram said to Lot, "Let's not have any quarreling between you and me, or between your herdsmen and mine, for we

افتراق أبرام ولوط

١٣ وَغَادَرَ أَبْرَامُ مِصْرَ وَتَوَجَّهَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَلُوطٌ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، نَحْوَ مِنْطَقَةِ ٱلنَّقَبِ. [٢]وَكَانَ أَبْرَامُ يَمْلِكُ ثَرْوَةً طَائِلَةً مِنَ ٱلْمَوَاشِي وَٱلْفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ. [٣]وَظَلَّ يَتَنَقَّلُ فِي مِنْطَقَةِ ٱلنَّقَبِ مُتَّجِهاً إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي كَانَ قَدْ نَصَبَ فِيهِ خِيَامَهُ أَوَّلاً بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ. [٤]حَيْثُ كَانَ قَدْ شَيَّدَ ٱلْمَذْبَحَ أَوَّلاً، وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ.

[٥]وَكَانَ لِلُوطٍ ٱلْمُرَافِقِ لِأَبْرَامَ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ أَيْضاً. [٦]فَضَاقَتْ بِهِمَا ٱلْأَرْضُ لِكَثْرَةِ أَمْلَاكِهِمَا فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعاً. [٧]وَنَشِبَ نِزَاعٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي كَانَ فِيهِ ٱلْكَنْعَانِيُّونَ وَٱلْفِرِزِّيُّونَ يُقِيمُونَ فِي ٱلْأَرْضِ. [٨]فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: «لَا يَكُنْ نِزَاعٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا بَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ لِأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ.

are brothers. [9]Is not the whole land before you? Let's part company. If you go to the left, I'll go to the right; if you go to the right, I'll go to the left."

Lot Chooses Sodom

[10]Lot looked up and saw that the whole plain of the Jordan was well watered, like the garden of the LORD, like the land of Egypt, toward Zoar. (This was before the LORD destroyed Sodom and Gomorrah.) [11]So Lot chose for himself the whole plain of the Jordan and set out toward the east. The two men parted company: [12]Abram lived in the land of Canaan, while Lot lived among the cities of the plain and pitched his tents near Sodom. [13]Now the men of Sodom were wicked and were sinning greatly against the LORD.

[14]The LORD said to Abram after Lot had parted from him, "Lift up your eyes from where you are and look north and south, east and west. [15]All the land that you see I will give to you and your offspring forever. [16]I will make your offspring like the dust of the earth, so that if anyone could count the dust, then your offspring could be counted. [17]Go, walk through the length and breadth of the land, for I am giving it to you."

[18]So Abram moved his tents and went to live near the great trees of Mamre at Hebron, where he built an altar to the LORD.

Abram Rescues Lot

14 At this time Amraphel king of Shinar, Arioch king of Ellasar, Kedorlaomer king of Elam and Tidal king of Goiim [2]went to war against Bera king of Sodom, Birsha king of Gomorrah, Shinab king of Admah, Shemeber king of Zeboiim, and the king of Bela (that is, Zoar). [3]All these latter kings joined forces in the Valley of Siddim (the Salt Sea). [4]For twelve years they had been subject to Kedorlaomer, but in the thirteenth year they rebelled. [5]In the fourteenth year, Kedorlaomer and the kings allied with him went out and defeated the Rephaites in Ashteroth Karnaim, the Zuzites in Ham, the Emites in Shaveh Kiriathaim [6]and the Horites in the hill country of Seir, as far as El Paran near the desert. [7]Then they turned back and went to En Mishpat (that is, Kadesh), and they conquered the whole territory of the Amalekites, as well as the Amorites who were living in Hazazon Tamar.

[٩]أَلَيْسَتِ ٱلأَرْضُ كُلُّهَا أَمَامَكَ؟ فَلْنَعْتَزِلْ عَنِّي. إِنِ ٱتَّجَهْتَ شِمَالاً، أَتَّجِهُ أَنَا يَمِيناً، وَإِنْ تَحَوَّلْتَ يَمِيناً، أَتَحَوَّلُ أَنَا شِمَالاً».

لوط يختار سدوم

[١٠]وَتَلَفَّتَ لُوطٌ حَوْلَهُ فَشَاهَدَ ٱلسُّهُولَ ٱلْمُحِيطَةَ بِنَهْرِ ٱلأُرْدُنِّ وَإِذَا بِهَا رَيَّانَةٌ كُلُّهَا، قَبْلَمَا دَمَّرَ ٱلرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَكَأَنَّهَا جَنَّةُ ٱلرَّبِّ كَأَرْضِ مِصْرَ ٱلْمُمْتَدَّةِ إِلَى صُوغَرَ. [١١]فَٱخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ حَوْضَ ٱلأُرْدُنِّ كُلَّهُ وَٱرْتَحَلَ شَرْقاً. وَهَكَذَا ٱعْتَزَلَ أَحَدُهُمَا عَنِ ٱلآخَرِ. [١٢]وَسَكَنَ أَبْرَامُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَقَامَ لُوطٌ فِي مُدُنِ ٱلسَّهْلِ حَيْثُ نَصَبَ خِيَامَهُ بِجُوَارِ سَدُومَ. [١٣]وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ مُتَوَرِّطِينَ فِي ٱلشَّرِّ وَخَاطِئِينَ جِدّاً لَدَى ٱلرَّبِّ.

[١٤]وَقَالَ ٱلرَّبُّ لأَبْرَامَ بَعْدَ أَنِ ٱعْتَزَلَ عَنْهُ لُوطٌ: «ٱرْفَعْ عَيْنَيْكَ وَتَلَفَّتْ حَوْلَكَ مِنَ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ، شِمَالاً وَجَنُوباً، شَرْقاً وَغَرْباً، [١٥]فَإِنَّ هَذِهِ ٱلأَرْضَ ٱلَّتِي تَرَاهَا، سَأُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ إِلَى ٱلأَبَدِ. [١٦]وَسَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ ٱلأَرْضِ، فَإِنِ ٱسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُحْصِيَ تُرَابَ ٱلأَرْضِ يَقْدِرُ حِينَئِذٍ أَنْ يُحْصِيَ نَسْلَكَ. [١٧]قُمْ وَٱمْشِ فِي طُولِ ٱلأَرْضِ وَعَرْضِهَا لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا». [١٨]فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَنَصَبَهَا فِي سَهْلِ مَمْرَا فِي حَبْرُونَ، وَهُنَاكَ شَيَّدَ لِلرَّبِّ مَذْبَحاً.

إنقاذ لوط من الأسر

١٤ وَحَدَثَ فِي زَمَانِ أَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ وَكَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ، [٢]أَنَّ حَرْباً نَشِبَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَارَعَ مَلِكِ سَدُومَ وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ وَشِنْآبَ مَلِكِ أَدْمَةَ وَشِمْئِيبَرَ مَلِكِ صَبُويِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعَ ٱلْمَعْرُوفَةِ بِصُوغَرَ. [٣]هَؤُلاَءِ جَمِيعُهُمْ ٱحْتَشَدُوا فِي وَادِي ٱلسِّدِّيمِ وَهُوَ بَحْرُ ٱلْمِلْحِ (ٱلْبَحْرُ ٱلْمَيِّتُ) [٤]وَكَانَ كَدَرْلَعَوْمَرُ قَدِ ٱسْتَعْبَدَهُمْ طَوَالَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ تَمَرَّدُوا عَلَيْهِ. [٥]وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ٱجْتَمَعَ كَدَرْلَعَوْمَرُ وَحُلَفَاؤُهُ ٱلْمُلُوكُ وَقَهَرُوا ٱلرَّفَائِيِّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ، وَٱلزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ، وَٱلإِيمِيِّينَ فِي سَهْلِ قَرْيَتَايِمَ، [٦]وَٱلْحُورِيِّينَ فِي جَبَلِهِمْ سَعِيرَ حَتَّى بُطْمَةِ فَارَانَ عَلَى حُدُودِ ٱلصَّحْرَاءِ. [٧]ثُمَّ ٱرْتَدُّوا حَتَّى أَقْبَلُوا عَلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ، ٱلَّتِي هِيَ قَادَشُ، فَهَزَمُوا بِلاَدَ ٱلْعَمَالِقَةِ كُلَّهَا وَٱلأَمُورِيِّينَ ٱلسَّاكِنِينَ فِي حَصُّونَ تَامَارَ.

8 Then the king of Sodom, the king of Gomorrah, the king of Admah, the king of Zeboiim and the king of Bela (that is, Zoar) marched out and drew up their battle lines in the Valley of Siddim 9 against Kedorlaomer king of Elam, Tidal king of Goiim, Amraphel king of Shinar and Arioch king of Ellasar–four kings against five. 10 Now the Valley of Siddim was full of tar pits, and when the kings of Sodom and Gomorrah fled, some of the men fell into them and the rest fled to the hills. 11 The four kings seized all the goods of Sodom and Gomorrah and all their food; then they went away. 12 They also carried off Abram's nephew Lot and his possessions, since he was living in Sodom.

13 One who had escaped came and reported this to Abram the Hebrew. Now Abram was living near the great trees of Mamre the Amorite, a brother of Eshcol and Aner, all of whom were allied with Abram. 14 When Abram heard that his relative had been taken captive, he called out the 318 trained men born in his household and went in pursuit as far as Dan. 15 During the night Abram divided his men to attack them and he routed them, pursuing them as far as Hobah, north of Damascus. 16 He recovered all the goods and brought back his relative Lot and his possessions, together with the women and the other people.

٨ فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوييم وملك بالع، التي هي صوغر، في عمق السديم وخاضوا حربا ٩ مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم وأمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألاسار، فكانوا أربعة ملوك ضد خمسة. ١٠ وكان وادي السديم مليئا بآبار الزفت، فانهزم ملكا سدوم وعمورة وسقطا فيها، أما الباقون فهربوا إلى الجبال. ١١ فغنم المنتصرون جميع ما في سدوم وعمورة من ممتلكات ومؤن ومضوا. ١٢ وأسروا لوطا ابن أخي أبرام المقيم في سدوم، ونهبوا أملاكه ثم ذهبوا.

١٣ وجاء أحد الناجين إلى أبرام العبراني الذي كان ما زال مقيما عند بلوطات ممرا أخي أشكول وعانر حلفاء أبرام وأبلغه بما جرى. ١٤ فلما سمع أبرام أن ابن أخيه قد أسر، جرد ثلاث مئة وثمانية عشر من غلمانه المدربين المولودين في بيته وتعقبهم حتى بلغ دان. ١٥ وفي أثناء الليل قسم رجاله، وهاجمهم وقهرهم، ثم طاردهم حتى حوبة شمالي دمشق. ١٦ واسترد كل الغنائم، واسترجع ابن أخيه لوطا وأملاكه، والنساء أيضا وسواهم من الأسرى.

Melchizedek Blesses Abram

17 After Abram returned from defeating Kedorlaomer and the kings allied with him, the king of Sodom came out to meet him in the Valley of Shaveh (that is, the King's Valley). 18 Then Melchizedek king of Salem brought out bread and wine. He was priest of God Most High, 19 and he blessed Abram, saying, "Blessed be Abram by God Most High, Creator of heaven and earth. 20 And blessed be God Most High, who delivered your enemies into your hand." Then Abram gave him a tenth of everything. 21 The king of Sodom said to Abram, "Give me the people and keep the goods for yourself." 22 But Abram said to the king of Sodom, "I have raised my hand to the LORD, God Most High, Creator of heaven and earth, and have taken an oath 23 that I will accept nothing belonging to you, not even a thread or the thong of a sandal, so that you will never be able to say, 'I made Abram rich.' 24 I will accept nothing but what my men have eaten and the share that belongs to

ملكي صادق يبارك أبرام

١٧ وجاء ملك سدوم للقاء أبرام في وادي شوى المعروف بوادي الملك، بعد عودته من كسرة كدرلعومر والملوك حلفائه. ١٨ وكذلك حمل إليه ملكي صادق ملك شاليم، الذي كان كاهنا لله العلي، خبزا وخمرا. ١٩ وباركه قائلا: «لتكن عليك يا أبرام بركة الله العلي، مالك السماوات والأرض. ٢٠ وتبارك الله العلي الذي دفع أعداءك إلى يديك». فأعطاه أبرام عشر الغنائم كلها. ٢١ وقال ملك سدوم لأبرام: «أعطني الأسرى المعتوقين أما الغنائم فاحتفظ بها لنفسك». ٢٢ فأجابه أبرام: «لقد أقسمت بالرب الإله العلي، مالك السماوات والأرض، ٢٣ وعاهدته ألا آخذ شيئا مما هو لك، ولو كان خيطا أو شريط حذاء، لئلا تقول: أنا أغنيت أبرام. ٢٤ لن آخذ غير ما أكله الغلمان. أما

the men who went with me–to Aner, Eshcol and Mamre. Let them have their share."

God's Covenant with Abram

15 After this, the word of the LORD came to Abram in a vision: "Do not be afraid, Abram. I am your shield, your very great reward." [2]But Abram said, "O Sovereign LORD, what can you give me since I remain childless and the one who will inherit my estate is Eliezer of Damascus?" [3]And Abram said, "You have given me no children; so a servant in my household will be my heir." [4]Then the word of the LORD came to him: "This man will not be your heir, but a son coming from your own body will be your heir." [5]He took him outside and said, "Look up at the heavens and count the stars–if indeed you can count them." Then he said to him, "So shall your offspring be." [6]Abram believed the LORD, and he credited it to him as righteousness. [7]He also said to him, "I am the LORD, who brought you out of Ur of the Chaldeans to give you this land to take possession of it." [8]But Abram said, "O Sovereign LORD, how can I know that I will gain possession of it?" [9]So the LORD said to him, "Bring me a heifer, a goat and a ram, each three years old, along with a dove and a young pigeon." [10]Abram brought all these to him, cut them in two and arranged the halves opposite each other; the birds, however, he did not cut in half. [11]Then birds of prey came down on the carcasses, but Abram drove them away.

[12]As the sun was setting, Abram fell into a deep sleep, and a thick and dreadful darkness came over him. [13]Then the LORD said to him, "Know for certain that your descendants will be strangers in a country not their own, and they will be enslaved and mistreated four hundred years. [14]But I will punish the nation they serve as slaves, and afterward they will come out with great possessions. [15]You, however, will go to your fathers in peace and be buried at a good old age. [16]In the fourth generation your descendants will come back here, for the sin of the Amorites has not yet reached its full measure." [17]When the sun had set and darkness had fallen, a smoking firepot with a blazing torch appeared and passed between the pieces.

[18]On that day the LORD made a covenant with Abram and said, "To your descendants I give this

نصيب الرجال الذين ذهبوا معي: عانر وأشكول وممرا، فإنهم يأخذون حصتهم».

عهد الله مع أبرام

١٥ وبعد هذه الأمور قال الرب لأبرام في الرؤيا: «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. وأجرك عظيم جداً». [٢] فقال أبرام: «أيها السيد الرب أي خير في ما تعطيني وأنا ما زلت عقيماً، ووارث بيتي هو أليعازر الدمشقي؟» [٣] وقال أبرام أيضاً: «إنك لم تعطني نسلاً، وها هو عبد مولود في بيتي يكون وارثي». [٤] فأجابه الرب: «لن يكون هذا لك وريثاً، بل الذي يخرج من صلبك يكون وريثك». [٥] وأخرجه الرب إلى الخارج وقال: «انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت ذلك». ثم قال له: «هكذا يكون نسلك». [٦] فآمن بالرب فحسبه له براً. [٧] وقال له: «أنا هو الرب الذي أتى بك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً». [٨] فسأل: «كيف أعلم أني أرثها؟» [٩] فأجابه الرب: «خذ لي عجلة وعنزة وكبشاً، عمر كل منها ثلاث سنوات، ويمامة وحمامة». [١٠] فأخذ هذه كلها وشق البهائم من الوسط إلى شطرين، وجعل كل شطر منها مقابل الشطر الآخر. أما الطيور فلم يشطرها. [١١] وعندما انقضت الطيور الجارحة على الجثث زجرها أبرام.

[١٢] ولما مالت الشمس إلى المغيب غرق أبرام في نوم عميق، وإذا بظلمة مخيفة ومتكاثفة تكتنفه. [١٣] فقال له الرب: «ثق أن نسلك سيتغربون في أرض ليست لهم، فيستعبدهم أهلها ويذلونهم أربع مئة سنة. [١٤] ولكنني سأدين تلك الأمة التي استعبدتهم، ثم بعد ذلك يخرجون بأموال طائلة. [١٥] أما أنت فستموت بسلام وتدفن بشيبة صالحة. [١٦] أما هم فسيرجعون بعد أربعة أجيال إلى هنا، لأن إثم الأموريين لم يكتمل بعد». [١٧] وعندما غربت الشمس وخيم الظلام (ظهر) تنور دخان ومشعل نار يجتاز بين تلك القطع.

[١٨] في ذلك اليوم عقد الله ميثاقاً مع أبرام قائلاً: «سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى النهر الكبير، نهر

land, from the river of Egypt to the great river, the Euphrates–[19]the land of the Kenites, Kenizzites, Kadmonites, [20]Hittites, Perizzites, Rephaites, [21]Amorites, Canaanites, Girgashites and Jebusites."

الفرات. [١٩]أرض القينيين والقنزيين والقدمونيين [٢٠]والحثيين والفرزيين والرفائيين [٢١]والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين.

Abram Marries Hagar

16 Now Sarai, Abram's wife, had borne him no children. But she had an Egyptian maidservant named Hagar; [2]so she said to Abram, "The LORD has kept me from having children. Go, sleep with my maidservant; perhaps I can build a family through her." Abram agreed to what Sarai said. [3]So after Abram had been living in Canaan ten years, Sarai his wife took her Egyptian maidservant Hagar and gave her to her husband to be his wife. [4]He slept with Hagar, and she conceived. When she knew she was pregnant, she began to despise her mistress. [5]Then Sarai said to Abram, "You are responsible for the wrong I am suffering. I put my servant in your arms, and now that she knows she is pregnant, she despises me. May the LORD judge between you and me."
[6]"Your servant is in your hands," Abram said. "Do with her whatever you think best." Then Sarai mistreated Hagar; so she fled from her.

زواج أبرام من هاجر

١٦ وأما ساراي زوجة أبرام فقد كانت عاقرا، وكانت لها جارية مصرية تدعى هاجر. [٢]فقالت ساراي لأبرام: «هوذا الرب قد حرمني من الولادة، فادخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين». فسمع أبرام لكلام زوجته. [٣]وهكذا بعد إقامة عشر سنوات في أرض كنعان، أخذت ساراي جاريتها المصرية هاجر وأعطتها لرجلها أبرام لتكون زوجة له.
[٤]فعاشر هاجر فحبلت منه. ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها في عينيها. [٥]فقالت ساراي لأبرام: «ليقع ظلمي عليك، فأنا قد زوجتك من جاريتي وحين أدركت أنها حامل هنت في عينيها. ليقض الرب بيني وبينك». [٦]فأجابها أبرام: «ها هي جاريتك تحت تصرفك، فافعلي بها ما يحلو لك». فأذلتها ساراي حتى هربت منها.

Hager and the Angel of the LORD

[7]The angel of the LORD found Hagar near a spring in the desert; it was the spring that is beside the road to Shur. [8]And he said, "Hagar, servant of Sarai, where have you come from, and where are you going?" "I'm running away from my mistress Sarai," she answered. [9]Then the angel of the LORD told her, "Go back to your mistress and submit to her." [10]The angel added, "I will so increase your descendants that they will be too numerous to count." [11]The angel of the LORD also said to her: "You are now with child and you will have a son. You shall name him Ishmael, for the LORD has heard of your misery. [12]He will be a wild donkey of a man; his hand will be against everyone and everyone's hand against him, and he will live in hostility toward all his brothers." [13]She gave this name to the LORD who spoke to her: "You are the God who sees me," for she said, "I have now seen the One who sees me." [14]That is why the well was called Beer Lahai Roi; it is still there, between Kadesh and Bered.

ملاك الرب وهاجر

[٧]فوجدها ملاك الرب بالقرب من عين الماء في الطريق المؤدية إلى شور. [٨]فقال: «ياهاجر جارية ساراي، من أين جئت؟ وإلى أين تذهبين؟». فأجابت: «إني هاربة من وجه سيدتي ساراي». [٩]فقال لها ملاك الرب: «عودي إلى مولاتك واخضعي لها». [١٠]وقال لها ملاك الرب: «لأكثرن نسلك فلا يعود يحصى». [١١]وأضاف ملاك الرب: «هوذا أنت حامل، وستلدين ابنا تدعينه إسماعيل (ومعناه: الله يسمع) لأن الرب قد سمع صوت شقائك. [١٢]ويكون إنسانا وحشيا يعادي الجميع والجميع يعادونه، ويعيش مستوحشا متحديا كل إخوته». [١٣]فدعت اسم الرب الذي خاطبها: «أنت الله الذي رآني». لأنها قالت: «أحقا رأيت هنا (خلف) الذي يراني؟». [١٤]لذلك سميت البئر «بئر لحي رئي» (ومعناه بئر الحي الذي يراني) وهي واقعة بين قادش وبارد.

The Birth of Ishmael

[15]So Hagar bore Abram a son, and Abram gave the name Ishmael to the son she had borne. [16]Abram was eighty-six years old when Hagar bore him Ishmael.

The Covenant of Circumcision

17 When Abram was ninety-nine years old, the LORD appeared to him and said, "I am God Almighty; walk before me and be blameless. [2]I will confirm my covenant between me and you and will greatly increase your numbers." [3]Abram fell facedown, and God said to him, [4]"As for me, this is my covenant with you: You will be the father of many nations. [5]No longer will you be called Abram; your name will be Abraham, for I have made you a father of many nations. [6]I will make you very fruitful; I will make nations of you, and kings will come from you. [7]I will establish my covenant as an everlasting covenant between me and you and your descendants after you for the generations to come, to be your God and the God of your descendants after you. [8]The whole land of Canaan, where you are now an alien, I will give as an everlasting possession to you and your descendants after you; and I will be their God."

[9]Then God said to Abraham, "As for you, you must keep my covenant, you and your descendants after you for the generations to come. [10]This is my covenant with you and your descendants after you, the covenant you are to keep: Every male among you shall be circumcised. [11]You are to undergo circumcision, and it will be the sign of the covenant between me and you. [12]For the generations to come every male among you who is eight days old must be circumcised, including those born in your household or bought with money from a foreigner–those who are not your offspring. [13]Whether born in your household or bought with your money, they must be circumcised. My covenant in your flesh is to be an everlasting covenant. [14]Any uncircumcised male, who has not been circumcised in the flesh, will be cut off from his people; he has broken my covenant."

God's Promise to Sarah

[15]God also said to Abraham, "As for Sarai your wife, you are no longer to call her Sarai; her name

مولد إسماعيل

[١٥]ثم ولدت هاجر لأبرام ابنا، فدعا أبرام ابنه الذي أنجبته له هاجر إسماعيل. [١٦]وكان أبرام في السادسة والثمانين من عمره عندما ولدت له هاجر إسماعيل.

العهد والختان

١٧ وعندما كان أبرام في التاسعة والتسعين من عمره، ظهر له الرب قائلا: «أنا هو الله القدير. سر أمامي وكن كاملا. [٢]فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر نسلك جدا». [٣]فسقط أبرام على وجهه، فخاطبه الله قائلا: [٤]«ها أنا أقطع لك عهدي، فتكون أبا لأمم كثيرة. [٥]ولن يدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. [٦]وأصيرك مثمرا جدا، وأجعل أمما تتفرع منك، ويخرج من نسلك ملوك. [٧]وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. [٨]وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التي نزلت فيها غريبا، ملكا أبديا. وأكون لهم إلها».

[٩]وقال الرب لإبراهيم: «أما أنت فاحفظ عهدي، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم. [١٠]هذا هو عهدي الذي بيني وبينك وبين ذريتك من بعدك الذي عليكم أن تحفظوه: أن يختتن كل ذكر منكم. [١١]تختنون رأس القلفة غرلتكم فتكون علامة العهد الذي بيني وبينكم. [١٢]تختنون على مدى أجيالكم كل ذكر منكم ابن ثمانية أيام سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابنا لغريب مشترى بمالك ممن ليس من نسلك. [١٣]فعلى كل وليد سواء ولد في بيتك أم اشتري بمال أن يختتن، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. [١٤]أما الذكر الأغلف الذي لم يختتن، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدي».

وعد الله لسارة

[١٥]وقال الرب لإبراهيم: «أما ساراي زوجتك فلا تدعوها

Genesis 17,18 23 / ٢٣ التكوين ١٧، ١٨

will be Sarah. [16]I will bless her and will surely give you a son by her. I will bless her so that she will be the mother of nations; kings of peoples will come from her."

[17]Abraham fell facedown; he laughed and said to himself, "Will a son be born to a man a hundred years old? Will Sarah bear a child at the age of ninety?" [18]And Abraham said to God, "If only Ishmael might live under your blessing!"

[19]Then God said, "Yes, but your wife Sarah will bear you a son, and you will call him Isaac. I will establish my covenant with him as an everlasting covenant for his descendants after him. [20]And as for Ishmael, I have heard you: I will surely bless him; I will make him fruitful and will greatly increase his numbers. He will be the father of twelve rulers, and I will make him into a great nation. [21]But my covenant I will establish with Isaac, whom Sarah will bear to you by this time next year." [22]When he had finished speaking with Abraham, God went up from him.

ساراي بعد الآن، بل يكون اسمها سارة (ومعناه أميرة). [١٦]وأباركها وأعطيك ابنا منها. سأباركها وأجعلها أما لشعوب، ومنها تنحدر ملوك أمم». [١٧]فانطرح إبراهيم على وجهه وضحك قائلا في نفسه: «أيولد ابن لمن بلغ المئة من عمره؟ وهل تنجب سارة وهي في التسعين من عمرها؟» [١٨]وقال إبراهيم لله: «ليت إسماعيل يحيا في رعايتك». [١٩]فأجاب الرب: «إن سارة زوجتك هي التي تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق (ومعناه يضحك). وأقيم عهدي معه ومع ذريته من بعده عهدا أبديا. [٢٠]أما إسماعيل، فقد استجبت لطلبتك من أجله. سأباركه حقا، وأجعله مثمرا، وأكثر ذريته جدا فيكون أبا لاثني عشر رئيسا، ويصبح أمة كبيرة. [٢١]غير أن عهدي أبرمه مع إسحاق الذي تنجبه لك سارة في مثل هذا الوقت من السنة القادمة». [٢٢]ولما انتهى من محادثته فارق الله إبراهيم.

The Circumcision of Abrahams' Household

[23]On that very day Abraham took his son Ishmael and all those born in his household or bought with his money, every male in his household, and circumcised them, as God told him. [24]Abraham was ninety-nine years old when he was circumcised, [25]and his son Ishmael was thirteen; [26]Abraham and his son Ishmael were both circumcised on that same day. [27]And every male in Abraham's household, including those born in his household or bought from a foreigner, was circumcised with him.

تنفيذ عهد الختان

[٢٣]وفي ذلك اليوم بعينه أخذ إبراهيم إسماعيل وجميع المولودين في بيته وكل من اشتري بمال، كل ذكر من أهل بيته وختن لحم غرلتهم كما أمره الرب. [٢٤]وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره عندما ختن في لحم غرلته، [٢٥]أما إسماعيل ابنه فقد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. [٢٦]وهكذا ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه في اليوم نفسه. [٢٧]وكذلك ختن معه كل رجال بيته المولودين فيه والمبتاعين بمال من الغريب.

The Three Visitors

18 The LORD appeared to Abraham near the great trees of Mamre while he was sitting at the entrance to his tent in the heat of the day. [2]Abraham looked up and saw three men standing nearby. When he saw them, he hurried from the entrance of his tent to meet them and bowed low to the ground. [3]He said, "If I have found favor in your eyes, my lord, do not pass your servant by. [4]Let a little water be brought, and then you may all wash your feet and rest under this tree. [5]Let me get you something to eat, so you can be refreshed and then go on your way–now that you

الزائرون الثلاثة

١٨ ثم ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا وقت اشتداد حر النهار. [٢]فرفع عينيه وإذا به يرى ثلاثة رجال مقبلين نحوه. فأسرع لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. [٣]وقال: «يا سيدي، إن كنت قد حظيت برضاك فلا تمض عن عبدك. [٤]ليقدم لكم بعض ماء تغسلون به أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة. [٥]ثم آتي لكم بلقمة خبز تسندون بها قلوبكم، وبعد

have come to your servant." "Very well," they answered, "do as you say."

[6]So Abraham hurried into the tent to Sarah. "Quick," he said, "get three seahs of fine flour and knead it and bake some bread." [7]Then he ran to the herd and selected a choice, tender calf and gave it to a servant, who hurried to prepare it. [8]He then brought some curds and milk and the calf that had been prepared, and set these before them. While they ate, he stood near them under a tree.

[9]"Where is your wife Sarah?" they asked him. "There, in the tent," he said. [10]Then the LORD said, "I will surely return to you about this time next year, and Sarah your wife will have a son." Now Sarah was listening at the entrance to the tent, which was behind him. [11]Abraham and Sarah were already old and well advanced in years, and Sarah was past the age of childbearing. [12]So Sarah laughed to herself as she thought, "After I am worn out and my master is old, will I now have this pleasure?" [13]Then the LORD said to Abraham, "Why did Sarah laugh and say, 'Will I really have a child, now that I am old?' [14]Is anything too hard for the LORD? I will return to you at the appointed time next year and Sarah will have a son." [15]Sarah was afraid, so she lied and said, "I did not laugh." But he said, "Yes, you did laugh."

ثم تواصلون سيركم، لأنكم قد بلغتم إلى بيت عبدكم». فأجابوه: «حسناً. ليكن كما قلت».

[6]فأسرع إبراهيم إلى داخل الخيمة إلى زوجته سارة وقال: «هيا أسرعي وأعجني ثلاث كيلات من الدقيق النقي واخبزيه». [7]ثم أسرع إبراهيم نحو قطيعه واختار عجلاً رخصاً طيباً وأعطاه لغلام كي يجهزه. [8]ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي طبخه وقدمها أمامهم، وبقي واقفاً في خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون.

[9]ثم سألوه: «أين زوجتك سارة؟» فأجاب: «ها هي في الخيمة». [10]فقال: «إني أرجع إليك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة امرأتك قد ولدت لك ابناً». وكانت سارة وراءه عند باب الخيمة، فسمعت حديثه. [11]وكان إبراهيم وسارة طاعنين في السن وقد انقطعت عن سارة عادة النساء. [12]فضحكت سارة في نفسها قائلة: «أبعد أن فني عمري وأصبح زوجي شيخاً يكون لي هذا التنعم؟» [13]فقال الرب لإبراهيم: «لماذا ضحكت سارة قائلة: أحقاً ألد أنا وقد بلغت سن الشيخوخة؟ [14]أيتعذر على الرب شيء؟ سأرجع إليك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة قد أنجبت ابناً». [15]فخافت سارة وأنكرت قائلة: «لم أضحك». فقال: «لا، بل ضحكت».

Abraham Pleads for Sodom

[16]When the men got up to leave, they looked down toward Sodom, and Abraham walked along with them to see them on their way. [17]Then the LORD said, "Shall I hide from Abraham what I am about to do? [18]Abraham will surely become a great and powerful nation, and all nations on earth will be blessed through him. [19]For I have chosen him, so that he will direct his children and his household after him to keep the way of the LORD by doing what is right and just, so that the LORD will bring about for Abraham what he has promised him."

[20]Then the LORD said, "The outcry against Sodom and Gomorrah is so great and their sin so grievous [21]that I will go down and see if what they have done is as bad as the outcry that has reached me. If not, I will know."

[22]The men turned away and went toward Sodom, but Abraham remained standing before the

تضرع إبراهيم لأجل سدوم وعمورة

[16]ثم نهض الرجال وتطلعوا نحو سدوم. فتمشى إبراهيم معهم ليودعهم. [17]فقال الرب: «أأكتم عن إبراهيم ما أنا فاعله؟ [18]وإبراهيم لابد أن يصبح أمة كبيرة وقوية، وبه تتبارك شعوب الأرض جميعاً. [19]لأني قد اخترته ليوصي بنيه وأهل بيته من بعده كي يحفظوا طريق الرب، عاملين البر والعدل، حتى ينجز الرب ما وعد به إبراهيم». [20]وقال الرب: «لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت جداً [21]أنزل لأرى إن كانت أعمالهم مطابقة للشكوى ضدهم وإلا فأعلم». [22]وانطلق الرجلان من هناك نحو سدوم، وبقي إبراهيم ماثلاً أمام الرب.

Genesis 18,19 — 25 / ٢٥ — **التكوين ١٨، ١٩**

٢٣فاقترب إبراهيم وقال: «أتهلك البار مع الأثيم؟ ٢٤لو وجد في المدينة خمسون بارًا، فهل تدمرها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين بارًا الذين فيها؟ ٢٥تنزهت عن أن تهلك البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم! حاشا لك. أديان الأرض كلها لا يجري عدلا؟» ٢٦فقال الرب: «إن وجدت في سدوم خمسين بارًا فإنني أصفح عن المكان كله من أجلهم». ٢٧فأجاب إبراهيم: «ها أنا قد أخذت في مخاطبة المولى، مع أنني لست سوى تراب ورماد. ٢٨ماذا لو نقص الخمسون بارًا خمسة؟ أتهلك المدينة كلها من أجل الخمسة؟» فأجابه: «إن وجدت خمسة وأربعين بارًا لا أهلكها». ٢٩فخاطبه إبراهيم ثانية: «وماذا لو وجد هناك أربعون بارًا فقط؟» فأجابه: «لا أهلكها من أجل الأربعين». ٣٠وقال إبراهيم: «لا يغضب المولى، بل دعني أتكلم. ماذا لو وجد هناك ثلاثون بارًا؟» فأجابه: «لا أهلكها إن وجدت ثلاثين». ٣١وقال إبراهيم: «ها أنا قد استرسلت في الكلام أمام المولى، فماذا لو وجدت هناك عشرين بارًا؟» فقال: «لا أهلكها من أجل العشرين». ٣٢وقال إبراهيم: «لا يغضب المولى، فأتكلم مرة أخرى، ماذا لو وجد هناك عشرة؟» فأجابه الرب: «لا أهلكها من أجل العشرة». ٣٣وعندما فرغ الرب من محادثة إبراهيم مضى، ورجع إبراهيم إلى مكانه.

LORD. [23]Then Abraham approached him and said: "Will you sweep away the righteous with the wicked? [24]What if there are fifty righteous people in the city? Will you really sweep it away and not spare the place for the sake of the fifty righteous people in it? [25]Far be it from you to do such a thing–to kill the righteous with the wicked, treating the righteous and the wicked alike. Far be it from you! Will not the Judge of all the earth do right?" [26]The LORD said, "If I find fifty righteous people in the city of Sodom, I will spare the whole place for their sake." [27]Then Abraham spoke up again: "Now that I have been so bold as to speak to the Lord, though I am nothing but dust and ashes, [28]what if the number of the righteous is five less than fifty? Will you destroy the whole city because of five people?" "If I find forty-five there," he said, "I will not destroy it." [29]Once again he spoke to him, "What if only forty are found there?" He said, "For the sake of forty, I will not do it." [30]Then he said, "May the Lord not be angry, but let me speak. What if only thirty can be found there?" He answered, "I will not do it if I find thirty there." [31]Abraham said, "Now that I have been so bold as to speak to the Lord, what if only twenty can be found there?" He said, "For the sake of twenty, I will not destroy it." [32]Then he said, "May the Lord not be angry, but let me speak just once more. What if only ten can be found there?" He answered, "For the sake of ten, I will not destroy it." [33]When the LORD had finished speaking with Abraham, he left, and Abraham returned home.

والادعاءات الباطلة في هذه المقتطفات من «سفر التكوين: 12/ 18 » بأن الله ـ تعالى ـ ظهر لإبراهيم في هيئة رجل، وكذلك ظهرت له الملائكة، وأن الله ـ تعالى ـ أعطى إبراهيم عهداً بملك أبدي لأرض فلسطين له ولذريته من بعده، وأن إبراهيم إدعى أن زوجته سارة هي أخته لكل من فرعون مصر و«ملك شاليم»... كل ذلك يوضح يد اليهود في الافتراء على الله!!

إبراهيم وسارة وأبيمالك

٢٠ وَٱرْتَحَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ ٱلنَّقَبِ، وَأَقَامَ بَيْنَ قَادَشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ. [٢] وَهُنَاكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ زَوْجَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَحْضَرَ سَارَةَ إِلَيْهِ. [٣] وَلَكِنَّ ٱللهَ تَجَلَّى لِأَبِيمَالِكَ فِي حُلْمٍ فِي ٱللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ سَتَمُوتُ بِسَبَبِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ». [٤] وَلَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدْ مَسَّهَا بَعْدُ، فَقَالَ لِلرَّبِّ: «أَتُمِيتُ أُمَّةً بَرِيئَةً؟ [٥] أَلَمْ يَقُلْ لِي إِنَّهَا أُخْتِي وَهِيَ نَفْسُهَا ٱدَّعَتْ أَنَّهُ أَخُوهَا؟ مَا فَعَلْتُ هَذَا إِلَّا بِسَلَامَةِ قَلْبِي وَطَهَارَةِ يَدَيَّ». [٦] فَأَجَابَهُ ٱلرَّبُّ: «أَنَا أَيْضاً عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلَامَةِ قَلْبِكَ قَدْ فَعَلْتَ هَذَا، وَأَنَا أَيْضاً مَنَعْتُكَ مِنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ وَلَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا. [٧] وَٱلْآنَ، رُدَّ لِلرَّجُلِ زَوْجَتَهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ لَمْ تَرُدَّهَا فَإِنَّكَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ حَتْماً تَمُوتُونَ».

[٨] فَبَكَّرَ أَبِيمَالِكُ فِي ٱلصَّبَاحِ وَٱسْتَدْعَى جَمِيعَ عَبِيدِهِ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى جَلِيَّةِ ٱلْأَمْرِ، فَٱعْتَرَاهُمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ. [٩] ثُمَّ دَعَا أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ أَيَّ خَطَإٍ ٱرْتَكَبْتُهُ فِي حَقِّكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي هَذَا ٱلذَّنْبَ ٱلْعَظِيمَ؟ لَقَدِ ٱقْتَرَفْتَ فِي حَقِّي أُمُوراً مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقْتَرِفَهَا». [١٠] وَسَأَلَ أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ: «مَاذَا رَأَيْتَ حَتَّى ٱرْتَكَبْتَ هَذَا ٱلْفِعْلَ؟» [١١] فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «لَقَدْ فَعَلْتُ هَذَا لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ بِٱلْمَرَّةِ خَوْفُ ٱللهِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَقْتُلُونِي مِنْ أَجْلِ زَوْجَتِي. [١٢] وَهِيَ بِٱلْحَقِيقَةِ أُخْتِي، ٱبْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ٱبْنَةَ أُمِّي، فَٱتَّخَذْتُهَا زَوْجَةً لِي. [١٣] وَعِنْدَمَا دَعَانِي ٱللهُ لِأَتَغَرَّبَ بَعِيداً عَنْ بَيْتِ أَبِي قُلْتُ لَهَا: حَيْثُمَا نَذْهَبُ قُولِي إِنِّي أَخُوكِ، فَهَذَا هُوَ ٱلْمَعْرُوفُ ٱلَّذِي تَصْنَعِينَهُ لِي».

[١٤] فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَماً وَبَقَراً وَعَبِيداً وَإِمَاءً وَقَدَّمَهَا لِإِبْرَاهِيمَ، وَأَرْجَعَ إِلَيْهِ سَارَةَ زَوْجَتَهُ. [١٥] وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «هَا هِيَ أَرْضِي أَمَامَكَ فَأَقِمْ حَيْثُ طَابَ لَكَ». [١٦] وَقَالَ لِسَارَةَ: «هَا قَدْ وَهَبْتُ أَخَاكِ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنَ ٱلْفِضَّةِ، تَبْرِئَةً لَكِ مِنْ كُلِّ إِسَاءَةٍ أَمَامَ ٱلَّذِينَ مَعَكِ، فَأَنْتِ بَرِيئَةٌ أَمَامَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَهَكَذَا تَكُونِينَ قَدْ أُنْصِفْتِ». [١٧] فَٱبْتَهَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى ٱللهِ، فَشَفَى

Abraham and Abimelech

20 Now Abraham moved on from there into the region of the Negev and lived between Kadesh and Shur. For a while he stayed in Gerar, [2]and there Abraham said of his wife Sarah, "She is my sister." Then Abimelech king of Gerar sent for Sarah and took her. [3]But God came to Abimelech in a dream one night and said to him, "You are as good as dead because of the woman you have taken; she is a married woman." [4]Now Abimelech had not gone near her, so he said, "Lord, will you destroy an innocent nation? [5]Did he not say to me, 'She is my sister,' and didn't she also say, 'He is my brother'? I have done this with a clear conscience and clean hands." [6]Then God said to him in the dream, "Yes, I know you did this with a clear conscience, and so I have kept you from sinning against me. That is why I did not let you touch her. [7]Now return the man's wife, for he is a prophet, and he will pray for you and you will live. But if you do not return her, you may be sure that you and all yours will die."

[8]Early the next morning Abimelech summoned all his officials, and when he told them all that had happened, they were very much afraid. [9]Then Abimelech called Abraham in and said, "What have you done to us? How have I wronged you that you have brought such great guilt upon me and my kingdom? You have done things to me that should not be done." [10]And Abimelech asked Abraham, "What was your reason for doing this?" [11]Abraham replied, "I said to myself, 'There is surely no fear of God in this place, and they will kill me because of my wife.' [12]Besides, she really is my sister, the daughter of my father though not of my mother; and she became my wife. [13]And when God had me wander from my father's household, I said to her, 'This is how you can show your love to me: Everywhere we go, say of me, "He is my brother."' "

[14]Then Abimelech brought sheep and cattle and male and female slaves and gave them to Abraham, and he returned Sarah his wife to him. [15]And Abimelech said, "My land is before you; live wherever you like." [16]To Sarah he said, "I am giving your brother a thousand shekels of silver. This is to cover the offense against you before all who are with you; you are completely vindicated." [17]Then Abraham prayed to God, and God healed

Abimelech, his wife and his slave girls so they could have children again, 18for the LORD had closed up every womb in Abimelech's household because of Abraham's wife Sarah.

The Birth of Isaac

21 Now the LORD was gracious to Sarah as he had said, and the LORD did for Sarah what he had promised. 2Sarah became pregnant and bore a son to Abraham in his old age, at the very time God had promised him. 3Abraham gave the name Isaac to the son Sarah bore him. 4When his son Isaac was eight days old, Abraham circumcised him, as God commanded him. 5Abraham was a hundred years old when his son Isaac was born to him. 6Sarah said, "God has brought me laughter, and everyone who hears about this will laugh with me." 7And she added, "Who would have said to Abraham that Sarah would nurse children? Yet I have borne him a son in his old age." 8The child grew and was weaned, and on the day Isaac was weaned Abraham held a great feast.

Hagar and Ishmael Sent Away

9But Sarah saw that the son whom Hagar the Egyptian had borne to Abraham was mocking, 10and she said to Abraham, "Get rid of that slave woman and her son, for that slave woman's son will never share in the inheritance with my son Isaac." 11The matter distressed Abraham greatly because it concerned his son. 12But God said to him, "Do not be so distressed about the boy and your maidservant. Listen to whatever Sarah tells you, because it is through Isaac that your offspring will be reckoned. 13I will make the son of the maidservant into a nation also, because he is your offspring."

14Early the next morning Abraham took some food and a skin of water and gave them to Hagar. He set them on her shoulders and then sent her off with the boy. She went on her way and wandered in the desert of Beersheba. 15When the water in the skin was gone, she put the boy under one of the bushes. 16Then she went off and sat down nearby, about a bowshot away, for she thought, "I cannot watch the boy die." And as she sat there nearby, she began to sob.

17God heard the boy crying, and the angel of God

أبيمالك وزوجته وجواريه فولدن. ١٨ لأن الرب كان قد أصاب نساء بيت أبيمالك بالعقم من أجل سارة زوجة إبراهيم.

مولد إسحاق

٢١ وافتقد الرب سارة كما قال، وأنجز لها ما وعد به. ٢ فحبلت سارة وولدت لإبراهيم في شيخوخته ابنا، في الوقت الذي عينه الله له. ٣ فدعا إبراهيم ابنه الذي أنجبته له سارة «إسحق». ٤ وختنه في اليوم الثامن بموجب أمر الله. ٥ وكان إبراهيم قد بلغ المئة من عمره عندما ولد له إسحق. ٦ وقالت سارة: «لقد أضحكني الرب. كل من يسمع هذا الأمر يضحك معي». ٧ وأضافت أيضا: «من كان يمكن أن يقول لإبراهيم إن سارة سترضع بنين؟ ها أنا قد أنجبت له ابنا في شيخوخته». ٨ وكبر إسحق وفطم. فأقام إبراهيم في يوم فطامه مأدبة عظيمة.

طرد هاجر وإسماعيل

٩ ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق. ١٠ فقالت لإبراهيم: «اطرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق». ١١ فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. ١٢ فقال الله له: «لا يسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك. واسمع لكلام سارة في كل ما تشير به عليك لأنه بإسحق يدعى لك نسل. ١٣ وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك».

١٤ فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزا وقربة ماء وناولهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفها، ثم صرفها مع الصبي. فهامت على وجهها في برية بئر سبع. ١٥ وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار، ١٦ ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت: «لا أشهد موت الصبي». فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.

١٧ وسمع الله بكاء الصبي، فنادى ملاك الله هاجر من

called to Hagar from heaven and said to her, "What is the matter, Hagar? Do not be afraid; God has heard the boy crying as he lies there. [18]Lift the boy up and take him by the hand, for I will make him into a great nation." [19]Then God opened her eyes and she saw a well of water. So she went and filled the skin with water and gave the boy a drink. [20]God was with the boy as he grew up. He lived in the desert and became an archer. [21]While he was living in the Desert of Paran, his mother got a wife for him from Egypt.

السماء وقال لها: «ما الذي يزعجك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى. [١٨]قومي واحملي الصبي، وتمسكي به لأني سأجعله أمة عظيمة». [١٩]ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. [٢٠]وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران، وبرع في رمي القوس. [٢١]واتخذت له أمه زوجة من مصر.

The Treaty at Beersheba

[22]At that time Abimelech and Phicol the commander of his forces said to Abraham, "God is with you in everything you do. [23]Now swear to me here before God that you will not deal falsely with me or my children or my descendants. Show to me and the country where you are living as an alien the same kindness I have shown to you." [24]Abraham said, "I swear it." [25]Then Abraham complained to Abimelech about a well of water that Abimelech's servants had seized. [26]But Abimelech said, "I don't know who has done this. You did not tell me, and I heard about it only today." [27]So Abraham brought sheep and cattle and gave them to Abimelech, and the two men made a treaty.

[28]Abraham set apart seven ewe lambs from the flock, [29]and Abimelech asked Abraham, "What is the meaning of these seven ewe lambs you have set apart by themselves?" [30]He replied, "Accept these seven lambs from my hand as a witness that I dug this well." [31]So that place was called Beersheba, because the two men swore an oath there.

[32]After the treaty had been made at Beersheba, Abimelech and Phicol the commander of his forces returned to the land of the Philistines. [33]Abraham planted a tamarisk tree in Beersheba, and there he called upon the name of the LORD, the Eternal God. [34]And Abraham stayed in the land of the Philistines for a long time.

الميثاق بين إبراهيم وأبيمالك

[٢٢]وفي ذلك الزمان خاطب أبيمالك وفيكول قائد جيشه إبراهيم قائلين: «إن الله معك في كل ما تقوم به، [٢٣]فاحلف لي الآن بالله أن لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي، بل تحسن إلي وإلى شعبي الذي تغربت بينه، كما أحسنت إليك». [٢٤]فقال إبراهيم: «أنا أحلف». [٢٥]وعاتب إبراهيم أبيمالك من أجل البئر التي اغتصبها عبيد أبيمالك، [٢٦]فقال أبيمالك: «لست أعلم من ارتكب هذا الأمر، وأنت لم تخبرني به، ولم أسمع عنه سوى اليوم». [٢٧]ثم أعطى إبراهيم أبيمالك غنما وبقرا وعقد كلاهما ميثاقا.

[٢٨]وفرز إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. [٢٩]فقال أبيمالك لإبراهيم: «ماذا تقصد بهذه النعاج السبع التي فرزتها جانبا؟» [٣٠]فأجاب: «هي سبع نعاج أقدمها لك بيدي شهادة لي أني حفرت هذه البئر». [٣١]لذلك دعا ذلك المكان بئر سبع (ومعناه بئر الحلف) لأن إبراهيم وأبيمالك كليهما حلفا هناك.

[٣٢]وبعدما أبرما ميثاقا في بئر سبع، نهض أبيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا إلى أرض الفلسطينيين. [٣٣]وغرس إبراهيم شجر الأثل في بئر سبع، ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي. [٣٤]ومكث إبراهيم في بلاد الفلسطينيين فترة طويلة.

Abraham Tested

22 Some time later God tested Abraham. He said to him, "Abraham!" "Here I am," he replied. [2]Then God said, "Take your son, your only son, Isaac, whom you love, and go to the region of Moriah. Sacrifice him there as a burnt

الله يمتحن إبراهيم

٢٢ وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فقال له: «يا إبراهيم» فأجابه: «لبيك». [٢]فقال له: «خذ ابنك وحيدك إسحاق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة

offering on one of the mountains I will tell you about." [3]Early the next morning Abraham got up and saddled his donkey. He took with him two of his servants and his son Isaac. When he had cut enough wood for the burnt offering, he set out for the place God had told him about. [4]On the third day Abraham looked up and saw the place in the distance. [5]He said to his servants, "Stay here with the donkey while I and the boy go over there. We will worship and then we will come back to you." [6]Abraham took the wood for the burnt offering and placed it on his son Isaac, and he himself carried the fire and the knife. As the two of them went on together, [7]Isaac spoke up and said to his father Abraham, "Father?" "Yes, my son?" Abraham replied. "The fire and wood are here," Isaac said, "but where is the lamb for the burnt offering?" [8]Abraham answered, "God himself will provide the lamb for the burnt offering, my son." And the two of them went on together.

على أحد الجبال الذي أهديك إليه». [3]فاستيقظ إبراهيم مبكراً في الصباح التالي، وأسرج حماره، وأخذ اثنين من غلمانه، وابنه إسحاق، وجهز حطباً لمحرقة، وانطلق ماضياً إلى الموضع الذي قال له الله عنه. [4]وفي اليوم الثالث تطلع إبراهيم فشاهد المكان من بعيد، [5]فقال إبراهيم لغلاميه: «امكثا هنا مع الحمار، ريثما أصعد أنا والصبي إلى هناك لنتعبد لله ثم نعود إليكما». [6]فحمل إبراهيم إسحاق حطب المحرقة، وأخذ هو بيده النار والسكين وذهبا كلاهما معاً. [7]وقال إسحاق لإبراهيم أبيه: «يا أبي». فأجابه: «نعم يا ابني». فسأله: «ها هي النار والحطب، ولكن أين خروف المحرقة؟». [8]فرد عليه إبراهيم: «إن الله يدبر لنفسه الخروف للمحرقة يا ابني». وتابعا مسيرهما معاً.

Isaac is the Sacrifice

[9]When they reached the place God had told him about, Abraham built an altar there and arranged the wood on it. He bound his son Isaac and laid him on the altar, on top of the wood. [10]Then he reached out his hand and took the knife to slay his son. [11]But the angel of the LORD called out to him from heaven, "Abraham! Abraham!" "Here I am," he replied. [12]"Do not lay a hand on the boy," he said. "Do not do anything to him. Now I know that you fear God, because you have not withheld from me your son, your only son." [13]Abraham looked up and there in a thicket he saw a ram caught by its horns. He went over and took the ram and sacrificed it as a burnt offering instead of his son. [14]So Abraham called that place The LORD Will Provide. And to this day it is said, "On the mountain of the LORD it will be provided."

[15]The angel of the LORD called to Abraham from heaven a second time [16]and said, "I swear by myself, declares the LORD, that because you have done this and have not withheld your son, your only son, [17]I will surely bless you and make your descendants as numerous as the stars in the sky and as the sand on the seashore. Your descendants will take possession of the cities of their enemies, [18]and through your offspring all nations on earth

إسحاق هو المحرقة

[9]ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيد إبراهيم مذبحاً هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. [10]ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. [11]فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: «إبراهيم، إبراهيم». فأجاب: «نعم». [12]فقال: «لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني». [13]وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه. [14]ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان «يهوه يرأه» (ومعناه: الرب يدبر). ولذلك يقال حتى اليوم «في جبل الرب الإله يرى».

[15]ونادى ملاك الرب إبراهيم من السماء مرة ثانية، [16]وقال: «ها أنا أقسم بذاتي يقول الرب، لأنك صنعت هذا الأمر، ولم تمنع ابنك وحيدك عني، [17]لأباركنك وأكثرن ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرمل شاطئ البحر، وترث ذريتك مدن أعدائها. [18]ويذريتك تتبارك جميع

will be blessed, because you have obeyed me." [19]Then Abraham returned to his servants, and they set off together for Beersheba. And Abraham stayed in Beersheba.

أمم الأرض، لأنك أطعتني». [19] ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه، وعادوا جميعاً إلى بئر سبع حيث أقام إبراهيم.

Nahor's Sons

[20]Some time later Abraham was told, "Milcah is also a mother; she has borne sons to your brother Nahor: [21]Uz the firstborn, Buz his brother, Kemuel (the father of Aram), [22]Kesed, Hazo, Pildash, Jidlaph and Bethuel." [23]Bethuel became the father of Rebekah. Milcah bore these eight sons to Abraham's brother Nahor. [24]His concubine, whose name was Reumah, also had sons: Tebah, Gaham, Tahash and Maacah.

ذرية ناحور

[20] وقيل لإبراهيم بعد هذه الأمور: «هوذا ملكة أيضاً قد ولدت بنين لأخيك ناحور: [21] عوصاً البكر، وأخاه بوزاً، وقموئيل أبا أرام، [22] وكاسد وحزواً وفلداش ويدلاف وبتوئيل». [23] وأنجب بتوئيل رفقة. هؤلاء الثمانية أنجبتهم ملكة لناحور أخي إبراهيم. [24] كذلك أنجبت له سريته المدعوة رؤومة: طابح وجاحم وتاحش ومعكة.

The Death of Sarah

23 Sarah lived to be a hundred and twenty-seven years old. [2]She died at Kiriath Arba (that is, Hebron) in the land of Canaan, and Abraham went to mourn for Sarah and to weep over her. [3]Then Abraham rose from beside his dead wife and spoke to the Hittites. He said, [4]"I am an alien and a stranger among you. Sell me some property for a burial site here so I can bury my dead." [5]The Hittites replied to Abraham, [6]"Sir, listen to us. You are a mighty prince among us. Bury your dead in the choicest of our tombs. None of us will refuse you his tomb for burying your dead." [7]Then Abraham rose and bowed down before the people of the land, the Hittites. [8]He said to them, "If you are willing to let me bury my dead, then listen to me and intercede with Ephron son of Zohar on my behalf [9]so he will sell me the cave of Machpelah, which belongs to him and is at the end of his field. Ask him to sell it to me for the full price as a burial site among you." [10]Ephron the Hittite was sitting among his people and he replied to Abraham in the hearing of all the Hittites who had come to the gate of his city. [11]"No, my lord," he said. "Listen to me; I give you the field, and I give you the cave that is in it. I give it to you in the presence of my people. Bury your dead." [12]Again Abraham bowed down before the people of the land [13]and he said to Ephron in their hearing, "Listen to me, if you will. I will pay the price of the field. Accept it from me so I can bury my dead there." [14]Ephron answered Abraham, [15]"Listen to me, my lord; the land is worth four hundred

موت سارة ودفنها

٢٣ وعاشت سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة. [2] ثم ماتت سارة في قرية أربع، أي حبرون، في أرض كنعان، فجاء إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها. [3] ونهض إبراهيم من أمام الجثمان وقال للحثيين: [4] «أنا غريب ونزيل بينكم، فملكوني معكم مدفناً أواري فيه ميتي من أمامي». [5] فأجابوه قائلين: [6] «اسمع لنا يا سيدي، أنت رئيس من الله في وسطنا، فادفن ميتك في أفضل قبورنا، فلا أحد منا يمنع قبره عنك لتدفن ميتك». [7] فنهض إبراهيم وانحنى أمام الحثيين أهل البلاد، [8] وقال: «إن طابت نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي، فاستمعوا لي والتمسوا لأجلي من عفرون بن صوحر، [9] أن يبيعني مغارة المكفيلة التي في طرف حقله، فأشتريها منه لقاء ثمن كامل، وأمتلكها لتكون مدفناً لي في وسطكم». [10] وكان عفرون جالساً بين الحثيين، فقال في مسامع الحثيين، أمام كل الحاضرين في مجلس مدينته: [11] «لا يا سيدي، بل اسمع لي. هوذا الحقل الذي لي والمغارة التي فيه أهبهما لك على مشهد من بني شعبي، خذهما وادفن ميتك». [12] فانحنى إبراهيم أمام أهل البلاد مرة ثانية [13] وقال لعفرون في مسامع شعب الأرض: «إن كنت تشاء فاسمع لي. أنا أدفع ثمن الحقل، فاقبل ذلك مني فأقوم بدفن ميتي هناك». [14] فأجاب عفرون إبراهيم: [15] «اسمع لي يا سيدي، إن الأرض تساوي أربع مئة

shekels of silver, but what is that between me and you? Bury your dead." [16]Abraham agreed to Ephron's terms and weighed out for him the price he had named in the hearing of the Hittites: four hundred shekels of silver, according to the weight current among the merchants.

[17]So Ephron's field in Machpelah near Mamre–both the field and the cave in it, and all the trees within the borders of the field–was deeded [18]to Abraham as his property in the presence of all the Hittites who had come to the gate of the city. [19]Afterward Abraham buried his wife Sarah in the cave in the field of Machpelah near Mamre (which is at Hebron) in the land of Canaan. [20]So the field and the cave in it were deeded to Abraham by the Hittites as a burial site.

شَاقِلٍ (حَوَالِي خَمْسَةِ كِيلُو جِرَامَاتٍ مِنَ ٱلْفِضَّةِ)، وَهُوَ (ثَمَنٌ) لَا قِيمَةَ لَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَٱدْفِنْ مَيْتَكَ». [١٦]فَقَبِلَ إِبْرَاهِيمُ عَرْضَ عِفْرُونَ، وَوَزَنَ لَهُ ٱلْفِضَّةَ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ ٱلْحِثِّيِّينَ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلٍ رَائِجَةً بِوَزْنِ ٱلتُّجَّارِ.

[١٧]وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ أَصْبَحَ حَقْلُ عِفْرُونَ ٱلَّذِي فِي ٱلْمَكْفِيلَةِ مُقَابِلَ مَمْرَا، وَٱلْمَغَارَةُ ٱلَّتِي فِيهِ، وَجَمِيعُ ٱلْأَشْجَارِ ٱلْقَائِمَةِ فِي كُلِّ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُحِيطَةِ بِهِ، [١٨]مُلْكاً لِإِبْرَاهِيمَ بِمَشْهَدٍ مِنَ ٱلْحِثِّيِّينَ وَسَائِرِ ٱلْحَاضِرِينَ فِي مَجْلِسِ مَدِينَتِهِ. [١٩]وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَتَهُ سَارَةَ فِي مَغَارَةِ ٱلْمَكْفِيلَةِ، مُقَابِلَ مَمْرَا، وَهِيَ حَبْرُونُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. [٢٠]فَٱمْتَلَكَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ ٱلْحِثِّيِّينَ ٱلْحَقْلَ وَٱلْمَغَارَةَ ٱلَّتِي فِيهِ لِيَكُونَا مَدْفَناً لَهُ.

---

25 Abraham took another wife, whose name was Keturah. [2]She bore him Zimran, Jokshan, Medan, Midian, Ishbak and Shuah. [3]Jokshan was the father of Sheba and Dedan; the descendants of Dedan were the Asshurites, the Letushites and the Leummites. [4]The sons of Midian were Ephah, Epher, Hanoch, Abida and Eldaah. All these were descendants of Keturah.

[5]Abraham left everything he owned to Isaac. [6]But while he was still living, he gave gifts to the sons of his concubines and sent them away from his son Isaac to the land of the east.

٢٥ وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَٱتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً تُدْعَى قَطُورَةَ، [٢]فَأَنْجَبَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحاً. [٣]وَأَنْجَبَ يَقْشَانُ شَبَا وَدَدَانَ. أَمَّا أَبْنَاءُ دَدَانَ فَهُمْ: أَشُّورِيمُ وَلَطُوشِيمُ وَلَأُمِّيمُ. [٤]وَأَبْنَاءُ مِدْيَانَ هُمْ: عَيْفَةُ وَعِفْرُ وَحَنُوكُ وَأَبِيدَاعُ وَأَلْدَعَةُ. وَهَؤُلَاءِ جَمِيعاً مِنْ ذُرِّيَّةِ قَطُورَةَ. [٥]وَوَرَّثَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَالِهِ. [٦]أَمَّا أَبْنَاؤُهُ مِنْ سَرَارِيهِ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ نَحْوَ أَرْضِ ٱلْمَشْرِقِ بَعِيداً عَنْ إِسْحَاقَ ٱبْنِهِ.

The Death of Abraham

[7]Altogether, Abraham lived a hundred and seventy-five years. [8]Then Abraham breathed his last and died at a good old age, an old man and full of years; and he was gathered to his people. [9]His sons Isaac and Ishmael buried him in the cave of Machpelah near Mamre, in the field of Ephron son of Zohar the Hittite, [10]the field Abraham had bought from the Hittites. There Abraham was buried with his wife Sarah. [11]After Abraham's death, God blessed his son Isaac, who then lived near Beer Lahai Roi.

موت إبراهيم

[٧]وَعَاشَ إِبْرَاهِيمُ مِئَةً وَخَمْساً وَسَبْعِينَ سَنَةً. [٨]ثُمَّ مَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ وَٱنْضَمَّ إِلَى أَسْلَافِهِ، [٩]فَدَفَنَهُ ٱبْنَاهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي مَغَارَةِ ٱلْمَكْفِيلَةِ، فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ ٱلْحِثِّيِّ مُقَابِلَ مَمْرَا، [١٠]وَهُوَ ٱلْحَقْلُ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنَ ٱلْحِثِّيِّينَ، وَفِيهِ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ. [١١]وَبَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بَارَكَ ٱللهُ إِسْحَاقَ ٱبْنَهُ، وَأَقَامَ إِسْحَاقُ عِنْدَ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي.

26 ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: 75].

هذه الآية القرآنية الكريمة تشير إلى أن تدبر الإنسان في الكون (السمٰوات والأرض) هو وسيلة من وسائل التعرف على خالقهما وخالقه، وهو ـ تعالى ـ خالق كل شيء، وكل شيء مخلوق بأمره. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن كبار علماء الفلك المعاصرين يقررون بأنَّ كوننا الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المنضبط الحركات، المحكم في الجزئيات والكليات، لا بدَّ له من مرجعية في خارجه يسمونها نقطة مرجعية (A Reference Point). وهذه المرجعية العليا لا بدَّ وأن تكون مغايرة للكون (بكل ما فيه ومن فيه) مغايرة كاملة، فلا يحدّها أي من أبعاد المكان أو الزمان، ولا يشكّلها أي من صور المادة أو الطاقة، وكأنَّهم ينطقون بالحق الذي أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن ذاته العليّة بقوله العزيز: ﴿...لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

عاش نبيّ الله إبراهيم عليه السلام في حدود الألفية الثانية قبل الميلاد (1861 ـ 1686ق.م) وبعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في حدود سنة 610م، أي أنه قد مَرَّ بين هذين النبيّين الصالحين أكثر من ألفي عام. وعلى الرَّغم من ذلك فقد سجل القرآن الكريم أكثر من عشرين موقفاً بارزاً في حياة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام، كان من أولها تعرّفه على خالقه العظيم من خلال تأمله في ملكوت السمٰوات والأرض وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ

بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

[الأنعام: 75 ـ 90].

ولم يكن العرب في زمن الجاهلية أهل علم، وتوثيق، وتدوين، فلم يدونوا شيئاً عن سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام، على الرَّغم من وجود آثار عديدة له ولابنه النبيّ إسماعيل عليه السلام في الحرم المكيّ. من هنا فإن إيراد القرآن الكريم للعديد من الأحداث والمواقف الكبرى في حياة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام يعتبر جانباً من جوانب الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. خاصة وأن واقعة تأمل إبراهيم عليه السلام في الكون لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ووصفها القرآن الكريم بالتفصيل في الآيات: (75 ـ 83) من سورة «الأنعام».

التأمل في ملكوت السمٰوات والأرض (أي: في الكون) وسيلة من وسائل التعرف على الله (تعالى):

الكون يشمل مجموع المخلوقات الكائنة، وما يرتبط بها من قوى وعمليات متعددة، في المكان والزمان. ويشمل ذلك فيما يشمل كل المعارف الإنسانية عن الوجود؛ ولذلك خرج الناس عن هذا المفهوم الواسع عن الكون إلى مدلول أكثر تحديداً. ويقتصر هذا المفهوم على ذلك النظام الشامل للأجرام السماوية ـ المدرَك منها حسياً وغير المدرَك ـ: أشكالها وأحجامها، كثافاتها وكتلها المتباينة، مادتها وصفاتها، أبعادها وقوى الترابط فيما بينها، بناؤها والهيئات المختلفة التي تنتظمها، وغير ذلك من صفاتها. وفوق ذلك كله يأتي التفكير في كيفية نشأة الكون ومراحل خلقه، وتقدير ما مضى من عمره، والتأكد من حتمية زواله وفنائه، واستبداله بكون غيره في مستقبل الحياة الآخرة الذي لا يعلمه إلا خالق الكون ومبدع الوجود.

ولا شك أن التفكير في الكون قد شغل بال الإنسان منذ أن تفتحت عليه عيناه، ولكن لم يُدوَّن من هذا التفكير إلا النزر اليسير، ولم يصل إلينا من ذلك إلا أقل القليل من ذلك النزر اليسير.

والأفكار الإنسانية الأولى التي وصلت إلينا عن الكون مليئة بالخرافات والأساطير التي اختلطت فيها الحقيقة بالخيال. وتأثرت بمعتقدات قديمة مختلفة من وضع الإنسان ودسِّ الشيطان، ولو أنها لا تخلو أحياناً من محاولات علمية منهجية لتفسير بعض الظواهر الكونية.

فقد سجَّل التاريخ أن كلًّا من الحضارتين المصرية القديمة والبابلية، قد اهتمتا برصد حركات الأجرام السماوية، واستخدمتا العمليات الرياضية لمعرفة الروابط بينها، وتوصلتا إلى بعض المعلومات الدقيقة عن الشمس ومجراها، وعن مراحل القمر المختلفة، وعن ظهور واختفاء بعض أجرام السماء بصورة دورية، وإن كان قد صاحب هذه الملاحظات بعض التفسيرات الموغلة في الخيال.

ودراسة الكون أثبتت أنه مذهل في اتساعه، مذهل في دقة بنائه، وفي وحدة هذا البناء. والكون يشمل أرضنا وشمسنا وقمرنا، كما يشمل غير ذلك من الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات والشهب والنيازك في مجموعتنا الشمسية، ويشمل غير ذلك من النجوم وتجمعاتها المختلفة الممتدة إلى نهاية السماء الدنيا (ما ندرك منها وما لا ندرك). أما باقي السمٰوات السبع فلولا أن الله تعالى قد أخبرنا عن وجودها ما كان أمام الإنسان من وسيلة إلى معرفة ذلك أبداً. ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: 75].

وفي هذا النص القرآني الكريم تأكيد على أن تأمُّل الكون هو من أعظم الوسائل لإقناع العقل البشري بضرورة الإيمان بالله، إيماناً يقينياً راسخاً لا يداخله أدنى قدر من الشك. وهو أيضاً من أعظم الوسائل لتعريف العقل البشري بشيء من أوجه الإعجاز في خلق الله، والتي تنطق بعظمة الخالق ﷻ، وهنا يتجلى وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة. فتأمل الكون بشيء من الموضوعية والحيدة هو من أيسر الوسائل لتمكين اليقين في القلوب والعقول بأن هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المنضبط في كل أمر من أموره، لا يمكن أن يكون قد أوجد ذاته بذاته، أو أن يكون نتاج الصدفة!! بل لا بد له من موجد عظيم له من صفات الكمال والجلال والجمال، والعلم والقدرة والحكمة ما مكنه من إبداع هذا الكون، وهذا الاستنتاج هو من أهم ما يمكن أن يصل إليه الإنسان الجاد المحايد المتعمق في أي مجال من مجالات العلم. وإخبار القرآن الكريم عن عبد الله ونبيه إبراهيم أنه تعرف على خالقه العظيم من خلال النظر في السماء، وتأمل خلق الله فيها، هو درس لكل طالب حق في هذه الحياة، وهو ـ في نفس الوقت ـ وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي، خاصة وأن هذا الموقف لا أثر له في «العهد القديم»، ولا في أي من كتب أصحاب المعتقدات الأخرى.

27 ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 41، 42].

جاء ذكر حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه في أربع من سور القرآن الكريم هي: (الأنعام: 74 ـ 78؛ مريم: 41 ـ 50؛ الأنبياء: 51 ـ 73؛ والشعراء: 69 ـ 98؛ والزخرف: 26 ـ 28).

ففي سورة «الأنعام» يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: 74 ـ 83].

وفي سورة «مريم» يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾»

[مريم: 41 ـ 50].

كذلك أشار القرآن الكريم إلى حوار إبراهيم مع أبيه في سورة «الأنبياء» حيث يقول:

«۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾»

[الأنبياء: 51 ـ 73].

وفي سورة الشعراء يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 69 ـ 89].

وفي سورة الزخرف جاء قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: 26 ـ 28].

من أوجه الإعجاز التاريخي في حوار نبيّ الله إبراهيم مع أبيه:

هذا الحوار على أهميته وموضوعيته لم يتعرض له «العهد القديم» الذي تعرض لنسب إبراهيم ولأعمار أسلافه، ولأسماء أبناء إخوته، وزوجاته، دون التعرض للخلاف العقيدي بينه وبين والده من جهة، وبينه وبين قومه من جهة أخرى. وهذا الخلاف العقيدي كان من الأمور الفاصلة في حياة إبراهيم عليه السلام، وكان السبب الذي دفعه إلى الخروج من أرضه، ومفارقته لقومه.

وعلى العكس من ذلك أفاض «العهد القديم» في ذكر خروج كل من إبراهيم وزوجه ووالده وابن أخيه لوط من بلدة «أور» عاصمة الكلدانيين للذهاب إلى أرض الكنعانيين (فلسطين)، ويذكر أنهم توقفوا في مدينة «حران»، حيث مات والد إبراهيم ودفن، ثم واصل هو ومَن كان معه السير إلى أرض الكنعانيين (فلسطين).

ثم يذكر «العهد القديم» أن إبراهيم عليه السلام انتقل بعد ذلك إلى النقب، ومنه إلى مصر. ثم عاد إلى فلسطين ليدخل في معركة عسكرية لإنقاذ ابن أخيه لوط. وأسهب «العهد القديم» في الادِّعاء بحصول إبراهيم على عهد من الله ـ تعالى ـ بجعل أرض فلسطين ملكاً أبديًا له ولذريته من بعده (وهذا بالطبع من نسج خيال الصهاينة، ومن دسِّهم على الله). بينما لم ترد إشارة واحدة في «العهد القديم» عن سبب مغادرة إبراهيم عليه السلام لأرض ميلاده ومسقط رأسه، أو عن مخالفته لمعتقدات أبيه، أو عن حواره معه.

كذلك جاء في «العهد القديم» أنَّ إبراهيم أُمِرَ بذبح ابنه إسحاق (وليس إسماعيل)، وهذا أيضاً من دس الصهاينة، لأن «العهد القديم» يذكر أنِ إسماعيل وُلِدَ وأبوه إبراهيم في السادسة والثمانين من عمره (سفر التكوين 16/ 15، 16)، وأن إسحاق وُلِدَ وأبوه إبراهيم كان قد بلغ المائة من عمره (سفر التكوين 21/ 1 ـ 8)، ومعنى ذلك أن إسماعيل كان في الرابعة عشر من عمره حين ولد إسحاق. ولأكثر من مرة يشير «العهد القديم» إلى أن الأمر الإلٰهي لإبراهيم كان بذبح ولده وحيده (سفر التكوين 22/ 1 ـ 19) فمن يكون الولد الوحيد لإبراهيم غير ابنه إسماعيل؟

كذلك ذكر «العهد القديم» أنَّ إبراهيم عليه السلام ذهب إلى بئر السبع، وتزوج امرأة باسم كيتوراه (Keturah) أنجبت له عدداً من الأبناء لم يرد لهم ذكر من بعده، ثم مات ودفن في مقبرة المكفيلة بمدينة الخليل الفلسطينية.

ولم يذكر «العهد القديم» شيئاً عن علاقة إبراهيم عليه السلام بأبيه، ولا عن خلافه الديني معه، ولا عن حواره حول ذلك الأمر مع كل من أبيه وقومه، ولا عن حسن القيام بمفارقته، ولا عن الحكم المستفادة من حواره مع أبيه. وهنا يتضح الفارق بين كلام الله عز وجل المحفوظ بحفظه، وبين كلام البشر الذي ظل يتناقله الناس مشافهة جيلاً بعد جيل عبر مئات من السنين، أضافوا إليه ما أضافوا، وحذفوا منه ما حذفوا، ونسوا ما نسوا، وحرَّفوا وبدَّلوا وغيَّروا!! ثم دوّن هذا التراث الشعبي

حين دوّن بأيدي نفر من بني آدم لم يكونوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فهم لم يكونوا بالمعصومين فيما كتبوا. لذلك ظلت كتاباتهم عرضة للمراجعة تلو المراجعة، وللتحرير والتطوير، وللحذف والزيادة إلى يومنا هذا، وستبقي كذلك إلى أن يشاء الله ربّ العالمين.

من هنا يتضح أن تسجيل القرآن الكريم لحوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وينفي عن هذا الكتاب العزيز نفياً قاطعاً ادعاء عدد من غلاة اليهود والنصارى أن القصص فيه منقول عن «العهد القديم»، لأن هذا «العهد» لم يشر إلى تلك الواقعة التي كانت السبب الرئيس في مغادرة إبراهيم عليه السلام لأرض ميلاده ومسقط رأسه. بل على النقيض من ذلك جاء في «العهد القديم» (11/ 27 ـ 32) أن والد إبراهيم عليه السلام والذي أطلقوا عليه اسم «تارح» هو الذي ارتحل بأسرته وفيها ابنه أبرام (أو إبراهيم) وحفيده لوطاً بن هاران، وساراى (أو سارة) كنته وزوجة ابنه أبرام وارتحل بهم من «أور» الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. لكنهم وصلوا إلى حاران (أو قرَّان) واستقروا فيها. وهناك مات «تارح» وله من العمر مئتان وخمس سنين. وهذا الكلام لا يوحي بأدنى خلاف عقدي بين إبراهيم وأبيه كما وضحه القرآن الكريم. (انظر عرض قصة إبراهيم عليه السلام كما جاءت في «العهد القديم» والتي سبق وأن أشرنا إليها في الصفحات 284 ـ 299 من هذا الكتاب الذي بين يدي قارئه).

28 ـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت: 16].

كانت أول وثنية في تاريخ البشرية ما كان من قوم نوح، وعلى الرغم من العقاب الشديد الذي نالوه بالطوفان، إلا أن البشرية من بعدهم ظلَّت تنتقل من التوحيد للَّه الخالق ﷻ إلى عبادة كل من الأصنام، أو الأوثان، أو النجوم والكواكب. لذلك بعث الله ﷻ عدداً كبيراً من أنبيائه ورسله لهداية الضّالين من عباده. وقد جاء الأنبياء والمرسلون جميعاً برسالة واحدة مؤداها أن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ إلا أن الشيطان بقي بالمرصاد للإنسان في محاولات دائبة لإخراجه من التوحيد إلى الشرك، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن الاستقامة على منهج الله إلى الخروج عنه خروجاً جزئياً أو كلياً حتى جاء زمن سادت فيه مختلف أشكال الوثنيات الموضوعة فبعث الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه إبراهيم لهداية قومه، فعادوه وحاربوه حتى هجرهم إلى أرض فلسطين.

وتأتي الآيات في سورة «العنكبوت» مؤكّدة تلك الوقائع التاريخية بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

[العنكبوت: 16 ـ 18].

وفي هذه الآيات ينصح إبراهيم عليه السلام قومه بعبادة الله ـ تعالى ـ وحده وتقواه، والشكر له، مستنكراً إفك عبادة الأصنام، ومؤكّداً أنَّ الرزق من الله ﷻ وحده، وأنَّ الخلق جميعاً راجعون إلى بارئهم. وجاءت هذه الآيات الثلاث بعد ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه إلى لحظة إغراقهم بالطوفان، ونجاة نوح ومن كان معه. من هنا

فإن الإشارة إلى تكذيب الأُمم من قبل قوم إبراهيم عليه السلام يمثل جانباً من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

ومن الدروس المستفادة من هذا الموقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام ما يلي:

1 ـ الجزم بأنَّ عبادة غير الله ـ تعالى ـ هي من الإفك، و(الإفك) في اللُّغة هو كل مصروف عن الحق إلى الباطل في مجال الاعتقاد، ومن الصدق إلى الكذب في القول، ومن الجميل إلى القبيح في الفعل، ولذلك قال ـ تعالى ـ على لسان نبيّه إبراهيم مخاطباً المشركين من قومه قائلاً لهم:

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

2 ـ التقرير الصَّحيح بأنَّ جميع الأصنام والأوثان، والنجوم والكواكب، وكل ما عبد من دون الله غير ذلك، لا يملكون رزقاً لأنفسهم، فضلاً عن القدرة على إعطائه لأحد من عبدتهم، ومن هنا كان من السّفه عبادتهم، والشرك بهم في عبادة الله الواحد القهَّار، ولذلك جاء قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه قائلاً لهم:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت: 17].

3 ـ الأمر بابتغاء الرزق من الله ـ تعالى ـ وحده، وبعبادته وشكره على عظيم نعمه، وجاء ذلك في توجيهات إبراهيم عليه السلام لقومه التي يوردها القرآن الكريم على لسانه بقول ربنا ـ تبارك وتعالى:

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 17].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**أجملوا في طلب الدنيا، فإن كلاً ميسر لما خُلِقَ له**»[1].

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، حديث رقم (2142).

4 ـ تأكيد حتمية الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ وموت جميع المخلوقات من مختلف صور المادة والطاقة، إلى جميع الأحياء (وعلى رأسها الإنسان) هو خير شاهد على ذلك. من هنا جاء تحذير إبراهيم عليه السلام لقومه بضرورة الاستعداد لتلك الرجعة إلى خالقهم للحساب والجزاء قائلاً ومؤكداً لهم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

ونحن نرى الموت في كل شيء: من النجوم والكواكب، والأقمار، والمذنبات، والأحياء (من النبات إلى كل من الحيوان والإنسان) وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن شمسنا تفقد من كتلتها في كل ثانية من ثواني عمرها على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي (4,6) مليون طناً من المادة. وهذه الملاحظة وحدها تكفي للتدليل على حتمية فناء الشمس. ونحن نعلم أن تناقص كم الطاقة الواصلة إلى الأرض من الشمس ينذر بفناء كل شيء على الأرض. وهذا واحد من آلاف الأدلة التي تقطع بحتمية الرجوع إلى الله.

5 ـ تقرير حقيقة أنَّ الإنسان تحت وطأة وسوسة الشيطان يميل دوماً إلى تكذيب الحق، والخروج عليه، ومسيرة الإنسان عبر التاريخ تؤكِّد ذلك وتدعمه، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه مؤكداً هذا الواقع لهم بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [العنكبوت: 18].

6 ـ تأكيد حرية الإنسان في اختيار الدين الذي يدين به نفسه لخالقه، لأنه على أساس من هذا الاختيار سيكون خلوده في الآخرة إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً، وجاء هذا التقرير على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18].

هذه القضايا من سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ومن هنا فإنها بالإضافة إلى كونها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي

والتاريخي في كتاب الله، فإنها تبقى برهاناً قاطعاً على أن القصص القرآني لم ينقل عن «العهد القديم»، بل هو كلام الله ربّ العالمين. في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، وإنبائه بالحق في كل أمر أورده.

29 ـ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79].

هذه الآية القرآنية الكريمة تؤكد عدداً من الحقائق الفطرية والعلمية والتاريخية والإنبائية. في كتاب الله، **ومن حقائقها الفطرية** أن الإيمان باللَّه الخالق مطبوع في الجبلة الإنسانية التي تنكر العبودية لغير الله، والتي تنزه الله الخالق عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

ومن حقائقها العلمية أن الكون بضخامة أبعاده، ودقة بنائه، وانتظام حركاته وكتله وأبعاده، وسرعاته وبكل صفة من صفاته يشهد لخالقه بالربوبية والألوهية والخالقية وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

ومن حقائقها الإنبائية والتاريخية أنها السجل الوحيد الموجود بين أيدينا اليوم لهذا الموقف الذي وقفه إبراهيم عليه السلام متأملاً في ملكوت السمٰوات والأرض. وقد دفعه هذا الموقف المتأمل في الكون إلى التعرف على خالقه من خلال التأمل في بديع صنعه في الكون. كما دفعه ذلك إلى إنكار جميع صور الشرك التي كان قومه قد غرقوا فيها إلى آذانهم. وهذا الموقف الكريم يبقى دعوة للعقلاء من أهل الأرض أن يقفوا هذا الموقف ولو لمرة واحدة في عمر كل واحد منهم، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 75 ـ 79].

وهذا هو أحد المواقف والأحداث الكبرى في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

1 ـ استنكار إبراهيم عليه السلام لعبادة أبيه وقومه للأصنام، وقيامه بتحطيم تلك الأصنام، ومحاكمته على ذلك، والحكم عليه بالحرق حيًّا، وتنجية الله ـ تعالى ـ له من النيران (الأنبياء: 51 ـ 73، الشعراء: 69 ـ 89، الصافات: 83 ـ 113، العنكبوت: 16 ـ 27).

2 ـ واقعة تعرّف إبراهيم على خالقه من خلال التأمل في الكون (الأنعام: 74 ـ 90).

3 ـ واقعة الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه (الأنعام: 74 ـ 87، مريم: 41 ـ 50، الأنبياء: 51 ـ 73، الشعراء: 69 ـ 89).

4 ـ إيتاء إبراهيم النبوة، واستغفاره عليه السلام لأبيه (البقرة: 124 ـ 130، آل عمران: 33، مريم: 41 ـ 48) ثم تبرؤه منه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114].

5 ـ حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك الكافر مدّعي الربوبية (البقرة: 258).

6 ـ طلب إبراهيم من ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى (البقرة: 260).

7 ـ إيمان لوط مع عمه إبراهيم، وهجرته معه إلى أرض فلسطين (العنكبوت: 26، الأنبياء: 71).

8 ـ تعدد الابتلاءات التي تعرض لها إبراهيم، وكان منها أمر الله تبارك وتعالى إلى عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام بوضع زوجه السيدة هاجر ـ عليها رضوان الله ـ ورضيعها إسماعيل عليه السلام عند مكان البيت (إبراهيم: 35 ـ 41).

9 ـ استجابة الله تبارك وتعالى لدعوة عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام بجعل أفئدة من الناس تهوى إلى منطقة البيت الحرام، حيث كان قد وضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل (إبراهيم: 37).

10 ـ زيارة عدد من الملائكة في هيئة البشر لنبي الله إبراهيم عليه السلام مبشرة إيَّاه وزوجته (سارة) ـ على الكبر ـ بغلام هو إسحاق، وتخبره عن إهلاك قوم لوط.

11 ـ أمر الله ـ تعالى ـ لعبده ونبيه إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل، ثم فداء الله ـ تعالى ـ له (الصافات: 102 ـ 107).

12 ـ أمر الله ـ تعالى ـ إلى كل من عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج (الحج: 26 ـ 29).

13 ـ ثناء الله ـ تعالى ـ على عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام مع التأكيد على وحدة رسالة السماء وعلى الأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً (آل عمران: 84، النساء: 163، النحل: 120 ـ 123، مريم: 58).

وورود هذه الوقائع بتفاصيلها، ووجود الأدلّة الماديّة على عدد منها (وذلك من مثل قيام بناء الكعبة المشرّفة إلى اليوم، ووجود كل من الحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيل، وبئر زمزم، ومجر الكبش، ورجوم الشيطان، ومسجد الخيف بمنى، والمشعر الحرام بالمزدلفة، ومشهد الطير في مزارع شبعا، وغيرها من الآثار الباقية) لمما يشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية لأنَّ «العهد القديم» لم يدون شيئاً عن ذلك البتة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في هذه الآيات الخمس (75 ـ 79) من سورة «الأنعام» ما يلي:

1 ـ التمييز الدقيق بين كلّ من الكوكب، والقمر، والشمس، في زمن لم يكن لأحد من المخلوقين القدرة على هذا التمييز، خاصة في الجزيرة العربيّة، وكانت غالبية أهلها من الأُميين.

2 ـ التأكيد على أنَّ أفول (أي: غياب) أي جرم سماوي هو دليل على أنه حادث، وكل حادث من هذه الجمادات هو مخلوق مسخر، ومن ثم فهو لا

يمكن أن يكون مؤلّهاً كما فعل الضّالون من قوم إبراهيم عليه السلام ومن قبل زمانه، ومن بعده. وهذا استنتاج إنبائي وعلمي رصين، وذلك لأنَّ حدوث الكون يحتم فناءه، كما يؤكد حدوث جميع المخلوقات، وحتميّة فنائها، والحادث الفاني محتاج إلى خالق أزلي باقٍ منزه فوق كل صفات خلقه (من مثل حدود كل من المكان، والزمان، والمادة، والطاقة، التي تحدد كافة المخلوقين من الجمادات، والأحياء (من النبات، والحيوان، والإنسان، والملائكة، والجن) حتى يكون الخالق مغايراً لخلقه مغايرة كاملة.

3 ـ الإشارة إلى أنَّ الله ـ تعالى ـ هو خالق الخلق، ومبدع الوجود على غير مثال سابق لأنَّه هو (الذي فطر السمٰوات والأرض)، والعلوم المكتسبة تحتم وجود مرجعيّة عليا للكون الذي نعيش فيه، وتعترف بضرورة مغايرة صفات تلك المرجعيّة لكل صفات المخلوقين فرادى ومجتمعين.

4 ـ إعطاء النموذج العلمي للتعرّف على الخالق سبحانه وتعالى من خلال التأمل في بديع خلقه من مثل ملكوت السمٰوات والأرض. وذلك لأنَّ الإبداع في الخلق هو من أوضح الأدلّة على الخالق سبحانه وتعالى. والكون بكلٍّ ما فيه من موجودات، وظواهر، وحركات منضبطة انضباطاً شديداً، يشهد بضرورة وجود خالق عظيم له من صفات الأُلوهيّة، والربوبيّة، والوحدانيّة، والخالقيّة ما مكّنه من إبداع كل ذلك.

5 ـ الإشارة إلى أنَّ الإيمان باللّه ـ تعالى ـ مزروع في الجبلة الإنسانيّة، وأنَّ الإنسان محتاج إلى إيقاظ هذا الإيمان الفطري بالتأمُّل العاقل في خلق الله ـ تعالى ـ، وبالاستماع إلى وحي السماء، ما دامت الفطرة لم تفسد بانحرافات الإنسان وفساد تصوراته. فكلما بقيت فطرة الإنسان سليمة استطاعت أن تستشف دلائل الإيمان بالإلٰه الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزّه في أسمائه، وصفاته، وأفعاله عن جميع خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وذلك من خلال تأمل الإنسان في إتقان خلقه هو، وفي إحكام خلق الكون الفسيح من حوله.

6 ـ إنَّ الشرك باللَّه ـ تعالى ـ هو من نقائض الإيمان به، وهو من القصور في فهم مدلول الأُلوهيّة، خاصّة وأنَّ المتأمل في الكون يرى وحدة البناء التي تشمله في ثنائية ظاهرة ممَّا يشهد لخالقه بالوحدانيّة المطلقة فوق جميع خلقه.

7 ـ ضرورة النظر في الكون للتعرّف على شيء من بديع صنع الله فيه، تأكيداً على الإيمان بالخالق العظيم عن طريق الإدراك الحسي والوعي الملموس. وهذا الإيمان الحسي هو دعم للإيمان الفطري الذي غرسه الله ـ تعالى ـ في جبلة كل مخلوق، ثم علّمه لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، وبعد ذلك أنزله على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، وأكمله، وأتمه، وحفظه في القرآن الكريم وفي سُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ولو قام كل إنسان عاقل بذلك، ما بقي على وجه الأرض كافر أو مشرك، أو متردد في اعتقاده أو متشكك في الإيمان باللَّه جل جلاله.

هذه هي بعض جوانب الإعجاز العلمي، والإنبائي، التاريخي فيما أورده القرآن الكريم عن عبد من عباد الله هو إبراهيم عليه السلام الذي نشأ في بيئة وثنية تعبد الأصنام والأوثان كما تعبد النجوم والكواكب، وتعبد ملوكها من دون الله جل جلاله. وتعرض الآيات لموقف الفطرة السليمة عند إبراهيم عليه السلام حين وقف متأملاً في الكون من حوله، فعرف ربه من خلال التعرف على بديع صنعه في خلق الكون من حوله، فاصطفاه الله ـ تعالى ـ وجعله نبيًّا رسولاً.

وكل من الوقائع التاريخية والحقائق العلميّة التي جاءت في الآيات (75 ـ 79) من سورة «الأنعام» تشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون قد استعار شيئاً من «العهد القديم»، وأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق، الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم، وحفظه بعهده، الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وتعهَّد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجّة الله البالغة على جميع خلقه إلى يوم الدين.

30 ـ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 69].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل أهم حدث في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام حين استنكر ـ بفطرته السليمة، وبما وهبه الله ـ تعالى ـ من بصيرة ورشد ـ ما كان أبوه وقومه قد وقعوا فيه من أخطاء عبادة الأصنام والأوثان، بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين. لذلك قرر إبراهيم تحطيم تلك الأصنام في غيبة عابديها. وبعد عودتهم إلى معبدهم، ومشاهدتهم معبوديهم محطمين أدركوا أن مَن فعل ذلك هو إبراهيم، فقدّموه للمحاكمة، وحكموا عليه بالتحريق حياً، ولكن الله ـ تعالى ـ نجّاه من إحراق النار لبدنه بمعجزة أذهلت جميع من كانوا حوله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

[الأنبياء: 51 ـ 70].

أولاً: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في النص الكريم:

هذه الآية القرآنية الكريمة تصف أعظم موقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام. فبعد أن بيّن لكل من أبيه وقومه ضلالهم البعيد في الشرك باللَّه، وعبادة الأصنام بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، توعّدهم بالكيد لتلك الأصنام. وبعد خروجهم في يوم من الأيام إلى خارج حدود المدينة للاحتفال بأحد أعيادهم الوثنية، توجه إبراهيم إلى معبد الأصنام فوجد أكداساً من الطعام عند قدمي كل تمثال مقدمةً من قومه الجاهلين قرباناً إليه. قام إبراهيم بتقريب الطعام إلى تلك التماثيل وقال لها هازئاً ساخراً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ ولما لم يسمع من التماثيل جواباً قال مستهزئاً بها: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾؟ ثم تناول فأساً وأهوى به على التماثيل تحطيماً وتكسيراً حتى جعلهم جذاذاً أي فتاتاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾. وعلّق إبراهيم الفأس في عنق الصنم الأكبر ليقيم الحجة على قومه بعجز تلك الأصنام عن دفع الضر عن نفسها، وإذا أثبت لهم ذلك، أقام الحجة عليهم بأن تلك الأصنام لا تنفع غيرها، ومن ثَمَّ فإنها لا تستحق أن تعبد!!.

وعندما رجع القوم من عيدهم وجدوا أصنامهم محطمة فبهتوا متسائلين: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

فجاءهم الجواب من بعضهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ فأمر رؤساؤهم بإحضار إبراهيم على مرأى من الناس لمحاكمته على فعلته بأصنامهم ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ فجاؤوا به ليسألوه: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ونزل هذا الجواب عليهم كالصاعقة التي نبّهتهم من غفلتهم فلاموا أنفسهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فرد عليهم إبراهيم بحجته البالغة:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ولما لم يجدوا رداً على حجة إبراهيم المنطقية لجأوا إلى محاولة البطش والتنكيل به: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ فأعدوا حفرة عميقة وكدّسوا الحطب فيها ومن حولها وأضرموا النار في حطب الحفرة حتى تحوّل جمراً، ثم أوثقوا إبراهيم بالحبال، ووضعوه في كفة المنجنيق وألقوا به في النار وهو يردد الشهادة للَّه ـ تعالى ـ وحده بالألوهية والربوبية والتنزيه عن جميع صفات خلقه قائلاً: «لا إله إلَّا أنت سبحانك ربِّ العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك».

وهنا تتدخل الإرادة الإلٰهية بتعطيل إحدى السنن الكونية وهي سُنَّة الإحراق بالنار، وذلك بالأمر الإلٰهي الذي سجله القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

وظلّ عبد الله ونبيه إبراهيم يذكر الله ـ تعالى ـ وسط النيران المتأججة التي لم تحرق إلَّا وثاقه فقط، وإبراهيم في وسط النيران لم يصبه أي أذى، والناس من حوله في ذهول، وهو يردد: «حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، اللَّهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك، فجاءه جبريل عليه السلام قائلاً له: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: أما إليك فلا!! فقال جبريل: فاسأل ربك فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي».

ثم تحرك عبد الله ونبيه إبراهيم خارجاً من حفرة النيران سليماً معافى، لم يصبه أي أذى، والناس من حوله في ذهول من هذه المعجزة التي عايشوها بكل حواسهم، وإن أنكرتها عقولهم الضالة الآثمة. وأمام هذه المعجزة الكبرى انفتحت قلوب نفر قليل من قوم إبراهيم للإيمان بدعوته، وإن كتموا ذلك خوفاً من بطش حكامهم الظلمة.

وتسجيل القرآن الكريم لهذه الواقعة التي تمثل أعظم وأخطر المواقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. كذلك يعتبر هذا التسجيل شهادة صدق لنبوة سيدنا محمَّد ﷺ الذي بعث بعد موت إبراهيم عليه السلام بأكثر من ألفي عام؛ فمن أين له بسيرة جده إبراهيم إلَّا بوحي من الله تعالى؟ خاصة وأن الناس في زمانه ﷺ كانوا قد نسوا سيرة إبراهيم عليه السلام إلا مَن رحم ربك، وأن «العهد القديم» لم يذكر شيئاً عن تلك الواقعة على الإطلاق.

ثانياً: من أوجه الإعجاز الاعتقادي في النص الكريم:

1 ـ وصف عبادة الله وحده بالرشد، و(الرشد) لغة هو خلاف (الغي)، وعلى ذلك فالرشد هو الهداية إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، لأن الشرك باللَّه الخالق ظلم للنفس، وحيود عن الحق ولذلك وصف القرآن الكريم عبد الله ونبيه إبراهيم بالرشد وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: 51].

2 ـ التأكيد على أن الدين لا بدَّ وأن ينبثق عن قناعة قلبية وعقلية كاملة من كل إنسان بالغ، عاقل، حر، سوي، ولا يجب أن يكون عن مجرد الاتباع الأعمى للآباء، دون إعمال للعقل، وبذل للجهد، وقيام بالتمحيص اللازم.

3 ـ الجزم بأن الشرك باللَّه فيه إهدار لكرامة الإنسان، وانحطاط به عن مقامات التكريم التي رفعه إليها الله تعالى، وذلك لأن مناط التكريم في الإنسان يتجسد في خضوعه بالعبادة للَّه ـ تعالى ـ وحده.

4 ـ الإشارة إلى أن في خلق السمٰوات والأرض شهادة للخالق تعالى بالألوهية والربوبية والخالقية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

5 ـ التأكيد على أن الصراع بين الحق والباطل هو سُنَّة من سنن الحياة الدنيا، وإن حاول الباطل دوماً الاستعلاء بالقوة المادية على أهل الحق.

6 ـ النصح بضرورة الحوار مع الضالين من بني آدم بالمنطق الهادىء وبالحجة الواضحة، وبالحكمة والموعظة الحسنة حتى يحقق الداعي إلى الله هدفه.

7 ـ ضرورة الإيمان بطلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في الخلق، والحاكمة لكل شيء في الكون. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فلا بد من التسليم بأن الله تعالى قادر على إيقاف السنن الحاكمة في الكون وتعطيلها، أو قلبها وعكس مفعولها كلما أراد ذلك. فالنار التي تحرق جعلها ربي بقدرته برداً وسلاماً على إبراهيم، كما أجرى العديد من المعجزات الحسية لأنبيائه، وذلك باختراق السنن الكونية وتجاوزها بالكامل.

8 ـ التأكيد على قيمة العقل (الرشد) في الحكم على الأشياء المادية والمعنوية وذلك لأن العقل الراشد هو وسيلة الإنسان لتحصيل العلم النافع.

9 ـ الحض على التأمل في السمٰوات والأرض وذلك للتعرف على شيء من صفات الخالق تعالى والإيمان به، والعلوم المكتسبة تؤكد على الحكمة البالغة في كل أمر من أمور الكون المدرك.

10 ـ الجزم بأن الله ـ تعالى ـ هو النافع والضار، ومن هنا وجبت عبادته وحده دون غيره، لأن كل معبود لا يستطيع جلب النفع ودفع الضر لا يستحق أن يعبد. من هنا كانت عبادة غير الله ـ تعالى ـ (من الأصنام والأوثان والسلطان والشهوات وغير ذلك من المخلوقات) يمثل انحطاطاً بالإنسان عن مقامات التكريم التي رفعه إليها خالقه.

11 ـ التأكيد على أن أمور الكون والكائنات جميعها هي بيد الله الخالق البارئ المصور، الذي خلق الكون بكل ما فيه ومن فيه، ووضع السنن والقوانين الحاكمة له، وهو وحده القادر على إيقافها وتعطيلها أو قلبها وانعكاسها. وعلوم الفلك تؤكد ضرورة وجود مرجعية للكون في خارجه تكون مغايرة له مغايرةً كاملة في كل شيء، وقادرة على تصريف كل أمر من أموره.

12 ـ ضرورة التسليم بحقيقة المعجزات والخوارق التي أجراها الله ـ تعالى ـ لعدد

من أنبيائه ورسله، وإن عجزت العلوم المكتسبة عن تفسيرها بأدواتها المحدودة. فالكون بكل ما فيه ومن فيه هو خارقة من الخوارق، ولكن انتظام السنن والقوانين الحاكمة له هي التي مكنت الإنسان (بقدراته المحدودة) من التعرف على شيء منها. وتبقى الغيوب أمام الإنسان أكثر مما يدرك من عالم الشهادة بأضعاف لا يكاد العقل البشري أن يتصورها.

هذه هي بعض جوانب الإعجاز في وصف القرآن الكريم لمشهد من مشاهد الحوار الذي دار بين عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وقومه، وهذا المشهد لا نجد له مصدراً في زماننا إلا فيما أورده القرآن الكريم عنه. وهذا يجعل من الآيات (51 ـ 70) في سورة «الأنبياء» ومن أمثالها في القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي/ الاعتقادي في كتاب الله. وهذه الآيات تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

وتسجيل القرآن الكريم لمحاكمة إبراهيم عليه السلام على أيدي غلاة قومه، وحكمهم عليه بالتحريق حيًّا، ورميه بالفعل في نار هائلة كانوا قد أضرموها له، فنجّاه الله ـ تعالى ـ منها، وأخرجه من النار سالماً معافًى بمعجزة أذهلت جميع من كانوا حوله. ويعتبر تسجيل القرآن لتلك الواقعة واحدة من أوضح أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنه لم يرد لهذه الواقعة ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

31 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

تتحدَّث هذه الآية القرآنية الكريمة عن حوار قصير دار بين عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وأحد الملوك الطُغاة، ويقال أن اسمه كان «النمرود بن كنعان»، وأنه كان أحد المتجبِّرين الكافرين في زمانه. وقد حاج «النمرود» إبراهيم في ربِّه حين دعاه إبراهيم إلى الإيمان باللَّه، وذلك انطلاقاً من اغتراره بالملك، واستعلائه على الخلق، وتعنته في التعامل مع رعيته. وقد نسي النمرود أنَّ الله ـ تعالى ـ الذي خلقه هو الذي آتاه الملك، وجعل في يده السلطان. ولكن بدلاً من شكر الله على نعمائه، واستشعار جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه شعبه، فإن الملك قد أطغاه وأبطره، فسوَّل له الشيطان أنَّه هو الآمر النَّاهي على العباد، ولا سلطان لأحد عليه. ونتيجة لذلك فإنه طغى وبغى، وتجبّر على خلق الله من رعيته، ناسياً أو متناسياً فضل الله ـ تعالى ـ عليه بتمكينه من هذا الملك.

ويعرض القرآن الكريم في الآية رقم (258) من سورة «البقرة» قصة هذا الطاغية في عجالة على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، كما يعرضها على كل قارئ لهذا الكتاب العزيز في تعجب من أمر هذا الحاكم الظَّالم، ومن أمر كل طاغية متجبر مثله في كل زمان ومكان.

والآية الكريمة تستهجن إدعاء عبد من عباد الله القدرة على الإحياء والإماتة، وهي من الأُمور التي لا يقدر عليها إلّا الله. وقد اختار عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام قضيتي الإحياء والإماتة في محاجة هذا الملك الكافر لأنهما من الأمور الواضحة

البينة، والواقعة أمام أنظار الناس في كل لحظة نرى فيها مولوداً قادماً إلى الدنيا، أو ميتاً مفارقاً للحياة، ولا يقوى على ذلك أي من المخلوقين. وحقيقة الأمر أن الله ـ تعالى ـ هو الذي قدر الخلق، والآجال، والأرزاق منذ الأزل، ولا يملك أيًّا منها أحد غيره. لذلك فإن عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام عَرَّف ربّه في حواره مع الملك الطاغية بصفة من صفات الكمال المطلق التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه، ألا وهي صفة القدرة على الخلق والإفناء والبعث. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ...﴾ [البقرة: 258].

ولكن هذا الملك الكافر الذي أطغاه سلطان الملك، وغرّه جبروت الحكم، وأضلَّه تحكّمه في شعبه، وظنَّه أنَّه قادر على إنفاذ حكمه في أي فرد منهم بالموت وتنفيذ الحكم أو إعفائه منه، واعتبر ذلك قدرة على الإحياء والموت، وهو ليس بذلك أبداً، وفي ذلك جاء رده الباطل: ﴿...قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ...﴾. وهنا ألجمه عبد الله إبراهيم الحجة قائلاً له: ﴿...فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

وواضح الأمر أنَّ عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام لم يشأ أن يسترسل في جدل عقيم مع هذا الملك الطاغية المتجبِّر على شعبه، والذي اعتبر أنَّ الحكم على فرد من أفراد هذا الشعب بالموت وتنفيذه أو العفو عنه يشبه خلق الله ـ تعالى ـ الحياة من العدم، ثم إفناءها، وإعادة بعثها.

ولما كانت المقارنة بين الحالين لا وجه لها على الإطلاق، انتقل أبو الأنبياء إلى سُنَّة كونية أخرى مؤداها أنَّ أهل الأرض يرون الشمس طالعة عليهم من جهة الشرق، وغائبة عنهم في جهة الغرب، فطلب من هذا الملك المدَّعي الرُّبوبيَّة أن يغير هذه السُنّة إن كان هو حقاً قادراً على ذلك. ولما لم يستطع هذا الكافر اللّعين تحقيق ذلك بُهِتَ، أي: أُخْرِسَ وانقطعت حجته، وظهر عجزه وقهره، وبدت حيرته وغلبته. وذلك لأن (البهت) في اللغة العربية هو الانقطاع والحيرة. يقال: (بَهَتَه)

(بَهْتاً) أي: أخذه بغتة، ويقال: (بَهِتَ)، و(بَهُتَ)، وَ(بُهِتَ) (بَهْتاً) و(بَهَتاً) أي: دَهِشَ وسكت متحيراً. و(باهته) أي: حيره وأدهشه) و(بُهِتَ) أي: خُرِسَ لعجزه عن الرد. ولظلم هذا الملك الطاغية بادِّعائه الرُّبوبيَّة كذباً وافتراءً على الله لم يلهمه الله حجة يرد بها، ولا برهاناً يقدمه، ولذلك ختم الله ـ تعالى ـ الآية بقوله العزيز: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، لأنَّ الظالمين حجَّتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب من الله ـ تعالى ـ ولهم عذاب شديد.

من هنا كان استشهاد عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام بعملية الإحياء والإماتة (أو الخلق والإفناء والبعث) التي لا يقدر عليها إلَّا ربُّ العالمين، فلما حاول هذا الملك المدَّعي الرُّبوبيَّة التحايل على هذا الأمر بخدعة كاذبة، انتقل عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام إلى الاستشهاد بسُنَّة كونيَّة مشاهدة ومتكرِّرة، وهي الحركة الظاهرية للشمس بالنسبة لأهل الأرض وهي تطلع عليهم من الشرق، وتغيب عنهم في الغرب، فسأله إبراهيم عليه السلام هل يستطيع تغييرها؟ وفي ذلك تقول الآية الكريمة: ﴿...إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

وكعادة القرآن الكريم في استعراضه لقصص السابقين، وعرضها على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى أمته من بعده، لاستخلاص الدروس والعبر منها، ركزت هذه الآية الكريمة على العبر المستقاة من حوار عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام مع هذا الملك الذي كان يدَّعي الرُّبوبيَّة لنفسه، دون أن يذكر القرآن الكريم اسمه. ولكن حاول بعض المؤرخين باستعراض الوضع في منطقة ما بين النهرين في الفترة التي عاشها عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام والمقدرة بأوائل الألفية الثانية قبل الميلاد (في حدود 1861 ـ 1686ق.م) فوجدوا أنَّ هذه التواريخ تتوافق مع الحضارة البابلية (التي امتدت في حدود 1900ق.م ـ 1300ق.م)، ومع ملك كان يُدعى نمرود بن كنعان الذي حكم الآراميين بأرض العراق، وكان يمثل رأس الطواغيت

في زمانه، لأنه كان أول من ادَّعى الرُّبوبيَّة. ويقال إنَّ «النمرود» هذا كان من أحفاد حام بن نوح ﵇، وكان قائداً عسكرياً ذا بطش وطغيان، فاتسع ملكه ليشمل مدن أكاد، وبابل، وأوروك، كما أنشأ في شمال العراق كلًّا من مدينة نينوى، التي تقع إلى الغرب من مدينة الموصل، ومدينة نمرود (كلخ) التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها، ولكن لا يستطيع أحد الجزم بذلك.

هذه الواقعة من سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم ﵇ لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، وإيرادها في القرآن الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي الذي يدحض دعوى المدّعين بأن القصص القرآني مستمد من بعض المصادر القديمة، كالعهد القديم علماً بأنَّه إذا وجد شيء من التشابه فهو حجة للقرآن الكريم وليست عليه، لأن مصدر الوحي السماوي واحد هو الله ﷻ. والفارق الجلي هنا هو بين وحي تعهد الله ﷻ بحفظه تعهداً مطلقاً فتم حفظه على مدى يزيد على الأربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ووحي ضاعت أصوله، ثم تمّ تدوينه في لغات غير لغة الوحي، وبأيدي أناس غير معروفين وغير معصومين، مما عرّض الوحي السماوي للتحريف والتزوير والتزييف والتضليل ولا يزال، وسوف يظل كذلك إلى أن يشاء الله.

32 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ...﴾ [البقرة: 260].

يروي لنا القرآن الكريم عن حديث دار بين إبراهيم عليه السلام وربه ـ تبارك وتعالى ـ فيقول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: 260].

ومن معاني هذه الآية الكريمة أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام سأل الله ـ تعالى ـ أن يُبَصِّره بكيفية إحيائه للموتى، وسؤاله هذا ليس من قبيل الشك، ولكن من قبيل التيقن الكامل، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال ربِّ أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي**»[1].

فالسبب في سؤال نبي الله وعبده إبراهيم عليه السلام هو حبّه العميق للانتقال بنفسه من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين، وذلك بالرؤية المباشرة، خاصةً وأنه كان قد وصف ربّه في جداله مع «النمرود» قبل ذلك بآيتين (في الآية رقم 258 من السورة نفسها) قائلاً: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. فأراد أن يرى عملية الإحياء من الموت رأي العين، وأن يرى طلاقة القدرة الإلٰهية بعينيه، ويلمسها بيديه، حتى يستطيع الدفاع عنها بأقوى ما يملك من الحجة، رغم إيمانه العميق، وتسليمه الكامل بأن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير.

فسأله الحق ـ تبارك وتعالى ـ قائلاً: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ فرد على الفور: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

فأمره الله ـ تعالى ـ بأن يأخذ أربعة من الطير فيقربهنّ منه، ويميلهن إليه حتى يتعرف عليهن، وعلى مميزات كل طائر منهن فلا يخطئه إذا عاد إليه. ثم أمره أن

(1) مسند أحمد حديث رقم (8328).

يذبح هذه الطيور الأربع، وأن يقطع أجسادهن إلى عدة قطع، ثم يفرّق تلك القطع على قمم الجبال المحيطة به. وبعد ذلك أمره أن يدعوهن فتتجمع قطع أجسادهن الممزقة مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إلى عبد الله ونبيه إبراهيم. وقد قام إبراهيم عليه السلام بتنفيذ ما أمره به الله، وتحقق ذلك بالفعل، فرأى عبد الله إبراهيم رأى العين كيف يحيي الله الموتى، ورأى صورة من صور طلاقة القدرة الإلٰهية التي لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

ومن الغريب أن إبراهيم عليه السلام الذي تعرّف على خالقه من خلال التأمل في بديع صنع الله في الكون ـ هو الذي يسأل هذا السؤال، وهو سؤال لم ينطلق من منطلق الشك كما أشارنا، ولكنه تشوق المحب لربّه، المؤمن بطلاقة قدرته أن يرى جانباً من هذه القدرة الإلٰهية يتحقق أمام عينيه. وهذا الشوق إلى مزيد من التعرف على قدرة الله البالغة يتحرك في قلوب وعقول الكثيرين من عباد الله الصالحين ـ لا شَكاً في الأمر ـ ولكن رغبة في المزيد من اليقين الحسي، الذي يزيد العبد تعرفاً على شيء من صفات الله الخالق البارئ المصوِّر، وذلك حباً له، وتقرباً منه بمزيد الإيمان به عن طريق التعرف على المزيد من طلاقة قدرته. وهذا لا يشكك في استقرار الإيمان وثبوته، ولا في تمام اليقين ورسوخه، ولكنه بلوغ اليقين الحسي عند المؤمن الذي آمن بالغيب، خاصةً عند واحد من أولي العزم من الرسل مثل خليل الرحمن، الذي جاء من نسله جيل من الأنبياء الكرام الموصولين باللَّه. وهل بعد إيمان الأنبياء إيمان؟ وهل إيمان أمثالهم يحتاج إلى برهان؟ ولكنه الشوق لمشاهدة طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة وهي تعمل المعجزات التي لا يقوى على مثلها أحد من المخلوقين!!

ومن مبررات هذا السؤال الذي سأله عبد الله ونبيه إبراهيم لربه تبارك وتعالى أن قضية البعث بعد الموت كانت عبر التاريخ، ولا تزال حتى اليوم، وستبقى إلى أن يشاء الله، هي حجة الكفار والمتشككين، وذريعة الضالين الضائعين من بني الإنسان، إما لكفرهم باللَّه ـ تعالى ـ أو لقياسهم الخاطئ على الله بمعايير البشر.

والمنطق السوي يقول بتميز الخالق على المخلوقين بقدرات وصفات لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها، لأنها فوق قدراته بالكامل. ومن هنا كان من ركائز العقيدة الإسلامية تنزيه الله ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. لذلك سَخِرَ القرآن الكريم من دعوى المتشككين في أمر البعث، وأورد في الرد عليهم العديد من آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من ذلك كان رجاء عبد الله ونبيه إبراهيم أن يريه ربّه طلاقة القدرة الإلٰهية على إحياء الموتى، وهي طلاقة يشهد بها الخلق كله إلَّا عصاة الإنس والجن. والمتأمل في الأحياء التي تملأ جنبات الأرض (من الكائنات وحيدة الخلية عبر أكثر من مليون نوع من أنواع النباتات، وأكثر من مليون ونصف المليون نوع من أنواع الحياة الحيوانية حتى يصل إلى كمال الخلق في الإنسان) فإنه يدرك إدراكاً كاملاً استحالة أن يتكون بمحض الصدفة جزيء واحد من عشرين جزيئاً من جزيئات الأحماض الأمينية التي تنبني منها مئات الآلاف من جزيئات البروتين التي تتكون منها الخلية الحية. هذا فضلاً عن تعقيد بناء، وكفاءة أداء تلك الخلية الحية بصورة تفوق أكبر المصانع التي بناها الإنسان، بل التي فكر في إنشائها ولم يتمكن من تحقيق ذلك بعد. فما بالنا بمائة تريليون (مائة مليون مليون) خلية حية في جسد كل فرد من بني آدم (في المتوسط) من الخلايا المتخصصة التي تنتظم في أنسجة، وأعضاء، وأجهزة، ونظم متخصصة، تتعاون كلها في تناغم مذهل من أجل مصلحة الجسد الذي يحملها.

كذلك فإن المتأمل في الكون (من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته) يدرك وحدة البناء، ودقة الأداء وانتظامه، مما ينفي احتمال العشوائية أو الصدفة، ويؤكد التدبير والحكمة في الخلق. وذلك مما يشهد للخالق ﷻ بالألوهية، والربوبية، وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وكل ذلك يشهد للكون ببداية يحاول العلماء تقديرها، وكل ما له بداية لا بدّ وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية، مما يجزم بحقيقة الخلق، وبطلاقة قدرة الخالق ﷻ على إفناء خلقه وعلى إعادة بعثه.

وقد شرح رسول الله ﷺ عملية البعث بعد الموت في عدد من أحاديثه الشريفة التي منها ما يلي:

1 ـ **«كل ابن آدم يأكله التراب إلَّا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»**[1].

2 ـ **«وليس من الإنسان شيء إلَّا يبلى إلَّا عظماً واحداً هو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**[2].

3 ـ **«ما بين النفختين أربعون... ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. ليس من الإنسان شيء إلَّا يبلى إلَّا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**[3].

وتشير هذه الأحاديث إلى أن سر الإنسان يتركز في عظمة واحدة في حجم حبة الخردل بنهاية عموده الفقري (العصعص) سمّاها رسول الله ﷺ باسم **(عجب الذنب)**، وكل ما زاد على ذلك من البناء الجسدي الذي ينمو من كل من عناصر الأرض ومائها يعود بعد موت الإنسان إلى تراب الأرض ومائها، ويبقى عجب الذنب ليعيد الله ﷻ بعث كل مخلوق حي منه في لحظة البعث. ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [قٓ: 4].

وعلى الرغم من توضيح رسول الله ﷺ هذه السُنَّة الكونيَّة إلَّا أن إرادة الله ـ تعالى ـ لا تحتاج إلى هذه السنن لقوله ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يسٓ: 82، 83].

وهكذا رأى نبي الله إبراهيم ﵇ صورة من صور طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في قضية الخلق والإفناء والبعث: ومن أهمها عملية إحياء الموتى، رآها أمراً واقعاً

(1) صحيح مسلم حديث رقم (7341).

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد حديث رقم (4266).

(3) صحيح البخاري حديث رقم (4935).

بين يديه. والحياة والموت يتكرر حدوثهما في كل لحظة من لحظات هذا الوجود، ولا يرى الناس من تلك الأحداث الهامة إلَّا آثارها البادية لهم، فيؤمن مَن يؤمن، ويكفر مَن يكفر، ويبقى إيجاد الحياة من العدم وإفناؤها إلى العدم، والقدرة على إعادة بعثها من جديد واحدة من أعظم الشهادات على طلاقة القدرة الإلٰهية التي لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

وفي «مزارع شبعا» اللبنانية، والتي يحتلها عنوة الكيان الصهيوني الغريب المحتل للأراضي الفلسطينية لا يزال يوجد بها أربعة قمم جبلية يطلق عليها أهل تلك المنطقة اسم «مشهد الطير»، ويعتقدون أنها هي القمم الأربع التي وزع عليها إبراهيم عليه السلام أجزاء الطيور الأربع التي ذبحها وجزأها، ووضع على كل جبل من هذه الجبال الأربع أجزاء منها، ثم دعاهن فأتين سعياً إليه.

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] تسجيل لتلك الواقعة التاريخية المهمة في حياة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام، والتي لم يرد لها ذكر في «العهد القديم». ومن الغريب حقاً أن يتطاول أهل الباطل بالادِّعاء الكاذب الذي أشاعوه، وملأوا به أسماع أهل الأرض بأن القصص القرآني منقول عن كتب الأولين. وهذه هي الواقعة الكبرى الثالثة التي تبطل هذا الادِّعاء الكاذب من أساسه، وذلك من بين عشرات الوقائع والمواقف والأحداث التي أوردها القرآن الكريم في تاريخ سيدنا إبراهيم عليه السلام. وإيراد مثل هذه الواقعة التاريخية في كتاب الله بصيغة توثيقية رصينة لهو بحق أحد أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم.

33 ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: 24].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل إحدى الوقائع الهامة في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وهي تخبر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بوقوعها. والفاصل الزمني بين تلك الواقعة ونزول الوحي القرآني بخبرها يتعدى الألفي عام (2296 سنة) مما يجعل من الإخبار بها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

والواقعة جاءت الإشارة إليها في «العهد القديم» تحت عنوان: «الزائرون الثلاثة» وجاء فيها من الأخطاء الشيء الكثير، وذلك من مثل أن الملائكة الثلاثة أكلوا من الطعام الذي قدّمه إليهم إبراهيم عليه السلام، والملائكة لا يأكلون الطعام.

ثم تحدثت الرواية عن الملائكة الثلاثة بصيغة المفرد مرات عديدة، وهم جمع كما تحدثت عن الملائكة، بوصف الرب، والله ـ تعالى ـ منزّه عن حدود كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة. وهنا يتضح ثبوت الواقعة، مع الفرق بين كلام الله ـ تعالى ـ عنها في القرآن الكريم، ورواية البشر لها في «العهد القديم».

وفي استعراض القرآن الكريم لسيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام جاء ذكر تلك الواقعة في كل من سورة «هود» (69 ـ 76)، وسورة «الحجر» (51 ـ 58)، وسورة «الذاريات» (24 ـ 34). وفي كل موضع من هذه المواضع الثلاثة في كتاب الله عرضت الواقعة من زاوية خاصة تتناسب مع سياق السورة. ونخص بالذكر هنا ما جاء عنها في سورة «الذاريات» حيث يعرض ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تلك الواقعة موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

[الذاريات: 24 ـ 30].

ومن معاني هذه الآيات الكريمات ما يلي: هل وصل إلى سمعك يا محمد خبر ضيوف إبراهيم المكرمين؟ والاستفهام هنا هو للتشويق وللتفخيم من شأن تلك الواقعة الموغلة في قدم التاريخ. وجاء في تفسير القرطبي أن ابن عباس رضي الله عنه قال في هؤلاء الضيوف الذين زاروا عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام أنهم كانوا: جبريل، وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، وأنهم سمّوا بالمكرمين لكرامتهم عند ربّ العالمين. وقد سلّموا على إبراهيم حين وصلوا إليه بسلام المسلمين، فردّ عليهم التحية بمثلها قائلاً: (سلام قوماً منكرون) أي قال وعليكم السَّلام، أنتم قوم غرباء عن هذه الأرض، فمن أنتم؟ وربما قال بالتعبير (قوم منكرون) في نفسه فقط دون أن يسمعهم حرصاً على عدم إيذاء مشاعرهم. وبعد الترحيب بهم مضى إلى أهله دون أن يشعر ضيوفه بذلك، وهذا من معاني الفعل (راغ) فجاءهم بعجل سمين مشوي على سبيل إكرامهم، فأدناه منهم ولكنهم لم يمدوا أيديهم إليه، فأضمر في نفسه الخوف منهم لما رأى إعراضهم عن تناول طعامه. وذلك إما لأن الضيف الذي لا يأكل طعام مضيفه ينبىء عن نية شر كما هو معروف في عادات العرب، وإما لأنه لمح فيهم شيئاً غريباً فسألهم في تلطف قائلاً: ألا تأكلون هذا الطعام؟ فكشفوا عن هويتهم، وعرّفوا أنفسهم بأنهم ملائكة أرسلهم ربّ العالمين إليه، فقالوا: لا تخف. وأضافوا أنهم قد جاؤوا ليبشروه بولد يولد له من زوجته سارة، وكان كلاهما قد بلغ من العمر عتياً، مما أثار دهشته وذهول زوجه. وكان من ضمن البشرى أن هذا الغلام الذي سوف يولد لهما سيكون (عليماً) عند بلوغه سن الرشد، وقد كان إسحاق عليه السلام فعلاً كذلك. وعند سماع السيدة سارة تلك البشارة أذهلتها المفاجأة، فأقبلت نحو هؤلاء الضيوف في دهشة وذهول فصكت وجهها (على عادة النساء عند التعجب) مستغربة من الأمر الغيبي المفاجىء قائلة: (عجوز عقيم!!) أي: كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟ والمرأة العقيم هي التي لم تلد من قبل قط، على الرغمَ من زواجها الذي ربما يكون قد طال. وكان ذلك الاستغراب بسبب المفاجأة العنيفة التي لم تكن السيدة سارة تتوقعها أبداً. فجاء رد الملائكة الثلاثة عليها على النحو التالي: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

[الذاريات: 30]. ومن معاني هذه الآية الكريمة أن الملائكة قالوا للسيدة سارة: إن هذا الأمر هو من قضاء ربك ﷻ، وقضاؤه لا يرد، فلا تعجبي منه، ولا تشكّي في حتمية وقوعه، لأن الله تعالى قادر على كل شيء، وهو الحكيم في جميع صنعه، العليم بتفاصيل أحوال خلقه.

وبعد الانتهاء من تلقي تلك البشارة السارة سأل إبراهيم عليه السلام ضيوفه الكرام عن سبب مجيئهم إلى الأرض وهم لا ينزلون إلا لأمر خطير!!؟: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الذاريات: 31، 32].

والمقصود بالقوم المجرمين هنا هم قوم لوط، أي أن الملائكة قالوا إن الله أرسلنا لإهلاك قوم «لوط» الذين كانوا قوماً فاسقين. فقد كانوا يقطعون الطريق على أبناء السبيل، ويخونون الأمانات، وينحطون بسلوكياتهم إلى ما دون مستوى الحيوانات. فقد كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي وأشاعوا به، وارتكبوا أفحش الجرائم من الكفر بالله أو الشرك به، إلى عصيان النبي الذي أرسله الله تعالى إليهم لانتشالهم من أوحال الرذائل التي كانوا قد غاصوا فيها إلى آذانهم. وبدلاً من أن يستجيبوا لدعوته فإنهم سخروا منها، وتطاولوا عليها وعارضوها، وأنكروا نبوته، وتجاوزوا كل الحدود في فجورهم، وفسوقهم، وإسفافهم أمامه. لذلك استحقوا العذاب الذي قرره الله (تعالى) لهم، ووصفته الآيات في سورة «الذاريات» بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: 33 ـ 37].

أي: لنهلكهم بحجارة من طين، وصفت في مقام آخر من كتاب الله بوصف «السجيل» وهو الطين المحروق. وكل واحدة من تلك الحجارة التي أرسلت على قوم «لوط» كانت معلمة من عند الله باسم الذي سوف يهلك بها، وقد كانوا قوماً مسرفين، أي مجاوزين الحد في الفجور.

ويضيف الملائكة قولهم: فبدأنا بالبحث عن المؤمنين في قرى قوم «لوط»

لإخراجهم منها قبل إنزال العقاب بأهلها، حتى لا يهلك المؤمنون في عملية تدمير الفاسقين من أهل تلك القرى. ويزيدون قولهم: فما وجدنا فيها غير بيت واحد من المسلمين هو بيت عبد الله ونبيه «لوطاً عليه السلام»، فأخرجناهم من مسكنهم إلى خارج حدود تلك القرى، ثم نزل عقاب الله بأهلها الظالمين الفاسقين، فتم القضاء عليهم ونجى الله تعالى «لوطاً عليه السَّلام» وبنتيه. وبعد نزول عذاب قوم لوط أبقى الله تعالى في قراهم المدمرة علامة على حقيقة إهلاكهم، وهذه العلامة تتمثل في قلب تلك القرى رأساً على عقب، حتى يبقى ذلك عبرة لمن يأتي بعدهم من العباد الذين يحذرون من الوقوع في معاصي الله حتى لا يصبحوا عرضة لعذابه الأليم.

وبقيت هذه الواقعة آية بينة من آيات الله الكبرى في تاريخ الرسالات السماوية. وقد ذَكَّر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بواقعة هلاك قوم لوط، كما ذكَّره بأمثالها من صور العذاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ بالعصاة المتجبرين في كل عصر من عصور تاريخ البشرية على الأرض. وكان في ذلك مواساة لرسول الله ﷺ ولصحابته المؤمنين، وتثبيتاً لهم في وجه ما كانوا يلقونه من كفار ومشركي الجزيرة العربية من شدائد. وكان في عرض هذا القصص تحذيراً للمعارضين من مشركي قريش، ومن الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين: أن يصيبهم ما أصاب قوم لوط أو أصاب غيرهم من الكفار والمشركين، والفاسقين المتمردين على هداية ربّ العالمين منذ عهد عبد الله ونبيه نوحاً عليه السلام وحتى قيام الساعة.

أولاً: من أوجه الإعجاز الإنبائي في هذه الواقعة القرآنية:

تتعدد أوجه الإعجاز الإنبائي في واقعة إنزال الملائكة على عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

(أ) **القطع بوجود الملائكة:** وقد شكك في وجودهم الملاحدة والكافرون والمتحيرون من بني آدم عبر التاريخ. والملائكة أجسام نورانية لا يراها الإنسان، وهم من عباد الله المكرمين، وهم السفرة الكرام البررة، وهم أهل الملأ الأعلى.

والملائكة هم خلق مفطورون على عبادة الله ـ تعالى ـ، وطاعة أوامره، فلا نوازع عندهم ولا شهوات، وهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتغوطون. وقد ذكرهم الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه مؤكداً أنهم خلقوا قبل خلق الإنسان، وأنهم متفاوتون في الخلق، وفي الدرجات، وفي عدد الأجنحة التي خص الله ـ تعالى ـ بها كلًّا منهم. وهم أيضاً خلق كثير، لا يعلم عددهم إلَّا الله ﷻ الذي أعطاهم القدرة على التشكل، فقد جاءت الملائكة كلًّا من أنبياء الله إبراهيم ولوط ومحمد ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليهم أجمعين ـ في صورة الرجل، كذلك جاء جبريل عليه السلام للسيدة مريم ـ عليها رضوان الله ـ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

والإيمان بالملائكة هو من صميم عقيدة المسلم، وإن كانوا من الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان إليه إلَّا عن طريق وحي السماء المنزّل على أنبياء الله ورسله. وعلى الرغم من تشكك بعض الملاحدة في وجود الملائكة، فإن جميع الملاحظات العلمية تؤكد اليوم حقيقة الغيب، وانقسام الوجود إلى عالمين هما: **عالم الشهادة المنظور**: (ويشمل كل ما يراه الإنسان بعينيه المجردتين أو بالاستعانة بالعدسات المكبرة، أو يدركه بواسطة وسائل للإدراك غير المباشر مثل المقربات (التليسكوبات) وأجهزة الرادار وغيرها)، **وعالم الغيب غير المنظور**. والغيب غيبان:

1 ـ **غيب مرحلي (أي مؤقت)**: يصل إليه الإنسان على مراحل متتالية مع اتساع دائرة علومه وبحوثه وكشوفه، وهو الذي تجري كل المعارف العلمية وراءه من أجل الكشف عنه.

2 ـ **غيب مطلق**: وهو الذي لا سبيل للإنسان في معرفة شيء عنه إلَّا عن طريق وحي السماء، لأن الله ـ تعالى ـ قد استأثر بعلمه، أو اختص نفراً من خلقه بطرف علم عنه. ومن الغيوب المطلقة: كل من الذات الإلٰهية، الملائكة، الجن، الروح، وقت الساعة (أي: الساعة الآخرة من الدنيا)، حياة البرزخ، البعث، الحشر، الصراط، الميزان، الحساب، الجنة، النار، وغيرها مما لا نعلم من خلق الله.

وقد ثبت أن المواد المرئية أي المدركة بواسطة الضوء (Luminous Matter) لا

تشكل سوى (1%) من مادة الكون المنظور، منها حولي (0.5%) نجوم، (0.3%) نيوترينوات (Neutrinos)، (0.03%) عناصر ثقيلة، بينما تشكل المواد الخفية (Nonluminous Matter) حوالي (99%)؛ تمثل الطاقة الخفية (Dark Energy) حوالي (70%)، وتمثل المادة الخفية حوالي (25%) منها، ويمثل كل من غازَيْ الإيدروجين الحر والهيليوم الحر حوالي (4%) من مادة الجزء المدرك من الكون. وعلى ذلك فإن غالبية الكون بالنسبة للإنسان هو من أمور الغيب. فنحن لا نرى الشمس، ولكننا نرى مواقع مرت بها، ولا نرى من ضوئها إلا النذر اليسير. وذلك لأن ضوء الشمس عبارة عن سلسلة متصلة من أمواج الطيف الكهرومغناطيسي التي لا تختلف فيما بينها إلَّا في تردداتها، وأطوال موجاتها التي تمتد من جزء من تريليون جزء من المتر (بالنسبة إلى أشعة جاما) إلى عدة كيلومترات بالنسبة لموجات الراديو (الموجات غير السلكية). وتميز عين الإنسان من موجات أشعة الشمس سبعة أطياف فقط تعرف باسم **الضوء المرئي** (وتشمل: الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، والبنفجسي) والتي يمتد طولها الموجي بين واحد من مائة من الميكرون، ومائة ميكرون (والميكرون يساوي جزءًا من مليون جزء من المتر). ويُضم إلى هذا الحيز كل من الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء. وإن كانت عين الإنسان لا تستطيع رؤية أي منهما، ولا أي من موجات أشعة الشمس الأخرى.

وحسابات الجاذبية بين مجرات السماء تؤكد أن نسبة المدرك للإنسان من الكون لا تكاد تتعدى (1%) من مجموع المادة والطاقة الموجودة فعلاً فيه، ويطلق على الباقي اسم المادة الداكنة أو المظلمة (Nonlumlnous or Dark Matter) أو اسم المادة الخفية أو مادة الظل (Unseen or Shadow Matter) والتي أمكن التكهن بوجودها على أساس من حسابات الكتل الناقصة (The Missing Masses) وحسابات معدلات انحناء الضوء من حولها (Gravitational Lensing).

فإذا كان الإنسان لا يرى أكثر من (1%) من مادة الجزء المدرك من الكون المحيط به، فإذا أخبره الخالق ﷻ عن وجود خلق غيبي اسمهم الملائكة، وأعطى شيئاً من أخبارهم وصفاتهم في محكم كتابه، وعلى لسان خاتم أنبيائه ورسله ﷺ

وأوجب علينا الإيمان بهم، فليس أمام الإنسان إلَّا التسليم بوجودهم وبالأدوار التي كلّفهم الله ـ تعالى ـ بها. لذلك أكد ربنا ـ تبارك تعالى ـ وجود الملائكة، كما أكد قدرتهم على التشكل بهيئة الإنسان موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ...﴾، ومن هنا فإن ذكر القرآن الكريم للملائكة في هذا النص الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

(ب) في الإشارة إلى أن الملائكة لا يأكلون:

الملائكة خلق من نور كما أسلفنا، وذلك انطلاقاً من قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[1].

والخلق الذي من نور لا يحتاج إلى ما نحتاج إليه نحن ـ بني آدم ـ من طعام وشراب، وعلى ذلك فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتغوطون، ولا يتناسلون، ولا ينامون. وقد أعطى الله تعالى الملائكة القدرة على التشكل، فلما جاؤوا إبراهيم عليه السلام في هيئة الرجال، وقدّم لهم الطعام لم تمتد أيديهم إليه، فخاف منهم إبراهيم. وكان من دوافع خوفه أن العرب كانوا قد تعوّدوا على أن من لا يأكل طعامك فقد أضمر لك شراً، أو أن إبراهيم أدرك في ضيوفه شيئاً غريباً! عندئذٍ كشفوا عن هويتهم وأخبروه بأنهم رسل ربه من الملائكة ـ والملائكة لا يأكلون (على عكس ما جاء عنهم في «العهد القديم») ـ كما بشّروه بغلام عليم وفي ذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: 26 ـ 28] والإخبار بهذه الحقيقة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأن «العهد القديم» يذكر أن الزائرين الثلاثة لإبراهيم أكلوا طعامه.

(1) تقدم تخريجه.

الزائرون الثلاثة

١٨ ثُمَّ ظَهَرَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَقْتَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَارِ، [٢]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَإِذَا بِهِ يَرَى ثَلاثَةَ رِجَالٍ مَاثِلِينَ لَدَيْهِ. فَأَسْرَعَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ. [٣]وَقَالَ: «يَاسَيِّدِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ فَلا تَعْبُرْ عَنْ عَبْدِكَ. [٤]بَلْ دَعْنِي أُقَدِّمْ لَكُمْ بَعْضَ مَاءٍ تَغْسِلُونَ بِهِ أَرْجُلَكُمْ وَتَتَّكِئُونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، [٥]ثُمَّ آتِي لَكُمْ بِلُقْمَةِ خُبْزٍ تُسْنِدُونَ بِهَا قُلُوبَكُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُوَاصِلُونَ مَسِيرَتَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ مِلْتُمْ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمْ». فَأَجَابُوهُ: «حَسَناً، لِيَكُنْ كَمَا قُلْتَ».

[٦]فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ إِلَى زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَقَالَ: «هَيَّا أَسْرِعِي وَاعْجِنِي ثَلاثَ كَيْلاتٍ مِنْ أَفْضَلِ الدَّقِيقِ وَاخْبِزِيهَا». [٧]ثُمَّ أَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ نَحْوَ قَطِيعِهِ وَاخْتَارَ عِجْلاً رَخْصاً طَيِّباً وَأَعْطَاهُ لِغُلامٍ كَيْ يُجَهِّزَهُ. [٨]ثُمَّ أَخَذَ زُبْداً وَلَبَناً وَالْعِجْلَ الَّذِي طَبَخَهُ، وَمَدَّهَا أَمَامَهُمْ، وَبَقِيَ وَاقِفاً فِي خِدْمَتِهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهُمْ يَأْكُلُونَ.

The Three Visitors

18 The LORD appeared to Abraham near the great trees of Mamre while he was sitting at the entrance to his tent in the heat of the day. [2]Abraham looked up and saw three men standing nearby. When he saw them, he hurried from the entrance of his tent to meet them and bowed low to the ground. [3]He said, "If I have found favor in your eyes, my lord, do not pass your servant by. [4]Let a little water be brought, and then you may all wash your feet and rest under this tree. [5]Let me get you something to eat, so you can be refreshed and then go on your way–now that you have come to your servant." "Very well," they answered, "do as you say."

[6]So Abraham hurried into the tent to Sarah. "Quick," he said, "get three seahs of fine flour and knead it and bake some bread." [7]Then he ran to the herd and selected a choice, tender calf and gave it to a servant, who hurried to prepare it. [8]He then brought some curds and milk and the calf that had been prepared, and set these before them. While they ate, he stood near them under a tree.

سفر التكوين (18/1 ـ 8)

(ج) في قدرة الله ـ تعالى ـ على جعل عجوز عقيم تلد:

يتكوَّن الجهاز التناسلي في أنثى الإنسان من كل من المبيضين، وأنبوب الرحم، والرحم، والمهبل، والأعضاء الخارجية، والغدد الدهليزية العظمى، وغدد الثديين.

ويتم تخلق النطف الأنثوية، بينما الأنثى لا تزال جنيناً في بطن أمها، ويبلغ عددها قرابة المليونين، ويتناقص هذا العدد عند البلوغ إلى ما بين ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف خلية ابتدائية للنطف الأنثوية. ثم تبدأ هذه الخلايا في الانقسام الانتصافي على مرتين لتكون أرومة البييضة (Ootid) التي تنمو إلى البييضة (Ovum). والبييضة الناضجة تحمل نصف عدد الصبغيات المحدد لنوع الإنسان. وكل من المبيضين ينتج بييضة ناضجة واحدة كل شهرين بالتبادل من بداية سن

البلوغ وحتى سن اليأس. وتنتج أنثى الإنسان طوال فترة خصوبتها ما بين ثلاثمائة وخمسمائة بييضة ناضجة، ولا يتم إخصاب إلَّا آحاد منها إن أراد الله ـ تعالى ـ ذلك. فعند الوصول إلى سن البلوغ تفرز الأنثى بييضة واحدة في منتصف دورتها الشهرية، تندفع إلى قناة المبيض كي تتحرك في اتجاه الرحم. فإذا تواجدت الحيامن في هذه اللحظة فإن أحدها فقط قد يتمكن من اختراق جدار البييضة في محاولة لإخصابها. وبإتمام عملية الإخصاب تتكون النطفة الأمشاج (أي المختلطة) التي تعرف باسم اللقيحة (Zygote) والتي يتكامل فيها عدد الصبغيات إلى (46) صبغياً، وهو العدد المحدد لنوع الإنسان. تتعلق اللقيحة بجدار الرحم، متغذية على دم الأم فتبدأ دورة الجنين البشري من مرحلة العلقة إلى الحميل الكامل. وفي مقابل كل بييضة يفرزها المبيض فإن الخصية تفرز بليون حيوان منوي (حيمن) على أقل تقدير. وتحتاج هذه الحيامن إلى زمن يقدَّر بست ساعات إلى أربع وعشرين ساعة لتقطع رحلتها من المهبل إلى الرحم، فلا يصل منها إلى الرحم أكثر من خمسمائة حيمن. يقدر الخالق ﷻ لواحد من هذه الحيامن ـ له صفات وراثية محددة ـ أن يخترق جدار البييضة ليتم إخصابها مكوناً النطفة الأمشاج (اللقيحة) التي تبدأ في الانقسام حتى تكون التويتة التي تلتصق بجدار الرحم لتكمل مشوار الحمل بإذن الله.

ولا يصل إلى مرحلة الإنجاب من هذه الأجنة إلَّا أقل القليل، لأن أي خلل يحدث أثناء هذه الرحلة الشاقة لكل من البييضة والحيامن إلى مختلف مراحل الجنين، ثم الحميل، قد يعوق عملية الإنجاب ويؤدي إلى فشلها بالكامل. والخالق الذي قدَّر ذلك كله هو وحده الذي يتحكَّم في عملية الإنجاب، ولذلك قال ـ عزَّ من قائل ـ : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: 49 ـ 50].

وما دام الأمر كله بيد الله ـ تعالى ـ فهل يعجزه أن يهب غلاماً عليماً لعجوز

عاقر كزوج إبراهيم عليه السلام الذي كان هو وهي قد بلغ من العمر أرذله؟ والجواب بالقطع لا!! ولذلك جاء جواب الملائكة قاطعاً: ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 30].

والإخبار بهذه الواقعة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي في القرآن الكريم، على الرغم من ورود إشارة إليه في «العهد القديم» تحت عنوان «الزوار الثلاثة» (تكوين: 18/ 1 ـ 8) وتحت عنوان «مولد إسحاق» (تكوين: 21/ 1 ـ 8) ولكن الفارق بين كلام الله، ورواية البشر أوضح من أن يغفل.

فقد ذكر سفر التكوين (18/ 1 ـ 8) تحت عنوان «الزوار الثلاثة» أن الذي ظهر لإبراهيم عليه السلام هو الله تبارك وتعالى، والإنسان لا يستطيع أن يرى الله ـ تعالى ـ جهرة طالما كانت روحه محبوسة في جسده الطيني في الحياة الدنيا. ثم يذكر هذا السفر أن إبراهيم رأى ثلاثة من الرجال ولم يذكر أنهم كانوا ملائكة متشكلين بهيئة الرجال، ويذكر أن إبراهيم سجد لهم، والسجود لا ينبغي لغير الله ـ تعالى ـ، وذكر أن الرجال الثلاثة أكلوا، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

من كل ذلك يأتي النفي القاطع للادعاء الباطل بأن رواية القرآن الكريم عن هذه الواقعة مأخوذة عن «العهد القديم»، فالفرق بين الروايتين أوضح للعين من نور النهار.

34 ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]

هذه الآية الكريمة جاءت على لسان عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام لتسجل انصياعه لأمر الله ـ تعالى ـ في أحد الابتلاءات التي عرَّضه لها الله، تربيةً، وتزكيةً، وتطهيراً، ورفعاً للدرجات. فبعد أن ألح على الله جل جلاله بالدعاء أن يرزقه الذرية الصالحة وهو الغريب، المهاجر في سبيل الله، المفارق لأهله ولعصبيته، والذي بلغ به العمر مبلغاً كبيراً، استجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه ورزقه بولده إسماعيل. ثم وهو في قمة السعادة بمولوده الجديد يفاجأ بالأمر الإلٰهي بإبعاد زوجه السيدة هاجر ورضيعها الصغير إسماعيل إلى وادي مكة، وهذا الوادي كان حينئذٍ أرضاً قفراً، لا ماء فيها ولا ثمر، ولا مؤنس من البشر. فالكعبة المشرّفة كانت قد هدمت قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، وبقيت قواعدها، فبوأها الله ـ تعالى ـ له، ولذلك أمره بوضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل عند قواعد البيت الحرام كي يعيدا بناءه بعد أن يبلغ إسماعيل أشده. وكان من حكمة هذا القرار الإلٰهي ـ وحكمة الله لا تنفد ـ ان يأتي من نسل إسماعيل عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يولد بمكة المكرّمة (أشرف بقاع الأرض على الإطلاق) التي نزل بها أول الخلق، وأول الأنبياء، وأبو البشر جميعاً سيدنا آدم عليه السلام ليلتقي خاتم النبوة بأولها. ويكون في ذلك تأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً. وهذا التوحيد منطلق من وحدانية الخالق جل جلاله التي يشهد بها جميع خلقه الذين خلقوا في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وهنا يستجيب إبراهيم عليه السلام لأمر ربه، فيأخذ السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل ويضعهما عند قواعد البيت، تاركاً عندهما جراباً فيه قليل من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء، وودعهما وانصرف عائداً في طريقه إلى أرض فلسطين. جرت السيدة هاجر خلف زوجها إبراهيم وهي تقول له: إلى مَن تكلنا؟ وإبراهيم لا يرد عليها، ثم أدركت بحسّها أن

زوجها نبي مرسل فقالت: آللّه أمرك بهذا، فأدار إبراهيم وجهه وقال: نعم، فردت هاجر على الفور بقولها: إذن لن يضيعنا، وقفلت راجعة إلى صغيرها. أخذ إبراهيم في السير خارجاً من مكة ووقف عند الثنية من وادي مكة متجهاً إلى مكان البيت رافعاً يديه إلى السماء، مردداً هذا الدعاء الذي يسجله القرآن الكريم على لسانه بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: 35 ـ 41].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآيات:

أولاً ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35].

أي: اجعل مكة بلداً آمناً، يأمن ساكنوه بوائق المعتدين من الإنس والجن، وجرائمهم وإفسادهم في الأرض. واستجابة لهذا الدعاء جعل الله ـ تعالى ـ الحرم المكي إلى يومنا هذا بلداً آمناً، بمعنى أن كل مَن دخل إلى هذا الحرم صار آمناً على نفسه، مطمئناً على ماله، ولو كان مطلوباً للثأر فلاذ بالحرم، فلا يستطيع أحد أن يقربه بسوء حتى يخرج منه. وكان هذا العرف سائداً حتى في زمن الجاهلية، وكان ذلك من بقايا إجلال الناس لهذا المكان الذي حرّمه الله ـ تعالى ـ يوم خلق السمٰوات والأرض، أما اليوم فمن اقترف جرماً فيه من جرائم الحدود أقيم عليه الحد الشرعي.

والأمن في الحرم المكي ليس للإنسان فقط، بل هو أيضاً لجميع الكائنات من حيوان ونبات وجماد، فقد حرّم رسول الله ﷺ أن يعضد شوكه، أو أن يقلع نبته، أو أن يقطع شجره الفطري، أو أن ينفر صيده، أو أن تلتقط لقطته إلَّا لمن أراد أن يعرف بها. وقد لاحظ المراقبون أن الحيوانات الضارية لا تصطرع مع بعضها البعض، ولا مع غيرها في الحرم المكي، بل تخالط من الحيوانات ما تعودت على افتراسه خارج حدود الحرم المكي، فإذا رأته في هذه البقعة المباركة لم تتعرض له بأذى.

ويروي لنا التاريخ أن كل جبار قصد الحرم المكي بسوء أهلكه الله ـ تعالى ـ ولم يمكنه من تحقيق هدفه، وذلك من مثل ما حدث مع أصحاب الفيل. فربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد تعهد بحماية بيته العتيق وحرمه فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25].

وتحقيقاً لهذا الوعد الإلهي فإن العقوبة تُعَجَّل لكل من انتهك حرمة في الحرم المكي الذي حرّمه الله ـ تعالى ـ يوم خلق السمٰوات والأرض. وتأكيداً على حماية ربِّ العالمين لهذا الحرم الشريف قال المصطفى ﷺ: «**الدجَّال يطوي الأرض كلها إلَّا مكة والمدينة**»[1] وقال ـ صلوات الله وسلامه عليه في يوم فتح مكة «**لا تغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً**»[2].

ومن الشواهد المادية على كرامة الحرم المكي توسطه من اليابسة، وانتفاء الانحراف المغناطيسي على مسار خط طول مكة المكرّمة، وحماية الله ـ تعالى ـ له من كل من الهزات الأرضية المدمرة والثورات البركانية العنيفة، على الرغم من قربه من خسوف البحر الأحمر. ويبقى الإخبار القرآني عن دعوة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام للحرم المكي بالأمن واستجابة الله ـ تعالى ـ لهذا الدعاء إلى يومنا

---

(1) مسند أبي شيبة، حديث (32828).

(2) مسند أحمد حديث رقم (15408).

الحاضر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لا يوجد ذكر لهذا الموقف في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

ومن معاني هذه الدعوة الكريمة أن إبراهيم عليه السلام يرجو من الله ـ تعالى ـ أن يحميه ويحمي أبناءه من بعده من نزغات الشياطين التي تحاول دوماً إخراج الإنسان من التوحيد إلى الشرك. واستجابة لهذه الدعوة الصادقة من عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام فإن الله ـ تعالى ـ حفظه وحفظ بنيه من عبادة الأصنام، فكان منهم عدد كبير من الأنبياء الذين آمنوا بالتوحيد الخالص للَّه ـ تعالى ـ أمثال ساداتنا إسماعيل، إسحاق، يعقوب، الأسباط، ويوسف، وبقية الأنبياء إلى خاتمهم أجمعين، سيد الأولين والآخرين من ولد آدم، سيدنا محمد ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، ويبقى ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36].

أي أن وسوسة الشيطان للإنسان بعبادة الأصنام قد كانت سبباً في ضلال كثير من بني آدم. فمن الثابت تاريخياً أن البشرية بعد إيمانها بالتوحيد الخالص لعشرة قرون كاملة بين آدم ونوح عليهما السلام جاء الشيطان فوسوس إلى نفر من قوم نوح أنه مات منكم صالحون كثيرون، فلو نصبتم إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسميتموها بأسمائهم، لتذكرهم الناس، واقتدوا بهم. ففعلوا ذلك ولم تعبد تلك الأنصاب، حتى إذا هلك هذا الجيل من قوم نوح، وتنسخ العلم عبدت. وكانت هذه هي أول وثنية في تاريخ البشرية التي بقيت تتردد بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر من زمن عبد الله ونبيه نوح عليه السلام وحتى اليوم، وسوف تظل كذلك إلى قيام الساعة.

ويبقى هذا النص الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

رابعاً: في قوله ـ تعالى ـ على لسان عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ

مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: 36].

في هذا النص الكريم تأكيد على أن عدداً من ذرية إبراهيم عليه السلام سوف يلتزم نهجه، وأن عدداً آخر لن يلتزم هذا النهج، وقد تحقق ذلك بالفعل. وفي النص تأكيد كذلك على أن مَن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، كما أشار نبينا المصطفى ﷺ وهي حقيقة من حقائق الشرع الحنيف لأن الله ـ تعالى ـ يفاضل بين عباده المكلفين على أساس من تقوى الله والعمل الصالح، وليس على أساس من العرق والدم والنسب كما يدّعي اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه مهما كانت أعمالهم!! وقد كذبهم القرآن الكريم، كما كذّبتهم أحداث التاريخ في دعواهم الباطلة تلك. ولذلك يتبرأ عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام من كل فرد يأتي من نسله، ثم لا يؤمن بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وينزهه ـ تعالى ـ عن الشبيه، والشريك، والمنازع، والصاحبة والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. فإذا ادّعى اليهود أن (عزيراً) هو ابن الله، أو ادّعى النصارى ذلك للمسيح عيسى ابن مريم فقد خرجوا عن ملّة إبراهيم، وعصوا تعاليمه وخرجوا على دعوته حتى لو كانوا من صميم نسله. وبذلك تسقط كل دعاوي اليهود والنصارى بأن لهم نسباً بإبراهيم عليه السلام، ويبقى هذا النص الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وتبقى أبواب الرحمة والمغفرة الإلٰهية مفتوحة لمن يشاء الله له الهداية من عباده.

خامساً: في قوله ـ تعالى ـ على لسان عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 37].

في هذا النص الكريم وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله وذلك في ورود التعبير **(من ذريتي)** لأن فرعاً واحداً من ذرية إبراهيم هو الذي أسكن عند بيت الله الحرام، وهو فرع سيدنا إسماعيل، الذي ختم ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى أنبياء الله أجمعين ـ، وهو من الحقائق التاريخية الراسخة.

سادساً: وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37].

وهذه ومضة أخرى من ومضات الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في هذا النص الكريم، وذلك لأن وادي مكة في ذلك الزمان كان قفراً، لا زرع فيه ولا ثمر، ولا ماء ولا أثر لبشر، ولذلك لم يقل القرآن الكريم: (بوادي غير ذي نبت) لأن الزرع لا يتحقق إلّا في الأماكن الآهلة بالسكان، الذين منهم من يستطيع القيام بالزراعة إذا توافرت شروطها. ولما لم يكن في الحرم المكي كله أي مقيم ساعة أن أُمِرَ عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام بوضع زوجه السيدة هاجر ـ عليها رضوان الله ـ ورضيعها إسماعيل عليه السلام عند قواعد البيت الحرام فقد انتفت إمكانية وجود أية زراعة، ولم تنتف إمكانية وجود بعض النباتات الفطرية من مثل العضاة، والسلم، والسمر وغيرها، لأن لفظة (نبات) كلمة عامة تشمل كل ما تنبته الأرض بالفطرة أو بالزراعة.

سابعاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37].

وهذا النص القرآني الكريم يمثل دعوة أطلقها عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام منذ حوالي أربعة آلاف سنة، فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعوته وتحققت، ولا تزال تتحقق إلى اليوم، وإلى ما شاء الله تعالى. فمن الثابت تاريخياً أنه لم يكن هناك ساكن واحد في وادي مكة زمن بعثة إبراهيم عليه السلام، واليوم وصل تعداد سكانه المقيمين قرابة مليون نسمة، ووصل أعداد الحجاج والمعتمرين إلى عدة ملايين في كل عام. ولا تزال قلوب مئات الملايين من المسلمين تهفو لزيارة مكة المكرّمة سواءً استطاعوا تحقيق ذلك أو لم يستطيعوا. والتعبير القرآني: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: يا ربنا إني طاعة لك وانصياعاً لأمرك أسكنت من ذريتي: ولدي إسماعيل وأمه بوادٍ قفر عند بيتك المحرم، وهو وادي مكة، الذي لم يكن فيه ماء ولا بشر، ولا زرع ولا ثمر، فيا ربنا اجعل قلوب عدد من الناس

تقبل عليهم في مودة، وحنان، وسلام ليؤنسوا وحدتهم، ويعمروا المكان من حولهم حتى يحسنوا عبادتهم وخضوعهم بالصلاة لجلالك. ومن معاني ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع الخطى إليهم شوقاً وتلهفاً ومحبةً وتودداً، وهي بشرى عمارة الحرم المكي وجعله آمناً، وانتشار الإسلام بين جميع أجناس الأرض، وهو ما تحقق بالفعل. ومن معجزات هذا النص القرآني الكريم الإنباء بهذه الدعوة، واستخدام حرف الجر (من) للتبعيض لأنه لو قال (فاجعل أفئدة الناس) لانهال عليهم المسلمون من كل صوب حتى يعجز المكان عن استيعابهم.

ثامناً: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

هذا النص القرآني الكريم هو من بقية دعاء إبراهيم ﷺ لمن أسكن من ذريته بوادي مكة. وقد استجاب الله ﷻ لهذا الدعاء، فرزق أهل هذا الوادي غير ذي الزرع ثماراً تجبى إليه من كل أماكن الأرض، ليكون في ذلك عوناً لهم على طاعة الله ـ تعالى ـ وعبادته، وعلى شكره وحمد نعمه، وعلى الاستمرار في رعاية بيته الحرام، وخدمة الحجاج إليه والمعتمرين به. وكانت هذه الثمار ولا تزال يؤتى بها من جميع بقاع الأرض إلى أهل مكة المكرّمة وإلى من جاورهم من أهل الجزيرة العربية، وهنا تتضح ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

تاسعاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: 38].

في هذه الآية الكريمة ما يثبت إحاطة علم الله ـ تعالى ـ بكل شيء، والعلوم المكتسبة تؤكد حتمية وجود مرجعية للكون في خارجه. كما تؤكد على أن هذه المرجعية لا بد وأن تكون مغايرة مغايرة كاملة للكون ولجميع الكائنات، فلا يحدها أي من المكان أو الزمان، ولا يشكلها أي من المادة أو الطاقة. وهذه المرجعية لوجودها خارج الكون فلا بد وأن تكون محيطة بكل صغيرة وكبيرة فيه، ومن ذلك أمور الكائنات جميعاً، ومنها الإنسان الذي يعلم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ما يخفى كل فرد منا وما يعلن. ومن باب التأكيد على محدودية علم الإنسان تشير المعارف

المكتسبة إلى أن نسبة المعروف من مادة الكون المنظور هي في حدود (1%) فقط، والباقي يعرف باسم المادة الداكنة (الخفية)، ومن هنا كان التأكيد الجازم على حقيقة علم الله ـ تعالى ـ لما هو موجود في كل قلب من قلوب عباده، سواء أسره العبد من عباد الله أو أعلنه، وأن الله ـ تعالى ـ لا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهي من الحقائق التي تقررها هذه الآية الكريمة التي تجسد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله بحقيقة يجهلها كثير من الناس.

عاشراً: في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39].

أي: الحمد للَّه الذي رزقني ـ على كبر سني وشيخوختي ـ إسماعيل وإسحاق، استجابة لإلحاحي عليه بالدعاء، فإن الله ـ تعالى ـ مجيب لدعاء من دعاه. وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى قدرة الله على إعطاء الذرية لمن يشاء حتى في السن الطاعنة في الكبر، وهو ما حدث مع كل من أنبياء الله: إبراهيم، وزكريا، وأيوب عليهم السلام، ومع غيرهم ممن استجاب الله ـ تعالى ـ دعاءهم وهو ـ تعالى ـ سميع مجيب الدعوات. وهذه الآية الكريمة تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله كما تؤكد حقيقة تاريخية يجهلها كثير من الناس.

حادي عشر: في قوله ـ تعالى ـ على لسان عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: 40، 41].

وهذه هي الدعوة السادسة التي يخبرنا القرآن الكريم بأن عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام قد توجه إلى الله ـ تعالى ـ بالدعاء بها. ومضمون هذه الدعوة: أن يا ربّ اجعلني ممن يحافظون على الصلاة، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها، وذلك لأن إبراهيم كان يعلم تمام العلم أن الصلاة هي عماد الدين، ولا يضمن أن يكون جميع أفراد ذريته ممن يحافظون عليها. وكذلك قال: (ومن ذريتي)، و(من)

هنا للتبعيض، وإن كان إبراهيم عليه السلام يتمنى على الله ـ تعالى ـ أن يكون جميع أفراد ذريته من المحافظين على الصلاة.

وفي هاتين الآيتين الكريمتين تأكيد على أن نسل إبراهيم عليه السلام لن يكون كله مقيماً للصلاة، ولذلك قال: (ومن ذريتي)، وفيهما أيضاً تذكرة لضرورة طلب المغفرة للوالدين، وللمؤمنين باستمرار خاصةً في يوم الحساب.

وهذه الوقائع لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، وإن جاءت به إشارات متناثرة إلى جبال «باران» أو جبال «فاران» وهي جبال مكة المكرّمة. كما جاءت في «العهد القديم» إشارات مبهمة إلى بئر وضع عندها إبراهيم زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل، لكن ورود الواقعة في القرآن الكريم بهذا التفصيل الدقيق يعتبر إعجازاً إنبائياً وتاريخياً مفرداً، كما أن الدقة العلمية البالغة التي صيغت بها الواقعة تعتبر من صميم الإعجاز العلمي في كتاب الله [قارن الرواية القرآنية بما جاء عنها في «العهد القديم» (21/ 1 ـ 21) ليتضح الفرق بين كلام الله ورواية البشر!!].

وهذا الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام ربِّ العالمين، الذي حفظ بإرادته على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، كما أوحاه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ. وقد تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ آخر رسالاته السماوية في نفس لغة وحيها ـ اللغة العربية ـ فحفظت على مدى تجاوز الأربعة عشر قرناً دون أن يضاف إليها أو أن يختصر منها حرف واحد. وتعهد ربنا ﷻ بحفظ القرآن الكريم تعهداً مطلقاً حتى يبقى هذا الكتاب المجيد شاهداً على الخلق أجمعين إلى ما شاء الله بأنه كلام ربِّ العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربِّ العالمين.

35 ـ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: 26].

هذه الآية القرآنية الكريمة تشير إلى أن أول بيت وضع للناس في الأرض (وهو الكعبة المشرّفة) كان قد تهدم قبل بعثة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام. ولذلك عرَّف الله ـ تعالى ـ عبده إبراهيم بقواعد البيت، وأمره برفعه من تلك القواعد. وأكد عليه أن هذا البيت ـ هو أول بيت عُبِدَ الله ـ تعالى ـ فيه على هذه الأرض.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإن هذا البيت يجب أن يكون خالصاً للَّه ـ تعالى ـ وحده دون سواه، وأن يحافظ على طهارته من دنس الشرك والمشركين، وأن تستمر تلك الطهارة لكل من الطائفين والقائمين والركع السجود وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: 26 ـ 29].

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا النص الكريم ما يلي:

1 ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي ساويناه له وهيأناه، أو جعلناه (مباءة) أي مرجعاً له عليه السلام يرجع إليه بين الفترة والفترة للعمارة والعبادة. والأمر بتطهير بيت الله من الأرجاس الحسية والمعنوية من مختلف صور الشرك، والكفر، والابتداع، والضلال كان أمراً لازماً، لأن الناس كانوا قد غرقوا فيها إلى آذانهم من قبل زمن عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام. والمقصود بمكان البيت هنا هو موضع أساسات الكعبة

المشرّفة، بيت الله الحرام الذي حرّمه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ يوم خلق السمٰوات والأرض. وهذا البيت هو أول بيت وُضع للناس في الأرض، وذلك لقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: 96].

والواضح من كل من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة أن الذي بنى هذا البيت ابتداءً هم الملائكة الذين بنوه بأمر من الله ﷻ في هذه البقعة المباركة التي حرّمها الله بعلمه وحكمته وإرادته يوم خلق السمٰوات والأرض. وكان بناء الكعبة المشرفة تهيئة لخلق أبوينا آدم وحواء ـ عليهما من الله السّلام ـ ويقدر تاريخ خلقهما على الأرض بحدود أربعين ألف سنة مضت، بينما يقدر عمر الكون بحوالي 13.7 بليون سنة. لذلك يخبرنا رسول الله ﷺ بأن أول مَن طاف بالبيت الحرام هم الملائكة، وتلى ذلك طواف آدم عليه السلام، ومن بعده طواف أنبياء الله الذين كان منهم كل من نوح، وهود، وصالح وشعيب عليهم السلام ونفر من الذين آمنوا معهم.

وإذا كان أبو البشرية آدم عليه السلام قد عاش في حدود 40,000 سنة مضت، وكان إبراهيم عليه السلام قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، فإن الفارق الزمني بينهما يكون في حدود 36000 سنة. وفي خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة لا بدّ وأن البيت الحرام كان قد تهدّم وبُني عدة مرات، ثم ضاعت معالمه، ولذلك بعث الله ﷻ ملائكته الكرام لتبين لعبده ونبيه إبراهيم مكان البيت حتى يعيد بناءه من جديد هو وولده إسماعيل عندما يبلغ أشده، ولذلك قال ربنا ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: 26].

أي: أظهرنا له قواعد البيت الحرام بشيء من السوية حتى يسهل تعرفه عليها، فيبدأ برفع قواعد البيت منها عندما نأمره بذلك انطلاقاً من قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: 127].

وجميع الآثار في الحرم المكي تؤكد أن الذي رفع القواعد من البيت هو إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، خاصة وأن بالحرم المكي مقام إبراهيم، وبئر زمزم، والحجر الأسود، وقبر كل من عبد الله ونبيه إسماعيل وأمه عليهما السلام في حجر إسماعيل، والعديد من الآثار المتعلقة بهذين النبيين الكريمين من أنبياء الله. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يرد في أي من «العهد القديم» أو «العهد الجديد» أية إشارة إلى أن كلاً من إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام هما اللذان رفعا القواعد من الكعبة المشرّفة، مما يجعل من هذه الآيات القرآنية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وينفى نفياً قاطعاً ادِّعاء عدد من المبطلين من غلاة اليهود والنصارى أن القصص القرآني منقول عن «العهد القديم».

وجاء الحديث عن بناء الكعبة على لسان ابن عباس رضي الله عنه على النحو التالي:

أول ما اتخذ الناس المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند مكان البيت، عند دوحة فوق مكان زمزم في أعلى مكان من موضع المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آللَّه أمرك بهذا؟ فقال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه مكان البيت، ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يده قائلاً:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

[إبراهيم: 37].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من سقاء الماء حتى إذا نفد ما في سقاء الماء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً، وفعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس ﷺ: قال النبي ﷺ: **«فلذلك سعي الناس بينهما»**، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: لقد سمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيديها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً»**. وأضاف ابن عباس قوله: **فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله»**[1].

وقد جاء في «العهد القديم» تحت عنوان **«ملاك الربّ وهاجر»** (سفر التكوين: 16/ 7 ـ 16) كلام فيه شيء من الشبه مع كلام ابن عباس ﷺ لأن الروايتان لهما أصل واحد، ولكن شتان بين كلام الله ورواية البشر، وعلى ذلك فإن الآيات القرآنية في هذا المقام تبرز كوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي فيما سجله هذا الكتاب العزيز من أن عبد الله ونبيه إبراهيم وابنه النبي إسماعيل عليهما السلام هما اللذان رفعا القواعد من البيت الحرام في مكة المكرّمة.

2 ـ في قول ربنا ﷻ لعبده ونبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: 27] نرى

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم (3364).

وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله، لأن عدد الحجيج إلى بيت الله ظل في تزايد مستمر على مدى القرون الأربعة عشر الماضية حتى وصل إلى قرابة أربعة ملايين حاجاً سنوياً في زماننا، بالإضافة إلى عشرات الملايين من المعتمرين على مدار السنة. والذي ينظر إلى واقع مكة المكرّمة في كل من زمن عبد الله ونبيه إبراهيم، وزمن خاتم المرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ وفي زمننا الراهن ما كان يمكن له أن يتنبأ بمثل هذا التزايد المطرد في عدد الحجاج والمعتمرين أبداً. وسوف يظل عددهم في تزايد مستمر إلى ما شاء الله ﷻ، تحقيقاً لهذا الإنباء القرآني الكريم.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي ناد فيهم وأعلمهم بفريضة الحج، وهي من أركان الإسلام. وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي مشياً على أرجلهم، ورجالاً هو جمع راجل أو رجل، وهو مَن ليست له وسيلة من وسائل الركوب أو المواصلات، أي مَن ليس له ظهر يركبه، وقد تحقق ذلك بالفعل.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي ويأتوك ركباناً على كل حيوان مهزول (بعير أو غيره) أنهكته المسافات الطويلة التي سارها، نظراً لبعد الشقة فصار هزيلاً. واللفظ (ضامر) هو اسم فاعل من (ضمر) (يضمر) (ضموراً) فهو (ضامر)؛ أو من (ضمر) (ضمراً) فهو (ضامر). وهذا الاسم يطلق على كل من الذكر والأنثى من الإبل ومن غيرها، وهذا من بلاغة التعبير القرآني. وقد تحقق ذلك أيضاً بالفعل فجاء الحجيج إلى بيت الله الحرام على صهوة الحيوانات التي أضعفتها المسافات الطويلة التي قدمت عبرها.

3 ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إشارة واضحة إلى مجيء الحجاج لبيت الله الحرام من جميع أطراف الأرض، وقد تحقق ذلك بالفعل. فالحجاج اليوم يأتون من مسافات بعيدة، فيأتون من دول مثل كل من كندا والولايات المتحدة شمالاً إلى كل من أمريكا الجنوبية وجنوب

إفريقيا وأستراليا ونيوزلنده جنوباً، ومن كل من روسيا والصين واليابان والفلبين وإندونيسيا وماليزيا شرقاً إلى الأمريكيتين غرباً.

هذا بالإضافة إلى أن بالنص القرآني إشارة واضحة إلى كروية الأرض في زمن شيوع انبساطها وامتداداتها الأفقية نظراً لضخامة أبعادها. ويستنتج ذلك من حقيقة أن (الفج) في اللغة هو الشقة الفسيحة بين جبلين، وجمعه (فجاج)، ووصف الفج بالعميق (أي البعيد سفلاً) فيه إشارة ضمنية إلى كروية الأرض، لأن الامتداد البعيد السفلي لا يكون إلا إذا كانت الأرض على هيئة الكرة، أو شبه الكرة، وهو ما أثبته العلم مؤخراً.

والتعبير القرآني: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ فيه إشارة أيضاً إلى ضخامة أبعاد الأرض، لأن عميق يعني بعيداً (من العمق)، وأصله البعد سفلاً كما سبق وأن أشرنا، ومنه بئر عميقة، أي غائرة أو غائر قاعها إلى أسفل. وبالإضافة إلى أن وصف الفج بالعمق فيه إشارة إلى كل من كروية الأرض، وضخامة أبعادها، فإن التعبير فيه إشارة أيضاً إلى أن الناس سوف يقصدون الحج من مختلف أماكن الأرض المكورة، مهما تباعدت المسافات، واختلفت وسائل المواصلات، وقد تحقق ذلك بالفعل أيضاً، مما يجعل من هذا النص وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله خاصة وأنه لم ترد أية إشارة إلى هذه الواقعة في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

وأوجه الإعجاز التاريخي، والإنبائي، والعلمي في هذه الآيات الأربع، مع روعة البيان، وجمال النظم، والدقة البالغة في اختيار الألفاظ مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين ـ إلى يوم الدين ـ بأنه كلام ربّ العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

36 ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: 127].

تؤكد هذه الآية الكريمة أن عبد الله ونبيه إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام هما اللذان رفعا القواعد من البيت الحرام القائم إلى اليوم في مكة المكرّمة.

وقد فصلت آيات القرآن الكريم قصة هذين النبيين الكريمين اللذين عاشا في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد تفصيلاً غير مسبوق. ولو سلمنا بأن العرب كانوا يعرفون ـ هذه الحقيقة بواسطة الأخبار المتناقلة عبر الأجيال ـ فمن أين لنبينا الأميّ ﷺ هذه التفاصيل الدقيقة عن هذين النبيين الكريمين لو لم يكن موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض؟ ومن هنا فإن القصص القرآني كله يمثل جانباً من جوانب الإعجاز في كتاب الله نسميه باسم الإعجاز الإنبائي والتاريخي.

وتبدأ قصة هذين النبيين الكريمين في سورة «البقرة»، قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ

أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: 124 ـ 141].

وفي هذه الآيات عدد من المعجزات الإنبائية والتاريخية نذكر منها ما يلي:

أولاً: التأكيد على أن الذي رفع القواعد من البيت الحرام هما النبيّان الكريمان إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأن الواضح من القرآن الكريم ومن السُّنَّة النبوية المشرّفة أن الذي بنى هذا البيت ابتداءً هم الملائكة، الذين بنوه بأمر من الله ـ تعالى ـ في هذه البقعة المباركة التي حرمّها الله سبحانه وتعالى يوم خلق السمٰوات والأرض. وفي الفترة الزمنية الطويلة بين آدم وإبراهيم عليهما السلام تهدَّم البيت الحرام وأعيد بناؤه عدة مرات، حتى انتهى به الأمر إلى الهدم الكامل قبل بعثة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام. ونتيجة لذلك بعث الله سبحانه وتعالى ملائكته لتبين لعبده ونبيه إبراهيم مكان البيت، ولذلك قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: 26].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: 127].

ثانياً: الإنباء بأن الله ـ تعالى ـ قد استجاب دعوة عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام التي يسجلها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: 126].

فقد قدّر الله تعالى أن يجعل من مكة المكرّمة بلداً آمناً أمناً كاملاً في مختلف المجالات: الفطرية، والاجتماعية، والاقتصادية. لذلك حفظها الله بقدرته من كثير من الكوارث الطبيعية المحيطة بها، وساق إليها الرزق بعد أن عمَّرها، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها. فأصبحت مكة المكرمة اليوم حاضرةً من أهم حاضرات العالم، إن لم تكن أهمها على الإطلاق (بالنسبة للمسلمين على أقل تقدير). وأصبحت الأرزاق تساق إليها من مختلف بقاع الأرض على مدار السنة دون انقطاع، ويجتمع فيها الملايين من البشر في الحج والعمرة فلا يقصر دونهم شيء من طعام، أو شراب، أو كساء، أو دواء أو وسائل مواصلات واتصال. وقد تحقق ذلك كله بالفعل استجابةً لدعوة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام، وتشريفاً لإقامة كل من نبي الله إسماعيل عليه السلام وخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم فيها، وتقديراً لمباركتها وتحريمها يوم خلق الله السمٰوات والأرض. من هنا فإن تسجيل القرآن الكريم لحقيقة أن الذي رفع القواعد من «البيت الحرام» هما عبد الله ونبيه إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، خاصة وأن «العهد القديم» قد أغفل ذكر هذه الحقيقة بالكامل.

ثالثاً: الإخبار عن دعوة كل من النبيين إبراهيم وولده إسماعيل أن يجعل الله تعالى من ذريتهما أمة مسلمة ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: 128]، وقد تحقّق لهما ذلك في حياتهما، ومن بعدهما حتى اليوم، وسيبقى محققاً إلى أن يشاء الله تعالى. وبقاء أمة الإسلام ممثلة بقرابة ربع مجموع سكان الأرض اليوم، واعتراف جميع أجهزة الاستخبارات العالمية بأن الإسلام هو أسرع

الأديان انتشاراً في عالم اليوم يمثل تحقيقاً واقعاً لهذه الدعوة النبوية المجابة، ويمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

رابعاً: الإنباء باستجابة دعوة هذين النبيين الكريمين (سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام). هذه الدعوة التي عبر عنها القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129]. وقد تحققت هذه الدعوة في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في مكة المكرّمة، وجاء وهو يحمل الكتاب والحكمة، ويزكي الناس بهما. وتسجيل القرآن الكريم لتلك الدعوة المستجابة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، كما أن فيه تأكيد على وحدة رسالة السماء القائمة على أساس من دين الله (الإسلام) الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، وتأكيد كذلك على الأخوة بين الأنبياء، وقد أمرنا أن نؤمن بهم جميعاً دون أدنى تفريق.

خامساً: إعادة التأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء جميعاً، وقد كان دينهم واحداً. (هو الإسلام العظيم). وهذا الدين ـ الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، علّمه ربنا لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وفي النهاية أكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سُنَّة خاتم المرسلين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 130 ـ 133].

سادساً: التأكيد على أن إبراهيم عليه السلام كان مسلماً، ولم يكن يهودياً، ولا

نصرانياً، وقد تطهر من عبادة كل شيء إلا الله (من مثل الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب، وغير ذلك من مختلف صور الشرك بالله)، وهكذا كان جميع رسل الله وأنبيائه الذين قال فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: 135 ـ 138].

وإقرار القرآن الكريم لتلك الحقيقة في وجه ادعاء كل من المشركين من كفار مكة، ومن يهود ونصارى اليوم انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

فقد كانت قريش في جاهليتها تعتز بنسبتها إلى إبراهيم عليه السلام عن طريق ولده إسماعيل عليه السلام، وتستمد من ذلك كلاً من القوامة على البيت الحرام، وسلطانها على العرب جميعاً. ثم يأتي خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ليؤكد أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى. كما جاء ليؤكد أن إبراهيم عليه السلام والصالحين من ذريته، وجميع أنبياء الله ورسله كانوا على الإسلام القائم على التوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ، وأن هذا الدين الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه ليس احتكاراً لأحد من الخلق. ولذلك استحق عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام أن يكون إماماً للناس. ولكن قبل البعثة المحمدية الشريفة كان أغلب الناس قد انحرفوا عن ملّة إبراهيم، ثم جاء الرسول الخاتم ﷺ بملّة إبراهيم (وهي الإسلام العظيم في تمامه وكماله) استجابةً لدعوة كل من عبد الله ونبيه إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام فاستحق الصالحون من أمة محمد ﷺ هذا الميراث الديني الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه. ويؤكد ذلك أن إبراهيم عليه السلام حين استمع إلى

تشريف الله ـ تعالى ـ له بقوله العزيز: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فجاء الرد الإلهي قاطعاً حاسماً: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. وهذه الواقعة تعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لم يرد لها ذكر في «العهد القديم».

سابعاً: إثبات أن الله ﷻ قد تعهد لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالنصر، وبأنه ـ تعالى ـ سوف يكفيه شر كل كافر ومشرك ومنافق وظالم، وقد تحقق له ذلك بالفعل، كما تحقق لأمته من بعده، رغم كيد الكائدين، وتآمر المتآمرين من شياطين الإنس والجن. وفي ذلك يوجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137].

ويضيف قوله الحق: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: 139 ـ 141].

وكل واحدة من الآيات التي استشهدنا بها هنا تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وذلك لأن ملّة إبراهيم عليه السلام كانت قد محيت من ذاكرة الناس في زمن الجاهلية التي سادت العالم قبل البعثة المحمدية الشريفة. وبعد مرور قرابة ألفين وخمسمائة سنة، بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في أوائل القرن السابع الميلادي (610 ـ 632م) ليعيد للبشرية كلها سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ونور الإسلام الذي حمله مئات الآلاف من الأنبياء ومئات المرسلين من قبل، ويؤكده من جديد.

وإن كانت سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام قد ذكرت في «العهد القديم» إلا أن ذلك قد جاء ببضع إشارات ركيكة مفكّكة، مليئة بالأخطاء العقدية والتاريخية. وبذلك يبقى الفارق بين رواية القرآن الكريم وتلك الإشارات هو الفارق بين

كلام الله المحيط علمه بكل شيء، وكلام البشر بكل ما فيه من القصور، والنقص، والبعد عن الكمال، وبالخلط بين الوقائع والأماكن، والتواريخ للقصور المعروف في طبيعة الذاكرة الإنسانية، خاصة مع ضياع أصول التوراة، وإعادة كتابتها من الذاكرة بأيدي مَن هم ليسوا بالرسل ولا بالأنبياء، وكان ذلك قد وقع بعد وفاة عبد الله ونبيه موسى ﷺ بأكثر من ثمانية قرون. [انظر عرض «العهد القديم» لقصة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ والتي صورناها في الصفحات (287 ـ 296) من كتابنا هذا الذي بين يدي قارئه الكريم].

ونص رواية القرآن الكريم لقصة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ تشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما نشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

37 ـ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج: 27].

هذه الآية القرآنية الكريمة تمثل أمراً من الله ـ تعالى ـ إلى عبده ورسوله إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج أي: يدعوهم إلى أداء هذه الفريضة التي فرضها الله ـ تعالى ـ على جميع عباده المؤمنين. وفي ذلك يقول ابن عباس رضي الله عنه: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قيل له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب! وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليَّ الإبلاغ، فصعد إبراهيم على (جبل أبي قبيس) وصاح: يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار فحجّوا، فأجابه مَن كان في أصلاب الرجال، وأرحام النساء: لبيك اللَّهم لبيك»[1]. ويعتبر ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، لا نظير له في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في الآية الكريمة:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾.

الحج يعني قصد مكة المكرّمة لأداء عبادة الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، وما يتبع ذلك من مناسك يؤديها كل مسلم، بالغ، عاقل، حر مستطيع، ولو مرة واحدة في العمر، وذلك استجابةً لأمر الله، وابتغاء مرضاته. والحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو فرض من الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة، وحق للّه ـ تعالى ـ على المستطيعين من عباده ذكوراً وإناثاً لقوله ـ تبارك وتعالى ـ:

(1) رواه البيهقي في الشعب حديث رقم (3734).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 97].

والحج هو عبادة من أجلِّ العبادات وأفضلها عند ربِّ العالمين لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **ثم جهاد في سبيل الله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **ثم حج مبرور**»[1] (والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم).

وأصل (العبادة) الطاعة، والتعبد هو التنسك. والطاعة المبنية على أساس من الطمأنينة العقلية والقلبية الكاملة لا تحتاج إلى تبرير، ولكن إذا عرفت الحكمة من ورائها أدّاها العبد بإتقان أفضل، وكان سلوكه في أدائها أنبل وأجمل، وكان أجره على حسن أدائها أوفى وأوفر. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في أداء فريضة الحج، وذلك لشدة الزحام، ولمحدودية كل من الوقت والمكان، ولكثرة التكاليف الشرعية في هذه الفترة المحدودة. ولكن إذا فهمت الحكمة من أداء هذه الفريضة العظيمة أدّاها العبد أحسن الأداء وأكمله، وأعان غيره من إخوانه على حسن أدائها، وذلك بالفهم الصحيح، والإيمان العميق، والالتزام بالنظام، والإيثار على النفس، تقرباً إلى الله ـ تعالى ـ وتضرعاً، وحباً في عون عباده والمبادرة إلى نجدتهم، واعتبار ذلك من تمام أداء هذه الفريضة التي يساويها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالجهاد، وذلك بقوله الشريف: «**جهاد الكبير والضعيف والمرأة: الحج**»[2].

ومن مقاصد الحج ما يلي:

(أ) تعريض كل من حج البيت ـ ولو لمرة واحدة في العمر ـ لكرامة أشرف بقاع الأرض في أشرف أيام السنة، فيتضاعف الأجر إن شاء الله أضعافاً كثيرة.

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الإيمان حديث رقم (26).

(2) أخرجه النسائي في كتاب الحج حديث رقم (2625).

فاللَّه ـ تعالى ـ خلق كلًّا من المكان والزمان، وجعلهما أمرين متواصلين، فلا يوجد مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان. وكما فضّل الله بعض الرسل على بعض، وبعض الأنبياء على بعض، وبعض أفراد البشر العاديين على بعض، فضّل ﷻ بعض الأزمنة على بعض، وبعض الأماكن على بعض. فمن تفضيل الأزمنة جعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ يوم الجمعة أفضل الأيام الأسبوع، وجعل شهر رمضان أفضل شهور السنة، وجعل الليالي العشر الأخيرة من هذا الشهر الفضيل أشرف ليالي السنة، وجعل أشرفها على الإطلاق «ليلة القدر» التي جعلها الله ـ تعالى ـ خيراً من ألف شهر. ومن بعد رمضان يأتي فضل أشهر الحج، ومن بعدها تأتي بقية الأشهر الحرم.

ومن أيام السنة جعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أشرفها الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وجعل أشرفها على الإطلاق يوم عرفة، وفي ذلك يروى عن جابر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل: هذا أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ قال ﷺ: هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي. جاؤوني شعثاً غبراً ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يرَ يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة، ولذلك كان الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم**»[1].

ومن تفضيل الأماكن، فضل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مكة المكرّمة، وحرمها الشريف على جميع بقاع الأرض، ومن بعدها فضل مدينة رسول الله ﷺ، ومن بعدها فضل بيت المقدس، كما جاء في العديد من أحاديث رسول الله

(1) أخرجه ابن حبان حديث رقم (3853).

ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ. فإذا اجتمع فضل المكان وفضل الزمان، تضاعفت البركات والأجور إن شاء الله.

ومن هنا كان من حكم فريضة الحج ـ بالإضافة إلى كونها طاعة للأمر الإلهي ـ هو تعريض كل مسلم بالغ عاقل حر، مستطيع، ذكراً كان أو أنثى ـ ولو لمرة واحدة في العمر ـ لبركة أشرف بقاع الأرض ـ الحرم المكي الشريف ـ في بركة أشرف أيام السنة ـ الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة ـ فيتضاعف الأجر إن شاء الله أضعافاً كثيرة، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 97].

وقال المصطفى ﷺ: **«هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاجٍّ أو معتمر، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة»**[1].

وروى كل من الإمامين البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلَّا الجنة»**[2].

وروى كل من الإمامين الترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلَّا الجنة»**[3].

(ب) تذكير الحاج بمرحلية الحياة، وبحتمية الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ:

على الرغم من حقيقة الموت الذي كتبه الله ـ تعالى ـ على جميع خلقه،

(1) المعجم الأوسط للطبراني رقم (9033).

(2) أخرجه البخاري حديث رقم (1773)، ومسلم حديث رقم (3276).

(3) أخرجه النسائي (2629)، والترمذي (810).

والذي يشهده أو يسمع به كل حي في كل لحظة، وعلى الرغم من إيماننا ـ نحن معشر المسلمين ـ بحتمية البعث والحساب والجزاء، ثم الخلود في الحياة القادمة، إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً (وهي من الأصول الإسلامية التي أكدها القرآن الكريم وروتها أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ) إلّا أن دوامة الحياة ومشاغلها تكاد تنسي الناس هذه الحقائق التي هي من صلب الدين.

وعلى الرغم من أن الموت ليس انتهاءً إلى العدم المحض والفناء التام، لأن الروح لا تبلى بل تصعد إلى بارئها، ويبلى الجسد ويتحلل، وتبقى منه فضلة يعاد بعث كل حي منها وهي «عجب الذنب» كما سمّاها رسول الله ﷺ، إلّا أن الموت يبقى مصيبة ـ كما سمّاه القرآن الكريم ـ ويبقى الأخطر من مصيبة الموت غفلة الناس عنه، وإعراضهم عن ذكره، وقلة تفكيرهم فيه، وانصرافهم عن العمل له، وانشغالهم بالدنيا حتى أنستهم إياه أو كادت.

وهنا تأتي شعيرة الحج لتخرج الناس من دوامة الحياة ـ ولو لفترة قصيرة ـ وتذكرهم بحتمية العودة إلى الله ـ تعالى ـ وذلك على النحو التالي:

1 ـ غسل الإحرام يذكر الحاج بغسله ميتاً وهو لا يملك لنفسه شيئاً بين أيدي مغسله، وهو رمز للتطهر من الذنوب والآثام.

2 ـ الإحرام يذكر الحاج بالخروج من الدنيا بلا أدنى زينة أو ملك، كما يذكر بالكفن الذي سوف يلف فيه جسده بعد تغسيله.

3 ـ النية بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً هي عهد بين العبد وربّه بالاستقامة على منهج الله.

4 ـ الوقوف عند الميقات يذكر الحاج بأجله الذي حدده الله ـ تعالى ـ له، والذي يقول فيه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: 145].

والانتقال من الحل إلى الحرم عبر الميقات يذكر بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة عبر الموت؛ والتلبية جعلت نداءً إلى الله، واستنجاداً برحمته، واحتماءً بحماه.

5 ـ والطواف حول الكعبة المشرّفة يذكر بضرورة الانتظام مع حركة الكون في خضوعه لأوامر الله ـ تعالى ـ وانصياعه لقوانين هذا الخالق العظيم وسننه، في عبادة وذكر دائمين، كما أن بداية الطواف ونهايته تؤكدان بداية الأجل ونهايته، وهي حقيقة يغفل عنها كثير من الناس.

6 ـ والصلاة في مقام إبراهيم تذكر بجهاد الأنبياء والمرسلين، وبمقام الصالحين عند ربِّ العالمين، ومن هؤلاء أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

7 ـ والشرب من ماء زمزم بنية العلم النافع، والرزق الواسع، والشفاء من كل داء وسقم، يؤكد قدرة ربِّ العالمين التي لا حدود لها، ولا عائق يقف في سبيلها من أجل إكرام عباده الصالحين.

8 ـ والسعي بين الصفا والمروة يذكر بأم إسماعيل عليه السلام وهي تركض بين هاتين التلتين؛ بحثاً عن الماء لصغيرها. ونتيجة لإخلاصها، ولثقتها في قدرة ربها ورحمته، أكرمها الله ـ تعالى ـ بجبريل يضرب الأرض بجناحه، أو بعقبه فيفجر ماء زمزم من صخور مصمطة لا مسامية لها، وتظل هذه البئر المباركة؛ والمعجزة تفيض على مدى أربعة آلاف سنة.

9 ـ والنفرة إلى منى ثم إلى عرفات تذكر بيوم البعث في زحامه وشدته.

10 ـ والوقوف بعرفات يذكر بالعرض الأكبر بين يدي الله ـ تعالى ـ في يوم الحشر.

11 ـ والمبيت بالمزدلفة يذكر بآلاف الأنبياء ومئات المرسلين الذين حجّوا من قبل، والذين نزلوا بهذا المنزل؛ تأكيداً على وحدة الدين، وعلى الأخوة بين أنبياء ربِّ العالمين، وإحياءً لسُنَّة خاتمهم ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ.

12 ـ والنحر يذكر بفداء الله ـ تعالى ـ لنبيه إسماعيل؛ إكراماً لطاعته وطاعة أبيه إبراهيم لأوامر ربِّ العالمين وإحياء لسُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ.

13 ـ والحلق أو التقصير يرمز للتطهر من الذنوب والآثام.

14 ـ ورمي الجمار فيه تأكيد على حتمية مجاهدة العبد المؤمن من أجل الانتصار على الشيطان الذي يقف له دوماً بالمرصاد، والرجم رمز لذلك الانتصار، وعهد مع الله ـ تعالى ـ على الاجتهاد من أجل تحقيقه.

15 ـ والتحلل من الإحرام وطواف كل من الإفاضة والوداع رمز لانتهاء هذه الشعيرة العظمى، وعودة إلى دوامة الحياة من جديد بذنب مغفور، وعمل صالح مقبول، وتجارة مع الله ـ تعالى ـ لن تبور إن شاء الله.

ومن هنا كان واجب كل عائد من أداء فريضة الحج أن يبدأ مع ربه صفحة جديدة، إطارها الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة: عبداً للَّه ـ تعالى ـ يعبده بما أمر، ويجاهد بصدق من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة دين الله وعدله على سطحها، والدعوة إلى هذا الدين بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة والمنطق السوي.

16 ـ وفي تحرك جموع الحجاج من كل عرق، ولون، وجنس، ولغة، في موكب واحد لأداء هذه الفريضة الكبرى؛ تأكيد على وحدة الجنس البشري المنبثق من أب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء ـ عليهما من الله السّلام ـ وتأكيد كذلك على وحدة رسالة السماء ـ وهي الإسلام العظيم ـ وعلى الأخوة بين الأنبياء، (وهم أبناء علات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى)، وعلى وحدانية ربِّ السمٰوات والأرض.

17 ـ والحج يمثل أول صورة من صور المؤتمرات الدولية قبل أن تعرفها المنظمات العالمية.

ومن الغريب أن يَرد ذكر كل من الحج وبكة (أي مكة) وجبالها (جبال باران

أو فاران) أكثر من مرة في «العهد القديم». ويبقى هذا الذكر في النصوص غير العربية لهذا العهد ـ على تعدد لغاتها ـ ولكنها حينما تنقل إلى العربية تمحى، أو تُزَوَّر، وتُبَدَّل، ومن ذلك ما جاء في المزمور الرابع والثمانين من «العهد القديم» والذي جاء فيه باللغة الإنجليزية ما يلي:

«How lovely is your dwelling place, O LORD Almighty! My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD; my heart and my flesh cry out for the living God... O LORD Almighty, my King and my God. Blessed are those who dwell in your house, they are ever praising you.

Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on **pilgrimage. As they pass through the Valley of Baca,** they make it a place of springs...».

(Psalms/Psalm 84/1-7).

وفي المقابل تماماً نجد الترجمة العربية محرفة تحريفاً هائلاً عن قصد لتقرأ: «ما أحلى مساكنك يا ربّ الجنود! تتوق بل تحن نفسي إلى ديار الربّ. قلبي وجسمي يرنمان بفرح للإله الحي... يا ملكي وإلٰهي: طوبى لمن يسكنون في بيتك، فإنهم يسبحونك دائماً.

«**طوبى لأناس أنت قوتهم. المتلهفون لاتباع طرقك المفضية إلى بيتك المقدس. وإذ يعبرون في وادي البكاء الجاف**، يجعلونه ينابيع ماء...».

(سفر المزامير/ المزمور رقم 84) «الكتاب المقدس كتاب الحياة» (عربي/ إنجليزي.

Holy Bible (New international Version).
Arabic/ English.
1999, by International Bible Society; 5th Print 2006.
1820, Jet Stream Drive, Colorado Springs.
Co. 80921-3696, U.S.A.

والفرق بين النصين الإنجليزي والعربي يؤكد التحريف، والهدف من التحريف غني عن التعليق.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾:

في هذا النص القرآني الكريم إعجاز إنبائي بغيب لم يكن متوقعاً في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، ويتمثل ذلك في فيض الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام بالملايين في كل عام منذ بعثة المصطفى ﷺ وحتى اليوم، وإلى أن يشاء الله. فلم يكن بمقدور أحد من الخلق أن يتخيل إمكانية استجابة المؤمنين من عباد الله الصالحين لدعوة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام والتي أمره الله ـ تعالى ـ بالأذان بها من قبل حوالي أربعة آلاف سنة. وكان الناس في أزمنة الجهالة والانحطاط، وقد نسوا هذه الدعوة التي تجددت على ألسنة عدد من الأنبياء والمرسلين من بعد إبراهيم ـ عليه وعليهم السَّلام ـ ثم نسيها الناس، إلى أن تجددت وتجسدت في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ واستمرت إلى اليوم. وقد أفاد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باستمرار الدعوة إلى حج بيت الله الحرام إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ. لذلك يتقاطر الحجاج والمعتمرون بالملايين في كل عام من جميع أنحاء الأرض، وقلوبهم تهفو إلى أداء هذه الفريضة المقدسة. ومن هؤلاء القادمون للحج فقراء معدمون لا يجدون وسيلة إلى تحقيق ذلك إلَّا بالسير على الأقدام لآلاف من الكيلومترات حتى يبلغوا بيت الله الحرام. ومنهم الذين يركبون الدواب أو يتخذون مختلف وسائل المواصلات لقطع هذه الآلاف من الكيلومترات حتى يجهدون وتنهك قواهم. والنص القرآني فيه كناية عما يعانيه المسافر لأداء فريضة الحج من مشقة ومجاهدة، مهما تطورت وسائل المواصلات، واستبدل بالأقدام وظهور الأنعام، القطارات والسيارات والسفن والطائرات، ومهما تطورت وسائل الاتصال، ومهما انتشر العمران في مناطق الحج المباركة وفيما حولها. وهنا يتساوى الفقراء والأغنياء وعوام الناس وأمراؤهم.

وهذا النص القرآني الكريم: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يبقى من صور الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، ظل يتحقق على مدى الأربعة عشر

قرناً الماضية في تزايد متواصل، وسوف يبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ، وفيه من الشهادة على صدق القرآن الكريم وإعجازه ما لا ينكره إلّا جاحد.

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾:

سبق أن أشرنا إلى أن **(الفج)** في اللغة هو الشق بين جبلين، ويستعمل في وصف الطريق الواسع، لأن الأصل في الأرض أنها بدأت بتضاريس معقدة للغاية، ثم سخر الله ـ تعالى ـ عوامل التعرية المختلفة من المياه الجارية، والرياح العاصفة، والمجالد الزاحفة في شق الفجاج والسبل في الصخور، كما ساعد على ذلك العديد من العوامل الداخلية من مثل عمليات الطي والتصدع والخسف. وجمع (الفج) (الفجاج)، ووصف الفج بالعميق كناية عن البعد، وإشارة إلى كروية الأرض لأن الأصل في العمق هو البعد إلى أسفل كعمق البئر، ومع بعد المسافة الأفقية على سطح مكور كسطح الأرض فإن العمق يزداد بازدياد تلك المسافة الأفقية بعداً. وفي ذلك إشارة إلى كل من كروية الأرض، والمسافات البعيدة التي يفد حجاج بيت الله منها لأداء الحج أو العمرة، لأن المسافات القصيرة على سطح مكور تبدو للناظر كأنها مستوية. والآية الكريمة تمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله، خاصة وأنه لم ترد الإشارة إلى تلك الواقعة في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ويبقى قدوم ملايين المسلمين لأداء فريضة الحج في كل عام من مختلف بقاع الأرض هو تحقيق عملي للوصف القرآني ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، وشهادة للقرآن الكريم بأنه كلام الله رب العالمين، فالحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ وحفظه على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد ـ سبحانه ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله على عباده إلى قيام الساعة، وشهادة للرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة، فصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربِّ العالمين.

Psalm 84

For the director of music. According to gittith.
Of the Sons of Korah.
A psalm.

[1]low lovely is your dwelling place, O LORD .lmighty! [2]My soul yearns, even faints, for the ourts of the LORD; my heart and my flesh cry out or the living God. [3]Even the sparrow has found a ome, and the swallow a nest for herself, where she ay have her young–a place near your altar, O ORD Almighty, my King and my God. [4]Blessed re those who dwell in your house; they are ever raising you.

[5]Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. [6]As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the autumn rains also cover it with pools. [7]They go from strength to strength, till each ppears before God in Zion. [8]Hear my prayer, O ORD God Almighty; listen to me, O God of acob. [9]Look upon our shield, O God; look with vor on your anointed one. [10]Better is one day in our courts than a thousand elsewhere; I would ther be a doorkeeper in the house of my God an dwell in the tents of the wicked. [11]For the ORD God is a sun and shield; the LORD stows favor and honor; no good thing does he ithhold from those whose walk is blameless.

[12]O LORD Almighty, blessed is the man who usts in you.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ

لِقَائِدِ الْمُنْشِدِينَ عَلَى الْجَتِّيَّةِ
مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

[1]مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَارَبَّ الْجُنُودِ! [2]تَتُوقُ بَلْ تَحِنُّ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَجِسْمِي يُرَنِّمَانِ بِفَرَحٍ لِلإِلَهِ الْحَيِّ. [3]اَلْعُصْفُورُ أَيْضاً وَجَدَ لَهُ وَكْراً، وَالْيَمَامَةُ عَثَرَتْ لِنَفْسِهَا عَلَى عُشٍّ تَضَعُ فِيهِ فِرَاخَهَا، بِجِوَارِ مَذَابِحِكَ يَارَبَّ الْجُنُودِ، يَامَلِكِي وَإِلَهِي. [4]طُوبَى لِمَنْ يَسْكُنُونَ فِي بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ يُسَبِّحُونَكَ دَائِماً.

[5]طُوبَى لِأُنَاسٍ أَنْتَ قُوَّتُهُمْ. الْمُتَلَهِّفُونَ لاتِّبَاعِ طُرُقِكَ الْمُفْضِيَةِ إِلَى بَيْتِكَ الْمُقَدَّسِ. [6]وَإِذْ يَعْبُرُونَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ الْجَافِّ، يَجْعَلُونَهُ يَنَابِيعَ مَاءٍ، وَيَغْمُرُهُمُ الْمَطَرُ الْخَرِيفِيُّ بِالْبَرَكَاتِ. [7]يَنْمُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ، إِذْ يَمْثُلُ كُلُّ وَاحِدٍ أَمَامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ. [8]يَارَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ اسْمَعْ صَلاتِي، وَأَصْغِ إِلَيَّ يَاإِلَهَ يَعْقُوبَ. [9]يَااللهُ مِجَنَّنَا، انْظُرْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ إِلَى مَنْ مَسَحْتَهُ مَلِكاً. [10]إِنَّ يَوْماً وَاحِداً أَقْضِيهِ دَاخِلَ دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ خَارِجَهَا. اخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ بَوَّاباً فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ. [11]لأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ شَمْسٌ وَتُرْسٌ. الرَّبُّ يُعْطِي نِعْمَةً وَمَجْداً، لَا يَمْنَعُ أَيَّ خَيْرٍ عَنِ السَّالِكِينَ بِالاسْتِقَامَةِ. [12]يَارَبَّ الْجُنُودِ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ.

رابعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه لوط عليه السلام

عبد الله ونبيّه لوط عليه السلام هو ابنُ أخ إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد جاء ذكرهُ في القرآن الكريم في سبعة وعشرين (27) مَوضعاً، من أربع عشرة سورة هي: [(الأنعام: 86)؛ (الأعراف: 80)؛ (هود: 70، 74، 77، 81، 89)؛ (الحجر: 59، 61)، (الأنبياء: 71؛ 74)؛ (الحج: 43)؛ (الشعراء: 160، 161، 167)؛ (النمل: 54، 56)؛ (العنكبوت: 26، 28، 32، 33)؛ (الصافات: 133)؛ (صَ: 13)؛ (قَ: 13)؛ (القمر: 33، 34)؛ (التحريم: 10)]. وقد آمن لوط عليه السلام مع عمّه ثمَّ هاجر معه من أرض الكِلدانيّين (العراق)، إلى أرض الكنعانيين (فلسطين)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

[العنكبوت: 26].

وقد جاء من سيرة عبد الله ونبيه لوط عليه السلام في القرآن الكريم عدد من المواقف التي نوجزها في النقاط التالية:

أولاً: بعثة لوط إلى قومه:

أرسل الله ـ تعالى ـ عبده ونبيّه لوطاً عليه السلام إلى قرى سدوم وما حولها، وكان قومها من أفجر الناس وأخبثهم طويّة، وأقبحهم سيرة. فقد كانوا يقطعون الطريق على المسافرين، ويأتون في ناديهم من المُنكرات ما لم تعرفه البشريّة من قبل وذلك بابتداعهم جريمة الشّذوذ الجنسي التي لم يكن قد سبقهم إليها أحدٌ من أهل الأرض. فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم نبيّهُ لوطاً عليه السلام لهدايتهم، فنهاهم عن الفسوق والعصيان، ودعاهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وأمرهم بالتوبة عن المعاصي،

وحذرهم من وقوع عذاب الله بهم. ولكن ذلك لم يزدهم إلا تمادياً في المعاصي، وعتواً في المجاهرة بالمفاسد، وتحدياً باستعجال عذاب الله ـ تعالى ـ، وإنكاراً لدعوة لوط عليه السلام، وتكذيباً لنبوته حتى رفضوه وهدّدوهُ بالطرد والإخراج من بين أظهرهم. وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: 80 ـ 84].

2 ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: 160 ـ 175].

3 ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: 54 ـ 58].

4 ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ

مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: 28 ـ 30].

5 ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصَّافات: 133 ـ 138].

وهذه الآيات القرآنيّة الكريمة، تؤكّد خبث قوم لوط وفجورهم، وخروجهم على أبسط آداب السلوك الإنساني، فقد كانوا قطاع طرق، يعتدون على أبناء السبيل بقسوة بالغة، وكانوا خونة للأمانة، كما كانوا محترفين للجرائم الجماعية، ولاقتراف الآثام الكلية المتجاوزة لكل الحدود الإنسانية، وكانوا لا يتناهون عن مُنكر فعلوه. ومن أحط جرائمهم أنهم كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وهي جريمة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

ثانياً: الملائكة تبلّغ إبراهيم عن هلاك قوم لوط:

سأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره على قومه المجرمين بعد أن يئس من هدايتهم. فأرسل الله ـ تعالى ـ ملائكته لمُعاقبة قوم لوط. وأمرهم بالمُرور على نبيّه إبراهيم عليه السلام قبل الوصول إلى قرى قوم لوط، فنزلوا على إبراهيم، وكان مشهوداً له بالكرم، وكان الله ـ تعالى ـ قد وسَّع عليه في الرزق، ففرح بضيوفه، وأمر أهله بإعداد الطعام لهم، وجاءهم بعجل سمين، حنيذ (أي: مشوي على الحجارة المحماة)، وقدّمه إليهم. فلمَّا رأى أيديهم لا تصلُ إليه أوجس منهم خيفة، (وذلك لأنَّ من تقاليد العرب أنّ امتناع الضيوف عن تناول الطعام، أو الشراب يعني أنَّهم يقصدون شرًّا). فأفصحوا عن هويتهم وأخبروه بأنهم رسل الله الذين أنزلهم لعقاب قوم لوط، وطمأنوه قائلين: لا تخف، وبشّروهُ بغلامٍ عَليم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ

لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: 31 ـ 35].

2 ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: 24 ـ 37].

ثالثاً: هلاك قومَ لوط:

اتَّجهت الملائكة المُكلفون بإهلاك قوم لوط إلى قرى «سدوم»، حتى لقوا لوطاً عليه السلام فأصابهُ القلقُ عليهم لما يعلم من صفات قومِهِ السيِّئة. لذلك جعل يفصّل لهم سوء أخلاق قومه لعلَّهم ينصرفون عنه، ولكنَّهم أصروا على زيارته في بيته. علم القوم بوصول الضيوف إلى بيت لوط عليه السلام فهرعوا إليه، في محاولة يائسة ليفعلوا الفاحشة فيهم، فأخذ لوط عليه السلام يستثير فيهم النخوة وحقّ الجوار، ولكن هل يمكن أن يكون عند هؤلاء الفسّاق، شيء من النخوة أو أن يعرفوا للجار حقًّا؟ لذلك لم يستجب القوم لندائه، لأنَّهم كانوا خبثاء ومُفسدون في الأرض، ومُجاهرون بالمعاصي، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 77 ـ 83].

2 ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: 57 ـ 77].

3 ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: 74، 75].

4 ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: 160 ـ 175].

5 ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: 54 ـ 58].

6 ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: 33 ـ 40].

وهذه الآيات الكريمة، تدلّ على أنَّ الملائكة فقأت عيون الفاسقين من قوم لوط، فخرجوا يتخبَّطون، يطلبون النجاة فيَدوس بعضهم بعضاً. وأخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام أنَّهم رُسل الله، وأنَّهم مأمورون بإهلاك قومه، كما أخبروه بضرورة مُغادرته هو وأهله سدوم وقراها في آخر الليل، وأن يسيروا، ولا يلتفتُ أحد منهم عند سماع صوت العذاب إذا حلَّ بقومه. فطالبهم لوط عليه السلام بإهلاكهم في الحال، فقالوا: لم نُؤمَر إلَّا بإهلاكهم بالصبح. سرى لوط وأهله بآخر الليل خروجاً عن سدوم وما حولها من قرى حتى بعدوا عنها بمسافة كبيرة. ولمّا جاء الصبح رفعت الملائكة أرض سدوم وقراها، ثمّ قلبوها رأساً على عقب حتى جعلوا عاليها سافلها، فهلك كل مَن كان فيها من الفاسقين، ولذلك سُمّيت قراهم باسم (المُؤتفكات) أي المُنقلبات. وأمطرت السماء حجارة من سجّيل، فأهلكت مَن لم يكن موجوداً منهم في قراهم. وسمعت امرأة لوط الهدة، فالتفتت وقالت: «واقوماه». فأدركها حجر من أحجار السماء فأهلكها في الحال، وبذلك نجّى الله لوطاً وأهله إلَّا امرأته، فقد

كانت من الهالكين، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣﴾ [الأعراف: 83].

ـ ويقول ـ عزَّ من قائل ـ:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: 10 ـ 12].

رابعاً: وفاة لوط ﷺ:

عاش عبد الله ونبيه لوط ﷺ بضعاً وعشرين سنة في قرى سدوم، ثم عمّر طويلاً بعد خروجه منها، ولكنَّه توفي قبل عمّه إبراهيم ﷺ بعدد من السنين، ودُفن في إحدى القرى من أعمال مدينة الخليل، وقبره ظاهر فيها كما يقول أهل هذه المدينة.

خامساً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه لوط مع قومه:

1 ـ إنَّ الشذوذ الجنسي يعتبر واحداً من أبشع الجرائم التي يُغري الشيطان بالوقوع فيها. وذلك لما في هذه الجريمة من إهدار لكرامة الإنسان، وقضاء على ما عنده من مروءة، ومُخالفةٍ للفطرة التي فطر الله خلقه عليها. وكان أوّل مَن ابتدعها هم قوم لوط، ولذلك دمّر الله ـ تعالى ـ عليهم قراهم، وتركها عبرة للمُعتبرين، لأن الخروج عن الفطرة هو انحطاط بالإنسان عن مقامات التكريم التي رفعه إليها الله مما يستوجب نزول العقاب الإلٰهي بكل خارج منها.

2 ـ إنَّه مع انحراف الفطرة تنقلب الموازين، فيصبح الباطل حقًّا ويصبح الحق باطلاً، وتُصبح الطهارة عيباً، بينما يصبح الولوغ في النجاسات أمراً ممدوحاً، ويصبح الذكران أهدافاً جنسية مرغوبة من أمثالهم، بدلاً من الإناث، والعكس صحيح، كما يصبح الحياء أمراً مفقوداً من المجتمعات. ومن هنا كانت ضرورة نزول عقاب الله ـ تعالى ـ بكل خارج عن الفطرة.

3 ـ إن السبب الرئيس للخروج عن الفطرة هو البعد عن الدين الصحيح الذي علّمه الله ـ تعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أتمه وحفظه في القرآن الكريم وفي سُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ.

4 ـ إن الشذوذ الجنسي يشكل خطراً داهماً على الإنسان، وعلى أسرته، ومجتمعه من النواحي الصحية والنفسية والأخلاقية، ومن هنا فإنه يستوجب أن يقوم المجتمع بأسره على محاربته، كما يستوجب نزول سخط الله وعقابه بالواقعين في وحله.

5 ـ إنَّ العلاقة بين بني آدم، يجب أن تقوم على أساس من الاستقامة على منهج الله، والمُحافظة على أوامره، واجتناب نواهيه، ولا يجب أن تقوم على أساس من علاقات القربى، وصلات العرق والدم والرّحم وحدها ـ على أهمية تلك العلاقات، وضرورة المحافظة عليها ـ، ولكن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. فهذه زوجة لوط عليه السلام وهو نبيّ من أنبياء الله، أصابها ما أصاب قومها من العذاب، لعدم الإيمان بنبوّة زوجها، والخروج على أوامر الله ـ تعالى ـ إليه.

هذا وقد جاءت قصة عبد الله ونبيه لوط عليه السلام في «العهد القديم» على النحو التالي (سفر التكوين 19/ 1 ـ 20؛ 19/ 21 ـ 38):

إهلاك سدوم وعمورة

١٩ وَأَقْبَلَ ٱلْمَلَاكَانِ عَلَى سَدُومَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ، وَكَانَ لُوطٌ جَالِساً عِنْدَ بَابِ سَدُومَ. فَمَا إِنْ رَآهُمَا حَتَّى نَهَضَ لِاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ. [٢] وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، ٱنْزِلَا فِي بَيْتِ عَبْدِكُمَا لِتَقْضِيَا لَيْلَتَكُمَا، وَٱغْسِلَا أَرْجُلَكُمَا، وَفِي ٱلصَّبَاحِ ٱلْبَاكِرِ تَمْضِيَانِ فِي طَرِيقِكُمَا». لَكِنَّهُمَا قَالَا: «لَا، بَلْ نَمْكُثُ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱلسَّاحَةِ». [٣] فَأَصَرَّ عَلَيْهِمَا جِدّاً حَتَّى قَبِلَا ٱلذَّهَابَ مَعَهُ وَٱلنُّزُولَ فِي بَيْتِهِ. فَأَعَدَّ لَهُمَا مَأْدُبَةً وَخَبَزَ فَطِيراً فَأَكَلَا.
[٤] وَقَبْلَ أَنْ يَرْقُدَا، حَاصَرَ رِجَالُ مَدِينَةِ سَدُومَ مِنْ أَحْدَاثٍ وَشُيُوخٍ ٱلْبَيْتَ، [٥] وَنَادَوْا لُوطاً: «أَيْنَ ٱلرَّجُلَانِ ٱللَّذَانِ

Sodom and Gomorrah Destroyed

19 The two angels arrived at Sodom in the evening, and Lot was sitting in the gateway of the city. When he saw them, he got up to meet them and bowed down with his face to the ground. [2] "My lords," he said, "please turn aside to your servant's house. You can wash your feet and spend the night and then go on your way early in the morning." "No," they answered, "we will spend the night in the square." [3] But he insisted so strongly that they did go with him and entered his house. He prepared a meal for them, baking bread without yeast, and they ate.
[4] Before they had gone to bed, all the men from every part of the city of Sodom–both young and old–surrounded the house. [5] They called to Lot, "Where

are the men who came to you tonight? Bring them out to us so that we can have sex with them." [6]Lot went outside to meet them and shut the door behind him [7]and said, "No, my friends. Don't do this wicked thing. [8]Look, I have two daughters who have never slept with a man. Let me bring them out to you, and you can do what you like with them. But don't do anything to these men, for they have come under the protection of my roof." [9]"Get out of our way," they replied. And they said, "This fellow came here as an alien, and now he wants to play the judge! We'll treat you worse than them." They kept bringing pressure on Lot and moved forward to break down the door. [10]But the men inside reached out and pulled Lot back into the house and shut the door. [11]Then they struck the men who were at the door of the house, young and old, with blindness so that they could not find the door.

لتضيفهما الليلة؟ أخرجهما إلينا لنضاجعهما». [6]فخرج إليهم لوط بعد أن أغلق الباب خلفه، [7]وقال: «لا ترتكبوا شراً يا إخوتي. [8]هوذا لي ابنتان عذراوان أخرجهما إليكم فافعلوا بهما ما يحلو لكم، أما هذان الرجلان فلا تسيئوا إليهما لأنهما لجأا إلى حمى منزلي». [9]فقالوا: «تنح بعيداً». وأضافوا: «لقد جاء هذا الإنسان ليتغرب بيننا، وها هو يتحكم فينا. الآن نفعل بك شراً أكثر منهما». وتكاثروا حول لوط وتقدموا ليحطموا الباب. [10]غير أن الرجلين مدا أيديهما واجتذبا لوطاً إلى داخل البيت، وأغلقا الباب. [11]ثم ضربا الرجال صغيرهم وكبيرهم، الواقفين أمام باب البيت بالعمى، فعجزوا عن العثور على الباب.

The Rescue of Lot and His Family

[12]The two men said to Lot, "Do you have anyone else here–sons-in-law, sons or daughters, or anyone else in the city who belongs to you? Get them out of here, [13]because we are going to destroy this place. The outcry to the LORD against its people is so great that he has sent us to destroy it." [14]So Lot went out and spoke to his sons-in-law, who were pledged to marry his daughters. He said, "Hurry and get out of this place, because the LORD is about to destroy the city!" But his sons-in-law thought he was joking. [15]With the coming of dawn, the angels urged Lot, saying, "Hurry! Take your wife and your two daughters who are here, or you will be swept away when the city is punished." [16]When he hesitated, the men grasped his hand and the hands of his wife and of his two daughters and led them safely out of the city, for the LORD was merciful to them.

[17]As soon as they had brought them out, one of them said, "Flee for your lives! Don't look back, and don't stop anywhere in the plain! Flee to the mountains or you will be swept away!" [18]But Lot said to them, "No, my lords, please! [19]Your servant has found favor in your eyes, and you have shown great kindness to me in sparing my life. But I can't flee to the mountains; this disaster will overtake me, and I'll die. [20]Look, here is a town near enough to run to, and it is small. Let me flee to it–it is very small, isn't it? Then my life will be

إنقاذ لوط وعائلته

[12]وقال الرجلان للوط: «ألك أقرباء في هذه المدينة؟ أصهار وأبناء وبنات أو أي شخص آخر يمت إليك بصلة؟ أخرجهم من هنا، [13]لأننا عازمان على تدمير هذا المكان، لأن صراخ الشكوى من شرهم قد تعاظم أمام الرب، فأرسلنا الرب لندمره». [14]فمضى لوط وخاطب أصهاره أزواج بناته، قائلاً: «هيا، قوموا واخرجوا من هذا المكان، لأن الرب سيدمر هذه المدينة». فبدا كمازح في أعين أصهاره. [15]وما إن طلع الفجر حتى طفق الملاكان يلحان على لوط قائلين: «هيا انهض، وخذ زوجتك وابنتيك الاثنتين هنا، لئلا تهلك بإثم المدينة». [16]وإذ توانى لوط، أمسك الرجلان بيده وبأيدي زوجته وابنتيه وقاداهم إلى خارج المدينة، لأن الرب أشفق عليهم.

[17]وما إن أخرجاهم بعيداً حتى قال أحد الملاكين: «اهرب بحياتك. لا تلتفت وراءك ولا تتوقف في كل منطقة السهل. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك». [18]فقال لوط: «ليس هكذا يا سيد. [19]ها عبدك قد حظي برضاك، وها أنت قد عظمت لطفك إذ أنقذت حياتي، وأنا لا أستطيع الهرب إلى الجبل لئلا يدركني مكروه فأموت. [20]ها هي المدينة قريبة يسهل الهرب إليها. إنها مدينة صغيرة، فدعني ألجأ إليها. أليست هي مدينة صغيرة جداً؟ فأنجو فيها بحياتي».

Genesis 19 — 27 / ٢٧ — التكوين ١٩

spared." [21]He said to him, "Very well, I will grant this request too; I will not overthrow the town you speak of. [22]But flee there quickly, because I cannot do anything until you reach it." (That is why the town was called Zoar.)

[23]By the time Lot reached Zoar, the sun had risen over the land. [24]Then the LORD rained down burning sulfur on Sodom and Gomorrah–from the LORD out of the heavens. [25]Thus he overthrew those cities and the entire plain, including all those living in the cities–and also the vegetation in the land. [26]But Lot's wife looked back, and she became a pillar of salt.

[27]Early the next morning Abraham got up and returned to the place where he had stood before the LORD. [28]He looked down toward Sodom and Gomorrah, toward all the land of the plain, and he saw dense smoke rising from the land, like smoke from a furnace. [29]So when God destroyed the cities of the plain, he remembered Abraham, and he brought Lot out of the catastrophe that overthrew the cities where Lot had lived.

Lot and His Daughters

[30]Lot and his two daughters left Zoar and settled in the mountains, for he was afraid to stay in Zoar. He and his two daughters lived in a cave. [31]One day the older daughter said to the younger, "Our father is old, and there is no man around here to lie with us, as is the custom all over the earth. [32]Let's get our father to drink wine and then lie with him and preserve our family line through our father."

[33]That night they got their father to drink wine, and the older daughter went in and lay with him. He was not aware of it when she lay down or when she got up. [34]The next day the older daughter said to the younger, "Last night I lay with my father. Let's get him to drink wine again tonight, and you go in and lie with him so we can preserve our family line through our father." [35]So they got their father to drink wine that night also, and the younger daughter went and lay with him. Again he was not aware of it when she lay down or when she got up. [36]So both of Lot's daughters became pregnant by their father. [37]The older daughter had a son, and she named him Moab; he is the father of the Moabites of today. [38]The younger daughter also had a son, and she named him Ben-Ammi; he is the father of the Ammonites of today.

[٢١]فقال له الملاك: «إني قد قبلت طلبتك بشأن هذا الأمر، ولن أقلب تلك المدينة التي ذكرتها [٢٢]أسرع، واهرب إليها، لأني لا أستطيع أن أصنع شيئا إلى أن تبلغها». لذلك دعي اسم تلك المدينة صوغر (ومعناها صغيرة).

[٢٣]وما إن أشرقت الشمس على الأرض حتى كان لوط قد دخل إلى صوغر. [٢٤]فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عنده من السماء. [٢٥]وقلب تلك المدن والساكنين فيها، والسهل المحيط بها وكل مزروعات الأرض. [٢٦]وتلفتت زوجة لوط السائرة خلفه وراءها، فتحولت إلى عمود من الملح.

[٢٧]ومضى إبراهيم مبكرا في الصباح إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب. [٢٨]وتطلع نحو سدوم وعمورة وسائر أرض السهل، فأبصر الدخان يتصاعد منها كالأتون. [٢٩]وهكذا عندما دمر الله مدن السهل ذكر إبراهيم، فأخرج لوطا قبل وقوع الكارثة حين قلب المدن التي قطن فيها لوط.

خطيئة ابنتي لوط

[٣٠]وغادر لوط وابنتاه بعد ذلك صوغر، واستقروا في الجبل لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فلجأ هو وابنتاه إلى كهف هناك. [٣١]فقالت الابنة البكر لأختها الصغيرة: «إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض حولنا رجل يتزوجنا كعادة كل الناس. [٣٢]تعالي نسقيه خمرا ونضطجع معه فلا تنقطع ذرية أبينا». [٣٣]فسقتا في تلك الليلة أباهما خمرا، وأقبلت الابنة الكبرى وضاجعت أباها فلم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. [٣٤]وفي اليوم التالي قالت الابنة البكر لأختها الصغيرة: «إني قد اضطجعت مع أبي ليلة أمس، فتعالي نسقيه الليلة أيضا خمرا ثم ادخلي واضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا». [٣٥]فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا وأقبلت الابنة الصغيرة وضاجعت أباها. فلم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. [٣٦]وهكذا حملت الابنتان كلتاهما من أبيهما. [٣٧]فولدت الكبرى ابنا دعته مواب (ومعناه من الأب)، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. [٣٨]أما الصغرى فولدت ابنا ودعته «بن عمي» (ومعناه ابن قومي) وهو أبو بني عمون إلى اليوم.

سفر التكوين 18/ 33 ـ 16

هل يمكن لمثل هذا السلوك أن يحدث في بيوت الأنبياء؟

38 ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ [القمر: 33].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واقعة تاريخية هامة، تتمثل في تكذيب قوم لوط بجميع الإنذارات التي أنذرهم بها نبيهم لوط عليه السلام. لذلك أنزل الله ـ تعالى ـ بهم عقابه الذي استهانوا به حتى تعجلوا نزوله، وجاءهم على هيئة (الحاصب) وهو الريح الشديدة التي تثير الحصباء من فوق سطح الأرض لشدتها. وكانت هذه الريح الحاصب تحمل الحجارة التي وصفت في مقام آخر بوصف (السجيل المنضود) وهو الطين المحروق قذفوا به من السماء بصورة متتابعة حتى هلكوا. وبعد ذلك حمل جبريل عليه السلام قرى قوم لوط بعد هلاكهم وقلبها رأساً على عقب، حتى تبقى آية للمعتبرين من بعدهم. ونجى الله ـ تعالى ـ عبده لوطاً وأهله إلا امرأته، فقد قدر الله ـ تعالى ـ هلاكها لعدم إيمانها. وكان عقاب قوم لوط عقاباً على فسقهم وتكذيبهم لنبيهم، واستهانتهم بتحذيراته المتكررة لهم، كما كانت نجاة لوط وبنتيه من وسط هذا العذاب هو جزاء إيمانهم بربهم، ومداومتهم على شكر أنعمه.

وتفصل الآيات القرآنية الكريمة في سورة «القمر» وفي غيرها من سور القرآن الكريم ما وقع بين تكذيب قوم لوط لنبيهم وبين نزول عذاب الله بهم. وفي ذلك تذكر الآيات أن لوطاً عليه السلام أنذر قومه عاقبة ولوغهم في معاصي الله، وإفسادهم في الأرض، وانحطاطهم في الأخلاق والسلوكيات إلى ما دون مستوى الحيوانات، وابتداعهم الشذوذ الجنسي حتى أشاعوا به، وكانوا أول من غاص في أوحاله. فخالفوا بذلك الفطرة التي فطرهم الله ـ تعالى ـ عليها، وسنُّوا للبشرية خطلاً في السلوك يحملون وزره إلى اليوم، وحتى قيام الساعة. وكان من جرائم قوم لوط أنهم كذبوا نبيهم، وشككوا في تحذيره لهم من إمكانية نزول عقاب الله بهم، وارتابوا في كل ما قاله لهم، وأكثروا من الجدال معه دفاعاً عن مفاسدهم، حتى بلغ بهم فجورهم واستهتارهم إلى حد مراودة لوط عليه السلام عن ضيوفه من الملائكة، دون حياء أو خجل، يريدون فعل فواحشهم معهم، وقد ظنوهم من البشر.

وحينئذٍ تتحرك الملائكة لأداء الواجب الذي كلّفوا به، وجاؤوا من أجله فقاموا بطمس أعين هؤلاء المعتدين بفقئها، حتى عادوا لا يرون شيئاً. فخرجوا من بيت عبد الله ونبيه لوطاً وهم يتدافعون ويتخبطون على غير هدى، يدوس بعضهم بعضاً في محاولة للهرب مما لم يتوقعوه من عقاب ثم يأتي أمر الله بنزول عذابه بهم، وهو ـ تعالى ـ يقول لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: فهذا هو عذابي الذي حذركم نبيكم لوط منه فاستهترتم به، وهذه هي النذر التي أنذركم بها، فلم تستمعوا لنصحه، واستهنتم بتحذيره لكم من سوء أعمالكم.

وكان ذلك كله في المساء وقوم لوط يتهمونه بأنه قد أتى بسحرة للقيام بطمس أعينهم حتى يصرفونهم عنه وعن ضيوفه، وتوعدوا لوطاً بالعقاب إذا أصبح الصبح. فلما علم لوط أن أضيافه من الملائكة، وأنهم أرسلوا من أجل القيام بإهلاك قومه لفسقهم ومبالغتهم في انحطاط السلوك والإفساد في الأرض، طالبهم بإهلاك قومه في الحال، فقال له جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته، لأن الله ـ تعالى ـ قدر عليها العذاب. فلما كان السَّحَر (أي قبيل الصبح) خرج لوط وأهل بيته (وهم امرأته وبنتاه)، فنزل عقاب الله بقرى سدوم وسكانها من قوم لوط، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: 33 ـ 40].

(أ) عن تكذيب قوم لوط لإنذارات نبيهم:

يروي لنا القرآن الكريم أن عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام بُعِثَ إلى أهل سدوم وما حولها من القرى التي عرفت فيما بعد باسم **«قرى قوم لوط»**. وهذه القرى كانت مقامة في وادٍ إلى الجنوب من البحر الميت، وكان أهلها قد ساءت أخلاقهم

وسلوكياتهم إلى مستوى من التدني غير المسبوق في تاريخ البشر. فقد كان قوم لوط من أفجر الناس، وأكفرهم بالله، وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة، ومن أحطهم سلوكاً وسيرة. كانوا يقطعون الطريق، ويأتون في ناديهم كل صور التبذل والانحطاط، ولا يتناهون عن منكر فعلوه. فكان قوم لوط قد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من الخلق، وهي المماثلة في العلاقات الجنسية التي لم يكن إنسان قد اقترفها من قبل، ولم يكن حيوان قد تدنى إليها بعد. فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيه لوط عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله ـ تعالى ـ وحده، وبالتطهر من أرجاس سلوكياتهم المنحطة، وينهاهم عن كل من الفواحش والمنكرات والقبائح التي كانوا قد ابتدعوها، والآثام التي كانوا قد وقعوا فيها، والجرائم التي كانوا قد تعوّدوا على ارتكابها وعلى الإعلام بها، والمحارم التي كانوا قد تعدّوا عليها..، فلم يستمعوا لنصحه، ولم يستجيبوا لدعوته، بل همّوا بإخراجه من قراهم ونفيه بعيداً عنها. ولكن الله ـ تعالى ـ أخرجه من بين أظهرهم سالماً هو وبعض أهله، وأهلك قومه، بعد أن أذلّهم إذلال الصاغرين المهانين.

وجاء في الأثر أن جبريل عليه السلام حين خرج على قوم لوط، ضرب وجوههم بطرف جناحه فطمست أعينهم مما أجبرهم على الفرار وهم يتحسسون الطريق مع حيطان المباني، ويتوعدون عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام بالويل والثبور وبعظائم الأمور.

(ب) من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الرواية القرآنية لقصة عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام مع قومه:

جاء القرآن الكريم ـ على عادته ـ بقدر هائل من الدقة الفائقة التي عرض بها قصة عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام مع قومه، وكان قد انقضى على وقوعها أكثر من ألفي سنة قبل ميلاد رسول الله ﷺ. وورود هذه القصة ـ وورود غيرها من قصص القرآن الكريم ـ في كتاب الله بهذه التفاصيل الدقيقة هو من المعجزات الإنبائية والتاريخية في هذا الكتاب العزيز. وإن قال قائل بأن القصة لها ذكر في كتب الأولين فهذا تأكيد على وحدة رسالة السماء، وإن كان الفارق بين رواية القرآن الكريم وما جاء

عنها في «العهد القديم» (سفر التكوين: 18/ 16 ـ 33، 19/ 1 ـ 38) يوضح الفارق بين كلام الله وكلام البشر، ومن ذلك ما يلي:

1 ـ الادعاء في «سفر التكوين» بأن عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام قد عرض بنتيه على أهل قريته ليفعلوا فيهما الفاحشة، وهو أمر لا يليق برجل من عوام الناس، فضلاً عن نبي من أنبياء الله. والحقيقة أن «لوطاً» كان قد أرشد أهل قريته إلى غشيان نسائهم، وعبّر عنهم ببناته، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد لجميع أبنائها وبناتها. ويدعم ذلك أنه عرض البنات بصيغة الجمع، ولم يكن عنده سوى بنتين فقط.

2 ـ زعم «العهد القديم» أن الملائكة كانوا اثنين وفي عنوان «**الزوار الثلاثة**» (سفر التكوين: 18) ما يكذب ذلك، وأنهم تناولوا طعام العشاء عند لوط عليه السلام، ومن المعلوم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وأن الرب كان معهم، والبشر لا يرون الله في الحياة الدنيا، وأن لوطاً سجد بوجهه إلى الأرض، والسجود لا يكون إلا للّه ـ تعالى ـ وحده، فماذا عن كل هذه التناقضات؟

3 ـ جاء في «العهد القديم» (تكوين/ 19) ما يقول: «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً...» والقرآن الكريم يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 82، 83].

(السجيل) هو الصلصال المحروق، القوي الشديد الصلادة، وهي لفظة فارسية معرّبة، و(منضود) أي متتابع في نزوله، و(مُسَوَّمة) أي مُعَلَّمة، بمعنى أنه مكتوب على كل حجر منها اسم الذي يهبط عليه ويدمغه بالقتل.

4 ـ كذلك جاء في سفر التكوين (19/ 14) «أن لوطاً خرج وكلم أصهاره الآخذين بناته... فكان كمازح في أعين أصهاره». وقبل ذلك بأسطر قليلة (تكوين: 19/ 8) جاء قول لوط: يا إخوتي! هو ذا لي ابنتان لم تعرفا

رجلاً أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم»، فمن أين جاؤوا له بأصهار؟

5 ـ جاء في «سفر التكوين» أن امرأة لوط نظرت من ورائها فصارت عمود ملح...!! والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ [هود: 81].

6 ـ وجاء في «العهد القديم» (سفر التكوين: 19/ 30 ـ 38) ما يدّعي أن ابنتي لوط عليه السلام سقتاه الخمر، وفعلتا الفاحشة معه، وهو تصرف لا يليق بأحط العوام من حثالات البشر، فما بالكم بنبي من أنبياء الله!!!.

ومن ذلك وغيره يتضح لكل ذي بصيرة مدى التحريف الذي تعرض له «سفر التكوين» حتى أخرجه عن إطاره الرباني، كما يتضح فساد الادعاء الباطل بأن القصص القرآني مأخوذ عن «العهد القديم» وهو ادعاء لا سند له على الإطلاق، ولا حجة تدعمه.

(ج) من أوجه الإعجاز العلمي في الرواية القرآنية لقصة عبد الله ونبيه لوط عليه السلام:

1 ـ استنكار المماثلة في العلاقات الجنسية لأنه شذوذ عن الفطرة، وانحراف عنها، وانحطاط بالإنسان إلى ما دون الحيوانية. وقد أثبت التاريخ أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع هذا الانحراف عن الفطرة السوية. وقد أثبتت دراسات كل من الطب، والطب النفسي، والاجتماع، خطورة الشذوذ الجنسي على الصحة والحالة النفسية لكل من الفرد، والأسرة، والمجتمع، ولذلك روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»**[1].

2 ـ لا بدّ من دراسة تتابع طبقات الصخور في منطقة جنوب البحر الميت لإثبات أنها مقلوبة رأساً على عقب حسب ما جاء في النص القرآني الذي يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا

(1) أخرجه أبو داود حديث رقم (4462)، والترمذي حديث رقم (1455).

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ [هود: 82].

3 ـ جاء في سورة «العنكبوت» قول الحق ـ تبارك اسمه ـ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: 35].

وجاء في سورة «الذاريات» قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: 37].

ومنطقة «قرى قوم لوط» مليئة بالآثار الدالة على ما وقع بهؤلاء الكافرين من العذاب الذي أنزله عليهم ربّ العالمين، والكشف عن تلك الآثار بدراسة منهجية دقيقة يقدم ورقة دعوة للإسلام بلغة العلم، وهي اللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا.

من هنا جاء التأكيد القرآني بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ [القمر: 33]، وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله والذي فيه من الحق ما يلي:

1 ـ التأكيد التاريخي للواقعة، وكان قد انقضى على وقوعها أكثر من ألفي عام قبل ميلاد المصطفى ﷺ.

2 ـ إثبات تدمير قرى قوم لوط بجعل عاليها سافلها.

3 ـ تحريم عملية المماثلة في العلاقات الجنسية تحريماً قاطعاً لأضرارها الصحية والنفسية على الناس (أفراداً ومجتمعات) مما دفع بعدد من أئمة المسلمين من أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل إلى مطالبة حكام المسلمين بقتل الشاذ جنسياً استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ: **«مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»**[1].

ولا يمكن الحد من فوضى الشذوذ الجنسي الذي يجتاح عالم اليوم إلّا

---

(1) تقدم تخريجه.

بتطبيق هذا الحد، بعد أن استمرأ كثير من الشواذ هذا السلوك المهدر لإنسانية الإنسان، والمضيِّع لكرامته. خاصة وأن أعداداً من الحكومات المعاصرة قد بدأت في التشريع له، والدفاع عنه، والتشجيع عليه، بدعوى باطلة بأنه أمر وراثي، لا حيلة للمبتلى به فيه، أي: أنه مدوّن في الشيفرة الوراثية للشواذ وهذا الغرض الخاطئ قدمه شياطين الإنس ليجدوا تبريراً لهذا السلوك الشائن. ولكن الدراسات العلمية تؤكد أنه عادة مكتسبة بانحطاط السلوك تحت غواية الشيطان، والأمور المكتسبة لا تورث، ولا علاقة لها بالشيفرة الوراثية. ويؤكد ذلك أن قوم لوط كانوا هم أول من ابتدع الشذوذ الجنسي، وأن البشرية عاشت من قبلهم آلافاً من السنين دون الوقوع في أوحال هذه الفاحشة الشنعاء. وعلى ذلك فإن قوم لوط يحملون وزر الشرك باللّه، والانحراف عن الفطرة السوية، وابتداع الشذوذ الجنسي، كما يحملون وزر كل من وقع فيه من بعدهم.

وقد ترك ربنا ـ تبارك وتعالى ـ آثار تدمير قرى قوم لوط عبرة لكل من سولت له نفسه الخروج على الفطرة السوية التي فطره الله عليها، كما جعلها عظة لكل من خاف عذاب الآخرة، وخشي الرحمن بالغيب، وخاف مقام ربه فنهى النفس عن الهوى، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾. [الصافات: 137، 138].

39 ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: 80]

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل حقيقة تاريخية مؤداها أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي الذي غرقوا في أوحاله إلى آذانهم حتى استحقوا العقاب العادل من ربّ العالمين باستئصالهم من على وجه الأرض.

ولم يذكر أي من «العهدين القديم أو الجديد» تلك الحقيقة، وإن أشار «العهد القديم» إلى مظالم وخطايا أهل سدوم وعمورة دون تفصيل، وذكر محاولتهم للاعتداء الجنسي على ضيوف لوط. ومن هنا تعتبر هذه الآية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. والآية جاءت إخباراً بتلك الحقيقة التي لم يكن يعلم بها أحد من أهل مكة في زمن الوحي. ومن معاني هذه الآية الكريمة، والخطاب فيها موجَّه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: أتذكر يا محمد قول لوط عليه السلام لأهل سدوم ـ على سبيل الإنكار والتوبيخ ـ: أتقعون في تلك الخطيئة الشنعاء، والفاحشة المتناهية في القبح، والتي ابتدعتموها أنتم، وما عملها أحد من قبلكم، في أي زمن من الأزمان السابقة عليكم، ألا وهي الشذوذ الجنسي!!؟ والفاحشة هنا جاءت معرفة للتأكيد على قبحها البالغ، وذلك بخلاف الزنا الذي مع تحريمه جاء وصف فحشه بغير تعريف وذلك في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: 32].

والجملة المنفية ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ تسجل أن قوم لوط كانوا أول من فعل تلك الفعلة الشنيعة القبيحة، وأنهم كانوا مبتكريها. ويؤكد ذلك قول ربنا ـ تبارك اسمه ـ ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيث زيدت ﴿مِنْ﴾ لتأكيد نفي الجنس، والجملة تؤكد أن هذه الجريمة البالغة في القبح، والمغالية في إهدارها لكل معاني المروءة، والرجولة ومكارم الأخلاق، وفي هدمها لكل

موجبات الكرامة لم يرتكبها أي من الجن أو الإنس قبل قوم لوط، فكان في ارتكابهم لها ابتداءً ما يُجسِّد صورة من صور الانحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله خلقه عليها. فقد شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يخلق كل شيء في الوجود في زوجية واضحة أو مستترة (وذلك من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) حتى يبقى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ومنزهاً عن صفات المخلوقين جميعاً. وكان من ذلك خلق الإنسان: ذكراً وأنثى، كي يتم التزاوج بينهما. لذلك بنى الخالق ﷻ أجساد كل من الذكور والإناث بصورة صالحة لإتمام تلك العملية التي تعمر بها الحياة على سطح كوكبنا الأرض، وجعل بين الجنسين من صور التكامل العاطفي والنفسي والعقلي والجسدي ما يعين على استمرار الحياة البشرية إلى أن يشاء الله. وجعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من الرغبة والمتعة التي ينالها كل من الجنسين بهذا التكامل، أمراً فطرياً في كل منهما حتى تتحقق مشيئة الله الخالق في امتداد الحياة على الأرض إلى قيام الساعة. ثم يكون في هذا الميل الفطري بين الذكر والأنثى، والتكامل الطبيعي الذي يجمع بينهما برباط الزواج، ومتعة أنس كل منهما بالآخر في بيت الزوجية، ما يعين على مواجهة مسؤوليات ومتاعب الإنجاب، وتكاليف الذرية من نفقة، وتربية، ورعاية، وكفالة، وغير ذلك من متطلبات الحياة. كما جعل الخالق ﷻ في هذا التكامل والترابط الفطري ما يضمن قيام الحياة الزوجية على أسس من المودة والرحمة. كما يضمن قيام الزوجين بتحمل تكاليف تربية الأبناء ورعايتهم حتى ينشأوا التنشئة الصحيحة. وهذه هي الفطرة التي فطر الله ـ تعالى ـ جميع خلقه عليها، وألزم غير المكلفين إلزاماً فطرياً بها، وترك الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكرم، المكلف، صاحب الإرادة الحرة، لاختياره، فإن اختار الفطرة سعد في الدنيا، ونجا في الآخرة، وإن خرج عن الفطرة شقي في الدنيا، وهلك في الآخرة.

وكان قوم لوط كما أسلفنا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي، وهو من أبشع صور الانحراف عن الفطرة، لآثاره الصحية، والنفسية، والاجتماعية المدمرة

للإنسان، والمجردة له عن دوره المنوط به في هذه الحياة الدنيا، والمسقطة عنه كل صفات الرجولة، والمروءة، وموجبات الاحترام والتكريم، وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: 80 ـ 84].

والإسراف الذي يصفهم به نبيهم لوط عليه السلام هو المبالغة في تجاوز الحدود الفطرية التي وضعها الخالق العظيم للإنسان، وفي إهدار المخزون البشري من خلايا التناسل في شهوة شاذة صورها لهم الشيطان، حيث لا طائل من ورائها، ولا فائدة تجنى من بعدها إلا دمار الصحة، وإهدار الكرامة، وضياع الأخلاق، والولوغ في المفاسد والقاذورات وذلك بوضع هذه الشهوة في غير محلها الطبيعي الذي حدده لها الله وجعل المتعة الحقيقية في تحقيق ما فطر خلقه عليه. ولكن إذا انحرف مخلوق مكلف عن حدود الفطرة صوّر له الشيطان أن في ذلك شيئًا من المتعة، وهي متعة زائفة، هدفها تدمير الإنسان فرداً، وأسرةً، ومجتمعاً، وخراب الأرض من تحت أقدامه، وذلك بمخالفة السنن التي وضعها الله ـ تعالى ـ لإعمارها بالمستخلفين من بني آدم.

ويتجلى صلف قوم لوط، وانعدام المروءة في رجالهم، وانحطاط الأخلاق والسلوكيات بينهم أنهم كانوا يجاهرون بمعصية الشذوذ الجنسي ويعلنون بها في غير حياء ولا خجل. وعندما لامهم عبد الله ونبيه لوط على ذلك طالبوه بإنزال عذاب الله الذي أنذرهم به، في سخرية واستهزاء واضحين. ثم طالبوا بإخراج كل من لوط وأهله من قريتهم بدعوى أنهم أناس يتطهرون. وهنا تتضح صورة أخرى من صور انحراف الفطرة حيث تنقلب الموازين، فيصبح التطهر عيباً، يستوجب إخراج الإنسان من أرضه، بينما يصبح الولوغ في أقذر النجاسات أمراً ممدوحاً،

كما يصبح الذكران أهدافاً جنسية مرغوبة من أمثالهم بدلاً من الإناث!! ويصبح الحياء عيباً، بينما تصبح المجاهرة بالشذوذ الجنسي أمراً مقبولاً يتباهى به!! وهنا تتدخل الإرادة الإلٰهية بإنجاء لوط وأهله إلا امرأته، وإهلاك قوم لوط بعذاب بئيس لم تشهده أمة من قبل ولا من بعد.

وهنا يتضح أيضاً أن من أمور الفطرة ضرورة الفصل بين بني آدم على أساس من العقيدة والمنهج، لا على أساس من علاقات الدم والعرق والنسب. فهذه امرأة عبد الله ونبيه لوط ـ وهي من المفروض أن تكون ألصق أفراد أسرته به ـ نراها تهلك مع الهالكين من قومه الفاسدين، بأمر من ربّ العالمين، وذلك لأنها كانت قد جعلت من صلتها بقومها، على الرغم من سوء سلوكهم ـ أمراً يعلو فوق صلتها بزوجها، فأهلكها الله ـ تعالى ـ مع الهالكين.

وبعث عبد الله ونبيه لوط في زمن أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، وكان ابناً لأحد إخوانه كما جاءت به الروايات، وكانا قد خرجا من أرض بابل اعتزالاً لقومهما الذين رفضوا التوحيد الخالص للَّه ـ تعالى ـ وأصروا على عبادة الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب، فنزل إبراهيم في أرض فلسطين، ونزل لوط في المنطقة إلى الجنوب من البحر الميت، لأن الله ـ تعالى ـ بعثه إلى أهلها، وكانوا قد كفروا باللَّه ـ تعالى ـ وانحرفوا عن الفطرة التي فطر الله خلقه عليها، وبالغوا في فحشهم إلى حد ابتداع الشذوذ الجنسي، ولم يكن قد سبقهم إليه أحد من الخلق، ولذلك قال فيهم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: 80].

وجاء على لسان عبد الله ونبيه لوط ﷺ قوله لقومه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: 29].

وتؤكد الآيات القرآنية العديدة التي عرضت قصة عبد الله ونبيه لوط مع قومه أن الانحراف عن الفطرة السوية ناتج عن الانحراف عن الدين الذي أنزله الله

ـ تعالى ـ هداية لخلقه وتحديداً لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله ـ تعالى ـ مطالباً بعبادة خالقه بما أمر، كما هو مطالب بالالتزام بمكارم الأخلاق حتى يرقى بنفسه في معارج الله إلى مقامات التكريم التي رفعه إليها الله. والإنسان مطالَب أيضاً بحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها، وهو المخلوق العاقل، المكرم، المكلف، ذو الإرادة الحرة. وكلما التزم الإنسان بأوامر ربه ارتقى في معراج الله حتى يصل إلى منازل من التكريم لا يرقى إليها أحد من الخلق سواه. وعلى النقيض من ذلك، فإن الإنسان كلما خرج عن أوامر ربه انحط إلى ما دون الحيوان الأعجم من مستويات، وذلك لأن الحيوان يلتزم بالفطرة التي فطره خالقه عليها، وخروج الإنسان عن الفطرة إهدار كامل لكرامته ولإنسانيته.

ومن هنا كان خروج قوم لوط عن الإيمان بالله خروجاً عن الفطرة، وقد دفعهم هذا الخروج عن الفطرة إلى الانحطاط بآدميتهم إلى حد ابتداع الشذوذ الجنسي، والتبذل في الإعلام به، والتعدي به على كل من أبناء السبيل، وزوار بلدهم. وكان قوم لوط يأتون بالمنكر في نوادٍ لهم، وعلى قارعة الطريق، وكانوا يقذفون المارين بهم بالحجارة، ويسخرون من كل من يستنكر انحطاطهم إلى الحد الذي أيأس عبد الله ونبيه لوطاً من إمكان إصلاحهم، ودفعه إلى الإعلان بأنه يشهد بأن قريتهم لهي شر قرية في الأرض، وأنه لا يعلم على وجه الأرض أناساً أخبث منهم. فقلب الله ـ تعالى ـ قراهم رأساً على عقب بعد أن أمر لوطاً بالخروج منها ليلاً مع أهله، وأمرهم بألّا يلتفت منهم أحد، فالتفتت امرأته فأصابها ما أصابهم، ولذلك سميت قراهم بالمؤتفكات (أي: المنقلبات)، وقال فيهم الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 82، 83].

وهذا العقاب الشديد الذي أنزله الله ـ تعالى ـ بقوم لوط كان جزاءً وفاقاً لهم لأنهم كانوا في زمانهم أفجر الناس وأكفرهم بالله، وأسوأهم طوية، وأردأهم سيرة

وسريرة، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم نبيه لوطاً يدعوهم للعودة إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وإلى الارتقاء بسلوكياتهم إلى مستوى الفطرة التي فطر الله عباده عليها، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق التي تليق بكرامة الإنسان، ونهاهم عن المحرمات والفواحش والمنكرات التي أغواهم الشيطان بالوقوع فيها حتى غرقوا إلى آذانهم في أوحالها. لم يستجب قوم لوط لنصح نبيهم، وتمادوا في ضلالهم وفسادهم وخبثهم وفجورهم وفحشهم حتى همُّوا بإخراج عبد الله ونبيه لوطاً من بين ظهرانيهم، فأنزل الله ـ تعالى ـ بهم من ألوان العقاب ما جعلهم عبرة لغيرهم على مرّ التاريخ، وذلك بعد أن تحدّوا نبي الله لوطاً وطلبوا منه إنزال ما حذّرهم به من العذاب وذلك بقولهم:

﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29].

وعندئذٍ دعا عليهم نبي الله لوطاً، وسأل ربّه أن ينصره على القوم المفسدين، فنزل بهم من ألوان العذاب ما لم ينزل بأمة من الأمم الكافرة من قبل ولا من بعد. وذلك لأنهم حاولوا الاعتداء على ضيوف بينهم من الملائكة، فنصحهم لوط بغشيان، نسائهم (وهن بناته مجازاً لأن النبي لأمته بمنزل الوالد لجميع أبنائها وبناتها)، فأفصحوا عن سوء نياتهم بما يخططونه للاعتداء الجنسي على ضيوفه من الملائكة الذين طمأنوه بقولهم له: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: 81].

فطمس الله أعين هؤلاء الفاسقين، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود (أي: متتابع في النزول)، ثم قلب قراهم رأساً على عقب.

وخرجت امرأة لوط مع بنتيها وزوجها، ولكنها عندما سمعت الصيحة، ورأت تدمير قرى قوم لوط خالفت أمر الله والتفتت تجاه الديار قائلة: واقوماه! فسقط عليها حجر قضى عليها، إذ خانت زوجها بقيامها بدور العين لقومها عليه وعلى ضيفانه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ

وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: 10].

والخيانة هنا هي خيانة الدين الذي لم تتبعه أي منهما، لأن الله ـ تعالى ـ لم يقدر على نبي من أنبيائه أن تكون امرأته من البغاة.

وقد شدّد الإسلام العظيم في عقاب جريمتي الزنا والشذوذ الجنسي، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: 3].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[1].

ولا تزال آثار العقاب الإلٰهي الذي نزل بقوم لوط باقية إلى يومنا هذا، وعلى علماء المسلمين أن يعيدوا دراسة المنطقة إلى جنوب البحر الميت من جديد ليثبتوا ما ذكره القرآن الكريم من قلب الأرض رأساً على عقب، ومن آثار السجيل المنضود، وذلك تحقيقاً لقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: 37].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في رواية القرآن الكريم لقصة لوط عليه السلام:

عاش عبد الله ونبيه لوط عليه السلام في الألفية الثانية قبل الميلاد، بينما بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في مطلع القرن السابع الميلادي، وبعث في زمن كان أهل الأرض جميعاً قد فقدوا الصلة بوحي السماء، وابتدعوا في الدين ما ابتدعوا، وحرّفوا ما حرّفوا، وزوّروا ما زوّروا. ثم نزل القرآن الكريم بقصص عدد من أنبياء الله الذين كان منهم عبد الله ونبيه لوط عليه السلام، وجاءت قصته مع قومه بهذا التفصيل الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد

(1) تقدم تخريجه.

لسيدنا محمد ﷺ بالنبوة وبالرسالة. وجاءت القصة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، لأن أحداً من أهل مكة لم يكن يذكر شيئاً عن تلك الواقعة، ولم يكن أحد من أهل الأرض يعلم أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي ومارسوه وأعلموا به فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بالاستئصال الكامل من فوق سطح الأرض.

40 ـ ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: 29].

هذا النص القرآني الكريم يسجل حقيقة تاريخية لا يعرفها كثير من الناس، ومؤداها أن قوم لوط كانوا قد سمحوا للشيطان أن يستذلهم حتى استشرى الفساد في مجتمعهم بكل أشكاله وألوانه، وبصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ بني آدم. فمن انحطاطهم الأخلاقي والسلوكي، كان قوم لوط أول من ابتدع الشذوذ الجنسي الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين. وهذا الشذوذ ـ كان ولا يزال ـ يعتبر من أفحش الفواحش السلوكية التي تنحط بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوانية. ومع قذارة تلك الفاحشة، وانحرافها عن الفطرة السوية التي فطر الله ـ تعالى ـ خلقه عليها،ومع انتزاعها من فاعليها لكل مقومات الحياء، ومؤهلات الرجولة والمروءة، وموجبات التكريم الذي رفع الله ـ تعالى ـ الإنسان إليه، فإن قوم لوط لم يكتفوا بالوقوع في أوحالها، بل أعلنوا بها. فكانوا يفعلونها بصورة جماعية علناً، جهاراً نهاراً، في منتدياتهم ومجالسهم العامة، بلا أدنى قدر من الحياء أو الخجل، فأضافوا إلى قبح السلوك الفاحش، فجر الإعلام الخالي من الحياء، والإعلان به، وإظهاره على الملأ من الناس، يرى بعضهم بعضاً في عمل بلغ من الانحطاط أن الحيوانات لا تفعله. وكانوا يرمون بالحصى كل مَن يمر بهم، وهم في تلك الأوضاع المشينة التي استذلهم الشيطان بالوقوع فيها. وكانوا يكشفون عن عوراتهم وسوءاتهم بلا حياء ولا خجل، مع الفحش في الكلام، والغناء بالمرذول من الألفاظ، والرقص والصفير في عري أو شبه عري كامل، والمزاح بالمكشوف من الكلمات التي لا يجوز أن تقال. ولما بلغوا من الانحراف مبلغه بعث الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيه لوطاً لاستنقاذهم مما كانوا قد انهاروا إليه من فحش في السلوك، وفساد في الاعتقاد، وضياع للأخلاق، وانحطاط عن مستوى الحيوان، فرفضوا دعوته، وكذّبوا نبّوته، وسخروا منه باستعجال نزول عذاب الله بهم، ثم هدّدوه بالطرد من قريتهم.

وظل لوط عليه السلام ثابتاً على دعوته لهم، مكرراً تحذيره من نزول سخط الله عليهم، إلا أن جوابهم كان يأتي في سخرية واستهزاء قائلين: (ائتنا بعذاب الله) وهو كفر واضح، وتحدٍ سافر لنبي من أنبياء الله.

وبالرغم من ذلك استمر لوط عليه السلام في إلحاحه عليهم بضرورة الاستقامة على منهج الله الذي يحرم كل أشكال الخروج عن الفطرة، (ومن ذلك تحريم الشذوذ الجنسي)، والتطهر من جميع أرجاسه وأنجاسه وأوساخه، والارتقاء إلى مقامات التكريم التي كرّم الله ـ تعالى ـ بني آدم بها. كما دعاهم إلى ضرورة الخضوع للّه الخالق بالعبادة والطاعة، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، واحترام آدمية الإنسان، والمحافظة على كرامته. ولكن قوم لوط لم يقبلوا نصائح نبيهم وقد صاروا مستعبدين من قبل الشيطان استعباداً كاملاً فقالوا: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56].

ولما يئس عبد الله ونبيه لوطاً من إمكانية هداية قومه، وعانى من تطاولهم، وفسقهم، وفجورهم، وتبجحهم بالمعاصي المعلنة، ورفضهم هداية الله لهم طلب النصرة عليهم من ربّ العالمين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٣٠﴾ [العنكبوت: 30].

أي: يا ربّ أهلكهم وانصرني عليهم، فإنهم قد بلغوا من سفاهتهم، وإفسادهم في الأرض ما لم يبلغه قوم من بني آدم قبلهم. ويا رب! إني وصلت إلى القناعة التامة بأنهم أصبحوا لا يرجى منهم أي قدر من الإصلاح، وقد غرقوا إلى آذانهم في أوحال الكفر والشرك والضلال، وبالغوا في الإفساد في الأرض، وفي التحلل من كل قيمة إنسانية كريمة، وفي الانخلاع التام من كل الضوابط الفطرية التي أودعها الله ـ تعالى ـ في خلقه حتى أصبحوا مسخاً للإنسان. ويا رب! لقد أصبح إفناء هؤلاء الفسّاق خيراً من وجودهم على ظهر الأرض، لأن شرورهم لم تقتصر على إهدار كرامة الإنسان في أشخاصهم، بل امتد إلى غيرهم من بني آدم، فقد كانوا يقطعون السبيل، ويروعون المارة بقراهم، وينهبون

أموالهم، ويتهددونهم في أعراضهم كرهاً وعدواناً، وإفساداً في الأرض. وهنا يستجيب الله ـ تعالى ـ لدعاء عبده ونبيه لوطاً، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: 31 ـ 35].

وكان ذلك هو جزاء التبجح في اقتراف الرذائل، والإعلان بها، في سفور لا يعرف الحياء ولا التحرج من فعلها. وكان في ذلك أيضاً عقاباً للانحدار بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوان بالخروج عن الفطرة التي فطر الله ـ تعالى ـ خلقه عليها، وعقاباً لتكذيب نبي من أنبياء الله، والتطاول على هدايته، والاستهتار بما كان يحمل لهم من بشارة وإنذار، لعل أن يكون في ذلك عبرة لمن يأتي بعدهم من الأمم، فلا يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء السفهاء من قوم لوط.

عرضت سورة «العنكبوت» لقصص عدد من أنبياء الله ورسله، وقصص نفر من الشخصيات والأمم الطاغية المتجبرة وكيف أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، ومن ذلك ما جاء في الآية التاسعة والعشرين من إنكار لكل خروج عن الفطرة ولكل صورة من صور الإعلان بالفواحش في المجتمعات الإنسانية، وفي مقدمة تلك المنكرات جريمة الشذوذ الجنسي التي ابتدعها العصاة من قوم عبد الله ونبيه لوط عليه السلام، ثم أشعلها الشيطان في مختلف المجتمعات الإنسانية حتى أصبحت اليوم كالنار في الهشيم. ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة يتضح بجلاء أن الكافرين من قوم لوط كانوا أول من ابتدع فاحشة الانحراف الجنسي بين الذكور من بني آدم والمعروفة باسم (اللواط)، أما الانحراف الجنسي بين الإناث فغير معروف من الذي ابتدعه من الأمم، فقد يكونون هم قوم لوط كما قد يكون غيرهم من الأمم.

ومرور عشرات الآلاف من السنين على بني آدم من قبل زمن قوم لوط دون أن تظهر بينهم هذه الفواحش التي تنحط بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوان ينفي تمام النفي الادِّعاء الباطل بأنها من الصفات الموروثة، ويؤكد أنه انحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله ـ تعالى ـ الناس عليها، اقترفه قوم لوط بإرادتهم الشريرة استجابة لغواية الشيطان. وانطلاقاً من ذلك فلا يمكن الاحتجاج بأن الوقوع في اقتراف هذه الجريمة يعود إلى شيء من الاضطرار الوراثي، أو الاضطراب في الغدد أو في إفراز الهرمونات الجنسية لأن كل هذه المبررات التي يقدمها الآثمون من شواذ اليوم لم تثبت علمياً.

ويصف النص القرآني الكريم (الوقوع في جريمة الشذوذ الجنسي بوصف **(المنكر)** وهو واحد **(المناكير)** أي كل ما أنكرته الفطرة السليمة ومجته، وحكمت العقول الصحيحة بقبحه. وأنكره كل من القلب، واللسان، ولذلك حرّمته الشريعة المنزلة لخطره على حياة الإنسان وعلى نفسيته وعلى احترامه لذاته واحترام الآخرين له، وعلى المجتمعات الإنسانية بأكملها.

والقرآن الكريم سمى هذا **(المنكر)** في مقام آخر باسم **(الفاحشة)**، و(الفحش) هو كل شيء جاوز حده. وألفاظ **(الفحش)** و**(الفحشاء)**، و**(الفاحشة)** تصف كل ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، ولذلك يعبر بها عن جريمة (الزنا) كما يعبر بها عن جريمة الشذوذ الجنسي التي وصف القرآن الكريم الواقعين فيها في مقام آخر بوصف **(الظالمين)**. والظالمون هم المتجاوزون حدود الإنصاف بوضع الشيء في غير موضعه. كما وصفهم كتاب الله العظيم بوصف **(المجرمين)** أي المذنبين، لأن (الجرم) و(الجريمة) هو الذنب أو الاكتساب المكروه؛ وبوصف **(المفسدين)** وهو عكس المصلحين، وبوصف **(المسرفين)** أي المتجاوزين الحد في أمورهم، ووصف عملهم بـ**(الفسق)** وهو الخروج عن الشرع.

وكل من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة قد حَرَّما الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله وألوانه وصوره تحريماً قاطعاً، فهذا رسول الله ﷺ يلعن الواقع في

هذه الجريمة النكراء ثلاث مرات فيقول: «**لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط، ولعن الله مَن عمل عمل قوم لوط، ولعن الله مَن عمل عمل قوم لوط**»[1].

و(**اللعن**) هو الطرد من رحمة الله، ومسكين ذلك المطرود من رحمة الله حتى يتوب ويعود إلى رحاب رحمته ﷺ، ولذلك قال المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[2].

وواضح الأمر أن جريمة الشذوذ الجنسي أصبحت اليوم أشد خطراً على المجتمعات الإنسانية من جريمة الزنا ـ على قبحها ـ لأن الشذوذ محرم عقلاً وطبعاً وشرعاً، وحرمته لا تزول أبداً، ولذلك فكل من يبيحه يعتبر مرتداً عن شرع الله، واقعاً في حد من أخطر حدوده. وقد انتشر الشذوذ الجنسي في عالم اليوم انتشار النار في الهشيم حتى ليقدر عدد الشواذ من الجنسين اليوم في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية بنحو (10%) من مجموع تعداد السكان البالغ ما يزيد على الثلاثمائة مليون نسمة [وإن حاولت الجهات الرسمية إنكار هذه النسبة العالية وإنقاصها إلى نحو (2.3%) فقط] مع الاعتراف بأن هذه هي نسبة الذين يعلنون عن أنفسهم بذلك، وأن الغالبية العظمى من الشواذ لا يستطيعون الإعلان عن أنفسهم لما في ذلك من فضيحة لهم ولذويهم.

وهذه النسب التي تصل إلى أكثر من ثلاثين مليون شاذ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، يعلن عن نفسه من بينهم أربعة ملايين من الشواذ الذكور، ومليونين من الشواذ الإناث. وقد تضاعفت هذه النسب اليوم أضعافاً كثيرة، خاصة بعد رفع الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقلية في سنة 1970م. كما يتضح من عدد من الدراسات المنشورة من مثل دراسة ألفرد كنساي (Alfred Kinsay) التي جاءت فيها المعلومات التالية:

(1) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (2913).

(2) تقدم تخريجه سابقاً، وهو ضعيف.

1 ـ أن 10% من مجموع الذكور البيض الذين تتراوح أعمارهم بين (16، 55 سنة) كانوا شواذاً جنسياً طوال الثلاث سنوات السابقة للدراسة والتي غطت الفترة من أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

2 ـ أن نحو 5% من مجموع الإناث البيض اعترفوا اعترافاً علنياً بأنهن شواذ جنسياً.

3 ـ أن 50% فقط من الذكور أعلنوا أنهم لم يمارسوا الشذوذ الجنسي ولا يجدون في أنفسهم ميلاً إليه.

وفي دراسة أخرى بعنوان الشذوذ الجنسي وابتزاز الأطفال جنسياً، لمؤلفها ت.ج. ديلي [Timothy J. Dailey (2005): «Homosexuality and Child Sexual Abuse», Issue No: 247] ذكر واضع الدراسة أن نسبة الشواذ جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية تتراوح بين 1%، 3% من مجموع تعداد السكان المقدر بنحو (260) مليون نسمة في منتصف التسعينيات من القرن العشرين. ومن هذه الأعداد بلغت نسبة الشواذ 46% من الذكور، 22% من الإناث الذين تعرضوا لتحرش جنسي شاذ أثناء طفولتهم، في مقابل 7% فقط من غير الشواذ الذكور، 1% فقط من الإناث غير الشاذات.

والشيوع المذهل لذلك السلوك المنحرف جعل الشذوذ الجنسي أمراً مقبولاً اليوم في معظم الدول الغربية كنظام بديل للحياة العادية، إذا كان بين البالغين، ووقع بدون إكراه. لذلك تعترف به الحكومات، وتشرع له الدساتير، وتحميه القوانين، وترحب به الكنائس التي أقرت بزواج الأمثال فيها، وصرحت لهم بالتبني. وتنفق الدول الغربية إعانات مالية على الشواذ جنسياً في حالات البطالة أو العجز عن العمل، وتسمح بقيام آلاف الجمعيات والمنظمات التي ترعى شؤونهم، وتحمل قضاياهم. كذلك خصص العديد من الجامعات الغربية منحاً دراسية للشواذ جنسياً من كل من الذكور والإناث تشجيعاً لهذا الانحراف المهين لكرامة الإنسان.

وتبقى الفطرة السليمة في بعض الأفراد الذين حرَّموا على أبنائهم وبناتهم

الذهاب إلى المدارس صوناً لهم من الوقوع في مثل هذه الرذائل من أقرانهم أو معلميهم أو حتى من الإداريين في المدارس، وفضّلوا تعليمهم في البيوت إلى أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم.

وينتشر الشذوذ الجنسي بين الرهبان والراهبات وغيرهم من الذكور والإناث المنخرطين في أديان لا تسمح لهم بالزواج، وبين المسجونين والمسجونات، وبين كل من البحارة والكشافة عند فقدان الجنس الآخر، وانعدام التربية الصحيحة.

من الإعجاز القرآني في وصف الشذوذ الجنسي بوصف المنكر:

إن الوصف القرآني للشذوذ الجنسي بأنه منكر، وبأنه فاحشة من الفواحش، ووصف الواقعين فيه بالمجرمين والفاسقين، وبالظالمين، والمسرفين، والمفسدين يدل على مدى خطر هذا السلوك البشع على المجتمعات الإنسانية أفراداً وجماعات. وهذا ما أثبتته جميع الدراسات المكتسبة والتي تلخِّص أضرار هذه الجريمة النكراء فيما يلي:

أولاً: من الأضرار الصحية للشذوذ الجنسي:

يؤدي الشذوذ الجنسي إلى الإصابة بكل الأمراض التي تصيب الزناة، وبغيرها من الأمراض التي يصعب علاجها، بل يستحيل في كثير منها، حتى يفضي إلى الموت، بعد معاناة طويلة وتشوهات خلقية عديدة، وآلام مبرحة. وأكتفي هنا بالنتائج المعلنة التالية والمأخوذة عن بحث للدكتور فرانك جوزيف والمعنون: الشذوذ الجنسي ورجال الكنيسة.

Joseph, Frank (2000-2003): «Homosexality and the Clergy.

Every one Should Know these Statistics on Homosexuals»; International Organization of Heterosexual Rights.

وعلى كل فرد أن يعلم بهذه الإحصائيات عن الشواذ جنسياً:

1 ـ إن الشواذ جنسياً يمثلون (60%) من مرضى المرض الجنسي المعروف باسم

«الإفرنجي» أو «الزهري» (Syphilis)، (3 ـ 4%) من مرضى السيلان؛ (Gonorrhea)، (17%) من داخلي المستشفيات، هذا عدا الذين يلجأون للأطباء النفسيين.

2 ـ إن الشواذ جنسياً يحيون حياة غير صحية، ولذلك يمثلون غالبية المصابين بالأمراض الجنسية الخطيرة وغيرها من أمراض الجسد من مثل الوباء الكبدي ـ (Hepatitis-B) الذي يحمل الشواذ نسباً تتراوح بين (26، 80%) من مرضاه، ومرض متلازمة إمعاء الشواذ (The Gay Bowel Syndrome) الذي يهاجم الأمعاء ويؤدي إلى إصابتها إصابات خطيرة، وأمراض كل من السل (Tuberculosis) والحمى المضخمة للخلايا (Cytomegalo virus)، وأمراض نقص المناعة مثل مرض الإيدز (AIDS) الذي لم ينتشر في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية إلَّا عن طريق الشذوذ الجنسي، ويمثل الشواذ فيه أكثر من 50% من المصابين بهذا المرض الخطير.

3 ـ إن (25 ـ 33%) من الشواذ جنسياً مدمنون للخمور، (64%) مدمنون على المخدرات.

4 ـ إن (39%) إلى (59%) من الشواذ جنسياً مصابون بالعديد من الطفيليات التي لا تتوافر إلَّا في أقذر الأوساط البيئية.

5 ـ إن الشذوذ الجنسي يؤدي بصاحبه إلى التعاسة، والشعور بالنقص، والسادية التي قد تنتهي بقتل الشريك في الجريمة، ويتم ذلك [بنسبة (37%) من الحالات].

6 ـ إن (50%) من المنتحرين هم من المنحرفين جنسياً.

7 ـ إن متوسط عمر الشواذ جنسياً من الذكور هو نحو (42) سنة، ومن الإناث هو حوالي (45) سنة، بينما قد يفلت من الموت نحو (9%) فقط من مجموع الشواذ الذكور، 24% من الشواذ الإناث ليصلوا إلى سن ما بعد الخامسة والستين يقضونها في معاناة صحية ونفسية وآلام جسدية لا تطاق.

وينزل هذا المعدل إلى (39) سنة فقط إذا أصيب الشاذ بمرض الإيدز.

ثانياً: من الأضرار الاجتماعية للشذوذ الجنسي:

(أ) نقص تعداد السكان لقناعة الشواذ بإشباع شهواتهم الدنيئة دون وعي لضرورة الإنجاب، وهي ظاهرة سائدة اليوم في أغلب الدول الغربية وتصيبها في مجموعها بالشيخوخة.

(ب) زيادة نسبة كل من كبار السن، والمقعدين، والعجزة عن نسبة الشباب المنتج في غالبية المجتمعات الغربية، وأضرار ذلك الاقتصادية والاجتماعية معروفة.

(ج) ارتفاع معدلات العنف والجريمة من مثل جرائم الاعتداء على الأطفال، واغتصاب الكبار، والإيذاء البدني والقتل للشركاء في مثل هذه الرذائل. ففي دراسة دكتور فرانك جوزيف التي سبقت الإشارة إليها جاء ما يلي:

1 ـ إن الشواذ جنسياً معرّضون للقتل أكثر مائة مرة في الذكور، (53.4) مرة في الإناث من غيرهم وعادة ما يتم ذلك بواسطة شركائهم في هذه الجريمة البشعة. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن (50%) من حوادث قتل النساء في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية هي للشاذات جنسياً.

2 ـ إن الشواذ جنسياً معرضون للانتحار أكثر (25) مرة من غيرهم، وللقتل عن طريق حوادث الطرق أكثر (19) مرة من غيرهم.

3 ـ إن (33%) من الشواذ جنسياً يعترفون بالاعتداء على كل من الصغار والكبار. وهناك مجموعات عديدة مكونة من آلاف الشواذ جنسياً في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية منها مجموعة تسمي نفسها باسم:

The North American Man and Boy Love Association (NAMBLA).

وهي مجموعة متخصصة في الاعتداء جنسياً على الأطفال الصغار، وتمثل أكثر من (33%) من تلك الحوادث البشعة، ويعترف (53%) منهم باقتراف هذه الجريمة مع من هم دون التاسعة عشرة من العمر.

4 ـ أن (59.6%) من الشواذ جنسياً في دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية هم من خريجي الجامعات، (49%) منهم يحتلون مراكز تخصصية وإدارية بارزة في مجتمعاتهم للأسف الشديد.

(د) تدمير مؤسسة الأسرة، وإشاعة الفواحش في المجتمعات الإنسانية، ومحاربة الأديان التي تجرم فحشهم.

(هـ) يتسلل الشواذ جنسياً في مختلف المجتمعات لإفساد غيرهم من أجل زيادة أعداد المفسدين في الأرض، نصرة لشذوذهم وانحرافاتهم، ولزيادة المطالبة بحقوق لهم. وهم في ذلك يصيبون الأبرياء بما يحملون من مسببات المرض.

(و) الشذوذ الجنسي إما يصيب الواقع فيه بالشعور بالدونية الشديدة، أو بالوقاحة الشديدة، وقلة الحياء والاستهتار بكل المعتقدات والآداب والقيم، وبالعديد من الاضطرابات والعقد النفسية، والقلق وتشتت الفكر، والاكتئاب، والشراسة، والكراهية، وغيرها من الأمراض العصابية، كما قد يصابون بالعجز الجنسي المؤقت أو الدائم، ولذلك يخدعون أنفسهم بتسمية أنفسهم بالفرحين (Gays) وهم عكس ذلك تماماً لأنهم من أكثر أهل الأرض تعاسةً وبؤساً.

(ز) إن حياة الشواذ جنسياً هي حياة غير مستقرة، والسماح لهم بالتبني وتربية الأطفال بينهم هو تدمير لفطرة هؤلاء الأطفال السليمة. ومن ثم فهو تدمير لمستقبل الأمة التي تسمح لمثل هذه الفواحش بالشيوع بين أبنائها.

ويحزننا أن يأتي عدد من الأفلام المصرية اليوم ليدعو علناً إلى مثل هذا الفحش بدعوى حرية التعبير.

ثالثاً: من الأضرار الاقتصادية للشذوذ الجنسي:

1 ـ تعتمد الحضارات الإنسانية على الأجيال الشابة من أبنائها، والشذوذ الجنسي يحرم الأمة من إنتاج هذه الأجيال، فيؤدي إلى تناقص تعداد السكان باستمرار،

وإلى تناقص الأجيال الشابة وزيادة أعداد المتقاعدين عن العمل.

2 ـ إن تفشي الأمراض المستعصية بين الشواذ جنسياً يضعف من إنتاجيتهم ويستهلك من ميزانية الدولة جزءاً كبيراً لعلاجهم.

3 ـ كذلك فإن تفشي الأمراض المستعصية بين الشواذ جنسياً قد يصيب أعداداً منهم بالعجز عن العمل مما يجعلهم حملاً على ذويهم وعلى الدولة التي تؤويهم.

4 ـ إنه نتيجة لعدم الاستقرار بين «زواج الأمثال» لمنافاته للفطرة فإن ذلك يساعد على ارتفاع معدلات الجريمة، وإلى تكدس قضاياها أمام المحاكم بمختلف أشكالها وأحجامها، وقضايا الطلاق وما تقتضيه من إنفاق يعجز كثير من الأفراد والدول عن تحمله.

5 ـ إن العنف الذي يسود مثل هذه العلاقات المشينة، وما ينتج عنه من إصابات بدنية ونفسية خطيرة، ودمار أخلاقي، واجتماعي واقتصادي كبير، لا يستطيع مواجهته أي مجتمع معاصر، ولا أي نظام أمني من مثل الشرطة وغيرها، مما يؤدي إلى فوضى اجتماعية، وتحلل أخلاقي وانهيار اقتصادي خطير.

رابعاً: من أوجه الإعجاز التشريعي في تحريم الشذوذ الجنسي:

خلق الله ﷻ جميع خلقه في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا ﷻ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وهذه الزوجية تشمل كلاً من الجمادات (من اللبنات الأولية للمادة إلى الكون كله)، والأحياء من كل من النبات والحيوان والإنسان). وجعل الله ـ تعالى ـ التزاوج بين الأحياء وسيلة من وسائل التكاثر من أجل إعمار الأرض بالحياة إلى أن يشاء الله، وجعل بين الجنسين (الذكر والأنثى) من الميل والتجاذب الفطري ما يعين على تحقيق ذلك، كما جعل التجاذب بين الشحنات الكهربية المختلفة والتنافر بين الشحنات المتشابهة دليلاً على ذلك. ولقد عاشت البشرية من لدن أبينا آدم ﷺ إلى زمن كل من النبيين إبراهيم، وابن أخيه النبي لوط ﷺ على هذه الفطرة السوية.

ومنذ أربعة آلاف سنة فقط كانت هناك أعداد من القرى في أقصى الجنوب من البحر الميت عرفت باسم «قرى سدوم وما حولها». وكان أهل هذه القرى قد وقعوا فريسة سهلة للشيطان الذي أخرجهم من دائرة الاستقامة على منهج الله إلى الخروج عنه، حتى أصبحوا أكثر أهل الأرض مجوناً وانحطاطاً، وكانوا أول مَن ابتدع الشذوذ الجنسي الذي لم يُعرف في أي من بني آدم من قبل. لذلك فإن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعث إليهم نبيه لوطاً ﷺ لينهاهم عن هذا الخروج على الفطرة السوية التي فطر خلقه عليها، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، ولكنهم سخروا منه ولم يستجيبوا لدعوته، وأنذروه وأهله بالطرد من قراهم. وبلغ بهم التبجح في مواجهة نبيهم إلى أن طالبوه بإنزال عذاب الله الذي تهددهم به، فأهلكهم الله بذنوبهم، وجاء ذكر إفسادهم في الأرض وإهلاك الله ـ تعالى ـ لهم في سبعة وعشرين موضعاً من كتاب الله. وهذه الآيات تؤكد أن الانحراف عن الفطرة السوية ناتج عن إنكار الدين الذي أنزله الله ـ تعالى ـ هداية لخلقه، وبياناً لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا. والإنسان مطالَب في ذلك بالالتزام بمكارم الأخلاق حتى يرتقي بنفسه إلى مقامات التكريم التي هيأها الله ـ تعالى ـ له. وعلى النقيض من ذلك فإن الإنسان إذا خرج عن أوامر ربه انحط إلى مستويات دون منازل الحيوان الأعجم لأن هذا الحيوان يلتزم بالفطرة التي فطره الله ـ تعالى ـ عليها. من هنا كان في خروج الإنسان بإرادته عن الفطرة السوية التي فطره الله عليها إهدار لكرامته، وطمس كامل لإنسانيته.

من هنا كان خروج أهل «سدوم» وما جاورها من قرى جنوب البحر الميت عن الفطرة إلى حد الابتذال في السلوك، والإعلان بالشذوذ الجنسي، والتعدي به على مَن يمر بديارهم على قارعة الطريق أو في نواديهم، ساخرين من كل مَن يستنكر انحطاطهم تجسيداً للمصير الأسود الذي ينتظر كل خارج على الفطرة التي فطر الله خلقه عليها. وقد أيأس ذلك عبد الله ونبيه لوطاً من إمكانية إصلاح قومه، ودفعه إلى الإعلان ببراءته منهم ومن أعمالهم، وبإشهاده الله ـ تعالى ـ بأنهم أشر أهل الأرض في زمانه وأخبثهم، فأمر الله ـ تعالى ـ ملائكته بطمس أعينهم، ثم بقلب قراهم رأساً

على عقب وبرجمها بوابل من سجيل منضود بعد أن أمر لوطاً بالخروج منها ليلاً مع أهله، وأمرهم بألاّ يلتفت منهم أحد، فالتفتت امرأته فأصابها ما أصابهم. وفي ذلك قال ﷺ: «**مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[1].

ومن الغريب أنه في سنة 390م أصدر الإمبراطور الروماني قانوناً يحرّم الشذوذ الجنسي، وظل هذا القانون معمولاً به إلى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي حين تحولت العقوبة من القتل حرقاً إلى القتل شنقاً. وقد طبق هذا القانون أولاً في فرنسا، ثم في بريطانيا، ثم ألغي في سنة 1791م. واستبدلت بريطانيا في سنة 1861م إعدام الشواذ بالسجن سجناً نافذاً لمدة عشر سنوات. ثم في سنة 1962م ألغت الولايات المتحدة الأمريكية عقوبة الشذوذ الجنسي، وتبعتها في ذلك كل من بريطانيا (سنة 1967م) وكندا (سنة 1968م)، وفرنسا (سنة 1981م)، وفي سنة 1990م قامت منظمة الصحة العالمية بحذف الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقلية، وفي سنة 2003م قام المجلس الأعلى للقضاء بالولايات المتحدة الأمريكية بحذف كل القوانين السابقة بحق الشواذ جنسياً. ثم في سنة 2004م قامت أعداد من كل من أوروبا وكندا وأمريكا بالاعتراف بزواج المثليين بشكل قانوني. وتتم بعض هذه الزيجات الشاذة إلى اليوم في الكنائس، ويسمح لهؤلاء الشواذ بتبني الأطفال الذين تدمر نفسياتهم تدميراً كاملاً في هذه المحاضن الآسنة النجسة. وأصبح الشذوذ الجنسي اليوم سمة للمجتمعات التي تزعم لنفسها التحضر، ومرضاً وبائياً وسلوكياً يحتاج إلى المعالجة الراشدة. وقد بلغ الفجور ببعض أبناء هذه المجتمعات إلى إقامة كنائس لكل من الشواذ والشاذات تحمل اسم السيد المسيح (شرفه الله عن هذا الانحطاط وأمثاله). وتقرأ اليوم في دليل التليفون الأمريكي عناوين مقززة من مثل: "Christ Church for Homosexuals" "Christ Church for Lesbian" وفيه من الإهانة إلى واحد من أولي العزم من الرسل ما فيه، ويعكس مستوى التدني في أخلاق وسلوكيات أهل عصرنا.

---

(1) تقدم تخريجه.

وقد جعل اللّه للناس آية أخرى في مدينة رومانية قديمة اسمها «بومبي» بسفح بركان «فيزوف»، قرب مدينة نابولي الإيطالية حيث طمر الرماد البركاني والحمم مدينة «بومبي» في ثورة ذلك البركان سنة 79م. وعندما قام الأثريون بالكشف عن هذه المدينة أثبتت الدراسة أن أهلها كانوا على قدر من الترف والفساد، والتحلل الأخلاقي يشابه سلوك قوم لوط في شذوذهم الجنسي، وانحرافهم عن الفطرة السوية. وعندما ثار بركان فيزوف فجأة طمرهم برماده فلم يستطع أحد من أهل هذه المدينة الفرار، وتحجرت أجسادهم بالكامل في الأوضاع والهيئات التي كانوا عليها والتي تشهد على إعلانهم بمختلف أشكال الشذوذ الجنسي الذي جسدته أوضاعهم التي ماتوا عليها. كما جسدت كل من النقوش والرسوم الخليعة الفاضحة العديدة التي وجدت على جدران المنازل والنوادي والحانات في مدينة «بومبي» ما يشهد بذلك. وقد وضعت هذه النقوش والرسوم اليوم في متحف خاص لا يسمح لزواره باصطحاب الأطفال معهم. وكما سبق وأن أشرنا ثبت أن الشذوذ الجنسي يتسبب لممارسيه في العديد من الأمراض العضوية والنفسية المستعصية العلاج، والتي من أخطرها مرض نقص المناعة (الإيدز)، والذي لم يكتشف إلا في سنة 1981م، فصرع الملايين من البشر، وسكن أجساد الملايين الآخرين سكوناً ينتظر لحظة الانقضاض عليهم والقضاء على وجودهم.

ومن هنا تأتي ومضة الإعجاز التشريعي في تحريم الشذوذ الجنسي الذي انتشر اليوم في سكان الأرض انتشار النار في الهشيم.

هذا قليل من الكثير الذي من أجله حرّم الإسلام العظيم جريمة الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله وألوانه وصوره، ومن هنا كان الإعجاز العلمي والتشريعي واللغوي والتاريخي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت: 28].

41 ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: 82].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واحدة من أخطر صور العقاب التي أنزلها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بالأقوام العاصين من عباده. وقد حلّت هذه الكارثة بقوم لوط، بعد أن أشركوا. وانحرفوا عن الفطرة السوية التي فطر الله ـ تعالى ـ عباده عليها. ونتيجة لهذا الانحراف عن الفطرة ماتت كل صور النخوة، والمروءة، والعفة في قلوبهم، وأعانوا شياطين الجن والإنس على أنفسهم حتى عششت في عقولهم، وغلفت قلوبهم بالسواد فأعمتهم عن الحق، وأقنعتهم بالوقوع في وحل الفواحش. وكان على رأس تلك الفواحش الشذوذ الجنسي الذي ابتدعه قوم لوط لأول مرة في تاريخ البشرية، وغاصوا في أوحاله إلى آذانهم، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم نبيه لوطاً من أجل هدايتهم، فلم يستجيبوا لدعوته، بل سخروا منه، وأهانوه، وعارضوه معارضة شديدة، وهددوه بالطرد من قراهم، وبالاعتداء على ضيوفه من الملائكة فأرسل الله ملائكته لتدميرهم بالكامل، وفي ذلك يقول ﷻ:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 77 ـ 83].

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

يقدَّر الفارق الزمني بين عبد الله ونبيه لوط، وخاتم الأنبياء والمرسلين (صلّى الله وسلّم وبارك عليهما) بأكثر من ألفي سنة (2296 سنة)، فمن أين لرسولنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كل هذه التفاصيل عن نبي مثل لوط عليه السلام لو لم يكن نبينا موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض؟ خاصة وأنَّ العرب في زمن الوحي لم يكونوا أمة تدوين، ورسولنا ﷺ كان أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب حتى لا يدَّعي أحد أنَّه استقى ذلك القصص من «العهد القديم». وكثير من التفاصيل التي أوردها القرآن الكريم عن عبد الله ونبيّه لوط عليه السلام وعن قومه، لم ترد في ذلك الكتاب. وكان قوم لوط قوماً فاسقين، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم نبيّه لوطاً يدعوهم إلى الإقلاع عن تلك الفواحش التي كانوا يرتكبونها، وإلى الاستقامة على منهج الله وعبادته ﷻ وحده، فلم يستجيبوا لدعوته. وبالغ قوم لوط في معاصيهم حتى يئس نبيّهم من هدايتهم، فتوجَّه إلى ربِّه العزيز بالدعاء سائلاً هلاكهم لاستعصائهم على الهداية. استجاب الله ـ تعالى ـ دعاء نبيّه لوطاً، فأرسل إليه عدداً من الملائكة في هيئة رجال حسان الوجوه لينفذوا ما أمروا به من عقاب قوم لوط، وقبل قدومهم إلى قرى قوم لوط مرّوا على عبد الله ونبيه إبراهيم ليبشِّروه بمقدم ولده إسحاق.

وعندما وصل الملائكة إلى قرى قوم لوط لجأوا إلى بيت هذا النبيّ الصالح، وجاء قومه سراعاً إلى بيته يريدون بضيوفه سوءاً، فذكَّرهم لوط بحق الضيف على المضيف، ولكنهم أصروا على إفسادهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الحجر: 67 ـ 70].

فما كان أمام لوط عليه السلام إلَّا أن يعرض عليهم الزواج من بنات القرية، وهن بمثابة بناته (لأن كل نبيّ يعتبر أباً لأبناء وبنات أمته) ولكنهم لم يصغوا لدعوته، فأسقط في يد لوط، وأحس بضعفه أمام هجمة هؤلاء الفاسدين، ونطق وهو في

حالة من الكرب الشديد: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ وغاب عن لوط وهو في كربته أنه يأوي إلى ركن شديد، وهو ركن الله العلي، القوي، العزيز، الذي لا يتخلى عن أوليائه أبداً. وحينئذٍ أعلن له الملائكة بأنَّهم رسل الله الذين جاؤوا لإهلاك قومه الفاسقين. وفجأة طمست أعين قوم لوط فعموا وفرّوا مذعورين وهم خائبون.

وطلبت الملائكة من لوط عليه السلام أن يغادر هو وزوجه وابنتاه تلك القرية الفاجرة قبل طلوع الفجر. وعند مقدم الصبح نزل عقاب الله بالفاسقين من قوم لوط، فقامت الملائكة باقتلاع قراهم الواقعة إلى الجنوب من البحر الميت وقلبوها جاعلين عاليها سافلها، ثم أتبعهم الرجم بالحجارة الشديدة الصلابة، المتتابعة حتى قضت عليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٖ ۝٣٤ نِّعْمَةٗ مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٞ مُّسْتَقِرّٞ ۝٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٤٠﴾ [القمر: 33 ـ 40].

وقصة سيِّدنا لوط عليه السلام مع قومه ـ كبقية قصص القرآن الكريم تبقى واحدة من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي في كتاب الله، ولو أن المسلمين وعوا إلى أهمية هذا القصص فقاموا بتحقيق كل الأحداث التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تحقيقاً جغرافيًّا، وتاريخيًّا، وجيولوجيًّا وبغير ذلك من العلوم، وقدموا نتائج تلك الدراسات للناس (مسلمين وغير مسلمين) لكانت ورقة دعوة راقية نقدمها لأهل عصرنا باللُّغة الوحيدة التي يفهمونها وهي لغة العلم، والتحقيق العلمي.

خامساً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه إسماعيل عليه السلام

عبد الله ونبيه إسماعيل هو ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد جاء ذكره اثنتا عشرة (12) مرّة في القرآن الكريم، على النحو التالي:

1، 2 ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 125 ـ 129].

3 ـ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133].

4 ـ ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136].

5 ـ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: 140].

6 ـ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: 84].

7 ـ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

8 ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 86].

9 ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39].

10 ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: 54، 55].

11 ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: 85].

12 ـ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: 48].

وهذا الابن الصالح (إسماعيل)، رزقه الله ـ تعالى ـ لعبده ورسوله إبراهيم على الكبر، من زوجته السيدة هاجر رضي الله عنها، وذلك بمعجزة إلٰهيّة تشهد للّه ـ تعالى ـ بأنّه هو واهب الذريّة لمن يشاء من عباده، وفي أي عمر يشاء. وقد جاء مولد إسماعيل استجابة لدعوة أبيه المتكررة للّه ـ تعالى ـ والتي كان يقول فيها ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: 100].

وكما تعرّض إبراهيم عليه السلام لسلسلة طويلة من الابتلاءات، كذلك ابتلي كل من إسماعيل وأمّه بسلسلة من الابتلاءات، وذلك منذ اللّحظة الأولى لولادته. فلم يكد إبراهيم يفرح بميلاد ابنه البكر ووحيده، حتى أُمِرَ بوضعه هو وأمه في وادي مكّة عند قواعد البيت، والوادي في هذا الزمن كان أرضاً قفراً لا ماء فيها ولا زرع،

ولا أثر لإنسان.

وعلى الفور قام إبراهيم باصطحاب زوجه السيّدة هاجر ورضيعها إسماعيل، في رحلة طويلة إلى وادي مكَّة، ووضعهما عند قواعد البيت، وترك عندهما جراباً من التمر، وسَقاءً فيه ماء، وودّعهما تاركاً إيّاهما وراءه، وقفل راجعاً. فتبعته أم إسماعيل قائلة له: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟ وقالت له ذلك مراراً وإبراهيم لا يلتفت إليها! فأدركت بحسّها الفطري أنَّ ذلك لا بدَّ وأن يكون أمراً من الله ـ تعالى ـ، لكون زوجها من الأنبياء الموصولين بالوحي. فسألته قائلة: آللَّه أمرك بهذا؟ فأدار وجهه إليها قائلاً: نعم، وبفطرية سليمة ردّت عليه قائلة: إذاً لا يُضيعنا، ثم عادت إلى رضيعها، وانطلق إبراهيم في طريقه حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه موضع قواعد البيت حيث ترك زوجته ورضيعها، ورفع يديه إلى السَّماء داعياً الله ـ تعالى ـ لهما بدعاء دوَّنه القرآن الكريم بالنص التالي:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: 37].

وبقيت أم إسماعيل تأكل التمر من الجراب، وتشرب الماء من السقاء، وتُرضع صغيرها حتى نفذ ما في السقاء من ماء، وجفَّ لبن الأُم، وبدأ الصغير في البكاء من شدة الجوع والعطش، في جوّ وادي مكّة الحارّ. وبدأت أمّ إسماعيل تجري في الوادي بحثاً عن الماء، وترقى تلة صغيرة على طرف الوادي هي «الصفا»، بحثًا عن طائر يحط على شيء من الماء، أو عن قادم قد يكون حاملاً معه شيئاً من الزاد والماء، فلم ترَ شيئاً من ذلك. ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى بطن الوادي، راحت تسعى سعي الإنسان المُجهد، حتى وصلت إلى تلّة أخرى هي «المروة»، فارتقتها في محاولة للبحث عن مُنقذ ولكنها لم ترَ أحداً، وراحت تسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط. وقد سَنَّ لنا ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة، وجعلها شعيرة من شعائر عبادة

الحج والعمرة، كي تبقى إحياءً لذكرى جهاد هذه المرأة المؤمنة الصابرة على قضاء الله وقدره، الرّاضية بهما رضاءً كاملاً، وفي ذلك روى ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ أنه قال: «فذلك سعي الناس بينهما»[1].

عادت أم إسماعيل بعد الشوط السابع وهي مُجهدة، تلهث من شدّة التعب والعطش، ورضيعها يبكي، وفي هذه اللحظات الحرجة نزلت عليها رحمة السماء، فأرسل الله ﷻ إليها جبريل عليه السلام ليقول لها: «لا تخافي الضيعة، فإنَّ هاهنا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يُضيع أهله»[2]. ثمّ ضرب جبريل الأرض بجناحه أو بعقبة فانفجرت عين زمزم، وفرحت أمّ إسماعيل بانفجارها فرحاً شديداً، فأخذت تحيطها بالحصى والرمال وهي تقول: زُمِّي زُمِّي، ومن هنا صارَ اسمُها زمزم. وأتاهم جبريل بشيء من الطعام، وطمأن أم إسماعيل برعاية الله لها ولرضيعها.

وبعد ذلك حدث أن مرّ نفرٌ من قبيلة «جرهم» اليمنيّة بوادي مكّة، وهم في طريق عودتهم من بلاد الشام إلى بلاد اليمن، وعندما رأوا الطيور تحط في الوادي، اتَّجهوا إلى حيث تحط الطيور فوجدوا بئر زَمزم، ولم يسبق لهم أن أدركوا بئراً من قبل في هذا الوادي. استأذن القادمون من قبيلة جرهم أم إسماعيل أن يجاوروها بسُكنى الوادي، فأذنت لهم بذلك، وأرسلوا إلى أفخاذٍ من قبيلتهم في اليمن فلحقوا بهم، وعُمِر الوادي استجابةً لدعوة عبد الله ونبيّه إبراهيم عليه السلام.

كبر إسماعيل، وكان كلَّما كبر زاد تعلق أبيه به، وحبّه له، والأب طريد شريدُ عن قومه، بعيد عن أهله، فلا عزوة له، ثم رزقه الله ـ تعالى ـ هذا الابن على الكبر، فتعلق قلبه به، وامتلأ بحبّه وأصبح يمثل رجاءً كبيراً عنده.

وفي نشوة الفرح بهذا الابن الوحيد، والعقب الوحيد، أوحى الله ـ تعالى ـ إلى عبده ورسوله إبراهيم في المنام، أن يذبح وحيده، وهو ابتلاء لا يقوى عليه

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

أعظم البشر إيماناً وأرسخهم عقيدة. ولمّا كانت رؤيا الأنبياء حق، فقد قرّر إبراهيم إبلاغ أمر الله ـ تعالى ـ إلى ولده الوحيد، الذي انصاع إلى قبول أمر خالقه في شيء من الرضا والصبر والتسليم للأمر الإلٰهي.

وفي اللّحظة التي رقد فيها إسماعيل ووجهه إلى الأرض، استعداداً لذبحه بيد أبيه، الذي رفع السكين ليَقضي ما أمر الله ـ تعالى ـ به، جاء الوحي إلى إبراهيم بالتوقف، لأنَّ اختبار وفاء كل منه ووحيده إسماعيل لأمر الله قد تحقق. وفدى ربّ السمٰوات والأرض ومن فيهنَّ عبده إسماعيل بذبح عظيم، وجعل من هذا الموقف الكريم عيداً للمسلمين إلى يوم الدين، يُذكِّرهم بمعنًى من معاني طاعة الله، والرضا بقضائه الذي حققه كل من إبراهيم وولده إسماعيل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم، على لسان عبد الله ورسوله إبراهيم ما نصه:

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصّافات: 99 ـ 111].

كبُرَ إسماعيل وتزوّج من قبيلة «جرهم»، ورزقه الله ـ تعالى ـ الذريّة التي نسأ منها العرب المستعربة، ثم نبأ الله تبارك وتعالى إسماعيل، وبعثه إلى كل من جرهم، والعماليق، وإلى غيرهم من قبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأصنام والأوثان، وأمرهم بعبادة الله تبارك وتعالى وحده، فآمنت معه طائفة، وكفرت طوائف عديدة منهم.

رفع القواعد من البيت:

أمر الله تبارك وتعالى عبده ونبيّه إبراهيم، أن يُعيد بناء الكعبة التي كانت قد تهدّمت وبقيت قواعدها، وأن يُعيد رفع جدر البيت من تلك القواعد. استعان إبراهيم بولده إسماعيل في تنفيذ تلك المهمّة، التي ينوء بها عشرات الرجال، حتى تمّت،

وشملت تقطيع الصخور وتسويتها ونقلها، وبناء جوانب الكعبة ورفعها، وتكملة سقفها وبابيها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 127 ـ 129].

وبعد جهاد طويل في الدعوة إلى دين الله، وبعد وفاة كل من إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، توفي إسماعيل عليه السلام ودُفن في حجر الكعبة مع أمّه السيّدة هاجر التي كانت قد سبقته بالدفن في ذلك الحجر، ولذلك عُرف باسم «حجر إسماعيل».

من الدروس المُستفادة من استعراض القرآن الكريم لسيرة النبيّ إسماعيل عليه السلام:

1 ـ إنَّ الإنسان إذا حُرم شيئاً من خير الدنيا دون تقصير من جانبه، فعليه أن يتوجه بالدعاء الصادق إلى الله ـ تعالى ـ لعل الله أن يستجيب لدعائه. فقد قارب عبد الله ورسوله إبراهيم أرذل العمر دون أن يُرزق الولد، فألحَّ على الله بالدعاء أن يهبه الذرية الصالحة، فاستجاب الله الخالق البارئ المصوّر دعاء عبده ونبيّه إبراهيم، ورزقه ابنه إسماعيل على الكِبَر من زوجته الثانية السيدة هاجر ـ عليها رضوان الله ـ.

2 ـ إنَّ الثقة في الله ـ تعالى ـ هي مصدر كل خير؛ فقد ابتُلي نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام بالأمر الإلٰهي أن يضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل في بقعة محددة من وادي مكة عند قواعد البيت الحرام، وهي يومئذٍ أرض قفر لا ماء فيها، ولا زرع، ولا بشر، وترك عندهما جراباً فيه شيء من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء، ثم قفل راجعاً في طريقه إلى فلسطين، وهو يدعو الله ـ تعالى ـ لهما. فاستجاب الله تعالى لدعوة عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام وأكرم زوجه السيدة هاجر ـ عليها رضوان الله ـ جزاء ثقتها المطلقة في رحمة الله، فأرسل عبده جبريل عليه السلام قائلاً: «لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله»، ثم قام بضرب الأرض بجناحه أو بعقبه فانفجرت بئر زمزم.

3 ـ إنَّ الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان واختبار، وأنَّ النَّجاح في الابتلاءات الدنيوية هو الطريق إلى جنَّة الخلد بإذن الله، وعلى ذلك فإن الإنسان إذا تعرّض لشيء من الابتلاء فرضي بقضاء الله وقدره، وصبر عليهما، فإمَّا أن يرفع الله ـ تعالى ـ عنه البلاء، أو أن يبين له خير هذا القضاء أو القدر.

4 ـ إنَّ الدُّعاء هو مخّ العبادة، وإذا صدر من القلب بإخلاص وتجرُّد للَّه ـ تعالى ـ استحقّ الإجابة، وإن عِزّ الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة قائمان على درجة إيمانه باللَّه ـ تعالى ـ وإسلامه الوجه له، وعلى الخضوع بالطاعة لجلاله، والاستعداد لسرعة التوبة إليه، والثقة الكاملة بطلاقة القدرة الإلٰهية، واليقين الجازم بأنَّه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله.

5 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ يصطفي من عباده الصالحين من يُبلّغ هدايته إلى الناس، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: 49 ـ 51].

ولهذا الاصطفاء الإلٰهي ضوابطه: من سلامة الجسد، ورجاحة العقل، وطهارة القلب، وسلامة الفطرة. ولتوفر هذه الصفات في عبد الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم فقد منَّ الله ـ تعالى ـ عليه بالنبوة وبالرسالة، وبعثه إلى كلٍّ من العماليق وقبيلة جرهم، وإلى غيرهما من قبائل اليمن.

وعلى كل مَن يريد أن يحظى برضاء ربّه أن يتأسّى بنبيل الصفات التي وصف بها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده ورسوله إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ومنها: صدق الوعد، والاجتهاد في الدعوة إلى دين الله، والحرص على أمر الأهل بأداة الصلاة وإيتاء الزكاة.

6 ـ التأكيد على فضل صدق الوعد، وعلى قيمة أمر الأهل بالصلاة والزكاة، طلباً لمَرضاة الله. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:

ـ **«لا دين لمن لا أمانة له»**[1].

(1) أخرجه أبو شيبة حديث رقم (30326).

- وقال: «**إنَّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة، وإنّ الرجل ليصدُق حتى يكون صِديقاً. وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً**»[1].
- وقال: «**إنَّ أوَّل ما يحاسب عليه العبد المسلم يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»[2].
- وقال: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[3].

7 ـ التأكيد على ضرورة طاعة الأبناء للوالدين، وعلى استشارة الوالدين للأبناء فيما يخصّهم من أُمور.

8 ـ الثقة في أنَّ الله ـ تعالى ـ هو رازقُ الذرية، فلا يقنط شابٌ من تأخر حصوله عليها، والسبيل إلى ذلك هو الدعاء، والإلحاح فيه على الله ـ تعالى ـ بالإجابة.

9 ـ اليقين بأن الدنيا هي دار ابتلاء واختبار، وإنَّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل.

هذه الدروس المستقاة من استعراض القرآن الكريم لسيرة عبد الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم هي من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله؛ وذلك لنبل مقاصدها التربوية، ولعدم وجود أية إشارة لها في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، خاصة وأنَّ نبيّ الله إسماعيل قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، أي قبل تنزّل القرآن الكريم بأكثر من ألفي سنة.

هذا وقد أشار «العهد القديم» إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام بأوصاف لا تليق بنبي، وذكر أنه سكن صحراء «فاران» أو "Paran"، ومراجع المسيحية تؤكد أن

---

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (6094).

(2) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (16954).

(3) أخرجه أبو داود حديث رقم (1308).

المقصود بهذا الاسم هو صحراء مكة، ولكن الاختلاف الكثير في رواية «العهد القديم» قد حرفها عن أصلها كثيراً، كما يتضح من نصوص (سفر التكوين: 21/ 9 ـ 21).

Hagar and Ishmael Sent Away

[9]But Sarah saw that the son whom Hagar the Egyptian had borne to Abraham was mocking, [10]and she said to Abraham, "Get rid of that slave woman and her son, for that slave woman's son will never share in the inheritance with my son Isaac." [11]The matter distressed Abraham greatly because it concerned his son. [12]But God said to him, "Do not be so distressed about the boy and your maidservant. Listen to whatever Sarah tells you, because it is through Isaac that your offspring will be reckoned. [13]I will make the son of the maidservant into a nation also, because he is your offspring."

[14]Early the next morning Abraham took some food and a skin of water and gave them to Hagar. He set them on her shoulders and then sent her off with the boy. She went on her way and wandered in the desert of Beersheba. [15]When the water in the skin was gone, she put the boy under one of the bushes. [16]Then she went off and sat down nearby, about a bowshot away, for she thought, "I cannot watch the boy die." And as she sat there nearby, she began to sob.

[17]God heard the boy crying, and the angel of God called to Hagar from heaven and said to her, "What is the matter, Hagar? Do not be afraid; God has heard the boy crying as he lies there. [18]Lift the boy up and take him by the hand, for I will make him into a great nation." [19]Then God opened her eyes and she saw a well of water. So she went and filled the skin with water and gave the boy a drink. [20]God was with the boy as he grew up. He lived in the desert and became an archer. [21]While he was living in the Desert of Paran, his mother got a wife for him from Egypt.

طرد هاجر وإسماعيل

[9]وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ٱبْنَ هَاجَرَ ٱلْمِصْرِيَّةِ ٱلَّتِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِنِ ٱبْنِهَا إِسْحَاقَ. [10]فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «ٱطْرُدْ هَذِهِ ٱلْجَارِيَةَ وَٱبْنَهَا، لأَنَّ ٱبْنَ ٱلْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ ٱبْنِي إِسْحَاقَ». [11]فَقَبُحَ هَذَا ٱلْقَوْلُ فِي نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَجْلِ ٱبْنِهِ. [12]فَقَالَ ٱللهُ لَهُ: «لَا يَسُوءُ فِي نَفْسِكَ أَمْرُ ٱلصَّبِيِّ أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ. وَٱسْمَعْ لِكَلَامِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. [13]وَسَأُقِيمُ مِنِ ٱبْنِ ٱلْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ».

[14]فَنَهَضَ إِبْرَاهِيمُ فِي ٱلصَّبَاحِ ٱلْبَاكِرِ وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَدَفَعَهُمَا إِلَى هَاجَرَ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى كَتِفِهَا ثُمَّ صَرَفَهَا مَعَ ٱلصَّبِيِّ. فَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. [15]وَعِنْدَمَا فَرَغَ ٱلْمَاءُ مِنَ ٱلْقِرْبَةِ طَرَحَتِ ٱلصَّبِيَّ تَحْتَ إِحْدَى ٱلأَشْجَارِ. [16]وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ عَلَى بُعْدِ نَحْوِ مِئَةِ مِتْرٍ لأَنَّهَا قَالَتْ: «لَا أَشْهَدُ مَوْتَ ٱلصَّبِيِّ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ.

[17]وَسَمِعَ ٱللهُ بُكَاءَ ٱلصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلَاكُ ٱللهِ هَاجَرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا ٱلَّذِي يُزْعِجُكِ يَا هَاجَرُ؟ لَا تَخَافِي، لأَنَّ ٱللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ ٱلصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. [18]قُومِي وَٱحْمِلِي ٱلصَّبِيَّ، وَتَمَسَّكِي بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». [19]ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ ٱلْقِرْبَةَ وَسَقَتِ ٱلصَّبِيَّ. [20]وَكَانَ ٱللهُ مَعَ ٱلصَّبِيِّ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي صَحْرَاءِ فَارَانَ، وَبَرَعَ فِي رَمْيِ ٱلْقَوْسِ. [21]وَٱخْتَارَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ.

Genesis 21,22 — 30 / ٣٠ — التكوين ٢١، ٢٢

42 ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: 54].

هذه الآية القرآنية الكريمة تقرر حقيقة إنبائية/ تاريخية مؤداها أن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام كان رسولاً نبياً، أي أن الله ـ تعالى ـ جمع له بين النبوة والرسالة كما جمعهما لكل من أبيه إبراهيم عليه السلام وحفيده سيد الخلق، خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين من بني آدم، سيدنا محمد ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ـ.

والرسالة التي حملها سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى قومه كانت بالقطع هي الإسلام العظيم الذي حمله أبوه إبراهيم عليه السلام من قبل، كما حمله كل أنبياء الله ورسله من قبل ومن بعد، وإن كنا لا نعلم اسم الكتاب الذي أنزل إليه.

ولكننا نعلم أنه كان في جزيرة العرب كما كان في بلاد الشام أفراد موحدون قبيل البعثة المحمدية الشريفة، وكانوا يعرفون باسم «**الأحناف**»، الذين كانوا على دين إبراهيم وإسماعيل، ويذكر منهم كل من «**زيد بن عمرو بن نفيل العدوي**» (من بني عدي، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أصبح أميراً للمؤمنين فيما بعد)، و«**أمية بن أبي الصّلت**»، و«**قس بن ساعدة الإيادي**» (المتوفى قبل بعثة رسول الله ﷺ بعشر سنوات، والذي قال عنه هذا الرسول الخاتم: «**رحم الله قساً، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده**»[1]، وكان منهم «**أبو قيس صرمة بن أبي أنس**» (وهو من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ من المدينة المنوّرة). وكان أبو قيس هذا قد فارق عبادة قومه للأصنام والأوثان، وهَمَّ بقبول النصرانية ديناً، ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً، وأمر بألا يدخل إليه طامث ولا جنب،

(1) عيون الأثر، ابن سيد الناس (1/ 87).

وقال: «أعبد ربَّ إبراهيم وإسماعيل»، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم أبو قيس على يديه وحسن إسلامه. وكان منهم كل من «**عامر بن الظرب العدواني**» الذي كان من حكماء العرب وخطبائهم، و«**ورقة بن نوفل**»، و«**عثمان بن الحويرث**»، و«**عبد الله بن جحش**»، و«**قيس بن عاصم التميمي**»، و«**عبد المطلب بن هاشم**» (جد رسول الله ﷺ). وقد نوّه كل من ابن إسحاق، وابن هشام في استعراضهما للسيرة النبوية الشريفة بهؤلاء الأحناف، وذكرا طرفاً من تاريخ وأقوال ومواقف كل واحد منهم، وأكدا قيامهم على التوحيد الخالص للّه الذي دعا إليه كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. وكانوا يؤمنون بالبعث، والحساب، والجنة والنار، ولذلك اعتزلوا أقوامهم في رفق ولين وموادعة، وحرّموا على أنفسهم ما شاع في زمانهم من المفاسد، والعادات السيئة، والأخلاق الذميمة، والسلوكيات الخاطئة.

وكان هؤلاء «**الأحناف**» ممن بقي على ملّة كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، وكان العرب ـ على وثنيتهم في الجاهلية ـ يعظّمون البيت الحرام، ويقومون على سدانته وخدمته، والذود عنه، وإكرام قاصديه، وإجارة المستجير بجواره، وإحياء بعض شعائره. وكان هذا كله من بقايا تعاليم كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. وهذا مما يجعل الآية رقم (54) من سورة «مريم» وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي يعلم بأن إسماعيل ﷺ كان رسولاً نبياً، بينما كان كل من إسحاق وولده يعقوب ﷺ من أنبياء الله فقط، وذلك بنص القرآن الكريم الذي يقول الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: 49].

ويقول ﷻ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: 112].

بينما يقول ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: 54، 55].

ولكن غلاة اليهود حاولوا تفضيل إسحاق على أخيه إسماعيل بدعوى بشرية باطلة كاذبة، مؤداها أن إسماعيل هو ابن الجارية، وأن إسحاق هو ابن سيدة البيت، ولذلك زعموا كذباً بأن إسحاق كان هو الذبيح دون دليل واحد على ذلك الزعم (سفر التكوين: 22/ 9 ـ 19). وينسى هؤلاء أن الفارق بين ابن الجارية وابن سيدة البيت ـ إن صح هذا الزعم وهو غير صحيح ـ لا يشكل معياراً في ميزان الله ـ تعالى ـ للتمييز بين الناس، لأن معايير الله قائمة على التقوى وحسن الفهم وصلاح العمل، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

من أوجه الإعجاز التاريخي والتربوي في النص القرآني الكريم:

الآيتان (54، 55 من سورة «مريم») فيهما أمر من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن يذكر للناس ما أنزل عليه من قصة رسول الله إسماعيل بن خليل الرحمن إبراهيم عليهما السلام. ويؤكد القرآن الكريم أن عبد الله ونبيه إسماعيل كان مثالاً في صدق الوعد. وقد أثبت ذلك حين وعد أباه بالصبر على ذبحه له، وفاءً بأمر الله ـ تعالى ـ لأبيه أن يذبحه. ووفّى إسماعيل بوعده وفاءً كاملاً، ففداه الله الكريم بذبح عظيم، وأكرمه وشرّفه بالنبوَّة وبالرسالة عندما بلغ سن النبوَّة. وصدق الوعد هو لازمة من لوازم النبوة، وصفة من صفات الصالحين من عباد ربّ العالمين، ولكن التركيز عليها في وصف عبد الله ورسوله إسماعيل عليه السلام يؤكد أن هذه الصفة الطيبة كانت بارزة فيه بروزاً ميّزه بها تمييزاً حقيقياً.

وتذكر الآيتان الكريمتان من مناقب هذا الرسول الكريم أنَّه كان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى بلغ مقاماً كريماً من رضا ربّه عليه أي: أنه كان يحث أهله على طاعة الله وعبادته بما أمر من أداء الصلاة (وهي عماد الدين)، وإيتاء الزكاة (وهي حق الله ـ تعالى ـ في المال الفائض عن الحاجة) وإنفاقه في الأوجه التي حددها الله، حتى يصبح ذلك وسيلة من وسائل تحقيق التكافل في المجتمع والعمل على إسعاده. والآيتان (54، 55 من سورة «مريم») تؤكدان وحدة العبادة عبر التاريخ، لأنها منبثقة من وحدانية صاحب الدين وهو الله جل جلاله.

43 ـ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 107].

من أخطر الوقائع في سيرة عبد الله ورسوله إبراهيم عليه السلام كان أمر الله ـ تعالى ـ له بذبح وحيده إسماعيل الذي رزقه على الكبر، وبعد أن كان الغلام قد بلغ السعي مع أبيه، أي شبَّ وصار يسعى في مصالحه. وقد رأى إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده ووحيده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق، ففي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً: «**رؤيا الأنبياء وحي**»[1]، ولذلك امتثل إبراهيم عليه السلام لأمر ربه، وسارع إلى وحيده يعرض أمر الله ـ تعالى ـ عليه، فتقبّله الفتى إسماعيل برباطة جأش، رضى بقضاء الله، وثقة في نبوة أبيه. وإسماعيل هو الغلام الذي وصفه الله ـ تعالى ـ بالحلم، ويروي لنا القرآن الكريم هذا الموقف الصعب بقول ربنا ـ وقوله الحق ـ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: 101 ـ 113].

وواضح من هذه الآيات أن عبد الله ورسوله إبراهيم كان قد تهيأ لذبح ولده إسماعيل، انصياعاً لأمر ربه، وقد جاءه الأمر في رؤيا منامية على الرغم من صعوبة ذلك الأمر على قلب أب مفارق لقومه، غريب عن أرضه، يؤمر بذبح

(1) تفسير البغوي (4/ 37)، من كلام عبيد بن عمير.

وحيده الذي رزقه الله ـ تعالى ـ به على الكبر، وبعد أن شبّ ذلك الابن وصار فتًى يافعاً يأنس به أبوه، ويرافقه في الحياة. لم يتردد إبراهيم لحظة في تنفيذ أمر ربه، على الرغم من أن الأمر كان مجرد إشارة في رؤيا منامية، ولم يكن وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً، ولكن كلًّا من عبد الله ورسوله إبراهيم ووحيده إسماعيل اعتبرا هذه الإشارة المنامية كافية للإجابة وتنفيذ الأمر مهما كان صعباً على النفس.

ولما عزم إبراهيم على ذبح ولده إسماعيل، وأنامه على شقه، وسمّى وكبَّر، وتشهَّد إسماعيل قبل موته، ثم توجَّه بالحديث إلى أبيه قائلاً: «**يا أبتِ اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي، فتراه أمي فتحزن، وأحدّ شفرتك، وأسرع بها على حلقي ليكون الموت أهون عليّ، وإذا أتيت أمي فأقرئها مني السّلام، وإن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني!**»[1]. وبصبر النبي الصابر المحتسب الراضي بقضاء الله وقدره أجابه أبوه: نعم العون أنت يا بني على أمر الله.

ثم شرع إبراهيم في إتمام عملية ذبح وحيده ومرّ بالسكين على حلق ابنه مرات ولكن السكين لم تصبه بأذى، فكانت تلك معجزة أخرى لعبد الله ورسوله إبراهيم، فقد أبطل الله ﷻ لإبراهيم قانون القطع بالسكين، كما أبطل له من قبل قانون الإحراق بالنار. وفجأة سمع كل من الذابح والذبيح النداء الإلٰهي العظيم بالفداء: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 104 ـ 107].

---

(1) حاشية الصاوي على الجلالين، عن ابن عباس.

والتفت إبراهيم حوله فإذا بجواره كبش سمين، فأمره الله ـ تعالى ـ بذبح ذلك الكبش فداءً لولده إسماعيل. قام إبراهيم على الفور وذبح الكبش بنفس السكين التي أبت ذبح ابنه إسماعيل. من هنا صار ذبح الضحايا سُنَّة للمسلمين في كل عام إحياءً لذكرى فداء الله لنبيه ورسوله إسماعيل، وإكرامه له ولأبيه عبد الله ونبيّه إبراهيم ـ عليهما من الله السّلام ـ وبذلك مضت سُنَّة الذبح في عيد الأضحى من كل عام.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تؤكد بما لا يرقى إليه شك أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام بكر عبد الله ونبيه إبراهيم ووحيده، لأنه لم يكن قد رزق بإسحاق بعد. وفي ختام الآيات التي أوردت قصة الذبح والفداء مباشرةً جاءت البشرى بإسحاق وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: 107 ـ 113].

والآية الأخيرة تؤكد أن وراثة هذين النبيين والرسولين الصالحين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ليست وراثة الدم والنسب كما يدّعي اليهود، ولكنها هي وراثة العقيدة الصحيحة، والعبادة المفروضة، والالتزام بضوابط السلوك التي شرعها الله ـ تعالى ـ وبمكارم الأخلاق التي يحبها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعم البعض أنه إسحاق وكذبوا، وادّعوا أن الذبيح هو إسحاق وليس بإسماعيل، وقد حملهم على ذلك حسدهم للعرب، وحبهم للاستئثار بكل تكريم، وقد ردّ عليهم عدد من علماء المسلمين مكذبين ادعاءهم الباطل، ومستشهدين بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

وكانت هذه البشارة قبل تدمير قرى قوم لوط مباشرة، والذي حدث في وقت متأخر من حياة عبد الله ورسوله إبراهيم ﷺ، وبعد الأمر بذبح بكره ووحيده إسماعيل ﷺ بعدد من السنين. وكيف تقع البشارة بحمل السيدة سارة زوجة إبراهيم بإسحاق، ومن وراء إسحاق بشارة أخرى بميلاد يعقوب، ثم يأتي الأمر بذبح من لم يكن قد ولد بعد؟ وكيف يبشر إسحاق بذرية والأمر الإلهي صادر بذبحه، ولم يكن الأمر قد تم تبديله بعد؟

وروى محمد بن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل إلى أحد علماء اليهود بالشام، عُلِم عنه أن الله ـ تعالى ـ كان قد شرح صدره للإسلام فأسلم وحسن إسلامه، فلما جاءه سأله أمير المؤمنين: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين.

فمن الثابت أن إسماعيل ولد قبل ميلاد إسحاق بأربعة عشر سنة، كما جاء في «العهد القديم». وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون الابن الذي أُمِرَ إبراهيم بذبحه سوى إسماعيل، خاصة وأن الأمر إلى إبراهيم بذبح ابنه جاء في أكثر من موضع «بسفر التكوين/ 22» بالنص الصريح:

«**اذبح ابنك الوحيد**»، والابن الوحيد كان هو إسماعيل الذي خلق وترعرع قبل ميلاد إسحاق بأربعة عشر سنة. كما يذكر «العهد القديم» في النصين التاليين:

مولد إسماعيل	The Birth of Ishmael
[15] ثُمَّ وَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْناً. فَدَعَا أَبْرَامُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ. [16] وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ.	[15] So Hagar bore Abram a son, and Abram gave the name Ishmael to the son she had borne. [16] Abram was eighty-six years old when Hagar bore him Ishmael.

سفر التكوين (16/ 15 ـ 16)

مولد إسحاق

٢١ وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَأَنْجَزَ لَهَا مَا وَعَدَ بِهِ. [٢] فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لِإِبْرَاهِيمَ فِي شَيْخُوخَتِهِ ابْنًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ لَهُ. [٣] فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إِسْحَاقَ». [٤] وَخَتَنَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ بِمُوجِبِ أَمْرِ اللهِ. [٥] وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ. [٦] وَقَالَتْ سَارَةُ «لَقَدْ أَضْحَكَنِي الرَّبُّ. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ هَذَا الأَمْرَ يَضْحَكُ مَعِي». [٧] وَأَضَافَتْ أَيْضًا «مَنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ لِإِبْرَاهِيمَ إِنَّ سَارَةَ سَتُرْضِعُ بَنِينَ؟ فَهَا أَنَا قَدْ أَنْجَبْتُ لَهُ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ». [٨] وَكَبِرَ إِسْحَاقُ وَفُطِمَ، فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي يَوْمِ فِطَامِهِ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً.

The Birth of Isaac

21 Now the LORD was gracious to Sarah as he had said, and the LORD did for Sarah what he had promised. [2]Sarah became pregnant and bore a son to Abraham in his old age, at the very time God had promised him. [3]Abraham gave the name Isaac to the son Sarah bore him. [4]When his son Isaac was eight days old, Abraham circumcised him, as God commanded him. [5]Abraham was a hundred years old when his son Isaac was born to him. [6]Sarah said, "God has brought me laughter, and everyone who hears about this will laugh with me." [7]And she added, "Who would have said to Abraham that Sarah would nurse children? Yet I have borne him a son in his old age." [8]The child grew and was weaned, and on the day Isaac was weaned Abraham held a great feast.

سفر التكوين (21/ 1 ـ 8)

من هنا يتضح أن عرض القرآن الكريم لهذا الموقف العظيم من سيرة أبي الأنبياء إبراهيم وولده النبي والرسول إسماعيل ﷺ يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب المجيد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49 ـ 50]

سادساً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام

عبدُ الله ونبيّهُ إسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم الخليل عليه السلام، الذي وهبه الله ـ تعالى ـ إياه على الكبر، استجابة لدعوته المتكرّرة التي كان يُردّدها كثيراً، ويقولُ فيها: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: 100].

ولقد جاء ذكرُ عبدُ الله ونبيّه إسحاق في القرآن الكريم سبع عشرة (17) مرّة، منها أقواله ـ تعالى ـ:

1 ـ ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: 133].

2 ـ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: 136].

3 ـ ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ [البقرة: 140].

4 ـ ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾ [آل عمران: 84].

5 ـ ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

6 ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39].

7 ـ ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

[الصافات: 113].

8 ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 24 ـ 30].

9 ـ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49، 50].

10 ـ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: 140].

وفي المرّات السبعة عشر، التي أورد فيها القرآن الكريم ذكر عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام، لم يفصّل سوى مُعجزة ميلاده، الذي بشّرت به الملائكة كُلًّا من أبيهِ الشيخ الهَرِم، وأُمّهُ العاقر الطاعنة في السنّ. وأوردت الآيات في البُشرى ذكرَ ابنهُ يعقوب ـ عليهم جميعاً من الله السَّلام ـ. وذلك تأكيداً على طلاقة القدرة الإلٰهيّة المُبدعة، وتعظيماً لها.

وأكّدت إحدى هذه الآيات على أنّ إسحاق كانَ من الصالحين، وكان نبيًّا

مُباركاً، وأنّ هذا الصلاح، وتلك البركة، لا تُورَث بمُجرّد علاقةِ النّسَب، ولكن لا بدّ من الاستقامة على منهج الله ـ تعالى ـ. ولذلك قال ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾

[الصّافات: 113].

ونحنُ لا نعلمُ أيّة تفاصيل عن حياة عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام، ولا عن تفاعُل قومه معه، وإن قيل أنَّهُ ماتَ ودُفن في المغارة التي كان أبوهُ إبراهيم عليه السلام قد دُفن فيها من قبل، في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

ومن الدروس المستفادة، من حديث القرآن الكريم عن نبيّ الله وعبدهُ إسحاق، التأكيد على أنّ الذريّة من الرزق، وأنّ الرزق من الله ـ تعالى ـ وحدَه، وعلى ذلك فإنَّهُ يُطلبُ بالطاعة والإلحاح على الله بالدُّعاء الصّادق، لأنَّهُ تعالى هو الذي يُصوّرُ الخلق في الأرحام، كيف يشاء.

هذا وقد جاء ذكر إسحاق عليه السلام في «العهد القديم» (سفر التكوين: 22، 24، 26).

Isaac Settles in Gerar

26 Now there was a famine in the land—besides the earlier famine of Abraham's time—and Isaac went to Abimelech king of the Philistines in Gerar. [2]The LORD appeared to Isaac and said, "Do not go down to Egypt; live in the land where I tell you to live. [3]Stay in this land for a while, and I will be with you and will bless you. For to you and your descendants I will give all these lands and will confirm the oath I swore to your father Abraham. [4]I will make your descendants as numerous as the stars in the sky and will give them all these lands, and through your offspring all nations on earth will be blessed, [5]because Abraham obeyed me and kept my requirements, my commands, my decrees and my laws." [6]So Isaac stayed in Gerar.

[7]When the men of that place asked him about his wife, he said, "She is my sister," because he was afraid to say, "She is my wife." He thought, "The men of this place might kill me on account of Rebekah, because she is beautiful." [8]When Isaac had been there a long time, Abimelech king of the Philistines looked down from a window and saw Isaac caressing his wife Rebekah. [9]So Abimelech summoned Isaac and said, "She is really your wife! Why did you say, 'She is my sister'?" Isaac answered him, "Because I thought I might lose my life on account of her." [10]Then Abimelech said, "What is this you have done to us? One of the men might well have slept with your wife, and you would have brought guilt upon us." [11]So Abimelech gave orders to all the people: "Anyone who molests this man or his wife shall surely be put to death."

[12]Isaac planted crops in that land and the same year reaped a hundredfold, because the LORD blessed him. [13]The man became rich, and his wealth continued to grow until he became very wealthy. [14]He had so many flocks and herds and servants that the Philistines envied him. [15]So all the wells that his father's servants had dug in the time of his father Abraham, the Philistines stopped up, filling them with earth. [16]Then Abimelech said to Isaac, "Move away from us; you have become too powerful for us."

[17]So Isaac moved away from there and encamped in the Valley of Gerar and settled there. [18]Isaac reopened the wells that had been dug in the time of his father Abraham, which the Philistines had

إسحاق يقيم في مدينة جرار

٢٦ وَحَدَثَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَارْتَحَلَ إِسْحَاقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. [٢]فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلْ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أُعَيِّنُهَا لَكَ. [٣]أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. [٤]وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِيهَا جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، [٥]لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَطَاعَ قَوْلِي، وَحَفِظَ أَوَامِرِي وَوَصَايَايَ وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». [٦]فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي مَدِينَةِ جَرَارَ.

[٧]وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ زَوْجَتِهِ قَالَ: «هِيَ أُخْتِي» لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُولَ: «هِيَ زَوْجَتِي» لِئَلاَّ يَقْتُلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ رِفْقَةَ، لأَنَّهَا كَانَتْ رَائِعَةَ الْجَمَالِ. [٨]وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ طَالَ مُكُوثُهُ هُنَاكَ، أَنَّ أَبِيمَالِكَ مَلِكَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَطَلَّ مِنَ النَّافِذَةِ، فَشَاهَدَ إِسْحَاقَ يُدَاعِبُ امْرَأَتَهُ رِفْقَةَ. [٩]فَاسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «إِنَّهَا بِالْحَقِيقَةِ زَوْجَتُكَ، فَكَيْفَ قُلْتَ هِيَ أُخْتِي؟» فَأَجَابَ إِسْحَاقُ: «لأَنِّي قُلْتُ: لَعَلِّي أُقْتَلُ بِسَبَبِهَا». [١٠]فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ بِنَا؟ لَقَدْ كَانَ يَسِيراً عَلَى أَيِّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْبِ أَنْ يَضْطَجِعَ مَعَ زَوْجَتِكَ فَتَجْلِبَ بِذَلِكَ عَلَيْنَا إِثْماً». [١١]وَأَنْذَرَ أَبِيمَالِكُ كُلَّ الشَّعْبِ قَائِلاً: «كُلُّ مَنْ يَمَسُّ هَذَا الرَّجُلَ أَوْ زَوْجَتَهُ حَتْماً يَمُوتُ».

[١٢]وَزَرَعَ إِسْحَاقُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ، فَحَصَدَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِئَةَ ضِعْفٍ لأَنَّ اللهَ بَارَكَهُ. [١٣]وَعَظُمَ شَأْنُ الرَّجُلِ، وَتَزَايَدَ غِنَاهُ وَأَصْبَحَ وَاسِعَ الثَّرَاءِ وَالنُّفُوذِ. [١٤]وَصَارَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ، غَنَمٌ وَقُطْعَانُ بَقَرٍ وَعَبِيدٌ كَثِيرُونَ، فَحَسَدَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ. [١٥]وَرَدَمَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ بِالتُّرَابِ جَمِيعَ الآبَارِ الَّتِي حَفَرَهَا عَبِيدُ أَبِيهِ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ. [١٦]وَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِسْحَاقَ: «ارْحَلْ عَنَّا لأَنَّكَ أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ قُوَّةً مِنَّا». [١٧]فَانْصَرَفَ إِسْحَاقُ مِنْ هُنَاكَ وَضَرَبَ خِيَامَهُ فِي وَادِي جَرَارَ حَيْثُ أَقَامَ.

[١٨]وَأَعَادَ إِسْحَاقُ حَفْرَ آبَارِ الْمِيَاهِ الَّتِي كَانَ قَدْ تَمَّ حَفْرُهَا فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ وَرَدَمَهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ،

ودعاها بالأسماء التي أطلقها عليها أبوه. [19] وعندما حفر عبيد إسحاق في الوادي وعثروا على بئر ماء جار، [20] خاصم رعاة مدينة جرار رعاة إسحاق قائلين: «هذا الماء لنا». فدعا البئر «عسق» لأنهم نازعوه عليها. [21] ثم حفروا بئراً أخرى وتخاصموا عليها، فدعاها «سطنة» (ومعناها عداوة). [22] وانتقل بعد ذلك من هناك وحفر بئراً أخرى ولم يتنازعوا عليها، فدعا اسمها «رحوبوت» (ومعناها الأماكن الرحبة) قائلاً: «لأن الرب قد أرحب الآن لنا وأثمرنا في الأرض». [23] ثم مضى من هناك إلى بئر سبع. [24] فتجلى له الرب في تلك الليلة وقال: «أنا هو إله إبراهيم أبيك. لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر ذريتك من أجل عبدي إبراهيم». [25] فشيد إسحاق هناك مذبحاً ودعا باسم الرب، ثم نصب هناك خيمته، وحفر عبيده بئراً.

stopped up after Abraham died, and he gave them the same names his father had given them. [19]Isaac's servants dug in the valley and discovered a well of fresh water there. [20]But the herdsmen of Gerar quarreled with Isaac's herdsmen and said, "The water is ours!" So he named the well Esek, because they disputed with him. [21]Then they dug another well, but they quarreled over that one also; so he named it Sitnah. [22]He moved on from there and dug another well, and no one quarreled over it. He named it Rehoboth, saying, "Now the LORD has given us room and we will flourish in the land." [23]From there he went up to Beersheba. [24]That night the LORD appeared to him and said, "I am the God of your father Abraham. Do not be afraid, for I am with you; I will bless you and will increase the number of your descendants for the sake of my servant Abraham." [25]Isaac built an altar there and called on the name of the LORD. There he pitched his tent, and there his servants dug a well.

الميثاق بين إسحاق وأبيمالك

[26] وأقبل عليه من مدينة جرار أبيمالك وأحزات مستشاره، وفيكول رئيس جيشه. [27] فقال لهم إسحاق: «ما بالكم قد أتيتم إلي، وأنتم قد أبغضتموني وصرفتموني من عندكم؟» [28] فأجابوه: «لقد تبين لنا أن الرب معك، فقلنا: ليكن بيننا حلف ولنقطع معك عهداً، [29] أن لا تسيء إلينا كما لم نمسك بشر ولم نصبك منا سوى الخير، ثم صرفناك بسلام. وها أنت الآن مبارك من الرب». [30] فأقام لهم مأدبة فأكلوا وشربوا. [31] ثم بكروا في الصباح وحلف بعضهم لبعض، وشيعهم إسحاق فانصرفوا بسلام. [32] وفي نفس ذلك اليوم جاء عبيد إسحاق وأخبروه قائلين: «إننا عثرنا على ماء في البئر التي حفرناها». [33] فدعاها «شبعة». لذلك سميت المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم.

[34] ولما بلغ عيسو الأربعين من عمره تزوج كلاً من يهوديت بنت بيري الحثي، وبسمة بنت إيلون الحثي. [35] فأتعستا حياة إسحاق ورفقة.

The Treaty Between Isaac and Abimelech

[26]Meanwhile, Abimelech had come to him from Gerar, with Ahuzzath his personal adviser and Phicol the commander of his forces. [27]Isaac asked them, "Why have you come to me, since you were hostile to me and sent me away?" [28]They answered, "We saw clearly that the LORD was with you; so we said, 'There ought to be a sworn agreement between us'–between us and you. Let us make a treaty with you [29]that you will do us no harm, just as we did not molest you but always treated you well and sent you away in peace. And now you are blessed by the LORD." [30]Isaac then made a feast for them, and they ate and drank. [31]Early the next morning the men swore an oath to each other. Then Isaac sent them on their way, and they left him in peace. [32]That day Isaac's servants came and told him about the well they had dug. They said, "We've found water!" [33]He called it Shibah, and to this day the name of the town has been Beersheba.

[34]When Esau was forty years old, he married Judith daughter of Beeri the Hittite, and also Basemath daughter of Elon the Hittite. [35]They were a source of grief to Isaac and Rebekah.

موت إسحاق

[27] وَقَدِمَ يَعْقُوبُ عَلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا فِي قَرْيَةِ أَرْبَعَ الْمَعْرُوفَةِ بِحَبْرُونَ حَيْثُ تَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ. [28] وَعَاشَ إِسْحَاقُ مِئَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً. [29] ثُمَّ أَسْلَمَ رُوحَهُ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ شَيْخاً طَاعِناً فِي السِّنِّ وَدَفَنَهُ ابْنَاهُ عِيسُو وَيَعْقُوبُ.

The Death of Isaac

[27]Jacob came home to his father Isaac in Mamre, near Kiriath Arba (that is, Hebron), where Abraham and Isaac had stayed. [28]Isaac lived a hundred and eighty years. [29]Then he breathed his last and died and was gathered to his people, old and full of years. And his sons Esau and Jacob buried him.

سفر التكوين (35/ 27 ـ 29)

44 ـ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصَّافات: 112].

يقول ربنا ـ تبارك اسمه ـ في محكم كتابه عن عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام بعد ابتلائه بالأمر بذبح وحيده إسماعيل، وانصياعه وولده لأمر الله ما نصُّه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصَّافات: 108 ـ 113].

فبعد أن استجاب الله ـ تعالى ـ لدعاء عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام الذي قال فيه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات: 100]، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافات: 101]، وكان الغلام الحليم هو إسماعيل عليه السلام الذي ملأ على أبيه حياته كلها بعد أن كان قد هاجر بدينه عن أهله، وكان قد طعن في السن. ولنا أن نتصور فرحة هذا الشيخ الوحيد الغريب عن أرضه، الطاعن في العمر بمولوده الذي يصفه ربّه بأنَّه حليم. وما كاد عبد الله ورسوله إبراهيم أن يأنس بوحيده هذا حتى يُبتلى بالأمر الإلٰهي بإبعاده وأمه عنه، وإسكانهما بوادٍ غير ذي زرع عند قواعد البيت الحرام. وما كاد الغلام ينمو، ويتفتح صِبَاه حتى يؤمر أبوه في المنام بذبحه. ولمّا كانت رؤيا الأنبياء حق، عرض الوالد الأمر على ابنه الوحيد فقبل قضاء الله على الفور بالرضى والتسليم والصبر. ويشرع كل من الأب والابن في تنفيذ أمر الله ـ تعالى ـ الذي فداه بذبح عظيم.

وتقديراً لهذا الموقف الفريد الذي جسّد حقيقة الإيمان باللّه ـ تعالى ـ والرضى بقضائه، والتسليم لأمره كرَّم الله كلًّا من عبده إبراهيم وولده إسماعيل تكريماً فائقاً فجعلهما مذكوران على مرِّ الزمان بالذكر الحسن، وترك لهما الثناء على ألسنة المؤمنين من خلقه إلى يوم الدين.

ثم يتجلّى فضل الله ـ تعالى ـ على عبده إبراهيم مرة أخرى، فيَهَبُ له ابناً

آخر في شيخوخته هو الابن الثاني لإبراهيم والذي سمّاه باسم إسحاق. وبارك الله ـ جلّت قدرته ـ على كل من إبراهيم وإسحاق وعلى الصالحين من ذريتهما قائلاً: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصَّافات: 112، 113].

وهذه الوراثة ليست وراثة الدم والنَّسب فحسب، كما يدّعي كثير من المبطلين، إنما هي ـ قبل كل شيء ـ وراثة الدين الحق (عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ومعاملات). فمن التزم بهذا الدين الحق فهو محسن، ومن انحرف عنه فهو ظالم لنفسه، لا ينفعه نسب، ولا تشفع له قرابة.

ومن الدروس المستفادة من ميلاد إسحاق لأب شيخ طاعن في السن وأُمٌّ عجوز عقيم ما يلي:

1 ـ الإيمان بأنَّ الدنيا هي دار ابتلاء، وأنَّ النجاح في الابتلاءات الدنيوية هو الطريق الموصل إلى جنة الخلد بإذن الله، وأنَّ كل ابتلاء يقود إلى الفرج إذا تحمّله العبد بشيء من الرضى، والصبر، والتسليم بقضاء الله وقدره، مع القناعة التامة بأنَّه الخير كل الخير. وجزاء الصبر على الابتلاء عظيمٌ في الدنيا قبل الآخرة ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ويُبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه لين خُفّف عنه البلاء**»[1]. وقال: «**عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير له، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيراً له**»[2].

2 ـ الإيمان بأنَّ الذرية من الرزق، وأنَّ الرزق من الله ـ تعالى ـ وحده القائل: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن

(1) مسند أحمد حديث رقم (12906).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، حديث رقم (7425).

يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: 49، 50].

والقائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6].

والقائل: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد: 8].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بَعَث الله إليها ملكاً فصوَّرها، وخلق سمعها وبصرها، وجِلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا ربّ! أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك**»(1).

فالذي يخلق النّطف هو الله، والذي يُزاوج بينها في الأرحام هو الله، والذي يُحدّد جنس الجنين ويرعاه في جميع مراحله هو الله الذي وصف ذاته العليّة بوصف الخالق البارئ المصور.

3 ـ الإيمان الجازم بأنَّ الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير: لذلك جاء ميلاد إسحاق عليه السلام حدثاً خارقاً للعادة، بَشّرت به الملائكة كما جاء في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مُوجّهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالنص القرآني التالي: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 24 ـ 30].

وقوله ـ تعالى ـ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر، حديث رقم (6668).

وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: 39 ـ 41].

والإعجاز العلمي هنا يتلخّص في ميلاد طفل من أب شيخ كبير ومن أم عجوز عاشت طيلة حياتها عاقراً، مما يؤكد أنَّ الخلق عملٌ إلٰهي محض، لا دخل لمخلوق فيه، وهو ما أكَّدته كل المشاهدات العلمية الراشدة.

ويتمثل **الإعجاز التربوي** بضرورة ترويض النفس الإنسانية على قبول قضاء الله وقدره بنفس راضية، وقناعة كاملة بأنَّ في ذلك الخير كل الخير، حتى وإن بدا في ظاهره غير ذلك. وتعويد النفس الإنسانية كذلك على التوجه بالدعاء إلى الله ـ تعالى ـ فالدُّعاء هو مخّ العبادة، لأنه يُجسّد مقام عبودية العبد لخالقه ﷻ أبلغ تجسيد.

أما **الإعجاز الإنبائي والتاريخي**؛ فيتمثَّل في سرد معجزة ميلاد عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام خاصة إذا علمنا أن هذا النبي قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، وأن الرسول الخاتم الذي تلقى القرآن الكريم بعث في مطلع القرن السابع الميلادي.

والقرآن الكريم لم يُفصّل قصَّة هذا النبيّ الصالح كما فَصّل غيرها من قصص الأنبياء، على الرَّغم من ورود اسمه سبعة عشرة مرة في كتاب الله، وكأنَّ المقصود من ذلك هو إبراز الدرس المستفاد من معجزة ميلاده من أبوين كانا قد جاوزا القدرة على الإنجاب، إثباتاً لقدرة الله المطلقة التي لا تَحُدّها حدود، ولا يقف أمامها عائق، والتي وصفها الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يسٓ: 82، 83].

والإيمان بطلاقة القدرة الإلٰهية هو ركنٌ من أركان الإيمان بالله.

ولا يُقلّل الإنباء بهذه المعجزة التاريخية القديمة وجود شيء من التوافق بين ما جاء عنها في كتاب الله، وما أورده «العهد القديم»؛ لأن ذلك يدعم صدقها

التاريخي، مع الفوارق الهائلة بين إخبار الله، وسرد البشر للقصة الواحدة.

فسرد البشر مليءٌ بالنقص والتضارب والاختلال، بينما إخبار الله ـ تعالى ـ مُتّصف بالكمال المطلق. ويكفي للدلالة على ذلك أنَّ القرآن الكريم يؤكّد أنَّ الابن الذي أُمِرَ إبراهيم عليه السلام بذبحه هو إسماعيل عليه السلام وقد كان ولده الوحيد الذي وهبه الله ـ تعالى ـ إيَّاه على الكبر بعد أن كان قد طعن في السن كثيراً.

وجزاءً على الموقف النبيل لكل من إبراهيم ووحيده إسماعيل بقبول الوالد أن يذبح وحيده، وقبول الابن أن يُذْبح انصياعاً لأمر الله، فدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده إسماعيل بذبح عظيم. وأثنى الله جل جلاله على كلٍّ من إبراهيم وولده إسماعيل أفضل الثناء، وأكرمهما أعظم الكرم وذلك بالمباركة عليهما وعلى ذريتهما وبجعل ختام النبوة في ذرية إسماعيل عليه السلام. وبعد فترة من الزمن بُشِّر إبراهيم بابنٍ آخر هو إسحاق، وإبراهيم طاعن في السن وزوجه عجوزٌ عقيم، وبارك الله ـ تعالى ـ عليه وعلى إسحاق. ويأتي ميلاد إسحاق في وقت كان إسماعيل فتًى يافعاً، قد قارب الرابعة عشر من العمر، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون الابن الذي أُمر إبراهيم بذبحه هو إسحاق، خاصة وأنَّ الأمر كما جاء في أكثر من موقع من «العهد القديم» (سفر التكوين) جاء بالنص الصريح: «اذبح ابنك الوحيد»، ولم يكن ابنه الوحيد سوى إسماعيل عليه السلام لأن الابن الوحيد لا يمكن إلَّا أن يكون الأكبر سنًّا (سفر التكوين/ 22).

ولكن الذين زيّفوا الحق هم شياطين الإنس من الكفار والمشركين الذين كذّبوا على الله، وحرّفوا الدين، وعبدوا العجل على زمن موسى، وانحرفوا عن هديه في حياته ومن بعد مماته، وكفروا بأنبيائهم فقاتلوهم وقتلوهم، وكفروا بنبيّ الله عيسى ابن مريم عليهما السلام وأوغروا صدور الرومان عليه حتى كادوا أن يقتلوه صلباً، لولا أن رفعه الله إليه. ثم قاوموا نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فخانوا كل العهود والمواثيق التي أبرموها معه، وتعاونوا مع الكفار والمشركين ضده، وحاولوا سمّه وقتله، وأكثروا من الدسّ عليه في حياته ومن بعد مماته. هؤلاء هم

كفرة أهل الكتاب الذين ادّعوا كذباً بأنَّ الذبيح كان إسحاق دون أدنى دليل منطقي على ذلك، بينما يؤكد القرآن الكريم على أنَّ الذبيح كان إسماعيل وهو ما يدعمه المنطق ويؤكده الدليل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

وتأكيد القرآن الكريم على أن الذبيح كان إسماعيل ﷺ هو من المعجزات الإنبائية والتاريخية في كتاب الله، ومن الأدلة القاطعة على تحريف كل من «العهدين القديم والجديد»، وعلى دقة حفظ القرآن الكريم.

وما جاء في سفر التكوين 22/ 9 ـ 19) هو تزييف واضح كما يتبين من النص التالي:

إسحاق هو المحرقة

[9] وَلَمَّا بَلَغَا ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ٱللهُ شَيَّدَ إِبْرَاهِيمُ مَذْبَحاً هُنَاكَ، وَنَضَّدَ ٱلْحَطَبَ، ثُمَّ أَوْثَقَ إِسْحَاقَ ٱبْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى ٱلْمَذْبَحِ فَوْقَ ٱلْحَطَبِ. [10] وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ ٱلسِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ٱبْنَهُ. [11] فَنَادَاهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَائِلاً: «إِبْرَاهِيمُ، إِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَ: «نَعَمْ». [12] فَقَالَ: «لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى ٱلصَّبِيِّ وَلَا تُوقِعْ بِهِ ضُرّاً لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ ٱللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ٱبْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». [13] وَإِذْ تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ حَوْلَهُ رَأَى خَلْفَهُ كَبْشاً قَدْ عَلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ ٱلْغَابَةِ، فَذَهَبَ وَأَحْضَرَهُ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضاً عَنِ ٱبْنِهِ. [14] وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ٱسْمَ ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ» (وَمَعْنَاهُ: ٱلرَّبُّ يُدَبِّرُ). وَلِذَلِكَ يُقَالُ حَتَّى ٱلْيَوْمِ «فِي جَبَلِ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلَهِ يُرَى».

[15] وَنَادَى مَلَاكُ ٱلرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً، [16] وَقَالَ: «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، لِأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا ٱلْأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ٱبْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، [17] لَأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ ٱلسَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. [18] وَبِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَطَعْتَنِي». [19] ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلَامَيْهِ، وَعَادُوا جَمِيعاً إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ حَيْثُ أَقَامَ إِبْرَاهِيمُ.

Isaac is the Sacrifice

[9] When they reached the place God had told him about, Abraham built an altar there and arranged the wood on it. He bound his son Isaac and laid him on the altar, on top of the wood. [10] Then he reached out his hand and took the knife to slay his son. [11] But the angel of the LORD called out to him from heaven, "Abraham! Abraham!" "Here I am," he replied. [12] "Do not lay a hand on the boy," he said. "Do not do anything to him. Now I know that you fear God, because you have not withheld from me your son, your only son." [13] Abraham looked up and there in a thicket he saw a ram caught by its horns. He went over and took the ram and sacrificed it as a burnt offering instead of his son. [14] So Abraham called that place The LORD Will Provide. And to this day it is said, "On the mountain of the LORD it will be provided."

[15] The angel of the LORD called to Abraham from heaven a second time [16] and said, "I swear by myself, declares the LORD, that because you have done this and have not withheld your son, your only son, [17] I will surely bless you and make your descendants as numerous as the stars in the sky and as the sand on the seashore. Your descendants will take possession of the cities of their enemies, [18] and through your offspring all nations on earth

سفر التكوين (22/ 9 - 19)

سابعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام

هو عبد الله ونبيّه، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليهم جميعاً من الله السّلام ـ، ويُعرف باسم «إسرائيل» أي: عبد الله، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، ستة عشر (16) مرّة تحت هذا الاسم (يعقوب)، ومرّتان تحت اسم «إسرائيل». ومن هذه الآيات ما يلي:

1 ـ ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 130 ـ 133].

2 ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

[الأنعام: 83 ـ 90].

3 ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ

حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 69 ـ 73].

4 ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 6].

5 ـ ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: 38].

6 ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: 68].

7 ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: 2 ـ 6].

8 ـ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: 69 ـ 72].

9 ـ ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: 26، 27].

10 ـ ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ

ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [صٓ: 45 ـ 47].

وفي الأثر أنَّ يعقوب ﷺ وُلد على أرض فلسطين، ثمّ رحل إلى «آرام» من أرض بابل بالعراق، حيث تزوّج من بنات خاله، ورزقه الله ﷻ باثني عشر (12) ولداً، عُرفوا ونسلهم من بعدهم باسم **«أسباط بني إسرائيل»**. ويذكر أن معظم أبناء يعقوب ﷺ ولدوا بأرض العراق، ما عدا بنيامين الذي وُلِد على أرض فلسطين. وقد تعرّض يعقوب لسلسلة من الابتلاءات بغياب ولديه يوسف وبنيامين عنه، حتى كفَّ بصرُه.

وفي زمن القحط الذي أصاب بلاد الشام، رحل يعقوب ﷺ هو وعائلته إلى أرض مصر، للحاق بولده يوسف الذي كان الله ـ تعالى ـ قد مكّن له فيها، وجعله على خزائنها. وعاش يعقوب وعائلته على أرض مصر، وقد ردّ الله عليه بصره حتى مات. ويذكر أن جُثمانه نُقل إلى أرض فلسطين، حيث دُفن مع توأمهُ عيص في مقبرة آبائه إبراهيم وإسحاق، بمدينة الخليل. وعاش بنو إسرائيل من بعده على أرض مصر لفترة طويلة، حتى تمّ خروجهم منها على أيدي كل من هارون وموسى ﷺ.

وكما فعل إبراهيم ﷺ من قبل، أوصى يعقوب ﷺ أبناءه وهو في لحظات الاحتضار، أن يعيشوا بالإسلام وألّا يموتوا إلّا عليه، لأنّه هو الدين الوحيد الذي يرتضيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده، ولا يرتضي منهم ديناً سواه.

ومن الدروس المُستفادة، من ذكر القرآن لعبد الله ونبيّه يعقوب ﷺ، الإيمان بأنَّ الحياة الدّنيا هي دار ابتلاء واختبار، وأنَّ رؤيا الصالحين حق، وأنّ من واجب الوالدين عدم التمييز بين أبنائهما، حتى لا يُثيروا الفتن بينهم.

هذا، وقد جاء ذكر عبد الله ونبيه يعقوب ﷺ في «العهد القديم» [تكوين (25 ـ 50)]، حيث وصف بالكاذب، والسارق، والمخادع، والماكر، وساقي الخمر (تكوين ـ 27/ 18 ـ 46) وليست هذه أبداً من صفات الأنبياء.

45 ـ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: 49].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل أن إبراهيم عليه السلام اعتزل أباه وقومه لعبادتهم الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب من دون الله، ورفضهم توحيد الله ـ تعالى ـ، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وقد دعا إبراهيم أباه وقومه إلى التوحيد الخالص فأنكروا عليه ذلك، وهددوه وتوعدوه، وحاولوا حرقه في النار حياً، ولكن الله ـ تعالى ـ نجاه من كيدهم. ولما يئس إبراهيم من هدايتهم، غادر ديارهم إلى بلاد الشام، واستقر في فلسطين بعيداً عن أهله وقومه وبني جلدته، ولم تكن له ذرية حتى بلغ به العمر مبلغاً كبيراً، وحينئذٍ وهبه الله ـ تعالى ـ ابنه إسماعيل عليه السلام من زوجه الثانية السيدة هاجر ـ عليها رضوان الله ـ ثم أصلح له زوجته الأولى السيدة سارة رضي الله عنها وكانت عجوزاً عقيماً، فوهبه منها إسحاق ووهبه من إسحاق يعقوب عليهما السلام . فآنس الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه إبراهيم بولديه وحشته في غربته، بعد أن كان قد فارق أهله وقومه وديارهم. وعاش كل من إسحاق وولده يعقوب في بيت عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وتربى الابن والحفيد على الإسلام الخالص في بيت الوالد والجد، ثم أكرمهما الله ـ تعالى ـ بالنبوة عند بلوغ كل منهما السن اللازمة لحمل أمانة التبليغ عن الله ـ تعالى ـ ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49، 50].

ويتلخص وجه الإعجاز الإنبائي في هاتين الآيتين الكريمتين في التأكيد على نبوة كل من إسحاق ويعقوب عليهما السلام ، بينما تؤكد الآية رقم (54) من نفس السورة على أن إسماعيل عليه السلام كان نبياً رسولاً. كذلك تشير الآية رقم (19) من سورة

«الأعلى» إلى أن خليل الله وكليمه إبراهيم ﷺ كان نبياً رسولاً، وهذه من الحقائق التي لم يرد لها ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد» ولذلك لا يعلمها كثير من الناس. ووجود أعداد من الأحناف في كل من جزيرة العرب وبلاد الشام حتى بعثة المصطفى ﷺ لمما يؤكد أثر الرسالتين الإسلاميتين العظيمتين اللتين حملهما كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، وجهود من تبعهما من الأنبياء والصالحين.

والآيتان الكريمتان (49، 50 من سورة «مريم») جاءتا بعد حوار إبراهيم ﷺ مع أبيه، ذلك الحوار الهادئ الرصين من جانب إبراهيم، صاحب الرسالة السماوية الذي يحاول جهده هداية أبيه إلى الحق الذي جاءه من عند الله ـ تعالى ـ وذلك بأرقّ عبارة ممكنة، وبأفضل أساليب التودّد من ابن وفيّ لحقوق الأبوّة، بارّ بها، والرّد القاسي الجافي المشبَع بالاستنكار والتهديد والوعيد من جانب الأب المشرك عابد كل من الأصنام، والأوثان، والنجوم، والكواكب، الذي طرد ابنه من حضرته مُهدّداً إياه بالقتل إن لم يَعُد إلى عبادة ما يعبد كل من أبيه وقومه.

ويرد الابن المؤمن البارّ الوفيّ إبراهيم ﷺ على أبيه بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسانه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: 48].

وهنا تتنزّل رحمات الله وفضله على عبده إبراهيم الذي اعتزل أباه وأهله وقومه، وهجر دياره فراراً بدينه من بطش الجاهلين، وجهالة الكفار والمشركين من قومه فقال ـ تعالى ـ عنه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49، 50].

وإسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم الذي رزقه الله ـ تعالى ـ إياه بمعجزة خارقة للعادة استجابة لدعائه؛ لأنه وُهِب ذاك الابن الصالح على الكِبَر من زوجته سارة التي كانت عجوزاً عقيماً.

ويعقوب هو ابن إسحاق، وابن الابن يعتبر ابناً، خاصة إذا وُلد في حياة

جده، وهكذا كان يعقوب الذي نشأ في حِجر جده، فتعلّم منه الإسلام من قبل أن تأتيه النبوّة، وهكذا كان أبوه إسحاق من قبله ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 50].

أي فكانوا ثلاثتهم (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) صادقين في دعوتهم، مُصدَّقين من الذين آمنوا معهم، محفوفين منهم بما يليق بمقام نبوتهم من الطاعة والاحترام، والتكريم والتبجيل، وإن حاربهم أهل الكفر والشرك والضلال كما هي طبيعة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل عبر التاريخ.

ولم يذكر القرآن الكريم أية تفاصيل عن حياة عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام، على الرغم من ورود ذكره ست عشر مرة في كتاب الله. وتشير بعض الآثار إلى أنّه ولد في فلسطين، ثم رحل إلى آرام من أرض بابل بالعراق، وتزوج هنالك من بنتين من بنات خاله، ورزقه الله ـ تعالى ـ اثني عشر ولداً عرفوا باسم «أسباط بني إسرائيل». ثم رحل يعقوب عليه السلام في آخر عمره إلى مصر بسبب القحط الذي كان قد أصاب بلاد الشام، وذلك للّحاق بولده يوسف عليه السلام الذي كان الله ـ تعالى ـ قد جعله على خزائن مصر. وقد مات يعقوب بمصر، ولكن ولده يوسف نقل جثمانه إلى مدينة الخليل حيث تم دفنه فيها مع توأمه عيص (Esau).

وعلى الرَّغم من إجمال القرآن الكريم لإشاراته عن عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام إلَّا أنَّ هذا الكتاب العزيز يسجل موقفاً هاماً، يعتبر درساً هائلاً في العقيدة، وهو موقف عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام مع بنيه لحظة احتضاره والذي يصفه القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 132، 133].

وتمتدح أُولى هاتين الآيتين الكريمتين كلًّا من عبد الله ونبيه إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام إذ أمر الله - تعالى - عبده ورسوله إبراهيم بالإسلام فاستجاب على الفور لأمر ربه، وبدأ في الدعوة إلى دين الله بمجاهدة كبيرة، وتضحية عظيمة، وإخلاص وتجرد كاملين. ولم يَكْتفِ بذلك، فذكَّر أبناءه بأنَّ الله - تعالى - قد اصطفى لهم الإسلام ديناً، ولذلك أوصاهم بالاستمساك بهذا الدين القويم الذي لا يرتضي ربُّنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه. وأخذ عليهم العهد ألَّا يموتوا إلَّا على الإسلام الخالص القائم على التوحيد الكامل للَّه - تعالى - وعلى تنزيهه - سبحانه - عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وكذلك فعل حفيده يعقوب عليه السلام مع بنيه وهو على فراش الموت فأوصاهم بالاستمساك بالإسلام وتطبيقه نظاماً كاملاً شاملاً للحياة، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله، والحرص على لقاء الله - تعالى - على الإسلام الخالص.

أمَّا الآية الثانية فتتوجه بالخطاب إلى كل من اليهود والنصارى الذين يدّعون كذباً نسبهم إلى هذا النبيّ الصالح: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم جميعاً من الله السَّلام - فتقول لهم: هل كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فعرفتم العقيدة التي مات عليها؟ ألا فَلْتعْلَموا أيها الضّالون عن الحق أنَّ يعقوب عليه السلام حينما حضره الموت دعا إليه جميع بنيه وقال لهم: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

وفي ذلك إعلان صريح بوحدة رسالة السماء المنبثقة من وحدانية الخالق جلَّ جلاله، وتأكيد على الأخوّة بين الأنبياء، وهاتان الحقيقتان هما من القيم اللازمة لاستقامة الحياة على الأرض، خاصة في زمن الفتن الذي يعيشه إنسان اليوم.

واليهود الذين يتشدّقون كذباً بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام تارة، وإلى يعقوب عليه السلام تارة أخرى، عليهم أن يقرأوا هاتين الآيتين الكريمتين ليدركوا أنَّ الدين ليس ميراثاً يورث بالعرق والنسب والدم. وذلك لأن الدين يمثل قناعة قلبية وعقلية كاملة لا علاقة لها بالدم والنسب. فالدين قرارٌ يتخذه كل راشد بعد دراسة وتمحيص دقيق

يصل به إلى تلك القناعة القلبية والعقلية الكاملة. وتبقى التنشئة على الدين الصحيح مسؤولية الآباء تجاه الأبناء قبل بلوغهم سنِّ الرشد، وتبقى بعد ذلك مسؤولية كل بالغ، عاقل، راشد، أن ينظر في معتقده بمعيار العقل ـ لا بمعيار العاطفة ـ لأنه على أساس من هذا المعتقد سيكون الخلود في الآخرة إما في الجنة وإما في النار. ولم يكن أبناء يعقوب صغاراً حينما دعاهم أبوهم لتأكيد عقيدتهم في الله. ولكنه الحرص على الدين الواحد الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه.

ويَرُدّ ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على هؤلاء الذين يتخيّلون أنَّ الإيمان يمكن أن يُكتسب بمجرّد النّسب بقوله الحق الذي يقول فيه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: 67].

مما سبق يتضح أنَّ هذا الموقف الجليل من يعقوب عليه السلام وهو يعظ بَنِيه في لحظة احتضاره هو الدرس الأساسي المستفاد من عرض القرآن الكريم لسيرة هذا النبيّ الصَّالح. فيعقوب عليه السلام قد حضره الموت، وجاءته ساعة الاحتضار، وهي لحظة رهيبة، تُعَدُّ أصعب اللحظات التي يمكن للإنسان أن يمرّ بها في حياته؛ فهو يغادر الدنيا، يغادر الأهل والأبناء والأصحاب، يترك ثروته من ورائه ـ إن كانت له ثروة ـ لا يدري ماذا سيُفعل بها، يترك داره إلى ظلمة القبر ووحشته، وإلى هول الحساب وصعوبته. يتذكر أعماله فيستغفر ويتوب عن السيئات، ويرجو قبول الحسنات، وترتجف فرائصه من المستقبل المجهول!! ولكن نبيّ الله يعقوب عليه السلام لم يشغل باله شيءٌ من ذلك بقدر ما شغله تثبيت أبنائه على الإسلام الذي تعلّمه من آبائه في الصغر، وعلّمه الله ـ تعالى ـ إياه في الكبر. وأدرك عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام أنَّ هذا الدِّين هو طوق النجاة للإنسان في الدنيا والآخرة، فأراد أن يكون الإسلام الخالص القائم على التَّوحيد الكامل للّه هو الميراث الذي يورّثه لأبنائه، ووصيّته الأخيرة لهم وهو في سكرات الموت، ولحظات الاحتضار. فأخذ العهد منهم على أن يعيشوا بالإسلام، وأن يدعوا إليه، ويجاهدوا في سبيله حتى يلقوا الله ـ تعالى ـ عليه. وبذلك يكون هو قد أبرأ ذمّته أمام الله، وحمَّلهم أمانة

المسؤولية عن الإسلام، وكذلك يجب أن يفعل كل أب مسلم. فالدرس المستفاد من هذا الموقف الكريم هو إشعار كل والد بمسؤوليته عن أولاده (صغاراً وكباراً). وأنَّ من أولويات تلك المسؤولية أن يعرف الوالد كل واحد من أبنائه عقيدته الصحيحة معرفة دقيقة، حتى يعيش بها، ويموت عليها فيحقق الهدف من وجوده في الحياة الدنيا. وهذا لا يمكن أن يتم بغير الهداية الربانية التي علّمها الله ـ تعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، وأنزلها على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكملها وأتمّها، وحفظها في القرآن الكريم، وفي سُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين، وسمّاها باسم «الإسلام»، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: 19].

وفي نفس السورة قال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

وهذه الحقيقة هي من أروع جوانب الإعجاز العقدي في كتاب الله؛ لأنَّ كلَّ شيء في الوجود قد خلق في زوجية كاملة من أصل واحد هو غاز الإيدروجين المبني على الزوجية الكاملة كذلك، مما يشير إلى الوحدانية المطلقة للخالق سبحانه وتعالى التي يقوم على أساسها الكون كله، ويدعو إليها «الإسلام» العظيم دين الله ربّ العالمين.

وموقف يعقوب عليه السلام مع بنيه لحظة احتضاره يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله؛ لأنَّ يعقوب عليه السلام عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا الموقف الكريم منه استأثر به القرآن المجيد وحده، حيث لم يَرِد له ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد» على الرغم من كثرة ما ورد في «العهد القديم» عن عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام، مما يسيء إلى سيرته العطرة، وهو النبي ابن النبي ابن النبي الذي كرمه القرآن الكريم بهذا الموقف النبيل في لحظات احتضاره. بينما يصفه «سفر التكوين» (27/ 18 ـ 46) بالكاذب، السارق، المخادع، الماكر الذي خدع أباه، وكذب عليه، وسقاه الخمر، وسرق بركة أخيه مدعياً أنه هو.

Jacob and Esau

[19]This is the account of Abraham's son Isaac. Abraham became the father of Isaac, [20]and Isaac was forty years old when he married Rebekah daughter of Bethuel the Aramean from Paddan Aram and sister of Laban the Aramean. [21]Isaac prayed to the LORD on behalf of his wife, because she was barren. The LORD answered his prayer, and his wife Rebekah became pregnant. [22]The babies jostled each other within her, and she said, "Why is this happening to me?" So she went to inquire of the LORD. [23]The LORD said to her, "Two nations are in your womb, and two peoples from within you will be separated; one people will be stronger than the other, and the older will serve the younger."

[24]When the time came for her to give birth, there were twin boys in her womb. [25]The first to come out was red, and his whole body was like a hairy garment; so they named him Esau. [26]After this, his brother came out, with his hand grasping Esau's heel; so he was named Jacob. Isaac was sixty years old when Rebekah gave birth to them.

مولد عيسو ويعقوب

[19]وَهٰذَا سِجِلُّ مَوَالِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. أَنْجَبَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ. [20]وَكَانَ إِسْحَاقُ فِي ٱلْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا تَزَوَّجَ رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ ٱلْأَرَامِيِّ مِنْ سَهْلِ أَرَامَ، وَأُخْتَ لَابَانَ ٱلْأَرَامِيِّ. [21]وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى ٱلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ ٱمْرَأَتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلرَّبُّ، فَحَمَلَتْ رِفْقَةُ زَوْجَتُهُ. [22]وَإِذْ تَصَارَعَ ٱلطِّفْلَانِ فِي بَطْنِهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ هٰكَذَا فَمَا لِي وَٱلْحَبَلُ؟». وَمَضَتْ لِتَسْتَفْهِمَ مِنَ ٱلرَّبِّ [23]فَقَالَ لَهَا ٱلرَّبُّ: «فِي أَحْشَائِكِ أُمَّتَانِ، يَتَفَرَّعُ مِنْهُمَا شَعْبَانِ. شَعْبٌ يَسْتَقْوِي عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ».

[24]وَعِنْدَمَا ٱكْتَمَلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي أَحْشَائِهَا تَوْأَمَانِ. [25]فَخَرَجَ ٱلْأَوَّلُ مَكْسُوًّا بِٱلشَّعْرِ وَكَأَنَّهُ يَرْتَدِي فَرْوَةً حَمْرَاءَ، فَدَعَوْهُ عِيسُو (وَمَعْنَاهُ أَشْعَرُ). [26]ثُمَّ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ عَلَى عَقِبِ عِيسُو فَدَعَوْهُ يَعْقُوبَ (وَمَعْنَاهُ مُتَعَقِّبٌ). وَكَانَ إِسْحَاقُ فِي ٱلسِّتِّينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا أَنْجَبَتْهُمَا لَهُ رِفْقَةُ.

Esau Sells His Birthright

[27]The boys grew up, and Esau became a skillful hunter, a man of the open country, while Jacob was a quiet man, staying among the tents. [28]Isaac, who had a taste for wild game, loved Esau, but Rebekah loved Jacob.

[29]Once when Jacob was cooking some stew, Esau came in from the open country, famished. [30]He said to Jacob, "Quick, let me have some of that red stew! I'm famished!" (That is why he was also called Edom.) [31]Jacob replied, "First sell me your birthright."

[32]"Look, I am about to die," Esau said. "What good is the birthright to me?"

[33]But Jacob said, "Swear to me first." So he swore an oath to him, selling his birthright to Jacob.

[34]Then Jacob gave Esau some bread and some lentil stew. He ate and drank, and then got up and left. So Esau despised his birthright.

عيسو يبيع بكوريته

[27]وَكَبِرَ ٱلْوَلَدَانِ، فَأَصْبَحَ عِيسُو صَيَّادًا مَاهِرًا وَرَجُلَ بَرِّيَّةٍ، بَيْنَمَا كَانَ يَعْقُوبُ رَجُلًا هَادِئًا يُقِيمُ فِي ٱلْخِيَامِ. [28]وَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُو لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ صَيْدِهِ، أَمَّا رِفْقَةُ فَقَدْ أَحَبَّتْ يَعْقُوبَ. [29]وَذَاتَ مَرَّةٍ عَادَ عِيسُو مِنَ ٱلْحَقْلِ مُرْهَقًا فَوَجَدَ يَعْقُوبَ قَدْ طَبَخَ طَعَامًا. [30]فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هٰذَا ٱلطَّبِيخِ ٱلْأَحْمَرِ لِأَنِّي جَائِعٌ جِدًّا». لِهٰذَا دُعِيَ عِيسُو بِأَدُومَ. [31]فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي أَوَّلًا ٱمْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِكَ». [32]فَقَالَ عِيسُو: «أَنَا لَابُدَّ مَائِتٌ، فَأَيُّ نَفْعٍ لِي مِنْ بَكُورِيَّتِي؟». [33]فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «ٱحْلِفْ لِي أَوَّلًا». فَحَلَفَ لَهُ، وَبَاعَ ٱمْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ. [34]عِنْدَئِذٍ أَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَامَ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ. وَهٰكَذَا ٱحْتَقَرَ عِيسُو ٱمْتِيَازَاتِ ٱلْبَكُورِيَّةِ.

سفر التكوين (25/ 19 – 34)

Isaac Wants to Bless Esau

27 When Isaac was old and his eyes were so weak that he could no longer see, he called for Esau his older son and said to him, "My son." "Here I am," he answered. [2]Isaac said, "I am now an old man and don't know the day of my death. [3]Now then, get your weapons–your quiver and bow–and go out to the open country to hunt some wild game for me. [4]Prepare me the kind of tasty food I like and bring it to me to eat, so that I may give you my blessing before I die."

Rebekah's Plot

[5]Now Rebekah was listening as Isaac spoke to his son Esau. When Esau left for the open country to hunt game and bring it back, [6]Rebekah said to her son Jacob, "Look, I overheard your father say to your brother Esau, [7]'Bring me some game and prepare me some tasty food to eat, so that I may give you my blessing in the presence of the LORD before I die.' [8]Now, my son, listen carefully and do what I tell you: [9]Go out to the flock and bring me two choice young goats, so I can prepare some tasty food for your father, just the way he likes it. [10]Then take it to your father to eat, so that he may give you his blessing before he dies." [11]Jacob said to Rebekah his mother, "But my brother Esau is a hairy man, and I'm a man with smooth skin. [12]What if my father touches me? I would appear to be tricking him and would bring down a curse on myself rather than a blessing." [13]His mother said to him, "My son, let the curse fall on me. Just do what I say; go and get them for me." [14]So he went and got them and brought them to his mother, and she prepared some tasty food, just the way his father liked it. [15]Then Rebekah took the best clothes of Esau her older son, which she had in the house, and put them on her younger son Jacob. [16]She also covered his hands and the smooth part of his neck with the goatskins. [17]Then she handed to her son Jacob the tasty food and the bread she had made.

[18]He went to his father and said, "My father." "Yes, my son," he answered. "Who is it?" [19]Jacob said to his father, "I am Esau your firstborn. I have done as you told me. Please sit up and eat some of my game so that you may give me your blessing." [20]Isaac asked his son, "How did you find it so quickly, my son?" "The LORD your God gave me

إسحاق يتأهب لمباركة عيسو

٢٧ ولما شاخ إسحاق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: «يا ابني». [٢]«ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتي. [٣]فالآن خذ عدتك: جعبتك وقوسك، واخرج إلى البرية واقتنص لي صيداً. [٤]وجهز لي طعاماً شهياً كما أحب وائتني به لآكل لتباركك نفسي قبل أن أموت».

مؤامرة رفقة

[٥]وسمعت رفقة حديث إسحاق لابنه عيسو. فلما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتي به، [٦]قالت رفقة لابنها يعقوب: «سمعت أباك يقول لعيسو أخيك: [٧]اقتنص لي صيداً، وجهز لي أطعمة شهية لآكل وأباركك أمام الرب قبل موتي. [٨]والآن يا ابني أطع قولي في ما آمرك به. [٩]واذهب إلى قطيع الماشية، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب، [١٠]فتقدمها لأبيك ليأكل، فيباركك قبل وفاته». [١١]فقال يعقوب لرفقة أمه: «إن أخي عيسو رجل أشعر وأنا رجل أملس. [١٢]وقد يجسني أبي فيتبين خداعي، وأستجلب على نفسي لعنة لا بركة». [١٣]فقالت له أمه: «لعنتك علي يا ابني. فأطع قولي فقط، واذهب واحضر الجديين لي». [١٤]فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقة الأطعمة الشهية كما يحب أبوه. [١٥]وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، [١٦]وكذلك غطت يديه وملاسة عنقه بجلد الجديين. [١٧]وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز.

[١٨]فأقبل على أبيه وقال: «يا أبي». فأجابه: «نعم يا ابني، من أنت؟» [١٩]فقال يعقوب: «أنا عيسو بكرك. وقد فعلت كما طلبت. والآن قم واجلس وكل من صيدي حتى تباركني». [٢٠]فقال إسحاق: «كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ابني؟» فأجابه: «لأن الرب

إلهك قد يسر لي ذلك». [21] وقال إسحاق: «اقترب مني لأجسك يا ابني لأرى إن كنت حقا ابني عيسو أم لا». [22] فدنا يعقوب من أبيه إسحاق فجسه وقال: «الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو». [23] ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي أخيه عيسو، فباركه. [24] وسأل: «هل أنت ابني عيسو؟» فأجاب: «أنا هو». [25] ثم قال: «قدم لي من صيدك حتى آكل وأباركك». فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمرا فشرب. [26] فقال له إسحاق أبوه: «تعال وقبلني يا ولدي». [27] فاقترب منه وقبله، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلا: «ها إن رائحة ابني كرائحة حقل باركه الرب. [28] فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر. [29] لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيدا على إخوتك. وبنو أمك لك يسجدون. وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين».

success," he replied. [21]Then Isaac said to Jacob, "Come near so I can touch you, my son, to know whether you really are my son Esau or not." [22]Jacob went close to his father Isaac, who touched him and said, "The voice is the voice of Jacob, but the hands are the hands of Esau." [23]He did not recognize him, for his hands were hairy like those of his brother Esau; so he blessed him. [24]"Are you really my son Esau?" he asked. "I am," he replied. [25]Then he said, "My son, bring me some of your game to eat, so that I may give you my blessing." Jacob brought it to him and he ate; and he brought some wine and he drank. [26]Then his father Isaac said to him, "Come here, my son, and kiss me." [27]So he went to him and kissed him. When Isaac caught the smell of his clothes, he blessed him and said, "Ah, the smell of my son is like the smell of a field that the LORD has blessed. [28]May God give you of heaven's dew and of earth's richness– an abundance of grain and new wine. [29]May nations serve you and peoples bow down to you. Be lord over your brothers, and may the sons of your mother bow down to you. May those who curse you be cursed and those who bless you be blessed."

اكتشاف المؤامرة

[30] ولما فرغ إسحاق من مباركة يعقوب، وخرج يعقوب من عند أبيه، رجع عيسو من صيده. [31] فجهز هو أيضا أطعمة طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: «ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه فتباركني نفسك». [32] فقال إسحاق: «من أنت؟» فأجابه: «أنا ابنك بكرك عيسو». [33] فارتعد إسحاق بعنف وقال: «من هو إذا الذي اصطاد صيدا وأحضره إلي فأكلت من الكل قبل أن تجيء، وباركته؟ وحقا يكون مباركا». [34] فما إن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرة جدا وقال: «باركني أنا أيضا يا أبي». [35] فأجاب: «لقد مكر بي أخوك وسلب بركتك». [36] فقال: «ألم يدع اسمه يعقوب؟ لقد تعقبني مرتين، أخذ بكوريتي، وها هو يسلبني الآن بركتي». ثم قال: «أما احتفظت لي ببركة؟» [37] فأجاب إسحاق: «لقد جعلته سيدا لك، وصيرت جميع إخوته له خداما، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن

The Plot is Discovered

[30]After Isaac finished blessing him and Jacob had scarcely left his father's presence, his brother Esau came in from hunting. [31]He too prepared some tasty food and brought it to his father. Then he said to him, "My father, sit up and eat some of my game, so that you may give me your blessing." [32]His father Isaac asked him, "Who are you?" "I am your son," he answered, "your firstborn, Esau." [33]Isaac trembled violently and said, "Who was it, then, that hunted game and brought it to me? I ate it just before you came and I blessed him– and indeed he will be blessed!" [34]When Esau heard his father's words, he burst out with a loud and bitter cry and said to his father, "Bless me–me too, my father!" [35]But he said, "Your brother came deceitfully and took your blessing." [36]Esau said, "Isn't he rightly named Jacob? He has deceived me these two times: He took my birthright, and now he's taken my blessing!" Then he asked, "Haven't you reserved any blessing for me?" [37]Isaac answered Esau, "I have made him lord over you and have made all his relatives his servants, and I

يَاوَلَدِي؟». [38] فَقَالَ عِيسُو: «أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَاأَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَاأَبِي». وَأَجْهَشَ عِيسُو بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ. [39] فَأَجَابَهُ أَبُوهُ: «مَا مَسْكِنُكَ يَكُونُ فِي أَرْضٍ جَدْبَاءَ لَا يَهْطِلُ عَلَيْهَا نَدَى السَّمَاءِ. [40] بِسَيْفِكَ تَعِيشُ وَلأَخِيكَ تَكُونُ عَبْداً، وَلَكِنْ حِينَ تَجْمَحُ تُحَطِّمُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ».

[41] وَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ مَا نَالَهُ مِنْ بَرَكَةِ أَبِيهِ. فَنَاجَى نَفْسَهُ: «قَرِيباً يَمُوتُ أَبِي، وَعِنْدَئِذٍ أَقْتُلُ أَخِي يَعْقُوبَ». [42] فَبَلَغَ رِفْقَةَ وَعِيدُ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ فَأَرْسَلَتْ وَاسْتَدْعَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ وَقَالَتْ لَهُ: «عِيسُو يُخَطِّطُ لِقَتْلِكَ. [43] وَالآنَ يَاابْنِي أَصْغِ لِقَوْلِي، وَقُمِ اهْرُبْ إِلَى أَخِي لابَانَ إِلَى حَارَانَ. [44] وَامْكُثْ عِنْدَهُ أَيَّاماً قَلائِلَ رَيْثَمَا يَهْدَأُ سُخْطُ أَخِيكَ. [45] وَمَتَى سَكَنَ غَضَبُهُ وَنَسِيَ مَا صَنَعْتَ بِهِ، عِنْدَئِذٍ أَبْعَثُ إِلَيْكَ لِتَعُودَ مِنْ هُنَاكَ. فَلِمَاذَا أُحْرَمُ مِنْكُمَا كِلَيْكُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟».

[46] ثُمَّ قَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحاقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَّاءِ الْبَنَاتِ الْحِثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحِثِّيَّاتِ بَنَاتِ هَذِهِ الأَرْضِ الْمُمَاثِلاتِ لِزَوْجَتَيْ عِيسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي».

have sustained him with grain and new wine. So what can I possibly do for you, my son?" [38]Esau said to his father, "Do you have only one blessing, my father? Bless me too, my father!" Then Esau wept aloud. [39]His father Isaac answered him, "Your dwelling will be away from the earth's richness, away from the dew of heaven above. [40]You will live by the sword and you will serve your brother. But when you grow restless, you will throw his yoke from off your neck."

[41]Esau held a grudge against Jacob because of the blessing his father had given him. He said to himself, "The days of mourning for my father are near; then I will kill my brother Jacob." [42]When Rebekah was told what her older son Esau had said, she sent for her younger son Jacob and said to him, "Your brother Esau is consoling himself with the thought of killing you. [43]Now then, my son, do what I say: Flee at once to my brother Laban in Haran. [44]Stay with him for a while until your brother's fury subsides. [45]When your brother is no longer angry with you and forgets what you did to him, I'll send word for you to come back from there. Why should I lose both of you in one day?"

[46]Then Rebekah said to Isaac, "I'm disgusted with living because of these Hittite women. If Jacob takes a wife from among the women of this land, from Hittite women like these, my life will not be worth living."

Jacob Wrestles With God

[22]That night Jacob got up and took his two wives, his two maidservants and his eleven sons and crossed the ford of the Jabbok. [23]After he had sent them across the stream, he sent over all his possessions. [24]So Jacob was left alone, and a man wrestled with him till daybreak. [25]When the man saw that he could not overpower him, he touched the socket of Jacob's hip so that his hip was wrenched as he wrestled with the man. [26]Then the man said, "Let me go, for it is daybreak." But Jacob replied, "I will not let you go unless you bless me." [27]The man asked him, "What is your name?" "Jacob," he answered. [28]Then the man said, "Your name will no longer be Jacob, but Israel, because you have struggled with God and with men and have overcome." [29]Jacob said, "Please tell me your name." But he replied, "Why do you ask my name?" Then he blessed him there.

[30]So Jacob called the place Peniel, saying, "It is because I saw God face to face, and yet my life was spared." [31]The sun rose above him as he passed Peniel, and he was limping because of his hip. [32]Therefore to this day the Israelites do not eat the tendon attached to the socket of the hip, because the socket of Jacob's hip was touched near the tendon.

يعقوب يصارع في فنيئيل

[٢٢] ثم قام في تلك الليلة وصحب معه زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر بهم مخاضة يبوق. [٢٣] ولما أجازهم وكل ما له عبر الوادي، [٢٤] بقي وحده، صارعه إنسان حتى مطلع الفجر. [٢٥] وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعته معه. [٢٦] وقال له: «أطلقني، فقد طلع الفجر». فأجابه يعقوب: «لا أطلقك حتى تباركني». [٢٧] فسأله: «ما اسمك؟» فأجاب: «يعقوب». [٢٨] فقال: «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه: يجاهد مع الله)، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت». [٢٩] فسأله يعقوب: «أخبرني ما اسمك؟» فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك.

[٣٠] ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (ومعناه: وجه الله) إذ قال: «لأني شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيا». [٣١] وما إن عبر فنوئيل حتى أشرقت عليه الشمس فسار وهو عارج من فخذه [٣٢] لذلك يمتنع بنو إسرائيل عن أكل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأن الرجل ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا.

ثامناً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام؛ ويُذْكَر أنه وُلد في فدان ـ أرام من أرض العراق. وكان جميل الصورة بشكل ملحوظ، وقد توفيت أمه بعد ولادة أخيه الأصغر منه مباشرة، فاستأثر بحب أبيه دون بقية إخوته.

جاء ذكر يوسف عليه السلام في (26) آية من آيات القرآن الكريم، وسُمّيت باسمه سورة كاملة هي سورة «يوسف»، ذكر فيها في (24) آية، كما جاء ذكره في آيتين أخريين من «آيات كتاب الله»، جاءت إحداهما في سورة «الأنعام» والأخرى في سورة «غافر».

وتبدأ القصّة برؤيا مناميّة، وتنتهي بتحققها أمراً واقعاً في حياة أبطالها. فقد كان يوسف صغيراً حين رأى في منامه أنَّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، فروى الرؤيا لأبيه الذي فسّرها له، وأوصاه بكتمانها عن إخوته كي لا يدخل الشيطان في علاقتهم به بالغيرة والحسد. ويذكر القرآن الكريم ذلك بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 4 ـ 6].

وكان استئثار يوسف وأخيه بحبّ زائد من أبيهما، سبباً في حقد إخوته عليهما، وفي عدد من المحن التي تعرّض لها يوسف بالذات، والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

المحنة الأولى: كيد إخوته له حتى تمّ إلقاؤه في غيابة الجُبّ:

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وأخيه ما أغاظهم وأحقد قلوبهم عليه، فأضمروا له الشرّ، ويشرح القرآن الكريم ذلك قائلاً:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: 7، 8].

وهنا يُسوِّل الشيطان لإخوة يوسف عليه السلام أن أفضل الحلول للتغلب على استئثار يوسف بحب أبيه هو التخلص منه فقالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف: 9، 10].

وليحققوا هذا المخطط الشيطاني ـ وهم أبناء نبي، وأحفاد سلسلة من أنبياء الله ـ تحايلوا على أبيهم لكي يسمح ليوسف بالخروج معهم إلى المرعى. ويرد الأب المتعلق بصغيره بأنه لا يطيق فراقه، وأنه يخشى أن يأكله الذئب وإخوته غافلون عنه. وعلى الرغم من ذلك نجح أبناء يعقوب في إقناع أبيهم باصطحابهم لأخيهم الصغير يوسف إلى حيث المرعى، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف: 11 ـ 15].

وقام إخوة يوسف بوضعه في غيابة الجُبّ (البئر)، الذي كان به قليل من الماء، وذهبوا إلى أبيهم باكين في وقت العشاء بدعوى أن يوسف قد أكله الذئب.

وجاءت قافلة فأرسلوا واردهم ليحصل لهم على شيء من ماء ذلك البئر. فأدلى دلوهُ في الجُبّ فتعلّق به يوسف، فلمّا نزع وارد البئر الدلوَ يَحسُبها قد

امتلأت ماء، فإذا بغلام وسيم قد تعلّق بالدلوَ، فاستبشر به رجال القافلة، ورحلوا به إلى مصر وباعوه بثمن بخس. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف: 16 ـ 19].

المحنة الثانية: بيعه رقيقاً بثمن بَخس وهو الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنُ الكريمِ ابنُ الكريم:

بِيع يوسف إلى عزيز مصر أو رئيس الشرطة فيها، وأغلبُ الظنّ أنَّ ذلك كان في مدينة (صان) بأرض مُحافظة الشرقيّة، وكان ملك مصر آنذاك من العرب العمالقة (الهكسوس أو الرعاة)، الذين شغلوا تاريخ مصر من الأسرة (13) إلى الأسرة (17). ولذلك استخدمت سورة «يوسف» لقب (الملك) لحاكم مصر بدلاً من لقب (الفرعون) طوال عرض أحداث قصة يوسف عليه السلام. وفي زمن الأسرة (18) التي كان منها الملك أحمس، تمّ طرد العمالقة من مصر، وكان ذلك في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولذلك وصف القرآن الكريم حاكم مصر طوال عرضه لقصة موسى بوصف (الفرعون)، وهذا من الدقة الفائقة في كتاب الله.

وفي بيع يوسف بثمن بخس يقول القرآن الكريم: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: 20].

أحبَّ رئيس شرطة مصر عبدهُ يوسف، فجعله رئيس خدمه، والمُتصرّف في بيته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: 21، 22].

المحنة الثالثة: كيد امرأة العزيز ليوسف:

أحبَّت امرأة العزيز يوسف إلى أن غلبها حبّه على حياتها، فأخذت تداعبه وهو يعرض عنها، فزادها إعراضهُ عنها تعلّقاً به وحرصاً عليه، ممَّا دفعها إلى التخطيط للإيقاع به. فانتهزت فرصة غيبة زوجها عن البيت، فأخرجت الخدم منه إلا يوسف، وأغلقت جميع الأبواب وراودته صراحة عن نفسه. فجرى يوسف إلى الباب وهي تجذبه من ثوبه، حتى تمزّق الثوب من خلفه وهو يجري كي يُفلت من يدها. وظلا يستبقان: يوسف وزوجة العزيز إلى الباب الخارجي للبيت، ليجدا سيّده لدى الباب ومعه أحد من أهل زوجته. تقدَّمت امرأة العزيز إلى زوجها في لؤم ووقاحة ظاهرين، وهي باكية شاكية، مُدّعية أنَّ يوسف حاول الاعتداء عليها، فصدَّته وأبت عليه. وأرادت بذلك الإيقاع به والانتقام منه بتحريض زوجها عليه كي يسجنه أو يعذبه عذاباً شديداً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: 23 ـ 29].

المحنة الرابعة: تآمر نسوة المدينة على يوسف:

شاع خبرُ امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة، ولاكتهُ ألسنة النساء، ممَّا أساءَ إليها، فأرسلت إلى مَن تعرف منهنّ وأعدَّت لهنَّ مجلساً، وقدَّمت لهنَّ طعاماً

يحتاج إلى القطع بالسكين، وآتت كلّ واحدة منهنّ سكيناً، وأمرت يوسف بالخروج عليهنَّ، فبهرهنَّ جماله الذي شدَّهُنَّ إليه، فصرن يُقطعن أيديهنَّ، بدلاً من تقطيع الطعام الذي كُنَّ يتناولنه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: 30 ـ 34].

المحنة الخامسة: يوسف يُسجَنُ ظلماً:

رأى العزيز أنّه لا يخلصه من عار امرأته، ولا يكُفّ ألسنة الناس عنه وعنها، إلّا الزجّ بيوسف في السجن لفترة معينة، على الرّغم من وضوح براءته وطهرُه، وفي ذلك يقول ربّ العالمين:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف: 35].

سُجن يوسف بغير ذنب، ودخل معه السجن فتيان: أحدهما كان رئيس الخبّازينَ عند ملك مصر، والثاني كان رئيس سُقاته. وبعد فترة، جاء كلّ منهما برؤيا رآها، يريدُ من يوسف أن يُفسّرها له. جاءَ صاحبُ شراب الملك وأخبرهُ، أنّه رأى في منامه أنّه يعصرُ الخمر في كأس الملك، وجاء رئيس الخبّازين وقال له: إنّي رأيت فوق رأسي طبقاً من الخبز، والطيرُ تأكلُ من ذلك الخبزُ، طلب كل منهما تأويل رؤياه. وانتهزَ يوسف الفرصة لدعوة زميلاه إلى الإيمان باللّه ـ تعالى ـ، وإلى توحيده وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصفٍ لا يليقُ بجلاله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: 36 ـ 40].

ثم يفسر يوسف لكل واحد منهما رؤياه فيقول:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: 41، 42].

وتحقق تأويل المنامين كما عبّر يوسف تماماً، ولكنّ الناجي من رفيقي السجن، نسي أن يُكلّم الملك في أمر يوسف، فلبث في السجن بضع سنين.

المحنة السادسة: فرج الله يأتي ليوسف وهو في السجن ثم تبدأ معه محنة الابتلاء بالسلطان:

رأى ملك مصر في منامه ﴿...وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ ...﴾، وطلب الملك تعبير هذه الرؤيا التي أزعجته كثيراً، فقال له مَن في حاشيته إنها أضغاث أحلام. ولمّا عجز جميع من كان حول الملك عن تعبير رؤياه، تذكّر ساقي الملك قصّته مع يوسف ورواها للملك، فطلب منه الذهاب إلى يوسف في السجن، لسؤاله عن تعبير رؤيا الملك. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 43 ـ 49].

عاد رئيسُ السُقاة إلى الملك بتأويل رُؤياه فسُرَّ بها، وطلب الإتيان بيوسف إليه، ولكن يوسف أبى أن يخرج من السجن، حتى تثبُت براءته من التهمة التي ألصقت به زوراً وبُهتاناً. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: 50، 51].

وهنا يرد يوسف عليه السلام بقوله:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾
[يوسف: 52، 53].

ويطلب ملك مصر يوسف ليستلخصه لنفسه، أي ليجعله من خاصته وخلصائه، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ

ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: 54 ـ 57].

المحنة السابعة: محنة اللّقاء بإخوته وأبويه:

1 ـ رحلة أبناء يعقوب الأولى إلى أرض مصر:

مرَّت السنوات السّبع المُخصبة، وكان يوسف قد أعدّ عُدّته لخزن الفائض عن حاجة البلاد من الغلال في سنابلها، ثمّ جاءت السبع المُجدبة، ففتح المخازن وباع لأهل مصر ما يكفيهم. علم أهلُ فلسطين بما في مصر من مخزون الغلال، فأرسلوا مَن يجلب لهم نصيباً منها، وكان من هؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام. وعندما رآهم يوسف عرفهم، وهم لم يعرفوه، ولم يجد بينهم أخاه الشقيق الأصغر بنيامين، فأخذ في استدراجهم، حتى علم منهم أنَّ أباهم لم يسمح بمفارقة بنيامين له. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: 58 ـ 62].

ولمَّا جهَّزهم يوسف بغلالهم، قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، أعامِلكم مرّة أخرى، فإذا لم تأتوني به، فلا كَيْل لكم عندي. فقالوا: سنراود عنه أباه. وكان يوسف قد أمر بردّ بضاعتهم التي دفعوها ثمناً للطعام، في أوعيتهم، كي يعودوا بها إليه، لأنَّهم لا يقبلون ما ليس لهم.

2 ـ رحلة أبناء يعقوب الثانية إلى أرض مصر:

عاد إخوة يوسف إلى بلدهم، وأخبروا أباهم أنّ مُتصرّف مصر قرَّر ألَّا يبيعهم غِلالاً بعد ذلك، حتى يأتوهُ بأخ لهم من أبيهم، فعاودته لوعته على فراق يوسف، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: 63، 64].

ثمّ فتح إخوة يوسف أمتعتهم لاستخراج ما شروهُ من غلال، فوجدوا الثمن الذي دفعوه فيها قد رُدّ إليهم، فشجّعهم ذلك على العودة إلى مصر، وطلبوا صُحبة بنيامين لهم. ونظراً لشدّة القحط ولإلحاح الأبناء على أبيهم يعقوب في طلبهم اصطحاب أخاهم بنيامين في رحلتهم الثانية إلى مصر، وافق الأب المكلوم، واشترط عليهم شروطاً حتى يُؤتوهُ موثقاً من الله، أن يعودوا به سالماً إلّا أن يُحاط بهم، أيّ إلّا أن يُغلبوا على أمرهم، وأوصاهم بعدد من الوصايا الخاصة بهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: 65 ـ 68].

عاد إخوة يوسف إلى مصر ومعهم أخوهم بنيامين، فأكرم يوسف وفادتهم، وأمرَ بأن تملأ أوعيتهم بالغلال، كما أمر بِردّ أثمانها فيها، وأن يُوضع صواع الملك (وهي الطاس التي يشربُ فيها) في رحل أخيه بنيامين.

ارتحل إخوة يوسف غير بعيد، ثم نودي عليهم بدعوى أنّهم سرقوا صواع الملك، فأظهروا البراءة من ذلك، وقالوا: من وُجِدَ صواع الملك في رحله، يُؤخذُ عبداً للملك. وبالتفتيش وُجد الصواع في رحل بنيامين، فبادروا بالرجاء أن يؤخذ

أحدهم مكانه، فأبى يوسف إلا أن يؤخذ من وجد صواع الملك في رحله. وفي ذلك يقولُ القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: 69 ـ 79].

ألحّ إخوة يوسف في رجائه أخذ أحدهم مكان أخيهم بنيامين الذي كانوا قد عاهدوا أباهم على أن يعودوا به سالماً إلا أن يغلبوا على أمرهم. ولما يئسوا من قبول رجائهم اعتزلوا الناس جانباً للتشاور في الأمر، ومدارسة ماذا يقولون لأبيهم. وفي أثناء ذلك قال الأخ الأكبر أنه لن يبرح أرض مصر حتى يأذن له أبوه، وأشار على إخوته بالرجوع إلى أبيهم، وإخباره بما كان من أمر بنيامين، الذي صار عبداً للملك بسبب السرقة. فعادوا وأخبروا أباهم بالأمر، فلم يقتنع بروايتهم، وأحالهُ إلى أمر دبّروه بليل، كما دبّروا لأخيهم يوسف من قبل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا

شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

[يوسف: 80 ـ 87].

لام أولاد يعقوب أباهم على تذكّر يوسف، فأمرهم بالعودة إلى مصر ليتحسّسوا شأنَ يوسف وأخيه، وأمرهم بعدم اليأس من رحمة الله، فإنَّه لا ييأسُ من رحمة الله إلَّا القوم الكافرون.

3 ـ الرحلة الثالثة لأبناء يعقوب إلى أرض مصر:

جاء إخوة يوسف للمرّة الثالثة إلى مصر، طالبين الغلال، وذكروا ليوسف ما أصاب عائلتهم من أضرار باحتجاز أخيهم بنيامين في أرض مصر حتى فقد أبوهم بصره من كثرة البكاء على كل من بنيامين وأخيه يوسف، ورجوه إطلاق سراح أخيهم بنيامين. ومن خلال الحوار تعرّف إخوة يوسف عليه، واعترفوا بخطئهم في حقه، فعفا عنهم، وأعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه فيعود إليه بصره. كما طلب إليهم أن يحضروا أهلهم أجمعين إلى أرض مصر. وفي ذلك يقولُ ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في مُحكم كتابه:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ

لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: 88 ـ 93].

وعند خروج العير منطلقة من أرض مصر في اتجاه بلاد الشام، قال يعقوب عليه السلام لمن حوله من أهله إني لأشم رائحة يوسف، لولا أن تتخيلوا أني أخرِّف. فقالوا له: إنك لفي خطئك القديم، وفي بعد كامل عن الصواب، وذلك لاعتقادهم بأن يوسف كان قد مات منذ زمن بعيد. فلما وصلت العير، وجاء المبشر يخبرهم بأن يوسف لا يزال حيّاً، وطرح قميصه على وجه يعقوب ارتد إليه بصره، واعترف إخوة يوسف بأخطائهم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: 94 ـ 98].

4 ـ الرحلة الرابعة لأبناء يعقوب، والأولى له ولآله إلى أرض مصر:

شدَّ يعقوب وآلهُ أجمعون رحالهم إلى أرض مصر، فلمّا جاؤوها دخلوا على يوسف، فآوى إليه أبويه، فسجد له كل من أبيه وأمّه وإخوته الأحد عشر، وكان في ذلك تأويل لرؤياه التي سبق وأن رآها في صباه. وفي ذلك يقول ربّ العالمين: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 99 ـ 101].

ثمّ تتوجّه الآيات إلى ختام السورة، بالخطاب إلى خاتم الأنبياء والمُرسلين

ـ صلّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ قائلة لهُ:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

[يوسف: 102 ـ 111].

الدروس المُستفادة من رواية القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام:

1 ـ مع الإيمان الكامل بأن قدر الله نافذ، وأنَّ قضاءه ماضٍ لا محالة، يجب أخذ الحذر واستخدام الكتمان، وعدم التباهي بالنعم خشية الحسد والغيرة، حتى بين الإخوة، وذلك من مثل تحذير يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام، من ذِكر رُؤياهُ لإخوته:

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: 5].

2 ـ التأكيد على قيمة الأسرة المسلمة، وعلى التذكير بالأسلاف الصالحين، من أجل التنشئة السليمة للذرية الصاعدة، ومن ذلك تذكير يعقوب عليه السلام لولده يوسف بأجداده الصالحين، ويسجل القرآن الكريم ذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: 6].

3 ـ ضرورة عدم التفرقة بين الأبناء، وإن اندفع الوالدان ـ أحدهما أو كلاهما ـ في حب أحد الأبناء فوق حبهما للآخرين، فيجبُ عدم إظهار ذلك أمامهم حتى يظهرا بمظهر العدل، ولا يتسببا في إيقاع الفتنة بينهم. ومع أنّ حبّ الوالدين لأبنائهما مطلوب المُساواة فيه ـ رغم صعوبة تحقيق ذلك ـ إلّا أنَّ المُغالاة في التفرقة بين الأبناء، قد تكون مُدمّرة للأسرة، كما جاء على ألسنة إخوة يوسف بنص القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: 8، 9].

4 ـ إنَّ الشرّ لا يُنتج إلّا شرًّا، وإنَّ الخير لا يُنتجُ إلّا خيراً، فلا يجوزُ لمُسلم أن يخدع أخاهُ المُسلم، أو أن يخدع نفسه باختلاق المُبرّرات للوُقوع في الخطأ كما حدث من إخوة يوسف حينما قالوا:

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: 9].

5 ـ لا يجوز للآباء الدخول في مُماراةٍ أو خصومةٍ مع أبنائهم، حتى مع التأكد من خطئهم، وذلك من مثل موقف يعقوب عليه السلام مع أبنائه، بعد تخلّصهم من أخيهم يوسف، فقد فوّض الأمر إلى الله ـ تعالى ـ دون محاسبتهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: 18].

6 ـ الدّعوة إلى الصّبر على المكاره وفي الأزمات، لأنَّ الصّبر من أعظم القِيَم الإسلاميّة، ومن أفضل الوسائل التربويّة، والعاقبة دوماً للصّابرين

الصّادقين، كصبر كل من يعقوب عليه السلام على فقد ابنه، وصبر يوسف عليه السلام على ما تعرّض له من فتن. وكان المعين على ذلك في الحالين هو الثقة في الله، والرضا بحكمه، والتسليم بقضائه وقدره، إيماناً بعدله المُطلق ورحمته بعباده. علماً بأنّ بُكاء المُبتلى لا يتعارض مع كونه صابراً، (إذا لم يكُن البكاء مُصاحباً بشيء من الجزع واليأس)، وذلك كبكاء يعقوب عليه السلام على فقد ولده، حتى ابيضَّت عَيْناهُ من الحزن. ومن هنا جاءت قصّة نبيّ الله وعبدهُ يوسف، مناسبة للفترة الحرجة التي عاشها المُسلمون في مكّة، قبل الهجرة، وما كانت تحتاجه من صبر.

7 ـ الدّعوة إلى العفّة في السلوك، والوفاء بالعهود، ومراقبة الله ـ تعالى ـ في السرّ والعلنْ، وقد تجلّت كل هذه الصفات الطيبة في موقف يوسف من امرأة العزيز، فكان عفيفاً، وافياً بالعهد، واعياً لمراقبة الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: 23].

8 ـ التحذير من خطورة الخلوة بالمرأة الأجنبيّة، تحت أيّ ظرف من الظروف، ولأيّ سبب من الأسباب، خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه، وقد خرجت المرأة من خدرها، وأعلنت سفورها، وزاد جهلها بدينها.

9 ـ إنَّ اعتزاز المُؤمن بإيمانه، وانعكاس ذلك على سُلوكه حتى لو كان مسجوناً، هو من أكثر وسائل الدّعوة إلى الله تأثيراً في نفوس الناس، ويُمثّل ذلك التفاف أصحاب السجن حول يوسف عليه السلام.

10 ـ إن التأكيد على وحدانيّة الله ـ تعالى ـ ونفي الشرّك، هو من أعظم وسائل الدعوة إلى دين الله، وهذا كان موقف يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن، ذلك الموقف الذي يصفه القرآن الكريم بالنص التالي:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾
[يوسف: 39، 40].

11 ـ الإيمان بقدرة الصالحين من أهل العلم على تعبير الرُّؤى المنامية، وهي من حقائق الوجود الإنساني على هذه الأرض. فبعض الرُّؤى تحمل نبوءاتٍ عن المُستقبل القريب أو البعيد، وهي نوع من الشفافيّة (الاستشفاف). وكان من ذلك رؤيا يوسف في طفولته التي تحققت في آخر قصته، وتعبير يوسف لرؤى كل من رفيقيه في السجن وملك مصر. والرؤيا الأخيرة سجّلها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾
[يوسف: 47 ـ 50].

12 ـ الحرص على تطهير النفس الإنسانية من الشُبهات، ولهذا لم يقبل يوسف بالخروج من السجن، إلَّا بعد تبرئته من جميع التُّهم التي وُجّهت زوراً إليه، ولذلك حرص ملك مصر على أن يسأل نسوة المدينة عن الأمر، وهذا ما سجله القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾
[يوسف: 51].

13 ـ الأصل في الإسلام أنَّ طالب الولاية لا يولى، ولكن في مواقف الشِدّة يجوز طلب الولاية، لمن علمَ في نفسه الكفاءة في مواجهتها، والأمانة على القيام بها، ولذلك جاء على لسان يوسف عليه السلام قوله:

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: 55].

14 ـ إنَّ النجاح في الابتلاءات، له مردود عظيم في الدنيا قبل الآخرة، فنجاح يوسف في كل ما تعرض له من ابتلاءات كان سبباً في عزِّه في الدنيا، ورضاء الله عليه، وجزاؤهُ في الآخرة سيكون أوفى وأعظم إن شاء الله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 56].

15 ـ إنَّ قلب الوالد يحن على أبنائه دوماً ـ حتى لو كانوا خاطئين ـ فهذا يعقوب عليه السلام مع حزنه على تصرف أبنائه مع أخيهم يوسف، ويقينه بأنهم أساؤوا إليه، ومع إيمانه بأنَّ قضاء الله نافذ، وأنّ قدَره ماضٍ لا محالة، فإنَّه يوصيهم بقوله:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: 67].

16 ـ التأكيد على أن الإيمان الصادق بالله ـ تعالى ـ لا بد وأن يكون خالصاً لجلاله، مُجرداً عن كلّ غاية دنيوية، كما تجلى في قلبي كل من عبد الله ونبيه يعقوب، وولده النّبي يوسف عليهما السلام.

17 ـ ضرورة العفو عن المُسيئ، واليقين بعدل الله ـ تعالى ـ، والشكر له على نعمائه كما يتجلى ذلك في موقف يوسف عليه السلام من إخوته حين عادوا إليه مع أبويه، والذي يصفه القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 100 ـ 101].

18 ـ التصديق بنبوّة الرسول الخاتم ﷺ، وبأنَّه كان موصولاً بالوحي، ومُعلماً من

قبل خالق السمٰوات والأرض، على الرغم من تكذيب كفّار قريش لنبوّته ﷺ، وتكذيب غيرهم من الكفار والمشركين في مختلف الأماكن والأزمنة من بعده لبعثته الشريفة. ويؤكد القرآن الكريم على أن الإنباء بقصة يوسف عليه السلام وبغيرها من القصص الذي لم يدوّنه المؤرخون هو من أوضح الشهادات على صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وفي ذلك يوجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الخطاب إليه قائلاً له:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف: 102 ـ 104].

19 ـ التأكيد على ضرورة الاعتبار بآيات الله في السمٰوات وفي الأرض، والتحذير من أنَّ أكثر الناس معرّضون للوقوع في حبائل الشرك، مما يستوجب نزول عذاب الله في الدنيا، قبل الآخرة، والتذكير بأهوال الساعة، والتنبيه إلى حتمية الاهتمام بالدعوة إلى دين الله الحق، وفي ذلك يقول ربّ العالمين:

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

[يوسف: 103 ـ 108].

20 ـ ضرورة الإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً. والتصديق بما نزل من عقاب بالأمم السابقة جزاء كفرهم أو شركهم وإفسادهم في الأرض، مع اليقين بالآخرة، والإيمان بأن النصر من الله الذي لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى

ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: 109 ـ 110].

21 ـ التأكيد على استخلاص العبر من قصّة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام، ومن جميع القصص القرآني، وعلى أنَّ الصدق في هذا القصص هو من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وهذا الإعجاز يشهد للقرآن الكريم بأنَّه كلام الله الخالق، ويشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقاه، بالنبوّة وبالرسالة، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾
[يوسف: 111].

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن أغلب هذه المواقف لم ترد في «العهد القديم» رغم توسعه في ذكر قصة يوسف عليه السلام (سفر التكوين 37 ـ 50). فقد جاء في هذا السفر من الأخطاء في عرض قصة يوسف ما يربو على الحصر، وما يمكن إيجاز بعضه فيما يلي:

1 ـ الادّعاء بأنَّ يوسف حينما ألقيَ في غيابة الجُبّ، كان في سنّ السابعة عشر، ولا يعقل أن شاباً في مثل هذه السن يمكن إلقاؤه في غيابة الجب.

2 ـ الادّعاء الباطل بأنّ يعقوب صارع الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

3 ـ الادّعاء الباطل بالاعتداء على عرض ابنة يعقوب، وبخداع أبناء يعقوب لأهل الأرض وقتلهم، وباعتداء أحد أبناء يعقوب، على سريّة أبيه.

4 ـ الادّعاء بأنَّ يوسف أخبر إخوته برؤياه.

5 ـ الادّعاء بأنَّ إخوة يوسف، هم الذين باعوهُ للإسماعيليّين المُقبلين من أرض جلعاد (فلسطين).

6 ـ الادّعاء بأنَّ يعقوب مزَّق ثيابه، وناح على ابنه يوسف أيّاماً كثيرة، وأبى أن يقبل العزاء فيه.

7 ـ الادّعاء بأنَّ يهوذا ابن النَّبي يعقوب، وشقيق النبي يوسف عليهما السلام، زنى بأرملة ابنه المدعُوّة «ثامار»، على قارعة الطريق (سفر التكوين 38).

8 ـ الادّعاء بأنَّ القحط الذي كان قد أصاب بلاد الشام في زمن عبد الله ونبيه يوسف عمَّ جميع الأرض.

9 ـ الادّعاء بأنَّ يوسف أقسم بحياة «فرعون»، وأنَّه كان بينه وبين إخوته مُترجم!

10 ـ الادّعاء بأنَّ بنيامين كان لا يزال غلاماً، وبأنَّ يوسف كان قد تجاوز الثلاثين، والحقيقة أن الفرق بينهما في العمر كان سنتان فقط.

11 ـ الادّعاء بأنَّ بني إسرائيل الذين نزلوا مصر، كانوا سبعين نفساً.

12 ـ الادّعاء بأنَّ يعقوب بارك فرعون.

13 ـ تكرار الادّعاء بالوعد المُفترى على الله ـ تعالى ـ، بأنَّه أعطى أرض فلسطين لإبراهيم ومن بعده لإسحاق ثمّ ليعقوب ولنسله من بعده، ملكاً أبديًّا، وهو من افتراءات اليهود على الله.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في استعراض القرآن الكريم لقصة النبي يوسف:

1 ـ لأن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام عاش في مصر في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بعث في مطلع القرن السابع الميلادي، فإنَّ الفترة الزمنية بينهما كانت أكثر من عشرين قرناً. ولما لم يكن العرب في زمن البعثة المحمدية الشريفة أهل علم وتدوين كانت التفاصيل الدقيقة التي سجلها القرآن الكريم في قصة يوسف وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. ولا يمكن الاحتجاج بما جاء

عن قصة يوسف ﷺ في «العهد القديم» للفوارق الهائلة بين الروايتين، وللأخطاء العديدة في رواية «العهد القديم».

2 ـ استعمال لقب «الملك» لحاكم مصر خلال كل السورة بدلاً من لقب «الفرعون»، وذلك لأن دخول يوسف ﷺ ومن بعده أسرته إلى أرض مصر كان في عهد ملوك الهكسوس (الرعاة) الذين لم يستخدموا لقب الفرعون، بل استخدموا لقب الملك.

3 ـ الإشارة إلى إخوة يوسف ووالديه بتعبير: أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يتوافق تماماً مع ما أثبته علم الفلك من أنَّ عدد كواكب المجموعة الشمسية هو أحد عشر كوكباً، وأنَّ الشمس لا يمكنها جذب شيء إليها بعد الكوكب الحادي عشر الذي يقع على بعد (90) وحدة فلكية عن الشمس، والذي تمَّ اكتشافه في 14/ 11/ 2003م وتمَّ الإعلان عنه في 15/ 3/ 2004م وعرف باسم الكوكب سيدنا (Sedna).

4 ـ الإنباء بأنَّ أفضل وسيلة لحفظ الحبوب التي تنبت في سنابل من مثل القمح، والشعير، والذرة، والشوفان، وغيرها هو حفظها في سنابلها بدلاً من حفظها مفروطة في صوامع الغلال حيث تفسد، وهو ما أثبتته التجارب العلمية مؤخراً.

5 ـ وورود هذه القصة في القرآن الكريم بهذا التفصيل، وبهذه الدقة، هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في سفر التكوين:

حلم يوسف وحسد إخوته

٣٧ وسكن يعقوب في أرض كنعان، حيث تغرب أبوه. [٢] وهذا سجل سيرة يعقوب. إذ كان يوسف غلاما في السابعة عشرة من عمره، راح يرعى الغنم مع إخوته أبناء بلهة وزلفة زوجتي أبيه، فأبلغ يوسف أباه بنميمتهم الرديئة. [٣] وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من بقية إخوته، لأنه كان ابن شيخوخته، فصنع له قميصا ملونا. [٤] ولما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم كرهوه وأساءوا إليه بكلامهم.

[٥] وحلم يوسف حلما قصه على إخوته، فازدادوا له بغضا. [٦] قال لهم: «اسمعوا هذا الحلم الذي حلمته. [٧] رأيت وكأننا نحزم حزما في الحقل، فإذا بحزمتي وقفت ثم انتصبت، فأحاطت بها حزمكم وانحنت لها». [٨] فقال له إخوته: «ألعلك تملك علينا أو تحكمنا؟» وزاد بغضهم له بسبب أحلامه وكلامه. [٩] ثم حلم حلما آخر سرده على إخوته، قال: «حلمت حلما آخر، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي». [١٠] وقصه على أبيه وإخوته، فأنبه أبوه وقال: «أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقا أنني وأمك وإخوتك سنأتي ونحني لك إلى الأرض؟» [١١] فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه.

Joseph's Dreams

37 Jacob lived in the land where his father had stayed, the land of Canaan.

[2]This is the account of Jacob. Joseph, a young man of seventeen, was tending the flocks with his brothers, the sons of Bilhah and the sons of Zilpah, his father's wives, and he brought their father a bad report about them. [3]Now Israel loved Joseph more than any of his other sons, because he had been born to him in his old age; and he made a richly ornamented robe for him. [4]When his brothers saw that their father loved him more than any of them, they hated him and could not speak a kind word to him.

[5]Joseph had a dream, and when he told it to his brothers, they hated him all the more. [6]He said to them, "Listen to this dream I had: [7]We were binding sheaves of grain out in the field when suddenly my sheaf rose and stood upright, while your sheaves gathered around mine and bowed down to it." [8]His brothers said to him, "Do you intend to reign over us? Will you actually rule us?" And they hated him all the more because of his dream and what he had said. [9]Then he had another dream, and he told it to his brothers. "Listen," he said, "I had another dream, and this time the sun and moon and eleven stars were bowing down to me." [10]When he told his father as well as his brothers, his father rebuked him and said, "What is this dream you had? Will your mother and I and your brothers actually come and bow down to the ground before you?" [11]His brothers were jealous of him, but his father kept the matter in mind.

التآمر على حياة يوسف

[١٢] وانطلق إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم. [١٣] فقال إسرائيل ليوسف: «ألا يرعى إخوتك الغنم عند شكيم؟ تعال لأرسلك إليهم». [١٤] اذهب واطمئن على إخوتك وعلى المواشي، ثم عد وأخبرني عن أحوالهم». فمضى من وادي حبرون حتى أقبل إلى شكيم. [١٥] وألفاه رجل فوجده

The Plot Against Joseph

[12]Now his brothers had gone to graze their father's flocks near Shechem, [13]and Israel said to Joseph, "As you know, your brothers are grazing the flocks near Shechem. Come, I am going to send you to them." "Very well," he replied. [14]So he said to him, "Go and see if all is well with your brothers and with the flocks, and bring word back to me." Then he sent him off from the Valley of Hebron. When Joseph arrived at Shechem, [15]a man found

him wandering around in the fields and asked him, "What are you looking for?" [16]He replied, "I'm looking for my brothers. Can you tell me where they are grazing their flocks?" [17]"They have moved on from here," the man answered. "I heard them say, 'Let's go to Dothan.' "

So Joseph went after his brothers and found them near Dothan. [18]But they saw him in the distance, and before he reached them, they plotted to kill him. [19]"Here comes that dreamer!" they said to each other. [20]"Come now, let's kill him and throw him into one of these cisterns and say that a ferocious animal devoured him. Then we'll see what comes of his dreams." [21]When Reuben heard this, he tried to rescue him from their hands. "Let's not take his life," he said. [22]"Don't shed any blood. Throw him into this cistern here in the desert, but don't lay a hand on him." Reuben said this to rescue him from them and take him back to his father. [23]So when Joseph came to his brothers, they stripped him of his robe–the richly ornamented robe he was wearing–[24]and they took him and threw him into the cistern. Now the cistern was empty; there was no water in it.

تائهاً في الحقول، فسأله: «عمّ تبحث؟» [16]فأجابه: «أبحث عن إخوتي. أرجوك أن تخبرني أين يرعون مواشيهم؟» [17]فقال الرجل: «لقد انتقلوا من هنا، وسمعتهم يقولون: لنذهب إلى دوثان». فانطلق يوسف في إثر إخوته حتى قدم عليهم في دوثان.

[18]وما إن رأوه من بعيد، وقبل أن يقترب منهم حتى تآمروا عليه ليقتلوه. [19]وقال بعضهم لبعض: «هذا هو صاحب الأحلام مقبل. [20]هيا نقتله ونلقي به في إحدى الآبار، وندّعي أن وحشاً ضارياً افترسه، لنرى ماذا تجديه أحلامه». [21]ولما سمع رأوبين حديثهم، أراد أن ينقذه فقال: «لا نقتله. [22]ولا تسفكوا دماً، بل اطرحوه في هذه البئر في البرية، ولا تمدوا إليه يداً بأذى». وقد أشار رأوبين بهذا لأنه أراد أن يخلصه منهم ويرده إلى أبيه. [23]وعندما قدم على إخوته، نزعوا عنه قميصه الملون الذي كان يرتديه، [24]وأخذوه وألقوا به في البئر. وكانت البئر فارغة من الماء.

Joseph Sold to the Ishmaelites

[25]As they sat down to eat their meal, they looked up and saw a caravan of Ishmaelites coming from Gilead. Their camels were loaded with spices, balm and myrrh, and they were on their way to take them down to Egypt. [26]Judah said to his brothers, "What will we gain if we kill our brother and cover up his blood? [27]Come, let's sell him to the Ishmaelites and not lay our hands on him; after all, he is our brother, our own flesh and blood." His brothers agreed. [28]So when the Midianite merchants came by, his brothers pulled Joseph up out of the cistern and sold him for twenty shekels of silver to the Ishmaelites, who took him to Egypt. [29]When Reuben returned to the cistern and saw that Joseph was not there, he tore his clothes. [30]He went back to his brothers and said, "The boy isn't there! Where can I turn now?"

[31]Then they got Joseph's robe, slaughtered a goat and dipped the robe in the blood. [32]They took the ornamented robe back to their father and said, "We found this. Examine it to see whether it is your son's robe." [33]He recognized it and said, "It is my son's robe! Some ferocious animal has

يوسف يباع لتجار المديانيين

[25]وحين جلسوا ليأكلوا شاهدوا عن بعد قافلة من الإسماعيليين قادمين من جلعاد في طريقهم إلى مصر، وجمالهم محملة بالتوابل والبلسان واللاذن. [26]فقال يهوذا لإخوته: «ما جدوى قتل أخينا وإخفاء دمه؟ [27]تعالوا نبيعه إلى الإسماعيليين ونبرىء أيدينا من دمه لأنه أخونا ومن لحمنا». فوافق إخوته على رأيه. [28]وعندما دنا منهم التجار المديانيون، سحبوا يوسف من البئر وباعوه لهم بعشرين قطعة من الفضة، فحملوه إلى مصر. [29]ثم ذهب رأوبين إلى البئر ليتفقد يوسف فلم يجده، فمزق ثيابه. [30]ورجع إلى إخوته يقول: «الولد ليس موجوداً، وأنا الآن إلى أين أتوجه؟»

[31]فأخذوا قميص يوسف الملون، وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم. [32]وأرسلوه إلى أبيهم قائلين: لقد وجدنا هذا القميص، فتحقق منه، أهو قميص ابنك أم لا؟ [33]فتعرّف يعقوب عليه وقال: «هذا قميص ابني.

devoured him. Joseph has surely been torn to pieces." [34]Then Jacob tore his clothes, put on sackcloth and mourned for his son many days. [35]All his sons and daughters came to comfort him, but he refused to be comforted. "No," he said, "in mourning will I go down to the grave to my son." So his father wept for him. [36]Meanwhile, the Midianites sold Joseph in Egypt to Potiphar, one of Pharaoh's officials, the captain of the guard.

وَحْشٌ ضَارٍ ٱفْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلَاءً». [٣٤]فَشَقَّ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَٱرْتَدَى ٱلْمُسُوحَ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ٱبْنِهِ أَيَّامًا عَدِيدَةً. [٣٥]وَعِنْدَمَا قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ لِيُعَزُّوهُ أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْطَوِي إِلَى ٱبْنِي نَائِحًا إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ. [٣٦]وَبَاعَ ٱلْمِدْيَانِيُّونَ يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ ٱلْحَرَسِ.

The Marriage of Judah

38 At that time, Judah left his brothers and went down to stay with a man of Adullam named Hirah. [2]There Judah met the daughter of a Canaanite man named Shua. He married her and lay with her; [3]she became pregnant and gave birth to a son, who was named Er. [4]She conceived again and gave birth to a son and named him Onan. [5]She gave birth to still another son and named him Shelah. It was at Kezib that she gave birth to him.

[6]Judah got a wife for Er, his firstborn, and her name was Tamar. [7]But Er, Judah's firstborn, was wicked in the LORD's sight; so the LORD put him to death. [8]Then Judah said to Onan, "Lie with your brother's wife and fulfill your duty to her as a brother-in-law to produce offspring for your brother." [9]But Onan knew that the offspring would not be his; so whenever he lay with his brother's wife, he spilled his semen on the ground to keep from producing offspring for his brother. [10]What he did was wicked in the LORD's sight; so he put him to death also. [11]Judah then said to his daughter-in-law Tamar, "Live as a widow in your father's house until my son Shelah grows up." For he thought, "He may die too, just like his brothers." So Tamar went to live in her father's house.

يهوذا يتزوج ابنة شوع

٣٨ وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ أَنَّ يَهُوذَا ٱفْتَرَقَ عَنْ إِخْوَتِهِ وَأَقَامَ عِنْدَ رَجُلٍ عَدُلَّامِيٍّ يُدْعَى حِيرَةَ [٢]وَشَاهَدَ هُنَاكَ ٱبْنَةَ كَنْعَانِيٍّ ٱسْمُهُ شُوعُ، فَتَزَوَّجَهَا، [٣]فَحَمَلَتْ وَأَنْجَبَتْ لَهُ ٱبْنًا دَعَاهُ عِيرًا. [٤]ثُمَّ حَمَلَتْ أَيْضًا وَأَنْجَبَتِ ٱبْنًا سَمَّتْهُ أُونَانَ. [٥]ثُمَّ عَادَتْ فَأَنْجَبَتْ فِي كَزِيبَ ٱبْنًا دَعَتْهُ شِيلَةَ.

[٦]وَأَخَذَ يَهُوذَا لِعِيرَ بِكْرِهِ زَوْجَةً تُدْعَى ثَامَارَ. [٧]وَإِذْ كَانَ عِيرُ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا، أَمَاتَهُ ٱلرَّبُّ. [٨]فَقَالَ يَهُوذَا لِأُونَانَ: «ٱدْخُلْ عَلَى زَوْجَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْهَا وَأَقِمْ لِأَخِيكَ نَسْلًا». [٩]وَعَرَفَ أُونَانُ أَنَّ ٱلنَّسْلَ لَا يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ كُلَّمَا عَاشَرَ ٱمْرَأَةَ أَخِيهِ يُفْسِدُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، كَيْلَا يُقِيمَ لِأَخِيهِ نَسْلًا. [١٠]فَسَاءَ عَمَلُهُ هَذَا فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. [١١]فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «ٱمْكُثِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ رَيْثَمَا يَكْبُرُ شِيلَةُ ٱبْنِي». لِأَنَّهُ قَالَ: «لِئَلَّا يَمُوتَ شِيلَةُ أَيْضًا كَمَا مَاتَ أَخَوَاهُ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَمَكَثَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا.

Judah and Tamar

[12]After a long time Judah's wife, the daughter of Shua, died. When Judah had recovered from his grief, he went up to Timnah, to the men who were shearing his sheep, and his friend Hirah the Adullamite went with him. [13]When Tamar was told, "Your father-in-law is on his way to Timnah to shear his sheep," [14]she took off her widow's clothes, covered herself with a veil to disguise herself, and then sat down at the entrance to Enaim, which is on the road to Timnah. For she

يهوذا وثامار

[١٢]وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ مَاتَتْ زَوْجَةُ يَهُوذَا ٱبْنَةُ شُوعٍ. وَإِذْ تَعَزَّى يَهُوذَا بَعْدَهَا ٱنْطَلَقَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ فِي تِمْنَةَ بِرِفْقَةِ حِيرَةَ صَاحِبِهِ ٱلْعَدُلَّامِيِّ. [١٣]فَقِيلَ لِثَامَارَ: «هُوَذَا حَمُوكِ قَادِمٌ لِتِمْنَةَ لِجَزِّ غَنَمِهِ». [١٤]فَنَزَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَبَرْقَعَتْ وَتَلَفَّعَتْ وَجَلَسَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ ٱلَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لِأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ

وأنها لن تزف إليه. 15فلما رآها يهوذا ظنها زانية لأنها كانت محجبة. 16فمال نحوها إلى جانب الطريق وقال: «دعيني أعاشرك». ولم يكن يدري أنها كنته. فقالت: «ماذا تعطيني لكي تعاشرني؟» 17فقال: «أبعث إليك جدي معزى من القطيع». فقالت: «أتعطيني رهناً حتى تبعث به؟» 18فسألها: «أي رهن أعطيك؟» فأجابته: «خاتمك وعصابتك وعصاك». فأعطاها ما طلبت، وعاشرها فحبلت منه. 19ثم قامت ومضت، وخلعت برقعها وارتدت ثياب ترملها.

20وعندما أرسل الجدي مع صاحبه العدلامي ليسترد الرهن من يد المرأة لم يجدها. 21فسأل أهل المكان: «أين الزانية التي كانت تجلس على الطريق في عينايم؟» فقالوا: «لم تكن في هذا المكان زانية». 22فعاد إلى يهوذا وقال: «لم أجدها، وكذلك قال أهل المكان: لم تكن ههنا زانية». 23فأجاب يهوذا: «فلتحتفظ بما عندها، فلست أريد أن يسخر الناس مني. لقد بعثت بهذا الجدي أجرة لها ولكنك لم تجدها».

saw that, though Shelah had now grown up, she had not been given to him as his wife. 15When Judah saw her, he thought she was a prostitute, for she had covered her face. 16Not realizing that she was his daughter-in-law, he went over to her by the roadside and said, "Come now, let me sleep with you." "And what will you give me to sleep with you?" she asked. 17"I'll send you a young goat from my flock," he said. "Will you give me something as a pledge until you send it?" she asked. 18He said, "What pledge should I give you?" "Your seal and its cord, and the staff in your hand," she answered. So he gave them to her and slept with her, and she became pregnant by him. 19After she left, she took off her veil and put on her widow's clothes again.

20Meanwhile Judah sent the young goat by his friend the Adullamite in order to get his pledge back from the woman, but he did not find her. 21He asked the men who lived there, "Where is the shrine prostitute who was beside the road at Enaim?" "There hasn't been any shrine prostitute here," they said. 22So he went back to Judah and said, "I didn't find her. Besides, the men who lived there said, 'There hasn't been any shrine prostitute here.' "

23Then Judah said, "Let her keep what she has, or we will become a laughingstock. After all, I did send her this young goat, but you didn't find her."

مولد فارص وزارح

24وبعد مضي ثلاثة أشهر قيل ليهوذا: «ثامار كنتك زنت، وحبلت من زناها». فقال يهوذا: «أخرجوها لتحرق». 25وعندما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: «أنا حبلى من صاحب هذه الأشياء. تحقق لمن هذا الخاتم والعصابة والعصا». 26فأقر بها يهوذا وقال: «هي حقاً أبر مني، لأنني لم أزوجها من ابني شيلة». ولم يعاشرها في ما بعد.

27وعندما أزف موعد ولادتها إذا في أحشائها توأمان. 28وفي أثناء ولادتها أخرج أحدهما يداً فربطت القابلة حولها خيطاً أحمر، وقالت: «هذا خرج أولاً». 29غير أنه سحب يده فخرج أخوه. فقالت: «أي اقتحام اقتحمت لنفسك؟» لذلك دعي اسمه فارص (ومعناه اقتحام).

The Birth of Perez and Zerah

24About three months later Judah was told, "Your daughter-in-law Tamar is guilty of prostitution, and as a result she is now pregnant." Judah said, "Bring her out and have her burned to death!" 25As she was being brought out, she sent a message to her father-in-law. "I am pregnant by the man who owns these," she said. And she added, "See if you recognize whose seal and cord and staff these are."

26Judah recognized them and said, "She is more righteous than I, since I wouldn't give her to my son Shelah." And he did not sleep with her again. 27When the time came for her to give birth, there were twin boys in her womb. 28As she was giving birth, one of them put out his hand; so the midwife took a scarlet thread and tied it on his wrist and said, "This one came out first." 29But when he drew back his hand, his brother came out, and she said, "So this is how you have broken out!" And he

[30] وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ ذُو ٱلْمِعْصَمِ ٱلْمُطَوَّقِ بِٱلْخَيْطِ ٱلْأَحْمَرِ فَسُمِّيَ زَارَحَ (وَمَعْنَاهُ: أَحْمَرُ، أَوْ إِشْرَاقٌ).

يوسف في بيت فوطيفار

٣٩ وَأَخَذَ ٱلْإِسْمَاعِيلِيُّونَ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ، فَٱشْتَرَاهُ مِنْهُمْ مِصْرِيٌّ يُدْعَى فُوطِيفَارَ، كَانَ خَصِيَّ فِرْعَوْنَ وَرَئِيسَ ٱلْحَرَسِ. [2] وَكَانَ ٱلرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ، فَأَفْلَحَ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ ٱلْمِصْرِيِّ. [3] وَرَأَى مَوْلَاهُ أَنَّ ٱلرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّهُ يُكَلِّلُ كُلَّ مَا تَصْنَعُهُ يَدَاهُ بِٱلنَّجَاحِ، [4] فَحَظِيَ يُوسُفُ بِرِضَى سَيِّدِهِ، فَجَعَلَهُ وَكِيلاً عَلَى بَيْتِهِ وَوَلَّاهُ عَلَى كُلِّ مَالِهِ. [5] وَبَارَكَ ٱلرَّبُّ بَيْتَ ٱلْمِصْرِيِّ وَكُلَّ مَالَهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ فِي ٱلْبَيْتِ وَٱلْحَقْلِ بِفَضْلِ يُوسُفَ. [6] فَعَهِدَ بِكُلِّ مَالَهُ إِلَى يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَهُ شَيْئاً إِلَّا ٱلْخُبْزَ ٱلَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ جَمِيلَ ٱلْهَيْئَةِ وَسِيمَ ٱلْوَجْهِ.

[7] ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ أُغْرِمَتْ بِهِ زَوْجَةُ مَوْلَاهُ فَقَالَتْ: «ٱضْطَجِعْ مَعِي». [8] فَأَبَى وَقَالَ لَهَا: «هُوَذَا سَيِّدِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي هَذَا ٱلْبَيْتِ وَلَمْ يُشْغِلْ نَفْسَهُ بِأَيِّ شَأْنٍ فِيهِ. [9] وَلَيْسَ فِي هَذَا ٱلْبَيْتِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِّي. وَلَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكِ لِأَنَّكِ زَوْجَتُهُ. فَكَيْفَ أَقْتَرِفُ هَذَا ٱلشَّرَّ ٱلْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى ٱللهِ؟» [10] وَلَمْ يُذْعِنْ يُوسُفُ لَهَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تُلِحُّ عَلَيْهِ يَوْماً بَعْدَ آخَرَ.

[11] وَحَدَثَ يَوْماً أَنَّهُ دَخَلَ ٱلْبَيْتَ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْمَنْزِلِ أَحَدٌ. [12] فَأَمْسَكَتْهُ مِنْ رِدَائِهِ وَقَالَتْ: «ٱضْطَجِعْ مَعِي». فَتَرَكَ رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا [13] وَعِنْدَمَا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ رَفَضَ وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا [14] نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا وَقَالَتْ: «ٱنْظُرُوا مَا جَرَى؟ هَذَا ٱلْعِبْرَانِيُّ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ زَوْجِي إِلَى ٱلْبَيْتِ. شَرَعَ يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. دَخَلَ غُرْفَتِي وَحَاوَلَ ٱغْتِصَابِي، فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي. [15] وَعِنْدَمَا سَمِعَنِي قَدْ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ رِدَاءَهُ مَعِي وَهَرَبَ خَارِجاً».

was named Perez. [30]Then his brother, who had the scarlet thread on his wrist, came out and he was given the name Zerah.

Joseph in Potiphar's House

39 Now Joseph had been taken down to Egypt. Potiphar, an Egyptian who was one of Pharaoh's officials, the captain of the guard, bought him from the Ishmaelites who had taken him there. [2]The LORD was with Joseph and he prospered, and he lived in the house of his Egyptian master. [3]When his master saw that the LORD was with him and that the LORD gave him success in everything he did, [4]Joseph found favor in his eyes and became his attendant. Potiphar put him in charge of his household, and he entrusted to his care everything he owned. [5]From the time he put him in charge of his household and of all that he owned, the LORD blessed the household of the Egyptian because of Joseph. The blessing of the LORD was on everything Potiphar had, both in the house and in the field. [6]So he left in Joseph's care everything he had; with Joseph in charge, he did not concern himself with anything except the food he ate.

Now Joseph was well-built and handsome, [7]and after a while his master's wife took notice of Joseph and said, "Come to bed with me!" [8]But he refused. "With me in charge," he told her, "my master does not concern himself with anything in the house; everything he owns he has entrusted to my care. [9]No one is greater in this house than I am. My master has withheld nothing from me except you, because you are his wife. How then could I do such a wicked thing and sin against God?" [10]And though she spoke to Joseph day after day, he refused to go to bed with her or even be with her.

[11]One day he went into the house to attend to his duties, and none of the household servants was inside. [12]She caught him by his cloak and said, "Come to bed with me!" But he left his cloak in her hand and ran out of the house. [13]When she saw that he had left his cloak in her hand and had run out of the house, [14]she called her household servants. "Look," she said to them, "this Hebrew has been brought to us to make sport of us! He came in here to sleep with me, but I screamed. [15]When he heard me scream for help, he left his cloak beside me and ran out of the house."

[16]She kept his cloak beside her until his master came home. [17]Then she told him this story: "That Hebrew slave you brought us came to me to make sport of me. [18]But as soon as I screamed for help, he left his cloak beside me and ran out of the house."

Joseph in Prison

[19]When his master heard the story his wife told him, saying, "This is how your slave treated me," he burned with anger. [20]Joseph's master took him and put him in prison, the place where the king's prisoners were confined. But while Joseph was there in the prison, [21]the LORD was with him; he showed him kindness and granted him favor in the eyes of the prison warden. [22]So the warden put Joseph in charge of all those held in the prison, and he was made responsible for all that was done there. [23]The warden paid no attention to anything under Joseph's care, because the LORD was with Joseph and gave him success in whatever he did.

The Cupbearer and the Baker

40 Some time later, the cupbearer and the baker of the king of Egypt offended their master, the king of Egypt. [2]Pharaoh was angry with his two officials, the chief cupbearer and the chief baker, [3]and put them in custody in the house of the captain of the guard, in the same prison where Joseph was confined. [4]The captain of the guard assigned them to Joseph, and he attended them. After they had been in custody for some time, [5]each of the two men–the cupbearer and the baker of the king of Egypt, who were being held in prison–had a dream the same night, and each dream had a meaning of its own.

[6]When Joseph came to them the next morning, he saw that they were dejected. [7]So he asked Pharaoh's officials who were in custody with him in his master's house, "Why are your faces so sad today?" [8]"We both had dreams," they answered, "but there is no one to interpret them." Then Joseph said to them, "Do not interpretations belong to God? Tell me your dreams."

Joseph Explains the Cupbearer's Dream

[9]So the chief cupbearer told Joseph his dream. He said to him, "In my dream I saw a vine in front of me, [10]and on the vine were three branches. As soon

[١٦]وأبقت رداءه إلى جانبها حتى قدم مولاه إلى بيته، [١٧]فقصت عليه مثل هذا الحديث قائلة: «دخل العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليراودني عن نفسي، [١٨]وحين رفعت صوتي وصرخت، ترك ثوبه بجانبي وفر خارجاً».

يوسف يزج في السجن

[١٩]فلما سمع سيده كلام زوجته وما اتهمت به يوسف احتدم غضبه، [٢٠]فقبض على يوسف وزجه في السجن، حيث كان أسرى الملك معتقلين، فمكث هناك.

[٢١]ولكن الرب كان مع يوسف، فأغدق عليه رحمته، فنال رضى رئيس السجن. [٢٢]حتى عهد إلى يوسف بكل المساجين المعتقلين، وجعله مسؤولاً عن كل ما يجري هناك. [٢٣]ولم يحاسب رئيس السجن يوسف بأي شيء أوكله إليه لأن الرب كان معه، ومهما فعل كان الرب يكلله بالنجاح.

ساقي فرعون وخبازه في السجن

٤٠ واتفق بعد ذلك أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر. [٢]فسخط فرعون على خصيه: رئيس السقاة ورئيس الخبازين، [٣]وزجهما في معتقل تحت رئيس الحرس في السجن، في المكان الذي كان يوسف محبوساً فيه. [٤]فولى رئيس الحرس يوسف أمرهما، فقام على خدمتهما، فمكثا في المعتقل أياماً.

[٥]وحلم كل من ساقي ملك مصر وخبازه المعتقلين في السجن حلماً في ليلة واحدة، وكان لحلم كل منهما مغزاه الخاص بصاحبه. [٦]فأقبل عليهما يوسف في الصباح فوجدهما مكتئبين. [٧]فسألهما: «لماذا وجهاكما مكمدان في هذا اليوم؟» [٨]فأجاباه: «حلم كل منا حلماً وليس من يفسره». فقال يوسف: «أليست تفاسير الأحلام لله؟ حدثاني بهما».

يوسف يفسر حلم ساقي فرعون

[٩]فسرد رئيس السقاة حلمه على يوسف قال: «رأيت في حلمي وإذا كرمة أمامي، [١٠]فيها ثلاثة أغصان أفرخت ثم

أزهرت، وما لبثت عناقيدها أن أثمرت عنبا ناضجا. [11] وكانت كأس فرعون في يدي، فتناولت العنب وعصرته في كأس فرعون ووضعت الكأس في يده». [12] فقال له يوسف: «إليك تفسيره: الأغصان الثلاثة هي ثلاثة أيام. [13] بعد ثلاثة أيام يرضى عنك فرعون، ويردك إلى منزلتك حيث تناول فرعون كأسه، تماما كما كنت معتادا أن تفعل عندما كنت ساقيه. [14] إنما إذا أصابك خير فاذكرني وأحسن إلي. اذكرني لدى فرعون وأخرجني من هذا السجن، [15] لأنني خطفت عنوة من أرض العبرانيين، وهنا أيضا لم أجن شيئا ليزجوا بي في هذا السجن».

يوسف يفسر حلم خباز فرعون

[16] وعندما رأى رئيس الخبازين أن يوسف أحسن التفسير، قال له: «رأيت أنا أيضا حلما، وإذا بثلاثة سلال بيضاء على رأسي. [17] وكان السل الأعلى مليئا من طعام فرعون مما يعده الخباز، إلا أن الطيور كانت تلتهمه من السل الذي على رأسي». [18] فقال يوسف: «إليك تفسيره: الثلاثة السلال هي ثلاثة أيام [19] بعد ثلاثة أيام يقطع فرعون رأسك ويعلقك على خشبة فتأكل الطيور لحمك».

[20] وكان اليوم الثالث هو يوم عيد ميلاد فرعون، فأقام مأدبة لجميع رجاله، وأحضر من السجن رئيس السقاة ورئيس الخبازين أمامهم. [21] ورد رئيس السقاة إلى عمله، فصار يقدم الكأس ليد فرعون. [22] أما رئيس الخبازين فقد علقه (على خشبة) مثلما فسر لهما يوسف حلميهما. [23] ولكن رئيس السقاة لم يذكر يوسف بل نسيه.

أحلام فرعون

٤١ وبعد انقضاء سنتين رأى فرعون حلما، وإذا به واقف بجوار نهر النيل [2] وإذا بسبع بقرات حسان المنظر وسمينات الأبدان، صاعدات من النهر أخذت ترعى في المرج. [3] ثم إذا بسبع بقرات أخرى قبيحات المنظر وهزيلات تصعد وراءها من النهر وتقف إلى جوار البقرات الأولى على ضفة النهر. [4] والتهمت البقرات القبيحات البقرات السبع الحسنات المنظر والسمينات. وأفاق فرعون.

as it budded, it blossomed, and its clusters ripened into grapes. [11] Pharaoh's cup was in my hand, and I took the grapes, squeezed them into Pharaoh's cup and put the cup in his hand."

[12] "This is what it means," Joseph said to him. "The three branches are three days. [13] Within three days Pharaoh will lift up your head and restore you to your position, and you will put Pharaoh's cup in his hand, just as you used to do when you were his cupbearer. [14] But when all goes well with you, remember me and show me kindness; mention me to Pharaoh and get me out of this prison. [15] For I was forcibly carried off from the land of the Hebrews, and even here I have done nothing to deserve being put in a dungeon."

Joseph Explains the Baker's Dream

[16] When the chief baker saw that Joseph had given a favorable interpretation, he said to Joseph, "I too had a dream: On my head were three baskets of bread. [17] In the top basket were all kinds of baked goods for Pharaoh, but the birds were eating them out of the basket on my head." [18] "This is what it means," Joseph said. "The three baskets are three days. [19] Within three days Pharaoh will lift off your head and hang you on a tree. And the birds will eat away your flesh."

[20] Now the third day was Pharaoh's birthday, and he gave a feast for all his officials. He lifted up the heads of the chief cupbearer and the chief baker in the presence of his officials: [21] He restored the chief cupbearer to his position, so that he once again put the cup into Pharaoh's hand, [22] but he hanged the chief baker, just as Joseph had said to them in his interpretation. [23] The chief cupbearer, however, did not remember Joseph; he forgot him.

Pharaoh's Dreams

41 When two full years had passed, Pharaoh had a dream: He was standing by the Nile, [2] when out of the river there came up seven cows, sleek and fat, and they grazed among the reeds. [3] After them, seven other cows, ugly and gaunt, came up out of the Nile and stood beside those on the riverbank. [4] And the cows that were ugly and gaunt ate up the seven sleek, fat cows. Then Pharaoh woke up.

5 He fell asleep again and had a second dream: Seven heads of grain, healthy and good, were growing on a single stalk. 6 After them, seven other heads of grain sprouted–thin and scorched by the east wind. 7 The thin heads of grain swallowed up the seven healthy, full heads. Then Pharaoh woke up; it had been a dream. 8 In the morning his mind was troubled, so he sent for all the magicians and wise men of Egypt. Pharaoh told them his dreams, but no one could interpret them for him.

9 Then the chief cupbearer said to Pharaoh, "Today I am reminded of my shortcomings. 10 Pharaoh was once angry with his servants, and he imprisoned me and the chief baker in the house of the captain of the guard. 11 Each of us had a dream the same night, and each dream had a meaning of its own. 12 Now a young Hebrew was there with us, a servant of the captain of the guard. We told him our dreams, and he interpreted them for us, giving each man the interpretation of his dream. 13 And things turned out exactly as he interpreted them to us: I was restored to my position, and the other man was hanged."

5 ثم نام فحلم ثانية، وإذا بسبع سنابل نابتة من ساق واحدة زاهية وممتلئة 6 ثم رأى سبع سنابل عجفاء قد لفحتها الريح الشرقية نابتة وراءها. 7 فابتلعت السنابل العجفاء السبع السنابل الزاهية الممتلئة. وأفاق فرعون، وأدرك أنه حلم. 8 ولما كان الصباح استولى الانزعاج على فرعون فأرسل واستدعى جميع سحرة مصر وكل حكمائها، وسرد عليهم حلمه، فلم يجد من يفسره له.

9 عندئذ قال رئيس السقاة لفرعون: «إني أذكر اليوم ذنوبي. 10 لقد سخط فرعون على عبديه، فزجني ورئيس الخبازين في معتقل بيت رئيس الحرس. 11 فحلم كل منا حلما في نفس الليلة، وكان تفسير كل حلم يتفق مع أحوال رائيه. 12 وكان معنا هناك غلام عبراني، عبد لرئيس الحرس، فسردنا عليه حلمينا ففسرهما لكل منا حسب تفسير حلمه. 13 وقد تم ما فسره لنا. فردني فرعون إلى وظيفتي وأما ذاك فعلقه (على خشبة)».

Pharaoh Tells His Dreams to Joseph

14 So Pharaoh sent for Joseph, and he was quickly brought from the dungeon. When he had shaved and changed his clothes, he came before Pharaoh. 15 Pharaoh said to Joseph, "I had a dream, and no one can interpret it. But I have heard it said of you that when you hear a dream you can interpret it." 16 "I cannot do it," Joseph replied to Pharaoh, "but God will give Pharaoh the answer he desires."

17 Then Pharaoh said to Joseph, "In my dream I was standing on the bank of the Nile, 18 when out of the river there came up seven cows, fat and sleek, and they grazed among the reeds. 19 After them, seven other cows came up–scrawny and very ugly and lean. I had never seen such ugly cows in all the land of Egypt. 20 The lean, ugly cows ate up the seven fat cows that came up first. 21 But even after they ate them, no one could tell that they had done so; they looked just as ugly as before. Then I woke up. 22 "In my dreams I also saw seven heads of grain, full and good, growing on a single stalk. 23 After them, seven other heads sprouted–withered and thin and scorched by the east wind.

فرعون يقص أحلامه على يوسف

14 فبعث فرعون واستدعى يوسف، فأسرعوا وأتوا به من السجن فحلق واستبدل ثيابه ومثل أمام فرعون. 15 فقال فرعون ليوسف: «لقد رأيت حلما وليس هناك من يفسره، وقد سمعت عنك حديثا أنك إن سمعت حلما تقدر أن تفسره». 16 فأجاب يوسف: «لا فضل لي في ذلك، بل إن الله هو الذي يعطي فرعون الجواب الصائب».

17 فقال فرعون ليوسف: «رأيت نفسي في الحلم وإذا بي أقف على ضفة النهر 18 وإذا بسبع بقرات حسان المنظر وسمينات الأبدان صاعدات من النهر ترعى في المرج. 19 ثم إذا بسبع بقرات أخرى قبيحات المنظر وهزيلات تصعد وراءها من النهر. لم أر في أرض مصر كلها نظيرها في القباحة. 20 فالتهمت البقرات الهزيلات القبيحات السبع البقرات الأولى السمينات. 21 ومع أنها ابتلعتها ظلت عجفاء وكأنها لم تبتلعها وبقي منظرها قبيحا كما كانت. واستيقظت. 22 ثم رأيت في حلمي وإذا بسبع سنابل زاهية وممتلئة نابتة من ساق واحدة. 23 ثم إذا بسبع سنابل يابسة عجفاء قد لفحتها

[24]The thin heads of grain swallowed up the seven good heads. I told this to the magicians, but none could explain it to me."

Joseph Explains Pharaoh's Dreams

[25]Then Joseph said to Pharaoh, "The dreams of Pharaoh are one and the same. God has revealed to Pharaoh what he is about to do. [26]The seven good cows are seven years, and the seven good heads of grain are seven years; it is one and the same dream. [27]The seven lean, ugly cows that came up afterward are seven years, and so are the seven worthless heads of grain scorched by the east wind: They are seven years of famine.

[28]"It is just as I said to Pharaoh: God has shown Pharaoh what he is about to do. [29]Seven years of great abundance are coming throughout the land of Egypt, [30]but seven years of famine will follow them. Then all the abundance in Egypt will be forgotten, and the famine will ravage the land. [31]The abundance in the land will not be remembered, because the famine that follows it will be so severe. [32]The reason the dream was given to Pharaoh in two forms is that the matter has been firmly decided by God, and God will do it soon.

[33]"And now let Pharaoh look for a discerning and wise man and put him in charge of the land of Egypt. [34]Let Pharaoh appoint commissioners over the land to take a fifth of the harvest of Egypt during the seven years of abundance. [35]They should collect all the food of these good years that are coming and store up the grain under the authority of Pharaoh, to be kept in the cities for food. [36]This food should be held in reserve for the country, to be used during the seven years of famine that will come upon Egypt, so that the country may not be ruined by the famine."

Joseph in Charge of Egypt

[37]The plan seemed good to Pharaoh and to all his officials. [38]So Pharaoh asked them, "Can we find anyone like this man, one in whom is the spirit of God?" [39]Then Pharaoh said to Joseph, "Since God has made all this known to you, there is no one so discerning and wise as you. [40]You shall be in charge of my palace, and all my people are to submit to your orders. Only with respect to the throne will I be greater than you." [41]So Pharaoh

الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا. [24]فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ الزَّاهِيَةَ. وَلَقَدْ سَرَدْتُ عَلَى السَّحَرَةِ هَذَيْنِ الْحُلْمَيْنِ، فَلَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُمَا لِي».

يوسف يفسر أحلام فرعون

[25]فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمَا فِرْعَوْنَ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. وَقَدْ أَطْلَعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ. [26]اَلسَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْحِسَانُ هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ، وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الزَّاهِيَاتُ هِيَ أَيْضاً سَبْعُ سَنَوَاتٍ. فَالْحُلْمَانِ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. [27]وَالسَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْهَزِيلاتُ الَّتِي صَعِدَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ، وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الْفَارِغَاتُ الْمَلْفُوحَاتُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ سَتَكُونُ سَبْعَ سَنَوَاتِ جُوعٍ. [28]وَالأَمْرُ هُوَ كَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ: قَدْ أَطْلَعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ صَانِعٌ. [29]هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ رَخَاءٍ عَظِيمٍ قَادِمَةٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [30]تَعْقُبُهَا سَبْعُ سَنَوَاتِ جُوعٍ، حَتَّى يَنْسَى النَّاسُ كُلَّ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ، وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ. [31]وَيَخْتَفِي كُلُّ أَثَرٍ لِلرَّخَاءِ فِي الْبِلادِ مِنْ جَرَّاءِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي تَعْقُبُهُ، لأَنَّهَا سَتَكُونُ قَاسِيَةً جِدّاً. [32]أَمَّا تَكْرَارُ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ فَلأَنَّ الأَمْرَ قَدْ حَتَمَهُ اللهُ، وَلابُدَّ أَنْ يُجْرِيَهُ سَرِيعاً.

[33]وَالآنَ لِيَبْحَثْ فِرْعَوْنُ عَنْ رَجُلٍ بَصِيرٍ حَكِيمٍ يُوَلِّيهِ عَلَى الْبِلادِ. [34]وَلْيُقِمْ فِرْعَوْنُ نُظَّاراً عَلَى أَرْضِ مِصْرَ يَجْبُونَ خُمْسَ غَلَّتِهَا فِي سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ السَّبْعِ. [35]وَلْيَجْمَعُوا كُلَّ طَعَامِ سَنَوَاتِ الْخَيْرِ الْمُقْبِلَةِ، وَيَخْزِنُوا الْقَمْحَ بِتَفْوِيضٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَيَحْفَظُوهُ فِي الْمُدُنِ لِيَكُونَ طَعَاماً. [36]وَمَؤُونَةً لأَهْلِ الأَرْضِ فِي سَنَوَاتِ الْمَجَاعَةِ السَّبْعِ الَّتِي سَتَسُودُ أَرْضَ مِصْرَ فَلا يَهْلِكُونَ جُوعاً».

يوسف يصبح حاكم مصر

[37]فَاسْتَحْسَنَ فِرْعَوْنُ وَرِجَالُهُ جَمِيعاً هَذَا الْكَلامَ. [38]وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ نَظِيرَ هَذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ؟» [39]ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَطْلَعَكَ عَلَى كُلِّ هَذَا، فَلَيْسَ هُنَاكَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ نَظِيرَكَ. [40]لِذَلِكَ أُوَلِّيكَ عَلَى بَيْتِي، وَيَنْصَاعُ شَعْبِي لِكُلِّ أَمْرٍ تُصْدِرُهُ، وَلَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْكَ سِوَايَ أَنَا صَاحِبِ الْعَرْشِ». [41]ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «هَا أَنَا

قد وليتك على كل أرض مصر». [42] ونزع فرعون خاتمه من يده ووضعه في يد يوسف، وألبسه ثياب كتان فاخرة، وطوق عنقه بطوق من ذهب. [43] وأركبه في مركبته الثانية، ونادوا: «اركعوا أمامه». وأقامه واليا على كل أرض مصر. [44] وقال فرعون ليوسف: «أنا فرعون، ولا أحد يمكن أن يحرك ساكنا في كل أرض مصر من غير إذنك».

[45] ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فعنيح (ومعناه بالمصرية القديمة: مخلص العالم أو حافظ الحياة). وزوجه من أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون. فذاع اسم يوسف في جميع أرجاء مصر.

[46] وكان يوسف في الثلاثين من عمره عندما مثل أمام فرعون ملك مصر. وبعد أن خرج من حضرة فرعون شرع يجول في جميع أرجاء البلاد.

[47] وفي سنوات الخصب السبع غلت الأرض بوفرة، [48] فجمع كل طعام السنوات السبع المتوافر في أرض مصر وخزنه في المدن، فاختزن في كل مدينة غلات ما حولها من حقول. [49] وادخر يوسف كميات هائلة من القمح حتى كف عن إحصائها لوفرتها العظيمة.

أبناء يوسف

[50] وأنجبت أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون ليوسف ابنين قبل حلول سنوات الجوع. [51] فدعا يوسف اسم البكر منسى (ومعناه: من ينسى أو المنسي) وقال: «لأن الله أنساني كل مشقتي وكل بيت أبي». [52] أما الثاني فدعا اسمه أفرايم (ومعناه: المثمر مضاعفا) وقال: «لأن الله جعلني مثمرا في أرض مذلتي».

بداية سبع سنوات الجوع

[53] ثم انتهت سبع سنوات الرخاء الذي عم أرض مصر. [54] وحلت سبع سنوات المجاعة كما أنبأ يوسف. فتفشت مجاعة في جميع البلدان. أما أرض مصر فقد توافر فيها الخبز. [55] وعندما عمت المجاعة جميع أرض مصر صرخ الشعب إلى فرعون طالبين الخبز. فقال فرعون لكل المصريين: «اذهبوا إلى يوسف وافعلوا كما يقول لكم». [56] وطغت المجاعة على كل أرجاء البلاد ففتح يوسف

said to Joseph, "I hereby put you in charge of the whole land of Egypt." [42]Then Pharaoh took his signet ring from his finger and put it on Joseph's finger. He dressed him in robes of fine linen and put a gold chain around his neck. [43]He had him ride in a chariot as his second-in-command, and men shouted before him, "Make way!" Thus he put him in charge of the whole land of Egypt.

[44]Then Pharaoh said to Joseph, "I am Pharaoh, but without your word no one will lift hand or foot in all Egypt." [45]Pharaoh gave Joseph the name Zaphenath-Paneah and gave him Asenath daughter of Potiphera, priest of On, to be his wife. And Joseph went throughout the land of Egypt.

[46]Joseph was thirty years old when he entered the service of Pharaoh king of Egypt. And Joseph went out from Pharaoh's presence and traveled throughout Egypt. [47]During the seven years of abundance the land produced plentifully. [48]Joseph collected all the food produced in those seven years of abundance in Egypt and stored it in the cities. In each city he put the food grown in the fields surrounding it. [49]Joseph stored up huge quantities of grain, like the sand of the sea; it was so much that he stopped keeping records because it was beyond measure.

Joseph's Sons

[50]Before the years of famine came, two sons were born to Joseph by Asenath daughter of Potiphera, priest of On. [51]Joseph named his firstborn Manasseh and said, "It is because God has made me forget all my trouble and all my father's household." [52]The second son he named Ephraim and said, "It is because God has made me fruitful in the land of my suffering."

The Seven Years of Famine

[53]The seven years of abundance in Egypt came to an end, [54]and the seven years of famine began, just as Joseph had said. There was famine in all the other lands, but in the whole land of Egypt there was food. [55]When all Egypt began to feel the famine, the people cried to Pharaoh for food. Then Pharaoh told all the Egyptians, "Go to Joseph and do what he tells you." [56]When the famine had spread over the whole country, Joseph opened the storehouses and sold grain to the Egyptians, for

the famine was severe throughout Egypt. [57]And all the countries came to Egypt to buy grain from Joseph, because the famine was severe in all the world.

ٱلْمَخَازِنَ وَبَاعَ ٱلطَّعَامَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَلَكِنْ وَطْأَةُ ٱلْجُوعِ ٱشْتَدَّتْ فِي أَرْضِ مِصْرَ. [٥٧]وَأَقْبَلَ أَهْلُ ٱلْبُلْدَانِ ٱلأُخْرَى إِلَى مِصْرَ، إِلَى يُوسُفَ، لِيَبْتَاعُوا قَمْحاً لأَنَّ ٱلْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي كُلِّ ٱلأَرْضِ.

Joseph's Brothers Go to Egypt

42 When Jacob learned that there was grain in Egypt, he said to his sons, "Why do you just keep looking at each other?" [2]He continued, "I have heard that there is grain in Egypt. Go down there and buy some for us, so that we may live and not die." [3]Then ten of Joseph's brothers went down to buy grain from Egypt. [4]But Jacob did not send Benjamin, Joseph's brother, with the others, because he was afraid that harm might come to him.

إخوة يوسف في مصر

٤٢ وَعِنْدَمَا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّ ٱلْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ، قَالَ لأَبْنَائِهِ: «مَا بَالُكُمْ تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ [٢]لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ ٱلْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ. فَٱنْحَدِرُوا إِلَى هُنَاكَ وَٱشْتَرُوا لَنَا قَمْحاً لِنَبْقَى عَلَى قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ وَلَا نَمُوتَ». [٣]فَذَهَبَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً مِنْ مِصْرَ. [٤]أَمَّا بِنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ.

Joseph Meets His Brothers

[5]So Israel's sons were among those who went to buy grain, for the famine was in the land of Canaan also. [6]Now Joseph was the governor of the land, the one who sold grain to all its people. So when Joseph's brothers arrived, they bowed down to him with their faces to the ground. [7]As soon as Joseph saw his brothers, he recognized them, but he pretended to be a stranger and spoke harshly to them. "Where do you come from?" he asked. "From the land of Canaan," they replied, "to buy food." [8]Although Joseph recognized his brothers, they did not recognize him. [9]Then he remembered his dreams about them and said to them, "You are spies! You have come to see where our land is unprotected."

[10]"No, my lord," they answered. "Your servants have come to buy food. [11]We are all the sons of one man. Your servants are honest men, not spies."

[12]"No!" he said to them. "You have come to see where our land is unprotected." [13]But they replied, "Your servants were twelve brothers, the sons of one man, who lives in the land of Canaan. The youngest is now with our father, and one is no more." [14]Joseph said to them, "It is just as I told you: You are spies! [15]And this is how you will be tested: As surely as Pharaoh lives, you will not leave this place unless your youngest brother comes here. [16]Send one of your number to get

لقاء يوسف الأول بإخوته

[٥]فَقَدِمَ أَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْرَ مَعَ جُمْلَةِ ٱلْقَادِمِينَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً، لأَنَّ ٱلْمَجَاعَةَ كَانَتْ قَدْ أَصَابَتْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَيْضاً. [٦]وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ ٱلْمُتَسَلِّطُ عَلَى مِصْرَ، وَٱلْقَائِمُ عَلَى بَيْعِ ٱلْقَمْحِ لأَهْلِهَا جَمِيعاً. فَأَقْبَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى ٱلأَرْضِ. [٧]فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَنَكَّرَ لَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِجَفَاءٍ وَسَأَلَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَأَجَابُوهُ: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً». [٨]وَمَعَ أَنَّ يُوسُفَ عَرَفَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ.

[٩]ثُمَّ تَذَكَّرَ يُوسُفُ أَحْلَامَهُ ٱلَّتِي حَلُمَهَا بِشَأْنِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ، وَقَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ ٱلْمَحْمِيَّةِ». [١٠]فَقَالُوا لَهُ: «لَا يَا سَيِّدِي إِنَّمَا قَدِمَ عَبِيدُكَ لِشِرَاءِ ٱلطَّعَامِ. [١١]نَحْنُ كُلُّنَا أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ. نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». [١٢]وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: «لَا! أَنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ ٱلْمَحْمِيَّةِ». [١٣]فَأَجَابُوهُ: «إِنَّ عَبِيدَكَ ٱثْنَا عَشَرَ أَخاً، أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُقِيمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَقَدْ بَقِيَ أَخُونَا ٱلصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا ٱلْيَوْمَ، وَٱلآخَرُ مَفْقُودٌ». [١٤]فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ ٱلأَمْرَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ! أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ. [١٥]وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَنْ تُغَادِرُوا هُنَا حَتَّى تَأْتُوا بِأَخِيكُمُ ٱلأَصْغَرِ، وَبِذَلِكَ تُثْبِتُونَ صِدْقَكُمْ. [١٦]أَوْفِدُوا وَاحِداً مِنْكُمْ لِيَأْتِيَ

your brother; the rest of you will be kept in prison, so that your words may be tested to see if you are telling the truth. If you are not, then as surely as Pharaoh lives, you are spies!" [17]And he put them all in custody for three days.

[18]On the third day, Joseph said to them, "Do this and you will live, for I fear God: [19]If you are honest men, let one of your brothers stay here in prison, while the rest of you go and take grain back for your starving households. [20]But you must bring your youngest brother to me, so that your words may be verified and that you may not die." This they proceeded to do. [21]They said to one another, "Surely we are being punished because of our brother. We saw how distressed he was when he pleaded with us for his life, but we would not listen; that's why this distress has come upon us."

[22]Reuben replied, "Didn't I tell you not to sin against the boy? But you wouldn't listen! Now we must give an accounting for his blood." [23]They did not realize that Joseph could understand them, since he was using an interpreter. [24]He turned away from them and began to weep, but then turned back and spoke to them again. He had Simeon taken from them and bound before their eyes.

بأخيكم. أما بقيتكم فتمكثون في السجن حتى تثبت صحة كلامكم إن كنتم صادقين، وإلا فوحياة فرعون أنتم لستم سوى جواسيس». [17]وطرحهم في السجن معاً ثلاثة أيام.
[18]وفي اليوم الثالث قال لهم: «افعلوا ما آمركم به تحيوا، فأنا رجل أتقي الله: [19]إن كنتم حقاً صادقين فليبق واحد منكم رهينة، بينما يأخذ بقيتكم القمح وتنطلقون إلى بيوتكم الجائعة. [20]ولكن إئتوني بأخيكم الأصغر فأتحقق بذلك من صدقكم ولا تموتوا». فوافقوا على ذلك. [21]وقالوا: «حقاً إننا أثمنا في حق أخينا. لقد رأينا ضيقة نفسه عندما استرحمنا فلم نسمع له. لذلك أصابتنا هذه الضيقة». [22]فقال رأوبين: «ألم أقل لكم لا تجنوا عليه فلم تسمعوا؟ والآن ها نحن مطالبون بدمه». [23]ولم يعلموا أن يوسف كان فاهماً حديثهم، لأنه كان يخاطبهم عن طريق مترجم. [24]فتحول عنهم وبكى، ثم رجع إليهم وخاطبهم، وأخذ شمعون وقيده أمام عيونهم.

Joseph's Brothers Return to Jacob

[25]Joseph gave orders to fill their bags with grain, to put each man's silver back in his sack, and to give them provisions for their journey. After this was done for them, [26]they loaded their grain on their donkeys and left. [27]At the place where they stopped for the night one of them opened his sack to get feed for his donkey, and he saw his silver in the mouth of his sack. [28]"My silver has been returned," he said to his brothers. "Here it is in my sack." Their hearts sank and they turned to each other trembling and said, "What is this that God has done to us?"

[29]When they came to their father Jacob in the land of Canaan, they told him all that had happened to them. They said, [30]"The man who is lord over the land spoke harshly to us and treated us as though we were spying on the land. [31]But we said to him, 'We are honest men; we are not spies. [32]We were twelve brothers, sons of one father. One is no more, and the youngest is now with our father in Canaan.' [33]Then the man who is lord over the land said to us, 'This is how I will know whether you are

عودة أبناء يعقوب إلى أبيهم

[25]ثم أمر يوسف موظفيه أن يملأوا أكياسهم بالقمح، وأن يردوا فضة كل واحد منهم إلى عدله، وأن يعطوهم زاداً للطريق. ففعلوا ذلك. [26]فحملوا حميرهم القمح وانطلقوا من هناك. [27]وحين فتح أحدهم عدله في الخان ليعلف حماره، لمح فضته لأنها كانت موضوعة في فم العدل. [28]فقال لإخوته: «لقد ردت إلي فضتي، انظروا ها هي في عدلي». فخاضت قلوبهم، وتطلع بعضهم إلى بعض مرتعدين وقالوا: «ما هذا الذي فعله الله بنا؟».
[29]وعندما قدموا على أبيهم يعقوب في أرض كنعان قصوا عليه ما حل بهم، وقالوا: [30]«الرجل المتسلط على مصر خاطبنا بجفاء، وظن أننا جواسيس على الأرض. [31]فقلنا له: نحن أمناء ولسنا جواسيس. [32]نحن اثنا عشر أخاً أبناء أبينا، أحدنا مفقود، والأصغر بقي اليوم مع أبينا في أرض كنعان. [33]فقال لنا الرجل سيد البلاد: لكي أتحقق

أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخاً وَاحِداً مِنْكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً وَخُذُوا طَعَاماً لِبُيُوتِكُمُ ٱلْجَائِعَةِ وَٱمْضُوا. [٣٤]ثُمَّ أَحْضِرُوا لِي أَخَاكُمُ ٱلأَصْغَرَ، وَبِذَلِكَ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ قَوْماً أُمَنَاءَ، فَأُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي ٱلأَرْضِ». [٣٥]وَإِذْ شَرَعُوا فِي تَفْرِيغِ عِدَالِهِمْ وَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِضَّتَهُ فِي عِدْلِهِ، وَمَا إِنْ رَأَوْا هُمْ وَأَبُوهُمْ ذَلِكَ حَتَّى ٱسْتَبَدَّ بِهِمِ ٱلْخَوْفُ.

[٣٦]فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «لَقَدْ أَثْكَلْتُمُونِي أَوْلادِي. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَهَا أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ بَنْيَامِينَ بَعِيداً! كُلُّ هَذِهِ ٱلدَّوَاهِي حَلَّتْ بِي!» [٣٧]فَقَالَ لَهُ رَأُوبَيْنُ: «اُقْتُلِ ٱبْنَيَّ إِنْ لَمْ أَرْجِعْ بِهِ إِلَيْكَ. أَعْهَدْ بِهِ إِلَيَّ وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ». [٣٨]فَقَالَ: «لَنْ يَذْهَبَ ٱبْنِي مَعَكُمْ. فَقَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ بَاقٍ. فَإِنْ نَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي تَذْهَبُونَ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى قَبْرِي».

التأهب للرحلة الثانية إلى مصر

٤٣ وَتَفَاقَمَتِ ٱلْمَجَاعَةُ فِي ٱلأَرْضِ. [٢]وَلَمَّا ٱسْتَهْلَكُوا ٱلْقَمْحَ ٱلَّذِي أَحْضَرُوهُ مِنْ مِصْرَ، قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «ٱرْجِعُوا وَٱشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ ٱلطَّعَامِ». [٣]فَقَالَ يَهُوذَا: «لَقَدْ حَذَّرَنَا ٱلرَّجُلُ أَشَدَّ تَحْذِيرٍ وَقَالَ: لَنْ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. [٤]فَإِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ أَخَانَا مَعَنَا، نَمْضِي وَنَشْتَرِي لَكَ طَعَاماً [٥]وَإِلاَّ فَلَنْ نَذْهَبَ لأَنَّ ٱلرَّجُلَ قَالَ لَنَا: لاَ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ».

[٦]فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ فَأَخْبَرْتُمُ ٱلرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخاً أَيْضاً؟» [٧]فَأَجَابُوا: «إِنَّ ٱلرَّجُلَ قَدْ دَقَّقَ فِي ٱسْتِجْوَابِنَا عَنْ أَنْفُسِنَا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا سَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَجَبْنَاهُ حَسَبَ أَسْئِلَتِهِ. فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَقُولُ: أَحْضِرُوا أَخَاكُمْ إِلَى هُنَا؟»

[٨]وَقَالَ يَهُوذَا لإِسْرَائِيلَ أَبِيهِ: «أَرْسِلِ ٱلْغُلامَ مَعِي فَنَقُومَ وَنَذْهَبَ فَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلادُنَا جَمِيعاً. [٩]وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ. مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. فَإِنْ لَمْ أَرُدَّهُ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ أَمَامَكَ، أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ كُلَّ ٱلأَيَّامِ. [١٠]فَلَوْ لَمْ نَتَوَانَ فِي ٱلسَّفَرِ لَكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا مَرَّتَيْنِ».

honest men: Leave one of your brothers here with me, and take food for your starving households and go. [34]But bring your youngest brother to me so I will know that you are not spies but honest men. Then I will give your brother back to you, and you can trade in the land.' "

[35]As they were emptying their sacks, there in each man's sack was his pouch of silver! When they and their father saw the money pouches, they were frightened. [36]Their father Jacob said to them, "You have deprived me of my children. Joseph is no more and Simeon is no more, and now you want to take Benjamin. Everything is against me!" [37]Then Reuben said to his father, "You may put both of my sons to death if I do not bring him back to you. Entrust him to my care, and I will bring him back." [38]But Jacob said, "My son will not go down there with you; his brother is dead and he is the only one left. If harm comes to him on the journey you are taking, you will bring my gray head down to the grave in sorrow."

The Second Journey to Egypt

43 Now the famine was still severe in the land. [2]So when they had eaten all the grain they had brought from Egypt, their father said to them, "Go back and buy us a little more food." [3]But Judah said to him, "The man warned us solemnly, 'You will not see my face again unless your brother is with you.' [4]If you will send our brother along with us, we will go down and buy food for you. [5]But if you will not send him, we will not go down, because the man said to us, 'You will not see my face again unless your brother is with you.' "

[6]Israel asked, "Why did you bring this trouble on me by telling the man you had another brother?"

[7]They replied, "The man questioned us closely about ourselves and our family. 'Is your father still living?' he asked us. 'Do you have another brother?' We simply answered his questions. How were we to know he would say, 'Bring your brother down here'?"

[8]Then Judah said to Israel his father, "Send the boy along with me and we will go at once, so that we and you and our children may live and not die. [9]I myself will guarantee his safety; you can hold me personally responsible for him. If I do not bring him back to you and set him here before you, I will bear the blame before you all my life. [10]As it

is, if we had not delayed, we could have gone and returned twice."

[11]Then their father Israel said to them, "If it must be, then do this: Put some of the best products of the land in your bags and take them down to the man as a gift–a little balm and a little honey, some spices and myrrh, some pistachio nuts and almonds. [12]Take double the amount of silver with you, for you must return the silver that was put back into the mouths of your sacks. Perhaps it was a mistake. [13]Take your brother also and go back to the man at once. [14]And may God Almighty grant you mercy before the man so that he will let your other brother and Benjamin come back with you. As for me, if I am bereaved, I am bereaved."

[11]فقال لهم أبوهم: «إن كان لابد من ذلك فافعلوا. وخذوا معكم هدية للرجل، واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وقليلاً من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن والفستق واللوز. [12]وخذوا معكم فضة أخرى، والفضة المردودة في أفواه عدالكم وأعيدوها. فلعل في الأمر سهواً. [13]واستصحبوا معكم أيضاً أخاكم وقوموا ارجعوا إلى الرجل. [14]ولينعم عليكم الله القدير بالرحمة لدى الرجل، فيطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين أيضاً. وأنا إن ثكلتهما أكون قد ثكلتهما».

Joseph's Brothers Take Benjamin to Egypt

[15]So the men took the gifts and double the amount of silver, and Benjamin also. They hurried down to Egypt and presented themselves to Joseph. [16]When Joseph saw Benjamin with them, he said to the steward of his house, "Take these men to my house, slaughter an animal and prepare dinner; they are to eat with me at noon."

[17]The man did as Joseph told him and took the men to Joseph's house. [18]Now the men were frightened when they were taken to his house. They thought, "We were brought here because of the silver that was put back into our sacks the first time. He wants to attack us and overpower us and seize us as slaves and take our donkeys."

[19]So they went up to Joseph's steward and spoke to him at the entrance to the house. [20]"Please, sir," they said, "we came down here the first time to buy food. [21]But at the place where we stopped for the night we opened our sacks and each of us found his silver–the exact weight–in the mouth of his sack. So we have brought it back with us. [22]We have also brought additional silver with us to buy food. We don't know who put our silver in our sacks."

[23]"It's all right," he said. "Don't be afraid. Your God, the God of your father, has given you treasure in your sacks; I received your silver." Then he brought Simeon out to them.

[24]The steward took the men into Joseph's house, gave them water to wash their feet and provided fodder for their donkeys. [25]They prepared their gifts for Joseph's arrival at noon, because they had heard that they were to eat there.

عودة إخوة يوسف مع بنيامين إلى مصر

[15]فأخذ الرجال تلك الهدية، وضعف الفضة، وبنيامين، وسافروا إلى مصر ومثلوا أمام يوسف. [16]وعندما شاهد يوسف بنيامين معهم قال لمدبر بيته: «أدخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهيئها، لأن هؤلاء الرجال سيتناولون معي الطعام في ساعة الغداء». [17]ففعل الرجل كما أمر يوسف، وأدخل الرجال إلى بيت يوسف.

[18]ولما أدخلوا إلى بيت يوسف اعتراهم الخوف وقالوا: «لقد جيء بنا إلى هنا ليهجم علينا ويقع بنا ويستعبدنا ويستولي على حميرنا، بسبب الفضة الأولى المردودة في عدالنا». [19]فتقدموا إلى مدبر بيت يوسف وقالوا له عند مدخل الباب: [20]«استمع يا سيدي، لقد قدمنا إلى هنا في المرة الأولى لنشتري طعاماً. [21]ولكننا حين نزلنا في الخان وفتحنا عدالنا عثر كل رجل منا على فضته بكامل وزنها في فم عدله، فأحضرناها معنا لنردها. [22]وجئنا معنا بفضة أخرى لنشتري طعاماً. ولسنا ندري من وضع فضتنا في عدالنا».

[23]فقال: «سلام لكم، لا تخافوا. إن إلهكم وإله أبيكم قد وهبكم كنزاً في عدالكم. أما فضتكم فقد وصلت إلي». ثم أخرج إليهم شمعون. [24]وأدخل الرجل القوم إلى بيت يوسف وقدم لهم ماء ليغسلوا أرجلهم، وعلفاً لحميرهم. [25]وأعدوا الهدية في انتظار مجيء يوسف عند الظهر، لأنهم سمعوا أنهم سيتناولون الطعام هناك.

Joseph Eats With His Brothers

[26]When Joseph came home, they presented to him the gifts they had brought into the house, and they bowed down before him to the ground. [27]He asked them how they were, and then he said, "How is your aged father you told me about? Is he still living?" [28]They replied, "Your servant our father is still alive and well." And they bowed low to pay him honor.

[29]As he looked about and saw his brother Benjamin, his own mother's son, he asked, "Is this your youngest brother, the one you told me about?" And he said, "God be gracious to you, my son." [30]Deeply moved at the sight of his brother, Joseph hurried out and looked for a place to weep. He went into his private room and wept there.

[31]After he had washed his face, he came out and, controlling himself, said, "Serve the food." [32]They served him by himself, the brothers by themselves, and the Egyptians who ate with him by themselves, because Egyptians could not eat with Hebrews, for that is detestable to Egyptians. [33]The men had been seated before him in the order of their ages, from the firstborn to the youngest; and they looked at each other in astonishment. [34]When portions were served to them from Joseph's table, Benjamin's portion was five times as much as anyone else's. So they feasted and drank freely with him.

يوسف يأكل مع إخوته

[٢٦] فَلَمَّا أَقْبَلَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي حَمَلُوهَا مَعَهُمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَانْحَنَوْا أَمَامَهُ إِلَى الأَرْضِ. [٢٧] فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي أَخْبَرْتُمْ عَنْهُ بِخَيْرٍ؟ أَمَازَالَ حَيّاً؟» [٢٨] فَأَجَابُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا بِخَيْرٍ، وَهُوَ مَازَالَ حَيّاً». وَانْحَنَوْا وَسَجَدُوا.

[٢٩] وَتَلَفَّتَ فَرَأَى أَخَاهُ الشَّقِيقَ بِنْيَامِينَ، فَقَالَ: «أَهَذَا أَخُوكُمُ الأَصْغَرُ الَّذِي أَخْبَرْتُمُونِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «لِيُنْعِمِ اللهُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي». [٣٠] وَانْدَفَعَ يُوسُفُ إِلَى مُخْدَعِهِ وَبَكَى هُنَاكَ لأَنَّ عَوَاطِفَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ.

[٣١] ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا الطَّعَامَ». [٣٢] فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ مَعَهُ وَحْدَهُمْ، إِذْ أَنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ عِنْدَهُمْ. [٣٣] فَجَلَسُوا فِي حَضْرَتِهِ، كُلٌّ وَفْقاً لِعُمْرِهِ، مِنَ الْبِكْرِ حَتَّى الصَّغِيرِ. فَنَظَرُوا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَبْهُوتِينَ. [٣٤] وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ حِصَصاً مِنْ مَائِدَتِهِ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بِنْيَامِينَ خَمْسَةَ أَضْعَافِ حِصَصِ إِخْوَتِهِ. وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مَعَهُ.

Silver Cup in a Sack

44 Now Joseph gave these instructions to the steward of his house: "Fill the men's sacks with as much food as they can carry, and put each man's silver in the mouth of his sack. [2]Then put my cup, the silver one, in the mouth of the youngest one's sack, along with the silver for his grain." And he did as Joseph said.

[3]As morning dawned, the men were sent on their way with their donkeys. [4]They had not gone far from the city when Joseph said to his steward, "Go after those men at once, and when you catch up with them, say to them, 'Why have you repaid good with evil? [5]Isn't this the cup my master drinks from and also uses for divination? This is a wicked thing you have done.' "

الكأس الفضية المفقودة

٤٤ وَأَمَرَ يُوسُفُ مُدَبِّرَ بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ بِالطَّعَامِ بِقَدْرِ وُسْعِهَا، وَرُدَّ فِضَّةَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَى فَمِ عِدْلِهِ. [٢] وَضَعْ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ كَأْسِيَ الْفِضِّيَّةَ وَثَمَنَ قَمْحِهِ». فَنَفَّذَ أَمْرَ يُوسُفَ. [٣] وَمَا إِنْ أَشْرَقَ الصَّبَاحُ حَتَّى انْطَلَقَ الرِّجَالُ، هُمْ وَحَمِيرُهُمْ. [٤] وَمَا كَانُوا يَبْتَعِدُونَ عَنِ الْمَدِينَةِ قَلِيلاً حَتَّى قَالَ يُوسُفُ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: «اتْبَعْ خَلْفَ الرِّجَالِ، وَمَا إِنْ تُدْرِكْهُمْ حَتَّى تَقُولَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُكَافِئُونَ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ [٥] أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الْكَأْسُ الَّتِي يَشْرَبُ فِيهَا سَيِّدِي وَيَتَفَاءَلُ بِالْغَيْبِ؟ لَشَدَّ مَا أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ».

The Cup is Found in Benjamin's Sack

[6]When he caught up with them, he repeated these words to them. [7]But they said to him, "Why does

العثور على الكأس في عدل بنيامين

[٦] فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ. [٧] فَأَجَابُوهُ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ

سيدي بمثل هذا الكلام؟ حاشا لعبيدك أن يرتكبوا هذا الأمر. [8] هوذا الفضة التي عثرنا عليها في أفواه عدالنا رددناها لك معنا من أرض كنعان. فكيف نسرق فضة أو ذهباً من بيت سيدك؟ [9] من نجد معه الكأس من عبيدك يمت، ونكن نحن أيضاً عبيداً لسيدي». [10] فقال: «فليكن كما تقولون. فالذي نجدها معه يصبح عبداً لي، والباقون يكونون أبرياء». [11] فبادر كل منهم إلى عدله وحطه على الأرض وفتحه. [12] ففتش مبتدئاً من عدل الكبير حتى انتهى إلى عدل الصغير، فعثر على الكأس في عدل بنيامين. [13] فمزقوا ثيابهم وحمّل كل منهم عدله على حماره ورجعوا إلى المدينة.

my lord say such things? Far be it from your servants to do anything like that! [8]We even brought back to you from the land of Canaan the silver we found inside the mouths of our sacks. So why would we steal silver or gold from your master's house? [9]If any of your servants is found to have it, he will die; and the rest of us will become my lord's slaves." [10]"Very well, then," he said, "let it be as you say. Whoever is found to have it will become my slave; the rest of you will be free from blame." [11]Each of them quickly lowered his sack to the ground and opened it. [12]Then the steward proceeded to search, beginning with the oldest and ending with the youngest. And the cup was found in Benjamin's sack. [13]At this, they tore their clothes. Then they all loaded their donkeys and returned to the city.

إخوة يوسف يسجدون له

[14] ودخل يهوذا وإخوته إلى بيت يوسف إذ كان ما برح هناك، فارتموا أمامه إلى الأرض. [15] فقال لهم يوسف: «أي جناية اقترفتم؟ أما علمتم أن رجلاً مثلي يستطيع كشفه في معرفة الغيب؟» [16] فقال يهوذا: «ماذا نقول لسيدي، وبماذا نخاطبه، وكيف نبرئ أنفسنا؟ إن الله قد فضح إثم عبيدك. فنحن ومن عثر معه على الكأس عبيد لسيدي». [17] فقال: «حاشا لي أن أفعل هذا، إنما الرجل الذي عثر معه على الكأس هو يكون لي عبداً، أما أنتم فامضوا إلى أبيكم بسلام».

Joseph's Brothers Humble Themselves

[14]Joseph was still in the house when Judah and his brothers came in, and they threw themselves to the ground before him. [15]Joseph said to them, "What is this you have done? Don't you know that a man like me can find things out by divination?"

[16]"What can we say to my lord?" Judah replied. "What can we say? How can we prove our innocence? God has uncovered your servants' guilt. We are now my lord's slaves–we ourselves and the one who was found to have the cup."

[17]But Joseph said, "Far be it from me to do such a thing! Only the man who was found to have the cup will become my slave. The rest of you, go back to your father in peace."

يهوذا يتشفع لبنيامين

[18] فتقدم منه يهوذا وقال: «يا سيدي، دع عبدك ينطق بكلمة في مسمع سيدي، ولا يحتدم غضبك على عبدك، لأن سلطتك مماثلة لسلطة فرعون. [19] لقد سأل سيدي عبيده: ألكم أب أو أخ؟ [20] فأجبنا سيدي: لنا أب شيخ، وابن شيخوخة صغير مات أخوه الشقيق وبقي هو وحده من أمه، وأبوه يحبه. [21] فقلت لعبيدك: أحضروه إليّ لأراه بعينيّ. [22] فقلنا لسيدي: لا يقدر الغلام أن يترك أباه لئلا يموت أبوه إذا فارقه. [23] فقلت لعبيدك: ما لم تحضروا أخاكم إليّ لا ترون وجهي بعد.

Judah Pleads for Benjamin

[18]Then Judah went up to him and said: "Please, my lord, let your servant speak a word to my lord. Do not be angry with your servant, though you are equal to Pharaoh himself. [19]My lord asked his servants, 'Do you have a father or a brother?' [20]And we answered, 'We have an aged father, and there is a young son born to him in his old age. His brother is dead, and he is the only one of his mother's sons left, and his father loves him.'

[21]"Then you said to your servants, 'Bring him down to me so I can see him for myself.' [22]And we said to my lord, 'The boy cannot leave his father; if he leaves him, his father will die.' [23]But you told your servants, 'Unless your youngest brother

comes down with you, you will not see my face again.' [24]When we went back to your servant my father, we told him what my lord had said. [25]Then our father said, 'Go back and buy a little more food.' [26]But we said, 'We cannot go down. Only if our youngest brother is with us will we go. We cannot see the man's face unless our youngest brother is with us.' [27]Your servant my father said to us, 'You know that my wife bore me two sons. [28]One of them went away from me, and I said, "He has surely been torn to pieces." And I have not seen him since. [29]If you take this one from me too and harm comes to him, you will bring my gray head down to the grave in misery.' [30]So now, if the boy is not with us when I go back to your servant my father and if my father, whose life is closely bound up with the boy's life, [31]sees that the boy isn't there, he will die. Your servants will bring the gray head of our father down to the grave in sorrow. [32]Your servant guaranteed the boy's safety to my father. I said, 'If I do not bring him back to you, I will bear the blame before you, my father, all my life!' [33]Now then, please let your servant remain here as my lord's slave in place of the boy, and let the boy return with his brothers. [34]How can I go back to my father if the boy is not with me? No! Do not let me see the misery that would come upon my father."

[٢٤]فَحِينَمَا قَدِمْنَا عَلَى عَبْدِكَ أَبِي، أَخْبَرْنَاهُ بِحَدِيثِ سَيِّدِي. [٢٥]فَقَالَ أَبُونَا: ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لَنَا بَعْضَ الطَّعَامِ. [٢٦]فَأَجَبْنَاهُ: لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ مَا لَمْ نَأْخُذْ أَخَانَا مَعَنَا، لِأَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نُقَابِلَ الرَّجُلَ مَا لَمْ يَكُنْ أَخُونَا الصَّغِيرُ مَعَنَا. [٢٧]فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبُونَا: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ زَوْجَتِي قَدْ أَنْجَبَتْ لِيَ ابْنَيْنِ. [٢٨]فَقَدْتُ أَحَدَهُمَا وَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاساً. وَلَمْ أَرَهُ إِلَى الْآنَ. [٢٩]فَإِنْ أَخَذْتُمْ هَذَا مِنِّي، وَلَحِقَهُ مَكْرُوهٌ، تُنْزِلُونَنِي إِلَى الْقَبْرِ بِشَيْبَةٍ شَقِيَّةٍ. [٣٠]فَإِذَا عُدْتُ إِلَى عَبْدِكَ أَبِي الَّذِي تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِنَفْسِ الْغُلَامِ، وَلَمْ يَكُنِ الْغُلَامُ مَعَنَا، [٣١]وَرَأَى أَنَّ الْغُلَامَ مَفْقُودٌ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ، وَيُوَارِي عَبِيدُكَ شَيْبَةَ عَبْدِكَ أَبِيهِمْ بِشَقَاءٍ فِي الْقَبْرِ. [٣٢]لِأَنَّ عَبْدَكَ ضَمِنَ الْغُلَامَ لِأَبِي، وَقُلْتُ: إِنْ لَمْ أُرْجِعْهُ إِلَيْكَ أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ مَدَى الْحَيَاةِ. [٣٣]فَأَرْجُو مِنْ سَيِّدِي أَنْ يَجْعَلَنِي عَبْداً لَهُ بَدَلاً مِنَ الْغُلَامِ، وَدَعِ الْغُلَامَ يَمْضِي مَعَ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ. [٣٤]إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَبِي وَالْغُلَامُ لَيْسَ مَعِي وَأَشْهَدَ مَا يَحِلُّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ؟».

Joseph Makes Himself Known

45 Then Joseph could no longer control himself before all his attendants, and he cried out, "Have everyone leave my presence!" So there was no one with Joseph when he made himself known to his brothers. [2]And he wept so loudly that the Egyptians heard him, and Pharaoh's household heard about it. [3]Joseph said to his brothers, "I am Joseph! Is my father still living?" But his brothers were not able to answer him, because they were terrified at his presence.

[4]Then Joseph said to his brothers, "Come close to me." When they had done so, he said, "I am your brother Joseph, the one you sold into Egypt! [5]And now, do not be distressed and do not be angry with yourselves for selling me here, because it was to save lives that God sent me ahead of you. [6]For two years now there has been famine in the land, and for the next five years there will not be plowing and reaping. [7]But God sent me ahead of you to

يوسف يكشف عن نفسه

٤٥ فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَتَمَالَكَ نَفْسَهُ أَمَامَ الْمَاثِلِينَ أَمَامَهُ، فَصَرَخَ: «لِيَخْرُجِ الْجَمِيعُ مِنْ هُنَا». فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَعَ يُوسُفَ حِينَ كَشَفَ عَنْ نَفْسِهِ لِإِخْوَتِهِ. [٢]وَبَكَى بِصَوْتٍ عَالٍ فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ كَمَا سَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. [٣]وَقَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ. فَهَلْ أَبِي مَازَالَ حَيّاً؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ لِأَنَّهُمُ امْتَلَأُوا رُعْباً مِنْهُ.

[٤]فَقَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: «ادْنُوا مِنِّي». فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ. فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ. [٥]فَلَا تَتَأَسَّفُوا الْآنَ، وَلَا يَصْعُبْ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لِأَنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي أَمَامَكُمْ حِفَاظاً عَلَى حَيَاتِكُمْ. [٦]فَقَدْ صَارَ لِلْمَجَاعَةِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ سَنَتَانِ، وَبَقِيَتْ خَمْسُ سَنَوَاتٍ لَنْ يَكُونَ فِيهَا فِلَاحَةٌ وَلَا حَصَادٌ. [٧]وَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ أَمَامَكُمْ لِيَجْعَلَ

preserve for you a remnant on earth and to save your lives by a great deliverance. [8]So then, it was not you who sent me here, but God. He made me father to Pharaoh, lord of his entire household and ruler of all Egypt. [9]Now hurry back to my father and say to him, 'This is what your son Joseph says: God has made me lord of all Egypt. Come down to me; don't delay. [10]You shall live in the region of Goshen and be near me–you, your children and grandchildren, your flocks and herds, and all you have. [11]I will provide for you there, because five years of famine are still to come. Otherwise you and your household and all who belong to you will become destitute.' [12]You can see for yourselves, and so can my brother Benjamin, that it is really I who am speaking to you. [13]Tell my father about all the honor accorded me in Egypt and about everything you have seen. And bring my father down here quickly."

[14]Then he threw his arms around his brother Benjamin and wept, and Benjamin embraced him, weeping. [15]And he kissed all his brothers and wept over them. Afterward his brothers talked with him.

[16]When the news reached Pharaoh's palace that Joseph's brothers had come, Pharaoh and all his officials were pleased. [17]Pharaoh said to Joseph, "Tell your brothers, 'Do this: Load your animals and return to the land of Canaan, [18]and bring your father and your families back to me. I will give you the best of the land of Egypt and you can enjoy the fat of the land.' [19]You are also directed to tell them, 'Do this: Take some carts from Egypt for your children and your wives, and get your father and come. [20]Never mind about your belongings, because the best of all Egypt will be yours.' "

لكم بقية في الأرض وتنقذ حياتكم بخلاص عظيم. [8]فلستم إذاً أنتم الذين أرسلتموني إلى هنا بل الله الذي جعلني مستشاراً لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطاً على جميع أرض مصر. [9]فأسرعوا وارجعوا إلى أبي وقولوا له: ابنك يوسف يقول: لقد أقامني الله سيداً على كل مصر. تعال ولا تتباطأ. [10]فتقيم في أرض جاسان لتكون قريباً مني أنت وبنوك وأحفادك وغنمك وبقرك وكل ما لك. [11]وأعولك هناك لأن الجوع سيستمر خمس سنوات أخرى، فلا تحتاج أنت وعائلتك وبهائمك. [12]وها أنتم وأخي بنيامين تشهدون أنني أنا حقاً الذي يخاطبكم. [13]وتخبرون أبي عن كل مجدي في مصر وعما شهدتموه. وتسرعون في إحضار أبي إلى هنا.

[14]ثم تعانق يوسف وبنيامين وبكيا [15]وقبّل يوسف باقي إخوته وبكى معهم. وعندئذ فقط تجرأ إخوته على مخاطبته.

[16]وسرى الخبر إلى بيت فرعون وقيل قد جاء إخوة يوسف، فسر ذلك فرعون، وعبيده أيضاً. [17]وقال فرعون ليوسف: اطلب من إخوتك أن يحملوا دوابهم بالقمح ويرجعوا إلى أرض كنعان، [18]ليحضروا أباهم وأسرهم ويجيئوا إليّ. فأعطيهم أفضل أرض مصر ليستمتعوا بخيراتها. [19]وقد صدر أمر إليك أن يأخذوا لهم عربات من أرض مصر لينقلوا عليها أولادهم وزوجاتهم وأباهم ويحضروا إلى هنا. [20]لا يكترثوا لما يخلفونه من متاع، فخيرات أرض مصر كلها هي لهم.

The Return to Canaan

[21]So the sons of Israel did this. Joseph gave them carts, as Pharaoh had commanded, and he also gave them provisions for their journey. [22]To each of them he gave new clothing, but to Benjamin he gave three hundred shekels of silver and five sets of clothes. [23]And this is what he sent to his father: ten donkeys loaded with the best things of Egypt, and ten female donkeys loaded with grain and bread and other provisions for his journey. [24]Then he sent his brothers away, and as they were leaving he said to them, "Don't quarrel on the way!"

[25]So they went up out of Egypt and came to their

الرجوع إلى أرض كنعان

[21]ففعل بنو إسرائيل هكذا، وأعطاهم يوسف عربات حسب أمر فرعون وزاداً للطريق. [22]وأعطى كل واحد منهم حلل ثياب، أما بنيامين فخصه بثلاث مئة قطعة من الفضة وخمس حلل ثياب. [23]وأرسل إلى أبيه عشرة حمير محملة بأفضل خيرات مصر وعشر أتن محملة بالحنطة وخبزاً وطعاماً يقتات بها في الطريق. [24]وهكذا صرف إخوته بعد أن أوصاهم: لا تتخاصموا في الطريق.

[25]وانطلقوا من مصر حتى أقبلوا إلى أرض كنعان إلى أبيهم

father Jacob in the land of Canaan. [26]They told him, "Joseph is still alive! In fact, he is ruler of all Egypt." Jacob was stunned; he did not believe them. [27]But when they told him everything Joseph had said to them, and when he saw the carts Joseph had sent to carry him back, the spirit of their father Jacob revived. [28]And Israel said, "I'm convinced! My son Joseph is still alive. I will go and see him before I die."

يعقوب. [٢٦]فقالوا له: «إن يوسف مازال حيا، وهو المتسلط على كل أرض مصر». فغشي على قلب يعقوب لأنه لم يصدقهم. [٢٧]ثم حدثوه بكلام يوسف، وعندما عاين يعقوب العربات التي أرسلها يوسف لنقله، انتعشت روحه. [٢٨]وقال: «كفى! يوسف ابني حي بعد. سأذهب لأراه قبل أن أموت».

Jacob Goes to Egypt

46 So Israel set out with all that was his, and when he reached Beersheba, he offered sacrifices to the God of his father Isaac. [2]And God spoke to Israel in a vision at night and said, "Jacob! Jacob!" "Here I am," he replied. [3]"I am God, the God of your father," he said. "Do not be afraid to go down to Egypt, for I will make you into a great nation there. [4]I will go down to Egypt with you, and I will surely bring you back again. And Joseph's own hand will close your eyes."
[5]Then Jacob left Beersheba, and Israel's sons took their father Jacob and their children and their wives in the carts that Pharaoh had sent to transport him. [6]They also took with them their livestock and the possessions they had acquired in Canaan, and Jacob and all his offspring went to Egypt. [7]He took with him to Egypt his sons and grandsons and his daughters and granddaughters–all his offspring.

يعقوب يرحل إلى مصر

٤٦ وارتحل إسرائيل وكل ما له حتى وصل إلى بئر سبع، فقدم ذبائح إلى إله أبيه إسحاق. [٢]وقال الله لإسرائيل في رؤى الليل: «يعقوب، يعقوب». فأجاب: «ها أنا». [٣]فقال: «أنا هو الله، إله أبيك. لا تخف من الذهاب إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. [٤]أنا أصحبك إلى مصر، وأنا أرجعك أيضا، ويغمض يوسف أجفانك بيديه عند موتك».
[٥]فانطلق يعقوب من بئر سبع، وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم وزوجاتهم في العربات التي أرسلها فرعون لنقله. [٦]وأخذوا معهم مواشيهم ومقتنياتهم التي اقتنوها في أرض كنعان وجاءوا جميعا إلى مصر. [٧]قد صحب يعقوب معه إلى مصر أبناءه وأحفاده من بنين وبنات، وسائر ذريته.

The Descendants of Jacob

[8]These are the names of the sons of Israel (Jacob and his descendants) who went to Egypt: Reuben the firstborn of Jacob.
[9]The sons of Reuben: Hanoch, Pallu, Hezron and Carmi.
[10]The sons of Simeon: Jemuel, Jamin, Ohad, Jakin, Zohar and Shaul the son of a Canaanite woman.
[11]The sons of Levi: Gershon, Kohath and Merari.
[12]The sons of Judah: Er, Onan, Shelah, Perez and Zerah (but Er and Onan had died in the land of Canaan). The sons of Perez: Hezron and Hamul.
[13]The sons of Issachar: Tola, Puah, Jashub and Shimron.
[14]The sons of Zebulun: Sered, Elon and Jahleel.
[15]These were the sons Leah bore to Jacob in Paddan Aram, besides his daughter Dinah. These sons and daughters of his were thirty-three in all.

ذرية يعقوب

[٨]وهذه أسماء أبناء إسرائيل الذين قدموا معه إلى مصر: يعقوب وأبناؤه: رأوبين بكر يعقوب. [٩]وأبناء رأوبين: حنوك وفلو وحصرون وكرمي. [١٠]وأبناء شمعون: يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول ابن الكنعانية. [١١]وأبناء لاوي: جرشون وقهات ومراري. [١٢]وأبناء يهوذا: عير وأونان وشيلة وفارص وزارح. ومات عير وأونان في أرض كنعان. وأما ابنا فارص فهما حصرون وحامول. [١٣]وأبناء يساكر: تولاع وفوة ويوب وشمرون. [١٤]وأبناء زبولون: سارد وإيلون وياحليل. [١٥]هؤلاء جميعهم أبناء ليئة الذين أنجبتهم ليعقوب في سهل أرام، فضلا عن ابنته دينة. فكان مجموع عدد بنيه وبناته وأحفاده من ليئة ثلاثة وثلاثين.

[16]The sons of Gad: Zephon, Haggi, Shuni, Ezbon, Eri, Arodi and Areli.
[17]The sons of Asher: Imnah, Ishvah, Ishvi and Beriah. Their sister was Serah. The sons of Beriah: Heber and Malkiel.
[18]These were the children born to Jacob by Zilpah, whom Laban had given to his daughter Leah–sixteen in all.
[19]The sons of Jacob's wife Rachel:
Joseph and Benjamin. [20]In Egypt, Manasseh and Ephraim were born to Joseph by Asenath daughter of Potiphera, priest of On.
[21]The sons of Benjamin: Bela, Beker, Ashbel, Gera, Naaman, Ehi, Rosh, Muppim, Huppim and Ard.
[22]These were the sons of Rachel who were born to Jacob–fourteen in all.
[23]The son of Dan: Hushim.
[24]The sons of Naphtali: Jahziel, Guni, Jezer and Shillem.
[25]These were the sons born to Jacob by Bilhah, whom Laban had given to his daughter Rachel–seven in all.
[26]All those who went to Egypt with Jacob–those who were his direct descendants, not counting his sons' wives–numbered sixty-six persons. [27]With the two sons who had been born to Joseph in Egypt, the members of Jacob's family, which went to Egypt, were seventy in all.

[16]وَأَبْنَاءُ جَادَ: صِفْيُونُ وَحَجِّي وَشُونِي وَأَصْبُونُ وَعِيرِي وَأَرُودِي وَأَرْئِيلِي. [17]وَأَبْنَاءُ أَشِيرَ: يِمْنَةُ وَيِشْوَةُ وَيِشْوِي وَبَرِيعَةُ وَأُخْتُهُمْ سَارَحُ. أَمَّا ابْنَا بَرِيعَةَ فَهُمَا حَابِرُ وَمَلْكِيئِيلُ. [18]هَؤُلَاءِ هُمْ بَنُو زِلْفَةَ جَارِيَةِ لَيْئَةَ الَّتِي وَهَبَهَا إِيَّاهَا لَابَانُ. فَكَانَ عَدَدُ ذُرِّيَّتِهَا الَّتِي أَنْجَبَتْهَا لِيَعْقُوبَ سِتَّ عَشْرَةَ نَفْساً.

[19]أَمَّا ابْنَا رَاحِيلَ زَوْجَةِ يَعْقُوبَ فَهُمَا يُوسُفُ وَبِنْيَامِينُ. [20]وَوُلِدَ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمُ اللَّذَانِ أَنْجَبَتْهُمَا لَهُ أَسْنَاتُ ابْنَةُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونٍ. [21]وَأَبْنَاءُ بِنْيَامِينَ: بَالَعُ وَبَاكَرُ وَأَشْبِيلُ وَجِيرَا وَنُعْمَانُ وَإِيحِي وَرُوشُ وَمُفِّيمُ وَحُفِّيمُ وَأَرْدُ. [22]هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّةُ رَاحِيلَ الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ لِيَعْقُوبَ. وَعَدَدُهُمْ جَمِيعاً أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَخْصاً.

[23]وَابْنُ دَانَ هُوَ حُوشِيمُ. [24]وَأَبْنَاءُ نَفْتَالِي: يَاحْصِئِيلُ وَجُونِي وَيِصْرُ وَشِلِّيمُ. [25]هَؤُلَاءِ بَنُو يَعْقُوبَ الَّذِينَ أَنْجَبَتْهُمْ لَهُ بِلْهَةُ جَارِيَةُ رَاحِيلَ الَّتِي أَعْطَاهَا إِيَّاهَا أَبُوهَا لَابَانُ، وَعَدَدُهُمْ جَمِيعاً سَبْعَةُ أَشْخَاصٍ.

[26]فَكَانَ عَدَدُ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ، مِمَّنْ وَفَدُوا إِلَى مِصْرَ، سِتَّةً وَسِتِّينَ شَخْصاً مَاعَدَا زَوْجَاتِ أَبْنَائِهِ. [27]وَابْنَا يُوسُفَ اللَّذَانِ وُلِدَا لَهُ فِي مِصْرَ هُمَا شَخْصَانِ. فَيَكُونُ عَدَدُ نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ الَّتِي قَدِمَتْ إِلَى مِصْرَ سَبْعِينَ نَفْساً.

Jacob's Family Settles in Egypt

[28]Now Jacob sent Judah ahead of him to Joseph to get directions to Goshen. When they arrived in the region of Goshen, [29]Joseph had his chariot made ready and went to Goshen to meet his father Israel. As soon as Joseph appeared before him, he threw his arms around his father and wept for a long time.
[30]Israel said to Joseph, "Now I am ready to die, since I have seen for myself that you are still alive."
[31]Then Joseph said to his brothers and to his father's household, "I will go up and speak to Pharaoh and will say to him, 'My brothers and my father's household, who were living in the land of Canaan, have come to me. [32]The men are shepherds; they tend livestock, and they have brought along their flocks and herds and everything they own.' [33]When Pharaoh calls you in and asks, 'What is your occupation?' [34]you

الاستيطان في مصر

[28]وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ يَهُوذَا أَمَامَهُ إِلَى يُوسُفَ لِيَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى جَاسَانَ. [29]فَأَعَدَّ يُوسُفُ مَرْكَبَتَهُ وَصَعِدَ لِلِقَاءِ أَبِيهِ إِسْرَائِيلَ فِي جَاسَانَ. وَمَا إِنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ حَتَّى عَانَقَهُ يُوسُفُ وَبَكَى زَمَناً طَوِيلاً. [30]وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: دَعْنِي أَمُوتُ الْآنَ إِذْ قَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ وَرَأَيْتُ أَنَّكَ مَازِلْتَ حَيّاً.

[31]وَخَاطَبَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ وَبَيْتَ أَبِيهِ: أَنَا مَاضٍ الْآنَ إِلَى فِرْعَوْنَ لِأُخْبِرَهُ أَنَّ إِخْوَتِي وَبَيْتَ أَبِي الْمُقِيمِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ قَدْ قَدِمُوا إِلَيَّ. [32]وَهُمْ رُعَاةُ غَنَمٍ وَحِرْفَتُهُمْ رِعَايَةُ الْمَوَاشِي، لِذَلِكَ أَحْضَرُوا مَعَهُمْ غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ. [33]فَإِذَا دَعَاكُمْ وَسَأَلَكُمْ: مَا حِرْفَتُكُمْ؟ [34]قُولُوا: حِرْفَتُنَا

رِعَايَةُ ٱلْمَوَاشِي مُنْذُ صِبَانَا إِلَى ٱلْآنَ، كَذَلِكَ نَحْنُ وَهَكَذَا كَانَ آبَاؤُنَا جَمِيعاً. لِكَيْ تُقِيمُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ، لِأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ نَجِسٌ لَدَى ٱلْمِصْرِيِّينَ».

should answer, 'Your servants have tended livestock from our boyhood on, just as our fathers did.' Then you will be allowed to settle in the region of Goshen, for all shepherds are detestable to the Egyptians."

لقاء إخوة يوسف بفرعون

٤٧ وَمَثَلَ يُوسُفُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ جَاءَ أَبِي وَإِخْوَتِي مَعَ قُطْعَانِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَهَا هُمُ ٱلْآنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ». [٢] وَأَخَذَ خَمْسَةً مِنْ إِخْوَتِهِ وَقَدَّمَهُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ. [٣] فَسَأَلَهُمْ فِرْعَوْنُ: «مَا هِيَ حِرْفَتُكُمْ؟» فَأَجَابُوهُ: «عَبِيدُكَ وَآبَاؤُهُمْ رُعَاةُ غَنَمٍ. [٤] وَلَقَدْ جِئْنَا لِنَتَغَرَّبَ فِي ٱلْأَرْضِ إِذْ لَيْسَ لِغَنَمِ عَبِيدِكَ مَرْعًى مِنْ جَرَّاءِ وَطْأَةِ ٱلْجُوعِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، فَدَعْ عَبِيدَكَ يُقِيمُونَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ».

Joseph's Brothers Meet Pharaoh

47 Joseph went and told Pharaoh, "My father and brothers, with their flocks and herds and everything they own, have come from the land of Canaan and are now in Goshen." [2]He chose five of his brothers and presented them before Pharaoh. [3]Pharaoh asked the brothers, "What is your occupation?" "Your servants are shepherds," they replied to Pharaoh, "just as our fathers were." [4]They also said to him, "We have come to live here awhile, because the famine is severe in Canaan and your servants' flocks have no pasture. So now, please let your servants settle in Goshen."

لقاء يعقوب بفرعون

[٥] فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «لَقَدْ جَاءَ إِلَيْكَ أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ، [٦] وَأَرْضُ مِصْرَ أَمَامَكَ، فَأَنْزِلْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ فِي أَفْضَلِ ٱلْأَرْضِ. دَعْهُمْ يُقِيمُونَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ بَيْنَهُمْ ذَوِي خِبْرَةٍ فَأَعْهَدْ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْإِشْرَافِ عَلَى مَوَاشِيَّ».

[٧] ثُمَّ أَحْضَرَ يُوسُفُ أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَأَوْقَفَهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ، فَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ. [٨] وَسَأَلَ فِرْعَوْنُ يَعْقُوبَ: «كَمْ هُوَ عُمْرُكَ؟» [٩] فَأَجَابَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ: «سَنَوَاتُ غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، قَلِيلَةٌ وَشَاقَّةٌ، وَلَمْ تَبْلُغْ سِنِي غُرْبَةِ آبَائِي». [١٠] ثُمَّ بَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ وَخَرَجَ مِنْ لَدُنْهِ.

[١١] وَأَنْزَلَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ فِي مِصْرَ وَمَلَّكَهُمْ فِي رَعَمْسِيسَ أَجْوَدَ ٱلْأَرْضِ كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ. [١٢] وَأَمَدَّ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ أَبِيهِ بِالطَّعَامِ عَلَى حَسَبِ عِيَالِهِمْ.

Jacob Meets Pharaoh

[5]Pharaoh said to Joseph, "Your father and your brothers have come to you, [6]and the land of Egypt is before you; settle your father and your brothers in the best part of the land. Let them live in Goshen. And if you know of any among them with special ability, put them in charge of my own livestock."

[7]Then Joseph brought his father Jacob in and presented him before Pharaoh. After Jacob blessed Pharaoh, [8]Pharaoh asked him, "How old are you?" [9]And Jacob said to Pharaoh, "The years of my pilgrimage are a hundred and thirty. My years have been few and difficult, and they do not equal the years of the pilgrimage of my fathers." [10]Then Jacob blessed Pharaoh and went out from his presence.

[11]So Joseph settled his father and his brothers in Egypt and gave them property in the best part of the land, the district of Rameses, as Pharaoh directed. [12]Joseph also provided his father and his brothers and all his father's household with food, according to the number of their children.

سياسة يوسف الزراعية

[١٣] وَنَفِدَ ٱلْخُبْزُ فِي جَمِيعِ ٱلْبِلَادِ لِشِدَّةِ ٱلْمَجَاعَةِ، وَأَقْحَلَتْ أَرْضُ مِصْرَ وَأَرْضُ كَنْعَانَ مِنَ ٱلْجُوعِ. [١٤] فَقَايَضَ يُوسُفُ ٱلْقَمْحَ ٱلَّذِي بِيعَ بِكُلِّ ٱلْفِضَّةِ ٱلْمَوْجُودَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ

Joseph and the Famine

[13]There was no food, however, in the whole region because the famine was severe; both Egypt and Canaan wasted away because of the famine. [14]Joseph collected all the money that was to be

وفي أرض كنعان، وحملها إلى خزينة فرعون. [15] وعندما نفدت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أقبل جميع المصريين إلى يوسف قائلين: «أعطنا خبزاً. فلماذا نموت أمام عينيك؟ إن فضتنا قد نفدت». [16] فأجابهم: «إن نفدت فضتكم، فهاتوا مواشيكم أعطيكم بها طعاماً». [17] فأتوا بمواشيهم، فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيل ومواشي الغنم والبقر والحمير. وهكذا قاتهم جميع مواشيهم بالخبز في تلك السنة.

[18] وعندما انقضت تلك السنة، أقبلوا إليه في السنة التالية قائلين: «لا نخفي عن سيدي أن فضتنا قد نفدت، وأن مواشي البهائم قد أصبحت عند سيدي، ولم يبق أمامه إلا أبداننا وأراضينا. [19] فلماذا نموت نحن وأرضنا أمام عينيك؟ اشترنا نحن وأرضنا لقاء الخبز فنصبح نحن وأراضينا عبيداً لفرعون. وأعطنا بذوراً لنزرعها فنحيا ولا نموت ولا تصير أراضينا مقفرة».

[20] وهكذا اشترى يوسف لفرعون كل أرض مصر، لأن جميع المصريين باعوا حقولهم من جراء المجاعة التي اشتدت بهم، وصارت كل الأرض ملكاً لفرعون. [21] أما الشعب فقد نقلهم إلى المدن من أقصى حدود مصر إلى أقصاها. [22] إلا أن أرض الكهنة لم يشترها، إذ كان للكهنة مخصصات معينة أجراها عليهم فرعون، فكانوا يأكلون منها، فلم يبيعوا أرضهم.

[23] ثم قال يوسف للشعب: «ها قد اشتريتكم اليوم أنتم وأرضكم فصرتم ملكاً لفرعون، فإليكم البذار لتزرعوا الأرض. [24] ويكون في موسم الحصاد أنكم تقدمون لفرعون خمس الغلة وتحتفظون لكم بالأربعة الأخماس لتكون بذاراً للحقل وطعاماً لكم ولمن في بيوتكم ولأولادكم». [25] فأجابوا: «لقد أنقذت حياتنا. ليتنا نحظى برضى سيدنا فنكون عبيداً لفرعون». [26] ومن تلك الحين إلى يومنا هذا جعل يوسف فريضة الخمس هذه ضريبة على كل أرض مصر، تجبى لفرعون، باستثناء أرض الكهنة التي لم تصبح ملكاً لفرعون.

found in Egypt and Canaan in payment for the grain they were buying, and he brought it to Pharaoh's palace. [15]When the money of the people of Egypt and Canaan was gone, all Egypt came to Joseph and said, "Give us food. Why should we die before your eyes? Our money is used up." [16]"Then bring your livestock," said Joseph. "I will sell you food in exchange for your livestock, since your money is gone." [17]So they brought their livestock to Joseph, and he gave them food in exchange for their horses, their sheep and goats, their cattle and donkeys. And he brought them through that year with food in exchange for all their livestock.

[18]When that year was over, they came to him the following year and said, "We cannot hide from our lord the fact that since our money is gone and our livestock belongs to you, there is nothing left for our lord except our bodies and our land. [19]Why should we perish before your eyes–we and our land as well? Buy us and our land in exchange for food, and we with our land will be in bondage to Pharaoh. Give us seed so that we may live and not die, and that the land may not become desolate."

[20]So Joseph bought all the land in Egypt for Pharaoh. The Egyptians, one and all, sold their fields, because the famine was too severe for them. The land became Pharaoh's, [21]and Joseph reduced the people to servitude, from one end of Egypt to the other. [22]However, he did not buy the land of the priests, because they received a regular allotment from Pharaoh and had food enough from the allotment Pharaoh gave them. That is why they did not sell their land.

[23]Joseph said to the people, "Now that I have bought you and your land today for Pharaoh, here is seed for you so you can plant the ground. [24]But when the crop comes in, give a fifth of it to Pharaoh. The other four-fifths you may keep as seed for the fields and as food for yourselves and your households and your children."

[25]"You have saved our lives," they said. "May we find favor in the eyes of our lord; we will be in bondage to Pharaoh."

[26]So Joseph established it as a law concerning land in Egypt–still in force today–that a fifth of the produce belongs to Pharaoh. It was only the land of the priests that did not become Pharaoh's.

Joseph's Promise to Jacob

[27]Now the Israelites settled in Egypt in the region of Goshen. They acquired property there and were fruitful and increased greatly in number.

[28]Jacob lived in Egypt seventeen years, and the years of his life were a hundred and forty-seven. [29]When the time drew near for Israel to die, he called for his son Joseph and said to him, "If I have found favor in your eyes, put your hand under my thigh and promise that you will show me kindness and faithfulness. Do not bury me in Egypt, [30]but when I rest with my fathers, carry me out of Egypt and bury me where they are buried." "I will do as you say," he said. [31]"Swear to me," he said. Then Joseph swore to him, and Israel worshiped as he leaned on the top of his staff.

وعد يوسف ليعقوب

[٢٧]وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَاقْتَنَوْا فِيهَا أَمْلاكاً وَأَثْمَرُوا وَتَكَاثَرُوا. [٢٨]وَعَاشَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ مِئَةً وَسَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ عَاماً. [٢٩]وَعِنْدَمَا قَرُبَ يَوْمُ وَفَاتِهِ، اسْتَدْعَى ابْنَهُ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ، فَضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي، وَأَسْدِ لِي مَعْرُوفاً وَأَمَانَةً: لَا تَدْفِنِّي فِي مِصْرَ [٣٠]بَلْ دَعْنِي أَضْطَجِعُ إِلَى جِوَارِ آبَائِي. انْقُلْنِي مِنْ مِصْرَ وَوَارِنِي فِي مَدْفَنِهِمْ». فَقَالَ: «أَنَا أَفْعَلُ حَسَبَ قَوْلِكَ». [٣١]فَقَالَ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِي». فَحَلَفَ لَهُ. فَسَجَدَ يَعْقُوبُ (شَاكِراً) عَلَى رَأْسِ السَّرِيرِ.

Manasseh and Ephraim

48 Some time later Joseph was told, "Your father is ill." So he took his two sons Manasseh and Ephraim along with him. [2]When Jacob was told, "Your son Joseph has come to you," Israel rallied his strength and sat up on the bed.

[3]Jacob said to Joseph, "God Almighty appeared to me at Luz in the land of Canaan, and there he blessed me [4]and said to me, 'I am going to make you fruitful and will increase your numbers. I will make you a community of peoples, and I will give this land as an everlasting possession to your descendants after you.' [5]"Now then, your two sons born to you in Egypt before I came to you here will be reckoned as mine; Ephraim and Manasseh will be mine, just as Reuben and Simeon are mine. [6]Any children born to you after them will be yours; in the territory they inherit they will be reckoned under the names of their brothers. [7]As I was returning from Paddan, to my sorrow Rachel died in the land of Canaan while we were still on the way, a little distance from Ephrath. So I buried her there beside the road to Ephrath" (that is, Bethlehem).

[8]When Israel saw the sons of Joseph, he asked, "Who are these?" [9]"They are the sons God has given me here," Joseph said to his father. Then Israel said, "Bring them to me so I may bless them." [10]Now Israel's eyes were failing because of old age, and he could hardly see. So Joseph brought his sons close to him, and his father kissed

يعقوب يبارك ابني يوسف

٤٨ ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ قِيلَ لِيُوسُفَ: «أَبُوكَ مَرِيضٌ». فَاصْطَحَبَ مَعَهُ ابْنَيْهِ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمَ. [٢]وَقِيلَ لِيَعْقُوبَ: «ابْنُكَ يُوسُفُ قَادِمٌ إِلَيْكَ». فَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ وَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ.

[٣]وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: «تَجَلَّى اللهُ الْقَدِيرُ لِي فِي لُوزَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَبَارَكَنِي، [٤]وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُكَ وَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ جُمْهُورُ شُعُوبٍ وَأَهَبُ ذُرِّيَّتَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِلْكاً أَبَدِيّاً. [٥]وَالآنَ، إِنَّ ابْنَيْكَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى اللَّذَيْنِ أَنْجَبْتَهُمَا فِي مِصْرَ قَبْلَ مَجِيئِي إِلَيْكَ هُنَا هُمَا لِي يَرِثَانِنِي كَرَأُوبَيْنَ وَشِمْعُونَ. [٦]وَأَمَّا أَوْلادُكَ الَّذِينَ تُنْجِبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَكُونُونَ لَكَ، وَمَا يَرِثُونَهُ يَكُونُ تَحْتَ اسْمِ أَخَوَيْهِمْ. [٧]لأَنِّي فِيمَا كُنْتُ رَاجِعاً مِنْ سَهْلِ أَرَامَ، مَاتَتْ رَاحِيلُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ فِي الطَّرِيقِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ أَفْرَاتَةَ، فَدَفَنْتُهَا فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى أَفْرَاتَةَ، الَّتِي هِيَ بَيْتُ لَحْمٍ».

[٨]وَأَبْصَرَ إِسْرَائِيلُ ابْنَيْ يُوسُفَ فَسَأَلَ: «مَنْ هَذَانِ؟» [٩]فَأَجَابَهُ يُوسُفُ: «هُمَا ابْنَايَ اللَّذَانِ رَزَقَنِي إِيَّاهُمَا اللهُ هُنَا». فَقَالَ: «أَدْنِهِمَا مِنِّي فَأُبَارِكَهُمَا». [١٠]وَكَانَتْ عَيْنَا إِسْرَائِيلَ قَدْ كَلَّتَا مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَمْ يَكُنْ قَادِراً عَلَى النَّظَرِ، فَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ

them and embraced them. [11]Israel said to Joseph, "I never expected to see your face again, and now God has allowed me to see your children too."
[12]Then Joseph removed them from Israel's knees and bowed down with his face to the ground. [13]And Joseph took both of them, Ephraim on his right toward Israel's left hand and Manasseh on his left toward Israel's right hand, and brought them close to him. [14]But Israel reached out his right hand and put it on Ephraim's head, though he was the younger, and crossing his arms, he put his left hand on Manasseh's head, even though Manasseh was the firstborn.
[15]Then he blessed Joseph and said, "May the God before whom my fathers Abraham and Isaac walked, the God who has been my shepherd all my life to this day, [16]the Angel who has delivered me from all harm–may he bless these boys. May they be called by my name and the names of my fathers Abraham and Isaac, and may they increase greatly upon the earth."
[17]When Joseph saw his father placing his right hand on Ephraim's head he was displeased; so he took hold of his father's hand to move it from Ephraim's head to Manasseh's head. [18]Joseph said to him, "No, my father, this one is the firstborn; put your right hand on his head." [19]But his father refused and said, "I know, my son, I know. He too will become a people, and he too will become great. Nevertheless, his younger brother will be greater than he, and his descendants will become a group of nations." [20]He blessed them that day and said, "In your name will Israel pronounce this blessing: 'May God make you like Ephraim and Manasseh.' " So he put Ephraim ahead of Manasseh. [21]Then Israel said to Joseph, "I am about to die, but God will be with you and take you back to the land of your fathers. [22]And to you, as one who is over your brothers, I give the ridge of land I took from the Amorites with my sword and my bow."

فَقَبَّلَهُمَا وَاحْتَضَنَهُمَا [11]وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أُبْصِرُ وَجْهَكَ، وَهُوَذَا اللهُ قَدْ أَرَانِي ذُرِّيَّتَكَ أَيْضاً». [12]ثُمَّ أَبْعَدَهُمَا يُوسُفُ عَنْ حِضْنِ أَبِيهِ وَسَجَدَ فِي حَضْرَتِهِ إِلَى الأَرْضِ.
[13]وَأَخَذَ يُوسُفُ أَفْرَايِمَ بِيَمِينِهِ وَأَوْقَفَهُ إِلَى يَسَارِ إِسْرَائِيلَ، وَأَخَذَ مَنَسَّى بِيَسَارِهِ وَأَوْقَفَهُ إِلَى يَمِينِهِ. [14]فَمَدَّ إِسْرَائِيلُ يَمِينَهُ، مُتَعَمِّداً، وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ وَهُوَ الصَّغِيرُ، وَيَسَارَهُ عَلَى رَأْسِ مَنَسَّى مَعَ أَنَّهُ الْبِكْرُ.
[15]وَبَارَكَ يُوسُفَ قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ الَّذِي سَلَكَ أَمَامَهُ أَبَوَايَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحاقُ، اللهَ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، [16]الْمَلاكَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلامَيْنِ. وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي وَاسْمَا أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحاقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيراً فِي الأَرْضِ».
[17]وَعِنْدَمَا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ سَاءَهُ ذَلِكَ، فَأَمْسَكَ بِيَدِ أَبِيهِ لِيَنْقُلَهَا مِنْ رَأْسِ أَفْرَايِمَ إِلَى رَأْسِ مَنَسَّى. [18]وَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: «لَيْسَ هَكَذَا يَا أَبِي، فَهَذَا هُوَ الْبِكْرُ، ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِهِ». [19]فَأَبَى أَبُوهُ وَقَالَ: «أَنَا أَعْرِفُ هَذَا يَا ابْنِي، أَنَا أَعْرِفُ هَذَا. فَإِنَّهُ أَيْضاً يُصْبِحُ أُمَّةً عَظِيمَةً. وَلَكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ يُصْبِحُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَذُرِّيَّتَهُ تَصِيرُ جُمْهُوراً مِنَ الأُمَمِ». [20]وَبَارَكَهُمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «بِكَ يَتَبَارَكُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: لِيَجْعَلْكَ اللهُ مِثْلَ أَفْرَايِمَ وَمِثْلَ مَنَسَّى». وَهَكَذَا قَدَّمَ أَفْرَايِمَ عَلَى مَنَسَّى. [21]ثُمَّ قَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «إِنِّي مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. [22]وَهَا أَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنَ الأَرْضِ سَهْماً وَاحِداً عِلاوَةً عَلَى إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنَ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي».

Jacob Blesses His Sons

49 Then Jacob called for his sons and said: "Gather around so I can tell you what will happen to you in days to come. [2]Assemble and listen, sons of Jacob; listen to your father Israel. [3]Reuben, you are my firstborn, my might, the first sign of my strength, excelling in honor, excelling in

يعقوب يبارك أبناءه

٤٩ ثُمَّ اسْتَدْعَى يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ وَقَالَ: «الْتَفُّوا حَوْلِي لأُنْبِئَكُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ لَكُمْ فِي الأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ. [2]اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا أَبْنَاءَ يَعْقُوبَ، وَاصْغُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ. [3]رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِي وَقُوَّتِي وَأَوَّلُ مَظْهَرِ رُجُولَتِي،

فضل الرفعة وفضل العز [4]لكنك فائر كالماء، لذلك لن تظل متفوقاً، لأنك اضطجعت في فراش أبيك، صعدت على سريري فدنسته. [5]شمعون ولاوي أخوان، سيوفهما آلات ظلم. [6]يا نفسي لا تدخلي في مجلسهما، ويا روحي لا تنضمي إلى جمعهما. [7]لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً، وفي عتوهما عرقبا ثوراً. ملعون سخطهما لأنه عنيف وغضبهما لأنه ضار. أفرقهما في يعقوب وأشتتهما في إسرائيل. [8]يهوذا، إياك يحمد إخوتك، وتكون يدك على عنق أعدائك، ويسجد لك بنو أبيك. [9]يهوذا شبل أسد، عن فريسة قمت يا ابني. ثم جثا وربض كأسد أو كلبوة، فمن يجرؤ على إثارته؟ [10]لا يزول صولجان الملك من يهوذا ولا مشترع من صلبه حتى يأتي شيلوه (ومعناه: من له الأمر) فتطيعه الشعوب.

[11]يربط بالكرمة جحشه، وبأفضل جفنة ابن أتانه. بالخمر يغسل لباسه وبدم العنب ثوبه. [12]تكون عيناه أشد سواداً من الخمر، وأسنانه أكثر بياضاً من اللبن. [13]زبولون يسكن عند سواحل البحر، ويصبح مقره مرفأ للسفن، وتمتد تخومه نحو صيدا [14]يساكر حمار قوي رابض بين الحظائر. [15]عندما يرى خصوبة مرتعه وبهجة أرضه، يستكين كتفه للأثقال، ويستعبد للعمل الشاق. [16]دان يقضي لشعبه كأحد أسباط إسرائيل. [17]دان يكون ثعباناً على جانب الطريق وأفعواناً على السبيل، يلسع عقبي الفرس فيهوي راكبه إلى الوراء. [18]إني انتظرت خلاصك يارب.

[19]جاد يقتحمه الغزاة، ولكنه يطارد فلولهم ويقتحمهم.
[20]طعام أشير دسم، وأطعمته صالحة لموائد الملوك.
[21]نفتالي غزالة طليقة يردد أقوالاً جميلة. [22]يوسف كرمة مثمرة إلى جوار عين، تسلقت أغصانه الحائط. [23]يهاجمه الرماة بمرارة، ويطلقون سهامهم عليه بعداوة. [24]ولكن قوسه ظلت متينة، وتشددت سواعد يديه بفضل سواعد عزيز يعقوب، الراعي صخر إسرائيل. [25]بفضل إله أبيك الذي يعينك، بفضل القدير الذي يباركك ببركات السماوات من فوق، وبركات الغمر من تحت، وبركات

power. [4]Turbulent as the waters, you will no longer excel, for you went up onto your father's bed, onto my couch and defiled it. [5]"Simeon and Levi are brothers–their swords are weapons of violence. [6]Let me not enter their council, let me not join their assembly, for they have killed men in their anger and hamstrung oxen as they pleased. [7]Cursed be their anger, so fierce, and their fury, so cruel! I will scatter them in Jacob and disperse them in Israel. [8]Judah, your brothers will praise you; your hand will be on the neck of your enemies; your father's sons will bow down to you. [9]You are a lion's cub, O Judah; you return from the prey, my son. Like a lion he crouches and lies down, like a lioness–who dares to rouse him?

[10]The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

[11]"He will tether his donkey to a vine, his colt to the choicest branch; he will wash his garments in wine, his robes in the blood of grapes. [12]His eyes will be darker than wine, his teeth whiter than milk. [13]"Zebulun will live by the seashore and become a haven for ships; his border will extend toward Sidon. [14]Issachar is a rawboned donkey lying down between two saddlebags. [15]When he sees how good is his resting place and how pleasant is his land, he will bend his shoulder to the burden and submit to forced labor. [16]Dan will provide justice for his people as one of the tribes of Israel. [17]Dan will be a serpent by the roadside, a viper along the path, that bites the horse's heels so that its rider tumbles backward. [18]I look for your deliverance, O LORD.

[19]"Gad will be attacked by a band of raiders, but he will attack them at their heels. [20]Asher's food will be rich; he will provide delicacies fit for a king. [21]"Naphtali is a doe set free that bears beautiful fawns. [22]Joseph is a fruitful vine, a fruitful vine near a spring, whose branches climb over a wall. [23]With bitterness archers attacked him; they shot at him with hostility. [24]But his bow remained steady, his strong arms stayed limber, because of the hand of the Mighty One of Jacob, because of the Shepherd, the Rock of Israel, [25]because of your father's God, who helps you, because of the Almighty, who blesses you with blessings of the heavens above, blessings of the deep that lies

below, blessings of the breast and womb. [26]Your father's blessings are greater than the blessings of the ancient mountains, than the bounty of the age-old hills. Let all these rest on the head of Joseph, on the brow of the prince among his brothers. [27]"Benjamin is a ravenous wolf; in the morning he devours the prey, in the evening he divides the plunder."

[28]All these are the twelve tribes of Israel, and this is what their father said to them when he blessed them, giving each the blessing appropriate to him.

الثَّدْيِ وَالرَّحِمِ. [٢٦]إِنَّ بَرَكَاتِ أَبِيكَ أَعْظَمُ مِنْ بَرَكَاتِ الْجِبَالِ الدَّهْرِيَّةِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَخَائِرِ التِّلَالِ الْقَدِيمَةِ. فَلْتَحُلَّ جَمِيعُهَا عَلَى رَأْسِكَ يَا يُوسُفُ وَعَلَى جَبِينِ الَّذِي انْفَصَلَ عَنْ إِخْوَتِهِ. [٢٧]بِنْيَامِينُ ذِئْبٌ ضَارٍ، يَفْتَرِسُ ضَحِيَّتَهُ فِي الصَّبَاحِ، وَيُفَرِّقُ الْغَنِيمَةَ فِي الْمَسَاءِ».

[٢٨]هَؤُلَاءِ جَمِيعاً هُمْ رُؤَسَاءُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ. وَهَذَا مَا خَاطَبَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ، كُلُّ وَاحِدٍ بِالْبَرَكَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ.

The Death of Jacob

وفاة يعقوب

[29]Then he gave them these instructions: "I am about to be gathered to my people. Bury me with my fathers in the cave in the field of Ephron the Hittite, [30]the cave in the field of Machpelah, near Mamre in Canaan, which Abraham bought as a burial place from Ephron the Hittite, along with the field. [31]There Abraham and his wife Sarah were buried, there Isaac and his wife Rebekah were buried, and there I buried Leah. [32]The field and the cave in it were bought from the Hittites."

[33]When Jacob had finished giving instructions to his sons, he drew his feet up into the bed, breathed his last and was gathered to his people.

[٢٩]ثُمَّ أَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «هَا أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي، فَادْفِنُونِي إِلَى جِوَارِهِمْ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ عِفْرُونَ الْحِثِّيِّ، [٣٠]الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ الْمُوَاجِهَةِ لِمَمْرَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي اشْتَرَاهَا إِبْرَاهِيمُ مَعَ الْحَقْلِ مِنْ عِفْرُونَ الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ مَدْفَناً خَاصّاً. [٣١]فِيهَا دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ، ثُمَّ إِسْحَاقُ وَزَوْجَتُهُ رِفْقَةُ، وَأَيْضاً دَفَنْتُ لَيْئَةَ. [٣٢]وَقَدِ اشْتَرَى إِبْرَاهِيمُ الْحَقْلَ وَالْمَغَارَةَ الَّتِي فِيهِ مِنَ الْحِثِّيِّينَ». [٣٣]وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ أَبْنَائِهِ تَمَدَّدَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَضَمَّ رِجْلَيْهِ مَعاً، ثُمَّ أَسْلَمَ رُوحَهُ وَلَحِقَ بِآبَائِهِ.

Jacob's Body Is Embalmed

تحنيط جثمان يعقوب

50 Joseph threw himself upon his father and wept over him and kissed him. [2]Then Joseph directed the physicians in his service to embalm his father Israel. So the physicians embalmed him, [3]taking a full forty days, for that was the time required for embalming. And the Egyptians mourned for him seventy days.

٥٠ فَأَلْقَى يُوسُفُ بِنَفْسِهِ عَلَى جُثْمَانِ أَبِيهِ، وَبَكَى وَقَبَّلَهُ. [٢]ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الْأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ. [٣]وَقَدِ اسْتَغْرَقَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَهِيَ الْأَيَّامُ الْمَطْلُوبَةُ لِاسْتِكْمَالِ التَّحْنِيطِ. وَبَكَى الْمِصْرِيُّونَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ يَوْماً.

The Burial of Jacob in Canaan

دفن يعقوب في كنعان

[4]When the days of mourning had passed, Joseph said to Pharaoh's court, "If I have found favor in your eyes, speak to Pharaoh for me. Tell him, [5]'My father made me swear an oath and said, "I am about to die; bury me in the tomb I dug for myself in the land of Canaan." Now let me go up and bury my father; then I will return.'" [6]Pharaoh said, "Go up and bury your father, as he made you swear to do."

[7]So Joseph went up to bury his father. All Pharaoh's officials accompanied him–the dignitaries of his court and all the dignitaries of

[٤]وَبَعْدَمَا انْقَضَتْ أَيَّامُ النُّوَاحِ عَلَيْهِ، قَالَ يُوسُفُ لِأَهْلِ بَيْتِ فِرْعَوْنَ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكُمْ، فَتَكَلَّمُوا فِي مَسَامِعِ فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: [٥]لَقَدِ اسْتَحْلَفَنِي أَبِي وَقَالَ: أَنَا مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ، فَادْفِنِّي فِي الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرْتُهُ لِنَفْسِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَلْتَسْمَحْ لِيَ الْآنَ بِأَنْ أَمْضِيَ لِأَدْفِنَ أَبِي ثُمَّ أَعُودَ». [٦]فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «امْضِ وَادْفِنْ أَبَاكَ كَمَا اسْتَحْلَفَكَ».

[٧]فَانْطَلَقَ يُوسُفُ لِيَدْفِنَ أَبَاهُ، وَرَافَقَهُ حَاشِيَةُ فِرْعَوْنَ مِنْ

أعيان بيته ووجهاء مصر، [8] وكذلك أهل بيته والإخوة وأهل بيت أبيه. ولم يخلفوا وراءهم في أرض جاسان سوى صغارهم وغنمهم وقطعانهم. [9] وصاحبته أيضا مركبات وفرسان، فكانوا موكبا عظيما. [10] ولما وصلوا إلى بيدر أطاد في عبر الأردن أقام يوسف لأبيه مناحة عظيمة مريرة ناحوا فيها عليه طوال سبعة أيام [11] وعندما شاهد الكنعانيون الساكنون هناك المناحة في بيدر أطاد قالوا: «هذه مناحة هائلة للمصريين». وسموا المكان الذي في عبر الأردن «آبل مصرايم» (ومعناه: مناحة المصريين). [12] ونفذ أبناء يعقوب وصية أبيهم، [13] فنقلوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة مقابل ممرا التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ليكون مدفنا خاصا.

[14] وبعد أن دفن يوسف أباه، رجع هو والإخوة وسائر الذين رافقوه إلى مصر.

إحسان يوسف لإخوته

[15] ولما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا: «لعل يوسف الآن يشرع في اضطهادنا وينتقم منا لإساءتنا إليه». [16] فبعثوا إليه رسولا قائلين: «لقد أوصى أبوك قبل موته وقال: [17] هكذا تقولون ليوسف: اغفر لإخوتك ذنبهم وخطيئتهم، فإنهم قد أساءوا إليك. فالآن اصفح عن إثم عبيد إله أبيك». فلما بلغته رسالتهم بكى يوسف. [18] وجاء إخوته أيضا وانطرحوا أمامه وقالوا: «ها نحن عبيدك». [19] فقال لهم: «لا تخافوا، هل أنا أقوم مقام الله؟ [20] أنتم نويتم لي شرا، ولكن الله قصد بالشر خيرا، ليحقق ما تم اليوم، لإحياء شعب كثير. [21] لذلك لا تخافوا، فأنا أعولكم أنتم وأولادكم». فطمأنهم وهدأ روعهم.

[22] وأقام يوسف في مصر هو وأهل بيت أبيه. وعاش يوسف مئة وعشر سنين، [23] حتى شهد الجيل الثالث من ذرية أفرايم، وكذلك أولاد ماكير بن منسى الذين احتضنهم عند ولادتهم. [24] ثم قال يوسف لإخوته: «أنا موشك على

Egypt–[8]besides all the members of Joseph's household and his brothers and those belonging to his father's household. Only their children and their flocks and herds were left in Goshen. [9]Chariots and horsemen also went up with him. It was a very large company. [10]When they reached the threshing floor of Atad, near the Jordan, they lamented loudly and bitterly; and there Joseph observed a seven-day period of mourning for his father. [11]When the Canaanites who lived there saw the mourning at the threshing floor of Atad, they said, "The Egyptians are holding a solemn ceremony of mourning." That is why that place near the Jordan is called Abel Mizraim. [12]So Jacob's sons did as he had commanded them: [13]They carried him to the land of Canaan and buried him in the cave in the field of Machpelah, near Mamre, which Abraham had bought as a burial place from Ephron the Hittite, along with the field.

[14]After burying his father, Joseph returned to Egypt, together with his brothers and all the others who had gone with him to bury his father.

Joseph Reassures His Brothers

[15]When Joseph's brothers saw that their father was dead, they said, "What if Joseph holds a grudge against us and pays us back for all the wrongs we did to him?" [16]So they sent word to Joseph, saying, "Your father left these instructions before he died: [17]'This is what you are to say to Joseph: I ask you to forgive your brothers the sins and the wrongs they committed in treating you so badly.' Now please forgive the sins of the servants of the God of your father." When their message came to him, Joseph wept. [18]His brothers then came and threw themselves down before him. "We are your slaves," they said. [19]But Joseph said to them, "Don't be afraid. Am I in the place of God? [20]You intended to harm me, but God intended it for good to accomplish what is now being done, the saving of many lives. [21]So then, don't be afraid. I will provide for you and your children." And he reassured them and spoke kindly to them.

[22]Joseph stayed in Egypt, along with all his father's family. He lived a hundred and ten years [23]and saw the third generation of Ephraim's children. Also the children of Makir son of Manasseh were placed at birth on Joseph's knees. [24]Then Joseph said to

ٱلْمَوْتِ، وَلَكِنَّ ٱللهَ سَيَتَفَقَّدُكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَرْضِ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي وَعَدَ بِهَا بِقَسَمٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ». [25] وَٱسْتَحْلَفَ يُوسُفُ أَبْنَاءَ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: «إِنَّ ٱللهَ سَيَتَفَقَّدُكُمْ فَٱنْقُلُوا عِظَامِي مِنْ هُنَا».

his brothers, "I am about to die. But God will surely come to your aid and take you up out of this land to the land he promised on oath to Abraham, Isaac and Jacob." [25]And Joseph made the sons of Israel swear an oath and said, "God will surely come to your aid, and then you must carry my bones up from this place."

موت يوسف

[26] ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَقَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْعُمْرِ مِئَةً وَعَشْرَ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوَضَعُوهُ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ.

The Death of Joseph

[26]So Joseph died at the age of a hundred and ten. And after they embalmed him, he was placed in a coffin in Egypt.

سفر التكوين (37 ـ 50)

46 ـ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: 4].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واحدة من الأحداث الهامة في سيرة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام، والآية يتوجه الحديث فيها إلى الرسول الخاتم ﷺ تقول له: اذكر يا محمد حين قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: يا أبي إني رأيت في المنام هذه الرؤيا العجيبة، رأيت أحد عشر كوكباً من كواكب السماء والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. كان يوسف حين رأى تلك الرؤيا غلاماً صغيراً، فاستغرب أبوه أن يرى ابنه مثل هذه الرؤيا لأنها ليست من رؤى الغلمان. ولكن بحس النبوة وبصيرة الأنبياء أدرك يعقوب عليه السلام أن وراء هذه الرؤيا أمراً مستقبلياً عظيماً لابنه يوسف، ولذلك نصحه بألّا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها من خير فيحسدوه، أو يحقدوا عليه، أو يغاروا منه. خاصة وأن شدة تعلقه بيوسف، وحدبه عليه كانا قد أوغرا صدور إخوته عليه. وفي ظل هذه الغيرة من يوسف قد يجد الشيطان فرصة للوسوسة إلى إخوته بارتكاب جريمة في حق أخيهم لا تليق بأبناء الأنبياء، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 5 ـ 6].

وواضح من رد يعقوب عليه السلام على رؤيا غلامه الصغير يوسف أنه استشف شيئاً من الاصطفاء والاختيار الإلٰهي له في المستقبل بالنبوة، وبتعليمه تأويل الأحاديث، وبإتمام نعم الله ـ تعالى ـ عليه وعلى آل يعقوب، كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق (والجد يقال له أب). ومن شفافية النبوة وإشراقاتها أن يقول يعقوب عليه السلام لصغيره يوسف جملة تحققت فيما بعد، أنطقه الله إياها ليحققها له بعد

سنوات عديدة فقال له: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾. والتأويل هو معرفة المآل، بمعنى أن الله سوف يهب ليوسف من نفاذ البصيرة، وصدق الحس، وعمق الرؤيا، والقدرة على التحليل، وسرعة الإلهام ما يمكنه من إدراك ما تنتهي إليه الأحاديث من أول بدئها. وقد يكون المقصود بتعبير (تأويل الأحاديث) هو القدرة على تعبير الرؤى المنامية كما تحقق له من بعد، ولذلك ختمت الآية بالشهادة للَّه ـ تعالى ـ بإحاطة العلم وشمول الحكمة، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وفي ختام سورة «يوسف» عليه السلام يأتي تحقيق رؤياه التي رآها في صباه فإن يعقوب عليه السلام وآله أجمعون شدّوا الرحال إلى مصر، فلما وصلوها دخلوا على يوسف فآوى إليه أبويه، وعلى الفور سجد له كل من أبيه، وإحدى زوجات الأب، وإخوانه الأحد عشر. وكان سجودهم هو سجود الاحترام والتوقير، لا سجود العبادة التي لا تجوز لغير الله ـ تعالى ـ وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: 100 ـ 103].

ورؤيا يوسف جاءت إشارة لها في الترجمة العربية للعهد القديم (Copyright, 1999 by the International Bible Society) تحت عنوان «**حلم يوسف وحسد إخوته**» جاء فيه ما يلي: (وسكن يعقوب في أرض كنعان حيث تغرب أبوه، وهذا سجل بسيرة يعقوب. **إذ كان يوسف غلاماً في السابعة عشرة من عمره.** راح يرعى الغنم مع إخوته أبناء بلهة وزلفة زوجتي أبيه. فأبلغ يوسف أباه بنميمتهم الرديئة. وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من بقية إخوته لأنه كان

ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً. ولما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم كرهوه وأساؤوا إليه بكلامهم. وحلم يوسف حلماً قصّه على إخوته، فازدادوا له بغضاً. قال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمته: رأيت وكأننا نحزم حزماً في الحقل، فإذ بحزمتي وقفت ثم انتصبت، فأحاطت بها حزمكم وانحنت لها. فقال له إخوته: «لعلك تملك علينا أو تحكمنا؟» وزاد بغضهم له بسبب أحلامه وكلامه. ثم حلم حلماً آخر سرده على إخوته، قال: «حلمت حلماً آخر، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي». وقصّه على أبيه وإخوته، فأنبه أبوه وقال: «أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقاً أني وأمك وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟» فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه).

[العهد القديم/ سفر التكوين/ (37)]

وبمقارنة النص القرآني بما جاء في العهد القديم تتضح المفارقات التالية:

1 ـ تحديد عمر يوسف بالسابعة عشر وقت أن رأى رؤياه يناقض مجريات الأحداث في بقية القصة، ومنها إلقاؤه في غيابة الجب دون أدنى مقاومة، ثم خروجه في دلو الماء وهو ما لا يمكن تحقيقه في هذا العمر والوزن الكبيرين (17 سنة).

2 ـ الادِّعاء بأن يوسف كان يرعى الغنم مع إخوته يناقض تحايل الإخوة على أبيهم لاصطحابه معهم.

3 ـ الادِّعاء بأن يوسف أبلغ أباه بنميمة إخوانه الرديئة، يناقض أنه لم يكن قد خرج معهم قبل يوم تآمرهم عليه.

4 ـ الادِّعاء بأن إسرائيل صنع لابنه يوسف قميصاً ملوناً، وهو شاب في السابعة عشرة من عمره كما ذكروا، وقد رأى إخوة يوسف في ذلك تمييزاً له عليهم فكرهوه، وأساؤوا إليه بكلامهم.

5 ـ الادِّعاء بأن يوسف رأى رؤيتين مناميتين، والقرآن الكريم يقرر أنه رأى رؤيا واحدة. والتوافق في رؤيته أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم يوسف له ساجدين يوحي بنقل الرؤيا الثانية في «سفر التكوين» عن القرآن الكريم لأن

في مصادرهم القديمة لهذا السفر لم ترد هذه الرؤيا.

6 ـ الادّعاء بأن يوسف روى الرؤيتين لإخوته يناقض رواية القرآن الكريم، كما يناقض التسلسل المنطقي للقصة.

7 ـ محاولة تفسير الأحد عشر كوكباً بإخوة يوسف، والشمس والقمر بأبويه منقولة عن القرآن الكريم، لأن سفر التكوين لم يذكر سجود إخوة يوسف ووالده وزوجة أبيه له عند وصولهم إلى مصر، بينما يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: 99 ـ 103].

8 ـ على الرغم من أن ختام قصة يوسف عليه السلام يشير إلى أن المقصود بتعبير الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر هم إخوة يوسف وأبوه وإحدى زوجات أبيه، إلا أن توافق عدد إخوته مع عدد كواكب المجموعة الشمسية وذلك باكتشاف الكوكب «سيدنا» (Sedna) في 14/ 11/ 2003م، والإعلان عنه في 15/ 3/ 2004م، ثم إثبات أن الشمس لا يمكنها جذب أي كوكب بعد الكوكب الحادي عشر الذي يقع على بعد (90) وحدة فلكية عن الشمس، لا يمكن أن يكون أمراً عفوياً بل يمثل ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله.

9 ـ إن رصانة الأسلوب القرآني في عرض هذا الموقف من قصة يوسف في ثلاث آيات فقط، لا يتجاوز عدد كلماتها (55) كلمة في إيجاز ووفاء معجز

إذا قورن بركاكة الأسلوب وكثرة التكرار في صياغة هذا الموقف من قصة يوسف كما عرضها «العهد القديم»، يوضح لكل ذي بصيرة الفرق الشاسع بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام البشر. كما يوضح وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن لهذا الموقف وحده من قصة سيدنا يوسف عليه السلام. وهنا يجب التأكيد على أنه لا يمكن الاحتجاج بالدعوى الباطلة عن نقل القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام عن «سفر التكوين» لأن الفارق بين الروايتين أكبر من أن يوصف بكلمات، وقد عرضنا شيئاً من ذلك في الأسطر السابقة. والحقيقة أن كُتّاب «سفر التكوين» هم الذين نقلوا عن القرآن الكريم وليس العكس خاصة في أثناء ترجمة هذه السفر إلى اللغة العربية والاستعانة في ذلك بالقرآن الكريم.

والدروس المستفادة من هذا الموقف في حياة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام تتلخص فيما يلي:

1 ـ الدعوة إلى العفو عن المسيئ.

2 ـ اليقين بأنَّ الله ـ تعالى ـ قد تكفل بنصرة المظلوم ولو بعد حين.

3 ـ التأكيد على ضرورة الاعتبار بقصص القرآن الكريم.

4 ـ التحذير من الكفر أو الشرك باللّه لأن أكثر الناس يقعون في حبائل الشيطان الذي يغويهم بذلك، ممّا يستوجب نزول عقاب الله في الدنيا قبل الآخرة.

5 ـ التأكيد على أنَّ البشرية تأرجحت عبر تاريخها الطويل بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الاستقامة على منهج الله والخروج عليه.

6 ـ ضرورة القيام بالدعوة إلى دين الله القائم على التوحيد الخالص لجلاله، ونفي الشرك نفياً كاملاً، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

7 ـ ضرورة التسليم بوحدة رسالة السماء وبالأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً، وبنبوة الرسول الخاتم ﷺ، والاعتبار بعقاب المكذبين لرسل الله في كل زمان ومكان.

47 ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: 43].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل حدثاً هاماً في سيرة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام، وهي رؤيا ملك مصر التي كان حسن تأويل يوسف لها سبباً في إخراجه من السجن، ثم في كسبه لثقة الملك حتى جعله على خزائن أرض مصر. وهناك التقى يوسف بإخوته في ثلاث رحلات متتابعات، وفي الرحلة الرابعة التقى بأبيه وإخوته وأهله أجمعين، الذين جاؤوا للعيش معه على أرض مصر.

وفي تسجيل القرآن الكريم لهذا الموقف من سيرة النبي الصالح يوسف بن يعقوب وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وإن قيل إن للقصة شبه في «سفر التكوين»، قلنا أن التشابه يؤكد صحة أهل الرواية، ويبقى الفرق شاسعاً بين رواية القرآن الكريم في روعة بيانها، وإعجاز شمولها وإيجازها، ودقة كل إشارة فيها، وبين روايات بشرية منقوصة، ركيكة العبارة، مكررة الكلمات، مليئة بالأخطاء اللغوية والتاريخية، وغير معروفة المصدر ومنعدمة التوثيق.

من الدلالات الإنبائية في الآية الكريمة:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾:

يعجب قارئ القرآن الكريم من وصف حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام بلقب (الملك) الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، بينما جاء وصفه في زمن موسى عليه السلام بلقب (فرعون مصر) أو (الفرعون). وقد أورد

القرآن الكريم لقب فرعون أربعة وسبعين (74) مرة في عرض قصة عبد الله ونبيه موسى ﷺ. والسبب في ذلك أن يوسف ﷺ عاش في مصر أيام حكم الهكسوس (أي الملوك الرعاة)، وذلك في حدود الفترة من (1730ق.م إلى 1580ق.م). وكان حكام الهكسوس يلقبون بالملوك وليس بالفراعنة، بينما عاش موسى ﷺ في زمن الفراعنة الذين كان منهم رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة المعروف باسم «فرعون الاضطهاد» أو «فرعون التسخير»، الذي حكم مصر في الفترة المقدرة بحدود (1301ق.م إلى 1234ق.م)، ومات بينما كان موسى في مدين عند أصهاره (شعيب ﷺ وآله). وبعد وفاة رمسيس الثاني خلفه في حكم مصر ولده «مرنبتاح» أو «منفتاح» أو «منفتا» المعروف باسم «فرعون الخروج»، وحكم مصر في حدود الفترة من (1234ق.م إلى 1224ق.م)، ومات غارقاً في أثناء مطاردته لعبد الله ونبيه موسى ﷺ كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

عاش عبد الله ونبيه يوسف ﷺ في زمن ملك من العمالقة يعرف باسم «الريان بن الوليد»، كما ذكره مؤرخو العرب، ووجد اسمه منقوشاً على بعض الآثار المصرية القديمة. وكان ذلك في الأسرة الخامسة عشر لدولة «الهكسوس» أو الرعاة في مصر. وكانت السلالة السابقة عليها في حكم مصر، وهي الأسرة الرابعة عشرة من الفراعنة المصريين، الذين حكموا في وادي النيل سنة (2000ق.م)، بينما كانت السلالة الرعوية المعروفة باسم «شاسو أو الهكسوس»، أي: البدو الرعاة، يتنقلون في شرقي مصر على حدود البادية فيما يعرف اليوم باسم محافظة الشرقية (أرض جاسان في الكتب القديمة)، وكانوا يتكلمون لغة متفرعة عن اللغة العربية، وكانت قريبة جداً منها. وكان الهكسوس يترقبون ضعف الفراعنة ليغزوهم، وكان الفراعنة حريصين على مسالمتهم والاستعانة بهم في حروبهم لشجاعتهم، وشدتهم، وجلدهم، وقوة أبدانهم، شأن البدو في كل العصور. وظل الصراع بين ملوك الرعاة وفراعنة مصر حتى سنحت الفرصة لهؤلاء الرعاة بالانتصار عليهم، فاستولوا على دلتا مصر وحكموها باسم «ملوك الهكسوس» في أثناء فترة

الاضطرابات والفتن التي سادت في أواخر عهد الأسرة الرابعة عشر. استعمر «الهكسوس» الوجه البحري كله وبعض أجزاء من صعيد مصر، واستولوا على مدينة (منف أو منفيس) وولّوا على الأراضي التي احتلوها ملكاً من بينهم. ونتيجة لذلك انحسر حكم الفراعنة إلى جنوب مصر، الذي كانت عاصمته مدينة طيبة (الأقصر)، بينما حكم الهكسوس أغلب شمال مصر، ودامت سيطرتهم عليه لنحو خمسة قرون. ثم قام الفراعنة بإسقاط حكم «الهكسوس» في حدود أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد، وعاد الفراعنة لحكم كل من شمال وجنوب مصر من جديد، موحدين أرض مصر تحت حكمهم مرة ثانية.

وفي فترة دخول عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام إلى أرض مصر كانت «مملكة الهكسوس» في دور انحسارها فتقلصت مساحتها إلى مثلث تألفت رؤوسه من «منيا القمح» و«بوبسطة» القريبة من مدينة «الزقازيق»، وبلدة «صان الحجر». ولم يجد يوسف عليه السلام صعوبة في التحدث مع «الهكسوس» الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغته. وهنا تأتي أولى ومضات الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة التي نحن بصددها في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: **«وقال الملك...»** ولم يقل: «وقال الفرعون»، لأن يوسف عليه السلام لم يعمل لدى أحد من فراعنة مصر، الذين كان مُلكُهم في زمن وجوده بمصر قد انحسر إلى جنوب البلاد، وكانت عاصمتهم طيبة (الأقصر)، كما سبق وأن أشرنا، وكانت لغتهم هي الهيروغليفية (المصرية القديمة) التي لم يكن يوسف عليه السلام يعرفها.

وهذا الوصف الدقيق لحاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام بوصف «الملك» هو من الأدلة الناطقة على الدقة المطلقة لكل حرف، وكلمة، وآية أوردها القرآن الكريم. وهذه الدقة القرآنية تتحقق لكل قاعدة عقدية، أو أمر تعبدي، أو دستور أخلاقي، أو تشريع سلوكي، أو خبر تاريخي، أو إشارة علمية، أو خطاب إلى النفس الإنسانية أو غير ذلك من القضايا المحكمة التي جاءت في ثنايا آياته. ومن الثابت أن رسول الله ﷺ بعث خاتماً للأنبياء والمرسلين في سنة (610م)، أي

بعد أكثر من (2200 سنة) من وفاة أخيه يوسف بن يعقوب عليه السلام، فمن غير الله الخالق جل جلاله يمكن أن يكون قد أخبره بتفاصيل قصة يوسف عليه السلام بهذه الدقة والشمول، والإيجاز المعجز دون ترك شيء من أساسياتها؟ وإن قيل إنه كان لليهود بعض الجيوب في الجزيرة العربية على عهده صلى الله عليه وسلم فإن التاريخ يثبت أن غالبية هؤلاء اليهود كانوا من البدو الذين لم يكونوا على قدر كافٍ من الثقافة الدينية أو الدنيوية، وكانت صحفهم قد تعرضت للكثير من التغيير، وإن بقيت بها بعض بقايا الحق القديم.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ على لسان ملك مصر: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾:

هذه الرؤية المنامية رآها ملك مصر على عهد يوسف عليه السلام. وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يحسن القراءة أو الكتابة، وكان ذلك لحكمة يعلمها الله جل جلاله ومنها ألا يصدق على هذا الرسول الخاتم دعاوى النقل عن كتب السابقين، وفي ذلك يقول له ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [العنكبوت: 48].

والمتتبع لقصة النبي يوسف عليه السلام، كما جاءت في القرآن الكريم يدرك بوضوح وحدة رسالة السماء المنطلقة من وحدانية الخالق جل جلاله، كما يدرك دقة حفظ الوحي السماوي في صورته الخاتمة كما جاءت في القرآن الكريم الذي تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه، فحفظ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ، وسيظل محفوظاً كذلك إلى ما شاء الله، تحقيقاً لوعده الذي قطعه على ذاته العلية. فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: 9].

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾:

إن اختيار القرآن الكريم للفظ **(الملأ)** في هذا النص يعتبر من معجزاته البيانية

والإنبائية، وذلك لأنه من المسلمات أنه لا يوجد ملك بدون حاشية. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحاشية بتعبير (الملأ)، أي الجماعة، وجمعه (أملاء)، و(الملأ) جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون بمجرد الاستماع إليهم، أو هم على قدر من الهيبة بحيث يملأون العيون بمجرد النظر إليهم. وعلى ذلك يكون (ملأ) هنا بمعنى مالىء أو مليء أو مملوء، لأن لفظة (ملأ) لا تطلق إلَّا على النخبة المختارة من مثل الحاشية التي تختار لبلاط الملوك بدقة كبيرة من العلماء، والحكماء، والأدباء، وأهل الرأي. ومن المنطقي أن يتوجه الملك أول ما يتوجه بالسؤال إلى خاصته وحاشيته في كل أمر من الأمور التي تعرض له، ولذلك قال ـ تعالى ـ على لسان ملك مصر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43].

وعلى النقيض من ذلك فقد جاء في رواية «العهد القديم» أن الملك استدعى «جميع سحرة مصر وكل حكمائها» والسحرة ليسوا من الملأ، ولا من الحكماء، وهنا يتضح الفارق بين كلام الله ﷻ وكلام البشر.

وهذه الرؤية المنامية لملك مصر جاءت إشارة لها في «سفر التكوين»، وتصفها الترجمة العربية «للعهد القديم» على النحو التالي:

أحلام فرعون:

وبعد انقضاء سنتين رأى فرعون حلماً، وإذا به واقف بجوار نهر النيل، وإذا بسبع بقرات حسان المنظر وسمينات الأبدان صاعدات من النهر أخذت ترعى في المرج، ثم إذا بسبع بقرات أخرى قبيحات المنظر وهزيلات تصعد وراءها من النهر وتقف إلى جوار البقرات الأولى على ضفة النهر، والتهمت البقرات القبيحات البقرات السبع الحسنات المنظر والسمينات. وأفاق فرعون ثم نام، فحلم ثانية، فإذا بسبع سنابل نابتة من ساق واحدة زاهية وممتلئة، ثم رأى سبع سنابل عجفاء قد لفحتها الريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل العجفاء السبع السنابل الذهبية الممتلئة. وأفاق فرعون، وأدرك أنه حلم. ولما كان الصباح استولى

الانزعاج على فرعون فأرسل واستدعى جميع سحرة مصر وكل حكمائها، وسرد عليهم حلمه، فلم يجد من يفسره له. عندئذٍ قال رئيس السقاة لفرعون: إني أذكر اليوم ذنوبي. لقد سخط فرعون على عبديه، فزجني ورئيس الخبازين في معتقل بيت رئيس الحرس. فحلم كل منا حلماً في نفس الليلة، وكان تفسير كل حلم يتفق مع أحوال رائيه. وكان معنا هناك غلام عبراني، عبد لرئيس الحرس، فسردنا عليه حلمينا ففسّرهما لكل منّا حسب تعبير حلمه. وقد تم ما فسره لنا. فردني فرعون إلى وظيفتي وأما ذاك فعلقه (على خشبة)».

وبمقارنة رواية القرآن الكريم لتلك الواقعة من سيرة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام وما جاء عنها في «العهد القديم» ندرك الفوارق التالية:

(أ) روعة البيان القرآني في إيجاز وشمول معجزين، وركاكة رواية «العهد القديم» مع التكرار المخل والقصور وعدم الشمول.

(ب) الدقة الفائقة في الرواية القرآنية والأخطاء العديدة في رواية «العهد القديم»، ومن ذلك.

1 ـ إشارة القرآن الكريم إلى حاكم مصر في زمن النبي المكرم يوسف بن يعقوب بلقبه الصحيح وهو لقب (الملك) الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، والإشارة إليه في رواية «العهد القديم» بلقب الفرعون «سبع مرات» والتاريخ يؤكد أن الفراعنة لم يحكموا مصر في زمن يوسف عليه السلام بل كان حكامها من الملوك الرعاة المعروفين باسم «الهكسوس».

2 ـ وصف رواية «العهد القديم» ليوسف عليه السلام بوصف «غلام عبراني»، وقد ذكر في أول القصة أن عمره كان سبع عشرة سنة عندما رماه إخوته في البئر، ثم لبث عدة سنوات في بيت عزيز مصر، ثم بعد سنتين في السجن كما تقول رواية العهد القديم، بقي غلاماً!!!.

3 ـ ذكر رواية «العهد القديم» أن السنابل العجفاء السبع ابتلعت السنابل الزاهية الممتلئة، وهو ما لا يقبله منطق، حتى في رؤيا منامية.

4 ـ ذكر النص في «سفر التكوين» أن الملك استدعى جميع سحرة مصر، وكل حكمائها، والسحرة ليسوا من الحكماء ولا يستطيعون الإفتاء في مثل هذه القضية.

(ج) إن التشابه بين الروايتين يؤكد أن للقصة أصلاً واحداً، كما يؤكد الفارق الكبير بين كلام ربّ العالمين في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية كما هو محفوظ في القرآن الكريم، وبين رواية ظلت تنقل مشافهة من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون متتالية حتى تم تدوينها بعد أكثر من ثمانية قرون من وفاة الرسول الذي تلقى الوحي بها وهو موسى عليه السلام. وبعد تلك القرون الطويلة دوّنت القصة في لغة غير لغة الوحي الذي أنزلت فيه، وكتبت بأيدي مجهولين ممن هم ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين فتعرضت الرواية لهذا القدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الأصلي، فجاء القرآن الكريم ليثبتها.

وبهذه الفوارق الواضحة التي تؤكد لكل ذي بصيرة أن رواية القرآن الكريم لم تنقل عن «العهد القديم» كما يدّعي المدّعون بناءً على قدر من التشابه بين الروايتين.

48 ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: 47].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل بداية تفسير عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب ﷺ لرؤيا ملك مصر فقال: تزرعون سبع سنين متتالية، دائبين بجد وعزيمة، وهي السنوات السبع المخصبة المرموز لها بالبقرات السبع السمان في رؤيا الملك. ثم يضيف قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي: فما حصدتم من محاصيل تلك السنوات السبع المخصبة فذروه في سنبله (أي: فاتركوه) في سنابله وذلك لحفظه من التسوس ومن المؤثرات الجوية، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: إلا ما أردتم أكله فادرسوه لتجريده من سنابله، وليكن ذلك في أقل الحدود الممكنة، واحتفظوا بالبقية للسنوات المجدبة القادمة المرموز لها بالسبع البقرات العجاف في رؤيا ملك مصر، والتي عبّرت عنها الآيات بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 48، 49].

ومن معنى هذه الآيات أنه سيأتي بعد سني الرخاء السبع هذه، سبع سنين عجاف أي مجدبات شديدة القحط، لا زرع فيهن، تأكلون فيهن مما ادخرتم من محاصيل السنين السبع السابقة التي كانت شديدة الخصوبة. وكأن هذه السنوات السبع الشداد هي التي تأكل بذاتها كل ما تم ادخاره من قبل لشدة جفافها وقحطها، إلا قليلاً مما تحفظونه وتصونونه لكل من الطعام والزراعة.

ثم بعد سني القحط والجدب السبع العصيبة تلك، يأتي عام رخاء كثير الخير، غزير النعم يغاث الناس فيه بوفرة الماء، وازدهار الزراعة، والبركة في المحاصيل حتى تفيض عن حاجة الطعام المباشر فيعصرون ما يقبل الاعتصار منه شراباً كالأعناب، وزيتاً كالزيتون، والسمسم وغيرها. وعام الرخاء الخامس عشر

هذا لم ترد له إشارة في رؤيا ملك مصر، فلا بد وأن يكون مصدره وحي السماء الذي منَّ الله ـ تعالى ـ به على عبده ونبيه يوسف عليه السلام فبشر به موفد الملك ليبشره وشعب مصر بالخلاص من سنوات الجدب السبع العجاف، وبالسنبلات السبع اليابسات.

وإشارة القرآن الكريم إلى واقعة تاريخية أصابت أرض مصر من قبل اثني عشر قرناً من بعثة المصطفى ﷺ، وبهذه الدقة البالغة التي أيدتها الدراسات الأثرية، وجاء ذكرها في «العهد القديم» مما يشهد لتلك الآيات (47 ـ 49) من سورة «يوسف» عليه السلام بأنها وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. ويتضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز في كتاب الله بشكل أوضح إذا ما قورنت الآيات تلك بما جاء عن نفس الواقعة في «سفر التكوين»، وهو أول أسفار «العهد القديم». فقد جاء في «سفر التكوين» إشارة إلى تفسير يوسف لرؤيا ملك مصر تحت العنوان: «يوسف يفسر أحلام فرعون» جاء فيه ما يلي: فقال يوسف لفرعون: «حلما فرعون هما حلم واحد، وقد أطلع الله فرعون عما هو فاعل. السبع البقرات الحسان هي سبع سنوات، والسبع السنابل الزاهيات هي أيضاً سبع سنوات. فالحلمان هما حلم واحد. والسبع البقرات القبيحات الهزيلات التي صعدت وراءها هي سبع سنوات. والسبع السنابل الفارغات الملفوحات بالريح الشرقية ستكون سبع سنوات جوع، والأمر هو كما أخبرت به فرعون: فقد أطلع الله فرعون عما هو صانع هو ذا: سبع سنين رخاء عظيم قادمة على كل أرض مصر، تعقبها سبع سنوات جوع حتى ينسى الناس كل الرخاء الذي عمّ أرض مصر، ويتلف الجوع الأرض، ويختفي كل أثر للرخاء في البلاد من جراء المجاعة التي تعقبه، لأنها ستكون قاسية جداً، أما تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر قد حتمه الله، ولا بد أن يجريه سريعاً».

والتشابه بين النصين يؤكد حقيقة الواقعة، ويشهد للآيات القرآنية الكريمة (47

ـ 49 من سورة يوسف) بالإعجاز الإنبائي والتاريخي، ويبقى الفارق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ويمكن تلخيص الفارق بين النص القرآني ورواية «سفر التكوين» في النقاط التالية:

1 ـ روعة البيان القرآني في إيجاز وشمول معجزين في مقابلة ركاكة أسلوب «سفر التكوين» في تكرار مخل وأخطاء لغوية وتاريخية عديدة.

2 ـ استخدام القرآن الكريم لتعبير (رؤيا) واستخدام سفر التكوين تعبير (حلم)، و(الرؤى) هي حالة استشفاف تتجاوز حاجزَي المكان والزمان معاً، فتحمل نبوءات عن المستقبل القريب أو البعيد كما حدث في رؤى كل من يوسف عليه السلام ورؤى صاحبيه في السجن، ورؤيا ملك مصر. أما (الأحلام) فهي صور من الرغبات المكبوتة تظهر للنائم في حالة من حالات عدم الوعي، ولا علاقة لها بالتنبؤ المستقبلي في المكان أو الزمان، أو فيهما معاً.

3 ـ استخدام القرآن الكريم وصف حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام بلقب «الملك» الذي جاء خمس مرات في سورة «يوسف»، واستخدام سفر التكوين لقب «الفرعون» الذي جاء عشرات المرات في سرده لقصة يوسف، والتاريخ يؤكد أنه عليه السلام سكن مصر في زمن ملوك البدو الرعاة الذين عرفوا باسم «الهكسوس» أو «شاسو» والذين لم يستخدموا لقب «فرعون» على الإطلاق، وكانوا يستخدمون لغة قريبة من اللغة العربية كان الساميون يفهمونها.

4 ـ يسجل القرآن الكريم أن تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا ملك مصر كان لكبير سقاة الملك، الذي نقل تعبير الرؤيا للملك، ولم يكن ذلك التعبير من يوسف للملك مباشرة، ويقول «سفر التكوين» أن الكلام كان مباشرة من يوسف إلى الفرعون، وكرر ذلك أكثر من مرة.

5 ـ يسجل القرآن الكريم أن رؤيا ملك مصر كانت واحدة، بينما يذكر سفر

التكوين حلمان لفرعون جعلهما حلماً واحداً، وذكر أن التكرار كان للجزم، والحتم، والتوكيد.

6 ـ ركاكة أسلوب «سفر التكوين» توحي بمضاعفة كل من سنوات الرخاء وسنوات القحط إلى ضعف أعدادها أي: إلى أربعة عشر سنة بدلاً من كونها سبع سنوات فقط لكل من حالتي الرخاء والشدة.

7 ـ لم يذكر سفر التكوين شيئاً عن العام الذي يغاث الناس فيه ويعصرون، كما جاء وصفه في القرآن الكريم.

وهذه الفوارق تنفي الدعوى الباطلة بأن القصص القرآني منقول عن نظيره في «العهد القديم»، كما تؤكد الدقة الفائقة للرواية القرآنية عن تفسير عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليهما السلام لرؤيا ملك مصر، بل وتؤكد قصة يوسف كاملة كما جاءت في كتاب الله. وأغلب الظن أن الكتّاب المتأخرين «لسفر التكوين» قد نقحوا القصة المنقولة عندهم شفاها عبر ثمانية قرون أو يزيد؛ مستفيدين بما جاء عنها في القرآن الكريم، وليس العكس.

جاءت الآية الكريمة التي نحن بصددها إلهاماً من الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام لكي ينصح ملك مصر بخزن المحاصيل الزراعية كالقمح والشعير، والأرز، والشوفان في سنابلها، وقد أثبتت التجربة أنه أفضل نظام لحفظ تلك المحاصيل مهما طالت مدة ذلك الحفظ. وقد طبق يوسف عليه السلام هذه الطريقة لحفظ الغلال لمدة وصلت إلى خمس عشرة سنة دون أن تفسد، وبقيت طوال هذه المدة محافظة على قيمتها الغذائية كاملة، وعلى حيويتها، وقدرتها على الإنبات والنمو والإثمار.

ولقد قام الأستاذ الدكتور عبد المجيد بلعابد ـ من جامعة وجدة بالمغرب العربي ـ بتجربة عملية للتأكد من ذلك فترك حبوب القمح في سنابلها لمدة عامين تحت ظروف عادية لم يراعَ فيها أية شرط من شروط تخزين الحبوب، وجرد بعض الحبوب من سنابلها وتركها أيضاً تحت نفس الظروف ولنفس المدة الزمنية. ثم بدراسة هذين المخزونين من حبوب القمح لاحظ أن الحبوب في السنابل لم يطرأ

عليها أي تغيير، لا في محتواها من المواد الغذائية ولا في قدرتها على الإنبات، سوى فقدها لجزء من محتواها المائي مما جعلها أكثر جفافاً وأصلح للحفظ وللإنبات لأن وجود الماء يسهل من تعفن القمح، خاصةً وأن نسبة الماء في بذوره تصل إلى (20.3%).

في نفس الوقت لاحظ الباحث أن حبوب القمح التي جرِّدت من سنابلها فقدت (20%) من محتواها من المواد البروتينية بعد سنة من خزنها، وفقدت (32%) من هذا المحتوى بعد سنتين. كما لاحظ أنها فقدت نسبة كبيرة من قدرتها على الإنبات والنمو الإثمار. وبذلك ثبت بالتجربة أن أفضل طريقة لتخزين المحاصيل النباتية التي تنتج في سنابل هو حفظها في سنابلها التي خلقها الله - تعالى - فيها. وهذا هو من الوحي الذي أوحاه الله تعالى - إلى نبيه يوسف عليه السلام. ولا يزال القمح يخزن في أيامنا هذه مفروطاً من سنابله ومجمعاً فيما يعرف باسم «صوامع الغلال» مما يعرِّضه لفساد كبير عند خزنه لمدد طويلة، على الرغم من الاحتياطات الكثيرة التي تتخذ في صوامع ومخازن الغلال.

ويا ليت المسلمين يتعلمون من قصة سيدنا يوسف عليه السلام كيف يخزنون محاصيلهم من الحبوب في سنابلها حتى يحفظوها لأطول مدد ممكنة دون أن تفقد شيئاً من محتواها الغذائي أو من قدرتها على الإنبات.

49 ـ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: 100].

من معاني هذا النص القرآني الكريم أن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام حين دخل عليه أبوه النبي الكريم يعقوب بن إسحاق عليهما السلام وأبناؤه وأهلوهم بعد وصولهم إلى أرض مصر، فإن يوسف سارع بإجلاس أبويه على سرير الملك، ثم سجد له كل من أبيه، وزوجة أبيه وإخوته، سجود تحية وإكرام، لا سجود خضوع وعبادة، لأن العبادة لا تكون لغير الله ـ تعالى ـ. ولا بد أن هذا المعنى كان واضحاً عندهم جميعاً لأن كلاً من يوسف وأبيه كانا نبيين كريمين، ومن نسل نبيين كريمين هما ـ إسحاق وإبراهيم ـ عليهم جميعاً من الله السَّلام، فلا تغيب عنهم ضرورة إفراد الله ـ تعالى ـ وحده بالعبادة، وهم جميعاً قد حملوا لواء الدعوة إلى توحيد الله. وكان لقاء يوسف عليه السلام بأسرته بعد هذه الغيبة الطويلة عنهم موقفاً فريداً في حياته، وفي حياة أبويه وإخوته، بعد فراق دام لعدد طويل من السنين التي امتلأت بالأحداث الجسام، كما امتلأت بالابتلاءات والآلام، خاصة لكل من يوسف وأبيه عليهما السلام . وعلى ذلك فلا بد وأنه كان لقاءاً حافلاً بالعواطف والمشاعر والانفعالات الظاهرة والخفية، مما لا تقدر الكلمات على وصفه.

ووسط هذه المشاعر المتلاطمة، يتذكر يوسف عليه السلام الرؤيا التي رآها في صباه من قبل عشرات السنين، فيخفق قلبه، استشعاراً لنعم الله ـ تعالى ـ عليه، وهو يرى تأويل رؤياه أمراً واقعاً بين يديه، متمثلاً في سجود كل من إخوته ووالديه أمامه، فيتذكر الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر وقد رآهم له ساجدين فينطق بكلمة الحق التي سجلها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن

نَزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 100، 101].

وتنتقل الآيات بعد ذلك بتوجيه الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ مؤكدة وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام ولقد كانت في زمن الوحي من أنباء الغيب. فلم يكن رسول الله ﷺ ولا أحد من أهل مكة، ولا من أهل الجزيرة العربية، ولا من أهل الأرض جميعاً يتذكر شيئاً عن تفاصيل تلك القصة، على الرغم من أن اليهود كانوا قد احتفظوا برواية عنها من التراث الشعبي الذي اختلطت فيه الخرافة بشيء من الواقع. وظلت القصة تتناقلها أفواه اليهود لأكثر من ثمانية قرون قبل تدوينها، الذي ظل يتعرض للتنقيح والتطوير حتى اليوم الراهن. لذلك يتضح النقل عن القرآن الكريم في بعض فقرات رواية «سفر التكوين» كما سبق وأن أشرنا، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 102 ـ 111].

ويلتقي هذا الختام الرائع لسورة «يوسف» مع بدايتها التي يوجه فيها الحق

ـ تبارك وتعالى ـ الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: 1 ـ 3].

و(الٓر) من الحروف الهجائية المقطعة التي جاءت في مطلع ثمانية وعشرين من سور القرآن الكريم لتشهد لهذا الرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة، لأنه ﷺ كان أمياً، والأميّ لا يعرف أسماء الحروف العربية، وإن نطق بها. كما تشهد هذه المقطعات للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ، على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الناس أجمعين إلى أن يشاء الله ربّ العالمين ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: 1، 2] أي: أن هذه الأحرف من حروف الهجاء العربية، المعروفة للناطقين بها تنبني منها آيات القرآن الكريم. وقد عجز كل من الإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ على أن يأتوا بشيء من مثله. والقرآن الكريم أنزله الله ـ تعالى ـ كتاباً عربياً لعل العرب أن يعقلوه، فيقيمونه دستوراً لهم، ونظاماً شاملاً كاملاً لحياتهم، حتى يضربوا بتطبيقه الصحيح المثل لغيرهم من الأمم أن القرآن الكريم يصنع من البشر ـ أفراداً ومجتمعات ـ نماذج أفضل للبشرية، فيكون في ذلك دعوة عملية إلى الالتزام بدين الله الذي لا يرتضي من عباده ديناً سواه.

ومن معاني استخدام لفظة «العقل» هنا هو إدراك أن القرآن المعجز في كل أمر من أموره لا يمكن إلا أن يكون وحياً من لدن ربّ العالمين، لأن طاقات الثقلين مجتمعة لا تقوى على الإتيان بشيء من مثله. وأتبع ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ذلك بتوجيه الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ

ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: 3]. وذلك يؤكد أن قصص القرآن الكريم ـ ومنه قصة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليهما السلام يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، لأن البشر لا يملكون تلك التفاصيل الدقيقة عن القصص العديدة التي أوردها ذلك الكتاب العزيز.

ومن معاني قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أي: كنت أحد الأميين في قومك الذين لم يكن لهم إدراك بشيء من التفاصيل الدقيقة التي جمعها القصص القرآني حتى تبقى ـ إلى آخر الزمان ـ شاهدة له بأنه بيان من رب العالمين.

والتقاء مطلع سورة «يوسف» مع ختامها يؤكد أن القصة لم تكن متداولة في الوسط الذي نشأ فيه رسول الله ﷺ، وأن فيها من دقائق الأمور ما لم يعلمه إلا الذين عايشوها قبل أكثر من عشرين قرناً من بعثة الرسول الخاتم. من هنا لا يمكن أن يكون لرواية القرآن الكريم عن تلك التفاصيل الدقيقة من مصدر غير وحي السماء، لأنها كانت في ذلك الوقت من أمور الغيب الذي لا يعلمه أحد من معاصري الوحي بالقرآن الكريم.

وكان من أهداف الوحي القرآني بتفاصيل قصة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام ما يلي:

1 ـ التثبيت لرسول الله ﷺ في وقت الشدائد التي واجهها من كفار ومشركي قريش، خاصة بعد وفاة كل من زوجته الوفية أم المؤمنين السيدة خديجة وعمه أبو طالب، وبعد تخلي أهل الطائف عن مناصرته.

2 ـ الشهادة للقرآن الكريم بأنه كلام ربّ العالمين وإن قال قائل بأن «سفر التكوين» يحوي طرفاً من قصة يوسف عليه السلام، قلنا له إن هذا يؤكد صحة القصة وأصلها الواحد، وإن كان مجرد المقارنة بين سورة «يوسف» في القرآن الكريم، وما جاء عنها في «سفر التكوين» يوضح الفارق بين كلام الله

وتراث البشر. كما يوضح كيف نقل المتأخرون من كاتبي «العهد القديم» الكثير من رواياتهم عن القرآن الكريم. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن واقعة سجود والدي يوسف وإخوته له لم ترد أبداً في «العهد القديم»، ولكنهم استعاروها من القرآن الكريم، ووضعوها في أول القصة التي أوردوها تحت عنوان: «حلم يوسف وحسد إخوته» والتي جاء فيها ما يلي: «... ثم حلم حلماً آخر سرده على إخوته، قال: حلمت حلماً آخر إذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي، وقصه على أبيه وإخوته، فأنبه أبوه وقال: أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقاً أنني وأمك وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟ فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه».

والنقل عن القرآن واضح وضوح الشمس، وتأويل يعقوب للرؤيا في أول الأمر تزييف واضح للحقيقة المنقولة عن القرآن الكريم.

فمن الثابت تاريخاً أن الكنيسة الأمريكية أوفدت المستشرق والطبيب الأمريكي الجنسية، والهولندي الأصل، ڤان ديك [Van Dyck, c. (1818 ـ1895)]، والذي كان أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية في بيروت، وعمل أستاذاً بجامعتها الأمريكية من أجل ترجمة العهدين القديم والجديد إلى اللغة العربية. وقد اشترك معه في القيام بهذا العمل عدد من قيادات الكنيسة اللبنانية كان على رأسهم الأديب اللبناني فارس يوسف الشدياق أحد رواد الصحافة العربية الذين تميزوا بمقدرة كبيرة على إتقان اللغة العربية. وأثناء القيام بعملية الترجمة «للعهدين القديم والجديد» لاحظ الأستاذ الشدياق كثرة الأخذ من القرآن الكريم، والاعتماد عليه في تصحيح العديد من الوقائع والقصص في هذين العهدين. وبعد ختمه لقراءة القرآن الكريم أسلم وهاجر إلى تركيا وغير اسمه إلى أحمد فارس الشدياق (1804 ـ 1888م) رحمه الله رحمة واسعة (آمين).



تاسعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه شعيب عليه السلام

جاء ذكر شعيب عليه السلام في القرآن الكريم إحدى عشرة (11) مرة في أربع (4) من سور هذا الكتاب العزيز (هي «**الأعراف**»، «**هود**»، «**الشعراء**»، و«**العنكبوت**»). وجاء ذكر قومه ست (٦) مرات في ست من سور القرآن الكريم بوصف (**مدين**) أو (**أصحاب مدين**) أو (**أصحاب الأيكة**) وهي شجرة عبدوها من دون الله. و(الأيكة) في الأصل هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وجاء ذلك في كل من سورة «**التوبة**»، «**طه**»، «**الحج**»، «**الشعراء**»، «**صٓ**»، «**قٓ**». ومن هذه الآيات ما يلي:

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

[الأعراف: 85 ـ 93].

ومنها قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: 84 ـ 95].

ومنها قوله ـ تعالى ـ:

- ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: 176 ـ 191].

وقوله تعالى:

ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت: 36، 37].

ومن هذه الآيات القرآنيّة الكريمة يتَّضح أنَّ كلًّا من الأفراد والأمم يشقى شقاءً مرهقاً إذا فقد الفهم الصحيح لرسالته في هذه الحياة. وهذه الرسالة مضمونها أن يعيش الفرد من بني آدم: عبداً للَّه، خلقه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لرسالة محددة ذات وجهين: **أوَّلهما**: الإيمان باللَّه الخالق البارئ المصور وعبادته بما أمر، **وثانيهما**: حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها. والإنسان إذا لم يفهم هذه الرسالة، أو إذا فهمها ثم أغوته شياطين الإنس والجن بالخروج عليها فإنَّه يشقى في هذه الأرض ويُشْقِي غيره، ويكثر من الإفساد فيها حتى يأتي أمر الله بتدميره، واسترجاع نفسه، ليحاسبه أدقّ الحساب، وقد خسر الدنيا والآخرة.

وعلى الرَّغم من تكرار هذا الدرس عبر تاريخ البشرية الطويل فإنَّ قوم شعيب ـ كغيرهم من الأُمم الضالة الفاسدة ـ لم يعتبروا به!! فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيه شعيباً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وإلى تنزيهه تعالى عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وإلى الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه. وذلك لأنَّ من هذه العقيدة الصحيحة تنبثق قواعد العبادة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، وضوابط المعاملات العادلة، وكلّها لا تستقيم إلّا

باستقامة العقيدة. وأهل مدين ـ كغيرهم من الأُمم الضالة ـ لم يفسدوا إلّا بفساد عقيدتهم. من هنا بدأ شعيب عليه السلام بدعوتهم إلى تصحيح عقيدتهم في الله، وإلى إفراده تبارك وتعالى بالألوهيّة، وإلى الدينونة له وحده. واستصحب شعيب في دعوته لقومه تذكيرهم بنعم الله ـ تعالى ـ عليهم، وتحذيرهم من عقاب الأُمم الضالة المشركة والمفسدة في الأرض من قبلهم. كذلك طالبهم شعيب بعدم محاولة فتنة المؤمنين عن دينهم، وذلك لأنَّهم لم يكتفوا بكفرهم وإفسادهم هم، بل كانوا يجلسون على الطرقات ليصدّوا كلّ مَن قصد شعيباً ليعلن إيمانه بما جاء به، بدعوى أنَّه كاذب مسحور، فإن لم يستجب هؤلاء لهم كانوا يتهدّدونهم بالقتل أو يخيفونهم بمعاقبتهم بالإبعاد عن أرضهم. فحتى مجرّد التعايش مع أهل الإيمان رفضه الكفار من قوم شعيب. فقد كانوا طواغيت، لا يرضيهم أن يكون للإيمان وجود على سطح الأرض، لأنَّ أهل الباطل لا يمكنهم التعايش مع أهل الحق أبداً. وعند هذه النقطة من تحدي أهل الباطل لأهل الحق راحوا يطالبون نبيهم بأن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين، ويتحدونه بإنزال غير ذلك من صور عذاب الله الذي تهددهم بنزوله. فدعا شعيب ربه أن يهلك الكافرين من قومه الذين هدّدوه بالإخراج من أرضه إذا لم يرتد عن دينه، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه أن يخرج مع الذين آمنوا بدعوته من هذه القرية الظالم أهلها. خرج شعيب والذين آمنوا معه، وجاء أمر الله بإنزال عقابه الذي قضى على الظالمين من أهل مدين (أصحاب الأيكة) وجعلهم عبرة للذين جاؤوا من خلفهم إلى يوم الدين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: 94].

ويقال إن عبد الله ونبيه شعيباً كان من نسل إبراهيم عليه السلام، وأن الله ـ تعالى ـ بعثه إلى «أهل مدين» الذين كانوا يقطنون المنطقة المحصورة بين نهاية خليج العقبة والطرف الشمالي من البحر الأحمر.

وكان «أهل مدين» عرباً مسلمين موحدين على ملّة إبراهيم عليه السلام، وكانوا أصحاب

زراعة وافرة الثمار، وتجارة واسعة الانتشار، وعاشوا في رغد من الحياة كان يغبطهم عليها الكثيرون من جيرانهم. ثم اغتالت الشياطين بعض أجيالهم، فأخرجتهم من التوحيد إلى الشرك، ومن عبادة الله ـ تعالى ـ وحده إلى عبادة الأيكة، ومن الاستقامة في السلوك والمعاملات إلى الانحراف في كل شيء. ونتيجة لذلك تفشت المنكرات في أهل مدين وشاعت بينهم المظالم العديدة التي كان منها الغش في التجارة والصنعة، والإفساد في الأرض حتى قطعوا الطريق وأخذوا المكوس والعشور، وروّعوا المارة، وأخافوهم، وطففوا المكيال، والميزان، وبخسوا الناس حقوقهم، فاستزادوا في الأخذ، وأنقصوا في العطاء. ولما تفاقم السوء في أهل مدين بعث الله ـ تعالى ـ إليهم عبده ونبيه شعيباً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وإلى تنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وأمرهم بالعدل بين الناس، ونهاهم عن الظلم، وتوعدهم على خلاف ذلك، كما دعاهم إلى ترك السلوكيات الهابطة (التي كانوا قد غرقوا فيها إلى الآذان) وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، والاستعداد ليوم الحساب، فما آمن معه إلّا قليل.

وحذّر النبيّ شعيباً قومه من مصائر العصاة والجاحدين من الكفار والمشركين من أبناء الأمم السابقة عليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: 89].

ومعنى ذلك أنَّ قوم شعيب كانوا قريبي عهد بقوم لوط زماناً ومكاناً، ولا بدَّ وأنّه قد بلغهم ما حلَّ بقوم لوط من العذاب الذي دمرهم تدميراً.

ثم مزج شعيب عليه السلام هذا التهديد والوعيد بالترغيب والتحبيب في طاعة ربّ العالمين، وفي ذلك قال القرآن الكريم على لسانه ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: 90].

وعلى الرَّغم من ذلك استمر الغلاة من قوم شعيب في كفرهم وعنادهم وتطاولهم على الحق، فكذبوا نبيّهم وسخروا منه، واتهموه بالسحر والكذب،

وهددوه بالرجم وبالإخراج من أرضهم. وفي تحدٍ واضح سألوه إنزال العذاب الذي تهددهم بوقوعه حتى أنزل الله ـ تعالى ـ بهم كلا من **الرجفة**، و**الصيحة**، و**عذاب يوم الظلة** (وهي صيحة جاءتهم في غمامة) فمحقتهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: 90 ـ 93].

وفي مقام ثالث يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: 78، 79].

ففي سورة «الأعراف» أكَّد القرآن الكريم أنَّ الكافرين من قوم شعيب (**أخذتهم الرجفة**) أي الزلزلة الشديدة ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

وفي سورة «هود» أشار القرآن الكريم أنَّهم **عوقبوا بالصيحة** ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

وفي «سورة الشعراء» جاء تأكيد القرآن الكريم **أنَّهم أهلكوا بعذاب (يوم الظلة)** لما تطاولوا على نبيّهم وطالبوه ـ في سخرية واضحة ـ أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين. و(الظلة) هي سحابة أظلت عدداً من كفار أهل مدين يوماً فوجدوا لها ظلاً بارداً بعد أن سلَّط الله ـ تعالى ـ عليهم الحرّ أياماً، فاجتمع منهم تحتها من اجتمع، ثم ألهبها الله عليهم ناراً فأحرقتهم. ومَن بقي منهم في بيوتهم فقد أصابتهم الصيحة التي أصمت آذانهم، ثم الرجفة (أي الزلزلة) التي قضت عليهم فأصبحوا في دارهم جاثمين، أي: قضت على كل كافر منهم وهو جاثم على وجهه في مكانه، وتركتهم بلا حياة ولا حراك، عبرة للمعتبرين وهذا هو جزاء الظالمين. ووسط هذه الكوارث الشديدة نجّى الله عبده ونبيه شعيباً والذين آمنوا معه.

وبعد ذلك وقف شعيب على أطلال مدين ينعي الكافرين الهالكين من قومه،

وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: 93].

وجه الإعجاز التاريخي في ذكر عبد الله ونبيه شعيباً في القرآن الكريم:

يذكر المفسرون أنَّ نبيّ الله شعيباً عاش في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، وأنَّه عاش في **منطقة «مدين»**، في زاوية التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر حيث لا يزال يوجد بئر باسم «بئر شعيب». ويوجد في الأردن قرية باسم «وادي شعيب» تقع في محافظة البلقاء على مسافة أقل من أربعة كيلومترات إلى الجنوب من مدينة السلط في الطريق المتجهة إلى البحر الميت. كذلك تعرف أعلى قمة في جبال السراة باسم «جبل شعيب»، وهي قمة تصل إلى (٣٧٦٠م) فوق مستوى سطح البحر، وتقع في أرض اليمن إلى الشرق من مدينة صنعاء، ولقد عرفت هذه القمة من قبل باسم «حضور النبيّ شعيب».

والعرب في زمن الجاهلية لم يكونوا أُمّة علم وتدوين، وكانت قصة (قوم مدين) قد اندثرت من ذاكرتهم، وطوتها الأيام، خاصة وأنَّ رسول الله ﷺ كان قد بعث بعد القضاء على قوم مدين بأكثر من ألفي سنة، وأنَّ شعيباً عليه السلام لم يرد له ذكر في كتب الأولين بهذا التفصيل القرآني، وإن كان ذكره قد جاء في «العهد القديم» باسم يترو (Jethro). فمن أين للنبيّ محمَّد ﷺ بهذه التفاصيل التي جاءت في عشرات الآيات في عشر من سور القرآن الكريم إن لم يكن موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض!؟ ومن هنا فإن قصة عبد الله ونبيّه شعيباً في القرآن الكريم تعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة النبي شعيب عليه السلام:

1 ـ التأكيد على أن الدين كما يهتم بقضايا العقيدة والعبادة، فإنه يعظِّم قضايا الأخلاق والمعاملات، ولذلك فإن شعيباً الذي جاء ليخرج قومه من الشرك

إلى التوحيد، ومن عبادة الأيكة إلى عبادة اللَّه الواحد القهّار، أتبع ذلك مباشرة بضوابط المعاملات في كل من المكيال، والميزان، وإعطاء كل ذي حق حقه، والإصلاح في الأرض، وعدم الصد عن سبيل اللَّه، وهذه القيم العليا وصفها القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: 85 ـ 86].

وأكّد القرآن الكريم على ضرورة الالتزام بهذه القيم العليا في المعاملات بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: 84 ـ 86].

و(العثو) هو تعمد الإفساد والقصد إليه، وقوله تعالى: ﴿...وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي فلا تفسدوا في الأرض قاصدين متعمدين، و(بقية اللَّه خير لكم) أي ما عند اللَّه خير لكم (إن كنتم مؤمنين).

2 ـ إثبات أن رسالة الأنبياء هي التبليغ عن اللَّه ـ تعالى ـ دون إكراه أو إجبار، ولذلك قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

3 ـ إن توحيد الخالق سبحانه وتعالى وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله كانت رسالة جميع أنبياء اللَّه ورسله ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

50 ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: 85].

هذا النص القرآني الكريم يسجل حقيقة نبي من أنبياء الله اسمه شعيب، بعثه الله ـ تعالى ـ إلى «أهل مدين»، وهم «**أصحاب الأيكة**»، كانوا عرباً سكنوا الأطراف الشمالية الغربية من أرض الحجاز، في المثلث المتكون عند التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر على هيئة كتلة صخرية كبيرة تعرف في «علوم الأرض» باسم «**كتلة مدين**».

وأهل «مدين» كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وهو الإسلام العظيم المعروف بالحنيفية السمحة، ويقال أنهم من نسل مدين بن إبراهيم عليه السلام، ولكن بمرور الزمن نسى نسلهم الدين، واجتالتهم الشياطين، فضلوا وأضلوا، وفسدوا وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. وكان من ضلالهم عبادة شجرة من «الأيك» وسط غيضة ملتفة بها، ولذلك عرفوا باسم «**أصحاب الأيكة**». وكان من إفسادهم في الأرض أنَّهم كانوا يبخسون المكيال ويطففون الميزان، كما كانوا يقطعون الطريق على المسافرين، ويأخذون الإتاوات والعشور من المارة، وكانوا أول من سَنَّ ذلك. بعث الله تعالى إليهم نبيّه شعيباً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وينهاهم عن الشرك باللّه، وعن أعمالهم الفاضحة وسلوكياتهم الخاطئة. وذكّرهم بنعم الله ـ تعالى ـ عليهم بأن كثَّرهم من بعد قلة، وأغناهم من بعد فقر. ونصحهم النبي شعيب عليه السلام بأنَّ القناعة بالرزق الذي قسمه الله ـ تعالى ـ لهم هي أفضل من أكل أموال الناس بالباطل، وأنَّ ما يبقى لهم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير من تطفيفهما، وأنَّ دين الله الذي أنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله، وجاءهم به نبيّهم شعيب هو خير لهم من معتقداتهم الفاسدة. ولكنهم لم يستمعوا لنصحه، بل سخروا منه، وهدّدوه ومن آمن معه بالطرد من قريتهم إن لم يعودوا إلى شركهم

وفسادهم. وعقاباً لهم على ذلك أنزل الله ـ تعالى ـ بهم رجفة قضت على أغلبهم وهم في بيوتهم، ونجى الله ـ تعالى ـ شعيباً والذين آمنوا معه من قومه، وكانوا قلة قليلة وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: 85 ـ 93].

وجاء ذكر عبد الله ونبيه شعيباً وذكر قومه في خمسين آية من آيات القرآن الكريم منها الآيات السابقة (85 ـ 94) من سورة «الأعراف» ومنها الآيات (84 ـ 95) من سورة «هود» والآيتان (78، 79) من سورة «الحجر»، والآيات (176 ـ 191) من سورة «الشعراء»، والآيتان (36، 37) من سورة «العنكبوت» بالإضافة إلى ثلاث آيات في سورة «القصص»، وآية واحدة في كل من السور «طه، «الحج»، «صّ»، «قّ».

وفي هذه الآيات أكّد القرآن الكريم على انحراف أصحاب الأيكة إلى الشرك

باللّه، فدعاهم شعيب إلى التوحيد الخالص، واستنكر شيوع تطفيف الكيل والميزان في مجتمعهم على الرغم ممَّا كانوا فيه من سعة في الرزق، فدعاهم إلى الرجوع عن ذلك. وهدّدهم شعيب بعذاب يوم القيامة نظراً لشركهم، وإفسادهم في الأرض، وذكَّرهم بمصائر أشباههم من مشركي الأمم السابقة عليهم من مثل أقوام كل من نوح، وهود، وصالح، ولوط مضيفاً: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ أي: أن قوم لوط لم يكونوا بعيدين عن قوم شعيب في أي من الزمان أو المكان. وحذّرهم نبيهم من مغبة الخروج على أوامر الله، وأمرهم بضرورة استغفار الله والتوبة إليه وهو ـ تعالى ـ الرحيم الودود، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب.

وفي مقابل هذه النصائح الغالية هدّده قومه بالرجم لولا عشيرته الأقربين، فأنذرهم شعيب بنزول عذاب الله، فأخذتهم الصيحة: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي موتى هامدين لا حراك بهم. ولذلك قال ـ تعالى ـ في سورة «الحجر»: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

[الحجر: 78، 79].

والتثنية بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ في ختام هذه الآية الكريمة تشمل كلًّا من أصحاب الأيكة وقوم لوط، لتقاربهما في الزمان والمكان كما سبق وأن أشرنا.

وانطلاقاً من هذه الآيات القرآنية الكريمة ندرك أنَّ عقاب الكافرين من أصحاب الأيكة كان **رجفة** (جاءت في سورة «الأعراف»)، و**صيحة** (جاءت في سورة «هود»)، و**ظلة** (جاءت في سورة «الشعراء») فاجتمعت عليهم هذه النقم الثلاث في لحظة واحدة، وجاءت كل واحدة منها في السياق الذي يناسبها. فلمَّا كان تهديد كفار أهل مدين للنبيّ شعيب والذين آمنوا معه في سورة «الأعراف» بالإخراج من قريتهم جاء ذكر الرجفة، ولمَّا كان تهديدهم في سورة «هود» بالرجم بالحجارة جاء ذكر الصيحة، ولمَّا كان تحديهم في سورة «الشعراء» بقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ عوقبوا بعذاب «يوم الظلة»،

وهي ثلاثة صور من التعذيب اجتمعت عليهم: رجفة، وصيحة، وظلة، توالت عليهم فأصبحوا في ديارهم جثثاً هامدة لا حراك فيها. ومن بين هذه الكوارث المتلاحقة بأهل مدين نجّى الله ـ تعالى ـ نبيّه شعيباً والذين آمنوا معه. ولا تزال في قلب «كتلة مدين» الصخرية قرية تسمى (البدع)، بها بئر يطلق عليها اسم **(بئر نبيّ** الله شعيب)، وهذه البئر بقيت علامة تاريخية تشهد بصدق كل ما جاء في كتاب الله من حديث عن نبي الله شعيب وقومه.

هذا التفصيل عن النبي شعيب وقومه (أصحاب الأيكة) أو (أهل مدين) والذي جاء في (50) آية قرآنية كريمة، جاء فيها ذكر نبيّهم شعيب (11) مرة، ومدين (10) مرات، وأصحاب الأيكة (4) مرات، كل ذلك أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيّ أميّ ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأُمِّيين وهو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يثبت في سيرته الشريفة أنَّه وصل إلى منطقة مدين أبداً، وأنَّ قصة شعيب مع قومه كانت قبل بعثة المصطفى ﷺ بقرابة ألفي عام (من 1244ق.م ـ 610م) فمن أين له هذه التفاصيل إن لم تكن وحياً من ربّ العالمين؟ خاصة وأنَّ العرب لم يكونوا أمة تدوين في زمانه ولا من قبل زمانه!!.

وإن قيل أنَّه سمع ذلك من أهل الكتاب رددنا عليهم بأن ذكر النبي شعيب لم يرد في «العهد القديم» كله إلَّا مرتين فقط في ثنايا قصة موسى عليه السلام، مرة باسم «رعوئيل» (Reuel) كاهن مدين (سفر الخروج 2/ 16 ـ 22) وأخرى باسم يثرون (Jethro) كاهن مديان (سفر الخروج 3/ 1).

من هنا كان في إيراد قصة عبد الله ونبيه شعيباً عليه السلام في القرآن الكريم، وفي وصف أحوال قومه، ونعتهم بأصحاب مدين أو أصحاب الأيكة، كان في ذلك كله إعجازاً تاريخياً يشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وذلك لأنَّ المؤرخين لا يعرفون شيئاً عن النبيّ شعيب عليه السلام، والكتب المتوافرة لدى أهل الكتاب لا تعرف عنه سوى أنَّه كان كاهناً لأهل مدين، لجأ إليه موسى عليه السلام وتزوج من إحدى بناته السبعة، بينما يسجل القرآن الكريم أنَّهما كانتا ابنتين فقط. من هذا

الاستعراض يتضح لكل ذي بصيرة أنه لولا ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه شعيباً، وذكر قومه، ما كان أمام الناس من وسيلة للتعرف على هذا النبي الصالح، ولا على هذه الأمة من الأمم، ولا على ما أصابها من صنوف العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهنا يتضح فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب، وفضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات، وفضل النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ على غيره من أنبياء الله وقد تعهد الله تعالى بحفظ الوحي الذي أنزله عليه، بينما ضاعت كل صور الوحي السابقة على كثرتها. ومن هنا أيضاً يثبت وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

[الأنبياء: 83 ـ 84]

عاشراً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام

يذكر أن عبد الله ونبيه أيوب كان من نسل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكانت أُمه من ذرية لوط عليه السلام، وعاش في زمن يعقوب عليه السلام، وورد أنَّه تزوّج إحدى بناته، وعاش ومات في البثينة من أرض الشام. كان أيوب عبداً صالحاً، اختصه الله ـ تعالى ـ بالنبوة، وبالرزق الواسع، فكان برًّا رحيماً، يكفل اليتامى والأرامل، ويحمل المقطوعين، ويقوم بالإصلاح بين الناس. وكان ـ كجميع أنبياء الله ورسله ـ على الإسلام القائم على التوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ وعبادته بما أمر، كما كان كثير المال والأولاد، وكان عبداً شكوراً لربه، كريماً مع قومه، عطوفاً على الفقراء والمساكين، وعوناً للمحتاجين (فعليه من الله السلام).

وقد جاء ذكر عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام في القرآن الكريم في أربعة مواضع على النحو التالي:

1 ـ ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: 163].

2 ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ [الأنعام: 84].

3 ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: 83، 84].

4 ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [صٓ: 41 ـ 44].

وقد امتحن الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه أيوب عليه السلام في ماله، وأهله، وعافيته، فصبر صبراً جميلاً، واحتسب احتساباً طويلاً. وكان بلاؤه مما يعجز الصابرون عند حمله، فقد اعتلّت صحته حتى ابتعد الناس عنه، وذهب ماله حتى أصبح في فقر شديد، ومات جميع أولاده حتى لم يبقَ له أحد يقوم على أمره إلا زوجته. وعلى الرغم من كل هذه الابتلاءات ظلّ أيوب صابراً محتسباً، وظلت زوجته الصالحة وفية له، قائمة على خدمته ورعايته، اعترافاً بقديم إحسانه إليها وشفقته عليها. واستمر الحال كذلك بها حتى ضعف حالها، وقلّ مالها، وهي صابرة على مرض زوجها، وعلى ذهاب ماله وأولاده عنها، محتسبة ذلك عند ربها، حتى نفد صبرها، وضاقت ذرعاً بحالها. ولما تبين لأيوب شيئاً من تبرمها توعدها بعقاب منه إذا شفاه الله. ألحَّ أيوب على الله بالدُّعاء طالباً الشفاء حتى استجاب له ربّه، وكشف عنه ضره، وردَّ إليه عافيته، وماله، وولده الذين كان قد فقدهم جميعاً بعد مرضه، وأعطاه الله ـ تعالى ـ مثلهم معهم، وأثنى عليه ثناءً جميلاً في محكم كتابه.

ورخص الله ـ تعالى ـ لعبده أيوب في التحلل من يمينه الذي كان قد أقسمه ليضربن امرأته بعدد من السياط، فأوحى إليه أن يأخذ قبضة من القش (بعدد السياط التي أقسم عليها) ويضربها بها جميعاً ضربة واحدة، وفاءً لقسمه، ورحمة بها. ويذكر أنَّ أيوب عليه السلام توفي في البثينة من أرض الشام، ويقال أنَّ قبره ظاهر بها.

ويأتي ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه أيوب عليه السلام وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، خاصة وأن كلًّا من اليهود والنصارى مختلفون في حقيقة شخصه، فمنهم من أنكر وجوده ونفى قصته بالكامل، واعتبرها ضرباً من

الخيال، ومنهم من أثبت وجوده، واختلف في زمانه ومكانه، ولذلك اختلفوا في اسم الذي قام بكتابة «سفر أيوب» في «العهد القديم».

أولاً: ذكر أيوب عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام في كل من سورة «النساء» (163)، سورة «الأنعام» (84)، سورة «الأنبياء» (83، 84)، وسورة «صَ» (41 ـ 44) كما سبق وأن أشرنا. وجاء في سورة «صَ» قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي: اضرب الأرض برجلك، وبامتثاله لما أمره الله به نبعت بقدرة الله ـ تعالى ـ عين من الماء البارد، وأُمِرَ أن يغتسل فيها، وأن يشرب منها فأذهب الله تعالى عنه كلّ ما كان بجسده من الأدواء الظاهرة والباطنة، وعاد سليماً معافًى كما كان قبل الابتلاء.

ثم وهبه الله ـ تعالى ـ أهله وماله مضاعفين ـ وكانا قد سلبا منه ـ وذلك لقوله ـ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [صَ: 43]. أي: وجمعنا شمله بأهله الذين كانوا قد تفرقوا عنه أثناء ابتلائه، وأيام محنته، أو الذين كانوا قد ماتوا فعوّضه الله تعالى عنهم وزاد عليهم مثلهم. وجعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ذلك رحمة منه بعبده أيوب جزاء صبره على البلاء، واحتسابه ذلك في سبيل الله. كما جعله عظة لأصحاب العقول السوية، ليدركوا أنَّ بعد العسر اليسر، وأنَّ بعد الشدة الفرج، جزاءً على صبر الصابرين واحتساب المحتسبين. وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجه أو أحداً من أهله عدداً من الضربات على خطأ كان قد ارتكبه، فحلّل الله ـ تعالى ـ له يمينه بأن يأخذ حزمة من القش، فيها العدد الذي أقسم أن يضرب به، فيضرب به ضربة واحدة، وفاءً بيمينه دون أن يصاب المضروب بألم يذكر. وقد منّ الله ـ تعالى ـ على عبده أيوب بهذه النِّعم جزاء صبره على البلاء، وتذكرة لكل من ابتلي في جسده أو ماله أو ولده كي يصبر ويحتسب، لأن الصبر من منازل المؤمنين باللّه، المتقين لجلاله كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ.

ثانياً: ذكر أيوب عليه السلام في السُنَّة النبويّة المطهّرة:

عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إن نبيّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلّا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين! قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول؟ غير أنَّ الله عز وجل يعلم أنَّي كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكر الله إلّا في حق»**.. وقال ﷺ: **«وكان أيوب يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع. فلما كان ذات يوم أبطأت امرأته عليه، فأوحي الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته امرأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك! هل رأيت نبيّ الله هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو»**[1].

وقال ﷺ عن نبيّ الله أيوب: **وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت عليه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق (أي الفضة) حتى فاض**[2].

وقصة النبي أيوب عليه السلام هي من نماذج الصبر على الابتلاء الذي يقدره الله - تعالى - على عبد من عباده فيصبر ويحتسب، ويكون له العطاء الوافر في الدنيا وله في الآخرة جزاء الصبر والاحتساب. وقد طال صبر أيوب على الابتلاء بغير تضرر ولا ضجر حتى لأصبح يضرب بصبره المثل، وأصبحت قصة صبر أيوب

(1) أخرجه الحاكم، حديث رقم (4115).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

على كل لسان. إلَّا أنَّ القصة قد شابهها من الإسرائيليات ما شابهها، حتى تم تشويهها بالكامل، وأصبحت ضرباً من القصص الشعبي. ويبقى الحق عن قصة هذا النبي هو ما جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سُنَّة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، كما عرضناه في الآيات القرآنية الكريمة التي تم الاستشهاد بها أعلاه، وفي الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه آنفاً. وخلاصة ذلك أنَّ أيوب عليه السلام كان عبداً من عباد الله الصالحين، وقد ابتلاه الله ـ تعالى ـ في عافيته وولده وماله فصبر صبراً جميلاً، وبقي واثقاً في ربه، راضياً بقضائه، محتسباً لابتلائه. ولكن الشيطان كان يوسوس لزوجته ولعدد من خلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له بأنَّ الله ـ تعالى ـ لو كان راضياً عن عبده أيوب ما ابتلاه هذا الابتلاء الذي طال لقرابة العشرين عاماً. وكان بعض هؤلاء الخلصاء يسرون إلى أيوب بذلك فتؤذيه أقوالهم في نفسه أشد ما يؤذيه المرض وغيره من صور الابتلاء، لأنَّه كان يعلم أن ذلك من وساوس الشيطان إلى البقية الباقية من خلصائه حتى ينصرفوا عنه.

ولما تكاثرت أحاديث خلصائه عليه، توجه أيوب عليه السلام إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان، ومن نفثه في آذان من بقي حوله من أهله وأصدقائه فقال: ﴿...أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ فاستجاب الله دعوته، وأدركه برحمته، فأنهى ابتلاءه، ورد عليه كلًّا من عافيته وأهله وماله.

وكان في ذلك تأكيد على رحمة الله وفضله على عباده الصالحين الذين يعرضهم لشيء من الابتلاء فيصبرون ويحتسبون رضاً بقضاء الله وقدره، ويقيناً بأنَّه الخير كل الخير. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**، وقال: **يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**»[1]. ولذلك عقب القرآن الكريم على قصة عبد الله ونبيه أيوب بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

(1) مسند أحمد حديث رقم (3250).

وذلك الإنعام من الله ـ تعالى ـ على عبده ونبيه أيوب كان جزاءً وافراً على صبره على البلاء الذي لم يُقْنِطه من رحمة ربه، ولم يوقفه عن حسن الالتجاء إلى الله ليكون في ذلك درساً لغيره من عباد الله الصالحين، وعبرة وعظة للمعتبرين.

وعلى النقيض من ذلك تماماً، فإن «العهد القديم» الذي أورد سفراً كاملاً باسم «سفر أيوب» يظهر هذا النبي الصابر ـ الذي ضرب المثل بصبره ـ يظهره في صورة المتبرم، الضَّجِر، المحتج على الله ـ تعالى ـ في أكثر من مقام، وهذا ليس من أخلاق الأنبياء أبداً (سفر أيوب 9/ 25 ـ 35؛ 10/ 1 ـ 22).

ثالثاً: ومضة الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

يذكر كل من علماء التفسير وتاريخ الأديان أنَّ أيوب عليه السلام كان من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وأنَّه كان عبداً صالحاً منَّ الله ـ تعالى ـ عليه بالعافية والأهل والمال، ثم ابتلاه بسلب ذلك كله منه. وعلى الرغم من ذلك فإن عبد الله ونبيه أيوب ظل محتسباً وصابراً ثمانية عشر عاماً حتى ردّ الله ـ تعالى ـ إليه كل ما كان قد سلب منه في فترة الابتلاء والاختبار. وعاد أيوب عليه السلام أصح عافية، وأغنى بالأهل والمال ممَّا كان عليه من قبل. بذلك جعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده أيوب مثلاً للصابرين المحتسبين، وعبرة للمعتبرين، وذلك لأن الابتلاء هو من سنن الحياة الدنيا، والصبر على الابتلاء كان ولا يزال من شيم أصحاب الدعوات، من عباد الله الصالحين، عبر التاريخ. لذلك جعل الله ـ تعالى ـ النصر مع الصبر، وجعل عاقبة الصابرين الفوز المبين في الدنيا قبل الآخرة، وما عند الله خير وأبقى. وبذلك الفهم يهون الابتلاء ـ مهما عظم ـ على كل قلب عامر بالإيمان بالله، مؤمن بقضائه وقدره، موقن بأنَّه الخير كل الخير، وأنَّ عاقبته الجزاء الأوفى في الدنيا قبل الآخرة، وإن بدا لأعين الناس غير ذلك. وهذا هو الدرس المستفاد من قصة أيوب عليه السلام في القرآن الكريم وهذا على عكس ما جاء عنه في «العهد القديم».

ويذكر علماء كل من التفسير وتاريخ الأديان أنَّ أيوب عليه السلام عاش في منتصف

الألفية الثانية قبل الميلاد (في حدود 1600 ـ 1500ق.م)، وأنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ بعث في أوائل القرن السابع الميلادي، وعلى ذلك فالفارق الزمني بين هذين النبيّين الكريمين يفوق الألفي عام. وبالإضافة إلى ذلك فإن خاتم النبيّين ﷺ كان أُمّياً لا يعرف القراءة والكتابة، حتى لا يتهمه أحد بأنّه نقل القصص القرآني عن كتب الأولين، وهو ﷺ ـ فوق ذلك كله ـ لم يزر أرض حوران، التي يقال إنها كانت بلاد أيوب عليه السلام. من هنا فإن الإشارة إلى قصة النبيّ أيوب عليه السلام في القرآن الكريم، تعتبر من المعجزات التاريخية في كتاب الله، وإن جاءت في الأصل مواساة لرسول الله ﷺ وللذين آمنوا معه في وقت ابتلائهم بمظالم مشركي وكفار قريش، وجاءت كذلك مواساة لكلٍّ داعية إلى دين الله يتعرض لظلم الطغاة المتجبرين من الحكام الظالمين في كل زمان ومكان إلى يوم الدين.

ولما لم يكن لأحد من أهل مكة إلمام بقصة أيوب عليه السلام في زمن الوحي، فإن هذه القصة تأتي ـ على عادة القرآن الكريم ـ بالدروس والعبر المستفادة منها، لا من قبيل السرد التاريخي المجرد، لأن القرآن الكريم هو ـ في الأصل ـ كتاب هداية، وليس كتاب تاريخ. ولكن بما أنّه كلام ربّ العالمين ـ في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية ـ فإن كل حرف، وكلمة، وآية، وسورة منه تأتي بالحق المبين في أي مجال تتعرض له، على تعدد مجالاته وتشعبها. وقصة عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام ـ كغيرها من قصص القرآن الكريم ـ تبرز كوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي التاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ، وحفظه على مدى أربعة عشر قرناً ويزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

فهرس الموضوعات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حادي عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصَّة النبيَّين الكريمين موسى وهارون عليهما السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه موسى في القرآن الكريم (136) مرَّة في (34) سورة، وجاء ذكر أخيه النبي هارون (20) مرَّة في (13) سورة من سور هذا الكتاب العزيز.

وهذان النبيَّان الكريمان وُلِدا في مصر في أوائل الألفيَّة الثانية قبل الميلاد (في حدود سنة 1264 ـ 1260ق.م) وكانا من نسل لاوي بن يعقوب أخو عبد الله ونبيه يوسف الصديق عليه السلام، وجاءا بعد وفاة هذا النَّبي بحوالي قرن من الزمان.

وكان حاكم مصر في هذه الفترة فرعوناً، كافراً، وكان طاغية جبّاراً في الأرض، ولكن زوجته (**السيّدة آسية بنت مزاحم**) كانت مؤمنة باللّه، كريمة الخلق، ضرب الله ـ تعالى ـ بها المثل في الإيمان فقال عزَّ من قائل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: 11].

وفي إحدى الليالي رأى فرعون مصر رؤيا أزعجته، وباستشارة كهنته فسَّروها بأنَّ مولوداً يُولد في بني إسرائيل يكون على يديه هلاك الفرعون، فأمر بقتل جميع الغلمان الذين يولدون في بني إسرائيل، مع ترك الإناث للخدمة لدى المصريين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: 49].

2 ـ ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [إبراهيم: 6].

3 - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: 4].

ونتيجة لتطبيق هذه السياسة الجائرة نقص عدد الأيدي العاملة من الذكور بشكل ملحوظ، فاشتكى أهل مصر للفرعون من ذلك فأمر بأن يكون ذبح الغلمان من بني إسرائيل عاماً بعد عام (أي صاروا يذبحونهم عاماً، ويتركونهم عاماً). وُلد هارون في سنة لا ذبح فيها لغلمان بني إسرائيل فكتب الله ـ تعالى ـ له النَّجاة، ثم وُلد أخوه موسى في السنة التي يذبحون فيها. احتارت أُمّ موسى ماذا تفعل به، فألهمها الله ﷻ أن تضع وليدها في صندوق وتضع الصندزق في النيل بعد ربطه بحبل إلى بيتها المتاخم لهذا النهر، وكانت أم موسى تسترجعه لبيتها كي ترضعه، ثم تردّه إلى النيل خشية من مفاجآت فرق التفتيش الفرعونيّة. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: 7].

ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن تنسى أُمّ موسى في يوم من الأيَّام شدّ وثاق صندوق رضيعها موسى إلى بيتها، أو أن تيَّار الماء اشتد فجأة فقطع هذا الوثاق وحمل الصندوق في النيل إلى نقطة تقع أمام بيت فرعون مصر، فالتقطه الخدم والحرَّاس، ونقلوه إلى داخل البيت. وعندما فتح الصندوق رأوا طفلاً رضيعاً فيه، فأدرك الفرعون أنه من بني إسرائيل، وأراد قتل الرضيع، ولكن زوجته ألحَّت عليه أن يستبقيه، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص: 8، 9].

وبهذا التدبير الإلٰهي رأينا فشل تدبير كلٍّ من فرعون ووزيره «هامان» وجنودهما الذين ذبحوا آلاف المواليد الذكور من بني إسرائيل، على أمل أن يكون الوليد الذي

يتوقَّعونه واحداً منهم، فإذا بهذا الوليد بين أيديهم، وهم لا يدركون حقيقته. وأنزل الله ـ تعالى ـ محبَّة هذا الرَّضيع في قلوبهم ـ رغم أُنوفهم ـ تحقيقاً لقوله ﷻ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: 38، 39].

جاع الطفل، وبدأ في البكاء، فأرسلت زوجة الفرعون مَن أحضر عدداً من المُرضعات لإرضاعه، ولكن الله ـ تعالى ـ حَرَّمهنَّ جميعا عليه، فلم يقبل الرضاعة من أيٍّ منهنَّ. وفجأة دخلت أخت موسى إلى القصر، وعرضت إحضار مَن ترضعه لهم، وقبلوا ذلك منها دون أن يدركوا هويتها. ذهبت أخت موسى إلى بيتها لتحضر أُمّها إلى قصر الفرعون، وعندما وصلت الأم حاولت إرضاع ابنها فأقبل عليها ورضع منها، فأعطوها إيّاه ترضعه حتى الفطام ثم تردّه إليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: 10 ـ 13].

بعد فطام الطفل رُدَّ إلى بيت فرعون الذي اتَّخذه ولداً فسُمي باسم **(ابن فرعون)**، وتربَّى موسى هنالك حتى بلغ أشده، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: 14].

وذات يوم دخل الشاب موسى إلى مدينة **منف (ميت رهينة ـ مركز البدرشين ـ محافظة الجيزة)**، وكانت عاصمة مصر في ذلك الوقت، فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من العبرانيين والآخر مصري، فاستنجد به العبراني، فوكز موسى الشاب المصري فقتله، ثم استغفر ربه لأنَّه ما كان يقصد قتله.

وفي اليوم التالي دخل موسى إلى نفس المدينة (منف) فإذ بالذي استنصره بالأمس يستنجد به مرَّة أخرى على رجل مصري آخر، فصاح موسى عليه موبِّخاً

إياه، وقائلاً له: (إنَّك لغوي مبين) فتملَّك الذعر السامري حين أقدم موسى لفك الاشتباك بينه وبين المصري ظانًّا أنَّ موسى قد قدِم لضربه هو، فصاح السامري قائلاً: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19].

وقد يكون الذي قال ذلك هو المصري الذي ربَّما كان قد وصله خبر معركة الأمس؛ واللَّه ـ تعالى ـ أعلم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 15 ـ 19].

حزقيل (مؤمن آل فرعون) يظهر على الساحة:

وذاع الخبر بين النَّاس، فأخذوا في البحث عن موسى لقتله جزاء جريمته، فجاءه رجل يقال أنَّه **حزقيل (مؤمن آل فرعون)** ونصح موسى بالخروج من المدينة لينجو بنفسه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 20، 21].

وقال ﷺ: «**سبَّاقو الأُمم ثلاثة لم يكفروا باللَّه طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجَّار صاحب يَّس، وعلي بن أبي طالب**»[1].

(1) تفسير الدر المنثور، (7/ 53).

الخروج الأوَّل لموسى من أرض مصر:

خرج موسى مهاجراً من مصر، هرباً من بطش فرعون وجنده، حتى وصل إلى «أرض مدين». وعند مائها وجد جماعة من الناس يسقون، ما عدا امرأتين تمنعان غنمهما من الاختلاط بغنم النَّاس، أو تمنعانها عن الماء، فتقدَّم منهما وسألهما عن شأنهما، ولماذا لا تسقيان كبقية النَّاس؟ فذكرتا أنَّهما ينتظران حتى يسقي الرعاة وينصرفون، لأنَّهما لا تريدان مزاحمة الرجال، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على سقيا غنمه.

فأسرع موسى لمساعدتهما، فسقى لهما، ثم التجأ إلى مكان ظليل يدعو الله ـ تعالى ـ أن يفرّج كربه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 23، 24].

فلمَّا رجعت الفتاتان إلى أبيهما ذكرتا أنَّ رجلاً صالحاً سقى لهما، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه إليَّ حتى أُوفيه أجره، فأتته تمشي على استحياء حتى وصلت إلى مكانه، وطلبت منه الحضور إلى أبيها الذي يدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهما.

ذهب عبد الله ونبيّه موسى مع ابنة عبد الله ونبيّه شعيباً إلى منزل الأخير، وعندما التقى الأب قصَّ عليه موسى قصَّته فهدَّأ من روعه، وأكَّد له أنَّه قد نجا من القوم الظالمين، فلا سلطان لهم على أرض مدين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: 25].

وحضَّت إحدى الابنتين أباها أن يتَّخذ من هذا الغريب أجيراً عنده يساعده

في أعماله، فهو قوي وأمين. استساغ الأب الفكرة وأراد تحصيناً لبيته أن يتَّخذ من موسى زوجاً لإحدى ابنتيه. وافق موسى على ذلك العرض، وتعاهدا عليه. فعرض الأمر عليه مقابل أن يخدمه ثماني سنوات، فإن أتمَّها عشراً فذلك كرم منه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: 27، 28].

وعندما أتمَّ موسى السنوات العشر في خدمة والد زوجته، استأذنه في العودة بأهله إلى مصر فأذن له بذلك.

موسى يتلقَّى كلام الله ويكلّف بالرسالة:

رحل موسى ومعه أهله من مدين قاصدين أرض مصر، وبعد أن جاوزوا العمران تاهوا في جنوب سيناء لعدَّة أيَّام. وفي ليلة مظلمة شديدة البرودة من ليالي هذا التيه خيَّم موسى إلى جانب الطور الأيمن، وأبصر على البعد ناراً تتأجَّج، فاستأذن أهله أن يذهب إلى حيث النار عساه أن يجد على ضوئها هداه، أو أن يأتيهم بجذوة منها تدفئهم. فلمَّا قصدها وجدها تضطرم في شجرة خضراء، وكلّما تأججت النار ازدادت الشجرة خضرة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ:

1 - ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ

فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: 9 ـ 23].

2 ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: 30 ـ 32].

وحمَّل الله ـ تعالى ـ عبده موسى الرسالة إلى فرعون وقومه آمراً إيَّاه بقوله العزيز:

3 ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: 24 ـ 35].

فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعوته بنصّ القرآن الكريم الذي جاء فيه:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: 36].

وبذلك حُمِّل كل من موسى وأخوه هارون أمانة التبليغ لفرعون بالأُسلوب الذي يرتضيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من كل الدّعاة قائلاً: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: 42 ـ 44].

وردَّ كل من موسى وهارون قائلين: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن

يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: 45 ـ 48].

موسى وهارون في مواجهة فرعون:

بعد وصول عبد الله ونبيّه موسى بن عمران إلى منف، ولقائه بأهله سار مع أخيه هارون حتى انتهيا إلى فرعون، وأخبراه بأنّهما رسولا ربّ العالمين إليه وإلى قومه، ودعواه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، فكذبهما، واتّهمهما بالسحر وبالجنون، وتحدَّاهما بسحرته وهددهما بالسجن، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: 75 ـ 82].

ويقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: 23 ـ 29].

وقال فرعون متسائلاً مرّة أخرى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص: 49 ـ 52].

وأضاف فرعون قوله الساذج: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38].

وصارت «**الفرعونيّة**» مثلاً على تسلّط الحاكم، وعلى غفلة الأُمّة، وتخلّيها عن مسؤوليّة الرقابة على الحكومة ممّا أدّى إلى طغيان الحاكم وتجبّره في الأرض وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

ـ ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: 54].

ـ ويقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: 104 ـ 112].

المواجهة مع سحرة فرعون في يوم الزينة:

لمّا رأى فرعون المعجزات الحِسيَّة التي استشهد بها موسى عليه السلام على صدق نبوّته، استنكرها قائلاً ومتحدّياً: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: 57 ـ 59].

ويستكمل القرآن الكريم وصف واقعة التحدّي بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟

هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: 113 ـ 126].

ألقى السحرة حبالاً وعصياً وأدخلوا من الحيل ما يعرفون زيفه، فأخافوا الناس وأرهبوهم، ثم ألقى موسى عصاه فإذا بها تبتلع حبال وعصي السحرة بمعجزة هزَّت الحضور من الأعماق حتى سجد السحرة للَّه ربّ العالمين وآمنوا بنبوَّة كلّ من موسى وهارون وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: 45 ـ 48].

فرعون يهدِّد موسى وهارون والذين آمنوا معهما بالويل والثبور:

يروي القرآن الكريم ردَّ فرعون على إيمان سحرته بربِّ العالمين، وبنبوَّة كلّ من موسى وهارون، وذلك بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: 49 ـ 51].

ويسجِّل القرآن الكريم، واستنكار سحرة فرعون للسحر الذي كان فرعون قد أجبرهم على الخوض في أوحاله، فردُّوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: 72 ـ 73].

للمرَّة الثانية حزقيل يظهر على الساحة واعظاً قومه:

تجبَّر فرعون ومعه كلّ من هامان وقارون، وتكبَّروا، وازدادوا كفراً وعناداً لموسى ودعوته. وحينئذ وقف حزقيل هادياً ومرشداً، ومذكِّراً بأنَّ الدنيا الفانية هي مزرعة للآخرة الباقية، ومحذِّراً من عقاب الله الذي كان قد نزل بعدد من الأُمم السابقة التي كانت قد تنكَّرت لخالقها من قبل. رفض فرعون نصيحة حزقيل، وتنكَّر لدعوته حتى نزل عقاب الله ـ تعالى ـ به وبقومه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا

كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ الْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 23 ـ 46].

عقاب الله ـ تعالى ـ لفرعون وقومه:

أنزل الله ﷻ العديد من صور العقاب بفرعون وقومه، وكان من ذلك عموم القحط لانقطاع المطر حتى ساد الجفاف والجدب، ونقصت المحاصيل والثمار، وهلكت الأنعام والدَّواب، وتبادل ذلك مع تكرّر الطوفانات المغرقة التي أتلفت مساكنهم ومزارعهم ومحاصيلهم.

وسلَّط الله ـ تعالى ـ على فرعون وقومه **الجراد** فأكل زروعهم وثمارهم، كما سلَّط عليهم **القمل** الذي آذاهم ونقل إليهم العديد من الأمراض، وأرسل عليهم **الضفادع** بأعداد هائلة حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت، وجعلت حياتهم بنقيقها المتواصل باللّيل نكداً لا يُطاق. ثم سلَّط الله ـ تعالى ـ عليهم **الدم** حتى صارت مياههم حمراء بلون الدم الذي تعافه النَّفس حتى اشتدَّ بهم الظَّمأ وأجبروا على مضغ أوراق الشجر.

وفي كل مصيبة من هذه المصائب كان فرعون وملؤه يستنجدون بموسى كي يسأل الله ـ تعالى ـ كشف العذاب عنهم، ويعطوه من العهود والمواثيق ما يؤكّد أنَّهم

سوف يؤمنون باللَّه ـ تعالى ـ وحده، وأن يوافقوا على إخراج العبرانيين من أرض مصر. ولكن بمجرّد أن يرفع الله ـ تعالى ـ العذاب عنهم كانوا ينكثون بأيمانهم، وينقضون عهودهم ـ ويعودون إلى طغيانهم وتجبّرهم. وظلّ موسى عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان باللَّه لفترة زمنيّة طويلة بعد لقاء يوم الزينة، وهم يعرضون عن دعوته، ويبالغون في إيذائه وإيذاء الذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 127 ـ 136].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: 46 ـ 56].

مرَّت سنوات عديدة وكل من النبيَّين موسى وهارون يدعوان فرعون وقومه إلى الإيمان باللَّه ربًّا واحداً أحداً، فرداً صمداً، وهم معرضون عن دعوة الحق إعراضاً كاملاً، على الرَّغم ممَّا نزل بهم من ألوان العقاب، وما شاهدوه بأعينهم من معجزات وكرامات.

وعلِم كلٌّ من النَّبيَّين الكريمين موسى وهارون بطريق الوحي أنَّه لن يؤمن معهما أكثر ممَّن قد آمن، فاعتزلا فرعون وملأه، ولحقا بقومهما العبرانيين الذين كانوا يسكنون خارج العاصمة «**منف**»، يعظانهم ويأمرانهم بعبادة اللَّه ـ تعالى ـ وحده، والتوكّل عليه، وبعدم التأثّر بوثنيّة الفراعنة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: 83 ـ 89].

الخروج الثاني لموسى من أرض مصر:

صدر الأمر الإلٰهي إلى موسى عليه السلام أن يسري بالذين آمنوا معه ليلاً، وأن يتوجَّهوا شرقاً نحو خليج السويس لكي يخرجوا من مصر بالكامل، فخرجوا ومعهم كل ما استطاعوا حمله من أمتعتهم. ولم يمض وقت طويل على هذا الخروج حتى علم به فرعون وجنوده، فخرجوا لمطاردة موسى ومَن خرج معه. وكان مع موسى

كل من **حزقيل (مؤمن آل فرعون)**، **ويوشع بن نون** وهو من أحفاد يوسف عليه السلام، ومن علماء العبرانيين وعُبَّادهم. ومع طلوع الشمس كانت طلائع جيش فرعون على مرمى البصر من موسى وهارون ومَن معهما، فخالط قلوب العبرانيين خوف شديد وفزع هائل، من إمكانيَّة لحاق جيش فرعون بهم، والبحر من أمامهم والعدو المدجج بالسلاح والخيول من خلفهم. أوحى الله ـ تعالى ـ إلى عبده ونبيّه موسى، أن يضرب بعصاه البحر، وعند فعله ذلك امتثالاً لأمر الله، انفلق البحر انفلاق الوادي بين جبلين، وجفَّ ماء هذا الوادي حتى سهل عبور موسى وهارون ومَن معهما الذين اندفعوا في هذا الفالق العظيم حتى جاوزوه وعبروا إلى البرِّ الشرقي من خليج السويس وكان ذلك في العاشر من شهر الله المحرَّم.

وبعد خروج آخر فرد من جماعة موسى، وصل فرعون وجنوده وذهلوا من رؤية انفلاق ماء خليج السويس بتلك الهيئة المعجزة. تردّد فرعون في العبور ظنًّا منه أنَّ ذلك قد يكون سحراً. فلمَّا رأى موسى ذلك رفع عصاه كي يضرب البحر بها مرَّة أخرى من أجل إغلاق الطريق أمام فرعون وجنوده فلا يتمكنوا من اللّحاق بهم. ولكن الله ـ تعالى ـ أمره أن يترك البحر على حاله، إغراءًا لفرعون وجنوده باقتحام البحر كما اقتحمه موسى ومَن معه من قبل لحظات، فأنزل موسى عصاه إلى جانبه، وانتظر تدخّل الإرادة الإلٰهيّة، في الحيلولة بينه ومَن معه وبين فرعون وجنوده.

وبالفعل تقدَّم فرعون على جواده ومن خلفه جنوده، واقتحموا الشقّ الذي أحدثه الله ـ تعالى ـ في خليج السويس كرامة لنبيِّه موسى ومَن معه. وبعد أن تجمَّع جيش الفرعون كلّه في وسط ذلك الخليج، أمر الله ـ تعالى ـ جانبي مياه الخليج بالانطباق على بعضهما ليعود كحالته الأولى، وبذلك أغرق الله ـ تعالى ـ فرعون وجميع جنوده، بنص القرآن الكريم الذي يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ

﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: 90 ـ 93].

ويقول ربّنا ـ تبارك اسمه ـ:

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: 77 ـ 79].

ويقول ـ عزّ من قائل ـ:

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: 52 ـ 68].

وتوضح الآيات أنَّ فرعون وهو يغالب الموت، ويصارع أمواج البحر (خليج السويس) ذهب عنه غروره واستعلاؤه. وتألُّهه الكاذب على الخلق، وتجبُّره في الأرض، حتى إذا أيقن أنَّه غارق لا محالة صرخ بأعلى صوته:

﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90 ـ 92].

وبذلك هلك فرعون وجنوده غرقاً، ثم أمر الله أمواج البحر بدفع بدن فرعون

إلى الشاطئ بملابسه ودرعه. ويقال إنَّ **«فرعون الخروج» هو مرنبتاح (أو منفتاح) الأول** الذي حكم مصر في الفترة من حوالي 1213ق.م. إلى 1203ق.م. **وهو ابن رمسيس الثاني المعروف باسم «فرعون الاضطهاد»** والذي حكم مصر من حوالي 1279ق.م. إلى 1213ق.م. وهلك رمسيس الثاني بينما كان موسى عليه السلام في أرض مدين. ولا تزال جثتا هذين الفرعونين محفوظتان بالتحنيط في دار الآثار المصريّة بالقاهرة إلى اليوم.

تفجُّر الأرض بالماء في منطقة «عيون موسى»:

بعد أن تمَّ عبور كلّ من موسى وهارون ومَن صحبهما من قومهما شحَّ الماء وندر الطعام فاستغاثوا بموسى طالبين منه الماء، فدعا موسى ربّه طالباً منه الماء، فأمره الله ـ تعالى ـ أن يضرب بعصاه الحجر الذي كانوا يقفون عليه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً (بعدد أسباطهم حتى لا يتنازعوا على الماء)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: 60].

ولا يزال عدد من هذه العيون باقياً إلى اليوم على الشاطئ الشرقي لخليج السويس، في منطقة تعرف باسم **«عيون موسى»**.

تظليل قوم موسى بالغمام، وإنزال المَن والسلوى عليهم:

شكا الناجون مع كل من موسى وهارون من حرِّ الشمس، فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم الغمام يظللهم حيث ساروا. ثم طلبوا الطعام بعد أن أدركهم الجوع، فسأل موسى ربّه الطعام لقومه، فأرسل الله ـ تعالى ـ إليهم الرياح الطيبة تحمل إليهم أسراباً من **طائر السلوى** (السماني) الذي كان يحطّ أمامهم على الأرض فيجمعون منه ما شاؤوا. كذلك فجّر الله ـ تعالى ـ لهم سيقان الأشجار **(بالمَن)** وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57].

ويقول، ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: 160].

ويقول، ـ عزّ من قائل ـ:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 80 ـ 82].

شرك بني إسرائيل:

على الرغم من كل هذه النِّعم فإنَّ العبرانيين مرّوا في طريقهم على قوم يعبدون الأصنام فطالبوا موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه، فغضب موسى لذلك ونهاهم وزجرهم، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾
[الأعراف: 138 ـ 140].

ذهاب موسى للقاء ربّه:

أمر الله ـ تعالى ـ موسى باختيار سبعين رجلاً من أصلح قومه، يصعد بهم إلى «**جبل الطور**» حيث يصومون ثلاثين يوماً، ويمكثون ثلاثين ليلة. فلما أتموها، زادها الله ـ تعالى ـ عشرة ليال أخر. استبطأ قوم موسى عودته، **وخرجوا** على أوامر أخيه هارون وعبدوا العجل، وكان موسى قد **استخلفه** عليهم قبل أن يصعد

إلى الجبل تنفيذاً لأمر ربّه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 51 ـ 57].

ويقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 142 ـ 145].

ويقول الحق ـ وهو أحسن القائلين ـ:

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: 83 ـ 85].

وتلقّى موسى الألواح من ربّه وبها **التوراة** ووصاياها العشر، ورجع إلى قومه ليجدهم قد تحوّلوا إلى عبادة العجل من بعده، فغضب عليهم واشتدّ حزنه من تصرّفات أخيه وضعف موقفه منهم.

فتنة السامري لقوم موسى:

طالت غيبة موسى أربعين يوماً، فوجد السامري فيها فرصة للارتداد بقومه إلى الوثنيّة، فجمع الحلي التي كان نساء العبرانيين قد استعرنها من المصريات، ثم هربن بها أثناء خروجهنَّ من مصر. ثم ادعى السامري أنه يريد التخلُّص من حلي المصريات بدعوى أنَّها مسروقة، والسرقات تجلبن اللّعنة على سارقيها، وعلّل لهم السامري أن موسى قد احتبس عنهم بسبب ذلك. وعلى الفور قام السامري بجمع تلك الحلي وقام بصهرها وصنع منها عجلاً له خوار البقر، فعبده الإسرائيليّون، ضد كل نصائح هارون ونهيه لهم عن الشِّرك باللّه. وعندما عاد موسى إليهم ورأى ما صاروا إليه غضب غضباً شديداً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: 150 ـ 156].

ويقول هذا الكتاب العزيز: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 86 ـ 98].

وبمجرَّد عودة موسى من لقاء ربّه قام إلى العجل الذي كان السامري قد صنعه فحطَّمه، ورماه في مياه البحر وأخذ في محاكمة السامري بعد أن عاتب أخاه هارون على ما كان السامري قد فعل بقومه. بدأ السامري يروي لموسى أنَّه التقط حفنة من التراب من تحت حوافر فرس جبريل عليه السلام حين أتى للقاء موسى، ثم لاحظ أنَّه ما ألقى من هذا التراب على شيء إلَّا ودبّت فيه الحياة، فزيَّنت له نفسه أن يفعل ذلك مع العجل الذي صنعه من الذهب المسروق. أجاب موسى بأنَّ الله ـ تعالى ـ فرض على السامري عقاباً أنَّه لا يمسّ أحداً أو يمسّه أحد إلَّا أصابتهما الحمى، فكان السامري يمشي صارخاً يقول: لا مساس!! لا مساس!! فتحاشاه النَّاس واجتنبوه إلى أن مات.

وأمر موسى الموحدين من قومه بقتل المشركين منهم الذين عبدوا العجل فقتلوهم، ثم قام كل من موسى وهارون بالتضرّع إلى الله ـ تعالى ـ أن يعفو عن الباقين من قومهما، وأن يغفر للذين قُتِلوا منهم فاستجاب الله دعاءهما.

ثم جمع موسى بقية قومه ليذكِّرهم بنِعم الله ـ تعالى ـ عليهم، وبما أظهرهم

عليه من المعجزات، وأمرهم بالتحرّك إلى أرض فلسطين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

[البقرة: 58، 59].

ويخاطب ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ مشيراً إلى هذه الواقعة فيقول له:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

[النساء: 153، 154].

ويقول ـ عزّ من قائل ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: 20 ـ 26].

ويقول ربنا ـ وهو أحكم القائلين ـ:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: 161 ـ 171].

ومدلول هذه الآيات أنّ غالبية بني إسرائيل تمردت على أوامر نبيِّهم موسى تمرّد الجبناء الخائفين من الدخول إلى أرض فلسطين، وفجأة قام رجلان مؤمنان يحرِّضان قومهما على الانصياع إلى أوامر الله، ودخول المدينة من بابها، ولكن الغالبية الساحقة منهم رفضت مقاتلة **العماليق** من أهل فلسطين رفضاً كاملاً.

غُلِبَ موسى وهارون على أمرهما فدَعَوَا الله ـ تعالى ـ أن يفرّق بينهما وبين الظالمين من بني إسرائيل. استجاب الله ـ تعالى ـ دعوتهما فحرَّم على هؤلاء الجبناء الفاسقين دخول أرض فلسطين مدَّة أربعين سنة. فتاهوا في شبه جزيرة سيناء لا يهتدون إلى الخروج منها، حتى مات أغلبهم في أرض التيه، عقوبة لهم على عصيانهم لأوامر الله ـ تعالى ـ، ولم يدخل إلى أرض فلسطين أحد من الذين قالوا: «إنَّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها».

توفي هارون قبل موسى ودُفن في شبه جزيرة سيناء، ويقال إنَّ قبره قريب من جبل موسى (جبل الطور) في وسط جنوب سيناء. وبعد ذلك بفترة قصيرة مات موسى دون أن يدخل إلى أرض فلسطين، ودُفن على مشارفها، وقبره غير معروف، وتولَّى أمر العبرانيين من بعده خادمه **«يوشع بن نون»**.

ويحوي «سفر التكوين» كلًّا من كتب «الخروج» و«الأعداد» و«التثنية» التي جاء بها كلام عن كلّ من عبد الله ونبيه موسى وأخيه النَّبي هارون، ولكن هذه الكتب مليئة بالتشويه، والتحريف، والتزييف على الله، وبالأنانيّة المطلقة لليهود الذين يعتبرون أنَّ الربّ هو ربّ اليهود فقط، وأنَّه قد وهب أرض فلسطين ملكاً أبديًّا لهم ولذراريهم من بعدهم إلى يوم القيامة. وهذا ممَّا يؤكِّد على أنَّ كل ما في «العهد القديم» هو كلام موضوع لا علاقة له بوحي السماء وإن تحدث عنه بكلام بشري خالص، ظلّ اليهود يتناقلونه مشافهة جيلاً بعد جيل، يضاف إليه ما يضاف، ويحذف منه ما يحذف، ويتذكر من أحداثه وينسى!! وفيما يلي بعض المقتطفات الشاهدة على ذلك:

قصة موسى وهارون عليهما السلام في العهد القديم:

استعباد بني إسرائيل

[٨] وَمَالَبِثَ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. [٩] فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. [١٠] فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلَا يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ». [١١] فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِٱلْأَعْمَالِ ٱلشَّاقَّةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. [١٢] وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلَالِهِمْ، ٱزْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوُّهُمْ، فَتَخَوَّفُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٣] فَتَفَاقَمَ عُنْفُ ٱسْتِعْبَادِ ٱلْمِصْرِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. [١٤] وَأَتْعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِٱلْأَعْمَالِ ٱلشَّاقَّةِ فِي ٱلطِّينِ وَٱللَّبِنِ كَادِحِينَ فِي ٱلْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ ٱلْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمِ ٱلشَّاقَّةِ.

The Israelites Oppressed

[8] Then a new king, who did not know about Joseph, came to power in Egypt. [9] "Look," he said to his people, "the Israelites have become much too numerous for us. [10] Come, we must deal shrewdly with them or they will become even more numerous and, if war breaks out, will join our enemies, fight against us and leave the country." [11] So they put slave masters over them to oppress them with forced labor, and they built Pithom and Rameses as store cities for Pharaoh. [12] But the more they were oppressed, the more they multiplied and spread; so the Egyptians came to dread the Israelites [13] and worked them ruthlessly. [14] They made their lives bitter with hard labor in brick and mortar and with all kinds of work in the fields; in all their hard labor the Egyptians used them ruthlessly.

مقتل الأطفال الذكور

[١٥] ثُمَّ قَالَ مَلِكُ مِصْرَ لِلْقَابِلَتَيْنِ ٱلْعِبْرَانِيَّتَيْنِ ٱلْمَدْعُوَّتَيْنِ شِفْرَةَ وَفُوعَةَ: [١٦] «عِنْدَمَا تُشْرِفَانِ عَلَى تَوْلِيدِ ٱلنِّسَاءِ ٱلْعِبْرَانِيَّاتِ رَاقِبَاهُنَّ عَلَى كُرْسِيِّ ٱلْوِلَادَةِ، فَإِنْ كَانَ ٱلْمَوْلُودُ صَبِيًّا فَٱقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتاً فَٱتْرُكَاهَا تَحْيَا». [١٧] غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَابِلَتَيْنِ كَانَتَا تَخَافَانِ ٱللهَ فَلَمْ تُنَفِّذَا أَمْرَ ٱلْمَلِكِ فَٱسْتَحْيَتَا ٱلْأَطْفَالَ ٱلذُّكُورَ. [١٨] فَٱسْتَدْعَى مَلِكُ مِصْرَ ٱلْقَابِلَتَيْنِ وَسَأَلَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هَذَا ٱلْأَمْرَ وَٱسْتَحْيَيْتُمَا ٱلْأَطْفَالَ ٱلذُّكُورَ؟» [١٩] فَأَجَابَتَاهُ: «إِنَّ ٱلنِّسَاءَ ٱلْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَٱلْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ وُصُولِ ٱلْقَابِلَةِ إِلَيْهِنَّ».

The Male Children of Israel Killed

[15] The king of Egypt said to the Hebrew midwives, whose names were Shiphrah and Puah, [16] "When you help the Hebrew women in childbirth and observe them on the delivery stool, if it is a boy, kill him; but if it is a girl, let her live." [17] The midwives, however, feared God and did not do what the king of Egypt had told them to do; they let the boys live. [18] Then the king of Egypt summoned the midwives and asked them, "Why have you done this? Why have you let the boys live?" [19] The midwives answered Pharaoh, "Hebrew women are not like Egyptian women; they are vigorous and give birth before the midwives arrive."

[20]So God was kind to the midwives and the people increased and became even more numerous. [21]And because the midwives feared God, he gave them families of their own. [22]Then Pharaoh gave this order to all his people: "Every boy that is born you must throw into the Nile, but let every girl live."

[٢٠]وتكاثر الشعب وعظم جداً. [٢١]وإذ خافت القابلتان الله أنالهما بنسل. [٢٢]ثم أصدر فرعون أمره لجميع شعبه قائلاً: «اطرحوا كل ابن (عبراني) يولد في النهر، أما البنات فاستحيوهن».

The Birth of Moses

2 Now a man of the house of Levi married a Levite woman, [2]and she became pregnant and gave birth to a son. When she saw that he was a fine child, she hid him for three months. [3]But when she could hide him no longer, she got a papyrus basket for him and coated it with tar and pitch. Then she placed the child in it and put it among the reeds along the bank of the Nile. [4]His sister stood at a distance to see what would happen to him.

ولادة موسى

٢ وتزوج رجل من بيت لاوي فتاة ابنة لاوي. [٢]فحملت المرأة وأنجبت ابناً. وإذ رأته جميلاً خبأته ثلاثة أشهر. [٣]ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أتت بسفط من البردي وطلته بالحمر والزفت وأضجعت الطفل ووضعته بين الحلفاء على ضفة النهر. [٤]ووقفت أخته من بعيد لترى ما يحدث له.

Moses is Rescued

[5]Then Pharaoh's daughter went down to the Nile to bathe, and her attendants were walking along the river bank. She saw the basket among the reeds and sent her slave girl to get it. [6]She opened it and saw the baby. He was crying, and she felt sorry for him. "This is one of the Hebrew babies," she said. [7]Then his sister asked Pharaoh's daughter, "Shall I go and get one of the Hebrew women to nurse the baby for you?" [8]"Yes, go," she answered. And the girl went and got the baby's mother. [9]Pharaoh's daughter said to her, "Take this baby and nurse him for me, and I will pay you." So the woman took the baby and nursed him. [10]When the child grew older, she took him to Pharaoh's daughter and he became her son. She named him Moses, saying, "I drew him out of the water."

إنقاذ موسى

[٥]وأقبلت ابنة فرعون لتستحم في النهر، بينما راحت وصيفاتها تتمشين على ضفة النهر. فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت وصيفتها لتأتي به. [٦]ففتحته ورأت الطفل وإذا هو تبكي، فرقت له وقالت: «هذا من أولاد العبرانيين». [٧]فقالت أخته لابنة فرعون: «هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟». [٨]فأجابتها ابنة فرعون: «اذهبي». فمضت الفتاة ودعت أم الصبي. [٩]فقالت لها ابنة فرعون: «خذي هذا الصبي وأرضعيه لي، وأنا أعطيك أجرتك». فأخذت المرأة الصبي وأرضعته. [١٠]ولما كبر الولد، ردته إلى ابنة فرعون فتبنته ودعته موسى (ومعناه منتشل) قائلة: «إني انتشلته من الماء».

Moses Flees to Midian

[11]One day, after Moses had grown up, he went out to where his own people were and watched them at their hard labor. He saw an Egyptian beating a Hebrew, one of his own people. [12]Glancing this way and that and seeing no one, he killed the Egyptian and hid him in the sand. [13]The next day he went out and saw two Hebrews fighting. He asked the one in the wrong, "Why are you hitting your fellow Hebrew?"

[14]The man said, "Who made you ruler and judge over us? Are you thinking of killing me as you

جريمة موسى وهربه

[١١]وحدث بعد أن كبر موسى أنه ذهب ليتفقد إخوته العبرانيين ويشهد مشقتهم، فلمح رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً. [١٢]فتلفت حوله، وإذ لم يجد أحداً هناك قتل المصري وطمره في الرمل. [١٣]ثم خرج في اليوم التالي وإذا رجلان عبرانيان يتضاربان. فقال للمسيء: «لماذا تضرب صاحبك؟»

[١٤]فأجابه: «من أقامك رئيساً وقاضياً علينا؟ أعازم أنت على

killed the Egyptian?" Then Moses was afraid and thought, "What I did must have become known." [15]When Pharaoh heard of this, he tried to kill Moses, but Moses fled from Pharaoh and went to live in Midian, where he sat down by a well.

تقتلني كما قتلت المصري؟». فخاف موسى وقال: «حقا إن الخبر قد ذاع». [١٥]وبلغ الخبر مسمع فرعون، فسعى إلى قتل موسى، إلا أن موسى هرب من وجه فرعون، ومضى ليقيم في أرض مديان، فبلغها وجلس عند البئر.

The Marriage of Moses

[16]Now a priest of Midian had seven daughters, and they came to draw water and fill the troughs to water their father's flock. [17]Some shepherds came along and drove them away, but Moses got up and came to their rescue and watered their flock. [18]When the girls returned to Reuel their father, he asked them, "Why have you returned so early today?" [19]They answered, "An Egyptian rescued us from the shepherds. He even drew water for us and watered the flock." [20]"And where is he?" he asked his daughters. "Why did you leave him? Invite him to have something to eat." [21]Moses agreed to stay with the man, who gave his daughter Zipporah to Moses in marriage. [22]Zipporah gave birth to a son, and Moses named him Gershom, saying, "I have become an alien in a foreign land." [23]During that long period, the king of Egypt died. The Israelites groaned in their slavery and cried out, and their cry for help because of their slavery went up to God. [24]God heard their groaning and he remembered his covenant with Abraham, with Isaac and with Jacob. [25]So God looked on the Israelites and was concerned about them.

زواج موسى

[١٦]وكان لكاهن مديان سبع فتيات فأقبلن واستقين ماء وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. [١٧]فأتى الرعاة وطردوهن. غير أن موسى هب لنجدتهن وسقى غنمهن. [١٨]ولما رجعت الفتيات إلى رعوئيل أبيهن سألهن: «ما بالكن بكرتن بالرجوع اليوم؟» [١٩]فأجبنه: «رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة، فاستقى لنا وللغنم أيضا». [٢٠]فسألهن: «وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاما». [٢١]وقبل موسى أن يقيم مع الرجل الذي زوجه من ابنته صفورة. [٢٢]فأنجبت له ابنا دعاه جرشوم (ومعناه غريب) إذ قال: «كنت نزيلا في أرض غريبة».

[٢٣]وبعد مرور حقبة طويلة مات ملك مصر. وارتفع أنين بني إسرائيل وصراخهم من وطأة العبودية، وصعد إلى الله. [٢٤]فاستمع الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب. [٢٥]ونظر الله إلى بني إسرائيل (ورق لحالهم).

Moses and the Burning Bush

3 Now Moses was tending the flock of Jethro his father-in-law, the priest of Midian, and he led the flock to the far side of the desert and came to Horeb, the mountain of God. [2]There the angel of the LORD appeared to him in flames of fire from within a bush. Moses saw that though the bush was on fire it did not burn up. [3]So Moses thought, "I will go over and see this strange sight—why the bush does not burn up."

[4]When the LORD saw that he had gone over to look, God called to him from within the bush, "Moses! Moses!" And Moses said, "Here I am."

[5]"Do not come any closer," God said. "Take off your sandals, for the place where you are standing is holy ground."

ظهور الله لموسى

٣ وأما موسى فكان يرعى غنم حميه يثرون كاهن مديان، فقاد الغنم إلى ما وراء الطرف الأقصى من الصحراء حتى جاء إلى حوريب جبل الله. [٢]وهناك تجلى له ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة. فنظر موسى وإذا بالعليقة تتقد دون أن تحترق. [٣]فقال موسى: «أميل الآن لأستطلع هذا الأمر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة؟».

[٤]ولما رأى الرب أن موسى قد دنا ليستطلع الأمر، ناداه من وسط العليقة قائلا: «موسى». فقال: «ها أنا».

[٥]فقال: «لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن المكان الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة».

God Calls Moses

[6]Then he said, "I am the God of your father, the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob." At this, Moses hid his face, because he was afraid to look at God. [7]The LORD said, "I have indeed seen the misery of my people in Egypt. I have heard them crying out because of their slave drivers, and I am concerned about their suffering. [8]So I have come down to rescue them from the hand of the Egyptians and to bring them up out of that land into a good and spacious land, a land flowing with milk and honey–the home of the Canaanites, Hittites, Amorites, Perizzites, Hivites and Jebusites. [9]And now the cry of the Israelites has reached me, and I have seen the way the Egyptians are oppressing them. [10]So now, go. I am sending you to Pharaoh to bring my people the Israelites out of Egypt."

[11]But Moses said to God, "Who am I, that I should go to Pharaoh and bring the Israelites out of Egypt?"

[12]And God said, "I will be with you. And this will be the sign to you that it is I who have sent you: When you have brought the people out of Egypt, you will worship God on this mountain."

[13]Moses said to God, "Suppose I go to the Israelites and say to them, 'The God of your fathers has sent me to you,' and they ask me, 'What is his name?' Then what shall I tell them?"

[14]God said to Moses, "I AM WHO I AM. This is what you are to say to the Israelites: 'I AM has sent me to you.' "

دعوة الله لموسى

[٦]ثُمَّ قَالَ: «أَنَا هُوَ إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَهُ إِسْحَاقَ، وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». عِنْدَئِذٍ غَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَرَى اللهَ (فَيَمُوتَ). [٧]فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مَشَقَّاتِهِمْ، [٨]فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَحْبَةٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. [٩]وَهَا هُوَ الآنَ قَدْ وَصَلَ إِلَيَّ صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَرَأَيْتُ كَيْفَ يُضَايِقُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ. [١٠]فَهَلُمَّ الآنَ لأُرْسِلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَتُخْرِجَ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ».

[١١]فَقَالَ مُوسَى لِلهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَمْضِيَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» [١٢]فَأَجَابَ: «أَنَا أَكُونُ مَعَكَ. وَمَتَى أَخْرَجْتَ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَتَكُونُ هَذِهِ لَكَ الْعَلامَةَ أَنِّي أَنَا أَرْسَلْتُكَ». [١٣]فَقَالَ مُوسَى لِلهِ: «حِينَمَا أُقْبِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ وَسَأَلُونِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» [١٤]فَأَجَابَهُ اللهُ: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». (وَمَعْنَاهُ أَنَا الْكَائِنُ الدَّائِمُ). وَأَضَافَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «أَهْيَهْ (أَنَا الْكَائِنُ)، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ».

God's Promise to Free Israel

[15]God also said to Moses, "Say to the Israelites, 'The LORD, the God of your fathers–the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob–has sent me to you.' This is my name forever, the name by which I am to be remembered from generation to generation. [16]Go, assemble the elders of Israel and say to them, 'The LORD, the God of your fathers–the God of Abraham, Isaac and Jacob–appeared to me and said: I have watched over you and have seen what has been done to you in Egypt. [17]And I have promised to bring you up out of your misery in Egypt into the land of the Canaanites, Hittites, Amorites, Perizzites, Hivites and Jebusites–a land flowing with milk and honey.' [18]The elders of Israel will listen to you. Then you and the elders are to go to the king of Egypt and

وعد الله بتحرير بني إسرائيل

[١٥]وَقَالَ أَيْضاً لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ الرَّبَّ «الْكَائِنَ» إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا هُوَ اسْمِي إِلَى الأَبَدِ، وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي أُدْعَى بِهِ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ. [١٦]اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ تَجَلَّى لِي قَائِلاً: إِنِّي حَقّاً قَدْ تَفَقَّدْتُكُمْ، وَشَهِدْتُ مَا أَصَابَكُمْ فِي مِصْرَ. [١٧]وَهَا أَنَا قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ مِنْ ضِيقَةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً. [١٨]فَتَسْتَمِعُ الشُّيُوخُ لِكَلامِكَ فَتَمْثُلُ أَنْتَ وَشُيُوخُ إِسْرَائِيلَ أَمَامَ مَلِكِ مِصْرَ

say to him, 'The LORD, the God of the Hebrews, has met with us. Let us take a three-day journey into the desert to offer sacrifices to the LORD our God.' [19]But I know that the king of Egypt will not let you go unless a mighty hand compels him. [20]So I will stretch out my hand and strike the Egyptians with all the wonders that I will perform among them. After that, he will let you go.

[21]"And I will make the Egyptians favorably disposed toward this people, so that when you leave you will not go empty-handed. [22]Every woman is to ask her neighbor and any woman living in her house for articles of silver and gold and for clothing, which you will put on your sons and daughters. And so you will plunder the Egyptians."

وتقولون له: إن الرب إله العبرانيين قد قابلنا، فدعنا نمضي مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونقدم ذبائح للرب إلهنا. [19] ولكنني عالم أن ملك مصر لن يطلقكم ما لم ترغمه يد قوية. [20] فأمد يدي وأضرب مصر بجميع عجائبي التي أصنعها فيها، وبعد ذلك يطلقكم. [21] وأجعل هذا الشعب يحظى برضى المصريين، فلا تخرجون فارغين حين تمضون. [22] بل تطلب كل امرأة من جارتها أو نزيلة بيتها جواهر فضة وذهب وثيابا تلبسونها بنيكم وبناتكم فتغنمون ذلك من المصريين».

Signs for Moses

4 Moses answered, "What if they do not believe me or listen to me and say, 'The LORD did not appear to you'?" [2]Then the LORD said to him, "What is that in your hand?" "A staff," he replied. [3]The LORD said, "Throw it on the ground." Moses threw it on the ground and it became a snake, and he ran from it. [4]Then the LORD said to him, "Reach out your hand and take it by the tail." So Moses reached out and took hold of the snake and it turned back into a staff in his hand. [5]"This," said the LORD, "is so that they may believe that the LORD, the God of their fathers–the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob–has appeared to you."

[6]Then the LORD said, "Put your hand inside your cloak." So Moses put his hand into his cloak, and when he took it out, it was leprous, like snow. [7]"Now put it back into your cloak," he said. So Moses put his hand back into his cloak, and when he took it out, it was restored, like the rest of his flesh. [8]Then the LORD said, "If they do not believe you or pay attention to the first miraculous sign, they may believe the second. [9]But if they do not believe these two signs or listen to you, take some water from the Nile and pour it on the dry ground. The water you take from the river will become blood on the ground."

معجزات برهانية

٤ فقال موسى: «ماذا إن لم يصدقوني ولم يصغوا إلي وقالوا: إن الرب لم يظهر لك؟» [2] فسأله الرب: «ما تلك التي بيمينك؟» فأجاب: «عصا». [3] فقال: «ألقها على الأرض». فألقاها فإذا هي حية، فهرب منها موسى. [4] فقال الرب لموسى: «مد يدك وأقبض عليها من ذنبها». فمد موسى يده وقبض عليها، فارتدت عصا في يده. [5] وقال الرب: «هذا لكي يؤمنوا أن الرب إله آبائهم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب قد ظهر لك». [6] ثم قال الرب أيضا: «أدخل يدك في عبك». فأدخل يده في عبه، وعندما أخرجها إذا بها برصاء كالثلج. [7] وأمره الرب: «رد يدك إلى عبك ثانية». فرد يده إلى عبه ثانية ثم أخرجها من عبه وإذا بها قد عادت مثل باقي جسده. [8] وقال الرب: «إن لم يصدقوك، أو يعيروا المعجزة الأولى انتباههم فإنهم يصدقون الثانية. [9] وإن لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يصغوا لكلامك، فاغرف من ماء النهر واسكبه على الأرض الجافة، فيتحول الماء الذي تغرفه من النهر إلى دم فوق الأرض».

Moses Tries to Evade God

[10]Moses said to the LORD, "O Lord, I have never been eloquent, neither in the past nor since you have spoken to your servant. I am slow of speech

تهرب موسى

[10] فقال موسى للرب: «اسمع يا رب، أنا لم أكن في يوم من الأيام فصيحا، لا في الأمس ولا منذ أن خاطبت

and tongue." 11 The LORD said to him, "Who gave man his mouth? Who makes him deaf or mute? Who gives him sight or makes him blind? Is it not I, the LORD? 12 Now go; I will help you speak and will teach you what to say." 13 But Moses said, "O Lord, please send someone else to do it." 14 Then the LORD's anger burned against Moses and he said, "What about your brother, Aaron the Levite? I know he can speak well. He is already on his way to meet you, and his heart will be glad when he sees you. 15 You shall speak to him and put words in his mouth; I will help both of you speak and will teach you what to do. 16 He will speak to the people for you, and it will be as if he were your mouth and as if you were God to him. 17 But take this staff in your hand so you can perform miraculous signs with it."

عَبْدَكَ. إِنَّمَا أَنَا بَطِيءُ النُّطْقِ عَيِيُّ اللِّسَانِ». ١١ فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «مَنْ هُوَ بَارِئُ فَمِ الإِنْسَانِ؟ أَوْ مَنْ يَجْعَلُهُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ كَفِيفاً؟ أَلَسْتُ أَنَا الرَّبُّ؟ ١٢ فَالآنَ انْطَلِقْ فَأَلَقِّنَ فَمَكَ النُّطْقَ، وَأُعَلِّمَكَ مَاذَا تَقُولُ». ١٣ لَكِنْ مُوسَى أَجَابَ: «يَا سَيِّدُ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُرْسِلَ مَنْ تَشَاءُ غَيْرِي». ١٤ فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَرُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يُحْسِنُ الْكَلامَ، وَهَا هُوَ أَيْضاً قَادِمٌ لِلِقَائِكَ. وَحَالَمَا يَرَاكَ يَبْتَهِجُ قَلْبُهُ. ١٥ فَتُحَدِّثُهُ وَتُلَقِّنُ فَمَهُ الْكَلامَ، فَأُعِينُكُمَا عَلَى الْقَوْلِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَفْعَلانِ. ١٦ فَيُخَاطِبُ هُوَ الشَّعْبَ عَنْكَ وَيَكُونُ لَكَ بِمَثَابَةِ فَمٍ وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ بِمَثَابَةِ إِلَهٍ. ١٧ وَخُذْ بِيَدِكَ هَذِهِ الْعَصَا لِتَصْنَعَ بِهَا الْمُعْجِزَاتِ».

Moses Returns to Egypt

18 Then Moses went back to Jethro his father-in-law and said to him, "Let me go back to my own people in Egypt to see if any of them are still alive." Jethro said, "Go, and I wish you well."

19 Now the LORD had said to Moses in Midian, "Go back to Egypt, for all the men who wanted to kill you are dead." 20 So Moses took his wife and sons, put them on a donkey and started back to Egypt. And he took the staff of God in his hand.

رحلة العودة

١٨ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى يَثْرُونَ حَمِيهِ وَقَالَ لَهُ: «دَعْنِي أَعُودُ إِلَى قَوْمِي فِي مِصْرَ لأَرَى أَمَا زَالُوا بَعْدُ أَحْيَاءً». فَأَجَابَ يَثْرُونُ مُوسَى: «اذْهَبْ بِسَلامٍ».

١٩ وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى فِي مِدْيَانَ: «هَيَّا ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ السَّاعِينَ إِلَى الْقَضَاءِ عَلَيْكَ». ٢٠ فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ وَمَضَى عَائِداً إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. وَأَخَذَ مَعَهُ عَصَا اللهِ أَيْضاً.

God Instructs Moses

21 The LORD said to Moses, "When you return to Egypt, see that you perform before Pharaoh all the wonders I have given you the power to do. But I will harden his heart so that he will not let the people go. 22 Then say to Pharaoh, 'This is what the LORD says: Israel is my firstborn son, 23 and I told you, "Let my son go, so he may worship me." But you refused to let him go; so I will kill your firstborn son.' "

24 At a lodging place on the way, the LORD met Moses and was about to kill him. 25 But Zipporah took a flint knife, cut off her son's foreskin and touched Moses' feet with it. "Surely you are a bridegroom of blood to me," she said. 26 So the LORD let him alone. (At that time she said "bridegroom of blood," referring to circumcision.)

تعليمات الرب لموسى

٢١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَالَمَا تَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ، تَذَكَّرْ أَنْ تُجْرِيَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي مَنَحْتُكَ الْقُوَّةَ عَلَى إِجْرَائِهَا، وَلَكِنَّنِي سَأُقَسِّي قَلْبَهُ لِكَيْ لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ. ٢٢ ثُمَّ قُلْ لِفِرْعَوْنَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ. ٢٣ قُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، وَلَكِنَّكَ رَفَضْتَ إِطْلاقَهُ. لِذَلِكَ سَأَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ».

٢٤ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، بِالْقُرْبِ مِنْ خَانٍ، الْتَقَاهُ الرَّبُّ وَهَمَّ أَنْ يَقْتُلَهُ. ٢٥ فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُلْفَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ بِهَا قَدَمَيْ مُوسَى قَائِلَةً: «حَقّاً إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». ٢٦ فَعَفَا الرَّبُّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ».

Moses Performs Miracles

[27]The LORD said to Aaron, "Go into the desert to meet Moses." So he met Moses at the mountain of God and kissed him. [28]Then Moses told Aaron everything the LORD had sent him to say, and also about all the miraculous signs he had commanded him to perform. [29]Moses and Aaron brought together all the elders of the Israelites, [30]and Aaron told them everything the LORD had said to Moses. He also performed the signs before the people, [31]and they believed. And when they heard that the LORD was concerned about them and had seen their misery, they bowed down and worshiped.

موسى يجري المعجزات

[٢٧] وَقَالَ الرَّبُّ لِهَرُونَ: «اذْهَبْ إِلَى الصَّحْرَاءِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَمَضَى وَالْتَقَاهُ عِنْدَ جَبَلِ الرَّبِّ وَقَبَّلَهُ. [٢٨] فَأَطْلَعَ مُوسَى هَرُونَ عَلَى جَمِيعِ كَلامِ الرَّبِّ الَّذِي حَمَّلَهُ إِيَّاهُ، وَمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ آيَاتٍ. [٢٩] ثُمَّ انْطَلَقَ مُوسَى وَهَرُونُ وَجَمَعَا كُلَّ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٣٠] فَحَدَّثَهُمْ هَرُونُ بِجَمِيعِ مَا قَالَهُ الرَّبُّ لِمُوسَى، وَأَجْرَى مُوسَى الْمُعْجِزَاتِ أَمَامَهُمْ. [٣١] فَآمَنَ الشَّعْبُ. وَعِنْدَمَا سَمِعُوا أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَقَدَهُمْ وَنَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِهِمْ انْحَنَوْا سَاجِدِينَ.

God Speaks to Moses and Aaron

7 Then the LORD said to Moses, "See, I have made you like God to Pharaoh, and your brother Aaron will be your prophet. [2]You are to say everything I command you, and your brother Aaron is to tell Pharaoh to let the Israelites go out of his country. [3]But I will harden Pharaoh's heart, and though I multiply my miraculous signs and wonders in Egypt, [4]he will not listen to you. Then I will lay my hand on Egypt and with mighty acts of judgment I will bring out my divisions, my people the Israelites. [5]And the Egyptians will know that I am the LORD when I stretch out my hand against Egypt and bring the Israelites out of it." [6]Moses and Aaron did just as the LORD commanded them. [7]Moses was eighty years old and Aaron eighty-three when they spoke to Pharaoh.

الرب يخاطب موسى وهرون

٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَنَا جَعَلْتُكَ كَإِلَهٍ لِفِرْعَوْنَ، وَهَرُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. [٢] فَعَلَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَهُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ، فَيُخَاطِبَ أَخُوكَ هَرُونُ فِرْعَوْنَ كَيْ يُطْلِقَ سَرَاحَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بِلادِهِ. [٣] وَلَكِنَّنِي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ. [٤] إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ لَنْ يَسْتَمِعَ لَكُمَا. عِنْدَئِذٍ أَضْرِبُ مِصْرَ وَأُخْرِجُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّاتِ أَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. [٥] فَيُدْرِكُ الْمِصْرِيُّونَ حِينَ أَضْرِبُ مِصْرَ وَأُخْرِجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». [٦] فَفَعَلَ مُوسَى وَهَرُونُ تَمَاماً كَمَا أَمَرَهُمَا الرَّبُّ. [٧] وَكَانَ مُوسَى فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَهَرُونُ فِي الثَّالِثَةِ وَالثَّمَانِينَ، عِنْدَمَا خَاطَبَا فِرْعَوْنَ.

Aaron's Staff Becomes a Snake

[8]The LORD said to Moses and Aaron, [9]"When Pharaoh says to you, 'Perform a miracle,' then say to Aaron, 'Take your staff and throw it down before Pharaoh,' and it will become a snake."
[10]So Moses and Aaron went to Pharaoh and did just as the LORD commanded. Aaron threw his

معجزة الحية

[٨] وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَرُونَ: [٩] «عِنْدَمَا يَطْلُبُ فِرْعَوْنُ مِنْكُمَا قَائِلاً: أَرِيَانِي عَجِيبَةً، فَإِنَّكَ تَقُولُ لِهَرُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَأَلْقِهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَتَحَوَّلَ إِلَى حَيَّةٍ». [١٠] فَمَثَلَ هَرُونُ وَمُوسَى أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَفَعَلا تَمَاماً حَسَبَ أَمْرِ الرَّبِّ، فَأَلْقَى هَرُونُ عَصَاهُ

سفر الخروج (7 _ 11)

staff down in front of Pharaoh and his officials, and it became a snake. [11]Pharaoh then summoned wise men and sorcerers, and the Egyptian magicians also did the same things by their secret arts: [12]Each one threw down his staff and it became a snake. But Aaron's staff swallowed up their staffs. [13]Yet Pharaoh's heart became hard and he would not listen to them, just as the LORD had said.

أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ حَاشِيَتِهِ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ. [١١]فَاسْتَدْعَى فِرْعَوْنُ حُكَمَاءَهُ وَسَحَرَتَهُ فَصَنَعَ سَحَرَةُ مِصْرَ عَلَى غِرَارِ ذَلِكَ بِسِحْرِهِمْ. [١٢]فَطَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ. غَيْرَ أَنَّ عَصَا هَرُونَ ٱبْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ. [١٣]لَكِنْ قَلْبَ فِرْعَوْنَ ٱزْدَادَ تَصَلُّباً فَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُمَا، تَمَاماً كَمَا قَالَ ٱلرَّبُّ.

God's Threat to Pharaoh

[14]Then the LORD said to Moses, "Pharaoh's heart is unyielding; he refuses to let the people go. [15]Go to Pharaoh in the morning as he goes out to the water. Wait on the bank of the Nile to meet him, and take in your hand the staff that was changed into a snake. [16]Then say to him, 'The LORD, the God of the Hebrews, has sent me to say to you: Let my people go, so that they may worship me in the desert. But until now you have not listened. [17]This is what the LORD says: By this you will know that I am the LORD: With the staff that is in my hand I will strike the water of the Nile, and it will be changed into blood. [18]The fish in the Nile will die, and the river will stink; the Egyptians will not be able to drink its water.' "

وعيد الرب لفرعون

[١٤]ثُمَّ قَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «إِنَّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ قَدْ تَصَلَّبَ، وَهُوَ يَرْفُضُ أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَ ٱلشَّعْبِ. [١٥]فَامْثُلْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ فِي ٱلْغَدِ عِنْدَمَا يَخْرُجُ إِلَى ٱلْمَاءِ، وَقِفْ لِلِقَائِهِ عِنْدَ ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ، وَخُذْ بِيَدِكَ ٱلْعَصَا ٱلَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ. [١٦]وَقُلْ لَهُ: إِنَّ ٱلرَّبَّ إِلَهَ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلاً: أَطْلِقْ سَرَاحَ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي ٱلصَّحْرَاءِ. وَهَا أَنْتَ حَتَّى ٱلآنَ لَمْ تَسْتَمِعْ. [١٧]لِهَذَا إِلَيْكَ مَا يَقُولُهُ ٱلرَّبُّ: سَتَعْلَمُ بِمَا أُجْرِيهِ ٱلآنَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ. هَا أَنَا ضَارِبٌ بِهَذِهِ ٱلْعَصَا ٱلَّتِي فِي يَدِي عَلَى مَاءِ ٱلنَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَماً. [١٨]فَيَمُوتُ ٱلسَّمَكُ، وَيَنْتُنُ ٱلنَّهْرُ، فَيَعَافُ ٱلْمِصْرِيُّونَ مِنَ ٱلشُّرْبِ مِنْ مَائِهِ».

The Plague of Blood

[19]The LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Take your staff and stretch out your hand over the waters of Egypt–over the streams and canals, over the ponds and all the reservoirs'–and they will turn to blood. Blood will be everywhere in Egypt, even in the wooden buckets and stone jars." [20]Moses and Aaron did just as the LORD had commanded. He raised his staff in the presence of Pharaoh and his officials and struck the water of the Nile, and all the water was changed into blood. [21]The fish in the Nile died, and the river smelled so bad that the Egyptians could not drink its water. Blood was everywhere in Egypt. [22]But the Egyptian magicians did the same things by their secret arts, and Pharaoh's heart became hard; he would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said.

الضربة الأولى: ضربة الدم

[١٩]وَخَاطَبَ ٱلرَّبُّ مُوسَى: «قُلْ لِهَرُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَٱبْسِطْ يَدَكَ عَلَى مِيَاهِ ٱلْمِصْرِيِّينَ وَعَلَى أَنْهَارِهِمْ وَعَلَى جَدَاوِلِهِمْ وَسَوَاقِيهِمْ وَخَزَّانَاتِ ٱلْمِيَاهِ فَتَتَحَوَّلَ كُلُّهَا إِلَى دَمٍ، وَيَكُونُ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ حَتَّى فِي ٱلأَوَانِي ٱلْخَشَبِيَّةِ وَٱلْحَجَرِيَّةِ». [٢٠]وَهَكَذَا فَعَلَ مُوسَى وَهَرُونُ كَمَا أَمَرَ ٱلرَّبُّ، فَرَفَعَ هَرُونُ ٱلْعَصَا وَضَرَبَ مَاءَ ٱلنَّهْرِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَحَاشِيَتِهِ فَتَحَوَّلَ كُلُّ مَاءِ ٱلنَّهْرِ إِلَى دَمٍ. [٢١]وَمَاتَ كُلُّ سَمَكِهِ وَأَنْتَنَ ٱلنَّهْرُ فَلَمْ يَسْتَطِعِ ٱلْمِصْرِيُّونَ ٱلشُّرْبَ مِنْ مَائِهِ. وَكَانَ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ أَرْضِ مِصْرَ. [٢٢]وَكَذَلِكَ فَعَلَ سَحَرَةُ مِصْرَ بِسِحْرِهِمْ، فَتَصَلَّبَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِمَا، تَمَاماً حَسَبَ قَوْلِ ٱلرَّبِّ.

Pharaoh Hardens His Heart

[23]Instead, he turned and went into his palace, and did not take even this to heart. [24]And all the Egyptians dug along the Nile to get drinking water,

تصلب فرعون

[٢٣]وَٱنْصَرَفَ فِرْعَوْنُ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَ ذَلِكَ أَثَراً فِي قَلْبِهِ. [٢٤]وَحَفَرَ جَمِيعُ ٱلْمِصْرِيِّينَ حُفَراً حَوْلَ ٱلنَّهْرِ طَلَباً لِمَاءٍ

because they could not drink the water of the river. [25]Seven days passed after the LORD struck the Nile.

الشرب، لأنهم لم يستطيعوا أن يشربوا من ماء النهر. [25]وانقضت سبعة أيام منذ أن ضرب الله مياه النهر.

The Plague of Frogs

8 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD says: Let my people go, so that they may worship me. [2]If you refuse to let them go, I will plague your whole country with frogs. [3]The Nile will teem with frogs. They will come up into your palace and your bedroom and onto your bed, into the houses of your officials and on your people, and into your ovens and kneading troughs. [4]The frogs will go up on you and your people and all your officials.' "

[5]Then the LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Stretch out your hand with your staff over the streams and canals and ponds, and make frogs come up on the land of Egypt.' " [6]So Aaron stretched out his hand over the waters of Egypt, and the frogs came up and covered the land. [7]But the magicians did the same things by their secret arts; they also made frogs come up on the land of Egypt.

الضربة الثانية: صعود الضفادع

٨ ثمّ قال الرّبّ لموسى: «ادخل أمام فرعون وقل له: هذا ما يقوله الرّبّ: أطلق سراح شعبي ليعبدوني. [2]وإن أبيت أن تطلقهم فها أنا ضارب جميع تخومك بالضفادع. [3]فيفيض النهر بالضفادع التي تصعد وتقتحم بيتك وتدخل فراشك وسريرك وبيوت حاشيتك وشعبك وأفرانك ومعاجنك، [4]عليك وعلى شعبك وعلى سائر حاشيتك تصعد الضفادع».

[5]ثمّ قال الرّبّ لموسى: «قل لهرون: ابسط يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والبرك، وأصعد الضفادع على كلّ أرض مصر». [6]فبسط هرون يده على مياه مصر فطلعت الضفادع وغطّت أرض مصر. [7]وكذلك فعل السحرة بسحرهم فأصعدوا ضفادع على أرض مصر.

Pharaoh's Promise to Free the Israelites

[8]Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Pray to the LORD to take the frogs away from me and my people, and I will let your people go to offer sacrifices to the LORD." [9]Moses said to Pharaoh, "I leave to you the honor of setting the time for me to pray for you and your officials and your people that you and your houses may be rid of the frogs, except for those that remain in the Nile." [10]"Tomorrow," Pharaoh said. Moses replied, "It will be as you say, so that you may know there is no one like the LORD our God. [11]The frogs will leave you and your houses, your officials and your people; they will remain only in the Nile."

وعد بإطلاق الشعب

[8]ثمّ استدعى فرعون موسى وهرون وقال: «تضرّعا إلى الرّبّ ليرفع الضفادع عنّي وعن شعبي، فأطلق سراح الشعب ليقدّموا ذبائح له». [9]فأجاب موسى فرعون: «عيّن لي متى أصلّي من أجلك ومن أجل عبيدك وشعبك، لكي تباد الضفادع عنك وعن بيوتك ما عدا تلك الباقية في النهر». [10]فقال فرعون: «غدًا». فأجابه موسى: «فليكن كقولك لتعرف أنّه لا مثيل للرّبّ إلهنا. [11]فإنّ الضفادع ستنسحب من حولك ومن بيوتك ومن حول حاشيتك وشعبك، ولا تبقى إلّا في النهر».

Pharaoh Changes His Mind

[12]After Moses and Aaron left Pharaoh, Moses cried out to the LORD about the frogs he had brought on Pharaoh. [13]And the LORD did what Moses asked. The frogs died in the houses, in the courtyards and in the fields. [14]They were piled into heaps, and the land reeked of them. [15]But when Pharaoh saw that there was relief, he

دعاء موسى وتصلّب فرعون

[12]وبعد أن انصرف موسى وهرون من لدن فرعون صلّى موسى إلى الرّبّ من أجل الضفادع التي أصعدها على فرعون. [13]ففعل الرّبّ حسب دعاء موسى، فانقطعت الضفادع من البيوت والدور والحقول. [14]فجمعوها أكوامًا كثيرة حتّى أنتنت منها الأرض. [15]وعندما رأى فرعون أنّ البليّة

hardened his heart and would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said.

قَدِ انْقَشَعَتْ، أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُمَا، تَمَاماً كَمَا قَالَ الرَّبُّ.

The Plague of Gnats

[16]Then the LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Stretch out your staff and strike the dust of the ground,' and throughout the land of Egypt the dust will become gnats." [17]They did this, and when Aaron stretched out his hand with the staff and struck the dust of the ground, gnats came upon men and animals. All the dust throughout the land of Egypt became gnats. [18]But when the magicians tried to produce gnats by their secret arts, they could not. And the gnats were on men and animals. [19]The magicians said to Pharaoh, "This is the finger of God." But Pharaoh's heart was hard and he would not listen, just as the LORD had said.

الضربة الثالثة: غزو البعوض

[16]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَرُونَ أَنْ يَبْسُطَ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَيَضْرِبَ تُرَابَ الأَرْضِ لِيَمْلأَ الْبَعُوضُ كُلَّ أَرْجَاءِ مِصْرَ». [17]وَهَكَذَا فَعَلا. إِذْ بَسَطَ هَرُونُ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الأَرْضِ، فَانْتَشَرَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. فَصَارَ كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ بَعُوضاً فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ. [18]وَكَذَلِكَ حَاوَلَ السَّحَرَةُ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَأَخْفَقُوا. وَكَانَ الْبَعُوضُ مُنْتَشِراً عَلَى النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. [19]فَقَالَ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ: «هُوَ فِعْلُ اللهِ». وَلَكِنْ قَلْبَ فِرْعَوْنَ ظَلَّ مُتَصَلِّباً فَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُمَا، تَمَاماً كَمَا قَالَ الرَّبُّ.

The Plague of Flies

[20]Then the LORD said to Moses, "Get up early in the morning and confront Pharaoh as he goes to the water and say to him, 'This is what the LORD says: Let my people go, so that they may worship me. [21]If you do not let my people go, I will send swarms of flies on you and your officials, on your people and into your houses. The houses of the Egyptians will be full of flies, and even the ground where they are. [22]But on that day I will deal differently with the land of Goshen, where my people live; no swarms of flies will be there, so that you will know that I, the LORD, am in this land. [23]I will make a distinction between my people and your people. This miraculous sign will occur tomorrow.' " [24]And the LORD did this. Dense swarms of flies poured into Pharaoh's palace and into the houses of his officials, and throughout Egypt the land was ruined by the flies.

الضربة الرابعة: أسراب الذباب

[20]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْهَضْ مُبَكِّراً فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْمَاءِ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. [21]وَإِنْ لَمْ تُطْلِقْ شَعْبِي فَهَا أَنَا أُرْسِلُ أَسْرَابَ الذُّبَابِ عَلَيْكَ وَعَلَى حَاشِيَتِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ. فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ بِالذُّبَابِ، وَكَذَلِكَ الأَرْضُ الَّتِي يُقِيمُونَ عَلَيْهَا. [22]وَلَكِنَّنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْتَثْنِي أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ يَسْكُنُ شَعْبِي فَلا يَغْزُوهَا الذُّبَابُ، فَتُدْرِكُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، كَائِنٌ فِي هَذِهِ الأَرْضِ. [23]وَأُمَيِّزُ بَيْنَ شَعْبِي وَشَعْبِكَ، فَتَكُونُ هَذِهِ آيَةَ الْغَدِ». [24]وَهَكَذَا صَنَعَ الرَّبُّ، فَقَدْ غَزَتْ أَسْرَابٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الذُّبَابِ بَيْتَ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتَ حَاشِيَتِهِ، وَكُلَّ أَرْضِ مِصْرَ فَأَصَابَ الذُّبَابُ الأَرْضَ بِالْخَرَابِ.

Pharaoh's Second Promise

[25]Then Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Go, sacrifice to your God here in the land." [26]But Moses said, "That would not be right. The sacrifices we offer the LORD our God would be detestable to the Egyptians. And if we offer sacrifices that are detestable in their eyes, will they not stone us? [27]We must take a three-day journey into the desert to offer sacrifices to the LORD our God, as he commands us." [28]Pharaoh

وعد ثانٍ بإطلاق الشعب

[25]فَاسْتَدْعَى فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَرُونَ وَقَالَ: «امْضُوا وَقَدِّمُوا ذَبِيحَةً لإِلَهِكُمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ». [26]فَأَجَابَ مُوسَى: «لَيْسَ مُسْتَحْسَناً أَنْ نَفْعَلَ هَذَا، لأَنَّ الذَّبَائِحَ الَّتِي نُقَدِّمُهَا لِلرَّبِّ إِلَهِنَا هِيَ رِجْسٌ لَدَى الْمِصْرِيِّينَ. فَإِنْ قَدَّمْنَا هَذِهِ الذَّبَائِحَ الَّتِي يَكْرَهُهَا الْمِصْرِيُّونَ، أَلا يَرْجُمُونَنَا؟ [27]لَكِنْ نَذْهَبُ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الصَّحْرَاءِ، فَنُقَدِّمُ ذَبَائِحَ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا أَمَرَنَا». [28]فَقَالَ

said, "I will let you go to offer sacrifices to the LORD your God in the desert, but you must not go very far. Now pray for me." [29]Moses answered, "As soon as I leave you, I will pray to the LORD, and tomorrow the flies will leave Pharaoh and his officials and his people. Only be sure that Pharaoh does not act deceitfully again by not letting the people go to offer sacrifices to the LORD."

[30]Then Moses left Pharaoh and prayed to the LORD, [31]and the LORD did what Moses asked: The flies left Pharaoh and his officials and his people; not a fly remained. [32]But this time also Pharaoh hardened his heart and would not let the people go.

The Plague on Livestock

9 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: "Let my people go, so that they may worship me." [2]If you refuse to let them go and continue to hold them back, [3]the hand of the LORD will bring a terrible plague on your livestock in the field–on your horses and donkeys and camels and on your cattle and sheep and goats. [4]But the LORD will make a distinction between the livestock of Israel and that of Egypt, so that no animal belonging to the Israelites will die.' "

[5]The LORD set a time and said, "Tomorrow the LORD will do this in the land." [6]And the next day the LORD did it: All the livestock of the Egyptians died, but not one animal belonging to the Israelites died. [7]Pharaoh sent men to investigate and found that not even one of the animals of the Israelites had died. Yet his heart was unyielding and he would not let the people go.

The Plague of Boils

[8]Then the LORD said to Moses and Aaron, "Take handfuls of soot from a furnace and have Moses toss it into the air in the presence of Pharaoh. [9]It will become fine dust over the whole land of Egypt, and festering boils will break out on men and animals throughout the land."

[10]So they took soot from a furnace and stood before Pharaoh. Moses tossed it into the air, and festering boils broke out on men and animals. [11]The magicians could not stand before Moses because of the boils that were on them and on all

فِرْعَوْنُ: «سَأُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلٰهِكُمْ فِي الصَّحْرَاءِ، وَلٰكِنْ لَا تَذْهَبُوا بَعِيدًا. صَلِّيَا لِأَجْلِي». [٢٩]فَأَجَابَ مُوسَى: «حَالَمَا أَنْصَرِفُ أُصَلِّي إِلَى الرَّبِّ، وَغَدًا يَرْتَفِعُ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَنْ حَاشِيَتِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ. وَلٰكِنْ عَلَى فِرْعَوْنَ أَلَّا يُخَادِعَ، بَلْ يُطْلِقُ الشَّعْبَ لِيُقَدِّمَ لِلرَّبِّ ذَبَائِحَ».

[٣٠]وَفَارَقَ مُوسَى فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ، [٣١]فَاسْتَجَابَ الرَّبُّ دُعَاءَ مُوسَى، فَارْتَفَعَ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَنْ حَاشِيَتِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ ذُبَابَةٌ وَاحِدَةٌ. [٣٢]وَلٰكِنَّ فِرْعَوْنَ قَسَّى قَلْبَهُ هٰذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا وَلَمْ يُطْلِقْ سَرَاحَ الشَّعْبِ.

الضربة الخامسة: إهلاك المواشي

٩ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «امْضِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هٰذَا مَا يَقُولُهُ إِلٰهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدَنِي. [٢]لِأَنَّكَ إِنْ أَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَحَجَزْتَهُمْ لَدَيْكَ، [٣]فَإِنَّ يَدَ الرَّبِّ سَتُهْلِكُ مَوَاشِيَكَ الَّتِي فِي الْحُقُولِ، الْخُيُولَ وَالْحَمِيرَ وَالْجِمَالَ وَالثِّيرَانَ وَالْغَنَمَ، بِوَبَإٍ شَدِيدٍ جِدًّا. [٤]وَأُمَيِّزُ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ، فَلَا يَهْلِكُ شَيْءٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ».

[٥]وَعَيَّنَ الرَّبُّ مَوْعِدًا لِذٰلِكَ قَائِلًا: «غَدًا يَصْنَعُ الرَّبُّ هٰذَا فِي الْأَرْضِ». [٦]وَفِي الْغَدِ صَنَعَ الرَّبُّ هٰذَا الْأَمْرَ، فَهَلَكَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ، أَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهَا وَاحِدٌ. [٧]وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ لِيَتَحَقَّقَ مِنَ الْأَمْرِ، وَإِذَا مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَهْلِكْ مِنْهَا وَاحِدٌ. وَتَصَلَّبَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقْ سَرَاحَ الشَّعْبِ.

الضربة السادسة: الدمامل المقيحة

[٨]قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «لِيَأْخُذْ كُلٌّ مِنْكُمَا حَفْنَةً مِنْ رَمَادِ الْأَتُونِ، وَلْيَذُرَّ مُوسَى الرَّمَادَ نَحْوَ السَّمَاءِ بِمَرْأًى مِنْ فِرْعَوْنَ. [٩]فَيَتَحَوَّلَ إِلَى غُبَارٍ يُغَطِّي كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ، فَيُصَابُ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ بِدَمَامِلَ مُتَقَيِّحَةٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ».

[١٠]فَأَخَذَا رَمَادًا مِنَ الْأَتُونِ، وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ ذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى دَمَامِلَ مُتَقَيِّحَةٍ أَصَابَتِ النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ. [١١]وَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّحَرَةُ أَنْ يُوَاجِهُوا مُوسَى مِنْ جَرَّاءِ

the Egyptians. [12]But the LORD hardened Pharaoh's heart and he would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said to Moses.

The Plague of Hail

[13]Then the LORD said to Moses, "Get up early in the morning, confront Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: Let my people go, so that they may worship me, [14]or this time I will send the full force of my plagues against you and against your officials and your people, so you may know that there is no one like me in all the earth. [15]For by now I could have stretched out my hand and struck you and your people with a plague that would have wiped you off the earth. [16]But I have raised you up for this very purpose, that I might show you my power and that my name might be proclaimed in all the earth. [17]You still set yourself against my people and will not let them go. [18]Therefore, at this time tomorrow I will send the worst hailstorm that has ever fallen on Egypt, from the day it was founded till now. [19]Give an order now to bring your livestock and everything you have in the field to a place of shelter, because the hail will fall on every man and animal that has not been brought in and is still out in the field, and they will die.' "

[20]Those officials of Pharaoh who feared the word of the LORD hurried to bring their slaves and their livestock inside. [21]But those who ignored the word of the LORD left their slaves and livestock in the field.

[22]Then the LORD said to Moses, "Stretch out your hand toward the sky so that hail will fall all over Egypt–on men and animals and on everything growing in the fields of Egypt." [23]When Moses stretched out his staff toward the sky, the LORD sent thunder and hail, and lightning flashed down to the ground. So the LORD rained hail on the land of Egypt; [24]hail fell and lightning flashed back and forth. It was the worst storm in all the land of Egypt since it had become a nation. [25]Throughout Egypt hail struck everything in the fields–both men and animals; it beat down everything growing in the fields and stripped every tree. [26]The only place it did not hail was the land of Goshen, where the Israelites were.

الدمامل، لأن الدمامل أصابت السحرة وكل المصريين أيضا. [12]لكن الرب قسى قلب فرعون فلم يسمع لهما، تماما كما قال الرب لموسى.

الضربة السابعة: سقوط البرد

[13]ثم قال الرب لموسى: «قم مبكرا في الصباح وامثل أمام فرعون وقل له: هذا ما يقوله الرب إله العبرانيين: أطلق شعبي ليعبدني. [14]لأنني في هذه المرة سأوجه جميع ضرباتي إلى قلبك وإلى حاشيتك وإلى شعبك، لكي تعرف أنه ليس مثلي في كل الأرض. [15]فلقد كان بوسعي حتى الآن أن أمد يدي وأضربك وأضرب شعبك أيضا بالوبإ لتباد من الأرض. [16]ولكنني أبقيتك لأريك قوتي، ولكي يذاع اسمي في جميع الأرض. [17]وها أنت مازلت تقاوم شعبي ولا تطلقه. [18]لذلك غدا في مثل هذا الوقت أمطر بردا ثقيلا لم تشهده مصر منذ يوم تأسيسها حتى الآن. [19]فأرسل الآن واجمع مواشيك وكل ما لك في الحقل، لأن كل من يمكث في الحقل من الناس والبهائم ولا يلجأ إلى مأوى، ينهمر عليه البرد فيموت».

[20]فكل من خاف كلمة الرب من رجال فرعون لاذ بعبيده ومواشيه بالبيوت. [21]أما الذين استخفوا بكلام الرب فقد تركوا عبيدهم ومواشيهم في الحقل.

[22]وقال الرب لموسى: «مد يدك نحو السماء فينهمر البرد على كل أرض مصر، وعلى الرجال والبهائم وعلى عشب الحقل في جميع أرض مصر». [23]فمد موسى عصاه نحو السماء، فأرسل الرب رعودا وبردا، وأصابت الصواعق الأرض، وأمطر الرب بردا على كل بلاد مصر، [24]فانهمر البرد واختلطت الصواعق بالبرد، فكانت أسوأ عاصفة شهدتها أرض مصر منذ أن صارت أمة. [25]وأصاب البرد في كل أرجاء مصر جميع ما في الحقول من ناس وبهائم، وأتلف كل نبات نام في الحقل وكسر جميع الأشجار. [26]أما أرض جاسان حيث يقيم بنو إسرائيل، فإنها وحدها لم يسقط فيها برد.

Pharaoh's Third Promise to Free Israel

27 Then Pharaoh summoned Moses and Aaron. "This time I have sinned," he said to them. "The LORD is in the right, and I and my people are in the wrong. 28 Pray to the LORD, for we have had enough thunder and hail. I will let you go; you don't have to stay any longer."

29 Moses replied, "When I have gone out of the city, I will spread out my hands in prayer to the LORD. The thunder will stop and there will be no more hail, so you may know that the earth is the LORD's. 30 But I know that you and your officials still do not fear the LORD God."

31 (The flax and barley were destroyed, since the barley had headed and the flax was in bloom. 32 The wheat and spelt, however, were not destroyed, because they ripen later.)

33 Then Moses left Pharaoh and went out of the city. He spread out his hands toward the LORD; the thunder and hail stopped, and the rain no longer poured down on the land. 34 When Pharaoh saw that the rain and hail and thunder had stopped, he sinned again: He and his officials hardened their hearts. 35 So Pharaoh's heart was hard and he would not let the Israelites go, just as the LORD had said through Moses.

الوعد الثالث بإطلاق الشعب

٢٧ فأرسل فرعون واستدعى موسى وهرون وقال لهما: «لقد أخطأت هذه المرة، والرب هو البار، أما أنا وشعبي فالأشرار. ٢٨ تضرعا إلى الرب إذ يكفينا ما أصابنا به من رعود وبرد، فأطلقكم، ولا تمكثون هنا بعد». ٢٩ فأجاب موسى: «حالما أخرج من المدينة أبسط يدي في الصلاة إلى الرب فيتوقف الرعد وينقطع البرد لكي تعرف أن الأرض هي للرب. ٣٠ ولكنني عالم أنك أنت وحاشيتك ما زلتم لا تخشون الرب الإله». ٣١ إن الكتان والشعير قد تلفا، لأن الشعير كان قد أصبح سنابل، والكتان كان مزهرا. ٣٢ أما الحنطة والقطاني فلم تتلف بعد لأنها تثمر متأخرة.

٣٣ وانصرف موسى من لدن فرعون من المدينة وبسط يديه إلى الرب، فتوقف الرعد والبرد وانقطع المطر عن الانهمار على الأرض. ٣٤ وعندما رأى فرعون أن المطر والبرد والرعد قد توقفت أخطأ مرة أخرى وصلب قلبه هو وحاشيته. ٣٥ وهكذا قسي قلب فرعون فلم يطلق سراح بني إسرائيل، تماما كما أنبأ الرب على لسان موسى.

Moses and Aaron Request Freedom for Israel

10 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh, for I have hardened his heart and the hearts of his officials so that I may perform these miraculous signs of mine among them 2 that you may tell your children and grandchildren how I dealt harshly with the Egyptians and how I performed my signs among them, and that you may know that I am the LORD."

موسى وهرون يطالبان بإطلاق الشعب

١٠ وقال الرب لموسى: «امثل أمام فرعون لأنني قد قسيت قلبه وقلوب حاشيته لكي أجري آياتي هذه بينهم. ٢ ولكي تخبر في مسامع بنيك وأحفادك عما ابتليت به المصريين وبآياتي التي أجريتها بينهم فتعلمون أني أنا الرب».

A Threat of a Plague of Locusts

3 So Moses and Aaron went to Pharaoh and said to him, "This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: 'How long will you refuse to humble yourself before me? Let my people go, so that they may worship me. 4 If you refuse to let them go, I will bring locusts into your country tomorrow. 5 They will cover the face of the ground so that it cannot be seen. They will devour what little you have left after the hail, including every tree that is growing in your fields. 6 They will fill your houses and those of all your officials and all

التهديد بغزو الجراد

٣ فمثل موسى وهرون أمام فرعون وقالا له: «هكذا ما يقوله الرب إله العبرانيين: إلى متى تأبى أن تخضع لي؟ أطلق شعبي ليعبدني. ٤ وإذا أبيت أن تطلق سراح شعبي، فها أنا أجلب غدا الجراد على تخومك. ٥ فيغطي وجه الأرض، فيتعذر على أحد أن يراها، ويلتهم البقية المتخلفة لكم عن البرد، وكل شجرة نابتة لكم في الحقل. ٦ ويملأ بيوتك وبيوت حاشيتك وبيوت جميع المصريين، الأمر الذي لم يشهد مثله آباؤك ولا أجدادك منذ أن استوطنوا

the Egyptians–something neither your fathers nor your forefathers have ever seen from the day they settled in this land till now.' " Then Moses turned and left Pharaoh.

هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ إِلَى ٱلْآنَ». ثُمَّ تَحَوَّلَ وَٱنْصَرَفَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ.

Pharaoh Allows the Men of Israel to Leave

[7]Pharaoh's officials said to him, "How long will this man be a snare to us? Let the people go, so that they may worship the LORD their God. Do you not yet realize that Egypt is ruined?" [8]Then Moses and Aaron were brought back to Pharaoh. "Go, worship the LORD your God," he said. "But just who will be going?" [9]Moses answered, "We will go with our young and old, with our sons and daughters, and with our flocks and herds, because we are to celebrate a festival to the LORD." [10]Pharaoh said, "The LORD be with you–if I let you go, along with your women and children! Clearly you are bent on evil. [11]No! Have only the men go; and worship the LORD, since that's what you have been asking for." Then Moses and Aaron were driven out of Pharaoh's presence.

الإذن بإطلاق الرجال فقط

[٧]فَقَالَتْ حَاشِيَةُ فِرْعَوْنَ لَهُ: «إِلَى مَتَى يَظَلُّ هٰذَا ٱلرَّجُلُ شَرَكاً لَنَا؟ أَطْلِقِ ٱلشَّعْبَ لِيَعْبُدُوا ٱلرَّبَّ إِلٰهَهُمْ. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مِصْرَ قَدْ عَمَّهَا ٱلْخَرَابُ؟» [٨]فَٱسْتُدْعِيَ مُوسَى وَهٰرُونُ ثَانِيَةً لِلْمُثُولِ أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَقَالَ لَهُمَا: «ٱمْضُوا وَٱعْبُدُوا ٱلرَّبَّ إِلٰهَكُمْ، وَلٰكِنْ مَنْ هُمُ ٱلَّذِينَ سَيَذْهَبُونَ؟» [٩]فَأَجَابَ مُوسَى: «نَذْهَبُ بِفِتْيَانِنَا وَشُيُوخِنَا. نَذْهَبُ بِبَنِينَا وَبَنَاتِنَا، بِمَوَاشِينَا وَقُطْعَانِنَا لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نُقِيمَ عِيداً لِلرَّبِّ». [١٠]فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «لِيَكُنِ ٱلرَّبُّ بِعَوْنِكُمْ إِنْ أَنَا أَطْلَقْتُكُمْ مَعَ نِسَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ. فَمِنَ ٱلْجَلِيِّ أَنَّكُمْ عَازِمُونَ عَلَى ٱلشَّرِّ. [١١]لَا، فَلْيَمْضِ ٱلرِّجَالُ فَقَطْ لِعِبَادَةِ ٱلرَّبِّ، لِأَنَّ هٰذَا هُوَ مَا تَطْلُبُونَهُ». ثُمَّ طُرِدَا مِنْ حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ.

God Sends the Plague of Locusts

[12]And the LORD said to Moses, "Stretch out your hand over Egypt so that locusts will swarm over the land and devour everything growing in the fields, everything left by the hail."

[13]So Moses stretched out his staff over Egypt, and the LORD made an east wind blow across the land all that day and all that night. By morning the wind had brought the locusts; [14]they invaded all Egypt and settled down in every area of the country in great numbers. Never before had there been such a plague of locusts, nor will there ever be again. [15]They covered all the ground until it was black. They devoured all that was left after the hail–everything growing in the fields and the fruit on the trees. Nothing green remained on tree or plant in all the land of Egypt.

الضربة الثامنة: غزو الجراد

[١٢]فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «ٱبْسُطْ يَدَكَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ لِتَبْتَلِيَ بِالْجَرَادِ، فَيُغَطِّي بِلَادَ مِصْرَ وَيَلْتَهِمَ كُلَّ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُتَخَلِّفِ عَنِ ٱلْبَرَدِ». [١٣]فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَأَرْسَلَ ٱلرَّبُّ عَلَيْهِمْ رِيحاً شَرْقِيَّةً طَوَالَ ذٰلِكَ ٱلنَّهَارِ وَٱللَّيْلِ، وَمَا إِنْ أَقْبَلَ ٱلصَّبَاحُ حَتَّى حَمَلَتِ ٱلرِّيحُ ٱلشَّرْقِيَّةُ ٱلْجَرَادَ. [١٤]فَٱنْتَشَرَ ٱلْجَرَادُ فِي كُلِّ بِلَادِ مِصْرَ، وَحَلَّ فِي جَمِيعِ تُخُومِهَا بِأَسْرَابٍ عَظِيمَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَحْدُثَ مِثْلُهُ فِي مَا بَعْدُ. [١٥]فَقَدْ غَطَّى وَجْهَ كُلِّ ٱلْأَرْضِ حَتَّى أَظْلَمَتْ، وَٱلْتَهَمَ كُلَّ عُشْبٍ فِيهَا وَكُلَّ أَثْمَارِ ٱلْأَشْجَارِ ٱلَّتِي خَلَّفَهَا ٱلْبَرَدُ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَخْضَرُ لَا عَلَى ٱلْأَشْجَارِ وَلَا فِي حُقُولِ ٱلْمَزْرُوعَاتِ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ مِصْرَ.

Moses Prays for the Removal of the Locusts

[16]Pharaoh quickly summoned Moses and Aaron and said, "I have sinned against the LORD your God and against you. [17]Now forgive my sin once more and pray to the LORD your God to take this deadly plague away from me."

[18]Moses then left Pharaoh and prayed to the

استدعاء موسى

[١٦]عِنْدَئِذٍ أَسْرَعَ فِرْعَوْنُ فَٱسْتَدْعَى مُوسَى وَهٰرُونَ قَائِلاً: «لَقَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى ٱلرَّبِّ إِلٰهِكُمْ وَإِلَيْكُمَا. [١٧]فَٱصْفَحَا هٰذِهِ ٱلْمَرَّةَ فَقَطْ عَنْ خَطِيئَتِي وَٱبْتَهِلَا إِلَى ٱلرَّبِّ إِلٰهِكُمَا كَيْ يُزِيلَ عَنِّي هٰذَا ٱلْبَلَاءَ ٱلْمُمِيتَ». [١٨]فَٱنْصَرَفَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ

LORD. [19]And the LORD changed the wind to a very strong west wind, which caught up the locusts and carried them into the Red Sea. Not a locust was left anywhere in Egypt. [20]But the LORD hardened Pharaoh's heart, and he would not let the Israelites go.

وابتهل إلى الرب. [19]فأرسل الرب ريحا غربية عاصفة حملت الجراد وطرحته في البحر الأحمر، فلم تبق جرادة واحدة في جميع أرجاء مصر. [20]ولكن الرب صلب قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل.

The Plague of Darkness

[21]Then the LORD said to Moses, "Stretch out your hand toward the sky so that darkness will spread over Egypt–darkness that can be felt." [22]So Moses stretched out his hand toward the sky, and total darkness covered all Egypt for three days. [23]No one could see anyone else or leave his place for three days. Yet all the Israelites had light in the places where they lived.

الضربة التاسعة: الظلام الكثيف

[21]فقال الرب لموسى: «ابسط يدك نحو السماء فيطغى ظلام على كل أرجاء مصر حتى يكاد يلمس لكثافته». [22]فبسط موسى يده نحو السماء، فطغى ظلام كثيف على كل أرجاء أرض مصر لمدة ثلاثة أيام. [23]فلم يتمكن أحد من أن يرى أخاه، ولا غادر أحد مكانه طوال ثلاثة أيام. غير أن النور كان يغمر بني إسرائيل في أماكن إقامتهم.

Freedom With Conditions

[24]Then Pharaoh summoned Moses and said, "Go, worship the LORD. Even your women and children may go with you; only leave your flocks and herds behind." [25]But Moses said, "You must allow us to have sacrifices and burnt offerings to present to the LORD our God. [26]Our livestock too must go with us; not a hoof is to be left behind. We have to use some of them in worshiping the LORD our God, and until we get there we will not know what we are to use to worship the LORD." [27]But the LORD hardened Pharaoh's heart, and he was not willing to let them go. [28]Pharaoh said to Moses, "Get out of my sight! Make sure you do not appear before me again! The day you see my face you will die." [29]"Just as you say," Moses replied, "I will never appear before you again."

الإذن المشروط بإطلاق الشعب

[24]فاستدعى فرعون موسى وقال: «اذهبوا واعبدوا الرب، ولكن اتركوا وراءكم ماشيتكم وقطعانكم، أما صغاركم فليذهبوا معكم أيضا». [25]فقال موسى: «عليك أن تسمح لنا بأخذ ذبائح ومحرقات لنقدمها للرب إلهنا. [26]لذلك تذهب مواشينا معنا أيضا، فلا يبقى منها ظلف واحد، لأن علينا أن نختار منها لعبادة الرب إلهنا، ولا يمكننا أن نعرف ماذا نختار منها لنعبد الرب حتى نصل إلى هناك». [27]ولكن الرب صلب قلب فرعون فلم يطلق سراحهم. [28]وقال له فرعون: «اذهب عني، واحذر لنفسك. لا تمثل أمامي مرة أخرى، فيوم ترى وجهي تموت». [29]فقال موسى: «حسنا قلت. فأنا لن أرى وجهك مرة أخرى».

The Plague on the Firstborn

11 Now the LORD had said to Moses, "I will bring one more plague on Pharaoh and on Egypt. After that, he will let you go from here, and when he does, he will drive you out completely. [2]Tell the people that men and women alike are to ask their neighbors for articles of silver and gold." [3](The LORD made the Egyptians favorably disposed toward the people, and Moses himself was highly regarded in Egypt by Pharaoh's officials and by the people.)

[4]So Moses said, "This is what the LORD says: 'About midnight I will go throughout Egypt.

التهديد بالضربة الأخيرة

١١ ثم قال الرب لموسى: «بقيت بلية واحدة أصيب بها فرعون والمصريين، وبعد ذلك يطلقكم من هنا. وعندما يفعل ذلك فإنه يطردكم طردا جميعا. [2]قل الآن للشعب: ليطلب كل رجل من جاره، وكل امرأة من جارتها، آنية فضة وذهب». [3]ذلك لأن الرب جعل الشعب يحظى برضى المصريين، كما أن الرجل موسى كان عظيما في مصر في عيون حاشية فرعون والشعب.

[4]وقال موسى: هذا ما يقوله الرب: «سأجتاز حوالي نصف الليل

بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَكُمْ. ٢٤ فَتُمَارِسُونَ هَذَا الأَمْرَ فَرِيضَةً لَكُمْ وَلأَوْلادِكُمْ إِلَى الأَبَدِ. ٢٥ وَحِينَمَا تَدْخُلُونَ الأَرْضَ الَّتِي وَعَدَ الرَّبُّ أَنْ يَهَبَهَا لَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُمَارِسُونَ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ. ٢٦ وَيَكُونُ حِينَ يَسْأَلُكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ: مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْفَرِيضَةُ لَكُمْ؟ ٢٧ تُجِيبُونَهُمْ قَائِلِينَ: إِنَّهَا ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ عِنْدَمَا أَهْلَكَ الْمِصْرِيِّينَ، وَأَنْقَذَ بُيُوتَنَا. فَحَنَى الشَّعْبُ رُؤُوسَهُمْ سَاجِدِينَ. ٢٨ فَمَضَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفَعَلُوا تَمَاماً كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَرُونَ.

enter your houses and strike you down. [24]Obey these instructions as a lasting ordinance for you and your descendants. [25]When you enter the land that the LORD will give you as he promised, observe this ceremony. [26]And when your children ask you, 'What does this ceremony mean to you?' [27]then tell them, 'It is the Passover sacrifice to the LORD, who passed over the houses of the Israelites in Egypt and spared our homes when he struck down the Egyptians.' " Then the people bowed down and worshiped. [28]The Israelites did just what the LORD commanded Moses and Aaron.

الضربة العاشرة: موت الأبكار

٢٩ وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَهْلَكَ الرَّبُّ كُلَّ بِكْرٍ فِي بِلادِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْمُتَرَبِّعِ عَلَى الْعَرْشِ إِلَى بِكْرِ الْحَبِيسِ فِي السِّجْنِ، وَأَبْكَارَ الْبَهَائِمِ جَمِيعاً أَيْضاً. ٣٠ فَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ وَحَاشِيَتُهُ وَجَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ وَإِذَا عَوِيلٌ عَظِيمٌ فِي أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ.

٣١ فَاسْتَدْعَى مُوسَى وَهَرُونَ لَيْلاً قَائِلاً: «قُومُوا وَاخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ أَنْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، وَانْطَلِقُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا طَلَبْتُمْ. ٣٢ وَخُذُوا مَعَكُمْ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ وَامْضُوا وَبَارِكُونِي أَيْضاً». ٣٣ وَأَلَحَّ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى الشَّعْبِ لِيُسْرِعُوا فِي الارْتِحَالِ عَنِ الْبِلادِ قَائِلِينَ: «لِئَلّا نَمُوتَ جَمِيعاً».

The Death of the Firstborn

[29]At midnight the LORD struck down all the firstborn in Egypt, from the firstborn of Pharaoh, who sat on the throne, to the firstborn of the prisoner, who was in the dungeon, and the firstborn of all the livestock as well. [30]Pharaoh and all his officials and all the Egyptians got up during the night, and there was loud wailing in Egypt, for there was not a house without someone dead.

[31]During the night Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Up! Leave my people, you and the Israelites! Go, worship the LORD as you have requested. [32]Take your flocks and herds, as you have said, and go. And also bless me." [33]The Egyptians urged the people to hurry and leave the country. "For otherwise," they said, "we will all die!"

الخروج

٣٤ فَحَمَلَ الشَّعْبُ فِي لِفَائِفِ مَعَاجِنِهِمْ عَجِينَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ، وَحَمَلُوهَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ. ٣٥ وَطَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ آنِيَةَ فِضَّةٍ وَذَهَباً وَثِيَاباً بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. ٣٦ وَجَعَلَ الرَّبُّ الشَّعْبَ يَحْظَى بِرِضَى الْمِصْرِيِّينَ، فَأَعْطَوْهُمْ كُلَّ مَا طَلَبُوهُ. فَغَنِمُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.

٣٧ وَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ، فَكَانُوا نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الرِّجَالِ الْمُشَاةِ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ. ٣٨ وَكَذَلِكَ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مَعَ غَنَمٍ وَمَوَاشٍ وَقُطْعَانٍ كَثِيرَةٍ. ٣٩ ثُمَّ خَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَّةٍ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُخْتَمِراً، إِلا

The Exodus

[34]So the people took their dough before the yeast was added, and carried it on their shoulders in kneading troughs wrapped in clothing. [35]The Israelites did as Moses instructed and asked the Egyptians for articles of silver and gold and for clothing. [36]The LORD had made the Egyptians favorably disposed toward the people, and they gave them what they asked for; so they plundered the Egyptians.

[37]The Israelites journeyed from Rameses to Succoth. There were about six hundred thousand men on foot, besides women and children. [38]Many other people went up with them, as well as large droves of livestock, both flocks and herds. [39]With the dough they had brought from Egypt, they baked cakes of unleavened bread. The dough was

[5]Every firstborn son in Egypt will die, from the firstborn son of Pharaoh, who sits on the throne, to the firstborn son of the slave girl, who is at her hand mill, and all the firstborn of the cattle as well. [6]There will be loud wailing throughout Egypt–worse than there has ever been or ever will be again. [7]But among the Israelites not a dog will bark at any man or animal.' Then you will know that the LORD makes a distinction between Egypt and Israel. [8]All these officials of yours will come to me, bowing down before me and saying, 'Go, you and all the people who follow you!' After that I will leave." Then Moses, hot with anger, left Pharaoh. [9]The LORD had said to Moses, "Pharaoh will refuse to listen to you–so that my wonders may be multiplied in Egypt." [10]Moses and Aaron performed all these wonders before Pharaoh, but the LORD hardened Pharaoh's heart, and he would not let the Israelites go out of his country.

فِي وَسَطِ مِصْرَ. [٥]فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِيهَا، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْمُتَرَبِّعِ عَلَى الْعَرْشِ إِلَى بِكْرِ الأَمَةِ الَّتِي وَرَاءَ الرَّحَى، وَكَذَلِكَ بِكْرِ كُلِّ بَهِيمَةٍ. [٦]فَيَعْلُو صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهُ مِنْ قَبْلُ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُ أَيْضاً. [٧]أَمَّا بَيْنَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ فَلَنْ يَنْبَحَ كَلْبٌ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، وَعِنْدَئِذٍ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ. [٨]فَيَأْتِي إِلَيَّ، مِنْ ثَمَّ، جَمِيعُ عَبِيدِكَ هَؤُلاءِ وَيَنْحَنُونَ أَمَامِي قَائِلِينَ: انْطَلِقْ أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ يَتْبَعُكَ مِنَ الشَّعْبِ. وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَمْضِي». ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ بِغَضَبٍ مُحْتَدِمٍ.
[٩]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ يَأْبَى الاسْتِمَاعَ لَكُمَا لِكَيْ تَتَكَاثَرَ آيَاتِي فِي أَرْضِ مِصْرَ». [١٠]وَلَقَدْ أَجْرَى مُوسَى وَهَرُونُ كُلَّ هَذِهِ الآيَاتِ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ قَسَّى قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقْ سَرَاحَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ دِيَارِهِ.

[31]During the night Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Up! Leave my people, you and the Israelites! Go, worship the LORD as you have requested. [32]Take your flocks and herds, as you have said, and go. And also bless me." [33]The Egyptians urged the people to hurry and leave the country. "For otherwise," they said, "we will all die!"

[٣١]فَاسْتَدْعَى مُوسَى وَهَرُونَ لَيْلاً قَائِلاً: «قُومُوا وَاخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ أَنْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، وَانْطَلِقُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا طَلَبْتُمْ. [٣٢]وَخُذُوا مَعَكُمْ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ وَامْضُوا، وَبَارِكُونِي أَيْضاً». [٣٣]وَأَلَحَّ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى الشَّعْبِ لِيُسْرِعُوا فِي الارْتِحَالِ عَنِ الْبِلادِ قَائِلِينَ: «لِئَلّا نَمُوتَ جَمِيعاً».

The Exodus

[34]So the people took their dough before the yeast was added, and carried it on their shoulders in kneading troughs wrapped in clothing. [35]The Israelites did as Moses instructed and asked the Egyptians for articles of silver and gold and for clothing. [36]The LORD had made the Egyptians favorably disposed toward the people, and they gave them what they asked for; so they plundered the Egyptians.

[37]The Israelites journeyed from Rameses to Succoth. There were about six hundred thousand men on foot, besides women and children. [38]Many other people went up with them, as well as large droves of livestock, both flocks and herds. [39]With the dough they had brought from Egypt, they baked cakes of unleavened bread. The dough was

الخروج

[٣٤]فَصَرَّ الشَّعْبُ فِي ثِيَابِهِمْ مَعَاجِنَهُمْ وَعَجِينَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ، وَحَمَلُوهَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ. [٣٥]وَطَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ آنِيَةَ فِضَّةٍ وَذَهَباً وَثِيَاباً بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. [٣٦]وَجَعَلَ الرَّبُّ الشَّعْبَ يَحْظَى بِرِضَى الْمِصْرِيِّينَ، فَأَعْطَوْهُمْ كُلَّ مَا طَلَبُوهُ، فَغَنِمُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.
[٣٧]وَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ فَكَانُوا نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الرِّجَالِ الْمُشَاةِ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ. [٣٨]وَكَذَلِكَ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مَعَ غَنَمٍ وَمَوَاشٍ وَقُطْعَانٍ كَثِيرَةٍ. [٣٩]ثُمَّ خَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَّةٍ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُخْتَمِراً، إِذْ

سفر الخروج (12/ 34 ـ 42)

without yeast because they had been driven out of Egypt and did not have time to prepare food for themselves.

أَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا فَمَا أَعَدُّوا لِأَنْفُسِهِمْ زَاداً.

Passover Restrictions

[40]Now the length of time the Israelite people lived in Egypt was 430 years. [41]At the end of the 430 years, to the very day, all the LORD's divisions left Egypt. [42]Because the LORD kept vigil that night to bring them out of Egypt, on this night all the Israelites are to keep vigil to honor the LORD for the generations to come.

شريعة الفصح

[٤٠]وَكَانَتْ مُدَّةُ غُرْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. [٤١]وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِيرِ بِٱلذَّاتِ، فِي خِتَامِ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً خَرَجَ جَمِيعُ أَجْنَادِ ٱلرَّبِّ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [٤٢]هِيَ لَيْلَةٌ تُكَرَّسُ لِلرَّبِّ إِذْ أَخْرَجَهُمْ فِيهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هَذِهِ ٱللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ، يُكَرِّسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ أَجْيَالِهِمْ.

Crossing the Desert

[17]When Pharaoh let the people go, God did not lead them on the road through the Philistine country, though that was shorter. For God said, "If they face war, they might change their minds and return to Egypt." [18]So God led the people around by the desert road toward the Red Sea. The Israelites went up out of Egypt armed for battle. [19]Moses took the bones of Joseph with him because Joseph had made the sons of Israel swear an oath. He had said, "God will surely come to your aid, and then you must carry my bones up with you from this place."

عبور صحراء البحر الأحمر

[١٧]وَعِنْدَمَا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ ٱلشَّعْبَ لَمْ يَقُدْهُمُ ٱللهُ فِي طَرِيقِ بِلَادِ ٱلْفِلِسْطِينِيِّينَ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ قِصَرِهَا، لِأَنَّ ٱللهَ قَالَ لِئَلَّا يَنْدَمَ ٱلشَّعْبُ إِذَا تَعَرَّضَ لِحَرْبٍ وَيَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ. [١٨]إِنَّمَا أَقَادَ ٱللهُ ٱلشَّعْبَ عَبْرَ صَحْرَاءِ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ. وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ غَادَرُوا مِصْرَ مُتَسَلِّحِينَ مُتَأَهِّبِينَ لِلْقِتَالِ. [١٩]وَحَمَلَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدِ ٱسْتَحْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَلْفٍ قَائِلاً: «لَابُدَّ أَنْ يَتَفَقَّدَكُمُ ٱللهُ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْقُلُوا عِظَامِي مَعَكُمْ مِنْ هَذَا ٱلْمَكَانِ».

The Pillars of Cloud and Fire

[20]After leaving Succoth they camped at Etham on the edge of the desert. [21]By day the LORD went ahead of them in a pillar of cloud to guide them on their way and by night in a pillar of fire to give them light, so that they could travel by day or night. [22]Neither the pillar of cloud by day nor the pillar of fire by night left its place in front of the people.

عمودا السحاب والنار

[٢٠]وَٱرْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَخَيَّمُوا فِي إِيثَامَ عَلَى طَرَفِ ٱلصَّحْرَاءِ. [٢١]وَكَانَ ٱلرَّبُّ يَتَقَدَّمُهُمْ نَهَاراً فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي ٱلطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. [٢٢]وَلَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ ٱلسَّحَابِ نَهَاراً وَعَمُودُ ٱلنَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ ٱلشَّعْبِ.

سفر الخروج (13/ 17 ـ 22)

The Desert of Shur

[22]Then Moses led Israel from the Red Sea and they went into the Desert of Shur. For three days they traveled in the desert without finding water. [23]When they came to Marah, they could not drink its water because it was bitter. (That is why the place is called Marah.) [24]So the people grumbled against Moses, saying, "What are we to drink?" [25]Then Moses cried out to the LORD, and the LORD showed him a piece of wood. He threw it into the water, and the water became sweet. There the LORD made a decree and a law for them, and there he tested them. [26]He said, "If you listen carefully to the voice of the LORD your God and do what is right in his eyes, if you pay attention to his commands and keep all his decrees, I will not bring on you any of the diseases I brought on the Egyptians, for I am the LORD, who heals you."

[27]Then they came to Elim, where there were twelve springs and seventy palm trees, and they camped there near the water.

صحراء شور

[٢٢]ثُمَّ أَرْحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ، وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ صَحْرَاءِ شُورٍ، وَظَلُّوا يَجُوبُونَ ٱلصَّحْرَاءَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِدُوا مَاءً. [٢٣]وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى مَارَةَ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءَهَا لِمَرَارَتِهِ، لِذَلِكَ سُمِّيَتْ «مَارَةَ». [٢٤]فَتَذَمَّرَ ٱلشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟» [٢٥]فَٱسْتَغَاثَ بِٱلرَّبِّ، فَأَرَاهُ ٱلرَّبُّ شَجَرَةً فَأَلْقَاهَا إِلَى ٱلْمَاءِ، فَصَارَ عَذْبًا. وَهُنَاكَ أَيْضًا وَضَعَ ٱلرَّبُّ لِلشَّعْبِ فَرِيضَةً وَشَرِيعَةً، وَٱمْتَحَنَهُ. [٢٦]وَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تَحْرِصُ عَلَى سَمَاعِ صَوْتِ ٱلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَتَفْعَلُ مَا هُوَ حَقٌّ أَمَامَهُ، وَتُطِيعُ وَصَايَاهُ وَتُحَافِظُ عَلَى جَمِيعِ فَرَائِضِهِ، فَلَنْ أَدَعَكَ تُقَاسِي مِنْ أَيِّ مَرَضٍ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلَّتِي ٱبْتَلَيْتُ بِهَا ٱلْمِصْرِيِّينَ، فَإِنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ شَافِيكَ».

[٢٧]ثُمَّ بَلَغُوا إِيلِيمَ حَيْثُ كَانَتِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً، فَخَيَّمُوا إِلَى جِوَارِ عُيُونِ ٱلْمَاءِ.

سفر الخروج (27/ 15 ـ 22)

In the Desert of Sin

16 The whole Israelite community set out from Elim and came to the Desert of Sin, which is between Elim and Sinai, on the fifteenth day of the second month after they had come out of Egypt. [2]In the desert the whole community grumbled against Moses and Aaron. [3]The Israelites said to them, "If only we had died by the LORD's hand in Egypt! There we sat around pots of meat and ate all the food we wanted, but you have brought us out into this desert to starve this entire assembly to death."

[4]Then the LORD said to Moses, "I will rain down bread from heaven for you. The people are to go out each day and gather enough for that day. In this way I will test them and see whether they will follow my instructions. [5]On the sixth day they are to prepare what they bring in, and that is to be twice as much as they gather on the other days." [6]So Moses and Aaron said to all the Israelites, "In the evening you will know that it was the LORD who brought you out of Egypt, [7]and in the morning you will see the glory of the LORD, because he has heard your grumbling against him. Who are we, that you should grumble against us?" [8]Moses also said, "You will know that it was the LORD when he gives you meat to eat in the evening and all the bread you want in the morning, because he has heard your grumbling against him. Who are we? You are not grumbling against us, but against the LORD." [9]Then Moses told Aaron, "Say to the entire Israelite community, 'Come before the LORD, for he has heard your grumbling.' " [10]While Aaron was speaking to the whole Israelite community, they looked toward the desert, and there was the glory of the LORD appearing in the cloud. [11]The LORD said to Moses, [12]"I have heard the grumbling of the Israelites. Tell them, 'At twilight you will eat meat, and in the morning you will be filled with bread. Then you will know that I am the LORD your God.' "

Manna and Quail

[13]That evening quail came and covered the camp, and in the morning there was a layer of dew around the camp. [14]When the dew was gone, thin flakes like frost on the ground appeared on the desert floor. [15]When the Israelites saw it, they said to each other, "What is it?" For they did not know what it

في صحراء سين

١٦ ثُمَّ ٱنْتَقَلَتْ كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ مِنْ إِيلِيمَ حَتَّى أَقْبَلُوا إِلَى صَحْرَاءِ سِينَ ٱلْوَاقِعَةِ بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ، وَذَلِكَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [٢]وَهُنَاكَ فِي ٱلصَّحْرَاءِ تَذَمَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ، [٣]وَقَالُوا لَهُمَا: «لَيْتَ ٱلرَّبَّ أَمَاتَنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَهُنَاكَ كُنَّا نَجْلِسُ حَوْلَ قُدُورِ ٱللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى ٱلشَّبَعِ. وَهَا أَنْتُمَا قَدْ أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذِهِ ٱلصَّحْرَاءِ لِتُمِيتَا كُلَّ هَذِهِ ٱلْجَمَاعَةِ جُوعاً».

[٤]فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا أُمْطِرُ عَلَيْكُمْ خُبْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ، فَيَخْرُجُ ٱلشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُ حَاجَةَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ، لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، فَأَرَى إِنْ كَانُوا يَسْلُكُونَ فِي شَرِيعَتِي أَمْ لَا. [٥]وَلَكِنْ لِيَكُنْ مَا يَلْتَقِطُونَهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ ضِعْفَ مَا يَجْمَعُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ». [٦]فَقَالَ مُوسَى وَهَرُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «فِي ٱلْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلرَّبَّ هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [٧]وَفِي ٱلصَّبَاحِ تُعَايِنُونَ مَجْدَ ٱلرَّبِّ، لِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ مَنْ نَحْنُ حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟» [٨]وَقَالَ مُوسَى أَيْضاً: «إِنَّكُمْ سَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ ٱلرَّبُّ، عِنْدَمَا يُعْطِيكُمْ لَحْماً فِي ٱلْمَسَاءِ لِتَأْكُلُوا، وَخُبْزاً فِي ٱلصَّبَاحِ لِتَشْبَعُوا، لِأَنَّهُ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ عَلَيْهِ. فَمَاذَا نَحْنُ؟ إِنَّكُمْ تَتَذَمَّرُونَ عَلَى ٱللهِ». [٩]وَقَالَ مُوسَى لِهَرُونَ: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمْثُلُوا أَمَامَ ٱلرَّبِّ لِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَهُمْ». [١٠]وَفِيمَا كَانَ هَرُونُ يُخَاطِبُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ٱلْتَفَتُوا نَحْوَ ٱلصَّحْرَاءِ وَإِذَا بِمَجْدِ ٱلرَّبِّ قَدْ تَجَلَّى فِي ٱلسَّحَابِ. [١١]فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: [١٢]«سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقُلْ لَهُمْ: فِي ٱلْمَسَاءِ تَأْكُلُونَ لَحْماً، وَفِي ٱلصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزاً، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ».

المن والسلوى

[١٣]فِي ذَلِكَ ٱلْمَسَاءِ أَقْبَلَتْ طُيُورُ ٱلسَّلْوَى (ٱلسُّمَّانَى) وَغَطَّتِ ٱلْمُخَيَّمَ، وَفِي ٱلصَّبَاحِ كَسَتْ طَبَقَةُ ٱلنَّدَى ٱلْأَرْضَ ٱلْمُحِيطَةَ بِٱلْمُخَيَّمِ. [١٤]وَعِنْدَمَا زَالَتْ طَبَقَةُ ٱلنَّدَى إِذَا وَجْهُ ٱلصَّحْرَاءِ مُغَطًّى بِشَيْءٍ رَقِيقٍ كَٱلْقُشُورِ، مُكَتَّلٍ كَٱلْجَلِيدِ. [١٥]وَعِنْدَمَا رَآهُ

was. Moses said to them, "It is the bread the LORD has given you to eat. [16]This is what the LORD has commanded: 'Each one is to gather as much as he needs. Take an omer for each person you have in your tent.' "

[17]The Israelites did as they were told; some gathered much, some little. [18]And when they measured it by the omer, he who gathered much did not have too much, and he who gathered little did not have too little. Each one gathered as much as he needed.

[19]Then Moses said to them, "No one is to keep any of it until morning."

[20]However, some of them paid no attention to Moses; they kept part of it until morning, but it was full of maggots and began to smell. So Moses was angry with them.

[21]Each morning everyone gathered as much as he needed, and when the sun grew hot, it melted away.

The Seventh Day

[22]On the sixth day, they gathered twice as much–two omers for each person–and the leaders of the community came and reported this to Moses. [23]He said to them, "This is what the LORD commanded: 'Tomorrow is to be a day of rest, a holy Sabbath to the LORD. So bake what you want to bake and boil what you want to boil. Save whatever is left and keep it until morning.' "

[24]So they saved it until morning, as Moses commanded, and it did not stink or get maggots in it. [25]"Eat it today," Moses said, "because today is a Sabbath to the LORD. You will not find any of it on the ground today. [26]Six days you are to gather it, but on the seventh day, the Sabbath, there will not be any." [27]Nevertheless, some of the people went out on the seventh day to gather it, but they found none. [28]Then the LORD said to Moses, "How long will you refuse to keep my commands and my instructions? [29]Bear in mind that the LORD has given you the Sabbath; that is why on the sixth day he gives you bread for two days. Everyone is to stay where he is on the seventh day; no one is to go out." [30]So the people rested on the seventh day.

[31]The people of Israel called the bread manna. It was white like coriander seed and tasted like wafers made with honey.

بنو إسرائيل، قال بعضهم لبعض: «منّ هو» أي: ما هذا؟ لأنهم لم يعرفوا ما هو. فقال لهم موسى: «هو خبز الرب الذي أعطاكم لتأكلوه. [١٦]وهذا ما يأمركم به الرب: التقطوا منه كل واحد على قدر مأكله، لكل واحد عمراً (نحو لترين ونصف اللتر) وفقاً لعدد أهل بيته المقيمين معه في خيمته».

[١٧]ففعل بنو إسرائيل هكذا فمنهم من التقط مكثراً، ومنهم من التقط مقلاً. [١٨]ولكن عندما كالوا بالعمر ما التقطوه، فإن المكثر لم يفضل عنه، والمقل لم ينقصه شيء، فجمع كل واحد على قدر مأكله. [١٩]وقال موسى لهم: «لا يبق أحد منه شيئاً إلى الصباح».

[٢٠]ومع ذلك فإن بعضهم لم يسمع لموسى، بل أبقوا منه للصباح، فتولد فيه دود وأنتن. فسخط عليهم موسى. [٢١]فكان كل واحد يلتقط كل صباح على قدر مأكله، وما إن تشتد حرارة الشمس حتى يذوب ما بقي منه على الأرض.

طعام يوم السبت

[٢٢]أما في اليوم السادس فكانوا يلتقطون من الخبز الضعف، أي عمرين (نحو خمسة لترات) لكل واحد، فجاء رؤساء الجماعة وأبلغوا الأمر لموسى. [٢٣]فقال لهم: «هذا ما أمر به الرب. غداً يكون يوم راحة، سبتاً مقدساً للرب. اخبزوا ما تريدون خبزه واطبخوا ما تشاؤون، واحتفظوا بما يفضل إلى الصباح». [٢٤]فأبقوه إلى الصباح كما أمر موسى، فلم ينتن ولا صار فيه دود. [٢٥]وقال موسى: «كلوا اليوم لأن اليوم هو سبت للرب. إذ لن تجدوا اليوم طعاماً في الحقل. [٢٦]ستة أيام تلتقطونه وأما اليوم السابع فهو سبت ولن تجدوا فيه طعاماً».

[٢٧]غير أن أناساً منهم خرجوا في السبت ليلتقطوا منه، فلم يجدوا شيئاً. [٢٨]ثم قال الرب لموسى: «إلى متى تأبون حفظ وصاياي وشريعتي؟ [٢٩]انظروا. فها الرب قد أعطاكم السبت، لذلك هو يقدم لكم في اليوم السادس خبز يومين، فليلبث كل واحد في مكانه ولا يغادره في اليوم السابع». [٣٠]فاستراح الشعب في اليوم السابع. [٣١]ودعا شعب إسرائيل الخبز «مناً». وكان أبيض كبزر الكزبرة، ومذاقه كرقائق مصنوعة بعسل.

[32]Moses said, "This is what the LORD has commanded: 'Take an omer of manna and keep it for the generations to come, so they can see the bread I gave you to eat in the desert when I brought you out of Egypt.' "
[33]So Moses said to Aaron, "Take a jar and put an omer of manna in it. Then place it before the LORD to be kept for the generations to come."
[34]As the LORD commanded Moses, Aaron put the manna in front of the Testimony, that it might be kept. [35]The Israelites ate manna forty years, until they came to a land that was settled; they ate manna until they reached the border of Canaan.
[36](An omer is one tenth of an ephah.)

[٣٢]وَقَالَ مُوسَى: «إِلَيْكُمْ مَا أَمَرَ بِهِ ٱلرَّبُّ. ٱحْتَفِظُوا بِمِلْءِ ٱلْعُمِرِ مِنْهُ ذِكْرَى لِأَجْيَالِكُمُ ٱلْمُقْبِلَةِ، لِكَيْ يَرَوْا ٱلْخُبْزَ ٱلَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ بِهِ فِي ٱلصَّحْرَاءِ عِنْدَمَا أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». [٣٣]وَقَالَ مُوسَى لِهَرُونَ: «خُذْ إِنَاءً وَٱجْعَلْ فِيهِ مِقْدَارَ عُمِرٍ مِنَ ٱلْمَنِّ وَضَعْهُ أَمَامَ ٱلرَّبِّ لِيَظَلَّ مَحْفُوظاً فِي أَجْيَالِكُمْ». [٣٤]وَكَمَا أَمَرَ ٱلرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَرُونُ أَمَامَ ٱلشَّهَادَةِ حِفَاظاً عَلَيْهِ. [٣٥]وَٱقْتَاتَ ٱلْإِسْرَائِيلِيُّونَ بِٱلْمَنِّ طَوَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى تُخُومِ أَرْضِ كَنْعَانَ ٱلْعَامِرَةِ بِٱلسُّكَّانِ. [٣٦]وَأَمَّا ٱلْعُمِرُ فَهُوَ عُشْرُ ٱلْإِيفَةِ.

Water from the Rock

17 The whole Israelite community set out from the Desert of Sin, traveling from place to place as the LORD commanded. They camped at Rephidim, but there was no water for the people to drink. [2]So they quarreled with Moses and said, "Give us water to drink." Moses replied, "Why do you quarrel with me? Why do you put the LORD to the test?" [3]But the people were thirsty for water there, and they grumbled against Moses. They said, "Why did you bring us up out of Egypt to make us and our children and livestock die of thirst?" [4]Then Moses cried out to the LORD, "What am I to do with these people? They are almost ready to stone me."
[5]The LORD answered Moses, "Walk on ahead of the people. Take with you some of the elders of Israel and take in your hand the staff with which you struck the Nile, and go. [6]I will stand there before you by the rock at Horeb. Strike the rock, and water will come out of it for the people to drink." So Moses did this in the sight of the elders of Israel. [7]And he called the place Massah and Meribah because the Israelites quarreled and because they tested the LORD saying, "Is the LORD among us or not?"

ماء من الصخرة

١٧ وَتَنَقَّلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى مَرَاحِلَ، مِنْ صَحْرَاءِ سِينَ بِمُقْتَضَى أَمْرِ ٱلرَّبِّ إِلَى أَنْ خَيَّمُوا فِي رَفِيدِيمَ حَيْثُ لَمْ يَجِدُوا مَاءً لِلشُّرْبِ. [٢]فَتَخَاصَمَ ٱلشَّعْبُ مَعَ مُوسَى قَائِلِينَ: «أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ». فَأَجَابَ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ وَلِمَاذَا تُجَرِّبُونَ ٱلرَّبَّ؟». [٣]وَلَكِنَّ ٱلشَّعْبَ كَانَ ظَامِئاً إِلَى ٱلْمَاءِ، فَتَذَمَّرُوا عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلَادَنَا وَمَوَاشِيَنَا عَطَشاً؟». [٤]فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى ٱلرَّبِّ: «مَاذَا أَصْنَعُ بِهَذَا ٱلشَّعْبِ؟ إِنَّهُمْ يَكَادُونَ يَرْجُمُونَنِي». [٥]فَأَجَابَهُ ٱلرَّبُّ: «تَقَدَّمِ ٱلشَّعْبَ وَخُذْ مَعَكَ بَعْضَ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخُذْ بِيَدِكَ عَصَاكَ أَيْضاً ٱلَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا ٱلنَّهْرَ. [٦]فَهَا أَنَا أَقِفُ هُنَاكَ أَمَامَكَ عَلَى ٱلصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ. ٱضْرِبِ ٱلصَّخْرَةَ فَيَتَفَجَّرَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ لِيَشْرَبَ ٱلشَّعْبُ». وَهَكَذَا فَعَلَ مُوسَى أَمَامَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. [٧]وَدَعَا ٱسْمَ ٱلْمَوْضِعِ مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ (وَمَعْنَاهُ ٱلِٱمْتِحَانُ وَٱلْمُخَاصَمَةُ) نَتِيجَةً لِتَخَاصُمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَٱمْتِحَانِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: «هَلِ ٱلرَّبُّ فِي وَسَطِنَا أَمْ لَا؟».

The Amalekites Defeated

[8]The Amalekites came and attacked the Israelites at Rephidim. [9]Moses said to Joshua, "Choose some of our men and go out to fight the Amalekites. Tomorrow I will stand on top of the hill with the staff of God in my hands."
[10]So Joshua fought the Amalekites as Moses had

هزيمة العمالقة

[٨]وَخَرَجَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَحَارَبُوا إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ. [٩]فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: «ٱنْتَخِبْ بَعْضَ رِجَالِنَا وَٱمْضِ لِمُحَارَبَةِ عَمَالِيقَ. وَهَا أَنَا أَقِفُ غَداً عَلَى قِمَّةِ ٱلتَّلِّ وَعَصَا ٱللهِ فِي يَدِي». [١٠]فَحَارَبَ يَشُوعُ ٱلْعَمَالِقَةَ كَمَا أَمَرَ مُوسَى، وَصَعِدَ

موسى وهرون وحور على قمة التلة. [١١]فطالما كان موسى رافعا يديه، يغلب بنو إسرائيل، وإذا خفضهما يفوز العمالقة. [١٢]وعندما دب التعب في يدي موسى أخذ هرون وحور حجرا ووضعاه تحته، فجلس عليه، وأسند هرون وحور يديه، كل واحد منهما من جانب. وهكذا بقيت يداه مرفوعتين حتى مغرب الشمس. [١٣]فهزم يشوع العمالقة وجيشهم بحد السيف.

[١٤]فقال الرب لموسى: «دون هذا في الكتاب للتذكار، وأتله على يشوع، لأني سأمحو ذكر العمالقة من تحت السماء». [١٥]وشيد موسى مذبحا للرب دعاه «يهوه نسي» (ومعناه: الرب رايتي أو علمي)، [١٦]قائلا: «لأن يدا ارتفعت عند عرش الرب، فإن الرب سيحارب العمالقة جيلا بعد جيل».

زيارة يثرون

١٨ وسمع يثرون كاهن مديان وحمو موسى بجميع ما أجراه الله لموسى ولإسرائيل شعبه، وكيف أخرجهم من مصر. [٢]فأخذ يثرون حمو موسى صفورة زوجة موسى التي كان قد أرجعها إلى أبيها [٣]وابنيها اللذين يدعى أحدهما جرشوم (ومعناه: غريب) لأن (موسى) قال: «كنت نزيلا في أرض غريبة». [٤]واسم الثاني أليعازر (ومعناه: إلهي عون لي) لأنه قال: «إله أبي كان عوني، فأنقذني من سيف فرعون». [٥]وقدم يثرون حمو موسى ومعه ابنا موسى وزوجته إلى موسى في الصحراء حيث كان مخيما عند جبل الله. [٦]فأرسل إلى موسى قائلا: «أنا حموك يثرون قادم إليك ومعي زوجتك وابناها». [٧]فخف موسى لاستقبال حميه، وانحنى له احتراما وقبله، وسأل كل منهما الآخر عن أحواله، ثم دخلا إلى الخيمة.

[٨]وسرد موسى على حميه كل ما أجراه الرب على فرعون والمصريين لإنقاذ بني إسرائيل، وما تعرضوا له من مشقة في الطريق، وكيف أنقذهم الرب منها. [٩]فاغتبط يثرون بجميع ما صنعه الرب من إحسان إلى إسرائيل، إذ أنقذهم من يد المصريين. [١٠]وقال يثرون: «مبارك الرب

ordered, and Moses, Aaron and Hur went to the top of the hill. [11]As long as Moses held up his hands, the Israelites were winning, but whenever he lowered his hands, the Amalekites were winning. [12]When Moses' hands grew tired, they took a stone and put it under him and he sat on it. Aaron and Hur held his hands up–one on one side, one on the other–so that his hands remained steady till sunset. [13]So Joshua overcame the Amalekite army with the sword.

[14]Then the LORD said to Moses, "Write this on a scroll as something to be remembered and make sure that Joshua hears it, because I will completely blot out the memory of Amalek from under heaven." [15]Moses built an altar and called it The LORD is my Banner. [16]He said, "For hands were lifted up to the throne of the LORD. The LORD will be at war against the Amalekites from generation to generation."

Jethro Visits Moses

18 Now Jethro, the priest of Midian and father-in-law of Moses, heard of everything God had done for Moses and for his people Israel, and how the LORD had brought Israel out of Egypt.

[2]After Moses had sent away his wife Zipporah, his father-in-law Jethro received her [3]and her two sons. One son was named Gershom, for Moses said, "I have become an alien in a foreign land"; [4]and the other was named Eliezer, for he said, "My father's God was my helper; he saved me from the sword of Pharaoh." [5]Jethro, Moses' father-in-law, together with Moses' sons and wife, came to him in the desert, where he was camped near the mountain of God. [6]Jethro had sent word to him, "I, your father-in-law Jethro, am coming to you with your wife and her two sons."

[7]So Moses went out to meet his father-in-law and bowed down and kissed him. They greeted each other and then went into the tent. [8]Moses told his father-in-law about everything the LORD had done to Pharaoh and the Egyptians for Israel's sake and about all the hardships they had met along the way and how the LORD had saved them. [9]Jethro was delighted to hear about all the good things the LORD had done for Israel in rescuing them from the hand of the Egyptians. [10]He said, "Praise be to the LORD, who rescued you from

the hand of the Egyptians and of Pharaoh, and who rescued the people from the hand of the Egyptians. [11]Now I know that the LORD is greater than all other gods, for he did this to those who had treated Israel arrogantly." [12]Then Jethro, Moses' father-in-law, brought a burnt offering and other sacrifices to God, and Aaron came with all the elders of Israel to eat bread with Moses' father-in-law in the presence of God.

The Selection of Judges

[13]The next day Moses took his seat to serve as judge for the people, and they stood around him from morning till evening. [14]When his father-in-law saw all that Moses was doing for the people, he said, "What is this you are doing for the people? Why do you alone sit as judge, while all these people stand around you from morning till evening?" [15]Moses answered him, "Because the people come to me to seek God's will. [16]Whenever they have a dispute, it is brought to me, and I decide between the parties and inform them of God's decrees and laws."

[17]Moses' father-in-law replied, "What you are doing is not good. [18]You and these people who come to you will only wear yourselves out. The work is too heavy for you; you cannot handle it alone. [19]Listen now to me and I will give you some advice, and may God be with you. You must be the people's representative before God and bring their disputes to him. [20]Teach them the decrees and laws, and show them the way to live and the duties they are to perform. [21]But select capable men from all the people–men who fear God, trustworthy men who hate dishonest gain–and appoint them as officials over thousands, hundreds, fifties and tens. [22]Have them serve as judges for the people at all times, but have them bring every difficult case to you; the simple cases they can decide themselves. That will make your load lighter, because they will share it with you. [23]If you do this and God so commands, you will be able to stand the strain, and all these people will go home satisfied."

[24]Moses listened to his father-in-law and did everything he said. [25]He chose capable men from all Israel and made them leaders of the people, officials over thousands, hundreds, fifties and tens. [26]They served as judges for the people at all times. The difficult cases they brought to Moses, but the

الَّذِي أَنْقَذَكُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَمِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ، وَحَرَّرَ الشَّعْبَ مِنْ نِيرِ الْمِصْرِيِّينَ. [١١]الآنَ أَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الآلِهَةِ، لأَنَّهُ عَامَلَهُمْ بِمِثْلِ مَا بَغَوْا بِهِ». [١٢]وَقَدَّمَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى مُحْرَقَةً وَذَبَائِحَ لِلهِ. وَجَاءَ هَرُونُ وَجَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ لِيَأْكُلُوا طَعَاماً مَعَ حَمِي مُوسَى فِي حَضْرَةِ اللهِ.

اختيار القضاة

[١٣]وَفِي الصَّبَاحِ جَلَسَ مُوسَى لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ، وَظَلَّ الشَّعْبُ وَاقِفاً لَدَى مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ. [١٤]فَلَمَّا رَأَى حَمُو مُوسَى جَمِيعَ مَا يَقُومُ بِهِ لِلشَّعْبِ قَالَ لَهُ: «مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعُهُ لِلشَّعْبِ؟ وَلِمَاذَا تَجْلِسُ وَحْدَكَ لِلْقَضَاءِ، بَيْنَمَا يَظَلُّ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَاقِفاً لَدَيْكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ؟» [١٥]فَأَجَابَ مُوسَى: «لأَنَّ الشَّعْبَ يُقْبِلُ إِلَيَّ لِيَسْتَطْلِعَ إِرَادَةَ اللهِ. [١٦]فَإِنْ كَانَ لَهُمْ دَعْوَى يَلْجَأُونَ إِلَيَّ فَأَقْضِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَالآخَرِ، وَأُطْلِعُهُمْ عَلَى فَرَائِضِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ».

[١٧]فَقَالَ حَمُو مُوسَى: «إِنَّ مَا تَفْعَلُهُ لَيْسَ بِالأَمْرِ الصَّائِبِ. [١٨]إِذْ لابُدَّ لِلْكَلَلِ أَنْ يَعْتَرِيَكَ أَنْتَ وَكُلَّ هَذَا الشَّعْبِ الَّذِي مَعَكَ، لأَنَّ الأَمْرَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَلا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَوَلاهُ وَحْدَكَ. [١٩]فَاسْمَعْ إِلَى صَوْتِي لأُسْدِيَ لَكَ نَصِيحَةً، وَلْيَكُنِ اللهُ مَعَكَ. فَلْتَكُنْ أَنْتَ مُمَثِّلَ الشَّعْبِ أَمَامَ اللهِ، فَتَرْفَعَ إِلَيْهِ دَعَاوَاهُمْ. [٢٠]وَعَلِّمْهُمُ الْفَرَائِضَ وَالشَّرَائِعَ، وَأَعْلِنْ لَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ، وَمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمِ الْقِيَامُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ. [٢١]وَلَكِنِ اخْتَرْ مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ رِجَالاً مُقْتَدِرِينَ خَائِفِينَ اللهَ أُمَنَاءَ يُبْغِضُونَ الرِّشْوَةَ، وَأَقِمْهُمْ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ لِفِئَاتِ الأُلُوفِ وَالْمِئَاتِ وَالْخَمَاسِينَ وَالْعَشَرَاتِ. [٢٢]فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ فِي الدَّعَاوَى الصَّغِيرَةِ فِي كُلِّ حِينٍ. أَمَّا الْقَضَايَا الْمُسْتَعْصِيَةُ فَيَرْفَعُونَهَا إِلَيْكَ، فَيُخَفِّفُ ذَلِكَ عَنْكَ، إِذْ يُشَارِكُونَكَ فِي حَمْلِ الْعِبْءِ. [٢٣]فَإِنْ فَعَلْتَ هَذَا وَأَوْصَاكَ اللهُ بِهِ، أَمْكَنَكَ الْقِيَامُ بِمَسْؤُولِيَّاتِكَ، وَيَمْضِي جَمِيعُ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى مَكَانِهِ بِسَلامٍ».

[٢٤]فَاسْتَمَعَ مُوسَى إِلَى نَصِيحَةِ حَمِيهِ، وَنَفَّذَ كُلَّ مَا قَالَهُ لَهُ. [٢٥]وَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ رِجَالاً مُقْتَدِرِينَ، وَأَقَامَهُمْ عَلَى الشَّعْبِ، رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَمِئَاتٍ وَخَمَاسِينَ وَعَشَرَاتٍ. [٢٦]فَكَانُوا يَقْضُونَ لِلشَّعْبِ فِي كُلِّ الدَّعَاوَى

simple ones they decided themselves. [27]Then Moses sent his father-in-law on his way, and Jethro returned to his own country.

At Mount Sinai

19 In the third month after the Israelites left Egypt–on the very day–they came to the Desert of Sinai. [2]After they set out from Rephidim, they entered the Desert of Sinai, and Israel camped there in the desert in front of the mountain.
[3]Then Moses went up to God, and the LORD called to him from the mountain and said, "This is what you are to say to the house of Jacob and what you are to tell the people of Israel: [4]'You yourselves have seen what I did to Egypt, and how I carried you on eagles' wings and brought you to myself. [5]Now if you obey me fully and keep my covenant, then out of all nations you will be my treasured possession. Although the whole earth is mine, [6]you will be for me a kingdom of priests and a holy nation.' These are the words you are to speak to the Israelites."

Warnings For the Israelites

[7]So Moses went back and summoned the elders of the people and set before them all the words the LORD had commanded him to speak. [8]The people all responded together, "We will do everything the LORD has said." So Moses brought their answer back to the LORD. [9]The LORD said to Moses, "I am going to come to you in a dense cloud, so that the people will hear me speaking with you and will always put their trust in you." Then Moses told the LORD what the people had said.
[10]And the LORD said to Moses, "Go to the people and consecrate them today and tomorrow. Have them wash their clothes [11]and be ready by the third day, because on that day the LORD will come down on Mount Sinai in the sight of all the people. [12]Put limits for the people around the mountain and tell them, 'Be careful that you do not go up the mountain or touch the foot of it. Whoever touches the mountain shall surely be put to death. [13]He shall surely be stoned or shot with arrows; not a hand is to be laid on him. Whether man or animal, he shall not be permitted to live.' Only when the ram's horn sounds a long blast may they go up to the mountain."

الصغيرة. أما القضايا المستعصية فكانوا يرفعونها إلى موسى. ٢٧ثم شيع موسى حماه، فرجع هذا إلى أرضه.

برية سيناء

١٩ وفي تمام الشهر الثالث من خروج بني إسرائيل من أرض مصر وصلوا إلى برية سيناء. ٢فقد ارتحل الإسرائيليون من رفيديم إلى أن جاءوا إلى برية سيناء، فنزلوا مقابل الجبل.
٣فصعد موسى للمثول أمام الله. فناداه الرب من الجبل: «هكذا تقول لآل يعقوب، وتخبر شعب إسرائيل: ٤لقد عاينتم بأنفسكم ما أجريته على مصر، وكيف حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. ٥لذلك إن أطعتم عهدي، تكونوا لي ملكا خاصا من بين جميع الشعوب، لأن لي كل الأرض. ٦وتكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذا هو الكلام الذي تخاطب به بني إسرائيل».

تحذيرات للشعب

٧فاستدعى موسى شيوخ الشعب وتلا أمامهم جميع هذا الكلام الذي أوصاه به الرب. ٨فقال كل الشعب معا: «كل ما نطق به الرب نفعله». فحمل موسى جوابهم إلى الرب. ٩فقال الرب لموسى: «ها أنا مقبل عليك في هيئة سحاب مظلم، فيسمعني الشعب حينما أخاطبك، فيثقون أيضا بك دائما». ونقل موسى إلى الرب كلام الشعب. ١٠وقال الرب لموسى: «انزل إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا، ودعهم يغسلون ثيابهم. ١١ليكونوا متأهبين لليوم الثالث، لأنه في اليوم الثالث أنزل أمام جميع الشعب على جبل سيناء. ١٢وأقم حدودا حول الجبل لا يتخطاها الشعب. وقل لهم: حذار من أن تصعدوا إلى الجبل، أو تمسوا طرفه. فكل من يمس الجبل حتما يقتل. ١٣لا تمسه يد، بل يرجم رجما أو يرمى بالسهام، سواء أكان بهيمة أم إنسانا. لا يبقى عليه. أما عندما يتردد صوت بوق طويل، فحينئذ فقط يصعدون إلى الجبل».

The Consecration of the People

[14]After Moses had gone down the mountain to the people, he consecrated them, and they washed their clothes. [15]Then he said to the people, "Prepare yourselves for the third day. Abstain from sexual relations." [16]On the morning of the third day there was thunder and lightning, with a thick cloud over the mountain, and a very loud trumpet blast. Everyone in the camp trembled. [17]Then Moses led the people out of the camp to meet with God, and they stood at the foot of the mountain. [18]Mount Sinai was covered with smoke, because the LORD descended on it in fire. The smoke billowed up from it like smoke from a furnace, the whole mountain trembled violently, [19]and the sound of the trumpet grew louder and louder. Then Moses spoke and the voice of God answered him.

تقديس الشعب

[١٤]وبعد أن انحدر موسى من الجبل إلى الشعب قدسهم وغسلوا ثيابهم. [١٥]وقال للشعب: «كونوا متأهبين لليوم الثالث، وامتنعوا عن معاشرة نسائكم». [١٦]وفي صباح اليوم الثالث حدثت رعود وبروق، وخيم سحاب كثيف على الجبل، ودوى صوت بوق قوي جداً. فارتعد كل الشعب الذي في المخيم. [١٧]فأخرج موسى الشعب من المخيم للقاء الله، فوقفوا عند سفح الجبل. [١٨]وكان جبل سيناء كله مغطى بالدخان، لأن الرب نزل عليه في هيئة نار، وتصاعد دخانه كدخان الأتون، واهتز الجبل كله بعنف. [١٩]وازداد دوي البوق أكثر فيما كان موسى يتكلم، والرب يجيبه برعد.

Moses Meets With God

[20]The LORD descended to the top of Mount Sinai and called Moses to the top of the mountain. So Moses went up [21]and the LORD said to him, "Go down and warn the people so they do not force their way through to see the LORD and many of them perish. [22]Even the priests, who approach the LORD, must consecrate themselves, or the LORD will break out against them." [23]Moses said to the LORD, "The people cannot come up Mount Sinai, because you yourself warned us, 'Put limits around the mountain and set it apart as holy.' "

[24]The LORD replied, "Go down and bring Aaron up with you. But the priests and the people must not force their way through to come up to the LORD, or he will break out against them."

[25]So Moses went down to the people and told them.

لقاء موسى مع الرب

[٢٠]ونزل الرب على قمة جبل سيناء، ونادى موسى ليصعد إلى قمة الجبل، فصعد إليه. [٢١]فقال له الرب: «انزل وحذر الشعب لئلا يقتحموا الجبل ليروني فيهلك منهم كثيرون. [٢٢]وليتقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلي لئلا أبطش بهم». [٢٣]فقال موسى للرب: «لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء، لأنك أنت قد حذرتنا قائلاً: أقم حدوداً حول الجبل وقدسه». [٢٤]فأجاب الرب: «انزل واصعد بأخيك هرون معك. أما الكهنة والشعب فلا يقتحموا طريقهم ليصعدوا إلي لئلا أبطش بهم». [٢٥]فانحدر موسى إلى الشعب وأنذرهم.

سفر الخروج (16 ـ 19)

The Golden Calf

32 When the people saw that Moses was so long in coming down from the mountain, they gathered around Aaron and said, "Come, make us gods who will go before us. As for this fellow Moses who brought us up out of Egypt, we don't know what has happened to him." [2]Aaron answered them, "Take off the gold earrings that your wives, your sons and your daughters are wearing, and bring them to me." [3]So all the people took off their earrings and brought them to Aaron. [4]He took what they handed him and made it into an idol cast in the shape of a calf, fashioning it with a tool. Then they said, "These are your gods, O Israel, who brought you up out of Egypt." [5]When Aaron saw this, he built an altar in front of the calf and announced, "Tomorrow there will be a festival to the LORD." [6]So the next day the people rose early and sacrificed burnt offerings and presented fellowship offerings. Afterward they sat down to eat and drink and got up to indulge in revelry.

هرون يصنع عجل الذهب

٣٢ ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل، اجتمعوا حول هرون، وقالوا له: «هيا، اصنع لنا آلهة تتقدمنا في مسيرنا، لأننا لا ندري ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر». [٢]فأجابهم هرون: «انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وبنيكم، وأعطوني إياها». [٣]فنزعوها من آذانهم، وجاءوا بها إليه. [٤]فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً. عندئذ قالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر». [٥]وعندما شاهد هرون ذلك شيد مذبحاً أمام العجل وأعلن: «غداً هو عيد للرب». [٦]فبكر الشعب في اليوم التالي وأصعدوا محرقات وقدموا قرابين سلام. ثم احتفلوا فأكلوا وشربوا، ومن ثم قاموا للهو والمجون.

Moses Intercedes for the People

[7]Then the LORD said to Moses, "Go down, because your people, whom you brought up out of Egypt, have become corrupt. [8]They have been quick to turn away from what I commanded them and have made themselves an idol cast in the shape of a calf. They have bowed down to it and sacrificed to it and have said, 'These are your gods, O Israel, who brought you up out of Egypt.' [9]I have seen these people," the LORD said to Moses, "and they are a stiff-necked people. [10]Now leave me alone so that my anger may burn against them and that I may destroy them. Then I will make you into a great nation." [11]But Moses sought the favor of the LORD his God. "O LORD," he said, "why should your anger burn against your people, whom you brought out of Egypt with great power and a mighty hand? [12]Why should the Egyptians say, 'It was with evil intent that he brought them out, to kill them in the mountains and to wipe them off the face of the earth'? Turn from your fierce anger; relent and do not bring disaster on your people. [13]Remember your servants Abraham, Isaac and Israel, to whom you swore by your own self: 'I will make your descendants as numerous as the stars in the sky and I will give your descendants all this land I promised them, and it will be their inheritance forever.'" [14]Then the LORD relented and did not bring on his people the disaster he had threatened.

ابتهال موسى

[٧]فأمر الرب موسى: «قم وانزل فإن الشعب الذي قد أخرجته من ديار مصر قد فسد. [٨]إذ انحرفوا سريعاً عن الطريق الذي أمرتهم به، فصاغوا لهم عجلاً وعبدوه وذبحوا له الذبائح هاتفين: هذا هو إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من ديار مصر». [٩]وقال الرب لموسى: «لقد تأملت في هذا الشعب، وإذا به شعب عنيد متصلب القلب. [١٠]والآن دعني وغضبي المحتدم فأفنيهم، ثم أجعلك أنت شعباً عظيماً». [١١]فابتهل موسى إلى الرب وقال: «لماذا يحتدم غضبك على شعبك الذي أخرجته من ديار مصر بقوة عظيمة وذراع مقتدرة؟ [١٢]لماذا يشمت المصريون فينا قائلين: لقد احتال عليهم إلههم فأخرجهم من هنا ليهلكهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك ولا توقع هذا العقاب بشعبك. [١٣]اذكر وعودك لعبيدك إبراهيم وإسحاق وإسرائيل الذين أقسمت لهم بنفسك قائلاً: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأهبكم جميع هذه الأرض التي وعدت بها فتملكونها إلى الأبد». [١٤]فتراءف الرب ولم يوقع بشعبه العقاب الذي توعد به.

51 ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: 7].

في الأثر أنَّ كلًّا من الأخوين هارون وموسى وُلد على أرض مصر في زمن الفرعون المعروف باسم **رمسيس (رعمسيس) الثاني**، الذي حكم مصر في عهد الأسرة التاسعة عشر (في الفترة الممتدّة من 1301ق.م. إلى 1235ق.م تقريباً) وقد عرف رمسيس الثاني باسم «**فرعون الاضطهاد**» لأنَّه كان جبَّاراً في الأرض، ظالماً، كافراً بأنعم ربّه حتى ادَّعى الأُلوهيّة التي سجّلها القرآن الكريم عليه بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: 15 ـ 26].

وقال هذا الفرعون مخاطباً شعبه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38].

اضطهد فرعون مصر «**رمسيس الثاني**» كلّ مؤمن باللّه في شعبه الذي قسّمه شيعاً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ [القصص: 4].

ويروي الدكتور سليم حسن (ج6، ص44، 45) أنَّ بني إسرائيل كانوا من الذين استضعفهم واضطهدهم فرعون مصر (رمسيس الثاني) لأنَّهم خانوا أباه سيتي الأول، وتعاونوا مع أعدائه في بلاد الشام، كما خانوا العهد معه وعرَّضوه لخدعة

من اثنين من البدو كلَّفته فيلقاً كاملاً من جيشه، وكادت الخدعة تودي بحياته هو في «**معركة قادش**» التي وقعت بينه وبين ملك الحيثيين حوالي سنة 1287 قبل الميلاد. وتقع «قادش» على الضفة الغربية لنهر العاصي جنوب بحيرة حمص في بلاد الشام.

وكان بنو إسرائيل قد وفدوا إلى مصر زمن القحط الذي ضرب منطقة المشرق العربي (سنة 1728ق.م) بعد أن بِيع **يوسف بن يعقوب** رقيقاً لعزيز مصر، ثم أكرمه الله تعالى بعد سلسلة طويلة من الابتلاءات بأن جعله أميناً على خزائن أرض مصر **في زمن أحد ملوك الهكسوس.** وهؤلاء كانوا عرباً حكموا مصر فترة من الزمن حتى حرّرها ملوك الأسرة الثامنة عشر الذين طاردوا الهكسوس إلى بلاد الشام. **ولمَّا عاد رمسيس الثاني من «معركة قادش»** (Kadesh Barenea) **بعد توقيع الصلح مع الحيثيين بدأ التنكيل بالإسرائيليين. وقد دفعه إلى ذلك كراهيته لخياناتهم المتكررة،** ثم أنه رأى في منامه رؤيا فسرت له بأنَّ غلاماً يولد في بني إسرائيل يتحقق على يديه هلاك فرعون مصر وزوال ملكه. وقد أزعج تفسير هذه الرؤيا منام الفرعون إزعاجاً شديداً وأفزعه على مستقبل حكمه وعلى ملك أبنائه وذريته من بعده.

وفي غمرة الخوف والفزع من المستقبل المجهول أمر «**رمسيس الثاني**» بقتل كل غلام يُولد في بني إسرائيل فور ولادته، وأن يترك الإناث من هؤلاء المواليد للقيام بالخدمة في بيوت المصريين. وبتطبيق هذا القانون الجائر قلَّت الأيدي العاملة في المجالات التي لا يقوى عليها إلَّا الذُّكور (من مثل استخراج الأحجار من مقالعها، وأعمال البناء، والزراعة، والصناعة، وغيرها من الأعمال الشاقَّة) فاشتكى أهل مصر من ذلك النقص في اليد العاملة إلى رمسيس الثاني. وفي محاولة لعلاج ذلك النقص في الأيدي العاملة تفتق ذهن هذا الفرعون عن فكرة جهنميّة، مؤداها ذبح جميع مَن يولد من غلمان بني إسرائيل عاماً وإعفائهم من الذبح في العام الذي يليه، وظلَّ العمل على هذا المنوال طيلة

فترة حكمه التي استمرَّت حوالي سبعة وستين (67) سنة (من حوالي 1301ق.م إلى 1234ق.م).

وُلد «هارون بن عمران» الأخ الأكبر لموسى في عام لم يكن يذبح فيه غلمان بني إسرائيل فنجَّاه الله ﷻ من الذبح، ثم وُلد أخوه «موسى بن عمران» في سنة كان غلمان بني إسرائيل يذبحون. وبعد ميلاده لاحظ كل مَن رأى هذا الوليد المبارك أنَّ الله ـ تعالى ـ قد ألقى عليه محبَّة منه، فكان كلُّ مَن رآه يقع حبّ هذا الوليد الجديد في قلبه، فيساعد الأُسرة المنكوبة على إخفائه، ولذلك يمتن ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على عبده موسى بعد أن كبِر وآتاه الله النبوَّة فيقول له: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39].

هذه المحبَّة التي ألقاها الله ـ تعالى ـ على عبده موسى استقرَّت في قلوب الناس، وجعلتهم يعاونون أُمّه على إخفاء رضيعها من زبانية فرعون وجواسيسه الذين كانوا يجوبون حواري المناطق التي كان يسكنها بنو إسرائيل بحثاً عن المواليد الجدد من الغلمان.

ولكن مع اشتداد وطأة البحث، وانتشار كل من الجواسيس والقابلات في المدينة، زاد خوف أُم موسى عليه، وفزعت فزعاً شديداً من إمكانيّة انتزاعه من بين أحضانها وذبحه. وفي غمرة ذلك، ألهمها الله ـ تعالى ـ أن تضعه في مهده، ثم في صندوق يحميه من البلل بالماء، وأن تضع الصندوق في اليم (نهر النيل) الذي كان متاخماً لبيتها، بعد أن تربطه بحبل متين يشدّه إلى البيت ففعلت ذلك. وكانت تسترجع وليدها إلى البيت لإرضاعه بين الفترة والأخرى، ثم تردّه إلى مكانه في نهر النيل مخبأً بين أعشابه ونباتاته.

ولحكمة في علم الله، تمكّن تيار الماء في نهر النيل في يوم من الأيَّام من قطع الحبل الذي يربط صندوق موسى إلى بيت أُمّه (إمَّا لشدة التيار، وإمَّا لأنَّها لم توثق رباطه) فتحرك تيار الماء بالصندوق وبداخله الرضيع موسى حتى أوصله بأمر من الله ـ تعالى ـ إلى شاطئ قصر الفرعون الذي كان قائماً على بحيرة متَّصلة

بالنيل. التقط حرَّاس القصر وخدمه الصندوق، وتمَّ فتحه في حضرة زوجة الفرعون، وكانت سيدة مؤمنة باللَّه، وكان اسمها «**آسية بنت مزاحم**» (أو إست نفرت)، وقد ضرب الله ـ تعالى ـ بها المثل على للإيمان الصادق في محكم كتابه.

وعند فتح الصندوق وقعت عينا السيدة المؤمنة «آسية» زوجة فرعون مصر على الطفل الرضيع «موسى بن عمران» فرأت في وجهه نوراً أوقع محبَّته في قلبها فتعلَّقت به. وصل الخبر إلى الفرعون فجاء إلى قصره غاضباً، وأدرك أنَّ الرضيع هو أحد غلمان بني إسرائيل الذي حاول أهله إخفاءه عن أعين الذبَّاحين من جنده وعملائه. أمر الفرعون بقتل الغلام على الفور، ولكن زوجته الصالحة ألحَّت عليه بالرجاء أن يستبقيه لهما فرحة ومسرَّة وقرَّة عين، فاستجاب الفرعون لرجاء زوجته بعد إلحاح طويل منها، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: 7 ـ 9].

وعندما فوجئت أم موسى باختفاء الصندوق الذي كانت قد خبَّأت فيه رضيعها فزعت فزعاً شديداً، وأمرت أخته بالإسراع في اقتفاء أثره. جرت أخت موسى على طول ساحل النيل من بيتها إلى قصر الفرعون ففوجئت بأنَّ الصندوق قد وصل إلى القصر، فخفق قلبها من الجزع والخوف على أخيها، كما طار عقل أُمّها، وفرغ قلبها وأصبح خالياً من كلِّ شيء في الدنيا إلَّا من ذكر موسى وكيفيّة إنجائه من قبضة الفرعون. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: 10، 11].

جاع الطفل موسى، وأخذ في البكاء، حتى ملأ قصر الفرعون ببكائه، فأمرت السيدة «آسية» بجلب عدد من المرضعات للطفل الباكي، ولكن كلَّما جاءت إحداهنَّ لترضعه أبى الرضاعة منها. اشتد جوع الطفل وعلا صراخه، والمرضعات يتردَّدن على القصر دخولاً وخروجاً دون أن يقبل الرضاعة من أيُّهنَّ. تسللت أخت موسى إلى داخل القصر مع المُرضعات الدَّاخلات وشاهدت أخاها يبكي ويرفض الرِّضاعة من أيَّة مرضعة، فتقدَّمت من السيدة «آسية» عارضة أن تدلّها على مَن يمكن أن يقبل هذا الطّفل الرّضاعة منها فوافقت فوراً على ذلك. ذهبت الأخت وعادت لهم بأُمّه فأقبل عليها ورضع منها، فدفعوا بالطفل إليها، وأجروا لها راتباً من أجل إرضاعها له. عرضت السيدة «آسية» على المرضعة إمكانيّة الإقامة في القصر حتى لا تحرم من رؤية موسى، ولكنَّها اعتذرت بضرورة القيام على شؤون أُسرتها، فوافقت سيدة القصر على اصطحاب أُمّ موسى لرضيعها إلى بيتها، وأغدقت عليها بالعطايا كي لا تحرمها من رؤية الطفل من وقت إلى آخر. وعادت أُمّ موسى إلى بيتها فرحة برضيعها الذي نجّاه الله ـ تعالى ـ من الذبح، وحقّق لها أُولى البشرتين اللَّتين رأتهما في منامها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: 12، 13].

ويمنّ ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على عبده ونبيّه موسى بذلك قائلاً له: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: 37 ـ 40].

وبعد فطام موسى أعادته أُمّه إلى السيّدة المؤمنة «آسية» زوجة فرعون مصر

لينشأ هذا الصغير في قصره، وليتربَّى تربية أبناء الملوك تحت عطف وحب ورعاية من فرعون وزوجه، وبذلك تحقق ما أوحاه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى أُمّ موسى ممَّا يؤكّد وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية السابعة من سورة «القصص».

وقصَّة ولادة موسى في زمن ذبح غلمان بني إسرائيل عقب ولادتهم، وإنجاء الله ـ تعالى ـ له من الذبح على أيدي جند فرعون وأعوانه، وتربية هذا الطفل في بيت عدو الله وعدوه فرعون مصر حتى بلغ أشده، هذه القصَّة لها ما يشبهها في العهد القديم (سفر التكوين/ كتاب الخروج 2/ 1 ـ 10) مع الفارق الهائل بين كلام الله وكلام البشر.

ووجود هذا التشابه يؤكّد وحدة المصدر، وينفي الادّعاء الكاذب بأنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قد نقل هذه القصَّة عن «العهد القديم». وإذا علمنا أنه ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ كان أُمّيًّا لا يعرف القراءة والكتابة، وأنه كان قد بعث في أُمّة أُميّة لا تعرف التدوين، انتفى هذا الادعاء الباطل عنه، خاصة وأنَّ اليهود الذين كانوا قد لجأوا إلى الجزيرة العربيّة هرباً من جور الرومان كانوا ـ في غالبيّتهم ـ من الأُمّيين. ليس هذا فقط، بل إن اليهود بصفة عامة كانوا قد فقدوا أُصول التوراة، فقامت قياداتهم الدينيّة بالابتداع في الدين ما لم ينزل به الله سلطاناً. والفارق الهائل بين رواية القرآن الكريم وما جاء في «العهد القديم»: في كل من الصياغة، ودقَّة التفاصيل المقصودة من إيراد القصَّة، والإيجاز المعجز يؤكّد الفارق بين وحي الله وكلام البشر.

وإذا علمنا أنَّ المسافة الزمنية بين كلّ من النَّبيّين الكريمين محمَّد بن عبد الله وموسى بن عمران عليه السلام يقدر بحوالي ألفي سنة، وأنَّ الرَّسول الخاتم ﷺ كان الله ـ تعالى ـ قد اختار له أن يكون أُميًّا (لا يعرف القراءة ولا الكتابة)، وأن يبعث في أُمّة كانت غالبيتها الساحقة من الأُمّيين الذين لم يكونوا يعرفون التدوين، **أدركنا ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصَّة ميلاد النبيّ الكريم**

موسى بن عمران. ولقد جاء ذلك في روعة من الصياغة، ودقّة من التفاصيل، وفي إيجاز معجز يشهد للقرآن الكريم بأنَّه كلام ربّ العالمين، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقَّاه بالنبوَّة وبالرسالة، فصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

52 ـ ﴿ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: 8].

من الدقّة المطلقة في القرآن الكريم وصف حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام بوصف الملك، ونعته في زمن عبد الله ونبيه موسى عليه السلام بلقب الفرعون كما سبق وأن أشرنا تحت قصة يوسف عليه السلام. كذلك من الدقّة المطلقة في كتاب الله ذكر مهندس البناء في زمن فرعون موسى باسم «هامان»، وهو اسم ورد في «العهد القديم». وقد دأب عدد من غلاة المستشرقين على استخدام هذه الإشارات ضد القرآن الكريم بدلاً من استخدامها للتأكيد على الدقّة المطلقة فيه، والشهادة له بالإعجاز الإنبائي والتاريخي، ولمناقشة ذلك أورد ما يلي:

أوّلاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في نعت حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام بلقب الملك، ونعته في زمن موسى عليه السلام بلقب الفرعون:

يعجب قارئ القرآن الكريم من وصف حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام بلقب الملك الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، بينما جاء وصفه في زمن موسى عليه السلام بلقب **فرعون مصر أو الفرعون**. وقد أورد القرآن الكريم لقب «الملك» في سورة يوسف خمس مرات، بينما أورد لقب «فرعون» أربعاً وسبعين (74) مرّة في عرض قصّة عبد الله ونبيه موسى عليه السلام، والسبب في ذلك **أنّ يوسف عليه السلام عاش في مصر أيّام حكم الهكسوس (أي: الملوك الرّعاة)، وذلك في الفترة من (1730ق.م) إلى (1580ق.م)، وكان حكّام الهكسوس يلقّبون بالملوك وليس بالفراعنة. بينما عاش موسى عليه السلام في زمن رمسيس الثاني (من الأُسرة التاسعة عشر)، وكان معروفاً باسم «فرعون الاضطهاد»**، أو **«فرعون التسخير»، وحكم مصر في الفترة من (1301ق.م) إلى (1234ق.م)**. ولقد مات «رمسيس الثاني» بينما كان عبد الله ونبيه موسى في مدين. وبعد هلاك هذا الفرعون، خلفه من بعده على عرش مصر ولده الثالث عشر

منفتاح (مرنبتاح أو منفتا) المعروف باسم «فرعون الخروج». حكم فرعون الخروج مصر في الفترة من (1234ق.م) إلى (1224ق.م)، ومات غارقاً في أثناء مطاردته لعبد الله ونبيه موسى ﷺ ومَن كانوا معه من بني إسرائيل، كما أخبر بذلك القرآن الكريم. وفي هذه الفترة كان يطلق على حكَّام مصر لقب «الفراعنة»، ومن هنا جاء ذكر حاكم مصر في زمن موسى ﷺ بهذا اللَّقب في الآية الكريمة التي نحن بصددها وفي كل الآيات الأربع والسبعين التي ذكر فيها القرآن الكريم حاكم مصر في زمن موسى ﷺ.

أمَّا عبد الله ونبيه يوسف ﷺ، فقد عاش في زمن حاكم لمصر من **العمالقة**، كان يعرف باسم **«الريان بن الوليد»**، كما ذكره مؤرّخو العرب، وقد وُجِدَ اسمه منقوشاً على بعض الآثار المصريّة القديمة (انظر مؤتمر تفسير سورة يوسف ﷺ لفضيلة الشيخ عبد الله العلمي). وكان ذلك في الأُسرة الخامسة عشر، أو السادسة عشر لدولة الهكسوس الرّعاة في مصر. وقبل ذلك مباشرة كانت السلطة في حكم مصر بيد الأُسرة الرابعة عشر من الفراعنة المصريين، الذين حكموا في وادي النيل سنة (2000ق.م). وكانت السلالة الرعويّة المعروفة باسم **«شاسو» أو «الهكسوس» (أي: البدو الرّعاة) تتنقل في شرقي مصر على حدود البادية فيما يعرف اليوم باسم محافظة الشرقيّة (أرض جاسان في الكتب القديمة)**. وكان «الهكسوس» يتكلَّمون لغة ساميّة متفرّعة من اللغة العربيّة، وكانوا يترقَّبون ضعف الفراعنة ليغزوهم، بينما كان الفراعنة حريصين على مسالمتهم والاستعانة بهم في حروبهم لشجاعتهم، وشدّتهم، وجلَدهم، وقوّة أبدانهم (شأن البدو في كلِّ العصور). وظلَّ الصراع بين ملوك الرّعاة وفراعنة مصر حتى سنحت الفرصة لهؤلاء الرّعاة بالانتصار على الفراعنة، فاستولوا على دلتا مصر وحكموها باسم «ملوك الهكسوس» في أثناء فترة الاضطرابات والفتن في أواخر عهد الأُسرة الرابعة عشر. واستعمر الهكسوس الوجه البحري كلّه وبعض أجزاء من صعيد مصر، **واستولوا على مدينة (منف أو منفيس)**، وولوا على الأراضي التي احتلّوها ملكاً من بينهم. ونتيجة لذلك انحسر حكم الفراعنة إلى جنوب مصر، الذي كانت عاصمته مدينة طيبة (الأقصر)، بينما

حكم الهكسوس أغلب شمال مصر، حتى قام الفراعنة بإسقاط مملكة الهكوس في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، وعاد الفراعنة لحكم كلّ من شمال وجنوب مصر من جديد، موحّدين أرض مصر تحت حكمهم مرَّة ثانية. **وفي فترة دخول يوسف عليه السلام إلى مصر كانت «مملكة الهكسوس» في دور انحسارها الذي تقلَّصت مساحتها فيه إلى مثلث تألَّفت رؤوسه من كلّ من مدن منيا القمح، وبوبسطة (القريبة من مدينة الزقازيق)، وبلدة صان الحجر، كما سبق وأن أشرنا.**

ولم يجد يوسف عليه السلام صعوبة في التحدث مع الهكسوس الذين كانوا يتكلَّمون لغة ساميّة قريبة من لغته، أمَّا موسى عليه السلام فقد عاش في حدود الفترة الزمنيّة (1264ق.م، 1184ق.م) وهي الفترة التي انتصر فيها الفراعنة على الهكسوس وطردوهم إلى خارج البلاد. **ومن هنا تأتي ومضة الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة التي نحن بصددها في قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:**

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: 8].

وفي وصف القرآن الكريم حاكم مصر في زمن موسى عليه السلام في أربعة وسبعين آية قرآنيّة كريمة، بوصف «فرعون»، بينما ينعته في زمن يوسف عليه السلام بنعت «الملك» في خمسة مواضع مختلفة من سورة «يوسف»، هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنَّ يوسف عليه السلام لم يعمل لدى أحد من فراعنة مصر، الذين كان ملكهم في زمن وجوده بمصر قد انحسر إلى جنوب البلاد، وكانت عاصمتهم طيبة (الأقصر)، وكانت لغتهم «الهيروغليفيّة» أي المصريّة القديمة التي لم يكن يوسف عليه السلام يعرفها. وهذه اللمحة التاريخية ـ على بساطتها ـ هي من جملة البراهين على أنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العليّة، في نفس لغة وحيه(اللغة العربيّة) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهَّد بهذا الحفظ تعهّداً مطلقاً ليبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنَّه كلام ربّ العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقَّاه بالنبوَّة وبالرسالة.

ومن الثابت أنَّ رسول الله ﷺ بعث خاتماً للأنبياء والمرسلين في سنة (610م)، أي بعد أكثر من (2200 سنة) من وفاة أخيه يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وبعد أكثر من 1700 سنة من وفاة أخيه موسى بن عمران عليه السلام، فمن غير الله الخالق سبحانه وتعالى يمكن أن يكون قد أخبره بتفاصيل قصّة كلّ من هذين النبيين الكريمين بهذه الدقّة والشمول، والإيجاز المعجز؟ وإن قيل إنَّه كان لليهود بعض الجيوب في الجزيرة العربيّة على عهده ﷺ كما سبق وأن أسلفنا، فإنَّ التاريخ يثبت أنَّ غالبيّة هؤلاء اليهود كانوا من البدو الذين لم يكونوا على قدر كافٍ من الثقافة الدينيّة أو الدنيويّة. وكان اليهود ـ بصفة عامة ـ قد فقدوا «التوراة»، وكان كل ما بقي لديهم عنها من ذكريات قد نقل مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء لأجيال عديدة قبل أن تدوّن بأيدي مجهولين ممن هم ليسوا بأنبياء، ولا بمرسلين، من ثم لم يكُونوا بمعصومين. ولذلك تعرّضت تعاليم موسى عليه السلام للكثير من التحريف والتبديل والتغيير. ودليلنا على ذلك أنَّ الإشارة إلى حاكم مصر في زمن كلّ من يوسف وموسى عليهما السلام جاءت كلّها بوصف الفرعون في «العهد القديم»، ممَّا يوضح الفارق الكبير بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام البشر.

ثانياً: الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر اسم «هامان»:

لم يرد في «العهد القديم» ذكر لهذا الاسم **«هامان»**، كأحد المستشارين في أُمور البناء لفرعون مصر في زمن موسى عليه السلام. وانطلاقاً من ذلك أخذ عدد من غلاة المستشرقين في التهجّم على القرآن الكريم ـ مع اعترافهم بأنَّ «العهد القديم» صناعة بشريّة كاملة، ترجع بدايتها إلى أكثر من 3500 سنة مضت، وأنَّه يتحدث عن مخطوطات فقدت أُصولها بالكامل. ويعترف هؤلاء المستشرقون بأن المرجع الوحيد الموجود بين أيدي الكنيسة اليوم عبارة عن نصّين موجزين باللّغة اليونانيّة القديمة أحدهما ينسب إلى شبه جزيرة سيناء (**النصّ السينوي**) والآخر ينسب إلى الڤاتيكان (**النصّ الڤاتيكاني**) وكلاهما يرجع إلى سنة 350م. وهناك نصوص متفرّقة جاءت بعد ذلك لا تعرف هويّة كاتبيها. ولا يعرف نصّ كامل باللّغة العبريّة «للعهد القديم» إلَّا

ذلك الذي تمَّت صياغته في القرن العاشر الميلادي (أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من ألفي سنة).

وقد ادَّعى المهاجمون للقرآن الكريم بأنَّ الاسم **«هامان»** لم يذكره أي من مؤرّخي الحضارة اليونانيّة القديمة، ولم يرد له ذكر في أيّ نص تاريخي قديم عن مصر، وإن ذكروا وروده في **«سفر أستير»** (Esther). وجاء في هذا السفر أنَّ **ملك بابل «أحشويروش» أو** (Xerxes)، استوزر رجلاً باسم **«هامان»**، وأنَّ هذا الوزير كان يبغض اليهود الذين سبق وأن أسرهم (نبوخذ نصّر) ملك بابل السابق. لكن إحدى محظيات الملك كانت يهوديّة باسم (أستير) استخدمت فتنة الملك بها في الإيقاع بهذا الوزير حتى تمّ إعدامه شنقاً. وانطلاقاً من هذه الأسطورة اندفع عدد من غلاة المستشرقين إلى الادّعاء الباطل بأنَّ **(هامان)** لم يكن في مصر على عهد فرعون موسى، ولكنه كان في بابل على عهد الملك «أحشويروش» أو (Xerxes) بعد حوالي ألفي سنة من وفاة موسى عليه السلام. ومع تسليمنا بأنَّ قصّة «أستير» هذه هي قصّة مختلقة في التراث اليهودي الذي أراد أن يعظم من دور بنات الهوى الساقطات عندهم، انطلاقاً من عقدة تميز العرق اليهودي، وأنه لا يوجد لهذه القصة أيّ سند تاريخي، فإنه لا يوجد ما يمنع من تكرار نفس الاسم في العهود المختلفة.

ثم جاء الطبيب الفرنسي **«موريس بوكاي»** ليوضح الأمر لبني جلدته في كتابه المعنون **«موسى والفرعون»** وفيه ما ترجمته: لقد قمت بكتابة الاسم **(هامان)** باللّغة الهيروغليفيّة وعرضته على أحد المختصّين في تاريخ مصر القديمة. ولكي لا أدعه تحت أي تأثير، لم أذكر له أنَّها وردت في القرآن، بل قلت له أنَّها وردت في وثيقة عربيّة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السابع الميلادي. فقال لي المختص: يستحيل أن ترد هذه الكلمة في أي وثيقة عربيّة في القرن السابع، لأنَّ رموز الكتابة باللّغة الهيروغليفيّة لم تكن قد حلَّت آنذاك. ويضيف الدكتور «بوكاي» قوله: ولكي أتحقق من هذا الأمر أوصاني بمراجعة قاموس يحمل العنوان التالي: **«قاموس أسماء الأشخاص في الإمبراطوريّة الجديدة» لمؤلّفه (اللامند رانك)**. نظرتُ إلى القاموس

فوجدت أنَّ هذا الاسم موجود فعلاً ومكتوب باللّغتين الهيروغليفيّة والألمانيّة. كذلك كانت هناك ترجمة لصاحب هذا الاسم بأنَّه «رئيس عمَّال مقالع الحجر». وكان هذا الاسم أو اللّقب يطلق آنذاك على الرئيس الذي يتولّى إدارة المشاريع الإنشائيّة الكبيرة. استنسخت هذه الصفحة من ذلك القاموس وذهبت إلى المختص الذي أوصاني بقراءته، ثم فتحتُ ترجمة القرآن بالألمانيّة وأريته اسم «هامان» فيه فاندهش ولم يستطع أن يقول شيئاً». ويضيف الدكتور «موريس بوكاي» قوله: «لو جاء ذكر اسم **(هامان فرعون)** في أي كتاب قبل القرآن، أو لو جاء ذكره في «العهد القديم» لكان المعترضون على حقّ، ولكن لما لم يرد هذا الاسم في أيّ نصّ آخر قبل نزول القرآن، وإن كان قد اكتشف بعد ذلك بقرون عديدة، على الأحجار الأثريّة لمصر القديمة وبالخط الهيروغليفي، فإنَّ ورود هذا الاسم في القرآن بهذا الشكل المذهل لا يمكن تفسيره إلَّا بأنَّه معجزة، وليس ثمة أيّ تعليل آخر».

ويضيف هذا العالم الفرنسي الجليل «**بوكاي**» قوله: «وكما سبق القول بأنَّه ما من مؤرّخ أو كاتب أشار إلى شخص اسمه «**هامان**» كان مقرّباً من فرعون مصر في عهد موسى ﷺ، ولم يكن أحد من النَّاس يعلم شيئاً من تاريخ مصر القديم، لأنَّ العلماء كانوا عاجزين عن قراءة الكتابات المصريّة القديمة المكتوبة بالهيروغليفيّة، وكانت هذه اللّغة قد اندثرت تدريجيًّا في مصر حتى انمحت تماماً. وكان آخر نصّ مكتوب بهذه اللّغة قد سجّل في عام 394م، ولم يعد أحد يتكلّم باللّغة الهيروغليفيّة أو يعرف قراءتها. **واستمرَّ هذا الوضع حتى عام 1822م عندما استطاع العالم الفرنسي «چان فرانسوا شامبوليون»** (Jean Francois Champollion, 1790-1832) فكّ رموز تلك اللّغة باكتشاف نصّ مكتوب بها على **حجر رشيد** (The Rosetta stone) مع ترجمة له إلى كل من اللّغتين اليونانية القديمة والديموطيقيّة.

وقد تمَّ اكتشاف هذا الحجر من قبل ضابط فرنسي عام 1799م في أثناء الحملة الفرنسيّة على مصر في قرية رشيد بمحافظة البحيرة. ووجد عليه نصّ يمجّد فرعون مصر ويدوّن انتصاراته، وكان هذا النصّ مكتوباً بثلاث لغات هي: اللّغة

الهيروغليفيّة واللّغة الديموطيقيّة (وهي اللّغة العاميّة المصريّة القديمة) واللّغة الإغريقيّة. وكان تاريخ الكتابة يعود إلى عام (196ق.م.) وقد ساعد وجود هذه اللّغات الثلاث على فكّ رموز اللّغة الهيروغليفيّة، بواسطة شامبوليون الذي قام بمضاهاة هذا النصّ بالنصّ الإغريقي المقابل. وكان النصّ اليوناني عبارة عن أربعة وخمسين سطراً، وكان سهل القراءة، مما يدلّ على أنَّ اللّغات الثلاث كانت سائدة إبان حكم البطالسة الإغريق لمصر.

وبعد حلّ رموز الكتابة الهيروغليفيّة علمنا من الكتابات الموجودة على عدد من الأحجار الأثريّة العائدة للتاريخ المصري القديم وجود شخص مقرّب من فرعون مصر في عهد موسى عليه السلام كان مسؤولاً عن البناء اسمه «**هامان**». وهناك حجر من هذه الأحجار المصريّة القديمة ورد فيه هذا الاسم **وهذا الحجر موجود الآن في متحف «هوف» في «فيينّا» عاصمة «النمسا»**.

هذه شهادة عالم غربي محايد يشهد فيها بأنَّ القرآن الكريم هو أعظم معجزة في تاريخ البشريّة كلّها، انطلاقاً من كلمة حقّ واحدة اتّضحت له وهي اسم «**هامان**» مهندس بناء فرعون في عهد موسى عليه السلام.

والآية الكريمة التي نحن بصددها يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8]، وهذا النّص الكريم يسجّل واقعة تاريخيّة مؤداها أنَّ أعوان فرعون التقطوا مهد الرضيع موسى الذي حملته تيارات ماء النيل إلى قصر الفرعون حتى يكون مصدر عداوة وحزن لهم، وسبب بلاء وقضاء عليهم. واللام في (ليكون) هي لام العاقبة والصيرورة، لأنّهم إنّما أخذوه ليكون لهم قرّة عين، فكان عاقبة ذلك أن صار لهم عدوًّا وحزناً. وختمت الآية الكريمة بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: 8]. أي أنّهم كانوا متعمدين الكفر باللّه أو الشرك به وعصيان أوامره، واقتراف المظالم والآثام، والإفساد في الأرض، وهذه أيضاً حقيقة تاريخيّة تشهد للقرآن الكريم بالصّدق.

53 ـ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29].

هذا النص القرآني الكريم يسجّل واحداً من أهم الأحداث في سيرة عبد الله ونبيّه موسى عليه السلام، الذي تربّى في بيت فرعون مصر حتى أصبح شابًّا يافعاً له شأنه في المجتمع الذي عاش فيه. وفي يوم من الأيّام دخل الشاب موسى إلى **مدينة «منف»** في وقت ظهيرة قائظة، وأغلب أهل المدينة قد أووا إلى بيوتهم طلباً للقيلولة والرّاحة. وفجأة وجد موسى في أحد شوارع المدينة رجلين يقتتلان، أحدهما عبراني (من شيعته) والآخر مصري (من أعدائه). وعند ظهور موسى استنجده الذي من شيعته، فوكز موسى الرجل المصري وكزة أفضت إلى وفاته (أي سدّد إليه لكمة سريعة بمجموع قبضته فقضى عليه). وحزن موسى لذلك حزناً شديداً لأنّه لم يكن يقصد قتل المصري، وندم على ذلك واستغفر ربّه، لأنّ كل الذي كان يقصده هو فضّ الاشتباك بين المتقاتلين، ولذلك بات في المدينة خائفاً يترقّب أن يذكر أحد من أهل «منف» اسمه مقروناً بتلك الجريمة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: 15 ـ 17].

وفي اليوم التالي فوجئ موسى بالعبراني الذي استنصره بالأمس يستنجد به مرّة أخرى على رجل آخر من أهل مصر يتعارك معه، فغضب عليه موسى قائلاً له وموبّخاً إيّاه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾. وحين أقدم موسى لفكّ الاشتباك بينهما تملّك العبراني الذعر، ظانًّا أنّ موسى قد تقدّم ليضربه هو فصاح بأعلى صوته: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾.

وقد يكون الذي قال هذا الكلام هو المصري لشيوع الخبر في المدينة دون أن يدري موسى بذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 18، 19].

أدرك موسى أنَّ سرّه قد انكشف، فلم يعد إلى قصر الفرعون، واختفى عن الأنظار، بينما بدأ جند فرعون في البحث عنه لمحاكمته على جريمته. وفي غمرة ذلك جاء **حزقيل** (وقد كان رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتم إيمانه)، وعلمنا باسمه من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**سبّاقو الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب يّس، وعلي بن أبي طالب**»[1].

نصح «حزقيل» موسى بالخروج من أرض مصر فوراً لأنَّ الفرعون كان قد أصدر قراره بقتل موسى عقاباً على جريمته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾
[القصص: 20، 21].

واتباعاً لنصيحة «**حزقيل**» خرج موسى مهاجراً من أرض مصر ميمماً وجهه إلى الشرق، فعبر شبه جزيرة سيناء حتى وصل إلى أرض «**مدين**»، على جنوب الضفّة الشرقيّة لخليج العقبة، عند التقائه بالبحر الأحمر. وعند بئر للماء في تلك الأرض وجد موسى جماعة من الرجال يسقون أغنامهم، ورأى من حولهم فتاتين تمنعان غنمهما عن الماء خوفاً من الاختلاط بأغنام الذين يسقون، فتقدَّم منهما موسى وسألهما: لماذا لا تسقيان كما يفعل بقيّة الناس؟ فأجابتا بأنَّ عليهما

(1) تفسير الدر المنثور، (7/ 53).

الانتظار حتى يسقي الرجال أغنامهم وينصرفون، وأنَّ عليهما القيام بذلك لأنَّ أباهما شيخ كبير لا يقدر على مثل هذا العمل. فأسرع موسى إلى مساعدتهما وسقى لهما، ثم التجأ إلى مكان ظليل يخلص فيه إلى الله ـ تعالى ـ بالدّعاء طالباً تفريج كربه، والمعية في غربته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 22 ـ 24].

عادت الفتاتان إلى أبيهما وهو عبد الله ونبيه «**شعيب**»، وقصَّتا عليه ما حدث معهما من تصرّف هذا الرجل الغريب الذي سقى لهما، فأمر إحداهما بالذّهاب إليه، ودعوته إلى بيت أبيها كي يكافئه على مساعدتهما، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾
[القصص: 25].

وفي خلوة مع الأب الشيخ اقترحت عليه إحدى ابنتيه أن يتَّخذ من هذا الغريب القوي الأمين أجيراً عنده يساعده في رعي غنمه، وفي بقيّة أعماله، فاستساغ الوالد الفكرة لما رأى في موسى من حسن الخلق، وصلاح الحال. وبعد تفكير في الأمر رأى أنَّ أفضل السبل لتحقيق ذلك هو أن يزوّجه إحدى ابنتيه. وبعرض الأمر على موسى قبله، واشترط عليه شعيب أن يخدمه ثماني حجج (أي: ثماني سنوات) فإن أتمَّها عشراً كان ذلك كرماً منه، وتعاهدا على تنفيذ ما اتَّفقا عليه وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: 26 ـ 28].

وبعد تمام السنوات العشر استأذن موسى والد زوجته في العودة بها إلى مصر، فأذن له. ارتحل موسى مع أهله متَّجهين إلى أرض مصر، وفي شبه جزيرة سيناء ضَلُّوا الطريق. وفي ليلة شديدة الظلام، وقارسة البرد، وغزيرة المطر، أبصر موسى على البعد ناراً تتأجَّج، فنصب خيمة لأهله، وترك إبله وغنمه من حولهم، ثم استأذن في الذهاب إلى تلك النيران المتأجّجة لعلَّه أن يأتي منها بقبس يتدفَّأ هو وأهله به، أو يجد عندها مَن يرشده إلى الطريق الصحيح، أو يستوضح هو الطريق على نور تلك النّار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: 9 ـ 36].

وفي هذا الموقف الكريم تلقَّى موسى اصطفاء الله ـ تعالى ـ له بالنبوَّة وبالرسالة، وحُمِّل أمانة التبليغ إلى قومه، والنّصح إلى فرعون وملئه.

وفي «العهد القديم» جاءت قصَّة موسى عليه السلام بأحداث مشابهة لما ورد عنها في القرآن الكريم، ولكن بصياغة مشوشة، وبأغلاط كثيرة لمحاولة كاتبيها الدس على الله ـ تعالى ـ بالعهد المزعوم ليعقوب وذريّته من بعده بحق أبدي في أرض فلسطين ـ على عادة اليهود في كل ما يكتبون ـ.

والشبه بين الروايتين يؤكّد أنَّ لهما مصدراً واحداً، ولكن روعة ودقّة الرواية القرآنية وركاكة وأخطاء رواية «العهد القديم » يؤكّدان الفارق الكبير بين بيان الله - تعالى - المحفوظ في نفس لغة الوحي به (وبعهد منه ﷻ) وبين روايات من التراث الشعبي ظلَّت تنقل مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، حتى تمَّ تدوينها بعد أكثر من ثمانية قرون من وفاة موسى عليه السلام. وقد تمَّ ذلك التدوين في لغات غير لغة الوحي، وبأقلام غير معروفة وغير معصومة، ولذلك جاءت مليئة بالأخطاء اللّغويّة، والتاريخيّة، والعلميّة، والعقديّة، والعباديّة، والسلوكيّة، مما يحول دون نسبتها إلى الله ﷻ الموصوف بالكمال المطلق.

وظلّت كتب «العهد القديم» تتعرّض للتحرير بعد التحرير، وللتطوير والتحوير، وللإضافة والحذف، حتى أصبح التطابق بين طبعتين منها أمراً يكاد أن يكون مستحيلاً.

من هنا فإنَّ النص القرآني في الآية رقم (29) من سورة «القصص» يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنه يعلو فوق النصّ المعنون «ظهور الله لموسى» والمترجم عن النصّ الإنجليزي الذي ترجمته «موسى والشجيرة المحترقة» (Moses and the Burning Bush)؛ وذلك لأن الله - تعالى - لا تدركه أبصار المخلوقين في هذه الحياة الدنيا، لأنه - تعالى - فوق حدود كل من الزمان والمكان، والمادة والطاقة، فكيف تراه عينا الإنسان؟ وتعجز تلك النصوص المحرّفة أن تداني النصّ القرآني في شيء، وبالتالي فلا يمكن لهذا النَّص القرآني أن يكون منقولاً عن تلك النصوص المحرّفة كما يدّعي بعض المدّعين، وإن تشابهت القصتان لأن أصلهما واحد.

54 ـ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: 70].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تصف موقفاً فريداً من مواقف عبد الله ونبيّه موسى عليه السلام مع فرعون مصر. وهذا الموقف لم يرد له ذكر في «العهد القديم»، ممّا يقطع بأنَّ قصص القرآن الكريم لا علاقة له بما جاء في هذا «العهد». وإن وجدت أوجه من التشابه فذلك لأن للقصّة أصل واحد. ويبقى الفرق هائلاً بين كلام ربّ العالمين، ورواية البشر التي نقلت مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء. وبقي ذلك كجزء من التراث الشعبي الذي دُوِّن بأيدي مجهولين، في لغات غير لغة الوحي، وبعد أكثر من ثمانية قرون كاملة من وفاة موسى عليه السلام. لذلك جاءت رواية «العهد القديم» مليئة بالتحريف والتزييف والابتداع؛ ومن ذلك إغفال هذا الموقف الفريد في صراع موسى مع فرعون مصر وسحرته.

ويبدأ هذا الموقف الفريد بأمر من الله ـ تعالى ـ إلى موسى عليه السلام على جبل الطور بأن يدعو فرعون مصر إلى الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وإلى التوقف عن طغيانه على الأرض، واستعباده للخلق، وأن يطلق سراح بني إسرائيل الذين أذلَّهم بذبح أبناءهم واستحياء نساءهم. وكان استعباد بني إسرائيل صورة من صور اضطهاد الكافر للمسلم، وضرباً من الإجراءات السياسية التي يقوم بها الطُّغاة من الحكَّام من أجل المحافظة على كراسي الحكم مهما كانت تلك الإجراءات بعيدة عن الإنسانيّة والعدل!، وما يحدث على الساحة السورية اليوم، وحدث في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن خير شاهد على ذلك.

بعد موقف مناجاة الله ـ تعالى ـ على **«جبل الطور»**، تحرَّك موسى بعائلته إلى أهله في مصر، وكان أخوه هارون قد بلغه الوحي بنبوَّته، وأخبره موسى بأمر الله ـ تعالى ـ إليهما أن يذهبا إلى فرعون لدعوته إلى ما أمره به الله. وعلى الفور ذهب كلّ من موسى وهارون إلى فرعون، وأبلغاه رسالة ربّ العالمين، واستدلّا

على نبوّتهما بالمعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ على يدي موسى. ولكن بسبب كفره وغطرسته، اعتبر فرعون تلك المعجزات ضرباً من السحر الذي كان شائعاً في مجتمعه، ولذلك تحدَّى كلًّا من موسى وهارون بسحرته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: 56 ـ 59].

ولمَّا جاء الموعد المحدّد احتشد النّاس ليشهدوا نتيجة هذا التَّحدي بين كلّ من فرعون وسحرته من جهة، وهارون وموسى من جهة أخرى. ويصف القرآن الكريم هذا المشهد بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: 65 ـ 70].

وجاء رد فرعون الغاضب على سحرته بما يصفه القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: 71 ـ 76].

وهذا الموقف الإيماني الرَّائع من سحرة فرعون لم يذكره «العهد القديم» على الرّغم من التشابه الواضح بين رواية القرآن الكريم وما جاء في ذلك «العهد» عن قصّة موسى وهارون مع فرعون وملئه. ومع وضوح الفارق الكبير بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام البشر، فإن استعراض القرآن الكريم لقصة النبيين الكريمين موسى

وهارون ـ بصفة عامّة ـ ولموقف سحرة فرعون ـ بصفة خاصة ـ كما لخصتها الآية رقم (70) من سورة «طه» يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما يشهد بالنبوَّة وبالرسالة لسيِّدنا محمَّد ﷺ الذي تلقَّى القرآن الكريم وحياً من ربِّ العالمين. ولا يمكن لعاقل أن يتصوَّر لهذا الوحي مصدراً غير الله الخالق، وذلك نظراً للبعد الزمني الهائل (والمقدَّر بنحو ألفي سنة) بين بعثتي النبيّين الكريمين محمَّد بن عبد الله، وموسى بن عمران (عليهما وعلى جميع أنبياء الله السَّلام). وكان للإرادة الإلٰهيّة في جعل خاتم النبيّين أُميًّا (لا يقرأ ولا يكتب)، وفي تقدير أن تكون بعثته في أُمّة غالبيَّتها من الأُمّيين، (وبذلك لم تكن أُمّة تدوين)، مع تنزل هذا الحق على قلبه، ما يشهد له بالنبوة وبالرسالة. وكان في إيراد القرآن الكريم لعدد من المواقف التي لم ترد في «العهد القديم»، وفي عرض القصّة بأُسلوب رائع، (فيه من الدروس والعِبر مع إيجاز لا يقدر عليه إلَّا ربّ العالمين، ما يؤكد على ربانية القرآن الكريم).

والسياق القرآني في الآية رقم (70) من سورة «طه» يصوّر ضخامة المفاجأة، وأثر وقعها في نفوس سحرة فرعون، وكانوا قد جاءوا بسحرهم لمبارزة كلّ من موسى وهارون، وكانوا أحرص الناس على الفوز في تلك المبارزة. ولكن بمجرّد تأكّدهم بأنَّ الذي جاء به موسى ليس سحراً، وإنَّما معجزة من الله ـ تعالى ـ لا يقوى عليها أحد من البشر، خرّوا للّه سجّداً، في تحول كامل من السحر والباطل، إلى الإيمان الحق باللّه ـ تعالى ـ مُقَلِّب القلوب والأبصار. وتسجيل هذا الموقف في كلّ من الآية رقم (70) من سورة «طه»، وفي الآية رقم (120) من سورة «الأعراف»، وفي الآية رقم (46) من سورة «الشعراء» يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

55 ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: 133].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة جاءت في سياق استعراض سورة «الأعراف» لألوان العذاب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ بفرعون وملئه لكفرهم وتطاولهم وتجبرهم على الخلق بعد واقعة إسلام سحرة فرعون والتي يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: 133 ـ 135].

وتؤكّد الآيات **أنَّ الإيمان المفاجئ لسحرة فرعون كان هزيمة منكرة لكل من فرعون وملئه**، وكان في الوقت نفسه نصراً لموسى وهارون ولمن معهما. ولقد شجّع ذلك موسى على الاستمرار في دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، والاستقامة على دينه، ولكن ذلك لم يزد فرعون إلّا تكبّراً وتجبّراً، وعناداً وكفراً، ومبالغة في اضطهاد قوم موسى والذين آمنوا معه.

وأنذر موسى فرعون بأنّه إذا لم يقلع عن كفره، وظلمه، واضطهاده لعباد الله المؤمنين، فإنَّ الله ـ تعالى ـ سوف يوقع به وبقومه من العذاب ما لا قبل لهم به. ولكن فرعون استقبل إنذار موسى باستهتار وسخرية شديدين، فسلّط الله ـ تعالى ـ عليه وعلى ملئه ألواناً من العقاب لعلّهم يرجعون، فلم يعودوا عن غيهم. **وبدأ عقاب الله ـ تعالى ـ لهم بانقطاع مؤقّت لنزول المطر حتى عمّهم القحط والجدب**، فتضررت محاصيلهم وثمار بساتينهم، وهلكت أنعامهم. ثم يرفع الله ـ تعالى ـ ذلك عنهم كي يعودوا إليه، دون جدوى، بل لم يزدهم ذلك إلّا تمرّداً، وكفراً، وعناداً، فينسبون الخصب والرخاء لأنفسهم، وينسبون القحط والجدب إلى تشاؤمهم

بموسى وبالذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: 130 ـ 131].

أي أنَّ ما كان يصيبهم من خير أو شرّ كان بتقدير من الله ﷻ، وليس باجتهادهم، ولا بشؤم أحد من الخلق، ولكن أكثرهم لم يكونوا يعلمون ذلك، فبالغوا في عنادهم قائلين لموسى عليه السلام: ومهما جئتنا به من المعجزات فلن نؤمن بما تدعونا إليه.

وردًّا على عنادهم وكفرهم أرسل الله ـ تعالى ـ على فرعون وملئه كلا من **الطوفان** (وهو المطر المغرق الجارف للزروع والمساكن والمنشئات)، **والجراد** (الذي أكل زروعهم وثمارهم)، **والقمل** (الذي هاجم أجسادهم وشعورهم وامتصَّ دماءهم، وتسبب لهم في العديد من الأمراض التي أصابتهم وأصابت أنعامهم ودوابهم). كذلك أرسل الله ـ تعالى ـ عليهم **الضفادع** بأعداد كبيرة: (فأقلت مضاجعهم بنقيقها الذي لم يكن لينقطع). كما أرسل عليهم **الدم** الذي وجدوه في مصادر مياههم. وهذه كلها كانت (آيات مفصلات) أي علامات ظاهرات معبرات عن غضب الله ـ تعالى ـ وسخطه عليهم، بسبب انحرافاتهم عن منهجه ودينه الذي أرسل به كلًّا من موسى وهارون لهدايتهم إليه. وهذا الدين كان ـ ولا يزال ـ هو الإسلام الذي علمه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله إلى زمن موسى ومن بعده، حتى أكمله وأتمَّه وحفظه في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ومع كل ذلك استكبر فرعون وملؤه عن الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وببعثة هذين النَّبيين الكريمين وذلك لغلوِّهم في الإجرام والكفر الذي كانوا قد غرقوا فيه إلى آذانهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهم:

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: 132 ـ 133].

ولمَّا اشتدَّ العذاب على فرعون وقومه حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت لجأوا إلى عبد الله ونبيّه موسى، خاشعين، ضارعين، راجين أن يدعو لهم الله ـ تعالى ـ ليكشف عنهم هذا العذاب بحقّ ما أكرمه به من النبوَّة. وأقسموا لموسى أنَّه إذا رُفِعَ عنهم العذاب الذي أحاط بهم من كلِّ جانب فإنَّهم سوف يؤمنون بما جاء به، وسوف يطلقون سراح قومه، ولكن هؤلاء القوم الكافرين كانوا سرعان ما ينقضون وعودهم، وينكثون عنها بمجرد رفع العذاب عنهم. ويسجّل القرآن الكريم هذا الموقف بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: 134 ـ 135].

ولسنوات عديدة ظلَّ موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه، ومعه أخوه هارون عليه السلام، والله ـ تعالى ـ يؤيّدهما بالآيات البيّنة، والمعجزات العديدة التي تشهد لهما بالنبوَّة، وتقيم الحجة على هؤلاء الكافرين دون جدوى. وبعد أن نزلت بهم البلايا الواحدة تلو الأخرى ظلوا على كفرهم دون اعتبار. ولـمَّا يئس موسى من إمكانية هداية فرعون وقومه، وأكَّد له الوحي أنَّهم لن يهتدوا، أمره الله تعالى هو وأخوه هارون عليه السلام أن يعتزلا فرعون وملئه، وأن يأمرا المؤمنين معهما ببناء مساكنهم في اتجاه القبلة حتى يتمكَّنوا من عبادة الله ـ تعالى ـ فيها بعد أن كان فرعون قد أمر بتخريب أماكن عبادتهم.

ودعا موسى على فرعون وملئه، وأمَّنَ هارون على دعائه، واستجاب الله ـ تعالى ـ دعوتهما، فجاء عقاب هؤلاء الظالمين على النحو التالي:

أوَّلاً: العقاب بالطوفان (Flood = Inundation = Deluge):

والطوفان هو كل حادثة تحيط بالإنسان، وصار متعارفاً في الماء المتناهي في

الكثرة (سواء كان هذا الماء بسبب الغالب الذي يغشى كل شيء فيدمِّره تدميراً كما يحدث في حالات السيول الجارفة، أو فيضانات الأنهار المغرقة، أو انصهار الجليد، أو تفجر الماء من تحت سطح الأرض، أو طغيان البحار).

ولسنا ندري على وجه التحديد أسباب الطوفان الذي أرسله الله ـ تعالى ـ على قوم فرعون، فلم نجد في الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ شيئًا عنها. لذلك نرى أنَّ من الواجب الوقوف عند حدود النصّ القرآني، ما دمنا لم نجد في السُنَّة المطهّرة تفسيراً له، وذلك تجنّباً للوقوع في «الإسرائيليّات» التي لا سند لها. ولكن الاجتهاد العلمي في تفسير سبب طوفان قوم فرعون يشير إلى كثرة الأمطار المغرقة، والسيول الجارفة التي أتلفت الزروع والأشجار ودمَّرت المساكن والمنشآت والطرقات، وأدَّت إلى فيضان نهر النيل الذي ساعد في هذا الإتلاف والتدمير. وذلك لأنَّه لا يوجد دليل من الصخور الرسوبيّة أو الرسوبيّات يشير إلى طغيان البحر الأبيض المتوسّط في ذلك الزمن على أرض مصر، ولا يوجد أثر لتفجر الماء من تحت سطح الأرض بكميات مغرقة، ولم تكن أرض مصر مكسوَّة بالجليد إلَّا في أزمنة غابرة تمتد إلى الفترة بين 500 مليون سنة مضت، و400 مليون سنة مضت على وجه التقريب (في الفترة الزمنيّة الفاصلة بين العصرين الأوردوفيشي والسيليوري). وقد وردت روايات شتَّى في شأن النصّ القرآني الذي نحن بصدده رواها الإمام الطبري في تفسيره، وفي كتابه عن التاريخ، ولكن يبدو أنَّه ـ على روعة الجهد الذي بذله ـ قد اعتمد في ذلك على عدد غير قليل من «الإسرائيليّات».

ثانياً: العقاب بتسليط أسراب الجراد (Locusts):

(الجراد) اسم جنس لمجموعة من الحشرات المستقيمة الأجنحة، والتي تجمع في رتبة بهذا الاسم، أي: رتبة مستقيمات الأجنحة (Order Orthoptera) (وتضم بالإضافة إلى الجراد مجموعة كبيرة من الحشرات منها الجندب أو نطاط الحشائش (Grassshopper)، والحفّار، والصرصار (الصرصور) وغيرها.

وواحد الجراد (الجرادة) هو لفظ يطلق على كلّ من الأُنثى والذكر، فيقال أُنثى الجرادة، وذكر الجرادة، كما يقال ذكر الجراد وأُنثى الجراد.

ويوضع الجراد مع الجنادب في عائلة واحدة تُعرف باسم عائلة الجراديات (Family Acridae) وتتميَّز الحشرات فيها بالفم القارض، والأجنحة المستقيمة، وبالقدرة الفائقة على التجمّع في أسراب كبيرة، والهجرة عبر مسافات طويلة.

ويتراوح طول الحشرة البالغة من الجراد بين السنتيمتر والعشرة سنتيمترات، ويصل عدد الجراد المهاجر في السرب الواحد إلى عشرات البلايين، ممَّا يجعله يغطي مساحة تقدّر بأكثر من ألف كيلومتر مربّع، بكتلة تقدّر بآلاف الأطنان. ويأكل مثل هذا السرب في اليوم الواحد قدر وزنه من المزروعات، ومن هنا كانت تسمية هذه الحشرة الخطيرة باسم (الجراد) وهو اسم مستمد من الفعل (جرد) بمعنى أزال وكشف، وعرى، وقشر. يقال: (جرد الجراد الأرض جرداً) أي أكل جميع ما عليها من نبات حتى تجرّدت من غطائها الخضري كما (يجرّد) المرء عن ثيابه. و(الجُرادة) بضم الجيم ما قشر عن الشيء أي أزيل عنه، و(الجريد) هو السعف الذي (جرد) منه الخوص أي نزع عنه، و(التجريد) هو التعري من الثياب، أو من غيره، و(التجرد) هو الموضوعيّة والحيدة بمعنى البعد عن كل شيء يؤثّر على الحكم في أيَّة قضيّة من القضايا.

وتهاجر أسراب الجراد الرَّحَّال (Migratory Locusts) على ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض، فمنها ما يطير على ارتفاعات منخفضة (لا تتجاوز الثلاثمائة متر) فوق مستوى سطح البحر. ويتمّ ذلك في طبقات مستوية من الجراد المتراص بكثافات تتراوح بين مليون وعشرة ملايين جرادة في الكيلومتر المربّع الواحد، وتعرف هذه الأسراب باسم **(الأسراب الطباقيّة)**. ومن الجراد ما يصعد إلى ارتفاعات تصل إلى ألف متر فوق مستوى سطح البحر، في هيئة تراكميّة، يأخذ فيها سرب الجراد شكل السحب الركاميّة فيسمى باسمها **(الأسراب الركاميّة)**. وفي هذه الأسراب يتوزّع الجراد بنظام دقيق في أكوام منها القمم السامقة، والسفوح

الهابطة، والأودية الفاصلة التي يتجمع فيها الجراد بكثافات تتراوح بين الألف والمائة ألف جرادة في الكيلومتر المربّع. وتساعد تيّارات الحمل في الغلاف الغازي للأرض (الهواء) على إعطاء أسراب الجراد المهاجرة على ارتفاعات عالية أشكالها الركاميّة. ولذلك يختلف شكل سرب الجراد الركامي في هجرته من وقت إلى آخر باختلاف التيارات الهوائيّة التي تواجهه. والسبب في ذلك هو أن الجراد بفطرته يقود سربه مع الاتجاه الرئيس للرياح السائدة، أو في اتجاه ممرات الهواء التي يتحرَّك الريح الرئيس عبرها. وغالباً ما تهاجر أسراب الجراد في النهار، وتحطّ في اللّيل على المزروعات والأشجار، تلتهم منها كميات كبيرة تعينها على استئناف الهجرة في الصباح التالي.

وتتحرَّك أسراب الجراد بانضباط شديد تحت قيادة صارمة، فتتحرَّك مقدمة السرب قبل مؤخّرته باستمرار، وتحطّ قبلها، حتى تحدّد اتجاه السرب، ومواقع الهبوط، ولحظات الانطلاق في كلّ يوم. وتبدأ دورة حياة الجراد بوضع البيض في أماكن محددة، ورعايته حتى يفقس في حدود شهر مايو من كلّ سنة. وعند الفقس تخرج «**الحوريات**» التي تقوم بعمليّة الانسلاخ من جلدها عدّة مرّات حتى تصل إلى حجم الحشرة البالغة التي تحيا في بادئ الأمر حياة فرديّة. ثم تمرّ الحشرة بعد ذلك بمرحلة انتقاليّة لتكوين جماعة، وتنتهي بمرحلة الهجرة الجَماعيّة. وفي هذه الهجرة الجماعية تقطع أسراب الجراد المهاجر مسافات شاسعة تمرّ خلالها بمناطق التكاثر الفصلي على مدار السنة (الصيفي، والشتوي، والربيعي، والخريفي) حتى تعود إلى مناطق تكاثرها الأولى التي انطلقت منها. وهذه الحشرات تصل إلى مرحلة البلوغ عادة في الفترة من منتصف شهر يوليو إلى منتصف شهر سبتمبر من كلّ سنة. وعلى الرّغم من علمنا بدورة حياة الجراد، إلّا أنَّ غاراته لا يمكن التنبؤ بها قبل بدئها. فالجراد قد يبقى في منابته الأصليّة، ويقوم بتكاثر محدود دون هجرة لفترات طويلة، ودون الخروج في أسرابه المعتادة. وفجأة يعاود الجراد الكامن تسارع تكاثره بشكل ملحوظ، وتنظيم أسرابه للبدء بالهجرة الجماعيّة.

ومنابت الجراد ليست دائمة باستمرار، بل تتغيَّر من فترة إلى أخرى، وإن كانت هناك أحزمة معروفة لغزوات الجراد تشبه إلى حدٍّ ما أحزمة الزلازل، (وهي أحزمة محدّدة على سطح الأرض تكثر فيها الهزّات الأرضيّة).

وللجرادة قدرة فائقة على الطيران لمسافات طويلة تصل إلى مائة كيلومتر في اليوم، وذلك بما حباها الخالق ﷻ به من قوّة عضلية فائقة بالنسبة إلى حجمها. وتمكّنها هذه القوة العضليّة غير العاديّة من خفق جناحيها لفترات متّصلة تتراوح بين الست ساعات والستة عشر ساعة مما يعينها على اجتياز كل العوائق المائيّة والتضاريسيّة التي يمكن أن تعترض طريق هجرتها. والطاقة اللازمة لهذا الجهد الخارق للعادة تستمد من تمثيل كلّ من المواد الكربوهيدراتيّة التي تحصل عليها ممَّا تلتهمه من غذاء أوّلاً، ثم ممَّا تختزنه في جسمها الناحل من دهون.

ويقوم الجراد بهضم المواد النباتيّة التي يقرضها من كلّ من الزروع والأشجار بنهم شديد، ويستخلص ما بها من مواد سكريّة، ونشويّة، وسيليولوزيّة، وزيتيّة، ودهنيّة. ثم يقوم بتحليل ما يقرضه من هذه المركبات النباتية إلى مكوناتها الأساسيّة في عمليّات من الهضم والأيض المعقّدة. ومن أمثلة ذلك أنَّ الله ـ تعالى ـ قد أعطى للجراد القدرة على استخراج غاز الإيدروجين من الدهون المختزنة في جسده، وعندما يصل ذلك إلى دمه تتمّ عمليّة احتراقه بواسطة الأكسيجين الجوي فيتكوّن الماء في داخل جسم الجرادة بالقدر الذي تحتاج إليه خلال رحلة طيرانها الطويلة دون الحاجة للنزول إلى الأرض من أجل الارتواء. وذلك لأنَّ الجراد يستهلك كميّات كبيرة من الماء أثناء طيرانه لا يكفيه فيها ما يأخذه من النباتات الغضّة التي يلتقمها بشراهة كبيرة.

من هذا الاستعراض الموجز للجراد يتَّضح أنَّ هذه الحشرة الصغيرة هي من جند الله التي يسخّرها ﷻ على مَن يشاء من عباده: عقاباً للمجرمين من العُصاة الفاجرين، وابتلاء للصالحين، وعبرة للناجين (فاعتبروا يا أولي الأبصار...).

وإذا علمنا أنَّه إذا نزل البلاء بأسراب الجراد فإنَّه يصبح من المستحيل تقريباً مقاومته، على الرّغم من محاولة المقاومين في زماننا تدمير تجمعات بيض الجراد، أو رشّه بمختلف أنواع المبيدات الحشريّة.

من هنا يتضح حجم العذاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ بفرعون وقومه بتسليط أسراب الجراد عليهم. فإذا كنا في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه لا يستطيع الإنسان مقاومة أسراب الجراد، فماذا كان ممكناً لفرعون وملئه لمقاومة ذلك؟

ثالثاً: العقاب بتسليط جماعات القمل (Lice):

«**القمل**» من الحشرات غير المجنّحة التي تجمع في طويئفة تسمى باسم طويئفة الحشرات غير المجنّحة (Subclass Apterygota) أو طويئفة غير المجنّحات. وتضم هذه الطويئفة حشرات صغيرة الحجم، عديمة التحوّل (بمعنى أنَّ الحشرة في مراحلها الأوليّة تشبه الحشرة البالغة إلى حدٍّ كبير على الرّغم من ضآلة حجمها، وعدم اكتمال أعضائها التناسليّة). ويقع القمل من هذه الطويئفة في رتبة خاصَّة تتميّز بعدم وجود قرون شرجيّة، ولذا تسمى باسم رتبة عديمة الذنب (Anoplura). وتضمّ هذه الرتبة أنواعاً كثيرة من القمل مثل قمل الإنسان، قمل الطيور، قمل النحل، قمل النبات، قمل الحبوب أو السوس، قمل الخشب، قمل الكتب، وغيرها)، وكلّها حشرات ضئيلة الحجم، بنية غامقة أو مصفرة اللّون، يصل طول الحشرة البالغة منها إلى ثلاث ملليمترات في المتوسط.

ومن القمل أنواع ماصّة للدماء كالتي تحيا على أجساد الثدييات، **وأنواع قارضة** كالتي تحيا على أجساد الطّيور، ولكلّ حيوان ثديي نوعه الخاص من القمل. ولقمل الإنسان (وهو من النوع الماص للدماء) سلالتان: قمل الرأس، وقمل الجسم. وهذا النوع الأخير من القمل يمثّل آفة شديدة الضراوة في إيذاء الإنسان، وشديدة الضرر به لأنَّها تنقل إليه العديد من مسببات الأمراض التي من أخطرها مرض التيفوس الوبائي. أمَّا قمل الرأس فيكثر في الصغار من بني آدم عنه

في البالغين، وفي رؤوس الفتيات عنه في رؤوس الفتيان.

ويلتصق بيض القمل القارض إمَّا في الشعر الخاص بكلّ من الإنسان والحيوان، وإمَّا في ريش الطيور. ويموت القمل بسرعة إذا أزيل عن عائله، ولكن نظراً لجلده السميك، وأرجله القويّة، وفكوكه القارضة، ومخالبه الكبيرة التي يستخدمها في التعلق بجسد عائله أو بشعره فإنَّ إزالته عن جسم العائل تستلزم جهداً غير قليل.

والقمل القارض (Mallophaga) لا يمتصّ الدم بل يتغذَّى على نتاج الجلد من القشور، وأجزاء الشعر أو الريش، ونتيجة لاغتذائه بهذه الطريقة فإنَّه يسبب تهيجاً شديداً للعائل الذي يتعيش على جسده أو رأسه، وبفعل الاحتكاك الناشئ عن مخالبه فإنَّه يسقط بعض الشعر من رأس من يتطفل على رؤوسهم من البشر، ويسقط بعض الريش عن جسم الطائر الذي يتطفل عليه.

والقمل الماصّ للدماء (Siphuncularta) يعيش على أجساد كلّ من الإنسان والحيوان، خاصة الحيوانات الثديية، ولكلّ نوع من أنواع الحيوانات الثديية نوعه الخاص به من القمل الماص.

والقمل كغيره من المخلوقات هو جند من جند الله، يسلطه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على مَن يشاء من عباده، (عقاباً للظالمين من الكفرة والمشركين، والغلاة المفسدين في الأرض، والمتجبّرين على الخلق، وابتلاءً للصالحين، واختباراً لصبرهم ولرضائهم بقضاء الله وقدره، واعتباراً للنّاجين الذين رأوا ذلك رأي العين ولكن لم يصبهم من أذاه شيء). وهنا يتضح حجم العقاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ بالفرعون وقومه بتسخير هذه الحشرة الضئيلة، تزعجهم، وتكدر عليهم معيشتهم بالإضافة إلى ما كانت تنقله إليهم من أمراض.

رابعاً: العقاب بتسخير الضفادع (Frog, Toad, Rana):

الضفادع من البرمائيّات عديمة الذيل التي تجمع في طويئفة تحمل نفس الاسم: «طويئفة البرمائيّات عديمة الذيل» أو للاختصار «طويئفة عديمات الذيل»

(Subclass Anura-Salientia). وتتميَّز الضفادع بأرجلها الخلفيّة الطويلة القويّة المهيّأة للقفز، والأرجل الأماميّة القصيرة، والأقدام الجلديّة المعدّة للسباحة. وبعض الضفادع تحيا حياة مائيّة وإن استطاعت العيش على اليابسة، والبعض الآخر يحيا أساساً على اليابسة مع إمكانيّة العيش في الماء. والذي يعيش من الضفادع على اليابسة يحيا على الأشجار أو يدفن بدنه في أوحال الأرض. والضفدع، له لسان طويل، لزج، ومرتبط بمقدمة الفم ليصطاد به فريسته من الحشرات، والديدان وغيرها بمفاجأة شديدة وبسهولة ويسر مهما كانت الفريسة بعيدة عنه. ومعظم الضفادع لها أسنان في فكّها العلوي. وتبدأ دورة حياة الضفدع بوضع البيض المخصب في الماء، ورعايته حتى يفقس، وتخرج اليرقات التي تتنفس أولاً بالخياشيم، وهذه اليرقات ليس لها أقدام، ومع نموّها تأخذ شكل الضفدع الكامل، وتبدأ في التنفّس بواسطة الرئتين، وتحصل على الأوكسجين اللازم لعمليّة التنفّس من الماء عبر كلّ من الجلد الرّطب وبطانة الفم الرطبة.

ونقيق الضفادع من الأصوات المزعجة للإنسان، لأنَّه يُسْمَعُ عبر مسافات طويلة تقدر بالأميال. والكيس الصوتي المتضخّم للذكر في بعض أنواع الضفادع قد يزيد في طوله على بقيّة الجسم، ممَّا يضاعف من شدّة نبرات نقيقه. ليس هذا فقط، بل إنَّ بعض الضفادع قد يحمل للإنسان عدداً من الفيروسات التي تصيب كلًّا من الكبد والكلى، ولذلك كان من الأخطار التي تهدّد حياة الإنسان، خاصّة وأنَّ الضفادع كانت ـ ولا تزال ـ تؤكل كما هو الحال في بعض الدول مثل فرنسا. ومن هنا يتضح حجم العذاب الذي سلّطه الله ـ تعالى ـ على الفرعون وملئه بكثرة الضفادع التي هاجمتهم، وأقضّت مضاجعهم بنقيقها المتواصل طوال الليل.

خامساً: العقاب بالدم (Blood):

الدم سائل أحمر اللّون، غليظ القوام، سريع التخثر، يتكوّن أساساً من كرات الدم الحمراء والبيضاء بالإضافة إلى العديد من الصفيحات، والجسيمات الأخرى، ويعوم ذلك كلّه في سائل أصفر باهت يعرف باسم البلازما. ويقوم الدم بنقل كلّ

من الغذاء، والأوكسجين، والهرمونات إلى مختلف أجزاء الجسم، ويجمع منها الفضلات، كما يقوم بمحاربة كلّ الجراثيم التي تدخل إلى الجسم، ويساعد على إندمال الجروح وفي المحافظة على درجة حرارة الجسم.

والدم إذا سال خارج الجسم سرعان ما يتعفَّن وينتن بسبب ما يحمله من فضلات وجراثيم، ولذلك حرم الشرع الإسلامي طعامه. ومن هنا كان تسليطه على فرعون وملئه، كعقاب من الله ـ تعالى ـ لأنَّهم لم يؤمنوا برسالة الله إليهم.

ولسنا ندري ماهيّة هذا الدم الذي عُوقبوا به، ولكن في رواية **عن سعيد بن جبير** جاء فيها: «...لمَّا أتى موسى فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان ـ وهو المطر ـ فصبّ عليهم منه شيئاً، فخافوا أن يكون عذاباً، فقالوا لموسى: ادع لنا ربّك أن يكشف عنَّا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربّه حتى أوقف الطوفان، فلم يؤمنوا، ولم يُرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت لهم في تلك السّنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ. فقالوا: هذا ما كنَّا نتمنَّى، فأرسل الله عليهم الجراد فسلَّطه على الكلأ، فلمَّا رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنَّه لا يبقي الزرع فقالوا: يا موسى ادع لنا ربّك فيكشف عنَّا الجراد نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا ولم يُرسلوا معه بني إسرائيل. فداسوا (أي درسوا) وأحرزوا في البيوت. فقالوا: قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل ـ وهو السوس الذي يخرج من الحبوب المخزونة ـ فكان الرجل يخرج عشرة أجربة أي أربعين قفيزاً إلى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة (والجريب والقفيز مكيالان للحبوب، والجريب أربعة أقفزة). فقالوا: يا موسى ادع لنا ربّك يكشف عنَّا القمل، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق الضفدع، فقال موسى للفرعون: ما تلقي أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرَّجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهم أن يتكلّم

فتثب الضفادع في فِيه. فقالوا لموسى: ادع لنا ربّك يكشف عنّا هذه الضفادع، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فكشف عنهم فلم يؤمنوا. فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا ما استقوا من الأنهار أو الآبار، أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دماً عبيطاً (طريًّا). فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنَّا قد ابتلينا بالدم، وليس لنا شراب، فقال: إنَّه قد سحركم! فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلَّا وجدناه دماً عبيطاً (طريًّا)؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنَّا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربّه، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل».

ومع إيماننا الكامل بقدرة الله ـ تعالى ـ على كلِّ شيءٍ، ومع وقوفنا أمام هذا الحديث بإجلال كبير، إلَّا أنَّنا لا نقول فيه شيئاً توقيراً لرسول الله ﷺ على الرَّغم من أنَّ الحديث غير مرفوع إليه.

وهذه الآيات اشتملت على العقاب **بالطوفان** الذي أدّى إلى الهدم والغرق، ثم **بالجراد** الذي أكل الأخضر واليابس من النباتات والثمار والمحاصيل الغضّة، ثم **بالقمل** الذي قضى على المخزون من الحبوب والمحاصيل ونقل العديد من الأمراض، ثم **بالضفادع** التي أزالت النوم من الجفون بنقيقها المزعج وقدرتها كذلك على نقل العديد من مسببات الأمراض، وبعد ذلك كلّه **بالدم** النتن المليء بالنفايات والفيروسات والجراثيم التي جعلت حياة الفرعون وصحبه حقًّا مستحيلة. كل ذلك من صور العذاب الإلٰهي الشامل للفرعون وملئه، وقد كانوا من الكفرة والمشركين، والغلاة المتجبرين في الأرض. وهذه الصور تعرضها الآية الكريمة رقم (133) من سورة «الأعراف» بروعة التسلسل المنطقي، والشمول والإحاطة بأحداث تاريخيّة وقعت قبل بعثة المصطفى ﷺ، بأكثر من ألفي سنة، وهذا مما يشهد للقرآن الكريم بأنّه كلام الله ربّ العالمين.

والمتحف الوطني بمدينة ليدن (هولندا) يقتني بردية باسم «بردية إيبوور»

(The Papyrus Ipuwer). ويدعي هذا المتحف أنه اشترى تلك البردية سنة 1828م، من مجهول، وذلك بعد اكتشافها في منطقة «منف» أو «ممفيس»، قرب أهرامات سقارة. وتتكون هذه البردية من 17 صفحة، تمَّت ترجمتها من اللّغة الفرعونيّة القديمة سنة 1908م. وقد أوردت هذه البردية كل صور العقاب التي لحقت بأرض مصر زمن فرعون موسى بما يتطابق مع الوصف القرآني الذي جاء في الآية رقم (133) من سورة «الأعراف».

وفي كتاب «**آثار مصر القديمة**» لمؤلفه جيمس بيكي جاء ما ترجمته أنَّ من أعظم مكتشفات عالم الآثار «بترى» في أثناء تنقيبه سنة 1905/ 1906م في تلّ الرطابة، وجود سلطانيّة رائعة الشكل مصنوعة من الخزف الأزرق، تحيط بها 19 ضفدعة، في حين تتسلّق ضفادع أخرى عديدة الجوانب الداخليّة للسلطانيّة مكوّنة حشداً ضخماً عند فوهتها. وتتوسّط هذه السلطانيّة (صفحة أو وعاء للأكل) وتجلس فيه ضفدعة كبيرة، متوجّهة إلى قاعدة السلطانيّة التي تعتبر تحفة فريدة في صناعة الخزف المصري، وتشير إلى عقاب قوم فرعون بالضفادع.

وجاء في «كتاب الخروج» من «سفر التكوين» أنَّ من وعيد الرّب لفرعون موسى كانت الضربة الأولى هي «**ضربة الدم**»، والضربة الثانية هي «**صعود الضفادع**»، والضربة الثالثة هي «**غزو البعوض**»، والضربة الرابعة هي «**أسراب الذباب**»، والضربة الخامسة هي «**إهلاك المواشي**»، والضربة السادسة هي «**الدمامل المتقيحة**»، والضربة السابعة هي «**سقوط البرد**»، والضربة الثامنة هي «**غزو الجراد**»، والضربة التاسعة هي «**الظلام الكثيف**»، وكانت الضربة العاشرة والأخيرة هي «**موت الأبكار**».

والتشابه في القصّة بين ما سجّله القرآن الكريم وما جاء في «العهد القديم» يمثل وحدة المصدر، والاختلاف في التفاصيل يمثّل الفارق بين كلام الله وابتداع البشر. وعلى ذلك فإن الوصف القرآني في الآية (133) من سورة «الأعراف» يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنَّه لم يكن لأحد في مكّة إلمام بتلك الوقائع في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من قبل ذلك.

56 ـ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: 92].

تروي لنا كتب التاريخ القديم أنَّه بعد تحرير مصر من الهكسوس في أوائل عهد الأُسرة الثامنة عشر انتهى حكم هذه الأُسرة بموت الملك «حور محب». وبعد ذلك جاءت الأُسرة التاسعة عشر بدءاً بالملك رمسيس الأوَّل (1308ق.م ـ 1306ق.م) الذي حكم لفترة قصيرة (حوالي سنتين). وبعد موته خلفه من بعده ابنه سيتي الأول (1306ق.م ـ 1290) ثم من بعده حفيده رمسيس الثاني ابن سيتي الأول. وقد عرف رمسيس الثاني باسم **«فرعون الاضطهاد»** لأنه حكم مصر لفترة طويلة تقدّر بنحو (67) سنة (1290ق.م ـ 1223ق.م)، وطوال مدّة حكمه بلغ اضطهاده لبني إسرائيل مبلغه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: 49].

2 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم: 6].

3 ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: 4].

هذا، وقد سبق أن أشرنا إلى أن موسى عليه السلام وُلِدَ في زمن حكم رمسيس الثاني، وتربَّى في بيته من بعد أن تمَّ فطامه في بيت أُمّه، وبقي في قصر فرعون إلى أن بلغ أشده (ثلاثين سنة). وفي يوم من الأيَّام دخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته، والآخر من عدوّه، فاستنجد به الذي من شيعته فوكز موسى الذي من عدوّه وكزة أدَّت إلى وفاته، فاستغفر موسى ربّه لأنَّه ما كان يقصد قتل المصري. ولمَّا شاع الخبر، طلب الفرعون رأس موسى الذي فرَّ إلى أرض

مدين، حيث عاش عشر سنوات في كنف نبي من أنبياء الله هو شعيب عليه السلام الذي صاهره موسى بزواج إحدى ابنتيه، وعمل لديه للمدة التي اتفقا عليها ثم استأذنه في العودة إلى مصر فأذن له.

وفي أثناء الارتحال من أرض مدين إلى مصر، تلقّى موسى الاصطفاء الإلٰهي بالنبوَّة، والأمر بتبليغ رسالة الله إلى فرعون وملئه، ومنها العودة إلى دين الله، والسماح للإسرائيليين بالخروج من أرض مصر. وأعطى الله تبارك وتعالى عبده ونبيه موسى من المعجزات الحسيّة ما يشهد له بصدق نبوّته.

وبعد الوصول إلى أرض مصر تبيَّن أنَّ «رمسيس الثاني» كان قد هلك أثناء إقامة موسى في أرض مدين. وبعد هلاكه خلفه من بعده ابنه مرنبتاح (أو منفتاح) الأول. ولما علم موسى بذلك ذهب مع أخيه هارون إلى الفرعون الجديد «مرنبتاح» يدعوانه إلى الإيمان باللَّه الواحد الأحد، ويطلبان منه السماح لبني إسرائيل بالخروج معهما من أرض مصر إلى بلاد الشام. وكان ذلك غايتهم من الاضطهاد الذي كان قد استذلَّهم به رمسيس الثاني بأكثر ممَّا استذلَّهم به أسلافه. وكان من أسباب ذلك أن قوم موسى كانوا على التَّوحيد وسط بحر من الوثنيّات القديمة، كما أنهم كانوا يتعاونون سرًّا مع الهكسوس من أجل عودتهم إلى احتلال أرض مصر، وكانوا قد خانوا عهد الفرعون سيتي الأوَّل (والد رمسيس الثاني) وتعاونوا مع أهل الشام ضده، وخانوا عهود رمسيس الثاني، وعرَّضوه لخدعة كلَّفته فيلقاً كاملاً من جنده، وكادت أن تودي بحياته في **معركة قادش** [(أو تل نبي مند) وهي قرية في سورية على نهر العاصي عندها هرم لرمسيس الثاني ومسلّة لوالده سيتي الأول]، ولذلك اضطهدهم رمسيس الثاني، واستمرَّ ابنه مرنبتاح من بعده في اضطهادهم.

جاء موسى وهارون إلى فرعون مصر «مرنبتاح الأول» يبلغانه رسالة ربّه، وأطلعاه على ما يشهد لهما بالنبوَّة من المعجزات الحسيّة فردّ فرعون بأنَّه السحر، وتحدَّاهما بسحرته. وعند اللّقاء ألقي السحرة سجداً عندما شاهدوا معجزة موسى وتأكَّدوا أنَّها ليست من السحر في شيء، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: 70].

استشاط «مرنبتاح» غيظاً، وتهدّد سحرته بما يسجله القرآن الكريم في الآيات التالية: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: 71 ـ 73].

ومع هذا التّهديد والوعيد استعدّ الفرعون **«مرنبتاح الأول»** لمقاتلة موسى وقومه، ولكن الله ـ تعالى ـ ابتلى هذا الفرعون وملأه بعدد من الأرزاء والكوارث التي شغلته عنهم، بل ألجأته أحياناً إلى أن يطلب من موسى الدعاء ليكشف الله ـ تعالى ـ الضرّ عن البلاد.

وفي النهاية لم يؤمن مع موسى إلّا عدد قليل جدًّا من أهل مصر، وعند يأسه من إمكانية هداية فرعون وملئه، أمره الله ـ تعالى ـ بالخروج من مصر ببني إسرائيل وبالذين آمنوا معه من المصريين. خطّط موسى للخروج من مصر سرًّا بليل، ولما حانت له الفرصة المناسبة تحرك بمَن كان معه شرقاً من مصر، قاصداً بلاد الشام. ولمَّا علم الفرعون بخروجهم سارع هو وجنده إلى مطاردتهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 52 ـ 66].

ويقول: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان: 23، 24].

فنجّى الله ـ تعالى ـ موسى ومَن كان معه بعدد من المعجزات الخارقة التي كان من أعظمها عبورهم خليج السويس وسط الماء الذي شقّه الله ـ تعالى ـ لهم، وأغرق

«مرنبتاح» وجنوده فيه. ثم نجّى الله ﷻ مرنبتاح ببدنه ليكون آية لجميع مَن يأتي من بعده إلى يوم القيامة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: 77 ـ 79].

ويقول ربّ العالمين ﷻ:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90 ـ 92].

وتحت سلسلة من الضغوط التي قام دهاقنة الحركة الصهيونيّة العالميّة من أجل إغراء الإدارة المصريّة زمن حكم الرئيس السادات بإخراج بعض آثار قدماء المصريين لعرضها في متاحف العالم، تعرضت بعض هذه الآثار للتلف. وقد رأيت بنفسي في سنة 1977م طوابير المصطفين من الأمريكيين أمام أحد تلك المتاحف في مدينة «لوس أنجيلوس» من قبل صلاة الفجر، حاملين مظلّاتهم تحت وابل من الأمطار كي يلحقوا فرصة لمشاهدة تلك الآثار النادرة. وبالفعل تعرَّضت بعض المومياءات المصرية القديمة لرطوبة الجوّ التي أدَّت إلى تعفّن أجزاء منها، وكان من المومياءات التي تعرَّضت لشيء من التعفّن مومياء الفرعون «مرنبتاح الأوّل».

تمَّ نقل هذه المومياء إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي لعلاج ما أصابها من العفن، وكان من بين الدارسين والمعالجين لتلك المومياء الطبيب الفرنسي الشهير **«موريس بوكاي» (Maurice Bucaille)**. وقد فوجئ دكتور «بوكاي» وزملاؤه عند فكّ أربطة المومياء باليد اليسرى لهذا الجسد المحنّط تندفع فجأة إلى الأمام، وفهم من ذلك أنَّ المحنَّطين كانوا قد أجبروا تلك اليد على الانضمام إلى الصدر عنوة. كذلك ظهرت بقايا ملحيّة عديدة على جسد المومياء، وتبيّن أنَّ عظامها مُكَسَّورة في أكثر من موضع بدون تمزّق للجلد الذي يكسوها. ومن تلك

الملاحظات استنتج الدارسون أنَّ صاحب تلك المومياء لا بدَّ وأنَّه كان قد مات غارقاً في بحر مالح، وأنَّ تكسّر عظامه دون تمزّق الجلد مرده إلى قوة ضغط الماء على جسده بعد غرقه، وأنَّ أمواج البحر ألقت بجثته على الشاطئ بعد غرقه مباشرة، أو أنَّ فريقاً من الغواصين قد استخرجها بعد واقعة الغرق في الحال.

وفسرت الوضعية الغريبة ليد المومياء اليسرى بتشنجها لحظة الغرق وهو يدفع الماء بدرعه التي كان يحملها بها، بينما كان يحمل لجام فرسه أو سيفه باليد اليمنى، فتيبَّست اليد اليسرى على هذا الوضع واستحالت عودتها إلى سيرتها الأولى.

وبينما كان الدكتور «**موريس بوكاي**» يعد تقريره عن تلك المومياء ظانًّا أنَّه قد توصَّل إلى كشف حقيقة لم يعرفها أحد قبله جاء إلى علمه أنَّ القرآن الكريم ـ وهو كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة ـ يسجّل تلك الواقعة بدقّة فائقة كما جاء في الآيات [البقرة: (50)، الأنفال: (54)، يونس (90 ـ 92)، طه: (77 ـ 79) وغيرها]. واستغرب الدكتور «بوكاي» سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى نجاة تلك الجثة بعد غرقها، لأنَّ تلك المومياء لم تكتشف إلَّا في سنة (1898م).

أُعيدت المومياء إلى مصر بعد علاجها، وبعد أن طبعت في ذاكرة الدكتور «بوكاي» فضولاً شديداً لدراسة الإشارات الكونيّة في القرآن الكريم. وبعد عشر سنوات أمضاها في تلك الدراسة أذهله التطابق الشديد بين تلك الإشارات القرآنيّة وحقائق العلم في أعلى مراتبه الحاليّة. سجَّل الدكتور «موريس بوكاي» شهادته تلك في واحد من أهم الكتب التي صدرت في القرن العشرين وسماه: **الإنجيل والقرآن والعلم: دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة (La Bible, Le Qur'an et La Science)**، وكانت هذه الآية الكريمة رقم (92) من سورة «يونس» هي مدخل الدكتور «بوكاي» لمعرفة حقيقة الإسلام. **وهذه الآية وحدها تكفي للشهادة على وجه من أوجه الإعجاز في كتاب** ﷲ، **ألا وهو «الإعجاز الإنبائي والتاريخي»** الذي من أجله جاء كتابنا الحالي. ويتضح وجه الإعجاز في الآية رقم (92) من سورة

«يونس» في حقيقه أن «العهد القديم» الذي أسهب في الحديث عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام لم يشر إلى نجاة بدن الفرعون بعد غرقه في مياه الخليج. وجاءت القصة في «العهد القديم» (سفر الخروج) مضطربة اضطراباً شديداً، ومليئة بالأخطاء التاريخية والعلمية، وإن كانت الواقعة لها أصل واحد جاء في التوراة الأصلية، كما جاء في القرآن الكريم. ولكن التوراة فُقدت، وبقيت القصة عالقة في أذهان اليهود، تنقل شفاهاً من الأجداد للأحفاد، ومن الآباء للأبناء، يضاف إليها ويحذف منها حتى تمّ تدوينها في سفر الخروج بهذا التشويه الذي تحكم به رواية القرآن الكريم عن هذه الواقعة في سيرة كل من عبد الله ونبيه موسى بن عمران وشقيقه هارون عليهما السلام .

57 ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57].

هذا النص القرآني الكريم موجّه إلى الضالين من قوم موسى عليه السلام، وهم في التيه الذي عاشوا فيه أربعين سنة في قلب شبه جزيرة سيناء، لا يجدون لهم منها مخرجاً. وربنا تبارك وتعالى يخاطبهم في هذه الآية الكريمة ممتنًّا عليهم بنِعمه ـ وهم العصاة المتمردون على أوامره ـ ومن تلك النِّعم التي أنزلها عليهم ابتلاءً لهم، واختباراً لقدر استجابتهم لأوامره تبارك وتعالى كان: **الغمام، والمنّ، والسلوى.**

فقد جعل ربنا جلّ جلاله **الغمام** ظلّة لهم من أشعّة الشمس، ووهجها، وحرّها، وهم في هذا التيه الذي استمرّ أربعين سنة في شعاب شبه جزيرة سيناء الوعرة القاحلة، الشديدة الحرارة في الصيف. وأنزل الله ـ تعالى ـ عليهم (المنّ والسلوى) رحمة منه بهم ـ وهم الخارجون على دينه، العاصون لأوامر نبيّه ورسوله، المتذمّرون، المتمرّدون، الجاحدون ـ. وقد حدث منهم كل ذلك بعدما أفاء الله ـ تعالى ـ عليهم من النِّعم، وأكرمهم بالمعجزات، منذ لحظة خروجهم من مصر.

وكان إنزال كل من المن والسلوى هو من طيبات رزق الله الذي أفاء به على موسى وقومه، ابتلاءً لهم. ولكن هؤلاء العصاة الجاحدين من قوم موسى سقطوا في هذا الاختبار الإلٰهي لكفرهم بنِعم الله عليهم، ورفضهم لها، ومطالبتهم لنبيّهم باستبدال تلك النِّعم بما تعودوا عليه من محاصيل أرض مصر.

وتؤكّد الآية الكريمة أنَّ هذا التمرّد والعصيان والكفر من بني إسرائيل لن يضر الله ـ تعالى ـ بشيء، لأنّه قادر على إفنائهم وإبادتهم، وعلى الإتيان بخلق أفضل منهم، ولكنّهم كانوا يظلمون أنفسهم. وذلك لأنَّ عاقبة تمرّدهم وعصيانهم وكفرهم واقعة عليهم لا محالة ـ تدميراً في الدنيا، وعذاباً شديداً في الآخرة إن شاء الله. وهذا لهم ولأمثالهم من العُصاة الفاجرين الذين أغرقوا الأرض في بحار من الدماء

والأشلاء والدمار والخراب في كل عصر وفي كل حين ـ ولا يزالون ـ خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه في أيّامنا الرّاهنة الحزينة. . .!!

ومع تسليمنا بأنَّ الله ﷻ قادر على كل شيء، وأنَّ إنزال (المنّ والسلوى) على العصاة من قوم موسى ﷺ كان معجزة من معجزات الله، وأنَّ العلم البشري المكتسب لا يستطيع تفسير المعجزات، لأنَّها تخرق السنن، إلَّا أنَّ محاولة فهم النص القرآني الكريم الذي نحن بصدده في إطار المتاح من المعارف المكتسبة، لا تشكّل أدنى قدر من الحرج الشرعي. ومن ذلك الجمع بين (المن والسلوى) كغذاء متكامل للإنسان في صحراء شبه جزيرة سيناء يشكّل شهادة صدق على أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه. لأنَّ وصف هذه الحادثة في البقايا المتناثرة من الكتابات المتوافرة عند أهل الكتاب قد شابهها ما توصف به كل الكتابات البشريّة من النقص، والاضطراب، والبعد عن الكمال.

(المن) في المعارف المكتسبة:

(المنّ) المعروف للإنسان هو مادة صمغيّة حلوة المذاق، لزجة، تتجمَّع على الأجزاء المختلفة من بعض الأشجار (مثل أشجار الأثل والطرفة) المنتشرة في الصحارى العربيّة، أو على الشجيرات والنباتات العشبيّة، وذلك من طلوع الفجر إلى بزوغ الشمس، ثم تجف فتتحول إلى مادة بيضاء على هيئة الدقيق أو الرقائق الدقيقة. وهذه الرقائق تكشط من فوق جذوع الأشجار، وفروعها، وأوراقها، وتؤكل مباشرة، أو تذاب في الماء لتكون شراباً حلو المذاق، عالٍ في قيمته الغذائية.

وقد يتكوَّن **(المن)** نتيجة لعمليّة نزّ العصارة الغذائيّة للنبات إلى أسطحه الخارجيّة، ثم جفافها بتبخّر جزء كبير من محتواها المائي. وقد يكون هذا النزيف للعصارة الغذائيّة ذاتيًا أو ناتجاً عن جروح في جسم النبات تحدثها مجموعات من الحشرات التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة لتلك النباتات.

كذلك قد تتكوَّن هذه المادّة الصمغيّة الحلوة المذاق نتيجة إخراج بعض هذه الحشرات (التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة لبعض النباتات) فتأخذ منها حاجتها وتفرز الباقي على هيئة ما يعرف باسم **(البراز العسلي)** أو **(براز حشرة المن)** أو **(الندوة العسليّة)**، وبجفافه يتحوَّل إلى هذه المادة الصمغيّة الحلوة المذاق والمعروفة باسم **«مَنّ السماء» (Manna from Heaven)**.

وهناك أعداد كبيرة من الحشرات التي تتغذَّى على العصارات الغذائيّة للنباتات، وذلك باختراق أنسجة تلك النباتات، وامتصاص أقدار مختلفة من عصاراتها الغذائيّة. وتتبع معظم هذه الحشرات رتبة تعرف باسم (رتبة نصفية الأجنحة) أو **(بق النبات)** التي منها **حشرة المنّ (Aphid)**، وهي حشرة دقيقة الحجم، طريّة الملمس، تعيش في أسراب تقدّر أعدادها بالآلاف. ويتراوح طول الحشرة البالغة منها بين 3 و5 ميلليمترات، ويقدّر عدد حشرات المنّ في المتر المربّع الواحد من الأرض بنحو مائة ألف حشرة.

وقد زوَّد الله الخالق ﷻ هذه الحشرات (التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة للنباتات) بزوائد فمية ثاقبة/ ماصّة، تتناسب مع طريقة تغذيتها التي تعتمد أساساً على اختراق أنسجة النباتات وامتصاص قدر من عصاراتها الغذائيّة. وهذه الزوائد الفميّة الثاقبة/ الماصّة تتكوَّن من أربعة فكوك مزوّدة بخناجر إبريّة دقيقة جدًّا يستقر كلّ منها في ميزاب خاص به، ولا يبرز منه إلَّا عند الاستعمال في ثقب أنسجة النباتات.

وتعيش أسراب حشرة المنّ عادة على الأسطح السفلي لأوراق وأفرع النباتات التي تتطفّل عليها. وتتركّز هذه الأسراب عادة عند القمّة النامية للنبات حيث تكون غضة وسهلة الاختراق. وتقوم حشرة المن بإرسال الإبر الثاقبة الدقيقة في فكّيها العلويين للقيام بعمليّة الثقب والاختراق، ثم ترسل الإبر الماصّة الدقيقة في فكَّيها السفليين عبر الثقوب المتكوّنة للقيام بعمليّة الامتصاص من العصارة الغذائيّة للنبات، ويتم ذلك بكفاءة ملفتة للأنظار.

وتنتقل الحشرة بعمليّات الثقب والامتصاص من نقطة إلى أخرى على أسطح أوراق، وأفرع، وسيقان النباتات وعلى قممها النامية ممَّا قد يتسبب في أضرار بالغة لها. وفي هذه الحالة تسترخي أوراق النبات، ثم تتجعَّد، ويتحوَّل لونها إلى الاصفرار، ثم إلى السواد، وتبدأ بالتساقط. وقد تؤدي هذه العمليّة إلى ذبول النبتة، ووقف نموها بالكامل حتى تموت. ويحدث ذلك عادة في حالة النباتات الصغيرة، أمَّا الأشجار فقد لا تتأثّر بعمليّة التطفّل تلك إلَّا في بعض الحالات الاستثنائيّة.

وموت النبات في حالة تعرضه لتطفّل الحشرات الماصّة لعصارته الغذائيّة مثل حشرة المن ليس مقصوراً على سحب قدر من تلك العصارة ولكن قد يسببه عدد من الفيروسات التي يمكن أن تنقلها تلك الحشرات من نبات إلى آخر أثناء قيامها بعمليّة التطفّل. وذلك لأن هذه الحشرات المتطفّلة تنفث جزءًا من لعابها على العصارة الغذائيّة للنبات بهدف هضمها قبل امتصاصها. فإذا كانت قطرات اللّعاب للحشرة حاملة لعدد من فيروسات الأمراض فإنَّها تغرسها في الحزم الوعائيّة الحاملة للعصارة الغذائيّة في النبات، وتتحرَّك منها إلى بقية أجزائه فتدمّره.

وقد أدَّت هذه الفيروسات التي تحملها الحشرات الماصّة للعصارات الغذائيّة للنبات ـ ولا تزال تؤدي ـ إلى تدمير العديد من المحاصيل الزراعيّة المهمّة مثل قصب السكّر، البنجر، البطاطس، وغيرها مما تتهم حشرة المنّ بنقل فيروسات الأمراض إليها.

وبعد سحب كميّات كبيرة من العصارات الغذائيّة للنبات تقوم حشرة المن باستهلاك جزء ممَّا مصَّته من تلك العصارات، ثم تفرز ما يزيد عن حاجتها على هيئة تلك المادّة البيضاء اللزجة، الحلوة المذاق والمعروفة باسم **(مَنّ السماء) أو الندوة العسليّة.** وتقوم حشرة المن بإسقاط إفرازاتها تلك على أوراق وفروع وجذوع الأشجار والنباتات الأخرى التي تتطفّل عليها باللّيل، وذلك على هيئة قطرات من سائل شمعي أو صمغي رائق، سرعان ما يفقد ما به من ماء فيتجمّد، ويبدو في الصباح الدافئ الساكن على هيئة دقيق أو رقائق المنّ الجافّة. وقد تتساقط قطرات من هذا السائل الحلو على الأرض المحيطة بالنبات (الذي يتعرّض لتطفّل حشرة

المنّ) فيشكّل ذلك مصدراً من مصادر الغذاء الميسر للعديد من الحشرات الأخرى مثل النمل، والنحل، والذباب، ويجعل ذلك تلك الحشرات تتآخى مع حشرة المنّ لكي تنال جزءًا من إفرازها العسلي. ويمكن أن ينمو على هذا السائل العسلي عدد من الفطريّات والطحالب فيتغيّر لونه إلى ظلال داكنة حتى السواد. وقد يؤدّي تقاطر العصارة الغذائيّة للنبات على الأرض إلى خصوبة التربة، وذلك لاحتوائها على نسب عالية من السكريّات مثل **سكّر العنب (الجلوكوز)، وسكّر الفواكه (الفركتوز)** بالإضافة إلى سكر خاص يعرف باسم **سكر المنّ (المانُّوز)** وعدد من الكربوهيدرات الأخرى. وكلّ ذلك مستساغ الطعم، وسهل الهضم والامتصاص، وله قيمة غذائيّة كبيرة مما يجعل منه غذاءً جيداً للإنسان، كما يصلح لعدد من الأغراض الطبيّة العلاجيّة، أو لبعض الصناعات الغذائيّة الخاصّة.

ولسنا ندري إن كان هذا هو المنّ الذي أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على عبده ونبيّه موسى عليه السلام وقومه، فكانوا يجمعونه من فوق شجر الأثل المنتشر في شبه جزيرة سيناء أم غيره. خاصّة وأنَّ رسول الله ﷺ وصف الكمأة في أحد أحاديثه الشريفة على أنّها من المنّ فقال ﷺ: «**الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين**»[1]. و**(الكمأة) واحدها (كمء)** وهي درنة من الفطريّات الجذريّة التي تنمو تحت الأرض بالتكافل مع جذور عدد من النباتات الخاصّة التي تتعايش معها إلى عمق يصل إلى ثلاثين سنتيمتراً تحت سطح الأرض. وتنمو الكمأة في جماعات مكوّنة من عشر إلى عشرين درنة في الموقع الواحد من التربة. وهذه الدرنات كرويّة أو شبه كرويّة، لحميّة الملمس، رخوة، ويتدرّج لونها من الأبيض إلى الأسود مروراً بكل من اللون الرمادي والبني. وتتميّز الكمأة برائحتها النفاذة، وقيمتها الغذائيّة العالية، وقد سميت بهذا الاسم لاستتارها بالتربة حتى تنفطر عنها. ومن معاني لفظة (كمأة) أي: (المكنونة) لأنَّ العرب تقول (كمأ) فلان الشهادة إذا كتمها. وتنمو (الكمأة) في صحارى الوطن العربي والإسلامي من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً في بيئات تتراوح بين الرملية،

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، حديث رقم (5310).

والحصويّة، والحجريّة، ويزدهر نموّها عادة بعد مواسم العواصف الرعديّة. من هنا أطلق البدو على الكمأة اسم «**بنات الرعد**». وللكمأة أنواعها المتعددة التي تختلف في أشكال، وألوان درناتها، وفي طبيعة الأرض التي تنمو عليها، وأنواع جذور النباتات التي تتعايش معها، والأعماق التي تتواجد فيها، وأكثر أنواعها انتشاراً ينمو في الطبقة السطحيّة من التربة، ويدرك عن طريق تشققاتها في اتجاهين عموديين وقت نضج الدرنات، فيبادر أهل الصحراء بجمعها. ولكن إذا لم تجمع فإنَّ هذه الدرنات سرعان ما يتكوّن بداخلها أبواغ (واحدها بوغ أو بوغاء) على هيئة الدقائق الترابيّة الناعمة جدًّا والتي تتطاير في الجو إذا مسَّت لتناهي مكوناتها في الدقة. وبانفجار كيس الأبواغ تنتشر محتوياته في التربة وتكمن فيها إلى موسم المطر التالي (في حدود أواخر شهر أُكتوبر الذي يتميّز بالأمطار الرعديّة المصاحبة للسحب الركاميّة). وعند سقوط هذه الأمطار الرعديّة الغنيّة بأكاسيد النيتروجين على التربة فإنَّها تُكوِّن العديد من المخصبات للتربة من النترات. وتتغذّى الأبواغ على هذه المخصبات بعد أن تستيقظ من سباتها الطويل، وتتحوَّل إلى خيوط فطريّة دقيقة تتحرّك إلى جذور النباتات الممتدّة في داخل التربة فتخترقها وتنفذ إلى داخل أنسجتها، متطفّلة عليها في غذائها حتى يكتمل نموّها على هيئة الدرنات الكاملة.

والكمأة مصدر مهم للبروتينات النباتيّة وتحتوي درناتها على 77% من وزنها ماء، 23% مواد صلبة منها: 13.8% كربوهيدرات، 5.75% دهون ومواد بروتينيّة أخرى والباقي (3.45%) يبقى على هيئة رماد بعد حرق درنة الكمأة. ويحتوي هذا الرماد على العديد من عناصر الأرض الفلزيّة واللافلزيّة. وقد تمَّ التعرّف على سبعة عشر حمضاً من الأحماض الأمينيّة المهمّة في بروتينات الكمأة، وعلى عدد من الفيتامينات أهمّها «فيتامين أ».

وفي وصف رسول الله ﷺ للكمأة بأنَّها من المنّ، تعبير عن أنَّها تنبت بفضل من الله ومِنَّه، لأنَّها لا تزرع، ولا تستزرع، ولا تحتاج من الإنسان إلى شيء من الرعاية أو التعب والنصب سوى ما يبذله في جمعها ثمرة غضّة ناضجة.

وسواء كان المقصود بالمنّ الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على عبده موسى ومَن كان معه من قومه هو **تلك الإفرازات الصمغيّة/ السكريّة الحلوة المذاق التي تفرزها بعض النباتات الصحراويّة مثل الأثل، والطرفة، أو أنَّ المقصود بذلك هو (الكمأة) وما يشبهها من أنواع الرزق الذي يسوقه الله ﷻ إلى مَن يشاء من عباده على غير جهد منهم، سوى جمعه فإن الأمر واحد، لأنَّ (المنّ) هو اسم للعطاء الربّاني بصفة عامّة**. وعلى ذلك فإنَّ الجمع بين (المنّ والسلوى) في النصّ القرآني الكريم الذي نحن بصدده قد يرجح المعنى الأوَّل، على أنَّه رزق ساقه الخالق ﷻ لقوم موسى وهم في التيه بشبه جزيرة سيناء أقرب إلى الهلاك والضياع من النَّجاة إلى برّ الأمان ـ وهم الجاحدون لِنِعمه، المرتدّون عن عبادته إلى عبادة العجل، والمنكرون لأفضاله ومعجزاته، والمتمرّدون على رسوله إليهم.

أما **(السلوى)** فهي الطائر المعروف باسم **السمان (أو السماني)**، وهو من طيور الصيد (أي القنص) التي تمّ استئناس بعضها من مثل الدجاج، والدجاج الرومي. ولكن طائر السلوى أصغر كثيراً في الحجم، ولم يتم استئناسه بعد، وبقي من الطيور المهاجرة التي تتحرك في مواسم محددة من السنة عبر مساحات شاسعة من سطح الأرض.

والجمع بين (المنّ والسلوى) هو جمع بين الكربوهيدرات النباتيّة (بما فيها من سكريّات ونشويّات وغيرها، ممثلة في المنّ) وبين البروتينات الحيوانيّة (ممثلة في السلوى)، وكلاهما لازم لإنتاج الطاقة ولبناء خلايا جسم الإنسان. هذا بالإضافة إلى أنَّ البروتينات المستمدّة من لحوم الطيور مثل السلوى (طير السمان أو السماني) هي أيسر في الهضم، وأفضل لجسم الإنسان، من تلك المستمدّة من لحوم الأنعام. وهي أيضاً أفضل في ذلك من بروتينات البقول النباتيّة من حيث سهولة هضمها وتمثيلها واستفادة جسم الإنسان منها. ولذلك جاء في الآية التالية قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: 61].

وواضح المعنى أنَّ (**الأدنى**) في هذه الآية الكريمة هو ما طلبه قوم موسى من (البقل، والقثاء، والفوم والعدس والبصل)، **وأنَّ الذي هو خير هو (المنّ والسلوى). والبقل** يشمل عدداً من نباتات المحاصيل (مثل الفول، البازلاء، الفاصوليا، اللوبيا، الحمص، الفول السوداني، فول الصويا، الحلبة، الترمس، وغيرها). أما **القثاء فهي** ثمرة من العائلة **اليقطينية القرعيّة** (التي تشمل الخيار، القثاء، الدباء، الكوسا، القرع العسلي، البطيخ، الشمّام، القاوون، وغيرها). وأمَّا (**الفوم**) فقد قبل فيه أنَّه الحنطة (وتشمل غيرها من الحبوب التي تخبز من مثل الذرة والشعير) أو أنَّه الثوم (والقول الأوَّل أصح). **والعدس** من البقول، وخصص بالاسم لقيمته الغذائيّة وأهميته الخصوصيّة، **والبصل** من العائلة الزنبقيّة (وتشمل ـ بالإضافة إلى البصل ـ الثوم، والكرَّات البلدي، والكرَّات أبو شوشة وغيرها).

وفَضْل البروتينات المستمدّة من لحوم الطيور على تلك المستمدّة من كلّ من لحوم الأنعام والبقول، وفضل السكريّات وغيرها من الكربوهيدرات الموجودة في مَنِّ السماء على تلك المستمدّة من المحاصيل النباتيّة، هي من الأُمور التي لم تدرك إلَّا في القرن العشرين. والإشارة إليها في كتاب الله الذي أنزل من قبل أربعة عشر قرناً على نبيّ أُمّي ﷺ، وفي أُمّة كانت غالبيّتها الساحقة من الأُمّيين يعتبر من الأدلَّة العلميَّة على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق الوحي الذي تلقَّاه خاتم الأنبياء والمُرسلين ﷺ، وعلى صدق نبوّته ورسالته. **هذا فضلاً عن أن الإنباء بدقّة بالغة عن حدث تاريخي وقع قبل حوالي عشرين قرناً من بعثة المصطفى ﷺ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله**. فلم يكن لأحد من الأُمّيين ولا القادرين على القراءة والكتابة في الجزيرة العربيّة إلمام بتلك الواقعة، خاصة وأنَّ مَن كان لديهم إلمام بشيء من أخبارها من اليهود تضاربت أقوالهم في وصف تلك الواقعة تضارباً كبيراً، ولا يزال هذا التضارب واضحاً فيما بقي بين أيديهم من آثار إلى يومنا الرَّاهن (انظر «كتاب الخروج» من «سفر التكوين» وهو أول أسفار «العهد القديم»، خاصّة ما جاء تحت عنوان «المنّ والسلوى»).

ثاني عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة موسى والخضر

58 ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: 65، 66].

على عادة القرآن الكريم في استعراضه للقصص، فإنَّه يصل مباشرة إلى الدروس المستفادة من القصّة، دون الدخول في تفاصيل الأسماء، والأنساب، والأماكن، والأزمنة، إلَّا في حدود ما يخدم الهدف من استعراض القصّة، وما يظهر جانباً من جوانب الإعجاز فيها.

وتبدأ رواية القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه موسى مع الخضر يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: 60 ـ 70].

والسبب في هذا الموقف من قصّة عبد الله ونبيّه موسى عليه السلام يشرحه لنا حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه. وأوحى الله إليه: إنَّ لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب! كيف لي به قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ. فأخذ حوتاً فجعله بمكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتَّخذ سبيله في البحر سرباً. وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق. فلمَّا استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه:** ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].

ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فأجابه فتاه:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾» [الكهف: 63].

«**قال: فكان للحوت سرباً. ولموسى وفتاه عجباً، فقال:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾» [الكهف: 64].

«**قال: فرجعا يقصّان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّي بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلّمني ممَّا علمت رشداً قال:** ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾» [الكهف: 67].

«**يا موسى! إنّي على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمك الله لا أعلمه. فقال موسى:** ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾» [الكهف: 69].

«قال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾» [الكهف: 70].

«فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّت سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير نول. فلمَّا ركبا في السفينة لم يفاجأ إلَّا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها! لقد جئت شيئاً إمراً».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**فكانت الأولى من موسى نسياناً، ثم قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلاَّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه، فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى:** ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾» [الكهف: 74، 75].

«قال: **وهذا أشد من الأولى:** ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: 76، 77]». أي مائلاً، فقال الخضر بيده (فأقامه)، قال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا ﴿... لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾» [الكهف: 77 ـ 78].

«فقال رسول الله ﷺ: «**وددنا أنَّ موسى كان صبر حتى يقصّ الله علينا من خبرهما**»[1].

وجاء تفسير تلك الأحداث الثلاثة في القرآن الكريم على لسان الخضر عليه السلام بما يلي: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، حديث رقم (4725).

لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 79 ـ 82].

وهذا هو تفسير ما أشكل فهمه على عبد الله ونبيّه موسى بن عمران في مواقفه الثلاثة مع العبد الصالح، والذي كان الله ـ تعالى ـ قد أعطاه علماً لم يتوافر للنَّبي موسى بن عمران عليه السلام. فالسفينة إنَّما خرقها الخضر ليعيبها لأنَّهم كانوا يمرّون على ملك من الظَّلَمة يأخذ كل سفينة جيّدة صالحة غصباً، فأراد الخضر أن يصيبها بعيب مؤقّت لردّ ذلك الملك الغاصب عنها. وأمَّا الغلام الذي قتله الخضر فكان سيدعو في كبره إلى الكفر باللَّه، وأبواه كانا مؤمنين، فأراد الله ـ تعالى ـ أن يبدلهما بغلام أتقى للَّه وأبرّ بهما منه، والرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يقول: «**إنَّ الله لا يقضي لمؤمن قضاء إلَّا كان خيراً له**»(1).

وأمَّا الجدار المتهالك الذي أقامه الخضر، فقد كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته مال مدفون لهما، حفظه الله ـ تعالى ـ لهما ببركة صلاح أبيهما. **وفي ذلك دليل على أنَّ صلاح الآباء يصل للأبناء ولو بعد عدد من الأجيال**. وفي الآية الكريمة دليل على إمكان إطلاق مسمى القرية على المدينة والعكس.

ويضيف الخضر عليه السلام قائلاً: إنَّ هذا الذي فعلته في تلك المواقف الثلاثة إنَّما هو من رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده، وما فعلته عن أمري، لأنَّ الله ـ تعالى ـ أمرني به، ووقفت عليه. وفي ذلك دلالة لمن قال بنبوّة الخضر عليه السلام، ويدعم ذلك قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65]. وإن كان البعض قد ذهب إلى الاعتقاد بأنَّ الخضر كان وليًّا من الصالحين، واللَّه ـ تعالى ـ أعلى وأعلم.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّما**

---

(1) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (13244).

سُمي الخضر، لأنَّه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزّ من تحته خضراء»[1]، والمراد بالفروة هنا هو الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، وقيل المراد بذلك وجه الأرض.

وفي التأكيد على حقيقة الغيب، وعلى العلم الذي وهبه الله ـ تعالى ـ لهذا العبد الصالح المسمّى باسم (الخضر) ما نقله ابن جرير عن أُبيّ بن كعب، عن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قال: كان النَّبي ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب، لكنه قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾[2] [الكهف: 76].

وهذه الواقعة من سيرة عبد الله ونبيّه موسى بن عمران، جاءت في سورة «الكهف» فقط من بين كل سور القرآن الكريم، وفي الآيات (60 ـ 82) من هذه السورة المباركة. والقرآن الكريم لم يحدّد المكان الذي وقعت فيه تلك الواقعة إلّا بوصف أنَّه كان عند مجمع البحرين. كذلك فإن القرآن لم يحدّد تاريخ وقوعها، هل كان قبل خروج موسى من مصر؟ أم كان في شبه جزيرة سيناء؟ أم في شرق الأردن؟ وفي كل تلك المناطق مجامع للبحرين منها التقاء فرعي النيل (رشيد ودمياط) ببعضهما عند رأس الدلتا، أو عند مصبَّيهما في البحر المتوسط حيث يلتقي كل منهما بمياه ذلك البحر. وفي شبه جزيرة سيناء هناك التقاء كلّ من خليج السويس وخليج العقبة عند مدينة رأس محمَّد. وفي الأردن هناك التقاء نهر الأردن بالبحر الميّت. وأغلب الظنّ أنَّ الواقعة تمَّت في شبه جزيرة سيناء حول خليج العقبة، وذلك لأنَّ فتى موسى «يوشع بن نون» لم يرد له ذكر في جميع أحداث موسى مع فرعون مصر، ولكنَّه قاد بني إسرائيل بعد وفاة كل من هارون وموسى

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (3402).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الحروف، حديث رقم (3984/ 16).

عليه السلام في غزو أرض فلسطين. ويبدو أنَّ الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً كان في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربيّة لأنَّه لم يكن هناك ملوك في مصر بجوار الفرعون، ولم يكن هناك ملوك كذلك في شبه جزيرة سيناء، ولا في شرق الأردن. كذلك لم يذكر القرآن الكريم اسم العبد الصالح الذي لقيه النَّبي موسى عليه السلام وطلب منه أن يتبعه لعلَّه أن يعلِّمه ممَّا علم رشداً، ولولا أنَّ رسولنا ﷺ قد سمَّاه لنا كما سمى لنا فتى موسى عليه السلام ما كان أمامنا من وسيلة إلى معرفة ذلك.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصّة موسى والعبد الصالح:

هناك عدد من الدروس الأخلاقيّة والسلوكيّة التي يمكن استنتاجها من قصّة عبد الله ونبيّه موسى بن عمران مع العبد الصالح المسمى باسم (الخضر) والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

1 ـ ضرورة التواضع وعدم الاغترار بما يحصّل الإنسان من العلم، لأنَّ علم الإنسان ـ مهما اتّسعت دوائره ـ هو علم جزئي، محدود بحدود قدرات الإنسان الذهنيّة والحسيّة، وبحدود مكانه من الكون، وحدود زمانه (أي عمره)، ومن ثم فإنَّه لا يشكّل ذرّة في علم الله المحيط بكلّ شيء.

2 ـ ضرورة التفريق بين «**المعارف المكتسبة**» بواسطة حواس الإنسان وقدرات عقله، والعلم الذي يهبه الله تعالى لعبد من عباده والذي يعرف باسم (**العلم الموهوب**). وهذا العلم هو جزء من علم الله، يختصّ به مَن يشاء من عباده فيطلعه على شيء منه، بالقدر الذي يشاء، لحكمة يعلمها هو تعالى. من هنا فإنَّ تصرفات من يوهبون شيئاً من هذا العلم قد تبدو في ظاهرها متعارضة مع المنطق العقلي للإنسان نظراً لمحدوديّة قدراته، لأنَّ مثل هذه التصرفات لا تفهم إلَّا بعد إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة عنّا.

3 ـ ضرورة الاستفهام عن الأُمور الغائبة عنّا بشيء من التواضع والأدب الذي لا جزم فيه، حتى لو كان ذلك في طلب العلم الراشد من أهله.

4 ـ ضرورة الإيمان بالغيب ـ وهو من حقائق الوجود ـ وضرورة التفريق بين **«الغيب المرحلي»** الذي يمكن للإنسان الوصول إليه بشيء من البحث والمجاهدة، وبين **«الغيوب المطلقة»** التي لا يعلمها إلَّا الله ـ تعالى ـ الذي يطلع على قدر منها مَن يرتضي من أنبيائه وأوليائه الصالحين.

5 ـ ضرورة الرضا بقضاء الله وقدره، لأنَّ الله ـ تعالى ـ لا يقضي لعباده المؤمنين إلَّا بخير، حتى لو بدا ظاهر القضاء أو القدر في غير مصلحة الإنسان، فإنَّ باطنه بالقطع هو في صالحه. والإيمان بقضاء الله وقدره هو تسليم لحكم الله وإرادته، انطلاقاً من الإيمان بأنَّه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله. فكل شيء يجري بتقديره، وحسب إرادته ومشيئته وتدبيره، فاللَّه ـ تعالى ـ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. وإذا آمن العبد منَّا بذلك عاش قرير العين على هذه الأرض، وإن كان أفقر الناس، وأرقّهم حالاً. وعلى النقيض من ذلك فإن الإنسان إذا لم يسلّم بقضاء الله وقدره كان أتعس الناس، وإن كان أكثرهم مالاً وولداً، وأصحهم بنية، وأعزَّهم سلطاناً. من هنا تتضح ومضة الإعجاز التشريعي في الأمر بالرضا بقضاء الله وقدره، كما جاء في قصة موسى والعبد الصالح، وفي غيرها من قصص القرآن الكريم.

6 ـ ضرورة التسليم بأنَّ الله ـ تعالى ـ قادر على كل شيء، وأنَّ إرادته نافذة في كلِّ شيء، وأنَّه لا رادّ لقضائه، ومن هنا كانت ضرورة ردّ الأمر في كلِّ شيءٍ إلى الله، فهو ـ تعالى ـ ربّ هذا الكون ومليكه، ومدبر أمره.

7 ـ إنَّ من واجبات العبد المؤمن تنفيذ أوامر الله ـ تعالى ـ مهما كلفه ذلك من وقت وجهد.

8 ـ التسليم بأنَّ الإنسان معرّض للنسيان، وبأنَّ من الواجب إكرام الصالحين من عباد الله قدر الاستطاعة.

9 ـ اليقين بأنَّ صلاح الوالدين يصل إلى ذراريهما إلى عدد من الأجيال المتتابعة.

وعرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه موسى بن عمران مع العبد الصالح، تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، خاصة وأنَّ هذه الواقعة لم يرد لها ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ثالث عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم للثري المسمى «قارون» والذي أبطرته النعمة

59 ـ ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: 76].

جاء ذكر «**قارون**» أربع مرَّات في ثلاث من سور القرآن الكريم، منها مرَّتان في سورة «القصص» (76، 79)، ومرَّة واحدة في كلٍّ من سورتَي «العنكبوت» (39)، و«غافر» (24). وهذه الآيات جمعت بين قارون وكلّ من فرعون وهامان، مؤكّدةً معاصرته لهما، ووقوفه إلى جانب كلٍّ منهما، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: 76 ـ 79].

2 ـ ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت: 39].

3 ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر: 23، 24].

وتؤكد الآيات في سورة «القصص» أنَّ «**قارون**» كان من قوم موسى (أي من بني إسرائيل)، وأنَّه بغى على قومه بمنافقته لفرعون ومناصرته إيّاه، ووقوفه بجانبه، برغم طغيان الفرعون وتجبّره على بني إسرائيل. كذلك يفهم من هذه الآيات أنَّ الله ـ تعالى ـ قد ابتلى «قارون» بفيض من الأموال ممَّا جعل ثروته مضرب الأمثال. وقد أغراه هذا المال الوفير بالتكبّر على قومه، وبالتفاخر عليهم بأنفس الثياب وأغلى الزينة، وبالتجبّر والطغيان، فخسف الله به وبداره الأرض، وجعله عبرة لكلّ مختال بماله، مغرور بسلطانه، مستغلّ لما أعطاه الله من خير في البطش بالخلق، وما أكثرهم عبر التاريخ!

وما أكثر تشوُّق الناس إلى الثراء والغنى، وما أكثر فتنتهم بالمال! ولذلك تستمرّ الآيات في سورة «القصص» بقول ربّنا ـ تبارك تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: 80 ـ 82].

وكما أسلفنا فإنَّ منهج القرآن الكريم في استعراض قصص الأوّلين يركّز على الدروس والعبر المستفادة من القصَّة، دون تحديد لمكانها، ولا لزمانها، إلَّا لضرورة، ودون تفصيل لأنساب الأفراد المذكورين فيها إلَّا بالقدر اللازم لاستخلاص العبرة.

وفي استعراض هذا الكتاب العزيز لقصَّة «**قارون**»، اكتفى بذكر أنَّه كان من قوم موسى عليه السلام فبغى عليهم، دون الدخول في تفاصيل درجة قرابته من موسى عليه السلام، ولا في أشكال البغي الذي اقترفه في حقّ قومه. ولكن الآيات تؤكد أنَّه عاش في زمن هذا النَّبي، وأنَّه كان مقرباً من كل من فرعون وهامان (العنكبوت: 39، وغافر: 24)، وأنه كان متكبّراً متغطرساً متجبّراً بماله، فخوراً بكنوزه، مفسداً في الأرض.

والقصّة كما أوردتها سورة «القصص» أدَّت الهدف من استعراض القرآن الكريم لها، وقررت المبادئ، والقِيم، والقواعد التي جاءت لتقريرها. وكان من أهمّ تلك المبادئ **النهي عن البطر، وعن سوء استخدام النِّعم، وعن الاستعلاء والكبر، وعن الطغيان والبغي، وعن الخيلاء والفخر عند إفاضة الله ﷻ بالمال على عبد من عباده،** ففي كل هذه الممارسات جحود بالنِّعمة، وعدم أداء لحقها بدوام الشكر عليها، ممَّا يستلزم زوالها، ويحتّم البوار والخسران في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وسورة «القصص» حدَّدت شخص **«قارون»**، كما حدَّدت قومه بأنَّهم كانوا من «بني إسرائيل»، وأكَّدت بأنَّه بغى عليهم بثرائه كما يبغي غير المؤمنين من الأثرياء في كلِّ زمان ومكان. وأوردت الآيات أن **قارون** تكبَّر على قومه بجاهه وسلطانه، وأنه عاون كلًّا من فرعون وهامان في إذلالهم واستعبادهم وتسخيرهم، نفاقاً ورياءً. وكان كل ذلك من أجل المحافظة على ثروته التي وصفت بأنَّها كانت كنوزاً (والكنز هو المخبوء المدَّخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول) ووصف ضخامة تلك الكنوز بأنَّ حمل مفاتيحها كان يُعْجِزُ المجموعة من أشدّاء الرجال.

وكطبيعة الفطرة الطيبة التي فطر الله عباده عليها، وانطلاقاً من حتميّة الصراع بين الحقّ والباطل وجد **«قارون»** من عقلاء قومه مَن حاول ردّه عن بغيه، وإفهامه حقيقة رسالته في هذه الحياة الدنيا، وحتميّة خروجه منها، وفي ذلك تقول الآيات:
﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: 76، 77].

والفرح المنهي عنه هنا هو الفرح المطغي، والاستعلاء الكاذب الذي يغري صاحب المال بالتكبّر على الخلق، وبالتنكُّر للخالق. وعادة ما يغري الإحساس بقوّة المال ضعاف النفوس بسوء استغلالها. فلا يعطي للمال حقّه، ولا يحسن توظيفه، بل يسخّره في الإفساد دون الإصلاح، وفي التكبّر والاغترار بالنِّعمة

والزُّهو بها، بدلاً من شكر المنعم عليها؛ وفي الشعور الكاذب بأنَّه قد اكتسب المال بعلمه وذكائه وقدرته، حتى ينسيه فضل المنعم عليه، كما ينسيه واجب الشكر له. ويبقى الكافر صاحب المال في بطر وأشر بالغين، وبخل مذل، أو إسراف مخل، مما يشقيه في الدنيا ويهينه بالعذاب في الآخرة.

ودين الله لا يُحَرِّم الاستمتاع الحلال بالمال الحلال، في شيء من التوسّط والاعتدال. ولكن «**قارون**» لم يعترف بأنَّ ما كان يرفل فيه من نعمة هي من فضل ربّه عليه، فنسب الفضل زوراً لنفسه، ويسجّل القرآن الكريم ذلك على لسان **قارون** بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: 78].

وتعرض الآيات في سورة «القصص» إلى جانب من طبائع النفس الإنسانيّة التي تنبهر في غالبيّتها بماديّات هذه الحياة الدنيا، حتى تنشغل بها انشغالاً كاملاً. وإلى جوار ذلك تبقى للصالحين من خلق الله نفوس قانعة بما رزقها الله لأنها آمنت أنَّ الدنيا هي مجرّد قنطرة إلى الآخرة، ورحلة قصيرة إليها، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: 79، 80].

ولمّا لم يُجْدِ **قارونَ** نُصْحُ الناصحين، بل زاده طغياناً وتجبُّراً، وغروراً، شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يضع حدًّا لغروره، وأن يجعل من سيرته عبرة للنّاس في زمانه، ولمن بعده إلى قيام الساعة، فخسف به وبداره الأرض، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: 81، 82].

وتأتي العبرة من استعراض قصّة **«قارون»** مع قومه في التأكيد على أنَّ ما يمنّ الله ـ تعالى ـ به من رزق على عبد من عباده ليس دليل الرضا عنه، ولا أنَّ التضييق في الرزق على عبد من عباد الله هو دليل عدم الرّضا عنه. وذلك لأنَّ الله ـ تعالى ـ يقسّم الرزق بين عباده بعلمه وحكمته وقدرته، وبمعايير قد لا يستطيع البشر إدراكها. ولو كانت السعة في الرزق تعبر عن رضا الله ـ تعالى ـ على العبد ما كان مصير **قارون** بالصورة المدمّرة التي أجراها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عليه، علماً بأنه لم يعلن كلمة الكفر. ولكن اغتراره الشديد بماله إلى حدِّ البطر، ونسبته ذلك إلى ما عنده هو من العلم، يعتبر تنكراً لفضل المنعم. ولذلك فإن الذين شاهدوا عمليّة الخسف به وبداره يضعونه في صفوف الكافرين بأنعم الله.

ونختتم قصّة **قارون** في سورة «القصص» بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: 83، 84].

وهذه حقيقة من أهم حقائق الوجود كلّه. ومؤدّى هذه الحقيقة أنَّ الله ـ تعالى ـ قد أوجدنا في هذه الحياة الدنيا للابتلاء والامتحان والاختبار، وهو ﷻ أعلم بنا من علم كلّ فرد منّا بنفسه. ولكن الله ـ تعالى ـ أوجدنا في هذه الحياة ليقيم الحجّة على كل واحد من عباده المكلّفين بعمله في الأرض، حتى يُشْهِدَهُ في الآخرة على نفسه بعمله، ويثبت له استحقاقه الخلود في الجنَّة أو في النار، ولذلك قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83].

ومن معاني هذه الآية الكريمة أنَّ على الإنسان ـ ذلك المخلوق العاقل،

الحر، المكلّف ـ أن يدرك حقيقة وجوده في الحياة الدنيا والتي تتلخّص في كونه عبداً لخالق عظيم، خلقه بقدرته، وحدَّد له رسالته في مجالين: أوّلهما عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، وثانيهما وهو حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها.

ومن عرض القرآن الكريم لقصّة «**قارون**» الذي آتاه الله ـ تعالى ـ ثروة طائلة من المال فلم يؤد حقها، وكان من قوم موسى فبغى عليهم، وداهن كلًّا من فرعون وهامان، نستخلص الدروس التالية:

1 ـ إنَّ البغي على الخلق والإفساد في الأرض من الأُمور المحرّمة في دين الله.

2 ـ إنَّ الغرور بوفرة المال، أو الجاه، أو السلطان هو من وساوس الشيطان. وعليه فإنَّه يجب على كلٍّ من وهبه الله نصيباً من الثراء والملك أن يكون حذراً كل الحذر من الوقوع في حبائل الشيطان الذي يغريه بالتكبُّر الكاذب على الخلق، وبالاستعلاء المكروه من كل من العباد، وربِّ العباد.

3 ـ على كلّ عاقل أن يوظف ما أعطاه الله ـ تعالى ـ من إمكانات في تحقيق مكاسب له في الآخرة. وليس معنى ذلك إهمال الدنيا،، فإنَّ النجاح الصالح في الدنيا هو من مفاتيح الجنَّة. والمتع الحلال بما وهب الله عبده من مال هي حلال كلّها، ما لم يكن في ذلك شيء من المبالغة المفسدة. والحرص على إخراج حقّ الله في المال، وإنفاقه في مصارفه الصحيحة، بغير تقتير ولا إتلاف هو الصون الحقيقي له.

4 ـ إنَّ الإفساد في الأرض هو من المعاصي التي لا يرضاها الله ـ تعالى ـ من عباده الذين استخلفهم فيها، وسوف يسائلهم عن كلٍّ ما فعلوه في حياتهم عليها.

5 ـ إنَّ البشريّة ـ عبر تاريخها الطويل ـ انقسمت بين مؤمنين وكافرين، موحدين ومشركين، مستقيمين على منهج الله وخارجين عنه، وعلى الذين أكرمهم الله

ـ تعالى ـ بالعلم والإيمان والاستقامة أن يجتهدوا في نصيحة التائهين الضالّين من بني آدم، وما أكثرهم اليوم!.

6 ـ إنَّ عاقبة الخروج على منهج ﷲ هي الدمار في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

7 ـ إنَّ فتنة النّاس ببهرجة الحياة الدنيا هي من أسلحة الشيطان في إغوائه للإنسان، ولكن العقلاء من بني آدم يدركون أنَّ ثواب ﷲ خير لمن آمن وعمل صالحاً.

8 ـ إنَّ التكبّر بالمال أو الجاه أو السلطان عقابه في الدنيا شديد، وفي الآخرة أشدّ، وليس له من دون ﷲ من دافع.

9 ـ لا بدّ من الإيمان بأنَّ ﷲ ـ تعالى ـ هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وأنَّ بسط الرزق ليس معناه دوماً رضاء ﷲ، ولا أنَّ قبض الرزق معناه دوماً سخط ﷲ.

10 ـ إنَّ الدنيا الفانية هي دار ابتلاء واختبار وامتحان، وإنَّ الآخرة الباقية هي دار مكافأة وجزاء وعطاء للمتّقين الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً.

11 ـ إنَّ من كرم ﷲ ـ تعالى ـ وعدله أنَّ العبد الذي يأتي بالحسنة (من الإيمان والعمل الصالح) له من ربّه ثواب مضاعف أضعافاً كثيرة، والذي يأتي بالسيئة (من المعاصي) فلا يجزى إلَّا بمثل ما عمل من السوء.

وذكر القرآن الكريم لقصَّة «قارون» يبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب ﷲ، وذلك لقدم القصّة في التاريخ (الألفيّة الثانية قبل الميلاد)، ولعدم وجود أيّة إشارة إلى «قارون» في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، وإن أشار «العهد القديم» إلى رجل باسم «قورح» على أنه كان من أثرياء العبرانيين على عهد موسى، دون تفصيل، على الرّغم من إفاضته في استعراض قصّة عبد ﷲ ونبيّه موسى بن عمران عليه السلام، **وإن جاء ذلك بكثير من التخبط، والخلط، والأخطاء العقدية والتاريخية.**

رابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لليهودي الفاسد المسمى باسم السامري

60 ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه: 95].

جاءت قصّة «السامري» مع قوم موسى عليه السلام مفصّلة في سورة «طه» التي أوردت ذكر اسمه ثلاث مرات، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 83 ـ 98].

وجاءت القصّة في سورة «الأعراف» دون ذكر اسم «**السامري**»، وذلك بالنصّ التالي:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

[الأعراف: 148 ـ 154].

وواضح من هذه الآيات أنَّ الله ـ تعالى ـ كان قد دعى موسى عليه السلام لميقات على جبل الطور ليتلقَّى رسالة الله إلى بني إسرائيل. فصعد موسى إلى الجبل، تاركاً قومه في أسفله، بعد أن وكَّل بهم أخاه هارون عليه السلام. وبعد أن تلقَّى موسى الألواح من ربّه، أخبره ﷻ أنَّ قومه قد تعرَّضوا للفتنة من بعده. فما كاد موسى أن يتركهم في رعاية أخيه هارون حتى فتنهم «**السامري**» عن عبادة الله ـ تعالى ـ إلى عبادة عجل له خوار، صنعه من ذهب كانت نساء بني إسرائيل قد سرقنه من جاراتهنَّ المصريّات بعد أن أخذنه على سبيل الاستعارة. ولم يكن لموسى علم بذلك، حتى لقي ربّه، وتلقَّى الألواح، وبها ركائز الإسلام الذي لا يرتضي ربّنا

ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه.

ويعود عبد الله ورسوله «موسى بن عمران» إلى قومه غضبان أسفاً لعودة قطاع منهم إلى الشرك باللّه وعبادة الأصنام. وكان الله ـ تعالى ـ قد أنقذهم من الاستعباد والذلّ والمهانة التي كانوا يعيشون تحتها في ظلّ حكم وثني جاهلي ظالم على أرض مصر. ثم نجّاهم بمعجزة خارقة للعادة عند عبورهم خليج السويس، وأغرق أعداءهم المطاردين لهم، وعلى رأسهم فرعون وجنوده أمام أنظارهم. وبعد نجاتهم إلى شبه جزيرة سيناء فجَّر الأرض عيوناً بالماء العذب من تحت أقدامهم بمجرَّد عبورهم لمياه الخليج، وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلّلهم بالغمام رحمة من عنده. ثم حذَّرهم من مخالفة أوامره فيحلّ عليهم غضبه، وينزل عليهم سخطه. وبعد ذلك كله منَّ عليهم بمواعدة موسى عليه السلام على جبل الطور، بعد أربعين ليلة من الصلاة والصيام والقيام للّه ـ تعالى ـ كي يكون متهيّئاً لهذا اللّقاء النادر الذي يتلقَّى فيه الوحي من الله ـ تعالى ـ مسموعاً ومدوّناً في الألواح.

وتنزيل المنّ، وهو من المواد السكريّة التي تتجمّع على سيقان الأشجار كنتيجة لنزّ العصارة الغذائيّة من الأوعية الخشبية للأشجار، ثم جفافها على تلك السيقان الشجريّة، وإرسال أفواج السلوى (وهو طائر السماني) يشكّل وجبة غذائيّة كاملة من الكربوهيدرات والبروتينات الشهيّة والمغذّية في قلب الصحراء الجرداء من أرض سيناء، وهي من المعجزات الإلٰهيّة الحقّة. ويذكّرهم الله ـ تعالى ـ بتلك النِّعم التي أفاض بها عليهم كما ذكّرهم بها موسى حين رجع إليهم غضبان أسفاً، لمقابلتهم تلك النِّعم بالانحدار من التوحيد إلى الشرك، ومن تنزيه الله ـ تعالى ـ عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله إلى الانحطاط بمدلول الأُلوهيّة إلى تمثال عجل من ذهب مسروق له خوار، وإلى الاستخفاف الأبله الذي يصفون به ذلك العجل الذهبي بأنَّه إلٰههم وإلٰه موسى الذي نسيه

عندهم وذهب لملاقاته على الجبل، يطلبه هنالك...!

راح موسى يعنّف قومه ويوبّخهم على ما اقترفوه من شرك باللّه، ويلوم أخاه هارون، ويؤنّبه على تساهله مع الذين أشركوا من قومه، على الرّغم من تعهّدهم له بالبقاء على التوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ بغير ابتداع. وعلى الرّغم من ذلك كله، ومن تحذير موسى لهم من محاولة تقليد عبدة الأصنام حينما مرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطالبوا موسى أن يتَّخذ لهم صنماً يعبدونه من دون اللّه، فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، على الرغم من كل ذلك ضلّ قوم موسى وعبدوا العجل.

وفي الردّ على تقريع موسى للذين أشركوا من قومه أجابوا بردّ أسوأ من فعلتهم النَّكراء قائلين: لقد حملنا أكداساً من حلي المصريّات كانت مستعارة منهنَّ بواسطة نسائنا اللّائي خرجن بها قبل المطالبة بردّها. ونظراً لحرمة السرقة، فإن نساء بني إسرائيل ألقين بالحلي المختلسة وتخلَّصن منها، فالتقطها **السامري**. ثم سوّل له شيطانه أن يصوغ منها عجلاً أجوفاً، جعل له عدداً من المنافذ التي إذا دارت فيها الريح أخرجت صوتاً كصوت الخوار. فما كاد ضعاف النفوس من بني إسرائيل أن يروا ذلك العجل الذي لا يملك لهم نفعاً ولا ضرًّا حتى خرّوا له ساجدين، ونسوا ربّهم الذي خلقهم، ونجَّاهم ورزقهم...! فقال لهم نبيّهم هارون إنَّ ما فعلوه هو الشرك الذي يخرجهم عن الملّة، ونصحهم بالرّجوع عمَّا وقعوا فيه من معاصٍ، وأن يستغفروا اللّه ـ تعالى ـ من سوء أعمالهم ويتوبوا إليه. ولكن الإسرائيليين لم يستمعوا إلى نصح هارون، وطالبوه بالانتظار حتى يرجع إليهم موسى. وذلك لأنَّ الشيطان كان قد صوَّر لهم أنَّ هذا العجل الجسد الذي له خوار هو إلٰههم وإله موسى الذي راح ليلاقيه على الجبل، متخيّلين أنَّه نسي الطريق إلى ربّه وتاه عنه. وكانوا كلّما نهاهم هارون عن عبادة العجل

هاجوا عليه متكاثرين وضاغطين، ومهددينه بالقتل.

وعندما رجع موسى إليهم غضبان أسفاً، واستمع إلى حجّتهم التافهة، التفت إلى أخيه هارون مؤنّباً إيّاه على ترك هؤلاء المشركين من قومه سادرين في غيِّهم. حاول هارون إطفاء غضب أخيه مستجيشاً عاطفة الرحم بينهما، معتذراً بأنَّه لم يشأ معالجة الأمر بشيء من العنف انتظاراً لعودته من لقاء ربّه، خشية أن يتفرّق بنو إسرائيل شيعاً، خاصة وأنه كان قد سبق وأن أمره موسى بالمحافظة على قومه وبألّا يحدث فيهم أمراً حتى يرجع إليهم. ورجا هارون أخاه موسى ألّا يشمت به هؤلاء الضالين من قومه قائلاً له: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 150]. ولـمَّا تأكَّد موسى من براءة أخيه توجه بالدعاء إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

عندئذ اتَّجه موسى عليه السلام بحديثه إلى «**السامري**» صاحب الفتنة والغواية في بني إسرائيل، متسائلاً عن مبررات غوايته لقومه، فأجاب متعللاً بأنَّه رأى جبريل عليه السلام في صورته الذي ينزل بها على الأرض، فقبض قبضة من التراب الذي داس هذا الملاك الطاهر عليه أو داس فرسه عليه فألقاه على العجل الذي كان قد صاغه من الذهب المسروق، فصار له خوار.

والقرآن الكريم لا يُفَصِّل حقيقة ما حدث، ولكنه يسجّل ردّ «**السامري**» الذي قاله في محاولة للتملّص من المسؤوليّة، ولتبرير جريمته، ولذلك قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه: 96].

ولكن موسى عليه السلام أعلنه بالطرد من جماعته طيلة حياته، ووكَّل أمره بعد ذلك إلى الله ـ تعالى ـ يحاسبه بعدله المطلق. وقال موسى للسامري: اذهب مطروداً، ملعوناً، معزولاً، لا يمسُّك أحد، ولا تستطيع أن تمسّ أحداً من عباد

ﷻ إلَّا وأصابتك وأصابته الأمراض، وأنَّ لك موعد مع خالقك في يوم الحساب لتلقى جزاءك على ما اقترفت من جرائم، ولن تخلف ذلك الموعد أبداً فإنَّه واقع لا محالة. وأضاف موسى قائلاً «للسامري»: أمَّا عجلك الذي عَبَّدته لنفر من قومك فها أنذا أحرقه وأنسفه وألقيه في البحر، لأثبت لك سخافة ما سولت لك نفسك الخبيثة بعبادته، وهو لا يستحق من ذلك شيئاً. فلو كانت له أية قدرة لدافع ذلك التمثال الأبكم الأخرس الذي لا يضرّ ولا ينفع عن ذاته أو عنك. فكان «**السامري**» يمشي وهو يصرخ بأعلى صوته قائلاً: لا مساس، لا مساس، فيتحاشاه الناس ويجتنبوه حتى كره حياته الدنيا. ويُفصِّل القرآن الكريم ذلك بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان موسى للسامري: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: 97].

وفي تلك اللحظة الحاسمة يؤكّد موسى لقومه وللناس أجمعين حقيقة الألوهيّة الجديرة بإفرادها بالعبادة فيقول: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98].

وأصدر موسى الحكم على الذين أشركوا قائلاً: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾**﴾

[الأعراف: 152 ـ 154].

والقصّة لها أصل في كتب الأوّلين فقد جاءت في «العهد القديم» (خروج 32/ 1 ـ 35) تحت عنوان «**العجل الذهبي**»، ولكنَّها تنسب صناعة العجل لهارون ﵇، وهارون نبيّ، والأنبياء معصومون في أمر التبليغ عن ﷲ، ومن ثم فلا يمكن أن تكون صناعة العجل الذهبي الذي عبده نفر من بني إسرائيل من دون

الله منسوبة إلى النبيّ هارون، لأنَّ أنبياء الله جميعاً قد جاءوا بكلمة التوحيد ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

وفي رواية «العهد القديم» لقصة «العجل الذهبي» جاء كلام عن الله ـ تعالى ـ لا يليق بمقام الأُلوهيّة أبداً، وذلك من مثل قول موسى لجلال الله: «ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشرّ بشعبك. . .» (خروج 32/ 13)، ومثل قولهم: «فندم الرّب على الشرّ الذي قال أنَّه يفعله بشعبه» (خروج 32/ 14).

ويأتي ختام هذه الواقعة بمشهد رهيب ترويه لنا سورة «البقرة» بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: 51 ـ 54].

وقف بنو إسرائيل واجمين بعد أن حطَّم موسى العجل الذهبي ونسفه في اليم نسفاً. وتبيّن للجميع ضلال الذين أشركوا من بينهم بعبادة العجل، وتقصير الذين لم يأخذوا على أيديهم من الباقين. وقف الجميع وجلين، ينتظرون حكم الله فيهم الذي سرعان ما نزل بضرورة قتل الذين أشركوا، بمعنى أن يقوم الذي لم يشرك بقتل الذي أشرك، وتمَّ ذلك بالفعل عقاباً للذين أشركوا بعد إيمانهم، وتطهيراً وتزكية للذين لم يأخذوا على أيدي عبدة العجل من أوَّل الأمر.

ثم قام كلّ من موسى وهارون بالتضرّع إلى الله ـ تعالى ـ أن يغفر للذين نفذ فيهم حكم الله فقتلوا، وأن يعفو عن الذين بقوا أحياء، فاستجاب الله ﷻ لتضرع عبديه موسى وهارون قائلاً: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54].

ويذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه «أخبار الزمان» أن موسى عليه السلام سار ببني إسرائيل بعد وفاة أخيه هارون ـ سلام الله عليه ـ **إلى أرض أولاد العيص،** وهي التي تعرف بـ«**جبل الشراة**»، جنب «**جبل الشوبك**»، ثم مرّ فيها إلى «**آيلة**»، وتوجه بعد أيام إلى «برية باب» حيث «بلاد الكرك»، وحارب تلك الأمم، وكان إلى جانب «آيلة» مدينة يقال لها «**عصيون**» جليلة عظيمة.

ويشير «العهد القديم» (سفر أعداد) إلى أن موسى عليه السلام حاول المرور عبر أراضي الأدوميين أثناء خروجه من مصر متوجهاً إلى الأراضي الفلسطينية. فاستأذن من ملك الأدوميين إلا أن الملك رفض طلبه، فما كان منه إلا أن يعبر بمحاذاة الشاطىء عبر آيلة (العقبة حالياً) إلى وادي التيم متوجهاً شمالاً بعيداً عن الحدود الأدومية. وفي نفس الوقت يذكر (سفر التثنية) أن الأدوميين سمحوا لموسى بالمرور من خلال أرضهم علماً بأن الطريق الذي سلكه موسى عليه السلام أثناء خروجه من مصر وتاريخ هذا الخروج لا يزال موضع خلاف بين المؤرخين.

ويذكر **فلنكشتاين** أنه لا توجد أية أدلة أثرية على هذه الرواية التوراتية، ويضيف أنه خلال عشر سنوات من الأبحاث الأثرية لم يتم اكتشاف طريق خروج موسى ببني إسرائيل من مصر، رغم المسح الدقيق لشبه جزيرة سيناء.

من هنا فإنَّ رواية القرآن الكريم لحادثة «السامري» بعد أن ذهب النَّبي موسى بن عمران للقاء ربّه تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وتشهد القصة للنصّ القرآني بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، ولا يمكن أن يكون قد نقل عن «العهد القديم» فالفارق كبير بين الروايتين (والأصل واحد). وهذا النص يشهد للقرآن الكريم بأنَّه كلام ربّ العالمين الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العليّة في نفس لغة وحيه (اللّغة العربيّة)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا

الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين. بينما رواية «العهد القديم» تؤكد أن القصة ظلت تنقل مشافهة فأضيف إليها ما أضيف، وحذف ما حذف، ونُسي ما نُسي، ولذلك جاء تدوينها في «العهد القديم» محرَّفاً ومشوَّهاً ومختلًّا اختلالاً كبيراً!!

خامس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه ذو الكفل عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيّه «ذو الكفل» في القرآن الكريم مرَّتين فقط، على النحو التالي:

1 ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: 85، 86].

2 ـ ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: 48].

61 ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[الأنبياء: 85].

يذكر أنَّ ذا الكفل كان من نسل عبد الله ونبيه أيّوب عليه السلام. **«وذو الكفل»** هو من أقل الشخصيّات ذكراً في كل من القرآن الكريم والسُنَّة النبويّة المطهّرة. وقد اخْتُلِفَ في أمره: هل كان من أنبياء الله، أم كان أحد الصالحين الذين أحسن الله عليهم الثناء، ووصفهم بالصبر وبأنَّ الله ـ تعالى ـ أدخلهم في رحمته. وقيل: إنَّه كان نبيًّا من أنبياء الله، لذكره في زمرة عدد منهم، وخاصَّة وأنَّه قد ذكر عنه أنَّه تكفّل لبني قومه أن يقضي بينهم بالعدل، ويكفيهم أُمورهم، وقد وفى بذلك ومن هنا سُمي **باسم «ذي الكفل»**. ونحن لا نعرف قومه، ولا زمان بعثته، ولا كيف كان ردّ قومه عليه وعلى دعوته، مع قول البعض أنَّه **بعث لأهل الشام**، كما قيل **أنَّه عاش على أرض العراق**، (والله ـ تعالى ـ أعلم).

وذكر بعض المؤرّخين إمكانيّة أن يكون (ذو الكفل) هو [حزقيل أو حزقيال

(Ezekiel)] الذي ورد اسمه في «العهد القديم»، ولكن حديث رسول الله ﷺ يشير إلى أنَّ (حزقيل) هو مؤمن آل فرعون الذي أسرع إلى موسى بن عمران محذّراً من فرعون وجنده، عندما أمر فرعون بقتل موسى، وجاء (حزقيل) ناصحاً موسى بالخروج من أرض مصر حتى يمكنه النَّجاة بنفسه. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**سباقو الأُمم ثلاثة لم يكفروا باللَّه طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب (يّس)، وعلي بن أبي طالب**»[1].

وقال بعض المؤرّخين **أنَّ (ذا الكفل) هو أحد أبناء أيوب** عليه السلام، وقالوا إنَّ اسمه في الأصل هو (بشر)، وأنَّ الله ـ تعالى ـ بعثه بعد أيوب، وسمَّاه (ذا الكفل) لأنَّه تكفّل بعدد من الطاعات غير المفروضة فوفَّى بها. وقالوا إنَّ مقامه كان ببلاد الشام، وإن ادّعى آخرون أنَّ إقامته كانت في بابل من أرض العراق. وأهل دمشق يتناقلون أنَّه مدفون في «**جبل قاسيون**» المطل على مدينتهم العامرة، دون دليل ثابت على ذلك.

وعلى كل حال فإنَّ مجرّد ورود اسم (ذي الكفل) في القرآن الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وعلى علماء الآثار أن يَجِدّوا في البحث عن آثار هذا النَّبي الصالح.

(1) تقدم تخريجه.

سادس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيّه إلياس (أو إل ياسين) عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيّه إلياس عليه السلام ثلاث مرَّات في القرآن الكريم وذلك على النَّحو التالي:

1 ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: 85].

2 ـ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصافات: 123].

3 ـ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: 130].

ويذكر ابن كثير **أنَّ «إلياس» و«إل ياسين» هما اسمان لشخص واحد هو النَّبي «إلياس»** عليه السلام، وذلك انطلاقاً من حقيقة أنَّ العرب يلحقون حرف النون بعدد من أسماء الأشخاص، أو يبدّلونه بأحد أحرف الاسم.

ووصف القرآن الكريم النبي «**إلياس**» بأنه من الصالحين، ومن المرسلين، ومن المخلصين، ومن المؤمنين، وأنه دعا قومه إلى نبذ الشرك، وعبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وهو أحسن الخالقين.

ويقول عدد من المؤرّخين أنَّ عبد الله ونبيه «**إلياس**» كان من ذريّة النَّبي هارون بن عمران، أخي النَّبي موسى بن عمران عليهما السلام. ويقال أنَّه كان قد بعث بعد عبد الله ونبيّه ذي الكفل، **وأرسل إلى أهل بعلبك**. وبعلبك هي مدينة قديمة، تعود إلى العهد الفينيقي، واشتهرت في زمن السلوقيين باسم مدينة الشمس (هيليوبوليس). وهذه المدينة التي شيدت في إقليم البقاع، في وسط أرض لبنان، استعمرها الرومان في القرن الميلادي الأول، زمن أوغسطس (كايوس يوليوس أوكتافيوس) الذي عاش في الفترة من (63ق.م.) إلى (14م)، وأشرك فيها بعبادة

چوبيتر. وقد ترك الرومان في مدينة بعلبك العديد من الآثار الشركية، من أمثال معبد باخُوس، والأعمدة الستة، التي يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

وكان أهل بعلبك قد أشركوا باللَّه، **وعبدوا صنماً سمّوه «بعلاً»**، ومن اسمه اشتق اسم مدينتهم. ولمَّا بعث الله ـ تعالى ـ إليهم رسوله «إلياس» يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده، فإنَّ غالبيّتهم كذَّبوا نبوَّته، فأصابهم العقاب في الدنيا، ولهم في الآخرة العذاب المهين. فقد حبس الله ـ تعالى ـ عنهم المطر حتى هلكت مواشيهم ودوابهم، ثم قضى عليهم بذنوبهم. وأمَّا القلّة التي آمنت مع إلياس فكانت من عباد الله المخلصين الذين ثبتهم الله في الدنيا على دينه، ووعدهم بجنَّة الخلد في الآخرة. وجعل الله ـ تعالى ـ لنبيّه إلياس الذكر الحسن على ألسنة مَن جاؤوا بعده، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 123 ـ 132].

وأوجه الآراء أنَّ إلياس هو النَّبي المسمّى باسم إيليا (Elijah) في «العهد القديم» «سفر ملوك الأول» (21 ـ 16)، والذي يقال أنه عاش (بين 880، 850ق.م.). وقد ورد ذكره في «العهد القديم» محاطاً بسلسلة من الإسرائيليّات التي لا سند لها، ومنها أنه رفع إلى السماء في مركبة نارية. ويقال أن إيليا ـ بحكم نبوته ـ قاوم عبادة الأصنام والأوثان، بين قومه، **فاضطهدته «إيزابيل» (Jezebel) زوجة الملك آحاب (Ahab)** الذي حكم في الفترة (من 874ق.م. إلى 853ق.م.). وعلى الرغم من ذلك أمر «إيليا» بقتل الكهنة المشركين في معبد «باعال» أو «بعل» الذي سميت باسمه المدينة، فاضطهدته «إيزابيل» هو وأتباعه اضطهاداً شديداً. **وإشارة القرآن الكريم إلى نبيّ قديم مثل إلياس ﵇ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب** الله.

سابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيّه اليسع عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيّه اليسع عليه السلام مرّتين في القرآن الكريم وسط أسماء مجموعة من الأنبياء على النَّحو التالي:

1 ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 86].

2 ـ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [صٓ: 48].

يذكر عدد من المفسرين أنَّ «اليسع» هو ابن عمّ «إلياس» عليهما السلام **، وأنَّه بعث لأهل الشام بعد وفاة إلياس.** وقيل إنَّه عاش في **بعلبك**، أو في **بانياس** بالقرب من اللاذقيّة. وكذلك قيل أنَّ قومه كان قد شاع بينهم الشرك والإلحاد وعبادة الأصنام، وانتشرت في مجتمعاتهم الخطايا والآثام والمظالم، فبعث الله تبارك وتعالى إليهم **«اليسع»** لهدايتهم. بدأ نبيهم يدعوهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وأن ينزهوه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وأن يلتزموا بشرعه، وذكرهم بحساب الآخرة، فلم يؤمن معه إلَّا أقل القليل من قومه. وأمَّا غالبيّتهم فلم يستمعوا لنصحه، ولم يأبهوا بدعوته، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ في الدنيا، وتوعدهم بعذاب الآخرة، وهو أشد وأنكى.

وأرجح الأقوال أن «اليسع» هو النَّبي الذي جاء ذكره في «العهد القديم» تحت مسمى **إليشع (Elisha)**، وأنَّه كان خادماً للنبي إلياس، وإن كانت قصته في «العهد القديم» قد أُحيطت بالإسرائيليّات الخارجة عن حدود المنطق [سفر ملوك الأول (21 ـ 19/ 19)].

والإشارة إلى نبيّ قديم من أنبياء الله في القرآن الكريم مثل «اليسع» عليه السلام **تبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي** الذي يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما يشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقّاه بالنبوَّة وبالرسالة.

ثامن عشر: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ورسوله داود عليه السلام

كان عبد الله ورسوله داود عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وورد اسمه في ستة عشر (16) موضعاً من القرآن الكريم، وهو أحد الرُّسل الذين بلغنا خبرهم من بعد موسى عليه السلام فقد أنزل الله ـ تعالى ـ عليه الزَّبور، وقال فيه:

1 ـ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

2 ـ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: 55].

وقد جمع الله تعالى لعبده ونبيه داود بين الملك والرسالة، وذلك بقوله ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [صَ: 20].

وكان داود عليه السلام مجتهداً في العبادة، كثير التضرّع إلى الله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ موجّهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [صَ: 17].

وقال ﷺ عن عبد الله ونبيّه داود:

1 ـ **«ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ، خيراً من أن يأكلَ من عمل يدهِ، وإن نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكلُ من عملِ يدهِ»**[1].

(1) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، حديث رقم (2072).

2 ـ «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى**»(1).

وقد وهب ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده ونبيّه داود كثيراً من النِّعم التي كان منها:

1 ـ ابناً ملكاً نبياً من بعده، هو سليمان ﷺ، وحفيداً من نسله كان من أولي العزم من الرسل هو عيسى ﷺ.

2 ـ تسخير كل من الجبال والطير للتسبيح معه لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: 18، 19].

3 ـ إلانة الحديد له، وذلك بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبإ: 10، 11]

4 ـ وعلَّمه الله ـ تعالى ـ صنع الدروع المركّبة من حلق الحديد وهي أخف من الدُّروع المصمطة المصفّحة وأسهل للحركة، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: 80].

5 ـ وأعطاه الله ـ تعالى ـ من حسن الصوت ما جعل كلًّا من الطيور والوحوش تتجمَّع حوله وهو يقرأ الزّبور بصوت جميل لم يسمع من قبل مثله. وقد أكَّد ذلك رسولنا ﷺ حين سمع تلاوة أبي موسى الأشعري للقرآن الكريم فقال: «**يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»(2).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3420).

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (5048)، ومسلم في كتاب المسافرين، حديث رقم (1849).

وقد شَوَّه كفّار اليهود صورة عبد الله ونبيّه داود ﷺ تشويهاً كاملاً، فوصفه «العهد القديم» بأنَّه كان سفّاكاً للدماء، ظالماً متجبّراً في الأرض إلى الحدّ الذي جعله يمنع بأمر من الله من بناء بيت الله ـ تعالى ـ، وفي ذلك تقول «**أخبار الأيّام الأوّل (22/ 8)**» في «العهد القديم» افتراءً على الله ـ تعالى ـ أنَّه قال لداود: «فلا تبن بيتاً لاسمي لأنَّك سفكت دماءً كثيرة على الأرض أمامي».

وتصف أسفار «العهد القديم» عبد الله ونبيه داود بأنَّه «رجل الله ورجل دماء». وأفاضت هذه الأسفار بسرد حروب الإبادة التي تدعي أنَّ عبد الله ونبيه داود ﷺ قد قادها بنفسه، وقام فيها بالتقتيل لأعدائه، والتمثيل بهم، وحرقهم أحياءً، وحرق قراهم ومدنهم كاملة. وفي ذلك يقول سفر «**صموئيل الثاني**»: «فجمع داود كل الشعب من القبائل (الفلسطينيّة) وحاربها وأخذها، وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد، وقطعهم بالسكاكين، وأمرهم في آتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بن عمون، ـ وهي بالعشرات، وسكانها بعشرات إلى مئات الأُلوف ـ ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم» **(صموئيل الثاني/ 129)**.

وكثيراً ما جاء في «العهد القديم» التعبير عن داود ﷺ أنه: «...لم يستبق فيها (أي: في عشرات المدن) رجلاً ولا امرأة...».

ويدَّعي «العهد القديم» أنَّ داود ـ شرَّفه الله ـ ينتسب بنسب زنى المحارم إلى إحدى ابنتي لوط ﷺ التي يدَّعون عليها كذباً أنَّها أنجبت «مؤاب» من الزنا بأبيها، ومنه جاءت راعوث جدّة داود ﷺ من جهة أبيه.

ويدَّعي «العهد القديم» على عبد الله ورسوله داود ﷺ كذلك أنَّه زنى بزوجة جاره الجندي «أوريا»، واسمها «**بتشبع**» **أو** «**بتشابع**» بينما كان زوجها في ساحات القتال، يذود عن ملك داود. وبعد أن حملت سِفاحاً منه أمر داود بقتل زوجها بتقديمه إلى صفوف القتال الأولى ثم التخلي عنه، فقتل، كما جاء في سفر «**صموئيل الثاني**». وعاشت المرأة المغتصبة بعد حدادها على زوجها في قصر داود، وتدعى القصّة الفاجرة أنَّها ولدت له سليمان النَّبي بعد ذلك.

ويدَّعي «العهد القديم» كذباً على عبد الله ونبيّه داود عليه السلام أنَّه أخذ زوجة أحد رعاياه واسمه «فلطئيل بن لايش» عنوة عنه، وأنَّ ابنه «أمنون» زنى بأخته «ثامار» وأنَّ ابنه (إبشالوم) كان يزني بنساء أبيه (وبينهم أمَّه) أمامه، وأمام بني إسرائيل، جزاء زناه بزوجه (أوريا الحثى) حسب القصّة المفتراة عليه كما جاء في سفر **«صموئيل الثاني»**.

لذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: 78، 79].

وقال البرهان البقاعي رحمه الله في تفسيره: «وتلك القصّة وأمثالها من كذب اليهود، وأضاف: وأخبرني بعض مَن أسلم منهم أنَّهم يتعمَّدون ذلك في حقّ داود عليه السلام لأنَّ عيسى عليه السلام من ذرّيته ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه».

وعلى النقيض من ذلك فإن القرآن الكريم يمتدح عبد الله ونبيّه داود عليه السلام في عشرات الآيات، كما تمتدحه أحاديث رسول الله ﷺ التي منها قوله الشريف: **«أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يقرأ الزّبور بسبعين صوتاً، وكانت له ركعة من اللّيل يبكي فيها نفسه، ويبكي ببكائه كل شيء، وكان يشفي بصوته المهموم والمحموم»**[1].

نبوّة داود عليه السلام:

بعد وفاة كل من هارون وموسى عليهما السلام تولّى **«يوشع بن نون»** أمر بني يعقوب، ودخل بهم أرض فلسطين، وبعد وفاة يوشع بن نون تولَّى أمرهم عدد من قضاتهم ولذلك يسمى زمانهم باسم (**عهد القضاة**). وفي هذه الفترة **ارتدّ بنو يعقوب**

(1) ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء (2/ 279).

وتذكر كتب التاريخ القديم أن داود عليه السلام قام في القرن العاشر قبل الميلاد بضم ميناء آيلة (العقبة) إلى مملكته.

إلى الوثنيّة، وضيّعوا الدين، وفشت بينهم المعاصي والمنكرات، ودبَّ فيهم الوهن فسلط الله ـ تعالى ـ عليهم الأُمم من حولهم فغزاهم كل من العمالقة، والآراميين والمصريين وغيرهم، وأذلّوهم إذلالاً شديداً.

ثم أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم نبيًّا يدعوهم إلى الحقّ واختار نبيّهم رجلاً من بينهم اسمه «**طالوت**» ليكون ملكاً عليهم لأنَّه كان أعلم بني يعقوب في زمانه. جهَّز طالوت جيشاً لمقاتلة العماليق الذين حاربوه تحت قيادة **جالوت**. ولكن بني يعقوب لم يثبتوا على أمر القتال فتولّوا إلَّا قليلاً منهم. كذلك لم يثبت الإسرائيليون في الابتلاء الذي ابتلاهم به الله ـ تعالى ـ وذلك بالتزام أمر الله بعدم الشرب من نهر الأردن الذي كان في طريقهم، فشربوا منه إلَّا قليلاً منهم، وهالهم أمر جالوت وجيشه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: 249 ـ 251].

وفي الأثر أنَّ داود عليه السلام عاش في أواخر الألفيّة الثانية وأوائل الألفية الأولى قبل الميلاد (في حدود 1012 ـ 912ق.م.)، وتولّى الملك على جزء من أرض فلسطين، وتوفي في حدود سنة (912ق.م). وذِكْرُ القرآن الكريم لعبد الله ونبيه داود، يعتبر من المعجزات الإنبائيّة والتاريخيّة في كتاب الله، وذلك لأنَّ هذا الكتاب المجيد أنزل بعد وفاة داود عليه السلام بأكثر من (1500) سنة. ويتأكد هذا الوجه من أوجه الإعجاز في أنَّ كتب الأولين التي أشارت إلى هذا العبد الصالح ومنها «العهد القديم» لم

تعتبره نبيًّا، بل مجرّد ملك من الملوك، ولم تذكر شيئاً من الوقائع التي أوردها القرآن الكريم عنه، بل أثارت حوله من الإسرائيليّات الموضوعة المريبة ما شوَّه صورته تشويهاً شديداً، وهو الذي امتدحه القرآن الكريم في العديد من آياته، وامتدحه المصطفى ﷺ في عدد من أحاديثه الشريفة.

ولقد جاء ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم ستة عشر (16) مرة على النَّحو التالي:

1 ـ منها ما **وصف المعركة التي انتصر فيها داود على جالوت (Goliath)** وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ

ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: 246 ـ 252].

2 ـ ومنها ما يؤكّد **أنَّ داود** ﷺ **كان نبيًّا رسولاً**، آتاه الله ـ تعالى ـ كتاباً اسمه **(الزبور)** وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: 55].

3 ـ ومنها ما جاء عن **أنَّ داود** ﷺ **قد لَعَن الذين كفروا من بني إسرائيل** وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78 ـ 79].

4 ـ ومنها ما يؤكّد **أنَّ داود كان من ذريّة نوح** ﷺ، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 86].

5 ـ **ومنها ما تحدّث عن واقعة تحكيم بين رجلين من قومه قضى فيها داود برأيه،**

ثم استأذنه ابنه سليمان في قضاء آخر، فأيّده القرآن الكريم على قضاء أبيه ووصفه بالحكمة، كما قبل أبوه حكمه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 78، 79].

6 ـ **ومنها ما يشهد بأنَّ الجبال والطير كانت تسبح مع تسبيح داود ﷺ وأنَّ الله ـ تعالى ـ قد ألان له الحديد وعلّمه كما علّم ابنه سليمان منطق الطير، وآتاهما من لدنه علماً، كما علّمه صناعة الدروع من رقائق متداخلة متعرّجة** لا تحدّ حركة الجسم، وتحميه. وكان ذلك من أسباب انتصاراته العسكريّة العديدة وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 79].

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 15، 16].

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ: 10، 11].

ـ ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [صٓ: 17 ـ 20].

7 ـ ومنها ما يروى **أنَّ الله ـ تعالى ـ علَّم داود ﷺ ألَّا يُصدر حكماً إلَّا بعد الاستماع إلى الطرفين المتخاصمين** وذلك في واقعة ابتلاء تربوية يرويها القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [صٓ: 21 ـ 26].

وكل واحدة من هذه الوقائع السبع هي معجزة إنبائية وتاريخيّة في ذاتها، ومعجزة تربويّة وعلميّة في آن واحد، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إنَّ معظم هذه الوقائع لم تذكرها أسفار «العهد القديم».

ثانياً: إنَّ في كل واقعة من هذه الوقائع عدد من الدروس والعِبر المستفادة التي لها دورها التربوي الواضح في سلوك كل مَن يقرؤها أو يستمع إليها.

ثالثاً: **إنَّ العلم التجريبي يثبت اليوم أنَّ كلّ شيء في الوجود من الخلق المكلّف (الإنس والجن)، وغير المكلّف (من الجمادات، والنباتات والحيوانات) له قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك والشعور والانفعال والتعبير**. وإشارة القرآن الكريم إلى أنَّ كلًّا من الجبال والطير كان يسبح مع تسبيح داود عليه السلام يسجّل سبقاً واضحاً على جميع المعارف المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، كما يثبت معجزة علميّة واضحة لا ينكرها إلّا جاحد. وداود عليه السلام كان الله ـ تعالى ـ قد منَّ عليه بصوت فائق العذوبة والجمال، وكان يزيده جمالاً مسحة من الوقار والجلال، كما روى ذلك رسول الله ﷺ.

وإسماع الخلق غير المكلّف هو درجة من الصفاء الروحي، والإشراق القلبي، والسمو العقلي، لا يبلغها أحد إلّا بفضل من الله تعالى. وفي هذا السياق تأتي **«إلانة الحديد»** لعبد الله داود عليه السلام خارقة من تلك الخوارق التي وهبها الله ـ تعالى ـ لهذا العبد الصالح والرسول الصادق داود عليه السلام.

كذلك فإنَّ إلهام داود ﷺ بصناعة الدروع من رقائق وحلقات متداخلة تحمي الجسم دون أن تثقله أو أن تحول دون حريّة حركته، وهو ما وصفه القرآن الكريم بتعبير **(التقدير في السرد)**، يأتي فضلاً من الله ـ تعالى ـ ونعمة.

ولم يرد في «العهد القديم» شيء عن أغلب الوقائع التي أوردها القرآن الكريم عن عبد الله ورسوله «داود ﷺ»، على الرَّغم من إيراد عشرات الصفحات من الشبهات التي تسيئ إليه، ومن هنا ينتفي الادّعاء الباطل بأن «العهد القديم» هو كلام ربّ العالمين، وكذلك ينتفي الادعاء الأكثر بطلاناً بأنَّ قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم»؛ لأنَّ الفارق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار.

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيه داود ﷺ:

1 ـ الإيمان بحقيقة النبوّة والرّسالة، وبأنَّ الله ـ تعالى ـ فضَّل بعض النبيّين على بعض.

2 ـ التصديق بأنَّ الله ـ تعالى ـ يعطي المُلك لمن يشاء، وينزعه ممَّن يشاء، وأنَّه يُعَلِّم مَن يشاء من علمه، ويؤتي مَن يشاء الحكمة وفصل الخطاب.

3 ـ إنَّ للإنسان في الحياة الدنيا رسالة ذات وجهين أوَّلهما عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، وثانيهما حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها، وأنَّ تقصير الإنسان في تحقيق تلك الرسالة يستوجب غضب الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة.

4 ـ اليقين بأنَّ لكلِّ شيء في الوجود قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك، والشعور، والانفعال، والتعبير. ومن ذلك الجبال، والطيور، والشجر، والحجر، وبقيّة أنواع الخلق، ومن هنا كان تسبيح الكون مع تسبيح داود ﷺ، ومع تسبيح كل مخلص في تسبيحه، هو من حقائق الوجود التي سجلها القرآن الكريم، والتي يغفل كثير من الناس.

5 ـ التسليم بأنَّ الله ـ تعالى ـ قادر على كلّ شيء ومن ذلك **«إلانة الحديد»** في أيدي عبده ونبيّه داود عليه السلام.

6 ـ الإيمان بحقيقة النصّ القرآني الذي يقول فيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿...وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]. فهذا داود عليه السلام علَّمه الله ـ تعالى ـ منطق الطير، كما علمه صنع الدروع المركبة من حلق الحديد، وعلَّمه الحكمة وفصل الخطاب، لتقواه وعبادته وكثرة تضرّعه للَّه ـ تعالى ـ.

7 ـ **التسليم بأنَّ الابتلاءات والفتن هي وسيلة من وسائل التربية**، وبأنَّ المرء لا يجوز له الحكم في قضيّة إلَّا بعد استماعه لطرفيها. فهذه فتنة داود عليه السلام حين جاءه خصمان من فوق سور المحراب، فخاف منهم واضطرب، فقالوا: لا تخف نحن متخاصمان ظلم بعضنا بعضاً، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تتجاوزه، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى. ثم قال أحد الخصمين: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلبها مني قائلاً: اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي من نعاج، وغلبني في المخاطبة بيني وبينه. وقبل أن يسمع داود كلام الطرف الآخر قال: لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إل نعاجه، وإن كثيراً من الخلطاء يجور بعضهم على بعض، إلا مَن آمن وعمل صالحاً منهم، وقليل ما هم. وفجأة أدرك داود أن القضية كلها امتحان من الله عز وجل، فانحنى راكعاً للّه طالباً منه المغفرة.

8 ـ اليقين بأنَّ الإنسان المستخلف في الأرض مطالب دوماً بالحكم بين الناس بالحقّ، وبألَّا يتّبع الهوى فيضلّه عن سبيل الله وذلك لقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [صٓ: 26].

وفاة داود عليه السلام:

حَدَّث الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**كان داود عليه السلام** فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع. فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ باللَّه لتفتضحن بداود. فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: مَن أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أُمنع من الحجاب، فقال داود: أنت باللَّه إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله ثم مكث حتى قُبِضَتْ روحه، فلمَّا غُسِّل وكُفِّن وفُرِغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير: أظلِّي على داود، فأظلَّته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي، (فطفق رسول الله يُرِي الصحابة كيف فعلت الطير وقبض رسول الله ﷺ بيده) وغلبت عليه يومئذٍ المضرحيّة (أي الصقور)، وأتمَّ الله عمره مائة سنة»[1].

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (9672).

قصة داود عليه السلام في العهد القديم:

عقدوا صلحا معهم وأصبحوا تابعين لهم ولم يجرؤوا على نجدة بني عمون بعد ذلك.

Israel, they made peace with the Israelites and became subject to them. So the Arameans were afraid to help the Ammonites anymore.

خطيئة داود وعقابه

11 وفي ربيع العام التالي، في الموسم الذي اعتاد فيه الملوك الخروج للحرب، أرسل داود قائد جيشه يوآب على رأس قواته حيث هاجموا بني عمون وقهروهم، وحاصروا مدينة ربة. أما داود فمكث في أورشليم. [2]وفي إحدى الأمسيات نهض داود عن سريره وأخذ يتمشى على سطح قصره، فشاهد امرأة ذات جمال فائق تستحم. [3]فأرسل داود من يتحرى عنها، فأبلغه أحدهم: «هذه بثشبع بنت أليعام زوجة أوريا الحثي». [4]فبعث داود من يستدعيها، فأقبلت إليه وضاجعها إذ كانت قد تطهرت من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها. [5]وحبلت المرأة فأرسلت تبلغ داود بذلك. [6]فوجه داود إلى يوآب قولا: «أرسل إلي أوريا الحثي». فبعث به يوآب إلى داود. [7]وحين مثل لدى داود استفسر منه عن سلامة يوآب والجيش وعن أنباء الحرب. [8]ثم قال داود لأوريا: «امض إلى بيتك واغسل رجليك». فخرج أوريا من بيت الملك، وأرسل له هدية إلى بيته. [9]غير أن أوريا لم يتوجه إلى بيته، بل نام مع رجال الملك عند باب القصر. [10]فأخبروا داود قائلين: «لم يتوجه أوريا إلى بيته». فسأله داود: «ألم ترجع من سفر؟ فلماذا لم تمض إلى بيتك؟» [11]فأجابه: «التابوت وجيش إسرائيل ويهوذا معسكرون في الخيام، وكذلك سيدي يوآب، وبقية قواد الملك يخيمون في العراء، فهل آتي أنا إلى بيتي لآكل وأشرب وأضاجع زوجتي؟ أقسم بحياتك لن أفعل هذا الأمر». [12]فقال داود لأوريا: «امكث هنا اليوم وغدا أطلقك». فمكث أوريا في أورشليم ذلك اليوم حتى صباح اليوم التالي. [13]ولبى دعوة الملك، فأكل في حضرته وشرب حتى أسكره داود. ثم خرج عند المساء ليرقد في مضجعه إلى جوار رجال سيده، ولم يتوجه إلى بيته أيضا.

David and Bathsheba

11 In the spring, at the time when kings go off to war, David sent Joab out with the king's men and the whole Israelite army. They destroyed the Ammonites and besieged Rabbah. But David remained in Jerusalem.

[2]One evening David got up from his bed and walked around on the roof of the palace. From the roof he saw a woman bathing. The woman was very beautiful, [3]and David sent someone to find out about her. The man said, "Isn't this Bathsheba, the daughter of Eliam and the wife of Uriah the Hittite?" [4]Then David sent messengers to get her. She came to him, and he slept with her. (She had purified herself from her uncleanness.) Then she went back home. [5]The woman conceived and sent word to David, saying, "I am pregnant."

[6]So David sent this word to Joab: "Send me Uriah the Hittite." And Joab sent him to David. [7]When Uriah came to him, David asked him how Joab was, how the soldiers were and how the war was going. [8]Then David said to Uriah, "Go down to your house and wash your feet." So Uriah left the palace, and a gift from the king was sent after him. [9]But Uriah slept at the entrance to the palace with all his master's servants and did not go down to his house. [10]When David was told, "Uriah did not go home," he asked him, "Haven't you just come from a distance? Why didn't you go home?"

[11]Uriah said to David, "The ark and Israel and Judah are staying in tents, and my master Joab and my lord's men are camped in the open fields. How could I go to my house to eat and drink and lie with my wife? As surely as you live, I will not do such a thing!"

[12]Then David said to him, "Stay here one more day, and tomorrow I will send you back." So Uriah remained in Jerusalem that day and the next. [13]At David's invitation, he ate and drank with him, and David made him drunk. But in the evening Uriah went out to sleep on his mat among his master's servants; he did not go home.

مقتل أوريا

[14]وفي الصباح كتب داود رسالة إلى يوآب، بعث بها مع

The Murder of Uriah

[14]In the morning David wrote a letter to Joab and

sent it with Uriah. [15]In it he wrote, "Put Uriah in the front line where the fighting is fiercest. Then withdraw from him so he will be struck down and die." [16]So while Joab had the city under siege, he put Uriah at a place where he knew the strongest defenders were. [17]When the men of the city came out and fought against Joab, some of the men in David's army fell; moreover, Uriah the Hittite died. [18]Joab sent David a full account of the battle. [19]He instructed the messenger: "When you have finished giving the king this account of the battle, [20]the king's anger may flare up, and he may ask you, 'Why did you get so close to the city to fight? Didn't you know they would shoot arrows from the wall? [21]Who killed Abimelech son of Jerub-Besheth? Didn't a woman throw an upper millstone on him from the wall, so that he died in Thebez? Why did you get so close to the wall?' If he asks you this, then say to him, 'Also, your servant Uriah the Hittite is dead.' "

أوريا. [١٥]جاء فيها: «اجعلوا أوريا في الخطوط الأولى حيث يشتد القتال الشرس، ثم تراجعوا من ورائه ليلقى حتفه». [١٦]فعين يوآب أوريا في أثناء محاصرة المدينة، في أشد جبهات القتال ضراوة، حيث احتشد أبطال الأعداء. [١٧]فاندفع رجال المدينة لمحاربة يوآب فمات بعض رجال داود ومنهم أوريا الحثي. [١٨]فبعث يوآب رسولا ليطلع داود على أنباء الحرب. [١٩]وأوصاه قائلا: «إن رأيت أن الملك بعد إبلاغه أنباء الحرب [٢٠]قد ثار غضبه وقال لك: لماذا اقتربتم من سور المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يرمون بالسهام من فوق السور؟ [٢١]من صرع أبيمالك بن يربوشث؟ ألم ترمه امرأة بحجر رحى من على السور فمات في تاباص؟ لماذا اقتربتم من السور؟ فقل له: قد مات عبدك أوريا الحثي أيضا».

David Learns of Uriah's Death

[22]The messenger set out, and when he arrived he told David everything Joab had sent him to say. [23]The messenger said to David, "The men overpowered us and came out against us in the open, but we drove them back to the entrance to the city gate. [24]Then the archers shot arrows at your servants from the wall, and some of the king's men died. Moreover, your servant Uriah the Hittite is dead." [25]David told the messenger, "Say this to Joab: 'Don't let this upset you; the sword devours one as well as another. Press the attack against the city and destroy it.' Say this to encourage Joab."

تبليغ داود بمقتل أوريا

[٢٢]فانطلق الرسول إلى داود وأطلعه على أخبار أنباء الحرب التي كلفه بها يوآب. [٢٣]وقال: «لقد قوي علينا القوم وخرجوا لقتالنا في العراء، ولكننا انقضضنا عليهم وطاردناهم حتى بوابة المدينة. [٢٤]فرمى الرماة على عبيدك بالسهام، فقتل بعض ضباط الملك، ومات عبدك أوريا الحثي». [٢٥]فقال داود للرسول: «هذا ما تخبر به يوآب: لا يسوءنك هذا الأمر، فإن السيف يلتهم هذا وذاك. شدد حصارك على المدينة ودمرها. قل هذا لتشجيع يوآب».

David Marries Bathsheba

[26]When Uriah's wife heard that her husband was dead, she mourned for him. [27]After the time of mourning was over, David had her brought to his house, and she became his wife and bore him a son. But the thing David had done displeased the LORD.

زواج داود من بثشبع

[٢٦]وعندما علمت زوجة أوريا أن زوجها قد قتل ناحت عليه. [٢٧]وحين انقضت فترة الحداد، أرسل داود وأحضرها إلى القصر وتزوجها وولدت ابنا ولكن الرب استاء من هذا الأمر الذي ارتكبه داود.

Nathan Rebukes David

12 The LORD sent Nathan to David. When he came to him, he said, "There were two men in a certain town, one rich and the other poor. [2]The rich man had a very large number of sheep and

مثل ناثان النبي

١٢ وأرسل الرب ناثان إلى داود. وعندما وفد عليه قال له: «عاش رجلان في مدينة واحدة، أحدهما ثري والآخر فقير. [٢]وكان الغني يمتلك قطعان بقر وغنم

cattle, [3]but the poor man had nothing except one little ewe lamb he had bought. He raised it, and it grew up with him and his children. It shared his food, drank from his cup and even slept in his arms. It was like a daughter to him. [4]"Now a traveler came to the rich man, but the rich man refrained from taking one of his own sheep or cattle to prepare a meal for the traveler who had come to him. Instead, he took the ewe lamb that belonged to the poor man and prepared it for the one who had come to him." [5]David burned with anger against the man and said to Nathan, "As surely as the LORD lives, the man who did this deserves to die! [6]He must pay for that lamb four times over, because he did such a thing and had no pity."

كثيرة، [3]وأما الفقير فلم يكن له سوى نعجة واحدة صغيرة، اشتراها ورعاها فكبرت معه ومع أبنائه، تأكل مما يأكل وتشرب من كأسه وتنام في حضنه كأنها ابنته. [4]ثم نزل ضيف على الرجل الغني، فامتنع أن يذبح من غنمه ومن بقره ليعد طعاماً لضيفه، بل سطا على نعجة الفقير وهيأها له». [5]عندئذ احتدم غضب داود على الرجل الغني وقال لناثان: «حي هو الرب، إن الجاني يستوجب الموت. [6]وعليه أن يرد للرجل الفقير أربعة أضعاف لأنه ارتكب هذا الذنب ولم يشفق».

David Repents

[7]Then Nathan said to David, "You are the man! This is what the LORD, the God of Israel, says: 'I anointed you king over Israel, and I delivered you from the hand of Saul. [8]I gave your master's house to you, and your master's wives into your arms. I gave you the house of Israel and Judah. And if all this had been too little, I would have given you even more. [9]Why did you despise the word of the LORD by doing what is evil in his eyes? You struck down Uriah the Hittite with the sword and took his wife to be your own. You killed him with the sword of the Ammonites. [10]Now, therefore, the sword will never depart from your house, because you despised me and took the wife of Uriah the Hittite to be your own.'

[11]"This is what the LORD says: 'Out of your own household I am going to bring calamity upon you. Before your very eyes I will take your wives and give them to one who is close to you, and he will lie with your wives in broad daylight. [12]You did it in secret, but I will do this thing in broad daylight before all Israel.' " [13]Then David said to Nathan, "I have sinned against the LORD." Nathan replied, "The LORD has taken away your sin. You are not going to die. [14]But because by doing this you have made the enemies of the LORD show utter contempt, the son born to you will die."

توبة داود

[7]فقال ناثان لداود: «أنت هو الرجل! وهذا ما يقوله الرب إله إسرائيل: لقد اخترتك لتكون ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من قبضة شاول، [8]ووهبتك بيت سيدك وزوجاته، ووليتك على بني إسرائيل ويهوذا. ولو كان ذلك قليلاً لوهبتك المزيد. [9]فلماذا احتقرت كلام الرب لتقترف الشر أمامه؟ قتلت أوريا الحثي بسيف العمونيين وتزوجت امرأته. [10]لذلك لن يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني واغتصبت امرأة أوريا الحثي». [11]واستطرد: «هذا ما يقوله الرب: سأثير عليك من أهل بيتك من ينزل بك البلايا، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضاجعهن في وضح النهار. [12]أنت ارتكبت خطيئتك في السر، وأنا أفعل هذا الأمر على مرأى جميع بني إسرائيل وفي وضح النهار». [13]فقال داود لناثان: «قد أخطأت إلى الرب». فقال ناثان: «والرب قد نقل عنك خطيئتك، فلن تموت. [14]ولكن لأنك جعلت أعداء الرب يشمتون من جراء هذا الأمر، فإن الابن المولود لك يموت».

The Death of David's Child

[15]After Nathan had gone home, the LORD struck the child that Uriah's wife had borne to David, and he became ill. [16]David pleaded with God for the

موت الطفل

[15]وانصرف ناثان إلى بيته. وما لبث أن أصاب الرب الطفل الذي أنجبته أرملة أوريا الحثي لداود بمرض. [16]فابتهل داود

child. He fasted and went into his house and spent the nights lying on the ground. [17]The elders of his household stood beside him to get him up from the ground, but he refused, and he would not eat any food with them. [18]On the seventh day the child died. David's servants were afraid to tell him that the child was dead, for they thought, "While the child was still living, we spoke to David but he would not listen to us. How can we tell him the child is dead? He may do something desperate."
[19]David noticed that his servants were whispering among themselves and he realized the child was dead. "Is the child dead?" he asked. "Yes," they replied, "he is dead." [20]Then David got up from the ground. After he had washed, put on lotions and changed his clothes, he went into the house of the LORD and worshiped. Then he went to his own house, and at his request they served him food, and he ate. [21]His servants asked him, "Why are you acting this way? While the child was alive, you fasted and wept, but now that the child is dead, you get up and eat!" [22]He answered, "While the child was still alive, I fasted and wept. I thought, 'Who knows? The LORD may be gracious to me and let the child live.' [23]But now that he is dead, why should I fast? Can I bring him back again? I will go to him, but he will not return to me."

إلى الله من أجله، وأطال الصيام واعتصم بمخدعه وافترش الأرض. [١٧]فراح وجهاء أهل بيته يحاولون إقناعه لينهض عن الأرض، فأبى ولم يأكل معهم طعاماً. [١٨]غير أن الطفل مات في اليوم السابع. فخاف رجال حاشية داود أن يخبروه، وقالوا: «عندما كان الولد حياً وحاولنا تعزيته لم يصغ إلينا. فكيف نقول له إن الولد مات؟ قد يؤذي نفسه». [١٩]وإذ شاهد داود رجال حاشيته يتهامسون، أدرك أن الولد قد مات، فسألهم: «هل توفي الولد؟» فأجابوا: «نعم». [٢٠]عندئذ نهض داود عن الأرض واغتسل وتطيب وبدل ثيابه ودخل إلى بيت الرب وصلى ساجداً، ثم عاد إلى قصره وطلب طعاماً فأكل. [٢١]فسأله رجال حاشيته: «كيف تتصرف هكذا؟ عندما كان الصبي حياً صمت وبكيت، ولكن ما إن مات حتى قمت وتناولت طعاماً؟» [٢٢]فأجاب: «حين كان الطفل حياً صمت وبكيت لأني حدثت نفسي: من يعلم؟ ربما يرحمني الرب ويحيا الولد. [٢٣]أما الآن وقد مات، فلماذا أصوم؟ هل أستطيع أن أرده إلى الحياة؟ أنا ماض إليه، أما هو فلن يرجع إلي».

The Birth of Solomon

[24]Then David comforted his wife Bathsheba, and he went to her and lay with her. She gave birth to a son, and they named him Solomon. The LORD loved him; [25]and because the LORD loved him, he sent word through Nathan the prophet to name him Jedidiah.

مولد سليمان

[٢٤]ثم توجه داود إلى بثشبع وواساها وضاجعها، فولدت له ابناً دعاه سليمان. وأحب الرب الولد. [٢٥]وأمر النبي ناثان أن يسمى الولد يديديا (ومعناه محبوب الرب) لأن الرب أحبه.

Victory over Rabbah

[26]Meanwhile Joab fought against Rabbah of the Ammonites and captured the royal citadel. [27]Joab then sent messengers to David, saying, "I have fought against Rabbah and taken its water supply. [28]Now muster the rest of the troops and besiege the city and capture it. Otherwise I will take the city, and it will be named after me."
[29]So David mustered the entire army and went to Rabbah, and attacked and captured it. [30]He took the crown from the head of their king–its weight was a talent of gold, and it was set with precious stones–and it was placed on David's head. He took

الاستيلاء على ربة عمون

[٢٦]وهاجم يوآب ربة عمون واستولى على عاصمة المملكة. [٢٧]ثم بعث برسل إلى داود قائلاً: «لقد حاربت ربة واستوليت على مصادر مائها. [٢٨]فالآن احشد بقية الجيش وتعال هاجم المدينة وافتتحها، لئلا أفتحها أنا فيطلقون اسمي عليها». [٢٩]فحشد داود كل الجيش وانطلق إلى ربة وهاجمها وافتتحها. [٣٠]وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، ووزنه وزنة (نحو أربعة وثلاثين كيلو جراماً) من الذهب والأحجار الكريمة،

a great quantity of plunder from the city [31]and brought out the people who were there, consigning them to labor with saws and with iron picks and axes, and he made them work at brickmaking. He did this to all the Ammonite towns. Then David and his entire army returned to Jerusalem.

Amnon and Tamar

13 In the course of time, Amnon son of David fell in love with Tamar, the beautiful sister of Absalom son of David. [2]Amnon became frustrated to the point of illness on account of his sister Tamar, for she was a virgin, and it seemed impossible for him to do anything to her. [3]Now Amnon had a friend named Jonadab son of Shimeah, David's brother. Jonadab was a very shrewd man. [4]He asked Amnon, "Why do you, the king's son, look so haggard morning after morning? Won't you tell me?" Amnon said to him, "I'm in love with Tamar, my brother Absalom's sister." [5]"Go to bed and pretend to be ill," Jonadab said. "When your father comes to see you, say to him, 'I would like my sister Tamar to come and give me something to eat. Let her prepare the food in my sight so I may watch her and then eat it from her hand.' " [6]So Amnon lay down and pretended to be ill. When the king came to see him, Amnon said to him, "I would like my sister Tamar to come and make some special bread in my sight, so I may eat from her hand."

[7]David sent word to Tamar at the palace: "Go to the house of your brother Amnon and prepare some food for him." [8]So Tamar went to the house of her brother Amnon, who was lying down. She took some dough, kneaded it, made the bread in his sight and baked it. [9]Then she took the pan and served him the bread, but he refused to eat.

"Send everyone out of here," Amnon said. So everyone left him. [10]Then Amnon said to Tamar, "Bring the food here into my bedroom so I may eat from your hand." And Tamar took the bread she had prepared and brought it to her brother Amnon in his bedroom. [11]But when she took it to him to eat, he grabbed her and said, "Come to bed with me, my sister." [12]"Don't, my brother!" she said to him. "Don't force me. Such a thing should not be done in Israel! Don't do this wicked thing. [13]What about me? Where could I get rid of my disgrace? And what about you? You would be like one of the

وَتَتَوَّجَ بِهِ. كَمَا اسْتَوْلَى عَلَى غَنَائِمَ وَفِيرَةٍ. [31]وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَهَا وَفَرَضَ عَلَيْهِمِ الْعَمَلَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمَنَاشِيرِ وَالْفُؤُوسِ وَأَتُونِ الطُّوبِ. وَعَامَلَ جَمِيعَ أَهْلِ مُدُنِ الْعَمُّونِيِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ. ثُمَّ عَادَ دَاوُدُ وَسَائِرُ جَيْشِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

أمنون يغتصب ثامار أخت أبشالوم

١٣ وَكَانَ لأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ تُدْعَى ثَامَارَ، فَأَحَبَّهَا أَخُوهَا غَيْرُ الشَّقِيقِ أَمْنُونُ. [2]وَعَانَى أَمْنُونُ مِنْ سُقْمِ الْحُبِّ، لأَنَّ ثَامَارَ أُخْتَهُ كَانَتْ عَذْرَاءَ وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ تَحْقِيقُ مَأْرَبِهِ مِنْهَا. [3]وَكَانَ لأَمْنُونَ صَدِيقٌ رَاجِحُ الْعَقْلِ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى، [4]فَسَأَلَهُ: «مَالِي أَرَاكَ سَقِيماً يَا ابْنَ الْمَلِكِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ؟ أَلا تُخْبِرُنِي؟». فَأَجَابَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ ثَامَارَ أُخْتَ أَبْشَالُومَ أَخِي». [5]فَقَالَ يُونَادَابُ: «تَمَارَضْ فِي سَرِيرِكَ. وَعِنْدَمَا يَجِيءُ أَبُوكَ لِيَزُورَكَ قُلْ لَهُ: دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي تَأْتِي لِتُطْعِمَنِي. دَعْهَا تُعِدُّ الطَّعَامَ أَمَامِي فَأَرَى مَا تَفْعَلُ وَآكُلُ مِنْ يَدِهَا». [6]فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارَضَ، وَقَالَ لأَبِيهِ عِنْدَمَا جَاءَ لِيَزُورَهُ: «دَعْ ثَامَارَ تَأْتِي لِتَصْنَعَ أَمَامِي كَعْكَتَيْنِ، فَآكُلَ مِنْ يَدِهَا». [7]فَأَرْسَلَ دَاوُدُ مَنْ يَدْعُو ثَامَارَ مِنْ بَيْتِهَا قَائِلاً: «اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَخِيكِ أَمْنُونَ وَاصْنَعِي لَهُ طَعَاماً». [8]فَمَضَتْ ثَامَارُ إِلَى بَيْتِ أَخِيهَا أَمْنُونَ الرَّاقِدِ فِي سَرِيرِهِ، فَعَجَنَتْ أَمَامَهُ الْعَجِينَ وَصَنَعَتْ كَعْكاً وَخَبَزَتْهُ. [9]ثُمَّ أَخَذَتِ الْمِقْلاةَ وَسَكَبَتِ الطَّعَامَ أَمَامَهُ. لَكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَأْكُلَ قَائِلاً: «أَخْرِجُوا كُلَّ مَنْ هُنَا». فَانْصَرَفَ جَمِيعُ مَنْ عِنْدَهُ. [10]ثُمَّ قَالَ أَمْنُونُ لِثَامَارَ: «أَحْضِرِي الطَّعَامَ إِلَى السَّرِيرِ وَأَطْعِمِينِي». فَأَحْضَرَتْ ثَامَارُ الْكَعْكَ الَّذِي صَنَعَتْهُ إِلَى أَمْنُونَ أَخِيهَا الرَّاقِدِ فِي سَرِيرِهِ. [11]وَمَا إِنْ قَدَّمَتْهُ لَهُ حَتَّى أَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالَيِ اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». [12]فَأَجَابَتْهُ: «لا يَا أَخِي. لا تُذِلَّنِي. لأَنَّهُ لا يُقْتَرَفُ مِثْلُ هَذَا الْعَمَلِ الشَّنِيعِ فِي إِسْرَائِيلَ. أَرْجُوكَ لا تَرْتَكِبْ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ. [13]إِذْ كَيْفَ أُوَارِي عَارِي؟ أَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ بِتَصَرُّفِكَ هَذَا كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ. خَاطِبِ الْمَلِكَ بِشَأْنِي فَإِنَّهُ لَنْ

يَمْنَعَنِي مِنَ ٱلزَّوَاجِ مِنْكَ». [14] فَأَبَى أَنْ يَسْتَمِعَ لِتَوَسُّلَاتِهَا، بَلْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَٱغْتَصَبَهَا. [15] ثُمَّ تَحَوَّلَ حُبُّ أَمْنُونَ لِثَامَارَ إِلَى بُغْضٍ شَدِيدٍ فَاقَ مَحَبَّتَهُ لَهَا. وَقَالَ لَهَا: «قُومِي ٱنْطَلِقِي». [16] فَأَجَابَتْ: «لَا! إِنَّ طَرْدَكَ إِيَّايَ جَرِيمَةٌ أَشْنَعُ مِنَ ٱلْجَرِيمَةِ ٱلَّتِي ٱقْتَرَفْتَهَا». لَكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَسْمَعَ لَهَا. [17] وَٱسْتَدْعَى خَادِمَهُ ٱلْخَاصَّ وَقَالَ: «ٱطْرُدْ هَذِهِ ٱلْمَرْأَةَ خَارِجاً، وَأَغْلِقِ ٱلْبَابَ وَرَاءَهَا».

اغتيال أمنون

[18] فَطَرَدَهَا ٱلْخَادِمُ وَأَغْلَقَ ٱلْبَابَ خَلْفَهَا. وَكَانَتْ ثَامَارُ تَرْتَدِي ثَوْباً مُلَوَّناً كَعَادَةِ بَنَاتِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْعَذَارَى فِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ. [19] فَمَزَّقَتِ ٱلثَّوْبَ ٱلْمُلَوَّنَ وَعَفَّرَتْ رَأْسَهَا بِٱلرَّمَادِ وَوَضَعَتْ عَلَيْهِ يَدَهَا وَمَضَتْ بَاكِيَةً. [20] وَعِنْدَمَا رَآهَا أَخُوهَا أَبْشَالُومُ سَأَلَهَا: «هَلِ ٱغْتَصَبَكِ أَمْنُونُ؟ ٱسْكُتِي ٱلْآنَ يَا أُخْتِي، فَإِنَّهُ أَخُوكِ وَلَا تَحْمِلِي وِزْرَ هَذَا ٱلْأَمْرِ فِي قَلْبِكِ». فَأَقَامَتْ ثَامَارُ فِي بَيْتِ أَخِيهَا أَبْشَالُومَ فِي عُزْلَةٍ وَحُزْنٍ. [21] وَنَمَا ٱلْخَبَرُ إِلَى ٱلْمَلِكِ دَاوُدَ فَٱغْتَاظَ جِدّاً. [22] أَمَّا أَبْشَالُومُ فَلَمْ يُخَاطِبْ أَمْنُونَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَكِنَّهُ أَضْمَرَ لَهُ بُغْضاً شَدِيداً لِأَنَّهُ ٱنْتَهَكَ حُرْمَةَ أُخْتِهِ ثَامَارَ.

[23] وَبَعْدَ ذَلِكَ بِعَامَيْنِ، وَجَّهَ أَبْشَالُومُ دَعْوَةً لِجَمِيعِ أَبْنَاءِ ٱلْمَلِكِ لِحُضُورِ جَزِّ غَنَمِهِ فِي بَعْلِ حَاصُورَ عِنْدَ أَفْرَايِمَ. [24] وَعِنْدَمَا مَثَلَ أَبْشَالُومُ فِي حَضْرَةِ أَبِيهِ قَالَ لَهُ: «هَذَا مَوْسِمُ جَزِّ غَنَمِ عَبْدِكَ، فَلْيَذْهَبِ ٱلْمَلِكُ مَعَ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ بِرِفْقَةِ عَبْدِهِ». [25] فَأَجَابَ ٱلْمَلِكُ أَبْشَالُومَ: «لَا يَا ٱبْنِي. لَا نَذْهَبُ كُلُّنَا لِئَلَّا نَكُونَ عِبْئاً عَلَيْكَ». وَرَغْمَ إِلْحَاحِ أَبْشَالُومَ، ٱعْتَذَرَ أَبُوهُ وَبَارَكَهُ. [26] فَقَالَ أَبْشَالُومُ: «إِذاً دَعْ أَخِي أَمْنُونَ يَذْهَبُ مَعَنَا». فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: «وَلِمَاذَا يَذْهَبُ أَمْنُونُ مَعَكَ؟». [27] فَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَبْشَالُومُ حَتَّى رَضِيَ أَنْ يَذْهَبَ أَمْنُونُ وَأَبْنَاءُ ٱلْمَلِكِ مَعَ أَبْشَالُومَ.

[28] وَأَوْصَى أَبْشَالُومُ رِجَالَهُ: «مَتَى لَعِبَتِ ٱلْخَمْرُ بِعَقْلِ أَمْنُونَ وَقُلْتُ لَكُمُ ٱضْرِبُوا أَمْنُونَ وَٱقْتُلُوهُ، فَلَا تَخَافُوا. أَلَسْتُ أَنَا ٱلَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِذَلِكَ؟ تَشَجَّعُوا وَتَصَرَّفُوا كَأَبْطَالٍ». [29] فَنَفَّذَ رِجَالُ أَبْشَالُومَ أَوَامِرَهُ وَقَتَلُوا أَمْنُونَ. فَهَبَّ جَمِيعُ أَبْنَاءِ ٱلْمَلِكِ

wicked fools in Israel. Please speak to the king; he will not keep me from being married to you." [14]But he refused to listen to her, and since he was stronger than she, he raped her.

[15]Then Amnon hated her with intense hatred. In fact, he hated her more than he had loved her. Amnon said to her, "Get up and get out!"

[16]"No!" she said to him. "Sending me away would be a greater wrong than what you have already done to me." But he refused to listen to her. [17]He called his personal servant and said, "Get this woman out of here and bolt the door after her."

Absalom Kills Amnon

[18]So his servant put her out and bolted the door after her. She was wearing a richly ornamented robe, for this was the kind of garment the virgin daughters of the king wore. [19]Tamar put ashes on her head and tore the ornamented robe she was wearing. She put her hand on her head and went away, weeping aloud as she went. [20]Her brother Absalom said to her, "Has that Amnon, your brother, been with you? Be quiet now, my sister; he is your brother. Don't take this thing to heart." And Tamar lived in her brother Absalom's house, a desolate woman. [21]When King David heard all this, he was furious. [22]Absalom never said a word to Amnon, either good or bad; he hated Amnon because he had disgraced his sister Tamar.

[23]Two years later, when Absalom's sheepshearers were at Baal Hazor near the border of Ephraim, he invited all the king's sons to come there. [24]Absalom went to the king and said, "Your servant has had shearers come. Will the king and his officials please join me?" [25]"No, my son," the king replied. "All of us should not go; we would only be a burden to you." Although Absalom urged him, he still refused to go, but gave him his blessing. [26]Then Absalom said, "If not, please let my brother Amnon come with us." The king asked him, "Why should he go with you?" [27]But Absalom urged him, so he sent with him Amnon and the rest of the king's sons.

[28]Absalom ordered his men, "Listen! When Amnon is in high spirits from drinking wine and I say to you, 'Strike Amnon down,' then kill him. Don't be afraid. Have not I given you this order? Be strong and brave." [29]So Absalom's men did to Amnon what Absalom had ordered. Then all the

Absalom Returns to Jerusalem

14 Joab son of Zeruiah knew that the king's heart longed for Absalom. [2]So Joab sent someone to Tekoa and had a wise woman brought from there. He said to her, "Pretend you are in mourning. Dress in mourning clothes, and don't use any cosmetic lotions. Act like a woman who has spent many days grieving for the dead. [3]Then go to the king and speak these words to him." And Joab put the words in her mouth.

[4]When the woman from Tekoa went to the king, she fell with her face to the ground to pay him honor, and she said, "Help me, O king!" [5]The king asked her, "What is troubling you?" She said, "I am indeed a widow; my husband is dead. [6]I your servant had two sons. They got into a fight with

يوآب يتوسط لإعادة أبشالوم

١٤ وَعَلِمَ يُوآبُ بْنُ صُرُويَةَ أَنَّ قَلْبَ ٱلْمَلِكِ مُتَشَوِّقٌ لِأَبْشَالُومَ. [٢]فَٱسْتَدْعَى يُوآبُ مِنْ تَقُوعَ ٱمْرَأَةً حَكِيمَةً وَقَالَ لَهَا: «تَظَاهَرِي بِٱلْحُزْنِ، وَٱرْتَدِي ثِيَابَ ٱلْحِدَادِ، وَلَا تَتَطَيَّبِي، وَتَصَرَّفِي كَٱمْرَأَةٍ قَضَتْ أَيَّامًا طَوِيلَةً غَارِقَةً فِي أَحْزَانِهَا عَلَى فَقِيدٍ. [٣]وَٱدْخُلِي لِمُقَابَلَةِ ٱلْمَلِكِ، وَكَلِّمِيهِ بِمَا أُسِرُّهُ إِلَيْكِ». وَلَقَّنَهَا يُوآبُ مَا تَقُولُ.

[٤]وَمَثَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلتَّقُوعِيَّةُ أَمَامَ ٱلْمَلِكِ، وَخَرَّتْ عَلَى وَجْهِهَا إِلَى ٱلْأَرْضِ وَسَجَدَتْ قَائِلَةً: «أَغِثْنِي أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ». [٥]فَسَأَلَهَا ٱلْمَلِكُ: «مَا شَأْنُكِ؟» فَأَجَابَتْ: «أَنَا أَرْمَلَةٌ، مَاتَ رَجُلِي [٦]وَكَانَ لِي ٱبْنَانِ، فَتَخَاصَمَا فِي ٱلْحَقْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ

تاسع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لواقعة «أصحاب السبت»

62 ـ ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47].

جاء ذكر «**أصحاب السبت**» في خمس من سور القرآن الكريم على النّحو التالي:

1 ـ في سورة البقرة يأتي خطاب الله ـ تعالى ـ إلى بني إسرائيل مذكراً بعذاب الخارجين منهم على شرع الله ﷻ فيقول لهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: 65، 66].

2 ـ وجاء في سورة «النساء» قول ـ ربّنا تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: 47].

3 ـ وقال ـ عزَّ من قائل ـ في نفس السورة: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: 154].

4 ـ وجاء في سورة «المائدة» قول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

5 ـ وجاء في سورة «الأعراف» خطاب موجَّه من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يأمره فيه أن يسأل غلاة اليهود في زمانه عن حادثة وقعت لأسلافهم، وحرصوا على إخفائها والتستر عليها، لما فيها من إهانة لهم، وقد بيّنها

الله القادر لسيّدنا محمَّد ـ صلوات ربّي وسلامه عليه ـ حتى تكون شهادة له بالنبوّة على الذين أنكروها من هؤلاء الغلاة فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 163 ـ 166].

6 ـ وجاء في سورة «النحل» قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل: 124].

وفي تفسير هذه الآيات قال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ أهل هذه القرية هم أهل «**آيلة**»؛ وهي مرفأ على خليج العقبة قام على قرية قديمة من قرى «**الأدوميين**» كانت تحمل هذا الاسم، ثم سُميت باسم «**أُم الرشراش**» في ظل الحكم المصري. وهي أرض مصريّة صميمة، ولكن تغير اسمها مؤخراً إلى «**إيلات**» تحت الاحتلال الصهيوني الذي ندعو الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على تطهير الأرض من دنسه قريباً إن شاء الله، وحينئذ يعود اسم «أُم الرشراش» لها من جديد.

وكان عبد الله ونبيه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد وصل إلى تلك القرية التي ورد ذكرها مرّات في سيرته كما جاء في عدد من أسفار «العهد القديم» (التثنية: 2/ 8، الملوك الثاني: 9/ 26، أخبار الأيّام الثاني: 8/ 17، حزقيال: 8/ 22).

وأهل قرية «**آيلة**» كانوا يتحايلون على اصطياد الأسماك من البحر في يوم السبت الذي كانوا يعظّمونه بعدم العمل فيه. ومن أجل تحقيق ذلك كانوا يحفرون الحفر العميقة على طول الشاطئ، ويجعلون لها قنوات ضحلة إلى البحر. فإذا جاء

يوم السبت فتحوا تلك القنوات على البحر، فأقبل الموج بالأسماك ليلقي بها في عمق الحفر، فلا تستطيع الأسماك العودة إلى البحر مرّة أخرى لقلّة الماء في القنوات الموصلة إليه، فتبقى في الحفر حتى يأتوا لجمعها في يوم الأحد. فقام المؤمنون من بين أهل ««**آيلة**» بنصح المنافقين من بينهم بالتوقف عن تلك المخادعات الظاهريّة لأنّهم بعملهم هذا كانوا كأنهم يصطادون فعلاً في يوم السبت، وحذّروهم من نزول عقاب الله ـ تعالى ـ بهم إن لم يرتدوا عن غيّهم. ولكن المنافقين، الشرهين، الطامعين، من يهود «**آيلة**» لم يستمعوا إلى النصيحة، فأبى المؤمنون أن يساكنوهم في قرية واحدة. وكانت القرية محاطة بسور، فقام المؤمنون بقسمة القرية بجدار وسطي، وفتحوا لهم باباً في سور القرية، وأصبح للمعتدين في السبت بابهم الخاص بهم. وذات يوم خرج المؤمنون من بابهم، ولم يفتح الكافرون بابهم، فلمّا طال عدم خروج الكافرين تسوروا عليهم الحائط الفاصل بينهم، **فإذا بالمعتدين في السبت قد مسخوا قردة وخنازير، وبقيت قصّتهم عبرة لمن لا يعتبر.**

وانطلاقاً من رواية القرآن الكريم لهذه الواقعة الموغلة في القدم، فإن ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ يأمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ الذي فيه تصديق لكلّ ما سبق نزوله من أمر الدين انطلاقاً من وحدة رسالة السماء. وتتهددهم الآيات إن لم يستجيبوا لأوامر الله، ولأوامر رسوله أن يطمس الله وجوههم، فلا يبقى لهم سمعاً، ولا بصراً، ولا شمّا، أو أن يلعنهم كما لعن الذين اعتدوا في يوم السبت بالتحايل على اصطياد السمك فيه، وقد مسخوا قردة وخنازير.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي ممّا مسخ الله؟ فقال: «**إنّ الله لم يهلك قوماً ـ أو قال لم يمسخ قوماً ـ فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإنّ القردة والخنازير كانت قبل ذلك**»[1]. وعنه أنّه قال: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «**لا، إنّ الله لم**

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر، حديث رقم (6714).

يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلمَّا غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم»[1].

ويأمر الله تعالى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأن يسأل اليهود الذين كانوا بحضرته عن قصّة الذين خالفوا أمر الله، ففاجأتهم نقمته على سوء صنيعهم بالاحتيال على صيد السمك في يوم السبت وكانوا قد حرَّموا على أنفسهم العمل فيه.

قال محمَّد بن إسحٰق عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: «ابتدعوا السبت، فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل. فإذا جاء السبت جاءت شرعاً، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إنَّ رجلاً منهم أخذ حوتاً فخرم أنفه ثم ضرب له وتداً في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلمّا كان الغد أخذه فشواه فأكله، وفعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاه منهم أحد إلَّا عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق ففعل علانيّة. . .» وأضاف ابن عبَّاس قوله: «كانوا أثلاثاً، ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: 164]. وثلث كانوا أصحاب الخطيئة. . .»[2].

وكان الله ـ تعالى ـ قد شرع لبني إسرائيل يوم الجمعة للعبادة على لسان نبيّه موسى عليه السلام، فعدلوا عنه واختاروا السبت، فألزمهم الله ـ تعالى ـ به في شريعة التوراة، وأمرهم أن يتمسّكوا بما اختاروا، وأن يحافظوا عليه، ولذلك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل: 124].

ومن معاني اختلفوا فيه هنا: اتبعوه وتركوا الجمعة، كما قال مجاهد رحمه الله، لأنّه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نحن الآخرون**

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (4078).

(2) ذكره البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (20690).

السابقون يوم القيامة، بيد أنَّهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً، والنصارى بعد غد»(1).

واليهود توارثوا قصّة المسخ هذه ولكنهم أزالوها من كتبهم تماماً لما فيها من تحقير وامتهان لهم. ولكن شاء الله أن يبقى فيما بين أيديهم من كتابات ما يدمغهم بها. ففي الشريعة اليهوديّة إلى اليوم جدل حول إمكانيّة السماح بنشر مصائد لكل من الوحوش البريّة والطيور المهاجرة والأسماك أم لا؟ ويرى «بت شماي» (Beth Shammai) إمكانيّة ذلك في وضح النهار، بينما يرى «بت هلل» (Beth Hillel) جواز ذلك ليلاً ونهاراً. وهلل هذا كان يشغل منصب رئيس محكمة العدل اليهوديّة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام مباشرة. وكان يقول إنَّ وضع الشِّباك قبل يوم السبت لاصطياد الأسماك لا حرمة فيه، لأنَّ واضعها لم يعمل في يوم السبت (مشنا السبت 17 ـ ب = Mishnah of shabbath 17b). والمشنا هي الجزء الأوَّل من التلمود (Talmud)، وتمثل مجموعة التقاليد الشفهية أو النصّ المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي. وتُلحق الفقرات القصيرة من «المشنا» بشروح مستفيضة جدًّا، وتكون هذه الشروح مجتمعة ما يسمى باسم «الجمارا» (Gemara)، وهي شروح المشنا وتمثل الجزء الثاني من «التلمود» أي مجموع المأثورات الشفوية اليهوديّة الدينيّة والمدنيّة. والتلمود كتاب موضوع، لا علاقة له بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام. وكانت الطائفة اليهوديّة الوحيدة التي حرمت نشر شباك الصيد للسمك وغيره قبل يوم السبت، ثم أخذه في اليوم التالي هي طائفة **القرَّائين**.

من هذا العرض تتَّضح ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصَّة «أصحاب السبت» التي كان اليهود قد أخفوها من الكتب التي ظلت متداولة بين أيديهم، وجاء كتاب الله ـ تعالى ـ يثبتها عليهم من جديد.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، حديث رقم (876).

63 ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

من الدلالات الإنبائيّة والتاريخيّة والعلميّة للآية الكريمة:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ...﴾ [المائدة: 60]:

جاءت الإشارة إلى مسخ العصاة من بني إسرائيل إلى قردة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم يقول فيها الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: 65].

2 ـ ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: 60].

3 ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 166].

والقردة (Monkeys) من الثدييات المشيمية التي تنسب إلى رتبة الرئيسيات (Order Primates)، وتعيش القردة عادة متسلّقة على الأشجار، وإن كان بعضها يحيا على الأرض. وتتميّز القردة بكبر نسبي لحجم الجمجمة، وبتسطح الوجه، وبأقدامها ذات الأصابع الطويلة، وبالقدرة على التسلّق بالتشبّث بالأطراف. كما تمتاز هذه المجموعة من الحيوانات بزوج من الأعين القويّة الإبصار والموجودة في مقدّمة الرأس. وأبسط الرئيسيّات تركيباً وجدت بقاياها في صخور عهد «الباليوسين» أو الفجر القديم للحياة الحديثة (Paleocene Period) ـ منذ نحو ستين مليون سنة مضت ـ وتعرف باسم البروسيمات (Porsimii)، وهي حيوانات صغيرة الحجم تشبه القردة إلّا في استطالة وجهها. ثم وجدت بقايا الكوبلديات (Tarsiers) في عهد

«الأيوسين» أو فجر الحياة الحديثة (Eocene Period) ـ منذ نحو خمسين مليون سنة مضت ـ ثم فصيلة الليموريات (Lemurs)، ثم فصيلة زبابات الشجر (Tree Shrews)، ثم فصيلة «السعادين» أو قردة العالم القديم (Old World Monkeys)، وفصيلة «القردة مسترخية الذنب» أو قردة العالم الجديد (The New World Monkeys)، التي تتميّز بصغر حجمها وطول ذنبها؛ وفصيلة «القردة الكبيرة الحجم» (Apes)، [ومنها الجبون (Gibbon)، والشامبانزي (Chimpanzee)، والغوريللا (Gorilla) والأورانج أوتان (Orangutan)]، وتتميّز بكبر الحجم، وقصر الذنب.

والقردة تسير عادة على أربعة أرجل، ولكن البعض منها يستطيع أحياناً السير بشكل شبه معتدل على رجلين فقط، ممَّا يعطي الطرفين الأماميين شيئاً من الحريّة في الحركة في أثناء التسلّق على الأشجار، وفي التقاط الطعام وتناوله. والقردة من الرئيسيّات آكلة الأعشاب واللّحوم (Omnivorous Primates)؛ وتحيا غالباً فوق الأشجار في المناطق الاستوائيّة وشبه الاستوائيّة. وهي حيوانات تتمتّع بقدر من الذكاء، وبقدرة على التعلّم؛ ولكن القرد حيوان حادّ المزاج، يتّسم بالأنانيّة الشديدة، وبالخيانة والغدر، والميل إلى الاستغلال، وحب التملّق، وعدم الوفاء، وحبّ الرشوة واستمرائها. **ولذلك كان المسخ من مرحلة الإنسانيّة إلى مرحلة القردة يعتبر امتهاناً وإذلالاً للعصاة من بني إسرائيل، وعقاباً من الله ـ تعالى ـ لهم**. ولكن هؤلاء العصاة الذين مسخوا، لم يطل بهم العيش ولم ينسلوا، كما سبق وأن ذكرنا، فقد روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: «**لم يعش مسخ من الخلق فوق ثلاثة أيّام أبداً، ولم يأكل، ولم يشرب ولم ينسل**»[1]. ويروي الإمام أحمد عن أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أنَّه قال: «**سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ قال: «لا، فإنَّ الله عز وجل لم يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلمَّا غضب**

(1) تهذيب الآثار للطبري رقم (448).

الله ﷻ **على اليهود مسخهم فجعلهم مثلهم**»[1].

ويروي الإمام مسلم عن سفيان الثوري عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي ممَّا مسخ الله؟ فقال: «**إنَّ الله لم يهلك قوماً ـ أو قال: لم يمسخ قوماً ـ فجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإنَّ القردة والخنازير كانت قبل ذلك**»[2]».

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿...وَٱلْخَنَازِيرَ...﴾ [المائدة: 60]:

وصف القرآن الكريم حيوان الخنزير بأنَّه رجس، وحَرَّم الله ـ تعالى ـ أكله في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم: (البقرة: 173، المائدة: 3، الأنعام: 145، النحل: 115). وجاءت الإشارة إلى مسخ عصاة اليهود إلى كل من القردة والخنازير معاً في آية واحدة (المائدة: 60).

ولفظة (رجس) هي لفظة جامعة لكلّ معاني القذارة والقبح، والنجاسة، والإثم. والخنزير حيوان ضخم الجثّة، كتلي الشكل، كريه المنظر، مكتنز اللّحم والشحم، قصير الأرجل، طويل البوز، قوي الأنياب، له جلد سميك مغطّى بشعر خشن، وهو حيوان جشع، كسول، رمام، يأكل النبات والحيوان والقمامة والجيف، كما يأكل فضلاته وفضلات غيره من الحيوانات. وهذا من أسباب قيام الخنازير بدور كبير في نقل العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان الذي يربّيه أو الذي يأكل لحمه وشحمه، خاصة وأن كلاً من الخنزير والإنسان الذي يأكل لحمه وشحمه يصنَّف في مجموعة واحدة ـ حسب نظام الأكل ـ هي مجموعة «آكلي كل من الخضروات واللّحوم» (Omnivorous) وهذا مما يسهّل اكتمال دورة مسببات الأمراض بينهما.

والخنازير من الحيوانات الثديية السريّة (Placental Mammals) التي تلد

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

وترضّع صغارها، ولها حافر مشقوق يحمل عدداً زوجيًّا من الأصابع (أربعة أصابع)، ولذلك يضمّ في مجموعة من الثدييات المشيميّة تعرف باسم (**الحافريات زوجيّة الأصابع**)، وقد عمرت الأرض خلال الخمسين مليون سنة الماضية من بدايات عهد «الإيوسين» أو فجر الحياة الحديثة (The Eocene Period) إلى اليوم. ولكن الخنازير تفصل عن هذه المجموعة من الحيوانات بكونها رمامة، وغير مجترّة، وقذرة، وناقلة للعديد من الأمراض.

وتضم الخنازير عدداً من الأنواع البريّة والمستأنسة، والتي تجمع كلّها في فصيلة واحدة تعرف باسم «فصيلة الخنازير» (Family Suidae). ويسمى الذكر منها باسم «العفر» (Boar)، وتسمى الأُنثى باسم «الخنزيرة» (Sow) وهي من النوع الولود. والخنزير المخصي يعرف باسم «الحلوف» (Hog)، ويستعار اللّفظ في اللّغة الإنجليزيّة لوصف كل قذر، شره، أناني من البشر. وتستخدم لفظه (Swine) الإنجليزيّة للتعبير عن الخنزير بصفة عامة، سواء كان ذكراً أو أنثى، مخصياً أو غير مخصي، مستأنساً أو غير مستأنس. وتستعار هذه الكلمة كذلك لوصف كل إنسان حقير النفس، بخيل اليد، قذر المأكل والملبس، متصف بالخيانة، والجبن، والغدر، وبغير ذلك من أحقر الصفات. لذلك فإن هذه اللّفظة إذا أُطلقت على الأُنثى كان لها من الحقارة حظ وافر، بالإضافة إلى وصفها بالمرأة الساقطة المجرّدة من كل فضيلة. لذلك مُسِخَ العصاة من بني إسرائيل من مستوى الآدميّة المكرّمة إلى مستوى الخنازير القذرة المهانة. وكان ذلك عقاباً من الله ـ تعالى ـ لهم على فجرهم وانغماسهم في المعاصي إلى آذانهم، وحربهم المعلنة على كلّ ما هو غير يهودي (الأغيار، أو الأُمَمِيِّن، أو الأُمِّيين أوالجويم) وذلك بالمؤامرات، والخيانة، والغدر، والظلم، والقهر، والمذابح عبر تاريخهم الأسود الذي يشهد عليهم بذلك.

ومن أقوال رسول الله ﷺ في أحاديث المسخ لليهود قردة وخنازير تأكيد على وقوع ذلك، وإثبات لتوقف حياة الممسوخ وعدم إنساله، وفصل للممسوخين عن القردة والخنازير التي خلقت على هيئاتها الحيوانيّة، وهذا كله من المعجزات

العلمية في أحاديثه ﷺ، **لأنَّه لم يكن ممكناً لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده أن يعلم بأنَّ خلق كل من القردة والخنازير كان سابقاً لخلق الإنسان، ثم بدأت دراسات بقايا الحياة في صخور القشرة الأرضيّة تثبت ذلك بالتدريج خلال القرنين الماضيين.**

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: 60]:

والمقصود بالتعبير القرآني **(عبد الطاغوت)** أي عبيده وخدّامه. والطاغوت لغة هو كل مجاوز للحدّ، ومبالغ في العصيان للَّه ـ تعالى ـ وذلك من مثل من يقوم بعبادة الشيطان، أو الكاهن، أو عبادة كل رأس في الضلال (مفرداً كان أو جمعاً) والكلمة تجمع على **(طواغيت)**. وكل حكم لا يبنى على أساس من شريعة الله هو طاغوت (أي كفر). وسواء كان هذا الكفر في حقّ الله ـ تعالى ـ (بإنكار أُلوهيَّته، أو حاكميّته، أو وحدانيّته المطلقة فوق جميع خلقه)، أو كان في حقّ العباد (بالتآمر عليهم، أو الغدر بهم، أو خيانة أماناتهم، أو الاعتداء على حريّاتهم وحقوقهم، أو على دمائهم أو أعراضهم، أو أموالهم، أو ممتلكاتهم، أو مقدّساتهم أو أراضيهم)، فكل ذلك من صور الطاغوت الذي حرَّمه الله ـ تعالى ـ.

ويهود اليوم يمثّلون ركازة الكفر عبر التاريخ، ولذلك فإنهم يجسّدون عبادة الطاغوت في أقبح صورها. ويهود الماضي البعيد ما كانوا يتبعون أحد أنبيائهم لفترة من الفترات حتى يكفروا به، ويعودوا إلى الشرك باللَّه، وإلى عبادة الطاغوت. ولذلك فإن اليهود حاربوا كل نبيّ بعث إليهم، وحرَّفوا كل رسالة أُنزلت عليهم، ولذلك لعنهم القرآن الكريم، كما لعنهم من قبل كل من أنبياء الله موسى، وداود، وعيسى ابن مريم عليهم السلام. وركازة الكفر هذه من غلاة اليهود والمتهوِّدين اتَّخذت من محاربة قضية الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ غاية لها في الحياة الدنيا، وجعلت من تحريف الدين وسيلة من وسائل الاستعلاء في الأرض. كما جعلت من كل من الجريمة، والرذيلة، وسوء الاستغلال، حرفاً احترفوها عبر التاريخ،

فكرهتهم كل المجتمعات الإنسانيّة وأبغضتهم، ونبذتهم، واضطهدتهم، واعتبرتهم جنوداً للشيطان وعبدة للطاغوت في الأرض.

ولو لم ينزل في القرآن الكريم سوى هذه الآية لكانت كافية للشهادة له بأنَّه كلام الله الخالق. وذلك لأن عبادة الطاغوت كانت ولا تزال السبب الرئيس لإفساد الحياة على الأرض، وإشقاء أهلها جميعاً.

رابعاً: في قوله ـ تعالى ـ ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: 60].

في هذا النصّ القرآني الكريم يخبرنا ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ من قبل ألف وأربعمائة سنة عن طبيعة النفسية اليهوديّة المريضة، التي تكره كل ما هو غير يهودي، وتحقد عليه، وتسعى لتدميره بكل وسيلة ممكنة. وقد كان هذا هو ديدنهم عبر تاريخهم الأسود إلى اليوم، وسيبقون كذلك إلى قيام الساعة. وكمثال واحد على كراهية اليهود لغيرهم من البشر نذكر أنه في الفترة (من 12 يوليو إلى منتصف أغسطس 2006) أغارت الطائرات الإسرائيليّة القيادة (والأمريكيّة الصنع) في أسراب متلاحقة على مدار الساعة، ولمدّة تجاوزت ثلاثين يوماً لتضرب كل شيء في كلّ من قطاع غزّة، والضفّة الغربيّة، والأراضي اللبنانية بالصواريخ والقنابل الثقيلة، المنضَّبة منها وغير المنضَّبة، والفوسفورية، والعنقوديّة، والضوئيّة، الذكيّة منها والغبيّة، وغيرها من الأسلحة المحرّمة دوليًّا والتي زوّدتها بها الإدارة الأمريكيّة. وهذه الغارات الوحشية لم تدع شبراً من تلك الأرض دون تدمير، وحرائق، ومذابح بشريّة (بين المدنيين العزّل من الأطفال، والنساء، والشباب والشيوخ، وبين كل من الأصحّاء والمرضى، والعجزة، والأطباء والممرضين، وحتى بين كل من رجال ونساء الإعلام، وجنود وضباط هيئة الأُمم المتحدة). وكان هذا التدمير يندفع من ارتفاع عدّة كيلومترات، ثم تنسحب الطائرات كاللّص المتسلل بليل. أمَّا على الأرض فكان الجنود الصهاينة ينسحبون من أي مواجهة مع المقاومة كالجرذان المذعورة لأنَّهم كما يصفهم ربُّ العالمين: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 96].

وقد نتج عن هذا القصف الوحشي، الهمجي، غير الإنساني، من الطائرات، والدبابات، وبطاريات الصواريخ، والبوارج البحريّة، والمدفعيّة الثقيلة قتل أكثر من ألف من المدنيين، وجرح أضعاف هذا العدد، وتهجير أكثر من مليون نفس، وتدمير البنية الأساسيّة في كل من فلسطين ولبنان تدميراً كاملاً (الطرق والجسور، والمطارات والموانئ البحريّة محطّات المياه والكهرباء، مخازن كل من الغذاء والدواء، والنفط، ومساكن المدنيين، والمستشفيات والمستوصفات، ورياض الأطفال، والمدارس، والمعاهد، والكليّات، والمساجد والكنائس، والملاجئ، والمصانع والمزارع). **حتى منشآت الأُمم المتحدة وقواعدها وقواتها. ولم يسلم من هذا العدوان الغاشم الحاقد المتآمر على كلّ ما هو غير يهودي شيء.**

وكان هذا هو دأب الصهاينة في المنطقة العربية منذ أن ابتليت بهم، وذلك انطلاقاً من ادّعائهم الباطل بانقسام البشريّة إلى يهود وأميين (أو أُمميين، أو أغيار، وهم جميع مَن هم غير اليهود). واليهود ـ في نظرتهم العنصريّة الضيقة تلك ـ يعتبرون أنفسهم شعب ﷲ المختار، وأبناءه وأحبَّاءه، وصفوة الخلق المميزين فوق جميع البشر لأنَّهم شعب مقدّس. وفي نفس الوقت فإن الصهاينة اليهود يعتبرون كل مَن هم سواهم من بني آدم، مجرد حيوانات خلقت في هيأة الآدميين حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. وما دامت العلاقة كذلك، أصبح لليهود الحقّ في إبادة الأُمميين، والاعتداء عليهم، وعلى دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، ومقدّساتهم، وأراضيهم. وهذا الأسلوب الخاطئ ظلّ اليهود يمارسونه منذ أن ابتليت البشرية بهم إلى اليوم. واقرأوا إن شئتم ما زوَّروه على ﷲ في أسفارهم حتى يبرّروا جرائمهم ضد الإنسانيّة (من أمثال: سفر «التثنية» 1/ 19 ـ 20)، سفر «صاموئيل الأول» 9، 10/ 3، 27/ 15، وسفر «صاموئيل الثاني» 1/ 11 ـ 27، سفر «الأعداد» 17/ 3 ـ 11، سفر «يوشع» 8/ 6 ـ 24/ 16، 24/ 13، 28، سفر «أخبار الأُمم الأوَّل» 8/ 22، سفر «اللاويين» 44/ 25 ـ 46) حتى تروا العجب العجاب، وتروا صدق قول

ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ فيهم وقوله الحقّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60].

والإخبار الإنبائي في هذا النصّ القرآني الكريم يثبت لكلّ ذي بصيرة أنَّ هذا الكتاب الخالد هو كلام الله الخالق، ويشهد للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

64 ـ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: 163].

يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 163 ـ 166].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ...﴾ والأمر موجَّه إلى رسول الله ﷺ ليسأل غلاة اليهود في زمانه سؤالاً بصيغة التوبيخ والتقرير والاستنكار عن واقعة اليهود في «آيلة» والتي كانوا قد طمسوها من كتبهم، في محاولة لإنكارها لما فيها من الإهانة لأسلافهم، والتحقير لهم.

وهناك إجماع على أن القرية المقصودة في هذه الآية الكريمة هي «**آيلة**»، التي سميت **بأم الرشراش**، ثم باسم «**العقبة**» بعد القرن الخامس عشر الميلادي نسبة إلى جبل العقبة الموجود بالقرب منها، والذي كان يعرف باسم «**عقبة آيلة**». ومدينة العقبة الحالية أُنشئت على أنقاض مدينة «**آيلة**» التي سكنت منذ ما قبل التاريخ، وقد عمرها كل من الأدوميين، والآشوريين، والعبرانيين، والبابليين، والفرس، واليونان، والأنباط، والرومان، والعرب. وأهل «**آيلة**» اعتنوا بتربية الماشية، والزراعة، والملاحة، والصيد، وفي صناعة الأدوات المعدنية خاصة بعد

استخراج النحاس من **«وادي عربة»** القريب منهم. وفي سنوات الجفاف كانوا يتوجهون إلى مصر طلباً للطعام، وقد ذكرهم قدماء المصريين باسم **«الشاسو»** أو المحاربين الأشداء، وذكروا أرضهم باسم **«كوشو»**. وقد قام داود عليه السلام بفتح **«آيلة»** وضمها إلى مملكته في حدود القرن العاشر الميلادي. ثم استقام الأمر من بعده لابنه سليمان عليه السلام في **«آيلة»**، واستخدم ميناءها الذي أصبح البوابة الجنوبية لمملكته، حتى قيل أن **«بلقيس»** ملكة سبأ قدمت إلى مملكة سليمان عن طريق ميناء «آيلة». ولكن بعد وفاة **سليمان** عليه السلام قام الأدوميون بطرد اليهود من **«آيلة»** بالكامل.

ولم يرد اسم **«آيلة»** صريحاً في القرآن الكريم الذي أورد قصة **«أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر»**. وهناك إجماع من كل من ابن عباس، وعكرمة، والسدي رضي الله عنهم على أن هذه القرية هي **«آيلة»**، وأن هذه الواقعة حدثت في زمن داود عليه السلام في حدود القرن العاشر قبل الميلاد.

ولفظة **(القرية)** تعني البلدة الجامعة للناس، أي المدينة، مما يؤكد أن **«آيلة»** كانت مدينة عامرة في زمن الواقعة التي تتحدث عنها هذه الآية الكريمة. ويذكر لفظ **«القرية»** في القرآن الكريم عادة مع أهل المعاصي، مما يشير إلى أن هذه القرية قد ضمّت عدداً من العصاة، وهو ما تؤكده الآية الكريمة. و**(حاضرة البحر)** أي القريبة منه، المشرفة على شاطئه. وفي ذلك إشارة إلى أنها كانت مدينة متحضرة، لأن كلمة (حاضرة) هي عكس بادية.

وتؤكد الآية الكريمة أن جماعة من أهل هذه القرية من اليهود كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد في يوم السبت، وكان محرّم عليهم العمل فيه. وكانت حيتان الأسماك تأتيهم ظاهرة من كل ناحية على وجه الماء في يوم السبت، دانية من الشاطئ، لأن من معاني **(شرّعاً)** شارعة أي: ظاهرة على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق، (جمع شارع، من شرع عليه إذا دنا منه وأشرف عليه. وكل شيء دنا من شيء آخر فهو شارع، ولذلك يقال دار شارعة، إذا دنت من الطريق)، ودانية من الساحل، أي: قريبة منه. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي في يوم لا يعظمونه كتعظيم يوم السبت، أي: في سائر أيام

الأسبوع غير يوم السبت. يقال: (سبت فلان) إذا عظَّم يوم السبت؛ وقد اختبرهم الله بإظهار الحيتان لهم على ظهر الماء يوم السبت، وإخفائها عنهم في غيره من أيام الأسبوع.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ:

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: كذلك نمتحنهم ونختبرهم بالشدائد كمثل ذلك الابتلاء بظهور الحيتان على وجه الماء، دانية من الشاطئ في يوم السبت، واختفائها في غيره، لننظر هل سيثبتون على تعظيم يوم السبت الذي اختاروه أم لا يثبتون؟ وذلك بسبب فسق غالبيتهم ليظهر منهم المحسن من المسيئ.

وكان أهل آيلة قد افترقوا إلى ثلاث فرق: فرقة اعتدت على أوامر الله بالصيد في يوم السبت، **وفرقة** نهت عن هذا الاعتداء، **وفرقة ثالثة** سكتت فلم تفعل ولم تنهَ عن هذا الفعل، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأجابت بأنها فعلت ذلك معذرة إلى الله لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات كل مؤمن. والمعذرة هي التنصل من الذنب ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي اعتذار إلى الله، وأملاً أن ينتفعوا بموعظتنا لهم. ولما لم يستجيبوا لناصحيهم، أخذهم الله بالعذاب الشديد، ونجّى الفرقة الناهية عن المعصية. أما الفرقة الصامتة فقيل أنها نجت، وقيل أنها هلكت مع الهالكين، والله ـ تعالى ـ أعلم بهم. لذلك قال ـ وقوله الحق ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي: فلما ترك هؤلاء الظالمين ما وعظوا به من رفاقهم، أنجينا هؤلاء الذين نهوا عن الأعمال السيئة من العذاب، وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء على حرمة يوم السبت بعذاب شديد، بسبب استمرارهم في معاصي الله، والخروج عن طاعته. و(العذاب البئيس) هو الشديد الإيلام والوجع.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: فلما تكبّروا عن ترك ما نهوا عنه، وأبوا الرجوع عن معصية الله، وتجاوزوا الحد في ذلك: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ أي: مسخهم

الله ـ تعالى ـ على هيئة القردة، وهم صاغرون أذلاء، محرومون من كل خير، وهؤلاء العصاة الممسوخين كانوا من يهود مدينة «آيلة».

عن عكرمة ﷺ قال: «جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو منه، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس ـ جعلني الله فداك ـ؟ فقال: هؤلاء الورقات. قال عكرمة: وإذ هو في سورة «الأعراف». ثم قال: تعرف **«آيلة»**؟ قلت: نعم. قال: كان بها حي من اليهود. . .» وذكر القصة.

وفي كتابه المعنون **«آثار البلاد وأخبار العباد»** ذكر **القزويني** قصة القرية حاضرة البحر فقال: «آيلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. كانت مدينة جليلة زمن داود، والآن يجتمع فيها حجيج الشام ومصر ومَن جاء بطريق البحر، وهي القرية التي ذكرها الله ـ تعالى ـ حاضرة البحر. كان أهلها يهوداً حرَّم الله ـ تعالى ـ عليهم صيد السمك في يوم السبت، وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاء سمناً كأنها الماخض حتى لا يرى وجه الماء لكثرتها، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم. فكانوا على ذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان وسوس إليهم قائلاً: إنما نُهيتم من صيدها يوم السبت، فاتخذوا حياضاً حول البحر وسوقوا إليها الحيتان يوم السبت فتبقى محصورة، واصطادوها يوم الأحد. ففعلوا ما أمرهم به الشيطان خائفين، فلما رأوا العذاب لا يعاجلهم أخذوا، وأكلوا، وملحوا، وباعوا. وكان أهل القرية نحواً من سبعين ألفاً، فصاروا أثلاثاً: ثلث ينهون القوم عن الذنب، وثلث قالوا: لَمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم، وثلث يباشرون الخطيئة. فلما تنبهوا قال الناهون: نحن لا نساكنكم، فقسموا القرية، وجعلوا للناهين باب وللمعتدين باب، ولعنهم داود. وأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم لم يروا من المعتدين أحداً، قالوا: إن للقوم شأن ولعل الخمر غلبتهم، فعلوا الجدار ونظروا فإذا هم قردة، فدخلوا عليهم، والقردة تعرف أنسابها، والناس لا يعرفونها، فجعلت القردة تأتي أنسابها من الإنس فتشم ثيابهم وتذرف الدمع، فيقول

نسيبها: ألم أنهك عن السوء؟ فتشير القردة برأسها نعم، ثم ماتت بعد ثلاثة أيام». وقال قتادة: «صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم».

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآيات الكريمة [الأعراف: 163 ـ 166] أن سورة «الأعراف» نزلت بمكة قبل ملاقاة رسول الله ﷺ لأي من اليهود. وهنا لا يمكن لمدّعٍ أن يدّعي بأن رسول الله ﷺ قد سمع القصة من يهود المدينة، خاصة وأن «العهد القديم» لم يورد هذه القصة، وأن اليهود ينكرونها إنكاراً كاملاً لما فيها من إساءة إلى أسلافهم. لذلك استهلّت الآيات الموجهة إلى رسول الله ﷺ بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مما يشير إلى أن اليهود كانوا يعرفون القصة ولكن ظلوا يحاولون إنكارها وطمسها. وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ إشارة إلى قرية لم تعد قائمة، والآثار التاريخية تشير إلى أن مدينة «آيلة» قد تعرضت لزلزال عظيم قضى عليها ومحاها من الوجود.

وهذه القصة عن أهل «آيلة» تثبت لكل ذي بصيرة وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي فيها مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام ربّ العالمين، وتشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

عشرون: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه سليمان عليه السلام

هو عبد الله ونبيّه سليمان بن داود عليه السلام وقد جاء ذكره في القرآن الكريم سبعة عشر مرّة، يشرح كل منها موقفاً من المواقف الهامّة في سيرة هذا النَّبي الصالح على النَّحو التالي:

1 ـ ما يؤكّد أنَّ كلًّا من داود وسليمان من أنبياء الله، وأنَّهما من نسل كل من إبراهيم ونوح ـ عليهم جميعاً من الله السَّلام ـ، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 83، 84].

ـ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

2 ـ ما يمدح عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام بكثرة التوبة والإنابة إلى الله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: 30].

3 ـ ما يؤكّد ميراث سليمان لأبيه داود في الملك والنبوّة، وليس في المال والممتلكات فقط، وذلك لقول رسول الله ﷺ: **«نحن معشر الأنبياء لا نورّث، ما تركنا صدقة»**[1]، وفي ذلك يقول الله ـ تعالى ـ:

(1) أخرجه البخاري في كتاب الخمس حديث، رقم (3093).

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 15، 16].

4 ـ ما يشير إلى واقعة تفوّقت فيها حكمة سليمان على حكمة أبيه، وفي ذلك يسجل القرآن الكريم قول ربنا ـ سبحانه ـ:

ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 78، 79].

5 ـ ما يصف حب سليمان للخيل، وابتلاء الله ـ تعالى ـ له بفتنة المرض، ودعاء هذا العبد الصالح للّه الوهّاب أن يهبه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخَّر الله ﷻ له كلًّا من الريح والجن، والطير، وأسالَ له عين القطر (أي النحاس المصهور)، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

[صٓ: 30 ـ 40].

6 ـ ما يصف تسخير الريح لسليمان عليه السلام، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: 81، 82].

7 ـ ما يصف تسخير كلّ من الجن والإنس والطير لسليمان عليه السلام وتعليمه لغة النمل، وفي ذلك يقول الله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿17﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿18﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿19﴾﴾ [النمل: 17 ـ 19].

8 ـ ما يصف إسالة عين القطر (وهو النحاس المصهور) مع تسخير كل من الريح والجن بأمره وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿12﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿13﴾﴾ [سبأ: 12، 13].

وقد ثبت وجود أعمال قديمة لاستخراج النحاس في شمال **وادي عربة**، وقد كانت خامات النحاس تُجلب من أماكن استخراجها إلى منطقة «**تل المقص**» بالقرب من مطار العقبة الحالي، ويبعد حوالي 4كم شمال **ميناء العقبة**، حيث كانت تُصنع لاستخراج النحاس منها، وتصديره خاماً ومُصنَّعاً إلى البلاد المجاورة عبر موانىء خليج العقبة (**آيلة، وعصيون جابر**).

9 ـ ما يصف واقعة الهدهد مع عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام، وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه:

ـ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿20﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿21﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿22﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿23﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ

ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 20 ـ 28].

10 ـ ما يصف واقعة ملكة سبإ مع عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام، وفي ذلك نقرأ في القرآن الكريم ما نصه:

ـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: 29 ـ 37].

11 ـ ما يصف واقعة نقل عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى القدس الشريف عبر طرفة عين بمعجزة خارقة للعادة، ثم محاولة التغيير في بعض ملامحه، وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه:

ـ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل: 38 ـ 41].

12 ـ ما يصف وصول بلقيس ملكة سبإ إلى قصر سليمان بالقدس، وإعلانها بقبول الإسلام ديناً معه، وفي ذلك ينطق القرآن الكريم بما نصه:

ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 42 ـ 44].

13 ـ ما يصف افتراء اليهود على عبد الله ونبيه سليمان بأنَّه لم يكن نبيًّا، ولكن ساحراً يستمد العون من السحرة:

ـ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: 102، 103].

14 ـ ما يصف وفاة هذا النَّبي الصالح سليمان بن داود عليه السلام، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك اسمه ـ:

ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: 14].

ومعظم هذه الوقائع لم يرد عنها شيء في «العهد القديم»، ممَّا يجعل كل واحدة منها معجزة إنبائيّة وتاريخيّة حقيقيّة بذاتها. وهذه الوقائع تُصحّح التشويه الذي ساد ذكر عبد الله ونبيه سليمان في «العهد القديم» الذي مُلِئَتْ صفحات عديدة منه بأساطير نزعت عن هذا النَّبي الصالح النبوّة، وقصرت عليه الملك، واتَّهمته بأنّه تزوّج من سبعمائة امرأة، بالإضافة إلى أنَّه كانت له ثلاثمائة مَحظيّة. وزاد اتّهامهم لشخصه الكريم بالافتراء الكاذب عليه بأنَّ جميع نسائه كنَّ من عبدة الأصنام، وبأنَّ تلك النسوة قد حوَّلنَ قلبه من عبادة الله إلى عبادة

الأصنام، وأغرينه ببناء تماثيل لها، وبتقديم القرابين والبخور إليها حتى خسر رضاء الله بالكامل، وهو النبيّ الصادق الموصول بالوحي، والذي يقول عنه القرآن الكريم:

- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص: 30].

- ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝١٦﴾ [النمل: 16].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل: 76].

هذا النَّبي العابد الأوّاب «**سليمان**» ابن النَّبي العابد الأوَّاب «**داود**» عليهما السلام، وقد أفاض القرآن الكريم في مدحهما، نجد «العهد القديم» قد شوَّه صورة كل منهما تشويهاً بالغاً. فالعهد القديم يدّعي على سليمان عليه السلام بأنَّه حفيد زنى المحارم، وأنَّه ابن زنى، بدعوى أنَّ أباه اغتصب أُمَّه من زوجها الذي كان أحد جنوده. كما ادّعى كُتَّاب «العهد القديم» على عبد الله ونبيه سليمان بأنَّه تزوَّج من سبعمائة امرأة، واتَّخذ لنفسه ثلاثمائة سرية، فكان عنده ألف امرأة عدا ابنة فرعون المشركة عابدة الأوثان، وعدا غيرها من بنات الترفيه حسب ما جاء في **سفر «ملوك الأوَّل»**. هذا بالإضافة إلى ما جاء عن هذا النَّبي الصالح، الحكيم، الموصول القلب باللَّه في **سفر «نشيد الأنشاد»** من «العهد القديم» بمضامين وأساليب لا تليق بأكثر الناس فسقاً وانحطاطاً اليوم.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصَّة عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام:

1 - ضرورة الإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

2 - إنَّ بيت الصلاح والإيمان ينبت المؤمنين الصالحين، والعكس صحيح.

3 - إنَّ اكتساب كل من العلم النافع، والحكمة، وفصل الخطاب، مع حسن الفهم، هي من وسائل التفاضل بين الناس.

4 ـ إنَّ كل ما في الوجود من جمادات، ونباتات، وحيوانات، وأناسي، وجن (ما عدا عصاة كل من الإنس والجن) له قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك، والشعور، والانفعال، والتعبير، وله لغة، وله تسبيح، وعبادة للَّه ـ تعالى ـ وإن لم نفهم نحن معاشر البشر العاديين لغات غيرنا من خلق الله.

5 ـ إنَّ الأنبياء لا يورثون، وأنَّ ما يتركوه هو صدقة.

6 ـ إنَّ المسجد الأقصى بناء مبارك، مقام على بقعة مباركة من اليابسة، وقد بنته الملائكة لعباد الله الصالحين بعد بناء الكعبة المشرّفة بأربعين سنة. لذلك باركه الله يوم خلق السماوات والأرض كما حرّم مكة المكرمة. وكان الأقصى مسجداً لسليمان، كما كان لغيره من أنبياء الله الموحدين من قبله ومن بعده، ولم يكن في يوم من الأيام هيكلاً خاصاً بسليمان (كما يدّعي اليهود)، ومن ثم فلا حقّ فيه لأحد من غير المسلمين.

7 ـ إنَّ الدّعاء هو مخّ العبادة كما مارسه كل من داود وسليمان وقال به رسول الله ﷺ.

8 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ قادر على تسخير كل قوى الكون لعباده الصالحين، كما سخَّرها لعبديه داود وسليمان عليهما السلام.

9 ـ إنَّ الدعوة إلى دين الله تعالى هي واجب كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان، ولا يجوز أن يقعده عن ذلك قوّة الكفّار والمشركين مهما تعاظمت.

وقد امتدح رسول الله ﷺ أخاه في النبوّة سليمان بن داود عليهما السلام فقال: «**إنَّ سليمان بن داود سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إيّاه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إيّاه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلّا الصلاة في هذا المسجد**

خرج من خطيئته كيوم ولدته أُمّه، فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إيّاها»[1].

وكان سليمان عليه السلام قد جدّد بناء المسجد الأقصى تنفيذاً لوصيّة أبيه داود عليه السلام، وأقام سوراً عظيماً حول مدينة القدس. والمسجد الأقصى كانت الملائكة قد بنته بعد أن بنت الكعبة المشرّفة بأربعين عاماً، وذلك انطلاقاً ممّا أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: «**المسجد الحرام**» قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة، ثم أينما أُدرِكَت الصلاة بعد، فصله، فإنَّ الفضل فيه**»[2].

وكان عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام قد دعا ربّه بالنص القرآني التالي:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [صٓ: 35].

فوهب الله ـ تعالى ـ له ملكاً امتدّ من بيت المقدس إلى بلاد اليمن، وسخّر له الجن والإنس والطير، وجعل الرياح رهن أمره، وأسال له عين القطر (وهو النحاس). وأعطاه من النِّعم ما لم يعط كثيراً من الناس.

وقد أخبر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أنَّ أُم سليمان أوصته قائلة: «**يا بني لا تكثر النوم باللّيل فإنَّ كثرة النوم باللّيل تدع العبد فقيراً يوم القيامة**»[3].

وفي الأثر أنَّ عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام عاش في أوائل الألفيّة الأولى قبل الميلاد، وأنّه حكم جزءًا من أرض فلسطين في حدود السنوات (970 ـ 933ق.م). ولما كان القرآن الكريم قد نزل في الفترة من (610م) إلى (633م)، فإنَّ الفارق الزمني بين موت عبد الله ونبيه سليمان وتنزل القرآن المجيد يزيد على

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (6644).
(2) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3366).
(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، حديث رقم (1332).

ألف وخمسمائة سنة قمريّة. ومن هنا فإنّ استعراض القرآن الكريم لعدد من المواقف من سيرة هذا النّبيّ الكريم لأجل استخلاص الدروس والعبر منها يأتي وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله. كذلك فإنّنا نجد سبقاً علميًّا في الإشارة إلى أنّ كلًّا من عبد الله ونبيه سليمان، وأبوه النّبيّ داود ﷺ كانا قد عُلِّما منطق الطير؛ ومعرفة الإنسان بأنّ الطّيور لها لغات خاصة بها هو كشف علمي مستحدث في مجال «علم سلوك الحيوان» لم يكن يعلم به أحد من أصحاب العلوم المكتسبة قبل القرن الميلادي العشرين. وإشارة القرآن الكريم إلى أنّ للطّيور لغة من قبل ألف وأربعمائة سنة يُعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله.

وهذه الأوجه من الإعجاز الإنبائي، والتاريخي، والتربوي، والعلمي في استعراض القرآن الكريم لعدد من المواقف التي عاشها نبيّ الله سليمان تتّضح بجلاء إذا ما قورنت بما جاء عن هذا النّبيّ الصالح من أخبار في أسفار «العهد القديم».

فقد نَزَعَتْ عنه هذه الأسفار منزلة النبوّة، كما نزعتها عن أبيه، واعتبرتهما مجرَّد حاكمين ملكيين على جزء من أرض فلسطين، وأحاطتهما بكمّ هائل من الخرافات والأساطير، والسلوكيّات المعيبة التي شوَّهت صورتهما، وأساءت إلى شخصيتهما إساءات بالغة، لا تليق بأراذل الخلق، فضلاً عن نبيّين كريمين من أنبياء الله.

وفي المقابل فإنّنا نرى أنّ كلًّا من القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة يذكر عبد الله ونبيه سليمان، كما يذكر أباه داود ﷺ بما يليق بمقام النبوّة من رجاحة في العقل، وسمو في السلوك، ونبل في الأخلاق، وكرم في المعاملات، زوَّد الله ـ تعالى ـ كلًّا منهما به، ورفعه إليه حتى يكون كلّ منهما ـ كما كان جميع أنبياء الله ـ في كل زمان ومكان مُثُلاً علياً لأقوامهم يقتدون بهم ويتأسون.

وفيما يلي بعض ما ذكره سفر ملوك الأول عن عبد الله ونبيه سليمان ﷺ.

كِتَابُ الْمُلُوكِ الأَوَّلُ

شيخوخة داود

[1] وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَطَعَنَ فِي السِّنِّ، فَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالأَغْطِيَةِ فَلاَ يَشْعُرُ بِالدِّفْءِ. [2] فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيَلْتَمِسْ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ فَتَاةً عَذْرَاءَ تَخْدُمُكَ، وَتَعْتَنِي بِكَ وَتَضْطَجِعُ فِي حِضْنِكَ، فَتَبْعَثُ فِيكَ الدِّفْءَ». [3] فَبَحَثُوا لَهُ عَنْ فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ، فَعَثَرُوا عَلَى أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةِ فَأَحْضَرُوهَا إِلَى الْمَلِكِ. [4] وَكَانَتِ الْفَتَاةُ بَارِعَةَ الْجَمَالِ، فَصَارَتْ لَهُ حَاضِنَةً، تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يُعَاشِرْهَا.

أدونيا يعلن نفسه ملكاً

[5] وَعَظَّمَ أَدُونِيَّا ابْنُ حَجِّيثَ نَفْسَهُ قَائِلاً: «أَنَا أَمْلِكُ». وَجَهَّزَ لِنَفْسِهِ مَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَاناً وَاسْتَأْجَرَ خَمْسِينَ رَجُلاً يَجْرُونَ أَمَامَ مَوْكِبِهِ. [6] وَلَمْ يُغْضِبْهُ أَبُوهُ قَطُّ بِسُؤَالِهِ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هَكَذَا؟» وَكَانَ أَدُونِيَّا وَسِيمَ الطَّلْعَةِ، وَقَدْ أَنْجَبَتْهُ أُمُّهُ بَعْدَ أَبْشَالُومَ. [7] وَتَدَاوَلَ الأَمْرَ مَعَ يُوآبَ بْنِ صَرُويَةَ وَأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ فَأَعَانَاهُ. [8] وَأَمَّا صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَبَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ وَشِمْعِي وَرِيعِي وَسِوَاهُمْ مِنَ الأَبْطَالِ مِنْ رِجَالِ دَاوُدَ فَلَمْ يَنْسَاقُوا مَعَهُ. [9] وَتَوَجَّهَ أَدُونِيَّا إِلَى عَيْنِ رُوجَلَ حَيْثُ ذَبَحَ غَنَماً وَبَقَراً وَمُسَمَّنَاتٍ عِنْدَ حَجَرِ الزَّاحِفَةِ، وَدَعَا جَمِيعَ إِخْوَتِهِ أَبْنَاءِ الْمَلِكِ، وَجَمِيعَ رِجَالِ يَهُوذَا مِنْ حَاشِيَةِ دَاوُدَ. [10] وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْعُ نَاثَانَ النَّبِيَّ وَلاَ بَنَايَاهُو، وَلاَ الرِّجَالَ الأَبْطَالَ وَلاَ سُلَيْمَانَ أَخَاهُ. [11] فَأَقْبَلَ نَاثَانُ النَّبِيُّ إِلَى بَثْشَبَعَ أُمِّ سُلَيْمَانَ قَائِلاً: «أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَدُونِيَّا ابْنَ حَجِّيثَ قَدْ مَلَكَ، وَسَيِّدُنَا دَاوُدُ لَمْ يَعْرِفْ بِالأَمْرِ بَعْدُ؟ [12] فَالآنَ تَعَالَيْ أُشِيرُ عَلَيْكِ بِمَا يُنْقِذُكِ وَيُنْقِذُ ابْنَكِ سُلَيْمَانَ. [13] امْضِي وَادْخُلِي إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ وَقُولِي لَهُ: أَلَمْ تَحْلِفْ يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ لِجَارِيَتِكَ أَنَّ ابْنِي سُلَيْمَانَ يَكُونُ الْمَلِكَ مِنْ بَعْدِي وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِي؟ فَلِمَاذَا مَلَكَ أَدُونِيَّا إِذاً؟ [14] وَفِيمَا أَنْتِ تُخَاطِبِينَ الْمَلِكَ أَدْخُلُ وَرَاءَكِ، وَأُؤَيِّدُ كَلاَمَكِ».

1 Kings

David in Old Age

1 When King David was old and well advanced in years, he could not keep warm even when they put covers over him. [2]So his servants said to him, "Let us look for a young virgin to attend the king and take care of him. She can lie beside him so that our lord the king may keep warm." [3]Then they searched throughout Israel for a beautiful girl and found Abishag, a Shunammite, and brought her to the king. [4]The girl was very beautiful; she took care of the king and waited on him, but the king had no intimate relations with her.

Adonijah Proclaims Himself King

[5]Now Adonijah, whose mother was Haggith, put himself forward and said, "I will be king." So he got chariots and horses ready, with fifty men to run ahead of him. [6](His father had never interfered with him by asking, "Why do you behave as you do?" He was also very handsome and was born next after Absalom.)

[7]Adonijah conferred with Joab son of Zeruiah and with Abiathar the priest, and they gave him their support. [8]But Zadok the priest, Benaiah son of Jehoiada, Nathan the prophet, Shimei and Rei and David's special guard did not join Adonijah. [9]Adonijah then sacrificed sheep, cattle and fattened calves at the Stone of Zoheleth near En Rogel. He invited all his brothers, the king's sons, and all the men of Judah who were royal officials, [10]but he did not invite Nathan the prophet or Benaiah or the special guard or his brother Solomon. [11]Then Nathan asked Bathsheba, Solomon's mother, "Have you not heard that Adonijah, the son of Haggith, has become king without our lord David's knowing it? [12]Now then, let me advise you how you can save your own life and the life of your son Solomon. [13]Go in to King David and say to him, 'My lord the king, did you not swear to me your servant: "Surely Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne"? Why then has Adonijah become king?' [14]While you are still there talking to the king, I will come in and confirm what you have said."

The Plan of Bathsheba and Nathan

[15]So Bathsheba went to see the aged king in his room, where Abishag the Shunammite was attending him. [16]Bathsheba bowed low and knelt before the king. "What is it you want?" the king asked. [17]She said to him, "My lord, you yourself swore to me your servant by the LORD your God: 'Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne.' [18]But now Adonijah has become king, and you, my lord the king, do not know about it. [19]He has sacrificed great numbers of cattle, fattened calves, and sheep, and has invited all the king's sons, Abiathar the priest and Joab the commander of the army, but he has not invited Solomon your servant. [20]My lord the king, the eyes of all Israel are on you, to learn from you who will sit on the throne of my lord the king after him. [21]Otherwise, as soon as my lord the king is laid to rest with his fathers, I and my son Solomon will be treated as criminals." [22]While she was still speaking with the king, Nathan the prophet arrived. [23]And they told the king, "Nathan the prophet is here." So he went before the king and bowed with his face to the ground. [24]Nathan said, "Have you, my lord the king, declared that Adonijah shall be king after you, and that he will sit on your throne? [25]Today he has gone down and sacrificed great numbers of cattle, fattened calves, and sheep. He has invited all the king's sons, the commanders of the army and Abiathar the priest. Right now they are eating and drinking with him and saying, 'Long live King Adonijah!' [26]But me your servant, and Zadok the priest, and Benaiah son of Jehoiada, and your servant Solomon he did not invite. [27]Is this something my lord the king has done without letting his servants know who should sit on the throne of my lord the king after him?"

خطة بثشبع وناثان

[١٥]فمثلت بثشبع أمام الملك الشيخ في مخدعه، وكانت أبيشج الشونمية قائمة على خدمته. [١٦]فانحنت بثشبع على وجهها وسجدت للملك، فسألها الملك: «ما لك؟» [١٧]فأجابته: «لقد حلفت لي بالرب إلهك يا سيدي قائلاً: إن سليمان ابني يصبح ملكاً من بعدي ويجلس على عرشي. [١٨]ولكن ها هو أدونيا قد ملك من غير علم منك يا سيدي الملك. [١٩]وقد ذبح ثيراناً ومسمنات وغنماً بوفرة، ودعا جميع أبناء الملك وأبياثار الكاهن، ويوآب رئيس الجيش، ولكن لم يدع سليمان عبدك. [٢٠]إن جميع أعين شعب إسرائيل، يا سيدي الملك، متجهة نحوك في انتظار إعلانك من يخلف سيدي الملك على عرشه. [٢١]وإلا حالما يضطجع سيدي الملك إلى آبائه نعامل أنا وابني سليمان معاملة المذنبين». [٢٢]وفيما هي تخاطب الملك جاء ناثان النبي. [٢٣]فقيل للملك: «قد جاء ناثان النبي». فمثل في حضرة الملك وسجد له. [٢٤]وتساءل ناثان: «هل قلت يا سيدي الملك: إن أدونيا يملك من بعدي ويخلفني على عرشي؟ [٢٥]لأنه قد مضى اليوم وذبح ثيراناً ومسمنات وغنماً بوفرة، ودعا جميع أبناء الملك ورؤساء الجيش وأبياثار الكاهن، وها هم يحتفلون آكلين شاربين أمامه هاتفين: ليحي الملك أدونيا! [٢٦]وأما أنا وصادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع وسليمان فلم يدعنا. [٢٧]فهل صدر هذا الأمر عن سيدي الملك من غير أن تطلع عبدك عمن يخلفك على عرشك؟»

David Makes Solomon His Successor

[28]Then King David said, "Call in Bathsheba." So she came into the king's presence and stood before him. [29]The king then took an oath: "As surely as the LORD lives, who has delivered me out of every trouble, [30]I will surely carry out today what I swore to you by the LORD, the God of Israel: Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne in my place." [31]Then Bathsheba bowed low with her face to the ground and, kneeling before the king, said, "May my lord King David live forever!"

داود يختار سليمان خلفاً له

[٢٨]فأجاب الملك: «استدعوا لي بثشبع». فمثلت أمام الملك. [٢٩]فحلف الملك: «حي هو الرب الذي أنقذ نفسي من كل ضيق، [٣٠]كما أقسمت لك بالرب إله إسرائيل أن ابنك سليمان يملك بعدي ويخلفني على عرشي، هكذا أفعل هذا اليوم». [٣١]فخرت بثشبع على وجهها إلى الأرض ساجدة للملك وقالت: «ليحي سيدي الملك داود إلى الأبد».

Solomon Is Anointed as King

32 King David said, "Call in Zadok the priest, Nathan the prophet and Benaiah son of Jehoiada." When they came before the king, 33 he said to them: "Take your lord's servants with you and set Solomon my son on my own mule and take him down to Gihon. 34 There have Zadok the priest and Nathan the prophet anoint him king over Israel. Blow the trumpet and shout, 'Long live King Solomon!' 35 Then you are to go up with him, and he is to come and sit on my throne and reign in my place. I have appointed him ruler over Israel and Judah." 36 Benaiah son of Jehoiada answered the king, "Amen! May the LORD, the God of my lord the king, so declare it. 37 As the LORD was with my lord the king, so may he be with Solomon to make his throne even greater than the throne of my lord King David!" 38 So Zadok the priest, Nathan the prophet, Benaiah son of Jehoiada, the Kerethites and the Pelethites went down and put Solomon on King David's mule and escorted him to Gihon. 39 Zadok the priest took the horn of oil from the sacred tent and anointed Solomon. Then they sounded the trumpet and all the people shouted, "Long live King Solomon!" 40 And all the people went up after him, playing flutes and rejoicing greatly, so that the ground shook with the sound. 41 Adonijah and all the guests who were with him heard it as they were finishing their feast. On hearing the sound of the trumpet, Joab asked, "What's the meaning of all the noise in the city?" 42 Even as he was speaking, Jonathan son of Abiathar the priest arrived. Adonijah said, "Come in. A worthy man like you must be bringing good news." 43 "Not at all!" Jonathan answered. "Our lord King David has made Solomon king. 44 The king has sent with him Zadok the priest, Nathan the prophet, Benaiah son of Jehoiada, the Kerethites and the Pelethites, and they have put him on the king's mule, 45 and Zadok the priest and Nathan the prophet have anointed him king at Gihon. From there they have gone up cheering, and the city resounds with it. That's the noise you hear. 46 Moreover, Solomon has taken his seat on the royal throne. 47 Also, the royal officials have come to congratulate our lord King David, saying, 'May your God make Solomon's name more famous than yours and his throne greater than yours!' And the king bowed in

مسح سليمان ملكاً

٣٢ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ دَاوُدُ: «ٱسْتَدْعِ لِي صَادُوقَ ٱلْكَاهِنَ وَنَاثَانَ ٱلنَّبِيَّ وَبَنَايَاهُو بْنَ يَهُويَادَاعَ». فَدَخَلُوا إِلَى حَضْرَةِ ٱلْمَلِكِ ٣٣ فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لَهُمْ: «خُذُوا مَعَكُمْ رِجَالَ حَاشِيَةِ سَيِّدِكُمْ، وَأَرْكِبُوا سُلَيْمَانَ ٱبْنِي عَلَى بَغْلَتِي ٱلْخَاصَّةِ، وَٱنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جِيحُونَ. ٣٤ وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ صَادُوقُ ٱلْكَاهِنُ وَنَاثَانُ ٱلنَّبِيُّ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَٱنْفُخُوا بِٱلْبُوقِ هَاتِفِينَ: لِيَحْيَ ٱلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ. ٣٥ ثُمَّ ٱصْعَدُوا وَرَاءَهُ حَتَّى يَأْتِيَ فَيَجْلِسَ عَلَى عَرْشِي، فَهُوَ ٱلَّذِي ٱخْتَرْتُهُ لِيَخْلُفَنِي عَلَى عَرْشِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا». ٣٦ فَقَالَ بَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ لِلْمَلِكِ: «آمِينَ! لِيَكُنْ هَذَا مَا يَقُولُهُ ٱلرَّبُّ إِلَهُ سَيِّدِي ٱلْمَلِكِ! ٣٧ وَكَمَا كَانَ ٱلرَّبُّ مَعَ سَيِّدِي ٱلْمَلِكِ لِيَكُنْ مَعَ سُلَيْمَانَ، وَيَجْعَلْ عَرْشَهُ أَعْظَمَ مِنْ عَرْشِ سَيِّدِي ٱلْمَلِكِ دَاوُدَ». ٣٨ وَمَضَى صَادُوقُ ٱلْكَاهِنُ وَنَاثَانُ ٱلنَّبِيُّ وَبَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ وَضُبَّاطُ حَرَسِ ٱلْمَلِكِ، وَأَرْكَبُوا سُلَيْمَانَ عَلَى بَغْلَةِ ٱلْمَلِكِ دَاوُدَ، وَٱنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى جِيحُونَ. ٣٩ فَأَخَذَ صَادُوقُ ٱلْكَاهِنُ قَرْنَ ٱلدُّهْنِ مِنَ ٱلْخَيْمَةِ وَمَسَحَ سُلَيْمَانَ، وَنَفَخُوا بِٱلْبُوقِ وَهَتَفَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ: «لِيَحْيَ ٱلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ». ٤٠ وَصَعِدَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ وَرَاءَ سُلَيْمَانَ وَهُمْ يَعْزِفُونَ عَلَى ٱلنَّايِ هَاتِفِينَ فَرَحاً، حَتَّى ٱرْتَجَّتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ. ٤١ وَسَمِعَ أَدُونِيَّا وَمَدْعُوُّوهُ جَمِيعاً أَصْوَاتَ ٱلْهُتَافِ بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنَ ٱلْأَكْلِ، وَبَلَغَ نَفِيرُ ٱلْبُوقِ مَسَامِعَ يُوآبَ فَتَسَاءَلَ: «مَا مَعْنَى هَذَا ٱلضَّجِيجِ فِي ٱلْمَدِينَةِ؟» ٤٢ وَفِيمَا هُوَ يَتَسَاءَلُ جَاءَ يُونَاثَانُ بْنُ أَبِيَاثَارَ ٱلْكَاهِنِ، فَقَالَ أَدُونِيَّا: «تَعَالَ، فَأَنْتَ رَجُلٌ كَرِيمٌ تَحْمِلُ بَشَائِرَ خَيْرٍ». ٤٣ فَأَجَابَ يُونَاثَانُ أَدُونِيَّا: «لَا! إِنَّ سَيِّدَنَا ٱلْمَلِكَ دَاوُدَ قَدْ نَصَّبَ سُلَيْمَانَ مَلِكاً. ٤٤ وَبَعَثَ مَعَهُ صَادُوقَ ٱلْكَاهِنَ وَنَاثَانَ ٱلنَّبِيَّ وَبَنَايَاهُو بْنَ يَهُويَادَاعَ وَضُبَّاطَ حَرَسِهِ، فَأَرْكَبُوهُ عَلَى بَغْلَةِ ٱلْمَلِكِ. ٤٥ وَمَسَحَهُ صَادُوقُ ٱلْكَاهِنُ وَنَاثَانُ ٱلنَّبِيُّ مَلِكاً فِي جِيحُونَ، ثُمَّ صَعِدُوا مِنْ هُنَاكَ فَرِحِينَ هَاتِفِينَ، حَتَّى مَلَأَ ضَجِيجُهُمُ ٱلْمَدِينَةَ. وَهَذَا هُوَ مَدُّ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي سَمِعْتُمُوهُ. ٤٦ وَقَدْ جَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ ٱلْمَمْلَكَةِ. ٤٧ وَتَوَافَدَ رِجَالُ ٱلْمَلِكِ دَاوُدَ لِتَهْنِئَتِهِ قَائِلِينَ: لِيَجْعَلْ إِلَهُكَ ٱسْمَ سُلَيْمَانَ أَكْثَرَ شُهْرَةً مِنِ ٱسْمِكَ، وَعَرْشَهُ أَعْظَمَ مِنْ عَرْشِكَ. فَسَجَدَ ٱلْمَلِكُ عَلَى سَرِيرِهِ

worship on his bed [48]and said, 'Praise be to the LORD, the God of Israel, who has allowed my eyes to see a successor on my throne today.' "

[٤٨] قائلاً: «تبارك الرب إله إسرائيل الذي أنعم علي بمن يخلفني على عرشي وأنا ما زلت على قيد الحياة».

Adonijah Flees to the Altar

[49]At this, all Adonijah's guests rose in alarm and dispersed. [50]But Adonijah, in fear of Solomon, went and took hold of the horns of the altar. [51]Then Solomon was told, "Adonijah is afraid of King Solomon and is clinging to the horns of the altar. He says, 'Let King Solomon swear to me today that he will not put his servant to death with the sword.' " [52]Solomon replied, "If he shows himself to be a worthy man, not a hair of his head will fall to the ground; but if evil is found in him, he will die." [53]Then King Solomon sent men, and they brought him down from the altar. And Adonijah came and bowed down to King Solomon, and Solomon said, "Go to your home."

لجوء أدونيا إلى المذبح

[٤٩] فاعترت الرهبة جميع مدعوي أدونيا، فقاموا وتفرقوا كل في سبيله. [٥٠] وملأ الخوف أدونيا من سليمان، فانطلق مسرعاً وتمسك بقرون المذبح. [٥١] فقيل لسليمان: «ها هو أدونيا قد ملأه الخوف منك، وقد لجأ إلى المذبح متمسكاً بقرونه يقول: ليحلف لي اليوم سليمان أنه لا يقتل عبده بالسيف». [٥٢] فقال سليمان: «إن أثبت صدق ولائه فإن شعرة واحدة من رأسه لن تسقط إلى الأرض. ولكن إن أضمر الخيانة والشر فإنه حتماً يموت». [٥٣] فأرسل الملك سليمان من أحضره من عند المذبح، فأتى وسجد للملك سليمان، فقال له سليمان: «اذهب إلى بيتك».

David's Charge to Solomon

2 When the time drew near for David to die, he gave a charge to Solomon his son. [2]"I am about to go the way of all the earth," he said. "So be strong, show yourself a man, [3]and observe what the LORD your God requires: Walk in his ways, and keep his decrees and commands, his laws and requirements, as written in the Law of Moses, so that you may prosper in all you do and wherever you go, [4]and that the LORD may keep his promise to me: 'If your descendants watch how they live, and if they walk faithfully before me with all their heart and soul, you will never fail to have a man on the throne of Israel.' [5]Now you yourself know what Joab son of Zeruiah did to me–what he did to the two commanders of Israel's armies, Abner son of Ner and Amasa son of Jether. He killed them, shedding their blood in peacetime as if in battle, and with that blood stained the belt around his waist and the sandals on his feet. [6]Deal with him according to your wisdom, but do not let his gray head go down to the grave in peace. [7]But show kindness to the sons of Barzillai of Gilead and let them be among those who eat at your table. They stood by me when I fled from your brother Absalom. [8]And remember, you have with you Shimei son of Gera, the Benjamite from Bahurim, who called down bitter curses on me the day I went

وصايا داود لسليمان وموته

٢ وعندما أحس داود بدنو أجله، أوصى سليمان ابنه قائلاً: [٢] «أنا ماض إلى مصير كل أهل الأرض، فتشجع وكن رجلاً. [٣] احفظ شرائع إلهك: سر في سبله وأطع فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته، كما هي مدونة في شريعة موسى، ليحالفك النجاح في كل ما تفعل وحيثما تتوجه. [٤] فيحقق الرب وعوده التي وعدني بها قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامي بإخلاص من كل قلوبهم وأنفسهم، فإنه لن ينقطع لك رجل عن اعتلاء عرش إسرائيل. [٥] أنت تعلم ما جناه علي يوآب ابن صروية حين قتل قائدي جيوش إسرائيل: أبنير بن نير وعماسا بن يثر، فسفك دماً في وقت السلم وكأنه في خضم حرب، فلطخ بذلك الدم حزام حقويه ونعلي رجليه. [٦] فافعل بما تمليه عليك حكمتك، ولا تدع رأسه الأشيب يموت في سلام. [٧] واصنع معروفاً لبني برزلاي الجلعادي، فيكونوا بين الآكلين الدائمين على مائدتك، لأنهم وقفوا إلى جانبي عند هروبي من وجه أبشالوم أخيك. [٨] وهناك أيضاً شمعي بن جيرا البنياميني من بحوريم، فقد صب علي أشد اللعنات يوم انطلقت إلى محنايم، ولكنه انحدر للقائي عند نهر الأردن

to Mahanaim. When he came down to meet me at the Jordan, I swore to him by the LORD: 'I will not put you to death by the sword.' [9]But now, do not consider him innocent. You are a man of wisdom; you will know what to do to him. Bring his gray head down to the grave in blood." [10]Then David rested with his fathers and was buried in the City of David. [11]He had reigned forty years over Israel–seven years in Hebron and thirty-three in Jerusalem. [12]So Solomon sat on the throne of his father David, and his rule was firmly established.

The Execution of Adonijah

[13]Now Adonijah, the son of Haggith, went to Bathsheba, Solomon's mother. Bathsheba asked him, "Do you come peacefully?" He answered, "Yes, peacefully." [14]Then he added, "I have something to say to you." "You may say it," she replied. [15]"As you know," he said, "the kingdom was mine. All Israel looked to me as their king. But things changed, and the kingdom has gone to my brother; for it has come to him from the LORD. [16]Now I have one request to make of you. Do not refuse me." "You may make it," she said. [17]So he continued, "Please ask King Solomon–he will not refuse you–to give me Abishag the Shunammite as my wife." [18]"Very well," Bathsheba replied, "I will speak to the king for you." [19]When Bathsheba went to King Solomon to speak to him for Adonijah, the king stood up to meet her, bowed down to her and sat down on his throne. He had a throne brought for the king's mother, and she sat down at his right hand. [20]"I have one small request to make of you," she said. "Do not refuse me." The king replied, "Make it, my mother; I will not refuse you." [21]So she said, "Let Abishag the Shunammite be given in marriage to your brother Adonijah." [22]King Solomon answered his mother, "Why do you request Abishag the Shunammite for Adonijah? You might as well request the kingdom for him–after all, he is my older brother–yes, for him and for Abiathar the priest and Joab son of Zeruiah!"

[23]Then King Solomon swore by the LORD: "May God deal with me, be it ever so severely, if Adonijah does not pay with his life for this request! [24]And now, as surely as the LORD lives–he who has established me securely on the throne of my father David and has founded a

مستغفرا، فحلفت له بالرب أنني لن أميته بالسيف. [٩]أما أنت فلا تبرئه من ذنبه، وأنت رجل حكيم، فانظر ما تعاقبه به. أحدر شيبته إلى القبر ملطخة بالدم». [١٠]ثم مات داود ودفن في أورشليم. [١١]وكانت فترة حكم داود أربعين سنة، ملك سبع سنين في حبرون وثلاثا وثلاثين سنة في أورشليم. [١٢]وأصبح سليمان ملكا على إسرائيل خلفا لوالده داود، وتثبتت دعائم مملكته.

مقتل أدونيا

[١٣]وجاء أدونيا ابن حجيث إلى بثشبع أم سليمان فسألته: «أجئت مسالما؟» فأجابها: «مسالما». [١٤]وأضاف: «ولدي ما أطلبه منك». فقالت: «تكلم». فقال: [١٥]«أنت تعلمين أن الملك كان من حقي، وأن جميع الإسرائيليين قد التفوا حولي لأكون ملكا عليهم، ولكن تحولت الأمور، وصار الملك لأخي بمقتضى أمر الرب. [١٦]ولي الآن مطلب واحد، فلا تخيبي أملي فيه. [١٧]اطلبي من سليمان الملك أن يزوجني من أبيشج الشونمية فهو لا يرد لك سؤلا». [١٨]فأجابته بثشبع: «أنا أخاطب الملك في الأمر نيابة عنك». [١٩]ودخلت بثشبع إلى سليمان لترفع إليه مطلب أدونيا، فهب الملك لاستقبالها وسجد لها، ثم جلس على العرش، وأعد لها مقعدا ملكيا آخر فجلست عن يمينه. [٢٠]وقالت: «جئت أطلب منك أمرا واحدا بسيطا، فلا تردني خائبة». فأجابها: «اسألي يا أمي، لأني لن أخيب لك رجاء». [٢١]فقالت: «زوج أدونيا أخاك من أبيشج الشونمية». [٢٢]فأجابها الملك: «لماذا تطلبين أبيشج الشونمية فقط لأدونيا؟ اطلبي له الملك أيضا، فهو أخي الأكبر، فيصبح الملك له ولأبياثار الكاهن ويوآب ابن صروية».

[٢٣]وحلف سليمان الملك بالرب قائلا: «ليعاقبني الرب أشد عقاب ويزد إن لم يدفع أدونيا حياته ثمنا لهذا المطلب. [٢٤]حي هو الرب الذي ثبتني وأجلسني على عرش داود أبي

dynasty for me as he promised–Adonijah shall be put to death today!" [25]So King Solomon gave orders to Benaiah son of Jehoiada, and he struck down Adonijah and he died.

وأعطاني ملكا كما وعد. اليوم يموت أدونيا. [٢٥]وأرسل الملك سليمان بناياهو بن يهوياداع فقتل أدونيا.

Abiathar Dismissed and Joab Killed

[26]To Abiathar the priest the king said, "Go back to your fields in Anathoth. You deserve to die, but I will not put you to death now, because you carried the ark of the Sovereign LORD before my father David and shared all my father's hardships." [27]So Solomon removed Abiathar from the priesthood of the LORD, fulfilling the word the LORD had spoken at Shiloh about the house of Eli. [28]When the news reached Joab, who had conspired with Adonijah though not with Absalom, he fled to the tent of the LORD and took hold of the horns of the altar. [29]King Solomon was told that Joab had fled to the tent of the LORD and was beside the altar. Then Solomon ordered Benaiah son of Jehoiada, "Go, strike him down!" [30]So Benaiah entered the tent of the LORD and said to Joab, "The king says, 'Come out!' " But he answered, "No, I will die here." Benaiah reported to the king, "This is how Joab answered me." [31]Then the king commanded Benaiah, "Do as he says. Strike him down and bury him, and so clear me and my father's house of the guilt of the innocent blood that Joab shed. [32]The LORD will repay him for the blood he shed, because without the knowledge of my father David he attacked two men and killed them with the sword. Both of them–Abner son of Ner, commander of Israel's army, and Amasa son of Jether, commander of Judah's army–were better men and more upright than he. [33]May the guilt of their blood rest on the head of Joab and his descendants forever. But on David and his descendants, his house and his throne, may there be the LORD's peace forever." [34]So Benaiah son of Jehoiada went up and struck down Joab and killed him, and he was buried on his own land in the desert. [35]The king put Benaiah son of Jehoiada over the army in Joab's position and replaced Abiathar with Zadok the priest.

طرد أبياثار ومصرع يوآب

[٢٦]وقال الملك لأبياثار الكاهن: «انطلق إلى حقولك في عناثوث وامكث هناك. أنت اليوم مستوجب الموت، ولكني لن أقتلك، لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي، ولأنك قاسيت من كل ما قاسى منه أبي». [٢٧]وطرد سليمان أبياثار من وظيفة الكهنوت، ليتم كلام الرب الذي حكم به على نسل عالي في شيلوه. [٢٨]فبلغ الخبر يوآب الذي كان قد تآمر مع أدونيا وليس مع أبشالوم، فهرب إلى خيمة الرب وتشبث بقرون المذبح. [٢٩]فقيل للملك سليمان إن يوآب قد لجأ إلى خيمة الرب، وها هو مقيم إلى جوار المذبح، فأمر سليمان بناياهو بن يهوياداع أن يذهب ويقتله. [٣٠]فدخل بناياهو إلى خيمة الرب وقال ليوآب: «الملك يأمرك بالخروج». فأجاب: «لا. لن أخرج بل أموت هنا». فبلغ بناياهو الملك جواب يوآب. [٣١]فقال له الملك: «افعل مثلما قال، واقتله وادفنه وأزل عني وعن بيت أبي ذنب الدماء الزكية التي سفكها يوآب. [٣٢]فيجعل الرب دمه يرتد إليه، لأنه اغتال بالسيف رجلين بريئين، هما أفضل منه، من غير علم داود أبي، وهما أبنير بن نير رئيس جيش إسرائيل، وعماسا بن يثر رئيس جيش يهوذا. [٣٣]فيرتد دمهما على رأس يوآب ورأس نسله إلى الأبد، ويحل سلام الرب داود ونسله وبيته وعرشه إلى مدى الدهر». [٣٤]فانطلق بناياهو بن يهوياداع وقتل يوآب، ودفن في جوار بيته في الصحراء. [٣٥]وعين الملك بناياهو بن يهوياداع مكانه قائدا للجيش، وأقام صادوق الكاهن مكان أبياثار.

Shimei's Punishment

[36]Then the king sent for Shimei and said to him, "Build yourself a house in Jerusalem and live there, but do not go anywhere else. [37]The day you leave

معاقبة شمعي

[٣٦]ثم استدعى الملك شمعي بن جيرا وقال له: «ابن لك بيتا في أورشليم وأقم هناك، وإياك أن تغادر المدينة. [٣٧]واعلم

and cross the Kidron Valley, you can be sure you will die; your blood will be on your own head." [38]Shimei answered the king, "What you say is good. Your servant will do as my lord the king has said." And Shimei stayed in Jerusalem for a long time. [39]But three years later, two of Shimei's slaves ran off to Achish son of Maacah, king of Gath, and Shimei was told, "Your slaves are in Gath." [40]At this, he saddled his donkey and went to Achish at Gath in search of his slaves. So Shimei went away and brought the slaves back from Gath. [41]When Solomon was told that Shimei had gone from Jerusalem to Gath and had returned, [42]the king summoned Shimei and said to him, "Did I not make you swear by the LORD and warn you, 'On the day you leave to go anywhere else, you can be sure you will die'? At that time you said to me, 'What you say is good. I will obey.' [43]Why then did you not keep your oath to the LORD and obey the command I gave you?" [44]The king also said to Shimei, "You know in your heart all the wrong you did to my father David. Now the LORD will repay you for your wrongdoing. [45]But King Solomon will be blessed, and David's throne will remain secure before the LORD forever." [46]Then the king gave the order to Benaiah son of Jehoiada, and he went out and struck Shimei down and killed him. The kingdom was now firmly established in Solomon's hands.

أَنَّكَ يَوْمَ تَتَخَطَّى وَادِي قَدْرُونَ فَإِنَّكَ حَتْماً تَمُوتُ وَيَكُونُ دَمُكَ عَلَى رَأْسِكَ». [٣٨] فَأَجَابَ شِمْعِي الْمَلِكَ: «حَسَناً. فَإِنَّ عَبْدَكَ يُنَفِّذُ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ سَيِّدِي الْمَلِكُ». فَأَقَامَ شِمْعِي فِي أُورُشَلِيمَ أَيَّاماً كَثِيرَةً. [٣٩] وَفِي خِتَامِ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ هَرَبَ عَبْدَانِ لِشِمْعِي إِلَى أَخِيشَ بْنِ مَعْكَةَ مَلِكِ جَتَّ، فَقِيلَ لِشِمْعِي: «هُوَذَا عَبْدَاكَ فِي جَتَّ». [٤٠] فَقَامَ وَأَسْرَجَ حِمَارَهُ وَارْتَحَلَ إِلَى جَتَّ إِلَى أَخِيشَ لِيَبْحَثَ عَنْ عَبْدَيْهِ. وَلَمَّا وَجَدَهُمَا عَادَ بِهِمَا مِنْ جَتَّ. [٤١] فَبَلَغَ سُلَيْمَانَ أَنَّ شِمْعِي قَدْ غَادَرَ أُورُشَلِيمَ إِلَى جَتَّ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا، [٤٢] فَاسْتَدْعَاهُ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا اسْتَحْلَفْتُكَ بِالرَّبِّ وَأَشْهَدْتُ عَلَيْكَ أَنَّكَ يَوْمَ تُغَادِرُ الْمَدِينَةَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ حَتْماً تَمُوتُ. فَأَجَبْتَنِي: حَسَناً، وَسَمْعاً وَطَاعَةً. [٤٣] فَلِمَاذَا نَقَضْتَ يَمِينَ الرَّبِّ وَنَكَثْتَ مَا أَوْصَيْتُكَ بِهِ؟» [٤٤] ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ: «أَنْتَ تُدْرِكُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِكَ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ فِي حَقِّ أَبِي، فَلْيُعَاقِبْكَ الرَّبُّ بِمَا جَنَتْهُ يَدَاكَ. [٤٥] أَمَّا الْمَلِكُ فَلْيُنْعِمْ عَلَيْهِ الرَّبُّ بِبَرَكَاتِهِ، وَلْيَكُنْ عَرْشُ دَاوُدَ رَاسِخاً أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ». [٤٦] وَأَمَرَ الْمَلِكُ بَنَايَاهُو بْنَ يَهُويَادَاعَ أَنْ يَخْرُجَ بِشِمْعِي وَيَقْتُلَهُ، وَهَكَذَا ثَبَتَ الْمُلْكُ لِسُلَيْمَانَ.

Solomon's Alliance With Pharaoh

3 Solomon made an alliance with Pharaoh king of Egypt and married his daughter. He brought her to the City of David until he finished building his palace and the temple of the LORD, and the wall around Jerusalem. [2]The people, however, were still sacrificing at the high places, because a temple had not yet been built for the Name of the LORD.

مصاهرة سليمان لفرعون

٣ وَتَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَأَحْضَرَهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ رَيْثَمَا يَتِمُّ إِكْمَالُ بِنَاءِ قَصْرِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ وَالسُّورِ الْمُحِيطِ بِأُورُشَلِيمَ. [٢] وَكَانَ الشَّعْبُ آنَئِذٍ يُقَدِّمُونَ ذَبَائِحَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ، لأَنَّ بَيْتَ الرَّبِّ لَمْ يَكُنْ قَدْ بُنِيَ بَعْدُ.

Solomon Asks for Wisdom

[3]Solomon showed his love for the LORD by walking according to the statutes of his father David, except that he offered sacrifices and burned incense on the high places. [4]The king went to Gibeon to offer sacrifices, for that was the most important high place, and Solomon offered a thousand burnt offerings on that altar. [5]At Gibeon the LORD appeared to Solomon during

تجلي الرب لسليمان

[٣] وَأَحَبَّ سُلَيْمَانُ الرَّبَّ وَسَارَ فِي فَرَائِضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلاَّ أَنَّهُ وَاظَبَ عَلَى تَقْدِيمِ ذَبَائِحَ وَإِيقَادِ بَخُورٍ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ. [٤] وَمَضَى سُلَيْمَانُ إِلَى جِبْعُونَ، الْمُرْتَفَعَةِ الْعُظْمَى، وَأَصْعَدَ هُنَاكَ أَلْفَ مُحْرَقَةٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَذْبَحِ. [٥] وَفِي جِبْعُونَ تَرَاءَى الرَّبُّ لَهُ لَيْلاً فِي حُلْمٍ وَقَالَ لَهُ: «اطْلُبْ مَاذَا أُعْطِيكَ؟».

the night in a dream, and God said, "Ask for whatever you want me to give you." [6]Solomon answered, "You have shown great kindness to your servant, my father David, because he was faithful to you and righteous and upright in heart. You have continued this great kindness to him and have given him a son to sit on his throne this very day. [7]Now, O LORD my God, you have made your servant king in place of my father David. But I am only a little child and do not know how to carry out my duties. [8]Your servant is here among the people you have chosen, a great people, too numerous to count or number. [9]So give your servant a discerning heart to govern your people and to distinguish between right and wrong. For who is able to govern this great people of yours?" [10]The Lord was pleased that Solomon had asked for this. [11]So God said to him, "Since you have asked for this and not for long life or wealth for yourself, nor have asked for the death of your enemies but for discernment in administering justice, [12]I will do what you have asked. I will give you a wise and discerning heart, so that there will never have been anyone like you, nor will there ever be. [13]Moreover, I will give you what you have not asked for–both riches and honor–so that in your lifetime you will have no equal among kings. [14]And if you walk in my ways and obey my statutes and commands as David your father did, I will give you a long life." [15]Then Solomon awoke–and he realized it had been a dream. He returned to Jerusalem, stood before the ark of the Lord's covenant and sacrificed burnt offerings and fellowship offerings. Then he gave a feast for all his court.

[٦] فأجاب: «لقد صنعت إلى عبدك داود أبي رحمة واسعة لأنه سلك أمامك بأمانة وصلاح واستقامة قلب، فلم تحرمه من الرحمة العظيمة، ورزقته ابنا يخلفه على عرشه في هذا اليوم. [٧] والآن أيها الرب إلهي، لقد جعلت عبدك ملكا خلفا لداود أبي، وأنا ما برحت فتى صغيرا غير متمرس بشؤون الحكم. [٨] وعبدك يتولى حكم شعبك الذي اخترته، وهو شعب أعظم من أن يعد أو يحصى لكثرته. [٩] فهب عبدك قلبا فهيما لأقضي بين شعبك، وأميز بين الخير والشر، لأنه من يستطيع أن يحكم شعبك العظيم هذا؟» [١٠] فسر الرب بطلب سليمان هذا. [١١] وقال له: «لأنك قد طلبت هذا الأمر، ولم تطلب حياة طويلة، ولا غنى، ولا انتقاما من أعدائك، بل سألت حكمة لتسوس شؤون الحكم، [١٢] فإني سألبي طلبك، فأهبك قلبا حكيما مميزا، فلا يضاهيك أحد من قبل ولا من بعد. [١٣] وقد أنعمت عليك أيضا بما لم تسأله من غنى ومجد، حتى لا يكون لك نظير بين الملوك في أيامك. [١٤] فإن سلكت في طريقي وأطعت فرائضي ووصاياي، كما سلك أبوك، فإني أطيل أيامك». [١٥] وعندما استيقظ سليمان من نومه أدرك أن ذلك كان حلما. فعاد إلى أورشليم ووقف أمام تابوت عهد الرب وقرب محرقات وذبائح سلام، وأقام وليمة لكل رجاله.

A Wise Ruling

[16]Now two prostitutes came to the king and stood before him. [17]One of them said, "My lord, this woman and I live in the same house. I had a baby while she was there with me. [18]The third day after my child was born, this woman also had a baby. We were alone; there was no one in the house but the two of us. [19]During the night this woman's son died because she lay on him. [20]So she got up in the middle of the night and took my son from my side while I your servant was asleep. She put him by her breast and put her dead son by my breast. [21]The next morning, I got up to nurse my son–and he was dead! But when I looked at him closely in the

حكمة سليمان في قضائه

[١٦] بعد ذلك حضرت امرأتان عاهرتان إلى الملك ليقضي بينهما. [١٧] فقالت إحداهما: «استمع يا سيدي، إني وهذه المرأة مقيمتان في بيت واحد، فرزقت بطفل. [١٨] فرزقت هي بطفل أيضا بعدي بثلاثة أيام، وكنا معا، لا يقيم بيننا غريب في البيت. كنا وحدنا فقط في البيت. [١٩] فمات طفل هذه المرأة عندما انقلبت عليه في أثناء نومها. [٢٠] فنهضت في منتصف الليل وأنا مستغرقة في النوم، وأخذت طفلي من جانبي وأضجعته في حضنها، وأضجعت ابنها الميت في حضني. [٢١] فلما قمت لإرضاع ابني في الصباح وجدته ميتا، وحين

تَأَمَّلْتُ فِيهِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ طِفْلِي الَّذِي أَنْجَبْتُهُ». ٢٢وَتَسَرَّعَتِ الْمَرْأَةُ الأُخْرَى تُقَاطِعُهَا قَائِلَةً: «كَلّا، إِنَّ ابْنِي هُوَ الْحَيُّ، وَابْنَكِ هُوَ الْمَيْتُ». فَتَرُدُّ عَلَيْهَا الأُخْرَى: «بَلِ ابْنُكِ هُوَ الْمَيْتُ وَابْنِي هُوَ الْحَيُّ». وَهَكَذَا اشْتَدَّ الْجَدَلُ أَمَامَ الْمَلِكِ. ٢٣فَقَالَ الْمَلِكُ: «كُلٌّ مِنْكُمَا تَدَّعِي أَنَّ الابْنَ الْحَيَّ هُوَ ابْنُهَا وَأَنَّ الابْنَ الْمَيْتَ هُوَ ابْنُ الأُخْرَى. ٢٤لِذَلِكَ ائْتُونِي بِسَيْفٍ». فَأَحْضَرُوا لِلْمَلِكِ سَيْفاً. ٢٥فَقَالَ الْمَلِكُ: «اشْطُرُوا الطِّفْلَ الْحَيَّ إِلَى شَطْرَيْنِ، وَأَعْطُوا كُلاًّ مِنْهُمَا شَطْراً». ٢٦فَالْتَهَبَتْ مَشَاعِرُ الأُمِّ الْحَقِيقِيَّةِ وَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: «أَصْغِ يَا سَيِّدِي، أَعْطِهَا الطِّفْلَ وَلا تُمِيتُوهُ». أَمَّا الْمَرْأَةُ الأُخْرَى فَكَانَتْ تَقُولُ: «لَنْ يَكُونَ لَكِ وَلا لِي. اشْطُرُوهُ». ٢٧عِنْدَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ: «أَعْطُوا الطِّفْلَ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي أَرَادَتْ لَهُ الْحَيَاةَ، فَهِيَ أُمُّهُ». ٢٨وَلَمَّا سَرَى نَبَأُ هَذَا الْحُكْمِ الَّذِي صَدَرَ عَنِ الْمَلِكِ بَيْنَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، امْتَلأُوا تَوْقِيراً لَهُ، لأَنَّهُمْ رَأَوْا فِيهِ حِكْمَةَ اللهِ لإِجْرَاءِ الْعَدْلِ.

تعيين كبار موظفي الدولة

٤ وَمَلَكَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ. ٢وَهَذِهِ أَسْمَاءُ كِبَارِ مُعَاوِنِيهِ: عَزَرْيَاهُو بْنُ صَادُوقَ الْكَاهِنِ، ٣وَأَلِيحُورَفُ وَأَخِيَّا ابْنَا شِيشَا كَاتِبَا الْبَلاطِ، وَيَهُوشَافَاطُ بْنُ أَخِيلُودَ الْمَسْؤُولُ عَنِ السِّجِلاتِ، ٤وَبَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ قَائِدُ الْجَيْشِ، وَصَادُوقُ وَأَبِيَاثَارُ كَاهِنَانِ، ٥وَعَزَرْيَاهُو بْنُ نَاثَانَ مَسْؤُولٌ عَنْ وُكَلاءِ الْمَنَاطِقِ، وَزَابُودُ بْنُ نَاثَانَ كَاهِنٌ وَنَدِيمُ الْمَلِكِ، ٦وَأَخِيشَارُ مُدِيرُ شُؤُونِ الْقَصْرِ، وَأَدُونِيرَامُ بْنُ عَبْدَا مَسْؤُولٌ عَنِ الأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ. ٧وَعَيَّنَ سُلَيْمَانُ اثْنَيْ عَشَرَ وَكِيلاً مُوَزَّعِينَ عَلَى أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، عَهِدَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِإِمْدَادِ الْقَصْرِ وَأَهْلِهِ بِالْمُؤَنِ شَهْراً مِنْ كُلِّ سَنَةٍ. ٨وَهَذِهِ هِيَ أَسْمَاؤُهُمْ: ابْنُ حُورَ فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ. ٩ابْنُ دَقَرَ فِي مَاقَصَ وَشَعَلَبِيمَ وَبَيْتِ شَمْسٍ وَأَيْلُونِ بَيْتِ حَانَانَ. ١٠ابْنُ حَسَدَ فِي أَرُبُّوتَ، وَكَانَ مَسْؤُولاً عَنْ سُوكُوهَ وَسَائِرِ أَرْضِ حَافَرَ أَيْضاً. ١١ابْنُ أَبِينَادَابَ، زَوْجُ طَافَةَ ابْنَةِ سُلَيْمَانَ، فِي كُلِّ مُرْتَفَعَاتِ دُورٍ. ١٢بَعْنَا بْنُ أَخِيلُودَ فِي تَعْنَكَ وَمَجِدُّو وَكُلِّ بَيْتِ شَانَ الْمُجَاوِرَةِ لِصَرْتَانَ أَسْفَلَ يَزْرَعِيلَ، فَضْلاً عَنْ كُلِّ الأَرَاضِي الْوَاقِعَةِ مَا بَيْنَ بَيْتِ شَانَ وَآبَلِ مَحُولَةَ حَتَّى يَقْمَعَامَ. ١٣ابْنُ جَابَرَ

morning light, I saw that it wasn't the son I had borne." 22The other woman said, "No! The living one is my son; the dead one is yours." But the first one insisted, "No! The dead one is yours; the living one is mine." And so they argued before the king. 23The king said, "This one says, 'My son is alive and your son is dead,' while that one says, 'No! Your son is dead and mine is alive.' " 24Then the king said, "Bring me a sword." So they brought a sword for the king. 25He then gave an order: "Cut the living child in two and give half to one and half to the other." 26The woman whose son was alive was filled with compassion for her son and said to the king, "Please, my lord, give her the living baby! Don't kill him!" But the other said, "Neither I nor you shall have him. Cut him in two!" 27Then the king gave his ruling: "Give the living baby to the first woman. Do not kill him; she is his mother." 28When all Israel heard the verdict the king had given, they held the king in awe, because they saw that he had wisdom from God to administer justice.

Solomon's Officials and Governors

4 So King Solomon ruled over all Israel. 2And these were his chief officials: Azariah son of Zadok–the priest; 3Elihoreph and Ahijah, sons of Shisha–secretaries; Jehoshaphat son of Ahilud–recorder; 4Benaiah son of Jehoiada–commander in chief; Zadok and Abiathar–priests; 5Azariah son of Nathan–in charge of the district officers; Zabud son of Nathan–a priest and personal adviser to the king; 6Ahishar–in charge of the palace; Adoniram son of Abda–in charge of forced labor. 7Solomon also had twelve district governors over all Israel, who supplied provisions for the king and the royal household. Each one had to provide supplies for one month in the year. 8These are their names: Ben-Hur–in the hill country of Ephraim; 9Ben-Deker–in Makaz, Shaalbim, Beth Shemesh and Elon Bethhanan; 10Ben-Hesed–in Arubboth (Socoh and all the land of Hepher were his); 11Ben-Abinadab–in Naphoth Dor (he was married to Taphath daughter of Solomon); 12Baana son of Ahilud–in Taanach and Megiddo, and in all of Beth Shan next to Zarethan below Jezreel, from Beth Shan to Abel Meholah across to Jokmeam; 13Ben-Geber–in Ramoth

Gilead (the settlements of Jair son of Manasseh in Gilead were his, as well as the district of Argob in Bashan and its sixty large walled cities with bronze gate bars); [14]Ahinadab son of Iddo–in Mahanaim; [15]Ahimaaz–in Naphtali (he had married Basemath daughter of Solomon); [16]Baana son of Hushai–in Asher and in Aloth; [17]Jehoshaphat son of Paruah–in Issachar; [18]Shimei son of Ela–in Benjamin; [19]Geber son of Uri–in Gilead (the country of Sihon king of the Amorites and the country of Og king of Bashan). He was the only governor over the district. [20]The people of Judah and Israel were as numerous as the sand on the seashore; they ate, they drank and they were happy.

[21]And Solomon ruled over all the kingdoms from the River to the land of the Philistines, as far as the border of Egypt. These countries brought tribute and were Solomon's subjects all his life.

فِي رَامُوتِ جِلْعَادَ، بِمَا فِي ذَلِكَ قُرَى يَائِيرَ بْنِ مَنَسَّى فِي جِلْعَادَ، وَإِقْلِيمُ أَرْجُوبَ فِي بَاشَانَ، وَهِيَ سِتُّونَ مَدِينَةً ذَاتَ أَسْوَارٍ وَبَوَّابَاتٍ لَهَا أَرْتَاجٌ نُحَاسِيَّةٌ. [١٤]أَخِينَادَابُ بْنُ عِدُّو فِي مَحَنَايِمَ. [١٥]أَخِيمَعَصُ فِي نَفْتَالِي، وَهُوَ أَيْضاً تَزَوَّجَ مِنْ بَاسِمَةَ ابْنَةِ سُلَيْمَانَ. [١٦]بَعْنَا بْنُ حُوشَايَ فِي أَشِيرَ وَبَعْلُوتَ. [١٧]يَهُوشَافَاطُ بْنُ فَارُوحَ فِي يَسَّاكَرَ. [١٨]شِمْعِي بْنُ أَيْلَا فِي بِنْيَامِينَ. [١٩]جَابِرُ بْنُ أُورِي فِي أَرْضِ جِلْعَادَ الَّتِي كَانَتْ لِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ وَعُوجَ مَلِكِ بَاشَانَ. وَكَانَ يُشْرِفُ عَلَى هَؤُلاءِ الْوُكَلاءِ مُرَاقِبٌ وَاحِدٌ عَامٌّ. [٢٠]وَكَانَ عَدَدُ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ لَا يُحْصَى، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ بِالسَّعَادَةِ.

[٢١]وَامْتَدَّ سُلْطَانُ سُلَيْمَانَ عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ الْوَاقِعَةِ مَا بَيْنَ نَهْرِ الْفُرَاتِ إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَحَتَّى تُخُومِ مِصْرَ. فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَمَالِكُ تُقَدِّمُ لَهُ الْجِزْيَةَ وَتَخْضَعُ لَهُ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ.

Solomon's Daily Provisions

[22]Solomon's daily provisions were thirty cors of fine flour and sixty cors of meal, [23]ten head of stall-fed cattle, twenty of pasture-fed cattle and a hundred sheep and goats, as well as deer, gazelles, roebucks and choice fowl. [24]For he ruled over all the kingdoms west of the River, from Tiphsah to Gaza, and had peace on all sides. [25]During Solomon's lifetime Judah and Israel, from Dan to Beersheba, lived in safety, each man under his own vine and fig tree. [26]Solomon had four thousand stalls for chariot horses, and twelve thousand horses. [27]The district officers, each in his month, supplied provisions for King Solomon and all who came to the king's table. They saw to it that nothing was lacking. [28]They also brought to the proper place their quotas of barley and straw for the chariot horses and the other horses.

مؤونة سليمان اليومية

[٢٢]وَكَانَتْ مُتَطَلَّبَاتُ الْقَصْرِ الْيَوْمِيَّةُ مِنَ الطَّعَامِ ثَلاثِينَ كُرَّ سَمِيذٍ (نَحْوَ سَبْعَةِ آلافٍ وَمِئَتَيْ لِتْرٍ)، وَسِتِّينَ كُرَّ دَقِيقٍ، [٢٣]وَعَشَرَةَ ثِيرَانٍ مُسَمَّنَةٍ، وَعِشْرِينَ ثَوْراً مِنَ الْمَرَاعِي، وَمِئَةَ خَرُوفٍ، فَضْلاً عَنِ الأَيَائِلِ وَالْغِزْلانِ وَالْيَحَامِيرِ وَالإِوَزِّ الْمُسَمَّنِ. [٢٤]لأَنَّ سُلْطَانَهُ كَانَ مُمْتَدّاً عَلَى كُلِّ الأَرَاضِي الْوَاقِعَةِ غَرْبِيَّ نَهْرِ الْفُرَاتِ مِنْ تَفْسَحَ إِلَى غَزَّةَ وَعَلَى مُلُوكِهَا، فَكَانَ السَّلامُ يُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. [٢٥]وَتَمَتَّعَ إِسْرَائِيلُ وَيَهُوذَا بِالأَمْنِ طُوَالَ حَيَاةِ سُلَيْمَانَ، فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَمْتِعُ بِالْجُلُوسِ تَحْتَ ظِلالِ كَرْمَتِهِ وَتِينَتِهِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. [٢٦]وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ. [٢٧]وَكَانَ وُكَلاءُ الْمَنَاطِقِ، كُلٌّ فِي شَهْرِهِ، يَمُدُّونَ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ وَكُلَّ مَنْ يَأْكُلُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِالْمُؤُونَةِ، فَلَمْ يُعْوِزُوا إِلَى شَيْءٍ. [٢٨]وَكَذَلِكَ جَلَبُوا الشَّعِيرَ وَالتِّبْنَ لِخَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَبِغَالِهَا مِنَ الْجِيَادِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْمُعَيَّنَةِ لِكُلٍّ وَكِيلٍ.

Solomon's Great Wisdom

[29]God gave Solomon wisdom and very great insight, and a breadth of understanding as measureless as the sand on the seashore. [30]Solomon's wisdom was greater than the wisdom of all the men of the East, and greater than all the

حكمة سليمان العظيمة

[٢٩]وَوَهَبَ اللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْماً فَائِقَيْنِ، وَرَحَابَةَ صَدْرٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ. [٣٠]وَتَفَوَّقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ عَلَى جَمِيعِ أَبْنَاءِ الْمَشْرِقِ

wisdom of Egypt. [31]He was wiser than any other man, including Ethan the Ezrahite–wiser than Heman, Calcol and Darda, the sons of Mahol. And his fame spread to all the surrounding nations. [32]He spoke three thousand proverbs and his songs numbered a thousand and five. [33]He described plant life, from the cedar of Lebanon to the hyssop that grows out of walls. He also taught about animals and birds, reptiles and fish. [34]Men of all nations came to listen to Solomon's wisdom, sent by all the kings of the world, who had heard of his wisdom.

وَكُلَّ حِكْمَةِ ٱلْمِصْرِيِّينَ. [٣١]فَكَانَ أَكْثَرَ حِكْمَةً مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ مِثْلَ إِيثَانَ ٱلْأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ أَبْنَاءِ مَاحُولَ. وَذَاعَ صِيتُهُ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُجَاوِرَةِ. [٣٢]وَنَطَقَ بِثَلَاثَةِ آلافِ مَثَلٍ، وَبَلَغَتْ أَنَاشِيدُهُ أَلْفاً وَخَمْسَ قَصَائِدَ. [٣٣]وَوَصَفَ ٱلْحَيَاةَ ٱلنَّبَاتِيَّةَ بِمَا فِي ذَلِكَ أَشْجَارُ ٱلْأَرْزِ فِي لُبْنَانَ، وَٱلزُّوفَا ٱلنَّابِتَ فِي ٱلْحَائِطِ، كَمَا وَصَفَ ٱلْبَهَائِمَ وَٱلطَّيْرَ وَٱلزَّوَاحِفَ وَٱلسَّمَكَ. [٣٤]فَأَقْبَلَ ٱلنَّاسُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ لِيَسْتَمِعُوا إِلَى حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ، مُوفَدِينَ مِنْ قِبَلِ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ أَخْبَارُ حِكْمَتِهِ.

65 ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: 18].

هذه الآية الكريمة جاءت في الخمس الأوّل من سورة «النمل» وهي سورة مكيّة، وعدد آياتها (93) بعد البسملة. وقد سُميت السورة بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى وادي النمل الذي مرَّ به سليمان عليه السلام وجنوده، فنطقت نملة ـ بلغتها الخاصّة بها ـ محذّرة رفاقها من إمكانيّة أن يطأهم سليمان وجنوده بأقدامهم أو بحوافر خيلهم فيحطّمونهم وهم لا يشعرون، ولذلك أمرتهم بدخول مساكنهم. وفي هذه الواقعة من الدلالة على وجود قدر من الوعي، والإدراك، والنطق، واللّغة الخاصّة عند أُمَّة النمل، كإحدى مجموعات الحياة التي خلقها الله تعالى، وهذه من الحقائق التي أكّدتها الدراسات العلميّة في أواخر القرن العشرين في مجال علم «سلوك الحيوان».

وسورة «النمل» هي إحدى سور قرآنية ثلاث، نزلت متتالية بنفس ترتيبها في المصحف الشريف وهي: **«الشعراء»**، **«النمل»**، **«القصص»**، وهذه السور الثلاث تستعرض قصص عدد من الأُمم السابقة من أجل استخلاص الدروس والعبر منها، ومن أجل التدبّر في سنن الله الواقعة بعباده دون تغيّر، أو تحوّل، أو توقّف. كما تقارن هذه السور الثلاث بين مواقف مشركي قريش من خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ومواقف أعداد من الكفّار والمشركين من رسل الله السابقين، تأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى تقارب الطبيعة البشرية.

وقد جاء ذكر كل من النَّبيّين الصادقين داود وولده سليمان عليهما السلام في سورة «النمل» بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 15 ـ 19].

من الدلالات الإنبائيّة والتاريخيّة والعلميّة للآية الكريمة:

أوّلاً: أنَّ هذه الواقعة من تاريخ عبد الله ونبيّه سليمان لم يرد لها ذكر في «العهد القديم» الذي يصف سليمان بالحكمة وبالحماقة في آن واحد، وبالمبالغة في البذخ وفي تعدد الزوجات إلى سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظية؛ وفي تملك اثني عشر ألف حصان (سفر ملوك 1/ 11)، وهو ما لا يقبله عقل عاقل.

ثانياً: الإشارة إلى أنَّ النمل يحيا في جماعات منظّمة:

ويشير إلى هذه الحقيقة كل من اسم السورة «النمل»، والآية التي نحن بصددها. فاسم السورة جاء بصيغة الجمع (النمل)، ولم يأت بصيغة الإفراد التي سميت بها سور قرآنيّة كريمة أخرى مثل سورة «العنكبوت»، والعنكبوت يحيا حياة فرديّة، والنمل لا يحيا إلَّا في جماعات. ومن الملاحظ أنه إذا ضلَّت نملة عن جماعتها، أو انفصلت عنها بسبب من الأسباب، فإنَّها إمَّا أن تنضم إلى جماعة أخرى أو أن تموت.

كذلك استخدمت الآية الكريمة رقم (18) من سورة «النمل» تعبير **(وادي النمل)**، وقد ثبت أنَّ النمل يحيا في جماعات يتفاوت عدد أفرادها بين بضع عشرات، وعشرات الملايين. وهذه الجماعات من النمل يحكمها تنظيم دقيق، تتنوع فيه المسؤوليات والوظائف والأعمال، التي تُؤَدّي كلّها بمستويات مبهرة من الإتقان في الأداء، والتفاني في العطاء، والاجتهاد، والمثابرة التي يفتقر إليها كثير من الناس.

وتبدأ جماعة النمل بالملكة المخصبة التي تضع بيضها في مكان آمن ترعاه فيه حتى يفقس، وتخرج منه اليرقات التي تتعهدها الملكة حتى يتمّ نموّها إلى الحشرة الكاملة. **والملكات** هي الإناث الخصبة من النمل التي أعطاها الله ـ تعالى ـ القدرة على التكاثر، ووضع البيض، ورعاية صغارها حتى تصبح قادرة على العمل. وعند تمام نمو الشغّالات فإنها تبدأ في القيام بمسؤوليّة مستعمرة النمل قياماً كاملاً حتى تأتي ملكة جديدة. وتستغرق هذه الدورة عدّة سنوات يتفاوت طولها بتفاوت نوع النمل من نوع إلى نوع آخر.

والشغّالات التي تشكّل أعدادها الغالبيّة الساحقة في مستعمرة النمل **هي إناث النمل العاقرة (العواقر)** التي لا دور لها في عمليّة التكاثر، ولكنّها تقوم بمسؤوليّات الجماعة كاملة. أمّا **ذكور النمل** فيتحدد دورها في إخصاب الملكات. وكلّ من الملكات وذكور النمل لها أجنحة تطير بها بعد نضجها مباشرة في أسراب تتم خلالها عملية التزاوج وإخصاب الملكات، وبعد ذلك تموت الذكور مباشرة. وتعود الملكة المخصبة إلى عشّ النمل لتضع بيضها، وتقصف أجنحتها حتى لا تتكرر عمليّة الإخصاب لها. وتستمر الملكة في إدارة أُمور جماعة النمل طيلة حياتها التي قد تمتد إلى خمس عشرة سنة، بينما تعيش الشغّالات لفترات تتراوح بين الأربع والسبع سنوات فقط ثم تموت. ولذلك تقوم على مستعمرة النمل ملكة واحدة، أو عدّة ملكات، بحسب حجم المستعمرة. وتقوم الشغّالات ببناء المستعمرة (عش واحد أو عدة أعشاش النمل)، وبشقّ الطرقات المؤدِّية إليها، وعلى كل من نظافتها، وصيانتها، وحراستها، والدفاع عنها، كما تقوم بجمع الطعام، وتجهيزه وتخزينه، وبغير ذلك من الأعمال.

وقد يحتوي عشّ النمل على كائنات أخرى تتعايش مع النمل في تكافل عجيب، وذلك من مثل حشرة المنّ وبعض الخنافس.

وأُمّة النمل هي من أكثر الأُمم الحيّة عدداً، وأوسعها انتشاراً إذ يعرف منها اليوم **أكثر من ثمانية عشر ألف نوع**، يمثّل كلّ نوع منها ببلايين الأفراد التي تنتشر

في جميع مناطق الأرض ما عدا المناطق القطبيّة. ويزدهر انتشار النمل في المناطق الحارّة بمتوسّط 150 نملة في المتر المربّع. وهذه الأسراب من النمل تبني ملايين البيوت (الأعشاش)، وتقضي على بلايين الحشرات والآفات سنويًّا، ولو تركت هذه الحشرات والآفات حيّة لدمّرت الكساء الخضري للأرض. وعلى ذلك فإنّ أسراب النمل تلعب دوراً رئيساً في عمليّة الاتّزان البيئي للأرض، وتمثّل حلقة هامّة من حلقاتها. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ النمل بحفره المستمر في الأرض فإنه يقوم بدور هام في تهوية التربة، وتسميدها، وتعقيمها، وتطهيرها من العديد من الآفات. وبحركته وسط النباتات فإن النمل قد يقوم بدور في تلقيح بعض الزهور، وفي نشر عدد من البذور عبر مساحات متباعدة من الأرض.

ثالثاً: الإخبار: بأنَّ لأمَّة النمل لغات خاصة بها:

سمع سليمان عليه السلام نصيحة النملة لرفاقها، وفهم لغتها، وكان ذلك بنعمة من الله وفضله. وقد ظلَّ عدد من علماء الحشرات يحاولون فكّ رموز لغات النمل لعشرات من السنين دون جدوى. وقد وظفوا في ذلك كل وسائل المنهج العلمي وتقنياته المتطوّرة، حتى أثبتوا أن للنمل لغات يتخاطب أفراده بها، دون أن يتمكنوا من فك رموز تلك اللغات. واليوم أصبحت لغات التخاطب ووسائل الاتصال عند الحيوان علماً من العلوم المستحدثة في زماننا، ينطوي تحت ما يعرف باسم «**علم سلوك الحيوان**». إلَّا أنَّ هذا المنهج البشري في استقراء لغات الحيوان وفهم سلوكه يبقى منهجاً جزئيًّا، استنتاجيًّا، تجريبيًّا، يحتمل الصواب والخطأ. لكن العلم الذي تلقّاه سليمان عن ربّه هو علم يقيني، علم به سليمان لغات عدد من الحيوانات كالطير والنمل، وهي معجزة من المعجزات الحسيّة التي خصَّه الله ـ تعالى ـ بها، وجعلها خارقة من الخوارق تخالف المألوف عند الناس. **وكانت هذه هي أوَّل إشارة مؤكّدة إلى وجود لغات محدّدة لكلّ أُمّة من المخلوقات العديدة التي أوجدها الخالق العظيم، بعلمه، وحكمته، وقدرته.**

وأحدث ما كتب عن النمل يؤكّد أنَّ هذه الحشرة العجيبة (التي يتراوح طول

الفرد من أفرادها بين المليمتر الواحد والسبعة مليمترات، ولا يتعدّى حجم مخّه حجم حبّة الملح المسحوق الناعم) لها قدرة هائلة على التخاطب بأكثر من لغة واحدة. فلكلّ مستعمرة من مستعمرات النمل لغتها الخاصّة بها، التي يتحدّث ويتفاهم أفرادها بها مع بعضهم بعضاً، ولها لغة أخرى تتفاهم بها مع النمل من غير مجموعتها، ومع غيرها من الحشرات والحيوانات الأخرى.

ولم يستطع العلم بكلّ تقنيّاته المتطوّرة الراهنة أن يستشف من لغات النمل إلّا بعض الظواهر والحركات والأصوات المصاحبة للكلام والتي تمَّ تلخيصها فيما يلي:

1 ـ **اللّغة الكيميائيّة**: والتي تتمثَّل في إفراز عدد من المركبات الكيميائيّة الطيّارة من جسم النملة، لتعبّر بكل مركب منها عن معنى محدد. وذلك من مثل إصدار الأوامر والتعليمات، أو التوجيهات والتحذيرات، أو غير ذلك من عمليّات الاتصال، وتبادل المعلومات والرسائل من أجل الإرشاد إلى بعض الأُمور من مثل مواقع الغذاء أو مواد البناء التي تريد أن توجّه أنظار الشغّالات إليها.

وقد ثبت أنَّ هذه الإفرازات الكيميائيّة تختلف في أنواع النمل المختلفة، وتُعرف عند علماء الحشرات باسم «**الإفرازات الدالّة على الأثر**». ومن هذه الإفرازات الكيميائيّة ما يستخدم للإنذار في حالات الأخطار وتُعرف باسم «**إفرازات الإنذار**».

2 ـ **اللّغة الحركيّة**: وتتم بواسطة تحريك كلّ من الأرجل والبطن والملامسة بواسطة قرون الاستشعار، وقد رصدت هذه الحركات بدقّة شديدة في محاولة لإيجاد تفسير لها.

3 ـ **اللّغة الصوتيّة**: وهذه لم يفهم منها علماء السلوك الحيواني سوى ذبذبات صوتيّة متردّدة كالصرير، تلتقطها خلايا سمعيّة في أرجل كلّ واحدة من النمل. وهذه الذبذبات الصوتيّة ـ وإن أكّدت أنَّ للنمل قدرة على التخاطب ـ إلّا أنّها تبقى دون اللّغة التي سمعها سليمان ﷺ وفهم دلالاتها.

رابعاً: الإشارة إلى أنَّ للنمل قدراً من الذكاء والوعي والإدراك والشعور:

وهذه حقيقة أكَّدتها الآية الكريمة بتعرف النملة على شخص عبد الله ونبيّه سليمان ومَن معه من الجنود، وبتحذير بقية النمل من إمكانيّة أن يطأ جند سليمان النمل بأقدامهم أو بحوافر خيلهم، وبنصيحتها لأقرانها أن يدخلوا مساكنهم، نجاة من تلك المخاطر. ويزيد من قدرات تلك النملة تعظيماً قولها: ﴿... لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: 18]. بمعنى أنَّها تدرك أنَّ من صفات المؤمنين الرفق بالخلق، فإن حدث غير ذلك فإنَّما يكون عفواً بغير قصد منهم ولا شعور.

وقد أكَّدت الدراسات المتخصصة في «**علم سلوك الحيوان**» كل هذه الحقائق باكتشاف أنَّ النمل ـ كغيره من المخلوقات ـ له من الغرائز الفطريّة ما يعطيه قدراً من الذكاء، والوعي، والإدراك، والشعور، الذي يمكّنه من معرفة الأشياء، والأماكن، والاتجاهات، والأوقات، والأشخاص. وهذه الغرائز الفطرية تعين كل واحدة من النمل على التمييز بين الحقّ والباطل، وعلى توقّي المخاطر وتجنّبها، وفي الإقدام على المغانم واقتناص فرصها، وفي ترتيب وتنظيم وضبط حياتها الاجتماعيّة بعدد من القواعد الدقيقة. وفوق ذلك كلّه فإنَّ الآيات القرآنيّة الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة تؤكّد أنَّ أُمَّة النمل ـ كغيرها من الأُمم غير المكلّفة ـ هي أُمَّة مفطورة على الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وحده ربًّا، إلٰهاً، خالقاً، ورازقاً، وعلى عبادته وتقديسه، والتسبيح بحمده، عبادة وتقديساً وتسبيحاً تسخيريًّا، لا إرادة لها في شيء منه، ولكنها تدركه وتعيشه.

وهذا يفسّر تعرف النملة على عبد الله ونبيه سليمان، والإشارة بهذا الأدب الجمّ إلى مقام النبوَّة الذي أفاء الله ـ تعالى ـ به على هذا العبد الصالح. وهذا العلم الوهبي الذي مَنَّ الله ـ تعالى ـ بقدر منه على جميع مخلوقاته، تتفاوت أقداره بتفاوت الأدوار المطلوبة من كلٍّ منها في هذه الحياة الدنيا، وفي الحدود التي وضعها الله ـ تعالى ـ لكلِّ أُمَّة من أُمم هذا الوجود.

ولذلك تبسم عبد الله ونبيه سليمان عند سماعه مقولة النملة، وقد فهمها بما وهبه الله ـ تعالى ـ من علم. ولقد أعجب سليمان بقدرة الله البالغة التي أعطت النملة (تلك الحشرة الضئيلة في الحجم هذا القدر من الوعي، والإدراك والأدب والحكمة، وأعطت رفاقها قدرة الفهم عليها، والانصياع لأوامرها، وأعطته هو القدرة على إدراك ذلك، فتوجّه إلى الله ـ تعالى ـ بالدّعاء أن يلهمه شكر النعم العديدة التي أسبغها عليه وعلى والديه، وأن يوفقه إلى عمل الخير الذي يرتضيه، وأن يدخله الجنّة مع عباده الصالحين، وفي ذلك تقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 19].

ومن الأدلّة المجتمعة على ذكاء النمل، ووعيه، وإدراكه دقّة تنظيم مجتمعاته، وضبط توزيع العمل بين أفراده، وإحكام بناء أعشاشه وبيوته، وتنظيم المخارج منها والمداخل إليها، والمهارة في اصطياد وجمع طعامه، وحسن تجهيز ذلك الطعام، وتخزينه وصيانته ورعايته. ويضاف إلى ذلك قدرة النمل على زراعة بعض النباتات (مثل الفطر)، وحمايتها من الميكروبات بإفراز العديد من المضادات الحيويّة حولها، وقدرته كذلك على التعايش في توازن وتكافل تامّين مع العديد من الحشرات الأخرى مثل المنّ والخنافس.

خامساً: التأكيد على أنَّ إدراك عبد الله ونبيه سليمان ﷺ للغات عدد من الطيور والحشرات ولغات غيرهما من الحيوانات كان هبة من الله ـ تعالى ـ:

وذلك لأنَّ كلًّا من سليمان وأبيه داود ﷺ لم يبذلا جهداً في تعلم منطق الطير ولا لغة النمل، ولم يعلمهما ذلك إلّا الله ﷻ. وتبقى هذه المنحة الإلٰهية معجزة تشهد لكلٍّ منهما بالنبوّة، وذلك بين منكري الوحي من المشركين الذين كانوا يملأون جنبات الأرض في زمان كل منهما. ولا يزالون ملاحدة اليوم في هذا الإنكار إلى يومنا هذا، وسيظلون كذلك إلى قيام الساعة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان سليمان ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]

وإثبات «**علم سلوك الحيوان**» في زماننا الراهن أنَّ لكلّ مجموعة من المخلوقات لغتها الخاصّة بها، والتي يحاول العلماء في هذا الفرع من أفرع المعارف المكتسبة استقراء شيء منها، فيه ما يشهد لهذه النصوص القرآنيّة الكريمة بأنَّها لا يمكن أن تكون صناعة بشريّة. وذلك لأنَّه لو قال قائل بذلك قبل تنزل الوحي بالقرآن الكريم ما صدقه أحد من الخلق. وهذا يشير إلى لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في الآية الثامنة عشر من سورة «النمل»، ويؤكد على نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى أنه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً بعلم من لدن رب العالمين، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

66 ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾ [النمل: 20].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة جاءت في مقام الإنباء بإحدى النعم التي مَنَّ الله ـ تعالى ـ بها على عبده ونبيّه سليمان بن داود ﷺ ألا وهي **نعمة علم منطق الطير**. وكانت هذه النعمة العظيمة هي إحدى النِّعم العديدة التي أفاء الله ـ تعالى ـ بها على عبده سليمان وعلى أبيه داود من قبل. وهذه النِّعم لم يبذل أي من سليمان أو داود جهداً شخصياً من أجل اكتسابها، بل كانت من المعجزات التي أكرمهما الله ـ تعالى ـ بها شهادة لكلّ منهما بالنبوّة. وكانت إحدى هذه المعجزات هي هدهد سليمان، ذلك الطائر الصغير الذي أدرك من أحوال «ملكة سبإ» وقومها ما لم يدركه كثير من الناس في زمانه، ولا في زمن الفتن التي عمت الأرض اليوم.

و(**الطائر**) في اللّغة: هو كل حيوان من ذوات الفقار، له جناحان يمكّنانه من السبح في الهواء وإن لم يفعل ذلك، وجمعه (**طير**)، وإن أطلق هذا اللّفظ على المفرد أيضاً؛ وجمع طير (**طيور**) و(**أطيار**).

يقال: (طار) (يطير) (طيرورة) و(طيراناً)، و(أطاره) غيره أو (طيَّره) أو (طايره) بمعنى واحد. و(الطيّار) هو الذي يطير أو يقود طائرة، وأرض (مطارة) أي: كثيرة الطير، و(المطار) مكان انطلاق عمليّات الطيران ويقال: (تطاير) الشيء بمعنى تفرّق أو طال، و(استطار) بمعنى انتشر، و(استُطِير) بمعنى طُيِّر. و(طائر) الإنسان هو عمله الذي قلّده، أو طار عنه من خير أو شرّ. ويقال: «كأنَّ على رؤوسهم (الطير)» إذا سكتوا من هيبة أو خوف. كما يقال: (تطيّر) فلان و(طيّر) بمعنى تشاءم، وإن كان أصله التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كلّ ما يتفاءل به ويتشاءم، وإن غلب استعماله في التشاؤم، و(الطير) و(الطيرة) اسم من التطيّر أي التشاؤم. وفي الحديث: «عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يحب الفأل

الحسن ويكره الطيرة»[1].

ولفظة (**الطير**) جاءت في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، وجاء الفعل (**يطير**) مرّة واحدة، وجاءت لفظة (**طائر**) بمعناها الحيواني مرّة واحدة كذلك، ولفظة (**طيراً**) جاءت ثلاث مرّات، وجاء الفعل (**تطيَّر**) و(**اطَّيَّر**) و(**يطير**) بمعنى تشاءم، مرّة واحدة لكلّ، وجاء الاسم (**طائركم**) بمعنى شؤمكم في مرّتين. وجاء لفظ (**طائر**) بمعنى العمل مرّتين كذلك، وجاءت الصفة (**مستطيراً**) بمعنى فاشياً منتشراً مرّة واحدة.

وجاء اسم **طائر** (**الهدهد**) مرّة واحدة في القرآن الكريم. والهدهد طائر أنيق، يتّسم بالذّكاء، واليقظة، والحذر، وسرعة الملاحظة، وقوّة الذاكرة، وسعة الحيلة، والقدرة على التعبير، والإيمان الفطري، والتسبيح غير الإرادي، وتوحيد الله ـ تعالى ـ بصورة تكاد تكون متّصلة، والدعوة إلى الخير بلا توقّف، وإلى عبادة الله ﷻ وحده. لذلك نهى رسول الله ﷺ عن قتل الهدهد، وذلك بما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: «**نهى النَّبي ﷺ عن قتل أربع من الدوّاب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد**»[2].

والهدهد اسمه العلمي (**Upupa epops**) واسمه الدارج باللّغة الإنجليزيّة (Hoopoe) ويُنسب إلى فصيلة الهداهد (Family Upupidae)، وهي من فصائل الطيور ذات المنقار العظمي (Horn bill)، ولا يعرف منها أكثر من سبعة أنواع من الهداهد التي تعتبر من الطيور النادرة في كل من أوروبا والأمريكتين، وإن انتشرت في كلٍّ من المناطق الاستوائيّة والمعتدلة من القارَّتين الأفريقيّة والآسيويّة.

والهدهد طائر صغير الحجم، يبلغ طوله حوالي 30 سنتيمتراً، ويتميَّز بأرجله

---

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، حديث رقم (3536).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، حديث رقم (5267)، وابن ماجه في كتاب الصيد، حديث رقم (3224)، و(**الصرد**) طائر ضخم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر.

القصيرة وأقدامه العريضة، ومخالبه القويّة، وتاجه الريشي الجميل، المنتصب، وذيله المربّع، وريشه متعدد الألوان المبهجة، ومنقاره الطويل، الرقيق، المعقوف قليلاً إلى الأسفل، وجناحاه العريضان المدوّران، وصوته الموسيقي الناعم الذي يتردّد مرّة كل ثانيتين تقريباً.

والهدهد يمشي على الأرض بخطى سريعة، ويجري بسرعة ملحوظة، ويعيش عادة في المناطق المفتوحة، المكسوّة بالخضرة، والنائية عن السكان. والهدهد عادة يُرى أفراداً، وفي بعض الأحيان يُرى أزواجاً، وفي البعض النادر يُرى في جماعات. ويطير الهدهد بقوّة وبمباشرة فيها شيء من الفجائيّة، ويحطّ على الأرض باندفاع وفجائيّة كذلك. **وهذا الطائر الجميل يعتبر من الجوارح** لأنه يتغذّى أساساً على الحشرات ويرقاتها، وعلى بعض اللافقاريّات الصغيرة من مثل العناكب، وذوات المائة قدم، وديدان الأرض، وغيرها، **ومن هنا كانت حكمة تحريم أكل لحمه.**

والهدهد يستطيع بما وهبه الله (تعالى) من الذكاء الفطري أن يخلص فريسته ممّا لا يفيده كطعام من مثل الأصداف، والأجنحة، والأرجل، والزوائد الأخرى، وذلك بضرب الفريسة في الأرض عدّة مرّات حتى تنفصل تلك الأجزاء التي لا تفيده، ثم يمزّق الفريسة المنظّفة بواسطة منقاره، ويأكلها جزءًا جزءًا.

والهدهد يستخدم الفتحات والفراغات الموجودة في أي من الأشجار أو الصخور أو أسقف وجدران المباني لاستعمالها عشًا له ولفراخه بعد فرشها بالقش، أو الأعشاب، أو أوراق الشجر. وفي هذه الأعشاش تضع الأُنثى بيضها وتحتضنه لمدّة (16) إلى (19) يوماً ولا تغادره حتى يفقس، وعلى الذكر أن يوافيها بالطعام طوال هذه المدّة. وبعد أن يفقس البيض، وتخرج منه الفراخ الصغار، تحتضن الأُم صغارها لمدّة ثمانية أيّام أخرى في المتوسط. وصغار الهداهد تعتبر من أكثر الطيور وفاء لأمهاتها، والأمهات تعتبر من أكثر الطيور حناناً على صغارها.

والعلوم المكتسبة، وإن أدركت مؤخراً قوّة الملاحظة، والتمييز، والقدرة على التعبير في العديد من الحيوانات ـ ومنها الطيور ـ إلّا أنّها لا تستطيع أن

تفسر ذلك. فعلماء السلوك الحيواني لا يعرفون قدرات كل كائن حي على إدراك الأحداث التي تمرّ أمام ناظريه، ولا يستطيعون تفسير كيفية انفعاله بها، أو تفاعله معها. ولا يعرفون كيفيّات عمل المخّ في كلّ واحد من هذه الكائنات الحيّة، وإن تحققوا من قدرات تلك الكائنات على السمع والإبصار، والإدراك، والتعرف على الأشياء، وتخزين المعلومات، واجترارها، وتمييزها، وتبويبها، والتعبير عن ذلك بوسائلها المختلفة. والاكتشافات الأخيرة في «علم سلوك الحيوان» تؤكّد ذلك وتدعو إليه. وقد صدرت مؤلّفات عديدة بعناوين مثل «ذكاء الحيوان وقدرته على كلّ من التفكير والسلوك» (Animal Intelligence, Thinking and Behaviour)، و«عندما تبكي الفيلة» (When Elephants Weep)، وغيرها.

وهذا كله في جانب، وفي الجانب الآخر أن يستطيع طائر صغير مثل هدهد سليمان أن يدرك خطأ عبادة الشمس التي كان يمارسها «**قوم سبأ**»، وأنها شرك باللَّه، وأنَّ ذلك من تزيين الشيطان لهم، ومن صده عن صراط الله المستقيم يعتبر شيئاً محيراً لعقل الإنسان المعاصر الذي ضلّ غالبية أفراده عن حقيقة توحيد الله وتنزيهه عن جميع صفات خلقه. ويأتي فوق ذلك إدراك هذا الطائر الصغير أنَّ الله ـ تعالى ـ الذي يخرج المخبوء في السمٰوات والأرض هو الأجدر بالعبادة من كل ما سواه، وهو قمة التوحيد للَّه، يعتبر مستوى من الفهم يفتقر إليه الكثيرون من بني آدم. وعلم الهدهد أنَّ الله ـ تعالى ـ لا إلٰه إلَّا هو، وأنَّه ـ سبحانه ـ هو ربُّ العرش العظيم، يأتي بما لا تستطيع كلّ المعارف المكتسبة إدراكه، وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الموقف من سيرة عبد الله ونبيّه سليمان بن داود عليه السلام لم يرد عنه شيء في كتب الأولين الموجودة بين أيدي بعض أهل اليوم.

وفي سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى مثل هذه الوقائع والحقائق من قبل أن يصل إليها علم الإنسان بأكثر من ألف وأربعمائة سنة لمما يقطع بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق.

ويزيد هذا الموقف إعجازاً تسجيل الآيات في سورة «النمل» لموقف عبد الله ونبيّه سليمان عليه السلام الذي لم يتسرّع في تصديق الهدهد أو تكذيبه، ولم تَسْتَخِفُّه

الأخبار التي نقلها إليه عن قوم سبأ وملكتهم، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 20 ـ 28].

وعندما وصل الكتاب إلى ملكة سبأ فتحته وقرأت محتواه، ثم توجَّهت إلى الملأ من حاشيتها تستشيرهم في هذا الأمر الخطير، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[النمل: 29 ـ 35].

وتؤكّد هذه الآيات أنَّ ملكة سبأ لم تعلم كيف ألقي إليها الكتاب؟ ولا من ألقاه؟ ولكنَّها علمت أنَّه من سليمان، ووصفته بأنَّه كتاب كريم، لأنَّه مبدوء بأنَّه من سليمان، وأنَّه باسم ﷲ الرَّحمٰن الرحيم. والكتاب مطلوب فيه من أهل مملكة سبأ أمر واحد: ألا يستكبروا على هذا النبي الملك، ولا يعصوا أمره، وأن يأتوا إليه مسلمين للَّه ـ تعالى ـ الذي خاطبهم باسمه سليمان في الكتاب. وواضح أنَّ الملكة أُخِذَتْ بهذا الكتاب منذ اللحظة الأولى لاستلامها إيّاه وقراءة محتواه، لأنَّه يتَّضح فيه حزم سليمان في دعوتهم إلى دين ﷲ (وهو الإسلام). وقررت الملكة

مواجهة ذلك بالحيلة والملاينة لأنَّها تعرف أنَّ الملوك إذا دخلوا قرية فإنهم في العادة يستبيحون كل شيء فيها، وينتهكون حرماتها، ويقضون على حكامها، وعلى أهل الرأي والمشورة من أبنائها، فقررت إرسال هدية إلى سليمان لعلّها ترقق قلبه، وترفع غائلة الإصرار على القتال معها عن ذهنه.

وعندما وصل رسل ملكة سبأ إلى سليمان وقدموا إليه هديتها، رفضها سليمان، وأعلن إصراره على قتالهم إن لم يأتوه مسلمين وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: 36، 37].

وتشير الآيات بعد ذلك إلى أنَّ عبد الله ونبيّه سليمان قد علم عن طريق رسل ملكة سبأ أو عن طريق الوحي أنَّ الملكة قد قررت القدوم لزيارته، فتذاكر مع حاشيته في إحضار عرشها الذي تركته من ورائها بينما هي في طريقها إليه من أجل إشعارها بالمعجزات التي أيّده الله ـ تعالى ـ بها؛ وفي ذلك تقول الآيات:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل: 38 ـ 41].

ومن معاني هذه الآيات أن عفريتاً من الجن الذين كان الله ـ تعالى ـ قد سخَّرهم تحت إمرة سليمان عرض عليه أن يأتيه بعرش ملكة سبإ قبل انقضاء جلسته التي كان يجلس فيها، والتي كانت عادة تمتد من الصبح إلى الظهر فيما يروى عنه. فاستبطأ سليمان ذلك، فإذا برجل مؤمن من جلسائه يعرض عليه أن يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه (أي في أقل من طَرفة عين). وقد كان هذا الرجل ممَّن مَنَّ الله ـ تعالى ـ عليهم بشيء من العلوم اللدنيّة فحقق لسليمان مطلبه. لمست هذه المفاجأة قلب سليمان الذي انطلق لسانه بالشكر للَّه ـ تعالى ـ

على نعمائه، وبالاستعاذة من ابتلائه، وبدأ في إعداد المفاجئات للملكة القادمة عليه، فأمر بتغيير معالم عرشها المميزة له، وذلك من أجل اختبار فراسة الملكة هل ستعرفه أم لا؟ فلمّا وصلت ملكة سبأ إلى قصر سليمان فوجئت بعرش يشبه عرشها أمام ناظريها، فسئلت عن العرش حتى قالت: كأنَّه هو، وقد هزّتها المفاجأة فأعربت عن رغبتها في قبول الإسلام ديناً وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 42 ـ 44].

هذا وقد أورد «العهد القديم» جانباً من قصّة عبد الله ونبيّه سليمان عليه السلام في سفر «الملوك الأول» الذي جاء فيه أنَّ سليمان بنى المعبد، [إشارة إلى إعادة بناء المسجد الأقصى الذي عبد الله ـ تعالى ـ فيه هو وأبوه وأسلافه من قبل (سفر الملوك الأول/ 6)]. وادّعى هذا السفر أنَّ الله ـ تعالى ـ قد ظهر لسليمان (سفر الملوك الأول/ 9) ولعلَّ المقصود بذلك هو تلقيه الوحي من الله ـ تعالى ـ. وجاء في هذا السفر نفسه (الملوك الأول/ 10) إشارة إلى زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام دون أدنى إشارة إلى قصّة الهدهد، ولا إلى الرسالة التي ألقيت إلى الملكة، ولا إلى مشاورتها مع حاشيتها، ولا إلى ردّ سليمان لهديتها، ولا إلى حادثة إحضار عرش ملكة سبأ إلى أرض فلسطين بخارقة من الخوارق من قبل وصول الملكة إليها، ولا إلى واقعة تنكير عرشها، ولا إلى ظنّها أنَّ ساحة القصر البلّوريّة قد أُقيمت فوق بركة من الماء فظنّت أنّها لجة من الماء فكشفت عن ساقيها، ولا إلى وقوفها مشدوهة أمام ما رأت من العجائب التي أذهلتها في قصر سليمان. ولم يشر سفر «الملوك الأول» كذلك إلى اعتراف ملكة سبأ بما ظلمت به نفسها وقومها من قبل بعبادة الشمس من دون الله، فأعلنت إسلامها مع سليمان للّه ربّ العالمين.

هذه الفوارق الفاصلة تثبت لكلِّ ذي بصيرة أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي

والعلمي في استعراض القرآن الكريم لواقعة عبد الله ونبيّه سليمان مع ملكة سبأ، كما تثبت الفارق بين كلام الله ـ تعالى ـ وإخبار البشر عن الواقعة الواحدة، وتنفي كل دعاوى المدّعين الباطلة التي زعموا فيها كذباً وبهتاناً أن قصص القرآن الكريم منقول عن العهد القديم.

وتذكر كتب التاريخ القديم أن سليمان عليه السلام بعد توليته الحكم عقب وفاة أبيه قام بالاهتمام الزائد بكل من ميناء «آيلة» و«عصيون جابر» المطلين على خليج العقبة ليفتح بذلك الطريق لسفنه إلى كل من سواحل البحر الأحمر، وسواحل كل من شرق أفريقيا وشرق وجنوب آسيا.

وقد استقام الأمر لسليمان عليه السلام في ميناء «آيلة» (العقبة) الذي أصبح البوابة الجنوبية لمملكته، حتى قيل أن بلقيس ملكة سبأ كانت قد قدمت إليه عن طريق ذلك الميناء.

والشبه في بعض ملامح الروايتين (القرآنية وما جاء عنها في «العهد القديم») يؤكّد الأصل الواحد لهما، كما يوضح أنَّ التحريف جاء في تناقل رواية «العهد القديم» شفاهاً على ألسنة الناس قبل تدوينها بأيدي مجهولين ممَّن هم ليسوا بأنبياء، ولا بمرسلين، ومن ثم فلا عصمة لهم على الإطلاق. كذلك فإن رواية «العهد القديم» قد دونت في لغات غير لغة الوحي بها، وظلت تتناقل مشافهة من الأجداد والآباء إلى كل من الأحفاد والأبناء على مدى عدة قرون قبل تدوينها. وواضح ما يمكن أن تكون له هذه الروايات المنقولة شفاهاً قد تعرضت لأقدار من الحذف والإضافة، والتحريف والتغيير والنسيان والابتداع مما يخرجها عن إطارها الرباني ويفسدها إفساداً كبيراً كما يتضح مما أوردنا من نصوص «العهد القديم» عن عبد الله ونبيه سليمان بن داود عليهما السلام.

67 ـ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [ص: 31].

يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه عن عبده ونبيه سليمان عليه السلام:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: 30 ـ 40].

ويسجل القرآن الكريم في هذه الآيات واقعة من الوقائع الهامة في سيرة عبد الله ونبيه سليمان بن داود عليه السلام. وهذه الواقعة وحدها يعتبر تسجيلها في كتاب الله دليلاً كافياً لإثبات ربانية القرآن الكريم، ونبوة الرسول الخاتم الذي تلقاه ﷺ. وذلك لأن هذه الواقعة لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ولا في أي من كتب الأولين المتوافرة بأيدي الناس اليوم.

من الإعجاز اللغوي في هذا النص القرآني الكريم:

(عُرِضَ) عليه بمعنى: أبرزت له حتى نظر إليها، من (عرض) يعرض (عرضاً) أي أظهر يظهر ظهوراً، والفعل في الآية الكريمة مبني للمجهول.

(العشي) هو الفترة الزمنيّة من زوال الشمس إلى غروبها [وصلاتا العشي هما الظهر والعصر، فإذا غابت الشمس فهو **العشاء الأول وثم العشاء الآخر**، وإن قال بعض اللّغويين أنَّ (**العشي**)، و(**العشية**) **من صلاة المغرب إلى العتمة**، و(**العشاء**) **مثل** (**العشي**)، و(**العشاءان**) المغرب والعتمة]. وزعم البعض أنَّ (العشاء) من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، وهوتعريف مبالغ فيه. و(العشا) مقصور مصدر (الأعشى)

وهو الذي يبصر بالنّهار، ولا يبصر باللّيل، والمرأة (عشواء)، ويقال (أعشاه) الله (فعشي). ومعنى (العشي) في الآية الكريمة التي نحن بصددها هو الفترة من بعد الزوال إلى غروب الشمس.

والصافنات: هي جمع (الصافن)، والصافن من الخيل هو القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر تعبيراً عن الزهو والاعتزاز بالذات. ويقال: **(صفن)** الفرس (يصفن) (صفوناً) أي: صف أقدامه، وجمعه **(صُفُون)** وذلك لأنَّ **(الصفن)** هو الجمع بين الشيئين ضاماً بعضهما إلى بعض، و**(الصفون)** صفة دالّة على فضيلة متميزة من الخيل، مما يشير إلى تميز خيل عبد الله ونبيه سليمان بن داود عليه السلام.

والجياد: جمع **(جواد)**، وهو الفرس السريع، الجيّد الركض، السابق في العدو (ذكراً كان أو أُنثى)؛ يقال: فرس **(جواد)** أي يجود بمدخر عدوه؛ ويقال: **(جاد)** الفرس **(يجود)** **(جودة)** فهو **(جواد)** إذا أسرع في جريه وعدوه، والجمع **(جياد)**. و**(الجواد)** في الأصل منسوب إلى **(الجود)** وهو بذل الكثير من المقتنيات مالاً كان أو علماً أو جهداً، ولذلك يقال: رجل جواد، وفرس جواد. وكان يقال: فرس **(حصان)** لكونه حصناً لراكبه، ويطلق لفظ (حصان) على كل ذكر من الخيل، وجمع الحصان **(أحصنة)**. واسم **(الخيل)** مستمدّ من الخيلاء لأنَّ **(الخيل)** تتخايل في سكونها، وفي حركاتها لما تستشعره من فضل الله ـ تعالى ـ عليها من الجمال، والقوّة والذكاء، والقدرة على إدراك الكثير من الأشياء التي قد لا يدركها غيرها من الحيوانات. ولفظ (الخيل) كما يطلق على الأفراس فإنَّه يطلق مجازاً على الفرسان، وذلك تأولاً لما قيل إنَّه لا يركب أحد فرساً إلَّا وجد في نفسه شيئاً من الخيلاء والزّهو والشجاعة والنخوة. وفي قولهم: يا خيل الله اركبي، إشارة إلى الفرسان الذين يركبون الخيل للجهاد في سبيل الله. وفي قول المصطفى ﷺ عفوت لكم عن صدقة الخيل إشارة إلى الأفراس. و**(الخيالة)** هم أصحاب الخيول الكثيرة العدد. وواضح من دقة التعبير في كل لفظ من ألفاظ هذه الآيات الكريمة أن صياغتها تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز البياني والعلمي في كتاب الله.

ويقول ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: 8].

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: 60].

ويقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: 30 ـ 33].

من الدلالات الإنبائية التاريخية والعلمية للآيات الكريمة:

أوّلاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: 30]: يخبر الله ـ تعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأنّه ﷻ كان قد رزق عبده ونبيه داود ﷺ بالولد الصالح المسمى سليمان، وأنَّ سليمان هذا كان كثير الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ بالتوبة والإنابة فوصفه الله ـ تعالى ـ بوصف ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

و(أوّاب) صيغة مبالغة من (آب) إلى الله بمعنى تاب إليه. يقال: (آب) (أوبا) و(مئابا) أي: عاد عودا وعيادة، أو تاب توبة ومتابا.

والمراد (بالهبة) هنا هي الذرية والنبوّة والعلم، والملك، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 15، 16].

وقد اختص ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده سليمان بالنبوّة لعلمه ـ جلَّ شأنه ـ بما في هذا العبد من خير. وإذا قارنّا وصف ربّنا ـ تبارك اسمه ـ لسليمان بوصف ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ بما جاء عن هذا العبد الصالح في «سفر الملوك الأول/

11» من «العهد القديم» تحت عنوان «زوجات سليمان» لأدركنا الفارق الكبير بين كلام الله ـ تعالى ـ وروايات البشر.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [صٓ: 31].

في هذه الآية القرآنيّة الكريمة وصفت خيل عبد الله ونبيه سليمان بوصفين هما: **(الصافنات الجياد)** وهو مدح لها بأنها واقفة **(الصافنات)**، وجارية **(الجياد)**. فإذا وقفت كان ذلك على ثلاثة قوائم، وعلى طرف حافر القائم الرابع، وذلك من علامات السكون، والاطمئنان، والثقة في النفس، والخيلاء بما أفاء الله ـ تعالى ـ عليها من قوّة في البنية، وجمال في المظهر، وقدرات على الحسِّ والإدراك. وإذا جرت، كانت في عدوها سباقة بسرعة، راكضة كأحسن ما تكون الجياد. ولذلك فإنَّ عبد الله ونبيه سليمان أعجب بخيله إعجاباً شديداً، وانبهر بجمالها وحسن مظهرها، فلم يدرك مرور الوقت طيلة استعراضه لها حتى فات عليه ذكر خاص له كان يؤدّيه في ذلك الوقت، أو عبادة خاصة فاتته حتى غابت الشمس، واختفت الخيل عن الأنظار. فتأسّف سليمان على ذلك أسفاً شديداً يرويه القرآن الكريم على لسانه فيقول: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [صٓ: 32]. أي: أني آثرت حب الخيل حتى شغلتني عن ذكر الله، ولم أتذكّره حتى توارت الخيل عني باحتجابها، أو توارت الشمس بغروبها، أو حتى حدث الأمران معاً.

والخيل أو الأحصنة أو الفرس (Horses) هي من الحيوانات الثديية المشيمية ذات الحافر (Ungulate Placental Mammals)، وتجمع في رتبة خاصّة بها تعرف باسم رتبة فرديّة أصابع الحافر (Order Perissodactyla = Odd-toed Ungulates) وذلك لتميزهابإصبع عامل واحد كبير في كل قدم، وهو مغطّى بالحافر الواقي له من الصدمات من أجل حمايته. والحيوان الحافري إمَّا أن يكون فردي الأصابع من مثل الخيل، والبغال، والحمير، والحمير الوحشيّة وأشباهها، وإمّا أن يكون زوجي الأصابع (Order Artiodactyla = Even-toed Ungulates) من مثل مختلف الأنعام

(الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، والغزلان، والزرافات، وأشباهها).

والخيل من الحيوانات آكلة الأعشاب (Herbivorous) كما تأكل الحبوب، ولذلك تتميّز بأسنانها الكبيرة، ذات السطوح العريضة، المزوّدة بعدد من البروزات المناسبة لجرش وطحن هذا النوع من الغذاء (مثل الحشائش، التبن، الدريس، الردّة، الفول، الشعير، الشوفان وغيرها من الحبوب).

وتكثر البروزات على أسطح تيجان طواحين الخيل كي تتمكن من طحن ما تأكل. ويتبع الحصان (horse = Equs) فصيلة الأحصنة وأشباهها (Family Equidae) التي تشمل كلًّا من الحصان، والحمار، والحمار الوحشي (المخطط)، وهي جزء من رتيبة الأفراس المعروفة باسم (Suborder Hippomorpha)والتي تشمل ـ بالإضافة إلى فصيلة الأحصنة ـ عدداً من الفصائل المنقرضة التي عمرت الأرض منذ حوالي خمسين مليون سنة مضت في (عهد الإيوسين=Eocene Epoch). أمَّا الحصان الذي نعرفه اليوم فلم يعرف قبل المليونين الأخيرين من سِنيِّ عمر الأرض (المقدر بحوالي خمسة آلاف مليون سنة على أقل تقدير). وكان هذا الحصان يحيا في قطعان برية، وذلك من قبل استئناسه بواسطة الإنسان. وقد تمّ استئناس الأحصنة منذ حوالي خمسة آلاف سنة مضت وذلك لاستخدامها في الركوب، وحمل الأثقال، وجرّ العربات، وفي غير ذلك من أعمال الانتقال، والزراعة، والحروب، والرياضة، وغيرها.

والحصان حيوان قويّ البنية، شديد الذكاء بصفة عامّة، نبيل الطباع، قوي الذاكرة. ومن علامات قوة ذاكرة الحصان أن له قدرة هائلة في التعرف على الأشخاص، وفي الحكم على المواقف، كما أنَّ له قدرات فائقة. على الشمّ، والسمع، وعلى معرفة كل من الاتجاهات، والطرق، والأماكن، وتذكرها حتى ولو كان ذلك بالليل، أو بعد فترات زمنيّة طويلة من مغادرتها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الحصان حيوان هادئ الطبع، رصين، ليست له طبيعة عدوانيّة إلَّا إذا هوجم بشيء من القسوة. وهو يهرب عادة من المواجهة التي

يخافها، ويقلق لأقل سبب من أسبابها، وذلك لما له من طبيعة رقيقة، ويظهر ذلك عليه بشيء من الوجوم وعدم الحركة. ولكن إذا جوبه الحصان بالخطر، أو إذا سيئت معاملته فإنَّه يستطيع ضرب عدوّه برجليه الأماميتين وبرقبته حتى يطرحه أرضاً. والحصان له رأس مستطيل، تحمل أكبر عينين لحيوان معاصر، مقارنة إلى حجمه، ولذلك فإنَّ الذاكرة البصريّة عنده عالية جدًّا ممَّا يجعله يجفل عند رؤيته لمكان أو لشيء أفزعه من قبل. كذلك فإنَّ ذاكرته السمعيّة لا تقل حدّة عن ذاكرته البصريّة، ممَّا يدفع بالمدرّبين للجياد إلى استخدام نفس الجُمَل، ونفس نبرات الصوت في توجيهها. وبعض الجياد يمكنها استقراء رغبات راكبيها حتى قبل أن ينطق الراكب بها. والجواد فوق ذلك يستشعر الحالة النفسيّة لراكبه من قلق واضطراب، أو ثقة واطمئنان، ويتصرّف على أساس من ذلك. فإذا أساء الراكب معاملته فإنَّ الجواد يستطيع الانتقام منه بطرق متعددة. ويمكن للحصان أن يعبر عن طاعته لصاحبه، وعن وفائه له، وثقته به، وعاطفته تجاهه، وذلك بتعبيرات وجهه، وحركات أذنيه، وإيماءات رأسه، أو إظهار أسنانه، أو العضّ عليها. كما يمكنه التعبير عن ذلك بصوته، وبمختلف نبرات صهيله، أو بالرّكل بأرجله الخلفيّة في تناغم دقيق. والحصان يمكنه الإتيان بالعديد من الأعمال التي تعبّر عن ذكائه من مثل فتح غطاء صندوق العلف المغلق أمامه، أو فتح باب الإسطبل الذي يحتجز فيه إذا أراد الخروج منه. وتتفاوت قدرات الخيل في ذلك تفاوتاً كبيراً، حتى ليكاد أن يكون لكلّ فرد منها شخصيّته الخاصّة به، وصفاته المميّزة له.

وللخيل قدرات فائقة على التلقّي والإدراك، وعلى التعاطف مع مَن يعتنون بها، أو مع أفراد معينين من أسرة مالكيها، كما أنَّ له القدرة على كراهيّة أفراد آخرين والنفور منهم دون سبب واضح.

ولشدّة الحاسَّة السمعيَّة عند الخيل فإنَّها تستشعر الهزّات الأرضيّة عند بدء انبثاقها فتهرب بعيداً عنها، وذلك قبل أن يدركها الإنسان بعدّة ساعات. وللحصان ثماني عشرة عضلة لتحريك الأذن في (180) درجة، ولذلك فهو شديد الانتباه إلَّا

في حالات النوم العميق، وهذا لا يحدث إلّا على فترات قصيرة جدًّا في كل يوم.

وبالإضافة إلى ذاكرتيها البصريّة والسمعيّة، فإنَّ للخيل حاسّة شمّ قويّة يتعرَّف بها كلّ فرد منها على رفاقه، وعلى أصحابه، كما يميّز بها بين طعام صالح أو فاسد، وماء عذب أو آسن، ووسط نظيف أو قذر، وذلك لأنَّ الخيل تأنف من الروائح الكريهة. وهذه الصفات كلّها (وغيرها كثير) تشير إلى فضائل الخيل بصفة عامّة وإلى فضائل الخيل التي كان يقتنيها عبد الله ونبيه سليمان ﷺ بصفة خاصّة.

وتثبت الدراسات المتأخرة في «علم سلوك الحيوان» أنَّ الخيل حيوانات اجتماعيّة بطبيعتها الفطريّة، تحيا منطلقة في البراري في قطعان من أربعة إلى عشرة أفراد في المتوسط، وإن كانت بعض قطعانها قد يصل إلى أكثر من عشرين في العدد. وتعتمد كل واحدة من هذه الجماعات على العائلة التي تضم مهرة واحدة أو مهرتين وأنسالهما حتى أعمار سنتين إلى ثلاث سنوات، وعلى مهر أو أكثر من مهر واحد في المجموعة.

ثالثاً: في قوله تعالى : ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [صٓ: 31]:

الإناث في جماعة الخيل هي الآمرة الحاكمة، صاحبة القرار على باقي أفراد القطيع. والمهر الذي يصحب القطيع (أو المهران أو الأمهار إذا كانوا أكثر من اثنين) له دوره في حراسة القطيع، دون أن يكون له دور في القيادة. من هنا كانت ومضة الإعجاز العلمي بالإشارة في الآية رقم (31) من سورة «صٓ» إلى الجياد بالتأنيث ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾. ومن العجيب أن تتبادل الإناث في القطيع الواحد قيادة القطيع، الواحدة تلو الأخرى بطريقة دورية، حتى لا تكون السيادة مطلقة لواحدة منهنَّ، بينما في عالم الأناسي من يصل إلى كرسي السلطة لا يريد أن يغادره أبداً، حتى لو أراق في سبيل ذلك دماء الأبرياء بعشرات الآلاف، وخرب البلاد وحرمها من كل شيء كما يفعل آل الأسد في سوريا الحبيبة اليوم، وكما فعل القذافي في شعب ليبيا العزيزة من قبل.

وأُنثى الخيل هي الموجّهة الفعليّة والمربيّة الحقيقيّة لصغارها، فإذا أخطأ أحد الصغار نهرته وعاقبته. وقد يصل هذا العقاب إلى حدِّ الطرد من مرافقة القطيع لفترات تطول بنسبة تتوافق مع حجم الجرم المقترف. فإذا انتهت مدّة العقاب عاد المعَاقَبُ إلى حدود أرض القطيع مستأذناً بالانضمام إليه، فإذا واجهته رئيسة القطيع بأنفها كان في ذلك إذن بعودته للانضمام إلى القطيع، وإن قابلته بمؤخّرتها كان ذلك رمزاً لرفض طلبه، واستمراراً للعقوبة عليه فعاد من حيث أتى.

رابعاً: في قوله ـ تعالى ـ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [صَ: 32، 33].

في هاتين الآيتين الكريمتين اعتراف من سليمان بأنَّه آثر حبّ الخيل في تلك المناسبة حتى شغله ذلك عن ذكر الله، وعن عبادة كان يؤدّيها في ذلك الوقت بالذات، فمن شدَّة إعجابه بالخيل وانبهاره بجمالها، لم يدرك مرور الوقت طيلة استعراضه لها حتى فات عليه هذا الذكر الخاص الذي كان يؤدّيه في ذلك الوقت، أو العبادة الخاصّة التي فاتته حتى غابت الشمس، واختفت الخيل عن الأنظار، ونتيجة لذلك تأسّف سليمان أسفاً شديداً، وقال للمسؤولين عن الخيل في حاشيته: ردّوا هذه الخيل عليّ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾. وقد روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّه قال: «جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها وتكرمة»، وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

والدراسات المتأخرة في «علم سلوك الحيوان» تؤكّد أنَّ لمس الإنسان لأعناق الخيل وسيقانها يلعب دوراً مهمًّا في تطمينها، وإشعارها بالودّ والمحبّة. فجلد الخيل من أكثر أجزاء جسده حساسيّة للمس، لدرجة أنَّها تشعر بالذبابة تحط عليه، وتعمل على طردها بحركة عضلاتها القويّة التي تنقبض وتنبسط بسرعة فائقة فتهش الذبابة عن جسمها. وأكثر مناطق جسم الحصان حساسية للمسّ هي عنقه، وسيقانه، وما حول رأسه، لأنَّ لكلّ حصان نقطة توازن في مركز رأسه وخلف كتفيه. من هنا كانت ومضة الإعجاز العلمي في الإشارة القرآنيّة إلى فعل سليمان

بخيله والتي يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿...فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ [صٓ: 33].

ومن مناطق الحسّ المرهف للحصان كذلك العينان والأذنان، ولذلك فالحصان لا يحبّ أن تشد أذنه، ولا يحب أن ينظر إلى عينه مباشرة أحد غير صاحبه، لأنَّه يشعر أنَّ في ذلك نوعاً من التهديد له. ولكلّ عين من عينَي الحصان جهاز خاصّ لتضخيم كمّ الضوء الواصل إليها بإعادة عكسه لعدّة مرّات على شبكيّة العين، مما يعينها على وضوح الرؤية مهما كان الضوء ضعيفاً. لذلك فإن الخيل تنزعج من العتمة الكاملة وتنشط في الفجر وعند الغسق، وتقلق لرؤية أي عارض ولو من بعيد. والخيل تدرك أبسط الحركات أثراً من حولها، لأنّها تستطيع الرؤية بكلِّ عين منفردة، كما أنَّ لها رؤية مزدوجة بالعينين معاً في حدود (60) إلى (70) درجة من الأُفق أمامها، وبذلك تكاد تغطّي الأفق كاملاً بالعينين معاً وبكلّ عين منفردة من جهتها.

ويمكن لراكب الفرس أن يعبّر له أو لها بما يشاء عن طريق اللّمس، كذلك يمكن للفرس أن يتفاهم مع غيره من الأفراد عن طريق لمس جسديهما ببعض.

هذه الإشارات القرآنية الكريمة تؤكد فضائل الخيل في كلٍّ من السكون والحركة، وخيلائها بما حباها الله ـ تعالى ـ من الذكاء والفطنة والجمال والقدرة على الإدراك، وإحساسها المرهف للَّمس (خاصّة حول رأسها وعنقها وسيقانها) كما تؤكد دور الأُنثى في قطعانها. وهذه كلّها من الحقائق التي لم تصل إلى علم الإنسان إلَّا بعد اهتمامه في القرنين الماضيين بعلوم سلوك الحيوان. من هنا كان عرض هذه الحقائق بهذه الدقّة والوضوح في القرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيٍّ أُمّي ﷺ، وفي أُمَّة كانت غالبيّتها الساحقة من الأُمّيين لمما يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق ﷻ، ويشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقّاه بالنبوَّة وبالرسالة.

68 ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

سورة «النمل» ـ كغيرها من سور القرآن الكريم من مثل سورة «الشعراء» السابقة عليها، وسورة «القصص» اللاحقة بها (في ترتيب سور المصحف الشريف) ـ تستعرض قصص عدد من الأمم السابقة، وذلك من أجل استخلاص الدروس والعبر من مواقف الظالمين من أبناء تلك الأُمم تجاه أنبيائهم. ومن خلال تلك الدروس والعبر، يمكن أن نفهم مواقف الكفّار والمشركين من الرسالة الخاتمة، منذ بدايات زمن الوحي وإلى وقتنا الحالي، وحتى قيام الساعة. كما يمكن أن نفهم موقف أهل الباطل من الحق وأهله، فنتعلّم كيفيّة التعامل مع الباطل وجنده في كل زمان ومكان.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه سليمان بن داود عليه السلام مع إحدى ملكات مملكة «سبأ»:

يشير القرآن الكريم إلى أنَّ الله ـ تعالى ـ سخَّر الطير لعبده ونبيّه سليمان بن داود عليه السلام فيما سخَّر له من الخلق. وكان من تلك الطيور المسخّرة للنبي سليمان، طائر الهدهد. وفي يوم من الأيّام تفقد سليمان ذلك الهدهد فلم يجده، فتوعده بعقاب منه إن لم يأته بعذر مقبول عن تغيّبه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: 20 ـ 26].

وهذه الواقعة ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، لأنَّ فترة حكم سليمان يقال أنَّها امتدت بين (961 ـ 922ق.م)، وتاريخ مملكة «سبأ» يعود إلى منتصف الألفيّة الثالثة قبل الميلاد (إلى حدود 2500ق.م) لأنَّهم عاصروا كلًّا من ملوك «أور»، ثم الآشوريين. وامتد حكم خلفائهم من ملوك سبأ («بني حمير» «وبني ريدان») من القرن الثاني قبل الميلاد إلى ما بعد ميلاد المسيح عليه السلام ووصول دعوته إلى اليمن. وفي تلك الفترة بدأ الصراع بين بقايا اليهوديّة (التي كان عدد من حكام «حمير» قد اعتنقها) والنصرانيّة (التي كانت قد بدأت تنتشر بين أهل اليمن) وخاصّة في منطقة «نجران». وفي هذه المنطقة وقعت قصّة **«أصحاب الأخدود»**، الذين عذبوا بالنار لأنهم كانوا قد آمنوا بالإسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام. وتمَّ هذا التعذيب بواسطة **«ذي نواس»** ممَّا أدَّى إلى تدخل الأحباش. وتلي ذلك قصّة **سيف بن ذي يزن الحميري** الذي حارب الأحباش بمساعدة الفرس حتى طردهم من اليمن.

وكان الفيلسوف اليوناني «ثيوفراسطس» (Theophrastus) ـ الذي عاش في حوالي سنة 287ق.م ـ أوَّل مَن كتب عن قوم «سبأ» ـ فيما نعلم ـ، ووصفهم في تاريخه بأنَّهم من سكان المنطقة الجبليّة في جنوب غرب الجزيرة العربيّة، والتي كانت تنتج كلًّا من الطيب، واللّبان، والمرّ، والقرفة، وتصدرها إلى مختلف بلدان العالم. وكتب «ثيوفراسطس» فيما كتب عن **«معبد الشمس»** الذي كان مقدّساً في أرض **مملكة «سبأ»**، وقد اكتشف حديثاً في منطقة **«مأرب»** آثار وصفت بأنَّها من عجائب الدنيا، ومن ضمنها معبد كبير لعبادة الشمس. ومن المعروف أنَّ كلًّا من الشمس، والقمر، والزهرة (عشتروت) كانت تعبد في أزمنة الجاهليّة في اليمن وفي غيرها من البلاد المجاورة.

وإثبات الكشوف الأثريّة لأكثر من معبد من معابد الشمس في أرض **مملكة سبأ** ممَّا يؤكّد صدق خبر طائر الهدهد الذي أوردته الآيات الكريمة في سورة «النمل» بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسانه: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: 24 ـ 26].

وتؤكّد هذه الآيات أيضاً إيمان الهدهد باللَّه ـ تعالى ـ وتوحيده التوحيد الخالص، ومعرفة شيء من صفات هذا الخالق العظيم الذي أحاط علمه بكلِّ شيء، فلا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء. وهذا الإيمان الفطري باللَّه الذي لا شريك له في ملكه، ولا شبيه له من خلقه، ولا منازع له في سلطانه، ممَّا يثبت أنَّ لجميع المخلوقات غير المكلّفة قدر من الوعي والإدراك والذكاء، وقدر من الشعور والتأثّر والانفعال. كما يثبت ذلك لطائر الهدهد ـ ولغيره من الخلق غير المكلف ـ إيماناً راسخاً باللَّه ـ تعالى ـ قد يعجز عن الوصول إلى مثله كثير من الخلق المكلّفين. وغالبية الخلق المكلفين قد وكّلوا إلى إرادتهم الحرّة فاستذلّتهم الشياطين، وأخرجتهم من دائرة الإيمان إلى الكفر، ومن دائرة التوحيد إلى الشرك، ومن دائرة الاستقامة على منهج اللَّه إلى دوائر الانفلات والضياع والخروج على أوامر اللَّه. وقد حدث ذلك في القديم مع غالبية **قوم «سبأ»**، كما حدث مع غيرهم من الأُمم التي كفرت بأنعم اللَّه، ولا يزال يحدث إلى اليوم من غالبيّة أهل الأرض للأسف الشديد.

وقد انزعج النّبي الصالح سليمان ﷺ من شرك **أهل «سبأ»**، وهو حامل لواء الدّعوة إلى الإسلام (القائم على التوحيد الخالص للَّه ـ تعالى ـ) فأجاب الهدهد بالنصّ التالي:

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 27، 28].

وأطاع الهدهد أمر سيّده سليمان، وطار إلى بلاد اليمن، وألقى ما حمله من كتاب إلى **ملكة «سبأ»**، فتعجَّبت الملكة من ذلك الخطاب الذي أُلقي إليها والذي يقول:

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: 30، 31].

وتستمر الآيات في سورة «النمل» واصفة تفاعل **ملكة «سبأ»** مع خطاب سليمان عليه السلام وقد دعت أهل الحلّ والعقد في بلادها للتشاور معهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: 32 ـ 35].

وهذا الكتاب العزيز لم يذكر اسم هذه الملكة، ولكنَّها اشتهرت لدى المؤرّخين باسم «**بلقيس**» وهو اسم أُطلق على إحدى ملكات التبابعة (330 ـ 345ق.م)، بينما عاشت ملكة سبأ التي عاصرت نبيّ الله سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، وقد يكون اسماً على مسمى، وقد لا يكون.

ويذكر القرآن الكريم ردّ عبد الله ونبيه سليمان على وفد ملكة «سبأ» القادم عليه، والحامل إليه هدايا الملكة بالنصّ التالي: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: 36، 37].

وبعد رجوع موفدو **ملكة «سبأ»** إلى ملكتهم، وعلمها برد سليمان لهديتها، قررت السفر إلى بيت المقدس لملاقاة سليمان عليه السلام، وتحركت في اتجاه الشمال مع وفد كبير من أهل الحل والعقد في مملكتها وذلك للتفاوض مع سليمان عليه السلام. وقبل وصولها أراد هذا النّبي الصالح أن يعد لها مفاجأة فناشد الملأ من حاشيته إحضار عرش ملكة «سبأ» إلى قصر سليمان قبل وصول الملكة إليه، كما سبق وأن أشرنا. ويسجل القرآن الكريم ذلك في الآيات التالية:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: 38 ـ 40].

وبعد وصول عرش ملكة «سبأ» إلى القدس أمر **النَّبي سليمان** صنَّاعه المهرة أن يغيروا شيئاً من ملامح ذلك العرش ليرى هل ستهتدي الملكة إلى عرشها الذي تركته وراءها في مملكة «سبأ» أم لا؟ وهل ستفزع إذا تأكدت أنَّه هو من سرعة نقله إلى القدس أم لا؟ وهل ستدرك شيئاً من النِّعم التي مَنَّ الله ـ تعالى ـ بها على عبده ونبيّه سليمان فتؤمن معه أم لا؟ وفي ذلك يسجّل القرآن الكريم ما يلي:

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل: 41 ـ 43].

وجملة ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ هي من قول عبد الله ونبيّه **سليمان**، وقالها ثناءً على الله ـ تعالى ـ وتحدثاً بنعمه وأولها نعمة الإسلام. والكلام يوحي بأنَّ **ملكة «سبأ»** كانت قد أسلمت في هذا الموقف لأنَّ من معاني هذا النص الكريم: أنَّها وإن هديت إلى دين الله الحق، لكن سليمان وقومه كانوا قد أوتوا العلم من قبلها وكانوا مسلمين من قبل أن تعلن هي إسلامها. ويؤكد النص أن ما كانت تعبد **ملكة سبأ** من دون الله قبل إسلامها هو الذي صدَّها عن دين الله، لأنَّها كانت من قوم كافرين، يعبدون الشمس من دون الله.

ومع انبهارها بمعجزة الإتيان بعرشها من **أرض «سبأ»** إلى القدس في زمن قياسي، أراد سليمان أن يبرهن لها على نبوَّته، وكان قد أعدّ لاستقبالها ساحة خاصة لقصره، صنعت أرضيتها من الزجاج الأملس الصافي كالبلور، والذي كان يغطي بركة من ماء يرى من تحت تلك الأرضيّة الزجاجيّة، وفي

ذلك تقول الآيات: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44].

و(**الصرح**) هو الصحن والساحة، وهو مقدّمة القصر؛ و(**ممرد**) أي أملس؛ و(**القوارير**) هنا معناها الزجاج الصافي كالبلور الذي يشف عما تحته؛ و(**اللجة**) هي الماء الغزير العميق كماء البحر.

وبذلك يختتم هذا الموقف بين **النّبي الصالح سليمان بن داود** ﷺ **وملكة «سبأ»** في زمانه، دون أن يدخل القرآن الكريم في تفاصيل اسمها، أو فيما روجته الإسرائيليّات عن زواجه منها، وهل أنجب منها أم لا؟ لأنَّ العبرة من هذا الموقف كله هو إرشادنا إلى ضرورة الدّعوة إلى دين الله بكلّ أسلوب ممكن، وهو واجب المسلم في كل زمان ومكان أيًّا ما كان شأنه ومقامه، وأيًّا ما كانت إمكاناته.

واستعراض القرآن الكريم **لقصّة عبد الله ونبيّه سليمان مع ملكة «سبأ»** في زمانه يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وذلك لأنَّ كتب «**العهد القديم**» تحوي كلاماً تحت عنوان «**ملكة سبأ تزور سليمان**» فيه من الأخطاء التاريخيّة والاعتقاديّة العديدة ما ينفي صحتها بالكامل ومن ذلك ما يلي:

1 ـ أنَّ ملكة سبأ هي التي بادرت بزيارة سليمان لاختباره بعدد من الأسئلة الصعبة، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم.

2 ـ أن ملكة سبأ حملت إلى سليمان ﷺ من الهدايا: البهارات، وكميّات كبيرة من الذهب والأحجار الكريمة، التي حملت في قافلة هائلة من الجمال.

3 ـ أن ملكة سبأ اعتبرت عبد الله ونبيه سليمان ﷺ مجرّد ملك، وجرّدته عن النبوّة بالرّغم من وصفها إياه بالحكمة التي وهبه الله إيّاها فأقام العدل والاستقامة على الأرض.

4 ـ أن عبد الله ونبيه سليمان ﷺ دعم المعبد (الهيكل) بالخشب الذي أهدي إليه، في إشارة إلى إعادة بناء المسجد الأقصى.

5 ـ أنَّ سليمان عاش في بذخ منقطع النظير، وأنَّه كان يملك ألفاً وأربعمائة من عربات الخيل، واثني عشر ألفاً من الخيل، وأنَّه كان يتلقّى (666) وزنة من الذهب سنوياً، وجعل الفضّة بعدد أحجار مدينة القدس، وهو كلام لا يقبله عاقل.

6 ـ أنَّه كان لسليمان سبعمائة زوجة بالإضافة إلى ابنة فرعون الكافرة، وثلاثمائة محظية، وهذا أيضاً من مبالغات كتبة «العهد القديم».

7 ـ عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام خالف أوامر الله في التزوج من مشركات صرفن قلبه عن الإيمان باللَّه، فعبد أصنامهم (من مثل «عشتروط، وموليش، وشيموش، وغيرها)، وأنَّه بنى لها معابد، مما أدى إلى غضب الله ـ تعالى ـ عليه» وهذا الوصف لا يليق بعبد من عباد الله الصالحين، فضلاً عن نبي من سلالة بيت عريق في النبوة.

8 ـ الادّعاء بأنَّ الله تعالى ظهر لسليمان مرَّتين، وعلى الرّغم من ذلك فإنَّ سليمان لم ينفذ أوامر الله، ولذلك غضب الله عليه وتوعّده بانتزاع الملك منه وإعطائه لأحد أتباعه واللَّه ـ تعالى ـ يصف ذاته العلية بأنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: 103].

9 ـ الادّعاء بأنَّ الله ـ جلّ جلاله ـ قال لسليمان أنَّه إكراماً لداود فإنَّه لن يمزق مملكة سليمان في حياته، ولكن بعد وفاته، فسوف ينتزع الملك من ابنه، ويعطيه قبيلة واحدة يحكمها لأجل خاطر داود، ومن أجل مدينة القدس (انظر سفر ملوك الأول: 10/ 1 ـ 29، 11/ 1 ـ 13.

سليمان ﷺ في العهد القديم:

مع بحارة سليمان. [28] فبلغوا أوفير حيث حملوا من هناك أربع مئة وعشرين وزنة (نحو خمسة عشر ألفا ومئة وعشرين كيلوغراما) من الذهب، حملوها إلى الملك سليمان.

زيارة ملكة سبأ

١٠ وعندما بلغت أخبار سليمان وتقواه لاسم الرب مسامع ملكة سبأ، قدمت لتلقي عليه أسئلة عسيرة. [2] فوصلت أورشليم في موكب عظيم جدا، وجمال محملة بالأطياب وذهب وفير وحجارة كريمة، وأسرت إليه بكل ما في نفسها. [3] فأجاب سليمان عن كل أسئلتها، من غير أن يعجز عن شرح شيء. [4] ولما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان، وشاهدت القصر الذي شيده، [5] وما يقدم على مائدته من طعام، ومجلس رجال دولته، وموقف خدامه وملابسهم، وسقاته ومحرقاته التي كان يقربها في بيت الرب، اعتراها الذهول العميق. [6] فقالت للملك: «إن الأخبار التي بلغتني في أرضي عن أمورك وحكمتك هي حقا صحيحة. [7] ولم أصدقها في بادئ الأمر حتى جئت وشاهدت، فوجدت أن ما بلغني لا يجاوز نصف الحقيقة. قد رأيت أن حكمتك وصلاحك يفوقان عما سمعته من أخبارك. [8] فطوبى لرجالك وطوبى لخدامك الماثلين دائما في حضرتك يسمعون حكمتك. [9] فليتبارك الرب إلهك الذي سر بك وأجلسك على عرش إسرائيل. لأنه بفضل محبته الأبدية لإسرائيل قد أقامك ملكا لتجري العدل والبر». [10] وأهدت الملك مئة وعشرين وزنة (نحو أربعة آلاف وثلاث مئة وعشرين كيلو غراما) من الذهب وأطيابا كثيرة وحجارة كريمة. فكانت التوابل التي أهدتها ملكة سبأ للملك سليمان من الوفرة بحيث لم تجلب مثلها في ما بعد. [11] وجلبت أيضا سفن حيرام التي حملت الذهب من أوفير خشب الصندل بكميات وافرة جدا وحجارة كريمة. [12] فصنع سليمان من خشب الصندل درابزينا لهيكل الرب وللقصر، كما صنع منه أعوادا وقيثارات. ولم ير ولم تجلب حتى اليوم مثل خشب الصندل تلك لكثرته. [13] وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل ما رغبت فيه، فضلا عما أهداه إليها وفقا لكرمه. ثم انصرفت هي وحاشيتها إلى أرضها.

men. [28]**They sailed to Ophir and brought back 420 talents of gold, which they delivered to King Solomon.**

The Queen of Sheba Visits Solomon

10 When the queen of Sheba heard about the fame of Solomon and his relation to the name of the LORD, she came to test him with hard questions. [2]Arriving at Jerusalem with a very great caravan–with camels carrying spices, large quantities of gold, and precious stones–she came to Solomon and talked with him about all that she had on her mind. [3]Solomon answered all her questions; nothing was too hard for the king to explain to her. [4]When the queen of Sheba saw all the wisdom of Solomon and the palace he had built, [5]the food on his table, the seating of his officials, the attending servants in their robes, his cupbearers, and the burnt offerings he made at the temple of the LORD, she was overwhelmed. [6]She said to the king, "The report I heard in my own country about your achievements and your wisdom is true. [7]But I did not believe these things until I came and saw with my own eyes. Indeed, not even half was told me; in wisdom and wealth you have far exceeded the report I heard. [8]How happy your men must be! How happy your officials, who continually stand before you and hear your wisdom! [9]Praise be to the LORD your God, who has delighted in you and placed you on the throne of Israel. Because of the LORD's eternal love for Israel, he has made you king, to maintain justice and righteousness." [10]And she gave the king 120 talents of gold, large quantities of spices, and precious stones. Never again were so many spices brought in as those the queen of Sheba gave to King Solomon. [11](Hiram's ships brought gold from Ophir; and from there they brought great cargoes of almugwood and precious stones. [12]The king used the almugwood to make supports for the temple of the LORD and for the royal palace, and to make harps and lyres for the musicians. So much almugwood has never been imported or seen since that day.) [13]King Solomon gave the queen of Sheba all she desired and asked for, besides what he had given her out of his royal bounty. Then she left and returned with her retinue to her own country.

سفر ملوك الأول (10، 11)

Solomon's Splendor

[14]The weight of the gold that Solomon received yearly was 666 talents, [15]not including the revenues from merchants and traders and from all the Arabian kings and the governors of the land.

[16]King Solomon made two hundred large shields of hammered gold; six hundred bekas of gold went into each shield. [17]He also made three hundred small shields of hammered gold, with three minas of gold in each shield. The king put them in the Palace of the Forest of Lebanon.

[18]Then the king made a great throne inlaid with ivory and overlaid with fine gold. [19]The throne had six steps, and its back had a rounded top. On both sides of the seat were armrests, with a lion standing beside each of them. [20]Twelve lions stood on the six steps, one at either end of each step. Nothing like it had ever been made for any other kingdom. [21]All King Solomon's goblets were gold, and all the household articles in the Palace of the Forest of Lebanon were pure gold. Nothing was made of silver, because silver was considered of little value in Solomon's days. [22]The king had a fleet of trading ships at sea along with the ships of Hiram. Once every three years it returned, carrying gold, silver and ivory, and apes and baboons.

[23]King Solomon was greater in riches and wisdom than all the other kings of the earth. [24]The whole world sought audience with Solomon to hear the wisdom God had put in his heart. [25]Year after year, everyone who came brought a gift–articles of silver and gold, robes, weapons and spices, and horses and mules. [26]Solomon accumulated chariots and horses; he had fourteen hundred chariots and twelve thousand horses, which he kept in the chariot cities and also with him in Jerusalem. [27]The king made silver as common in Jerusalem as stones, and cedar as plentiful as sycamore-fig trees in the foothills. [28]Solomon's horses were imported from Egypt and from Kue–the royal merchants purchased them from Kue.

ثراء سليمان وأمجاده

[١٤]وَكَانَ وَزْنُ ٱلذَّهَبِ ٱلَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ سِتَّ مِئَةٍ وَسِتّاً وَسِتِّينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ (نَحْوَ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً وَتِسْعِ مِئَةٍ وَسِتَّةٍ وَسَبْعِينَ كِيلُوجْرَاماً)، [١٥]فَضْلاً عَنْ عَوَائِدِ ضَرَائِبِ ٱلتُّجَّارِ وَأَرْبَاحِ تِجَارَتِهِ مَعَ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ وَوُلَاةِ ٱلأَرْضِ. [١٦]وَصَنَعَ سُلَيْمَانُ مِئَتَيْ تُرْسٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَطْرُوقِ، ٱسْتَهْلَكَ كُلُّ تُرْسٍ مِنْهَا سِتَّ مِئَةِ شَاقِلٍ (نَحْوَ ثَلَاثَةِ كِيلُوجْرَامَاتٍ وَنِصْفِ ٱلْكِيلُوجْرَامِ) مِنَ ٱلذَّهَبِ. [١٧]وَثَلَاثَ مِئَةِ دِرْعٍ مِنْ ذَهَبٍ مَطْرُوقٍ، ٱسْتَهْلَكَ كُلُّ دِرْعٍ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَمْنَاءٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ (نَحْوَ كِيلُو وَثَمَانِي مِئَةِ جِرَامٍ)، وَجَعَلَهَا سُلَيْمَانُ فِي قَصْرِ غَابَةِ لُبْنَانَ. [١٨]وَصَنَعَ سُلَيْمَانُ عَرْشاً عَظِيماً مِنْ عَاجٍ، غَشَّاهُ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. [١٩]وَكَانَ لِلْعَرْشِ سِتُّ دَرَجَاتٍ، وَلَهُ رَأْسٌ مُسْتَدِيرٌ مِنَ ٱلْخَلْفِ، وَمَسْنَدَانِ عَلَى جَانِبَيْهِ حَوْلَ مَوْضِعِ ٱلْجُلُوسِ، وَأَسَدَانِ يَقِفَانِ إِلَى جِوَارِ ٱلْمَسْنَدَيْنِ. [٢٠]وَأُقِيمَ عَلَى ٱلدَّرَجَاتِ ٱلسِّتِّ ٱثْنَا عَشَرَ أَسَداً، سِتٌّ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ. فَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا ٱلْعَرْشِ نَظِيرٌ فِي كُلِّ ٱلْمَمَالِكِ. [٢١]أَمَّا جَمِيعُ آنِيَةِ شُرْبِ ٱلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ، وَسَائِرُ آنِيَةِ قَصْرِ غَابَةِ لُبْنَانَ، فَكَانَتْ كُلُّهَا مَصْنُوعَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْخَالِصِ، فَالْفِضَّةُ لَمْ تَكُنْ لَهَا قِيمَةٌ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. [٢٢]وَكَانَ لِلْمَلِكِ أُسْطُولٌ بَحْرِيٌّ تِجَارِيٌّ يَعْمَلُ بِالْمُشَارَكَةِ مَعَ أُسْطُولِ حِيرَامَ. فَكَانَ هَذَا ٱلأُسْطُولُ ٱلتِّجَارِيُّ يَأْتِي مَرَّةً كُلَّ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مُحَمَّلاً بِالذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْعَاجِ وَٱلْقُرُودِ وَٱلطَّوَاوِيسِ يُفَرِّغُهَا فِي إِسْرَائِيلَ. [٢٣]وَهَكَذَا تَعَاظَمَ شَأْنُ ٱلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ ٱلأَرْضِ مِنْ حَيْثُ ٱلْغِنَى وَٱلْحِكْمَةِ. [٢٤]وَتَوَافَدَ ٱلنَّاسُ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَاءِ ٱلأَرْضِ لِلْمُثُولِ فِي حَضْرَةِ سُلَيْمَانَ وَٱلاسْتِمَاعِ إِلَى حِكْمَتِهِ ٱلَّتِي أَوْدَعَهَا ٱللهُ فِي قَلْبِهِ. [٢٥]فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَأْتِي حَامِلاً هَدَايَا مِنْ أَوَانٍ فِضِّيَّةٍ وَذَهَبِيَّةٍ، وَحُلَلٍ وَسِلَاحٍ وَتَوَابِلَ وَخَيْلٍ وَبِغَالٍ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ. [٢٦]وَتَجَمَّعَ لَدَى سُلَيْمَانَ مَرَاكِبُ وَفُرْسَانٌ، فَكَانَتْ لَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَٱثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ، فَوَزَّعَهُمْ عَلَى مُدُنِ ٱلْمَرْكَبَاتِ، وَٱحْتَفَظَ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ مَعَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. [٢٧]وَأَصْبَحَتِ ٱلْفِضَّةُ فِي أُورُشَلِيمَ كَالْحَصَى لِكَثْرَتِهَا، كَمَا صَارَ خَشَبُ ٱلأَرْزِ لِتَوَفُّرِهِ لَا تَزِيدُ قِيمَتُهُ عَنْ خَشَبِ ٱلْجُمَّيْزِ. [٢٨]وَقَدِ ٱسْتُورِدَتْ خَيْلُ سُلَيْمَانَ مِنْ مِصْرَ وَمِنْ قُوعَ، وَكَانَ تُجَّارُ ٱلْمَلِكِ يَتَسَلَّمُونَهَا مِنْ قُوعَ بِثَمَنٍ مُعَيَّنٍ.

[29]They imported a chariot from Egypt for six hundred shekels of silver, and a horse for a hundred and fifty. They also exported them to all the kings of the Hittites and of the Arameans.

[٢٩]وشرع تجار الملك يستوردون المركبات من مصر، فيدفعون ست مئة شاقل (نحو سبعة كيلوجرامات) من الفضة عن كل مركبة، ومئة وخمسين شاقلاً (نحو كيلوجرامين) عن كل فرس. ثم يصدرونها لجميع ملوك الحثيين وملوك الأراميين.

Solomon's Wives

11 King Solomon, however, loved many foreign women besides Pharaoh's daughter–Moabites, Ammonites, Edomites, Sidonians and Hittites. [2]They were from nations about which the LORD had told the Israelites, "You must not intermarry with them, because they will surely turn your hearts after their gods." Nevertheless, Solomon held fast to them in love. [3]He had seven hundred wives of royal birth and three hundred concubines, and his wives led him astray. [4]As Solomon grew old, his wives turned his heart after other gods, and his heart was not fully devoted to the LORD his God, as the heart of David his father had been. [5]He followed Ashtoreth the goddess of the Sidonians, and Molech the detestable god of the Ammonites. [6]So Solomon did evil in the eyes of the LORD; he did not follow the LORD completely, as David his father had done. [7]On a hill east of Jerusalem, Solomon built a high place for Chemosh the detestable god of Moab, and for Molech the detestable god of the Ammonites. [8]He did the same for all his foreign wives, who burned incense and offered sacrifices to their gods.

زوجات سليمان

١١ وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات، فضلاً عن ابنة فرعون. فتزوج نساء موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. [٢]وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلاً لهم: «لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم». ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن. [٣]فكانت له سبع مئة زوجة، وثلاث مئة محظية، فانحرفن بقلبه عن الرب. [٤]فاستطعن في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى، فلم يكن قلبه مستقيماً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. [٥]وما لبث أن عبد عشتاروث إلهة الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين البغيض. [٦]وارتكب الشر في عيني الرب، ولم يتبع سبيل الرب بكمال كما فعل أبوه داود. [٧]وأقام على تل شرقي أورشليم مرتفعاً لكموش إله الموآبيين القبيح، ولمولك إله بني عمون البغيض. [٨]وشيد مرتفعات لجميع نسائه الغريبات، اللواتي رحن يوقدن البخور عليها ويقربن المحرقات لآلهتهن.

The Word of God to Solomon

[9]The LORD became angry with Solomon because his heart had turned away from the LORD, the God of Israel, who had appeared to him twice. [10]Although he had forbidden Solomon to follow other gods, Solomon did not keep the LORD's command. [11]So the LORD said to Solomon, "Since this is your attitude and you have not kept my covenant and my decrees, which I commanded you, I will most certainly tear the kingdom away from you and give it to one of your subordinates. [12]Nevertheless, for the sake of David your father, I will not do it during your lifetime. I will tear it out of the hand of your son. [13]Yet I will not tear the whole kingdom from him, but will give him one tribe for the sake of David my servant and for the sake of Jerusalem, which I have chosen."

وعيد الرب لسليمان

[٩]فغضب الرب على سليمان لأن قلبه ضل عنه، مع أنه تجلى له مرتين، [١٠]ونهاه عن الغواية وراء آلهة أخرى، فلم يطع وصيته. [١١]لهذا قال الله لسليمان: «لأنك انحرفت عني ونكثت عهدي، ولم تطع فرائضي التي أوصيتك بها، فإني حتماً أمزق أوصال مملكتك، وأعطيها لأحد عبيدك. [١٢]إلا أنني لا أفعل هذا في أيامك، من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها. [١٣]غير أني أبقي له سبطاً واحداً، يملك عليه إكراماً لداود عبدي، ومن أجل أورشليم التي اخترتها».

69 ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبإ: 14].

هذا النصّ القرآني الكريم جاء في مطلع الربع الثاني من سورة «سبأ»، وهي سورة مكيّة، وعدد آياتها (54) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى **«قوم سبأ»**، وهم قبيلة من العرب سكنت اليمن وسُميت باسم جدّهم (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

تناولت هذه السورة الكريمة ـ فيما تناولت ـ قصص عدد من أنبياء الله الشاكرين لأنعمه، وعدد من الأُمم التي أبطرتها النّعم كقوم (سبأ) الذين عاقبهم الله ـ تعالى ـ على بطرهم بإقصاء نعمه عنهم، وتلك سنّة الله في خلقه، وهي سنّة لا تتوقف، ولا تتخلف أبداً، (فاعتبروا يا أولي الأبصار...)!!

من الدلالات الإنبائية والتاريخيّة والعلميّة للنصّ الكريم:

أوّلاً: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ...﴾.

ودابة الأرض التي جاء ذكرها في هذا النصّ القرآني الكريم هي إحدى الحشرات التي تأكل الخشب، وتحفر فيه لتتخذ منه مأوى وطعاماً في آن واحد ولذا تعرف باسم **ناقرات أو ناخرات الخشب (Wood Borers) أو «القادح». ومن هذه الحشرات: الأرضة (القرضة)، العتة، زنابير الخشب، ويرقات الفراشة الماعز، ويرقات الخنافس (من مثل الخنافس ذات القرون الطويلة، خنفساء المسك اللامعة، الخنفساء الزنبوريّة، خنفساء الحطاب، خنافس الأثاث، خنافس أعمدة التلغراف، خنفساء قلف الأشجار، والخنفسة المعروفة باسم نذير الموت،**

وغيرها). ومن ناقرات الخشب أيضاً بعض سوس الأشجار (مثل سوس شجرة الصنوبر)، ومنها ما يعرف تجاوزاً باسم نمل الخشب أو النمل الأبيض (Termites). وقد جمع القرآن الكريم ذلك كلّه في تعبير علمي دقيق هو **«دابة الأرض»**. وهو وصف معجز لأنَّ أغلب هذه الحشرات تعيش تحت سطح الأرض أو في جذوع الأشجار، أو في داخل أخشاب كل من الأثاث والبناء، مختفية عن الضوء، لأنَّها لا تقوى على التعرّض طويلاً لأشعّة الشمس، ولذا نجدها قبل غزو الخشب تتحرَّك في أنفاق طينيّة طويلة تصنعها الشغّالات.

وناخرات الخشب تشكّل أعداداً كبيرة من الحشرات التي توضع في مجموعات تصنيفيّة مختلفة ومتعدّدة، وتضمّها صفة أنَّها كلّها تعيش على أخشاب الأشجار طعاماً ومأوًى. **فما يعرف باسم النمل الأبيض (نمل الخشب) على سبيل المثال هو من الحشرات متساوية الأجنحة (Isoptera)، ولكنه ليس من النمل**. وهو يعيش عيشة جماعيّة في مستعمرات شبيهة بمستعمرات النمل. ومستعمرات النمل الأبيض تقوم على الملك والملكة، والشّغالات، والناسلات المتساوية العدد تماماً مع الذكور، وهم الجنود الذين لا دور لهم إلَّا حراسة المستعمرة.

وأنواع النمل الأبيض (Termites) التي تمّ التعرف عليها يصل عددها إلى قرابة الثلاثة آلاف نوع، ينتشر أغلبها في المناطق الاستوائيّة، والمداريّة، وشبه المداريّة، والمعتدلة، وتتضاءل أعدادها في اتجاه القطبين.

وتحمل هذه الحشرات في جهازها الهضمي عدداً من الطفيليّات مثل البكتيريا والطلائعيّات (الحيوانات الأوليّة وحيدة الخليّة الحاملة لنواة محددة) التي تتعايش معها لتعينها على هضم المواد الخشبيّة من مركبات السيليولوز (Cellulose)، واللجنين (Lignin) وتحولها إلى مواد صالحة لطعام هذه الحشرة.

أمّا الخنافس (Dung Beetles = Scarabs) ذات القرون الطويلة فإنَّ أُنثاها تضع حوالي خمسين بيضة في المرَّة الواحدة، وتضعها في أي كسور أو شقوق أو فتحات في الخشب، سواء كان غضًّا (في جذوع وفروع الأشجار والشجيرات

الخضراء) أو كان ميتاً (أي: واقعاً منها، أو منشوراً عنها). وعندما يفقس هذا البيض تخرج منه اليرقات لتنخر في الخشب الذي تتغذّى على ما تنخره منه بواسطة إنزيمات وخمائر خاصّة تفرزها عليه. ومن الفراغ الناتج عن نخر الخشب تهيئ هذه اليرقات لنفسها سكناً فيه، وإن حاولت أن تبقى قريبة من السطح. وتعيش اليرقات في سراديبها التي حفرتها في داخل الخشب لفترات تتراوح بين السنة والثلاث سنوات إذا كان الخشب رطباً. أمّا إذا كان الخشب جافًّا فقد تبقى اليرقات إلى فترات تقترب من عشرين سنة، يكتمل فيها نمو اليرقة إلى الحوريّة، ثم إلى الحشرة الكاملة التي لا تخرج مباشرة لتعاود هذه العمليّة من جديد إلّا في فترتَي الربيع والصيف بعد أن تكون قد نخرت ثقوباً بيضاويّة تتراوح أقطارها بين السنتيمتر وضعف ذلك. وقد يؤدّي هذا النخر إلى أضرار كبيرة بالخشب الذي نخرته يرقات الخنافس وعاشت بداخله. وعندما تخرج الحشرة الكاملة من الأنفاق التي حفرتها في الشجرة التي تطفلت عليها (أو الخشب الجاف الذي عاشت فيه) فإنّها لا تبتعد كثيراً، فإمّا أن تعيش تحت قلف الشجرة، أو في التربة المحيطة بها، أو على الأزهار المتفتّحة من حولها، فتتغذى على حبوب اللّقاح التي تجمعها منها.

والأشجار التي تتطفّل عليها يرقات الخنافس هي عادة من ذوات الأوراق العريضة مثل أشجار البلُّوط، والصفصاف، والحور وأشباهها. أمّا زنابير الخشب فإنّها تركز على الأشجار المخروطيّة وتعرض عن الأشجار ذات الأوراق العريضة بصفة عامّة. ومن النمل الأبيض ما يعيش في داخل كلّ من الأخشاب الرطبة والجافّة، ومنه ما يحيا في داخل التربة، مع بناء عدد من الأعشاش له فوق سطح الأرض.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿...تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ...﴾:

من حكمة الله البالغة أنّه بعث خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في أرض صحراويّة يندر فيها النبات إلّا في بعض الواحات المحدودة، حتى تبقى آيات النبات في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبويّة الشريفة من المعجزات الشاهدة بصدق نبوّته ﷺ

وبصدق الوحي الموحى به إليه (القرآن الكريم). ومن هذه الآيات قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ عن دابة الأرض أنَّها كانت تأكل منسأة سليمان عليه السلام (أي: عصاته التي كان يتوكّأ عليها)، وكانت من خشب. وسميت العصاة (منسأة) لأنَّها يزجر بها الحيوان ويساق، وتؤخر بها الغنم وتدفع إذا جاوزت حدود المرعى. والكلمة مستمدّة من قوله (**نسأ**) البعيرَ أي زجره وساقه، أو أخّره ودفعه، و(**النسيء**) تأخير في الوقت عن زمنه، ومثله (النسيئة)، و(النساء)؛ و(المنسأ) و(المنسأة) عصا (**ينسأ**) بها الشيء (أي: يؤخر، ويزجر). وعصاة سليمان كانت بالقطع من الخشب لأنَّ الناس ـ في زمانه ـ لم يكونوا يستخدمون لصناعة العصي غير الخشب.

وربّما لاحظ الناس منذ القدم نخر بعض الحشرات للخشب (خاصّة في البلاد ذات الكساء الخضري الكثيف) أمَّا حقيقة أنَّ تلك الحشرات بالفعل تأكل الخشب وتحيا على مواده السيليولوزيّة واللجنينيّة الجافّة بإفراز بعض الإنزيمات والخمائر الخاصّة عليها فلم تدرك إلَّا بعد تطور علم الحشرات في القرنين الماضيين وفي هذه الفترة من الزمن بدأ الإنسان يعير هذه المخلوقات الدقيقة اهتمامه حتى وصل عدد الأنواع المعروفة من الحشرات إلى قرابة المليون نوع.

وتقسم الحشرات اليوم ـ كما تقسم بقية المخلوقات الحيّة ـ حسب طرائق اغتذائها إلى **آكلات النبات**، و**آكلات اللُّحوم (اللَّواحم)**، و**آكلات كلّ من النباتات واللّحوم** (الحشرات المتنوّعة الأكل) بالإضافة إلى ما يعرف باسم **الحشرات المرمرمة** التي تتغذّى على المواد النباتيّة أو الحيوانيّة الميتة أو المتحللة ممَّا يساعد على تنظيف البيئة من آثارها المدمّرة، وذلك بإتمام عمليّات تحلل تلك الجيف وتفككها إلى مواد تخصب التربة.

ومن **الحشرات آكلة النباتات** ما يعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة التي تجري في خلايا تلك النباتات. ومنها ما يعيش على أكل أوراق النباتات (وتعرف باسم **الحشرات مجرّدة النباتات من أوراقها**). ومنها ما يعيش داخل أوراق النباتات (**الحشرات صانعة الأنفاق في أوراق النباتات**). ومنها ما يعيش داخل ثمار النباتات

(آكلات الثمار). ومنها ما يعيش داخل المحاصيل النباتيّة المختلفة مثل الحبوب، **(آكلات البذور)**، وما يعيش داخل الفطور المتنوّعة **(آكلات الفطر)**، ومنها ما يعيش داخل الدرنات النباتيّة وغيرها **(آكلات الدرنات)**. **وهناك الحشرات التي تحيا على قلف الأشجار (حشرات القلف)**، ومنها ما يحفر في الخشب ويتغذّى على ما فيه من بقايا المواد السكريّة والنشويّة في الخلايا الخشبيّة، وعلى مكوّنات تلك الخلايا من المواد السيليولوزيّة واللجنينيّة بعد تفكيكها إلى مركباتها الأساسيّة، وتعرف هذه الحشرات باسم «**ناخرات الأخشاب** Wood Borers». وهذه الناخرات ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ تنخر في كلّ أخشاب الأشجار، وفي الأخشاب الجافّة للحصول على كلّ من الغذاء والمأوى. لذلك زوّدها الله ـ تعالى ـ بالأدوات اللازمة للنخر في الخشب. كما زوّدها بالقدرة الفائقة على هضم ما بالخشب من مواد سيليولوزيّة ولجنينيّة صعبة التحلل. ويتم ذلك إما بإفراز عدد من الإنزيمات والخمائر القادرة على تحليل الخشب، أو بالتعايش مع أعداد من البكتيريا والطلائعيّات (الأوليات) التي تنتشر في القنوات الهضميّة لتلك الحشرات والتي أعطاها الله ـ تعالى ـ القدرة على تحليل المواد السيليولوزيّة واللجنينيّة، وتحويلها إلى مواد صالحة لتغذية تلك الحشرات الناخرة. وأغلب ناخرات الأخشاب هي من اليرقات التي يتحوّل الكثير منها إلى الحوريات ثم إلى الحشرات البالغة، بعد فترات متباينة لنموّها في داخل الخشب تتراوح بين عام واحد، وأكثر من عشرين عاماً. وقد زوَّد الله ـ تعالى ـ ناخرات الخشب بالأدوات اللازمة للنخر سواء كان ذلك من الزوائد الفميّة أو آلة وضع البيض في أُنثى الحشرة، أو بهما معاً.

ففي حالة **زنابير الخشب** الكبيرة (التي تنخر في الأشجار المخروطيّة) نلاحظ أنَّ الأُنثى تستخدم آلة وضع بيضها القويّة المسننة مثل المنشار في نشر ثقوب في الخشب الصلب لكي تضع بيضها فيه. وبعد فقس البيض تقوم اليرقات بالتغذية على الخشب فتحفر أنفاقاً يزيد طول الواحد منها على ثلاثين سنتيمتراً في فترة نموّها المتراوحة بين سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات. وعند تحول اليرقة إلى عذراء

تكون اليرقة قد حفرت لها طريقاً في الخشب يقترب من السطح بحوالي سنتيمتر واحد فتقوم العذراء بنخره لتخرج على هيئة زنبور الخشب، الذي تعاود أُنثاه الكرّة من جديد. ويلزم ليرقات ناخرات الأخشاب ابتلاع كميّات كبيرة من الخشب لتحصل منها على الغذاء الكافي لنشاطها ولنموّها.

ويرقات ناخرات الأخشاب تشكّل جزءًا مهمًّا من غذاء الطيور المعروفة باسم «**نقّار الخشب**»، الذي ينقر في أخشاب الأشجار المصابة فقط، لاحتوائها على الغض من يرقات الحشرات الناخرة للأخشاب. وتتعرّف الطيور على تلك الأشجار بوجود كل من الثقوب التي تحدثها ناخرات الخشب، وتراب الخشب الذي تقذف به إلى خارج جحورها بعد أن تكون قد هضمت ما فيه من مواد غذائيّة.

وإشارة القرآن الكريم في هذا النصّ الذي يقول فيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿...مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ...﴾ هي أوّل إشارة إلى حقيقة أنَّ من الحشرات ما يعيش على أكل الأخشاب، وهو سبق علمي يشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة.

والحشرات ناخرة الخشب (ومنها النمل الأبيض) تعتبر من أخطر الآفات الحشريّة حيث تحدث خسائر فادحة بسبب تغذيتها على المواد السيليولوزيّة واللجنينية للأخشاب المكونة لجذوع الأشجار وجذورها. وأخشاب جذوع الأشجار يُصنع منها كل من الأثاث وأسقف وأبواب وشبابيك المنازل الخشبيّة، وأعمدة التليفونات، وغيرها. وناخرات الثمار والمحاصيل النباتيّة الحيّة من هذه الحشرات يؤدي إلى خسائر، اقتصادية كبيرة، ومنها ما تلعب دوراً مهماً في التخلص من أكداس النفايات التي تحوّلها إلى سماد للتربة وتساعد على تهويتها وتحسين كلّ من صفاتها الكيميائيّة والميكانيكيّة وإثرائها بالمواد العضويّة.

وإن كان لفظ **(الدابة)** يدل على كلّ شيء يدبّ وهو جمع للفظة (دأب) مثل (خائنة) جمع (خائن)، فإنَّ (دابة) كلمة عامة تشمل جميع الحيوانات، وتشمل جمع المذكر والمؤنث معاً، **إلّا أنَّ تاء التأنيث في الفعل (تأكل منسأته) تدل على أنَّ**

الذي يبدأ النخر في الخشب هي الإناث من تلك الحشرات الناخرة، وهو سبق علمي آخر لم يكن معروفاً في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده.

وهذه الواقعة (واقعة موت سليمان واقفاً على منسأته) لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، مما يجعل من ذكرها في كتاب الله وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، وما ينفي كل ادعاء باطل عن نقل القصص القرآني عن «العهد القديم».

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

في هذا النص الكريم يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: أنه لما وقع سليمان عليه السلام أي: سقط على الأرض بعد ما انهارت عصاه المنخورة بواسطة «الأرضة» تحت وزنه، ظهر للجن التي كانت مسخرة للعمل بين يديه بأمر الله وتسخيره، أنه لو صح ما يزعمه بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان عليه السلام، وما لبثوا بعد موته مسخرين لجثة هامدة ـ وهم لا يعلمون ذلك ـ في العمل الذي كان سليمان قد سخرهم فيه. وفي هذا النص الكريم ما يؤكد أن الغيب لا يعلمه إلَّا الله ـ تعالى ـ وهذا من ركائز العقيدة الإسلامية. وهذ الخبر لم يرد له ذكر في العهد القديم، مما يجعل من تسجيل القرآن الكريم له وجهًا من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وشهادة بالنبوة لرسول الله ﷺ ونفيًا قاطعًا للادعاء الكاذب بأنّ قصص القرآن منقول عن العهد القديم.

حادي وعشرون: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله لقمان الحكيم

70 ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 12 ـ 13].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان جاءتا في أوائل الثلث الثاني من سورة «**لقمان**»، وهي سورة مكيَّة، وآياتها أربع وثلاثون (34) بعد البسملة. وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى العبد الصالح المعروف باسم (**لقمان الحكيم، أو الحكيم لقمان**). وهو شخصيّة لا يعرف المؤرّخون شيئاً عنها، وإن اعترفوا من وصف القرآن الكريم له في هذه السورة التي سمّيت باسمه بأنَّه كان من مؤمني زمانه. وذلك لأنه دعا لدعوته إلى التَّوحيد الخالص للَّه ـ تعالى ـ ونهى عن الشرك نهياً قاطعاً، وحضّ على الالتزام بمكارم الأخلاق، ولذلك عُرف بالحكمة بين قومه.

ويدور المحور الرئيس لسورة «لقمان» حول كل من ركائز العقيدة الإسلاميّة، والضوابط الأخلاقيّة والسلوكيّات المميزة للعبد المؤمن، وجزاء المحسنين الملتزمين بأوامر الله ـ تعالى ـ وأنهم هم الناجحون في الدنيا، والناجون في الآخرة.

كذلك سجلت سورة «لقمان» جزاء الخارجين عن أوامر الله وهدايته، وهم الضائعون في الدنيا والهالكون في الآخرة. واستشهدت السورة الكريمة في هذا السياق بعدد من الآيات الكونية الدالة على طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في

الخلق، والشاهدة للخالق ﷻ بالألوهيّة، والربوبيّة، والخالقيّة، والوحدانيّة المطلقة فوق جميع خلقه. وأكدت على حتميّة الآخرة، وعلى ما فيها من البعث، والحشر، والحساب، والجزاء. وختمت بالإشارة إلى عدد من أمور الغيب المطلق التي لا يعلمها إلّا الله.

وتتلخص لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآيتين الكريمتين (رقم 12، 13) من **سورة «لقمان»** في إشارتهما إلى شخص لا يعرف المؤرخون شيئاً عنه وهو **«لقمان الحكيم»**، الذي لم يرد له ذكر في «العهد القديم»، وإن كان قد شاع ذكره في التراث العربي القديم. فقد أورد السهيلي عن كل من ابن جرير والقتيبي أن اسمه كان **«لقمان بن عنقاء بن مسدون»** أو **«لقمان بن ثاران»**، وأنه كان نوبياً سكن مدينة آيلة (العقبة) في زمن داود عليه السلام، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وحكمة عظيمة. وذكر ابن كثير (في البداية والنهاية) أن «لقمان» كان قاضياً في زمن داود عليه السلام، بينما يذكر المسعودي أنه كان قد رحل من بلاد مدين وآيلة (العقبة) في عصر داود، وأن اسمه كان «لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون»، وأنه كان نوبياً، وكان مولى للقين بن جسر، وأنه ولد على عشر سنين من مُلك داود عليه السلام.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم للعبد الصالح لقمان الحكيم:

جاء ذكر «لقمان» في القرآن الكريم مرتان، وسميت باسمه إحدى سور هذا الكتاب العزيز، وهي السورة الحادية والثلاثون في ترتيب سور المصحف الشريف. وفي ست من آيات هذه السورة الكريمة جاء ذكر لقمان في موضعين على النحو التالي:

1 ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 12، 13].

وبعد آيات قليلة من هذه السورة المباركة يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان لقمان لابنه:

2 ـ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: 16 ـ 19].

وكطبيعة القرآن الكريم (وهو في الأصل كتاب هداية) فإنَّه حين يعرض لسيرة نبي من الأنبياء، أو صالح من الصالحين، أو طالح من الطالحين من بني آدم، أو أُمَّة من الأُمم الغابرة، فإنَّه يركّز على الدروس والعِبر المستقاة من عدد من المواقف في القصّة. وذلك من أجل ألّا يشغل قارئ القرآن بالتفاصيل التي لا تفيد من مثل ذكر نسب كلٍّ من الأشخاص، أو أسماء الأماكن التي عاشوا فيها، أو التواريخ التي مرُّوا بها، لأنَّ هذا كلّه خارج عن رسالة هذا الكتاب العزيز، والتي تتلخَّص في الهداية الربَّانيّة للخلق المكلّفين.

وتقرر الآيات في سورة «لقمان» أنَّ هذا الشخص الذي سمّيت باسمه هذه السورة الكريمة كان عبداً صالحاً من عباد الله، آتاه الله الحكمة (والحكمة بصفة عامة هي إصابة الحق بالعلم والعقل). والحكمة إذا نسبت إلى الله ـ تعالى ـ كان من معانيها إيجاد الأشياء من العدم على غاية من الاتقان والإحكام، وإحاطة علم الله بكلِّ شيء إحاطة تامَّة وكاملة. ولكن الحكمة إذا نسبت إلى الإنسان كان من معانيها ما يلي: (1) عمق الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾، (2) وتنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه وعن كلّ وصف لا يليق بجلاله، (3) وإفراده ـ تعالى ـ بالعبادة (بغير شريك ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد)، (4) والسعي وراء اكتساب المعرفة الحقة، (5) والالتزام بمكارم الأخلاق، (6) والحرص على

حسن العلاقة مع خلق الله، (7) والإكثار من فعل الخيرات. وهكذا كان لقمان كما وصفه القرآن الكريم بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12].

وعلى ذلك فإن **الدرس الأول** المستفاد من ذكر القرآن الكريم لعبد الله الصالح «**لقمان الحكيم**» هو ضرورة الشكر للّه. فمن سمات الحكمة البشريّة أن يدرك العبد منّا أنّ له خالقاً عظيماً خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، وزوّده بكل الأجهزة اللازمة لحياته، وهيّأ له الأرض والسمٰوات من حوله، وسخّرها له، وخلق له جميع المخلوقات من مختلف صور المادّة والطّاقة إلى مختلف أشكال النبات والحيوان. **من هنا كان لزاماً على جميع أفراد الخلق المكلف أن يخضعوا لهذا الإلٰه الواحد الأحد بالعبادة، والطّاعة والشكر. فمن أوّل مفاهيم الحكمة أن يكون من أوتيها من الخلق المكلّف، شاكراً لأنعم الله**، فبالشكر تدوم النِّعم، وبالجحود والنكران يتحتّم زوالها. وشكر العبد للّه ـ تعالى ـ خيره مردود على الشاكرين، لأنّ الله ﷻ غنيّ بذاته عن جميع خلقه، وهو محمود بذاته وإن لم يحمده أحد من خلقه المكلّف، وذلك لأنّ جميع خلقه غير المكلّف لا يفتر عن ذكره، ولا عن تسبيحه وحمده وشكره، ولذلك قال ـ تعالى ـ في محكم كتابه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44].

من هنا فإنّ العبد المكلّف إن لم يشكر الله على نعمه العديدة كان هو الخاسر الحقيقي ولذلك قال ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12]. وهذا هو **أوّل الدروس** المستفادة من استعراض القرآن الكريم لقصّة لقمان الحكيم.

والدرس الثاني: المستفاد من هذه السيرة العطرة هو ضرورة التوحيد الكامل للّه الخالق ﷻ ولذلك جاءت الآية التالية مباشرة بقول الحقّ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13].

والتوحيد الكامل للَّه الخالق، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصف لا يليق بجلاله هو أساس العقيدة الإسلاميّة، وركيزة الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ ولذلك حرَّم ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ وقوع عبد من عباده المكلّفين في الشرك تحريماً قاطعاً، وحذّر من المخاطر الوخيمة لذلك في مواضع كثيرة من محكم كتابه منها قوله ـ تعالى ـ:

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

وفي الحديث القدسي يقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: «...وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وانتابتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم...»[1].

ويروي لنا ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة الحقّ**»[2]، ويفسّر ابن عبَّاس هذا الحديث بقوله: «إنَّ رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى هلك أولئك، وتنسخ العلم عبدت»[3].

ثم جاء **الدرس الثالث** المستفاد من مواعظ لقمان لابنه مؤكّداً إحاطة علم الله بكلِّ شيء، ومراقبته لعباده مراقبة كاملة وذلك في قوله ـ تعالى ـ على لسان لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: 16].

ومن معاني ذلك أنَّ أعمال الخلق ـ مهما تضاءلت في الصغر، أو تعاظمت في الكبر، ومهما كانت مخفيّة في أي مكان من السمٰوات والأرض ـ فإنَّ الله قادر

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، حديث رقم (7136).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

على إظهارها والمحاسبة عليها لأنَّه ـ تعالى ـ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك أيضاً من ركائز العقيدة الإسلاميّة.

ويأتي **الدرس الرابع** من الدروس المستفادة من وصية «لقمان» لابنه مؤكّداً على **إقامة الصلاة (وهي عماد الدين)، وعلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وعلى ضرورة الصبر في الشدائد وأن تنعكس العبادة على السلوك والمعاملات وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: 17].

فالهدف من الأمر بالعبادة هو استقامة سلوك العبد المكلّف من عباد الله، وتعويده على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتدريبه على احتمال الصبر على ما يمكن أن يصيب الدَّاعية إلى الله من معارضة. ولا يقوى على مقاومة ذلك إلّا أصحاب العزائم من عباد الله الصالحين الذين فهموا الدين فهماً صحيحاً وباعوا أنفسهم خالصة لربّ العالمين.

ويأتي **الدرس الخامس** من وصايا لقمان لابنه **في النهي عن التعالي على الخلق أو التطاول عليهم، وعن المشي على الأرض في شيء من الخيلاء والزهو، أو في شيء من البطر والكبر، لأنَّ الله ـ تعالى ـ لا يحب كل مختال فخور (أي كل من تكبَّر يختال في مشيته تطاولاً على الخلق)**، ولذلك جاء القرآن الكريم بهذه الوصيّة على لسان لقمان لابنه التي يقول فيها: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 18، 19].

ومن معاني ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُمِلْ صفحة وجهك عن الناس، ولا تعرض عنهم كما يفعل المتكبِّرون. يقال في اللّغة: (صَعَّر) خده و(صاعره) أي: أماله عن النظر إلى الناس استهانة بهم وتكبّراً عليهم. (والصعر) في الأصل داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، ولذلك كني به عن التكبّر والاستعلاء على الناس واحتقارهم.

وبعد النَّهي عن هذه الخصال السيئة التي لا يرضاها الله ـ تعالى ـ من عباده، **يأتي الأمر بالمشي في الأرض باعتدال وقصد وهو (الاقتصاد والعدل)، أي في شيء من التوسّط بين الإسراع والبطء. كما يأتي الأمر بعدم رفع الصوت فوق الحاجة، وهو من أدب الحديث، ومن معالم ثقة المتحدّث بنفسه، واطمئنانه إلى صدق حديثه**. والقرآن الكريم يقبح ارتفاع الصوت بغير ضرورة وذلك بتعبير ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾. و(الغض) من الصوت هو خفضه إلى مستوى الحاجة، وكفّه عن إيذاء مسامع الآخرين، وهو من مكارم الأخلاق. ونقيض ذلك رفع الصوت إلى أعلى نبراته بغير حاجة وهو من الأُمور القبيحة المذمومة. والقرآن الكريم يشبه رفع الصوت إلى أعلى درجاته دون حاجة إلى ذلك بنهيق الحمير لما فيه من العلو المفرط بين الشهيق والزفير. والحمير لا تنهق إلا من الفزع الذي ينتابها عند رؤية الشياطين، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنَّها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوَّذوا باللَّه من الشيطان الرَّجيم فإنَّه رأى شيطاناً**»[1].

ومن المعروف علميًّا أن أقلَّ تردد للصوت يمكن لأذن الإنسان أن تسمعه هو (20) هيرتز (Hertz)، وأنَّ الحديث العادي يتراوح تردّده بين (50 و60) هيرتز، وأنَّ أعلى تردد تسمعه أذن الإنسان دون إزعاج هو (70) هيرتز. وحول تردد (120) هيرتز تبدأ أذن الإنسان في الشعور بالآلام المبرحة، وإذا تجاوز التردد (160) هيرتز يمكن أن تتمزَّق طبلة أذن الإنسان بالكامل. وإذا علمنا أن تردد نهيق الحمار يصل إلى (350) هيرتز أدركنا كم هو مؤلم لأذن الإنسان، وأدركنا ومضة الإعجاز العلمي في هذا التشبيه.

وباستعراض هذه الدروس الخمسة من وصايا لقمان لابنه يتَّضح لنا منهج

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3303)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم (6857)، وأبو داود في كتاب الأدب، حديث رقم (5102)، والترمذي في كتاب الدعوات، حديث رقم (3459).

القرآن الكريم في استعراض سير عدد من الأنبياء والمرسلين، وعدد من عباد الله الصالحين والطالحين، وفي استعراض عدد من أُمم الأوَّلين، فالهدف من كلِّ ذلك هو استخلاص الدروس والعبر من تجارب إنسانيّة مرَّت ببني البشر، ولا يهم هنا تفاصيل الأسماء والأماكن والأزمنة إلَّا إذا استلزم الأمر ذلك.

أمَّا **لقمان الحكيم** الذي سمّيت باسمه إحدى سورة القرآن الكريم، فكان قد أُوتي الحكمة حتى اشتهر بها بين العرب. ومن ذلك ذكر ابن هشام أنَّ سويد بن الصامت قدِم مكَّة المكرَّمة، وكان كبيراً في قومه، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال سويد: فلعلَّ الذي معك مثل الذي معي. فقال له الرَّسول: «**وما الذي معك؟**» قال: مجلّة لقمان، فقال الرَّسول ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ: «**أُعرضها عليّ**» فعرضها عليه، فقال: «**إنَّ هذا كلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله على هدى ونور**» وتلى عليه رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن، ودعاه إلى الإسلام[1].

ولمَّا لم يكن قد جاء ذكر للقمان في أي من كتب «العهدين القديم أو الجديد»، فإنَّ ذكره في القرآن الكريم، وذكر وصاياه لابنه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما يشهد للرّسول الخاتم الذي تلقّاه بالنبوّة وبالرسالة.

---

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (2/ 419)، والذهبي في تاريخ الإسلام (1/ 287).

ثاني وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه يونس عليه السلام

قيل عن عبد الله ونبيه **يونس بن متّى**، أنّه من نسل بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وكان قد أرسل إلى أهل «نينوى» وهي الآن خربة في مقابلة مدينة الموصل. وكانت «**نينوى**» في يوم من الأيام **عاصمة حضارة الآشوريين** التي ازدهرت في القرن السابع قبل الميلاد.

أولاً: يونس عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيه يونس عليه السلام باسمه صراحة في أربعة مواضع من القرآن الكريم هي: (النساء: 163)، (الأنعام: 86)، (يونس: 98)، و(الصافات: 139). وجاءت الإشارة إليه بكنيتين مرّة واحدة بكلّ منهما وهما: **(ذو النون)** في سورة الأنبياء (87)، و**(صاحب الحوت)** في سورة القلم (48)، كما سميت باسمه سورة كاملة من طوال سور القرآن الكريم هي السورة العاشرة في المصحف الشريف. ونوجز ذكر هذا النبيّ الصالح فيما يلي:

1 ـ في سورة «النساء» يخاطب ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بقوله العزيز: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: 163، 164].

2 ـ وفي سورة «الأنعام» يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ

إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 86].

3 ـ وفي سورة «يونس» يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: 98].

4 ـ وفي سورة «الأنبياء» جاء قول ربّنا ـ جلَّت قدرته ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87، 88].

5 ـ وفي سورة «الصافات» قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: 139 ـ 148].

6 ـ وفي سورة «القلم» يقول الحقّ ﷻ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾
[القلم: 48 ـ 50].

وفحوى هذه الآيات القرآنيّة الكريمة أنَّ الله ـ تعالى ـ بعث عبده ونبيّه يونس عليه السلام إلى أهل «**نينوى**» بشمال العراق (وهي الآن خربة في مقابلة مدينة الموصل على الضفة الغربيّة من نهر دجلة) وذلك لهدايتهم إلى دين الله الحقّ (الإسلام) بعد أن كانوا قد انحرفوا عنه إلى معتقدات شركيّة عديدة. ولذلك لأن الشياطين كانت قد اجتالتهم إلى الشرك وعبادة الأصنام، فرفضوا دعوة يونس عليه السلام،

وكذّبوا نبوّته، وعاندوه وتمرّدوا عليه، حتى هددهم بنزول عقاب الله ـ تعالى ـ بهم، إن لم يستجيبوا لدعوته فطالبوه بإنزال ما توعدهم به من عذاب. وتحسباً لوقوع هذا العذاب بهم خرج يونس عليه السلام من بين ظهرانيهم من قبل أن يتلقّى أمراً من الله ـ تعالى ـ بذلك، والأصل في الأنبياء ألّا يتّخذوا قراراتهم الكبيرة دون أمر من الله، وهم مطالبون بالتبليغ عن الله ـ تعالى ـ وليسوا مطالبين بالنتائج.

ولمّا ذهب عبد الله ونبيه يونس عليه السلام مغاضباً بسبب موقف قومه من دعوته، ارتحل بعيداً عن أرض نينوى خشية وقوع عذاب الله بأهلها، حتى وصل إلى شاطئ بحر (يظن أنّه البحر الأبيض المتوسط)، ووجد سفينة محمّلة بالبضائع والركاب تستعد للرحيل فركبها بعد أن استأذن أصحابها. وفي عرض البحر لجت السفينة بركابها، واضطربت بهم وماجت، حتى كادت أن تغرق. تشاور أصحاب السفينة ـ وهم في هذه المحنة ـ فيما بينهم واجتمعت كلمتهم على أن يقترعوا على جميع ركاب السفينة، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة في البحر، ليتخففوا من وزنه، وليتخلّصوا من ذنبه إذا كان صاحب ذنب. فلمّا اقترعوا وقعت القرعة على عبد الله ونبيه يونس، وأعادوها ثانية فوقعت عليه، فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه في الماء، فمنعوه حتى تتم القرعة الثالثة التي وقعت عليه كذلك، فألقى بنفسه في البحر أو ألقوه هم فيه ـ على حسب عرفهم في ذلك الزمان ـ، وحتى يتحقق أمر الله ـ تعالى ـ في نبيّه الآبق (أي الهارب)، ويعطيه درساً لا ينساه.

وعند نزول نبيّ الله وعبده يونس بن متّى في ماء البحر سخّر الله عز وجل له حوتاً ضخماً فالتقمه (أي أخذه بسرعة كاللّقمة في فمه). ومع هول المفاجأة، وظلمة فم الحوت، بدأ يونس في الاستغفار من ذنبه، وفي الاستغاثة بربّه، والتسبيح بذكره وفي ذلك يقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: 139 ـ 144].

و﴿أَبَقَ﴾ بمعنى هرب من قومه بغير إذن ربّه؛ و﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي المملوء بالبضائع؛ ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي قارع من كانوا معه في السفينة بالسهام؛ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أي كان من المغلوبين بالقرعة، **والدحض في** اللّغة هو الزلق في الماء والطين. ﴿فَٱلْتَقَمَهُ﴾ أي أخذه بسرعة كاللّقمة في فمه، ومن هول المفاجأة أخذ عبد الله ونبيه يونس يردد ما سجّله القرآن الكريم عنه بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: 87].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي مقترف ما يلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربّه.

ومع إلحاح نبيّ الله يونس عليه السلام في الاستغفار والتسبيح والدّعاء استجاب الله ـ تعالى ـ لاستغاثته، وأمر الحوت أن يلفظه على الشاطئ. وكانت هذه التجربة القاسية، ليفهم العظة من الدرس الذي تلقّاه، ومنه أنّه كنبيّ من أنبياء الله ما كان له أن يتصرّف في شأن من شؤون الدعوة التي كلّفه الله تعالى بها بغير إذن إلٰهي بذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 88].

ويقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافّات: 145 ـ 148].

(فنبذناه) أي: طرحناه بمعنى أن الله ـ تعالى ـ أمر الحوت أن يقذفه من فمه على الشاطئ فقذفه، وخرج يونس عليه السلام سقيماً من شدة اهتراء جلده بسبب عنف تيار الماء الداخل إلى فم الحوت والخارج من خشومه.

وتروي لنا الآيات بعد ذلك أنَّ عبد الله ونبيه يونس عليه السلام بعد أن ألقى الحوت به على الساحل، وهو في حالة من الذهول والإعياء الشديدين، أنبت الله ـ تعالى ـ عليه شجرة من يقطين. وهذه اليقطينة سترته، وأظلَّته، وأطعمته وعالجت اهتراء جلده الذي

أصابه بفعل تيارات الماء المندفعة إلى فم الحوت والخارجة عبر خشومه. فعندما لامست الأوراق العريضة الناعمة لشجرة اليقطين جسد يونس عليه السلام عوفي جلده من سقمه بإرادة الله ـ تعالى ـ أولاً، ثم بواسطة ما باليقطين من مضادات حيوية أثبتتها التحاليل مؤخراً. وأغلب ثمار اليقطين غضة تؤكل نيئة، ولذلك وجد فيها يونس عليه السلام ما يرد ظمأه وجوعه.

وهذه معجزة أحدثها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ لنبيّه يونس عليه السلام، والمعجزات لا تعلل، ولا تفسّرها؛ المعارف المكتسبة لأنَّها خارقة لقوانين الدنيا. وإن كان العلم يؤكّد إمكانيّة التقام أحد حيتان البحر العملاقة لرجل، وبقاء هذا الرجل حياً في فمه لبعض الوقت دون أن يصيبه أذى كبير، ثم يلفظه الحوت، خاصة إذا كان من نوع **«الهركول» العملاق**، أو الحوت الأزرق الذي يبلغ طوله نحواً من عشرين متراً، ويتميّز بأنَّه لا أسنان له، وحلقومه (أي بلعومه) أضيق من إمكانيّة ابتلاع جسد الرجل البالغ.

ثم عاد عبد الله ونبيه يونس عليه السلام إلى قومه الذين كانوا قد رأوا إرهاصات العذاب الذي توعدهم به نبيّهم فسارعوا بالتوبة إلى الله ـ تعالى ـ وبالإنابة إليه، وعادوا إلى التوحيد الخالص للَّه، فكشف عنهم العذاب، وسعد بهم نبيّهم وسعدوا به. ثم عاش بينهم داعياً إلى الله على بصيرة هو ومَن اتبعه حتى لقي ربّه راضياً مرضيًّا بإذن الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨﴾ [يونس: 98].

وقد عاش أهل نينوى على الإسلام لعدّة قرون بعد نبيّهم يونس بن متَّى عليه السلام، ثم أخذ شياطين الإنس والجن ينفثون سمومهم في عقول وقلوب الناس كعادتهم حتى حرفوهم عن دين الله، فعادوا إلى وثنياتهم القديمة ضالّين مضلّين، وإن بقي بينهم بعض الصالحين الذين تمسّكوا بالحق القديم.

ومع تفشّي الشرك باللَّه بين أهل نينوى، وعودتهم إلى عبادة الأصنام والأوثان

والنجوم والكواكب، غضب الله ـ تعالى ـ عليهم، ودفع إليهم من دمر إمبراطوريتهم في حدود سنة 612 ق.م حتى أصبحت أثراً بعد عين إلى يومنا الرَّاهن، وقد كانت عاصمة للإمبراطوريّة الآشوريّة بعد مدينة «آشور». ويرجع تاريخ نينوى إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد وصلت إلى أوج ازدهارها بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، وتمّ تدميرها بالكامل على أيدي «المديين» (The Medes) في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، وإن سكنتها بعض القبائل حتى العصور الوسطى، وبقيت أطلالها على الضفّة الغربيّة من نهر دجلة إلى اليوم.

ثانياً: يونس ﷺ في السنَّة النبويّة المطهّرة:

في العام العاشر من بعثة المصطفى ﷺ أي في حدود السنة الثانية قبل الهجرة (620م) توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، ثم مات أبو طالب. وقد أغرى ذلك كفّار قريش برسول الله ﷺ فجاوزوا كل الحدود في إيذائه حتى اضطر إلى الخروج من مكّة إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة «ثقيف»، ولكنها خذلته. فخرج رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكّة، وفي الطريق توقف عند بستان لأخوين يدعيان **عتبة وشيبة ابنَي ربيعة**، واستظل بجدار بستانهما وأخذ في مناجاة ربّه. فلمّا رآه صاحبا البستان تحرّكت المروءة في قلبيهما فدعوا غلاماً لهما يقال له «**عداس**» كان من بقايا أهل الكتاب في العراق، وأمراه أن يأخذ قطفاً من العنب فيضعه في طبق ليقدّمه لهذا الغريب المستظلّ بجدار بستانهم. واستجابة لأمر صاحبَيْ البستان ذهب «**عداس**» بهذا الطبق إلى رسول الله ﷺ، وقدّمه إليه، فقال ﷺ: «**باسم الله**» ثم تناول شيئاً من هذا العنب. نظر (**عداس**) إلى رسول الله ﷺ متعجباً وقائلاً: باللّه إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!! فقال له رسول الله ﷺ: **ومن أي البلاد أنت؟** قال (**عداس**): من نينوى، فقال رسول الله ﷺ:**من بلد الرجل الصالح يونس بن متَّى؟** فقال (عداس): وما يدريك عن يونس بن متَّى؟ قال ﷺ: **ذلك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيّ**، فأكب (عداس) على رأس ويدي رسول الله ﷺ يقبلها. وما أن رأى صاحبا البستان ذلك حتى قال أحدهما للآخر: أمَّا غلامك فقد أفسده

عليك. وعندما عاد إليهما (**عداس**) قالا له: ويلك يا «عداس»! ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه؟ قال «**عداس**»: ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلَّا نبيّ. فقالا له: ويحك يا «عداس» لا يصرفنك عن دينك.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله: «**لا تفضلوني على يونس بن متَّى**» **أو** «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى**»[1].

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو دعوة يونس بن متَّى**» فقلت: يا رسول الله! هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «**هي ليونس خاصة، ولجماعة المسلمين عامّة إذا دعوا بها، ألم تسمع قوله تعالى:** ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[2] [الأنبياء: 87، 88]».

من هنا فإن ذكر عبد الله ونبيه يونس بن متَّى في القرآن الكريم، وذكر قصّته مع قومه، وتفاصيل المعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ له يصبح وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقّاه بالنبوَّة وبالرسالة، فصلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

هذا وقد جاء ذكر عبد الله ونبيّه يونس عليه السلام في «العهد القديم» في صفحتين تحت مسمى «**يونان**» (**Jonah**)، وذكر أنَّ اسمه **يونان بن أمتاي** (**Jonah son of Amittai**)، وأنَّه هرب من الرب بعد أن أمره بالذهاب إلى أهل مدينة نينوى العظيمة (**Nineveh**) وأنَّ يعظهم لأنَّ خطاياهم كانت قد زادت أمام ناظري الرب. ولكن يونس هرب من تلك

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، حديث رقم (4669).

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم، حديث رقم (1865).

المهمة واتجه إلى مدينة طرطوس (Tarshish) ليهرب من الرب، وركب سفينة توصله إلى ذلك الميناء. ولكن السفينة بدأت تتعرَّض للغرق بسبب عاصفة هوجاء. ألقى البحارة حمولة الباخرة من البضائع في البحر للتقليل من حمولتها، ولكن ظل الغرق يتهدد السفينة، فاقترع البحارة ليكتشفوا السبب في تلك الكارثة، وطلعت القرعة على يونس، فطلب منهم أن يلقوه في البحر حتى تهدأ العاصفة فقاموا بإلقائه وهدأت العاصفة. ولكن الله أمر سمكة عظيمة بابتلاع يونس الذي بقي في جوفها لثلاثة أيّام وثلاثة ليال. ومن داخل جوف السمكة بدأ يونس في الدعاء إلى الله بنثر موضوع، فأمر الله هذه السمكة العظيمة أن تتقيّأ يونس على الشاطئ اليابس. وجاء الأمر الإلٰهي إلى يونس للمرّة الثانية أن يذهب إلى أهل مدينة نينوى ليبلّغهم رسالة ربّهم. أطاع يونس أمر الرب وعاد إلى مدينة نينوى، وتحرّك داخل المدينة محذراً أهلها بأنّها سوف تدمّر في خلال أربعين يوماً إن لم يؤمنوا باللَّه، فآمنوا وأعلنوا الصيام للّه، ولبسوا الخرق البالية جميعاً من أغناهم إلى أفقرهم، حتى ملكهم لبس الخرق البالية. وتوجّهوا إلى الله بالدعاء فرفع الله عنهم العذاب الذي توعّدهم به، ولكن يونس غضب لذلك، وطالب الرب أن يقبض روحه، ولكن الرب سأله: ألك حقّ في أن تغضب؟ ولكن يونس خرج إلى شرقي المدينة وصنع لنفسه ستراً جلس في ظلّه منتظراً ماذا سيحدث للمدينة، فزوده الله **بشجرة عنب** وجعلها تنمو فوق رأسه لتظلّله، وفرح يونس بذلك جدًّا. ولكن في فجر اليوم التالي بعث الله دودة فأكلت شجرة العنب حتى قضت عليها، وبعث شمساً حارقة ورياحاً شرقيّة شديدة أدّت إلى إغماء يونس حتى تمنّى الموت (انظر سفر يونان 1/ 1 إلى 4/ 11). **وفي الترجمة الإنجليزية لسفر يونان من العهد القديم جاء ذكر أنّ الذي ابتلع يونس سمكة كبيرة، والذي أظله شجرة عنب، وفي الترجمة العربية جاء ذكر الحوت وشجرة اليقطين. لأكثر من خمس مرات**. (Arabic/ English Bible, Copyright: 1999 by International Bible Society Fifth print 2006). فمَن نقل عن مَن؟ هل كتّاب ومترجمو العهد القديم نقلوا عن القرآن الكريم، أم أنّ القرآن الكريم نقل عن كتبهم؟! ويتضح ذلك جلياً في النصوص التالية:

يونس عليه السلام في العهد القديم:

Jonah

Jonah Flees to Tarshish

1 The word of the LORD came to Jonah son of Amittai: [2]"Go to the great city of Nineveh and preach against it, because its wickedness has come up before me."

[3]But Jonah ran away from the LORD and headed for Tarshish. He went down to Joppa, where he found a ship bound for that port. After paying the fare, he went aboard and sailed for Tarshish to flee from the LORD.

The Storm

[4]Then the LORD sent a great wind on the sea, and such a violent storm arose that the ship threatened to break up. [5]All the sailors were afraid and each cried out to his own god. And they threw the cargo into the sea to lighten the ship. But Jonah had gone below deck, where he lay down and fell into a deep sleep. [6]The captain went to him and said, "How can you sleep? Get up and call on your god! Maybe he will take notice of us, and we will not perish."

Casting Lots

[7]Then the sailors said to each other, "Come, let us cast lots to find out who is responsible for this calamity." They cast lots and the lot fell on Jonah. [8]So they asked him, "Tell us, who is responsible for making all this trouble for us? What do you do? Where do you come from? What is your country? From what people are you?" [9]He answered, "I am a Hebrew and I worship the LORD, the God of heaven, who made the sea and the land." [10]This terrified them and they asked, "What have you done?" (They knew he was running away from the LORD, because he had already told them so.) [11]The sea was getting rougher and rougher. So they asked him, "What should we do to you to make the sea calm down for us?" [12]"Pick me up and throw me into the sea," he replied, "and it will become calm. I know that it is my fault that this great storm has come upon you."

Jonah Is Thrown Into the Sea

[13]Instead, the men did their best to row back to land. But they could not, for the sea grew even

كِتَابُ يُونَانَ

يونان يهرب إلى ترشيش

١ وَأَمَرَ الرَّبُّ يُونَانَ بْنَ أَمِتَّايَ: [٢] «هَيَّا انْهَضْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَبَلِّغْ أَهْلَهَا قَضَائِي، لأَنَّ إِثْمَهُمْ قَدْ صَعِدَ إِلَيَّ».

[٣] غَيْرَ أَنَّ يُونَانَ انْطَلَقَ لِيَهْرُبَ مِنَ الرَّبِّ إِلَى تَرْشِيشَ. فَانْحَدَرَ إِلَى مَدِينَةِ يَافَا حَيْثُ عَثَرَ عَلَى سَفِينَةٍ مُتَّجِهَةٍ إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَصَعِدَ إِلَيْهَا لِيَتَوَجَّهَ مَعَ بَحَّارَتِهَا إِلَى تَرْشِيشَ هَرَباً مِنَ الرَّبِّ.

العاصفة

[٤] فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً عَاتِيَةً عَلَى الْبَحْرِ أَثَارَتْ إِعْصَاراً بَحْرِيّاً، حَتَّى أَشْرَفَتِ السَّفِينَةُ عَلَى الانْكِسَارِ. [٥] فَفَزِعَ الْمَلّاحُونَ وَاسْتَغَاثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِإِلَهِهِ، وَطَرَحُوا مَا فِي السَّفِينَةِ مِنَ الأَمْتِعَةِ لِيُخَفِّفُوا مِنْ حُمُولَتِهَا. أَمَّا يُونَانُ فَلَجَأَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَرَقَدَ مُسْتَغْرِقاً فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ. [٦] فَاقْتَرَبَ مِنْهُ الرُّبَّانُ وَقَالَ لَهُ: «مَا بَالُكَ مُسْتَغْرِقاً فِي النَّوْمِ؟ قُمْ وَاضْرَعْ إِلَى إِلَهِكَ لَعَلَّ اللهَ يَذْكُرُنَا فَلا نَهْلِكَ».

إلقاء القرعة

[٧] ثُمَّ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ لِرَفِيقِهِ: «هَيَّا نُلْقِ قُرْعَةً لَعَلَّنَا نَعْرِفُ مَنْ جَرَّ عَلَيْنَا هَذَا الْبَلاءَ». فَأَلْقَوْا الْقُرْعَةَ، فَوَقَعَتْ عَلَى يُونَانَ.

[٨] فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا لِمَاذَا جَرَى عَلَيْنَا هَذَا الْبَلاءُ؟ وَمَا هِيَ حِرْفَتُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَمَا هِيَ بِلادُكَ؟ وَمَنْ هُمْ قَوْمُكَ؟» [٩] فَأَجَابَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ، صَانِعِ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ». [١٠] فَاعْتَرَى الْبَحَّارَةَ خَوْفٌ عَظِيمٌ وَقَالُوا لَهُ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ هَارِبٌ مِنَ الرَّبِّ: «لِمَاذَا صَنَعْتَ هَذَا؟» [١١] ثُمَّ تَسَاءَلُوا: «مَاذَا نَفْعَلُ بِكَ حَتَّى يَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ هِيَاجاً. [١٢] فَأَجَابَهُمْ: «احْمِلُونِي وَاطْرَحُونِي إِلَى الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ، لأَنِّي مُوقِنٌ أَنَّ هَذَا الإِعْصَارَ الْمُرِيعَ قَدْ هَاجَ عَلَيْكُمْ بِسَبَبِي».

طرح يونان إلى البحر

[١٣] وَلَكِنَّ الْبَحَّارَةَ شَرَعُوا يُجَذِّفُونَ لِيَرْجِعُوا إِلَى الشَّاطِئِ،

wilder than before. [14]Then they cried to the LORD, "O LORD, please do not let us die for taking this man's life. Do not hold us accountable for killing an innocent man, for you, O LORD, have done as you pleased." [15]Then they took Jonah and threw him overboard, and the raging sea grew calm. [16]At this the men greatly feared the LORD, and they offered a sacrifice to the LORD and made vows to him. [17]But the LORD provided a great fish to swallow Jonah, and Jonah was inside the fish three days and three nights.

فاخفقوا لتفاقم هياج البحر. ١٤فصرخوا إلى الرب قائلين: «أيها الرب لا تهلكنا من أجل حياة هذا الرجل، ولا تحملنا دما بريئا لأنك يارب فعلت كما شئت». ١٥ثم أخذوا يونان وقذفوا به إلى البحر، فزال عليه الهدوء وسكنت أمواجه. ١٦فانتاب الرجال خوف عظيم من الرب، وقربوا له ذبيحة ونذروا نذورا. ١٧وأما الرب فأعد حوتا عظيما ابتلع يونان. فمكث يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال.

Jonah's Prayer

2 From inside the fish Jonah prayed to the LORD his God. [2]He said: "In my distress I called to the LORD, and he answered me. From the depths of the grave I called for help, and you listened to my cry. [3]You hurled me into the deep, into the very heart of the seas, and the currents swirled about me; all your waves and breakers swept over me. [4]I said, 'I have been banished from your sight; yet I will look again toward your holy temple.' [5]The engulfing waters threatened me, the deep surrounded me; seaweed was wrapped around my head. [6]To the roots of the mountains I sank down; the earth beneath barred me in forever. But you brought my life up from the pit, O LORD my God. [7]When my life was ebbing away, I remembered you, LORD, and my prayer rose to you, to your holy temple. [8]Those who cling to worthless idols forfeit the grace that could be theirs. [9]But I, with a song of thanksgiving, will sacrifice to you. What I have vowed I will make good. Salvation comes from the LORD."

[10]And the LORD commanded the fish, and it vomited Jonah onto dry land.

صلاة يونان

٢ ثم صلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، ٢قائلا: «استغثت بالرب في ضيقي فاستجاب لي، ومن جوف الهاوية ابتهلت فسمعت صوتي. ٣لأنك طرحتني إلى اللجج العميقة في قلب البحار، فاكتنفني الغمر وأحاطت بي تياراتك وأمواجك. ٤فقلت: قد طردت من حضرتك، ولن أعود أتفرس في هيكلك المقدس. ٥قد غمرتني المياه واختنقت بين اللجج، والتف عشب البحر حول رأسي. ٦انحدرت إلى أسس الجبال وهبطت إلى أعماق الأرض حيث أغلقت علي مزاليجها إلى الأبد. ولكنك تصعد حياتي من الهاوية أيها الرب إلهي. ٧عندما وهنت نفسي في داخلي، تذكرت إلهي، فحلقت صلاتي إليك، إلى هيكلك المقدس. ٨إن الذين يبجلون الأصنام الباطلة يتخلون عن مصدر نعمتهم. ٩أما أنا فبهتاف الحمد أذبح لك، وما نذرته أوفي به، لأن للرب الخلاص».

١٠فأمر الرب الحوت فقذف بيونان إلى الشاطئ.

Jonah Goes to Nineveh

3 Then the word of the LORD came to Jonah a second time: [2]"Go to the great city of Nineveh and proclaim to it the message I give you."

[3]Jonah obeyed the word of the LORD and went to Nineveh. Now Nineveh was a very important city–a visit required three days. [4]On the first day, Jonah started into the city. He proclaimed: "Forty more days and Nineveh will be overturned."

[5]The Ninevites believed God. They declared a fast, and all of them, from the greatest to the least, put

يونان يتوجه إلى نينوى

٣ وأمر الرب يونان ثانية: ٢«قم امض إلى نينوى المدينة العظيمة، وأعلن لهم الرسالة التي أبلغك إياها».

٣فهب يونان وتوجه إلى نينوى بموجب أمر الرب. وكانت نينوى مدينة بالغة العظمة يستغرق اجتيازها ثلاثة أيام. ٤فدخل يونان المدينة واجتاز فيها مسيرة يوم واحد، وأخذ ينادي قائلا: «بعد أربعين يوما تدمر المدينة».

٥فآمن شعب نينوى بالرب، وأعلنوا الصيام وارتدوا المسوح

on sackcloth. [6]When the news reached the king of Nineveh, he rose from his throne, took off his royal robes, covered himself with sackcloth and sat down in the dust. [7]Then he issued a proclamation in Nineveh: "By the decree of the king and his nobles: Do not let any man or beast, herd or flock, taste anything; do not let them eat or drink. [8]But let man and beast be covered with sackcloth. Let everyone call urgently on God. Let them give up their evil ways and their violence. [9]Who knows? God may yet relent and with compassion turn from his fierce anger so that we will not perish."

من كبيرهم إلى صغيرهم. [6]ولما بلغ إنذار النبي ملك نينوى، قام عن عرشه وخلع عنه حلته، وارتدى المسح وجلس على الرماد. [7]وأذاع في كل نينوى مرسوماً ورد فيه: «بأمر من الملك ونبلائه، يمتنع الناس عن الأكل والشرب، وكذلك البهائم والغنم والبقر، لا ترع ولا تشرب ماء. [8]وعلى جميع الناس والبهائم أن يرتدوا المسوح، متضرعين إلى الله تائبين عن طرقهم الشريرة وعما ارتكبوه من ظلم. [9]لعل الرب يرجع فيعدل عن احتدام سخطه فلا نهلك».

The Salvation of the City

[10]When God saw what they did and how they turned from their evil ways, he had compassion and did not bring upon them the destruction he had threatened.

خلاص المدينة

[10]فلما رأى الله أعمالهم وتوبتهم عن طرقهم الأثيمة عدل عن العقاب الذي كان مزمعاً أن يوقعه بهم وعفا عنهم.

Jonah's Anger at the LORD's Compassion

4 But Jonah was greatly displeased and became angry. [2]He prayed to the LORD, "O LORD, is this not what I said when I was still at home? That is why I was so quick to flee to Tarshish. I knew that you are a gracious and compassionate God, slow to anger and abounding in love, a God who relents from sending calamity. [3]Now, O LORD, take away my life, for it is better for me to die than to live." [4]But the LORD replied, "Have you any right to be angry?" [5]Jonah went out and sat down at a place east of the city. There he made himself a shelter, sat in its shade and waited to see what would happen to the city.

غضب يونان لنجاة المدينة

٤ فكدر ذلك خاطر يونان وغضبه الشديد. [2]وصلى إلى الرب قائلاً: «أيها الرب، أليس هذا ما قلته عندما كنت في بلادي؟ لهذا أسرعت إلى الهرب إلى ترشيش، لأني عرفت أنك إله رحيم رؤوف بطيء الغضب كثير الإحسان، ترجع عن العقاب. [3]والآن خذ أيها الرب اقبض نفسي لأنه خير لي أن أموت من أن أحيا». [4]فقال الرب: «أأنت محق في غضبك؟»

[5]وخرج يونان من نينوى وجلس شرقي المدينة، بعد أن نصب لنفسه مظلة جلس تحت ظلها يترقب ما يجري على المدينة.

The Mercy of God

[6]Then the LORD God provided a vine and made it grow up over Jonah to give shade for his head to ease his discomfort, and Jonah was very happy about the vine.

[7]But at dawn the next day God provided a worm, which chewed the vine so that it withered. [8]When the sun rose, God provided a scorching east wind, and the sun blazed on Jonah's head so that he grew faint. He wanted to die, and said, "It would be better for me to die than to live."

[9]But God said to Jonah, "Do you have a right to be angry about the vine?"

رحمة الله

[6]فأعد الرب الإله يقطينة نمت وارتفعت حتى ظللت رأس يونان لتقيه من شدة الحر فلا تؤذيه. فابتهج يونان باليقطينة ابتهاجاً عظيماً.

[7]ولكن في فجر اليوم التالي أعد الله دودة قرضت اليقطينة فجفت. [8]فلما أشرقت الشمس، أرسل الله ريحاً شرقية حارة لفحت رأس يونان، فأصابه الإعياء، وتمنى لنفسه الموت قائلاً: «خير لي أن أموت من أن أظل حياً».

[9]فقال الله ليونان: «أأنت محق في غضبك من أجل اليقطينة؟»

Jonah 4	1377 / ١٣٧٧	يونان ٤
"I do," he said. "I am angry enough to die." [10]But the LORD said, "You have been concerned about this vine, though you did not tend it or make it grow. It sprang up overnight and died overnight. [11]But Nineveh has more than a hundred and twenty thousand people who cannot tell their right hand from their left, and many cattle as well. Should I not be concerned about that great city?"		فَأَجَابَ: «أَنَا مُحِقٌّ فِي غَضَبِي حَتَّى ٱلْمَوْتِ». [١٠]فَقَالَ ٱلرَّبُّ: «لَقَدْ أَشْفَقْتَ أَنْتَ عَلَى ٱلْيَقْطِينَةِ ٱلَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِي تَنْمِيَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا. هَذِهِ ٱلْيَقْطِينَةُ ٱلَّتِي تَرَعْرَعَتْ فِي لَيْلَةٍ وَذَوَتْ فِي لَيْلَةٍ. [١١]أَفَلَا أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلَّتِي يُقِيمُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَخْصٍ مِمَّنْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ يَمِينِهِمْ وَشِمَالِهِمْ، فَضْلاً عَمَّا فِيهَا مِنْ بَهَائِمَ كَثِيرَةٍ؟».

في هذا النص من «العهد القديم» يمكن ملاحظة ما يلي:

1 ـ في سفر يونان 1/ 17، جاء ما يلي:

وأما الرب فأخذ حوتاً عظيماً ابتلع يونان. فمكث يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. ولفظة حوت هنا ليست ترجمة دقيقة للنص الإنجليزي المقابل **(a great fish)** ولو ابتلع الحوت أو السمكة الكبيرة يونس لاختنق ومات. أما النص القرآني (فالتقمه الحوت) هو الأصح والأدق كما أوضحنا سابقاً، وسوف نوضح لاحقاً، وهذا الحديث ينطبق على النص في سفر يونان (2/ 10).

2 ـ أما في في سفر يونان (4/ 1 ـ 5) فيعجب القارئ لهذا السفر من غضب يونس لنجاة مدينته؟

3 ـ وفي سفر يونان (4/ 6 ـ 11) **جاءت ترجمة كلمة (vine) في النص الإنجليزي المقابل خمس مرات بكلمة (يقطينة) المستمدة من القرآن الكريم، لأن شجرة العنب (Vine) ليست ترجمتها إلى العربية هي كلمة (يقطينة) فمن أخذ عن مَن؟** هل كتّاب ومترجمو العهد القديم هم الذين أخذوا عن القرآن الكريم، أم أنّ القرآن الكريم نقل عن كتبهم؟!

71 ـ ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: 142].

وردت لفظة (**حوت**) بالمفرد والجمع في القرآن الكريم خمس مرات بمعنى صيد البحر، وجاءت في أربع منها بمعنى السمكة أو السمك، وفي مرة واحدة جاءت بمعنى أضخم حيوان بحري نعرفه، وهو الحوت عديم الأسنان حتى يكون قادراً على التقام رجل بالغ دون أن يؤذيه، لضخامة فمه، واتعدام أسنانه، وضيق حلقومه عن مرور شيء بهذا الحجم إلى جوفه.

والتعبير (**حوت**) في اللغة العربية يطلق على ما عظم وما قل من صيد البحر، لأن الكلمة مشتقة من الفعل (حاوت) بمعنى راوغ. وأغلب الحيوانات البحرية تجيد المراوغة في محاولة للنجاة بنفسها من الافتراس أو الصيد، ولذلك أطلق لفظ (الحوت) على أغلب أنواع الحياة المتحركة في الأوساط المائية، ومنها الأسماك والحيتان والدلافين وأشباهها.

والحيتان (Whales) هي حيوانات بحرية، ثديية، ذات دم حار، لكل فرد منها رئتان يتنفس بهما الهواء مباشرة، وليست لها خياشيم كالأسماك. وأنثى الحيتان تلد وترضع صغارها. وتُضَمُّ الحيتان بمختلف أنواعها، والدلافين (Dolphins) تحت مسمى رتبة الجوثيات أو الحوتيات (Order Cetacea). ومن الحيتان ما له أسنان، ومنها ما هو عديم الأسنان. وتتميز الحيتان عموماً بأجسامها الانسيابية التي ترق في اتجاه الذيل، وبذلك تشبه أجسام الأسماك حتى تتواءم مع طبيعة حياتها البحرية، وإن كانت أحجامها تفوق أكبر الأسماك حجماً بأضعاف كثيرة. ويساعد على حركة أجسام هذه الحيتان العملاقة ذيل على هيئة زعنفة أفقية (بينما زعانف الأسماك رأسية). ويغطي أجساد الحيتان طبقة سميكة من الدهن (5سم ـ 30سم في السُّمك) تعمل على حماية جسم الحوت من البرد، وتحفظ له درجة حرارة ثابتة. وجسم الحوت نظيف من الطفيليات بصفة عامة، وإن وجدت، فإنها تحيا

حياة خارجية فقط، على الزعانف والذيل. وعلى الرغم من أن الحوت يسبح قريباً من سطح الماء للتنفس بالهواء الذي يعلوه كل (10) إلى (15) دقيقة، إلا أن الله ـ تعالى ـ قد أعطاه القدرة على الغوص إلى أعماق متوسطة من البحار والمحيطات (100 متر) وعميقة (أكثر من 500 متر). فالحيتان لها قدرة على الحركة حتى في تلك الأعماق من البحار والمحيطات، وعلى البقاء فيها من (10) إلى (15) دقيقة، وبحد أقصى (50) دقيقة، ثم تصعد إلى سطح الماء.

ومن أضخم أنواع الحيتان على الإطلاق، بل أضخم حيوان نعرفه عبر تاريخ الأرض الطويل هو نوع من أنواع الحيتان عديمة الأسنان يعرف باسم «**الحوت الأزرق**» وهو أضخم من أضخم حيوان نعرفه (مثل الديناصورات، والفيلة، والجمال، وغيرها). ويتبع الحوت الأزرق رتيبة (تصغير رتبة) خاصة تعرف باسم **رتيبة الحيتان عديمة الأسنان** (Suborder Mysticeti). ويتميز هذا الحوت الأزرق العملاق (The Blue Whale = **Balaenoptera musculus**) بلون جلده الأزرق المائل إلى الدكنة (أو اللون الرمادي) والمنقط بعدد من النقاط الأفتح قليلاً في اللون. والحوت الأزرق هو صاحب أضخم جثة لكائن حي عمر الأرض في القديم والحديث، وصاحب أعلى نبرة صوت لكائن حي. ويصدر عن هذه الحيتان أصوات عميقة ومدوية ذات شدة عالية (تصل إلى 188ديسيبل)، وذات تردد منخفض أي: ذبذبات قليلة في عددها بالثانية، ولذلك تنتشر أصواتها إلى مسافات بعيدة في الوسط المائي مما يمكّن الحيتان الزرقاء من الاتصال ببعضها بعضاً عبر مئات الأميال. ويتراوح طول الفرد البالغ من الحيتان الزرقاء بين (20) متراً و(33) متراً، ويتراوح وزنه بين (90) طناً و(180) طناً، ويكوِّن رأسه ربع طول جسده؛ وجسمه الطويل يستدق في اتجاه الذنب. وهذا العملاق ـ الذي وهبه الله ـ تعالى ـ بسطة في الجسم لم تتهيأ لمخلوق آخر نعرفه ـ يتميز بالهدوء الشديد، وبالحياء والخجل، وهو يسبح على سطح مياه البحار والمحيطات بسرعة تتراوح بين (20، 50) كيلومتراً/ ساعة. ويعيش **الحوت الأزرق** في مجموعات صغيرة أو كبيرة،

ويتراوح عمر الفرد من أفراده بين (30 ـ 80) سنة. وأنثى الحوت الأزرق أكبر حجماً من الذكر، مما يعينها على حمل ورعاية صغارها. وتبدأ الإناث في الحمل من سن (5 ـ 10) سنوات، وتضع مولوداً واحداً كل (2 ـ 3) سنوات، بعد فترة حمل تطول من (10 ـ 12) شهراً. وعجل الحوت الأزرق يرضع من أمه أكثر من خمسين جالوناً من اللبن في اليوم الواحد، ويزداد وزنه بمعدل عشرة أرطال في الساعة (أي أكثر من 200 رطل في اليوم) وذلك في أسابيعه الأولى. وعند مولده يصل طول عجل الحوت الأزرق إلى سبعة أمتار، ووزنه إلى طنّين، وبعد سنة من العمر يصل طوله إلى (18) متراً، وتواصل الأم إرضاع صغيرها ما بين (7 ـ 8) شهور، وبحد أقصى إلى سنة ثم يفطم.

وقد جارت شركات صيد الأسماك على «**الحوت الأزرق**» طوال النصف الأول من القرن العشرين حتى كادت أن تفنيه. ويمثل صيد الحيتان الزرقاء حوالي 90% من صناعة صيد الحيتان، حتى وصل مجموع ما تم صيده في فصل واحد من فصول الصيد في سنة 1931م إلى أكثر من ثلاثين ألفاً من الحيتان الزرقاء فقط. ونتيجة لذلك أخذت أعداد هذه الحيتان الزرقاء في التناقص المستمر في مختلف البحار والمحيطات حتى أوشك هذا النوع العملاق على الانقراض. وليس أدل على ذلك من أن الأعداد المتوقعة اليوم من هذا الحيوان العملاق لا تكاد تتعدى الأحد عشر ألفاً، من أصل يزيد على المائتي ألف، وذلك بفعل كلّ من الصيد الجائر والتلوث البيئي.

ويتميز «**الحوت الأزرق**» بأنه عديم الأسنان، وعوضاً عنها زوده الله ﷻ بعدد من الألواح القرنية التي تتكون من مادة تعرف باسم الكيراتين (Keratin). وهذه الألواح يتراوح عددها بين الثلاثمائة والأربعمائة لوح تعرف باسم البالينات (Baleens) وتتدلى من جانبي الفك العلوي، ويحمل كل واحد من هذه الألواح شعيرات دقيقة في نهاياتها الداخلية باتجاه اللسان. وهذه الألواح يبلغ طول الواحد منها أكثر من المتر، وتتناقص أطوالها إلى حوالي نصف المتر في اتجاه مقدمة الفم. ويتّسع فم

الحوت الأزرق ليحتوي خمسين طناً من الماء في الرشفة الواحدة، لأن الله ـ تعالى ـ قد زوّد جسمه بحوالي (50 ـ 70) طية تمتد من بداية الفك السفلي إلى منتصف أسفل الجسم (السرة) لتساعد على الانتفاخ عند أخذ هذا الكم الهائل من مياه البحار والمحيطات، وما بها من مختلف صور الحياة الهائمة (الطافية) والسابحة، وفي مقدمتها صغار القشريات الشبيهة بالجمبري والتي تعرف باسم **كريل (Krill)**. وعند إغلاق الحوت الأزرق لفمه فإن الماء يطرد من خلال ألواح البالينات التي تمسك بما فيها من كائنات حية من جهة اللسان من أجل ابتلاعه. ويخرج الماء الصافي من جانبي الفم لأن بوزه عريض جداً ومسطح على هيئة حرف (U) وبداخله حافة وحيدة عند مقدمة الفم. وبذلك يمكن للفرد البالغ من الحيتان الزرقاء أن يأكل ما بين (4 ـ 6) أطنان من أحياء البحر الهائمة والسابحة في اليوم الواحد والتي يبلغ عددها في المتوسط أربعين مليوناً من الكائنات الحيّة.

والحيتان الزرقاء تمضي فصلي الخريف والشتاء في كلّ من المناطق المعتدلة وشبه الاستوائية حيث تتكاثر، وتنتقل في كلّ من الربيع والصيف إلى المناطق الباردة والقطبية حيث الوفرة في الغذاء الذي تحتاجه. ولا يعرف أحد كيف تتوجّه الحيتان في مياه البحار والمحيطات لمثل هذه المسافات الطويلة. وربما تستخدم في ذلك المجال المغناطيسي للأرض، أو الموجات الصوتية التي تحدثها في التعرف على طبوغرافية قيعان المحيطات، وتحديد المواقع عليه بدقة بالغة.

وللحوت الأزرق منخاران في قمة الرأس، يستخدمهما للتنفس فوق سطح الماء، ويندفع منهما الماء بشدة إلى أعلى لحوالي عشرة أمتار أثناء الزفير على هيئة النافورة، ويمكن أن يسمع صوت ذلك لعدة أميال. ولبعض الحيتان مِنْخَر واحد فقط. والعضلات القوية للحوت الأزرق التي أعطته اسمه العلمي (Balaenoptera musculus)، خاصة عضلات زعانفه الذيلية تعينه على المناورة بجثته الهائلة إلى أعلى أو إلى أسفل. وكائن بهذا الحجم العملاق لو عاش على الأرض لانسحق هيكله العظمي تحت وطأة وزنه الكبير، ومن هنا كانت حكمة الله البالغة

في جعل الحيتان كائنات بحرية حتى يحملها ضغط مياه البحار والمحيطات. ولو قدر لكائن بهذا الحجم العملاق أن يحيا على اليابسة ما كان ممكناً له أن يجد على اليابسة طعاماً يكفيه في كل وجبة.

وكل شيء في الحوت الأزرق عملاق، فمتوسط طول الفرد البالغ منه (25) متراً للذكر، (29) متراً للأنثى، ومتوسط وزنه يتراوح بين (150 ـ 175) طناً، مما يصل به إلى حجم الطائرة البوينج العملاقة. وقلب الحوت الأزرق الذي يزن حوالي (45) كيلوغراماً يصل إلى حجم سيارة من السيارات الصغيرة ويضخ (6400) كيلوغراماً من الدم إلى مختلف أجزاء الجسم في الثانية الواحدة. ولسانه الذي يمتد لأكثر من سبعين متراً في المتوسط يتسع لخمسين رجلاً بالغاً للوقوف عليه، وبلغ من ضخامة عروقه أن رجلاً بالغاً يمكن له أن يزحف في داخل أحد عروق الدم الرئيسة في جسمه مثل الأبهر (الأورطي) بمنتهى السهولة.

من هذا العرض يتضح أن الحوت الذي سخرّه الله ﷻ لالتقام سيدنا يونس بن متى عليه السلام ربما كان من نوع الحوت الأزرق الذي كان يملأ بحار ومحيطات الأرض في عهده. وإن كانت هذه معجزة، والمعجزات لا تعلل، لأنها خوارق للسنن، إلا أن من رحمة الله بنا أن أبقى لنا الحيتان ـ بصفة عامة ـ والحيتان الزرقاء ـ بصفة خاصة ـ حتى تيسر على أذهاننا كيف التقم الحوت سيدنا يونس عليه السلام. وإدراكنا لضخامة أبدان تلك الحيتان، وسعة أفواهها، وانعدام أسنانها، ومطاطية حلوقها، وضيق بلاعيمها، واضطرارها للارتفاع برؤوسها فوق سطح الماء لكي تتنفس الهواء مرة كل (10 ـ 15) دقيقة، ونظافة أجسادها من الطفيليات بصفة عامة، وغير ذلك من الصفات التي اختصّ الخالق ﷻ بها **الحيتان الزرقاء**، يمكن أن ييسّر على الإنسان فهم إمكانية حدوث تلك المعجزة. ومن الغريب أنه في الترجمة الإنجليزية للسفر المعرف باسم «سفر يونان» جاءت الإشارة إلى أن الذي ابتلع يونس بن متى سمكة كبيرة، وأن التي أظلته شجرة عنب، وفي الترجمة العربية جاء ذكر أن الذي ابتلعه حوت، وأن الشجرة التي أظلته شجرة يقطين (يقطينة) ولا

نجد تفسيراً لهذا الاختلاف في الترجمة إلا النقل عن القرآن الكريم في الطبعة العربية للعهدين القديم والجديد.

والإشارة في الآية الكريمة التي نحن بصددها إلى (الحوت) دون غيره من الحيوانات البحرية للقيام بهذه المعجزة، ولشجرة اليقطين دون غيرها من النباتات الأرضية في الآيات التالية لمِمّا يؤكد أنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده ـ الذي قطعه على ذاته العلية ـ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

واستخدام كل من تعبيري (**الحوت**) و(**اليقطينة**) في الترجمة العربية للتعبيرين الإنجليزيين (a great fish) و(a Vine) يؤكد لكل ذي بصيرة أن الذين ترجموا «العهدين القديم والجديد» إلى اللغة العربية استفادوا بنصوص القرآن الكريم، ونقلوا منها الكثير. وقصة إسلام الأديب اللبناني الشهير أحمد فارس الشدياق (1804 ـ 1888م) وغيره من الأدباء اللبنانيين بهذا السبب ليست بعيدة عن الأذهان.

72 ـ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: 145، 146].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تسجلان موقفين من المواقف الهامة في سيرة عبد الله ونبيّه يونس بن متى عليه السلام ، وتمثّلان وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله.

من الدلالات الإعجازية في الآيتين الكريمتين

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الصافات: 145].

و(**النبذ**): هو الطرح والإلقاء؛ و(**العراء**): هو الأرض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم يمكن أن يستر المتواجد فيها؛ و(العراء) مشتق من (العري) وهو عدم وجود السترة. والتعبير يشير إلى أن الله ـ تعالى ـ أمر الحوت أن يلفظ عبد الله ونبيه يونس بن متى على اليابسة، وليس وسط لجية البحر، وإلا هلك. وهو (**سقيم**) أي: وهو منهك القوى من شدة الإجهاد والمرض. وكان كل ما أصاب يونس عليه السلام طيلة بقائه في فم الحوت هو اهتراء جلده من عنف تيار الماء الداخل إلى هذا الفم العملاق للحوت، والخارج منه. ومن معاني هذه الآية الكريمة أن الله ـ تعالى ـ أمر الحوت بطرح يونس عليه السلام في فضاء واسع من اليابسة المفتوحة حيث لم يكن يواريه شيء، وهو منهك القوى من الفزع الذي انتابه نتيجة لفجائية الحدث الذي حبسه في ظلمة فم الحوت حيث اهترأ جلده.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: 146].

أي: أن الله ـ تعالى ـ أمر بشجرة من يقطين أن تنبت فوق جسد يونس عليه السلام لتستره، وتظلله بأوراقها العريضة الناعمة، وتداويه، وتهبه ما يمكن أن يأكله.

و«اليقطين» ينتمي إلى مجموعة من النباتات العشبيّة، الزاحفة، التي تفترش

الأرض، ومنها ما له قدرة على التسلق بواسطة عدد من المحاليق الملتوية، التي تخرج من جوانب الساق بالقرب من أعناق الأوراق. ومن اليقطينيات: الحولي، ومنها المعمر، وتمتاز كلّها بالسيقان العشبيّة الخماسيّة الأضلاع، وبالأوراق الكبيرة الوبرية الناعمة، الشبيهة براحة الكف (الراحية)، وهي مفصصة، ومتبادلة، ولها أعناق طويلة، بغير أذينات. وتمتاز اليقطينيات كذلك بالوبر الكثيف الذي يغطي كلًّا من السيقان والأوراق، وبالزهور الأحادية الجنس (أي المؤنثة أو المذكرة) التي تخرج من آباط الأوراق، وبالثمار اللّبيّة/ الشحمية، المتباينة الأشكال، والأحجام، والألوان، والطعوم، والروائح، والحاوية لأعداد من البذور.

وهذه النباتات تنطوي كلّها تحت عائلة واحدة تُعرف باسم «**العائلة اليقطينيّة أو القرعيّة**»، وفي رتبة واحدة تعرف باسم **رتبة اليقطينيّات. أو القرعيّات**، وتضم حوالي المائة جنس يمثّل كل منها بعشرة أنواع على الأقل، أي تحتوي على حوالي الألف نوع، تنتشر في المناطق المداريّة، وشبه المداريّة من الكرة الأرضيّة، ومن أمثلتها: قرع الكوسة (أو الدباء)، القرع العسلي، القثاء (أو العجور)، الخيار، الشمام، البطيخ، القاوون، قرع الأواني (أو قرع الزجاجة)، اللّيف، والحنظل.

ولمّا كانت هذه النباتات كلّها من النباتات العشبيّة، ومن ثم يصعب وصفها بالأشجار (لأنَّه من المتعارف عليه أنَّ الأشجار لها سيقان خشبيّة قويّة، قائمة بذاتها، واليقطينيّات سيقانها طرية، وغير قائمة بذاتها) فإنه يمكن افتراض أنَّ الشجرة التي أنبتها الله ﷻ على عبده ونبيّه يونس كانت شجرة خاصة تجمع يبن صفات اليقطينيّات وصفات الشجر. ولكن لما كان القرآن الكريم قد عبّر بالتعبيرين شجرة وأشجار عن النباتات عموماً، كما عبّر بالتعبيرين دابة ودواب عن عالم الحيوان بأكمله، لا نرى حاجة لهذا الافتراض. وإن كان في المنظور العلمي لا يوجد ما يمنع اليقطينيّات من إمكانيّة التواجد على هيئة شجريّة، بسبب ضخامة ثمارها التي قد يصل وزن الواحدة منها إلى أكثر من عشرة كيلوجرامات. وقد أفلحت التجارب الزراعيّة بالفعل في تحقيق نمو بعض النباتات العشبيّة في هيئة

قائمة، إمّا بمساعدة الأسلاك بداخل الصوب النباتيّة، أو بالمعالجة ببعض الهرمونات، أو باستخدام بعض وسائط الهندسة الوراثيّة. وشجرة اليقطين التي أنبتها الله ـ تعالى ـ على عبده ونبيه «يونس بن متى» سترته، وظللته، وداوت جراحه، ودفعت بالحشرات بعيداً عنه، وربما كان في ثمارها ما ردّ جوعه وظمأه بعد الفترة التي قضاها في فم الحوت.

ومن المقطوع به أنَّ الشجرة التي أنبتها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ ليظلل بها على عبده ونبيّه «يونس»، ويستره بأوراقها الكبيرة، ويداويه من سقمه بما في أوراقها، وزهورها، وثمارها، وأغصانها، وسيقانها، وعصائرها من مركبات مفيدة، هي شجرة خاصة، أنبتها الله ـ تعالى ـ بأمره الذي لا يرد. إلّا أنَّ الصياغة القرآنيّة: **(شجرة من يقطين)** توحي بأنَّ المقصود هو عموم اليقطين الذي نعرفه. وهنا يظهر التساؤل المنطقي: وماذا في اليقطينيّات من علاج للحالات المماثلة للحالة التي مرّ بها يونس عليه السلام بعد أن التقمه الحوت ثم لفظه بالعراء وهو سقيم، (أي مريض منهك القوى)؟

وقد حاول الأخ الكريم **الدكتور كمال فضل الخليفة** (أستاذ النبات بجامعة الخرطوم) الإجابة على هذا السؤال في رسالتين جامعيتين لطالبين من طلابه تمّتا تحت إشرافه للحصول على درجة الماجستير في العلوم، وأعد موجزاً عن نتائجهما في مقال بعنوان «**اليقطينيّات وقاية وعلاج وغذاء**» نشره في العدد الرابع عشر من مجلّة «الإعجاز العلمي» الصادر بتاريخ الأول من ذي القعدة سنة 1423هـ.

وفي هذا المقال ذكر الباحث أنّه اختار أربعاً من اليقطينيّات المشهورة في البلاد العربيّة وهي: **قرع الأواني، والقرع العسلي، والعجور، والحنظل**، وقام بزراعتها وتعهدها حتى أثمرت، وجني ثمارها. وفي مراحل الدراسة المختلفة قام بتحضير مستخلصات من مختلف أجزاء هذه النباتات الأربع مستخدماً كلًّا من الماء، والكحول الميثانولي، والكلوروفورم في كل حالة. وتمَّ اختبار تلك المستخلصات ضد أربعة أنواع مختلفة من البكتيريا فأظهرت جميعها فعالية واضحة

في مقاومتها، مع اختلاف درجة تلك المقاومة باختلاف نوع النبات، واختلاف الأجزاء المختارة منه، والسائل المستخدم في عملية تجهيز المستخلصات، ونوع البكتيريا.

وكانت أعلى درجات المقاومة للبكتيريا من المستخلصات المستمدة من الزهور بصفة عامة، ومن زهور وثمار الحنظل بصفة خاصة، ثم من أوراق القرع العسلي، وكان الكحول الميثانولي هو أفضل سوائل الاستخلاص.

كذلك أثبت الباحث الأثر الواضح لليقطينيّات الأربع المدروسة في مقاومة وطرد بعض الحشرات من مثل الذبابة المنزليّة، وآفات المخازن، وفي الوقاية من الأمراض التي يمكن لهذه الحشرات أن تنقلها.

وقد ثبت أنَّ هذه المقدرة على مقاومة الحشرات مردها إلى وجود العديد من المركبات الكيميائيّة المهمة التي لها تأثير وقائي وطبّي واضح في مقاومة وعلاج العديد من الالتهابات الجلديّة وتقرّحاتها، والأمراض التي يمكن أن تنتج عن ذلك. وقد ثبت بالفعل أنَّ هذه المركبات الكيميائيّة لها تأثيراتها الفاعلة في علاج عدد من أمراض الجهازين الهضمي والبولي، وفي مقاومة بعض الأمراض السرطانيّة (عافانا الله جميعاً منها). هذا بالإضافة إلى القيمة الغذائيّة العالية لثمار اليقطينيّات المأكولة والقيمة الطبيّة للثمار التي لا تؤكل مثل ثمار الحنظل.

وهنا تتَّضح روعة الإشارة القرآنيّة المبهرة في قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصافات: 146].

خاصة إذا أدركنا أنَّ القرآن الكريم كان قد أنزل منذ أكثر من ألف وأربعمائة من السنين، على نبيٍّ أُميٍّ ﷺ، وفي أُمّة كانت غالبيّتها الساحقة من الأُمّيين. فمثل وعلى ذلك فإن مثل هذه الومضات النورانيّة في كتاب الله تعتبر بالإضافة إلى إعجازها الإنبائي والتاريخي وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لسبقها لجميع المعارف المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة. وهذه الأوجه الإعجازية المتعددة

في القرآن الكريم تبقى شاهدة له بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وتعهّد بحفظه في نفس لغة وحيه (اللّغة العربيّة) فبقي محفوظاً بحفظ الله (كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وسيبقى محفوظاً إن شاء الله إلى أن يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومَن عليها. وهذه الإشارات التاريخية والإنبائية والعلميّة في كتاب الله وأمثالها كثيرة تبقى حجّة على أهل عصرنا، وشاهدة لسيدنا محمَّد ﷺ بالنبوّة وبالرسالة، وبأنَّه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. وذكر (اليقطين) بالذات خمس مرات في «العهد القديم» (سفر يونان/ 4/ 6 ـ 11) كترجمة للفظة الإنجليزية (Vine) بمعنى شجرة عنب، يثبت لكل ذي بصيرة أن مترجمي «العهد القديم» إلى اللغة العربية قد نقلوا ذكر (اليقطين) عن القرآن الكريم، لأن الفارق بين شجرة العنب وشجرة اليقطين لا يخفى على عاقل. وتكفي الإشارة هنا أنه في الوقت الذي تمكنت فيه اليقطين من ستر عبد الله ونبيه يونس بن متى عليه السلام ومداواته، وإطعامه، وطرد جميع الحشرات عنه، فإن شجرة العنب مليئة بمختلف أنواع الحشرات (كالنحل، والنمل، والدبابير وغيرها) والتي كان من الممكن أن تؤذي يونس عليه السلام وجلده المهترئ (عقب خروجه من فم الحوت) إيذاءاً شديداً، فضلاً عن أنها لا تستره. وفوق ذلك كله فإن التزييف المقصود في الترجمة الواردة في «العهد القديم» لا يمكن أن يخفى على الناقد البصير، حتى لو انطلى ذلك على القارئ العاجل وعلى بسطاء الناس.

ثالث وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصّة عبد الله ونبيّه الشهيد زكريّا عليه السلام

أولاً: زكريا عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيّه «زكريّا» عليه السلام ثمان مرّات في القرآن الكريم على النَّحو التالي:

1 ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: 33 ـ 38].

2 ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 86].

3 ـ ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 1 ـ 11].

4 ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: 89 ـ 90].

ويذكر عن هذا النَّبي الصالح أنَّ نسبه ينتهي إلى سليمان بن داود عليه السلام، وأنَّ بعثته كانت قبل مولد عيسى عليه السلام؛ وكان ذلك في زمن كثرت فيه المعاصي بين بني إسرائيل، وشاع التحريف في الدين، فاستحلّت المحرّمات، وفشت المنكرات، وفسق النّاس، وسادت المظالم بينهم. وكان زكريّا عليه السلام نجّاراً كما أثبت ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه والذي قال فيه: «**كان زكريّا نجّاراً**»[1]، ثم اختاره الله ـ تعالى ـ نبيًّا لهداية قومه.

تزوّج زكريا من شقيقة زوجة العبد الصالح «عمران»، والد مريم البتول أُم عيسى عليه السلام دون أن يرزق منها بذريّة. استمر زكريا عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وإلى التوقّف عن تحريف الدّين حتى بلغ من الكبر عتيًّا. هنالك دعا زكريا ربّه أن يرزقه ذرية صالحة، يأتي منها من يتمكّن من متابعة دعوته من بعده، بدلاً من مواليه الذين يلونه الرياسة في قومه من بعده، لما كان يعلم من سوء أحوالهم، وبُعدهم عمّا شرع الله ـ تعالى ـ لهم. فتوجه إلى الله ـ تعالى ـ بالدعاء طلباً للذرية على الرغم من كبر سنه، واشتعال رأسه بالشيب، وعلى الرغم من أنّ امرأته كانت عاقراً (أي لم تسبق لها الولادة) [مريم: 1 ـ 6؛

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث رقم (6112).

الأنبياء: 89 ـ 90؛ آل عمران: 35 ـ 41].

كذلك كان عمران عالماً جليلاً في قومه، وكان عديلاً لعبد الله ونبيه (زكريا)، وكان كلاهما لم يرزق بذريّة فدعوا الله ـ تعالى ـ أن يرزقهما الذريّة، واستجاب الله ـ تعالى ـ دعاء عمران أولاً، فحملت زوجته بمريم البتول، ووضعتها بعد وفاة أبيها، فكفلها زكريا [آل عمران: 37].

تربَّت مريم في بيت خالتها وزوج خالتها (عبد الله ونبيه زكريّا) حتى كبرت، وبدأت تنشط في خدمة المسجد الأقصى، وكان لها مكان خاص تتعبَّد الله ـ تعالى ـ فيه، وكان لها في هذا المكان محراب خاص بها كذلك. وكان عبد الله ونبيّه زكريا يرعى أُمورها في المسجد، وكان كلَّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً [آل عمران: 33 ـ 41].

في هذا الموقف الجليل سأل زكريّا ربّه أن يهبه طفلاً يرث عنه النبوّة والحكمة ويستمرّ في دعوة قومه الذين كانوا قد فسدوا فساداً فاحشاً. وفجأة نادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب بأنَّ الله ـ تعالى ـ يبشّره بيحيى الذي لم يجعل له من قبل سميًّا. تساءل زكريا كيف ينجب وهو طاعن في السنّ، وامرأته عاقر، فأفهمته الملائكة أنَّ الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير. وبالفعل رزق الله ـ تعالى ـ عبده زكريا ـ على الكبر بابنه يحيى الذي كان نبيا وسيدا وحصورا. ويذكر المفسّرون أنَّ زكريّا عليه السلام ابتلي بقتل ابنه يحيى عليه السلام في حياته، ثم مات زكريا ذاته بعد ذلك مقتولاً.

ثانياً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لجانب من سيرة زكريّا عليه السلام:

1 ـ إنَّ الدعاء هو مخّ العبادة، وهو مقام العبوديّة الحقّة للّه ـ تعالى ـ والعبد كلّما مرّت به ضائقة ولجأ إلى ربِّه في ضراعة وخشوع جسَّد ذلك حقيقة العبوديّة للّه، ومن هنا كان أهلاً لاستجابة الله تعالى لدعائه كما حدث مع كل من عمران، وامرأته وزكريّا عليه السلام.

2 ـ إنَّ وراثة الدين مختلفة عن وراثة العِرق والدم، لأنها تمثل وراثة الالتزام بمنهج الله، والثبات عليه عن قناعة قلبيّة وعقليّة كاملة، وهي قناعة لا بدَّ

وأن يُصدّقها العمل الصالح. وهداية الله للبشر تتمثّل فيما جاء به أنبياء الله ورسله. وكل من يلتزم بهدي الله يهتدي، وكلّ مَن يحيد عنه يضل ويزيغ. فما أرسل الله ـ تعالى ـ أنبياءه ورسله إلّا ليطاعوا، وما أنزل رسالته إلّا لتحكم بين الناس بالقسط. وحتى ذريات الأنبياء، إن لم يلتزموا بهدي الله فلن ينفعهم نسب العرق والدم شيئاً.

3 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ هو الذي جعل العاقر لا تلد، وجعل الشيخ الفاني لا ينسل، وهو قادر على إصلاح العاقر فيجعلها تلد، وقادر على إصلاح الشيخ الفاني الذي انقطع نسله فيجعله ينسل، وهو ﷻ على كلِّ شيءٍ قدير.

4 ـ الإيمان بطلاقة القدرة الإلٰهيّة التي لا تحدّها حدود، ولا يقف أمامها عائق، واليقين بأنَّ الله ـ تعالى ـ على كلِّ شيءٍ قدير، وأنَّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

5 ـ إنَّ الوفاء بالنذر هو حق للّه ـ تعالى ـ لا يجوز النكوص فيه ولا التراجع عنه.

6 ـ التأكيد على وحدة رسالة السماء المنبثقة من وحدانيّة الله ـ تعالى ـ والمؤكّدة على الأخوّة بين جميع أنبياء الله ورسله، وبين الناس جميعاً.

7 ـ إنَّ الدنيا دار ابتلاء واختبار، «**وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[1] كما قال رسول الله ﷺ، فقد ابتُلِيَ زكريّا بقتل ابنه الوحيد يحيى في حياته ثم مات زكريّا نفسه مقتولاً، دون ذنب ارتكبه.

من هذا الاستعراض لعدد من المواقف في حياة عبد الله ونبيه زكريا ؑ يتَّضح ملمح من ملامح الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنَّ هذا النَّبيّ الصالح عاش قبل تنزّل القرآن الكريم بأكثر من ستمائة سنة. والعرب في الجاهليّة لم يكونوا أُمّة تدوين، وصحف الأولين لا تحتوي شيئاً من هذه الأحداث، وإن احتوت على صفحات من القصص المليء بالخرافات والأساطير المشوّهة لشخص هذا النَّبيّ الصالح، والشهيد المبتلى، والمجاهد الصابر في سبيل تبليغ دين الله وهدايته لقومه،

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، حديث رقم (2398).

والذي قُتل ابنه الوحيد ظلماً في حياته، ثم لحقه هو مقتولاً ظلماً كذلك.

وتتَّضح ملامح الإعجاز التاريخي والإنبائي والتربوي من سيرة عبد الله ونبيه زكريّا عليه السلام في عدد من القيم النبيلة المصاحبة لتلك السيرة العطرة. كذلك تتَّضح ملامح الإعجاز العلمي في الإشارة إلى إمكانيّة إصلاح العقم، وعلاج انقطاع النَّسل في زمن الشيخوخة وكبر السن، وهي من القضايا التي لم تدركها المعارف المكتسبة إلَّا في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

ثالثاً: زكريا عليه السلام في «العهد القديم»:

ورد اسم زكريا (Zachariah) في «العهد القديم» وذلك في سفر يحمل اسمه من ستّ صفحات. وقد ملئت هذه الصفحات بعدد من الخرافات والأوهام والأساطير، والرؤى المنامية التي لا دليل عليها من تاريخ، أو منطق، أو دين. ومنطلق هذه الروايات هو الزعم الباطل ببركات خاصة لبني إسرائيل، ولملك صهيون، ولما أطلقوا عليه اسم أرض اليهود، أو أرض إسرائيل، وكلها من أوهام حاخامات اليهود، ومن دسهم على الله تعالى. وقد ورد في «سفر زكريا» من «العهد القديم» أنَّ زكريا هذا كان اسمه **زكريا بن برخيا (Zechariah son of Berekiah)** وأنَّه كان من أنبياء بني إسرائيل، وعاش في زمن الملك الفارسي **«داريوس»** بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (Darius, 521-485 B.C.). وهذا بالتأكيد هو غير عبد الله ونبيه زكريّا الذي عاش في زمن المسيح عليه السلام.

وفي سفر زكريا تم تحديد زمن بعثة هذا النَّبي الصالح باليوم والشهر والسنة، وهذا ما لا يمكن التحقق منه. كما وردت في الكتاب أوصاف للَّه تعالى لا تليق بجلال الربوبيّة. وجاءت خرافات عديدة لا يقبلها العقل. وذلك من مثل رؤية لفيفة طائرة في الهواء طولها ثلاثون قدماً، وعرضها خمسة عشر قدماً، ومن مثل رؤية امرأة محبوسة في سلة، تحملها امرأتان مجنحتان، يرفعانها بين السماء والأرض إلى أرض بابل!! ورؤية جبلين من البرونز!!. وهذا كله من دس حاخامات اليهود على الله ـ تعالى ـ، ومن تزويرهم للتاريخ من أجل خدمة دعاويهم الباطلة [سفر زكريا (14 ـ 1)].

زكريا عليه السلام في العهد القديم:

كِتَابُ زَكَرِيَّا

الدعوة لتوبة الأمة

١ فِي الشَّهْرِ الثَّامِنِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِحُكْمِ دَارِيُوسَ أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى النَّبِيِّ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو قَائِلاً: ٢«لَقَدْ غَضِبَ الرَّبُّ أَشَدَّ الْغَضَبِ عَلَى آبَائِكُمْ. ٣وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ، ارْجِعُوا إِلَيَّ فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٤وَلَا تَكُونُوا كَآبَائِكُمُ الَّذِينَ نَادَاهُمُ الأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ قَائِلِينَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الْبَاطِلَةِ وَأَعْمَالِكُمُ الشِّرِّيرَةِ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِعُوا وَلَمْ يُصْغُوا إِلَيَّ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٥أَيْنَ هُمْ آبَاؤُكُمْ؟ وَهَلْ يَحْيَا الأَنْبِيَاءُ إِلَى الأَبَدِ؟ ٦وَلَكِنْ أَلَمْ تُدْرِكْ أَقْوَالِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَمَرْتُ بِهَا عَبِيدِي الأَنْبِيَاءَ آبَاءَكُمْ فَتَابُوا قَائِلِينَ: لَقَدْ نَفَّذَ الرَّبُّ الْقَدِيرُ مَا عَزَمَ أَنْ يُعَاقِبَنَا بِمُقْتَضَى مَا ارْتَكَبْنَاهُ مِنْ أَعْمَالٍ بَاطِلَةٍ؟».

الفرسان بين أشجار الآس

٧وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَادِي عَشَرَ، أَيْ شَهْرِ شَبَاطَ الْعِبْرِيِّ، مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِحُكْمِ دَارِيُوسَ أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى النَّبِيِّ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو قَائِلاً: ٨«شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ وَإِذَا بِرَجُلٍ يَمْتَطِي فَرَساً أَحْمَرَ اللَّوْنِ يَقِفُ بَيْنَ أَشْجَارِ الآسِ الْمُتَوَارِيَةِ فِي الْوَادِي. وَخَلْفَهُ رِجَالٌ رَاكِبُونَ عَلَى خَيْلٍ حُمْرٍ وَشُقْرٍ وَبِيضٍ. ٩فَسَأَلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا سَيِّدِي؟ فَأَجَابَنِي الْمَلَاكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: أَنَا أُخْبِرُكَ مَنْ هَؤُلَاءِ. ١٠فَقَالَ الْفَارِسُ الْوَاقِفُ بَيْنَ الآسِ: هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ الرَّبُّ لِيَجُولُوا فِي الأَرْضِ. ١١عِنْدَئِذٍ قَالَ رَاكِبُو الْجِيَادِ لِلْمَلَاكِ الْوَاقِفِ بَيْنَ الآسِ: قَدْ جُلْنَا فِي الأَرْضِ، فَإِذَا بِهَا كُلُّهَا آمِنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ».

١٢فَقَالَ الْمَلَاكُ: «إِلَى مَتَى أَيُّهَا الرَّبُّ الْقَدِيرُ لَا تُشْفِقُ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَمُدُنِ يَهُوذَا الَّتِي سَخِطْتَ عَلَيْهَا طَوَالَ هَذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً؟» ١٣فَأَجَابَ الرَّبُّ الْمَلَاكَ الَّذِي كَلَّمَنِي بِعِبَارَاتٍ طَيِّبَةٍ مُعَزِّيَةٍ. ١٤ثُمَّ خَاطَبَنِي الْمَلَاكُ قَائِلاً: «نَادِ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: إِنِّي قَدْ غِرْتُ عَلَى أُورُشَلِيمَ

Zechariah

A Call to Return to the LORD

1 In the eighth month of the second year of Darius, the word of the LORD came to the prophet Zechariah son of Berekiah, the son of Iddo: 2"The LORD was very angry with your forefathers. 3Therefore tell the people: This is what the LORD Almighty says: 'Return to me,' declares the LORD Almighty, 'and I will return to you,' says the LORD Almighty. 4Do not be like your forefathers, to whom the earlier prophets proclaimed: This is what the LORD Almighty says: 'Turn from your evil ways and your evil practices.' But they would not listen or pay attention to me, declares the LORD. 5Where are your forefathers now? And the prophets, do they live forever? 6But did not my words and my decrees, which I commanded my servants the prophets, overtake your forefathers? "Then they repented and said, 'The LORD Almighty has done to us what our ways and practices deserve, just as he determined to do.' "

The Horseman Among the Myrtle Trees

7On the twenty-fourth day of the eleventh month, the month of Shebat, in the second year of Darius, the word of the LORD came to the prophet Zechariah son of Berekiah, the son of Iddo. 8During the night I had a vision–and there before me was a man riding a red horse! He was standing among the myrtle trees in a ravine. Behind him were red, brown and white horses. 9I asked, "What are these, my lord?" The angel who was talking with me answered, "I will show you what they are." 10Then the man standing among the myrtle trees explained, "They are the ones the LORD has sent to go throughout the earth." 11And they reported to the angel of the LORD, who was standing among the myrtle trees, "We have gone throughout the earth and found the whole world at rest and in peace."

12Then the angel of the LORD said, "LORD Almighty, how long will you withhold mercy from Jerusalem and from the towns of Judah, which you have been angry with these seventy years?" 13So the LORD spoke kind and comforting words to the angel who talked with me. 14Then the angel who was speaking to me said, "Proclaim this word:

This is what the LORD Almighty says: 'I am very jealous for Jerusalem and Zion, [15]but I am very angry with the nations that feel secure. I was only a little angry, but they added to the calamity.' [16]Therefore, this is what the LORD says: 'I will return to Jerusalem with mercy, and there my house will be rebuilt. And the measuring line will be stretched out over Jerusalem,' declares the LORD Almighty. [17]Proclaim further: This is what the LORD Almighty says: 'My towns will again overflow with prosperity, and the LORD will again comfort Zion and choose Jerusalem.' "

Four Horns and Four Craftsmen

[18]Then I looked up–and there before me were four horns! [19]I asked the angel who was speaking to me, "What are these?" He answered me, "These are the horns that scattered Judah, Israel and Jerusalem." [20]Then the LORD showed me four craftsmen. [21]I asked, "What are these coming to do?" He answered, "These are the horns that scattered Judah so that no one could raise his head, but the craftsmen have come to terrify them and throw down these horns of the nations who lifted up their horns against the land of Judah to scatter its people."

A Man With a Measuring Line

2 Then I looked up–and there before me was a man with a measuring line in his hand! [2]I asked, "Where are you going?" He answered me, "To measure Jerusalem, to find out how wide and how long it is." [3]Then the angel who was speaking to me left, and another angel came to meet him [4]and said to him: "Run, tell that young man, 'Jerusalem will be a city without walls because of the great number of men and livestock in it. [5]And I myself will be a wall of fire around it,' declares the LORD, 'and I will be its glory within.'

[6]"Come! Come! Flee from the land of the north," declares the LORD, "for I have scattered you to the four winds of heaven," declares the LORD. [7]"Come, O Zion! Escape, you who live in the Daughter of Babylon!" [8]For this is what the LORD Almighty says: "After he has honored me and has sent me against the nations that have plundered you–for whoever touches you touches the apple of his eye–[9]I will surely raise my hand against them so that their slaves will plunder them. Then you will know that the LORD Almighty has sent me.

وَعَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً. [١٥]وَلَكِنَّ غَضَبِي مُتَأَجِّجٌ عَلَى الأُمَمِ الْمُتَنَعِّمَةِ. لَقَدِ اغْتَظْتُ قَلِيلاً مِنْ شَعْبِي إِلّا أَنَّهُمْ زَادُوا مِنْ نَوَائِبِهِمْ. [١٦]لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ سَأَرْجِعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَيْضٍ مِنَ الْمَرَاحِمِ، فَيُبْنَى هَيْكَلِي فِيهَا وَتُعْمَرُ أُورُشَلِيمُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. [١٧]وَاهْتِفْ أَيْضاً قَائِلاً: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: سَتَفِيضُ مُدُنِي خَيْراً ثَانِيَةً، وَيَرْجِعُ الرَّبُّ فَيُعَزِّي صِهْيَوْنَ وَيَصْطَفِي أُورُشَلِيمَ.

القرون الأربعة والصناع الأربعة

[١٨]ثُمَّ رَفَعْتُ نَظَرِي وَإِذَا بِي أَرَى أَرْبَعَةَ قُرُونٍ. [١٩]فَقُلْتُ لِلْمَلاكِ: «مَا هَذِهِ؟» فَأَجَابَ: «هَذِهِ هِيَ الْقُرُونُ الَّتِي بَدَّدَتْ أَهْلَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ وَأُورُشَلِيمَ». [٢٠]وَأَرَانِي الرَّبُّ أَرْبَعَةَ صُنَّاعٍ. [٢١]فَسَأَلْتُ: «مَا الَّذِي جَاءَ يَفْعَلُهُ هَؤُلاءِ الرِّجَالُ؟» فَأَجَابَ: «هَذِهِ هِيَ الْقُرُونُ (أَيِ الأُمَمُ) الَّتِي بَدَّدَتْ أَهْلَ يَهُوذَا حَتَّى ذَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ. أَمَّا هَؤُلاءِ الصُّنَّاعُ فَقَدْ أَقْبَلُوا لِيُوقِعُوا الرُّعْبَ فِي نُفُوسِ الأُمَمِ الَّتِي هَاجَمَتْ أَرْضَ يَهُوذَا لِيَطْرُدُوا أَهْلَهَا».

خيط قياس أورشليم

٢ ثُمَّ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ (فِي الرُّؤْيَا) وَإِذَا بِي أَرَى رَجُلاً حَامِلاً بِيَدِهِ حَبْلَ قِيَاسٍ، [٢]فَسَأَلْتُهُ: «إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟» فَأَجَابَنِي: «لأَمْسَحَ أَرْضَ أُورُشَلِيمَ، فَأَرَى مِقْدَارَ طُولِهَا وَعَرْضِهَا». [٣]ثُمَّ خَرَجَ الْمَلاكُ الَّذِي كَلَّمَنِي لِلِقَاءِ مَلاكٍ آخَرَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ [٤]فَقَالَ لَهُ: «أَسْرِعْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّابِّ: سَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ كَسَهْلٍ مَكْشُوفٍ آهِلَةً بِالنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ الْمُطْمَئِنِّينَ فِيهَا [٥]لأَنِّي سَأَكُونُ لَهَا سُوراً مُحِيطاً مِنْ نَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَمَجْداً فِي دَاخِلِهَا».

[٦]«هَيَّا أَسْرِعُوا، اهْرُبُوا مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ، فَقَدْ شَتَّتُّكُمْ فِي أَرْبَعَةِ أَرْجَاءِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ. [٧]أَمَّا الآنَ، فَهَيَّا اهْرُبُوا إِلَى صِهْيَوْنَ يَا مَنْ تُقِيمُونَ فِي أَرْضِ بَابِلَ». [٨]فَإِنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ يَقُولُ إِنَّهُ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُمَمِ الَّتِي سَلَبَتْكُمْ إِعْلاءً لِمَجْدِهِ، لأَنَّ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ. [٩]هَا أَنَا أَضْرِبُهُمْ بِيَدِي فَيُصْبِحُونَ نَهْباً لِعَبِيدِهِمْ، فَتُدْرِكُونَ أَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ قَدْ أَرْسَلَنِي حَقّاً.

[10]"Shout and be glad, O Daughter of Zion. For I am coming, and I will live among you," declares the LORD. [11]"Many nations will be joined with the LORD in that day and will become my people. I will live among you and you will know that the LORD Almighty has sent me to you. [12]The LORD will inherit Judah as his portion in the holy land and will again choose Jerusalem. [13]Be still before the LORD, all mankind, because he has roused himself from his holy dwelling."

Clean Garments for the High Priest

3 Then he showed me Joshua the high priest standing before the angel of the LORD, and Satan standing at his right side to accuse him. [2]The LORD said to Satan, "The LORD rebuke you, Satan! The LORD, who has chosen Jerusalem, rebuke you! Is not this man a burning stick snatched from the fire?"

[3]Now Joshua was dressed in filthy clothes as he stood before the angel. [4]The angel said to those who were standing before him, "Take off his filthy clothes." Then he said to Joshua, "See, I have taken away your sin, and I will put rich garments on you." [5]Then I said, "Put a clean turban on his head." So they put a clean turban on his head and clothed him, while the angel of the LORD stood by. [6]The angel of the LORD gave this charge to Joshua: [7]"This is what the LORD Almighty says: 'If you will walk in my ways and keep my requirements, then you will govern my house and have charge of my courts, and I will give you a place among these standing here. [8]Listen, O high priest Joshua and your associates seated before you, who are men symbolic of things to come: I am going to bring my servant, the Branch. [9]See, the stone I have set in front of Joshua! There are seven eyes on that one stone, and I will engrave an inscription on it,' says the LORD Almighty, 'and I will remove the sin of this land in a single day. [10]In that day each of you will invite his neighbor to sit under his vine and fig tree,' declares the LORD Almighty."

The Gold Lampstand and the Two Olive Trees

4 Then the angel who talked with me returned and wakened me, as a man is wakened from his sleep. [2]He asked me, "What do you see?" I answered, "I see a solid gold lampstand

[١٠]ترنمي وابتهجي يا أورشليم، لأني قادم لأقيم في وسطك، يقول الرب. [١١]فتنضم أمم كثيرة في ذلك اليوم إلى الرب ويكونون لي شعبا، فأقيم في وسطك، فتدركين أن الرب القدير قد أرسلني إليك. [١٢]ويرث الرب يهوذا نصيبا له في الأرض المقدسة، ويرجع فيصطفي لنفسه أورشليم. [١٣]ليصمت كل بشر في حضرة الرب لأنه قد هب من مسكن قدسه.

ثياب رئيس الكهنة الطاهرة

٣ ثم أراني الرب يهوشع رئيس الكهنة واقفا في حضرة ملاك الرب، وعن يمينه ينتصب الشيطان ليقاومه. [٢]فقال الرب للشيطان: «إن الرب ينتهرك يا شيطان، الرب الذي اصطفى أورشليم ينتهرك. أليس هذا الرجل كحطبة مشتعلة انتشلت من النار؟»

[٣]وكان يهوشع الذي واقفا في حضرة الملاك مرتديا ثيابا قذرة. [٤]فقال الملاك للماثلين في حضرته: «اخلعوا عنه هذه الثياب القذرة». ثم قال ليهوشع: «انظر، ها أنا قد أزلت عنك إثمك وكسوتك ثوبا جديدا». [٥]ثم أضاف: «ضعوا عمامة طاهرة على رأسه». فوضعوا العمامة الطاهرة على رأسه وكسوه ثيابا بهية، وملاك الرب ما برح واقفا. [٦]وأشهد ملاك الرب على يهوشع قائلا: [٧]«هذا ما يقوله الرب القدير: إن سلكت في طريقي وأطعت أوامري، فأنت أيضا تتولى شؤون هيكلي وتحافظ على دياري، وأمنحك مقاما بين هؤلاء الماثلين في حضرتي. [٨]فاسمع يا يهوشع رئيس الكهنة أنت وسائر رفاقك الكهنة الجالسين أمامك. أنتم رجال آية، وها أنا آتي بعبدي الذي يدعى الغصن. [٩]ها هو الحجر الذي وضعته أمام يهوشع، تحرسه سبع أعين. قد شكلته تشكيلا وكتبت عليه، يقول الرب القدير، وأزيل إثم هذه الأرض في يوم واحد. [١٠]ويقول الرب القدير: في ذلك اليوم يدعو كل منكم صديقه ليستريح تحت كرمته وفي ظل تينته».

منارة الذهب وشجرتا الزيتون

٤ ورجع ملاك الرب الذي يكلمني وأيقظني كما يوقظ رجل من نومه. [٢]وسألني: «ماذا ترى؟» فأجبت: «أرى منارة مصوغة كلها من ذهب، على رأسها صحن

with a bowl at the top and seven lights on it, with seven channels to the lights. 3Also there are two olive trees by it, one on the right of the bowl and the other on its left." 4I asked the angel who talked with me, "What are these, my lord?" 5He answered, "Do you not know what these are?" "No, my lord," I replied. 6So he said to me, "This is the word of the LORD to Zerubbabel: 'Not by might nor by power, but by my Spirit,' says the LORD Almighty. 7What are you, O mighty mountain? Before Zerubbabel you will become level ground. Then he will bring out the capstone to shouts of 'God bless it! God bless it!' "

قائم، عليه سبعة سرج، متصلة بسبع أنابيب من أعلى 3تنصب إلى جوارها زيتونتان إحداهما عن يمين الصحن والأخرى عن يساره. 4ثم سألت الملاك: «ما هذه يا سيدي؟» 5فأجابني: «ألم تعلم ما هذه؟» فقلت: «لا يا سيدي.» 6فقال: «هذه رسالة الرب إلى زربابل: لا بالقدرة ولا بالقوة، ولكن بروحي يقول الرب القدير. 7أي شيء أنت أيها الجبل العظيم؟ أنت سهل أمام زربابل. وسيضع زربابل حجر الزاوية في خضم هتاف القائلين: ليباركه، ليباركه الرب.»

The Meaning of the Vision

8Then the word of the LORD came to me: 9"The hands of Zerubbabel have laid the foundation of this temple; his hands will also complete it. Then you will know that the LORD Almighty has sent me to you. 10Who despises the day of small things? Men will rejoice when they see the plumb line in the hand of Zerubbabel. (These seven are the eyes of the LORD, which range throughout the earth.)"

11Then I asked the angel, "What are these two olive trees on the right and the left of the lampstand?" 12Again I asked him, "What are these two olive branches beside the two gold pipes that pour out golden oil?" 13He replied, "Do you not know what these are?" "No, my lord," I said. 14So he said, "These are the two who are anointed to serve the Lord of all the earth."

تفسير الرؤيا

8ثم أوحى الرب إلي بكلمته قائلا: 9«قد أسست يدا زربابل هذا الهيكل، ويداه تكملان بناءه، فتدرك أن الرب القدير قد أرسلني إليكم. 10من ازدرى بيوم الإنجازات الصغيرة؟ تفرح الرجال حين يشاهدون ميزان البناء في يد زربابل. وهذه السبعة هي أعين الرب الجائلة في كل الأرض.» 11ثم سألته: «ما هاتان الزيتونتان القائمتان عن يمين المنارة وعن يسارها؟» 12وما غصنا الزيتون هذان المنتصبان إلى جوار أنبوبتي الذهب، اللذان يصبان الزيت الذهبي؟» 13فأجابني: «ألا تعلم ما هذان؟» فقلت: «لا يا سيدي.» 14فقال: «هذان هما الممسوحان بالزيت اللذان يمثلان لدى رب الأرض كلها.»

The Flying Scroll

5 I looked again—and there before me was a flying scroll! 2He asked me, "What do you see?" I answered, "I see a flying scroll, thirty feet long and fifteen feet wide." 3And he said to me, "This is the curse that is going out over the whole land; for according to what it says on one side, every thief will be banished, and according to what it says on the other, everyone who swears falsely will be banished. 4The LORD Almighty declares, 'I will send it out, and it will enter the house of the thief and the house of him who swears falsely by my name. It will remain in his house and destroy it, both its timbers and its stones.' "

رؤيا الدرج الطائر

5 وعدت ورفعت عيني وإذا بي أشاهد درجا طائرا. 2فسألني الملاك: «ماذا ترى؟» فأجبت: «أرى درجا طائرا، طوله عشرون ذراعا (نحو عشرة أمتار) وعرضه عشر أذرع (نحو خمسة أمتار).» 3فقال لي: «هذه هي اللعنة المنصبة على وجه الأرض كلها. كل من يسرق يستأصل بمقتضى ما هو مدون فيها، وكل حالف زور يعاقب بموجب ما هو منصوص فيها. 4يقول الرب القدير: إني أصب هذه اللعنة على بيت كل سارق أو حالف باسمي زورا، فتحل في وسط بيته وتبيده مع خشبه وحجره.»

The Woman in a Basket

5Then the angel who was speaking to me came

رؤيا المرأة في السلة

5ثم قال لي الملاك الذي كلمني: «ارفع عينيك وانظر إلى

forward and said to me, "Look up and see what this is that is appearing." [6]I asked, "What is it?" He replied, "It is a measuring basket." And he added, "This is the iniquity of the people throughout the land." [7]Then the cover of lead was raised, and there in the basket sat a woman! [8]He said, "This is wickedness," and he pushed her back into the basket and pushed the lead cover down over its mouth. [9]Then I looked up–and there before me were two women, with the wind in their wings! They had wings like those of a stork, and they lifted up the basket between heaven and earth. [10]"Where are they taking the basket?" I asked the angel who was speaking to me. [11]He replied, "To the country of Babylonia to build a house for it. When it is ready, the basket will be set there in its place."

Four Chariots

6 I looked up again–and there before me were four chariots coming out from between two mountains–mountains of bronze! [2]The first chariot had red horses, the second black, [3]the third white, and the fourth dappled–all of them powerful. [4]I asked the angel who was speaking to me, "What are these, my lord?" [5]The angel answered me, "These are the four spirits of heaven, going out from standing in the presence of the Lord of the whole world. [6]The one with the black horses is going toward the north country, the one with the white horses toward the west, and the one with the dappled horses toward the south."

[7]When the powerful horses went out, they were straining to go throughout the earth. And he said, "Go throughout the earth!" So they went throughout the earth.

[8]Then he called to me, "Look, those going toward the north country have given my Spirit rest in the land of the north."

A Crown of Joshua

[9]The word of the LORD came to me: [10]"Take silver and gold from the exiles Heldai, Tobijah and Jedaiah, who have arrived from Babylon. Go the same day to the house of Josiah son of Zephaniah. [11]Take the silver and gold and make a crown, and set it on the head of the high priest, Joshua son of Jehozadak. [12]Tell him this is what the LORD Almighty says: 'Here is the man whose

هَذَا ٱلشَّيْءِ ٱلْمُقْبِلِ». [٦]فَسَأَلْتُ: «مَا هَذَا؟» فَأَجَابَ: «إِنَّهُ مِكْيَالٌ، وَهُوَ رَمْزُ إِثْمِهِمْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا». [٧]وَمَا لَبِثَ أَنْ رُفِعَ ٱلْغِطَاءُ ٱلرَّصَاصِيُّ مِنْ عَلَى فُوَّهَتِهِ، وَإِذَا بِٱمْرَأَةٍ جَالِسَةٍ فِي دَاخِلِ ٱلْمِكْيَالِ. [٨]فَقَالَ لِي: «هَذِهِ هِيَ رَمْزُ ٱلشَّرِّ». وَأَلْقَى بِهَا إِلَى دَاخِلِ ٱلْمِكْيَالِ، وَأَلْقَى ٱلْغِطَاءَ ٱلثَّقِيلَ عَلَى فُوَّهَتِهِ. [٩]ثُمَّ نَظَرْتُ مَرَّةً أُخْرَى فَرَأَيْتُ ٱمْرَأَتَيْنِ مُقْبِلَتَيْنِ لَهُمَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱللَّقْلَقِ، مَحْمُولَتَيْنِ عَلَى أَمْوَاجِ ٱلرِّيحِ، فَرَفَعَتَا ٱلْمِكْيَالَ وَحَلَّقَتَا بِهِ بَيْنَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ. [١٠]فَسَأَلْتُ ٱلْمَلَاكَ ٱلَّذِي كَلَّمَنِي: «إِلَى أَيْنَ تَمْضِيَانِ بِٱلْمِكْيَالِ؟» [١١]فَأَجَابَنِي: «إِلَى أَرْضِ شِنْعَارَ لِتُشَيِّدَا لَهُ هَيْكَلاً حَتَّى إِذَا تَمَّ بِنَاؤُهُ يَسْتَقِرُّ ٱلْمِكْيَالُ فِيهِ عَلَى قَاعِدَتِهِ».

رؤيا المركبات الأربع

٦ ثُمَّ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ مَرَّةً أُخْرَى وَإِذَا بِي أَرَى أَرْبَعَ مَرْكَبَاتٍ مُنْدَفِعَاتٍ مِنْ بَيْنِ جَبَلَيْنِ نُحَاسِيَّيْنِ، [٢]وَكَانَتْ تَجُرُّ ٱلْمَرْكَبَةَ ٱلْأُولَى جِيَادٌ حُمْرٌ، وَٱلْمَرْكَبَةَ ٱلثَّانِيَةَ جِيَادٌ سُودٌ، [٣]وَٱلْمَرْكَبَةَ ٱلثَّالِثَةَ جِيَادٌ بِيضٌ، وَٱلْمَرْكَبَةَ ٱلرَّابِعَةَ جِيَادٌ مُرَقَّطَةٌ. [٤]فَسَأَلْتُ ٱلْمَلَاكَ ٱلَّذِي كَلَّمَنِي: «مَا هَذِهِ يَاسَيِّدِي؟» [٥]فَأَجَابَنِي: «هَذِهِ أَرْوَاحُ ٱلسَّمَاءِ ٱلْأَرْبَعَةُ خَارِجَةً بَعْدَ مُثُولِهَا فِي حَضْرَةِ رَبِّ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا. [٦]فَالْمَرْكَبَةُ ٱلَّتِي تَجُرُّهَا ٱلْجِيَادُ ٱلسُّودُ تَتَوَجَّهُ نَحْوَ بِلَادِ ٱلشَّمَالِ، وَٱلْمَرْكَبَةُ ٱلَّتِي تَجُرُّهَا ٱلْجِيَادُ ٱلْبَيْضَاءُ تَتْبَعُهَا إِلَى هُنَاكَ، أَمَّا ٱلْمَرْكَبَةُ ذَاتُ ٱلْجِيَادِ ٱلْمُرَقَّطَةِ فَمُتَّجِهَةٌ نَحْوَ أَرْضِ ٱلْجَنُوبِ. [٧]أَمَّا ٱلْجِيَادُ ٱلْقَوِيَّةُ ٱلْحَمْرَاءُ فَهِيَ مُتَلَهِّفَةٌ لِلتَّجْوَالِ فِي ٱلْأَرْضِ. وَمَا إِنْ قَالَ لَهَا ٱلرَّبُّ: ٱنْطَلِقِي وَتَجَوَّلِي فِي ٱلْأَرْضِ، حَتَّى ٱنْدَفَعَتْ تَطُوفُ فِي أَرْجَائِهَا». [٨]ثُمَّ هَتَفَ بِي: «ٱنْظُرْ! إِنَّ ٱلَّتِي قَصَدَتْ أَرْضَ ٱلشَّمَالِ قَدْ نَفَّذَتْ قَضَائِي، فَأَخْمَدَتْ سَوْرَةَ غَضَبِي هُنَاكَ».

تتويج يهوشع

[٩]ثُمَّ أَوْحَى ٱلرَّبُّ إِلَيَّ بِكَلِمَتِهِ هَذِهِ: [١٠]«خُذْ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّبْيِ، كُلًّا مِنْ حَلْدَايَ وَطُوبِيَّا وَيَدْعِيَا، ٱلَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ بَابِلَ، وَتَعَالَ أَنْتَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَٱدْخُلْ بَيْتَ يُوشِيَّا بْنِ صَفَنْيَا. [١١]خُذْ (مِنْهُمْ) فِضَّةً وَذَهَبًا وَصُغْ مِنْهَا تِيجَانًا. كَلِّلْ بِأَحَدِهَا رَأْسَ يَهُوشَعَ بْنِ يَهُوصَادَاقَ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ. [١٢]وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ

name is the Branch, and he will branch out from his place and build the temple of the LORD. [13]It is he who will build the temple of the LORD, and he will be clothed with majesty and will sit and rule on his throne. And he will be a priest on his throne. And there will be harmony between the two.' [14]The crown will be given to Heldai, Tobijah, Jedaiah and Hen son of Zephaniah as a memorial in the temple of the LORD. [15]Those who are far away will come and help to build the temple of the LORD, and you will know that the LORD Almighty has sent me to you. This will happen if you diligently obey the LORD your God."

Justice and Mercy, Not Fasting

7 In the fourth year of King Darius, the word of the LORD came to Zechariah on the fourth day of the ninth month, the month of Kislev. [2]The people of Bethel had sent Sharezer and Regem-Melech, together with their men, to entreat the LORD [3]by asking the priests of the house of the LORD Almighty and the prophets, "Should I mourn and fast in the fifth month, as I have done for so many years?"

[4]Then the word of the LORD Almighty came to me: [5]"Ask all the people of the land and the priests, 'When you fasted and mourned in the fifth and seventh months for the past seventy years, was it really for me that you fasted? [6]And when you were eating and drinking, were you not just feasting for yourselves? [7]Are these not the words the LORD proclaimed through the earlier prophets when Jerusalem and its surrounding towns were at rest and prosperous, and the Negev and the western foothills were settled?' "

The Exile As a Result of Sin

[8]And the word of the LORD came again to Zechariah: [9]"This is what the LORD Almighty says: 'Administer true justice; show mercy and compassion to one another. [10]Do not oppress the widow or the fatherless, the alien or the poor. In your hearts do not think evil of each other.' [11]But they refused to pay attention; stubbornly they turned their backs and stopped up their ears. [12]They made their hearts as hard as flint and

الرب القدير: ها هو الرجل الذي اسمه الغصن، الذي ينبت من ذاته ويبني هيكل الرب. [١٣]هو الذي يبني هيكل الرب ويتجلل بالمجد ويكون نفسه ملكا وكاهنا في آن واحد فيجلس ويحكم على عرشه ويعمل بفضل مشورة رتبتيه على إشاعة السلام بين قومه. [١٤]أما هيبة التيجان، فتكون من نصيب حلداي وطوبيا ويدعيا ويوشيا بن صفنيا، وضعها تذكارا في هيكل الرب. [١٥]ويتوافد قوم من بعيد ليبنوا هيكل الرب، فتدركون أن الرب القدير قد أرسلني إليكم. ويتم هذا كله إن أطعتم صوت الرب إلهكم طاعة كاملة.

العدل والرحمة خير من الصوم

٧ وفي اليوم الرابع من الشهر التاسع أي شهر كسلو (تشرين الثاني - نوفمبر)، من السنة الرابعة لحكم الملك داريوس، أوحى الرب بهذه الكلمة إلى زكريا. [٢]عندما أرسل أهل بيت إيل شراصر ورجم ملك، ورجالهم ليصلوا أمام الرب، [٣]ليستشيروا كهنة بيت الرب القدير والأنبياء قائلين: «هل ننوح ونصوم في الشهر الخامس (آب - أغسطس) كما اعتدنا طوال هذه السنين الكثيرة؟»

[٤]فأوحى الرب القدير إلي بهذه الرسالة: [٥]«قل لجميع شعب الأرض والكهنة: حين كنتم تصومون وتنوحون في الشهر الخامس والشهر السابع (أي تشرين - الأول أكتوبر) في غضون سنوات المنقضى السبعين، هل كان صيامكم حقا لي؟ [٦]وحين تأكلون وتشربون، ألم يكن ذلك لإشباع نهمكم وإرواء أنفسكم؟ [٧]وعندما كانت أورشليم آهلة تنعم بالرخاء، محاطة بقرى عامرة، والناس يقيمون في جنوبها وسهلها، ألم تكن هذه هي كلمات الرب التي أعلنها على ألسنة الأنبياء السابقين؟»

السبي نتيجة خطايا الأمة

[٨]ثم قال الرب لزكريا: [٩]«هذا ما يقوله الرب القدير: اقضوا بالعدل، وليبد كل منكم إحسانا ورحمة لأخيه. [١٠]ولا تجوروا على الأرملة واليتيم والغريب والمسكين، ولا يضمر أحدكم شرا في قلبه لأخيه. [١١]ولكنهم أبوا أن يصغوا، واستعصوا بمعاندهم غير عابئين، وأصموا آذانهم لئلا يسمعوا. [١٢]وقسوا قلوبهم كالصوان لئلا يسمعوا الشريعة التي أرسلها الرب القدير

would not listen to the law or to the words that the LORD Almighty had sent by his Spirit through the earlier prophets. So the LORD Almighty was very angry. [13]"When I called, they did not listen; so when they called, I would not listen,' says the LORD Almighty. [14]'I scattered them with a whirlwind among all the nations, where they were strangers. The land was left so desolate behind them that no one could come or go. This is how they made the pleasant land desolate.' "

The LORD Promises to Bless Jerusalem

8 Again the word of the LORD Almighty came to me. [2]This is what the LORD Almighty says: "I am very jealous for Zion; I am burning with jealousy for her." [3]This is what the LORD says: "I will return to Zion and dwell in Jerusalem. Then Jerusalem will be called the City of Truth, and the mountain of the LORD Almighty will be called the Holy Mountain."

[4]This is what the LORD Almighty says: "Once again men and women of ripe old age will sit in the streets of Jerusalem, each with cane in hand because of his age. [5]The city streets will be filled with boys and girls playing there."

[6]This is what the LORD Almighty says: "It may seem marvelous to the remnant of this people at that time, but will it seem marvelous to me?" declares the LORD Almighty.

[7]This is what the LORD Almighty says: "I will save my people from the countries of the east and the west. [8]I will bring them back to live in Jerusalem; they will be my people, and I will be faithful and righteous to them as their God."

[9]This is what the LORD Almighty says: "You who now hear these words spoken by the prophets who were there when the foundation was laid for the house of the LORD Almighty, let your hands be strong so that the temple may be built. [10]Before that time there were no wages for man or beast. No one could go about his business safely because of his enemy, for I had turned every man against his neighbor. [11]But now I will not deal with the remnant of this people as I did in the past," declares the LORD Almighty. [12]"The seed will grow well, the vine will yield its fruit, the ground will produce its crops, and the heavens will drop their dew. I will give all these things as an inheritance to the remnant of this people. [13]As you have been an

بِرُوحِهِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ ٱلسَّابِقِينَ. فَانْصَبَّ غَضَبٌ عَظِيمٌ مِنْ لَدُنِ ٱلرَّبِّ ٱلْقَدِيرِ. [١٣]وَكَمَا نَادَيْتُ فَلَمْ يَسْمَعُوا فَإِنِّي أَنَا أَيْضاً لَا أَسْمَعُ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ. [١٤]فَبَدَّدْتُهُمْ بِٱلزَّوْبَعَةِ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ ٱلَّتِي لَمْ يَعْرِفُوهَا مِنْ قَبْلُ. فَصَارَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي نُفُوا مِنْهَا خَرَاباً لَا يَجْتَازُهَا ذَاهِبٌ أَوْ رَاجِعٌ. وَأَضْحَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلْمُبْهِجَةُ قَفْراً.

وعود الرب بمباركة اورشليم

٨ وَأَوْحَى ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ إِلَيَّ بِهَذِهِ ٱلْكَلِمَةِ: [٢]هَذَا مَا يَقُولُهُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ: إِنِّي أَغَارُ عَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً مُفْعَمَةً بِغَضَبٍ شَدِيدٍ عَلَى أَعْدَائِهَا. [٣]لِهَذَا يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ: هَا أَنَا عَائِدٌ إِلَى صِهْيَوْنَ لِأُقِيمَ فِي أُورُشَلِيمَ، فَتُدْعَى آنَئِذٍ مَدِينَةَ ٱلْحَقِّ. كَمَا يُدْعَى جَبَلُ ٱلرَّبِّ ٱلْقَدِيرِ ٱلْجَبَلَ ٱلْمُقَدَّسَ.

[٤]وَيَعُودُ ٱلشُّيُوخُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، مِمَّنْ يَتَّكِئُونَ عَلَى عِصِيِّهِمْ لِفَرْطِ كِبَرِ أَعْمَارِهِمْ، فَيَجْلِسُونَ فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ. [٥]وَتَكْتَظُّ طُرُقَاتُهَا بِٱلْأَوْلَادِ وَٱلْبَنَاتِ ٱللَّاعِبِينَ فِيهَا.

[٦]فَإِنْ كَانَ هَذَا ٱلْأَمْرُ عَجِيباً فِي أَعْيُنِ ٱلْبَقِيَّةِ ٱلنَّاجِيَةِ مِنْ هَذَا ٱلشَّعْبِ، أَيَكُونُ عَجِيباً فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ؟

[٧]هَا أَنَا أُنْقِذُ شَعْبِي ٱلْمَنْفِيَّ فِي أَرْضِ ٱلْمَشْرِقِ أَوْ فِي ٱلْمَغْرِبِ. [٨]وَأَرُدُّهُمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْكُنُوا فِيهَا، وَيَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً بِٱلْحَقِّ وَٱلْعَدْلِ.

[٩]وَلْتَتَشَدَّدْ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ يَامَنْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي نَطَقَ بِهَا ٱلْأَنْبِيَاءُ ٱلَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عِنْدَ إِرْسَاءِ أَسَاسِ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ ٱلْقَدِيرِ لِإِعَادَةِ بِنَائِهِ. [١٠]فَإِنَّهُ قَبْلَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ لَمْ تُدْفَعْ أُجْرَةٌ لِرَجُلٍ أَوْ بَهِيمَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، لِأَنِّي أَثَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ ضِدَّ صَاحِبِهِ. [١١]أَمَّا ٱلْآنَ فَلَنْ أَتَعَامَلَ مَعَ بَقِيَّةِ شَعْبِي ٱلنَّاجِيَةِ كَمَا تَعَامَلْتُ مَعَهُ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْغَابِرَةِ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ. [١٢]بَلْ يَزْرَعُونَ فِي سَلَامٍ، فَتُعْطِي ٱلْكُرُومُ ثَمَرَهَا وَٱلْأَرْضُ غَلَّاتِهَا، وَتَجُودُ ٱلسَّمَاءُ بِأَمْطَارِهَا، وَأُورِثُ بَقِيَّةَ هَذَا ٱلشَّعْبِ ٱلنَّاجِيَةَ كُلَّ هَذِهِ. [١٣]وَكَمَا كُنْتُمْ لَعْنَةً بَيْنَ ٱلْأُمَمِ يَاأَبْنَاءَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ، فَإِنِّي أُخَلِّصُكُمْ فَتُصْبِحُونَ

object of cursing among the nations, O Judah and Israel, so will I save you, and you will be a blessing. Do not be afraid, but let your hands be strong." [14]This is what the LORD Almighty says: "Just as I had determined to bring disaster upon you and showed no pity when your fathers angered me," says the LORD Almighty, [15]"so now I have determined to do good again to Jerusalem and Judah. Do not be afraid. [16]These are the things you are to do: Speak the truth to each other, and render true and sound judgment in your courts; [17]do not plot evil against your neighbor, and do not love to swear falsely. I hate all this," declares the LORD.

بركة. لا تجزعوا، بل تشجعوا. [١٤]لأنه هكذا يقول الرب القدير: كما وطدت العزم أن أعاقبكم بالشر عندما أثار آباؤكم سخطي، ولم أرجع عن عزمي، يقول الرب القدير، [١٥]فإني عدت أيضا فقضيت في هذه الأيام أن أحسن إلى أورشليم وإلى شعب يهوذا. فلا تجزعوا. [١٦]وهذا ما عليكم أن تفعلوه: لا تكذبوا بعضكم على بعض، واحكموا في ساحات قضائكم بالعدل وأحكام السلام. [١٧]لا يضمر أحدكم شرا في قلبه لقريبه، ولا تحلفوا يمين زور، فإن هذه جميعها مقتها، يقول الرب.

The Nations Seek the LORD in Jerusalem

[18]Again the word of the LORD Almighty came to me. [19]This is what the LORD Almighty says: "The fasts of the fourth, fifth, seventh and tenth months will become joyful and glad occasions and happy festivals for Judah. Therefore love truth and peace." [20]This is what the LORD Almighty says: "Many peoples and the inhabitants of many cities will yet come, [21]and the inhabitants of one city will go to another and say, 'Let us go at once to entreat the LORD and seek the LORD Almighty. I myself am going.' [22]And many peoples and powerful nations will come to Jerusalem to seek the LORD Almighty and to entreat him."

[23]This is what the LORD Almighty says: "In those days ten men from all languages and nations will take firm hold of one Jew by the hem of his robe and say, 'Let us go with you, because we have heard that God is with you.' "

الأمم تطلب الرب في أورشليم

[١٨]ثم أوحى الرب إلي بكلمته قائلا: [١٩]هذا ما يقوله الرب القدير: إن أصوامكم في الشهور الرابع والخامس والسابع والعاشر ستكون مواسم ابتهاج وفرح وأعياد سعيدة يتمتع بها شعب يهوذا، لهذا أحبوا الحق والسلام. [٢٠]وستأتي شعوب أيضا وأفواج من سكان مدن كثيرة إلى أورشليم، [٢١]ويمضي أهل المدينة الواحدة إلى المدينة الأخرى قائلين: هيا نذهب على الفور لنطلب رضى وجه الرب القدير ونلتمس بركته، لأننا على أي حال منطلقون إلى هناك. [٢٢]فتتوافد أمم كثيرة وشعوب قوية ليلتمسوا وجه الرب القدير في أورشليم ويحظوا برضاه.

[٢٣]في تلك الأيام يتشبث عشرة رجال من أبناء الأمم بثوب رجل يهودي قائلين: دعنا نذهب معكم، لأننا سمعنا أن الرب معكم.

The Judgment of the LORD

9 The word of the LORD is against the land of Hadrach and will rest upon Damascus—for the eyes of men and all the tribes of Israel are on the LORD—[2]and upon Hamath too, which borders on it, and upon Tyre and Sidon, though they are very skillful. [3]Tyre has built herself a stronghold; she has heaped up silver like dust, and gold like the dirt of the streets. [4]But the Lord will take away her possessions and destroy her power on the sea, and she will be consumed by fire. [5]Ashkelon will see it and fear; Gaza will writhe in agony, and Ekron too, for her hope will wither. Gaza will lose her king and Ashkelon will be

قضاء الرب

٩ وحي قضاء الرب بعقاب أرض حدراخ ودمشق، لأن أعين الناس وسائر أسباط إسرائيل نحو الرب. [٢]وكذلك قضاء الرب على حماة المتاخمة لدمشق، وعلى صور وصيدون المتصفتين بالحكمة. [٣]قد بنت صور حصنا لنفسها وادخرت الفضة كالتراب والذهب كطين الشوارع. [٤]ولكن ها الرب يجردها من ممتلكاتها، ويطرح ثروتها إلى البحر، وتلتهمها النيران. [٥]فتشهد مدينة أشقلون هذا فتفزع، وتتلوى غزة ألما، تتوجع عقرون أيضا لأن رجاءها قد تبدد. يهلك ملك غزة وتضحى أشقلون

deserted. [6]Foreigners will occupy Ashdod, and I will cut off the pride of the Philistines. [7]I will take the blood from their mouths, the forbidden food from between their teeth. Those who are left will belong to our God and become leaders in Judah, and Ekron will be like the Jebusites. [8]But I will defend my house against marauding forces. Never again will an oppressor overrun my people, for now I am keeping watch.

مُوحِشَةً. [٦]وَيَسْتَوْطِنُ ٱلزَّنِيمُ فِي أَشْدُودَ، وَيَسْتَأْصِلُ ٱلرَّبُّ كِبْرِيَاءَ ٱلْفِلِسْطِيِّينَ. [٧]لَا يَعُودُونَ يَأْكُلُونَ لَحْماً بِدَمِهِ أَوْ طَعَاماً نَجِساً وَيُصْبِحُونَ هُمْ أَيْضاً بَقِيَّةً نَاجِيَةً لِلرَّبِّ، يَصِيرُونَ كَعَشِيرَةٍ فِي سِبْطِ يَهُوذَا، وَتَغْدُو عَقْرُونُ نَظِيرَ ٱلْيَبُوسِيِّينَ. [٨]ثُمَّ أُعَسْكِرُ حَوْلَ شَعْبِي لِأَحْفَظَهُ مِنْ غَزَوَاتِ ٱلْجُيُوشِ فِي ذَهَابِهَا وَإِيَابِهَا، فَلَا يُذِلُّهُمْ مُسْتَعْمِرٌ، لِأَنِّي رَأَيْتُ ٱلْآنَ بِعَيْنَيَّ مُعَانَاتَهُمْ.

The Coming of the King

[9]Rejoice greatly, O Daughter of Zion! Shout, Daughter of Jerusalem! See, your king comes to you, righteous and having salvation, gentle and riding on a donkey, on a colt, the foal of a donkey. [10]I will take away the chariots from Ephraim and the war-horses from Jerusalem, and the battle bow will be broken. He will proclaim peace to the nations. His rule will extend from sea to sea and from the River to the ends of the earth. [11]As for you, because of the blood of my covenant with you, I will free your prisoners from the waterless pit. [12]Return to your fortress, O prisoners of hope; even now I announce that I will restore twice as much to you.

مجيء الملك

[٩]ٱبْتَهِجِي جِدّاً يَا ٱبْنَةَ صِهْيَوْنَ وَٱهْتِفِي يَا ٱبْنَةَ أُورُشَلِيمَ، لِأَنَّ هُوَذَا مَلِكُكِ مُقْبِلٌ إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ ظَافِرٌ، وَلَكِنَّهُ وَدِيعٌ رَاكِبٌ عَلَى أَتَانٍ، عَلَى جَحْشٍ ٱبْنِ أَتَانٍ. [١٠]وَأَسْتَأْصِلُ ٱلْمَرْكَبَاتِ ٱلْحَرْبِيَّةَ مِنْ أَفْرَايِمَ، وَٱلْخَيْلَ مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَتُبَادُ أَقْوَاسُ ٱلْقِتَالِ، وَيُشِيعُ ٱلسَّلَامَ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ، وَيَمْتَدُّ مُلْكُهُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِلَى ٱلْبَحْرِ، وَمِنْ نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ إِلَى أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ. [١١]أَمَّا أَنْتُمْ فَبِفَضْلِ دَمِ عَهْدِي مَعَكُمْ أُطْلِقُ أَسْرَاكُمْ مِنَ ٱلْجُبِّ ٱلَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ. [١٢]ٱرْجِعُوا إِلَى ٱلْحِصْنِ يَا أَسْرَى ٱلرَّجَاءِ، فَأَنَا أُعْلِنُ ٱلْيَوْمَ أَنِّي أُضَاعِفُ لَكُمُ ٱلْأَجْرَ لِقَاءَ مَا عَانَيْتُمْ مِنْ وَيْلَاتٍ.

[13]I will bend Judah as I bend my bow and fill it with Ephraim. I will rouse your sons, O Zion, against your sons, O Greece, and make you like a warrior's sword. [14]Then the LORD will appear over them; his arrow will flash like lightning. The Sovereign LORD will sound the trumpet; he will march in the storms of the south, [15]and the LORD Almighty will shield them. They will destroy and overcome with slingstones. They will drink and roar as with wine; they will be full like a bowl used for sprinkling the corners of the altar. [16]The LORD their God will save them on that day as the flock of his people. They will sparkle in his land like jewels in a crown. [17]How attractive and beautiful they will be! Grain will make the young men thrive, and new wine the young women.

[١٣]هَا أَنَا أُوتِرُ يَهُوذَا كَقَوْسٍ وَأَجْعَلُ أَفْرَايِمَ كَسَهْمٍ، وَأُثِيرُ رِجَالَ صِهْيَوْنَ عَلَى أَبْنَاءِ ٱلْيُونَانِ فَتَكُونِينَ كَسَيْفِ جَبَّارٍ. [١٤]ثُمَّ يَتَجَلَّى ٱلرَّبُّ، وَيَنْفُذُ سَهْمُهُ كَٱلْبَرْقِ. يَنْفُخُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ بِٱلْبُوقِ وَيَقْتَحِمُ فِي زَوَابِعِ ٱلْجَنُوبِ. [١٥]يَقِيهِمُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ فَلَا تَنَالُهُمْ حِجَارَةُ ٱلْمِقْلَاعِ، بَلْ تَقْصُرُ عَنْهُمْ وَيَطَأُونَهَا، وَيَشْرَبُونَ (مِنْ دِمَاءِ أَعْدَائِهِمْ) وَيَصْخَبُونَ كَٱلسُّكَارَى مِنَ ٱلْخَمْرِ وَيَمْتَلِئُونَ كَمَنَاضِحِ ٱلْمُحْرَقَاتِ وَزَوَايَا ٱلْمَذْبَحِ. [١٦]فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ يُخَلِّصُهُمُ ٱلرَّبُّ إِلَهُهُمْ لِأَنَّهُمْ شَعْبُهُ قَطِيعُهُ، وَيَتَأَلَّقُونَ فِي أَرْضِهِ كَحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ مُرَصَّعَةٍ فِي تَاجٍ. [١٧]فَمَا أَجْمَلَهُمْ وَمَا أَبْهَاهُمْ! ٱلْحِنْطَةُ تَجْعَلُ ٱلْفِتْيَانَ أَكْثَرَ ٱزْدِهَاراً، وَٱلْخَمْرَةُ تَجْعَلُ ٱلْفَتَيَاتِ أَكْثَرَ نَضْرَةً.

Redemption of God's People

10 Ask the LORD for rain in the springtime; it is the LORD who makes the storm clouds. He gives showers of rain to men, and plants of the field to everyone. [2]The idols speak deceit,

افتداء شعب الله

١٠ اُطْلُبُوا مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلْمَطَرَ فِي مَوْسِمِ ٱلرَّبِيعِ، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ هُوَ ٱلَّذِي يُنْشِئُ ٱلسُّحُبَ بِبُرُوقٍ، وَيَسْكُبُ عَلَى ٱلنَّاسِ وَابِلاً هَطَّالاً، وَيَرْزُقُ كُلَّ وَاحِدٍ عُشْباً فِي ٱلْحَقْلِ. [٢]أَمَّا

diviners see visions that lie; they tell dreams that are false, they give comfort in vain. Therefore the people wander like sheep oppressed for lack of a shepherd. [3]"My anger burns against the shepherds, and I will punish the leaders; for the LORD Almighty will care for his flock, the house of Judah, and make them like a proud horse in battle. [4]From Judah will come the cornerstone, from him the tent peg, from him the battle bow, from him every ruler. [5]Together they will be like mighty men trampling the muddy streets in battle. Because the LORD is with them, they will fight and overthrow the horsemen. [6]I will strengthen the house of Judah and save the house of Joseph. I will restore them because I have compassion on them. They will be as though I had not rejected them, for I am the LORD their God and I will answer them. [7]The Ephraimites will become like mighty men, and their hearts will be glad as with wine. Their children will see it and be joyful; their hearts will rejoice in the LORD. [8]I will signal for them and gather them in. Surely I will redeem them; they will be as numerous as before. [9]Though I scatter them among the peoples, yet in distant lands they will remember me. They and their children will survive, and they will return. [10]I will bring them back from Egypt and gather them from Assyria. I will bring them to Gilead and Lebanon, and there will not be room enough for them. [11]They will pass through the sea of trouble; the surging sea will be subdued and all the depths of the Nile will dry up. Assyria's pride will be brought down and Egypt's scepter will pass away. [12]I will strengthen them in the LORD and in his name they will walk," declares the LORD.

الأوثان فإنها تنطق بالباطل، ويرى العرافون رؤى كاذبة، ويتنبأون بأحلام زور، وعبثاً يعزون. لذلك شرد الناس كغنم، وقاسوا مشقة لافتقارهم إلى راع. [3]إن غضبي يحتدم على الرعاة، وسأعاقب الرؤساء، لأن الرب القدير يعتني بقطيعه شعب يهوذا، ويجعلهم كفرس المزهو في القتال. [4]منهم يخرج حجر الزاوية والوتد وقوس القتال وكل حاكم متسلط. [5]ويدوسون الأعداء معاً كما يدوس الجبابرة الطين في الشوارع، ويحاربون لأن الرب معهم فيلحقون العار بفرسان الأعداء. [6]إني أشدد شعب يهوذا وأخلص ذرية يوسف وأردهم إلى أرضهم لأني أكن لهم الرحمة، فيكونون كأني لم أنبذهم لأني أنا الرب إلههم فأستجيبهم. [7]ويصبح شعب إسرائيل كجبابرة الحرب، وتنتشي قلوبهم كمن شرب خمرة، ويشهد أبناؤهم هذا ويفرحون، وتبتهج نفوسهم بالرب. [8]أصفر إشارتي لهم فأجمع شتاتهم، لأني افتديتهم، ويكثرون كما في الحقب الأولى. [9]مع أني بددتهم بين الأمم، فإنهم يظلون يذكرونني في المنافي البعيدة، ويحيون مع أولادهم ويرجعون. [10]سأردهم إلى موطنهم من ديار مصر، وأجمع شتاتهم من أشور، وآتي بهم إلى أرض جلعاد ولبنان حتى لا يبقى متسع لهم بعد. [11]يجتازون عبر بحر المشقات، فتنحسر الأمواج وتجف لجج النيل. تذل كبرياء أشور ويزول صولجان مصر. [12]وأشددهم بالرب فيسلكون بمقتضى اسمه، يقول الرب.

A Prophecy of Affliction

11 Open your doors, O Lebanon, so that fire may devour your cedars! [2]Wail, O pine tree, for the cedar has fallen; the stately trees are ruined! Wail, oaks of Bashan; the dense forest has been cut down! [3]Listen to the wail of the shepherds; their rich pastures are destroyed! Listen to the roar of the lions; the lush thicket of the Jordan is ruined!

[4]This is what the LORD my God says: "Pasture the flock marked for slaughter. [5]Their buyers slaughter them and go unpunished. Those who sell

نبوءة الهتاف بالويلات

١١ افتح أبوابك يا لبنان حتى تلتهم النار أرزك. [2]انتحب أيها السرو لأن الأرز قد تهاوى، والعظماء قد هلكوا. انتحب يا بلوط باشان لأن الغابات الكثيفة تعرت. [3]استمعوا إلى نواح الرعاة (أي الحكام) لأن مراعيهم الثرية قد تلفت. أصغوا إلى زمجرة الأسود لأن أجمات وادي الأردن قد صارت خراباً.

[4]هكذا قال الرب إلهي: «ارع الغنم المعد للذبح، [5]الذين يقتلهم مالكوهم ويفلتون من العقاب، وكل من يبيعهم يقول:

them say, 'Praise the LORD, I am rich!' Their own shepherds do not spare them. [6]For I will no longer have pity on the people of the land," declares the LORD. "I will hand everyone over to his neighbor and his king. They will oppress the land, and I will not rescue them from their hands."

[7]So I pastured the flock marked for slaughter, particularly the oppressed of the flock. Then I took two staffs and called one Favor and the other Union, and I pastured the flock. [8]In one month I got rid of the three shepherds. The flock detested me, and I grew weary of them [9]and said, "I will not be your shepherd. Let the dying die, and the perishing perish. Let those who are left eat one another's flesh."

[10]Then I took my staff called Favor and broke it, revoking the covenant I had made with all the nations. [11]It was revoked on that day, and so the afflicted of the flock who were watching me knew it was the word of the LORD. [12]I told them, "If you think it best, give me my pay; but if not, keep it." So they paid me thirty pieces of silver. [13]And the LORD said to me, "Throw it to the potter"–the handsome price at which they priced me! So I took the thirty pieces of silver and threw them into the house of the LORD to the potter. [14]Then I broke my second staff called Union, breaking the brotherhood between Judah and Israel.

[15]Then the LORD said to me, "Take again the equipment of a foolish shepherd. [16]For I am going to raise up a shepherd over the land who will not care for the lost, or seek the young, or heal the injured, or feed the healthy, but will eat the meat of the choice sheep, tearing off their hoofs. [17]Woe to the worthless shepherd, who deserts the flock! May the sword strike his arm and his right eye! May his arm be completely withered, his right eye totally blinded!"

Jerusalem's Enemies to Be Destroyed an Oracle

12 This is the word of the LORD concerning Israel. The LORD, who stretches out the heavens, who lays the foundation of the earth, and who forms the spirit of man within him, declares: [2]"I am going to make Jerusalem a cup that sends all the surrounding peoples reeling. Judah will be besieged as well as Jerusalem. [3]On that day, when

تَبَارَكَ ٱلرَّبُّ فَإِنِّي قَدِ ٱغْتَنَيْتُ. أَمَّا رُعَاتُهُمْ فَلَا يُضْمِرُونَ لَهُمْ شَفَقَةً. [٦]وَيَقُولُ ٱلرَّبُّ: «لِذَلِكَ لَا أُشْفِقُ بَعْدُ عَلَى سُكَّانِ ٱلْأَرْضِ، بَلْ أَنَا أُسَلِّمُ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى قَرِيبِهِ أَوْ مَلِكِهِ، فَيُهْلِكُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا أُنْقِذُ أَحَداً مِنْ أَيْدِيهِمْ».

[٧]وَهَكَذَا صِرْتُ رَاعِياً لِأَهْزَلِ ٱلْغَنَمِ ٱلْمُعَدِّ لِلذَّبْحِ، وَأَخَذْتُ لِنَفْسِي عَصَوَيْنِ دَعَوْتُ إِحْدَاهُمَا نِعْمَةً وَٱلْأُخْرَى وَحْدَةً، وَقُمْتُ بِرِعَايَةِ ٱلْغَنَمِ. [٨]وَفِي غُضُونِ شَهْرٍ وَاحِدٍ أَقْصَيْتُ ٱلرُّعَاةَ ٱلثَّلَاثَةَ. وَلَكِنْ صَبْرِي نَفِدَ عَلَى ٱلْأَغْنَامِ، كَمَا أَضْمَرُوا هُمْ أَيْضاً لِيَ ٱلْكَرَاهِيَةَ. [٩]لِذَلِكَ قُلْتُ: «لَنْ أَكُونَ لَكُمْ رَاعِياً. مَنْ يَمُتْ مِنْكُمْ فَلْيَمُتْ، وَمَنْ يَهْلِكْ فَلْيَهْلِكْ، وَلْيَأْكُلْ مَنْ يَبْقَى مِنْكُمْ لَحْمَ بَعْضِكُمْ بَعْضاً».

[١٠]وَتَنَاوَلْتُ عَصَايَ «نِعْمَةً» وَكَسَرْتُهَا نَاقِضاً بِذَلِكَ ٱلْعَهْدَ ٱلَّذِي أَبْرَمْتُهُ مَعَ جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ. [١١]وَهَكَذَا بَطَلَ ٱلْعَهْدُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ، وَأَدْرَكَ أَهْزَلُ ٱلْغَنَمِ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَنِي أَنَّ مَا جَرَى كَانَ بِقَضَاءِ ٱلرَّبِّ. [١٢]ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: «إِنْ طَابَ لَكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي، وَإِلَّا فَاحْتَفِظُوا بِهَا». فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلَاثِينَ شَاقِلاً مِنَ ٱلْفِضَّةِ. [١٣]فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِي: «أَعْطِ هَذَا ٱلثَّمَنَ ٱلْكَرِيمَ ٱلَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ إِلَى ٱلْفَخَّارِيِّ». فَأَخَذْتُ ٱلثَّلَاثِينَ قِطْعَةً مِنَ ٱلْفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ إِلَى ٱلْفَخَّارِيِّ. [١٤]وَحَطَّمْتُ عَصَايَ ٱلْأُخْرَى «وَحْدَةً» لِأَنْقُضَ ٱلْإِخَاءَ بَيْنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ.

[١٥]ثُمَّ قَالَ لِي ٱلرَّبُّ: «ٱذْهَبْ وَتَجَهَّزْ ثَانِيَةً بِأَدَوَاتِ رَاعٍ أَحْمَقَ. [١٦]فَهَا أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أُقِيمَ فِي ٱلْأَرْضِ رَاعِياً لَا يَعْبَأُ بِٱلْغَنَمِ ٱلشَّارِدَةِ، وَلَا يَفْتَقِدُ ٱلْحُمْلَانَ أَوْ يُجَبِّرُ ٱلْمَكْسُورِينَ، وَلَا يُغَذِّي ٱلصَّحِيحَ، وَلَكِنَّهُ يَفْتَرِسُ ٱلسِّمَانَ مِنْهُمْ وَيَنْزِعُ أَظْلَافَهَا. [١٧]وَيْلٌ لِلرَّاعِي ٱلْأَحْمَقِ ٱلَّذِي يَهْجُرُ ٱلْقَطِيعَ. لِيَبْتُرِ ٱلسَّيْفُ ذِرَاعَهُ وَيَفْقَأْ عَيْنَهُ ٱلْيُمْنَى. فَتَيْبَسَ ذِرَاعُهُ وَتُكَفَّ عَيْنُهُ ٱلْيُمْنَى عَنِ ٱلْبَصَرِ».

مصير أعداء أورشليم

١٢ وَحْيُ كَلِمَةِ ٱلرَّبِّ بِشَأْنِ إِسْرَائِيلَ. يَقُولُ ٱلرَّبُّ بَاسِطُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَمُرْسِي ٱلْأَرْضِ، وَجَابِلُ رُوحِ ٱلْإِنْسَانِ فِيهِ: [٢]«هَا أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَجْعَلَ أُورُشَلِيمَ كَأْسَ خَمْرٍ تَتَرَنَّحُ مِنْهَا جَمِيعُ ٱلشُّعُوبِ ٱلْمُحِيطَةِ بِهَا، فَتُحَاصَرُ يَهُوذَا أَيْضاً فِي أَثْنَاءِ حِصَارِهَا لِأُورُشَلِيمَ. [٣]فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ أَجْعَلُ

all the nations of the earth are gathered against her, I will make Jerusalem an immovable rock for all the nations. All who try to move it will injure themselves. [4]On that day I will strike every horse with panic and its rider with madness," declares the LORD. "I will keep a watchful eye over the house of Judah, but I will blind all the horses of the nations. [5]Then the leaders of Judah will say in their hearts, 'The people of Jerusalem are strong, because the LORD Almighty is their God.' [6]On that day I will make the leaders of Judah like a firepot in a woodpile, like a flaming torch among sheaves. They will consume right and left all the surrounding peoples, but Jerusalem will remain intact in her place. [7]The LORD will save the dwellings of Judah first, so that the honor of the house of David and of Jerusalem's inhabitants may not be greater than that of Judah. [8]On that day the LORD will shield those who live in Jerusalem, so that the feeblest among them will be like David, and the house of David will be like God, like the Angel of the LORD going before them. [9]On that day I will set out to destroy all the nations that attack Jerusalem.

أورشليم كصخرة ثقيلة تعجز عن حملها جميع الشعوب. وكل من يحاول حملها يتشقق شقا. وتتألب عليها جميع شعوب الأرض. ٤في ذلك اليوم، يقول الرب، أصيب كل فرس من جيوش الأعداء بالرعب، وفارسه بالجنون، وأرعى برضاي شعب يهوذا، وأبتلي جميع خيول الأمم بالعمى. ٥فيقول قادة رؤساء يهوذا في قلوبهم: إن سكان أورشليم أعزاء بفضل قوة الرب القدير إلههم. ٦في ذلك اليوم أجعل عشائر يهوذا كمستوقد نار بين الحطب، أو كمشعل ملتهب بين أكداس الحنطة، فيلتهمون الشعوب من حولهم عن يمينهم وعن يسارهم، بينما تظل أورشليم مستقرة آمنة آهلة في موضعها. ٧ويخلص الرب أولا خيام يهوذا لئلا يتعاظم افتخار بيت داود وأهل أورشليم على سائر يهوذا. ٨في ذلك اليوم يحفظ الرب سكان أورشليم، فيكون أضعفهم قويا قادرا مثل داود، ويتولى بيت داود قيادتهم في الطليعة، تماما كما كان الله أو ملاك الرب يتقدمهم. ٩في ذلك اليوم أعمل على إهلاك جميع الشعوب الزاحفين على أورشليم.

Mourning for the One They Pierced

[10]"And I will pour out on the house of David and the inhabitants of Jerusalem a spirit of grace and supplication. They will look on me, the one they have pierced, and they will mourn for him as one mourns for an only child, and grieve bitterly for him as one grieves for a firstborn son. [11]On that day the weeping in Jerusalem will be great, like the weeping of Hadad Rimmon in the plain of Megiddo. [12]The land will mourn, each clan by itself, with their wives by themselves: the clan of the house of David and their wives, the clan of the house of Nathan and their wives, [13]the clan of the house of Levi and their wives, the clan of Shimei and their wives, [14]and all the rest of the clans and their wives.

النوح على المطعون

١٠وأفيض على ذرية داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والابتهال، حتى إذا نظروا إلي أنا الذي طعنوه ينوحون عليه كما ينوح والد على وليده الوحيد، متفجعين عليه كتفجعهم على موت بكرهم. ١١في ذلك اليوم يكون النواح في أورشليم مماثلا للنواح في هددرمون في سهل مجدو (حيث قتل الملك يوشيا). ١٢فيشيع النحيب بين أهل البلاد، فتنوح كل عشيرة على حدة، فتبكي رجال عشيرة داود منفردين عن النساء، والنساء عن الرجال، ورجال عشيرة ذرية ناثان منفردين عن النساء، والنساء عن الرجال. ١٣وكذلك تنوح رجال ونساء عشيرة لاوي كل على حدة، ورجال ونساء عشيرة شمعي كل على حدة. ١٤وأيضا تنوح رجال ونساء سائر العشائر الباقية كلا على حدة.

Cleansing from Sin

13 "On that day a fountain will be opened to the house of David and the inhabitants of Jerusalem, to cleanse them from sin and impurity.

التطهير من الخطيئة

١٣ في ذلك اليوم يتفجر ينبوع لتطهير ذرية داود وسكان أورشليم من إثمهم ونجاستهم.

[2]On that day, I will banish the names of the idols from the land, and they will be remembered no more," declares the LORD Almighty. "I will remove both the prophets and the spirit of impurity from the land. [3]And if anyone still prophesies, his father and mother, to whom he was born, will say to him, 'You must die, because you have told lies in the LORD's name.' When he prophesies, his own parents will stab him. [4]On that day every prophet will be ashamed of his prophetic vision. He will not put on a prophet's garment of hair in order to deceive. [5]He will say, 'I am not a prophet. I am a farmer; the land has been my livelihood since my youth.' [6]If someone asks him, 'What are these wounds on your body?' he will answer, 'The wounds I was given at the house of my friends.'

[٢]ويقول الرب القدير: في ذلك اليوم أستأصل أسماء الأصنام من الأرض فلا يعود لها ذكر، وأنفي الأنبياء الكذبة والروح النجس من الأرض. [٣]وإن تنبأ أحد فيما بعد، يطعنه أبوه وأمه اللذان أنجباه قائلين: لابد أن تموت لأنك نطقت بالزور باسم الرب. [٤]في ذلك اليوم يخزى الخزي كل نبي كاذب يتنبأ من رؤياه، ولا يرتدي مسوح الشعر ليكذب. [٥]إنما يقول: أنا لست نبيا. أنا رجل فلاح أحرث الأرض منذ صباي. [٦]وعندما يسأله أحد: ما هذه الجروح في بدنك؟ يجيبه: هي التي جرحت بها في بيت أحبائي.

Israel's Punishment

[7]"Awake, O sword, against my shepherd, against the man who is close to me!" declares the LORD Almighty. "Strike the shepherd, and the sheep will be scattered, and I will turn my hand against the little ones. [8]In the whole land," declares the LORD, "two-thirds will be struck down and perish; yet one-third will be left in it. [9]This third I will bring into the fire; I will refine them like silver and test them like gold. They will call on my name and I will answer them; I will say, 'They are my people,' and they will say, 'The LORD is our God.' "

تأديب بني إسرائيل

[٧]ويقول الرب القدير: «استيقظ أيها السيف وهاجم راعي ورجل رفقتي. اضرب الراعي فتتبدد الخراف. ولكنني أرد يدي عن الصغار (أي القلة المؤمنة). [٨]يقول الرب فيفنى ثلثا شعب أرضي ويبقى ثلثهم حيا فقط. [٩]فأجيز هذا الثلث في النار لأنقيه تنقية الفضة، وأمحصه كما يمحص الذهب. هو يدعو باسمي وأنا أستجيبه. أنا أقول: هو شعبي، وهو يقول: الرب هو إلهي».

The LORD Rescues Jerusalem

14 A day of the LORD is coming when your plunder will be divided among you. [2]I will gather all the nations to Jerusalem to fight against it; the city will be captured, the houses ransacked, and the women raped. Half of the city will go into exile, but the rest of the people will not be taken from the city.

[3]Then the LORD will go out and fight against those nations, as he fights in the day of battle. [4]On that day his feet will stand on the Mount of Olives, east of Jerusalem, and the Mount of Olives will be split in two from east to west, forming a great valley, with half of the mountain moving north and half moving south. [5]You will flee by my mountain valley, for it will extend to

الرب ينقذ أورشليم

١٤ انظروا ها هو يوم مقبل للرب، تقسم فيه ما سلب منكم في وسطكم. [٢]لأني أجمع جميع الأمم على أورشليم لتحاربها، فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتغتصب النساء ويسبى نصف أهلها إلى المنفى. إنما لا تنقرض بقية الشعب من المدينة.

[٣]ولا يلبث أن يهب الرب ليحارب تلك الأمم، كما كان يحارب في يوم القتال. [٤]وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الممتد أمام أورشليم باتجاه الشرق، فينشق جبل الزيتون إلى شطرين من الشرق إلى الغرب عن واد عظيم جدا، فيتراجع نصف الجبل إلى الشمال، والنصف الآخر نحو الجنوب. [٥]وتهربون من خلال وادي جبالي

Azel. You will flee as you fled from the earthquake in the days of Uzziah king of Judah. Then the LORD my God will come, and all the holy ones with him.

[6]On that day there will be no light, no cold or frost. [7]It will be a unique day, without daytime or nighttime–a day known to the LORD. When evening comes, there will be light. [8]On that day living water will flow out from Jerusalem, half to the eastern sea and half to the western sea, in summer and in winter. [9]The LORD will be king over the whole earth. On that day there will be one LORD, and his name the only name.

الْمُمْتَدِّ إِلَى آصَلَ. تَهْرُبُونَ كَمَا هَرَبْتُمْ مِنَ الزَّلْزَلَةِ فِي أَيَّامِ حُكْمِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا. وَيَأْتِي الرَّبُّ إِلَهِي فِي مَوْكِبٍ مِنْ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ.

[٦]فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَلَاشَى نُورُ (الْكَوَاكِبِ) وَلَا يَكُونُ بَرْدٌ وَلَا صَقِيعٌ. [٧]وَيَكُونُ يَوْمٌ مُتَوَاصِلٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الرَّبِّ. لَا نَهَارَ فِيهِ وَلَا لَيْلَ، إِذْ يَغْمُرُ النَّهَارُ سَاعَاتِ الْمَسَاءِ. [٨]فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَجْرِي مِيَاهٌ حَيَّةٌ مِنْ أُورُشَلِيمَ، يَصُبُّ نِصْفُهَا فِي الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ (الْبَحْرِ الْمَيْتِ)، وَنِصْفُهَا الآخَرُ فِي الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ (الْبَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ) طَوَالَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ. [٩]وَيَمْلِكُ الرَّبُّ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا. فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَبٌّ وَاحِدٌ لَا يُذْكَرُ سِوَى اسْمِهِ.

The Authority of God over the Nations

[10]The whole land, from Geba to Rimmon, south of Jerusalem, will become like the Arabah. But Jerusalem will be raised up and remain in its place, from the Benjamin Gate to the site of the First Gate, to the Corner Gate, and from the Tower of Hananel to the royal winepresses. [11]It will be inhabited; never again will it be destroyed. Jerusalem will be secure.

[12]This is the plague with which the LORD will strike all the nations that fought against Jerusalem: Their flesh will rot while they are still standing on their feet, their eyes will rot in their sockets, and their tongues will rot in their mouths. [13]On that day men will be stricken by the LORD with great panic. Each man will seize the hand of another, and they will attack each other. [14]Judah too will fight at Jerusalem. The wealth of all the surrounding nations will be collected–great quantities of gold and silver and clothing. [15]A similar plague will strike the horses and mules, the camels and donkeys, and all the animals in those camps.

[16]Then the survivors from all the nations that have attacked Jerusalem will go up year after year to worship the King, the LORD Almighty, and to celebrate the Feast of Tabernacles. [17]If any of the peoples of the earth do not go up to Jerusalem to worship the King, the LORD Almighty, they will have no rain. [18]If the Egyptian people do not go up and take part, they will have no rain. The LORD will bring on them the plague he inflicts on the nations that do not go up to celebrate the

سيادة الرب على العالم

[١٠]وَتَتَحَوَّلُ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ جَبْعَ شَمَالاً إِلَى رِمُّونَ جَنُوباً، إِلَى سَهْلٍ كَسَهْلِ عَرَبَةَ. أَمَّا أُورُشَلِيمُ فَلَا تَبْرَحُ شَاهِقَةً فِي مَوْقِعِهَا الْمُمْتَدِّ مِنْ بَوَّابَةِ بِنْيَامِينَ حَتَّى الْبَوَّابَةِ الأُولَى وَإِلَى بَوَّابَةِ الزَّاوِيَةِ، وَمِنْ بُرْجِ حَنَنْئِيلَ إِلَى مَعَاصِرِ خَمْرِ الْمَلِكِ. [١١]وَتُصْبِحُ آهِلَةً إِذْ لَنْ يَحُلَّ بِهَا دَمَارٌ ثَانِيَةً، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ آمِنَةً.

[١٢]وَهَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الَّذِي يُعَاقِبُ بِهِ الرَّبُّ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ احْتَشَدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ: تَنْتَنُ لُحُومُهُمْ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَتَتَآكَلُ عُيُونُهُمْ فِي أَوْقَابِهَا، وَتَتْلَفُ أَلْسِنَتُهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. [١٣]فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُلْقِي الرَّبُّ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى تَرْتَفِعَ يَدُ الرَّجُلِ ضِدَّ يَدِ رَفِيقِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَيَهْلِكَانِ مَعاً. [١٤]وَيُحَارِبُ أَبْنَاءُ يَهُوذَا أَيْضاً دِفَاعاً عَنْ أُورُشَلِيمَ، وَيَغْنَمُونَ ثَرَوَاتٍ مِنَ الأُمَمِ الْمُحِيطَةِ بِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَثِيَابٍ بِوَفْرَةٍ عَظِيمَةٍ. [١٥]وَيُصِيبُ بَلَاءٌ مُمَاثِلٌ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْجِمَالَ وَالْحَمِيرَ وَسَائِرَ الْبَهَائِمِ الْمَوْجُودَةِ دَاخِلَ تِلْكَ الْمُعَسْكَرَاتِ.

[١٦]فَيَصْعَدُ النَّاجُونَ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي تَأَلَّبَتْ عَلَى أُورُشَلِيمَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ لِيَعْبُدُوا الْمَلِكَ الرَّبَّ الْقَدِيرَ وَيَحْتَفِلُوا بِعِيدِ الْمَظَالِّ. [١٧]وَإِنْ تَقَاعَسَتْ أَيَّةُ عَشِيرَةٍ مِنْ عَشَائِرِ أُمَمِ الأَرْضِ عَنِ الصُّعُودِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِتَسْجُدَ لِلْمَلِكِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ، يَمْتَنِعُ الْمَطَرُ عَنِ الْهُطُولِ عَلَى دِيَارِهِمْ. [١٨]وَإِنْ أَبَى أَهْلُ مِصْرَ الصُّعُودَ لِلاشْتِرَاكِ فِي الاحْتِفَالِ، يَحُلُّ بِهِمِ الْبَلَاءُ الَّذِي

Zechariah 14 — 1414 / ١٤١٤ — **زكريا ١٤**

يُعَاقِبُ بِهِ ٱلرَّبُّ ٱلْأُمَمَ ٱلَّتِي لَا تَجِيءُ لِلِاحْتِفَالِ بِعِيدِ ٱلْمَظَالِّ. [١٩] هَذَا هُوَ عِقَابُ مِصْرَ وَعِقَابُ سَائِرِ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّتِي تَأْبَى ٱلْمَجِيءَ لِلِاحْتِفَالِ بِعِيدِ ٱلْمَظَالِّ.

[٢٠] وَيُنْقَشُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ عَلَى أَجْرَاسِ ٱلْخَيْلِ: «قُدْسٌ لِلرَّبِّ». وَتَكُونُ ٱلْقُدُورُ فِي ٱلْهَيْكَلِ مُقَدَّسَةً كَٱلْمَنَاضِحِ ٱلَّتِي أَمَامَ ٱلْمَذْبَحِ. [٢١] بَلْ تَكُونُ كُلُّ قِدْرٍ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي يَهُوذَا مُقَدَّساً لِلرَّبِّ ٱلْقَدِيرِ، فَيُصْبِحُ فِي وُسْعِ ٱلْمُقَرِّبِينَ أَنْ يَأْتُوا وَيَسْتَخْدِمُوا مَا يَشَاؤُونَ مِنْهَا، لِيَطْبُخُوا فِيهَا لَحْمَ ٱلذَّبِيحَةِ. وَلَا يَبْقَى فِي هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ ٱلْقَدِيرِ تُجَّارٌ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ.

Feast of Tabernacles. [19]This will be the punishment of Egypt and the punishment of all the nations that do not go up to celebrate the Feast of Tabernacles.

[20]On that day HOLY TO THE LORD will be inscribed on the bells of the horses, and the cooking pots in the LORD's house will be like the sacred bowls in front of the altar. [21]Every pot in Jerusalem and Judah will be holy to the LORD Almighty, and all who come to sacrifice will take some of the pots and cook in them. And on that day there will no longer be a Canaanite in the house of the LORD Almighty.

وواضح من هذا العرض المسهب الذي لم يذكر شيئاً ذا بال عن عبد الله ونبيه زكريا ﷺ أنه مختلف عن عرض القرآن الكريم لذكر هذا النبي الصالح. وبالإضافة إلى ما رافق ذلك من إغراق في الخرافات الموضوعة، فإن ينفي تماماً الادعاء الباطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم».

73 ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: 89].

تشير الآثار إلى أنَّ عبد الله ونبيه زكريا (Zechariah) = (Zacharias) كان قد بُعث في الفترة التي سبقت ميلاد السيد المسيح مباشرة، وكلاهما ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود ﷺ. وكانت بعثة زكريا ﷺ في زمن كان الدين قد ضاع، وكثرت المعاصي في بني إسرائيل، واستُحلّت المحرّمات، وفشت المنكرات، وسادت المظالم، وفسدت المجتمعات فساداً كبيراً، فبعث الله ـ تعالى ـ عبده زكريّا نبيًّا إلى قومه يَرُدّهم إلى الدين الصحيح، ويدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده، وإلى الالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه.

وكان زكريّا ﷺ نجّاراً كما أخرج كلّ من الإمامين أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. ولما بلغ زكريّا سنّ الزواج تزوّج من شقيقة زوجة عمران، الذي كان من علماء زمانه. وعندما بُعث زكريّا بدأ في دعوة قومه إلى دين الله (الإسلام)، فلم يستجب له من قومه إلَّا القليل، وظلَّ كذلك حتى بلغ من الكِبر عتيًّا.

وكان كلّ من النَّبيّ زكريّا ﷺ وعديله العالم الجليل عمران قد حرم الولد، فتمنَّى كلّ منهما (كما تمنَّت زوجتاهما) على الله ـ تعالى ـ أن يرزق كل زوجين منهما الذريّة الصالحة، وألحُّوا على الله الوهاب بذلك حتى استجاب لدعائهم.

وكان أكثر الأُختين (زوجتا كلّ من زكريّا وعمران) إلحاحاً على الله بالدعاء بالذريّة هي زوجة عمران فحملت أولاً، ونذرت ما في بطنها محرراً للَّه ـ تعالى ـ (أي: تهبه خادماً للمسجد الأقصى، يعمره ويقوم على إصلاحه ويتفرّغ للعبادة فيه). ولكن لمّا جاءت ساعة الوضع فوجئت زوجة عمران بأنَّ المولود أنثى، وعلى الرّغم من إقرارها بأنَّ الأنثى ليست كالذكر، إلَّا أنّها قرّرت أن تفي بنذرها للَّه،

ودعت الله ـ تعالى ـ أن يحفظ هذه الفتاة التي سمّتها «مريم»، ويحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم. واستجاب الله ﷻ لدعائها فتقبّل منها تلك المولودة بقبول حسن. وشاءت إرادته ـ تعالى ـ أن يُطهّر هذه المولودة المباركة، وأن يصطفيها على نساء العالمين، وأن يجعل منها أُمًّا لنبيّ يجيء ميلاده بمعجزة لا تقل عن معجزة خلق آدم من تراب (بلا أب ولا أم) فيجيء ميلاد عيسى ابن مريم ﷺ دون أن يمسسها بشر (من أُمّ بلا أب) وهي البتول، الطاهرة، العابدة، العفيفة.

وكان العَالِم الربّاني «عمران» قد توفّاه الله ـ تعالى ـ قبل ولادة ابنته «مريم»، واختلف شيوخ القوم وعلماؤه على مَن يكفل مريم، واقترعوا على ذلك مراراً حتى فاز بهذا الشرف زوج خالتها عبد الله ونبيّه زكريّا ﷺ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[آل عمران: 35 ـ 44].

وخشي زكريا عليه السلام على قومه من ضياع الدين، وخراب الذمم، وتحلل المجتمع من جميع القيم، ولم يكن له ولد يخلفه فيهم، فدعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً يحسن القيام على وراثة خط النبوّة، وبالمحافظة عليه، والمتابعة لدعوة أبيه من بعده، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾﴾ [مريم: 1 ـ 6].

فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعاء عبده زكريا، وبشّره بغلام اسمه **(يحيى)** لم يَتَسمَّ باسمه أحد من قبل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 7 ـ 11].

ويقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: 89، 90].

ويمتدح ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ سلسلة الأنبياء التي جاء منها كلّ من عبده زكريّا وولده يحيى عليهما السلام فيقول:

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 90].

وقد أمر الله ـ تعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن ينقل للمسلمين من حوله، ولجميع المؤمنين برسالته من بعده قصة عبد الله ونبيه زكريا، وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر، وكانت امرأته عاقراً، وذلك حتى لا ييأس أحد من رحمة الله وفضله. **والآية بها وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي، كما أن فيها إعجازاً عقائدياً مفاده أن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير وهذه الأوجه الإعجازية لم يرد عنها شيء في أي من «العهدين القديم أو الجديد»**، مما يؤكد لكل ذي بصيرة أنّ القرآن الكريم هو كلام الله، في صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، وأن الرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي ومعلماً من قِبل خالق السماوات والأرض. كما يؤكد ذلك كذب الفرية التي تدعي نقل القصص القرآني عن العهدين القديم والجديد.

رابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصَّة عبد الله ونبيّه الشهيد ابن الشهيد يحيى بن زكريّا عليهما السلام

أولاً: ذكر عبد الله ونبيه يحيى بن زكريا في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيّه يحيى بن زكريا في القرآن الكريم خمس مرّات في أربع مواضع من هذا الكتاب العزيز على النَّحو التالي:

1 ـ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 38 ـ 41].

2 ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 ـ 86].

3 ـ ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا

﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: 1 ـ 15].

4 ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: 89، 90].

والنبي يحيى هو ابن عبد الله ونبيّه زكريّا عليه السلام، وكلاهما استشهد في سبيل الله، ودفاعاً عن شرعه الحنيف. ويحيى هو كذلك ابن خالة عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم ـ عليهما من الله السَّلام ـ وكان قد وُلد بمعجزة، بعد أن كان أبواه قد بلغا من الكِبر عتيًّا.

ولقد مات يحيى عليه السلام مقتولاً، قتله فساق اليهود، وهو النَّبي الصالح، الزَّاهد في الدنيا، العابد الناسك، النائح الباكي على فساد بني إسرائيل. وكان الله ـ تعالى ـ قد بعثه لهدايتهم، فرفضوه واتَّهموه بأنَّ به مسًّا من الشياطين، حتى قتلوه ظلماً وعدواناً لرفضه حكماً أرادوه يخالف شرع الله، وأرادوا فتواه فيه بما يرضي أهواءهم، فلم يوافقهم على طلبهم فقطعوا رأسه.

ثانياً: يحيى بن زكريا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

امتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونبيّه يحيى بن زكريّا عليه السلام بقوله الشريف: «**إنَّ الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بني**

إسرائيل أن يعملوا بهنّ؛ وكاد أن يبطئ فقال له عيسى ﷺ: إنّك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإمّا أن تبلغهنّ وإمّا أن أبلغهنّ!! فقال: يا أخي إنّي أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي؛ قال: فجمع يحيى بني إسرائيل وقال: إنّ الله ﷻ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنّ، وآمركم أن تعملوا بهنّ، وأوّلهنّ أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً فإنّ مثل ذلك مَن اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيّكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وأنّ الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً؛ وآمركم بالصّلاة فإنّ الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت، فإذا صلّيتم فلا تلتفتوا؛ وآمركم بالصيام فإنّ مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة من مسك في عصابة كلّهم يجد ريح المسك، وإن خوالف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ وآمركم بالصدقة فإنّ مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه، وقدّموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكّ نفسه؛ وآمركم بذكر الله ﷻ كثيراً فإنّ مثل ذلك كمثل رجل طلبوه وسارعوا في أثره، فأتى حصناً حصيناً فتحصّن فيه، وإنّ العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله ﷻ». وأضاف رسول الله ﷺ قائلاً: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهنّ: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنّ من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلّا أن يرجع، ومَن دعا بدعوى الجاهليّة فهو من حثا جهنّم. قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: «وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم، ادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سماهم الله ﷻ: المسلمين المؤمنين عباد الله ﷻ»[1].

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال، حديث رقم (2863)، والإمام أحمد حديث رقم (17833).

ثالثاً: تحليل وصف القرآن الكريم لعبد الله ونبيه يحيى بن زكريا:

جاء ذكر النبيّ الصالح يحيى بن زكريّا عليهما السلام في خمس من آيات القرآن الكريم يمكن تصنيفها على النَّحو التالي:

(أ) منها ما جاء يبشر بميلاده [آل عمران: 38، 39؛ مريم: 7؛ الأنبياء: 89، 90].

(ب) ومنها ما وضعه ضمن كوكبة الأنبياء [الأنعام: 83 ـ 90].

(ج) ومنها ما يؤكِّد منزلة عبد الله ونبيه يحيى الذي فقّهه الله في الدين، وعلّمه التأويل، وفهّمه أحكام ربّ العالمين وهو في طور الصبا، وأمره بأن يعمل بما جاء في «التوراة» بجد وعزم، وطَبَعه على سمو النفس، وعلى تقوى الله ـ تعالى ـ في السرِّ والعَلن، وعلى تزكية النَّفس، وعلى الرفق والحنان بالمخلوقين، والعطف عليهم، كما جعله كثير البرّ بوالديه، والإحسان إليهما، ولم يجعله مُتجبّراً على الخلق ولا عاصياً للخالق في شيء، ولذلك جعل الله ـ تعالى ـ له سلاماً وأمناً وحفظاً من الأذى لحظة ولادته، ويوم وفاته، ويوم بعثه حيًّا [مريم: 13 ـ 15].

ويقول المصطفى ﷺ عن العبد الصالح، والفتى العابد يحيى بن زكريّا عليهما السلام ما يرويه عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بالنَّص التالي: «**ما من أحد يلقى الله عز وجل إلَّا قد همَّ بخطيئة أو عملها إلَّا يحيى بن زكريّا فإنَّه لم يهمّ ولم يعمل**»[1].

وقال ﷺ: «**من هَوانِ الدنيا على الله أنَّ يحيى بن زكريّا قتلته امرأة**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذّبه عليه إن شاء أو يرحمه إلَّا يحيى بن زكريّا فإنَّه كان سيّداً**

---

(1) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (4/ 207).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 327، رقم 10474) وإسناده ضعيف.

وحصوراً ونبيًّا من الصالحين، ثم أومأ النَّبيّ ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: وكان ذكره مثل هذه القذاة»[1].

وتعددت الرّوايات عن استشهاد يحيى بن زكريّا، ولكن الثابت أنَّه قُتِل دفاعاً عن شرع الله وما يدعو إليه من التزام بمكارم الأخلاق.

وعن رسول الله ﷺ أنَّه خرج على أصحابه يوماً فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء: قال قائل: موسى كليم الله، وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته، وقال قائل: إبراهيم خليل الله، ومضى الصحابة يتحدَّثون عن الأنبياء، فتدخّل الرَّسول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ حين رآهم لا يذكرون يحيى قائلاً: «**أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر، ويأكل الشجر مخافة الذنب، أين يحيى بن زكريّا**»[2].

رابعاً: يحيى بن زكريا في العهد الجديد:

جاءت سيرة عبد الله ونبيّه يحيى بن زكريّا في عدد من كتب «العهد الجديد» من أمثال أناجيل كل من «متى»، و«مرقص»، و«يوحنَّا». ويقال أنَّ إشارات إليه قد جاءت في سفر «إشعيا» دون ذكر اسمه.

وفي إنجيل متى «14/ 1 ـ 12» جاء أنَّ «هيرودس أنتيباس» (Herod Antipas 4 B.C-39 CE). كان أحد أربعة حكَّام رومان على أرض فلسطين في ذلك الوقت، وكان قد أراد الزواج بابنة أخيه، وكانت بارعة الجمال. وكانت البنت وأمها تريدان إتمام ذلك الزواج، طمعاً في السلطة، واستفتيا عبد الله ونبيّه يحيى بن زكريا (يحيى المعمدان John the Baptist) فلم يقرهما على ذلك الزواج لحرمته في الشريعة اليهوديّة، فحبسه هيرودس، وأراد قتله، ولكنه خشي من غضب الناس، فبقي النبي الصابر يحيى بن زكريا بالسجن لفترة من الزمن. وفي يوم عيد ميلاد هيرودس، رقصت ابنة أخيه، وأدخلت السرور على قلبه حتى أقسم أن يجيبها إلى جميع

---

(1) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم (1123).
(2) أخرجه ابن عساكر (64/ 190).

طلباتها. وعلى الفور طلبت البنت أن يقدّم لها هيرودس رأس يوحنَّا المعمدان في طبق كما لقَّنتها أُمّها بذلك، فأجابها عمّها إلى طلبها، وأمر بقطع رأس عبد الله ونبيّه يحيى بن زكريّا وهو في السجن، ثم إحضار رأسه وتقديمه لابنة أخيه في طبق كما طلبت. وقامت الابنة بدورها بتقديم رأس النبي الشهيد يحيى بن زكريا إلى أُمّها. وجاء تلامذة يحيى وأخذوا جسده من السجن لدفنه، وأخبروا ابن خالته المسيح عيسى ابن مريم بذلك فحزن عليه حزناً شديداً. واليهود ـ في انحرافهم عن منهج الله ـ أباحت طائفة منهم تعرف باسم «الربانيين» (The Rabbinists) الزواج بكل من بنت الأخ وبنت الأخت، في الوقت الذي أبقى «القراءون» على تحريم ذلك السلوك الشائن.

خامساً: من الدروس المستفادة من الإشارات القرآنية الكريمة إلى بعض الأحداث في سيرة عبد الله ونبيه يحيى بن زكريّا عليه السلام:

1 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هنا كان التَّقرب إلى الله بالدّعاء هو مفتاح كل خير.

2 ـ إنَّ الاستقامة على أوامر الله هي طوق النجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

3 ـ إنَّ الهدف من عبادة الله جل جلاله هو تربية النَّفس الإنسانيّة وإشعارها بمراقبة الله، وتأكيد كل من حقيقة عبودية العبد للّه الخالق البارئ المصوّر، وحقيقة أُلوهيّة الله وربوبيَّته ووحدانيَّته المطلقة فوق جميع خلقه في قلب وعقل الإنسان العابد. وهذا من أعظم وسائل التربية للإنسان، ومن أيسر العوامل الفاعلة في ضبط سلوكه وسط معركة صراعه مع الشيطان، ووسط التضارب بين أهل الحقّ وأهل الباطل على طول الزمان.

4 ـ إنَّ تقوى الله وحسن الخلق والعمل الدؤوب على تزكية النَّفس، وحبّ الخلق، والعطف عليهم هي من أعظم القربات إلى الله ـ تعالى ـ ومن مفاتيح القلوب عند المخلوقين.

5 ـ إنَّ الثبات على الحقّ والتمسّك به والاستعداد للتَّضحية من أجله هو من منازل الشهادة في سبيل الله. فقد أُهْدِرَ دم عبد الله ونبيه يحيى بن زكريا ﷺ بسبب كلمة حقّ قالها في بلاط حاكم فاجر، فاسق ظالم، يقال أنَّ اسمه كان «هيرود» أو «هيرودوس» (Herod Antipas). وقد بقي ذلك الموقف النبيل من عبد الله ونبيه يحيى بن زكريّا مثلاً يحتذى لأهل العلم والدين والالتزام على مرِّ الزمان.

6 ـ إنَّ إنجاب طفل من أبوين طاعنين في السنّ، يائسين من إمكانيّة النسل، يفتح الباب واسعاً أمام إمكانيّة علاج أمثال تلك الحالات. مع تسليمنا بأن العمليّة في حالة يحيى بن زكريا قد تمَّت بمعجزة خاصة، والمعجزات خوارق للسنن، ولا يقوى على إجرائها إلَّا ربُّ العالمين.

7 ـ إنَّ تدوين القرآن الكريم لسيرة هذا العبد الصالح والنَّبي الصالح يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله، خاصة وأن هذا التدوين القرآني يختلف عما جاء في «العهد الجديد» عن هذا النبي الصالح يحيى المعمدان والذي لخص «إنجيل متى» قصة قتله فيما يلي:

مقتل يوحنا المعمدان

١٤ في ذلك الوقت سمع هيرودس حاكم الربع بأخبار يسوع. ٢فقال لخدامه: «هذا هو يوحنا المعمدان، وقد قام من بين الأموات. ولذلك تجري على يديه المعجزات».
٣فإن هيرودس كان قد ألقى القبض على يوحنا وكبله بالقيود وأودعه السجن من أجل هيروديا زوجة فيلبس أخيه. ٤لأن يوحنا كان يقول له: «ليس حلالاً لك أن تتزوج بها». ٥ولما كان هيرودس يريد أن يقتل يوحنا، خاف من الشعب، لأنهم كانوا يعتبرون يوحنا نبياً. ٦وفي أثناء الاحتفال بذكرى ميلاد هيرودس، رقصت ابنة هيروديا في الوسط، فسرّت هيرودس. ٧فأقسم لها واعداً بأن يعطيها أي شيء تطلبه. ٨فبعد استشارة أمها، قالت: «أعطني هنا على طبق رأس يوحنا

John the Baptist

14 At that time Herod the tetrarch heard the reports about Jesus, [2]and he said to his attendants, "This is John the Baptist; he has risen from the dead! That is why miraculous powers are at work in him."
[3]Now Herod had arrested John and bound him and put him in prison because of Herodias, his brother Philip's wife, [4]for John had been saying to him: "It is not lawful for you to have her." [5]Herod wanted to kill John, but he was afraid of the people, because they considered him a prophet. [6]On Herod's birthday the daughter of Herodias danced for them and pleased Herod so much [7]that he promised with an oath to give her whatever she asked. [8]Prompted by her mother, she said, "Give me here on a platter the head of John the Baptist."

خامس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

بعد موت موسى عليه السلام انحرف بنو إسرائيل عن دعوته (الإسلام)، وابتدعوا في الدين، وتقوّلوا على رب العالمين، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. ومن أجل هدايتهم أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم سلسلة من أنبيائه فقاتلوهم وقتلوهم. وكان آخر المبعوثين إليهم خاصة هو المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه وعلى أمه من الله السلام ـ فلم يستجيبوا لدعوته، وناصبوه وأصحابه العداء.

بُعِثَ عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم بالإسلام العظيم، القائم على التوحيد الخالص للّه الخالق، وعلى عبادته ـ تعالى ـ بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وكان المسيح عليه السلام قد بُعث إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، فجاءهم مؤيداً بالإنجيل وبعدد من المعجزات الحسية الدالة على صدق نبوته فرفضته غالبيتهم، وتآمروا على قتله، وأساؤوا إليه وإلى والدته، وأثاروا حقد المحتلين الرومان عليه. وكان من ضمن وسائل تأليب الحاكم الروماني «بيلاطس» على المسيح عليه السلام الافتراء عليه بأنه يدعو نفسه ملكاً على أرض فلسطين، ويرفض دفع الجزية لقيصر الرومان، ويؤلب الشعب الفلسطيني من أجل المطالبة بالاستقلال عن الامبراطورية الرومانية. دفعت هذه الافتراءات الحاكم الروماني «بيلاطس» إلى إصدار أمر بالقبض على المسيح لتنفيذ حكم بالإعدام كان قد أصدره بحقه. وهرباً من هذا الحكم الجائر اختفى المسيح عليه السلام وأصحابه عن أعين جند «بيلاطس»، إلا أن أحد الذين كانوا مرافقين له خانه، ودل الجند الرومان على مكانه. وعندما ذهبوا لاعتقاله ألقى الله ـ تعالى ـ شبه عيسى على الذي خانه فتم تنفيذ صلبه، ونجى الله ﷻ عبده ورسوله عيسى برفعه إليه.

وفي غيبة المسيح ﷺ جاء أحد غلاة اليهود ـ وكان اسمه «شاؤول الطرسوسي» مدعياً أن السيد المسيح تراءى له في المنام معاتباً على اضطهاد أتباعه، وداعياً له باتباع دعوته، وآمراً له بنشر تعاليمه في الأمم، فصدقه الحواريون وقبلوه بينهم وتسمى باسم «بولس»، مدعياً بأنه رسول موفد من قبل عيسى ﷺ لهداية الأمم. في الفترة من (51 ـ 55م) بدأ الانحراف عن دعوة المسيح ﷺ في مؤتمر عقد في القدس تحت رئاسة **يعقوب بن يوسف النجار**، حيث أبيحت المسكرات، وأُحِلَّ أكل لحم الخنزير والتعامل بالربا، وكل ذلك كان محرماً في التوراة. ولكن بولس كان قد أعلن نسخ أحكام التوراة، واستعار من الفلسفة اليونانية كلاً من عقيدة التثليث، وفكرة الخطيئة والكفارة، والادعاء بالألوهية للسيد المسيح. وعلى الرغم من هيمنة «بولس» إلا أن المخلصين من أتباع المسيح ﷺ استمروا في مقاومة دعواه حتى تنصر **الإمبراطور قسطنطين الأول** في مطلع القرن الرابع الميلادي، حين أخذت رسالة المسيح ﷺ طابعاً رومانياً صرفاً بعيداً كل البعد عن دعوته الأساسيّة.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ﷺ بقدر هائل من الدقة المتناهية، بعد أن كانت كل من سيرته الشريفة، ودعوته الكريمة قد شابها الكثير من التحريف والتشويه. ويعتبر ذلك بحق وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، يشهد له بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

أولاً: عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم خمساً وثلاثين (35) مرّة بست صيغ مختلفة على النَّحو التالي:

1 ـ **المسيح** (3 مرَّات) [(في كل من (سورة «النساء»: 172)؛ («المائدة»: 72)؛ («التوبة»: 30)].

2 ـ **عيسى** (9 مرَّات) [«في كل من (سورة «البقرة»: 136)؛ («آل عمران»:

52، 55، 59، 84)؛ («النساء»: 163)؛ («الأنعام»: 85)؛ («الشورى»: 13)؛ («الزخرف»: 63)].

3 ـ **ابن مريم** (مرَّتان) [(«المؤمنون: 50)؛ («الزخرف»: 57)].

4 ـ **عيسى ابن مريم** (13 مرّة) («البقرة»: 87، 253)؛ («المائدة»: 46، 78، 110، 112، 114، 116)؛ «مريـم»: 34؛ «الأحزاب»: 7؛ «الحديد»: 27؛ و«الصف»: 6، 14).

5 ـ **المسيح ابن مريم** (5 مرّات) «المائدة»: 17 (مرّتان)، 72، 75؛ و«التوبة»: 31).

6 ـ **المسيح عيسى ابن مريم** (3 مرّات) في سورتي («آل عمران»: 45؛ و«النساء»: 157، 171).

وجاء ذكر أُمّه السيدة مريم البتول في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين (34) مرّة، منها عشر (10) مرَّات منفردة بذاتها (مريم)، وأربع وعشرين (24) مرّة مرتبطة باسم ابنها (ابن مريم).

وهذه الآيات القرآنيّة الكريمة تلخّص لنا جانباً من سيرة عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم وسيرة أُمّه في النقاط التالية:

1 ـ أنَّه قبل ميلاد عيسى عليه السلام كان المجتمع الإسرائيلي قد انحرف إلى الشرك باللَّه، وإلى الإغراق في الخطيئة، وتربى على الكذب والنفاق والرياء، وعلى الماديّة القاتلة، والمظالم المتبادلة، وعلى الرضوخ لهيمنة الكهنة والأحبار. وكان يعيش في القدس كل من عبد الله ونبيه زكريّا والعالم الورع عمران، وكانا من العلماء المجاهدين من أجل إصلاح فساد الإسرائيليين، وكانا متزوّجين من أُختين عاقرتين لم تنجبا، فألحّا على الله بالدّعاء أن يرزقهما الذريّة الصالحة، فاستجاب الله ـ تعالى ـ لدعائهما.

2 ـ ونتيجة للإخلاص في الدّعاء حملت زوجة عمران أوّلاً، ثم توفي عمران قبل أن يرى وليده، ونذرت زوجته ما في بطنها محرراً للَّه ـ تعالى ـ يخدم بيته (المسجد الأقصى)، ويقوم على سدانته طيلة حياته. ولكن حين جاء وقت وضعها فوجئت بأنَّ ما كان في بطنها أُنثى، سمَّتها «مريم»، وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّها قررت أن تفي بنذرها ودعت الله ـ تعالى ـ أن يعيذها وذريّتها من الشيطان الرجيم. فتقبَّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً؛ ونظراً لأنَّ مريم ولدت يتيمة الأب فقد كفلها زوج خالتها عبد الله ونبيّه زكريّا عليه السلام، وكان من الصالحين.

3 ـ كبرت «مريم» ابنة عمران في بيت خالتها وزوج خالتها النبي الصالح زكريا، واجتهدت في عبادة الله، ثم انتقلت إلى المسجد الأقصى حيث خصص لها زكريا مكاناً تقيم وتتعبَّد فيه. وكان زكريّا كلّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، ويسألها: من أين جاءها هذا الرزق؟ فتجيبه: «مريم» بأنَّه من عند الله الذي يرزق مَن يشاء بغير حساب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 33 ـ 37].

4 ـ في هذا الموقف الكريم الذي يؤكّد لكلّ ذي بصيرة أنَّ الله ـ تعالى ـ على كلِّ شيءٍ قدير، دعا زكريَّا ربّه في عزلة عن الناس، وسأله أن يهبه وليًّا يرث دعوته، ويستمرّ بها من بعده خاصّة وأن الذين كانوا يلونه في إدارة أمر بني إسرائيل كانوا قد فسدوا فساداً كبيراً، وأنه كان قد بلغ من الشيخوخة والضعف ما يمكن أن يحول بينه وبين تحقيق أمله، وأنَّ زوجته كانت عاقراً لم تنجب من قبل. ولكن ثقة هذا النبي الصالح زكريا في قدرة الله جعلته يلحّ في الدّعاء،

بضراعة، خاصَّة وأنَّ الله ـ تعالى ـ كان قد عوّده من قبل على استجابة دعائه وذلك لإخلاصه وتجرّده طيلة حياته، فما أحوجه إلى استجابة الدّعاء في شيخوخته، وضعف قوّته، ووحدته.

استجاب الله ـ القادر ـ لدعاء عبده ونبيّه زكريّا، ووعده بغلام «اسمه يحيى»، وكان اسماً غير مسبوق. ومع ثقته في طلاقة القدرة الإلٰهيّة بلا أدنى حدود إلّا أنَّ النبيّ الصالح زكريّا فاق إلى واقعه في شيخوخته وهرمه، وفي كون امرأته عاقراً لم تلد له من قبل، فطلب من الله ـ تعالى ـ أن يعطيه آية على تحقيق بشراه. أخبر الله ﷻ عبده زكريا أن آيته أن ينقطع عن دنيا النّاس، ويحيا مع الله ﷻ ثلاث ليال ينطلق فيها لسانه بالذكر والتسبيح والحمد والتمجيد للّه ـ تعالى ـ، وأن يحتبس عن الكلام إذا حاول مخاطبة أحد من الناس، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 38 ـ 41].

5 ـ أمَّا عن مريم العذراء البتول التي وهبتها أُمّها لخدمة وسدانة المسجد الأقصى، والتي تنحدر من بيت اشتهر بالعلم والصلاح، وبالطهر والعفاف، فقد اجتهدت في عبادة الله حتى نادتها الملائكة باصطفاء الله ـ تعالى ـ لها على نساء العالمين، وبتطهيره إيّاها. ثم فوجئت مريم في إحدى خلواتها التعبّديّة برجل يقطع عليها خلوتها مع ربّها، فتنتفض مستنجدة بتقواه للّه، ومستثيرة لمشاعر الرحمة في قلبه، ولكنه سرعان ما أخبرها هذا الزّائر المفاجئ بأنّه رسول من ربِّ العالمين ليهب لها غلاماً زكيًّا (أي: طاهراً غير مدنّس المولد ولا مدنّس السيرة). فتعجّبت مريم كيف يكون ذلك وهي عذراء لم يمسّها بشر؟ ولم تكن بغيًّا!؟ فأجابها الزائر المفاجىء بأنَّ ذلك أمر من الله ـ تعالى ـ الذي يقول للشيء كُن فيكون، وهو أمر

هيِّن على الله القادر على كلِّ شيءٍ، والذي أراد أن يجعل من هذا الوليد آية للناس، ورحمة للأُمَّة، التي سوف يبعث فيها. وأخبرها الملاك بأنَّ الله يبشِّرها بكلمة منه (**اسمه المسيح عيسى ابن مريم** وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين). وبالفعل تمَّ حمل مريم العذراء البتول، ووضعت غلاماً زكيًّا، ولم تدر ماذا تقول لأهلها، ولشياطين اليهود المتربِّصين بها، فتمنَّت لو أنَّ الموت قد طالها قبل هذا الابتلاء الشديد، والموقف الصعب الذي لم تكن تعرف كيف تواجهه. وفي غمرة هذه الحيرة فُوجئت بالوليد لتوه يناديها من تحتها، مطمئناً لها، ومرشداً إيَّاها إلى ما يناسبها في حالتها من طعام وشراب، ودالًّا لها على الحجّة التي تثبت براءتها وطهرها، وترد بها على أهلها وعشيرتها وعلى الأعداء من قومها.

6 ـ عادت **مريم البتول** إلى قومها تحمل وليدها، وتعرَّضت منهم لهجوم لاذع شديد، على ما تصوّروه هم من جريمة أخلاقيّة وسلوكيّة فظيعة مستنكرة، من فتاة عابدة زاهدة، وسليلة بيت من بيوت النبوَّة، اشتهر بالعلم والحكمة والصلاح. وللرد عليهم أشارت إلى رضيعها كما أعلمها، فتعجَّبوا من ذلك. ولكن هذا الرَّضيع فاجأهم وهو يتكلَّم في المهد كلاماً عجباً يصفه القرآن الكريم بالنصّ التالي الموجه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ

بغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: 16 ـ 33].

وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: 42 ـ 48].

7 ـ لم يكد هذا الطفل الرَّضيع أن ينتهي من كلامه وهو في المهد حتى كانت وجوه المتَّهمين لمريم الطاهرة البتول ممتقعة شاحبة مذهولة. وكان في مقدمة هؤلاء المتَّهِمين كهنة اليهود وأحبارهم، الذين كانوا قد حرَّفوا دينهم، وابتدعوا فيه ما لم ينزل به الله سلطاناً، وتظاهروا بالتدين والورع وهم أفسق الناس، وأخبثهم طوية. **فجاء هذا الرضيع الذي وُلد بغير أب، والذي كلَّمهم وهو في المهد، يشهد للَّه الخالق جل جلاله بالألوهيّة، ويشهد لنفسه بالعبوديّة لهذا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد.** وأخبرهم هذا الرضيع وهو في المهد بأنَّ الله ـ تعالى ـ قد آتاه الكتاب وجعله نبيًّا، وجعله مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزَّكاة ما دام حيًّا، كما أوصاه ببرِّ أُمِّه، وبالتواضع مع عشيرته، وبالرحمة مع خلق الله جميعاً، وأكَّد له أنَّ له حياة محدودة، ثم له من بعدها الموت ثم البعث، والحساب والجزاء، وقد قدّر الله ـ تعالى ـ له السَّلام والأمان والطمأنينة يوم وُلد، ويوم يموت، ويوم يُبعث حيّاً.

8 ـ ولم يكد هذا الرَّضيع المعجزة ينهي حديثه حتى اسودَّت وجوه كهنة وأحبار اليهود، لكشف زيفهم، وكذبهم على الله. وكان في ذلك المبرر الكافي لانهيار سلطتهم، وسقوط دعواهم العقديّة الفاسدة. وقد أسقطتها دعوة عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم الذي دعا إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده. ولمقاومة هذا التهديد المباشر، كذَّب كهنة وأحبار اليهود معجزة ميلاد عيسى وكلامه في المهد، واتَّهموا مريم العذراء البتول بالزّنا، وهي سيِّدة نساء أهل الأرض في زمانها، والتي اصطفاها الله وطهَّرها واصطفاها على نساء العالمين. وقد وقع هذا الإنكار من أحبار اليهود رغم أنَّهم قد استمعوا بآذانهم إلى تبرئة عيسى ابن مريم لأمه وهو في المهد، كما استمعوا إلى تأكيد عبوديَّته للَّه ـ تعالى ـ ونبوَّته، وحمله رسالة الله الواحد الأحد إلى قومه، وهي رسالة ممتدّة من جميع رسالات السماء السابقة إلى التوراة من جهة، ثم إلى القرآن الكريم من جهة أخرى، ومبشّرة بمقدم الرَّسول الخاتم: محمَّد بن عبد الله ﷺ، فاتهموه بالسحر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

9 ـ كبِر عيسى وبلغ مبلغ الشباب، وشاهد مقتل النبيّين الكريمين يحيى ثم أبوه زكريّا عليهما السلام بدون ذنب جناه أي منهما. شاهدهما يقتَلان ظلماً وعدواناً بيد السلطة الرومانيّة الحاكمة وسط الخراف الضالّة من بني إسرائيل وبإيعاز منهم. وكان هؤلاء الضالون من ذرية يعقوب قد فتنوا بالدنيا وماادياتها فتنة كبيرة، فعبدوا المال، واشتهوا الجاه والسلطان والسطوة على خلق الله. وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. فقد امتلأت قلوبهم بالقسوة والغلظة على كل مَن كان سواهم، كما طفحت نفوسهم بالجشع والطمع، والأنانيّة القاتلة والتعصّب العرقي الكاذب، وبالنفاق والرياء، والكذب على الخلق، وبالكراهيّة الشديدة لكلّ ما هو غير يهودي. كما امتلأت عقولهم بالخرافات والأساطير، وبالأكاذيب الموضوعة، التي خدعوا بها أنفسهم، وكان منها أنهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه، وأن غيرهم من البشر هم حيوانات خلقت في هيئة الآدميين حتى يكونوا لائقين بالقيام على خدمة اليهود.

وكان من أكاذيبهم إنكار الروح، وإنكار البعث والحساب والجزاء. وهي من الحقائق التي جاءت بها كل رسالات السماء. وجاءت دعوة عيسى ابن مريم، وجاء الإنجيل الذي أنزل إليه نقضاً لابتداعات اليهود التي أدخلوها على رسالة نبيِّهم موسى عليه السلام في ظلِّ ضياع التوراة. وكان في ابتداع حاخاماتهم، وتقوُّلهم كذباً على الله ـ تعالى ـ ما شوّه معتقداتهم تشويهاً كبيراً. وحاول عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام ردَّهم إلى الدِّين الصحيح فاتَّهموه بالسحر والدجل، وبخرق شريعة موسى، وحرضوا عليه الطَّغْمة المحتلة من الرومان بدعوى أنَّه يدبّر مؤامرة ضدَّهم، فتركوا اليهود يحاولون قتله وصلبه ولكن الله ـ تعالى ـ رفعه إليه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: 155 ـ 159].

ثانيا: الاختلافات على طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام:

بعد رفعه إلى الله ـ تعالى ـ اختلف أتباع المسيح على طبيعته، نتيجة لدسّ اليهود، وظلَّت اختلافاتهم كامنة في زمن الاضطهاد الروماني والذي انتهى بتنصّر الإمبراطور الوثني قسطنطين الأول (Constantine I) (280 ـ 337م) ابن قسطنتيوس كلورس الأول (Constance) من خليلته هيلانة. وبعد تنصّره فوجئ قسطنطين الأول بالاختلافات الشديدة بين مختلف الكنائس فدعا إلى أوَّل مؤتمر للمسيحيين عقد في مدينة نيقية سنة 325م، واجتمع له أكثر من ألفين من البطارقة والأساقفة. وكان هؤلاء على مذاهب متفرّقة، فكان منهم مَن نادى ببشريّة المسيح، وباستنكار فكرة التثليث، وبالدّعوة إلى توحيد الله ـ تعالى ـ. وكان من أبرز هؤلاء الموحدين القس (**آريوس** = Arius) الذي تبعته كنيسة أسيوط ورئيسها (ميليتوس)، وأيَّده في ذلك

العديد من الحضور مثل (**أوسابيوس**) بطريرك القسطنطينيّة والعديد من أساقفتها، وبطارقة وأساقفة كل من أنطاكية، وبابل، ومقدونية، وفلسطين، ووافقه على ذلك أكثر من ثلث عدد الحضور. وحازت الآريوسية على أعلى نسبة حازتها نحلة من النحل التي عرضت على المؤتمرين في مؤتمر نيقية. وقد انحاز الإمبراطور الروماني **قسطنتيوس الثاني (317 ـ 361م)** إلى الآريوسية، وأرسل منهم وفداً إلى جنوبي الجزيرة العربية حيث أنشأوا كنائس موحِّدة في كل من عدن وأرض حِمْير سنة 356م.

وفي مؤتمر نيقية عارض التوحيد نفر من الحضور كان على رأسهم (بطرس) بطريرك الإسكندريّة، ونادى بالتثليث وبادّعاء الأُلوهيّة أو نصف الأُلوهيّة للسيد المسيح. وعلى الرَّغم من أنَّ هذا الرأي لم ينل سوى (318) صوتاً من مجموع الـ 2048 صوتاً للحضور (أي في حدود 15% فقط من أصوات الحضور) إلَّا أنَّ قسطنطين بخلفيّته الوثنيّة مال إلى التثليث، **وأقرّ مجمع نيقيّة الأناجيل الأربعة المتداولة بأيدي نصارى اليوم (متى، لوقا، بطرس، يوحنَّا) من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً عرضت على المؤتمرين**، واعتبر قسطنطين باقي الأناجيل من أعمال التحريف، وأمر بحرقها.

ولم يتم هذا الاختيار وفق منهج محدّد، على أساسه تمَّ قبول ما تمَّ قبوله، ورفض ما تمَّ رفضه، وإنَّما كان الحاكم الوحيد في ذلك هو ما ظنَّه رعاة المجمع هو عدم معارضة ما كانوا قد تبنوه مسبقاً من عقائد. **لذلك حسمت قوّة سيف الرومان وبطشهم الخلاف الذي احتدم في مؤتمر نيقية لصالح من ذهب إلى الادعاء الباطل بأُلوهيّة المسيح عيسى ابن مريم، انطلاقاً من سيادة الفكر الوثني في كل من الحضارتين اليونانيّة والرومانيّة.**

وهكذا قضت سلطة الرومان الغاشمة على جميع الذين كانوا مخالفين لهم وخاصة الموحدين منهم لجلال ﷲ. وظل الرومان يطاردون الموحدين، ويعاقبونهم بالملاحقة والتشريد حتى اضمحلَّ التوحيد بين أتباع المسيح، على الرّغم من

مقاومة العديد من فرق النصارى القديمة لفكرة التثليث، وحكمهم على الكتب التي أُقِرَّت في مؤتمر نيقية بالتحريف والتزوير، وكان من بين هذه الفرق ما يلي:

(أ) **الفرقة الإبيونيّة (The Ebonite Sect)**: وهي فرقة يهودية/ مسيحية قديمة ظهرت في القرن الميلادي الأوَّل، وعاصرت «بولس» (أو شاؤول الطرسوسي) اليهودي الذي لم يقابل المسيح أبداً، والذي اندسَّ بين أتباعه من بعد رفعه بهدف إفساد عقائدهم، فأنكر عليه «الأبيونيون» كل دعاواه إنكاراً شديداً، وعدوه مرتداً عن تعاليم المسيح. ونادوا بأن المسيح عليه السلام هو مجرد إنسان مختار، أعطاه الله ـ تعالى ـ النبوة، وآمنوا بنبوته وعبوديته للَّه ـ تعالى ـ كما آمنوا بضرورة تطبيق الشريعة الموسوية على أتباع المسيح.

(ب) **الفرقة المارسيونيّة: وهي من فرق النصارى القديمة كذلك، وكانت تنكر جميع كتب «العهد القديم»، وتعتبرها كتابات بشريّة محضة. وبالمثل أنكرت غالبية «كتب العهد الجديد».**

(ج) **فرقة ماني كيز**: وكان من زعامات هذه الفرقة كل من القس «فاستس» والقس «إكستاين»، وكلاهما عاش في القرن الرابع الميلادي. وفي تفسيره «للعهدين القديم والجديد» نقل **لاردنر** عن «**إكستاين**» قول «**فاستس**»: «**أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في «العهد الجديد» آباؤكم وأجدادكم بالمكر، فغيبوا صورته الحسنة وأفضليّته، لأنَّ هذا الأمر محقق. إنَّ هذا العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنّفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين وإلى رفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانّين أنَّه غير واقف على الحالات التي كتبها**. وقد آذى ذلك الكاتب المجهول جميع المريدين للمسيح عيسى ابن مريم إيذاءً بليغاً بأن ألَّف الكتب المليئة بالأخطاء والتناقضات».

والطعن في مصداقيّة الأناجيل الأربعة المتداولة بين مسيحيي اليوم لم يقتصر على فرق عدتها الكنائس شاذّة ومبتدعة، واتهمتها بالهرطقة، بل إنَّه تجاوز ذلك

ليشكل قناعات لدى أعداد كبيرة من المؤرّخين للمسيحيّة، والمفسّرين «للعهدين القديم والجديد» وذلك من أمثال (**القس آدم كلارك**) الذي كتب في تفسيره للعهدين القديم والجديد ما ترجمته: «**إنَّ أغلب البيانات التي كتبها المؤرخون عن المسيح عيسى ابن مريم هي غير صحيحة، لأنَّهم كتبوا الأشياء التي لم تقع بأنَّها وقعت يقيناً، وأخطأوا في الحالات الأُخر عمداً وسهواً. وهذا الأمر محقق بأنَّ الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في القرون المسيحيّة الأولى، وبلغت هذه الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً.** وكان (**فاريسيوس**) قد جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلّدات». وأضاف قائلاً: «**كانت هناك ترجمات كثيرة باللّغة اللاتينيّة من مترجمين مختلفين موجودة قبل ترجمة ـ (چيروم)، وكان بعضها غاية في التحريف، وبعض مواضيعها مناقضة للمواضيع الأخرى، كما صرّح به (چيروم)**».

وكان من هؤلاء القس «**لاردنر**» الذي ذكر في تفسيره «للعهدين القديم والجديد» ما ترجمته: «لقد حكم على الأناجيل بسبب جهالة مصنفيها بأنَّها ليست حسنة وذلك بأمر الملك (أناسطيثوس) الذي حكم في الفترة ما بين (491 ـ 518م) فصححت مرة أخرى. فلو كان للأناجيل أصل ثابت في عهد ذلك الملك، ما أمر بتصحيحها، ولكن لأنَّ مصنفيها كانوا مجهولين أمر بتصحيحها، والمصحّحون إنَّما صحّحوا الأغلاط والتناقضات على قدر الإمكان، **فثبت التحريف فيها يقيناً من جميع الوجوه، وثبت أنَّها فاقدة الإسناد**».

وكان من هؤلاء القس «**واتسون**» الذي كتب ما ترجمته: «إنَّ (**أوريجن) كان يشكو من الاختلافات في نصوص «العهدين القديم والجديد»، وكان ينسب ذلك إلى أسباب متعدّدة، مثل غفلة الكاتبين وعدم مبالاتهم، ولمَّا أراد (چيروم) ترجمة (العهد الجديد) قابل النسخ التي كانت عنده فوجد بينها اختلافاً عظيماً**». وقد اعترف «چيروم» بذلك في مقدمته لتلك الترجمة التي تضمنت خطاباً إلى البابا بهذا المعنى.

ومسألة تحريف «العهدين القديم والجديد» خاض فيها كثير من المفكّرين الأجانب من أمثال الفيلسوف والشاعر الفرنسي **ڤولتير (Voltaire)**، ونظيره الفرنسي البارون **هولباخ (Holbach, 1723-1789)**، ومن قدامى القساوسة **(جان ميلييه)**، و**(ثيرو، 1765م)** **وإرنست رينان (Ernest Renan)** (1823 ـ 1892م)، **وشتراوس (David Fredrich Strauss 1808-1874)** وهو كنسي ألماني قام بشرح «العهدين القديم والجديد» ورأى أن الأناجيل هي مجرد مواعظ، وليس لعناصرها الروائية سوى دور رمزي فقط. وكان من الذين تكلموا عن تحريف «العهدين القديم والجديد» الكاهن الفرنسي **ألفرد لوازي (Alfred Loisy, 1857-1940)** أستاذ تاريخ الديانات في المعهد الفرنسي الذي أحدثت مؤلفاته في نقد «العهدين القديم والجديد» صدًى بعيداً فحرمته الكنيسة الكاثوليكية في سنة (1908م) من الانتماء للمسيحية؛ وغير هؤلاء كثيرون جداً.

وفي ظلّ الاحتلال الروماني الوثني لأرض فلسطين عانى أتباع المسيح عليه السلام الاضطهاد والنفي والتشريد، حتى اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول الديانة المسيحيّة في بدايات القرن الرابع الميلادي إرضاءً لوالدته التي كانت قد سبقته إلى المسيحيّة ودانت بها، فأصبحت المسيحيّة بذاتها أداة للاضطهاد والقتل والتشريد، بعد أن كانت مطاردة ومضطهدة.

ومع كثرة الاختلافات بين الزعامات المسيحيّة انقسمت هذه الملّة الواحدة إلى العديد من الملل والنحل المتعارضة والمتصارعة والتي منها ما يلي:

1 ـ **المسيحيّة الأرثوذوكسيّة أو اليعقوبيّة (Orthodoxism or Jacobism)**: واليعاقبة (Jacobites) هم أتباع يعقوب البرادعي (Jacobus Baradocus) أسقف الرها (Edessa) (541-578 C.E.) وهم **السريان الأرثوذكس**. ويعقوب البرادعي هذا كان راهباً في كنيسة القسطنطينيّة، ونادى بالطبيعة المزدوجة للمسيح، وانتشر مذهبه في كل من مصر، والنوبة، والحبشة. وهذا المذهب كان

أيوتيكس (Eutyches) قد سبق بالدعوة إليه فيما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين (c.378-454 C.E.).

2 ـ **المسيحيّة النسطوريّة (Nestorism = Nestorianism)**: والنساطرة (Nestorians) هم **الآشوريون** أتباع نسطور (Nestor 380-451 C.E.) بطريرك القسطنطينيّة (428-431 C.E.) الذي قال بأقنومين في المسيح ﷺ، أي أن له شخصيتان متمايزتان عن بعضهما بعضاً: إحداهما بشرية، والأخرى إلٰهية، ومن ثم أنكر على مريم لقب (أُم الإلٰه) فحرمه مجمع أفسس (Ephesus) سنة (431 C.E.) ثم مجمع **خلقدونية** (Calcedon, 451). وانتشر فكره في كلّ من شمال العراق وإيران. والآشوريون سكنوا كلًّا من الموصل وأرمينيا، ثم انضم قسم منهم إلى الكنيسة الكاثوليكيّة في القرن السادس عشر الميلادي، وهم **الكلدان** الذين تشتتوا بعد حرب سنة (1914 C.E.).

3 ـ **المسيحيّة الكاثوليكيّة (Catholicism) أو الملكيّة (Royalism) أو الملكيونيّة (Malakanianism = Malakanism)**: وهم أتباع (ملكيون) مؤسس مدرسة المسيحيّة في أنطاكية. وقد انتشر فكره في كلّ من بلاد الشام، وشمال إفريقيا، وصقلية، وبلاد الأندلس. وإن كانت لفظة الكاثوليكيّة تشير إلى العالميّة إلّا أنَّ الانفصال الذي تمّ بين الكنيستين الشرقيّة والغربيّة قد أدى إلى انحسار الكاثوليكيّة في كل من عدد الكنائس التي بقيت خاضعة للهيمنة الرومانيّة (**الكاثوليكيّة الرومانيّة أو اللاتينيّة (The Roman Catholic or the Latin Church)** والكنائس الأنجليكانيّة (The Anglican Church or the Church of England).

4 ـ **المسيحيّة البروتستانتية (Protestantism)**: وتشمل الكنائس الغربيّة التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي تحت تأثير كل من «لوثر» و«كلفن» ومن فروعها **اللوثرية والكلفينيّة والإنجيليّة**.

5 ـ **المسيحيّة الموحدة (The Unitarianism or the Unitarian Christianity)**: ويعرف أتباعها بوصف الموحدين (The Unitarians)، **وهي فرقة مسيحيّة نشأت في**

بولندة في القرن السادس عشر الميلادي على يد القس فوستوس سوسينوس (Faustus Socinus, 1539-1604 C.E.)، ولذلك عرفت باسم السوسينية (Socinianism) **ونادت بوحدانيّة الله ﷻ، وبأنَّ المسيح عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله، وبأنّه لا يمكن له أن يكون غير ذلك.** وهذه الطائفة ترفض القول بالتثليث، وتنكر الادّعاء بأُلوهيّة المسيح، كما ترفض فكرة الخطيئة والكفارة، وتختلف مع بقيّة الطوائف المسيحيّة في ذلك.

وفي القرن السابع عشر الميلادي تبنى عدد من الكتاب الإنجليز وـ كان منهم چون بيدل (John Biddle, 1615-1662 C.E.) ـ الاعتقاد بالبشريّة الكاملة للمسيح عليه السلام. وفي القرن الثامن عشر الميلادي أُقيمت أوَّل كنيسة للمسيحيّة الموحِّدة (The unitarian church) بمدينة لندن سنة (1774 C.E.). ثم انتقلت الحركة إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيّة، وكان من أشهر دعاتها وليام تشاننج (William Ellery Channing 1780-1842 C.E.). وواضح أنَّ هذه الحركة الموحِّدة هي محاولة لإحياء كلٍّ من الأريسيّة (الآريانيّة Arianism = Ariusism)، والسوسينيّة (Socinianism) ولكن تحت ضغط الكنائس المختلفة تحوَّلت هذه الحركة التصحيحيّة في القرن العشرين إلى شيء من المطالبة بحريّة التديّن، والدّعوة إلى شيء من القيم الأخلاقيّة كالحريّة والسلام أكثر منها دعوة إلى التوحيد الخالص للّه، واتّباع رسالة المسيح عليه السلام كما أنزلت دون تحريف.

وعن هذه الفرق المسيحيّة الخمس تفرّقت المسيحيّة إلى عدد كبير من الفرق التي منها ما يلي:

The Albigeoisism, Adventistism, Arianism, Ariusism, Biblicism, Calvinism, Chamanism,Christadelphianism. Congruism, Didascalianism, Donarism, Evangilism, Gnosticism, Homoiousianism, Hutterianism, Jehovanism, Jonnesism, Lutherianism, Macedonism, Mandaeanism, Maronism, Mennonism, Molinism, Mormonism, Pietism, Relagianism, Presbytarianism, Protestantism, Quietism, Sabellianism, Sophroniusism, Swedenborgianism, Unitarianism, Universalism, Zwinglianism, etc.

وفي العديد من آياته يفصل القرآن الكريم تحريف كل من اليهود والنصارى

لكتبهم، واختلافهم على طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ونختار من هذه الآيات قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: 79].

2 ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: 78].

3 ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: 13].

4 ـ ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: 171 ـ 174].

5 ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: 17].

6 ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[المائدة: 72 ـ 79].

7 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: 116 ـ 120].

8 ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

[الزخرف: 63 ـ 65].

ثالثاً: من المعجزات التي أيّد الله ـ تعالى ـ بها عبده ورسوله عيسى ابن مريم:

كان من المعجزات التي أعطاها الله ـ تعالى ـ لعبده ونبيّه عيسى ابن مريم شهادة له بالنبوّة وبالرسالة ما يلي:

1 ـ ميلاده من أم بلا أب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

2 ـ تأييده بروح القدس (وهو جبريل عليه السلام)، ونطقه ببيان دقيق وهو لم يزل في المهد.

3 ـ تعليمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل، بعد فقدان جميع الكتب السماويّة السابقة وفي مقدّمتها «التوراة» و«الزبور» التي كان غلاة اليهود قد قاموا بتحريفهما بعد ضياع أصولهما، كما كانوا قد أجروا العديد من الحذف والإضافة لما كان قد بقي عندهم من ذكريات عن هاتين الرسالتين.

4 ـ القدرات التي وهبه إيَّاها الله جل جلاله على إحياء الموتى بإذن الله، وعلى إبراء كلّ من الأكمه والأبرص بإذن الله، وعلى أن يصوّر من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.
(**والأكمه** هو الذي ولد أعمى؛ **والأبرص** هو المصاب بالبرص الذي يعرف بأنَّه مرض جلدي يصعب شفاؤه، يحدث في الجسم البشري قشراً أبيض ويسبّب للمريض حكًّا مؤلماً في جلده؛ **والأُنثى برصاء، والجمع، بُرص).**

5 ـ كَفُّ بني إسرائيل عنه، وكانوا قد اتَّهموه بالسحر والشعوذة، والدجل والتجديف، كراهية للحق الذي بُعِثَ به.

6 ـ الإخبار بالعديد من الأُمور الغائبة عن حسّه، والتي لم يسبق له معاينتها وذلك من مثل إخباره حوارييه بما أكلوا، وبما يدّخرون في بيوتهم.

7 ـ القدرة على إقناع الحواريين للإيمان به، والإسلام للّه ـ تعالى ـ على يديه، اقتناعاً بالحق الذي كان يدعو إليه.

8 ـ معجزة إنزال المائدة من السماء استجابة لدعائه، ووفاءً لطلب الحواريين ذلك منه.

9 ـ معجزة إنجائه من أعدائه برفعه من الأرض إلى السماء.

ويلخّص القرآن الكريم تلك المعجزات بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿110﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿111﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿112﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿113﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿114﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿115﴾﴾ [المائدة: 110 ـ 115].

رابعاً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لسيرة عبده ونبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام:

1 ـ الإيمان بطلاقة القدرة الإلٰهيّة التي لا تحدّها حدود.

2 ـ التسليم بالمعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ لعبده ونبيه عيسى ابن مريم، ولغيره من الأنبياء والمرسلين، انطلاقاً من التسليم بأنَّ قدرة الله ـ تعالى ـ لا تحدّها حدود، وأن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير.

3 ـ اليقين بوحدة رسالة السماء، وبالأُخوة بين الأنبياء، التي وضّحها المصطفى ﷺ بقوله الشريف: «**الأنبياء إخوة لعلّات، دينهم واحد وأُمّهاتهم**

شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فليس بيني وبينه نبيّ..»[1].

4 ـ التصديق بحقيقة الروح التي يهبها الله ـ تعالى ـ لكلّ فرد من بني آدم كما وهبها لعبده عيسى، وهو جنين في بطن أمه.

5 ـ الإيمان بحتميّة البعث بعد الموت، وبالحساب والجزاء.

6 ـ التسليم بأنَّ كلًّا من الماضي والحاضر والمستقبل هو عند الله ـ تعالى ـ حاضر، وذلك لأنَّ الله ﷻ هو خالق كلّ من الزمان والمكان، وخالق كلّ شيء. من هنا أخبر ﷻ في القرآن الكريم عن حوار بينه وبين عبده ونبيّه عيسى عليه السلام في الآخرة، والآخرة لم تأت بعد. كما يشير ذلك الحوار إلى شمول علم الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، **فأنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة حقيقة اختلاف الناس حول طبيعة عيسى ابن مريم، وموقفه هو** عليه السلام من ذلك الخلاف.

7 ـ اليقين بأنَّ الوفاة على ثلاثة أوجه: وفاة حين النوم (وهي **الوفاة الصغرى**)، ووفاة حين الموت (وهي **الوفاة الكبرى**)، ووفاة عند الرفع إلى السماء (وهي **وفاة التكريم**).

هذا، وقد جاء ذكر عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام خمساً وثلاثين (35) مرَّة في القرآن الكريم، كما سبق وأن أشرنا. وجاء ذكر أُمّه البتول مريم ابنة عمران أربعاً وثلاثين (34) مرَّة، منها عشر (10) مرَّات مقصودة بذاتها (مريم)، وأربع وعشرون (24) مرّة مرتبط اسمها باسم ابنها (ابن مريم). **وكل آية من هذه الآيات تعتبر معجزة إنبائيّة وتاريخيّة بذاتها، ولكن يكفي في هذا المقام اختيار آيتين من سيرة هذا العبد الصالح والنَّبي الصالح، واختيار حادثتين تاريخيَّتين كبيرتين وقعتا في زمانه، وذلك في الأسطر القليلة القادمة.**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3443)، ومسلم في كتاب الفضائل، حديث رقم (6085).

76 ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

يؤكّد ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه أن كلًّا من أبينا آدم ونبيّنا عيسى ابن مريم عليهما السلام قد تمّ خلقه من **تراب الأرض**؛ والتراب إذا أصابه الماء صار **طيناً**، والطين إذا انتزعت منه خلاصة محددة صارت **سلالة من طين**. وهذه السلالة من الطين إذا تركت لتتخمر تصبح لاصقة ببعضها أو ما يعرف باسم **(الطين اللازب)**، ثم ييبس ذلك ليصبح صلصالاً أسوداً منتناً له صليل أو ما يعرف باسم **(صلصال من حمأ مسنون)**. وهذا بعد أن يتم يبسه يصبح **صلصالاً كالفخار**. وهذا كله تمّ بمعجزة وبالأمر الإلٰهي «كن فيكون»، وفي ذلك تقول الآيات:

1 ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾
[آل عمران: 59؛ الكهف: 37؛ الحج: 5؛ الروم: 20؛ فاطر: 11؛ وغافر: 67].

2 ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47].

3 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: 2؛ الأعراف: 12؛ السجدة: 7؛ صٓ: 71، 72؛ الإسراء: 61].

4 ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 12].

أي: ليس من كل الطين، بل من خلاصة منتزعة من الطين برفق.

5 ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾
[الصافات: 11].

أي: من هذا الطين بعد تركه ليخمر فيصبح لاصقاً بعضه ببعض.

6 ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26، 28، 33].

أي: من الطين المتخمر الذي ييبس حتى يصبح صلصالاً أسوداً منتناً، له صليل إذا تمّ طرقه.

7 ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 14].

بعد أن يتم يبس هذا الصلصال الأسود المنتن يصبح صلصلاً يابساً كالفخار.

8 ـ ثم نفخ الله ـ تعالى ـ فيه من روحه فأنشأت نسمة الروح مراد الله ﷻ من خلق كل من أبينا آدم، ونبيّنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

9 ـ ويُجْمِلُ القرآن الكريم هذه المراحل كلّها بالإشارة إلى خلق الإنسان من الأرض [هود: 61؛ طه: 55؛ النجم: 32؛ نوح: 17، 18].

10 ـ كما يشير هذا الكتاب العزيز إلى الخلق من الماء فيقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: 54].

أي: من الماء العادي باعتبار أنَّ الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء من الماء الذي يكوّن أغلب أجساد كل الأحياء. ومن ذلك أيضاً «ماء التناسل» الذي جعله الله مصدراً للتكاثر بعد الخلق الأوَّل.

11 ـ ويتحدَّث القرآن الكريم في أكثر من آية من آياته عن تسلسل النسل بالتكاثر بواسطة ماء التناسل، ومادة الخلق أصلاً هي تراب الأرض ونفخة الروح. ويجمل القرآن الكريم ذلك في تعبير ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: 13] كما يجمله في «الماء» ويفصله بقوله ـ تعالى ـ: من ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]، ومن ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20]، ومن ﴿سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8]، كما يجمل ذلك في تعبير ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ [النحل: 4؛ يس: 77؛ عبس: 19]، و﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 46]، و﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2]، و﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ [القيامة: 38؛ العلق: 2]، و﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]، ويجمع المراحل كلّها حتى إنشاء الجنين خلقاً آخر [الحج: 5؛ المؤمنون: 12 ـ 14] ويضمها في تعبير ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: 6]، وفي تعبير ﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14]، وفي تعبير ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

12 ـ ويردُّ القرآن الكريم الخلق كلّه إلى الخلق الأول لأبينا آدم عليه السلام في تعبير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]. وتشير الآية الكريمة إلى خلق أُمّنا حوّاء رضي الله عنها من هذه النفس الواحدة. وفي مقام آخر ويؤكد القرآن الكريم ذلك بقول ربنا ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف: 189].

ويقول ـ جلَّت قدرته ـ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِى ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ [الزمر: 6].

وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيّب وبين ذلك»**[1].

وعمليّة الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان، هي عمليّة غيبيّة غيبة كاملة عنّا حيث لم يشهدها أي منّا، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف: 51].

وعلى الرّغم من ذلك فإنَّ الله ـ تعالى ـ الذي قرّر هذه الحقيقة يطالبنا في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم بأن نتفكّر في كيفيّة الخلق، ومن ذلك أقواله ـ عزَّ من قائل ـ:

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، حديث رقم (4693)، والترمذي في كتاب التفسير (تفسير سورة البقرة)، حديث رقم (2955).

1 ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: 164].

2 ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: 190، 191].

3 ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 19، 20].

4 ـ ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: 57].

5 ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: 29].

والجمع بين هذه الآيات يشير إلى أنَّه على الرّغم من أنَّ عمليّة الخلق قد تمَّت في غيبة الإنسان، إلَّا أنَّ الله ـ تعالى ـ من رحمته بنا ـ قد ترك لنا في كل من صخور أرضنا، وفي أنفسنا، وفي مختلف المخلوقات من حولنا من الشواهد الحسيّة ما يمكن أن يعين الإنسان ـ بإمكاناته المحدودة ـ على الوصول إلى تصوُّر ما عن كيفيّات الخلق. ولكن هذه التصوُّرات تبقى قاصرة، عاجزة، ومنقوصة في غيبة الاستهداء بالنصوص الواردة في كتاب الله، وفي سنَّة رسوله ﷺ عن عمليّات الخلق بأبعادها الثلاثة (خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان).

وللتدليل على ذلك نقول بأنَّ تدرُّج عمارة الأرض بالخلق عبر فترة زمنيّة طويلة تقدر بحوالي (3.8 بليون سنة) قد أغرت عدداً من الكفّار والمشركين، وممَّن

على دربهم من المنافقين، أن يدعوا إلى فكرة «**التطوّر العضوي**» التي تنادي بماديّة الخلق الأوَّل الذي نشأ نتيجة لتفاعل أشعة الشمس مع طين الأرض بعفويّة كاملة، ثم التطوّر الذاتي العشوائي وغير الواعي لهذا الخلق الأوَّل حتى وصل إلى الإنسان. ولكن تعقيد بناء الخليّة الحيّة ينفي إمكانيّة إيجادها بغير تدبير حكيم مسبق. وتعقيد بناء العضيات المختلفة في الخلية الحيّة، وبناء الشيفرة الوراثيّة (التي تحكم جميع أنشطتها) ينفي عشوائية الخلق نفياً مطلقاً. وكذلك فإنَّ كل نشاط حيوي يؤكّد حقيقة الخلق، ورعاية الخالق ﷻ لخلقه. فالشيفرة الوراثيّة سِجِل مُحْكَم من المعلومات والأوامر المنظّمة تنظيماً مذهلاً، والتي تنفذ بدقّة مبهرة على مستوى أدق التفاصيل، ممَّا يعطي الخليّة الحيّة في أبسط صورها مستوى من دقّة التصميم، وتعقيد البناء، والقدرة على الأداء لا يمكن أن يصل إليها أكبر المصانع التي أنشأها الإنسان، بل التي فكّر في إنشائها ولم يتمكّن من تحقيق ذلك بعد. فيستحيل على أكثر التقنيّات تقدُّماً اليوم إنتاج واحدة من أبسط الخلايا الحيّة، على الرّغم من معرفتنا بتركيبها الكيميائي الدقيق مائة بالمائة.

ليس هذا فقط، بل إنَّ لَبِنَة بناء الخليّة الحيّة (وهي «الجزيء البروتيني العملاق») عبارة عن بناء معقّد من جزيئات «الأحماض الأمينية المحددة» التي يبلغ عدد المعروف منها عشرين حمضاً أمينيًّا. وهذه الأحماض الأمينيّة تترتَّب ترتيباً معيّناً، وترتبط مع بعضها البعض بروابط كيميائيّة محدّدة، في تتابعات خاصّة، وبنسب مُقدَّرة بدقّة فائقة. ولارتباط تلك الأحماض الأمينيّة برابطة واحدة هي الرابطة الببتيديّة (The Peptide Bond) فإنَّ البروتينات تُعْرَف باسم «عديدة الببتيدات» (Polypeptides). وقد يشترك عدد كبير من مختلف الأحماض الأمينيّة في تكوين السلسلة الببتيديّة للبروتين الواحد. وهذا لا يمكن أن يتمّ بمحض الصدفة أبداً، وذلك لأنَّ جميع البروتينات في أجساد كل الكائنات الحيّة مبنيّة من العشرين نوعاً المحددة من أنواع الأحماض الأمينيّة، وكلّها من أنموذج واحد من نماذج هذه الأحماض الأمينيّة يعرف باسم **أنموذج الألف (Alpha Type)**، وكلها

مرتبط ببعضه البعض برابطة محددة هي الرابطة الببتيديّة. وأبسط جزيء بروتيني معروف يتكوّن من خمسين جزيئاً من جزيئات الأحماض الأمينيّة العشرين المحددة. وبعض البروتينات يتكوّن الجزيء الواحد منها من آلاف الجزيئات من الأحماض الأمينيّة. وجميع هذه الضوابط والقيود ـ وغيرها كثير ـ تجعل احتمال تكوُّن جزيء بروتيني واحد بمحض الصدفة من أكبر المستحيلات.

فإذا أضفنا إلى ذلك تعقيد بناء جزيء الحمض الأميني نفسه من ستة عناصر أساسيّة هي: الكربون، الإيدروجين، الأوكسجين، النيتروجين، الكبريت، والفوسفور. وإذا علمنا أنَّ مجرّد اختيار تلك العناصر الستّة من بين أكثر من مائة عنصر معروفة لنا بمحض الصدفة يجعل الأمر أشد استحالة. ويزيد الأمر تعقيداً أنَّ الذرات تترتَّب في الأحماض الأمينيّة حول ذرّة الكربون إمَّا ترتيباً يساريًّا أو ترتيباً يمينيًّا، وهي في أجساد جميع الكائنات الحيّة مرتبة ترتيباً يساريًّا. ولكن بمجرّد موت الكائن الحي فإن الأحماض الأمينية المكونة لبروتينات جسده تعيد ترتيب ذراتها ترتيباً يمينيًّا بمعدّلات ثابتة، ممَّا يعين على تحديد لحظة وفاة الكائن الحيّ بحساب نسبة الترتيب اليميني إلى اليساري للذرات حول ذرة الكربون في جزيئات الأحماض الأمينيّة الموجودة في أيّة فضلة تبقى عن ذلك الكائن الحيّ.

ليس هذا فقط بل إنَّ جزيئات الأحماض الأمينيّة تترتَّب في داخل الجزيئات البروتينيّة العملاقة المكوّنة للخليّة الحيّة ترتيباً يساريًّا كذلك في جميع الأحياء، بينما تترتب الذرات في النويدات (Nucleotids) ترتيباً يمينيًّا، والنويدات هي الحروف التي تكتب بها الشيفرة الوراثيّة للكائن الحي (DNA coudon).

وإذا أضفنا إلى كلّ ذلك: إحكام بناء الخليّة الحيّة على ضآلة أبعادها، فإنَّ أيّة إمكانيّة للعشوائيّة أو الصدفة في إيجادها تنتفي تماماً. فالخليّة الحيّة لها جدار رقيق من غشاء حي في كلّ من الإنسان والحيوان. وهذا الجدار الرقيق يتبادل الغذاء والنفايات والأوكسجين مع الخلايا المجاورة (والخلية الحية لها جدار من غشاء سميك غير حي في النباتات). والخليّة الحية بها السائل الخلوي الذي يتكوّن

أساساً من البروتينات، والدهنيّات، والسكريّات، والعديد من العناصر الذاتيّة. ويسبح في هذا السائل الخلوي العديد من العضيات (Organelles) بالإضافة إلى النواة التي لها جدار حي كذلك، وتحتوي على الشيفرة الوراثيّة المحمولة على عدد من الصبغيّات (Chromosomes). وعدد الصبغيات في نواة الخلية هو عدد محدّد لكلّ نوع من أنواع الحياة. وتتكوّن الصبغيات من جزيئات الحمض النووي الريبي المنقوص الأوكسجين (Deoxyribonucleic Acid)، وهو بناء غاية في التعقيد ودقّة البناء. وبالنواة يوجد كذلك ما يعرف باسم الحمض النووي الريبي المراسل (Messenger DNA)، وأعداد من البروتينات (ومنها الهرمونات والإنزيمات)، بالإضافة إلى أعداد أخرى من الكربوهيدرات، والدهون (Lipids)، والفيتامينات، والإليكتروليتات، وغيرها من المركبات الكيميائيّة المرتبة ترتيباً محكماً، وبنسب محدّدة باختيار دقيق، وتَناسُق عجيب ليقوم كل منها بدوره على أكمل وجه.

وللخليّة الحيّة مصانعها المختلفة لإنتاج الطاقة، وأجهزتها المتعددة، ومحطّات التكرير الخاصّة بكلّ منتج تنتجه، ووسائل الانتقال المحددة بداخلها. وأعظم وأخطر وأعقد ما في الخليّة الحيّة هي شيفرتها الوراثيّة، وهي بناء شديد التعقيد يضم الصبغي الواحد (من بين 46 صبغيًّا في الخليّة الواحدة من خلايا جسم الإنسان) (18.6) بليون جزيء كيميائي موزّعة بالتساوي على السكر، والفوسفات، والقواعد النيتروجينيّة. ولو اختل وضع ذرة واحدة من ذرات أي من هذه الجزيئات عن مكانه المحدّد له، فإنَّ الخليّة إمَّا أن تشوّه أو لا تكون. وكل ذلك ينفي الصدفة، ويؤكّد الخَلْق المُتْقَن، والتدبير المحكم الذي لا يقوى عليهما إلّا ربّ العالمين.

وإذا استحالت الصدفة على إيجاد خليّة حيّة واحدة، فالأمر أشد استحالة بالنسبة للكائن الحي الكامل، وهو أبلغ بالنسبة إلى **الإنسان الذي يتكوّن جسده في المتوسط من ألف مليون مليون خليّة**، تنتظمها أنسجة متخصّصة، في أعضاء محددة، وفي أجهزة منظمة، تعمل كلها في توافق عجيب يخدم هذا الجسد المُكرَّم. وقد أكّد

ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ ذلك في آيات عديدة من محكم كتابه منها ما يلي:

1 ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: 102].

2 ـ ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: 16].

3 ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [غافر: 62].

4 ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: 24].

فإذا قال الخالق البارئ المُصوِّر أنَّه خلق الإنسان في مراحل من تراب، ثم من طين، ثم من سلالة من طين، ثم من طين لازب، ثم من صلصال من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخّار فلا يملك المؤمن باللَّه ـ تعالى ـ إلَّا أن يقول: آمين، لأنَّ هذا هو الخالق يتحدّث عن خلقه، ومن أدرى بالخلق من خالقه!!

وإذا خلق الله ـ تعالى ـ عبده ورسوله عيسى ابن مريم من أُم بلا أب فهو نفس الأمر الإلٰهي الذي خلق به آدم من تراب (بدون أب أو أم)، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: 47].

وإذا كان الإنسان ـ في ضعفه ـ قد استطاع استنساخ عدد من الحيوانات من أُم بلا أب، فهل يُعجِزُ ذلك خالق الإنسان؟.

والخلق من تراب ينطبق في الحالين: حال أبينا آدم عليه السلام الذي بدأ الله ـ تعالى ـ خلقه من تراب الأرض، كما ينطبق على جميع نسله ـ ومنهم عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم. وقد كان بنو آدم جميعاً في صلب أبيهم آدم عليه السلام لحظة

خلقه. وينطبق الخلق من تراب على المسيح عيسى ابن مريم نفسه، كما ينطبق على كلِّ إنسان غيره، لأنَّه نشأ من بييضة أُمّه الموروثة عن أبوينا آدم وحوّاء عليهما السلام. والمخلوقان من تراب الأرض. ثم تغذّى عيسى وهو جنين على دماء أمه، ودماؤها مستمدّة من غذائها، وهو مستمد من عناصر الأرض. ثم تغذّى عيسى وهو رضيع على لبن أمه، وهو مستمد من نفس المصدر، وتغذى بعد ذلك على نباتات الأرض، وعلى لحوم ومنتجات المباح من حيواناتها، وكل ذلك مستمد أصلاً من عناصر كل من تراب الأرض ومائها، ولذلك قال ربّنا ـ وهو أحكم القائلين ـ:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

ولا يملك عاقل أن يقول في الخلق قولاً بعد كلام الله الخالق البارئ المُصوِّر...!!

ولعلَّ في ذلك ما يردُّ نفراً من أبناء المسلمين الذين فُتِنوا بالغرب ومنجزاته، وانبهروا بمعطياته الماديّة البحتة (وهي منطلقة من بوتقة الكفر والشرك والإلحاد) فتحدّثوا عن **التطوّر العضوي**، بوصفه من حقائق العلم، وزيّنوه في عقول نفر من المنهزمين نفسيًّا أمام الحضارة الماديّة المزيّفة. ولذلك انطلقوا بخيال جامح يؤوّلون كلام الله تأويلاً مرفوضاً، أو ينكرون نصوصاً قرآنيّة كريمة، وأحاديثاً نبويّة شريفة، وهي قطعية الثبوت، قطعيّة الدلالة. ويفعلون ذلك وهم يعلمون جيداً حكم من ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، فافترضوا ـ دون أدنى دليل علمي أو منطقي ـ وجود بشر قبل آدم، والنصوص القرآنيّة الكريمة والنبويّة الشريفة لا تفرّق بين الآدميّة والبشريّة، بل تصف أشرف الخلق أجمعين بالبشريّة فتقول آمرة إيّاه: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: 93].

ويبقى في ذلك سبق علمي حقيقي أثبتته الدراسات المتأخرة في علم الوراثة

والتي أكّدت أنَّ انقسام الصبغيّات الحاملة للشيفرة الوراثيّة ينتهي بنسب جميع بني آدم إلى أب واحد وأم واحدة. فبلايين الأفراد الذين يعمرون مختلف جنبات الأرض اليوم، والبلايين الذين جاؤوا من قبلنا ثم ماتوا، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة، ينتهي نسبهم جميعاً إلى أبوينا آدم وحوّاء عليهما السلام . ولمَّا كان عيسى عليه السلام من نسل آدم، (المخلوق أصلاً من تراب الأرض)، فإنَّ جسد عيسى ابن مريم يحوي بالقطع جزءًا من التراب الموروث عن أبويه آدم وحوّاء عليهما السلام . ثم غُذِّي عيسى بدم أُمّه وبعد ذلك غذي بلبنها، وكلاهما مستمدّ من عناصر تراب الأرض، وعلى ذلك فإن عيسى ابن مريم عليه السلام مخلوق من تراب الأرض كما خلق أبوه آدم من قبل من ترابها. ولذلك قال ـ تعالى ـ في محكم كتابه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

وتبقى هذه الآية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله، لأن اليهود وأعداد من متحيري النصارى والملحدين شكّكوا، ولا يزالون يشككون في معجزة ميلاد المسيح عليه السلام من أم بغير أب، وتطاولوا ولا يزالون يتطاولون على شرف أمه ـ وهي سيدة نساء العالمين في زمانها ـ وقد شرّفها الله تبارك وتعالى بقوله العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42].

وبالإضافة إلى ما فيها من إعجاز إنبائي وتاريخي فإن الآية (رقم 59) من سورة «آل عمران» تبقى كذلك وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لأن محاولات الاستنساخ في كلٍّ من عالمي النبات والحيوان أثبتت إمكانيّة إنتاج جنين حي من أُمّ بلا أب، وإذا استطاع الإنسان ـ على ضعفه ـ تحقيق ذلك فإنَّه لا يعجز خالق الإنسان. . . !!

75 ـ ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: 27].

جاء ذكر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في كتاب الله خمساً وعشرين (25) مرّة باسم عيسى، وإحدى عشرة (11) مرّة باسم المسيح؛ كما جاء ذكر أُمّه ـ شرّفها الله ـ أربعاً وثلاثين (34) مرّة، ويمكن تصنيف هذه الآيات على النّحو التالي:

أوّلاً: آيات تتعلّق بمعجزة ميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام:

1 ـ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: 45، 46].

2 ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

ثانياً: آيات تتعلّق ببعثته الشريفة والكتاب الذي أنزل إليه:

1 ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: 87].

2 ـ ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: 253].

3 ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: 46].

4 ـ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: 27].

ثالثاً: آيات تؤكّد أنَّ المسيح هو عبد من عباد الله ونبي في سلسلة النبوّة الطويلة التي تؤكّد وحدة رسالة السماء والأخوة بين الأنبياء:

1 ـ ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136].

2 ـ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: 84].

3 ـ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

4 ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: 85].

5 ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: 7].

6 ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

7 ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: 171، 172].

رابعاً: آيات تثبت حقيقة المسيح وتنفي اختلاف الناس حول تلك الحقيقة. وتنكر إدعاء التثليث إنكاراً كاملاً:

1 ـ ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: 17].

2 ـ ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: 72 ـ 75].

3 ـ ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: 116، 117].

4 ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ

ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾» [التوبة: 30، 31].

5 ـ «ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾» [آل عمران: 34 ـ 38].

6 ـ «فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾» [الزخرف: 56 ـ 65].

7 ـ «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾» [الصف: 6].

خامساً: آيات تصف عدداً من المعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ على يديه:

1 ـ «إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: 45 ـ 52].

2 ـ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾
[المائدة: 110 ـ 115].

سادساً: آيات تتعلّق بافتراءات اليهود على كلٍّ من عيسى ابن مريم وأُمّه:

1 ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: 156، 157].

2 ـ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ

ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: 78 ـ 80].

سابعاً: آيات تتعلّق بخاتمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام:

1 ـ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: 55].

2 ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 158].

وهذه الآيات القرآنيّة الكريمة تشير إلى الحقيقة التاريخيّة والدينيّة لرسول من أولي العزم من الرُّسل هو المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه وعلى أُمّه السَّلام ـ. وتؤكّد الآيات أنَّ والدي السيدة مريم ابنة عمران رزقا بها على الكبر إثر دعاء عريض منهما إلى الله ـ تعالى ـ، فكانت مريم ابنة لأبوين صالحين، وكان أبوها من بيت النبوَّة حيث ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام. وعندما بلغ بالأبوين الصالحين الكِبر دون أن يرزقا بذريّة، توجَّهت زوجة عمران إلى الله ـ تعالى ـ بالدّعاء أن يرزقها ولداً تهبه لخدمة المسجد الأقصى، والقيام على سدانته، ومع إلحاحها في الدّعاء، وإخلاصها، وخشوعها، استجاب الله تعالى دعاءها فحملت، وقبل أن تضع حملها فارق زوجها العبد الصالح «عمران» دنيا الناس، وترك زوجته الحامل أرملة، ليس لها إلّا الله.

ثامناً: آيات تصف أرملة «عمران» عندما وضعت حملها بأنها فوجئت بأنَّها وضعت أُنثى، فسمَّتها «مريم» وعرفت باسم «مريم ابنة عمران»، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: 33 ـ 36].

تاسعاً: آيات تصف تنازع الصالحين المعاصرين فيما بينهم من يكفل «مريم»، ولكنّ الله ـ تعالى ـ كفَّلها زوج خالتها، الذي كان نبيّ ذلك الزمان في قومه، وهو العبد الصالح والنّبيّ الصالح «زكريّا» عليه السلام الذي رعاها حتى كبرت، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37].

2 ـ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: 42 ـ 46].

عاشراً: آيات تصف اجتهاد مريم في العبادة والتنسك والزهد في الدنيا، والتبتُّل في الطاعة حتى فُوجئت في يوم من الأيّام بالملائكة تبشّرها بأنّ الله ـ تعالى ـ سوف يهب لها ولداً زكيًّا دون أن يمسّها بشر، وأنّ هذا الولد سيكون نبيًّا كريماً مؤيّداً بالمعجزات، فتعجَّبت من قضاء الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 ـ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 45 ـ 47].

2 ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم: 16 ـ 33].

3 ـ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: 91].

حادي عشر: آيات تصف نبوة عيسى عليه السلام: عند بلوغ عيسى ابن مريم سنّ الثلاثين جاءه وحي السماء بالنبوّة والرسالة، وأنزل عليه «**الإنجيل**». وفيه أمر الله ـ تعالى ـ بدعوة بني إسرائيل إلى دين الله الحقّ (**الإسلام**) بعد أن كانوا قد انحرفوا عنه، وأشركوا بالله، وعبدوا الأصنام والأوثان، وطففوا المكيال والميزان، وأقبلوا على ماديات الحياة بشراهة منقطعة النظير. ليس هذا فقط، بل كان اليهود قد حرّفوا التوراة، وزوّروا تعاليم الله، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً، وأشاعوا فيها مختلف صور النفاق، والرياء، والكذب، والطمع، والشره. فتفشّت المظالم، والمفاسد، والتجاوزات، التي انحطّت بهم وبمجتمعاتهم انحطاطاً كبيراً.

مضى عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم في دعوته لليهود من أجل أن يعودوا إلى دين الله **(الإسلام)** الذي كان قد بُعِثَ به إليهم رسولهم موسى عليه السلام، ولكن لم يؤمن معه إلَّا أقل القليل من فقراء اليهود وضعفائهم. لذلك بدأ كفّار اليهود في شنّ حملاتهم على المسيح وعلى الذين اتبعوه فاتهموا أُمّه بالزنا ـ شرَّفها الله ـ واتَّهموه هو بالسحر، والهرطقة، والكذب، والاتصال بالشياطين، وهو الرّسول الموصول بالوحي والمؤيّد بجبريل عليه السلام.

أخذ اليهود في الكيد لعبد الله ونبيه عيسى ابن مريم عليه السلام عند الرومان الذين كانوا يحتلّون أرض فلسطين في ذلك الوقت. واستطاعوا بخبثهم إقناع الوالي الروماني أنَّ عبد الله ورسوله عيسى يُكَتِّل الناس من حوله للقيام بعصيان مدني أو ثورة شعبيّة ضد الرومان المحتلّين، فحاولوا القبض عليه وصلبه حيًّا، ولكن الله ـ تعالى ـ رفعه إليه ونجّاه من كيدهم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 157، 158].

من هذا الاستعراض السريع تتَّضح أوجه من الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي والعلمي في سرد القرآن الكريم لعدد من المواقف المحددة في سيرة عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام. وهذه المواقف تشهد للقرآن الكريم بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق، كما تشهد لرسول الله ﷺ بأنَّه لا يمكن أن يكون قد استقى هذه الحقائق من كتب «العهدين القديم والجديد»، وذلك للاختلاف الكبير بين ما جاء عن حقيقة هذا العبد الصالح في تلك المصادر. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أنّ هناك من الوقائع القرآنيّة ما لم يرد له ذكر في أي من كتب «العهدين القديم والجديد»! وذلك من مثل **معجزة كلام عيسى** عليه السلام وهو في المهد، ونطقه بالعبوديّة الكاملة للّه ـ تعالى ـ، وبتنزيه الخالق العظيم عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله؛ **ومعجزة المائدة**

التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على الحواريين من السماء استجابة لطلبهم، ولدعاء المسيح عليه السلام بذلك، ثم **معجزة إنقاذه هو من بين أيدي اليهود** الذين لم يمكّنهم الله ـ تعالى ـ من تعذيبه أو إهانته أو إذلاله وإهدار كرامته كما تصف الأناجيل المتداولة بأيدي نصارى اليوم. فالقرآن الكريم يؤكد أن الله ـ تعالى ـ رفع عبده عيسى إليه إلى حين عودته الثانية إلى الأرض ليكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويصلي وراء إمام المسلمين كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ[1]، وهذا وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لا نجده في كتاب غيره.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات أُمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أَولى الناس بعيسى ابن مريم** عليه السلام **لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيّ، ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإنَّه نازل على أُمّتي وخليفتي عليهم، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنَّه رجل مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر كأنَّ رأسه يقطر ولم يصبه بلل، ينزل بين مخصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويهل من الروحاء حاجًّا أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، وتكون السجدة واحدة للّه ربّ العالمين، ويُهْلِكُ الله في زمانه مسيح الضلالة الكذّاب الدجّال، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضرّ بعضهم بعضاً، ثم يلبث في الأرض أربعين سنة، ويتزوّج ويولد له، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر، اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾** [النساء: 159]. أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاثة مرّات»[2].

(1) ذكره البخاري في كتاب المظالم، حديث رقم (2476)، والترمذي في كتاب الفتن، حديث رقم (2233).

(2) أخرجه الإمام أحمد، حديث رقم (9729).

وبعد رفع المسيح عليه السلام، اختلف الناس فيما بينهم عليه اختلافاً كبيراً، وظلّت اختلافاتهم كامنة زمن الاضطهادات الرومانيّة، ولكن عندما تنصر الإمبراطور قسطنطين أدرك وجود الاختلافات الشديدة على حقيقة المسيح بين الكنائس فدعا إلى **مؤتمر نيقية سنة 325م**، من أجل استجلاء هذا الأمر. وفي هذا المؤتمر ظهر من نادى بتوحيد الله الخالق، منكراً فكرة التثليث، ومَن نادى بالشرك بالله، وادعى ألوهية المسيح، ونادى بالتثليث. **وكان على رأس الموحدين «آريوس» (Arius)الذي تبعته كنيسة أسيوط برئاسة «ميليتوس»، وكنيسة القسطنطينيّة برئاسة «أوسابيوس»، وكنيسة كل من أنطاكية، ومقدونية، وبابل، وفلسطين، وغيرها**. ولم يعارض الإيمان بوحدانيّة الله إلّا بطرس بطريرك الإسكندريّة ومن وقف إلى جانبه من مشركي النصارى.

وكان عدد المجتمعين من البطارقة والأساقفة في مؤتمر نيقية أكثر من ألفين (2048) وكانوا على مذاهب متفرّقة، وعجب الإمبراطور قسطنطين ممّا رأى وسمع، ثم جنح إلى الادّعاء بأُلوهيّة المسيح لخلفيته الوثنيّة، على الرّغم من أنَّ هذا الرأي لم ينل سوى (318) صوتاً، بينما وافق غالبية الحضور على دعوة آريوس إلى بشريّة المسيح ونبوّته (وذلك بأغلبيّة سبعمائة صوت من أصوات الأساقفة الحضور) وكانت الآريوسية هي أعلى نسبة حازتها نحلة من النحل التي عرضت في مؤتمر نيقيّة على كثرة النحل التي عرضت.

وانطلاقاً من ذلك أقرَّ المجمع الأناجيل الأربعة المتداولة بين أيدي نصارى اليوم من بين سبعين إنجيلاً مختلفاً عرضت على المؤتمرين، واعتبر الباقي من تلك الأناجيل نسخاً محرفة وتمّ الأمر بإحراقها.

وهذا الاختلاف الذي استمرّ إلى اليوم، وتعدَّدت بسببه فرق النصارى، ويصفه القرآن الكريم بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

1 ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ

يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: 34 ـ 40].

2 ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: 63 ـ 65].

وهذه الآيات تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لعدد من المواقف الهامة في سيرة عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام. وهذه المواقف يناقض كل ما جاء عن هذا العبد الصالح في العهد الجديد. أمَّا الإعجاز العلمي فيتجسد فيما أعطى ربنا ـ وتبارك وتعالى ـ عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم من قدرة على إبراء كل من الأكمه والأبرص، وكلاهما من الأمراض التي أعيت الأطباء وأعجزتهم، كما يتجسد في معجزة ولادته من أُمّ بغير أب، وهو ما أثبتته عمليّات الاستنساخ في أواخر القرن العشرين من إمكانيّة إنتاج وليد من أُمّ بلا أب، مع التأكيد على الفرق الهائل بين فعل الله وعبث البشر!!.

وأمَّا الإعجاز التربوي فيتَّضح في التأكيد على فضل التوجه إلى الله ـ تعالى ـ بالدّعاء والرّجاء، مع اليقين بقدرة الله المطلقة على الإجابة، ويتجلى ذلك في ميلاد كل من مريم ابنة عمران، وكانت أمها عاقراً، وأبوها شيخ كبير، وكان ميلادها استجابة لدعاء أمها الذي لم يتوقف. ويتَّضح فضل الإيمان باللّه، وجميل التوكّل عليه كذلك في التسليم بأنَّ الدنيا هي دار ابتلاء واختبار وامتحان، وأنَّ الصراع بين الحق والباطل هو سنّة من سنن الوجود في هذه الحياة، وأنَّ الحقّ لا ينتصر لمجرّد كونه حقًّا، ولكنّه يحتاج إلى رجال ونساء يؤمنون به، ويجاهدون من أجل نصرته، ويبذلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق ذلك. وهكذا كانت حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وحياة كلّ من أُمّه والذين آمنوا به واتَّبعوه على الإسلام العظيم.

76 ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة جاءت في سياق خمس من آيات هذا الكتاب العزيز، هي الآيات (5 ـ 9) من سورة «الصف». تخبر عن عدد من الأحداث الغيبيّة التي لا سبيل لنا في الوصول إليها إلّا ببيان من الله ـ تعالى ـ. ولذلك فإن هذه الآيات الخمس تمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنها تؤكّد وحدة رسالة السماء، والأُخوّة بين الأنبياء، انطلاقاً من وحدانيّة الخالق تعالى. كما تؤكّد علم جميع أنبياء الله بتكامل الإسلام في بعثة الرسول الخاتم ﷺ. وهذه الآيات يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: 5 ـ 9].

ومن معاني هذه الآيات أيضاً أنَّ الله ـ تعالى ـ قد تكفّل بإظهار دينه الذي أكمله وأتمّه وحفظه في القرآن الكريم وفي سنّة خاتم النَّبيين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. ولذلك طالبت المؤمنين بالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس من أجل نصرة هذا الدين. وللتأكيد على دور المؤمنين في تحقيق هذا النصر لدين الله ذكّرت الآيات برسالة عبد الله ونبيّه موسى بن

عمران الذي آذاه قومه الذين خالفوا عهده وحرَّفوا رسالته فضلوا وأضلوا. كما تذكّر برسالة عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم الذي بعثه الله ـ تعالى ـ امتداداً لرسالة موسى، مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومبشّراً ببعثة الرسول الخاتم الذي جعل الله ـ تعالى ـ نبوّته خاتمة النبوّات، ورسالته خاتمة رسالات السماء ولذلك تعهَّد بحفظها تعهّداً مطلقاً حتى يتحقق عدله الذي قطعه على ذاته العلية بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: 15].

ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في النصّ الكريم:

هذا النصّ القرآني الكريم يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان عبده ونبيّه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام **أنَّ التوراة قد بشّرت بمقدمه، وأنَّ بعثته بالإنجيل هي مصداق ما بشّرت به التوراة، وهو بشّر ببعثة الرسول الخاتم من بعده، وهو النَّبي العربي، الذي سمَّاه باسمه «أحمد»**، وهذا الاسم هو من أسماء رسول الله ﷺ القائل: «**إنَّ لي خمسة أسماء: أنا محمَّد، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب (ومعنى العاقب: الذي لا نبي بعده)**[1]».

وذكر محمَّد بن إسحاق، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنَّهم قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أُمّي حين حملت بي كأنَّه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام**»[2].

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3532)، ومسلم في كتاب الفضائل، حديث رقم (6058)، والترمذي في كتاب الأدب، حديث رقم (2840).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (22315).

وقال رسول الله ﷺ: «**إني عبد الله وخاتم النبيّين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأوَّل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أُمّي التي رأت، وكذلك أُمّهات النبيّين يرين**»(1).

وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أُمّي أنَّه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»(2).

وتأكيداً على بشرى عيسى ابن مريم ببعثة الرسول الخاتم ﷺ قال عبد الله بن مسعود ﷺ ما نصَّه: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحواً من ثمانين رجلاً... وبعثت قريش (عمرو بن العاص) و(عمارة بن الوليد) بهدية للنجاشي، فلمَّا دخلا سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إنَّ نفراً من بني عمّنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنّا، وعن ملّتنا، قال النجاشي: فأين هم؟ قالا: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلَّم على النجاشي ولم يسجد له، فقال له الحضور: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنَّا لا نسجد إلَّا للَّه ﷻ، قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألَّا نسجد لأحد إلَّا للَّه ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص للنجاشي: فإنَّهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال النجاشي: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأُمّه؟ قال جعفر: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله، وروح منه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسّها بشر، ولم يعترضها ولد، قال: فرفع النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان! باللَّه ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، **أشهد أنَّه رسول الله، وأنَّه الذي نجده في الإنجيل، وأنَّه الذي بشّر به عيسى**

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (17614).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، باللَّه لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه. وأمر بهدية الآخَرين فردت إليهما»[1].

وفي شهادة النجاشي أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ، وأنَّه هو الذي بشّر به عيسى ابن مريم إثبات لوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية القرآنيّة الكريمة التي نحن بصددها [رقم (6) من سورة «الصف»].

ومن الثابت أنَّ جميع أنبياء الله عليهم السلام قد آمنوا ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وبشّروا بمقدمه، وأمروا باتِّباعه وبنصرته ومؤازرته إذا كان أحد من أتباعهم حياً عند بعثته الشريفة. وكان أوَّل ما اشتهر أمر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في أهل الأرض على لسان أبي الأنبياء، عبد الله ورسوله الخليل إبراهيم عليه السلام حين دعا الله - تعالى - لأهل مكَّة أن يبعث فيهم رسولاً منهم. وكذلك جاء على لسان عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أنَّه كان يبشّر بقرب بعثة خاتم المرسلين ﷺ وفي ذلك يقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: 6].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ منسوب إلى عبد الله ونبيه عيسى عليه السلام الذي أيَّده الله - تعالى - بعدد من المعجزات الواضحات من مثل إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغيرها من المعجزات الدَّالة على صدق نبوّته. وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ منسوب إلى بني إسرائيل الذين قالوا عن المعجزات التي أجراها الله - تعالى - على أيدي عبده ونبيّه عيسى ابن مريم (شهادة له بالنبوَّة وبالرسالة) أنَّها ضرب من السحر والشعوذة.

وقال المفسّرون: بَشَّر كل نبيّ قومه ببعثة الرسول الخاتم سيّدنا محمَّد ﷺ

---

(1) ذكره البيهقي في دلائل النبوة، رقم (593).

وإنَّما أفرد الله ﷻ ذكر عيسى بالبشارة في هذه الآية الكريمة لأنَّه هو آخر نبيّ قبل بعثة خاتم النبيين جميعاً. وسبق أن بيّن الله ـ تعالى ـ أنَّ البشارة ببعثة الرسول الخاتم ﷺ عمَّت جميع أنبياء الله حتى انتهت إلى عبده ونبيّه عيسى ابن مريم، فكانت بشارته بخاتم الأنبياء والمرسلين هي آخر تلك البشارات.

وبشارة المسيح عيسى ابن مريم برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد» لا تزال موجودة في «**إنجيل برنابا**» بنفس هذا النصّ القرآني، وعلى ذلك فهي ثابتة سواء تضمّنت الأناجيل المتداولة بأيدي نصارى اليوم هذه البشارة أم لم تتضمَّنها. لأنَّ الطريقة التي كتبت بها تلك الأناجيل، والظروف التي أحاطت بكتابتها لا تجعل منها مرجعاً مقبولاً لرسالة عبد الله ونبيه عيسى عليه السلام.

وقد قرئ على مسامع اليهود والنصارى في الجزيرة العربيّة قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157].

وقد أقرَّ عدد من اليهود الذين مَنَّ الله ـ تعالى ـ عليهم بالإسلام من أمثال «**عبد الله بن سلام**» بهذه الحقيقة التي كانوا يتواصون بكتمانها. وثابت من الروايات التاريخيّة أنَّ جموع اليهود في الجزيرة العربيّة كانوا ينتظرون مبعث نبيّ قد أظلّهم زمانه، وكذلك كان عدد من الموحّدين من كل من الأحناف، وأحبار اليهود، وأساقفة النصارى. ولكن اليهود كانوا يتوقّعون أن يبعث الرسول الخاتم من بينهم، فلمَّا كان من ذريّة إسماعيل ـ عليه وعلى نبيّنا من الله السَّلام ـ، فإنَّهم عارضوا نبوّته، وقاوموا دعوته، ونقضوا جميع عهودهم ومواثيقهم معه، وألّبوا عليه القبائل الوثنيّة، وحاولوا سمَّه وقتله، ولكن الله ـ تعالى ـ حفظه من كيدهم، ونصره عليهم.

وعلى الرَّغم من ذلك كلّه فقد بقي عدد من الإشارات إلى سيّدنا محمَّد ﷺ في الكتب المتداولة اليوم بأيدي كلّ من اليهود والنصارى، على الرَّغم ممَّا تعرّضت له من الحذف والإضافة، ومن التحرير تلو التحرير، ومن التحريف

والتزوير، حتى أصبح تطابق طبعتين متتاليتين للكتاب الواحد في أيّة لغة من اللّغات التي نقلت إليها أمراً صعباً للغاية.

ومن هذه الإشارات في كتب الأولين إلى بعثة الرسول الخاتم ﷺ ما يلي:

1 ـ جاء في سفر **«التكوين»** (الإصحاح 49/ 10) ما ترجمته: «لا يزول صولجان من يهوذا أو مشترع من قدميه حتى يأتي (**شيلوه**) ويكون له خضوع الشعوب». وفي ترجمة أخرى يقول هذا النصّ: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي (**شيلون**) وله يكون خضوع شعوب».

وقد قام **القس المهتدى البروفيسور «عبد الأحد داود»** (أُستاذ اللاهوت، والرئيس السابق لكنيسة إرميا في إيران) بتفسير هذا النص وذلك في كتابه المعنوَن: **«محمَّد في الكتاب المقدّس»** بفكتب مؤكداً أنّ: «محمَّداً هو الشيلوه» لأنَّ من معاني هذه الكلمة العبريّة (Shiloh) هو صاحب الصولجان والملك، ومن معانيها: الهادئ المسالم، الوديع، الأمين؛ **والصيغة الآراميّة للكلمة هي [شيليا = Shilya] بمعنى الأمين**؛ ورسولنا ﷺ عرف قبل بعثته الشريفة بلقب (**الصادق الأمين**).

2 ـ **في سفر «تثنية» (18/ 15 ـ 20)** جاء في خطاب منسوب إلى الله ـ تعالى ـ وموجه إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام ما ترجمته «...أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به. ويكون أنَّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلَّم به باسمي أنا أُطالبه...».

3 ـ وجاء في **نفس السفر (33/ 1)** ما ترجمته: «...جاء الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم». وجبل (**فاران**) أو (**پاران Paran**) كما جاء في سفر «التكوين» (21/ 12) هو البرية التي هاجر إليها إسماعيل وأُمّه، وإن أخطأ كتاب «العهد القديم» في نسبة تلك البرية إلى عدد من الأماكن المختلفة التي منها جنوب سيناء. كذلك جاء في شروح «العهد القديم» أنَّ الاسم (**فاران**) أو (**پاران**) هو تعبير عن جبال مكَّة. ومَن مِن الأنبياء خرج من جبال مكَّة إلَّا سيّدنا محمَّد ﷺ؟

4 ـ وجاء في **المزمور الرابع والثمانون (84) من العهد القديم (1 ـ 6)** على لسان داود عليه السلام ما ترجمته: «طوبى لأُناس عزَّهم بك، **حجَّ بيتك في قلوبهم عابرين في وادي بكّة** يصيرونه ينبوعاً..» ولكن في الترجمة العربيّة للنصّ الإنجليزي تمَّ استبدال تعبير (**حجّ بيتك**) بتعبير (**طرق بابك**)، كما استبدل اسم (**وادي بكّة**) بـ(**وادي البكاء**) والفرق بين النَّصّين لا يحتاج إلى تعليق، والهدف من التحريف غني عن التعليق!!

5 ـ وجاء في **سفر (إشعيا: 11/ 4)** وصف للرَّسول الخاتم بأنَّه «إنَّما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه أي: بلسانه) ويميت المنافق بنفخة شفتيه، لأنَّه سيرتدي البرّ، ويتمنطق بالأمانة». وهذه كلّها من الصفات الثابتة لسيّدنا محمَّد ﷺ في بعثته ومن قبل البعثة، خاصّة وأنَّ سفر (إشعيا: 11) يصف هذا الرَّسول المنتظر بأنَّه من نسل «**كدار**» **(Kedar) أو «قيدار» وهو الابن الثاني لإسماعيل** كما جاء في سفر التكوين (25/ 13)، وقد سميت باسمه إحدى القبائل من سلالة إسماعيل عليه السلام (A Clan of Ishmailites).

6 ـ كذلك تنبّأ سفر «**إشعيا**» (**21/ 13 ـ 17**) بهجرة المصطفى ﷺ وجاء ذلك في النصّ التالي: «وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر من بلاد العرب، تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكّان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنَّهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدّة الحرب، فإنَّه هكذا قال لي السيد في مدّة سنة كسنة الأجير **يفني كلّ مجد قيدار، وبقيّة عدد في أبطال بني «قيدار»** لا تقل شيئاً لأنَّ الرّب قد تكلّم».

7 ـ وجاء في **كتاب إدريس (أخنوخ)** وصف للرسول الخاتم بأنَّه (**الصادق**).

8 ـ وجاء في **سفر «رؤيا» من «العهد الجديد»** (**19/ 11، 15**) ما ترجمته:

«ثم رأيت السماء مفتوحة، **وإذا حصان أبيض يسمى راكبه باسم (الأمين الصادق)**» وهو وصف المصطفى ﷺ من قبل بعثته الشريفة ومن بعدها.

9 ـ كذلك جاء في **إنجيل «يوحنا»** (276)، (14 ـ 1216) ما ترجمته: «لا تسعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبديّة، **والذي يعطيكم إيّاه ابن الإنسان، لأنَّ هذا قد وضع الله ختمة عليه**». ومن الثابت تاريخيًّا أنَّ رسول الله ﷺ كان يحمل خاتم النبوّة بين كتفيه، ولا نعلم نبياً آخر حمل مثل هذا الخاتم المعروف باسم **«خاتم النبوة»**.

10 ـ كذلك جاء في **إنجيل «يوحنا»** الذي كتب باللغة اليونانيّة اسم **(Paracletos)** ويقول البروفسور **«عبد الأحد داود»** (أُستاذ اللّاهوت المسيحي بعد أن مَنَّ الله ـ تعالى ـ عليه بالإسلام)، بأنَّ هذه الصيغة غير معروفة في الأدب الإغريقي، **ويبدو أنَّها حُرِّفت عن الأصل (Perialytos) التي تعني (أحمد) في معناها ومغزاها، وهي موافقة للفظة (حمدة) باللّغة الآراميّة والتي تحمل نفس المعنى.**

ويضيف البروفيسور عبد الأحد داود في كتابه المعنوَن **«محمَّد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى»** ما نصَّه: «ولو حافظ القدّيس جيروم، ومترجمو النسخة السبعينيّة قبله، **على الصيغة العبريّة لكلمة (حـ م د ه) بدلاً من استخدام الكلمة اللاتينيّة (Cupiditas)، أو الكلمة الإغريقيّة (Euthymia)**، لكان من المحتمل أن يحتفظ بها أيضاً مترجمو طبعة الملك جيمس الأوّل (للعهدين القديم والجديد) الذين أنجزوا الترجمة المجازة (Authorized Version)، ولاحتفظت بها أيضاً جمعيّة الإنجيل في الترجمات إلى اللّغات الإسلاميّة».

من هذا الاستعراض الموجز يتَّضح **وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي** في قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

[الصف: 6].

ويتَّضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة بصورة أشمل إذا علمنا بأنَّ أُصول كل ما نعلم من صور الوحي السابقة من أمثال (**صحف إبراهيم**)، (**التوراة**)، (**الزّبور**)، و(**الإنجيل**) قد ضاعت بالكامل، فلا يدَّعي أحد اليوم أنَّه يملك أُصول صحف إبراهيم، أو أصول أي من التوراة أو الزّبور أو الإنجيل.

فأُصول التوراة فقدت في زمن السبي البابلي، والأسفار الخمسة الموجودة اليوم في مقدمة «**العهد القديم**» قد أُعيدت كتابتها من الذاكرة في زمن عزرا في حدود سنة 398ق.م. (أي بعد حوالي ثمانية قرون من موت موسى عليه السلام المقدر وقوعه في حدود سنة 1184ق.م.). ثم بواسطة مجهولين أُضيفت أسفار كلّ من **يشوع**، **والقضاة**، **والملوك**، ثم أُضيفت أسفار كل من **إشعيا**، **وإرميا**، **وحزقيال**، بالإضافة إلى اثني عشر سفراً من الأسفار الأخرى، ثم أُضيفت مجموعة تسمى باسم «**المزامير**»، وهي بالقطع محرفة عند مزامير داود عليه السلام التي ثبت فقدانها بالكامل.

وفي سنة 333ق.م. غزت جيوش الإسكندر المقدوني أرض فلسطين وقضت الوثنيّات اليونانيّة القديمة على معتقدات الفلسطينيين. وفي حدود سنة 285ق.م. تمَّت الترجمة السبعينيّة للعهد القديم إلى اللّغة اليونانيّة، وهي لغة لم يتحدّثها موسى عليه السلام ولا أي من أتباعه. وهذه الترجمة شابها الكثير من الأخطاء، والتحريف، والتزوير، والإضافة والحذف المقصود وغير المقصود، لأنَّ كلًّا من المترجمين والنسَّاخ كانوا يعتقدون أنَّهم يدوِّنون تراثاً شعبيًّا، وليس وحياً سماوياً.

وقد انتقد الآباء اليسوعيون ذلك في تقدمتهم للترجمة اليسوعيّة للعهدين القديم والجديد (**انظر كتاب دلائل التحريف للدكتور شريف سالم**). وفي الفترة من 165ق.م. إلى 135م تعرَّضت مدينة القدس للغزو الروماني وللتدمير عدّة مرّات، وقام المحتلّون الرومان بإجبار اليهود على التحوّل إلى عدد من معتقداتهم الوثنيّة.

وبالنسبة «**للعهد الجديد**» فإنَّه من الثابت تاريخيًّا أنَّ مجمع نيقية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين (Constantine, 274-337 C.E) سنة 325م بعد تسعة عشر عاماً من تولِّيه حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة (سنة 306م) هو الذي اختار الأناجيل الأربعة

المعتمدة اليوم عند المسيحيين من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً قدمت للمؤتمرين. ولم يتم هذا الاختيار وفق منهج علمي محدّد، وإنّما كان الضابط الوحيد في ذلك هو عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبنّاه القائمون على المجمع من عقائد اختلف عليها غالبيّة المؤتمرين. وبذلك كانت قوّة سيف الرومان هي التي حسمت الخلاف لصالح مَن ذهب إلى الادّعاء الخاطئ بأُلوهيّة المسيح عليه السلام انطلاقاً من سيادة الفكر الوثني في كل من الحضارتين اليونانيّة والرومانيّة.

وقد كشف القرآن الكريم حقيقة تحريف كلّ من اليهود والنصارى لكتبهم، وكانت ردّة الفعل عندهم إزالة كلّ إشارة تبشّر بمقدم الرّسول الخاتم ﷺ من كتبهم، ولكن بقي الكثير الذي لم يفطنوا إليه، والذي أوردنا شيئاً منه في الأسطر السابقة.

بعض المقتطفات من العهدين القديم والجديد

كَلَبُوَةٍ، فَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى إِثَارَتِهِ؟ [١٠] لَا يَزُولُ صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا مُشْتَرِعٌ مِنْ صُلْبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُوهُ (وَمَعْنَاهُ: مَنْ لَهُ الْأَمْرُ) فَتُطِيعُهُ الشُّعُوبُ.

dares to rouse him?
[10]The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

سفر التكوين (49/ 10)

الوعد بنبي بعد موسى
[١٥]سَيُقِيمُ الرَّبُّ فِيكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَهُ تَسْتَمِعُونَ. [١٦]فَقَدِ اسْتَجَابَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُ فِي حُورِيبَ فِي يَوْمِ الِاجْتِمَاعِ عِنْدَمَا قُلْتُمْ: لَا نَعُودُ نَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِنَا، وَلَا نَرَى النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضاً لِئَلَّا نَمُوتَ [١٧]فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: لَقَدْ أَصَابُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. [١٨]لِهَذَا أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَضَعُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيُخَاطِبُهُمْ بِكُلِّ مَا آمُرُهُ بِهِ. [١٩]فَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْصَى كَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي، فَأَنَا أُحَاسِبُهُ. [٢٠]وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يَتَجَبَّرُ فَيَنْطِقُ بِاسْمِي بِمَا لَمْ آمُرْهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ يَتَنَبَّأُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّهُ حَتْماً يَمُوتُ.

A Prophet Like Moses
[15]The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. [16]For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."
[17]The LORD said to me: "What they say is good. [18]I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him. [19]If anyone does not listen to my words that the prophet speaks in my name, I myself will call him to account. [20]But a prophet who presumes to speak in my name anything I have not commanded him to say, or a prophet who speaks in the name of other gods, must be put to death."

سفر التثنية (18/ 15 ـ 20)

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. [2]He said: "The LORD came from Sinai

موسى يبارك أسباط إسرائيل

٣٣ وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْبَرَكَةُ ٱلَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ ٱللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، [٢]فَقَالَ: «أَقْبَلَ ٱلرَّبُّ

سفر التثنية (33/ 1)

---

with his ears; [4]but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. [5]Righteousness will be his belt and

أُذُنَاهُ، وَلَا يَحْكُمُ بِمُقْتَضَى مَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ. [٤]إِنَّمَا يَقْضِي بِعَدْلٍ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِٱلْإِنْصَافِ لِبَائِسِي ٱلْأَرْضِ، وَيُعَاقِبُ ٱلْأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ ٱلْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. [٥]لِأَنَّهُ سَيَرْتَدِي ٱلْبِرَّ وَيَتَمَنْطَقُ بِٱلْأَمَانَةِ.

سفر إشعياء (11/ 4)

---

[13]An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, [14]bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. [15]They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. [16]This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. [17]The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

[١٣]نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ شِبْهِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ: سَتَبِيتِينَ فِي صَحَارِي بِلَادِ ٱلْعَرَبِ يَا قَوَافِلَ ٱلدَّدَانِيِّينَ. [١٤]فَاحْمِلُوا يَا أَهْلَ تَيْمَاءَ ٱلْمَاءَ لِلْعَطْشَانِ، وَٱسْتَقْبِلُوا ٱلْهَارِبِينَ بِٱلْخُبْزِ. [١٥]لِأَنَّهُمْ قَدْ فَرُّوا مِنَ ٱلسَّيْفِ ٱلْمَسْلُولِ، وَٱلْقَوْسِ ٱلْمُتَوَتِّرِ، وَمِنْ وَطِيسِ ٱلْمَعْرَكَةِ. [١٦]لِأَنَّهُ هٰذَا مَا قَالَهُ لِي ٱلرَّبُّ: فِي غُضُونِ سَنَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِسَنَةِ ٱلْأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ، [١٧]وَتَكُونُ بَقِيَّةُ ٱلرُّمَاةِ ٱلْأَبْطَالِ مِنْ بَنِي قِيدَارَ قِلَّةً، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ.

سفر إشعياء (21/ 13 ـ 17)

Psalm 84
For the director of music. According to gittith.
Of the Sons of Korah.
A psalm.

How lovely is your dwelling place, O LORD Almighty! [2]My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD; my heart and my flesh cry out for the living God. [3]Even the sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young–a place near your altar, O LORD Almighty, my King and my God. [4]Blessed are those who dwell in your house; they are ever praising you.

[5]Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. [6]As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the autumn rains also cover it with pools. [7]They go from strength to strength, till each appears before God in Zion. [8]Hear my prayer, O LORD God Almighty; listen to me, O God of Jacob. [9]Look upon our shield, O God; look with favor on your anointed one. [10]Better is one day in your courts than a thousand elsewhere; I would rather be a doorkeeper in the house of my God than dwell in the tents of the wicked. [11]For the LORD God is a sun and shield; the LORD bestows favor and honor; no good thing does he withhold from those whose walk is blameless.

[12]O LORD Almighty, blessed is the man who trusts in you.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ
لِقَائِدِ الْمُنْشِدِينَ عَلَى الْجَتِّيَّةِ
مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

[1]مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَارَبَّ الْجُنُودِ! [2]تَشْتَاقُ بَلْ تَحِنُّ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَجِسْمِي يَرْنُمَانِ بِفَرَحٍ لِلإِلَهِ الْحَيِّ. [3]الْعُصْفُورُ أَيْضاً وَجَدَ لَهُ وَكْراً، وَالْيَمَامَةُ عَثَرَتْ لِنَفْسِهَا عَلَى عُشٍّ تَضَعُ فِيهِ فِرَاخَهَا، بِجِوَارِ مَذَابِحِكَ يَارَبَّ الْجُنُودِ، يَامَلِكِي وَإِلَهِي. [4]طُوبَى لِمَنْ يَسْكُنُونَ فِي بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ يُسَبِّحُونَكَ دَائِماً.

[5]طُوبَى لأُنَاسٍ أَنْتَ قُوَّتُهُمْ. الْمُتَلَهِّفُونَ لاتِّبَاعِ طُرُقِكَ الْمُفْضِيَةِ إِلَى بَيْتِكَ الْمُقَدَّسِ. [6]وَإِذْ يَعْبُرُونَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ الْجَافِّ، يَجْعَلُونَهُ يَنَابِيعَ مَاءٍ، وَيَغْمُرُهُمُ الْمَطَرُ الْخَرِيفِيُّ بِالْبَرَكَاتِ. [7]يَمْشُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ، إِذْ يَمْثُلُ كُلُّ وَاحِدٍ أَمَامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ. [8]يَارَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ اسْتَمِعْ صَلاتِي، وَأَصْغِ إِلَيَّ يَاإِلَهَ يَعْقُوبَ. [9]يَاأَللهُ مِجَنَّنَا، انْظُرْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ إِلَى مَنْ مَسَحْتَهُ مَلِكاً. [10]إِنَّ يَوْماً وَاحِداً أَقْضِيهِ دَاخِلَ دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ خَارِجَهَا. اخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ بَوَّاباً فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السُّكْنَى فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ. [11]لأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ شَمْسٌ وَتُرْسٌ. الرَّبُّ يُعْطِي نِعْمَةً وَمَجْداً، لا يَمْنَعُ أَيَّ خَيْرٍ عَنِ السَّالِكِينَ بِالاسْتِقَامَةِ. [12]يَارَبَّ الْجُنُودِ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ.

سفر المزامير: المزمور رقم 84

Capture of the Beast and the False Prophet

[11]I saw heaven standing open and there before me was a white horse, whose rider is called Faithful and True. With justice he judges and makes war. [12]His eyes are like blazing fire, and on his head are many crowns. He has a name written on him that no one knows but he himself. [13]He is dressed in a robe dipped in blood, and his name is the Word of God. [14]The armies of heaven were following him, riding on white horses and dressed in fine linen, white and clean. [15]Out of his mouth comes a sharp sword with which to strike down the nations. "He will rule them with an iron scepter." He treads the winepress of the fury of the wrath of God Almighty. [16]On his robe and on his thigh he has this name written: KING OF KINGS AND LORD OF LORDS.

القبض على الوحش والنبي الدجال

[11]ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا حِصَانٌ أَبْيَضُ يُسَمَّى رَاكِبُهُ «الأَمِينَ الصَّادِقَ» الَّذِي يَقْضِي وَيُحَارِبُ بِالْعَدْلِ. [12]عَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ أَكَالِيلُ كَثِيرَةٌ. وَقَدْ كُتِبَ عَلَى جَبْهَتِهِ اسْمٌ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ إِلّا هُوَ. [13]وَكَانَ يَرْتَدِي ثَوْباً مُغَمَّساً بِالدَّمِ، أَمَّا اسْمُهُ فَهُوَ «كَلِمَةُ اللهِ». [14]وَكَانَ الأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ يَتْبَعُونَهُ رَاكِبِينَ خُيُولاً بَيْضَاءَ، وَلابِسِينَ كَتَّاناً نَقِيّاً نَاصِعَ الْبَيَاضِ. [15]وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ سَيْفٌ حَادٌّ لِيَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ وَيَحْكُمَهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَيَدُوسَهُمْ فِي مَعْصَرَةِ شِدَّةِ غَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. [16]وَقَدْ كُتِبَ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ».

سفر رؤيا: (19/ 11، 15)

الإنجيلُ كما دَوَّنَهُ مَتَّى

نسب يسوع المسيح

١ هذا سجلُّ نسبِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيمَ: [٢] إبراهيمُ أنجبَ إسحاقَ. وإسحاقُ أنجبَ يعقوبَ. ويعقوبُ أنجبَ يهوذا وإخوتَهُ. [٣] ويهوذا أنجبَ فارصَ وزارحَ مِن ثامارَ. وفارصُ أنجبَ حصرونَ. وحصرونُ أنجبَ أرامَ. [٤] وأرامُ أنجبَ عميناداب. وعميناداب أنجبَ نحشونَ. ونحشونُ أنجبَ سلمونَ. [٥] وسلمونُ أنجبَ بوعزَ مِن راحابَ. وبوعزُ أنجبَ عوبيدَ مِن راعوثَ. وعوبيدُ أنجبَ يسّى. [٦] ويسّى أنجبَ داودَ الملكَ. وداودُ أنجبَ سليمانَ مِن التي كانتْ زوجةً لأوريّا. [٧] وسليمانُ أنجبَ رحبعامَ. ورحبعامُ أنجبَ أبيّا. وأبيّا أنجبَ آسا. [٨] وآسا أنجبَ يهوشافاطَ. ويهوشافاطُ أنجبَ يورامَ. ويورامُ أنجبَ عزّيّا. [٩] وعزّيّا أنجبَ يوثامَ. ويوثامُ أنجبَ آحازَ. وآحازُ أنجبَ حزقيّا. [١٠] وحزقيّا أنجبَ منسّى. ومنسّى أنجبَ آمونَ. وآمونُ أنجبَ يوشيّا. [١١] ويوشيّا أنجبَ يكنيا وإخوتَهُ في أثناءِ السبيِ إلى بابلَ. [١٢] وبعدَ السبيِ إلى بابلَ، يكنيا أنجبَ شألتيئيلَ. وشألتيئيلُ أنجبَ زربابلَ. [١٣] وزربابلُ أنجبَ أبيهودَ. وأبيهودُ أنجبَ إلياقيمَ. وإلياقيمُ أنجبَ عازورَ. [١٤] وعازورُ أنجبَ صادوقَ. وصادوقُ أنجبَ أخيمَ. وأخيمُ أنجبَ أليودَ. [١٥] وأليودُ أنجبَ أليعازرَ. وأليعازرُ أنجبَ متّانَ. ومتّانُ أنجبَ يعقوبَ. [١٦] ويعقوبُ أنجبَ يوسفَ رجلَ مريمَ التي وُلِدَ منها يسوعُ الذي يُدعى المسيحَ. [١٧] فجملةُ الأجيالِ مِن إبراهيمَ إلى داودَ أربعةَ عشرَ جيلاً، ومِن داودَ إلى السبيِ البابليِّ أربعةَ عشرَ جيلاً، ومِن السبيِ البابليِّ إلى المسيحِ أربعةَ عشرَ جيلاً.

ميلاد يسوع المسيح

[١٨] أمّا يسوعُ المسيحُ فقدْ تمّتْ ولادتُهُ هكذا. كانتْ أمُّهُ مريمُ مخطوبةً ليوسفَ، وقبلَ أنْ يجتمعا معاً، وُجِدَتْ حُبلى مِن الروحِ القدسِ. [١٩] وإذْ كانَ يوسفُ خطيبُها بارّاً، ولمْ يُرِدْ أنْ يُشهّرَ بها، قرّرَ أنْ يتركَها سرّاً. [٢٠] وبينما كانَ يفكّرُ في الأمرِ، إذا ملاكٌ مِن الربِّ قدْ ظهرَ لهُ في حلمٍ يقولُ:

Matthew

The Genealogy of Jesus Christ

1 A record of the genealogy of Jesus Christ the son of David, the son of Abraham: [2]Abraham was the father of Isaac, Isaac the father of Jacob, Jacob the father of Judah and his brothers, [3]Judah the father of Perez and Zerah, whose mother was Tamar, Perez the father of Hezron, Hezron the father of Ram, [4]Ram the father of Amminadab, Amminadab the father of Nahshon, Nahshon the father of Salmon, [5]Salmon the father of Boaz, whose mother was Rahab, Boaz the father of Obed, whose mother was Ruth, Obed the father of Jesse, [6]and Jesse the father of King David. David was the father of Solomon, whose mother had been Uriah's wife, [7]Solomon the father of Rehoboam, Rehoboam the father of Abijah, Abijah the father of Asa, [8]Asa the father of Jehoshaphat, Jehoshaphat the father of Jehoram, Jehoram the father of Uzziah, [9]Uzziah the father of Jotham, Jotham the father of Ahaz, Ahaz the father of Hezekiah, [10]Hezekiah the father of Manasseh, Manasseh the father of Amon, Amon the father of Josiah, [11]and Josiah the father of Jeconiah and his brothers at the time of the exile to Babylon. [12]After the exile to Babylon: Jeconiah was the father of Shealtiel, Shealtiel the father of Zerubbabel, [13]Zerubbabel the father of Abiud, Abiud the father of Eliakim, Eliakim the father of Azor, [14]Azor the father of Zadok, Zadok the father of Akim, Akim the father of Eliud, [15]Eliud the father of Eleazar, Eleazar the father of Matthan, Matthan the father of Jacob, [16]and Jacob the father of Joseph, the husband of Mary, of whom was born Jesus, who is called Christ. [17]Thus there were fourteen generations in all from Abraham to David, fourteen from David to the exile to Babylon, and fourteen from the exile to the Christ.

The Birth of Jesus Christ

[18]This is how the birth of Jesus Christ came about: His mother Mary was pledged to be married to Joseph, but before they came together, she was found to be with child through the Holy Spirit. [19]Because Joseph her husband was a righteous man and did not want to expose her to public disgrace, he had in mind to divorce her quietly. [20]But after he had considered this, an angel of the Lord



سادس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الأخدود

على الرغم من الكشف الأثري للأخدود الذي قام أحد جبابرة اليمن القدماء (وكان اسمه «**ذو نواس**») بحرق عدد من مؤمني أهل نجران فيه وهم أحياء، وعلى الرغم من وجود بقايا هياكل المحروقين في هذا الأخدود الواقع في إحدى مناطق محافظة نجران تعرف باسم «**القابل**» وتقع إلى الجنوب من وادي نجران الحالي، (في الجنوب الغربي من أرض المملكة العربية السعودية)، فإن كثيراً من المؤرخين المعاصرين لا يذكرون تلك الواقعة في مدوناتهم. من هنا فإن إثبات كل من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة لهذه الواقعة يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذين المصدرين الرئيسيين للإسلام العظيم.

77 ـ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البروج: 4].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة جاءت في مطلع سورة «البروج»، وهي سورة مكيّة، وآياتها اثنتان وعشرون (22) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لاستهلالها بقسم من الله ـ تعالى ـ يقول فيه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: 1].

ويدور المحور الرئيس لهذه السورة المباركة حول قضيّة العقيدة الإسلاميّة، شأنها في ذلك شأن كلّ السور المكيّة. وتركز سورة «البروج» على «**حادثة أصحاب الأخدود**» كنموذج لتجبر أهل الباطل على أهل الحق، ولثبات أهل الحق على إيمانهم باللَّه الواحد الأحد، الفرد الصمد. وثبات المؤمنين بالله

لا يتزعزع مهما بلغت فتن الباطل وأهله. وذلك انطلاقاً من اليقين الرَّاسخ بأنَّ خالق الخلق، وموجد الوجود كلّه، هو ربّ هذا الكون ومليكه، وأنَّه لا سلطان لمخلوق بجوار سلطان الله العزيز الحميد. وقد أقسم ربنا ـ تبارك اسمه ـ بعظيم قدرته، وبطلاقة إرادته على معاقبة كل من يؤذي عبداً من عباده الموحدين، وهذا القسم الإلٰهي المطلق يشمل كلًّا من الزمان والمكان إلى قيام الساعة.

حادثة أصحاب الأخدود

أولاً: رواية رسول الله ﷺ للواقعة:

أخرج الإمام مسلم عن صهيب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمَّا كَبِر قال للملك: إنِّي قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك (راهب) فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالرَّاهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللَّهم! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدَّابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنَّما ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع به جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال الغلام: إنِّي لا أشفي أحداً، إنَّما يشفي الله ـ تعالى ـ، فإن أنت آمنت باللَّه دعوتُ الله فشفاك، فآمَنَ باللَّه، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: مَن ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربِّي، قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربِّي وربّك الله،**

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام. فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنمَّا يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال الغلام: اللَّهم! اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلَّا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ماذا فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، ثم قال للملك: إنَّك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال الملك: وما هو؟ قال الغلام: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله، ربِّ الغلام، ثم ارمني، فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الملك الناس في صعيد واحد، وصلب الغلام على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله، ربّ الغلام، ثم رماه فوضع السَّهم في صدغه. وضع الغلام يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا بربّ الغلام، آمنَّا بربّ الغلام، آمنَّا بربّ الغلام. فأتيَ الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد، باللَّه! نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر الملك بالأخدود بأفواه السكك فخدَّت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه! اصبري، فإنَّك

على الحق»[1].

ثانياً: رواية المؤرّخين عن الواقعة:

تروي لنا كتب التاريخ أنَّه **في القرن السادس الميلادي** حكم بلاد اليمن **أحد ملوك «حِمْيَر»** وكان اسمه **«ذو نواس»**، وكان كافراً مشركاً، متجبّراً متغطرساً، وإن نسب نفسه إلى الديانة اليهوديّة. وكان من شدّة عدوانيّته أنَّه أراد إكراه الناس من حوله على اعتناق دينه المحرف، والقائم على عبادته هو من دون الله الخالق البارئ المصور. واليهوديّة بعد أن تمّ تحريفها بأيدي حاخاماتها قامت على العنصريّة المقيتة التي لا تقبل أحداً من غير الأُصول اليهوديّة التي يعتقدون بعلوّها فوق غيرها من الأعراق، انطلاقاً من دعواهم الكاذبة بأنَّ اليهود هم شعب الله المختار، وأبناء الله وأحباؤه، وأنَّ باقي البشر عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة آدميّة حتى يكونوا لائقين للقيام بخدمة اليهود!!

وانطلاقاً من عدوانيّة **«ذي نواس»** مدّعي اليهوديّة، فإنَّه قام بشَنّ عدد من الحروب على جيرانه، وكان من أبرز هؤلاء الجيران زعيم باسم **«ذي الشنائر»** انتصر عليه **«ذو نواس»** وقتله، وبالتالي وطد ملكه في صنعاء، وفرض معتقداته المحرفة على كلّ اليمن. وبعد فترة من الزمن بلغه أنَّ دين التوحيد الذي دعا إليه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قد وصل إلى أهل نجران، وآمن به غالبية الناس حتى مَن كان منهم من قبل على دين اليهود. وعلى إثر هذا الخبر قرر **«ذو نواس»** أن ينكل بالذين آمنوا تنكيلاً شديداً حتى يَنْفَضُّوا عن إيمانهم باللّه - تعالى - ويعودوا إلى معتقداته المحرفة. وبالفعل جهز جيشاً جراراً، وخرج على رأسه إلى **(نجران)** فحاصرها حصاراً شديداً حتى استسلم أهلها، فأرعبهم بقوّاته التي استباحت الأرض ومَن عليها. ثم جمع زعماء المدينة وخيَّرهم بين الردّة عن

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، حديث رقم (7436)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (3340).

الإيمان باللّه أو القتل حرقاً بالنيران. رفض غالبيّة المؤمنين أن يرتدّوا إلى الشرك باللّه ـ تعالى ـ بعد أن مَنَّ الله ـ تعالى ـ عليهم بنعمة توحيده. عندئذ أمر «**ذو نواس**» بحفر أُخدود عميق على هيئة حفرة مستطيلة كبيرة مُلئت بالحطب وأُضرمت فيها النيران حتى تأججت. ثم جاء هذا الطاغية الكافر، مدعي اليهودية، وزبانيته من الحاشية والجنود، وجلسوا على حافّة هذا الأُخدود المتأجج بالنيران، ثم نودي على كلِّ مؤمن ومؤمنة، لِيُسَاوِمُوا كلّ فرد منهم على دينه، ومن يرفض يُلقى وسط النيران حيًّا ليموت أمام تهليل وضحكات هذا الملك الطاغية وزبانيته، وتَشَفِّيهم بإحراق عباد الله المؤمنين في أعماق الأُخدود بالنيران، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: 1 ـ 9].

والآيات تثبت اللّعنات والطرد من رحمة الله على أصحاب الأُخدود (وهم «**ذو نواس**» **وزبانيته**)، وجواب القسم محذوف وتقديره: إنَّ كفار ,مشركي قريش سوف تلحقهم **لعنة أصحاب الأُخدود** إن لم يؤمنوا بالرسالة الخاتمة، وذلك لتشابه مواقفهم من الحقّ وأهله.

وبعد هذه الجريمة البشعة التي اقترفها «**ذو نواس**» وزبانيته سلَّط الله ـ تعالى ـ عليهم جيشاً حبشيًّا بقيادة «**أبرهة الأشرم**» الذي غزا اليمن انتقاماً لما تعرّض له أهل نجران من ظلم جائر. استمرَّت الحرب بين الأحباس واليمنيين عامين كاملين، ولمَّا يئس «**ذو نواس**» من تحقيق أي قدر من النصر نزل بجواده إلى البحر الأحمر منتحراً غارقاً كي لا يقع في الأسر بأيدي أعدائه، وهو يهرب من قدر الله إلى قدر الله ﷻ.

بعد انتصار «**أبرهة الأشرم**» على «**ذي نواس**» وجنده قام يحكم اليمن باسم ملك الحبشة، وبنى بها عدداً من الكنائس كان أهمها «**القليس**» بصنعاء، كما قام

بترميم سدّ مأرب بعد أن كان قد تصدع. كما قام بمحاولة فاشلة لغزو مكّة المكرّمة من أجل هدم الكعبة المشرّفة على أمل تحويل أنظار العرب وأموالهم إلى الأسواق التجاريّة في صنعاء، وإلى الكنيسة التي بناها فيها وسماها باسم «**القليس**».

ثالثاً: رواية الآثاريين عن الواقعة:

يقول الآثاريون إنَّ الأخدود منطقة أثريّة مهمة تقع في محافظة «**نجران**» في قرية تعرف باسم «**القابل**» إلى الجنوب من وادي نجران، وإنَّ عظام ورماد الذين أحرقوا على أيدي «**ذي نواس**» من عباد الله المؤمنين لا تزال موجودة في هذا الأُخدود حتى اليوم شاهدة على صدق الواقعة. ومن الثابت أنَّ الإسلام كان قد وصل إلى أهل اليمن على زمن عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام الذي عاش في الفترة من (985 إلى 932ق.م) وكان حكمه في الفترة من (969 إلى 932ق.م).

كذلك تدلّ دراسة الآثار في بقايا «**مملكة سبأ**» بجنوب اليمن على وجود ذكر للملكة بلقيس (1000 ـ 950ق.م) التي حكمت تلك المملكة وسافرت إلى مدينة القدس عن طريقة مدينة العقبة (**آيلة**)، **وذلك للقاء عبد** الله ونبيه سليمان عليه السلام الذي أسلمت على يديه كما جاء في القرآن الكريم الذي يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان هدهد سليمان ما نصه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ

وَأُولُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 22 ـ 44].

وبناء على إسلام «**ملكة سبأ**» آمن شعبها باللَّه الخالق البارئ المصوّر، وانتشر التوحيد في أرض اليمن بعد أن كان أهلها يعبدون الشمس من دون ﷲ. وكانت «مملكة سبأ» تمثّل واحدة من أقدم الممالك العربيّة اليمنيّة. وجاء ذكر **الملكة بلقيس** في بعض النقوش التي خلفها الملك سرجون ملك آشور (720 ـ 705ق.م)، كما جاء ذكر عاصمة ملكها «**مأرب**» في تلك النقوش.

وكانت صلة «ملكة سبأ» بعبد ﷲ ونبيه سليمان عليه السلام سبباً في عودة التوحيد إلى شبه الجزيرة العربيّة من جديد، بعد أن كان أهلها قد انحرفوا عن ملّة كلّ من أنبياء ﷲ «نوح» و«هود» و«صالح» و«إبراهيم» وولده «إسماعيل» عليهم السلام، ولذلك عبدوا الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب وغيرها، وركّز أهل اليمن على عبادة الشمس.

من هنا أيضاً شاع التوحيد الذي دعا إليه كل من أنبياء ﷲ موسى وهارون،

وداود، وسليمان في عدد من الجيوب التي انتشرت على أطراف الجزيرة العربيّة، وكان من أهمّها كل من مصر وبلاد الشام وأرض اليمن. كذلك يذكر بأنَّ اثنين من أبناء عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام قد حملا دين الله تعالى إلى بلاد الحبشة، ومن هنا كانت صلة الأحباش بأهل اليمن. وكان «ملوك الدولة الحميرية» في اليمن على الإسلام، الذي جاء به كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام ، وكان ملوك حمير يعرفون باسم **(التبابعة)** لأنَّ اللقب **(تبع)** كان يطلق على كل ملك من ملوكهم، وكان أوَّل التبابعة هو **حسّان بن أسعد بن أبي كرب** الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، وجعل كلًّا من مأرب (حيث السدّ المشهور) وظفار عاصمتين لملكه، وينسب إليه أنَّه كان أوَّل مَن أمر بكسوة الكعبة المشرّفة. وكطبيعة كل دعوات الأنبياء فإن دعوة الإسلام في اليمن مرّت بدورات من الإيمان والتوحيد، والالتزام بمنهج الله، ثم الانحراف عن هذا المنهج. فعبد اليمنيون الشمس في إحدى دورات الانحسار للتدين التي عاشوها.

هذا الاستعراض يؤكّد على صدق الإشارة القرآنيّة إلى «أصحاب الأُخدود»، وثابت تاريخاً أنَّ رسول الله ﷺ لم يزر منطقة «نجران» أبداً، فضلاً عن أنَّ أحداً من معاصريه لم يكن يعلم بتفاصيل قصّة «أصحاب الأُخدود»، وورودها في كلّ من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ هو صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الكتاب والسنّة، تشهد بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما تشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوّة وبالرّسالة.

سابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف

هناك إشارات صريحة في التراث الإنساني إلى قصة «أهل الكهف»، وسمى القرآن الكريم إحدى سوره باسم سورة «**الكهف**»، وقد تم اكتشاف موقع هذا الكهف بما وصفه به القرآن الكريم في هذه السورة الباركة. على الرغم من ذلك كله. فإن كثيراً من الدهريين المعاصرين ينكرون الواقعة بالكامل. **ومن هنا فإن تأكيد القرآن الكريم لوقوع حادثة أهل الكهف يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب** الله.

80 ـ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: 9].

في ذكر قصّة «**أصحاب الكهف**» يقول القرآن الكريم مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا

غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: 9 ـ 26].

ثانياً: اكتشاف كهف الفتية:

في خريف سنة 1953م تمَّ تحديد موقع كهف الفتية في قرية الرجيب (الرقيب)، بالقرب من مدينة عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية. ووجد أنَّ باب هذا الكهف يتَّجه إلى الجنوب الشرقي في اتجاه القبلة تماماً، كما حددته الآيات في سورة الكهف، وعلى جانبيه عمودان منحوتان في الصخر يحملان نقوشاً بيزنطيّة. وقد بدأت عمليات الكشف عن الكهف في منتصف سنة 1963م، وتمَّت الموافقة على إعمار مسجد بجواره في سنة 1970م، ويعرف هذا المسجد اليوم باسم «**مسجد الكهف**».

ثالثاً: أهل الكهف في المصادر المسيحية:

ورد لقصّة «أهل الكهف» ذكر في بعض المصادر المسيحيّة القديمة تحت عنوان «**النائمين السبعة**»، ولكن المصادر اليهوديّة لم تذكر شيئاً عن تلك لقصة.

وكان أوّل مَن أشار إلى تلك القصّة من المسيحيين هو الكاهن العراقي «**جيمس الساروغي أو الساروجي**» (452م ـ 518م) (James of Sarus = Jacques de Saroug) الذي عاش بمقاطعة «ساروغ (ساروج)» في العراق، وكتب القصّة شعراً باللّغة السريانيّة دون إشارة إلى المصدر الذي استقاها عنه. ثم قام بنقل هذه القصة عن قصيدة جيمس الساروغي إلى اللّغة اللاتينيّة «**القس جريجوري**» أسقف مدينة تور الفرنسيّة في القرن السادس الميلادي.

وكان «الساروغي» هذا قد عاصر الإمبراطور **جيستين الأوّل» (Justin)** (452 ـ 527) الذي حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة في الفترة من (518 ـ 527م). ويعتقد الساروغي بأنَّ أصحاب الكهف أفاقوا من سباتهم في زمانه، أو قبل زمانه بقليل، وأنه قد تمّ العثور عليهم، ثم ماتوا وبنيت غرفة العبادة (المسجد) فوق الكهف لوجود نقود صكت باسمه عند قواعد تلك الغرفة. ولكن الغالب أن يقظة أهل الكهف قد تمت في عهد **الإمبراطور الروماني «ثيودوسيوس الثاني» (Theodosius-II)** الذي حكم في الفترة من (408 ـ 450م) لأنه إذا كان **الإمبراطور تراجان (Trajan)** قد بدأ في اضطهاد النصارى سنة (112م)، وأن الفتية كانوا قد لبثوا في كهفهم (300) سنة شمسية، فهذا يعني أن الله ـ تعالى ـ قد أيقظهم في حدود سنة (412م) التي تقع في خلال حكم ثيودوسيوس الثاني. وقد تمّ نقل هذه القصّة بعد ذلك من السريانيّة إلى العديد من اللّغات التي كانت منها اليونانيّة، واللاتينيّة، والحبشيّة، والهنديّة، والفارسيّة، والعربيّة.

رابعاً: أهل الكهف في التراث الحديث:

في كل من موسوعته المعنونة «تاريخ انحطاط وسقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة» (The history of the decline and fall of the Roman Empire (vol.1; 176-178)، ثم في كتابه المعنون «الصراع بين الإيمان والمادية» ذكر المؤرّخ الإنجليزي «**إدوارد جيبون» (Edward Gibbon 1737-1794)** الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي **قصّة «النيام السبعة»**، معتبراً إيّاها من الخرافات الإغريقيّة، ومدّعياً أنَّ القرآن الكريم قد صاغها بأسلوب شيّق!! وذلك وللأسف الشديد فإنَّ معظم الذين تناولوا هذه

الواقعة من الكتّاب الغربيين قد تابعوا «إدوارد جيبون» في مزاعمه، وكان منهم **المستشرق الفرنسي «ماسينيو» (L.Mssignon, 1883-1962)**، **وقد زعموا بأنَّ الكهف يقع في بلدة إفسوس (Ephesus) بإقليم الأناضول التركي** دون أدنى أدلّة تاريخيّة أو دينيّة على ذلك. كما اقترح غيرهم وجود كهف الفتية **بمدينة «طرطوس» في شمال سوريا**.

ويعلم هؤلاء الكتّاب الغربيّون أنَّ واقعة **«أهل الكهف»** كانت بعد زمن المسيح عليه السلام، وبما أنَّهم لم يؤمنوا ببعثة الرسول الخاتم ﷺ فإنَّهم لا يملكون خبر السماء عن واقعة أهل الكهف. وكل ما عندهم من أخبار تناقلها الناس شفاهاً عن هذه الواقعة بأقوال متضاربة كثيراً فيما بينها، ولذلك أخطأوا في تحديد مكان الكهف، وجعلوه في «إفسوس» باعتبار أنّها كانت مركزاً للدعوة المسيحيّة، بعد أن كانت من قبل مركزاً من مراكز الشرك باللّه وعبادة الأوثان والأصنام.

وممَّا يؤكّد صدق هذه الواقعة تاريخيًّا أنَّ لفظتي (الكهف) و(الرقيم) كانتا تترددان على ألسنة قدامى الشعراء العرب من أمثال **«أُميّة بن أبي الصلت»**. كذلك فإنَّ الصحابي الجليل **«عبادة بن الصامت»** ذكر أنه زار **«كهف الرقيم»** على طريق القوافل بين الحجاز وبلاد الشام، وهو في طريقه إلى ملك الروم، من أجل دعوته إلى الإسلام في زمن الخليفة الأوّل سيّدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وليس هذا فقط، بل إنَّ موقع **«كهف الرقيم»** كان معروفاً لدى المسلمين الأوائل، فقد ذكره كلّ من **«المقدسي»** في كتابه المعنون «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، و**«ياقوت الحموي»** في كتابه المعنون «معجم البلدان»، كما زاره الأمير **«أسامة بن منقذ»** أحد قواد البطل **«صلاح الدين الأيوبي»**.

كذلك كان ممن زاروا موقع **«كهف الرقيم» (الرجيب)** من الغربيين كلّ من **المستشرق الفرنسي «تشارل كليرمونت ـ جانو» (C. Clermont-Ganneau)** الذي عاش في الفترة من (1846 ـ 1923م) وكان قنصلاً لفرنسا في مدينة القدس في زمن الخلافة العثمانيّة. كما زاره مندوبان من **الجمعية الآثارية البريطانيّة** التي عرفت

باسم «**صندوق التنقيب الفلسطيني**» **(Palestine Exploration Fund)** والتي نشرت كتاباً في سنة 1882م بعنوان «**مساحة شرق فلسطين**». وزاره من الغربيين كذلك الفرنسي «**إيزوبيل فيستير**» **(Isobel Fistere)** ونشر مقالاً مفصّلاً عنه في إحدى المجلّات الإنجليزيّة ذكر فيه الدراسات العلميّة التي تؤكد الوصف القرآني لأهل الكهف.

وزار «كهف الرقيم» كذلك الأمريكي «**هوج نبلي**» أستاذ الدين والآثار (بجامعة يانج برجهام) والذي نشر بحثاً وافياً عن موقع الكهف، وأكَّد أنَّه هو الكهف المقصود في المصادر الإسلاميّة والمسيحيّة (وليس كهف إفسوس). وذكر «**هوج نبلي**» أنَّ أصحاب الكهف عاشوا في أواخر القرن الميلادي الأوَّل وبداية القرن الثاني، وأنَّهم هربوا بدينهم والتجأوا إلى البلقاء في الأردن، وذلك لأنَّ **الإمبراطور الروماني «تراجان» (Trajan)** الذي حكم في الفترة من (98 ـ 117م) كان قد أصدر في سنة (112م) مرسوماً يقضي بإدانة كلّ نصراني لا يقدِّم القرابين للأصنام التي كان يعبدها، ويقوم بالسجود لها. ولما كان هؤلاء الفتية قد رفضوا الشرك باللَّه فإنهم فرّوا بدينهم إلى «**كهف الرقيم**». ويؤكّد ذلك ما عُثِر عليه من النقود البيزنطيّة في كهف الفتية بالرقيم، والتي أكّد دارسوها أنَّها من عهد الإمبراطور «**تراجان**» الذي كان قد غزا أرض الأردن في حدود سنة (106م)، وبنى المدرج الروماني الموجود بقاياه في وسط عمّان إلى اليوم. وكان «تراجان» قد ملأ هذا المدرج الروماني بالأصنام التي كان هو وأتباعه يعبدونها من دون ﷲ، وقد وجدت بقايا كثيرة لها في هذا المدرّج.

وكان الإمبراطور «**تراجان**» يقضي بالموت على كل مَن يرفض عبادته الوثنيّة، وكان أتباع المسيح ﵇ يُلاحَقُون ويُقْتَّلُون طيلة فترة حكمه، وكان هؤلاء الفتية من أخلصهم إيماناً باللَّه ـ تعالى ـ ويقينيًا في وحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه، ففروا بدينهم إلى الكهف هروباً من طغيان هذا الإمبراطور الوثني الجائر.

وقد أورد عدد من المؤرخين أن (**تراجان**) هذا كان طاغية مفسداً في

الأرض، وكان يصب جام غضبه على نصارى عصره الذين عدهم من الخونة المارقين من عقيدته، الخارجين على حكمه ولذلك شدّد من وطأته عليهم فخاف منه النصارى وتكتّموا أمر دينهم وكان من هؤلاء فتية الكهف.

وبعد هذا الطغيان شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يخفف من مطاردة عبدة الأصنام والأوثان للمؤمنين من أتباع المسيح عليه السلام، فتحول الإمبراطور الروماني «**قسطنطين الأوَّل**» **(Constantine-1)** من الوثنيّة إلى المسيحيّة في (سنة 313م)، ودعا إلى مؤتمر نيقية سنة (325م) وتوفي سنة (337م). ثم خلفه من بعده ابنه «**قسطنطين الثاني**» **(Constantine-2)** الذي قتل في سنة (340م). وظل حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة ينتقل من حاكم إلى آخر حتى جاء عهد الإمبراطور «**ثيودوسيوس الثاني**» **(Theodosius)** الذي حكم في الفترة من (408 ـ 450م) ويعتقد أنَّ فتية الكهف فاقوا من نومهم في عهده. وكان في بعثهم ما يؤكد أن الله ـ تعالى ـ قادر على تحقيق البعث، وقضية البعث كانت ولا تزال محل شكوك المتشككين، ورفض الملاحدة الكافرين. وشاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يفيق هؤلاء الفتية ليؤكّد بذلك الحدث أيضاً على منازل المؤمنين الذين يؤثرون الهجرة بدينهم على الرضوخ لجور الحكام الظالمين.

خامساً: وجه الإعجاز الإنباتي والتاريخي في الآية الكريمة:

جاء الوصف القرآني لقصّة «**أصحاب الكهف**» على نسق كل القصص القرآني بدون تفاصيل الأسماء، والأماكن، والتواريخ، وذلك من أجل التركيز على استخلاص الدروس والعِبر المستفادة منها. وجاءت الكشوف الآثاريّة لتؤكّد صدق القرآن الكريم في كلّ ما جاء به. فالكهف المكتشف يقع في منطقة «**الرقيم**» و(ليس في إفسوس) ولا في غيرها من الأماكن التي تم إقتراحها. **والفتية كانوا سبعة وثامنهم كلبهم** و(لم يكونوا أكثر أو أقل)، **وإنَّ فترة مكثهم في الكهف كانت ثلاثمائة سنة شمسيّة (وهي تساوي ثلاثمائة وتسعاً من السنوات القمريّة). كذلك فإنَّ مسجداً كان قد بني فوق الكهف بعد وفاة هؤلاء الفتية ودفنهم في الكهف الذي تتجه فتحته في الاتجاه الجنوبي الشرقي (أي في اتجاه القبلة إلى الكعبة المشرفة**

تماماً). وورود تلك التفاصيل في القرآن الكريم بهذه الدقّة الفائقة يمثّل جانباً من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، مما يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوَّة وبالرسالة.

وانطلاقاً من التوجّه المادي البحت للحضارة المعاصرة أنكر كثير من الدهريين المعاصرين واقعة «**أصحاب الكهف**» فيما أنكروا من معجزات جميع الأنبياء، وذلك لتصوّرهم أنَّه ليس في الإمكان إبقاء جسد حي في حالة السبات العميق لمدّة ثلاثمائة سنة شمسيّة ثم إيقاظه حيًّا. ويبطل هذا الزعم أنَّ الأطباء المعاصرون ـ بإمكاناتهم المحدودة ـ قد تمكنوا من حفظ عدد من أعضاء جسد الإنسان بالتبريد البطيء (وذلك من مثل القلب، الكبد، الكلى، قرنية العين، والدم، وغيرها) وذلك بعمليّة تسمى **عمليّة وقف الاستقلاب (Metabolic Inhibition)**. وفي هذه العملية يتمّ إيقاف عمليّات الهدم والبناء للخلايا والأنسجة بالتبريد التدريجي. كذلك أمكن تعريض جسد الإنسان للتبريد التدريجي إلى درجات حرارة منخفضة حتى يتجمّد بالكامل دون إحداث ضرر بأي من خلاياه أو أنسجته أو أجهزته فيصبح شبيهاً بالميت. ثم بتدفئة هذا الجسد المتجمّد، وذلك برفع درجة حرارته بالتدريج عاد إلى حالته الحيّة. وقد تعلّم العلماء ذلك من حالات أعداد من البشر الذين دفنوا تحت الجليد لعدّة أيّام، وبالتدفئة التدريجيّة عادوا إلى الحياة بإذن الله. وإذا كان الأمر قد أصبح اليوم بمقدور الإنسان، فهل يعجز خالق الإنسان عن تحقيقه؟

وحفظ الله ـ تعالى ـ لأجساد «**أصحاب الكهف**» من التحلل على مدى ثلاثمائة من السنين الشمسيّة (= ثلاثمائة وتسعاً من السنين القمريّة)، ثم إيقاظهم من سباتهم الطويل بقدرته فيه شبه من عودة الأجساد المتجمّدة إلى الحياة بواسطة التدفئة التدريجيّة، (مع الفارق الهائل بين قدرات المخلوقين وقدرات خالقهم). ويبقى من الدقّة القرآنيّة الفائقة تحديد فتحة الكهف بأنَّها في اتجاه القبلة، حتى لا يختلط الأمر على الناس، فيرجف المرجفون باقتراح عدد من الكهوف غيره من مثل **كهف «إفسوس»** في تركيا، أو **كهف «طرطوس»** في شمال سوريا، ومن أجل ذلك قال

ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: 17].

وهذا الوصف القرآني الدقيق يحدد فتحة الكهف في اتجاه الجنوب الشرقي، وهو اتجاه القبلة لأهل قرية «الرقيم». ومن الدقة القرآنيّة الفائقة كذلك الإشارة إلى العثور على هؤلاء الفتية المؤمنين بعد بعثهم من رقادهم، ثم وفاتهم، وقد تحقق ذلك بالفعل. ثم الإشارة إلى المسجد الذي بني فوق الكهف وقد تم اكتشافه وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: 21].

وقد تم اكتشاف هذا المسجد فوق الكهف مباشرة بعد إزالة الردم والأنقاض التي كانت قد تجمَّعت عليه؛ وهو مقام على سبعة أعمدة رومانيّة ما زالت بقاياها قائمة إلى اليوم.

هذه الحقائق منفردة ومجتمعة هي من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، التي تشهد له بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما تشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومتلقياً هذا العلم من عند رب العالمين، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى مَن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

81 ـ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: 10، 11].

هاتان الآيتان القرآنيّتان الكريمتان تتحدّثان عن إحدى الوقائع التاريخيّة الهامّة ألا وهي واقعة «**أصحاب الكهف**» الذين فروا بدينهم من أحد الحكام الجائرين فلجأوا إلى أحد الكهوف في إحدى البراري المجاورة لمدينتهم، واختبأوا فيه، فأنامهم الله ـ تعالى ـ إنامة ثقيلة، ثم أيقظهم بعد ثلاثمائة سنة شمسية (= ثلاثمائة وتسع من السنين القمرية). وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: 25]، وقد أيقظهم الله ـ تعالى ـ من سباتهم الطويل بمعجزة تشهد له ـ سبحانه ـ بالقدرة على البعث، كما تشهد له برعايته لعباده الصالحين في كلّ زمان ومكان.

وقد اختلف المفسّرون في هوية «أصحاب الكهف»، ولكن الغالب أنّهم كانوا من أتباع عبد الله ونبيه عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنّهم عاشوا على أرض فلسطين في ظلّ احتلال الإمبراطور الروماني الطاغية «تراجان» الذي حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة في الفترة (من 98م إلى 117م)، واحتل أرض فلسطين سنة 106م، وأجبر أهلها على عبادة الأصنام، وأصدر في سنة (112م) مرسوماً يقضي بإدانة كل نصراني لا يقدّم القرابين للأصنام التي كان يعبدها هو وحاشيته وزبانيته. لذلك طارد «**تراجان**» أتباع السيد المسيح عليه السلام، فقتل منهم مَن قتل، وشرَّد مَن شرَّد. و«**أصحاب الكهف**» كانوا ممَّن فَرَّ بدينه من جور هذا الحاكم الطاغية فأنزل الله ـ تعالى ـ عليهم معجزة من عنده، فناموا نوماً عميقاً لثلاثمائة وتسع من السنين القمريّة. ثم بعثهم الله ـ تعالى ـ من نومهم هذا في عهد الإمبراطور (**ثيودوسيوس**) في الفترة الواقعة بين (408م و450م)، ويؤكّد ذلك النقود البيزنطيّة التي وجدت

في كهف الأردن المعروف باسم **كهف «الرجيب»** بالعاميّة، وأصلها **«الرقيم»** كما سمّاه القرآن الكريم، والذي اكتشف في صحراء البلقاء على بعد بضعة كيلومترات من مدينة عمان في سنة 1953م.

العلاقة بين الضرب على الآذان والاستغراق في النوم العميق:

بعد استعراضنا للذين كتبوا عن قصة أهل الكهف، بين مُثبت للواقعة ومُكذِّب لها، نوجز هنا توضيح العلاقة بين الضرب على الآذان والاستغراق في سبات عميق، وإن كان الأمر قد تمّ بمعجزة إلٰهيّة، والمعجزات لا تعلل. ونصّ الآية القرآنية الكريمة رقم (11) في سورة «الكهف» يشير إلى علاقة ما بين الضرب على الآذان والاستغراق في النوم العميق، قال عنها بعض المفسّرين القدماء أنها حالة من الإغماء الطويل، ولكن الإغماء العادي إذا طال دون عناية مركّزة يفضي حتماً إلى الوفاة.

وقال البعض الآخر: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قد حجب عن كلّ منهم وظيفة السمع ليناموا، وإن كان الظاهر أنَّه ﷻ قد أوقف وظيفة السمع ضمن إيقاف جميع وظائف الجسم الأخرى. فآذانهم لا يسمعون بها رغم كونها موجودة، وعيونهم لا يبصرون بها رغم كونها مفتوحة، وعضلاتهم لا يستعملونها رغم كونها سليمة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: 10 ـ 12].

ثم قال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: 18].

النوم من ضرورات الوجود لكل كائن حي:

في شرح دلالة هذه الآيات نقول أنَّ الإنسان ينفق ثلث عمره في النوم،

والنوم هو ضرورة من ضرورات الوجود للكائن الحي، لأنَّ خلاله يتعرَّض الجسم ـ بصفة عامّة ـ والمخ ـ بصفة خاصّة ـ إلى سلسلة من التغيرات الأساسيّة التي تجعله مغايراً لحالة اليقظة. والإنسان يدخل إلى النوم عبر عدد من المراحل المتدرجة، وذلك لأنَّ الشبكة العصبيّة للمخّ تختلف في حالة المنام عنها في حالة اليقظة. كذلك يختلف معدّل تدفق الدم إلى المخ، ووفرة الأوكسجين به، ونسب توزيعه أثناء النوم، وتتباطأ عمليات الاستقلاب في المخ أثناء الاستغراق في عملية النوم، وكذلك جميع العمليّات المستقلة في جسد النائم (Autonomic Functions) ومنها التحكم في درجة حرارة الجسم، وعمل نظام الغدد الصمّاء، وغيرها.

والجهاز العصبي المركزي (Central Nervous System) يتحكّم في الدورة العاديّة لليقظة والمنام، فهو الذي يعين النائم على الإحساس بالوسط المحيط به. واليقظة يدعمها جهاز الحسّ، والنقص في مستوى هذا الحس أو غيابه هو الذي يؤدي إلى النوم (Bremer, 1935). هذا، وقد ثبت وجود علاقة عكسيّة بين الاستغراق في النوم ومستوى الحس (Velluti, 1997). وعلى الرّغم من أنَّ قدرات المخّ على تحليل المعلومات المحسوسة تتناقص بشكل ملحوظ عند النوم، إلّا أنها لا تتلاشى بالكامل. فجميع نظم الحس في الإنسان تتأثّر بحالة النوم أو اليقظة للمخ وتؤثّر فيه. والمخ النائم يفرض قيوداً على عمليّة تحليل المعلومات الواردة إلى الجهاز العصبي المركزي. ولو أنَّنا لا نفهم بالكامل كيفيّة تحليل المخ للمعلومات الحسيّة الواردة إليه أثناء النوم، وذلك لتعقد الشبكات العصبيّة المستقبلة للمعلومات والموردة لها إلى الجهاز العصبي المركزي، وتلك الحاملة للأوامر الصادرة من المخّ. وهناك ملاحظات عديدة تدعم الارتباط الوثيق بين النوم وتنمية كل من الذاكرة، ووظائف السمع. وذلك لأنَّ السمع هو الجهاز الوحيد للاستقبال عن بعد للإنسان الذي يبقى مفتوحاً بدرجة نسبية في أثناء فترة النوم، ليبقى راصداً للبيئة التي يوجد فيها النائم، ويبقى واعياً لمختلف المؤثّرات فيه، وذلك من مثل بكاء الأطفال الصغار الذي سرعان ما يوقظ والديه (أحدهما أو كلاهما، خاصّة الأُم) (Marisa Pedemonte, 2002; Ricardo Velluti 1997).

كذلك فإنَّ العلاقة بين الضجيج وقلّة النوم، وبين الهدوء والاستغراق في النوم، تؤكّد العلاقة بين الإدراك السمعي والنوم، والذي يؤكّده كذلك وجود صور سمعيّة في حوالي 65% من الأحلام التي يتذكّرها أصحابها. وتزايد تدفق الدماء إلى مراكز السمع بشكل ملحوظ في أثناء **النوم المتقطع (Paradoxical sleep)** يؤكّد العلاقة بين النوم ووظائف السمع. وهذا مما يجعل من الإشارة القرآنيّة الكريمة التي يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: 11]، وجهاً من أوجه **الإعجاز العلمي** في كتاب ﷲ، وسبقاً علميًّا في زمن لم يكن لأحد من الخلق أيّة إمكانيّة لإدراك ذلك.

وقد تأكّدت هذه العلاقة بتجربة علميّة ناجحة قامت بها طالبة بالمرحلة الجامعيّة الأولى بجامعة جون هوبكنز الأمريكية (John Hopkins University) اسمها «سيرينا ج. جونديك» (Serena J. Gondek)، وعمرها (21) عاماً وكانت هذه الطالبة الصغيرة تدرس الهندسة الطبيّة الحيويّة (Biomedical Engineering) في تلك الجامعة، وقد قرأت بحثها أمام أحد المؤتمرات العلميّة في 28/ 4/ 1998م. وفي هذا البحث ذكرت سيرينا ج. جونديك أنَّها استخدمت عدداً من الأقطاب الكهربيّة الموصلة مباشرة إلى المخّ في محاولة للبحث عن أجزائه التي تستثار بالأصوات في أثناء النوم، **فوجدت أنَّ مراكز السمع الرئيسة على جانبي المخ (فوق الأذنين مباشرة) هي التي تستقبل الأصوات في كل من حالتي اليقظة والمنام، وإن كان ذلك يتمّ بدرجة أقل في حالة المنام.** كذلك وجدت هذه الطالبة أن الفص الجبهي يشترك من المخ الذي له دور أساسي في عمليّة الوعي، وفي تقرير هل يوقظ صاحبه النائم أم لا عند تلقيه بعض الإشارات العصبيّة من المستثيرات الصوتيّة.

والعلاقة بين الآذان ـ وهي الأبواق الخارجيّة لمراكز السمع (على جانبي المخ) وبين الاستغراق في النوم أو اليقظة بسبب انخفاض أو ارتفاع الموجات الصوتيّة الواصلة إلى الأذن لم تكن معروفة في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده. ولم تدرس هذه العلاقة دراسة مختبرية إلَّا في القرن العشرين، ولم تتبلور

بعض نتائجها إلَّا في العقود المتأخّرة منه. وسبق القرآن الكريم بذكر هذه العلاقة، وهو كتاب أُنزل على نبي أميّ ﷺ، وفي أمّة كانت غالبيَّتها الساحقة من الأُميين من قبل ألف وأربعمائة سنة، لمما يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للنَّبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوَّة وبالرسالة.

وفي كتابه المعنون «**تاريخ العرب قبل الإسلام**» يذكر الدكتور جواد علي أن الإمبراطور الروماني «تراجان» كان طاغية جباراً في الأرض، وقام باضطهاد النصارى في زمانه لأنه كان وثنياً يعبد الأصنام، لذلك أصدر في سنة (112م) قانوناً بقتل كل نصراني لا يخلص للقيصر وللإمبراطورية الرومانية. وكان «**تراجان**» هذا يعتبر النصارى في عداد الخونة المارقين على القانون، ولذلك شدّد من قبضته عليهم مما دفعهم إلى تكتم أمرهم أو الفرار بدينهم من جور هذا الطاغية، أو الانزواء بعيداً عن أعين جنده. وكان ممن انزووا فراراً بدينهم فتية الكهف.

وإذا علمنا أن الفارق الزمني بين هؤلاء الفتية وبعثة المصطفى ﷺ يصل إلى خمسمائة عام، وأن العرب لم يكونوا أمة تدوين، أدركنا وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في إيراد القرآن الكريم لقصة فتية الكهف.

ثامن وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم للعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان كل من داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام

كان الدين الذي جاء به عبد الله ورسوله موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة إلى بني إسرائيل هو «**الإسلام**» القائم على التوحيد الخالص للّه الخالق تعالى وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. ولكن بعد وفاة موسى عليه السلام فقد الإسرائيليون التوراة، وانحرفوا عن دين الله، وقاموا بتشويهه تشويهاً كبيراً، وبهذا التشويه نشأت الديانة اليهودية المعاصرة.

وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد غزت جيوش البابليين أرض فلسطين (في حدود سنة 586 ق.م.) ودمروا مدينة القدس، وفي أثناء هذا التدمير **فقدت التوراة.**

وبعد حوالي قرنين من الزمان (في حدود 440 ـ 368 ق.م.) قام عدد من حاخامات اليهود بقيادة كل من نحميا وعزرا (أو عزير) بإعادة كتابة التوراة من الذاكرة، وهم في أرض المنفى ببابل. وفي هذا المنفى فرض حاخامات اليهود على أتباعهم شرائع من وضعهم كان الهدف من ورائها تنظيم اليهود تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على العالم. ولتحقيق ذلك امتلأت تلك الشرائع بدعاوى العلوية الكاذبة لليهود، وبأنهم هم وحدهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، وأن جميع من هم سواهم من بني آدم ليسوا سوى حيوانات خلقت في الهيئة الآدمية حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. لذلك امتلأت شرائع اليهود بالحقد الشديد على كل من هو غير يهودي (والذين أطلقوا عليهم وصف «الأمميين» أو «الأميين» أو «الأغيار» أو «الجويم»).

ومع فقد أصول التوراة أخذ اليهود في تحريف معتقداتهم، وفي الابتداع في الدين، والاتجار به، فأشركوا عزيراً في عبادة الله، وادعوا بنوته له ـ تعالى الله عن ذلك

علواً كبيراً ـ وانغمسوا إلى آذانهم في ماديات الحياة، وانقسموا إلى العديد من الفرق الضالة المضلة. فأصبح منهم من ينكر البعث والحساب والجنة والنار، ومنهم من أشرك بالله وأنكر التوحيد، ونادى بتعدد الآلهة، ومنهم من نادى بالتجسيم وبالتطاول على الذات الإلهية، ومن شوه سير أنبياء الله ورسله، بل ومن ادعى النبوية لنفسه.

ومع كل هذه الانحرافات عن منهج الله، والابتداع في الدين، والإغراق في الجري وراء ماديات الحياة، والأنانية الزائفة، والعنصرية المنتنة، والاستعلاء الباطل على جميع خلق الله حفلت أعمال اليهود عبر تاريخهم الطويل بالعديد من المظالم الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والسلوكية، والخطايا والآثام والجرائم في حق الإنسانية. ونتيجة لذلك كرهوا أهل الأرض جميعاً، ومقتهم جميع أهل الأرض واحتقروهم، حتى أصبح الوصف «باليهودي» سبة في عرف الناس.

ومع هذا الجو المشحون بالكراهية والاحتقار، أدرك دهاقنة اليهود أن لا سبيل لبقائهم في عالم يكرهونه ويحتقرهم إلا بتكتلهم، والسعي إلى تفريق العالم من حولهم وذلك بإثارة مختلف أشكال الفتن، والدسائس، والمنازعات، والحروب، وبإشاعة التحلل الأخلاقي والسلوكي بين أهل الأرض. ولكي يتحقق لهم ذلك قام منظروا «**الحركة الصهيونية العالمية**» بتشكيل العديد من الجمعيات والحركات السرية والمعلنة من أجل زلزلة عقائد غيرهم من أهل الأرض. وقد استطاعت هذه الجمعيات أن تتسرب إلى العديد من المنظمات الدولية ذات الصبغة الإنسانية أو الثقافية أو السياسية، حتى تتمكن الحركة الصهيونية العالمية من مباشرة مخططاتها الشيطانية الهدامة من خلال هذا الغطاء الدولي بدهاء وخفاء شديدين. وبذلك ملكوا العالم، وهيمنوا عليه هيمنة كاملة. كذلك خطط دهاقنة اليهود من أجل السيطرة الإعلاميّة الاقتصاديّة على العالم وذلك لإشاعة الفتن، والتشجيع على التعامل بالربا، والهيمنة على البنوك الربوية كي تبقى أموال أهل الأرض في قبضتهم، ولكي يتمكنوا من شراء ذمم الناس بالمال. من أجل ذلك نزل القرآن الكريم محذراً من اليهود وأخطارهم، ومسجلاً لعنة العديد من أنبياء الله لهم، وكان منهم كل من داود وعيسى ابن مريم (عليهما من الله السلام).

82 ـ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78 ـ 79].

من معاني هاتين الآيتين الكريمتين أنَّ الذين كفروا من بني إسرائيل هم الذين خرجوا عن هداية الله وشرعه، فحرَّفوا التوراة، وابتدعوا في الدين، وقاتلوا أنبياءهم وقتلوهم، وملأوا تاريخهم بالمعاصي، وبالتآمر على غيرهم من الأُمم، فاستحقوا لعنة الله والملائكة والأنبياء والناس أجمعين. وكان من الأنبياء الذين لعنوا الكافرين من بني إسرائيل بعد كفرهم برسالة موسى عليه السلام كلّ من داود وعيسى ابن مريم ـ (على نبيّنا وعليهما من الله السلام). وانطلق لسان كل من هذين النبيين الكريمين بالدعاء على الذين كفروا من بني إسرائيل، واستجاب الله لدعاء كل منهما فكتب اللّعنة والغضب والسخط عليهم إلى يوم الدين، وطردهم من رحمته. ولذلك قال عنهم الله ـ تعالى ـ في نفس السورة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

والتعبير القرآني: «**بنو إسرائيل**» أصبح تعبيراً غير عرقي، لأنَّ القرآن الكريم يؤكّد وحدة الجنس البشري. وانطلاقاً من ذلك أصبح تعبير «بني إسرائيل» وصفاً لجماعة من الناس تربت على الأنانيّة المفرطة، والجشع بلا حدود، والإجرام المتناهي المنطلق من الاعتقاد الخاطئ بأنَّهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّاؤه، وأنَّ غيرهم من الخلق (الأغيار) عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. من هنا فإن قتل الأغيار، واستباحة دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأراضيهم وممتلكاتهم، والتآمر عليهم، أصبح حقاً خالصاً

لليهود، لأنَّ الربّ هو ربّ إسرائيل والإسرائيليين وحدهم، وأنَّ الأُميين الأغيار لا ربّ لهم.

وانطلاقاً من هذا الوهم الكاذب تفنن اليهود في التعصّب ضدّ كلّ مَن هو غير يهودي، وبالغوا في الحقد عليه؛ والتآمر ضده، ودفعهم ذلك إلى الإفساد في الأرض بغير الحق. وقد تشكلت ملامح الشخصيّة اليهوديّة بانحرافاتها النفسيّة الكبيرة التي تتراوح بين تكبرها الكاذب، وغطرستها المصطنعة إذا تمكّنت من غيرها، وبين خضوعها الذليل، وضعفها المنكسر إذا أمكن غيرها من التحكم فيها. كما تباينت بين التوحش والهمجية والغدر إذا كانت لها الغلبة على غيرها، وبين البكاء والعويل إذا كانت الغلبة عليها؛ وبين التبجح بالأفضليّة على غيرها والتفنن في نقض العهود والمواثيق الذي تعتبره ممَّا يقرّبها إلى الله زلفى!!.. وتتأرجح النفسية اليهودية بين التظاهر بالتديُّن، والحرص على إشاعة الفواحش بين النّاس، وعلى هدم كل فضيلة وكل قيمة أخلاقيّة عليا في المجتمعات الإنسانيّة. ومن أجل تحقيق ذلك حرَّف كفّار بني إسرائيل التوراة وزوَّروها، وابتدعوا فيها، وقاتلوا أنبياء الله وقتلوهم، وأوقدوا نيران الفتن والحروب في كلّ مكان على سطح الأرض، واستباحوا كل حرمات غيرهم (الأغيار) ولذلك قال الله ـ تعالى ـ فيهم:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78، 79].

وقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: 4].

وتستمر الآيات في وصف إفساد هؤلاء الشياطين حتى تقول لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: 8].

وكان من صور إفساد اليهود في أرضنا العربيّة تآمرهم من أجل الاستيلاء

على أرض فلسطين بدءًا من سنة 1649م حين خدعوا البريطانيين بإقامة «**حركة صهيونيّة/ صليبيّة**» موحدة تعمل على عودة شتات اليهود من مختلف بلاد العالم إلى أرض فلسطين. ومن أجل ذلك خططوا لإنهاك دولة الخلافة العثمانيّة في سلسلة طويلة من الحروب على عدّة جبهات حتى تمّ إسقاطها في سنة 1924م بمؤامرة خسيسة حاكتها جماعة **يهود الدونمة (المتحولون ظاهريًّا إلى الإسلام)** بزعامة **مصطفى كمال أتاتورك**، وقسّموا تركة دولة الخلافة وبقية العالم الإسلامي إلى أكثر من 62 دولة ودويلة، وتآمروا من أجل احتلال هذه الدول والدويلات بواسطة الدول الغربية والشرقيّة على حدٍّ سواء.

وفي سنة 1799م بدأت «**الحركة الصهيونيّة/ الصليبيّة العالميّة**» في دعوة يهود العالم إلى هجرة سريّة منظّمة إلى الأراضي الفلسطينيّة حتى تمكّنوا بعد خمس وخمسين سنة أي في سنة 1854م من امتلاك أوّل قطعة أرض في فلسطين تحت عدد من الضغوط الدوليّة.

وفي سنة 1860 م تمكّن عدد من اليهود الفرنسيين من إنشاء ما أسموه باسم «**الاتحاد الإسرائيلي العالمي**» في باريس، ومن خلال القوات المحتلّة للمنطقة العربيّة بدأ هذا الاتحاد في تنظيم الهجرة السريّة لليهود إلى الأراضي الفلسطينيّة.

في سنة 1895م أصدر اليهودي النمساوي «**تيودور هيرتزل**» كتاباً بعنوان «**دولة اليهود**»، وبعد عامين تمَّ عقد **المؤتمر الصهيوني العالمي الأوَّل** في سنة 1897م، وتلته عدّة مؤتمرات للصهاينة حتى اليوم، يتآمرون فيها على المسلمين أولاً، وعلى أهل الأرض جميعاً ثانياً، ذلك التآمر الخبيث الذي أصبح طابعاً عاماً لهذه الجماعة الفاسقة من بني آدم.

ومن خلال مؤامراتهم الدنيئة أشعل الصهاينة **الحربين العالميتين الأولى والثانية** واللّتين راح ضحيَّتهما قرابة سبعين مليون نسمة من القتلى، وعشرات بل مئات الملايين من الجرحى، والمقعدين، والأرامل، والأيتام، والمفقودين، بالإضافة إلى خراب ودمار شاملين في العديد من دول العالم، وخسائر ماديّة

قدرت بآلاف الملايين من الدولارات.

وفي أعقاب هذا الدمار سعت المؤامرات الصهيونيّة العالميّة إلى إصدار الحكومة البريطانيّة ما سمي باسم «**وعد بلفور**» المشؤوم في سنة 1917م، الذي يعطي لليهود حقًّا في أرض فلسطين (دون أدنى مسوغ ديني، أو عرقي، أو قانوني، أو تاريخي) مخالفين بذلك كل الشرائع الدوليّة. وفي نفس السنة قامت الحركة الصهيونيّة العالميّة بإشعال نيران الثورة الشيوعيّة في روسيا التي كان ظاهرها محاربة الأديان بصفة عامّة، وكان باطنها محاربة دين الإسلام بصفة خاصّة.

وتحت مظلّة الانتداب البريطاني الذي فرض على أرض فلسطين في سنة 1917م تمَّ تمكين اليهود من مساحات من هذه الأرض المقدسة بالتدريج. وتمّ تدريب الإسرائيليين عسكريًّا، وتزويدهم بالأموال والعتاد الذي استخدموه في العديد من المذابح البشعة ضدّ الفلسطينيين. وكان ذلك من أجل طرد الفلسطينيين بالقوّة من أراضيهم بمعاونة القوات البريطانيّة المحتلّة. وكان من هذه المذابح (**مذابح كل من يافا، حيفا، عكّا، الخليل، قبية، نحالين، القدس، قلقيلية، صفد، رام الله، الحولة، الخليل، الناصرة، نابلس، وادي الأردن، صور باهر، دير ياسين، القسطل، ناصر الدين، طبريا، بيسان، خان يونس، غزّة، كفر قاسم، الدوايمة، اللد والرملة، البريج، السموع** وغيرها. وفي كلّ هذه المذابح تعمد الصهاينة قتل آلاف من النساء والأطفال والشيوخ والشبان في وحشية بالغة، ودمروا كلّ ما وصلت أيديهم إليه من أجل إفزاع الباقين من أبناء الشعب الفلسطيني وترويعهم، واضطرارهم إلى ترك بلادهم وممتلكاتهم والهجرة إلى خارج أراضيهم.

في 15/ 5/ 1948م أعلنت الحكومة البريطانيّة رسميًّا انتهاء انتدابها على فلسطين بعد أن سلّمتها لقمة سائغة للصهاينة الغرباء، بعد أن مكّنتهم من كل الأسلحة والثكنات العسكريّة، ومن جميع الإدارات الحكوميّة، والموانئ، والمنارات، والأموال وغيرها. وعلى إثر ذلك أعلن الصهاينة قيام دولتهم الغريبة غربة كاملة على المنطقة العربيّة، وذلك فور مغادرة المندوب السامي البريطاني

لميناء حيفا. وبقيت بعض القوات البريطانيّة في المناطق العربيّة من أجل حماية الصهاينة، وفرضت بعد ذلك هدنتان خرقتهما العصابات الصهيونيّة. وبمؤامرة دوليّة أخرى، تمّ قبول هذا الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين عضواً في الأُمم المتحدة بتاريخ 11/ 5/ 1949م.

وفي 20/ 3/ 1950م أصدر الكنيست الإسرائيلي قراره الجائر بالاستيلاء على جميع ممتلكات النازحين من الأراضي الفلسطينيّة، وشمل ذلك كل المساكن والأثاث والمواشي والأراضي الزراعيّة والعقاريّة وغيرها، حتى تمّ الاستيلاء على أكثر من 77% من أراضي فلسطين بالقوّة القهريّة.

بعد ذلك بشهور قليلة صدر ما عرف زوراً باسم **«قانون العودة» في 5/ 7/ 1950م**. الذي يمنح كل يهود العالم الحقّ في الهجرة إلى فلسطين، والاستيلاء على أملاك أهل الأرض الأصليين، والحصول على الجنسيّة الإسرائيليّة فور وصولهم إلى تلك الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وتوالت بعد ذلك جرائم الصهاينة والتي تراوحت بين مذابح بالجملة للمدنيّين، والاستيلاء القهري على ممتلكاتهم، وعمليّات التهجير القسري لمن بقي منهم. وأضاف الصهاينة إلى سلسلة جرائمهم الطويلة، الاعتقالات العشوائيّة للرجال والنساء والأطفال، والتعذيب الوحشي في المعتقلات والسجون، والإبعاد عن أراضي الوطن، واستخدام المعتقلين كحيوانات تجارب، واستخدام أجساد الشهداء كقطع غيار آدميّة وإسقاط الطائرات المدنية، وقتل جميع مَن عليها. هذا بالإضافة إلى آلاف الاعتداءات على المدن العربيّة في كل من مصر، والأردن، وسوريّا، ولبنان، والعراق، وقد اتّسعت سلسلة المذابح البشريّة التي قامت بها العصابات الصهيونيّة لتشمل فيما تشمل كلًّا من **إربد**، **السلط**، **السويس**، **المنصورة**، **بحر البقر**، **قانا الأولى والثانية**، **بيروت**، **قرى الجنوب اللبناني**، **دمشق**، **غزّة الأولى والثانية**، **صبرا وشاتيلا**، **تل الزعتر**، **عين الحلوة**، **البريج**، **الرشيديّة**، **نهر البارد**، **البدّاوي**، وغيرها. هذا بالإضافة إلى القمع الوحشي لانتفاضتي الأقصى الأولى

والثانية، وإلى غزو لبنان سنة 1982م، ثم الغارة المدمّرة عليها سنة 2006م، والهجمة الوحشيّة على قطاع غزّة سنة 2009م، بعد حصار دام لأكثر من ثلاث سنوات بهدف قتل مليون ونصف مليون من أهل هذا القطاع جوعاً، وعطشاً، ومرضاً...!!

وتخلل هذه المذابح البشريّة سلسلة من الحروب الإجراميّة الطاحنة التي استخدمت فيها أقذر الوسائل الحربيّة من قتل للأسرى أحياء تحت جنازير الدبابات الإسرائيليّة، واستخدام للأسلحة المحرّمة دوليًّا، وقصف جوي وأرضي لكل من المدارس والمعاهد والجامعات، والمساجد والكنائس والمستشفيات، وتجريف للأراضي الزراعيّة، وقطع للأشجار المثمرة، وتسميم لمياه الشرب، وضرب للمفاعل النووي العراقي، ولما اشتبه في أنَّه مفاعل في شمال سوريّا، وغير ذلك من الجرائم المحرّمة في جميع المواثيق الدوليّة.

هذا بالإضافة إلى إشعال أكثر من خمسة عشر حرباً مدمّرة على أهل المنطقة كانت منها حروب 1948م، 1956م، 1967م، 1968م، 1972م، 1973م، 1978م، 1979م، 1981م، 1982م، 1984م، 1988م، 1989م، 2006م، 2008م، 2009م، التي راح ضحيّتها عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، ومن كل من المقعدين، والأرامل، والأيتام، والمكلومين، بالإضافة إلى الدمار والخراب الذي أحدثوه والخسائر الماديّة التي أوقعوها، والتي تقدّر بمئات الملايين من الدولارات.

وفي الحرب الوحشيّة الأخيرة على أهل قطاع غزّة سقط أكثر من ألف وأربعمائة شهيد، وأربعة آلاف جريح (معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، وبعضهم من الطواقم الطبية ومن الإعلاميين). وضربت الطائرات والصواريخ الأرضيّة والبحريّة كل شيء في القطاع بوحشيّة منقطعة النظير، وتَشَفٍّ لسفك الدماء لا يرضى به إلَّا الشياطين. وكان ذلك كله تعبيراً عن رغبة الإسرائيليين في الانتقام من أُمّة عزلاء، فرض عليها الحصار الجائر لتموت جوعاً أو تسلم إذعاناً بحق

هؤلاء الغرباء في أراضي غيرهم. ولمّا لم يستسلم أهل غزة لقسوة الحصار؛ قرر الوحوش الإسرائيليون قتلهم جميعاً بالقصف الجوي والبري والبحري الجائر بقنابل الفوسفور السامة وصواريخ اليورانيوم المقضب وبغيرها من الأسلحة المحرّمة دولياً في وحشية، وعنصرية، وعنف فاق كل حدود الوصف، ولذلك استحقوا اللّعن من الله والملائكة والناس أجمعين، وقال ـ تعالى ـ فيهم:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78، 79].

ومن هنا تتَّضح ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هاتين الآيتين الكريمتين، كما يتَّضح أمر الله بضرورة مجاهدة هؤلاء الشياطين حتى تتطهر الأرض من دنسهم وشرورهم وأحقادهم. وذلك انطلاقاً من أن هذه النفسيّة الكافرة باللّه، والمبتدعة في الدين، والمتألهة على الخلق بالكذب، والمستعلية عليه بالباطل، والمتآمرة عليه من منطلق الكراهية والحقد، والمتجبّرة بقوّة الولايات المتحدة الأمريكيّة، لا يمكن أن يتحقّق معها سلام. كذلك لا يمكن أن يتحقق معها أي تبادل للعلاقات (الدبلوماسيّة، أو الاقتصاديّة، أو الثقافيّة، أو بأي شكل آخر من أشكال العلاقات بين الناس). من هنا يأتي هذا التوجيه الإلٰهي الذي جاء في هاتين الآيتين الكريمتين، وفي العديد غيرهما من آيات القرآن الكريم للتحذير من هذه الحالة النفسية المريضة المسماة باسم «بني إسرائيل» والتي ملأت الأرض بإفسادها، ومؤامراتها، وتخريبها، ولا تزال، لعل العقلاء **من بني آدم يدركون خطرها، فيوقفونها عند حدها**، والله يقول الحقّ، ويهدي إلى سواء السبيل، وهو ـ تعالى ـ ﴿...غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

الباب الثالث

مع خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ



تاسع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لمواقف من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمَّد ﷺ

أنزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات ربّي وسلامه عليه ـ ولذلك فإنَّ أغلب الخطاب في هذا الكتاب العزيز موجّه إليه. لذلك جاء ذكره الشريف في القرآن الكريم أربع (4) مرات باسم «محمَّد»، ومرّة واحدة (1) باسم «أحمد»، وفي ثمان وثلاثين (38) مرّة بصفته النبويّة (النبي أو يا أيها النبي)، وفي مائة وخمسة وسبعين (175) مرّة بصفته الرسوليّة (الرسول أو يا أيها الرسول)، وسميت باسمه الكريم إحدى سور القرآن المجيد **(سورة محمَّد)**. هذا بالإضافة إلى مئات من صيغ النداء عليه ﷺ، وذلك لأنَّ الخطاب القرآني في غالبيّته موجه إليه أولاً، ثم إلى المؤمنين برسالته ثانياً، ثم إلى الخلق أجمعين في المقام الثالث.

وهذه الآيات يمكن أن تجمع في مجموعات تعرض كل مجموعة منها لأحد المواقف الهامة في تاريخ سيد المرسلين وذلك على النَّحو التالي:

● **أوّلاً: آيات تلخص البشارات ببعثته الشريفة:**

1 ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129].

2 ـ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

3 ـ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾

[الفتح: 29].

4 ـ ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾﴾

[الصف: 6].

● **ثانياً: آيات تتعلّق بمولده يتيماً في عام الفيل ورعاية الله ـ تعالى ـ له:**

1 ـ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾

[الضحى: 6 ـ 8].

2 ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾﴾

[الفيل: 1 ـ 5].

● **ثالثاً: آيات تؤكّد نبوّته ورسالته وتلقّيه الوحي من ربّ العالمين:**

1 ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

[البقرة: 119].

2 ـ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

[البقرة: 252].

3 ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾﴾

[المائدة: 15].

4 ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾﴾

[المائدة: 19].

5 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ

كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: 33].

6 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45، 46].

7 ـ ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾ [يس: 1 ـ 5].

8 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: 28].

9 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: 9].

10 ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2].

11 ـ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة: 1 ـ 5].

● **رابعاً: آيات تؤكّد أنّه ﷺ خاتم النبيين، وأنّه بعث للناس أجمعين، وأنّ الله ـ تعالى ـ بعثه رحمة للعالمين:**

1 ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158].

2 ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107].

3 ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: 56].

4 ـ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

5 - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: 28].

6 - ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: 24].

7 - ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾ [محمد: 1، 2].

8 - ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح: 8، 9].

9 - ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: 29].

● خامساً: آيات تصف جانباً من نبل خلقه:

1 - ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: 159].

2 - ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128].

3 - ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21].

4 - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: 45، 46].

5 ـ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 1 ـ 4].

● **سادساً: آيات تدل على مكانته عند ربِّ العالمين:**

1 ـ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: 69].

2 ـ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: 80].

3 ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: 54].

4 ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ [النور: 56].

5 ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: 36].

6 ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: 56].

7 ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: 8، 9].

8 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: 1 ـ 3].

9 ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾ [التغابن: 12].

● سابعاً: آيات تلخص جانباً من معاناته ﷺ من الكفّار والمشركين:

1 ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: 10].

2 ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: 33].

3 ـ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: 61].

● ثامناً: آيات تتحدّث عن معجزة الإسراء والمعراج:

1 ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1].

2 ـ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 1 ـ 18].

● تاسعاً: آيات تتعلّق بهجرته الشريفة ﷺ:

1 ـ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

2 ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ

ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

● عاشراً: آيات تتحدّث عن واقعة تحويل القبلة:

1 ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: 142 ـ 145].

● حادي عشر: آيات تتحدّث عن بعض غزواته ﷺ:

1 ـ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: 13].

2 ـ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: 5 ـ 14].

3 ـ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: 25، 26].

4 ـ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: 121 ـ 126].

5 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 9 ـ 11].

6 ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: 27 ـ 28].

● **ثاني عشر: آيات تتحدّث عن لحاقه بالرفيق الأعلى:**

1 ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: 144 ـ 145].

2 ـ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

(أ) حالة العالم عند مولده المبارك:

وُلد محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب (شيبة الحمد) بن هاشم بن عبد مناف الذي ينتهي نسبه إلى كلّ من عبد الله ونبيه إسماعيل وأبيه إبراهيم عليهما السلام في وقت السحر من ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوَّل سنة (53) قبل الهجرة [الموافق 20/ 4/ 570م]، وكان ذلك في «**عام الفيل**»، وكان ميلاده في دار النابغة بمكّة المكرّمة. ولد يتيماً لأنَّ والده (عبد الله بن عبد المطلب) كان قد توفي عن عمر يناهز الخامسة والعشرين وابنه جنين ابن شهرين في بطن أُمّه.

ويذكر المؤرّخون أنَّ النار التي كان المجوس في بلاد الفرس يقدِّسونها، انطفأت في تلك اللّيلة، وأن مياه (بحيرة ساوة) التي كانت طوائف أخرى من الفرس يعظِّمونها غارت حتى جفَّت، وزلزل إيوان كسرى، وسقط عدد من شرفاته. كذلك تمّ دحر أصحاب الفيل كرامة للمولود الجديد الذي أطلَّ على عالم كان قد فقد صلته بالهداية الربّانيّة بصورة تكاد أن تكون كاملة، إلَّا مَن رحم ربك، وهؤلاء كانوا ممَّن بقي على ملّة كل من إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وكانوا يعرفون باسم «**الأحناف**»، وكانوا قلة نادرة في شبه الجزيرة العربية.

ولد (**محمَّد بن عبد الله**) والعالم تتصدّره **دولتا الفرس والروم**، وكان من وراء فارس دولة **الهند**، ومن أمام الدولة الرومانيّة **دولة اليونان**. وكانت **بلاد الفرس** مرتعاً للعديد من الوثنيّات المتصارعة من أمثال «**الزرادشتية**»، «**المزدكية**»،

«**المانوية**»، «**المجوسيّة**»، «**الصابئة**»، و«**الدهرية**». وفي الهند سادت العقيدتان الوثنيّتان «**الهندوكيّة**» و«**البوذيّة**» وسط عشرات من الوثنيّات الأخرى.

وفي **الإمبراطوريّة الرومانيّة** التي كانت قد احتلت كلًّا من الدول المحيطة بالبحرين الأبيض المتوسط والأسود، وبالإضافة إلى الجزر البريطانيّة، ووصلت إلى ذروة قوّتها في القرن الثالث قبل الميلاد، كانت قد سادتها الوثنيّة لدهور طويلة حتى اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحيّة مع بدايات القرن الرابع الميلادي. **وكانت مسيحيّة قسطنطين قد اختلطت بكثير من الشرك** ممّا أدّى إلى انقسامها فيما بعد إلى عشرات الملل والنِّحل المتصارعة. وفي ظل هذا الانقسام فإنَّ دولة الرومان كانت قد سيطرت عليها الروح العسكريّة الاستعماريّة البغيضة التي وفّرت تكاليف مغامراتها السياسيّة والعسكريّة عن طريق فرض الضرائب والإتاوات الباهظة على الشعوب المغلوبة التي كانت قد احتلتها. هذا بالإضافة إلى انهماك هذه الإمبراطورية في خلافات عقديّة واسعة مع نصارى كلٍّ من مصر وبلاد الشام، وإلى الخلافات الداخليّة التي أدَّت إلى انقسام هذه الإمبراطوريّة في سنة 395 ميلاديّة إلى شطرين على يد **ثيودوزيس (Theodosius)**: **الإمبراطوريّة الرومانيّة الغربيّة** وعاصمتها (روما)، **والإمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة**، وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينيّة أو إستنبول).

وفي الجزيرة العربيّة كان العرب قد نسوا دعوة كلّ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، باستثناء آحاد من الأحناف. ولذلك انحرف العرب ـ في غالبيتهم ـ إلى عبادة الأصنام والأوثان، والأنصاب، والنار، والقمر، والكواكب والنجوم. وكان لكلّ قبيلة من القبائل العربيّة صنم أو أكثر من صنم يعبدونه من دون الله، حتى بلغ عدد الأصنام المعروفة في جزيرة العرب إلى أكثر من ثلاثمائة وستين صنماً.

ولم يُجْدِ في مقاومة ذلك المدّ الوثني الجارف وجود بعض الجيوب من اليهود والنصارى على أطراف الجزيرة العربيّة الشماليّة والجنوبيّة الغربيّة. وقد ركز هؤلاء اهتمامهم في توظيف اللّعبة السياسيّة بين القوى الكبرى المعاصرة لهم، والمتمثلة في إمبراطوريّتي الروم والفرس، وقد كانتا في صراع من أجل الاستيلاء

على جزيرة العرب. ولذلك احتضنت الدولة الساسانيّة الفارسيّة (226 ـ 651م) يهود شمال الجزيرة العربيّة، وجعلت منهم صنائع لها. وفي المقابل شجع ملوك حمير أهل اليمن على اعتناق اليهوديّة كي تجعل منهم سدًّا منيعاً أمام الزحف الصليبي الروماني القادم من الحبشة إلى جزيرة العرب. فالنصارى كانوا قد ارتموا في أحضان الدولة الرومانيّة بعد أن طاردتهم بجورها وظلمها حتى فرّوا من وجهها. وبدأ الرومان بعمليّة التنصير في جنوب الجزيرة تمهيداً للاستيلاء عليها، بعد أن جعلوا من بلاد الحبشة المقابلة لأرض اليمن ولاية رومانيّة نصرانيّة. وبالفعل نجح صنائع الرومان من الأحباش في احتلال أجزاء من مملكة حمير، وفي إقامة جالية نصرانيّة في منطقة نجران. ثم أرسل النجاشي حاكم الحبشة آنذاك ولاته المسيحيين ليحكموا باسمه أرض اليمن، واشتدّت وطأتهم على أهل البلاد. فقد حاول النصراني «**أبرهة الأشرم**» مندوب «**النجاشي**» على اليمن أن يهدم الكعبة المشرّفة سنة (570م) فأذلّه الله ـ تعالى ـ ودمَّر جيشه في تلك السنة التي أطلق عليها اسم **عام الفيل**، وهو العام الذي وُلد فيه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ كما أجمع المؤرّخون، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل: 1 ـ 5].

وكان الصراع بين الجاليتين اليهوديّة والنصرانيّة على أطراف شبه الجزيرة العربيّة واجهة من واجهات الصراع بين الإمبراطوريّتين الفارسيّة والرومانيّة. وإذا أضفنا إلى هذا الصراع عدداً آخر من الصراعات الداخليّة التي كانت قد مزّقت القبائل العربيّة، وأضعفت من مواقفها أمام التحدّيات الخارجية اتّضح لنا جانب من جوانب البؤس الذي عاشه العرب قبل البعثة المحمَّديّة المباركة. وقد شارك العرب في محنتهم هذه أغلب أهل الأرض الذين كانوا قد فقدوا الصّلة بالهداية الرّبانيّة بالكامل، وتاهوا في دياجير من الظلم والظلام، ففسدت العقائد، وتدنّت العبادات، وانحطّت الأخلاق، وساءت المعاملات، وأصبح العالم في أمسّ الحاجة إلى نور الهداية الرّبانيّة من جديد.

(ب) نشـأتـه ﷺ:

وسط هذا الظلام الدّامس الذي خيّم على الأرض ولد خاتم الأنبياء والمرسلين في وقت السحر من ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل 12/ 3/ 53 ق.هـ. (الموافق 20/ 4/ 570م) وكان ذلك استجابة لدعوة قديمة من عبد الله ونبيّه إبراهيم، وتحقيقاً لبشرى عيسى ابن مريم ﷺ. وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان أبي الأنبياء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: 129].

ويقول على لسان عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصف: 6].

تمّ إرضاع الوليد الجديد في ديار بني سعد كعادة الأسر الشريفة في مكّة. وقد تمسّك بنو سعد بإبقاء هذا الوليد السعيد عندهم حتى سنّ الخامسة لما عمَّهم من خير في وجوده معهم. ثم طلبته أُمّه «**السيدة آمنة بنت وهب**» فردوه إليها في مكَّة المكرّمة. وكان حزنها على وفاة أبيه قد بلغ منها مبلغاً، ورأت وفاء لذكرى الأب الراحل أن تصحب طفله الوحيد لزيارة قبره في يثرب. وبعد إتمام الزيارة، وفي طريق العودة من يثرب إلى مكَّة توفيت أُمّه، ودُفنت في منطقة تُعرف باسم (**الأبواء**). وبذلك صار محمَّد يتيم الأبوين وهو في السادسة من العمر أو دون ذلك، وبعد أن عاش مع أُمّه سنة واحدة أو أقل من سنة، ذاق خلالها من حبها وحنانها، وعطفها، وحسن رعايتها ما زاد من تعلّقه بها، ثم فجأة غابت عنه إلى يوم الدين.

وعاد محمَّد إلى مكّة مع جاريته الحبشيّة (أُمّ أيمن) وحيداً، حزيناً، صابراً وصامتاً، لا يعلم ما به من حزن إلّا الله ـ تعالى ـ، عاد ليعيش في كنف جدّه عبد المطّلب بعد أن فقد كلًّا من أبيه وأُمّه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧

وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾. [الضحى: 1 ـ 11].

وبعد عامين توفي عبد المطّلب، وحفيده محمَّد في الثامنة من عمره، وكان قد ارتبط بجدّه ارتباطاً عاطفيًّا هائلاً، فكفله عمّه أبو طالب الذي أنزل الله تعالى محبّة محمَّد في قلبه فكان يقدّمه على أبنائه، ويبالغ في إكرامه.

لذلك كله عاش محمَّد بن عبد الله طفولة مليئة بالصمت، والعزلة، والانفراد بالنفس، فكان لا يتكلّم إلَّا إذا دعاه أحد إلى الكلام، وكان لا يشارك في اللّهو مع الفتيان، ولا يخالط عبدة الأصنام والأوثان، التي لم يقترب من أي منها أبداً.

وكان هذا الطفل اليتيم، الصامت العزوف عن النّاس، كلّما تقدمت به السن يزداد صمته وانفراده بنفسه، ويتعاظم زهده في الحياة، وتروح سيرته العبقة تعطر أجواء مكَّة حتى لُقِّبَ **بالصادق الأمين**.

اشتغل محمَّد في صباه برعي الغنم على قراريط لأهل مكَّة حتى سن الثانية عشرة، ثم سافر في قافلة عمّه أبي طالب إلى بلاد الشام وهو في الثالثة عشر من عمره. وفي سن الخامسة والعشرين خرج في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد إلى بلاد الشام سنة (595م). وكانت هذه السيدة أرملة، ذات حسب ونسب، ومنزلة عالية، وشرف كبير بين أهل مكّة. وكان زوجها قد مات عنها في سن مبكرة، فطمع فيها الطامعون لثرائها، وكانت تبحث عن رجل ذي خلق تستأمنه على الخروج بمالها للمتاجرة فيه. وكان قد وصل إلى سمعها ما اشتهر به محمَّد بن عبد الله من الصدق والأمانة، فأرسلت إليه ليقوم بهذه المهمّة. خرج محمد بن عبد الله بتجارة السيدة خديجة إلى بلاد الشام، وبارك الله في تجارته، فعاد إليها بربح وفير مما زاد من إعجابها به لصدقه وأمانته، فعرضت عليه الزواج بها. كان محمد بن عبد الله في الخامسة والعشرين من عمره، ولم يكن قد تزوَّج بعد، وكانت السيدة خديجة في الأربعين من عمرها، وكانت قد تزوَّجت مرَّتين من قبل، فقبل عرضها وتمّ زواجه منها. رزق الله تعالى عبده محمداً من هذا الزواج بولدين

وأربعة من البنات هم: **القاسم، وزينب، ورقيّة، وأُم كلثوم، وفاطمة، وعبد** الله. وقد توفّي الولدان صغاراً إلى رحمة الله، وبقيت البنات الأربع. وقد أتاح له هذا الزواج فرصة هائلة للتعبّد والتأمّل، فكان كثير الانفراد بنفسه في «**غار حرّاء**» الذي كان يمضي فيه أوقاتاً طويلة للتعبّد.

(ج) بعثته الشريفة ﷺ:

في سن الأربعين (أي في حدود سنة 610م) جاء وحي السماء إلى محمَّد بن عبد الله وهو يتعبّد في غار حراء، ففوجئ بجبريل عليه السلام يقف على باب الغار، ثم أقبل عليه واحتضنه بشدّة قائلاً له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، فردَّ عليه قائلاً: ما أنا بقارئ، فعاد الملاك يضمّه إليه ضمًّا شديداً ثم يطلقه وهو يقول له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وعاد ﷺ يردّ: **ما أنا بقارئ**، ويعود جبريل إلى احتضانه والطلب إليه قائلاً: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ويردّ عليه محمد مستفسراً: ماذا أقرأ؟ فتلى عليه جبريل عليه السلام قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1 ـ 5].

عاد رسول الله ﷺ إلى بيته فزعاً يرتجف، وقال لزوجته السيّدة خديجة: «**زملوني زملوني**»، فأخذت تغطيه بأغطية الصوف، وتمسح العرق عن جبينه، وحدّثها بما رأى قائلاً: **لقد خشيت على نفسي**، فردت عليه قائلة: **أبشر، فبالله لا يخزيك** الله أبداً، إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر.

ثم انطلقت به السيّدة خديجة إلى ابن عمّها **(ورقة بن نوفل)** وكان عالماً حنيفيًّا على ملّة إبراهيم عليه السلام، وكان شيخاً طاعناً في السنّ قد كفّ بصره لشيخوخته. أخذته السيدة خديجة إلى هذا الشيخ الصالح في محاولة لاستجلاء ما وقع لزوجها في غار حرّاء، وطلبت منه أن يروي ما حدث معه بشيء من التفصيل. وبعد أن استمع إليه «ورقة بن نوفل» أدرك أنَّه الرّسول الخاتم الذي سبق

وأن بَشَّرت بمقدمه كل الرّسالات السماويّة، فقال على الفور: «والذي نفسي بيده إنَّك لنبي هذه الأُمّة، وإنَّ هذا لهو الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني كنت فيها جذعاً، يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك». فتساءل محمد قائلاً: «**أو مخرجي هم؟**» فأجاب ورقة: «نعم! لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنّك نصراً مؤزراً».

وقد أدركه ذلك اليوم وكان من أوائل الذين أسلموا من أهل مكّة، ومات على الإسلام في السنة الرابعة للبعثة المحمّديّة الشريفة. وعلى الرغم من حقيقة ذلك إلا أن العديد من أبواق مسيحيي اليوم يحاولون إشاعة أن «ورقة بن نوفل» كان نصرانياً، وأنه هو الذي علّم محمداً القرآن الكريم وأصول الدين.

(د) الدعوة السرّيّة:

بعد اللّقاء الأوّل لجبريل عليه السلام برسول الله ﷺ تكرّر نزول الوحي، وتثبّت الرّسول ﷺ من صدق نبوّته، واصطفائه لتبليغ الرسالة السماويّة الخاتمة إلى الناس كافّة. بدأت الدعوة إلى دين الله سرًّا، واستمرّت هكذا لثلاث سنوات. وكان أوّل مَن آمن برسول الله ﷺ من النساء «**السيّدة خديجة**» ـ عليها رضوان الله ـ وتبعها من الغلمان «**علي بن أبي طالب**»، ومن الرجال **كل من** «**أبي بكر**»، و«**عثمان بن عفّان**»، و«**ورقة بن نوفل**»، و«**سعيد بن العاص**»، و«**زيد بن ثابت بن حارثة**»، و«**الزبير بن العوام**»، و«**طلحة بن عبيد**» الله، و«**عبد الرّحمٰن بن عوف**»، و«**سعد بن أبي وقّاص**»، و«**أبي ذر الغفاري**»، و«**عمر بن عنبسة**» (**عليهم رضوان** الله أجمعين). وكان كل هؤلاء من أشراف قريش ومن أعلاهم نسباً. وظل رسول الله ﷺ يدعو مَن يأنس فيه الإجابة لدين الله سرًّا حتى بلغ عدد المسلمين قرابة الأربعين، كانوا يتعبّدون الله ـ تعالى ـ ويتعلّمون الدّين خفية في **دار الأرقم**.

(هـ) الدعوة الجهريّة:

بعد ثلاث سنوات من الدعوة السريّة نزل الوحي آمراً رسول الله ﷺ بالدّعوة الجهريّة، وذلك بقول الله ﷻ له:

1 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: 67]

2 ـ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: 94]

3 ـ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: 214]

وانصياعاً لهذه الأوامر الإلٰهية خرج رسول الله ﷺ إلى بطحاء مكّة فصعد على **تلّة الصفا** ونادى أهل مكّة بطناً بطناً، وقبيلة قبيلة بأعلى صوته حتى اجتمعوا له فسألهم قائلاً: **أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم مصدقي؟** قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال ﷺ: «**فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لَّك. وكان أبو لهب هذا هو عمّ رسول الله ﷺ وكان اسمه «عبد العزى بن عبد المطّلب»، وكان هو وأبوه من أثرياء وزعماء قريش، وكانت امرأته هي «**أُمّ جميل أروى بنت حرب بن أُميّة**»، (أخت أبي سفيان)، وكانا كلاهما من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيهما قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ [المسد: 1 ـ 5]

(و) اضطهاد قريش للمسلمين:

بمجرّد إعلان الدّعوة الجهريّة إلى الإسلام بدأت المواجهة بين رسول الله ﷺ وكفّار قريش الذين اشتدّ اضطهادهم له، وتعذيبهم لأتباعه، ومطاردتهم لهم، حتى استشهدت (سميّة) والدة «**عمّار بن ياسر**» الذي تعرّض هو، ووالديه، ورفاقه لعذاب فوق الاحتمال. وسخِر كفّار ومشركو قريش من نبوّة رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢﴾ [الفرقان: 41، 42]

ويصبِّر القرآن الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: 33].

ولمّا لم يُجْدِ اضطهاد كفّار قريش للمسلمين نفعاً، قامت قريش بإرسال **عتبة بن ربيعة** ليفاوض رسول الله ﷺ عارضاً عليه المال، والملك، والسيادة، والتطبيب والعلاج في مقابل الإقلاع عن دعوته للناس. وعلى الفور ردّ عليه رسول الله ﷺ بآيات من سورة «فصلت» أرعبت عتبة الذي أسرع منصرفاً إلى قومه مقترحاً عليهم أن يتركوا محمَّداً وشأنه، وفي هذه الآيات يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 1 ـ 13].

(ز) شكوى مشركو قريش من رسول الله ﷺ إلى عمه أبي طالب:

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: لمّا مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم زعيم بني مخزوم «عمرو بن هشام»، المعروف بكنيته الشهيرة **«أبو جهل»** فقالوا: إنَّ ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه عمه، فجاء النَّبي ﷺ فدخل البيت، وبينه وبين أبي طالب قدر

مجلس رجل، قال: فخشي «أبو جهل» ـ لعنه الله ـ إن جلس «محمَّد» إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي! ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنَّك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلّم رسول الله ﷺ فقال: **«يا عمّ! إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية»** ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال: القوم: كلمة واحدة! نعم وأبيك عشراً (أي نعطيك بدل الكلمة الواحدة عشر كلمات) فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال ﷺ: «**لا إله إلّا** الله» قاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون ما سجّله القرآن الكريم على ألسنتهم بالنصّ التالي: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[1] [صٓ: 5].

ثم جاء وفد ثانٍ من كفّار قريش إلى أبي طالب يشكون إليه رسول الله ﷺ ويطلبون منه إمَّا أن يسكته أو أن يخلي بينهم وبينه، فبعث إليه عمّه من أحضره، وقال له: يابن أخي! إنَّ قومك قد جاؤوني وذكروك بما تصنع معهم فأبق على نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق، فقال له ﷺ: **«يا عم! باللّه لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره** الله، **أو أهلك دونه»** فقال له عمّه أبو طالب: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فباللّه لا أسلمك لشيء أبداً[2].

وبعد هاتين الوفادتين من كفّار ومشركي قريش إلى أبي طالب، جاؤوا إليه في محاولة ثالثة يائسة عارضين عليه أن يكف عنهم ابن أخيه، أو أن يسلمه لهم فيقتلوه، ويعطوه «عمارة بن الوليد بن المغيرة» ليتَّخذه ولداً، قائلين إنَّما هو رجل برجل. فردّ عليهم أبو طالب قائلاً: باللّه لبئس ما تسومُنَّني به، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني لتقتلوه؟ هذا باللّه ما لا يكون أبداً. فانصرف وفد

(1) مصنف ابن أبي شيبة (36564).
(2) سيرة ابن هشام (1/ 266).

قريش وهم عازمون على المبالغة في معاداة رسول الله ﷺ والتنكيل به وبأعوانه، متهمينه تارة بالكهانة، والسحر، وتارة بالشعر، وثالثة بالجنون والكذب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [صٓ: 4، 5].

وينزهه الله ـ تعالى ـ عن ذلك بقوله العزيز: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: 29 ـ 31].

وبقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: 38 ـ 43].

(ح) هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة:

لما يئس كفّار قريش من «أبي طالب» بدأوا في مناهضة رسول الله ﷺ وأصحابه، وبتعذيب بعض الذين آمنوا به من أمثال: «**عمّار بن ياسر**» **ووالدته** «**سميّة**» **ووالده**، و«**بلال**»، و«**خباب بن الأرت**»، وغيرهم، فأذن رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: «**إنَّ لها ملكاً لا يُظْلم عنده أحد**»، فهاجر المسلمون إلى الحبشة في هجرتين متعاقبتين، كانت الأولى منهما في السنة الخامسة بعد نزول الوحي، وخرج فيها وفد من ستة عشر (16) مسلماً ومسلمة، ثم تلاهم ثلاثة وثمانون (83) رجلاً، وتسع عشرة (19) امرأة في الهجرة الثانية.

تعقب مشركو قريش الهجرتين، طالبين من «النجاشي» ردّ المهاجرين إليهم لتأديبهم بدعوى الخروج على دين آبائهم، وأرسلوا إليه بهديّة في محاولة يائسة لرشوته من أجل تحقيق طلبهم. ولكن «النجاشي» عند سؤاله المهاجرين عن دينهم وعن عقيدتهم في عيسى ابن مريم قالوا: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه. فأخذ «النجاشي» على الفور عوداً صغيراً من

الأرض وقال: لم يزد عيسى على ما قلتموه قدر هذا العود، اذهبوا فأنتم آمنون. وردّ النجاشي إلى قريش هديّتهم، فقد كان مؤمناً ببشريّة المسيح عليه السلام رغم مخالفة بطاركة كنيسته لذلك الإيمان الصحيح.

حصار المسلمين في شعب بني هاشم:

بعد إسلام كل من «عمر بن الخطّاب»، و«حمزة بن عبد المطّلب» (وهما من صناديد قريش)، بدأ المشركون في إدراك خطر انتشار الإسلام، وتزايد قوّة وشوكة المسلمين. ولمواجهة ذلك اتفق مشركو قريش على مقاطعة المسلمين مقاطعة اقتصاديّة واجتماعيّة كاملة، فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم، ولا يزوّجونهم ولا يتزوّجون منهم، وكتبوا بذلك صحيفة علّقوها بداخل الكعبة. واستمرّ هذا الحصار لمدّة ثلاث سنوات، حتى اضطرّ المسلمون إلى أكل ورق الشجر، فأثار ذلك كوامن المروءة عند بعض العرب، فقام «**المطعم بن عدي**» وبعض أهل المروءة باتّخاذ القرار بشق تلك الصحيفة الظالمة ونقضها. وعندما همّوا بذلك وجدوا أنَّ حشرة «الأرضة» كانت قد أكلت الصحيفة كلّها إلّا جملة (باسمك اللّهم)، ففكّ هذا الحصار الظالم عن رسول الله ﷺ وعمن كان معه من المسلمين.

(ي) وفاة كل من زوجته وعمّه:

لم يكد رسول الله ﷺ يتنفّس الصعداء بعد محنة الحصار في شعب بني هاشم الذي استمرّ لثلاث سنوات، ويستأنف نشاطه الدّعوي من جديد حتى مني بوفاة زوجته أُمّ المؤمنين «السيّدة خديجة» ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ ثم وفاة عمّه أبي طالب، وذلك في العام العاشر من بعثته الشريفة (الموافق سنة 620م). ماتت السيّدة خديجة بعد زواج دام أربعاً وعشرين سنة وبضعة أشهر، ومات «أبو طالب» دون أن يسلم، على الرغم من جهود رسول ﷺ معه لينطق بالشهادتين وهو على فراش الموت، فعرف ذلك العام في سيرة رسول الله ﷺ باسم «**عام الحزن**». وكان في موت كلّ من السيّدة خديجة وأبي طالب إغراءٌ لمشركي قريش في زيادة الاضطهاد للرسول الخاتم وأصحابه الكرام. وعندما جاوز المشركون في مكة كل

الحدود في الإساءة إلى رسول الله، وإلى جميع الذين آمنوا معه، اضطرّ ﷺ للخروج إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة «ثقيف».

(ك) الرحلة إلى الطائف:

تقع الطائف على بعد (70) كم إلى الجنوب الشرقي من مكّة في صعود شاهق ومستمر، وقد سار المصطفى ﷺ هذه المسافة على قدميه ذهاباً وإياباً في طريق شاق شديد الوعورة، ولم يكن يرافقه فيها غير «**زيد بن حارثة**»، وكان ذلك في شهر شوال من السنة العاشرة بعد البعثة المحمّديّة الشريفة. مكث رسول الله ﷺ في الطائف عشرة أيّام يتردّد على الأسواق، والبيوت، والطرقات، داعياً الناس إلى دين الله، قائلاً لهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: 32] فلم يؤمن به أحد. وفوق تكذيبها لرسول الله ﷺ زادت «ثقيف» تنكرها للتقاليد العربيّة الأصيلة، وللأعراف السائدة في كل الجزيرة العربيّة: من ضرورة القيام بواجب إكرام الضيف، فلم تقم له بشيء من حقّ الضيافة. وعلى النقيض من ذلك استقبله أبناء هذه القبيلة بكثير من صفات اللؤم والخسّة والدناءة، فقد سخروا من دعوته، وأغروا سفهاءهم بالصياح عليه، وسبّه، وإلقاء الحجارة عليه حتى أدموا قدميه الشريفتين (وهو أحبّ خلق الله إلى الله).

خرج رسول الله ﷺ من الطائف مكسور الخاطر، مهيض الجناح، وتوقّف عند بستان في الطريق إلى مكّة يعود إلى الأخوين عتبة وشيبة ابنا ربيعة. استظلّ رسول الله ﷺ بظلّ سور البستان، وطفق يناجي ربّه بمناجاة تهزّ القلب والعقل معاً قال فيها: «**اللّهم إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الرَّاحمين إلى مَن تكلني؟ إلى عدو يتجهمني؟ أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بك سخط عليَّ فلا أُبالي، غير أنَّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السمٰوات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تُحِلَّ عليّ غَضَبَك، أو أن تُنْزِلَ عليَّ سَخَطَك، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلّا بك**»[1].

(1) سيرة ابن هشام (1/ 420)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير.

فلمّا رآه صاحبا البستان تحرَّكت المروءة في قلبيهما فَدَعَوا غلاماً لهما اسمه «**عداس**» كان من بقايا أهل الكتاب في العراق، وقالا له: خُذ قطفاً من العنب فضعه في طبق ثم اذهب به إلى هذا الرجل وقدّمه إليه. فعل «**عداس**» ما أُمر به، فلمّا وصل إلى رسول الله ﷺ وقدّم طبق العنب إليه قال: «باسم الله» وتناول شيئاً من العنب، فنظر إليه «**عداس**» قائلاً: باللّه إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فسأله رسول الله ﷺ: «**ومن أي البلاد أنت؟** قال «**عداس**»: من نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «**من بلد الرجل الصالح يونس بن متى؟**» فقال «**عداس**»: وما يدريك عن يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: «**ذلك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيّ**» فأكب «**عداس**» على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه. وما أن رأى صاحبا البستان ما كان من «**عداس**» تجاه رسول الله ﷺ حتى قال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلمَّا عاد إليهما «**عداس**» قالا له: ويلك يا عداس! مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلَّا نبيّ!! فقالا له: ويحك يا «**عداس**»، لا يصرفنك عن دينك.

وكان يرافق رسول الله ﷺ في رحلة الطائف خادمه زيد بن حارثة، فسأله زيد متعجباً قال: يا رسول الله! كيف تعود إلى مكة وهم أخرجوك؟ فأجابه قائلاً: «**يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً. وإن الله ناصر دينه ومُظهر نبيه**».

وتروي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ قائلة: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: (**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على «ابن عبد يا ليل بن عبد كلال» فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (قرن المنازل أو السيل) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك**

الجبال فسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت، فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين) فقال النبي ﷺ: **(قلت له: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)**[1].

عاد رسول الله ﷺ إلى مكّة في جوار أحد المشركين هو «المطعم بن جبير»، وكفّار قريش من أشد الناس شماتة به، وعداءً له، فأكرمه الله ـ تعالى ـ برحلة **«الإسراء والمعراج»**، وهي كرامة لم ينلها أحد من الخلق من قبل ولا من بعد. وجاء ذكر تلك المعجزة في كل من سورتَي **«الإسراء»** و**«النجم»** وفي العديد من أحاديث رسول الله ﷺ.

(ل) معجزة الإسراء والمعراج:

في شهر ربيع الأوّل من السنة السابقة على الهجرة النبويّة الشريفة (في حدود سنة 620م) طاف رسول الله ﷺ حول الكعبة ليلاً وحيداً، ثم رجع إلى بيته وأوى إلى فراشه. وعند منتصف اللّيل جاءه جبريل عليه السلام وأخبره بأنَّ الله ـ تعالى ـ يدعوه إلى رحلة السماء. تحرّك الركب الكريم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث استقبلته الملائكة، وصلّى رسول الله ﷺ ركعات في المسجد الأقصى ومعه الملائكة الكرام، ثم عرج به عبر السمٰوات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى، وشاهد جنّة المأوى، وراح ﷺ يصعد حتى وقف بين يدي رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما وسجد قائلاً: **«التحيّات المباركات والصلوات الطيبات للّه»** فقال الحق ﷻ: **«السّلام عليك أيها النّبي ورحمة الله وبركاته»**، وسبّحت الملائكة لهذه التحيّة الربانيّة قائلة: **«السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»**. وقد جعلت هذه التحيّة بداية التشهد الذي يردده المسلمون في صلواتهم التي فرضها الله ﷻ عليهم في هذا الموقف العظيم. وبين يدَي رحمٰن الدنيا والآخرة

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، حديث رقم (3231).

ورحيمهما أوحى إلى خاتم أنبيائه ورسله ما أوحى، وكانت فريضة الصلاة في مقدمة ذلك. ولقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة من آيات ربّه الكبرى ما لم يفصح القرآن الكريم عنه، وإن فصلته أحاديث رسول الله ﷺ.

وبعد إتمام رحلة التكريم الإلٰهي تلك عاد رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس، حيث صلّى إماماً بأنبياء الله ورسله، ثم عاد إلى مكّة المكرّمة ليجد فراشه لا يزال دافئاً، لأنَّ الله ـ تعالى ـ أوقف له الزمن، وطوى له المكان، واللَّه ﷻ على كل شيءٍ قدير، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له لكن فيكون.

وفي صبيحة تلك اللّيلة المباركة، حَدَّث رسول الله ﷺ أهل مكّة بأخبار رحلته التكريميّة تلك فآمن مَن آمن، وكفر مَن كفر. وكان أوّل المصدقين هو «**أبو بكر بن قحافة**»، ومن هنا أطلق عليه لقب (**الصدِّيق**). وفي ذلك يروى عن رسول الله ﷺ قوله: «**لمّا كذَّبتني قريش قمت في الحجر فَجَلَّا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**»[1].

(م) بيعة العقبة الأولى:

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في كلِّ موسم من المواسم، يدعوهم إلى الإسلام، ويطلب منهم مناصرته من أجل إقامة دين الله في الأرض. وفي موسم حجّ السنة الحادية عشرة من البعثة النبويّة الشريفة، خرج رسول الله ﷺ إلى المشاعر في طريقه إلى عرفات. وبينما هو في منى عند العقبة الكبرى، لقي رهطاً من ستة رجال من قبيلة الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم شيئاً من القرآن الكريم، فأسلموا، ووعدوا أن ينقلوا خبر رسول الله ﷺ إلى قومهم، ويدعوهم إلى الإسلام.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (3886)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (427)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (3133).

وفي موسم الحج التالي (في السنة الثانية عشرة من البعثة الشريفة) لقي رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً من الأوس والخزرج، وكان منهم الستة نفر الذين قابلوه في العام السابق، فبايعوه جميعاً على الإسلام، وسميت هذه البيعة باسم **بيعة العقبة الأولى**، وأرسل معهم رسول الله ـ صلوات ربّي وسلامه عليه ـ سفيره إلى أهل المدينة **مصعب بن عمير** رضي الله عنه ليدعو أهل المدينة إلى الإسلام، ويعلّمهم ركائز هذا الدين، فأسلم الكثيرون منهم على يديه لإخلاصه، وتجرّده لدين الله بفقه والتزام واضحين.

وفي موسم الحجّ التالي (في السنة الثالثة عشر من البعثة النبويّة الشريفة) عاد **مصعب بن عمير** إلى مكّة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفتح، ويقصّ عليه أخبار أهل المدينة، وما فيها من الخير، وما لها من القوّة والمنعة، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك سروراً كبيراً، ورأى أن بداية انتصار الإسلام قد دنت.

(ن) بيعة العقبة الثانية (الكبرى):

في السنة الثالثة عشر من البعثة النبويّة الشريفة (622م) جاء إلى رسول الله ﷺ في نفس المكان (العقبة الكبرى) وفد من أهل المدينة مكوّن من **ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين**، فبايعوا الرسول على الإسلام، وعلى أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم.

تسرّبت أنباء هذه البيعة إلى مشركي قريش، فزادوا من إيذائهم لرسول الله ﷺ ولصحابته الكرام. عند ذلك أمر رسول الله مسلمي مكّة بالهجرة إلى المدينة قائلاً لهم: «**إنَّ الله** عز وجل **جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**»[1]. وقال: «**إني أُرِيتَ دار هجرتكم ذات نخيل بين لابتين** (وهما الحرتان أي الطفحان البركانيّان)[2]».

خرج أغلب المسلمين من مكّة إلى المدينة، ولم يبق منهم في مكّة سوى

(1) تاريخ الطبري.

(2) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (3905).

رسول الله ﷺ و«أبو بكر» وعائلته، ورعلي بن أبي طالب»، وبعض من ضعاف المسلمين من كبار السنّ والعجزة، أو الذين ابتلوا بخطف آبائهم، أو أزواجهم، أو أبنائهم، بواسطة كفّار قريش. كذلك رجع إلى المدينة أغلب من كان قد هاجر إلى أرض الحبشة من مسلمي مكة.

(س) هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة:

لمَّا رأى زعماء الكفر والشرك من قريش انتشار الإسلام، وهجرة المسلمين إلى «يثرب»، اجتمعوا في دار الندوة ليتدارسوا أمر رسول الله ﷺ وأصحابه. وكان ذلك في يوم الخميس 26 من شهر صفر في السنة الرابعة عشر من البعثة النبويّة الشريفة (الموافق 12/ 9/ 622م). وفي هذا الاجتماع تكلّم «أبو البحتري بن هشام»، فاقترح حبس رسول الله ﷺ قائلاً: احبسوه وأغلقوا عليه الأبواب، فقالوا: ليس هذا برأي. ثم تحدّث «الأسود بن عمر» قائلاً: نخرجه من بين أظهرنا، وننفيه من بلادنا، فإذا خرج فلا نبالي بعد ذلك إلى أين ذهب، ولا في أي مكان حلَّ. قالوا: ليس هذا برأي، ألم تروا حسن حديثه، وقوّة منطقه، فإذا حلَّ عند قوم لا يلبث أن يستولي على نفوسهم، ويحلّ في سويداء قلوبهم.

بعد ذلك تحدّث «أبو جهل» (عمرو بن هشام، زعيم مخزوم من قريش) قائلاً: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى، شاباً، جليداً، نسيباً، وسيطاً فينا، ثم نعطي كلّ فتى منهم سيفاً صارماً، ويذهبون حيث محمَّد، فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل كلّها، فلا يستطيع «بنو عبد مناف» قتال الجميع، فيرضوا منّا بالعقل (أي يقبلوا الديّة) فعقلناه لهم.

استحسن الحضور من كفّار ومشركي قريش هذا الرأي، وقرّروا إخراجه إلى حيز التنفيذ. وأخبر الله ﷻ رسوله بتفاصيل هذه المؤامرة، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

وفي الوقت المناسب أوحى الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن

يهاجر إلى «يثرب» بعد ثلاث وخمسين (53) سنة قضاها في مكّة. لذلك طلب رسول الله ﷺ من «أبي بكر» رضي الله عنه أن يجهّز اللازم لرحلة الهجرة دون أن يحدّد له موعدها. وعلى الفور ابتاع أبو بكر راحلتين احتبسهما في داره واهتم بما يُمَكّن الراحلتين من القيام بهذه الرحلة الشاقّة الطويلة. وكان «أبو بكر» من أثرياء مكّة، وكانت ثروته تقدّر بأكثر من أربعين ألف درهم أنفقها كلّها في سبيل الله.

كذلك عهد رسول الله ﷺ إلى «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه أن يبيت في فراشه ليلة الهجرة، وأن يتسجى ببرده، صرفاً لأفئدة المتربّصين، وحرصاً على ردّ كل ما كان عند رسول الله من أمانات إلى أصحابها من مشركي قريش.

وفي فجر الجمعة الموافق 27 من شهر صفر من السنة الرابعة عشر من البعثة النبويّة الشريفة (الموافق 13/ 9/ 622م) خرج رسول الله ﷺ من بيته قاصداً بيت صاحبه أبي بكر الصديق. وتروي أُمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول: «كان رسول الله ﷺ لا يخطئ أن يأتي بيت أبي بكر أحد أطراف النهار، إمَّا بكرة وإمّا عشية، حتى إذا كان ذلك اليوم الذي أذِن الله فيه لرسوله ﷺ بالهجرة والخروج من مكّة من بين ظهراني قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. فلمّا رآه «أبو بكر» قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلَّا لأمر حدث. فلمّا دخل تأخّر له «أبو بكر» عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلَّا أنا وأختي أسماء. فقال رسول الله ﷺ: أخرج من عندك، فقال «أبو بكر»: يا رسول الله! إنّما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأُمّي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة**»، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله!! قال ﷺ: «**الصحبة**». وتضيف السيدة عائشة رضي الله عنها قائلة: «فبالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من شدّة الفرح حتى رأيت «أبا بكر» يبكي يومئذ»[1]».

(1) المصدر السابق نفسه (تاريخ الطبري).

وفي عتمة ليلة الهجرة النبويّة الشريفة طوّق أحد عشر شاباً من كفّار ومشركي قريش بيت النَّبي ﷺ، وظلّوا يرصدون رسول الله ﷺ حتى نام. وعند منتصف اللّيل قام الرسول ليأمر عليًّا بن أبي طالب بالنوم في فراشه قائلاً له: «**نم على فراشي، وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنَّه لن يخلص إليك شيء تكره منهم**»[1].

ترك رسول الله ﷺ عليًّا نائماً على فراشه، وخرج من داره مخترقاً صفوف المحاصرين للدار دون أن يشعروا به. وأخذ ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: 9].

ثم تحرّك رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر للقائه، وانطلقا عامدين إلى «**غار ثور**»، إلى الجنوب من مكّة تمويهاً للكفّار الذين يعلمون أنَّه متّجه إلى «**يثرب**» باتجاه الشمال. وقبل الخروج من مكّة وقف رسول الله ﷺ على رابية صغيرة في أحد أسواق مكّة (وقد أدخلت اليوم في مسجد الحرم المكّي بعد توسعته) وقف يودّع مكّة قائلاً: «**باللَّه إنّك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنّي أُخرجت منك ما خرجت**»[2].

وفي نفس الوقت الذي كان رسول الله ﷺ وفي صحبته «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه يقطعان الطريق إلى غار ثور سيراً على الأقدام لمسافة تزيد على عشرة كيلومترات، كان أبو بكر قد حمل معه كلّ ما بقي من ماله، دون أن يترك لأولاده شيئاً منه على الإطلاق. وكان أبو بكر خائفاً على رسول الله ﷺ طيلة الطريق من أن تلمحه عين من أعين المشركين، فكان تارة يمشي أمامه، وتارة يكون خلفه،

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 229).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3925)، وابن ماجه في كتاب المناسك، حديث رقم (3108).

وثالثة عن يمينه، ورابعة عن يساره. فسأله رسول الله ﷺ عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرّة عن يمينك ومرّة عن يسارك، لا آمن عليك[1].

وعند وصولهما إلى **«جبل ثور»** إذا هو صعب المرتقى، كثير الأحجار، شامخ الارتفاع، فارتقياه بصعوبة شديدة حتى وصلا إلى باب الغار، فأراد رسول الله ﷺ دخوله، ولكن سبقه إلى ذلك أبو بكر قائلاً: لا تدخل يا رسول الله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك. دخل أبو بكر الغار أولاً، ودار على جوانبه يتفحّصها فوجد فيها العديد من الجحور، فشقّ ثوبه ومزّقه إلى قطع تتناسب وحجم كل جحر من تلك الجحور التي بدأ في سدّها جحراً جحراً، وبقي جحران متجاوران لم يبق لهما سدادة من خرق ثوبه، فسدّهما بقدميه خشية أن يكون فيهما من الهوام ما يمكن أن يؤذي رسول الله ﷺ. ثم نادى على رسول الله أن يدخل إلى داخل الغار فدخل، ومن شدّة الإجهاد وضع رأسه في حجر أبي بكر واستغرق في النوم. ثم فوجئ أبو بكر رضي الله عنه بحيّة في أحد الجحرين اللّذين سدّهما بقدميه تلدغه، فلم يحرك قدميه من فوق الجحرين خشية أن تخرج الحيّة منه فتؤذي رسول الله ﷺ. زاد الألم على أبي بكر فبدأ يبكي بكاءً مكتوماً خشية أن يوقظ النائم في حجره، ولكن قطرات من دموعه سقطت على وجه رسول الله ﷺ فأيقظته فتساءل: **«ما لك يا أبا بكر»** فأجاب: لُدغت، فداك أبي وأُمّي. عالج رسول الله ﷺ مكان اللّدغة بيديه الشريفتين فشفيت، وذهب ما كان يجد أبو بكر من الألم. فلمّا بزغ الفجر ووصل نوره إلى داخل الغار، لاحظ رسول الله ﷺ أنَّ أبا بكر لا يرتدي ثوبه الذي كان عليه وهما في الطريق إلى الغار، فسأله عنه فأجاب بأنَّه مزّقه ليسدّ بخرقه جحور الغار خوفاً عليه من الهوام. فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء داعياً: **«اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة»**[2].

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 238).

(2) حلية الأولياء (1/ 33).

مكث رسول الله ﷺ وصاحبه في «**غار ثور**» ثلاث ليال حتى يهدأ بحث كفّار قريش عنهما. وفي هذه اللّيالي الثلاث كان «**عبد الله بن أبي بكر**» يأتيهما بأخبار أهل مكّة في كلِّ ليلة، ويبيت عندهما حتى السحر، وكانت أخته **أسماء** تأتيهما بالطعام والشراب ثم تعود معه، وكان «**عامر بن فهيرة**» مولى «أبي بكر» يرعى أغنامه خارج المنطقة الجنوبيّة من مكّة ليعفي على آثار السائرين على الدرب الموصل إلى «جبل ثور».

في هذه الأثناء نشط كفّار ومشركو قريش في تعقب رسول الله ﷺ وصاحبه، مجنّدين كل إمكاناتهم في سبيل تحقيق ذلك، باذلين مائة ناقة بدل كلّ واحد منهما، لمن يعيدهما إلى قريش حيَّين أو ميّتين كائناً ما كان. جدّ كل من الفرسان وقصاصي الأثر في طلب الرسول وصاحبه، وانتشروا في الوديان والجبال المحيطة بمكّة حتى وصل بعضهم إلى باب «**غار ثور**» فقال أحد قصاصي الأثر: باللّه ما جاز مطلوبكم هذا المكان. سمع «أبو بكر» هذا الحديث فبكى بكاءً مكتوماً، هامساً إلى رسول الله ﷺ بقوله: باللّه لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. لو هلك أبو بكر لهلك فرد واحد، أمّا أنت يا رسول الله لو هلكت لذهب الدّين وهلكت الأُمّة. باللّه ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فطمأنه رسول الله ﷺ قائلاً: «**يا أبا بكر ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إنَّ الله معنا**» ونزل في وصف هذا الموقف قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

وكان الله ﷻ معهما حقًّا، لأنه كان قد أوحى إلى شجرة قريبة من فم الغار أن تنحاز حتى تسدّه، وإلى واحدة من أُنثى العنكبوت أن تنسج نسيجاً يغطّي فم الغار، وإلى حمامتين أن تبيضا وتفرخا بالوصيد (أي مدخل الغار). وقد دفع ذلك

المطاردين من كفّار ومشركي قريش إلى رفض رأي مقتفي الأثر بقولهم: أنَّى لأحد أن يدخل هذا الغار وهذه شواهده؟ فعادوا أدراجهم وقد صرفهم الله ـ تعالى ـ بقدرته عن النَّبي وصاحبه.

ولمّا هدأ الطلب في المغارات المحيطة بمكَّة، اتَّجهت أنظار المطاردين إلى الطريق من مكّة إلى «يثرب». وفي ظل الهدوء حول مكَّة جاء **«عبد الله بن أبي بكر»** بالرَّاحلتين والدليل وكان اسمه **«عبد الله بن أريقط اللّيثي»**، وكان ماهراً في معرفة الطريق إلى **«يثرب»**، ولم يكن مسلماً، ولكنه أعطى العهد بألّا يخون الأمانة. كذلك أتت **«أسماء بنت أبي بكر»** بزاد للرّحلة الطويلة. خرج رسول الله ﷺ وصاحبه من الغار في ليلة الاثنين غرّة ربيع الأوّل في السنة الأُولى للهجرة النبويّة الشريفة (الموافق 16/ 9/ 622م)، وركبا الرّاحلتين، وانطلقا سالكين طريق ساحل البحر الأحمر، على الرَّغم من أنَّه أطول من الطريق الصحراوي إلى «يثرب»، وذلك لتضليل المتعقّبين. وصحبهما في هذه الرّحلة كلّ من الدليل **«عبد الله بن أريقط»** و**«عامر بن فهيرة»** مولى أبي بكر.

وفي الطريق لحق بركب النَّبي ﷺ أحد فرسان مشركي قريش وكان اسمه **(سراقة بن مالك)**. ظل سراقة يراكض بفرسه ركضاً في محاولة للوصول إلى رسول الله ﷺ وصاحبه. ولكنه كان كلما قرب من ركبهما غاصت أقدام فرسه في الرّمال، فاستجار سراقة برسول الله ﷺ فأجاره. ثم دفعه الطمع في جائزة المائتي ناقة فعاود يسرع الخطى إلى ركب النَّبي فيصيبه أشدّ ممَّا أصابه في المرّة الأُولى، فيستجير برسول الله ﷺ فيجيره. وتكرّر ذلك عدّة مرّات حتى آمن سراقة بأنَّه لا سبيل إلى تحقيق مطلبه، فعاد إلى مكّة وأخذ في صَدِّ المتعقّبين وردِّهم عن المواصلة في طلب رسول الله ﷺ وصحبه.

في الطريق إلى «يثرب» مرَّ الرّكب المبارك بخيام **«لأُمّ معبد الخزاعيّة»**، فنزلوا إلى تلك الخيام طلباً للرّاحة وللتزوّد بالطعام والشراب. سألوا «أُمّ معبد» أن تبيعهم تمراً أو لبناً أو لحماً، فقالت: باللَّه لو كان عندنا ما أعوزناكم القِرَى «أي حقّ

الضيافة» ولكن المنطقة تعيش في شدّة من الجدب والعوز. عندئذ أبصر رسول الله ﷺ شاة عند أم معبد، فسأل: **هل بها من لبن؟** قالت: هي أجهد من ذلك، وقد خَلَّفها عن الغنم شدّة ما بها من جهد وهزال. قال ﷺ: **أتأذنين لي في حلبها؟** أجابت: باللّه ما ضربها من فحل قط، فشأنك إن رأيت فيها حلباً فاحلبها. قام رسول الله ﷺ إلى الشاة ومسح بيده الشريفة على ظهرها وضرعها وسمَّى الله، فدرَّت، ودعا بإناء يروي جماعة فحلب. نزل اللّبن قويًّا في صوته، ثرا في تدفّقه، فقدم الإناء لأُم معبد فشربت حتى رويت، وشرب كلّ من حَضر حتى روي، وأخيراً شرب رسول الله ﷺ حتى روي، وكان قدومه ﷺ على أهل هذه المحلّة بشير يمن وبركة، فنزل الغيث، واخضرّت الأرض، ودرّت الضروع، فأطلقوا على زائرهم اسم «**المبارك**».

(ع) وصول ركب رسول الله ﷺ إلى «يثرب»:

سمع المسلمون من المهاجرين والأنصار في «يثرب» بخروج رسول الله ﷺ وصحبه الكرام من مكّة قاصدين مدينتهم، وتوقّعوا زمن وصولهم، فكانوا إذا صلّوا الصبح خرجوا إلى ظاهر المدينة ينتظرونهم حتى تشتدّ عليهم حرارة الشمس (وكان الزمن صيفاً) فيعودون إلى بيوتهم. استمرّ مسلمو المدينة على ذلك المنوال عدّة أيّام، وأخيراً وصل ركب رسول الله ﷺ وصاحبه إلى «**قباء**» في صباح يوم الاثنين الثامن من ربيع الأوّل للسنة الرابعة عشر من البعثة النبويّة الشريفة أو السنة الهجريّة الأولى (وقد وافق ذلك 23/ 9/ 622م). استقبل أهل «**قباء**» الركب بالبهجة والفرحة والترحاب الشديد، وقضى رسول الله ﷺ وصحبه أيّاماً في «**قباء**» يصلون مع مسلميها في مسجدها الذي كان **أوّل مسجد أُسّس على التقوى**، ثم تحوّل الركب الكريم إلى «**يثرب**» انتزاعاً من قلوب أهل «**قباء**».

وفي يثرب تزاحم الناس على ركب الرسول الخاتم وصحبه الكرام، وكلّهم يحاول الأخذ بزمام ناقته طمعاً في نزول رسول الله ﷺ عنده فيقول: «**دعوها فإنّها مأمورة**». وظلّت ناقة الرّسول الخاتم ﷺ تمشي حتى بركت في موضع مسجده

الشريف، وكانت أرضاً خالية من المباني ملكاً ليتيمين من أهل «**يثرب**»، فوهباها لرسول الله ﷺ، ولكنَّه أصرَّ على دفع ثمنها بالكامل، وأمر ببناء مسجده عليها، وببناء مسكنه بجوار المسجد.

وكانت أقرب بيوت أهل (يثرب) إلى تلك الأرض **بيت أبي أيّوب الأنصاري** رضي الله عنه وهو من «**بني النجّار**» أخوال رسول الله ﷺ، ولذلك استضافه أبو أيوب حتى تمّ بناء مسجده ومسكنه، ومنذ تلك اللّحظة تغيّر اسم «يثرب» إلى اسم (**مدينة رسول الله**) أو (**المدينة المنوّرة**) أو (**المدينة**).

وكان من أوائل أعمال رسول الله ﷺ في المدينة **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والصلح بين «الأوس» و«الخزرج»**، ووضع **دستور المدينة**. وكان هذا الدستور **واحداً** من أقدم الوثائق الدستوريّة في تاريخ البشريّة، ومن أوفرها إنسانيّة وعدلاً، وذلك من أجل قيام الدولة الإسلاميّة النموذج التي لا بدَّ من اتّخاذها مثالاً لكلِّ مَن أراد أن يقيم دولة الإسلام على الأرض من جديد.

وفي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قاسم الأنصار المهاجرين في كل شيء ولذلك نزل فيهم قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 9، 10].

(ف) وضع دستور المدينة:

كان من أوائل أعمال رسول الله ﷺ عندما استقر في المدينة هو وضع دستور لها، فأقرّ وثيقة تعتبر واحدة من أقدم الوثائق الدستورية في التاريخ من أجل قيام دولة، وتكوين جماعة جديدة، وهي وثيقة تتسم بالجدية، والموضوعية، والسياسة، والكياسة بما احتوته من توثيق للروابط بين سكان المدينة من المسلمين وغير

المسلمين تأكيداً على **الأخوة الإنسانية، والمساواة بين الناس**، وعلى **حرية التدين، وحتمية التعاون بين أصحاب المعتقدات المختلفة في الوطن الواحد**. ، وبهذه الوثيقة بدأ رسول الله ﷺ في بناء دولة الإسلام بالمدينة، وفي بناء إنسان هذه الدولة على أسس إسلامية واضحة وسط بيئة بدوية متخلفة لا تعرف مثل هذا التنظيم.

وجاء دور التشريع وتنظيم العبادات والمعاملات في المدينة بعد أن كان دور مكة المكرمة مكرّساً لتركيز العقيدة، ولتأسيس القواعد الصحيحة لمكارم الأخلاق، وبدأت في المدينة المنورة مرحلة الجهاد في سبيل الله بمجرد قيام دولة الإسلام.

وكان من التشريعات الرئيسة التي وضعها المصطفى ﷺ في المدينة المنورة التأكيد على النقاط التالية:

1 ـ **صلة الأمة بربها أفراداً وجماعات**، باعتبار القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وما احتويا عليه من المبادئ، والضوابط والمقاصد والغايات **هما المصدر الأساسي للتشريع**، مع وجود مجموعة القواعد الأساسية التي تحدد شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، ومدى سلطاتها إزاء الأفراد والجماعات (أو ما يعرف اليوم باسم **الدستور**) الذي يضبط القواعد، وينظم الحقوق ويحكم العلاقات والذي جمع في **صحيفة المدينة**.

2 ـ **صلة المسلم بأخيه المسلم** والتي تجسدت في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

3 ـ **صلة المسلمين بغيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى من أهل الكتاب**.

4 ـ **تأسيس الدولة على قاعدة من الشورى** بأمر من الله القائل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

5 ـ **الاهتمام ببناء الإنسان المسلم، والمجتمع المسلم**.

6 ـ الاهتمام بفريضة **الجهاد** في سبيل الله.

7 ـ **الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية** بين غير المسلمين.

8 ـ إخراج الإنسان من إطار القبلية الضيق إلى رحاب الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية، **وإلغاء كل أشكال العصبية الضيقة**.

9 ـ **إبراز ذاتية الفرد، ومسؤوليته في المجتمع**، بعد أن كانت ذاتيته في كيان القبيلة: شرفه لها، ووزره عليها، وتبعاته مطلوبة منها، وجرائمه محسوبة عليها، فجاءت «**صحيفة المدينة**»؛ لتجعل **فروض الكفاية الاجتماعية على الأمة، وفروض العين الفردية يحملها الفرد**، فلا يأثم امرؤ بحليفه، والجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

10 ـ **رفض الطبقية الجاهلية**، عرقية كانت أو اجتماعية، وجعل الأمة متكافلة ومتضامنة في الحق، وفي نصرة المظلوم، وفي المساواة القانونية (ذمة الله واحدة، والمؤمنون يجير عليهم أدناهم)، وفي حمل الدَّيْن عن المدين حتى يرفع عن كاهله.

11 ـ **إقرار التسوية في المواطنة وحقوقها وواجباتها** بين المسلمين وغير المسلمين من رعايا دولة الإسلام.

12 ـ **إقرار كل الفضائل** التي كانت قد بقيت في المجتمعات الجاهلية والتي لا تتعارض مع روح الشريعة الإسلامية.

(ص) إسلام عبد الله بن سلام:

كان «عبد الله بن سلام» من أحبار اليهود، ثم مَنَّ الله ـ تعالى ـ عليه بالإسلام، وروى قصة إسلامه قائلاً: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته، واسمه، وزمانه الذي كنا نترقب له، فكنت مُسرًّا لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة. فلما نزل بقباء، في «بني عمرو بن عوف»، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي «خالدة بنت الحارث» تحتي جالسة. فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كَبَّرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري:

خيّبك الله، والله إنه لو كنت سمعت «بموسى بن عمران» قادماً ما زدت. فقلت لها: أي عمة، واللَّه إنه أخو «موسى بن عمران»، وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، فقالت: أي ابن أخي! أهو النبي الذي كنا نخبر أنه بعث مع نفس الساعة (أي الذي بعثته علامة على قرب الساعة)؟ فقلت لها: نعم، فقالت: فذاك إذن.

قال «عبد الله بن سلام»: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي عن يهود. ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن يهود قوم بهت (أي أهل باطل أو على الباطل)، وإني أحب أن تدخلني بعض بيوتك وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني، فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخل عليه وفد من رؤساء اليهود فكلموه وسألوه، ثم قال لهم ﷺ: «**أي رجل عبد الله ابن سلام فيكم؟**» قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به رسول الله ﷺ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأؤمن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي، فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي «خالدة بنت الحارث» فحسن إسلامها. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: 10].

(ق) إسلام زيد بن سعفة:

كان «زيد بن سعفة» من أحبار اليهود فقال لعبد الله بن سلام: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. فلما

جُهِلَ على رسول الله ﷺ وسبق حلمه غضبه، ولم يزده شدة الجهل عليه إلا حلماً آمن به زيد بن سعفة، وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر رَحِمَهُ اللهُ.

(ر) إسلام سلمان الفارسي:

يروي الصحابي الجليل «سلمان الفارسي» رضي الله عنه قصة إسلامه كما جاءت بها كتب السيرة، من مثل «الطبقات الكبرى» لابن سعد، فيقول: «كنت رجلاً من أهل أصبهان، من قرية يقال لها (جي) بفارس، وكان أبي دهقان (أي عمدة أو حاكم) بلده، وكنت من أحَب عباد الله إليه. وقد اجتهدت في المجوسية، حتى كنت قاطن النار (أي موقِدها)، ولا نتركها تخبو أبداً. وكان لأبي ضيعة، أرسلني إليها يوماً فمررت بكنيسة للنصارى، فسمعتهم يصلُّون، فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فأعجبني ما رأيت من صلاتهم، وقلت لنفسي: هذا خير من المجوسية التي نحن عليها. فما برحتهم حتى غابت الشمس، وما ذهبت إلى ضيعة أبي، ولا رجعت إليه حتى بعث في إثري. وسألت النصارى عن أصل دينهم فقالوا: في بلاد الشام، وقلت لأبي حين عدت إليه: إني مررت بقوم يصلون في كنيسة لهم فأعجبتني صلاتهم، ورأيت أن دينهم خير من المجوسية التي نحن عليها، فحاورني وحاورته، ثم جعل في رجلي حديداً وحبسني. وأرسلت إلى النصارى ـ وأنا في حبسي ـ أخبرهم أني دخلت في دينهم، وسألتهم إذا قدم عليهم ركب من بلاد الشام أن يخبروني قبل عودتهم إليها، لأرحل إلى الشام معهم، وقد فعلوا، فحطمت قيدي الحديد وخرجت إليهم، وانطلقت مع الوفد إلى بلاد الشام.

وهناك سألت عن عالمهم، فقيل لي هو الأسقف صاحب الكنيسة. فأتيته وأخبرته خبري، وأقمت معه أخدمه وأصلي معه وأتعلم منه، ولكن هذا الأسقف كان رجل سوء في دينه، إذ كان يجمع الصدقات من الناس ليوزعها فيكتنزها لنفسه، ثم مات. وجاؤوا بآخر وجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً على دينهم خيراً منه، ولا أعظم رغبة في الآخرة، وزهداً في الدنيا، ودأباً على العبادة، فأحببته

حباً ما علمت أني أحببت أحداً مثله قبله. فلما حضره قدره قلت له: إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، ففيمَ تأمرني، وإلى مَن توصي بي؟ قال: أي بني! ما أعرف أحداً من الناس على مثل ما أنا عليه إلَّا رجلاً **بالموصل**. فلما توفي أتيت صاحب الموصل بالعراق فأخبرته الخبر، وأقمت معه ما شاء الله أن أقيم، ثم حضرته الوفاة، فسألته، فدلني على عابد في **نصيبين**، فأتيته وأخبرته خبري، ثم أقمت معه ما شاء الله أن أقيم. فلما حضرته الوفاة، سألته، فأمرني أن ألحق برجل في **عمورية** من بلاد الروم، فرحلت إليه، وأقمت معه واصطنعت لمعاشي بقرات وغنيمات. ثم حضرته الوفاة فقلت له: إلى مَن توصي بي؟ فقال: يا بني ما أعرف أحداً على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، **ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث بدين إبراهيم حنيفاً، يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرّتين، فإن استطعت أن تلحق به فافعل، وإن له آيات لا تخفى، فهو لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية، وإن بين كتفيه خاتم النبوة، إذا رأيته عرفته.**

ومرّ بي ركب ذات يوم فسألتهم عن بلادهم، فعلمت أنهم من جزيرة العرب، فقلت لهم: أعطيكم بقراتي هذه وغنمي على أن تحملوني معكم إلى أرضكم؟ قالوا: نعم، واصطحبوني معهم حتى قدموا بي **وادي القرى**، وهناك ظلموني وباعوني إلى رجل من اليهود. وبصرت بنخل كثير، فطمعت أن تكون هي البلدة التي وصفت لي، والتي ستكون مُهَاجَر النبي المنتظر، ولكنها لم تكنها. وأقمت عند الرجل الذي اشتراني، حتى قدم عليه يوماً رجل من **يهود بني قريظة**، فابتاعني منه، ثم خرج بي حتى قدمت المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها حتى أيقنت أنها البلدة التي وصفت لي، وأقمت معه أعمل له في نخله في بني قريظة حتى بعث الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ، وحتى قَدِم المدينة، ونزل بقباء في «بني عمرو بن عوف».

وإني لفي رأس نخلة يوماً، وصاحبي جالس تحتها، إذ أقبل رجل من يهود بني عمه، فقال يخاطبه: قاتل الله **بني قيلة (أي الأوس والخزرج؛ لأنهم بنو أم واحدة)** إنهم ليتخاصمون على رجل بقباء، قادم من مكة يزعم أنه نبي. فوالله ما

هو إلا أن قالها حتى أخذتني العدواء (أي الرعدة مع الانتفاضة)، فرجفت النخلة حتى كدت أسقط فوق صاحبي، ثم نزلت سريعاً أقول: ماذا تقول؟ ما الخبر؟ فرفع سيدي يده ولكزني لكزة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبِل على عملك. فأقبلت على عملي، ولما أمسيت جمعت ما كان عندي، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ بقباء، فدخلت عليه ومعه نفر من أصحابه فقلت لهم: إنكم أهل حاجة وغربة، وقد كان عندي طعام نذرته للصدقة، فلما ذكر لي مكانكم رأيتكم أحق الناس به فجئتكم به... ثم وضعته، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «**كلوا باسم الله**» وأمسك هو ﷺ فلم يبسط إليه يداً، فقلت في نفسي: هذه واللَّه واحدة: (**إنه لا يأكل الصدقة**).

ثم رجعت وعدت للرسول ﷺ في الغداة أحمل طعاماً، وقلت له (عليه الصلاة والسلام): إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وقد كان عندي شيء أحب أن أكرمك به، هدية، ووضعته بين يديه ﷺ، فقال لأصحابه: «**كلوا باسم الله**» وأكل معهم، فقلت لنفسي: هذه واللَّه الثانية: (**إنه يأكل الهدية**).

ثم رجعت فمكثت ما شاء الله، ثم أتيته ﷺ، فوجدته في البقيع قد تبع جنازة، وحوله أصحابه، وعليه شملتان مؤتزراً بواحدة ومرتدياً الأخرى، فسلّمت عليه، ثم عدلت لأنظر أعلى ظهره ﷺ، فعرف أني أريد ذلك، فألقى بردته عن كاهله، فإذا العلامة بين كتفيه: «**خاتم النبوة**» كما وصفه لي صاحبي، فأكببت عليه أقبله وأبكي، ثم دعاني (عليه الصلاة والسلام) فجلست بين يديه، وحدّثته حديثي، كما أحدثكم الآن، ثم أسلمت، وحال الرق بيني وبين شهود (بدر وأحد).

وفي ذات يوم قال لي الرسول (عليه الصلاة والسلام): «**كاتب سيدك حتى يعتقك**» فكاتبته، وأمر الرسول ﷺ الصحابة كي يعاونوني، وحرّر الله رقبتي، وعشت حرًّا مسلماً، وشهدت مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق والمشاهد كلها».

(ش) عداء اليهود للإسلام ولرسوله وللمسلمين:

على الرَّغم من إسلام عدد من زعامات وحاخامات اليهود في المدينة من أمثال «عبد الله بن سلام وعائلته»، وعلى الرَّغم ممَّا أعطاهم دستور المدينة من حقوق، فإنَّ يهود المدينة عادوا كلًّا من رسول الله ﷺ وأصحابه والإسلام والمسلمين عداءً مليئاً بالنذالة والخسّة والحقارة. فقد رفضوا دعوة الإسلام، وتآمروا على رسول الله ﷺ، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا عليه مع أعدائه من الكفّار والمشركين (وهم يدعون أنَّهم أهل كتاب)، وألبوا عليه القبائل، وحاولوا سمّه وقتله، ولكن الله ـ تعالى ـ نجَّاه من كيدهم ونصره عليهم. وفي ذلك روى «ابن إسحٰق» عن «عاصم بن قتادة» عن أشياخ من قومه أنَّهم قالوا في اليهود: «كنَّا قد علوناهم ظهراً في الجاهليّة، ونحن أهل شِرْك، وهم أهل كتاب، وكانوا يقولون لنا: إنَّ نبياً يُبعث الآن نتبعه قد أطلّ زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلمَّا بعث الله رسوله ﷺ من قريش فاتَّبعناه وكفروا هم به»[1] وفي ذلك نزل قوله ـ تعالى ـ في اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: 89].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[2].

وقد كره اليهود بعثة رسول الله ﷺ لأنها كشفت تزييفهم للدين، وكذبهم

(1) سيرة ابن هشام (1/ 539).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، حديث رقم (3535).

على رب العالمين، فبدأوا بالكيد له ﷺ مباشرة، وبإثارة الفتن بين أتباعه من المهاجرين والأنصار، والعمل على التفرقة بينهم وبين كل جماعة منهم. كما بدأوا بنقض كل العهود والمواثيق التي أبرموها مع رسول الله ﷺ، وتخيّروا لذلك ساعات العسرة. وقد أورد القرآن الكريم هذا التآمر والكذب والنفاق الذي مارسه يهود المدينة في العديد من آياته وسوره، وبيَّن كيف استطاع رسول الله ﷺ مقابلة هذا المكر اليهودي باللين والنصح أولاً، ولما لم يُجْدِ معهم ذلك أخذهم بالشدة والحزم حتى تحقق وعد الله لرسوله بالنصر فقام بتطهير أرض شبه الجزيرة من دنسهم.

(ت) من خيانات اليهود في المدينة:

تكررت خيانات اليهود لعهودهم التي قطعوها لرسول الله ﷺ في المدينة وكان من ذلك:

1 ـ خيانة «**يهود بني قينقاع**» الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسة عشر يوماً ثم أجلاهم عن المدينة التي غادروها إلى سوريا مذمومين مدحورين.

2 ـ خيانة «**يهود بني النضير**» للعهد الذي قطعوه لرسول الله ﷺ منذ وصل إلى المدينة، عندما وسطهم للصلح بينه وبين «يهود بني عامر»، فحاولوا قتله ﷺ وهو في ضيافتهم. وكان ذلك بإلقاء رحى طاحون عليه من شرفة مطلة على مجلسه وهو جالس على بساط بسطوه له عمداً في هذا الموقع من قلعتهم الحصينة على مقربة من (**قباء**). وكان ﷺ جالساً في عشرة من أصحابه بينهم «أبو بكر» و«عمر» و»علي» (رضي الله عنهم أجمعين)، ولكن الله ـ تعالى ـ أعلمه بمؤامرتهم فغادر المكان غاضباً، ثم أمر بإجلائهم وتمّ له ذلك بعد حصار دام ستة أيام، فمنهم مَن هاجر إلى خيبر، ومنهم مَن هاجر إلى سوريا، وفيهم نزلت سورة الحشر، التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر: 1 ـ 4].

3 ـ خيانة «يهود بني قريظة» لعهودهم مع رسول الله ﷺ وانضمامهم إلى الأحزاب من قريش وغطفان وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾
[النساء: 51، 52].

4 ـ خيانة «يهود خيبر» ومحاولتهم سمّ رسول الله ﷺ ولذلك حكم بإجلائهم، فخرجوا منها مذمومين مدحورين لاجئين إلى بلاد الشام.

فلما فتح المسلمون خيبر، أهدت امرأة يهودية شاة مسمومة إلى رسول الله ﷺ فقال: «**اجمعوا لي مَن كان هاهنا من يهود**» فجمعوا له، فقال ﷺ: «**إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟**» فقالوا: نعم، قال لهم ﷺ: «**مَن أبوكم؟**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم، بل أبوكم فلان!!**» قالوا: صدقت، قال: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت أنّا كذبنا كما عرفت في أبينا، فقال لهم: «**من أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال ﷺ: «**اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً**»، ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال ﷺ ـ وهو يشير إلى الشاة المهداة ـ: «**هل جعلتم في هذه سمّاً؟**» قالوا: نعم، قال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. وكان النبي ﷺ قد أكل من الشاة وأكل منها «بشر بن البراء بن معرور»، ثم قال ﷺ: «**ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**» (يعني الشاة) ومات من

سمّها بشر بن البراء[1].

5 ـ هذا غير خيانات كل من «**يهود تيماء**»، و«**فدك**»، و«**وادي القرى**»، الذين أمر رسول الله ﷺ بإخراجهم من شبه الجزيرة العربية فتمّ إخراجهم.

(ث) تحويل القبلة وفرض صيام شهر رمضان:

في المدينة صلّى رسول الله ﷺ ومعه جموع المسلمين إلى بيت المقدس ستّة عشر أو سبعة عشر شهراً. وكان ﷺ يتوق دوماً إلى جعل قبلته إلى الكعبة المشرّفة، وفي النصف من شعبان للسنة الثانية من الهجرة أمر الله ﷻ رسوله الخاتم ﷺ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكّة المكرّمة، فانتقدهم اليهود على ذلك التحول، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك اسمه ـ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٖ قِبْلَةَ بَعْضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

(1) أخرجه أبو داود، في كتاب: الديات، حديث رقم (4512).

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: 142 ـ 150].

وفي نفس الشهر فرض صيام شهر رمضان المبارك وذلك بقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾
[البقرة: 183 ـ 185].

غزواته وفتوحاته ﷺ:

في عشر سنوات خاض رسول الله ﷺ قرابة **ثلاثين معركة، وستين سرية وبعثاً**، وكان من أهم المعارك التي خاضها **معركة بدر الكبرى** في السابع عشر من رمضان سنة 2هـ (الموافق سنة 624م)، **ومعركة أُحد** في السنة الثالثة من الهجرة (الموافق سنة 625م) ومعركة الخندق **(أو الأحزاب)** في الثامن من ذي القعدة سنة 5هـ (الموافق سنة 627م)، **وصلح الحديبيّة** (في 1/ 11/ 6هـ) (الموافق سنة 630م)، **وفتح مكة** (في سنة 8هـ/ 631م)، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه صلاة رحمة وتبريك، وصلّت عليه الملائكة صلاة ثناء واستغفار، وصلّى عليه المؤمنون من خلق الله صلاة تكريم وتعظيم، جزاء جهاده من أجل تثبيت دين اللّه في الأرض، بعد أن كان أهلها قد فقدوا كل صلة بالهداية الربانية.

(ذ) حجّة الوداع:

في 25/ 11/ 10هـ (الموافق سنة 632م) خرج رسول الله ﷺ **لأداء فريضة** الحجّ، وكان الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض بعد أن

كانت **عملية النسيء** قد ضيَّعت معالم الشهور القمريّة. وكانت الكعبة قد طُهّرت من الأصنام والأوثان والأنصاب، وكان الحرم المكّي قد طُهِّر من أدران الكفّار والمشركين. وقد عرفت هذه الحجّة باسم «**حجّة الإسلام**» أو «**حجّة البلاغ**» أو «**حجّة الوداع**» لأنّها لم تتمّ إلّا بعد أن عادت كل مشاعر الحج كما كانت على عهد النّبيَّين الكريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مكاناً وزماناً. وعُرفت حجة رسول الله ﷺ باسم «**حجّة الإسلام**» لأن أهل الجاهليّة كانوا قد ابتدعوا في هذه العبادة ما لم ينزل الله به سلطاناً، فجاء رسول الله ليصحح ذلك من جديد. كذلك سُميت باسم «**حجّة البلاغ**» لأنَّ رسول الله ﷺ قد بَلَّغ الحجاج بكلّ ما تمنّى أن يوضحه لهم من أُمور الدين ـ بصفة عامّة ـ ومن أعمال الحج قولاً وعملاً ـ بصفة خاصّة ـ. كما عرفت باسم «**حجّة الوداع**» لأنَّ رسول الله ﷺ ودَّع فيها المسلمين بقوله: «**إنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»[1]. وبالفعل لم يحجّ رسول الله ﷺ بعد هذه الحجّة، وكان الوحي قد تنزل عليه في عرفات بقوله الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3].

أدرك «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه أنَّ في الآية بلاغ من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأنَّ مهمَّته قد اكتملت فبكى لذلك بكاءً طويلاً.

(ض) وفاة رسول الله ﷺ:

بعد عودته من حجّة الوداع في أوائل صفر سنة 11هـ، خرج رسول الله ﷺ

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، حديث رقم (886)، والنسائي في كتاب المناسك، حديث رقم (3062)، وابن ماجه في كتاب المناسك، حديث رقم (3023).

إلى (جبل أُحد) فصلّى على الشهداء مودّعاً. ثم ألمَّ به المرض، فخرج من منزله قاصداً «البقيع» في منتصف اللّيل مستصحباً خادمه «**أبا مويهبة**» فسلّم على أهل «البقيع» واستغفر لهم، ثم أقبل على خادمه قائلاً: «**يا أبا مويهبة! إنّي قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها... ثم الجنَّة، فَخيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنَّة**» قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأُمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها... ثم الجنّة، فقال ﷺ: «**لا باللّه يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربّي والجنّة**»[1].

وبدأ رسول اللّه ﷺ يشكو المرض غداة تلك اللّيلة، واستمر في مرضه مدّة أسبوعين تقريباً. وعلى الرَّغم من اشتداد المرض عليه إلّا أنَّه كان يخرج للصلاة بالنّاس في مسجده عشرة أيّام كاملة أو أحد عشر يوماً. وفي أحد الأيّام اعتلى المنبر خطيباً في المصلّين قائلاً: «**إنَّ عبداً من عباد اللّه خيَّره اللّه أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختار ما عند اللّه**». فأدرك «أبو بكر» رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ إنَّما ينعي بهذه العبارة نفسه الشريفة فأجهش بالبكاء قائلاً: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا»[2].

وقبل وفاته ﷺ بأربعة أيّام صلّى بالنّاس صلاة المغرب، **ثم أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب. وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، وأوصى بالاعتصام بالكتاب والسنّة، وبتنفيذ جيش أُسامة** لمقابلة الروم في معركة فاصلة. وكان هذا هو آخر بعث أمر به ﷺ، وكانت فيه إشارة للمسلمين أن يتَّجهوا بدعوتهم إلى خارج شبه الجزيرة العربيّة لتحرير بلاد الشام من احتلال جيوش الروم.

وفي صلاة العشاء من ذلك اليوم لم يتمكّن رسول اللّه ﷺ من الخروج للصلاة بالنّاس، فأرسل إلى «أبي بكر» رضي الله عنه وأمره أن يصلّي بالنّاس إماماً، فصلّى

(1) أخرجه الدارمي في المقدمة، حديث رقم (79).
(2) أخرجه البخاري، في كتاب المناقب، حديث رقم (3904).

«أبو بكر» بالناس سبع عشرة صلاة.

وقبل يوم واحد من وفاته ﷺ أعتق غلمانه، وتصدَّق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب المسلمين أسلحته.

وفي آخر يوم من حياته الشريفة، قام رسول الله ﷺ بكشف ستر حجرة السيدة عائشة، ونظر إلى المسلمين في صلاة الفجر وهم يصلُّون خلف «أبي بكر»، مشيراً إليهم بيده الشريفة، فرحاً بهم ومودِّعاً إيَّاهم، ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر. وفي ذلك قال أنس بن مالك: «ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة»[1].

ولمَّا ارتفع الضحى دعا رسول الله ﷺ ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت. قالت أُمّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فسألناها عن ذلك فيما بعد فقالت: سارني أنَّه ﷺ يقبض في وجعه الذي هو فيه، فبكيت لفراقه، ثم سارَّني فأخبرني أنِّي أوَّل أهله يتبعه فضحكت[2].

ودعا رسول الله ﷺ كلًّا من «الحسن والحسين» فقبلهما، وأوصى بهما خيراً، ودعا أزواجه أُمَّهات المؤمنين فوعظهنَّ وذكَّرهنَّ. وأوصى من حوله بقوله الشريف: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[3]، وكرَّرها مراراً».

وبدأت لحظات الاحتضار في بيت أُمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها فأسندته إليها، وأعطته سواكاً فاستنَّ به. وكانت بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي (12/ 305).

(2) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3625 ـ 3626)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (6264)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1621).

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1625).

في الماء فيمسح به وجهه الشريف وهو يقول: «**لا إله إلَّا الله، إنَّ للموت سكرات**»[1].

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده وأشار بإصبعه الشريف، وشخَّص بصره إلى السقف وهو يقول: «**مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصدِّيقين والشهداء الصالحين**»، ثم قال: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**» وكرَّر هذه الجملة الأخيرة ثلاثاً. لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وكان ذلك حين اشتدَّ الضحى من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوَّل سنة 11هـ (الموافق سنة 633م) وقد تمَّ له ﷺ من العمر ثلاثاً وستون سنة.

وشغل هول الفاجعة كل المسلمين، فبقي جسده الطاهر على فراشه إلى صبيحة اليوم التالي حين قام كل من «العبّاس» وولديه، و«علي بن أبي طالب»، و«أُسامة بن زيد»، و«أوس بن خولي»، و«شقران» مولى رسول الله ﷺ بغسله دون أن يجرّدوه من ثيابه. ثم كفَّنوه في ثلاثة أثواب بيض، وصلَّى عليه المسلمون في المسجد أرتالاً أرتالاً، ثم قال «أبو بكر» ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض نبيّ إلَّا دفن حيث يقبض**»[2].

فقام «أبو طلحة» ﷺ برفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً أودع فيه جثمان خاتم الأنبياء والمرسلين، وأُغلق القبر الشريف في جوف ليلة الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأوَّل سنة 11هـ (الموافق سنة 633م)، فصلَّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وجزاه الله ـ تعالى ـ عنَّا وعن جميع المسلمين خير الجزاء. (اللهم آمين).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، حديث رقم (6510).
(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1628).

(ظ) من الدروس المستفادة من استعراض سيرة المصطفى ﷺ:

إن سيرة هذا الرسول الخاتم مليئة بالدروس والعبر التي لا بد للمسلمين من الاستفادة بها، وهذه يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1 ـ إنّ على كل مَن يشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة، يجب أن يعلم أن الله ـ تعالى ـ قد اصطفاه من بين جميع خلقه الذين عاشوا من قبله، والذين عايشوه في زمانه، والذين جاؤوا من بعده إلى قيام الساعة. ويجب أن يعلم كذلك أن الله ـ تعالى ـ بالإضافة إلى هذا الاصطفاء، قد تعهد خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بسلسلة من الابتلاءات؛ من أجل تهيئته للرسالة العظيمة التي كلف بها، وتمّ إعداده لتحمل تبعاتها... ! **فإذا ابتلى الفرد من المسلمين فعليه أن يفهم أن في ذلك من الصقل والإعداد ما يحتاجه في مستقبل حياته.**

2 ـ وعلى كل مَن يعلم ذلك أن يحرص على مدارسة السيرة العطرة لهذا النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، حتى يرى فيه صورة للكمال البشري في أعلى درجاته، فيحتذي به. ويرى فيه من النبل الإنساني في القول والفعل والإقرار والنهي، ومن أنماط السلوك والمعاملات، ما يعينه على **أن يتخذ من هذا المثل الأعلى للأنبياء قدوة ومثالاً يرقى بتقليده إلى مقامات التكريم التي يرتضيها الله ـ تعالى ـ من عباده الصالحين.**

3 ـ وبالنظر إلى الرعاية الإلٰهية التي تعهدت تلك النطف الطاهرة من صلب كل من أبينا آدم عليه السلام، وأمنا حواء ـ عليها رضوان الله ـ إلى أصلاب كل من عبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب؛ **حتى يخرج الكمال البشري في أتم صورة له، نجد في ذلك مدعاة لكل مسلم أن يتخير لنطفه، وأن يكون معيار الاختيار هو الدين قبل كل شيء.**

4 ـ وبتأمل الحكمة الإلٰهية في بعث هذا الرسول الخاتم ﷺ في مكة المكرمة أشرف بقاع الأرض وأطهرها، وأحبها إلى الله ـ تعالى ـ، ولذلك جعلها

مهبط آدم عليه السلام ومحج ومعتمر جميع أنبياء الله ورسله، وكل القادرين من عباد الله المؤمنين ومثوى الكثيرين منهم، كما جعلها قبلة للموحدين عبر التاريخ، وحرَّمها يوم خلق السماوات والأرض، وجعلها محرّمة إلى يوم الدين، وجعل لها غير ذلك من الفضائل. **ومن ذلك نرى صورة حية لوحدة رسالة السماء، بالتقاء أول النبيين بخاتمهم عند أول بيت وضع للناس في الأرض.**

5 ـ كذلك فإن تأمل المسلم في السيرة العطرة لرسول الله ﷺ يؤكد مقولته الشريفة: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(1).

فقد لاقى رسول الله ﷺ من صنوف الابتلاء ما لاقى (وهو أحب خلق الله إلى الله). فقد توفي أبوه وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه التي فقدت زوجها في الغربة، بعد زواج لم يدم إلا لشهور قليلة. وبعد ولادته زهدت فيه المرضعات ليُتْمِه (وهو سليل الحسب والنسب والشرف). ثم تَغَرَّب وهو رضيع إلى سن الخامسة في مضارب بني سعد، وبعد ذلك عاد إلى أمه، فصَحِبته لزيارة قبر أبيه الذي شاء الله ـ تعالى ـ له أن يموت ويدفن بالمدينة. وفي طريق العودة توفيت والدته وهو دون السادسة. فعاد وحيداً إلى مكة ليعيش في كنف جده، ثم في كنف عمه بعد أن توفي الجد، وهو في الثامنة من عمره. ورعى الغنم لأهل مكة على قراريط حتى الثانية عشرة من العمر، ثم سافر مع عمه في تجارة إلى بلاد الشام وهو دون الثالثة عشرة، ثم في تجارة للسيدة «خديجة بنت خويلد» وهو دون الخامسة والعشرين. وعرف محمد بن عبد الله في شبابه العزلة عن قومه، والعبادة الفطرية لخالقه من قبل أن يأتيه الوحي، فلم يقترب من صنم أبداً، ولم يقترف سلوكاً يُعاب أبداً، ولا تَلفَّظ بكلمة نابية أبداً، فقد حفظه الله ـ تعالى ـ في طفولته وشبابه من سلبيات تلك الأعمار، ومن شرك المشركين، وكفر الكافرين. ولم يُعرف عنه إلا كل خير، حتى لُقِّب من أهل مكة **بالصادق الأمين** من قبل أن يُبعث، وعُرف بين قومه برجاحة

(1) رواه الترمذي في الزهد حديث رقم (2320).

العقل، وصواب الفكر حتى حكَّموه فيما شجر بينهم وهو لا يزال صبياً يافعاً. وكان ﷺ أجود الناس، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، كما كان أرفق الناس، وأحلم الناس. ومع ذلك كله فقد تعرض رسول الله ﷺ لسلسلة طويلة من الشدائد والابتلاءات التي لعبت دوراً كبيراً في صقله وتدريبه على تحمل المسؤوليات التي ألقيت على عاتقه. **ولعل في ذلك ما يكون عوناً لكل مسلم يمر بمحنة من محن هذه الحياة أن يصبر ويحتسب كما صبر رسول الله ﷺ.**

6 ـ وبعد بعثته الشريفة كان ﷺ أتقى الخلق للّه، وأكثرهم وَصْلاً به ﷻ، وكان أزهد الناس في الدنيا، ما سُئِل شيئاً قط فقال لا، وما عاب طعاماً قط قُدِّم إليه. وكان دائماً يقول: «**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»[1]، ويقول: «**إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»[2]. وكان ﷺ جَمَّ التواضع، يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيماناً راسخاً عميقاً، كما كان يؤمن بأخوة الأنبياء، وكان يقول: «**إن مَثَلِي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[3]. **ولعل في ذلك ما يعين كل مسلم على الالتزام بمكارم الأخلاق مهما كلّفه ذلك من ثمن.**

وقد حوصر رسول الله ﷺ هو وجميع مَن آمن معه في شِعب بني هاشم لثلاث سنوات كاملة حتى أكلوا أوراق الشجر، ولم يخرجوا من هذا الحصار القاسي إلا بمعجزة إلٰهية، تمثلت في أكل حشرة «الأرضة» لوثيقة الحصار إلا ما كتب في مقدمتها «**باسمك اللهم**». ثم لجأ رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف فردوه ردًّا غير جميل واضطر إلى العودة إلى مكة في حماية أحد المشركين. فأكرمه الله ـ تعالى ـ برحلة «**الإسراء والمعراج**» في تكريم لم ينله مخلوق قبله، ولن يناله أحد من بعده.

---

(1) متفق عليه.
(2) رواه الحاكم في المستدرك.
(3) تقدم تخريجه سابقاً.

ولعل في ذلك ما يقنع كل مسلم بأن بعد العسر يسراً، وبعد الضيق الفرج، فلا يقنط ولا يسخط إذا مرت به بعض الشدائد، بل يصبر ويحتسب.

7 ـ وقد عاش رسول الله ﷺ ثلاثة وستين عاماً، منها أربعون سنة قبل البعثة الشريفة، قضاها في العبادة الفطرية والتحنُّث للّه، وثلاثة وعشرون عاماً بعد البعثة قضاها في الدعوة إلى دين الله، وفي الجهاد الصادق في سبيله، وفي العمل الدؤوب لإقامة دولة الإسلام على الأرض. وقد تحمل ﷺ في سبيل ذلك الهجرة من بلده مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وخاض قرابة ثلاثين معركة، وستين سرية وبعثاً. وواجه من الحروب الفعلية والنفسية، والحصار الاقتصادي والاجتماعي ما واجه. وتعرض ﷺ لمحاولات القتل والسجن والتشريد والمطاردة. كما تعرض إلى الاتهام بالسحر، والكهانة والشعر، والشعوذة، إلى رمي بيته بفرية الإفك. كما تعرض أصحابه إلى الإيذاء والمحاصرة والمطاردة والتعذيب حتى الموت. وفي ظل هذه الشدائد تخلّى أقرب الناس إليه من أهله وقبيلته عنه، وتخاذلوا عن نصرته، وغدر الكفار والمشركون برسله بعد إعطائهم الأمان (كما حدث في كل من **سريتَيْ الرجيع وبئر معونة**)، وتعرض هو إلى خيانات اليهود وتآمرهم عليه، وتربصهم به، ونقض كل عهودهم معه، كما تعرض إلى نفاق المنافقين، ومغالاة كل من الكفار والمشركين وتعاونهم عليه ﷺ. وكل ذلك لم يَفُتّ في عَضُدِه، ولم يُلِنْ من عزمه، ولم يضعف من إصراره على نصرة دين الله، بل على النقيض من ذلك زاده تصميماً على الحق الذي جاء به، وإصراراً على الدفاع عنه والدعوة إليه. وظل كذلك حتى فتح الله ـ تعالى ـ له مكة المكرمة، وأدان الجزيرة العربية لإمرته. ثم فاضت روحه الشريفة الزكية الطاهرة وهو يقول: «**...مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى... اللهم الرفيق الأعلى... اللهم الرفيق الأعلى...**»[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، حديث رقم (6510).

ولعل في هذه السيرة العطرة لأشرف الخلق أجمعين ما يهوّن مصائب الدنيا على المسلمين، ويرضيهم بقضاء الله وقدره، وهم مقتنعون كل الاقتناع أن فيه الخير كل الخير، حتى ولو بدا في غير الصالح مباشرة، وذلك بعد بذل جهد الطاقة والثبات على الحق.

8 ـ ومن الدروس المستفادة من هذه السيرة العطرة كذلك **أنه لا يجوز لأرملة مات عنها زوجها بعد شهور قليلة من الزواج أن تقنط من رحمة الله، ولا يجوز ليتيم أن يتخيل أنه قد وصل إلى حافة الهلاك بفقد أحد والديه أو كليهما، ولا يصح لإنسان أن يحتقر عملاً شريفاً يعفه عن الحاجة إلى الناس، مهما تواضع ذلك العمل. ولا يجوز لمسلم أن يبرر الانجراف إلى مزالق الفساد لشيوعه من حوله، بل لا بد من مفاصلته والعزلة عنه، والتميز عليه**. ولا يصح لمسلم أن يكون فاحشاً ولا متفحشاً ولو شاع الفحش في محيطه، ولا أن يكون إمَّعة إذا أحسن الناس أحسن، وإذا أساؤوا أساء، ولا يجوز له أن يعيش هملاً لا يترك بصمة على مجريات الأحداث مهما تكالب عليه أهل الباطل، ولا أن يتخلى عن الدفاع عن دينه مهما ووجِهَ في ذلك بتحديات، وقُوبل بمظالم واضطهادات، فالحق لا بد أن ينتصر مهما طال الزمن، وتطاول أهل الباطل، فهذه هي سنة الله في خلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].

هذه هي بعض الدروس المستفادة من السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومن استعراض حياته الشريفة، وما مرّ بها من أحداث جسام. وقد أراد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أن تبقى هذه الأحداث على مَر التاريخ، نوراً على درب الحياة يهتدي به كل مسلم ومسلمة. وتبقى سيرة هذا الرسول الخاتم دروساً وعبراً يتعلم المسلمون منها حقيقة رسالة كل واحد منهم في هذه الحياة: عباداً للّه، يعبدونه ـ تعالى ـ بما أمر في إخلاص وتجرد كاملين، وينزهونه عن كل وصف لا يليق بجلاله (من مثل دعوى الشريك أو الشبيه أو المنازع أو الصاحبة أو

الولد)، وكلها من صفات المخلوقين، واللَّه ـ تعالى ـ منزَّه تنزيهاً كاملاً عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله..!

ويتعلم المسلمون من هذه السيرة العطرة أيضاً معنى الاستخلاف في الأرض، والمجاهدة من أجل إعمارها، وإقامة عدل الله وشرعه في ربوعها، والدفاع عن حرمات الله عليها، في قناعة كاملة بمعنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، أي: لا سلطان في هذا الوجود لغير الله. والذي يؤمن بذلك لا يمكن له أن يحني رأسه لغير الله الذي يملك الأجل والرزق، والعافية، والستر، والتوفيق والسعادة، وكل أمر من أمور هذا الكون. والإنسان الذي يمتلئ قلبه بحقيقة أنه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله، يعيش على هذه الأرض معزَّزاً مكرَّماً، يحترم ذاته في تواضع، ويعتز بإسلامه وبآدميته وبصلته بربه في غير غرور، ويؤمن بوحدانية الله وحدانية مطلقة فوق جميع خلقه، وبالأخوة الإنسانية التي ينتهي نسبها إلى أبوينا آدم وحواء عليهما السلام، وبالأخوة بين الأنبياء، وبوحدة رسالة السماء التي أكملها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في رسالته الخاتمة، التي بعث بها الرسول الخاتم ﷺ. وبما أنه ليس من بعده نبي ولا رسول فقد تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة في نفس لغة وحيها **(اللغة العربية)**، فحُفِظت حفظاً كاملاً على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وتعهد بحفظ دينه تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

والذي يؤمن بأن «**محمداً رسول الله**» فإنه يحب هذا المثل الأعلى للأنبياء، وللإنسانية جمعاء. ومن حبه له يحاول اقتفاء أثره، والتأسي به وبخلقه الكريم فيحقق سعادة الدنيا والآخرة، وهو الهدف من الوجود في هذه الحياة..! وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21].

والذي يفهم سيرة رسول الله ﷺ يستطيع فهم الكثير من آيات القرآن الكريم التي تدور حول الأحداث التي مرت به، وفهم مواقفه من كل واحدة منها. كما

يستطيع المُلِم بهذه السيرة العطرة أن يفهم الكثير من ركائز الدين فهماً عملياً تطبيقياً كما كان يطبقه رسول الله ﷺ. كما يستطيع فهم أساليبه في تربية أصحابه، وفي التعامل مع أهل بيته، ومع الناس في مجتمعه: (العدو منهم والصديق)، بالحكمة والموعظة الحسنة. كما يمكنه أن يفهم كيف أدار ﷺ سياسة الدولة بعد أن أقامها بكفاءة وعدل وحكمة بالغة، وفي قيادة الجند في ساحات الجهاد في سبيل الله باقتدار وبسالة كاملين. لذلك أصبحت سيرته العطرة مفتاحاً مهماً لفهم كتاب الله، ونموذجاً عملياً لحسن تطبيقه أمراً واقعاً في الحياة. وكان في المنهج الدقيق الذي اتبعه علماء المسلمين في دراسة أحاديث رسول الله ﷺ أثره البالغ في خدمة سيرة رسول الله ﷺ، ومن ثَمَّ خدمة دراسة التاريخ بصفة عامة، والتمييز بين حقائقه وأباطيله.

(ظ) من عوامل نجاح رسول الله ﷺ في أداء رسالته:

1 ـ التدريب النفسي الشاق الذي عَرَّضه الله ـ تعالى ـ له من اليتم، والاغتراب عن الأهل في طفولته المبكرة، وفقد كل من العم والزوجة، وموت أبنائه الذكور في حياته (وهم أطفال صغار)، ومطاردة المشركين والكافرين له ولأصحابه في كل مكان، وتدريبه ﷺ على تحمل شظف العيش.

2 ـ أنه ﷺ قد أوقف حياته، ونذر نفسه للّه ﷻ من أجل إعلاء دينه، وإقامة عدله في الأرض انصياعاً لأمره ـ تعالى ـ إليه ﷺ بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 161 ـ 163].

3 ـ وضوح الرؤية أمامه ﷺ، ومعرفة الطريق التي يجب عليه أن يسلكها معرفة دقيقة، والإلمام بأبعاد الرسالة التي حمَّلها له الله ـ تعالى ـ تكليفاً وتشريفاً وحمَلها هو ﷺ بكل إيمان وإخلاص ووفاء وتجرد للّه ـ تعالى ـ وحَمَّلها هو لكل مؤمن برسالته، متبع لسنته، فاقه لدينه.

فقد حمَّل ﷺ أمانة التبليغ إلى كل مسلم ومسلمة من بعده، وفي ذلك يأمره الله ـ تعالى ـ بقوله العزيز: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

4 ـ تواضعه الشديد لكل الناس، فكان ﷺ يستوقفه كل من الطفل والشاب والشيخ والمرأة، وكل ذي حاجة، فيقف لكل واحد منهم، ولا ينصرف عنهم حتى ينصرفوا هم عنه. وكان ﷺ لا يسلّم على أحد ويرفع يده عنه قبل أن يرفعها هو، وما طلب أحد منه شيئاً إلا وأجابه إلى طلبه ما لم يكن حراماً، وما استجار به أحد إلا وأجاره. وكان ﷺ زاهداً في الدنيا، مستعلياً على مباهجها. وعلى الرغم من ذلك كان يعطي عطاء مَن لا يخشى الفقر. وكان يربي أصحابه على ذلك. وكانت تأتيه الغنائم فيسعد بتوزيعها على المسلمين، وبانطلاقها من بين يديه إلى المحتاجين من الناس. وكان ﷺ في سلوكه وخُلُقه ومعاملاته مثلاً أعلى للأنبياء، وأسوة حسنة للناس، وقدوة لهم، فما كان يطلب من الناس شيئاً إلا إذا كان هو قد قام به بنفسه، ولذلك وصفه الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4].

وبقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45، 46].

5 ـ وقد نجح رسول الله ﷺ نجاحاً منقطع النظير في إبلاغ رسالته للناس على أفضل وجه، وفي إقامة دولة الإسلام على أسس من الحق الثابت والعدل الذي لا يميل. كما نجح في تربية أصحابه التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على مراقبة الله في كل أمر، وخشيته وتقواه في السر والعلن. وبذلك تمكن من تخريج جيل من المسلمين المتميزين الذين شاركوه في إقامة الدولة الإسلامية بإخلاص وتجرد للّه، وتبعوه على الحق إلى أن لقوا الله ـ تعالى ـ وهو راضٍ عنهم. وقد تمّ ذلك كله وسط جوٍّ من المطاردة والاضطهاد والحرب المستمرة من كل قوى الشر على وجه الأرض.

6 ـ نهى ﷺ عن جميع أنواع العصبيات العرقية، والقبلية والجاهلية القديمة فقال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**ليس منا مَن دعا إلى عصبية**»[1] وقال: «**دعوها فإنها منتنة**»[2]. وكان من صحابته المقربين إلى قلبه الشريف كل من «بلال الحبشي»، و«سلمان الفارسي»، و«صهيب الرومي»، وكل من «فيروز الديلمي»، و«أبي موسى الأشعري»، و«معاذ بن جبل»، و«أبي هريرة» وهم من أهل اليمن، و«منقذ بن حيان» من أهل البحرين، وكان في ذلك تأكيد على معنى الأخوة الإنسانية الذي كانت البشرية قد فقدته، ولا تزال تفتقده في أيامنا الراهنة، وكان ﷺ يعامل الجميع بالأخوة الإسلامية الكاملة فكان يأمرهم بالاصطفاف للصلاة دون أدنى تمييز؛ تأكيداً لهذا المعنى الإنساني والإسلامي الكبير.

7 ـ وقد أحيا رسول الله ﷺ كثيراً من القيم الإنسانية العليا التي كانت المجتمعات البشرية قد فقدتها بفقدها الصلة برسالة السماء. وكانت رسالة السماء ـ في جملتها ـ قد ضاعت قبل بعثته الشريفة أو تعرضت للتحريف والتبديل والتغيير، باستثناء بعض بقايا الحق القديم التي احتفظت بها حفنة من الموحدين (**الأحناف**). ومن هذه القيم التي أحياها رسول الله ﷺ حفظ الضرورات الخمس لكل إنسان من: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال دون أدنى تفريق في هذه الحقوق لأي من بني آدم.

وقد أعاد رسول الله ﷺ هذه القيم إلى الناس من جديد، وبنى بها أمة حملت الأمانة من بعده، وأدت رسالتها على خير ما يحب ربنا ويرضى. وقد تمّ له ذلك كله في أقل من ربع قرن من الزمان (23سنة).

واستمرت الأمة الإسلامية بهذه الدفعة المباركة لتقيم أعظم حضارة عرفتها البشرية وأكملها؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي جمعت بين الدنيا والآخرة في معادلة

(1) سنن أبي داود، في كتاب الأدب (5121).

(2) صحيح البخاري، في كتاب التفسير (4907).

واحدة، وأخذت بأسباب التقدم في كل منحى من مناحي الحياة، وقادت البشرية على مدى أحد عشر قرناً أو يزيد في توازن إنساني افتقرت إليه أغلب الحضارات السابقة واللاحقة.

8 ـ وقد استفاد رسول الله ﷺ في ذلك كله بهداية الله ـ تعالى ـ له، ورعايته لشخصه الكريم، وحفظه له في طفولته وشبابه، وتأديبه ـ تعالى ـ له، وتثبيته أمام ما لاقى من شدائد.

9 ـ وكان ﷺ يعايش صحابته الكرام في بساطة ويسر، وأخوة إسلامية تسبق رابطة الدم. وكان يشاركهم حياتهم مهما كانت صعبة وقاسية وذلك انصياعاً لأمر الله ـ تعالى ـ الذي يأمره فيه بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: 28].

وقد ربّى رسول الله ﷺ صحابته على الأخوة الإسلامية القائمة على الحب في الله ولله، وعلى تحمُّل المسؤولية منذ نعومة الأظافر، فأرسل «مصعب بن عمير» إلى المدينة كأول سفير للإسلام، وأرسل «أسامة بن زيد» وهو ابن العشرين عاماً على إمرة الجيش الذي أرسله لمجابهة جيش الروم.

10 ـ وربط رسول الله ﷺ صحابته من المهاجرين والأنصار برباط من الحب في الله والاستعداد للتضحية بالأهل والمال والنفس في سبيله، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: 8، 9].

11 ـ وقد التزم رسول الله ﷺ دوماً بالصبر والمصابرة، وألزم صحابته الكرام

بهما، وفي ذلك يقول له الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

12 ـ وقد التزم ﷺ دوماً بمكارم الأخلاق، ولذلك وصفه ربه بقوله العزيز له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4]. وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: **«كان خلقه القرآن»**.

13 ـ وكان الله ـ تعالى ـ قد منحه همّة عالية، وعزيمة سامية، وإرادة قاطعة في بشريته التي يعترف بها والتي أمره الله ـ تعالى ـ أن يعلنها، وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110].

14 ـ وكان ربه يأمره بمجاهدة الكفار والمشركين على الدوام والاستعداد لذلك بقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال: 60].

15 ـ وكان ﷺ شديد المواظبة على عمله، دائم الحركة والمجاهدة في سبيل الله، وكان يوصي أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بالمداومة على عمل الصالحات، والاستمرار في ذلك حتى يلقى الواحد منهم الله ـ تعالى ـ وهو راضٍ عنه. كان دائم التذكير لهم بأن: **«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[1].

16 ـ وكان ﷺ يحرص على جمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم؛ انصياعاً لأمر الله ـ تعالى ـ الذي يقول فيه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103].

17 ـ وقد شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يكون خاتم أنبيائه ورسله أميًّا ـ لا يقرأ ولا يكتب ـ وهو المعلَّم من قِبَل الله ﷻ، والموصول بوحيه، والمعصوم

(1) متفق عليه.

بعصمته، والمربى بتربيته، والمؤدب بآدابه، وذلك حتى لا يدعي أحد أنه هو الذي كتب القرآن الكريم، أو نقله عن كتب السابقين كما يدَّعي كثير من الضالين المغرضين. وهم يفعلون ذلك من أجل أن يرتاب الناس في نبوته، وفي صدق دعوته، وفي ذلك يخاطبه الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: 48].

وقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2].

18 ـ وكان مسجد رسول الله ﷺ هو قلب المدينة المنورة ومنطلق كل أنشطتها. فقد كان بيتاً للعبادة ومركزاً للتعليم والتربية والتنوير، وساحة للقضاء بين الناس، ومكاناً للتشاور في مختلف أمور المجتمع، كذلك كان مسجد رسول الله ﷺ منطلقاً للجهاد في سبيل الله، وملتقى لصياغة العقول والقلوب على أساس من وحي السماء الذي يتنزل على رسول الله ﷺ، ومنتدى للوفود القادمة للتعرف على دين الله، وملجأ للفقراء والضعفاء والمحتاجين الذين حظوا برعاية خاصة من رسول الله ﷺ ومن صحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. فكان المسجد بذلك هو مقر الدولة التعبدي والإداري، والتربوي، والاقتصادي، والجهادي، حتى يكون ذلك نموذجاً للدولة الإسلامية مهما اتسعت مساحتها أرضاً، وزادت كثافتها السكانية بشراً، ومهما تعددت دوائرها وتعقدت نظمها، فعليها أن تتحلى بروح المسجد فكراً وسلوكاً.

81 ـ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تسجل دعوة النبيّين الكريمين إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الله ـ تعالى ـ أن يحفظ نعمة الإسلام التي أسبغها عليهما حتى تستمر في نسلهما إلى يوم القيامة. ولمّا كانا متقدّمين في التاريخ فإنَّ نسلهما يشكّل قطاعاً كبيراً من أهل الأرض. وعلى ذلك فإنَّ الرابطة هنا تبقى رابطة الدين والإيمان، وليست مجرّد رابطة الدم والعرق، ولذلك يسجّل القرآن الكريم دعوة هذين النبيين الكريمين على لسانيهما بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 124 ـ 129].

وكانت الاستجابة لهذه الدّعوة الصادقة، والصادرة من قلبين طاهرين، هي بعثة الرسول الخاتم ﷺ من ذريّة هذين النبيين الكريمين عليهما السلام، في مكّة المكرّمة، التي سبق وأن أهبط فيها أوّل الأنبياء: آدم عليه السلام، حتى يلتقي ختام النبوّة بأوّلها،

تأكيداً على وحدة رسالة السماء المنطلقة من وحدانيّة الخالق ﷻ، وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء.

وبَعْثُ الرسول الخاتم ﷺ بعد أكثر من ألفي سنة على إطلاق هذه الدعوة المباركة من كلّ من النبيَّين الصالحين إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله كما جاء في هذه الآيات الكريمة.

وجاء ذلك في الوقت المناسب، بعد أن كانت البشريّة قد فقدت الصلة بالهداية الربّانيّة تماماً، وعاشت في دياجير من الظلام والضلال والمتاهات والمظالم..!! فقد جاءت بعثة الرسول الخاتم ﷺ بالإسلام، الذي دعا إليه جميع أنبياء الله. وهو الدين الذي لا يرتضي ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه. فدين الإسلام علّمه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وأتمّه وحفظه في بعثة خاتم النبيين سيِّدنا محمَّد بن عبد الله ﷺ.

وإذا كان كل من أنبياء الله ورسله قد أُرسل إلى قومه، فإن هذا النبي الخاتم قد بعثه الله ـ تعالى ـ للناس جميعاً ليعلمهم الكتاب والحكمة، ويتلو عليهم آيات الله، ويطهّرهم من أدران الشرك الذي كانوا قد خاضوا فيه، وينقِّيهم من أرجاسه وأدناسه. وذلك لأن الشيطان كان ـ ولا يزال يسعى جاهداً من أجل إخراج الناس من دائرة العبوديّة الحقّة للَّه ـ تعالى ـ إلى دوائر الكفر أو الشرك به، ومن الاستقامة على منهج الله إلى الانحرافات الشديدة عنه. ولذلك ملئت الأرض ـ ولا تزال تمتلئ بالمظالم وبمختلف صور الفساد، التي جعلت الحياة على هذا الكوكب لا تطاق.

ودعوة هذين النبيّين الكريمين: إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لم يدوّنها إلّا القرآن الكريم، وعلى ذلك فهي من المعجزات الإنبائيّة والتاريخيّة في كتاب الله. وهذه الدّعوة المباركة لأهل الحرم المكّي أن يبعث الله ـ تعالى ـ فيهم رسولاً منهم

يتلو عليهم آيات الله، ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم قد استُجيبت لأنها كانت صادرة من قلبيَ هذين النَّبيَّين المخلصين للَّه ـ تعالى ـ، ووافقت قدر الله السابق في اختيار خاتم النَّبيِّين ـ صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ من هذه الذريّة المباركة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

جاءت هذه الآية الكريمة ضمن عدد من الآيات القرآنيّة التي تبشّر بمقدم خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلَّى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ مؤكّدة معرفة جميع أنبياء الله به، وتبشيرهم بمقدمه الكريم، وببعثته الخاتمة التي ليس من بعدها نبوّة ولا رسالة. ومن هذه الآيات: (البقرة: 129؛ الأعراف: 157؛ الفتح: 29؛ والصف: 6). وفي ذلك أخرج الإمام أحمد عن العرباض بن سارية أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي عند الله لخاتم النبيِّين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأوَّل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أُمّي التي رأت، وكذلك أُمّهات النبيِّين يرين**»[1].

كذلك أخرج الإمام أحمد عن أبي أُمامة ﵁ أنَّه قال: قلت: يا رسول الله! ما كان أوَّل بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أُمّي أنَّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»[2].

والمراد: أنَّه في علم الله الأزلي والمحيط بكلّ شيء أن بعثة خاتم النبيِّين ستكون من ذريّة إبراهيم، وفي مكّة بعد رفع عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم إلى السماء بحوالي ستة قرون. وكان عبد الله ورسوله إبراهيم ﵇ قد سبق وأن نوّه

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

بذكره ﷺ. ولم تزل صفة هذا الرسول الخاتم مذكورة في الناس حتى أفصح عن اسمه عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يروي عنه القرآن الكريم أنَّه قام في بني إسرائيل خطيباً ومبشراً بمقدم الرسول الخاتم ﷺ وفي ذلك يقول ربّنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

ولهذا قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي ذكرناه آنفاً: «**إنِّي عند الله لخاتم النبيِّين وإنَّ آدم لمنجدل في طينته...**»[1] وذلك لأنَّ علم الله ـ تعالى ـ محيط بالزمان والمكان، فكلاهما من خلقه. والخالق محيط بجميع خلقه، ولا يحدّه أي من خلقه، فهو ـ تعالى ـ منزَّه عند حدود المكان والزمان، والمادَّة والطاقة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وقال ﷺ في نفس الحديث: «**وبشارة عيسى بي**» وهي البشارة التي جاءت في الآية السادسة من سورة «الصف».

أمَّا قوله ﷺ: «**ورأت أُمّي أنَّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»، قيل: كان مناماً رأته حين حملت به، وقصَّته على قومها، فشاع فيهم، واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة لبعثته الشريفة. وتخصيص «الشام» بظهور نوره ﷺ إشارة إلى استقرار نور الإسلام في تلك البلاد المباركة، التي قدَّر الله ـ تعالى ـ لها أن تكون معقلاً للإسلام وأهله، وأن تكون أرض رباط وجهاد إلى قيام الساعة. ومن الدلائل على ذلك ما يجرى على أرضها اليوم من جهاد لم تعرف له البشرية مثيلاً. ومن الدلائل على ذلك أيضاً أن يكون النزول الثاني لعبد الله ونبيه عيسى ابن مريم عليه السلام في بلاد الشام كأحد العلامات الكبرى للساعة. وسوف ينزل إن شاء الله بدمشق بالمنارة الشرقيّة البيضاء منها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ،

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

ولذلك جاء في الصحيحين: «**لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[1] وفي صحيح البخاري: «**وهم بالشام**».

وعلى ذلك فإنَّ دعوة كل من عبد الله ونبيّه إبراهيم وولده النَّبي الصالح إسماعيل عليهما السلام في الألفيّة الثانية قبل الميلاد قد وافقت ما قدَّره الله ـ تعالى ـ في الأزل من بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من ذريتهما، في مكَّة المكرَّمة، بعد منتصف الألفيّة الأولى بعد الميلاد بقرن من الزمان (610م).

وجاء هذا الرسول الخاتم ـ صلوات ربّي وسلامه عليه ـ استجابة لدعوة هذين النبيّين الصالحين: إبراهيم وولده إسماعيل، والتي عبَّر عنها القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ على لسانيهما: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: 129]. والمقصود بتعبير (فيهم) هم أهل الحرم المكّي، وإن كانت بعثته الشريفة جاءت للناس كافة، بل للثقلين: (الإنس والجن)، وجاءت رحمة للعالمين. وذلك لأنَّه ﷺ بعث والناس جميعاً كانوا قد فقدوا الصلة بوحي السماء ـ إلَّا مَن رحم الله ـ وقليل كانوا ـ. ونتيجة لذلك شاع الكفر، والشرك، والضلال، والانحراف، بين غالبيّة أهل الأرض الذين انتشرت بينهم الخرافات والأساطير، والمعتقدات المبتدعة، والهواجس الظنيّة. ونتيجة لذلك فسدت المعتقدات، وحُرِّفت العبادات، وساءت السلوكيّات، وجارت المعاملات، وانحطَّت الأخلاق وتدنَّت عند غالبيّة أهل الأرض.

وفي قولهما: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: آيات القرآن الكريم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: وحي السماء كما أنزل على جميع أنبياء الله، وذلك لأنَّ لفظة **(الكتاب)** جاءت (144) مرّة في القرآن الكريم بمعنى الوحي السماوي المنزَّل من

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3641)، ومسلم في كتاب الإمارة، حديث رقم (4927).

عند الله ـ تعالى ـ: (بما في ذلك القرآن الكريم وجميع ما سبق نزوله من كتب). من هنا جاءت الإشارة إلى القرآن الكريم بلفظ ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ في عدد من آياته، كما جاءت اللّفظة للتعبير عمَّا سبق نزوله من صور الوحي السماوي. والمقصود بقوله ـ تعالى ـ بكلمة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هو التطبيق العملي الدقيق لأوامر الله ـ تعالى ـ كما جاءت في القرآن الكريم، وكما طبّقها المصطفى ﷺ في السنَّة النبويَّة المطهَّرة، وطبَّقها صحابته الكرام تطبيقاً عمليًّا. والمقصود بالتعبير القرآني ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: ويطهّرهم من جميع الأرجاس الماديّة والمعنويّة، وفي مقدّمتها الشرك باللَّه، وشرور الأقوال والأفعال، وسوء الأخلاق وفساد المعاملات.

وختمت دعوة النبيَّين الصالحين إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الله ـ تعالى ـ بقولهما: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129] أي: الذي لا يغلب ولا يقهر، والذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كلِّ شيء، والحكيم في أقواله وأفعاله، الذي يضع كل شيء في مكانه الصحيح بعلمه، وحكمته، وعدله، ورحمته ولا يقضي أبداً إلّا بالحق.

وفي إخبار القرآن الكريم بهذه الدعوة المباركة لأهل مكة وتحقيقها بعد أكثر من ألفي سنة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنَّ أحداً من الخلق لم يكن يعلم بتلك الدّعوة المباركة سوى مَن أطلقاها، وهذا النَّبي الخاتم الذي تحققت فيه دعوة آبائه الصالحين، والذي علم بتلك الدعوة بوحي من الله تعالى وذلك حين أتاه وحي السماء.

ومن هنا يتَّضح زيف ادّعاء اليهود بأنَّهم وحدهم هم ذريّة إبراهيم عليه السلام، وأنَّهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبَّاؤه، وأنَّ غيرهم من الشعوب هم مجرَّد حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين لخدمة اليهود. وهذا الادعاء اليهودي هو ادّعاء باطل لا يسنده دين، ولا منطق، ولا عقل، ولا علم، إنَّما صنعته الأنانيّة القاتلة، والعنصريّة الكريهة التي جعلت كفار اليهود مكروهين من جميع أهل

الأرض في كلِّ زمان ومكان. والخالق ﷻ وهو الحكم العدل، لا يمايز بين الناس على أساس من الدم والعرق، وإنَّما على أساس من التقوى والعمل الصالح. وكل من عبد الله ونبيّه إبراهيم وولده النَّبي الصالح إسماعيل يقول في ابتهاله إلى الله:

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 128].

وهما بذلك يؤكّدان أنَّه انطلاقاً من الوحدانيّة المطلقة للخالق ﷻ فإنَّ هدايته للبشريّة لا بدَّ وأن تكون واحدة: هي «**الإسلام**» العظيم الذي علَّمه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم ﵇ لحظة خلقه، وأنزله بعد ذلك على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أتمّه وأكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات ربّي وسلامه عليه وعليهم أجمعين ـ. وقد تعهّد ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) تعهداً مطلقاً إلى يوم الدين، حتى يبقى حجة الله على خلقه وشهادة لخاتم أنبيائه ورسله.

ولقد قامت السفارة الصهيونيّة بالقاهرة مؤخّراً بتوزيع كتاب بعنوان «**ذريّة إبراهيم: مقدمة عن اليهودية للمسلمين**»[1]، والكتاب من وضع الحاخام «روبن فايرستون» عضو اللّجنة اليهوديّة الأمريكيّة. والكتاب مليء بالمغالطات والأكاذيب وبالتحريف والتزييف والتزوير، والذي على رأسه الادّعاء الكاذب بأنَّ يهود اليوم هم وحدهم ذريّة إبراهيم، وعلى هؤلاء الكذابين الدجَّالين أن يسمعوا حكم الله ـ تعالى ـ فيهم إذ يقول لهم:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ

(1) فايرستون، روبن وآخرون (2005م): «ذرية إبراهيم: مقدمة عن اليهودية للمسلمين»؛ من منشورات معهد هاريت للتفاهم الدولي بين الأديان ـ اللجنة اليهودية الأمريكية.

نَصَـٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: 140، 141].

وهنا تسقط كلّ دعاوى اليهود الكاذبة باصطفائهم واجتبائهم لمجرّد تصوّرهم أنّهم من ذريّة إبراهيم، وأنّهم خلفاؤه وورثته، وقد نسي هؤلاء المزيفون أنَّ الدين لا يورث وإنّما يكتسب بالعلم والالتزام، وبالتقوى والعمل الصالح، وأنَّ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وهذا هو القرآن الكريم يؤكّد لنا فيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ أنَّ عبد الله ونبيّه إبراهيم حين طلب الوراثة والإمامة لبنيه من بعده ردّ عليه الله ـ تعالى ـ بأنَّ عهده لا ينال الظالمين، وفي ذلك يسجّل القرآن الكريم قول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124].

وعندما دعا إبراهيم لأهل مكّة بالرزق والبركة، أجابه ربّه ـ تعالى ـ بقوله الحق: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

[البقرة: 126].

وحين قام عبد الله ونبيّه إبراهيم وولده النّبي الصالح إسماعيل برفع القواعد من البيت كانت دعوتهما أن يكونا مسلمين، وأن يجعل الله ﷻ من ذرّيتهما أُمّة مسلمة، وأن يبعث في أهل بيته رسولاً منهم. فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعوتهما، وبعث من ذرّيتهما خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أيّده الله بنصره حتى أقام دولة الإسلام. والإسلام هو دين الله الذي استعادت به الإنسانيّة صلتها بالهداية الربّانيّة بعد أن كانت قد انقطعت عنها بالكامل، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: 127 ـ 130].

وقد سبق لأحد حاخامات اليهود وكان اسمه «الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبوان» أن فَنَّدَ هذه الدعوى بأن اليهود هم نسل إبراهيم عليه السلام وأنهم شعب الله المختار في كتابه المعنون «إفحام اليهود». وقد أسلم هذا الحاخام وتسمى باسم «السموأل بن يحيى المغربي، ورأى الرسول ﷺ في المنام»[1].

وعلى ذلك فإن هذه الآيات تمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لأنَّ مجموع هذه الوقائع لم يشهدها من خلق الله ـ تعالى ـ سوى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. وقد تحققت هذه الدعوة في بعثة الرسول الخاتم ﷺ الذي أقام الله تعالى به دولة الإسلام بعد أكثر من ألفي سنة من انطلاق لساني إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بدعوتهما. وهذا من معجزات القرآن الكريم التاريخيّة والإنبائيّة، فلولا ذكر هذا الكتاب العزيز لتلك الوقائع ما وصلنا خبر ذلك أبداً، خاصة وأن أياً من «العهدين القديم أو الجديد» لم يذكر شيئاً عن هذه الدعوة المباركة التي استجاب لها ربّ العالمين.

(1) المغربي، السموأل بن يحيى (ت. 570هـ):
«إفحام اليهود» وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ؛ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي؛ دار الهداية، مدينة نصر ـ القاهرة (1406هـ/ 1986م).

82 ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تسجّل هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي صحبته سيّدنا «أبو بكر الصدّيق» ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ. وحدث ذلك حين ضاقت قريش ذرعاً بدعوة الإسلام، فقرَّرت التخلّص من سيّدنا محمَّد ﷺ وممَّن بقي معه من المؤمنين في مكَّة، وعلى الفور أطلع الله ـ تعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله على مؤامرة مشركي قريش، وأمره بالهجرة إلى «يثرب». خرج رسول الله ﷺ ومعه «أبو بكر» واختبأ في **غار «ثور»** حتى تهدأ ثائرة المطاردين لهما الذين هالهم خروج المصطفى ﷺ سالماً من وسط الحصار الذي ضربوه حول بيته. وكان هذا الحصار قد ضرب بواسطة عدد من الشّبان الأشداء المزوّدين بأمضى السيوف، والممثلين لأغلب بطون قريش، والمكلّفين بضرب عنق المصطفى ﷺ ضربة رجل واحد حتى يتفرّق دمه بين القبائل.

خرج صناديد قريش في محاولة للحاق برسول الله ﷺ ووظفوا مقتفي الأثر، وأعلنوا عن الجوائز السخيّة لمن يأتي به وبصاحبه حيَّين أو ميِّتين. واشتدت المطاردة، واشتدّ التعقب حتى وصل مقتفو الأثر إلى باب «**غار ثور**». بدأ الصدِّيق رضي الله عنه يجزع ـ لا على نفسه، ولكن ـ على رسول الله ﷺ الذي لو أصابه سوء لقضي على دين الله في الأرض. ورسول الله يهدئ من روع «أبي بكر»، ويطمئن قلبه بمعيّة الله ـ تعالى ـ لهما. وأنزل الله ـ تعالى ـ سكينته على قلب خاتم أنبيائه

ورسله ﷺ وأيَّده بجنود من عنده ﷻ لم يرهم أحد، يحرسون رسوله في الغار هو وصاحبه الصدِّيق. وجعل الله ـ تعالى ـ كلمة الكافرين السفلى، وكلمة الله هي دائماً العليا لأنَّ الله ـ تعالى ـ هو ربّ هذا الكون ومليكه، لا يشاركه أحد في ملكه، ولا ينازعه أحد في سلطانه، وهو ـ تعالى ـ القاهر الذي لا يغلب، والحكيم الذي لا يخطئ، ولا يأمر إلَّا بما فيه الخير والمصلحة دائماً أبداً.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

ذكر ابن كثير في كتابه المعنوَن باسم «**السيرة النبويّة**» أن أُمّ المؤمنين السيدة عائشة ﵂ قالت: «كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت «أبي بكر» أحد طرفي النهار، إمَّا بكرة، وإمَّا عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكَّة من بين ظهراني قومه، أتانا رسول الله بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلمَّا رآه «أبو بكر»، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه السَّاعة إلَّا لأمر حدث. قالت: فلمَّا دخل تأخَّر له «أبو بكر» عن سريره. فجلس رسول الله ﷺ وليس عند «أبي بكر» إلَّا أنا، وأختي «أسماء بنت أبي بكر»، فقال رسول الله ﷺ: «**أخرج عني من عندك**»؛ فقال أبو بكر: يا رسول الله! إنَّما هما ابنتايَ، وما ذاك فداك أبي وأُمي؟ فقال: «**إنَّه قد أُذِنَ لي في الخروج والهجرة**». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة». قالت: فباللَّه ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت «أبا بكر» يبكي يومئذ. ثم قال: يا نبيّ الله إنَّ هاتين راحلتان، قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجرا «عبد الله بن أريقط» رجلاً من بني «الدبل بن بكر»، وكانت أُمّه امرأة من بني «سهم بن عمرو»، وكان مشركاً ـ واستأجراه كي يدلَّهما على الطريق ـ فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما»... وأضافت أُمّ المؤمنين السيّدة عائشة ﵂ قائلة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت «**ذات النطاقين**». ثم لحق رسول الله ﷺ «وأبو بكر» بغار

في جبل «**ثور**» ـ فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما «عبد الله بن أبي بكر»، وهو غلام شاب، ثقِف (أي ذو فطنة وذكاء)، لَقِن (حسن التلقي لما يسمعه)، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكّة كبائت، فلا يسمع أمراً يُكْتادان به (أي: يراد لهما فيه مكروه، من الكيد) إلّا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام. وكان «**عامر بن فهيرة**» (**مولى أبي بكر**) يرعى عليهما منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيلبتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما (وهو اللّبن الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه)، حتى ينعق بها (أي يصبح بها) «عامر بن فهيرة» بغلس (أي: عند ظلمة آخر اللّيل)، فعل ذلك في كلِّ ليلة من تلك اللّيالي الثلاث.

وعندما وصل رسول الله ﷺ وصاحبه الصدِّيق أبو بكر ـ عليه من الله الرضوان ـ إلى باب «**غار ثور**» همَّ الرسول بالدّخول إلى الغار فسبقه أبو بكر قائلاً: لا تدخل يا رسول الله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك. ودخل أبو بكر إلى الغار. ثم دار على جوانبه يتفحّصها، فوجد فيها جحوراً كثيرة، وخشي أن يكون بتلك الجحور من الهوام ما قد يؤذي رسول الله ﷺ ويؤذيه، فخلع ثوبه وشقّه إلى خرق عديدة، وأخذ يسدّ بها جحور جوانب الغار حتى نفدت تلك الخرق، وبقي جحران متجاوران لم يجد ما يسدّهما به، فانبطح على أرض الغار، ووضع قدميه على الجحرين كي يسدّهما ببطن قدميه، خشية أن يكون في هذين الجحرين من الهوام ما قد يؤذي رسول الله ﷺ. وبعد أن اطمأنَّ أبو بكر أنَّ الغار أصبح آمناً، نادى على رسول الله ﷺ بالدخول إلى الغار فدخل. ومن شدّة الإعياء الذي أصابه صعوداً لجبل ثور، الشاهق الارتفاع، الصعب المرتقى، والمليء بالصخور الناتئة، وضع رسول الله ﷺ رأسه الشريف على فخذ أبي بكر ونام. ثم فوجئ أبو بكر بحيَّة في أحد الجحرين تلدغ إحدى قدميه، فلم يحرّك تلك القدم عن موضعها خشية خروج الحيّة من جحرها فتصيب رسول الله ﷺ بشيء من الأذى. ولكن الألم اشتدَّ على «أبي بكر» فأخذ يبكي بكاءً مكتوماً خشية إيقاظ رسول الله ﷺ، ورغماً عنه سقطت قطرات من دموعه على وجه رسول الله فاستيقظ

وسأله: **ما بك يا أبا بكر،** فقال: لُدِغت ـ فداك أبي وأُمّي ـ فبادر رسول الله ﷺ بمعالجة مكان اللّدغة حتى شفيت بإذن الله، وذهب عن أبي بكر ما كان يجد من آلام. وعند بزوغ نور الفجر الصادق لاحظ رسول الله ﷺ أنَّ أبا بكر لا يرتدي ثوبه الذي كان عليه وهما بالطريق من مكَّة إلى جبل ثور، فسأله عنه، فأخبره بأنَّه قد مزَّقه إلى عدد من الخِرق التي سدَّ بها جحور جوانب الغار خوفاً على رسول الله ﷺ من الهوام التي قد تكون مختبئة فيها. وهنا رفع رسول الله ﷺ يديه الشريفتين إلى السماء وهو يقول: «**اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة**»[1]، وهي دعوة لم ينلها مسلم من قبل ولا من بعد.

مكث رسول الله ﷺ وصاحبه «أبو بكر الصدِّيق» في «غار ثور» ثلاث ليال ـ كما أسلفنا ـ، وكان ذلك اتقاء لمطاردة كفَّار قريش وأعوانهم، وتأميناً للطريق بعد ذلك إلى «يثرب». وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بأخبار كفّار قريش ليلاً، ويبت عندهما حتى السحر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام والشراب ثم تعود مع أخيها عبد الله بن أبي بكر إلى مكّة. وكان «عامر بن فهيرة» ـ مولى أبي بكر ـ يرعى غنمه إلى الجنوب من مكَّة ـ في الطريق إلى «جبل ثور» فيعفى بحركة الغنم على آثار أقدام المتحرّكين إلى الغار، وليزود ساكني الغار بشيء من اللّبن كما وصفت أُمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وفي هذه الأثناء كان كفّار قريش قد جنَّ جنونهم لخروج رسول الله ﷺ وصاحبه سالمين من مكَّة، بعد أن كانوا قد خططوا لاغتيال رسول الله ﷺ أو سجنه أو طرده، ولكن الله ـ تعالى ـ نجّاه من مؤامراتهم. جنَّد مشركو قريش كل إمكاناتهم الماديّة والبشريّة في سبيل الوصول إلى رسول الله ﷺ وصاحبه قبل بلوغه يثرب، وأعلنوا عن مكافأة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى كفّار قريش حيّين أو ميّتين كائناً ما كان. وانطلاقاً من الطمع في هذه الجائزة الكبرى جدّ كلٌّ من قصاصي الأثر حتى وصلوا إلى باب «غار ثور» وقال أحدهم: باللّه ما جاز مطلوبكم هذا المكان. سمِع أبو بكر ما قاله

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

مقتفي الأثر فبكى بكاءً مكتوماً، هامساً إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: باللّه لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا، لو هلك أبو بكر لهلك فرد واحد، أمَّا أنت يا رسول الله لو هلكت لذهب الدِّين، وهلكت الأُمَّة. باللّه ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فطمأنه رسول الله ﷺ قائلاً: «**يا أبا بكر ما ظنَّك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إنَّ الله معنا**»، وأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

وكان نصر الله ـ تعالى ـ لخاتم أنبيائه ورسله ولصاحبه الصدِّيق نصراً مؤزراً، وتحقق ذلك النصر بجنود لم يرها النّاس؛ وكذلك تحققت الهزيمة للمشركين، وكانت هزيمة مذلّة، لذلك ختمت الآية الكريمة بقوله الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿... وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

وكلمة الله ـ تعالى ـ هي دائماً العليا لأنَّه ﷻ هو خالق كلّ شيء ومبدعه، وسيِّد الوجود كلّه. وبما أنَّ (كلمة الله) هي العليا دائماً فإنَّها لا تحتاج إلى الفعل (جعل) فقال ـ تعالى ـ: ﴿... وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

فكلمة الله هي العليا أبداً وأزلاً، لا تحتاج إلى أمر متعلّق بحادثة معيّنة، لأنَّ الله ـ تعالى ـ هو القوي، العزيز، الحكيم، فلا يذلّ أولياؤه أبداً. وهو الذي يقدر النصر لمن يشاء من عباده في الوقت الذي يشاء وبالكيفيّة التي يشاء.

وتسجيل القرآن الكريم للحديث الذي دار بين رسول الله ﷺ وصاحبه الصدِّيق

أبو بكر رضي الله عنه في «غار ثور» يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنَّ أحداً من البشر لم يشاركهما هذا الحديث، ولولا تسجيل كتاب الله لتلك الواقعة لأنكرها المنكرون، ولتطاول عليها المتطاولون في زمن وقوعها كما يتطاولون في زمن الفتن الذي نعيشه. فقد تجرَّأ في زماننا كثير من السفهاء والجهلة، والضالّين الكفّار والمشركين، وعبدة الشياطين، على دين الله وكتابه، وعلى الذات الإلٰهيّة، وعلى شخص خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ ولذلك أنزل الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه دفاعه عنه الذي يقول فيه:

1 ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: 119، 120].

2 ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: 184].

3 ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: 33، 34].

من هنا جاء التهديد الإلٰهي في مطلع الآية الكريمة رقم (40) من سورة التوبة التي يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: يا أيّها المؤمنون إن لم تنصروا رسول الله ﷺ وتنصروا دعوته، والكتاب الذي أنزل إليه، والسنَّة التي أورثكم إيّاها فإنَّ الله ـ تعالى ـ قد تكفَّل بنصرة دينه، وكتابه وسنَّة نبيه، نصراً مؤزراً مؤبداً من لحظة بعثته الشريفة إلى قيام الساعة. وكما نصره الله ـ تعالى ـ في ليلة الهجرة، وهو وصاحبه في الغار، وأيّده بجنود لم يرها الناس، وهما وحيدان، أعزلان من السلاح، وأعداؤهما كثيرون، وبأيديهم كل

أسباب الغلبة الماديّة عدداً وعدّة. إلّا أنّ الله ـ تعالى ـ نصر كلاً من رسوله وصاحب رسوله نصراً مؤزراً، وهزم كفّار ومشركي قريش هزيمة مذلّة، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وأكّد أنَّ (كلمة الله) هي دائماً العليا. وذلك لأنَّ الله ـ تعالى ـ هو ربّ هذا الكون ومليكه، فلا حكم لمخلوق بجوار حكمه، ولا سلطان لعبد من عباده بجوار سلطانه. والله ـ تعالى ـ هو العزيز الحكيم الذي لا يذلّ أولياؤه، والذي لا يؤتى النصر إلّا لمن يستحقّه. وانطلاقاً من هذه الحقائق جاءت الآيات (38 ـ 41) من سورة «التوبة» بأمر من الله ـ تعالى ـ يحثّ فيه عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، ومن أجل إعلاء دينه حتى يتحقّق لهم النصر.

وقد نزلت هذه الآيات (التوبة: 38 ـ 41) **في إعلان النفير العام لغزوة «تبوك»** لأنَّ الروم كانوا قد جمعوا جيشاً جراراً على أطراف الجزيرة بأرض الشام، وكان هرقل ـ تشجيعاً لجنده ـ قد منحهم رواتب سنة كاملة، وكان عدد من القبائل العربيّة قد انضمّ إليهم (منهم قبائل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان)، وكانت جيوش الروم قد تقدّمت إلى أرض البلقاء (من أراضي الأردن الحاليّة) فأمر الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ أن يستنفر جميع المسلمين لقتال الروم فقال عز من قال ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: 38 ـ 41].

توجّه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانت من ديار

«**قبيلة قضاعة**» الخاضعة لسلطان الروم آنذاك. وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك لم يجد أثراً للحشود الرومانيّة، ولا للقبائل العربيّة المتحالفة معها. وبالرغم من أنَّ جيش المسلمين مكث عشرين ليلة في تبوك إلَّا أنَّ الجيوش الرومانيّة وحكام الإمارات الواقعة في شمال الجزيرة العربيّة إلى أطراف بلاد الشام آثروا الصلح ودفع الجزية للمسلمين، وبذلك قُصَّت أجنحة الروم المحتلّين، وأَمَّن رسول الله ﷺ الحدود الشماليّة للدولة الإسلاميّة تأميناً كاملاً.

وما أشبه اللّيلة بالبارحة، وما أحوج مسلمي اليوم إلى إعادة قراءة الآيات (38 ـ 41) من سورة «التوبة» حتى يعلموا أنَّ النصر من الله الذي تعهّد بنصرة عباده المؤمنين، فلا يتخاذلون أمام احتلال الصهاينة لأرض فلسطين وهم حثالة من حثالات الأمم، ونفاية من نفايات الشعوب. وقد احتلوا هذه الأرض العربية المسلمة بمؤامرة دولية دون أن يكون لهم في ذلك مبرر واحد من دين، أو عرق، أو لغة، أو تاريخ، أو حقّ. وقد احتلّ الصهاينة الأرض وأغرقوها في بحر من الدماء والأشلاء والخراب والدمار انطلاقاً من تعاليمهم الفاسدة الباطلة. وبغطرسة بالغة أرادوا تهويدها بالقوّة، وتغيير بنيتها السكانيّة باستيراد اليهود من أطراف الأرض، وإحلالهم محل أصحاب الأرض الأصليين. ومن أجل تحقيق ذلك قتلوا آلاف الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وهدموا آلاف المساجد والمساكن، والمدارس، والمستشفيات، والجامعات، وجرفوا الأراضي الزراعيّة، وبنوا الأسوار الحاجزة، وكدَّسوا أسلحة الدمار الشامل، واستولوا على مقدّسات المسلمين ودنّسوها، وأصبحوا يتهدّدون المسجد الأقصى بالإزالة، وإقامة الهيكل المزعوم مكانه. ويحدث هذا الاستفزاز الوقح وقرابة المليارين من المسلمين واقفون عاجزين أمام هذا التحدّي السافر، وكأنَّ الأمر لا يعنيهم، ولو قرأوا سورة «التوبة» لكان لهم موقف مغاير تماماً، ولا حول ولا قوّة إلَّا باللّه العليّ العظيم!

83 ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: 1].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في سورة «الفيل» تسجيل حملة **«أبرهة الأشرم»** من أجل هدم الكعبة المشرّفة. وقد حدث ذلك في سنة 570م، أثناء فترة خضعت فيها اليمن لحكم الأحباش بعد إنهاء حكم الفرس لها، وطرد المحتلّين الفارسيين منها. وتذكر الروايات التاريخيّة أنَّ **«أبرهة الأشرم»** الحاكم الحبشي لليمن كان قد بنى كنيسة على أرض اليمن، وسمَّاها باسم ملك الحبشة. وأنه أسرف في الإنفاق على ذلك البناء ليجعله أفخم بناء في شبه الجزيرة العربيّة، أملاً في صرف أنظار العرب به عن الكعبة المشرّفة. وكان العرب ـ حتى في جاهليتهم ـ يعظمون الكعبة ويحافظون على حرمتها، فكان الرجل يلاقي قاتل أبيه في الحرم المكّي فلا يستطيع أن يناله بسوء تعظيماً لحرمة بيت الله. وكان في اتفاق كلّ قبائل العرب على حرمة مكّة المكرّمة دليلاً كافياً على ما كانوا قد توارثوه عن أجدادهم من بقايا الحق القديم الذي دعا إليه جميع أنبياء الله ورسله (من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ولم تكن تلك الحرمة تحمي الإنسان فقط في أرجاء الحرم المكّي الذي كانت حدوده معلومة للجميع، بل كانت تحمي كلًّا من الحيوان والنبات واللّقطات.

وعلى الرَّغم من كل إغراءات الأحباش المحتلّين لأرض اليمن، فإنَّ العرب لم ينصرفوا عن الكعبة المشرّفة، وظلَّت قلوبهم معلّقة بها ـ رغم شركهم ـ وظلّت نظرتهم إلى أهل الكتاب فيها الكثير من الشكّ والريبة لاستهانة أولئك بتعاليم ربّهم، وجرأتهم على تحريف الكتب التي كانت قد أنزلت إليهم.

ونظراً لعدم استجابة العرب لدعوة **«أبرهة الأشرم»** بالانصراف عن الكعبة، والحج. إلى كنيسته، فإنَّه صمَّم على هدم الكعبة المشرّفة، وأعدّ لذلك جيشاً جراراً تصاحبه مختلف صنوف الأسلحة ووسائل النقل المتاحة وفي مقدّمتها فيل

كانت له شهرة خاصة عندهم. فتسامع العرب بمخطط **«أبرهة الأشرم»**، وعزَّ عليهم أن يتوَّجه لهدم الكعبة المشرّفة، فاعترض جيشه رجل من أشراف أهل اليمن يقال له **«ذو نفر»**، ولكن أبرهة هزمه وأخذه أسيراً. ثم اعترضه **«نفيل ابن حبيب الخثعمي»** في قبيلتين من قبائل العرب فهزمهم أبرهة كذلك وأسر زعيمهم، الذي قبل بعد أسره أن يكون دليلاً لأبرهة الأشرم في أرض العرب حتى أوصله إلى أرض الطائف. وهناك خرج إليه رجال من ثقيف قائلين لأبرهة: إنَّ البيت الذي تقصده ليس بالطائف، إنَّما هو في مكّة، وبعثوا معه من يدلّه على الكعبة، وذلك صرفاً لأبرهة عن بيتهم الذي كانوا قد بنوه لمعبودهم «اللّات».

سار أبرهة بجيشه من الطائف قاصداً مكَّة، فلمّا كان بين هاتين المدينتين أقام معسكره، وبعث بفريق من جيشه تحت إمرة أحد قواده ليقوم بحملة سلب ونهب على البدو الذين كانوا يعيشون في ضواحي مكّة ففزعهم ونهب حلالهم. وكان ممَّا نُهِبَ مائتي بعير لسيد قريش **«عبد المطّلب بن هاشم»**. ونتيجة لذلك همَّت قبائل كل من قريش، وكنانة، وهذيل، وكلّ من كان بالحرم المكّي لقتال أبرهة وجيشه، ولكن نظراً للفارق الكبير في العدد والعدّة بين الجانبين، فإنَّ العرب قرروا عدم القتال، واستسلموا لمصيرهم المحتوم.

وفي ظل هذا الهدوء النسبي بعث أبرهة نائباً عنه إلى مكّة يسأل عن كبير أهلها ليخبره بأنَّه لم يأت لقتالهم وإنَّما جاء لهدم الكعبة، فإن لم يعترضوا له سبيلاً وهو يقوم بتلك المهمّة فإنَّه لن يقاتلهم. ولمّا بلغ ذلك عبد المطّلب قال لمندوب أبرهة: باللَّه ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا هو بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام... فإن يمنعه الله منه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبين أبرهة فباللَّه ما عندنا دفع عنه. وعندئذ طلب مندوب أبرهة من عبد المطلب أن يذهب معه للقاء سيّده، فانطلقا حتى وصلا إليه.

وفي ذلك يذكر ابن إسحاق[1]: أنَّ عبد المطّلب كان من أوسم الناس طلعة،

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي (1/ 218).

وأجملهم صورة، وأعظمهم هيبة، فلمّا رآه أبرهة الأشرم أجلّه وأعظمه، ونزل عن سريره وأجلس عبد المطّلب بجواره على بساط له، ثم قال أبرهة لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال عبد المطّلب: حاجتي أن يرد عليّ مائتي بعير لي أصابها جنده. فلمَّا قال ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلّمتني! أتكلّمني في مائتي بعير صبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه؟ قال له عبد المطّلب: إنّي أنا ربّ الإبل، وإنَّ للبيت ربًّا سيمنعه. ردّ أبرهة على الفور قائلاً في غطرسة وكبر: ما كان ليمتنع مني. قال له عبد المطّلب: أنت وذاك! فردّ عليه أبرهة إبله، وانتهى اللّقاء.

انصرف عبد المطّلب إلى مكّة، وأخبر أهلها بما دار بينه وبين أبرهة، وأمرهم بالخروج من مكَّة، وبالتحرّز في قمم الجبال، ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ـ تعالى ـ ويستنصرونه على أبرهة وجيشه.

وجَّه أبرهة جيشه ـ وفي مقدمته الفيل الضخم الذي كان قد استصحبه معه ـ تجاه مكَّة، **ولكن الفيل برك قبل وصوله إلى حدود الحرم المكِّي، وأبى أن يدخله. حاول جيش أبرهة حمل الفيل على التحرك تجاه الحرم المكي ولكنه استعصى عليهم جميعاً**. وقد أكّد لنا رسول الله ﷺ تلك الواقعة يوم الحديبيّة حين بركت ناقته القصواء دون مكّة، فقالوا: خلأت القصواء (أي حَرَنَتْ) فقال رسول الله ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»[1].

وفي هذا الموقف الرهيب خارج حدود الحرم المكّي فُوجِئ أبرهة وجيشه بجماعات هائلة من أسراب الطير المتتابعة بلا انقطاع ترميهم بحجارة من سجِّيل. وكانت تلك الحجارة كلّما أصابت فرداً منهم أو من دوابهم تركته مهترءاً كأوراق الشجر الجافّة الممزَّقة التي أكلتها الحشرات، أو التي أكلتها الدَّواب وأخرجت نفاياتها كقطع الروث المبعثرة. ونتيجة لذلك أصيب أبرهة كما أصيب النَّاجون من

(1) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، حديث رقم (2731 ـ 2732).

جنوده بذهول شديد، وفزع وهلع. وأراد الله ـ تعالى ـ أن يجعل من هذه الواقعة عبرة لمن لا يعتبر، فأبقى أبرهة حيًّا حتى عاد إلى صنعاء، ولحمه يتساقط من بدنه أنملة أنملة، ولم يمت حتى انشقَّ صدره عن قلبه وأحشائه كما أثبتت الروايات عن تلك الحادثة.

وتدوين سورة «الفيل» لتلك الواقعة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لأنَّه على الرّغم من اشتهار الحادثة في زمانها حتى أرَّخ العرب بها، إلَّا أنَّ الأجيال المتتابعة كانت قد نسيتها. بل إنَّ كثيراً من العقول الماديّة الملحدة كانت قد أنكرتها. وذلك لعدم تمكن تلك العقول الجاحدة أن تستوعب حقيقة أنَّ الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير، وأنَّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُن فيكون. والمشهور أن رسول الله ﷺ كان قد ولد بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوماً. وكان هلاكهم من إرهاصات ميلاده الشريف، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: 1 ـ 5].

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصّة أصحاب الفيل:

1 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ هو ربّ هذا الكون ومليكه، وهو حافظه ورازق جميع مَن فيه من المخلوقين. وأنه لا سلطان لأحد من المخلوقين بجوار سلطان الله ـ تعالى ـ. لأنَّ أمره (إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون). وعلى ذلك فإن كان العقل البشري لا يستطيع تفسير المعجزات التي يجريها الله ﷻ لأنبيائه ورسله، أو أن ينزلها عقاباً للكفّار والمشركين من خلقه، وللطغاة المتجبّرين على أرضه من أمثال «أبرهة الأشرم» وجنده، فإن على المؤمنين من خلق الله التسليم بأن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير.

2 ـ إنَّ الله ـ تعالى ـ حرَّم مكَّة المكرَّمة يوم خلق السمٰوات والأرض. وظلَّت حرمة تلك البلدة قائمة إلى اليوم، وستبقى قائمة إن شاء الله ـ تعالى ـ إلى

قيام السَّاعة. لذلك لم يكل ربنا ـ تبارك اسمه ـ حماية الكعبة المشرّفة إلى المشركين من سكان الجزيرة العربية قبل البعثة المحمّديّة الشريفة ـ على الرَّغم من اعتزازهم بها ـ فتولّى حماية بيته بما لا نعلم من جنده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**إنّ مكة حرّمها الله ولم يحرِّمها الناس**»[1].

وقال: «**إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها**»[2].

3 ـ أنه انطلاقاً من حرمة أوّل بيت وضع للناس في الأرض (**الكعبة المشرّفة**)، فإنَّ ربّ هذا البيت لم يُمَكِّن «أبرهة الأشرم» وجنده من هدمه، في وقت كان أهل مكّة يملأون ساحة الحرم المكّي بالأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام، لأنَّ سلوك المشركين الخاطئ لم ينل من حرمة هذا البيت.

4 ـ إنَّ حرمة مكّة المكرّمة ظلَّت مصانة حتى في زمن الجاهليّة، فقد بقي العرب يعظّمون الكعبة المشرّفة، ويؤدون شعيرة الحج مع انحرافات كثيرة في أداء تلك العبادة، وكان ذلك من بقايا الحق القديم الذي بعث به جميع الأنبياء.

5 ـ إنَّ العرب لم يكن لهم كيان في يوم من الأيام إلَّا بالإسلام، ولن يكون لهم كيان بدونه. والتاريخ يؤكد على هذه الحقيقة فلقد كان العرب قبل الإسلام عبيداً للفرس أو الروم أو الأحباش، فلمَّا أسلموا سادوا نصف الكرة الأرضيّة في أقل من قرن من الزمان. ويا ليت عرب اليوم يدركون هذه الحقيقة الغائبة تماماً عن أذهان الكثيرين من أبناء جلدتنا.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، حديث رقم (104).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الحج، حديث رقم (3289).

6 ـ تدل واقعة «**أصحاب الفيل**» على عظم قدرة الله ـ تعالى ـ وعزته، كما تدل على شدة انتقامه من الطغاة الجبارين المفسدين في الأرض من أمثال «**أبرهة الأشرم**»، وما أكثر الطغاة المتجبرين على الخلق، وما أكثر الكفار والمشركين في كل زمان ومكان!!

7 ـ في واقعة «**أصحاب الفيل**» تنبيه للخلق أجمعين إلى شدة أخذ الله ـ تعالى ـ للمكذبين الباغين المتجبرين من عباده الضالين، وإلى قدرته ﷻ على إنزال ما شاء من صور العذاب بهم كما فعل بأمثالهم عبر التاريخ. ومن هنا جاءت الإشارة إلى تدمير الله لأصحاب الفيل تذكرة للعباد، ووجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

84 ـ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في **سياق تحريم التبني** الذي كان شائعاً في المجتمعات الجاهلية كما هو شائع الآن في مختلف التجمعات غير المسلمة، وانتقلت عدواه إلى عدد من أبناء المسلمين بسبب جهلهم بأمور الدين.

والتبني بمعنى جعل الطفل يحمل اسم عائلة غير عائلته، وإدخاله في نسبها بما يحقق له ذلك كل ما يمنحه النسب من حقوق مثل الإرث، وحجب غيره من الأقرباء الحقيقيين، والاختلاط مع مَن لا يُجِيزُ له الشرع الإسلامي الاختلاط بهم من النساء أو الرجال (حسب جنس الطفل المتبنى) بعد بلوغه أو بلوغها. وكل ذلك محرَّم شرعاً لأنه نوع من التزوير، والكذب، والظلم للآخرين.

وقد جاء الإسلام وهذا الشكل من التبني شائع في المجتمعات الجاهلية شيوعاً كبيراً، وذلك نتيجة لعمليات السبي أثناء الحروب والغارات التي كانت تشنها القبائل العربية ضد بعضها بعضاً. وكان الرجل من القبيلة التي سبت يعجبه أحد السبايا، فيأخذه، ويعطيه اسمه ونسبه، فكان يعرف بين الناس باسم الرجل الذي تبناه، وأدخله في أسرته، ومنحه كل حقوق البنوة وواجباتها، ومنها حرمة تزوج المتبنى بمطلقة مَن كان قد تبناه، تماماً كما تحرم مطلقة الابن الحقيقي على أبيه. وقد أدى شيوع التبني في مجتمعات الجزيرة العربية إلى شيوع اختلاط الأنساب، والاطلاع على عورات الغرباء، وما رافقه من مظالم وجرائم لا تعد ولا تحصى، ومنها احتمال وقوع زيجات محرَّمة، أو إرث ما لا حق له في إرثه.

لذلك جاء القرآن الكريم بإبطال كل السلوكيات المعيبة التي شاعت في المجتمعات الجاهليّة نتيجة لغيبة الدين الصحيح من مثل كل من (**الظهار**)،

و(**التبني**)، ولذلك قال ـ تعالى ـ في أوائل سورة «الأحزاب»: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: 4، 5].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ أي أن كلاً من **الظهار والتبني** هو مجرد قول باللسان، لا حقيقة له في الواقع، فلا يجوز أن يترتب عليه أي حكم من الأحكام الشرعية. وعليه فإن ربكم ينبئكم بالقول الثابت المحقق الذي لا يخالطه شيء من الباطل أبداً، وهو ـ تعالى ـ يرشدكم إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قيام العلاقات الأسرية على ما شرعه لكم من احترام روابط النسب والدم، لا على أساس من أهواء البشر ورغباتهم فقط.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي انسبوا هؤلاء الأولاد إلى آبائهم الحقيقيين إذا علمتموهم، لأن ذلك هو أعدل عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الذين جاؤوا من أصلابهم، فهم إخوانكم في الدين ومواليكم. و(**الموالي**) جمع (**مولى**) من الولاية، والمولى هو الإنسان الذي يربطه بغيره حقوق متبادلة، واللفظة (مواليكم) هنا تعني إخوانكم في الدين. ثم أتبع ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. ومن معاني ذلك: أنه لا إثم عليكم حين نسبتم هؤلاء الأطفال بالخطأ إليكم، وأعطيتموهم أسماءكم بدلاً من نسبتهم إلى آبائهم الأصليين الذين جاؤوا من أصلابهم، ولكن الإثم الحقيقي هو فيما قصدته قلوبكم عمداً بعد أن تبين لكم الأمر. والله ﷻ يغفر لكم خطأكم، ويقبل توبة التائبين عن خطأ التبني منكم، إذا كانوا صادقين في توبتهم، وقاموا بتصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها بتبني أبناء غيرهم، ونسبتهم إليهم بغير وجه حق.

لذلك كله أبطل الإسلام **التبني**، وجعله محرَّماً لأن فيه اختلاط للأنساب، واطلاع على زينة وعورات الغرباء، واحتمال الوقوع في زواج محرّم، أو إرث مَن لا حقَّ له في إرثه، ولذلك اعتبره الإسلام من الكبائر التي توجب سخط الله وغضبه على فاعله. وفي ذلك يروى عن رسول الله ﷺ أقواله التالية:

1 ـ **«... ومَن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»**[1].

و(الصرف) هو التوبة، و(العدل) هو الفدية.

2 ـ **«ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر»**[2].

3 ـ **«مَن ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»**[3].

وكما أن الإسلام يرفض أن يضيف الشخص إلى نفسه مَن ليس من صلبه، فإنه أيضاً يرفض أن يتهرب الإنسان من نسبه بنفيه أو التنكر له كما ينفي الابن نسبه إلى أبيه، أو ينفي الأب نسب ابنه إليه، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: **«لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفرٌ»**[4].

ونظراً لتفشي التبني في زمن الجاهلية، فإن الإسلام العظيم جاء بالأمر الإلٰهي الذي يرد كل متبنى معروف أبوه الذي جاء من صلبه إلى ذلك الأب. وأما الذين لم يعرف آباؤهم الأصليون فإن الإسلام قرّر لهم مكاناً خاصاً في جماعة المسلمين وعرّفهم باسم **«الأدعياء»**. وهذا المكان أقامه الإسلام على أساس من الأخوة والموالاة في الدين. وهذه العلاقة هي علاقة إنسانية محضة، لا يترتب عليها

(1) مسلم (3773).

(2) البخاري (3508)، مسلم (214).

(3) البخاري (4326)، مسلم (217).

(4) البخاري (6768)، مسلم (215).

أية التزامات شرعية محددة (كالتوارث، والتكافل في دفع الديات، وغيرها) وإن حملت كل معاني التكافل، والرعاية، والرحمة الإنسانية، غير الإجبارية.

ولكي يبطل الإسلام بدعة التبني أجرى هذا الحكم أولاً على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حتى يكون قدوة لغيره من المسلمين. فقد قدّر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أن يتبنى محمد بن عبد الله أحد السبايا قبل بعثته الشريفة، ثم يلغي بنوته بعد بعثته، حتى يصبح ذلك تشريعاً لأمة الإسلام إلى يوم الدين. وفي ذلك يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن «زيد بن حارثة» مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1] فقال النبي ﷺ: **«أنت (زيد بن حارثة بن شرحبيل)»**.

وتتلخص قصة تبني رسول الله ﷺ لزيد في أن «زيداً» كان طفلاً صغيراً مع أمه عند أخواله من «بني طيء»، فأغارت عليهم إحدى قبائل العرب فسلبتهم أموالهم وذراريهم. وكان «زيد» من ضمن الذين تمّ سبيهم في تلك الغارة، فقدم به الذين سبوه إلى مكة، وباعوه في أحد أسواقها إلى «حكيم بن خزام» الذي اشتراه لعمته «السيدة خديجة بنت خويلد»، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبت له «زيداً» الذي بقي في خدمته لعدد من السنين.

وكان والد «زيد» (حارثة بن شرحبيل) متعلقاً بابنه تعلقاً شديداً، وكان دائم البكاء على فراقه، والسؤال عنه، حتى علم بوجوده في مكة، فقدم إليها مع شقيق له. وبسؤال أهل مكة علما أن «زيداً» عند «محمد بن عبد الله»، فاستأذنا بالدخول عليه، ولما أذن لهما قال له «حارثة»: يا «محمد»! إنكم أهل بيت الله»، تكفون العاني، وتطعمون الأسير، وقد علمت أن ابني عندك فامنن علينا فيه، وأحسِن إلينا في قبول فدائه، فإنك ابن سيد قومك، ولك ما أحببت من المال في فدائه. فقال

(1) البخاري (4782)، مسلم (6212).

رسول الله ﷺ: «**أعطيكم خيراً من ذلك**» قالا: ما هو؟ قال: «**أخيِّره أمامكم، فإن اختاركم فهو لكم بدون فداء، وإن اختارني فما أنا بالذي أرضى على مَن اختارني فداءً**» فقالا: أحسنت، وجزاك الله خيراً. فدعا «محمد بن عبد الله» «زيداً» وقال له: «**أتعرف هؤلاء؟**» قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمي، فقال: «**يا زيد! هذا أبوك، وهذا عمك، وأنا مَن عرفت، فاختر مَن شئت منا**» فدمعت عينا «زيد»، وهو يقول: ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً، أنت مني بمنزلة الوالد والعم. قال له كل من أبيه وعمه: ويحك يا «زيد»! أتختار العبودية على الحرية؟ فقال «زيد»: لقد رأيت من هذا الرجل من الإحسان ما يجعلني لا أستطيع فراقه، وما أنا بمختار عليه أحداً أبداً. وعلى إثر ذلك أعتق «محمد بن عبد الله» «زيداً» وتبناه، ثم خرج على الناس قائلاً: «**اشهدوا أن زيداً ابني، أرثه ويرثني**» فطابت نفس كل من أبيه وعمه لما رأوا من كرامة «زيد» على مَن تبناه، وكان من أكرم الناس معه. فلم يزل زيد يدعى في الجاهلية باسم «زيد بن محمد»، حتى نزل قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فدعي «زيد بن حارثة». وبعد البعثة النبوية الشريفة كان «زيد بن حارثة» أول مَن آمن برسول الله ﷺ من الموالي.

ولمزيد من التأكيد على إلغاء (التبني)، وإلغاء كل ما يتعلق به من أحكام، جاء في ختام سورة الأحزاب موقف آخر يزيد من رفض الإسلام لهذا الأمر رفضاً قاطعاً. ويتلخص هذا الموقف في السماح للرجل شرعاً بالزواج من مطلقة ابنه الذي ليس من صلبه، والذي كان قد تبناه. وكان من تقاليد العرب تحريم هذا الزواج كحرمته من مطلقة الابن من النسب، سواء بسواء.

ومرة ثانية ينتدب ربنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في حمل مسؤولية تطبيق تلك الإباحة حتى يصبح ذلك تشريعاً ربانياً إلى يوم الدين.

وتروي لنا كتب السيرة أن رسول الله ﷺ كان قد زوَّج مولاه (زيد بن حارثة) من ابنة عمته «السيدة زينب بنت جحش الأسدية القرشية الهاشمية»، وكانت من كبريات أشراف قريش. وكان الهدف من هذا الزواج هو تحطيم الفوارق الطبقية

الموروثة في المجتمع العربي. ثم شاءت إرادة الله أن ينتهي هذا الزواج بالطلاق، بعد مراجعة زيد لرسول الله ﷺ في هذا الأمر عدة مرات، والرسول ينصحه بالتمسك بزوجه، على الرغم من أن الله ـ تعالى ـ كان قد أخبره بحتمية وقوع هذا الطلاق، وأنه ـ تعالى ـ قد قضى بتزويجه هو ﷺ من (السيدة زينب) بعد انقضاء عدتها. وبالفعل تمّ الطلاق، وتمّ تزويج «السيدة زينب بنت جحش» من رسول الله ﷺ وهي مطلقة مولاه (زيد بن حارثة) الذي كان قد تبناه من قبل بعثته الشريفة، ثم رده إلى أبيه الحقيقي الذي جاء من صلبه، وكان من أهداف ذلك ما يلي:

1 ـ **التشريع بإباحة الزواج من مطلقات الأدعياء**، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: 37، 38].

2 ـ تكريم «السيدة زينب بنت جحش» بتزويجها إلى رسول الله ﷺ بعد أن كانت قد رضخت لأمره بتزويجه لها من مولى من مواليه وهي كارهة لذلك، ثم انصاعت طاعة لأمر رسول الله ﷺ خاصة بعد نزول أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

وكان في ذلك التأكيد على حقيقة المساواة بين الناس، وعدم التفضيل بينهم إلّا على أساس من التقوى وحسن الخُلق، ونفي العصبيات الطبقية في المجتمع المسلم.

3 ـ **الرد على غلاة الكفار والمشركين** الذين استغلوا هذه الحادثة في محاولة الإساءة إلى رسول الله ﷺ ولذلك جاء الرد الإلٰهي دفاعاً عنه بقول ربنا

ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

وفي هذه الآية الكريمة نفي للتبني بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾. وفي هذا النص الكريم أيضاً إشارة إلى وفاة جميع أبناء رسول الله ﷺ الذكور جميعاً صغاراً في حياته الشريفة، وهو ما أثبته التاريخ. وبذلك صار رسول الله ﷺ أباً للعديد من نساء المسلمين، ولكنه لم يكن أباً مباشراً لأحد من رجالاتهم.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ تأكيد على صدق نبوته ﷺ وعلى ختمه لسلسلة الأنبياء والمرسلين، فليس من بعده نبي ولا رسول، والتاريخ يؤكد كذب كل مَن ادعى النبوة من بعده. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان؛ وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذّابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»**[1].

وهنا تتجلى بعض أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتشريعي في هذه الآية الكريمة التي تؤكد اهتمام الإسلام بموضوع النسب إلى الحد الذي دفع الفقهاء إلى اعتباره من المقاصد الشرعية الكبرى التي يجب المحافظة عليها لقول رسول الله ﷺ: **«تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»**[2]. كما يتضح تأكيد حقيقة أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

---

(1) أخرجه الترمذي حديث رقم (2219).

(2) أخرجه الترمذي حديث رقم (1979).

85 ـ ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: 95].

هذه الآية الكريمة جاءت في خواتيم سورة «الحجر»، وهي سورة مكية، وآياتها تسع وتسعون بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لذكر (الحجر) في الآية الثمانين منها. ومنطقة (الحجر) هي مدائن قوم عبد الله ونبيه «**صالح**» المعروفون باسم «**قوم ثمود**». وهذه المدائن منحوتة في الصخور القائمة على جانبي «**وادي القرى**» أو المجلوبة إلى بطن هذا الوادي، و«**مدائن صالح**» هي الآن خربة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة رسول الله ﷺ على الطريق القديم بينها وبين مدينة «تبوك». وقد نزلت هذه السورة قبل الهجرة المباركة، ولذلك جاءت بروح التثبيت لرسول الله ﷺ في مواجهة عناد ومكابرة كفار قريش له، وتكذيبهم لبعثته الشريفة. ولذلك فإن المحور الرئيسي للسورة يدور حول تجريم المكذبين لرسول الله ﷺ وللدين الذي بعث به، وتحذيرهم من شدة عقاب الله ـ تعالى ـ لهم في كل زمان وكل مكان.

وتختتم سورة «الحجر» بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ في عدد من الموضوعات المتتالية التي جاء منها قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

[الحجر: 94 ـ 99].

والخطاب إلى رسول الله ﷺ هو خطاب إلى جميع المسلمين، المؤمنين بصدق بعثته الشريفة: خاتماً لسلسلة الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله ـ تعالى ـ بالإسلام العظيم لهداية البشريّة. وهذه الهداية تتركز في الأُمور التي يعلم ربّنا ـ بعلمه المحيط ـ أنَّ الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أيّة ضوابط صحيحة لنفسه فيها، وذلك من مثل قضايا **العقيدة**، **والعبادة**، **والأخلاق**، **والمعاملات**، وهي تشكّل ركائز الدين.

وتشير الآيات في ختام سورة «الحجر» إلى أنَّ أهل الكفر والشرك والضلال سوف يظلّون ـ أبد الدَّهر ـ يتطاولون على الحق الذي أنزله الله ـ تعالى ـ لهدايتهم، وعلى دعاته. فقد تطاولوا على دين الله، وكتبه ورسله في القديم، ولا يزالون يتطاولون اليوم على الإسلام العظيم، وعلى القرآن الكريم، وعلى شخص سيّد المرسلين ﷺ وأحاديثه. **والتحذير من هذا التطاول يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب** الله نفصّل جانباً منه فيما يلي:

أوّلاً: حماية الله ـ تعالى ـ لرسوله من المستهزئين من كفّار ومشركي قريش:

أخرج «الحافظ البزار» رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال مَرَّ رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم، فجاء جبريل ـ أحسبه قال فغمزهم ـ فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا. وفي توضيح ذلك قال «محمَّد بن إسحاق»: كان هؤلاء المستهزئين خمسة نفر، وكانوا ذوي مكانة في قومهم، وكان منهم: من بني أسد بن عبد العزى «أبو زمعة الأسود بن المطلب»، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: **«اللهم اعمِ بصره وأثكله ولده»**، وكان منهم من بني سهم **«العاص بن وائل»**، ومن خزاعة **«الحارث بن الطلاطلة»**. فلمَّا تمادوا في الشرّ، وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله ـ تعالى ـ قوله العزيز: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: 94 ـ 96].

وفي هذه الآيات تهديد شديد، ووعيد أكيد من الله ـ تعالى ـ لكلِّ متطاولٍ على مقام رسول الله ﷺ. وكان هؤلاء المستهزئين ـ ولا يزالون ـ من الملاحدة الذين تنكَّروا لخالقهم العظيم فكفروا به، أو من المشركين الذين جعلوا مع الله ـ تعالى ـ معبوداً آخر بافتراءات لا سند لهم فيها ولا حجّة، إلَّا ما انقادوا له من غمزات الشياطين، وكذبهم، وغوايتهم.

وقال «ابن إسحاق» إنَّ جبريل أتى إلى رسول الله ﷺ وهؤلاء الخمسة المتطاولين يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمرّ بهما

«**الأسود بن المطّلب**» فرمى «جبريل» في وجهه بورقة خضراء، فعمي، ومرَّ به «**الأسود بن عبد يغوث**»، فأشار إلى بطنه، فاستسقى (بطنه) فمات منه حبناً (أي: نتيجة لانتفاخ البطن من الاستسقاء)، ومرَّ به «**الوليد بن المغيرة**»، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان قد أصابه قبل ذلك بسنين، فانتفض به جرحه (أي تجدّد بعد ما كان قد برئ) فقتله، ومرَّ به «**العاص بن وائل**»، فأشار إلى أخمص قدمه (أي ما لم يصب الأرض من باطن قدمه)، ثم خرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة (أو شبرقة وهي شجرة عالية ذات أشواك) فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته؛ ومرَّ به «**الحارث بن الطلاطلة**»، فأشار إلى رأسه، فامتخض قيحاً، فقتله. وهكذا أهلك الله ـ تعالى ـ هؤلاء الخمسة الذين تطاولوا على مقام سيّد المرسلين ﷺ.

ثانياً: حماية الله ـ تعالى ـ لرسوله من جهل أبي جهل وأمثاله:

كذلك تروي لنا كتب السيرة **أنَّ أبا جهل (عمرو بن هشام)** تطاول على رسول الله ﷺ قائلاً: واللّات والعزى لئن رأيت محمَّداً يصلّي لأطأن على عنقه، ولأعفرن وجهه بالتراب. فما أن اقترب قليلاً من رسول الله ﷺ وهو يصلي في الحرم المكي، ليفعل به ما حلف عليه حتى رجع يهرول، وهو يتّقي وجهه بيديه، فقال له الكفّار: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: رأيت بيني وبينه خندقاً من نار، ورأيت أجنحة وهولاً تكاد تتخطفني. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»[1] وفي ذلك نزل قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: 9 ـ 19].

(1) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (6996).

وبالمثل يروي ابن إسحاق أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بكلٍّ من «**الوليد بن المغيرة**»، و«**أميّة بن خلف**»، و«**أبي جهل بن هشام**»، فهمزوه، واستهزأوا به، فأنزل الله ـ تعالى ـ قوله الحقّ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنبياء: 41].

كذلك روى «ابن إسحاق» **أنَّ رجلاً من أراش (أو إراشة)** قدم إلى مكّة بإبل له، فابتاعها منه «أبو جهل»، فمطله بأثمانها. فأقبل الأراشي ووقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال الأراشي: يا معشر قريش، من رجل يؤديني (أي يعينني على أخذ حقّي) على «أبي الحكم بن هشام»، فإنّي رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقّي؟ فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس (يعنون رسول الله ﷺ) اذهب إليه فإنَّه يؤديك عليه. (وقالوا ذلك استهزاءً برسول الله لما يعلمون ممَّا بينه وبين أبي جهل من العداوة). فأقبل الأراشي حتى وقف إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا عبد الله! إنَّ «أبا الحكم بن هشام» قد غلبني على حقّ لي قِبلَهُ، وأنا رجل غريب، ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه (أي يأخذ لي حقّي منه) فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقّي منه، يرحمك الله. قال ﷺ: **انطلق إليه**، وقام معه، فلمَّا رآه المشركون قد قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع! قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاء بيت «أبي جهل» فضرب عليه بابه، فقال «أبو جهل»: مَن هذا؟ قال ﷺ: **محمَّد، فاخرج إليّ**، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة (أي: بقية من روح، بمعنى أنَّه خرج مرتعداً خائفاً، ما في وجهه قطرة من دم) قد انتقع أو امتقع لونه (أي: تغير)، فقال له ﷺ: **أعط هذا الرجل حقّه**، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال الراوي: فدخل ثم خرج إليه بحقّه، فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال للأراشي: **إلحق بشأنك**، فأقبل الأراشي على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد باللَّه أخذ لي حقّي. وعاد الرجل الذي بعثه المشركون ليراقب الموقف إليهم، فقالوا له: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً

من العجب، باللّه ما هو إلّا أن ضرب عليه «محمَّد» بابه، فخرج إليه وما معه روحه (من شدّة الفزع) فقال له: اعط هذا حقّه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج له حقّه، فدخل ثم خرج إليه بحقّه، فأعطاه إيّاه. ثم لم يلبث «أبو جهل» أن جاء، فقالوا له: ويلك! ما لك؟ باللّه ما رأينا مثل ما صنعت قطّ! قال: ويحكم، باللّه ما هو إلّا أن ضرب عليّ بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته (أي عنقه)، ولا أنيابه لفحل قط، باللّه لو أبيت لأكلني. وقد كان اللّه ـ تعالى ـ قد أراد أن يذل «أبا جهل بن هشام» لرسول اللّه ﷺ إذا رآه، وذلك ـ مع عداوته له، وشدّته عليه ـ كما روى «ابن إسحاق».

ثالثاً: انتقام اللّه ـ تعالى ـ من أبي لهب وآل بيته وأشياعه انتصاراً لرسول اللّه ﷺ:

1 ـ تروي كتب السيرة أنّه لمّا نزل الوحي بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 1 ـ 9].

جاء **عتيبة ابن أبي لهب** إلى رسول اللّه ﷺ قائلاً في كفر ووقاحة وتبجح بالغ: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلّى، ثم بالغ في وقاحته، وقلّة أدبه فشقّ قميص رسول اللّه ﷺ، وحاول أن يتفل في وجهه الشريف فلم يصبه. وعلى الفور دعا عليه النّبي ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ قائلاً: **«اللّهم سلّط عليه كلباً من كلابك»** فانصرف «عتيبة» ساخراً مستهزئاً.

ومرَّت الأيّام حتى خرج «عتيبة» مع نفر من قريش في تجارة إلى بلاد الشام، وفي الطريق نزلوا في مكان يقال له **«الزرقاء»** (وهي مدينة كبيرة في الأردن اليوم)، وبعد أن استراحوا وضعوا العشاء، ولمّا جلسوا لتناوله طاف بهم وَحْشٌ من الأسود، وزأر عليهم زأرة ارتعدت لها فرائص «عتيبة». فقال له أصحابه: من أي شيء ترتعد؟

فباللَّه ما نحن وأنت إلاَّ سواء! قال لهم: إنَّ «محمَّداً» قد دعا عليَّ، وما تُرد له دعوة، ولا أصدق منه لهجة!! ومن شدّة رعب «عتيبة» لم يُدْخِل يده في الطعام. وعندما جاء وقت النوم أحاط القوم أنفسهم ومتاعهم، وجعلوا «عتيبة» في وسطهم وناموا. ثم جاء الأسد يشتم رؤوسهم رجلاً رجلاً وهم يغطُّون في نوم عميق حتى انتهى إلى «عتيبة بن أبي لهب» فهشمه هشمة كانت إيّاها، وقام القوم فزعين من نومهم على صرخة «عتيبة»، فقال وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم أنَّ محمَّداً أصدق الناس لهجة، يا ويلي وويل أخي!! هو باللَّه آكلي كما دعا عليّ محمَّد، قتلني وهو بمكَّة وأنا ببلاد الشام، وقد استجيب دعاؤه..!! ومات عتيبة.

2 ـ كذلك تروي لنا كتب السيرة أنَّ «**أبا لهب بن عبد المطلب**» **وامرأته** «**أمّ جميل بنت حرب بن أميّة**» كانا من أشد الناس عداءً لرسول اللَّه ﷺ. فقد كانت «أمّ جميل» تحمل الشوك والحسك، والسعدان فتطرحه على طريق رسول اللَّه حيث يمر، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ فيها، وفي زوجها قرآناً يقول فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: 1 ـ 5].

ويروي «ابن إسحاق» أنَّ «**أمّ جميل**» حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول اللَّه ﷺ وهو جالس في المسجد الحرام عند الكعبة، ومعه «أبو بكر الصدِّيق»، وفي يدها فهر من حجارة (والفهر هو حجر على مقدار مَلء الكف)، فلمَّا وقفت عليهما أخذ اللَّه ببصرها عن رسول اللَّه ﷺ، فلم تعد ترى إلَّا «أبا بكر»، فقالت: يا «أبا بكر»: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنَّه يهجوني، باللَّه لوجدته لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت بعد أن تفوَّهت بشعر بذيء، فقال «أبو بكر»: يا رسول اللَّه أما تراها رأتك؟ فقال: «**ما رأتني، لقد أخذ اللَّه ببصرها عنّي**».

3 ـ كان عدد من طغاة المشركين من قريش، منهم كل من «**الوليد بن المغيرة**» و«**أُميَّة بن خلف**» إذا مرّ أحدهم برسول اللَّه ﷺ همزه ولمزه فأنزل اللَّه

ـ تعالى ـ فيهم:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: 1 ـ 9].

4 ـ وروى «ابن هشام» أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً فدعا فيه إلى الله ـ تعالى ـ، وتلا فيه شيئاً من القرآن الكريم، خلفه في مجلسه إذا قام «**النضر بن الحارث**» فحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول: باللَّه ما «محمَّد» بأحسن حديثاً منِّي، وما حديثه إلَّا أساطير الأوّلين، اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيه:

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: 5، 6].

وأنزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كذلك فيه قوله العزيز: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: 10 ـ 17].

5 ـ وروى «ابن إسحاق» أنَّ رسول الله ﷺ جلس يوماً في المسجد الحرام مع «**الوليد بن المغيرة**»، فجاء «**النضر بن الحارث**» حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من قريش، فتكلّم الرسول الخاتم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فعرض له **النضر بن الحارث**، ورد عليه الرسول حتى أفحمه، ثم قرأ عليه وعليهم قول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: 98 ـ 100].

وأضاف «ابن إسحاق» قائلاً: ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل «**عبد الله**

ابن الزعبري السهمي» حتى جلس، فقال له «الوليد»: باللَّه ما قام «النضر بن الحارث» لابن عبد المطّلب آنفاً وما قعد (أي ما استطاع أن يقارع حجّته أو يرد عليه) وقد زعم محمَّد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم؛ فقال «عبد الله بن الزعبري»: أما باللَّه لو وجدته لخصمته، فسلوا «محمَّداً»: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع مَن عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم؛ فعجب الوليد، ومَن كان معه في المجلس من قول «ابن الزعبري»، ورأوا أنَّه قد احتجّ وخاصم، فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنَّهم إنَّما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم (الشياطين) بعبادته**». فأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك قوله العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101، 102].

وتأتي هذه الوقائع وأمثالها انطلاقاً من هذا الوعد الإلٰهي المطلق الذي قطعه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على ذاته العلية فقال لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 94 ـ 99].

أي فاجهر بتبليغ أمر ربك، ولا تلتفت إلى ما يقول المشركون، فنحن قد كفيناك شرّ أعدائك المستهزئين بدعوتك وذلك بإهلاكهم، لأنَّهم أشركوا باللَّه ما لم ينزل به سلطاناً فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين.

وهذا الوعد الإلٰهي قد تحقق في حياة رسول الله ﷺ كما أسلفنا في الأحداث التي اخترناها من بين المئات، كما تحقق في مئات من الحالات بعد وفاته ﷺ، ولا يزال يتحقق في الحاضر وسوف يظل يتحقق في المستقبل إلى ما شاء الله، وفاءً لوعد الله، ووعده لا يتخلف، ولا يتوقّف، ولا يتعطّل أبداً.

ووفاء وعد الله في القديم هو من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي، ووفاؤه في الحاضر والمستقبل هو من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله. وعلى ذلك فليس من قبيل الحدس أو الأمل، بل هو من قبيل اليقين القاطع أن يتنزل عقاب الله الرادع بكلّ من تطاول على دين الله، أو على كتابه، أو على رسوله من أمثال الشيطان «**سترجورد**» **رسّام الكاريكاتير في صحيفة «يولاندز بوسطن» الدانماركيّة**، وكل من حاكى صوره المسيئة من الإعلاميين الغربيين والشرقيين على حدٍّ سواء. ومن أمثال الشيطان الكندي «**آندي دوناتو**»، والشيطانان الأمريكيان «**روبرت دورنان**» و«**تيري جونز**»، والشيطان الهولندي «**جيرت فيلدرز**» صاحب فيلم «**الفتنة**» الذي أساء به إلى القرآن الكريم ووضعه على شبكة المعلومات الدوليّة، والشيطان الهولندي «**ثيو فان جوخ**» الذي قتل في سنة 2004م، والشيطان الإيراني «**إحسان جامي**» صاحب فيلم «**الإساءة لأمهات المؤمنين**»، والشيطانان المصريّان «**زكريّا بطرس**» صاحب قناة الموت المسماة زوراً باسم «قناة الحياة»، و«**بسنت رشاد**» الصحفية بإحدى الجرائد المغمورة بالقاهرة. هذا عدا عن شياطين السجون الأمريكيّة في كلٍّ من «غوانتانامو»، والعراق، وأفغانستان، وشياطين الصهاينة المحتلّون لأرض فلسطين الذين دنّسوا المصحف الشريف، والمساجد، والمقابر الإسلاميّة، وشياطين حزب البعث الماسوني/ الموسادي العَلَويّ في سوريا الأسد وزبانيته المجرمين الذين هاجموا علماء الإسلام في المساجد ودنّسوها، ومزّقوا المصاحف وداسوها، وضربوا المآذن بالمدافع والصواريخ حتى هدموها، وعذّبوا المعتقلين حتى الموت لينطقوا بكلمة الكفر، وما نطقوا بها، واقترفوا من الجرائم في حق الإسلام والمسلمين ما لم يجرؤ أحد من قبل على اقترافه. ويلحق بهؤلاء المجرم «**سام باسيل**» (الأمريكي الإسرائيلي) والآبق «**نقولا باسيلي**» (الأمريكي المصري)، و«**القس مرقص عزيز**» (الأب يوشا)، والأمريكي «**ستيف كلاين**» ومن تعاون معهم في إخراج الفيلم الساقط والمعنون «براءة المسلمين» من مسيحيي المصريين الهاربين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويضاف إلى هذه القائمة جيش من المتطاولين على رسول الله ﷺ وعلى أحاديثه الشريفة أمثال المارق «**سيد**

القمني»، والفاشل «**خالد منتصر**»، والمذيع غير المهذب وغير الأمين «**وائل الإبراشي**» وأمثالهم ممن باعوا أنفسهم للشيطان الرجيم فاستذلهم كما استذل غيرهم من قبل. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وفي الخطاب القرآني إلى رسول الله ﷺ، الذي يقول له ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ فيه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 97 ـ 99] تأكيد على بشريّة رسول الله ﷺ، فهو بشر يضيق صدره بالإساءة إليه، وبالاستهزاء بدعوته، أو بالإساءة إلى الذات الإلٰهيّة بالشرك، ولذلك يأمره الله ـ تعالى ـ باللّجوء إلى تسبيح الله وحمده، وعبادته بما أمر، ويواظب على ذلك حتى يأتيه أجله، فيمضي إلى جوار ربّه ـ تعالى ـ راضياً مرضيًّا.

والتأكيد في خواتيم «سورة الحجر» على أنَّ الذين يسيئون إلى مقام رسول الله ﷺ في القديم والحديث هم المشركون، يبقى ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله الذي خاطب خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 94 ـ 99].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي أظهره واجهر به، من قولهم: (صدع) بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، أو افرق بما تؤمر بين الحق والباطل. وقد كان رسول الله ﷺ يدعو إلى دين الله خفية في السنوات الثلاثة الأولى من تلقيه الوحي، حتى نزلت هذه الآية الكريمة فخرج هو وأصحابه معلنين بها دون خشية من مشركي قريش.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أي أن الله ـ تعالى ـ قد

أخذ على ذاته العلية العهد بإهلاك كل مَن يتعرض بالاستهزاء أو السخرية من رسول الله ﷺ أو من رسالته، من الكفار والمشركين، والتاريخ يؤكد تحقق هذا الوعد الإلٰهي باستمرار.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: فافزع إلى الله ـ تعالى ـ كلما ضاق صدرك من عداوة الكفار والمشركين لك، وفحشهم في الخطاب إليك، أو في التحدث عنك، وذلك بالمداومة على تسبيح الله ـ تعالى ـ وتمجيده وحمده، وبالإكثار من السجود لجلاله، في عبادة متصلة حتى نهاية الأجل. والخطاب إلى رسول الله ﷺ هو خطاب إلى جميع المؤمنين برسالته إلى يوم الدين.

86 ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: 1].

رويت واقعة انشقاق القمر عن طريق عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ منهم «عبد الله بن مسعود»، و«عبد الله بن عبّاس»، و«عبد الله بن عمر»، و«أنس بن مالك»، و«مجاهد»، و«جبير بن مطعم» وغيرهم ـ رضي الله تبارك وتعالى عنّا وعنهم أجمعين ـ، ويمكن تلخيص تلك الروايات فيما يلي:

1 ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: «انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإنَّ محمَّداً لا يستطيع أن يسحر النّاس كلّهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك. وفي لفظ: انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل جهة، فقالوا: رأينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[1] [القمر: 1].

2 ـ وروي عنه أيضاً قوله: «انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[2].

3 ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: «إنَّ أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»[3].

4 ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: «... وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال

---

(1) دلائل النبوة للبيهقي (2/ 144)، تفسير الطبري (22/ 567).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4864).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4867)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7007)، والترمذي في كتاب التفسير، حدرث رقم (3286).

النَّبي ﷺ: «**اللهم اشهد**»[1].

5 ـ عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: «انشقّ القمر في زمان النَّبي ﷺ»[2]. وقال: «قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشقّ القمر حتى رأوا شقّيه».

6 ـ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنَّه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمَّد، وقال غيرهم: إن كان سحرنا فإنَّه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم»[3].

7 ـ عن مجاهد رضي الله عنه أنَّه قال: «انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النَّبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: **اشهد يا أبا بكر**، فقال الكافرون: سحر القمر حتى انشق»[4].

وفي إحدى المخطوطات الهنديّة القديمة والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بمدينة لندن (تحت رقم 173 ـ 152/ 2807) ذكر المفكّر الإسلامي الكبير **الأستاذ الدكتور محمَّد حميد اللّه** رحمه الله في كتابه المعنون «**محمَّد رسول الله**» أنَّ أحد ملوك ماليبار (وهي إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند) وكان اسمه **شاكاراواتي فارماس (Chakarawati Farmas)** شاهد انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ وأخذ يُحَدِّثُ بتلك الواقعة. ثم حدث أن مرَّ عدد من التجّار المسلمين بولاية ماليبار، وهم في طريقهم إلى الصين، وسمعوا حديث هذا الملك عن انشقاق القمر فأخبروه أنَّهم أيضاً قد رأوا ذلك، وأفهموه أنَّ انشقاق القمر هذا كان معجزة أجراها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ

(1) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7003 ـ 7004)، والترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3285).

(2) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7010).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3289).

(4) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 120).

تأييداً لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ في مواجهة تكذيب مشركي قريش بنبوّته وبرسالته. وعقب هذا اللقاء أمر الملك بتنصيب ابنه وولي عهده قائماً بأعمال مملكة ماليبار، وتوجه إلى الجزيرة العربيّة لمقابلة المصطفى ﷺ. وبالفعل وصل الملك الماليباري إلى مكَّة المكرَّمة وأعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وتعلم أركان الدين الإسلامي، وأفل راجعاً إلى بلاده. ولكن شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن ينتهي أجله قبل مغادرة أرض الجزيرة العربية، فمات ودُفن في أرض ظفار. وحين وصل الخبر إلى ماليبار كان ذلك حافزاً لدخول أهلها الإسلام زرافات ووحداناً.

وقد اكتشف مؤخّراً وجود تشققات طويلة وغائرة في جسم القمر، تتراوح أعماقها بين عدّة مئات من الأمتار وأكثر من الكيلومتر، ويتراوح عرضها بين نصف الكيلومتر وخمسة كيلومترات، وتمتد في الطول إلى مئات من الكيلومترات في خطوط مستقيمة أو متعرّجة. وتمرّ هذه الشقوق الطوليّة الهائلة بالعديد من الحفر التي يزيد عمق الواحدة منها على تسعة كيلومترات، ويزيد قطرها على الألف كيلومتر، ومن أمثلتها الحفرة العميقة المعروفة باسم «**بحر الشرق**» **(Mare Orientalis)**.

وقد فسَّرت هذه الحفر العميقة باصطدام أجرام سماويّة في حجم الكويكبات (Impact of Asteroid-Sized Objects) بصخور سطح القمر. أمَّا الشقوق التي تعرف باسم «**شقوق القمر**» **(Rimae or Lunar Rilles)** فقد فسِّرت على أنَّها شروخ ناتجة عن الشدّ الجانبي (Tensional Cracks) لصخور قشرة القمر.

87 ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1].

أراد الله ـ تعالى ـ أن يعوّض رسوله ﷺ عن الشدائد التي لقيها من كفّار كل من قريش وثقيف، فأكرمه بأعظم معجزة حدثت في تاريخ البشريّة كلها، ألا وهي معجزة «**الإسراء والمعراج**». وهذه المعجزة حملت رسول الله ﷺ من مكّة المكرّمة إلى بيت المقدس، ثم من هنالك إلى سدرة المنتهى عبر السماوات السبع، ثم من الكون المدرك إلى عالم الغيب المطلق وهنالك شرف ﷺ بالمثول بين يدي الحضرة الإلٰهيّة. وفي هذا المثول التشريفي الذي لم ينله أحد من قبل ولا من بعد، تلقى رسول الله ﷺ الأمر بالصلاة، ثم عاد ليؤم أنبياء الله ورسله في صلاة بالمسجد الأقصى. وبعد ذلك رجع إلى بيته في مكّة المكرّمة ليجد فراشه لا تزال دافئة، لأنَّ الله ـ تعالى ـ أوقف له الزمن وطوى له المكان، وكان ذلك في شهر ربيع الأوّل من السنة السابقة على الهجرة النبويّة الشريفة (أي في حدود سنة 620م).

وفي الصباح حدَّث رسول الله ﷺ أهل مكّة برحلته المعجزة، فصدقه من صدق، (وكان أوّلهم سيّدنا أبو بكر الصديق) وكذّبه مَن كذَّب (وكان على رأسهم عدو الله وعدو رسوله المكنى بكنية «أبي لهب»).

وتروي الأحاديث النبويّة الشريفة عن هذه الرحلة المباركة أنَّ رسول الله ﷺ طاف حول الكعبة المشرّفة ليلاً وحيداً، ثم رجع إلى بيته وأوى إلى فراشه، وعند منتصف اللّيل جاءه جبريل عليه السلام وأخبره بأنَّ الله ﷻ يدعوه إلى السماء. تحرَّك الركب الكريم على البراق من مكّة المكرَّمة بادئاً بالمسجد الحرام ومنتهياً بالمسجد الأقصى، تأكيداً على الرباط بين هذين الحرمين الشريفين، الذي يؤكّده ما يرويه

أبو ذر الغفاري ﷺ أنَّه قال: «قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: **المسجد الحرام**. قلت: ثم أي؟ قال: **المسجد الأقصى**. قلت: كم كان بينهما؟ قال: **أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بَعْدُ فَصَلِّه فهو مسجد**»، وفي رواية أخرى: «**فإنَّ الفضل فيه**»(1).

وبمجرّد وصول رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى، صلَّى به ركعات ومعه جبريل ومن استقبلهما من الملائكة الكرام. ثم عُرِجَ به ﷺ عبر السمٰوات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى، حيث شاهد جنّة المأوى، وراح يصعد حتى وقف بين يدي رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما. وفي هذا الموقف المهيب سجد سيّدنا رسول الله ﷺ للَّه ـ تعالى ـ قائلاً: «**التحيَّات المباركات والصَّلوات الطَّيبات للَّه، فقال الحق** ﷻ: «**السَّلام عليك أيّها النَّبي ورحمة الله وبركاته**»، وعلى الفور سبَّحت الملائكة لهذه التحيّة الربَّانيَّة قائلة: «**السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين**»، وقد جُعلت هذه التحيّة بداية التشهّد الذي يردّده المسلمون في صلواتهم.

وفي هذا الموقف العظيم أمر الله ﷻ خاتم أنبيائه ورسله بالصَّلاة المفروضة على المسلمين خمس صلوات في اليوم (اللّيل والنهار) وهي صلوات المغرب ثم العشاء ثم الفجر ثم الظهر ثم العصر، ولها أجر خمسين صلاة.

وقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة من آيات ربّه الكبرى ما لم يفصح القرآن الكريم عنه، وإن أشارت السُنَّة النبويّة المباركة إلى شيء منه.

وبعد رحلة التكريم الإلٰهي تلك عاد رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس حيث صلَّى إماماً بأنبياء الله ورسله، ثم عاد إلى مكّة المكرّمة ليجد فراشه لا تزال دافئة. ولمّا كان الصباح حدَّث رسول الله ﷺ أهل مكّة بما رأى في تلك الرحلة المباركة، وطفق مشركو قريش يتناقلون الخبر في تكذيب وسخرية بالغين. وتحدَّى بعضهم رسول الله ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس فَجَلَّى الله ﷻ لرسوله الكريم بيت المقدس

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

فطفق يصفه لهم وصفاً تفصيليًّا كما يسألون. وفي ذلك أخرج كلّ من الإمامين البخاري ومسلم حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**لمّا كذبتني قريش قمت في الحجر، فَجَلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**»(1).

وفي صبيحة «ليلة الإسراء والمعراج» نزل جبريل عليه السلام ليعلِّم رسول الله ﷺ **أوقات الصلاة**، وكيفيّة أدائها، وماذا يقول فيها، وأوّل كل وقت وآخره، وكان ﷺ يصلِّي ركعتين صباحاً، ومثليهما مساءً، كما كان يفعل جدّه إبراهيم عليه السلام؛ وذلك قبل مشروعيّة الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج.

وبعد أن رجع رسول الله ﷺ من رحلته المعجزة أخبر قومه بذلك في مجلس حضره من صناديد قريش كل من: «**المطعم بن عدي**»، و«**عمرو بن هشام**»، و«**الوليد بن المغيرة**» فقال ﷺ: «**إنّي صلَّيت اللّيلة العشاء في هذا المسجد، وصلَّيت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم، وموسى، وعيسى، وصليت بهم وكلَّمتهم**»(2).

فقال «عمرو بن هشام» مستهزءًا: صفهم لي فقال ﷺ: «**أمّا عيسى ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد أشعر، تعلوه صهبة** (أي بياض بحمرة)، **كأنّه** «**عروة بن مسعود الثقفي**». **وأمّا موسى فضخم آدم طوال، كأنّه من رجال شنوءة، متراكم الأسنان، مقلّص الشفة، خارج اللّثة، عابس، وأمّا إبراهيم فبالله إنّه لأشبه النّاس بي خلقاً وخلقاً**». فقالوا: يا محمَّد! فصف لنا بيت المقدس، قال ﷺ: «**دخلت ليلاً وخرجت منه ليلاً**»، فأتاه جبريل بصورة من بيت المقدس في جناحه، فجعل رسول الله ﷺ يصفه لهم قائلاً: «**باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا**». ثم سألوه عن عيرهم (أي قوافل إبلهم)، فقال لهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**أتيت على عير بني فلان**

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) الخصائص الكبرى للسيوطي (1/ 305).

بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا بقدح ماء فشربت منه، فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإلٰه آية. وأضاف ﷺ قوله: «**ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جُوالِق** (وهو العدل الذي يوضع فيه المتاع) **مخطط ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا، فاسألوهم عن ذلك**» ـ قالوا: هذه والإلٰه آية. وأضاف ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قائلاً: «**ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم، يقدّمها جمل أورق** (أي لونه أبيض وفيه سواد)، **وها هي تطلع عليكم من الثنيّة**»، فقال «الوليد بن المغيرة»: «ساحر»؛ فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال ﷺ. وبدلاً من أن يصدقوه، رموه بالسحر ـ شرّفه الله عن ذلك ـ مضيفين إلى بهتانهم هذا قولهم الباطل: «صدق الوليد بن المغيرة فيما قال». وتسارعوا إلى «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه قائلين: «هل لك إلى صاحبك، يزعم أنَّه أُسري به اللّيلة إلى بيت المقدس! فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك فقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنَّه ذهب اللّيلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال «أبو بكر»: نعم، إنّي لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة»[1]. ولذلك لقِّب أبو بكر بلقب «الصديق».

وكل من مطلع سورة «الإسراء» وهذا الحديث الصحيح يمثّلان وثيقة تاريخيّة على وقوع حادثة الإسراء، أمَّا حادثة المعراج فقد أكَّدتها الآيات (12 ـ 18) في مطلع سورة «النَّجم»، وهي من خوارق المعجزات التي أخبرنا بها الله تعالى في محكم كتابه، وهو خير الشاهدين، وعلى ذلك فهي من أروع صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

(1) المصدر السابق نفسه.

88 ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النَّجم: 13 ـ 15].

في العام العاشر من بعثة رسول الله ﷺ اشتدت وطأة كفار ومشركي قريش على رسول الله ﷺ وعلى الذين آمنوا معه، فأراد الله ـ تعالى ـ أن يُعوِّض رسوله الكريم عن الشدائد التي لقيها من كفّار كل من قريش وثقيف، فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج. وقد أشارت سورة «الإسراء» في مطلعها إلى الشطر الأول من هذه المعجزة، أما المعراج فقد أشارت إليه الآيات (12 ـ 18) من سورة «النجم»، ثم فصلت أحاديث رسول الله ﷺ الرحلتين.

هذا، وقد سبق لنا الحديث عن رحلة «الإسراء»، ونركز هنا على معجزة المعراج. فبعد أن صلَّى الرسول الخاتم ﷺ ركعات في المسجد الأقصى ومعه جبريل عليه السلام ومن استقبلهما من الملائكة الكرام، عُرِجَ به ﷺ عبر السمٰوات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى التي رأى عندها جنّة المأوى. وراح رسول الله ﷺ يصعد حتى وقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وسجد النَّبي قائلاً: **«التحيَّات المباركات والصَّلوات الطيِّبات للَّه»** فقال الله عز وجل: **«السَّلام عليك أيّها النَّبي ورحمة الله وبركاته»**، وعلى الفور جاء تسبيح الملائكة قائلين: **«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»** وقد جعلت هذه التحيّة بداية التشهد الذي يردده المسلمون في جميع صلواتهم[1].

وفي هذا الموقف العظيم أمر الله سبحانه وتعالى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالصّلاة المفروضة على عباده المسلمين: خمس صلوات في اليوم (بليله ونهاره) ولها أجر خمسين صلاة وهي: صلوات المغرب، والعشاء، ثم الفجر، والظهر، والعصر.

(1) الروض الأنف.

وقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة الكثير من آيات ربّه، وكان منها اطّلاعه على عظمة الكون، وضخامة بنائه، وانتظام حركته، وقدرة الله ـ تعالى ـ على طيِّ المكان وإيقاف الزمان له. وكذلك رأى من أُمور الغيب ما لا يعرفه أهل الأرض جميعاً، فقد رأى ﷺ من الملائكة، وسابق الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله ﷻ له، ومكَّنه من التَّحدث إليهم، ومن الاستماع إليهم، ما لم يتح لإنسان من قبل. كذلك أطلعه ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على نماذج من نعيم أهل الجنَّة في الجنَّة، ومن عذاب أهل النار في النار، وكان ذلك من الآيات الكبرى التي أطلع الله ﷻ عليها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 1 ـ 18].

ورحلة «الإسراء والمعراج» تمثّل أعظم معجزة أجراها الله ﷻ لنبيّ من أنبيائه ﷺ لأنَّه أطلع عبده ونبيّه محمَّداً بن عبد الله» على ملكوت السمٰوات والأرض في لا زمن، بعد أن طوى له المكان، وأوقف الزمان، وأطلعه على عدد من آيات الله الكبرى. وكان في هذه الرحلة المباركة تأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوّة بين الأنبياء، والمنطلقة من الوحدانيّة المطلقة للَّه ـ تعالى ـ ومن تنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصف لا يليق بجلاله.

وكان في هذه المعجزة أيضاً تأكيد على ارتباط مكَّة المكرَّمة بالقدس الشريف، وعلى ارتباط الحرم المكّي بالمسجد الأقصى. وكان في إمامة سيّدنا محمَّد ﷺ لجميع الأنبياء تأكيد على عموم رسالته وخلودها، وعلى سمو دعوته وشمولها لمصالح العباد والبلاد في كلِّ زمان ومكان من بعثته الشريفة إلى قيام

الساعة، وعلى حقيقة كونه خاتم الأنبياء والمرسلين (صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين).

ولمّا رجع رسول الله ﷺ إلى مكّة المكرّمة بعد تلك الرّحلة المباركة وجد فراشه لا يزال دافئاً؛ ممّا يؤكّد أنّ الله ـ تعالى ـ الذي طوى له المكان قد أوقف له الزمان.

وفي صبيحة ليلة الإسراء والمعراج دعى رسول الله ﷺ أهل مكّة ليخبرهم بما أكرمه الله ـ تعالى ـ به من معجزات. وبعد أن اجتمع عليه القوم قال لهم رسول الله ﷺ: «**إنّي صلّيت اللّيلة العشاء في هذا المسجد، وصلّيت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وصلّيت بهم وكلّمتهم**». فقال «**عمرو بن هشام**» كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال ﷺ: «**أمّا عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد أشعر، تعلوه صهبة** (أي بياض بحمرة)، **كأنّه «عروة بن مسعود الثقفي»، وأمّا موسى، فضخم آدم طوال، كأنّه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفّة، خارج اللّثة، عابس، وأمّا إبراهيم، فباللّه إنّه لأشبه النّاس بي، خلقاً وخلقاً**» فقالوا: يا محمّد فصِفْ لنا بيت المقدس، قال: «**دخلت ليلاً وخرجت منه ليلاً**»، فأتاه جبريل بصورة من بيت المقدس في جناحه، فجعل يقول: **باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا**».

ثم سألوه عن عيرهم، فقال لهم: «**أتيت على عير بني فلان بالروحاء، قد أضلّوا ناقة لهم ، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت فاسألوهم عن ذلك**» قالوا: هذه والإله آية. ثم أضاف ﷺ قوله: «**ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جوالق** (وهي العدل الذي يوضع فيه المتاع) **مخطط ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا، فاسألوهم عن ذلك**». قالوا: هذه والإله آيه. ثم أضاف ﷺ قوله: «**ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم، يقدّمها جمل أورق** (أي لونه أبيض وفيه

سواد) **وهاهي تطلع عليكم من الثنية**». فقال «الوليد بن المغيرة»: ساحر، فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال. فرموه بالسحر، وقالوا: صدق «الوليد بن المغيرة» فيما قال[1].

فسعى الناس بالخبر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا: «هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به اللّيلة إلى بيت المقدس. قال أبو بكر: أوَ قَال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أوَ تصدقه أنَّه ذهب اللّيلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنِّي لأُصدّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة»؛ فلذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه بالصِّديق[2].

من هنا يتَّضح وجه الإعجاز الإنبائي في مطلع سورة «النَّجم» حيث تثبت الآيات (12 ـ 18) من هذه السورة المباركة وقوع هذه المعجزة الكبرى، وإن كانت أحاديث رسول الله ﷺ قد فصلتهما، ولولا نزول هذه الآيات ما كان أمام النّاس من دليل على وقوع معجزة المعراج، وهي أعظم معجزة في تاريخ البشريّة كلّها، وهي معجزة لا يستطيع العقل البشري استيعابها لولا وجود الإشارة إليها في كلٍّ من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لمعجزة الإسراء والمعراج:

1 ـ التأكيد على وحده رسالة السماء المنطلقة من وحدانيّة الله ـ تعالى ـ، والتي صوّرها الربط بين المسجد الحرام في مكّة المكرّمة والمسجد الأقصى في بيت المقدس، كما صوّرتها إمامة رسول الله ﷺ لأنبياء الله جميعاً في المسجد الأقصى.

2 ـ الاطلاع على شيء من قدرة الله ـ تعالى ـ التي لا تحدّها حدود، ولا يقف أمامها عائق. ومن ذلك ما مثلته هذه الرحلة المباركة من إيقاف للزمن،

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

وطي للمكان كرامة لخاتم أنبياء الله ورسله ﷺ حتى تمكّن من السفر من مكّة المكرَّمة إلى بيت المقدس، ومنه عُرِجَ به إلى سدرة المنتهى عبر السماوات السبع، ثم عاد إلى بيت المقدس ليصلّي فيه إماماً لأنبياء الله، ثم رجع إلى مكّة المكرَّمة بلا زمن على الإطلاق، ولذلك وجد فراشه دافئاً كما غادره.

3 ـ الإيمان باللَّه ـ تعالى ـ وبملائكته، وكتبه، ورسله، دون أدنى تفريق أو تمييز، مع التسليم بأنَّ جميع رسالات السماء قد احتويت في القرآن الكريم، وفي سُنة خاتم المرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ وبذلك فإنَّ هذه الرسالة الخاتمة قد نَسَخَتْ جميع الرسالات السماويّة التي أنزلت من قبلها.

4 ـ التسليم بعبودية جميع المخلوقات للَّه ـ تعالى ـ، فالخلق غير المكلف يعبد الله ـ تعالى ـ عبادة فطرية لا تتوقف ولا تتخلف. أما الخلق المكلف فهو يعبد الله ـ تعالى ـ بإرادته أو يقصر في هذا الأمر بإرادته كذلك. وبما أنَّ الإنسان مخلوق عاقل، مكلّف، فقد ترك اختيار العبادة لإرادته، إن أدّاها أُجِرَ على ذلك، وإلَّا عُوقب على إهماله لها.

5 ـ اليقين في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ ومعرفة شيء عن منزلته عند ربّ العالمين، بإمامته لأنبياء الله أجمعين في المسجد الأقصى؛ وبإكرامه بمعجزة الإسراء والمعراج.

6 ـ التأكيد على قيمة الصلاة التي هي عماد الدين، ولذا كان فرضها من الله ـ تعالى ـ مباشرة إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، بينما فرضت بقية العبادات عن طريق حمل جبريل عليه السلام الأمر الإلٰهي بها إلى رسول الله ﷺ. وبذلك أصبحت الصلاة هي معراج النفوس المؤمنة التي تستشعر لذة مناجاة الله في الصلاة، كما أصبح السعي إليها في صلاتَيْ العشاء والفجر (العتمة والصبح) يمثّل مسرى رسول الله ﷺ.

7 ـ التسليم بأنَّ المعجزات الحسيّة هي خوارق للسنن، وبالتالي فإنَّ العقل البشري لا يستطيع تفسيرها، وهي حجّة على مَن رآها من الناس، فإذا جاء لها ذكر في كتاب الله ـ تعالى ـ أو في سنَّة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ صارت حجّة على كل مسلم ومسلمة، وإن لم يستطع العقل البشري تفسيرها. فوقوع الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ بالجسد والروح، وفي حالة من اليقظة الكاملة عبر هذه المسافات الشاسعة مما لا يستطيع العقل البشري تفسيره. وكذلك جميع المرائي التي شاهدها رسول الله ﷺ في رحلة التكريم الإلٰهي هذه التي أكرمه الله ـ تعالى ـ بها.

8 ـ الإيمان بأنَّ الله ـ تعالى ـ فضَّل بعض الأماكن وبعض الأزمنة على بعض، كما فضل بعض النبيّين وبعض الرسل وبعض الأفراد العاديين على بعض. ومن ذلك فضل مكّة المكرّمة على سائر بقاع الأرض، يليها فضل مدينة رسول الله ﷺ، ثم فضل بيت المقدس الذي ندعو الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على تطهيره من دنس الصهاينة المجرمين، المعتدين عليه وعلى أرض فلسطين من حوله إن شاء الله.

9 ـ التأكيد على ثقة المؤمن بمعية الله ـ تعالى ـ والتصديق بحتميّة تحقق الفرج بعد الضيق، وبحتميّة وقوع الرخاء بعد الشدّة. والتأكيد كذلك بأنَّه لا يجوز للمسلم أن تصدّه الشدائد عن قولة الحق، أو أن تدفعه إلى التقاعس عن خوض ساحات الجهاد في سبيل الله. واليقين مع ذلك بأن الابتلاء من سنن الحياة الدنيا، وأنه من وسائل التربية، والتطهير، والتزكية، ورفع الدرجات.

من هنا تتَّضح ومضة «الإعجاز الإنبائي والتاريخي» في كل من الآية الكريمة التي استهلّت بها سورة «الإسراء»، والآيات (13 ـ 15) في سورة «النجم» لأنَّ خبر هذه الرحلة المباركة هو من أنباء الغيب، التي لولا أنَّ الله ـ تعالى ـ قد أخبرنا عنها في محكم كتابه، ولولا أنَّ رسول الله ﷺ قد فصّلها لنا في أحاديثه ما كان أمام الإنسان أيّة إمكانيّة للعلم بها.

89 ـ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: 123].

في هذه الآية الكريمة إنباء من الله ـ تعالى ـ بأنّه قد أوحى إلى خاتم أنبيائه ورُسله ـ صلّى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ أن يتّبع ملّة إبراهيم الحنيف. ومن معاني لفظة (الحنيف) أي: المائل عن الشِّرك عمداً إلى التوحيد الخالص للّه الخالق البارئ المصوّر. فقد كان إبراهيم عليه السلام بريئاً من جميع صور الشِّرك ومن جميع المشركين. ومن هنا فلا يجوز لمشركي اليوم محاولة تجميل صورتهم بادّعاء النسبة إلى إبراهيم عليه السلام، حتى لو كانوا من نسله ـ كما يدَّعون ـ لأنَّ الصلة الحقيقيّة بين العباد هي صلة العقيدة، لا صلة الدم والنسب، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وفي هذا الأمر الإلٰهي تأكيد على وحدة رسالة السَّماء وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء، وبين النّاس جميعاً. وينطلق هذا الفهم من الإيمان الجازم بأن الله ـ تعالى ـ هو ربّ هذا الكون ومليكه، خالقه، ومبدعه ومدبر أمره. وهذا الإلٰه (الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في سلطانه، ولا شبيه له من خلقه، لأنّه ـ تعالى ـ منزَّه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصفٍ لا يليق بجلاله. وهذا الإلٰه الواحد الأحد، لا بدَّ وأن تكون هدايته لخلقه واحدة، وإن تعددت الرسالات التي نزلت بها، وإن استحدثت بعض تفاصيل التشريع في الرّسالات اللاحقة زيادة على الرسالات السابقة، وذلك لمواءمة العصر.

هذا، وقد سبق أن ذكرنا أن عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام جاء ذكره في القرآن الكريم تسعاً وستين (69) مرّة، وذلك للتأكيد على حقيقته التاريخيّة. ويمتدح ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على هذه الشخصيّة التاريخيّة الرائدة بأن إبراهيم عليه السلام كان أمة

بمفرده، لأنَّه كان إماماً يقتدى به، وكان مثالاً للإنسان الذي يحترم عقله فيوظفه توظيفاً راجحاً في التعرف على خالقه من خلال التأمّل في بديع صنع الله في الكون. كذلك كان عبد الله ونبيه إبراهيم نموذجاً للإنسانيّة في التعرّف على الله ﷻ من خلال النظر في الكون من حوله، على الرّغم من إغراق أهله وقومه في الشِّرك باللَّه، وعبادة كل من الأصنام والأوثان، والنجوم والكواكب. لذلك خالفهم إبراهيم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، فكان إماماً للتوحيد الخالص، يقتدي به في هذا المنهج الاستقرائي للكون من أجل معرفة خالقه. من هنا قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: 120].

وكان إبراهيم عليه السلام في ذلك نموذجاً للهداية والطاعة، وللشكر والإنابة والخشية للَّه ـ تعالى ـ، لأنَّ لفظ (أمّة) هنا هو تعبير عن معلم الناس الخير الذي يتركّز في أعلى المراتب المتاحة للإنسان في أمر الدين. وبذلك كان إبراهيم أمّة وحده لأنَّه كان الداعي إلى توحيد الله ـ تعالى ـ وسط قومه المشركين. و(**القانت**) هو الخاشع المطيع، و(**الحنيف**) هو المستقيم على طريق الله، المائل قصداً عن الشرك إلى التوحيد الخالص للَّه الخالق البارئ المصوّر.

ومن هنا فلا يجوز أن يتمحّك المشركون بمحاولة الانتساب إلى شخص عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام كما هو حادث في أيّامنا هذه تحت عنوان ما يسمى زوراً باسم «العقيدة الإبراهيميّة» (The Abrahamic Faith). وذلك لأن الذين يحاولون الانضواء تحت هذه الراية هم من عتاة الكفار والمشركين، لأن منهم من ينكر البعث والحساب، والجنة والنار. ومنهم مَن أشرك باللَّه ما لم ينزل به سلطاناً، ومن نادى بالتجسيم وبالتطاول على الذات الإلهية، ومنهم من ادعى النبوة..!! ولذلك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾
[آل عمران: 67، 68].

وانطلاقاً من نجاح إبراهيم عليه السلام في التعرّف على خالقه من خلال التأمّل في

بديع صنع هذا الخالق العظيم في الكون فإنَّ الله ـ تعالى ـ اجتباه (أي اختاره) وهداه إلى صراط مستقيم (وهو صراط التوحيد الخالص القويم الذي نادى به الإسلام من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وإلى قيام الساعة). واصطفاء إبراهيم عليه السلام للنبوّة، وجعلها في ذريته إلى خاتم هذه السلسلة الطويلة من الأنبياء والمرسلين كان من قبيل التشريف والتكريم. فجميع أنبياء الله وكلّهم قد بعثوا بالإسلام العظيم، على الرَّغم من تمحّك عدد من أصحاب المعتقدات الفاسدة بادّعاء الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام، وتمسّحهم به، وهم أبعد ما يكونون عن ملّته.

وتقديراً للدور الرّائد الذي قام به إبراهيم عليه السلام بعدم اتّباع والده وقومه في عبادة كلّ من الأصنام وأجرام السماء فإنَّ الله جل جلاله قد أكرمه في الدنيا برفع ذكره، وبجعله إماماً للهدى، ناطقاً بالحقّ وداعياً إليه وجعله في الآخرة من الصالحين. وكذلك أكرمه ربنا جل جلاله بعدد من المعجزات التي أجراها على يديه، فنجّاه من النّار التي حاول قومه إحراقه بها، ورزقه ـ على الكبر ـ الذريّة الصالحة التي جعل فيها عدداً من الأنبياء كان أولهم ذبيح الله إسماعيل عليه السلام، وكان خاتمهم أجمعين سيدنا محمد ﷺ. وكان منهم إسحاق عليه السلام الذي كان من نسله كل من يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، موسى وهارون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، وعيسى ابن مريم (عليهم جميعاً من الله السّلام). كذلك أكرم الله ـ تعالى ـ عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام بأن بوّأ له مكان البيت، وشرّفه هو وابنه إسماعيل عليه السلام برفعه من قواعده. كما أكرمه بالأذان بالحجّ، وهي الدعوة المستجابة منذ أربعة آلاف سنة إلى اليوم، (وإلى أن يشاء الله)، وأكرمه باستجابة دعوته لمكّة المكرّمة بأن جعلها بلداً آمناً، ورزق أهلها من الطيّبات.

وتأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء جاء التوجيه الإلهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ـ

بالنصّ التالي: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: 123].

وجاء ذلك انطلاقاً من الإيمان بالإلٰه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 3، 4] وكان تأكيداً على أنَّ هداية الله ﷻ لخلقه جميعاً واحدة انطلاقاً من وحدانية هذا الخالق العظيم فوق جميع خلقه. وهذه الهداية علّمها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم ﵇ لحظة خلقه، ثم أنزلها على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكملها، وأتمّ بها نعمته على خلقه جميعاً في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وبما أن رسالة سيدنا محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة)، فإن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تعهد بحفظها فحُفظت في القرآن الكريم وفي سُنَّة خاتم النبيين. وحفظها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من الضياع، كما حفظها في نفس لغة الوحي بها (اللّغة العربيّة) حتى لا تتعرّض لأدنى قدر من التحريف والتبديل والتغيير الذي تعرّضت له جميع الرسالات السابقة التي فقدت صلتها تماماً بلغات وحيها. وتعهد الله ﷻ بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

ويبقى هذا الأمر باتباع ملة إبراهيم، أمراً من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله (صلَّى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) تأكيداً على أنَّ هداية الله ـ تعالى ـ لجميع خلقه واحدة، هي الإسلام العظيم. ومن هنا كان كل خروج عن هذا الدين هو خروج عن منهج الله الذي لا يرتضي من عباده ديناً سواه.

وفي هذا الأمر الإلٰهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باتباع ملّة إبراهيم ﵇ (أي شريعته السمحة) تأكيد على أن العقيدة القائمة على أساس من الإيمان بالإلٰه الواحد الأحد، وعلى تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وإخلاص العبادة له دون سواه، واتّباع أوامره واجتناب نواهيه، هي الإسلام. وقد وصف ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ الإسلام في العديد من

آيات القرآن الكريم بوصف الصراط المستقيم، أي: الطريق الواصل بين العبد وربّه. والإسلام هو الهداية الربّانيّة للخلق أجمعين في القضايا التي يعلم الله ـ تعالى ـ بعلمه المحيط عجز الخلق (فرادى ومجتمعين) عن الوصول إلى تصوّر صحيح لأيّ منها، وذلك من مثل قضايا **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات** التي تشكّل ركائز الدين. وهذا الدين الإسلامي العظيم هو السبيل الوحيد لعون الإنسان على فهم كلّ من ذاته، ورسالته في هذه الحياة: عبداً للّه الخالق، مطالباً بعبادته بما أمر، ومستخلفاً في الأرض، مطالباً بعمارتها وبإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. من هنا كانت ضرورة الدين، وكانت ضرورة أن يكون الدين بياناً ربّانيًّا خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصوّرات البشريّة؛ وأن يكون هذا البيان الإلٰهي واحداً، مهما تكررت مرات نزوله، وأن تكون هناك خاتمة لهذا النزول، تحفظه إلى يوم الدين.

من هنا أيضاً كان فشل كلّ حياة دنيويّة لا تقوم على أساس من هذه الهداية الربّانيّة، لأنَّها لا يمكن أن تكون حياة سويّة حتى لو أمكن صاحبها من تحقيق قدر من النجاحات الماديّة، وذلك لأن الحياة الدنيا ليست مادة فقط، بل إن الجانب النفسي والعاطفي فيها هو أهم كثيراً من كل جوانبها المادية. والسبب في ذلك هو أن الحياة الدنيويّة ـ مهما طالت ـ فإنَّ نهايتها الموت، وحياة القبر وحسابه، ثم هول البعث والحشر والحساب والجزاء، ثم الخلود إمَّا في الجنّة أبداً وإمَّا في النار أبداً. والخلود في الجنَّة يكون للذين اهتدوا إلى دين الله الحقّ فأقاموه أمراً واقعاً في حياتهم، ودعوا الناس إليه بالكلمة الطيّبة والحجّة البالغة أي: بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر ربّنا (تبارك وتعالى). والخلود في النار يكون للذين عرفوا الحقّ ثم حادوا عنه باختيارهم، فضلّوا وأضلّوا، أو للذين لم يحاولوا معرفة الحق أبداً فلم يعبدوا الله ـ تعالى ـ بما أمر، بل عاثوا في الأرض فساداً، وظلماً واضطهاداً لخلق الله، ولم يقوموا بشيء من واجبات الاستخلاف في الأرض يمكن أن يشفع لهم عند ربّ العالمين في يوم الحساب.

وفي مقابل هذا المقام الكريم لعبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد نجد أنَّ صورته في كتب الأوّلين مغايرة لذلك مغايرة كاملة، فوسط سرد سلسلة طويلة من الأسماء والأعمار (سفر التكوين: 11 ـ 25) يأتي ذكر إبراهيم على أنَّه من ذريّة سام بن نوح. ومن دسّ اليهود على الله ـ تعالى ـ ادّعاؤهم بأنَّه قد أعطى أرض الفلسطينيين (الكنعانيين) ملكاً أبديّاً لإبراهيم ولنسله من بعده إلى يوم الدين.

وكان من دس اليهود أيضاً على الله ـ تعالى ـ ادّعاؤهم بأنَّ إبراهيم هو الذي بنى بيت الربّ (بيت إيل أو بيت الله) في القدس الشريف، وهذا تحريف واضح لأنَّه رفع القواعد من الكعبة المشرّفة (بيت الله) في مكة المكرمة. أما الذين بنوا المسجد الأقصى في مدينة القدس الشريف فكانوا هم الملائكة الذين بنوا الكعبة في بدايات خلق الكون، ثم باشروا ببناء المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين عاماً، كما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ، وكما سبق وأن ذكرنا.

ثم تحدّثت هذه الكتب عن رحلة إبراهيم إلى مصر حيث ادّعت عليه أنَّه أمر زوجته السيّدة سارة أن تكذب بالقول بأنَّها أخته، وذلك بادّعاء آخر افتروه على عبد الله ونبيه إبراهيم بأنَّه قال لها: (ليكون لي خير بسببك. وتحيا نفسي من أجلك). وتروي الكتب قصَّتها مع فرعون مصر. ثم تروي انفصال إبراهيم عن ابن أخيه «لوط»، وذهابه إلى موقع بلدة الخليل الحاليّة، وذهاب «لوط» إلى قرية «سدوم» في جنوب البحر الميت من غور الأردن. ثم تروي خبراً عن أسر لوط وإنقاذ إبراهيم له من الأسر، وتكرّر الادّعاء بأنَّ الله ـ تعالى ـ أعطى عهداً لإبراهيم يجعل به الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات ملكاً أبديًّا لنسله من بعده (وواضح أنَّ هذا من كذب اليهود وافترائهم على ربّ العالمين).

ثم يتطرّق «العهد القديم» لقصّة هاجر وإسماعيل، ولعهد الختان، ومرّة ثالثة للعهد المفترى على الله ـ تعالى ـ بإعطاء أرض الكنعانيين (الفلسطينيين) لنسل إبراهيم عليه السلام ملكاً أبديًّا إلى قيام الساعة. وتعرض كتب «العهد القديم» لمعجزة حمل سارة وهي عجوز عقيم، ولصلاة إبراهيم من أجل سدوم، ولخراب كل من

سدوم وعمورة، ولقصّة مفتراة على عبد الله ونبيه لوط وبنتيه (من سكر وزنا محارم) بما لا يليق بأحطّ النّاس قدراً في هذه الحياة، فضلاً عن نبيّ من أنبياء الله!!!

وبعد ذلك جاء ذكر كلّ من اللّقاء المشين بين إبراهيم وأبي مالك، وميلاد إسحاق، وطرد كلّ من هاجر وإسماعيل من أرض فلسطين، وما سمي باسم «ميثاق بئر السبع»، وامتحان إبراهيم (في الأمر بذبح ابنه إسماعيل الذي حرّفه اليهود على أنّه كان أمراً بذبح إسحاق)، وأبناء ناحور، وموت سارة، ثم ما كان من أمر إسحاق ورفقه إلى موت إبراهيم.

وفي كل هذا القصص الإسرائيلي لا نجد درساً واحداً يمكن أن يستفاد به من سيرة هذا النَّبي الصالح، ولا عبرة تستخلص. هذا، فضلاً عن ركاكة الأسلوب، والتكرار المخلّ والممل. من هنا لا يمكن لعاقل أن يتقبّل الادّعاء الباطل الذي أثاره نفر من أعداء الله بأنَّ القصص القرآني منقول عن العهد القديم، وذلك لأنَّ الفرق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار. والتشابه (إن كان هناك قدر منه) مرده إلى أن أصل القصّة واحد، رواها النّاس فأساؤوا وأخطأوا، وسجلها ربّ العالمين في محكم كتابه فجاء بالحق اليقين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

من هنا كان في الأمر الإلٰهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باتباع ملّة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله ـ تعالى ـ لأن هذا الأمر لم يشر إليه أي من العهدين القديم والجديد، على الرغم من منطقيته وجدواه في إثبات وحدة رسالة السماء، والأخوة بين الأنبياء جميعاً.

90 ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾ [الأنعام: 92].

هذا النصّ القرآني الكريم فيه إشارة ضمنيّة إلى توسط مكّة المكرّمة من اليابسة، وذلك انطلاقاً من حقيقة أنَّ الرسول الخاتم ﷺ بُعث للنّاس كافّة لأنّه ليس من بعده نبي ولا رسول. ومن هنا كان في التعبير القرآني: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، تأكيد على أنَّ ما حول أُمّ القرى هو اليابسة كلها، العامرة بأهل الأرض جميعاً، لا ينقص منها شبر واحد، ولا ينقص منهم فرد واحد، حتى يصل إليه البلاغ برسالة الله الخاتمة التي ستظلّ شاهدة على الخلق إلى يوم الدين. وهذا لا يتأتّى إلّا إذا كانت مكّة المكرّمة في وسط اليابسة، بمعنى أنّنا إذا قمنا برسم دائرة مركزها مكّة المكرّمة فإنَّ هذه الدائرة تحيط باليابسة إحاطة كاملة. وعلى الرغم من ذلك فإن عدداً من المستشرقين قال بأن ما حول أم القرى لا يتعدى أن يكون عدداً من قرى جنوب الحجاز. وبالتالي استنكر هؤلاء المستشرقون وصف القرآن الكريم لرسول الله ﷺ بأنه رحمة للعالمين، وبأنه ما أُرسل إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً.

وإذا علمنا أن حركة الاستشراق في جذورها التاريخية كانت حركة استخباراتية، تجسسيّة، معادية للإسلام والمسلمين، حريصة على تصيد كلّ فرصة لمهاجمة دين الله بدون وجه حق، فهمنا لماذا حاربوا فهم أن تعبير (ما حول «أم القرى») يشمل كل العالم. ومن القضايا التي أثارها المستشرقون ـ زوراً ـ اقتطاع هذا النصّ الكريم الذي نحن بصدده ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من سياقه، وقصره على أهل مكّة وبعض القرى من حولها، واعتباره معارضاً للعديد من النصوص القرآنيّة الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة التي تؤكّد عالميّة الرسالة الخاتمة، وذلك من مثل قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: 28].

ومن مثل قول المصطفى ﷺ: «**أُعْطيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأنْبِياء قَبْلِي**»، وذكر منهنَّ «**وكان النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاس كَافَّةً**»[1].

وفي محاولة علميّة لتحديد الاتجاهات الدقيقة إلى القبلة ـ أي إلى الكعبة المشرّفة ـ من المدن الرئيسيّة في العالم باستخدام الحاسوب (الكمبيوتر) أثبت الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رَحِمَهُ اللهُ ـ تمركز مكَّة المكرَّمة في قلب دائرة تمرّ بأطراف جميع القارات. ومن معاني ذلك أنَّ اليابسة على سطح الكرة الأرضيّة موزّعة حول مكَّة المكرَّمة توزيعاً منتظماً، وأنَّ هذه المدينة المقدّسة تعتبر مركزاً لليابسة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: 7].

وقد ثبت علميًّا أنَّ القارات السبع التي تكوّن اليابسة على أرضنا الحاليّة كانت في الأصل قارّة واحدة، يسميها العلماء باسم «القارة الأم»، أو «أم القارات» أو «قارة پانجيا» (Pangea) ثم تفتتت هذه القارة الأم بفعل الصدوع والخسوف الأرضيّة إلى القارات السبع الحالية التي أخذت في التباعد عن بعضها بعضاً حتى وصلت إلى مواقعها الحالية، ولا تزال هذه القارات تتباعد إلى اليوم. وبمتابعة جهود الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رَحِمَهُ اللهُ وجدت أنّه في كل حالات اليابسة: وهي قطعة واحدة، وبعد تفتتها إلى القارات السبع الحاليّة مع قرب تلك القارات من بعضها بعضاً، وفي كل مراحل زحف هذه القارات ببطء شديد متباعدة عن

(1) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، حديث رقم (335)، ومسلم في كتاب المساجد، حديث رقم (1163).

بعضها بعضاً حتى وصلت إلى أوضاعها الحاليّة، في كل هذه الحالات كانت مكّة المكرّمة دائماً في وسط اليابسة.

وقد ثبت علميًا أيضاً أنَّ أرضنا في مرحلة من مراحلها الابتدائيّة كانت مغمورة غمراً كاملاً بالماء، ثم فجَّر الله ـ تعالى ـ قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانيّة عارمة عن طريق تصدّع وخسف هذا القاع، وأخذت الثورة البركانيّة تلقي بحممها فوق قاع هذا المحيط الغامر لتبني سلسلة من سلاسل الجبال في وسط هذا المحيط الغامر. ومع ارتفاع أعلى قمّة في تلك السلسلة فوق مستوى سطح ماء هذا المحيط الغامر تكوّنت أوَّل مساحة من اليابسة على هيئة جزيرة بركانيّة تشبه العديد من الجزر البركانيّة المتكوّنة في أواسط محيطات اليوم (كجزر اليابان، الفليبين، إندونيسيا، هاواي، وغيرها). وكانت هذه الجزيرة البركانية هي أرض مكة المكرّمة، وكانت أول جزء من اليابسة أوجده الله ـ تعالى ـ. ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«دحيت الأرض من مكة، فمدها الله ﷻ من تحتها فسميت أم القرى» (مسند الإمام أحمد). وأخرج كل من الطبراني والبيهقي عن ابن عمر ﭫ أنه (أي: البيت الحرام) كان أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدة (بفتح الزاي) أي: كتلة من الزبد بيضاء، فدحيت الأرض من تحته.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله الشريف: «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**» وهذا الحديث ذكره الهروي في غريب الحديث (362/ 3)، وذكره الزمخشري في الفائق في غريب الحديث (371/ 1)؛ وذلك لأنَّ مدلوله العلمي سابق لزمانه بألف وأربعمائة سنة. والخشعة هي الأكمة المتواضعة، وعلى ذلك فإن أرض الكعبة المشرّفة كانت هي أوَّل جزء من اليابسة ظهر فوق سطح المحيط الذي غمر الأرض في مراحلها الأُولى غمراً كاملاً. ويشير إلى ذلك توسّط أرض الحرم المكّي من اليابسة حيث تبعد عن أبعد أطراف القارات السبع بمسافة واحدة تقدّر بستة عشر ألف كيلومتر من مكّة إلى أبعد أطراف القارات السبع، بمعنى أنَّنا إذا رسمنا دائرة مركزها مكّة المكرّمة فإنَّها تحيط باليابسة إحاطة كاملة.

وفي شرح هذين الحديثين الشريفين ذكر كل من ابن عباس رضي الله عنهما وابن قتيبة رضي الله عنه أن مكة المكرمة سميت باسم «أم القرى» لأن الأرض دحيت من تحتها لكونها أقدم الأرض». و(الدحو) في اللغة هو المد والبسط والإلقاء، وهي كلمة جامعة في التعبير عن ثورة البركان الذي يوسع بامتداد طفوحه البركانية من مساحة مخروطه كلما تجدد نشاطه البركاني بإلقاء المزيد من تلك الطفوح عبر فوهته.

خصوصيّة تفرد خطّ طول مكّة المكرّمة بالاتجاه إلى الشمال الحقيقي:

في بحثه القيّم المعَنْوَن «إسقاط الكرة الأرضيّة بالنسبة لمكّة المكرّمة» أضاف الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رحمه الله أنَّ الأماكن التي تشترك مع مكّة المكرّمة في نفس خط الطول (817 39 شرقاً)، تقع جميعها في هذا الإسقاط على خطّ مستقيم، هو خطّ الشمال الجنوب الجغرافي المار بها. ومن معاني ذلك أنَّ المدن التي تشترك مع مدينة مكّة المكرّمة في خط الطول يكون اتّجاه القبلة فيها إلى الشمال أو إلى الجنوب الجغرافي تماماً، والمدن التي تتّجه في الصلاة إلى الجنوب الجغرافي تبدأ من القطب الشمالي للأرض إلى خط عرض مكّة المكرّمة (437 و21 شمالاً)، وأمّا المدن التي تقع على خط طول مكة ممتدة من القطب الجنوبي إلى مكّة المكرّمة فإنَّ اتجاه القبلة فيها يكون ناحية الشمال الجغرافي تماماً.

وكذلك الحال على خطّ الطول المقابل لخطّ طول مكّة المكرّمة ـ وهو خط الطول المرقم (183 140 غرباً) ـ فإنَّ المدن الواقعة عليه تصح القبلة فيها نحو الشمال الجغرافي أو الجنوب الجغرافي تماماً حسب موقع خط عرض كلٍّ منها بالنسبة إلى خط عرض مكّة المكرّمة. فالمدن الواقعة إلى الجنوب من خطّ عرض مكة المكرمة (437 21 جنوباً) إلى القطب الجنوبي ـ تتّجه في صلاتها إلى الشمال الجغرافي تماماً، والمدن الواقعة شمالاً من خطّ العرض ذلك إلى القطب الشمالي تتّجه في صلاتها إلى الجنوب الجغرافي تماماً.

أمَّا المدينة الواقعة على خط الطول المقابل لخط طول مكَّة المكرَّمة تماماً وعلى خطّ عرضها تماماً فإنَّ الصلاة تجوز فيها نحو أي من الشمال أو الجنوب الجغرافيين تماماً، كما تجوز في كلِّ الاتجاهات الأخرى شرقاً وغرباً، وذلك لوقوع تلك المدينة على امتداد قطر الكرة الأرضيّة المارّ بمكَّة المكرَّمة.

واتجاه خط طول مكة المكرمة إلى النجم القطبي أي: إلى الشمال الجغرافي (أو الحقيقي) يؤكد توسط مكة من اليابسة، ونمو اليابسة كلها من هذه البقعة المباركة، كما أشارت إلى هذه الحقيقة أحاديث رسول الله ﷺ. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإنه يجب اتخاذ خط طول مكة المكرمة خط طول الأساس (The Prime Meridian) بدلاً من خط طول جرينتش كما نادى بذلك الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين. فقد اختار هذا العالم الجليل رَحِمَهُ اللهُ لخطّ طول مكّة المكرَّمة كخط طول أساسي للكرة الأرضيّة، (The Makkah Meridian) ومن هنا كانت مطالبته بإعادة إسقاط خطوط طول الكرة الأرضيّة بدءًا منه ـ أي بالنسبة إلى مكّة المكرّمة ـ لتماثل خطوط الطول حول خطّ طول تلك المدينة المقدّسة تماثلاً مذهلاً، بحيث أنَّ خطوط الطول الواقعة إلى الشرق من خط طول مكّة المكرّمة تأخذ قيمها شرقاً، وما يقع إلى الغرب من خطّ طول مكّة المكرّمة تأخذ قيمها غرباً؛ وبذلك تنتظم أشكال خرائط الأرض. ويمكن المطالبة بذلك في أحد المؤتمرات الدولية للفيزياء الأرضية (The International Geophysical Conference).

ومن الثابت تاريخيًّا أنَّ خطّ طول جرينتش (The Greenwich Meridian) قد فرضته بريطانيا بالقوّة إبان هيمنتها على العالم في سنة 1884م. وكان ذلك أثناء مؤتمر عقد في واشنطن/كولومبيا لتحديد خطّ طول الأساس (The Prime Meridian). وكان اختيار خط طول جرينتش اختياراً سيّئاً فرضته الهيمنة البريطانيّة الغاشمة في العقود المتأخّرة من القرن التاسع عشر الميلادي. وامتداد خط طول جرينتش في الناحية الأخرى من الأرض، والذي يعتبر «خط زمن الصفر»، بمعنى أن الذي يعبره بخطوة واحدة ينتقل من اليوم إلى الذي يليه. وهذا الخط يمرّ

بمساحات من اليابسة ولذلك عرجوه لتحاشي اليابسة ولتمريره في الماء. وعلى النقيض من ذلك فإن امتداد خط طول مكة المكرمة يقع في غالبيته في الماء فلا يواجه مثل هذه المشكلة.

مكّة المكرّمة مركز الكون:

من تدبر آيات القرآن الكريم ومن مدارسة أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يتّضح بجلاء توسط مكّة المكرّمة بين السمٰوات السبع والأرضين السبع، وهي حقيقة قرآنية لا يمكن للعلم المكتسب أن يصل إليها. وذلك لأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يرى من فوق سطح الأرض إلَّا شريحة صغيرة من السماء الدنيا، ووسيلته في ذلك هي النجوم التي تزين تلك السماء الدنيا وحدها لقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك: 5].

ومن مبررات ذلك ما يلي:

1 ـ ورود ذكر الأرض في مقابل السماء في عشرات الآيات القرآنيّة على ضآلة حجم الأرض إذا ما قورنت بالسماء، ممَّا يشير إلى تميّز موقع الأرض بالنسبة إلى السماء.

2 ـ إشارة القرآن الكريم إلى البينية الفاصلة للسماء أو للسمٰوات عن الأرض في عشرين آية قرآنيّة صريحة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: 65].

وهذه البينية لا يمكن أن تتمّ إلَّا إذا كانت الأرض في المركز من السمٰوات السبع،

وذلك نظراً لتناهي تلك السمٰوات في اتساعها، وتناهي الأرض في ضآلتها النسبية.

3 ـ إشارة القرآن الكريم في سورة الرَّحمٰن إلى أقطار السمٰوات والأرض وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: 33].

وقطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفين من أطرافه مروراً بمركزه. وإذا انطبقت أقطار السمٰوات ـ مع ضخامة أبعادها ـ على أقطار الأرض ـ مع ضآلتها النسبيّة ـ كانت أقطار السمٰوات والأرض شيئاً واحداً، ومعنى ذلك أنَّه لا بدَّ وأن تكون أرضنا في المركز من السمٰوات السبع.

4 ـ حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ عنه بقوله: «**إنَّ الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأراضين السبع**»[1]، ولفظة (مناء) معناها القصد في الاتجاه والاستقامة مع كلّ من السمٰوات السبع والأرضين السبع ـ أي التواجد بينهما ـ وعلى استقامة مراكزها. وتأكّد ذلك بإثبات توسط الكعبة المشرّفة للأرض الأولى (أي الغلاف الصخري للأرض)، وبوجود ستّة نطق متطابقة مع هذا الغلاف الصخري في داخله).

5 ـ حديث رسول الله ﷺ المروي عنه بقوله: «**البيت المعمور منا مكّة**»[2] ووصف ذلك البيت المعمور في حديث آخر يروي عنه ﷺ بقوله: «**هو بيت في السماء السابعة على حيال الكعبة تماماً حتى لو خرَّ لخرَّ فوقها**»[3].

من ذلك كلّه تتَّضح ومضة الإعجاز القرآني في قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾ [الأنعام: 92].

---

(1) نظم الدرر البقاعي (6/ 375).

(2) انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (4/ 804).

(3) البيهقي في شعب الإيمان (3831)، والهندي في كنز العمال (38083).

ومن هذه الآية الكريمة تتَّضح وسطيّة أُمّ القرى ليابسة الأرض، ومن هنا يكون المنذَرُون هم جميع أهل الأرض بلا استثناء. ويتَّضح وضع الكعبة المشرّفة في وسط الأرض الأُولى (الغلاف الصخري للأرض) ومن دونها ستّ أراضين، ويحيط بذلك كلّه سبع سمٰوات، وفي السماء السابعة يقع البيت المعمور (كعبة الملائكة) ويقع فوق الكعبة المشرّفة تماماً لحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: **«البيت المعمور بيت في السماء يقال له (الضراح) وهو على منا الكعبة»**[1].

ولقوله ﷺ: **«يا معشر أهل مكّة إنّكم بحذاء وسط السماء»**[2].

ومن هذا العرض يتضح وجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في خطاب ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

(1) المصدر نفسه.

(2) أخرجه كل من الديلمي (8232)، والفاكهي في أخبار مكة.

91 ـ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

في التعليق على هذه الآية الكريمة أخرج **الإمام أحمد** عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قوله: «تشاورت قريش ليلة بمكَّة. فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ـ يريدون النَّبي ﷺ ـ وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك، فبات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ، وخرج النَّبي ﷺ حتى لحق بالغار. وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النَّبي ﷺ، فلمَّا أصبحوا ثاروا إليه؛ فلمَّا رأوا عليًّا ردَّ الله ـ تعالى ـ عليهم مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري! فاقتصوا أثره، فلمَّا بلغوا الجبل اختلط الأمر عليهم، حتى صعدوا في الجبل، فمرّوا بالغار، ورأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه... فمكث فيه ثلاث ليال».

ويذكر **الإمام البخاري** أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلم أنَّ قومه سوف يخرجوه من مكَّة حين لقي «ورقة بن نوفل» في صبيحة تلقّيه الوحي لأوَّل مرّة؛ فقال له ورقة فيما قال: (يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيّ هم؟» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلَّا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً)[1].

ولذلك فإنَّ رسول الله ﷺ بعد أن خذله أهل الطائف، وبالغ كفّار ومشركو مكَّة في اضطهاده واضطهاد أصحابه، عاد إلى مكَّة في أمان أحد المشركين وبدأ يعرض نفسه على القبائل في مواسم التجارة والحجّ يشرح لهم دين الله (الإسلام)

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، حديث رقم (3)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (401).

ويدعوهم إلى التوحيد الخالص للَّه، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، ويطلب منهم الإيواء والنصرة حتى يبلغ الناس بهداية ربّ العالمين لهم قائلاً: «**مَن رجل يحملني إلى قومه فيمنعني، حتى أبلِّغ رسالة ربِّي فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ رسالة ربِّي**». وحينما سئل ﷺ: إلام تدعونا؟ قال: «**أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأنّي عبد اللَّه ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإنَّ قريشاً قد تظاهرت على اللَّه، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحقّ، واللَّه هو الغني الحميد**»، ثم تلى على السائل قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾(1) [الأنعام: 151].

ويقول «**جابر بن عبد اللَّه الأنصاري**» عن ذلك ما نصَّه: «مكث رسول اللَّه ﷺ بمكَّة عشر سنين، يتبع الناس في منازلهم، بعكاظ ومَجَنَّة، وفي المواسم بمنى، يقول: «**مَن يؤويني؟ مَن ينصرني، حتى أُبلِّغ رسالة ربِّي، وله الجنَّة؟**» والمقاومة ضدّه شديدة، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو مصر، ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. وكان ﷺ يمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا اللَّه إليه من يثرب، فآويناه وصدّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من الأنصار إلَّا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام»(2).

وقد أثمرت الاتصالات الأولى بأهل «يثرب» في إسلام رجلين أوّل الأمر، وتلى ذلك إسلام ستّة من الرجال من الخزرج، ثم كانت **بيعة العقبة الأُولى** مع اثني عشر رجلاً (عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس). وبعث رسول اللَّه ﷺ مع

(1) جامع الأحاديث للسيوطي (30/ 275).
(2) خلاصة سيرة سيد البشر للطبري (1/ 8).

المبايعين سفيره إلى أهل يثرب وهو «**مصعب بن عمير**» رضي الله عنه الذي دعا أهل هذه المدينة إلى الإسلام، وكان يعلِّمهم الدين، ويقرئهم ما حفظ من كتاب الله، وكان يؤم مسلميهم في الصلاة. وكان من نبل خلق هذا الصحابي الجليل، وحسن إسلامه، أن تمكّن من نشر الإسلام بين أهل «يثرب» خاصّة بين زعماء قبائلها وكبار شخصياتها الذين أسلم بإسلامهم كثير من أهل هذه المدينة.

ثم كانت **بيعة العقبة الثانية** التي أسلم فيها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من أهل «يثرب». ويصف «**جابر بن عبد الله الأنصاري**» تلك البيعة بكلام طويل نختار منه قوله: (. . .فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطارد في جبال مكَّة ويخاف، فرحل إليه منَّا سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله عَلام نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله كلمة الحق، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني، إذا قدمت عليكم، ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنَّة**» قال جابر: فقمنا إليه فبايعناه)[1].

وفي رواية «**لكعب بن مالك الأنصاري**» أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم**»[2]، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وعندما علم كفّار ومشركو قريش بأخبار تلك البيعة ثارت ثائرتهم على المسلمين في مكَّة، وازداد إيذاؤهم لكل مَن آمن، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى «يثرب»، فأخذوا في ذلك حتى لم يبق في المدينة إلَّا رسول الله ﷺ

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 195).

(2) سبل الهدى والرشاد، (3/ 204).

وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما وقليل من المرضى، والضعفاء، أو الذين فتنتهم قريش بالاختطاف، أو بالسجن، أو بالتفريق بين المرء وزوجه وولده، أو بنهب الأموال والثروات.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر عليًّا بن أبي طالب أن يخلفه في فراشه تمويهاً للذين كانوا يحاصرون بيته من مشركي قريش، حتى يخرج سالماً من بينهم وحتى يؤدي علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

وعند خروجه من مكَّة، وقف رسول الله ﷺ بالحَزْوَرَة في سوق مكَّة وقال: **«باللَّه إنَّك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنّي أخرجت منك ما خرجت»**[1].

وعلى الرَّغم من أنَّ سورة **«الأنفال»** مدنيّة، والآية رقم (30) منها نزلت بالمدينة المنوّرة بعد الهجرة النبويّة الشريفة بعامين، إلَّا أنَّهاتذكر بما كان في مكّة، من ظلم لرسول الله ﷺ، ولصحابته الكرام، من قبل كفّار ومشركي قريش. كما تذكّر بفضل الله ـ تعالى ـ الذي نصر المسلمين نصراً مؤزراً في معركة بدر الكبرى على هؤلاء الكفّار والمشركين. **والآية توحي بوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب «الله وذلك بتسجيل ما أخبر به الوحي رسول الله ﷺ عن خطة زعماء الكفر من قريش أن يوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت، أو يقتلوه ويتخلَّصوا منه ومن دعوته، أو يخرجوه من مكَّة منفيًّا مطروداً.** ثم استقرَّ رأيهم بعد مداولات طويلة في دار الندوة أن يقتلوا رسول الله ﷺ، على أن يتولّى إثم ذلك فتية أشدَّاء يمثِّلون أغلب بطون مكَّة، حتى يتفرّق دمه في القبائل. وظنوا أن ذلك ممَّا يعجز بني هاشم عن قتالهم جميعاً، فيرضوا بالديّة، وينتهي الصراع بين دعوة الحقّ التي يحملها رسول الله ﷺ، ودعاوى الباطل العديدة التي يتحمس لها مشركو قريش عن جهل فاضح.

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

هذا ما تمنَّته قريش، ولكن الله ـ تعالى ـ كان لهم بالمرصاد، فأخبر رسوله بمخططهم الشيطاني، وبموعد تنفيذه، وأمره بالهجرة إلى المدينة، فرتب رسول الله ﷺ أمر هجرته الشريفة مع أبي بكر، وكتب الله ـ تعالى ـ لهما النَّجاة من مخطط الكفّار والمشركين.

وتبقى هذه الآية الكريمة شاهدة على هذه المعجزة الإنبائيّة من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ. وقد أكَّدتها روايات الثقاة من أهل بيت النبوَّة، وروايات مَن عاش هذه المعجزة من الصحابة الكرام، وحتى روايات بعض زعماء الكفر الذين اعترفوا بمخططهم الشيطاني بعد نجاة رسول الله ﷺ وصحبه الكرام. وقد تطابقت هذه الروايات تماماً مع ما بيَّنته هذه الآية القرآنيّة المجيدة التي يخبر فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالمؤامرة التي كان مشركو قريش قد حاكوها ضده، قائلاً له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليسجنوك، بمعنى ليجعلوك ثابتاً في مكان محدد كالسجن، وذلك إما بشدك بالوثاق، أو بإثخانك بالجراح حتى لا تستطيع حراكاً من محبسك. وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: أن المشركين يدبرون لك التدبير السيئ، واللّه ـ تعالى ـ يرد مكرهم عنك، ويحبط كيدهم لك، ويدبر لك النجاة من شرهم، والخروج سالماً من بينهم. وتدبير الله أقوى من كل تدبير، وحفظه أعظم من كل حفظ، وقدرته على رد كيد الماكرين في نحورهم، وعلى حفظ نبيه الخاتم من شرورهم تفوق كل قدرة.

92 ـ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: 29].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تثبت النبوّة والرسالة لخاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ وذلك بشهادة ربّ العالمين الذي بعثه بالرسالة الخاتمة. كما تثبت التكريم الإلٰهي لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين ـ بوصفهم بأنّهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾. وكان من بين الكفّار آباء هؤلاء الصحابة الكرام، وإخوانهم، وذوو قرابتهم وأرحامهم، وأصدقاؤهم، ممّا يؤكّد على حقيقة أنّ الأخوّة في الله ـ تعالى ـ تسبق أواصر الرحم والعرق والدم، (على حرمة تلك العلاقات، وصون الإسلام العظيم لها جميعاً.

والآية الكريمة التي نحن بصددها تثبت كذلك الوجه الأوّل لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا والذي يتلخّص في عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، فوصف صحابة رسول الله ﷺ بهذا الوصف الكريم: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾. وأثر السجود هنا يقصد به أثر العبادة على كلّ مَن يؤديها بإخلاص وتجرّد للّه ـ تعالى ـ من النور والوضاءة، والإشراق والصفاء، والشفافيّة والرضى الذي تضفيه العبادة الخالصة للّه ـ تعالى ـ على ملامح وجه العبد المؤمن.

ثم تأتي **لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي** في هذه الآية القرآنيّة الكريمة بالتأكيد على وجود ذكر هذا الرَّسول الخاتم، ووصف المؤمنين الصادقين من صحابته الكرام في كل من التوراة والإنجيل. والتوراة سبق وأن أنزلت على عبد الله ونبيه «موسى بن عمران» عليه السلام من قبل بعثة المصطفى ﷺ بأكثر من ألف وسبعمائة سنة. كذلك الإنجيل كان قد أُنزل على عبد الله ونبيّه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من قبل بعثة الرسول الخاتم بأكثر من ستمائة سنة. وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿... ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ...﴾ [الفتح: 29]. وهذا من أجمل صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

ففي السنة السادسة من الهجرة رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم: «أنّه يدخل الكعبة المشرّفة ومعه جمع من المسلمين محلقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون...» ورؤيا الأنبياء حقّ. فخرج مع هلال شهر ذي القعدة من نفس السنة معتمراً، لا يريد قتالاً مع المشركين. وخرج رسول الله في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، واستنفر من حوله من أهل البادية ليخرجوا معه حتى وصل إلى موقع يعرف باسم «**ثنية المرار**» بركت فيه ناقته، فقال النّاس: خلأت الناقة (أي حرنت) فقال ﷺ: «**ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكّة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يسألوني فيها صلة الرحم إلَّا أعطيتهم إيَّاها**». وفي رواية للبخاري جاء قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلّا أعطيتهم إيّاها**»[1].

ثم واصل المصطفى ﷺ ومَن معه المسير في طريقهم حتى وصلوا إلى **الحديبيّة**، ولكن قريشاً أبت السماح لهم بدخول مكّة عليهم. فبعث إليهم رسول الله ﷺ «عثمان بن عفّان» رضي الله عنه برسالة منه أنّه لا يريد قتالاً، ولكن يريد أداء العمرة، فاعتقلت قريش «عثمان بن عفان» بعد أن بلّغ رسالة الرسول الكريم. وبعد

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، حديث رقم (2731 ـ 2732)، وأبو داود في كتاب الجهاد، حديث رقم (2765).

ذلك قال له زعماء قريش: إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل، فردّ عليهم قائلاً: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. وشاع بين الصحابة أنَّ عثمان بن عفَّان قد قتل، فقال المصطفى ﷺ: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**»[1]. ثم دعا رسول الله الناس إلى البيعة على قتال مشركي قريش تحت الشجرة، فكانت البيعة التي عرفت باسم «**بيعة الرضوان**». ولكن جاء ما يؤكّد أنَّ إشاعة مقتل «عثمان بن عفّان» باطلة، واصطلح المسلمون والمشركون على وضع الحرب، واشترطوا شروطاً لذلك في وثيقة سُمِّيت باسم «**وثيقة صلح الحديبيّة**»، تنازل فيها رسول الله ﷺ عن عدد من حقوقه حقناً لدماء الناس، ويقيناً من الله أنّه ﷻ سوف يجعل من وراء هذا الصلح فتحاً قريباً. واشترط الصلح على أنَّ مَن أراد الدخول في حلف رسول الله ﷺ فهو آمن، ومَن أراد الدخول في حلف قريش فهو آمن، فدخلت قبيلة خزاعة في حلف المصطفى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ودخلت قبيلة بكر في حلف مشركي قريش.

فتح مكة:

احترم المسلمون نصوص «صلح الحديبيّة»، والتزموا بجميع بنوده، ولكن قريشاً نقضته بعد فترة من توقيعه. وتجسد نقضها للوثيقة في نصرتها قبيلة بكر الموالية لها على قبيلة خزاعة الموالية لرسول الله ﷺ. وقد دعاه ذلك إلى اتِّخاذ قراره التاريخي بفتح مكّة المكرَّمة. تحرّك جيش المسلمين في حدود الثامن إلى العاشر من رمضان من السنة الثامنة للهجرة من المدينة المنوّرة قاصداً مكَّة المكرَّمة، وقد بلغ عدد جنوده عشرة آلاف مقاتل، وأمر رسول الله ﷺ جنده ألّا يقاتلوا أو يسفكوا دماً إلّا إذا أكرهوا على ذلك إكراهاً، وذلك توقيراً لحرمة مكَّة المكرَّمة.

دخل الرسول الخاتم ﷺ مكّة المكرَّمة، ومعه لواء أبيض، وعلى رأسه

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 315).

الشريف عمامة سوداء، وهو راكب على ناقته القصواء، يقرأ سورة الفتح، خافض الرأس تواضعاً للّه ـ تعالى ـ وشكراً له ـ سبحانه ـ أن فتح الله عليه أُم القرى، مهبط الوحي، وأرض البيت الحرام ليدخلها والمسلمون معه آمنين مطمئنين، لا يخافون. وعلى الفور قام المسلمون بتطهير البيت الحرام من الأصنام، وطافوا به، والرسول ﷺ يردّد قوله الشريف: «**لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وحزب الأحزاب وحده**» ثم تلا الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13].

سورة الفتح تستعرض صلح الحديبية إلى فتح مكة:

نزلت «**سورة الفتح**» في السنة السادسة من الهجرة، عقب «**صلح الحديبيّة**» مباشرة، ورسول الله ﷺ عائد من الحديبيّة إلى المدينة المنوّرة مع صحابته الكرام. لذلك تناولت هذه السورة الكريمة تفاصيل الصلح بكلّ ملابساته، ويروى عن رسول الله ﷺ قوله صبيحة نزول هذه السورة المباركة: «**لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾»(1).

وتبدأ «**سورة الفتح**» بتوجيه الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ مطمئنة نفسه الشريفة على صدق ما ألهمه ربّه ـ تبارك وتعالى ـ به من فتح، وعلى حتميّة تحقق ذلك الفتح في أقرب وقت. وكان ذلك مغايراً لرأي جميع الحضور تقريباً لخطورة ما قدّموا من تنازلات لمشركي قريش، مع استفزازاتهم العديدة للمسلمين. ولكن اليقين الذي ملأ قلب المصطفى ـ عليه أفضل الصّلاة وأزكى التسليم ـ بحتميّة تحقق وعد ربّه جعله لا يستفز. فبقي ﷺ رابط الجأش متفائلاً رغم كل التجاوزات التي اقترفها مشركو قريش، وكل الاشتراطات التي اشترطوها انطلاقاً من استكبارهم

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4833)، والترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3262).

في الأرض، وعقليتهم الجاهلية، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في مطلع «سورة الفتح»:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: 1 ـ 3].

ثم تستمر الآيات في تأكيد حقيقة أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم، وأنَّه ﷻ يبشّر المؤمنين بالمغفرة والثواب، وبالعون بجنود من عنده، وأنَّ للَّه جنود السمٰوات والأرض، (وما يعلم جنود ربك إلَّا هو)، وأنَّه ـ تعالى ـ هو العليم الحكيم، وأنَّه هو العزيز الحكيم.

وبعد ذلك تتحدّث الآيات في «سورة الفتح» عن جزاء كل من المؤمنين والمؤمنات، وعمَّا أعدّ اللهُ ﷻ من عذاب وعقاب لكلٍّ من المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين يعبدون مع اللهِ إلٰهاً آخر. وتؤكد الآيات في نفس السورة أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قد أنزل في قلوب عباده المؤمنين الطمأنينة إلى الحق ليزدادوا إيماناً، وأنَّ جزاء ذلك جنّات النعيم، بعد التكفير عن سيّئاتهم، بينما جزاء النفاق والشرك وسوء الظنّ باللَّه، هو صبّ غضبه ﷻ ولعناته عليهم، ثم عذاب جهنّم وساءت مصيراً.

ومرَّة أخرى تعاود السورة الكريمة توجيه الخطاب إلى النَّبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ له:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح: 8].

أي شاهداً على أُمَّته وعلى الخلائق أجمعين، ومبشِّراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، والمشركين، والمنافقين، وتنقل الآيات في سورة الفتح الخطاب مباشرة إلى المؤمنين بقول الحق ﷻ:

﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: 9].

ويرجع الخطاب بسرعة مرّة أخرى إلى رسول الله ﷺ ليشيد ببيعة الرضوان، ويبشِّر الموفين بها بعظيم الأجر من الله، ويحذِّر من نقضها، لأنَّ الآيات تعتبرها بيعة للَّه ـ تعالى ـ الذي يقول فيها ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: 10].

وتنعي الآيات في سورة «الفتح» على المنافقين من الأعراب الذين تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ، واعتذروا بأعذار كاذبة، ظنًّا منهم بأنَّه لن يكون من المنتصرين. وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّ هؤلاء المنافقين يطلبون من رسول الله ﷺ الاستغفار لهم، ويرجون نصيباً من الغنائم التي حققها، واللَّه خبير بما يعملون، وقد أعدَّ الله ﷻ نار جهنم لكلٍّ من الكافرين والمشركين والمنافقين الذين لا يؤمنون باللَّه ورسوله، وفي ذلك يقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح: 14].

وتخاطب الآيات القرآنيّة الكريمة في سورة «الفتح» هؤلاء المخلفين بأنَّهم سيدعون إلى الجهاد في سبيل الله مرّة أخرى فإن تخلفوا فسوف يعذّبهم الله عذاباً أليماً، وفي ذلك يقول الحق ﷻ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾
[الفتح: 16].

ثم تقرّر الآيات أنّه لا حرج على المعذورين إذا تخلّفوا عن الجهاد في سبيل الله من أمثال كلٍّ من الأعمى، والأعرج، والمريض فتقول:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: 17].

ثم أثنت الآيات على المؤمنين من أهل «**بيعة الرضوان**»، مؤكِّدة أنَّ الله ـ تعالى ـ قد رضي عنهم، وأنزل السكينة في قلوبهم، وتجلّى عليهم بالذود عن

حياضهم، وبتثبيته إيّاهم، وببشرياته لهم بفتح قريب لمكّة المكرّمة، وبالفيء عليهم بمغانم كثيرة يأخذونها لأنَّه هو العزيز الحكيم. ومن هذه المغانم كفّ أيدي الكافرين عنهم، وجعل ذلك آية لهم، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم واللَّه ﷻ على كلِّ شيءٍ قدير.

وتؤكِّد الآيات أنَّ الكافرين لو قاتلوا المؤمنين فلن يجدوا لهم وليًّا ولا نصيراً. وهذه هي سنَّة من سنن الله ـ تعالى ـ التي أجراها على الأُمم من قبل، وسنن الله ﷻ لا تتبدَّل ولا تتغيَّر أبداً إلَّا بإذنه. وقد تحققت بشائر الله للمؤمنين في سورة «الفتح» بدخولهم مكَّة المكرَّمة بعد ذلك بعامين دون قتال، وبسيادة الإسلام للجزيرة العربيَّة كلّها بعد ذلك، وهيمنة هذا الدِّين الخاتم على الدِّين كلّه بأمر الله وتدبيره، وكان في ذلك تكريم من الله ـ تعالى ـ لرسوله الخاتم ﷺ، وللذين أسلموا معه واتَّبعوه على صراط مستقيم، وهو ـ سبحانه ـ البصير بأعمال العباد، المطَّلع على قلوبهم، والعارف بنواياهم.

وفي نفس الوقت فإنَّ نصر عباد الله المؤمنين كان انتقاماً من مشركي قريش الذين صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام قبل ذلك بعامين اثنين في يوم الحديبيّة، وفي ذلك ينطق التنزيل بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: 25 ـ 26].

والآيات تتحدَّث عن «حمية الجاهليّة» التي دفعت كفَّار ومشركي قريش إلى منع رسول الله ﷺ ومَن كان معه من المؤمنين من دخول مكَّة المكرَّمة لأداء العمرة. وقد غضب المؤمنون لذلك وثارت ثائرتهم لولا أنَّ الله ـ تعالى ـ قد أنزل سكينته على رسوله ﷺ وعلى الذين آمنوا معه، وألزمهم كلمة التقوى.

وقد صدق الله رؤيا رسوله ﷺ فقال ـ عزَّ من قائل ـ:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: 27].

وتختتم «سورة الفتح» بالتأكيد على نبوَّة ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والتي أنكرها كثير من الكفّار والمشركين والمنافقين عبر التاريخ. وسوف يظلّ الضالّون من البشر ينكرون هذه النبوة الخاتمة إلى يوم الدين، ولكن يؤكّدها الله ـ تعالى ـ بشهادة منه ـ وهو خير الشاهدين ـ، يقول فيها ـ وهو أحكم القائلين ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: 28].

ويؤكِّد ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ شهادته الإلٰهيّة بأنَّه ـ سبحانه ـ سبق وأن أنزل صفة خاتم أنبيائه ورسله ـ صلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، وصفة الذين آمنوا معه فيما أنزل من كتب ومنها كلّ من «**التوراة**» و«**الإنجيل**» فقال ـ عزَّ من قائل ـ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].

وقد أثبت كثير من المنصفين ممَّن درسوا الترجمات المتوافرة لما يقال له التوراة (أو الكتب الخمسة) والإنجيل (ومنها الآثار التي اكتشفت في مكتبة نجع حمادي) وجود تلك الإشارات إلى بعثة الرسول الخاتم وصحبه الكرام على الرَّغم من تعرّض تلك الكتب للكثير من التحريف بعد فقد أُصولها القديمة.

من الإعجاز الإنبائي والعلمي في قوله ـ تعالى ـ:

﴿... وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ...﴾ [الفتح: 29].

هذا النص القرآني الكريم يشير إلى ما بقي من ذكريات من الإنجيل الذي أُنزل على عبد الله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من صفات الرسول الخاتم ﷺ وصفات الذين آمنوا معه. ويأتي ذلك **بتشبيه قلة عدد المسلمين في بدء الدعوة المحمدية المباركة، ثم إلى تزايد تلك الأعداد بالتدريج بإحدى طرق التكاثر في النبات وهو التكاثر بالأشطاء كما يتم في العديد من النباتات الاقتصادية مثل القمح، والشعير، والأرز، والذرة الرفيعة، وقصب السكر، وغيرها من نباتات العائلة النجيلية.** والأشطاء هي براعم تنمو عند المنطقة الفاصلة بين الجذر والساق. وعملية تكاثر النبات بالأشطاء لم تعرف في مجال علم النبات إلا في القرن العشرين، والتشبيه بها في كتاب أُنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة، على نبي أُمِّي، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي أرض صحراوية قاحلة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله.

وتخرج (**الأشطاء**) متلاحقة، شطئاً تلو الآخر، ومن هنا فإن التعبير في الآية الكريمة (رقم 29 من سورة الفتح) بالإفراد ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعتبر وجهاً من أوجه الدقة العلمية الفائقة في كتاب الله. كذلك فإن وصف تتابع الأحداث في التكاثر بالأشطاء بحرف الفاء ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ يعتبر وجهاً آخر من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله وذلك لتسارع وقوع الأحداث في عملية النمو بالأشطاء، وحرف الفاء يدل على الترتيب مع التعقيب.

وبتكاثر **الأشطاء** فإن الساق الأصلي للنبات يحاط بعدد من السيقان الثانوية (الأشطاء) التي تنمو حوله. ويكون ذلك حزمة من الأعواد القائمة التي تزيد من سمك النبتة الأصلية، وتؤدي إلى تغلظ قطرها، وإلى تمكينها من البقاء منتصبة فوق

مجموعها الجذري (خاصة إذا هبّت عليها الريح). كذلك تقوم الأشطاء بإبعاد الأعشاب الضارة عن الساق الأصلية، وتضاعف من غلتها، وتحول دون سباتها في أثناء تكون السنابل.

والآية الكريمة جاءت في تشبيه قوة الترابط بين رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، والتي تجسدت في قدر من الحب، والاحترام، والإعجاب، والتقدير، والرغبة في التلقي لم يسبق له مثيل في علاقات الناس بإمامهم أو قائدهم. وتشبيه ذلك بعلاقة أشطاء النبات بالنبتة الأساسية هو تشبيه فائق الدقة العلمية، والبيانية، والمعنوية، وذلك لأن الأشطاء حول الأصل يشد بعضها بعضاً، ويدعم بعضها بعضاً، في حماية النبتة الأصلية. وتتلقى الأشطاء الغذاء من هذا الأصل الواحد، كما كان صحابة رسول الله ﷺ يتلقون الدين الحق عنه. وتتضح روعة التشبيه ودقته باختيار الأشطاء دون الفسائل أو الفروع، لاختلاف علاقة كل منها بالأصل الذي انبثقت عنه. والتشبيه يصور رسول الله ﷺ قائماً وحده بالدعوة إلى دين الله، ثم يبدأ المؤمنون برسالته في الالتفاف حوله، والتلقي عنه، والارتواء من أنوار الوحي الذي أفاء الله ـ تعالى ـ بها عليه.

وعلى الرغم من التحريف الشديد الذي تعرضت له تراجم الإنجيل العديدة الموجودة بأيدي نصارى اليوم فإنها لا تزال تحمل أمثالاً مشابهة لهذا المثل القرآني. ففي ما يعرف باسم «**إنجيل لوقا**» تسمي الرسالة الخاتمة باسم «**ملكوت الله**» حيث يقول هذا الإنجيل: «وقال الرب: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ إنه يشبه بذرة خردل أخذها إنسان وألقاها في بستانه، فنبتت وصارت شجرة عظيمة، وأوت طيور السماء في أغصانها» (لوقا: 13/ 18، 19).

وبعد اكتشاف «**مخطوطات نجع حمادي**» (في سنة 1945م)، وجد من بينها ما يعرف باسم «**إنجيل توماس**» الذي يحوي تشبيهاً تقول ترجمته: «لا تسمحوا لمملكة السماء بالذبول؛ لأنها مثل فسيلة النخل التي سقطت ثمارها على الأرض من حولها، فأنبتت وأخرجت أوراقاً، وبعد إنباتها تسببت في

جفاف الأصل الذي جاءت منه، وعلى ذلك فإنها مع الثمار التي نمت من هذا الجذر الواحد. . .».

وهذا الكلام المليء بالأخطاء العلمية مترجم عن النص الإنجليزي المنقول عن نص يوناني قديم كتبت به «**مخطوطات نجع حمادي**»، وهذا النص الإنجليزي يقول:

«Do not allow the kingdom of Heaven to wither, for it is like a palm shoot whose fruit has dropped down around it. They (i.e. the fallen fruits) put forth leaves, and after they had sprouted, they caused their womb to dry up. So it is also with the fruit which had grown from this single root...» [J.M. Robinson (1988): «The Naga Hammadi Library»; E.J. Brill, Leiden, 1988].

والفرق بين التشبيه القرآني وهذا التشبيه الموضوع هو الفرق بين كلام الله وكلام البشر، خاصة إذا علمنا أن الأشطاء تختلف اختلافاً كلياً عن الفسائل، وعن الأفرع، وعن غير ذلك من الخلفات النباتية الأخرى. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الأشطاء لا تنفصل طيلة حياتها عن نباتها الأصلي، بينما تنفصل الفسائل وغيرها من أنواع الخلفات النباتية عن أصولها، (كما يحدث في حالة نخيل البلح).

واختيار القرآن الكريم للفظة (الشطأ) معجزة علمية رائعة الدقة، وتأكيده على أن هذا هو وصف الرسول الخاتم في إنجيل عيسى هو معجزة إنبائية تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (**اللغة العربية**)، وحفظه على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام الله، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه عن ربه بالنبوة والرسالة.

93 ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تؤكِّد أنَّ عدداً من اليهود والنصارى قد أسلم في زمن رسول الله ﷺ، واتَّبع الهدى المحمّدي الشريف وذلك من أمثال كل من «**عداس**» مولى ابنَيْ ربيعة، و«**سلمان الفارسي**»، و«**ثعلبة بن سعيد**» وأخيه «**أسد**»، و«**أسد بن عبيد** ﷺ»، و«**عبد الله بن سلام**» ﷺ وقد تحقق ذلك لأنَّ الله ـ تعالى ـ سبق وأن بشَّر ببعثة هذا الرسول الخاتم، وذكره باسمه وصفته في كلٍّ من التوراة والإنجيل. كما بشَّر ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في هذين الوحيين السابقين بأنَّ هذا الرسول الخاتم سوف يأمر من يتبعونه بكلّ خير: من سلامة العقيدة، وصحة العبادة، ومكارم الأخلاق، والنبل في المعاملات، وسوف ينهاهم عن كلّ ما هو نقيض ذلك. كما أن هذا الرسول الخاتم سوف يحلّ لهم كل ما تستطيبه الفطرة الصحيحة، ويحرم عليهم كلّ ما يستخبثه الذوق السليم، وسوف يخفف عنهم ما كانوا قد كلِّفوا به من التكاليف الشاقّة بسبب ظلمهم وكثرة خطاياهم ومعاصيهم. فالذين آمنوا منهم بهذا الرسول الخاتم ﷺ ووقروا شخصه الكريم، ونصروا دعوته، واتبعوا الدين الذي بعث به، فإنَّ أولئك هم الفائزون في الدنيا والنَّاجون في الآخرة. فعن **عطاء بن يسار** أنّه قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: «أجل! باللّه إنّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيّها النّبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً، وحرزاً

للأميين، لا! أنت عبدي ورسولي، سمَّيتك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيّئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلّا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمًّا وقلوباً غلفاً».

وعلى الرَّغم من حرص المتأخرين من غلاة اليهود والنصارى على حذف كلّ نبوءة عندهم بمقدم الرسول الخاتم ﷺ، وعلى إلغاء كلّ إشارة إليه في كتبهم إلّا أنَّ بقاء العديد من الإشارات التي عُمِّيت عليهم إلى يومنا هذا والتي ستبقى إن شاء الله ـ تعالى ـ إلى قيام الساعة تمثل تحقيقاً للنصّ القرآني الكريم الذي نتعامل معه في الآية رقم (157) من سورة «الأعراف». وعلى ذلك **فإنَّ هذا النصّ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب** الله، كما يتَّضح من البيان التالي:

من النبوءات ببعثة الرسول الخاتم ﷺ في كلٍّ من العهدين القديم والجديد:

أوَّلاً: في العهد القديم:

1 ـ في سفر «التكوين» (الإصحاح 49/ 10) جاء ما ترجمته:

«لا يزول صولجان من يهوذا أو مشترع من قدميه حتى يأتي **(شيلوه)**، وله يكون خضوع الشعوب». وفي ترجمة أخرى للنصّ ذاته جاء ما يلي: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي **(شيلوه)**، وله يكون خضوع الشعوب».

وفي تفسير هذا النصّ ذكر القسّ المهتدي عبد الأحد داود رحمه الله في كتابه المعنون: **(محمَّد في الكتاب المقدّس)** تحت عنوان: **«محمَّد هو الشيلوه»** بأنَّ هذه النبوءة تشير بوضوح إلى النَّبي المنتظر لأنَّ **[شيلوه = Shiloh]** في اللّغة العبريّة تعني صاحب الصولجان والملك؛ ومن معانيها الهادئ المسالم، الأمين، الوديع. والصيغة الآراميّة (السريانيّة) للكلمة هي **[شيليا = Shilya]** بمعنى الأمين، والرَّسول الخاتم ﷺ

عرف من قبل بعثته الشريفة بلقب (الصادق الأمين)، كما سبق وأن أشرنا.

2 ـ في سفر «التثنية»:

جاء على لسان عبد الله ونبيّه موسى عليه السلام مخاطباً قومه [**«تثنية» (18/ 15 ـ 20)**] ما ترجمته: «يقيم لك الربّ إلٰهك: نبيًّا من وسطك، من إخوتك، مثلي، له تسمعون، حسب كل ما اطلعت من الربّ إلٰهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الربّ إلٰهي ولا أرى هذه النّار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الربّ: قد أحسنوا فيما تكلّموا، **أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به**، ويكون أنَّ الإنسان الذي يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أُطالبه، وأمَّا النَّبي الذي يطغى فيتكلّم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلّم به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النَّبي».

والنَّبي الذي أقامه الله ـ تعالى ـ لهداية الناس من وسط إخوة اليهود (وهم العرب)، وهو يشبه موسى ـ على نبيّنا وعليه من الله السَّلام ـ هو سيّدنا محمَّد ﷺ.

كذلك جاء في مطلع الإصحاح الثالث والثلاثين من **سفر «تثنية» (تث: 33/ 1)** ما ترجمته: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى ـ رجل الله ـ بني إسرائيل قبل موته فقال: «**جاء الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم**».

وجبال **(فاران)** أو **(باران)** كما جاء **في** سفر «التكوين» (تك 21/ 12) هي البرية التي هاجر إليها إسماعيل عليه السلام وأُمّه هاجر رضي الله عنها. **وجاء في أغلب شروح العهد القديم أنَّ الاسم (فاران)** أو **(باران) هو تعبير عن جبال مكَّة المكرَّمة.** وتلألؤ الله ـ تعالى ـ من جبال فاران هو إشارة إلى بدء تنزل هذا الوحي الخاتم في غار حرّاء فوق جبال مكَّة المكرَّمة. ومجيء الله تعالى من ربوات القدس وعن

يمينه نار شريعة لهم ـ هو إنباء عن رحلة (الإسراء والمعراج) التي أكرم الله ـ تعالى ـ بها خاتم أنبيائه ورسله ـ صلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ كما استنتجه القسّ المهتدى عبد الأحمد داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

3 ـ في سفر أشعيا:

جاء في سفر **«أشعيا» (أش 11/ 4)** وصف للرسول الخاتم بأنَّه: «إنَّما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، (أي بلسانه) ويميت المنافق بنفخة شفتيه، لأنَّه سيرتدي البر، ويتمنطق بالأمانة». وهذه كلّها من صفات سيّدنا محمد ﷺ الذي وصفه قومه بوصف **«الصادق الأمين»** من قبل بعثته الشريفة.

وجاء في سفر **«أشعيا» كذلك (أش 21/ 13 ـ 17)** نبوءة بهجرة المصطفى ﷺ وجاء ذلك بما ترجمته: «وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر من بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان **يا سكّان أرض تيماء**، وأوفوا الهارب بخبزه، فإنَّهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدود، ومن أمام شدّة الحرب، فإنَّه هكذا قال لي السيد في مدّة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد **(قيدار)**، وبقيّة عدد من أبطال **(بني قيدار)** تقل لأنَّ الرّب قد تكلّم».

والنَّبي الوحيد الذي هاجر من جبال مكَّة إلى قرب «تيماء» هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمَّد ﷺ، **و(قيدار) و(بنو قيدار) هم قريش»**.

4 ـ في «سفر حبقوق» (حبق 3/ 3) جاء ما ترجمته:

«الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران (سلاه = صلاة) جلاله غطّى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع وهناك استتارت قدرته». وإذا كان جبل فاران هو جبل مكَّة المكرَّمة، فمن من أنبياء الله غير سيّدنا محمَّد ﷺ هاجر من مكَّة إلى قرب تيماء (وهي في شمال المدينة المنوّرة).

5 ـ وفي «المزامير» المنسوبة إلى داود عليه السلام:

جاء في المزمور الرابع والثمانين (1 ـ 6) ما ترجمته: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود، نشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الربّ، قلبي ولحمي يهتفان بالإلٰه الحيّ، العصفور أيضاً وجد بيتاً، والسنونة عشًّا لنفسها حيث تضع فراخها، مذابحك يا ربّ الجنود ملكي وإلٰهي، طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، (سلاه = صلاة)».

«طوبى لأناس عزّهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء (وادي بكّة) يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركات يغطّون موره».

وفي الترجمة الإنجليزيّة لما يعرف باسم سلسلة ثومبسن للإنجيل المرجعي: (The Thempson Chain Reference Bible)، والمطبوع في كل من ولايتي إنديانا وميتشجان بالولايات المتّحدة الأمريكيّة سنة 1983م جاء النصّ المشار إليه آنفاً على النّحو التالي:

(How lovely is your dwelling place, O Lord Almighty, My soul yearns, Even faints for the courts of the Lord.. O Lord Almighty, my' king and my God, Blessed are those who dwell in your house they are ever praising you. Selah (? = Salah). Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on **Pilgrimage, as they pass through the Valley of Baca,** they make it a place of spring, the autumn rains also cover it with pools of blessing).

كذلك جاء النصّ التالي للمزمور رقم (84/ 1 ـ 6) في الترجمة الإنجليزيّة لما يعرف باسم:

«New International Version».

والمنشور في السنوات 1973م، 1979م، 1984م، 1985م بواسطة:

(International Bible Society)
(First published in Great Britain, 1979); Fifth impression, August, 1985:
How lovely is your dwelling-place,
O Lord Almighty
My soul yearns, even Faints, for the courts of the Lord;

My heart and my flesh cry out for the living God.
Even the sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young a place near your alter.
O Lord Almighty, my king and my God.
Blessed are those who dwell in your house; they are ever praising you.
(Selah) Blessed are those whose strength is in you, **who have set their hearts on pilgrimage.**
As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the Autumn rains also cover it with pools».

والفرق بين الترجمتين العربيّة والإنجليزيّة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، ودليل على التحريف المتعمّد الذي لا يخفى على عاقل.

ثانياً: في العهد الجديد:

1 ـ **في إنجيل يوحنّا:**

(يو: 6/ 27) جاءت إشارة إلى أنَّ نبيّ آخر الزمان يحمل خاتم النبوّة بين كتفيه، وذلك فيما ترجمته: «لا تسعوا وراء الطعام الفاني بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبديَّة، والذي يعطيكم إيَّاه ابن الإنسان لأنَّ هذا **قد وضع الله ختمه عليه»**. ومن الثابت تاريخيًا **أنَّ رسول الله ﷺ كان يحمل خاتم النبوَّة بين كتفيه.**

2 ـ في إنجيل يوحنا (يو 16/ 12 ـ 14) جاء ما ترجمته:

«إنَّ لي أُموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك **روح الحق** فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ لأنَّه لم يتكلّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأُمور آتية، ذاك يمجّدني لأنَّه يأخذ ممَّا لي ويخبركم». وهذا الوصف شديد الانطباق على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي بشّر بمقدمه عيسى ابن مريم، لأنَّ رسول الله ﷺ يصفه القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3، 4].

وكأنَّ النصَّين السابقين من إنجيل يوحنّا (يو 6/ 27)، (يو 16/ 12 ـ 14)

ترجمة لمدلول هاتين الآيتين القرآنيّتين الكريمتين (النجم: 3، 4) ولآية أخرى كريمة يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

3 ـ **في سفر رؤيا (رؤ 19/ 11)** جاء ما ترجمته:

«ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمى راكبه باسم **(الصادق الأمين)** الذي يقضي ويحارب بالعدل...».

ووصف **(الصادق الأمين)** ينطبق على سيّدنا محمَّد ﷺ لأنَّ أهل مكَّة المكرَّمة كانوا قد أطلقوا عليه هذا الوصف بالضبط من قبل بعثته الشريفة بوقت طويل.

وبقاء هذه الإشارات في كتب كل من «العهدين القديم والجديد»، (على الرَّغم ممَّا تعرَّضت له هذه الكتب من ضياع لأُصولها السماويّة والاستمرار في تحريف المنقول شفاهة عنها لقرون عديدة) تؤكّد صدق هذا القرآن الكريم، وصدق نبوَّة الرَّسول الخاتم الذي تلقّاه، وتجعل من الآية الكريمة رقم (157) من سورة «الأعراف» وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

نصوص من العهدين القديم والجديد

كنبُوة، فَمَنْ يَجْرُؤُ عَلى إثارته؟ ¹⁰لا يزولُ صَوْلَجَانُ المُلْكِ مِنْ يَهوذا ولا مُشْتَرِعٌ مِنْ صُلْبِه حَتَّى يأتي شِيلوهُ (ومَعْناهُ: مَنْ لَهُ الأمْرُ) فتُطيعَهُ الشُّعُوبُ.	[10]The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

سفر التكوين (49/ 10)

الوعد بنبي بعد موسى

[15] سيقيم الرب إلهكم نبياً مثلي من بني إسرائيل، له تسمعون، [16] فقد استجاب الرب إلهكم ما طلبتم منه في حوريب في يوم الاجتماع عندما قلتم: لا نعود نسمع صوت الرب إلهنا، ولا نرى النار العظيمة أيضاً لئلا نموت [17] فقال لي الرب: لقد أصابوا في ما تكلموا. [18] لهذا أقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. [19] فيكون أن كل من يعصى كلامي الذي يتكلم به باسمي، فأنا أحاسبه. [20] وأما النبي الذي يتجرأ فيطلق باسمي بما لم آمره أن يتكلم به، أو يتنبأ باسم آلهة أخرى، فإنه حتماً يموت.

A Prophet Like Moses

[15] The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. [16] For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."

[17] The LORD said to me: "What they say is good. [18] I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him. [19] If anyone does not listen to my words that the prophet speaks in my name, I myself will call him to account. [20] But a prophet who presumes to speak in my name anything I have not commanded him to say, or a prophet who speaks in the name of other gods, must be put to death."

سفر التثنية (18/ 15 ـ 20)

موسى يبارك أسباط إسرائيل

٣٣ وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته، [2] فقال: «أقبل الرب

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. [2] He said: "The LORD came from Sinai

سفر التثنية (33/ 1)

عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه. [4] إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، [5] لأنه سيرتدي البر ويتمنطق بالأمانة.

with his ears; but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. [5] Righteousness will be his belt and

سفر إشعياء (11/ 4)

---

[13] نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية: ستبيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين. [14] فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، [15] لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. [16] لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، [17] وتكون بقية الرماة، الأبطال من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

back yet again."

[13] An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, [14] bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. [15] They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. [16] This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. [17] The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

سفر إشعياء (21/ 13 ـ 17)

---

[3] قد أقبل الله من أدوم، وجاء القدوس من جبل فاران. غمر جلاله السماوات وامتلأت الأرض من تسبيحه. [4] إن بهاءه

[3] God came from Teman, the Holy One from Mount Paran. His glory covered the heavens and his praise filled the earth. [4] His splendor was like

سفر حبقوق (3/ 3)

A Prophet Like Moses

[15]The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. [16]For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."

[17]The LORD said to me: "What they say is good. [18]I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him.

الوعد بنبي بعد موسى

[15]سيقيم الرب إلهكم نبيا مثلي من بني إسرائيل، له تسمعون. [16]فقد استجاب الرب إلهكم ما طلبتم منه في حوريب في يوم الاجتماع عندما قلتم: لا نعود نسمع صوت الرب إلهنا، ولا نرى النار العظيمة أيضا لئلا نموت [17]فقال لي الرب: لقد أصابوا في ما تكلموا. [18]لذلك أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به.

سفر التثنية (18/ 15 ـ 20)

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. [2]He said: "The LORD came from Sinai

موسى يبارك أسباط إسرائيل

٣٣ وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته. [2]فقال: «أقبل الرب

سفر التثنية (33/ 1)

with his ears; [4]but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. [5]Righteousness will be his belt and

عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه. [4]إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. [5]لأنه سيرتدي البر ويتمنطق بالأمانة.

سفر إشعياء (11/ 4)

[13]An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, [14]bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. [15]They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. [16]This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. [17]The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

[13]نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية: ستبيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين. [14]فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز. [15]لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. [16]لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة كعامل بأجرة الأجير يفنى كل مجد قيدار. [17]وتكون بقية الرماة الأبطال من أبناء قيدار قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

سفر إشعياء (21/ 13 ـ 17)

[3]God came from Teman, the Holy One from Mount Paran. His glory covered the heavens and his praise filled the earth. [4]His splendor was like

[3]قد أقبل الله من تيمن، وجاء القدوس من جبل فاران. غمر جلاله السماوات وامتلأت الأرض من تسبيحه. [4]إن بهاءه

سفر حبقوق (3/ 3)

ثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن الكريم لبعض المعارك بين كل من الفرس والروم

94 ـ ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1 ـ 4].

هذه الآيات الأربع التي استهلّت بها سورة «الروم» تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله. فقد أخبرت عن أمر من أُمور الغيب قبل وقوعه بتسع سنوات. ثم تحقق هذا الأمر بالفعل كما ذكرت الآيات الكريمة. كذلك فإن وصفت أرض المعركة التي انهزم فيها الروم أمام الفرس بوصف **(أدنى الأرض)**. يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لأن كلمة (أدنى) من المشترك اللّفظي المستمد من (الدنو) بمعنى القرب، أو من (الدناءة) بمعنى الخسّة، والانحطاط، والانخفاض، والتسفل والقلّة، وقد ثبت أنَّ المعركة وقعت في أغوار الأردن (212 ـ 418 متراً تحت مستوى سطح البحر). ومنطقة الأغوار هذه تمثّل أخفض منطقة على اليابسة مطلقاً، حيث يقع منسوب سطح الأرض في وادي عربة عند (355 ـ 400م) تحت مستوى سطح البحر، ويقع منسوب سطح الماء في البحر الميّت عند 402م تحت مستوى سطح البحر، وتقع أخفض نقاط قاع البحر الميت على عمق حوالي (818) متراً تحت مستوى سطح البحر، ولا يداني هذا الانخفاض عن مستوى سطح البحر أيّة بقعة أخرى على اليابسة. هذا مع العلم بأن أغوار المحيطات تتعدّى 11كم في العمق كما هو الحال في «غور ماريانا» القريب من جزر الفليبين. وهذه الحقيقة لم يتم إدراكها إلّا في القرن العشرين، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إليها يعتبر وجهاً من أوجه **الإعجاز العلمي** في كتاب الله.

كذلك فإن في الإخبار بعودة انتصار الروم على الفرس يعتبر وجهاً من أوجه **الإعجاز الإنبائي** في هذا الكتاب العزيز، والواقعة بجملتها تقع في نطاق **الإعجاز التاريخي**.

أدنى الأرض في اللّغة العربيّة:

يقال في اللّغة: (دنا) (يدنو) (دنوا) بمعنى قرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان، والزمان، والمنزلة، كما يتعدّى فيقال: (أدنى) (يدني) (إدناءً)، ويقال: (دانيت) أو (أدنيت) بين الأمرين أي قاربت بينهما، حتى صارت بينهما (دناءة) أي: قرب أو قرابة.. و(الدني) القريب، و(الدنيء) بمعنى الدون، الخسيس، وقد (دنأ ـ يدنأ)، وفيهما (دناءة)، ويقال: (دنؤ) بمعنى انحطّ، و(الدنيئة) هي النقيصة. ومن استعمالات القرآن الكريم لهذه اللفظة نورد ما يلي:

1 ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ [الأنعام: 99].

2 ـ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8 ـ 9].

وفي الحديث الشريف: «**إذا أكلتم فادنوا أي كلوا ممَّا يليكم**». ويعبر بـ(الأدنى) تارة عن الأقرب في مقابلة مع (الأقصى) أي الأبعد، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ [الأنفال: 42].

وتارة ثانية يعبر بـ (الأدنى) عن (الأخفض) أو (الأحقر) فيقابل بالأعلى أو (الأعز) وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: 59].

و(يدنين) هنا بمعنى (يسدلن) و(الإدناء) هو (التقريب).

وتارة ثالثة تأتي بمعنى (الأقل) في مقابل (الأكثر)، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ [المجادلة: 7].

وتارة رابعة يعبّر بها عن (الأرذل) فيقابل (بالذي هو خير)، وذلك من مثل

قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61].

وتارة خامسة يعبر بها عن (الدنيا) في مقابلة الآخرة، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران: 152].

وسميت (الدنيا) بهذا الاسم لدنوها، والجمع (الدنا)، وأصله الدنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين، والنسبة إليها (دنياي)، وقيل (دنيوي) ودني، ويقال: (تدنى) فلان أي (دنا) قليلاً قليلاً، و(تدني) المستوى بمعنى (هبط)، و(تدانوا) أي (دنا) بعضهم من بعض.

وفي التعليق على هذه الآيات الأربع: ذكر **ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ عن **ابن عبّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: كان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الروم لأنّهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس، لأنّهم كانوا من أهل الكتاب. ذكر ذلك عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أمّا إنّهم سيغلبون**»، فذكره أبو بكر للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «**ألا جعلتها إلى دون العشر؟**»، ثم ظهرت الروم بعد ذلك، قال فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: 1 ـ 3].

وأضاف **ابن كثير** عدّة روايات أخرى للحديث عن كلّ من مسروق، وابن مسعود، وعكرمة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ في المعنى نفسه، وزاد قوله: وأمّا **الروم** فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم **بنو الأصفر**، وكانوا على دين اليونان؛ واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عمّ الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيّارة، وهم الذين أسّسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بنحو من ثلاثمائة سنة. وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له (**قيصر**)؛ فكان أوّل مَن دخل في دين النصارى من الروم (قسطنطين)؛ وأمّه مريم الهيلانيّة من أرض حرّان، وكانت قد تنصّرت قبله فدعته إلى دينها، واستمروا على

النصرانيّة. وكانوا كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم **(هرقل)**، فناوأه **كسرى** ملك الفرس، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوساً يعبدون النار. فتقدّم عن عكرمة رضي الله عنه أنَّه قال: بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أنَّ كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره، وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينيّة فحاصره بها مدّة طويلة حتى ضاقت عليه. ولم يقدر كسرى على فتح البلدة، ولا أمكنه ذلك لحصانتها، لأنَّ نصفها من ناحية البرّ، ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هناك. ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع، فإنَّ البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع.

وذكر **صاحبا تفسير الجلالين** ـ يرحمهما الله ـ كلاماً موجزاً في المعنى نفسه، وأضافا تعليقاً على التعبير القرآني **(في أدنى الأرض)** أنَّ المقصود به: [أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو (هم) الفرس].

وجاء في «الظلال» ـ رحم الله كاتبها رحمة واسعة ـ ما نصَّه: «ثم جاءت النبوءة الصادقة الخاصّة بغلبة الروم في بضع سنين، وأضاف رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مؤكّداً أنَّ هذا الحادث قد وردت فيه روايات كثيرة، تتَّفق كلّها في المعنى والدلالة، وتختلف في الألفاظ وطرائق التعبير».

واستنتج كاتب «الظلال» رحمه الله من هذه الآيات القرآنيّة الكريمة عدداً من الإيحاءات التي منها: **الترابط بين الشرك والكفر في كلِّ مكان وزمان** أمام دعوة التوحيد والإيمان. **الثقة المطلقة في وعد** الله، كما تبدو في قول أبي بكر رضي الله عنه في غير تلعثم ولا تردد، والمشركون يعجبون من قول صاحبه، فما يزيد على أن يقول: صدق. ويراهنونه فيراهن وهو واثق. ثم يتحقق وعد الله، في الأجل الذي حدده (في بضع سنين). «**المسارعة بردّ الأمر كله للّه**»، في هذا الحادث وفي سواه، وتقرير هذه الحقيقة الكليّة، لتكون ميزان الموقف. وميزان كل موقف، فالنَّصر والهزيمة، وظهور الدول واندحارها، وقوتها وضعفها شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال مردّه كلّه إلى الله.

وجاء في «**صفوة البيان لمعاني القرآن**» ما نصَّه: احتربت الفرس والروم «فيما بين أذرعات وبصرى» من أرض الروم يومئذ، وهما أقرب أراضيها بالنسبة إلى مكّة، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بست. فظهر الفرس على الروم، فلمَّا بلغ الخبر مكَّة شقَّ على المؤمنين، لأنَّ الفرس مجوس لا يدينون بكتاب، والروم أهل كتاب؛ وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أُمِّيون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنَّ نحن عليكم، فنزلت الآية وفيها: أنَّ الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين. والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع، و(غَلَبِهِم) يعني: كونهم مغلوبين.

وجاء في «**المنتخب في تفسير القرآن الكريم**» ما نصَّه: غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيغلبون الفرس، قبل أن تمضي تسع سنوات.. وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب.. وقد حقَّق ﷲ وعده فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سمّاه، فكان ذلك آية بيّنة على صدق محمَّد ﷺ في دعواه وصحّة ما جاء به.

وجاء في الهامش التعليق التالي: في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين: كان أوّلهما قد وقع بالفعل، وأمَّا الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو إخبار عن الغيب، (وحدَّد لوقوعه بضع سنين، أي: فيما بين الثلاث والتسع).

وتفصيل **الحدث الأوَّل** أنَّ الفرس والبيزنطيين كانوا قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيّام **(خسرو أبرويز) أو (خسرو الثاني) عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى. و(هيراكليوس) الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل.** ففي عام 614م استولى الفرس على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقيّة للإمبراطوريّة الرومانيّة، ثم على دمشق، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكّان وأخذوا يذبحونهم.

وتفصيل **الحدث الثاني** أنَّ هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر، ولهذا أخذ يعدّ نفسه لمعركة تمحو عار الهزيمة، حتى إذا

كان عام 622 الميلادي (أي العام الهجري الأوَّل) أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم، وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم على الفرس، فتحقَّقت بشرى القرآن الكريم.

وثمة **حدث ثالث** يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في **غزوة بدر** التي وقعت في يوم الجمعة 17 رمضان من العام الهجري الثاني (أي سنة 624م).

وجاء في «**صفوة التفاسير**» ما نصَّه: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي هزم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ أي وهم من بعد انهزامهم وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس، وينتصرون عليهم ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ أي في فترة لا تتجاوز بضعة أعوام؛ والبضع ما بين الثلاث والتسع.

وعلق صاحب صفوة التفاسير على قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ بما نصَّه: وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب، وغلبت الروم فارس وهزمتهم، وفرح المسلمون بذلك؛ قال أبو السعود: وهذه الآيات من البيِّنات الباهرة، الشاهدة بصحّة النبوّة، وكون القرآن من عند الله ﷻ حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله العليم الخبير، ووقع كما أخبر. وقال البيضاوي: والآية من دلائل النبوَّة لأنَّها إخبار عن الغيب. وفي شرح قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: 4 ـ 5] قال ما نصَّه: وقد صادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر؛ قال ابن عبَّاس: كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان، وعبدة النيران. ويوم بدر وقع في السنة الثانية من الهجرة (الموافق سنة 624م)، وعلى ذلك فإنَّ هزيمة الروم على أيدي الفرس لا بدّ وأنَّها كانت قد وقعت في حدود سنة 615م.

وجاء في «**أطلس تاريخ الإسلام**» ما نصَّه: وعندما تولى هرقل عرش الروم سنة 610م (وهي سنة البعثة المحمَّديَّة) كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر

وهزموا البيزنطيين سنة 613م عند أنطاكية، واستولوا على فلسطين والقدس سنة 614م، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندريّة سنة 618م أو 619م، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة 622م، وفي سنة 627م أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوى، واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر، وفي سنة 630م استعاد بيت المقدس.

ومن استقراء كلّ هذه التواريخ السابقة يتَّضح أنَّ **هزيمة الروم على أيدي جيوش الفرس كانت في حدود سنة 614م إلى 615م، وأنَّ استعادتهم النصر على الفرس كانت في حدود سنة 624م**، واستمر تقدم الروم على الفرس حتى تمَّ لهم استعادة بيت المقدس في حدود سنة 630م.

وواضح من شروح المفسّرين أنَّ المقصود بالتعبير القرآني **(في أدنى الأرض)** الذي يصف أرض المعركة التي تمَّت فيها هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلى الجزيرة العربيّة أو إلى أرض الفرس. ولكن الدّراسات الحديثة تؤكّد أنَّ منطقة حوض البحر الميّت، بالإضافة إلى كونها أقرب الأراضي (التي كان الروم يحتلّونها) إلى الجزيرة العربيّة هي أيضاً أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمائة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر. وكانت هذه المنطقة من مناطق الصراع بين إمبراطوريّتَي الفرس والروم، وأنَّ المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطوريّة روما الشرقيّة (الإمبراطوريّة البيزنطيّة) لا بدَّ أنَّها قد وقعت في حوض البحر الميّت. لذلك فإن الوصف (بأدنى الأرض) هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربيّة، يعني أيضاً أنَّها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، وهذه الإشارة القرآنيّة تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله، لأنَّ أحداً من الخلق لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعده حتى أواخر القرن العشرين.

الباب الرابع

التحذير من أخطار اليهود



حادي وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في تقرير القرآن الكريم لأبرز صفات اليهود

95 - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

على الرغم من كل النبل والسماحة وكرم الخلق الذي وضعه رسول الله ﷺ في دستور المدينة، إلا أن يهودها قد عادوه عداءً مليئاً بالنذالة والخسة والحقارة. وذلك بسبب أنهم (أي: اليهود) كانوا قد خرجوا على دين الله، وانحرفوا عن منهجه، وحاربوا أنبياءه وأولياءه، وتحولوا إلى حالة من حالات الأمراض النفسية المليئة بالكبر الكاذب، والعلوية المصطنعة، والغطرسة والإحساس الزائد بالذات، وبعقدة الاستعلاء على الخلق. وانطلاقاً من ذلك لم يكن ممكناً ليهود المدينة أن يقبلوا بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ (وهو ليس منهم)، على الرغم من وجود اسمه وصفته فيما كان قد بقي بين أيديهم من أخبار.

فقد كانت دعوة موسى عليه السلام قائمة على أساس من التوحيد الخالص لله، وانحرف اليهود في حياته عن التوحيد فعبدوا العجل، وزاد انحرافهم من بعده بالانحطاط إلى صور متعددة من الشرك، وإن ادعوا أنهم أمة التوحيد، وتخيلوا أنه مزية لهم فوق شرك الوثنيين في قلب الجزيرة العربية، وتثليث المسيحيين على أطرافها الغربية والجنوبية.

وجاء رسول الله ﷺ من صميم العروبة (والعرب من الساميين) يدعو إلى التوحيد الخالص لله، وعلى الرغم من ذلك رفض اليهود دعوته، وتآمروا عليه،

ونقضوا كل عهودهم معه، وتعاونوا مع أعدائه الوثنيين، وألّبوا عليه القبائل، وحاولوا سمَّه وقتله، ولكن الله ـ تعالى ـ نجّاه من كيدهم، ونصره عليهم.

فقد روى ابن إسحاق عن عاصم عن قتادة عن أشياخ من قومه أنهم قالوا في اليهود: «**كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إن نبياً يُبعث الآن نتبعه قد أطلّ زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش اتبعناه وكفروا هم به، وفي ذلك نزل قوله ـ تعالى ـ:** ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: 89].

وبالفعل كان بنو إسرائيل قد خرجوا على شريعة الله التي أنزلها على نبيّهم موسى عليه السلام فعبدوا العجل. ولذلك جاءهم الإنذار الإلٰهي الذي يناسب طبيعتهم المتمرّدة الغليظة. وكان هذا الإنذار في هيئة رفع جبل الطور فوق رؤوسهم، يتهدّدهم بالوقوع فوقهم إذا هم لم يخضعوا لأوامر ربّهم، ويستسلموا لما كتب عليهم من تكاليف، ويعلنوا العهد والميثاق مؤكّداً غليظاً بالالتزام بذلك. وكان في هذا الميثاق أن يدخلوا سجّداً إلى بيت المقدس الذي حرّمه الله ـ تعالى ـ يوم خلق السماوات والأرض كما حرَّم مكة المكرمة من قبله بأربعين سنة، وأن يعظموا السبت الذي استبدلوا يوم الجمعة به، وطلبوا أن يكون لهم عيداً. أعطى بنو إسرائيل العهد والميثاق على ذلك، ولكن بمجرّد إنزال الجبل من فوق رؤوسهم إلى الأرض وزوال التهديد عنهم، نقضوا كلّ عهد كانوا قد عاهدوا الله ـ تعالى ـ عليه. واستمروا بعد ذلك في هذا التمرد فنبذوا كل ميثاق أعطوه للّه، وكفروا بآياته وقاتلوا أنبياءه وقتلوهم بغير حق، وتعلّلوا بأنَّ قلوبهم غليظة قاسية لا تقبل النصح، ولا تعرف إلى الحق سبيلاً، فمسخ الله المغالين في الكفر منهم قردة وخنازير، على عهد الله ونبيه داود عليه السلام، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عن هؤلاء العصاة من غلاة اليهود:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: 166 ـ 171].

وقد عاود يهود المدينة إلى الموقف نفسه، ولذلك يوجّه القرآن الكريم الخطاب إلى رسول الله ﷺ بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ له:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: 153 ـ 155].

فحين دعا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يهود المدينة إلى الإيمان بالله وحده قالوا قولتهم الميئسة، والمكذبة، والمستهزئة في آن واحد: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وهنا يردّ الله ﷻ على هؤلاء الغلاة الضالين بقوله العزيز: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾. ومن معاني هذا النص الكريم أنَّ كفرهم بالله ـ تعالى ـ وعصيانهم لأوامره هو الذي جعل قلوبهم متحجّرة، قاسية جامدة، مغلّفة بسواد المعاصي فلا تُحِلُّ حلالاً، ولا تُحَرِّم حراماً، ولا تُنكر منكراً، ولا تستقبل أنوار الهداية الربانية أبداً، ولا تعرف لها معنى. وقد استثنى من ذلك عدد قليل يمثل النزر القليل منهم الذي عرف الحقّ فاتبعه، وآمن بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، واتّبع الرسالة الخاتمة التي بعث بها الرسول الخاتم ﷺ.

وعَدَّدت آيات القرآن الكريم بعد ذلك الأسباب التي من أجلها استحقّ اليهود

لعنة الله ـ تعالى ـ ولعنة ملائكته وأنبيائه ورسله والناس أجمعين، وذلك لكثرة جرائمهم عبر التاريخ والتي أورد القرآن الكريم جانباً منها في قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: 156 ـ 161].

وفي مقامات أخرى من كتاب الله يستعرض القرآن الكريم عدداً من جرائم اليهود، توعية لرسول الله ﷺ وللمسلمين من شرورهم، ويظل هذا التحذير قائماً حتى قيام الساعة.

فلقد كان كل من يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير قد وقفوا من الإسلام والمسلمين موقف العداء المليء بالنذالة والخِسّة والحقارة لمجرّد أنَّهم لم يستطيعوا قبول الإيمان بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ لمجرد أنه لم يكن منهم. ولأنَّهم كانوا قد تربّوا على وهمهم القديم بأنَّهم هم شعب الله المختار وأبناؤه وأحبّاؤه، فإنهم لم يتصوروا إمكانية خروج نبي من أنبياء الله من غير اليهود. ولذلك فإنَّهم رفضوا دعوة الرسول الخاتم، وتآمروا عليه وعلى المسلمين من حوله، ونقضوا كل عهودهم معهم، وتعاونوا مع عبدة الأوثان ضدّهم، وألبوا القبائل العربيّة عليهم، وحاولوا سمّ رسول الله وقتله. ولكن الله ـ تعالى ـ نجَّاه من كيدهم، وحفظه من شرورهم، ونصره عليهم حتى أجلاهم عن المدينة بالكامل ثم عن خيبر بعد ذلك، لكثرة خياناتهم التي يمكن إيجاز طرف منها فيما يلي.

أولاً: من خيانات اليهود في المدينة:

كان من خيانات اليهود للعهود التي قطعوها على أنفسهم لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ما يلي:

1 ـ **خيانة يهود بني قينقاع:**

وقد كانوا أوّل قبائل اليهود نقضاً لعهودهم مع رسول الله ﷺ، فحاصرتهم جيوش المسلمين خمس عشرة ليلة متتابعة، حتى اضطرّوا إلى التسليم، على أن يجلوا عن المدينة فتحرّكوا إلى «أذرعات» ببلاد الشام، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة.

2 ـ **خيانة يهود بني النضير:**

في السنة الرابعة للهجرة نقضت جموع يهود بني النضير العهود التي كانوا قد قطعوها على أنفسهم لرسول الله ﷺ. فآووا أعداء المسلمين من كفّار قريش، وأغروهم بمقاتلة رسول الله ومن معه من المسلمين، وكشفوا لهم عن نقاط الضعف في تحصينات المدينة، ثم حاولوا قتل رسول الله ﷺ وهو في ضيافتهم بقلعتهم الحصينة القريبة من مدينة «**قباء**»، فأمر بإجلائهم بعد محاصرتهم لخمس عشرة ليلة، فهاجر بعضهم إلى «**خيبر**»، وهاجر البعض الآخر إلى «**أذرعات**» بأرض الشام، وفي وصف خيانة يهود بني النضير نزلت سورة «الحشر» التي فيها يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر: 1 ـ 4].

3 ـ **خيانة يهود بني قريظة:**

نقض يهود بني قريظة عهودهم مع رسول الله ﷺ فأعانوا كفّار قريش بالسلاح **يوم بدر**، ثم انضموا إلى كفّار ومشركي كلّ من قبيلتي قريش وغطفان في غزوة **الخندق (أو الأحزاب)**. وبعد انتهاء المعركة أمر الله ـ تعالى ـ نبيّه بقتال هؤلاء

الخائنين الغادرين من بني قريظة، فحاصرتهم جيوش المسلمين في السنة الخامسة للهجرة لمدّة خمس وعشرين ليلة حتى استسلموا بالكامل، وفرّ النَّاجون منهم إلى **خيبر**. وفي وصف خيانة، وخِسَّة، وغدر، وكيد يهود بني قريظة نزل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: 51، 52].

وقال تعالى في نقضهم لعهودهم: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: 56].

4 ـ خيانة يهود خيبر:

كان يهود خيبر ومن فَرَّ إليهم من يهود بني النضير قد قاموا بدور كبير في حشد كفّار قريش ومَن ساندهم من القبائل العربيّة ضد المسلمين في «**غزوة الأحزاب**». كذلك قاموا بتحريض يهود بني قريظة على الغدر بالمسلمين وطعنهم في ظهورهم، وسخّروا أموالاً طائلة في سبيل تحقيق ذلك حتى أصبحت خيبر تمثّل خطراً حقيقيًّا على دولة الإسلام في المدينة. ولذلك قرّر رسول الله ﷺ غزو خيبر بعد أن فرغ من صلح الحديبيّة، فسارت جيوش المسلمين إليها، وحاصروا حصونها حتى سقطت الواحد تلو الآخر وتمّ تطهيرها من دنس اليهود.

هذه الخيانات اليهوديّة عرضها القرآن الكريم في العديد من آياته، ولخّصها في الآية الكريمة رقم (13) من سورة «المائدة» والتي يقول فيها ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

ومن الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا النصّ القرآني الكريم ما يؤكده التاريخ من أن نقض العهود والمواثيق، والتآمر بالغدر والخيانة، وبالكثير من الحقد والنذالة، والخِسَّة والمكر، والكيد والتشفي، والتعطّش للدماء، وحب الظلم، والحرص على

إيذاء الغير أصبحت من الصفات المحضة للشخصيّة اليهوديّة. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن اليهود كانوا وراء غالبيّة الحروب المحليّة والعالميّة، ووراء غالبيّة القلاقل والفتن، والمجازر البشريّة، وكانوا خلف كل المفاسد الاجتماعيّة، والمظالم الاقتصادية والسياسيّة، منذ أن وُجدوا على وجه الأرض. وسوف يبقى اليهود كذلك إلى قيام الساعة، وبذلك استحقوا لعنة الله وملائكته، وأنبيائه ورسله، والنّاس أجمعين. وتاريخ اليهود الأسود، وواقعهم البشع هو خير شاهد على ذلك في القديم والحديث، وتتجسّد مظالم اليهود اليوم على أرض فلسطين ـ بصفة عامة ـ وعلى قطاع غزّة الصامد ـ بصفة خاصة ـ وقد صمد أهل هذا القطاع المحاصر براً وبحراً وجواً لمجازر اليهود الوحشيّة الرهيبة التي فاقت كل وصف ببسالة وصبر منقطعَيْ النظير.

ثانياً: من أوجه الإعجاز العلمي في النصّ الكريم

منذ القدم استخدمت تعبيرات من مثل **(رقّة القلب)** و**(قسوة القلب)** في إطارها المجازي، وما كان أحد يتخيّل وجوداً حقيقيًّا لتلك الإشارات المجازيّة. ولكن ثبت أخيراً أنَّ هناك صلة وثيقة بين كلّ من القلب والمخ، وأنَّ القلب يستجيب للإشارات القادمة إليه من المخ، ويرسل إليه من الإشارات والأوامر أكثر ممَّا يتلقّى منه. ويتم ذلك عن طريق الخلايا العصبيّة التي اكتشفت أخيراً في كلّ من عضلة القلب وغشائه، وأنَّ القلب يتّصل بالمخ عصبيًّا من خلال عدد من النبضات والناقلات العصبيّة، كما يتّصل كيميائيًّا عن طريق الهرمونات، ويتّصل كهرومغناطيسيًّا بواسطة الموجات الكهربائية والمغناطيسيّة. وعلى ذلك فإنَّ المعلومات تتبادل باستمرار بين المخّ والقلب، وأنَّ للقلب تأثيراً هائلاً على القرارات التي يتَّخذها المخ. فإذا كان الإنسان ذا نفسية سويّة، وتربية صحيحة انعكس ذلك على كلّ من قلبه ومخّه وقراراته، **ووصف قلبه بالرقّة**. وعلى النقيض من ذلك فإن كان الإنسان ذا نفسيّة مريضة كالنفسيّة اليهوديّة (التي تتربّى منذ نعومة الأظفار على الفرية الكبرى بأنَّ اليهود هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّاؤه، وأنَّ غيرهم من البشر عبارة عن حيوانات

خلقت في هيئة آدميّة حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود) فإنَّ قلوبهم تمتلئ كراهيّة، واستهانة، واحتقاراً، لكلّ من هو غير يهودي، حقداً عليهم، ورغبة في استعبادهم واستغلالهم، وحبًّا في التآمر عليهم فتتحول تلك القلوب إلى **قلوب متحجّرة قاسية**، لا تعرف الرحمة إليها سبيلاً. من هنا فإنَّ الوصف القرآني بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عن اليهود: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13] جاء وصفاً معجزاً، لأنَّه وصف حقيقي لطبيعة القلب اليهودي. ومظالم اليهود القديمة الرّاهنة على أرض فلسطين، ومجازرهم المتعددة عبر التاريخ، وحديثاً في المنطقة العربيّة ـ منذ أن ابتليت بغرس كيان غريب لليهود في قلبها هو خير دليل على ذلك. وهذه الخليّة السرطانيّة الصهيونيّة المفسدة التي غرست في قلب العالم العربي لتدميره لا علاج لها إلَّا الاجتثاث الكامل من المنطقة، فلا صلح، ولا سلام، ولا معاهدات، ولا تعايش يمكن أن يتحقّق معها.

من الدلالات الإنبائيّة والتاريخية للنصّ الكريم:

1 ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: 13]:

لقد كفر اليهود ـ في غالبيتهم ـ على زمن عبد الله ونبيه موسى عليه السلام، فعبدوا العجل، وتركز الكفر من قلوبهم في أزمنة أنبيائهم العديدين، فقاتلوهم وقتلوهم عدواً بغير علم. وعاودوا الكفر بتحريف التوراة وبيعها قراطيس للناس، وازداد الكفر تمكّناً من قلوبهم زمن عبد الله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم، فأنكروا نبوّته، وشوَّهوا كلا من سمعته وسمعة والدته ـ شرَّفها الله ـ وأعلنوا عليه حروب الشياطين، وحاولوا دفع الرومان إلى صلبه ولكن الله ـ تعالى ـ رفعه إليه، واندسّوا بين تابعيه في محاولة لصرفهم عن دين الله، وأصروا على تزويره وتشويهه حتى أخرجوه عن إطاره الرباني بالكامل.

كذلك كفر اليهود ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وتآمروا عليه، ونقضوا جميع عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا مع الكفّار والمشركين ضده، وألبوا عليه القبائل العربيّة لمحاربته، وحاولوا سمّه وقتله، وأغرقوا في الدسّ عليه

بالإسرائيليّات لولا أنَّ الله ـ تعالى ـ قد تعهّد بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً فحفظت. من أجل ذلك كلّه لعن اليهود بأمر ربّ العالمين، كما لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: 13] أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم، وطردناهم من رحمتنا لبعدهم عن الهدى ودين الحق. وتاريخ عصاة اليهود على الأرض يؤكّد حقيقة طردهم من رحمة الله عقوبة لهم على نقض مواثيقهم مع الله ـ تعالى ـ ومع أنبيائه، ومع غيرهم من خلق الله.

2 ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

تربى غلاة اليهود ـ ولا يزالون يتربون ـ على فرية كبيرة مؤداها أنَّهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّاؤه، وإنَّ من هم غير اليهود (الأُميين أو الأُمميين أو الأغيار أو الجويم) هم ـ بزعمهم الباطل ـ حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. ومن هنا كان الأغيار في وهم اليهود عبيداً لهم، لا يجوز التعامل معهم بأي قدر من الإنسانيّة أو الرحمة. وحبّ الأغيار في كتب اليهود هو بغض للّه ـ تعالى ـ، والمحسن إليهم يميته الرّب، وخيانتهم والتآمر عليهم وقتلهم يعتبر من القربات إلى الله كما يدعون، ولذلك وصفهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، وتاريخ اليهود على الأرض ـ بصفة عامّة ـ وفي منطقتنا العربيّة ـ بصفة خاصّة ـ هو تجسيد لهذه الحقيقة القرآنيّة.

3 ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: 13].

في نهاية القرن السادس قبل الميلاد غزت جيوش البابليين أرض فلسطين (وكان ذلك في حدود سنة 586ق.م.) ودمّروا مدينة القدس، وفي أثناء ذلك التدمير فقدت التوراة. وبعد حوالي قرنين من الزمان (في حدود ما بين 440، 368ق.م) قام عدد من حاخامات اليهود بقيادة كل من نحميا وعزرا (أو عزير)

بإعادة كتابة التوراة من الذاكرة، وكان ذلك بعد وفاة عبد الله ونبيه موسى بن عمران بحوالي ثمانية قرون. وفي أرض المنفى ببابل فرض حاخات اليهود على أتباعهم شريعة من تأليفهم، كانت غاياتها تنظيم اليهود تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على العالم.

ومع ضياع أصول التوراة ابتدع حاخامات اليهود في دينهم، وحرّفوا معتقداتهم، وأشركوا (عزيراً) في عبادة الله، وادّعوا بنوته للخالق العظيم ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ واستخدموا الدين تجارة رخيصة، وانغمسوا إلى آذانهم في ماديات الحياة، وبالغوا في الحرص عليها إلى حد البخل والشح اللذين اشتهروا بهما. ونتيجة لذلك انقسم اليهود إلى العديد من الفرق التي كان منها ما يلي:

1 ـ فرقة الكتبة الفريسيين أو الفريزيين (The Pharisees): وهي فرقة يهودية متشددة ظهرت بين القرنين الأول قبل الميلاد، والميلادي الأول، وتمسكت بكل من التراث اليهودي الشفوي والمكتوب، ولكنه كان تمسكاً بحرفية النص لا بروحه، وادعت قداسة علوية كاذبة لأفرادها. لذلك لامهم المسيح بشدة على تزمتهم الكاذب، ونفاقهم الواضح، فكانوا في طليعة مَن حاربوه وقاوموا دعوته.

2 ـ فرقة الزادوكيين (The Zadocians = The Saducees): وهي فرقة يهودية تنسب إلى زادوك (Zadoc) الذي أسس مذهباً يهودياً جديداً في الفترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد، والميلادي الأول. وهذا المذهب رفض التراث الشفهي، وقبل التراث المكتوب فقط، ولذلك قاوم مذهب الكتبة الفريسيين. والزادوكيون **أنكروا كلا من قيامة الموتى (أي: البعث بالجسد) والحساب، كما أنكروا وجود كل من الروح والملائكة، والشياطين.**

هذا بالإضافة إلى العديد من الفرق الأخرى مثل فرق **«القرائين»**، **«السامريين»**، **الإسيين (الإسينيين)**، **الأبيونيين**، و**«الدونمة»**، و**«الحسيدم»**، **«الحاخامية اليهودية»** (Rabbinical Judaism)، **«اليهودية الأرثوذكسية»** (Orthodox Judaism)، **«اليهودية المحافظة»** (Conservative Judaism)، **«اليهودية الإصلاحية»** (Reformed

Judaism)، و«**اليهودية المتحررة**» (Libral Judaism).

وعلى الرغم من ذلك فإن لتوراة موسى عليه السلام في الإسلام منزلة سامية، وإن كان اليهود قد أشبعوها تحريفاً وتزويراً ودسًّا على الله ـ تعالى ـ. ويهود اليوم **يعتبرون التوراة متجسّدة في الأسفار الخمسة الأولى ممَّا يعرف باسم «العهد القديم»**. وهذه الأسفار الخمسة لم تدوّن إلاَّ في عهد عزرا، أي: بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من ثمانية قرون. ثم أضاف أحبار اليهود إلى الأسفار الخمسة الأولى هذه، عدّة أسفار مختلفة (39 ـ 42 سفراً) ممَّا جعلها محل جدل في أوساطهم الدينيّة حتى اليوم.

ويجمع دارسو «العهد القديم» على أنَّ «**سفر حزقيال**» وضع أوَّلاً، ثم ركبت حوله بقية الأسفار الموضوعة، ولذلك كان لليهود أكثر من توراة من مثل «**التوراة البابليّة**»، و«**توراة القدس**»، و«**التوراة البيضاء**»، و«**التوراة السامريّة**»، و«**التوراة السبعينيّة**»، و«**التوراة العبريّة**»، و«**التوراة اليونانيّة**» وغيرها. وبين هذه النسخ اختلافات جوهريّة عديدة تشير إلى عبث الأصابع اليهوديّة بها.

والشكّ في أسفار «العهد القديم» أثارته مؤسسات ومجامع يهوديّة ومسيحيّة عديدة كانت منها **الكنيسة البروتستانتية** التي حذفت أكثر من سبعة من أسفاره هي: **أسفار «باروخ»، و«طوبيا»، و«يهوديت»، وسفرا «المكابيين الأوَّل والثاني»، وأجزاء من سفري «أستير ودانيال»**.

وقد استمرّ اليهود في تحريف كتبهم على مدى يزيد على (2500) سنة، وخدعوا العالم بأنَّهم هم أصحاب العهود لا غيرهم، بدعوى أنَّهم لا يزالون عرقاً صافياً من الساميين، وأنَّهم يمثلون يهود توراة موسى. وهذا محض افتراء لأنَّ اليهوديّة (كغيرها من الأديان السماويّة) قبلتها أعراق متعدّدة. ومن هنا كان الادّعاء بنقاء العرق اليهودي هو ادّعاء كاذب ينكره علم الأجناس، وينكره دخول الكثير من اليهود في الديانة النصرانيّة ثم في الإسلام، كما ينكره وجود أعراق متعددة بين

اليهود والمتهوّدين المعاصرين.

ويكفي لإثبات ذلك أنَّ يهود «الخزر» (The Chazar or the Khazar Jews) (وهم يهود كلّ من روسيا وأوروبا الشرقيّة) يشكّلون أكثر من (92%) من مجموع يهود اليوم. **وشعب الخزر** كان شعباً وثنياً قديماً (تركي ـ مغولي ـ تتري الأصل) عاش في المنطقة بين وادي الفولجا ووادي الدانوب، وبين البحرين الأسود وقزوين. وعلى ذلك فإن الخزر لا علاقة لهم بالمنطقة العربيّة، ولا بالأُصول الساميّة. وقد أقام هذا الشعب في الفترة ما بين القرنين الثاني والعاشر الميلاديين مملكة وثنيّة حول بحر قزوين عرفت باسم «**مملكة الخزر**». شقّت طريقها إلى أوروبا الشرقيّة عبر سلسلة من الحروب الدمويّة استمرّت لعدّة قرون.

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي (سنة 750م) وصل إلى مملكة الخزر عدد من حاخامات اليهود الذين ساوموا ملك الخزر [وكان اسمه الملك بولان (Bulan)] بأساليبهم الملتوية، (والقائمة على أن الغاية تبرر الوسيلة) على قبول اليهوديّة ديناً فتهود، وأجبر أهل مملكته على التهود بإعلان اليهوديّة ديناً رسميًّا لمملكة الخزر.

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (في حدود سنة 969م) تمكّنت الإمبراطوريّة الروسيّة من غزو مملكة الخزر وتدميرها، فهاجر معظم سكّانها إلى دول أوروبا الشرقيّة، ومنها رحلوا إلى أوروبا الغربيّة ثم إلى الأمريكتين، ومن بقي منهم مثلوا يهود الإمبراطوريّة القيصريّة الروسيّة، وهؤلاء يعرفون باسم «**الإشكنازيم (أو السكناج**) = The Ashkenazim or the Hasidic Jews» أو يهود أوروبا الشرقيّة.

أمَّا غير الخزر من اليهود فيشكّلون أقل من (8%) من مجموع يهود العالم اليوم، وهم يهود آسيا وأفريقيا وبلاد الأندلس، ويعرفون باسم «**الأسفارديم**» (أو السفارة أديم = The Sephardim or the Sephardic Jews). وهذا يبطل الادّعاء الكاذب بنقاء العرق اليهودي من الاختلاط بأيّة أعراق أخرى.

من هنا فإنَّ التعبير القرآني «**بنو إسرائيل**» ليس تعبيراً عرقيًّا لأنَّ القرآن الكريم

يؤكّد وحدة الجنس البشري، كما يرد الناس جميعاً إلى أب واحد، وأُم واحدة (هما أبوانا آدم وحواء عليهما السلام). وبالتالي فإن الاسم «**بنو إسرائيل**» يأتي تعبيراً عن جماعة من الناس من أعراق مختلفة، يجمعها قدر مبالغ فيه من الأنانيّة شجعها على الاعتقاد الخاطئ بأنّهم وحدهم هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّاؤه، وأنَّ غيرهم من الخلق عبارة عن حيوانات في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين على القيام بخدمة اليهود، وإنَّ الربّ هو ربّ إسرائيل والإسرائيليين فقط، وإنَّ الأغيار (الأميين) لا ربّ لهم، ومن هنا فإنَّ استباحة دماء الأغيار، وأعراضهم، وأموالهم، وأراضيهم هي حلال عند اليهود، بل ويعتبرونها قربة يتقرّبون بها إلى الله. وانطلاقاً من ذلك برع اليهود في التعصّب ضد كل مَن هو غير يهودي، وأساؤوا إلى الإنسانسة إساءات بالغة عبر التاريخ.

وقد أفاض القرآن الكريم في وصف ملامح الشخصيّة اليهوديّة، وخصائصها الذاتيّة، والأمراض النفسيّة التي صاغت تلك الشخصيّة اليهودية. وقد جعلت هذه الأمراض منها الشخصية المتغطرسة المتجبّرة المتكبّرة، المستعلية على الخلق بالباطل، القاسية القلب، إلى حدّ الوحشية والهمجيّة، وإلى حد التفنن في الغدر بالآخرين، ونقض العهود والمواثيق، والحقد على غيرهم من البشر، والحسد لكلّ نجاح، والإصرار على الإفساد في الأرض، وعلى إشاعة الفواحش بين الناس، وعلى هدم كل قيمة أخلاقيّة وكل فضيلة. ولذلك قتل اليهود أنبياء الله، وأوقدوا نيران الحروب وأشعلوا الفتن على سطح الأرض، وأكثروا من الخروج على الفطرة السوية، واستباحوا كل الحرمات والمحرمات.

4 ـ في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13].

يعترف «**العهد القديم**» بأنَّ توراة موسى قد فقدت، ولذلك أخذ اليهود يكتبون عنها من الذّاكرة ما تناقله كلّ من الأجداد والأباء إلى كل من الأحفاد والأبناء عبر أكثر من ثمانية قرون كاملة، وتمت هذه الكتابات في زمن «عزرا». وقد استغرقت كتابة التوراة الموضوعة قرابة قرن من الزمان وبذلك اكتملت كتابتها بعد أكثر من

ثمانية قرون على الأقل من موت موسى عليه السلام. ولذلك قال تعالى في اليهود: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: 41].

وقال ـ عزّ من قائل ـ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: 44].

ثم فقدت كتابات «عزرا» أيّام اجتياح كل من «أنطيوخس الثالث والرابع» لأرض فلسطين في الفترة (من 198ق.م إلى 164ق.م) ثم في أيام استباحة «هيرودوس» الروماني ـ الأدومي للقدس بعد ذلك في الفترة (من 38ق.م إلى 4ق.م).

وفي ظل ضياع أصول «التوراة» ابتدع حاخات اليهود كتاباً سمُّوه باسم **«التلمود»** (The Talmud) كتبوه على هيئة مجموعة من القوانين المدنية والاحتفالية. وقد استغرقت كتابة «التلمود» عدة قرون، ثم قسم إلى (**«المشنا» أو«المشناه»** **(The Mishnah)** و**«الجمارة»** **(The Gemara)**. و**«المشنا»** هي مدونة للقوانين الشفهية التي وضعها الحاخام جودة هاناشي (Judah haNasi) في القرن الميلادي الثاني، وتشمل القواعد، والوصايا، والتقاليد الدينية والأدبية، وتسمى تجاوزاً باسم **«الشريعة الشفهية للديانة اليهودية»**.

أما **«الجمارة»** فتشمل عدداً من التعليقات والشروح على «المشنا» باللغة الآرامية، تمت كتابتها في القرن الخامس الميلادي. وبالإضافة إلى كل من «المشنا» و«الجمارة» أضيف إلى التلمود ما يعرف باسم **«المدراش» (Midrash)**، وهو مجموعة من التعليقات القديمة على عدد من الكتابات في الديانة اليهودية.

وعند بعثة المسيح ـ على نبيّنا وعليه وعلى أنبياء الله جميعاً من الله السّلام ـ قام اليهود بحرق ما كان قد بقي بأيديهم من التوراة لإخفاء البشارة بنبوّته، وكرروا ذلك بعد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من أجل إخفاء البشارة ببعثته الشريفة كذلك. وقد

قام دهاقنة اليهود بصياغة عدد كبير من الكتب التي أضافوها إلى الأسفار الخمسة الأولى، وكان ذلك **في القرن السابع الميلادي** بأوامر من **محفل الشورى اليهودي**. ولم تطبع هذه الأسفار مجتمعة إلاَّ في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تحت مسمى «**العهد القديم**» وهو مسمى من وضع البشر لأنَّ الله ـ تعالى ـ لم ينزل كتاباً بهذا الاسم. وحتى هذا المؤلّف ظلَّ يتعرّض للتحريف بعد التحريف وللتعديل تلو التعديل، وللإضافة والحذف إلى يومنا الرّاهن، ولذلك قال ربّنا ـ تبارك اسمه ـ في اليهود:

﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 13].

5 ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ﴾ [المائدة: 13].

الخطاب هنا من الله ـ تعالى ـ إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يقول له فيه: إنَّه بسبب نقض اليهود لعهودهم فقد استحقّوا الطرد من رحمة الله ـ تعالى ـ، وقست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشدّ قسوة، وأخذوا يحرِّفون كلام الله ويصرفونه عن معانيه إلى ما يوافق أهواءهم المريضة، فتركوا نصيباً وافياً ممَّا أمرهم الله ﷻ به. ويضيف ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ستظلّ أيُّها الرَّسول الخاتم، وستظلّ أُمَّتك من بعدك ترى من اليهود ألواناً من الغدر والخيانة، والمكر والوقيعة، ونقض العهود والمواثيق تفوق كل وصف، إلَّا نفراً قليلاً منهم آمنوا بك فلن يخونوا ولن يغدروا.

وظلّ هذا هو حال غالبية اليهود في العالم كله ـ بصفة عامة ـ، وفي المجتمع الإسلامي ـ بصفة خاصة ـ، وهو المجتمع الذي آواهم، ورفع عنهم اضطهاد المضطّهدين، وعاملهم بالحسنى، ولكنَّهم كانوا دائماً يضمرون له الغدر والمكر والخيانة، حتى جازوه جزاء سنمار.

ووحشية اليهود الفائقة على أرض كل من فلسطين ولبنان، وعلى جميع الأراضي العربيّة المحيطة بكيانهم الغريب على المنطقة غربة كاملة، ـ والذي زرعوه بمؤامرة دولية ـ ظلّ على مدى أكثر من نصف قرن يمثل أبشع شاهد على خيانة

اليهود وغدرهم، لتبقى خياناتهم علامة عليهم، إلَّا قليلاً ممَّن آمن منهم ببعثة الرسول الخاتم.

وهذا النصّ القرآني الكريم **يجسّد لنا صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب** الله لأنَّه لم يكن ممكناً لأحد من الخلق أن يتخيّل إمكانيّة وجود هذا الكمّ من الحق في كتاب أُنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيّ أُمّي ﷺ وفي أُمّة كانت غالبيّتها الساحقة من الأُمّيين.

96 ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74].

من الدلالات الإنبائيّة والتاريخيّة والعلميّة في الآية الكريمة ما يلي:

أولاً: كشف دخائل النفس اليهوديّة المريضة:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الخطاب الإلٰهي إلى العصاة من بني إسرائيل، وقد قست قلوبهم قسوة لا تدانيها قسوة. وكانت هذه القسوة الشديدة منهم على الرّغم من كل صور الهداية الربّانيّة التي أنزلت إليهم فرفضوها، وكل النِّعم التي أفاء الله ـ تعالى ـ بها عليهم فكفروا بها، ولم يشكروها. وعلى الرغم كذلك من كل الآيات والمعجزات المبهرة التي شاهدوها وجحدتها نفوسهم المريضة، ولم تتحرَّك بها قلوبهم القاسية، التي تصفها الآية الكريمة بأنَّها كالحجارة أو أشد قسوة، وتضيف:

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

ومن قبل، رأى العُصاة من بني إسرائيل كيف ضرب نبيّ الله موسى الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً. ورأوا كيف اندكّ الجبل لما تجلّى الله ـ تعالى ـ له، وخرّ موسى عليه السلام صعقاً. وعلى الرغم من ذلك كله لم تلن قلوبهم، لأنَّها قلوب كافرة، قاسية، جاحدة، فجاء ختام الآية الكريمة بهذا التهديد والوعيد الإلٰهي: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

ويهود اليوم فاقوا في قسوة قلوبهم يهود الأمس بكثير، وذلك لتراكم خبراتهم في الشرّ. والتآمر ضد البشر، والكيد لهم عبر آلاف السنين التي مضت بين زمن موسى عليه السلام واليوم. وعلى ذلك فإنَّ الآية تنطبق عليهم بأشد ما انطبقت به على العصاة من بني إسرائيل لأن جميع مشاكل عالم اليوم هي من تخطيط وتنفيذ اليهود ـ على قلتهم ـ خاصة الذين انخرطوا منهم تحت مظلة الحركة الصهيونية العالمية. . . !!

ومن ذلك يتَّضح **أنَّ اليهوديّة الحالية ليست ديناً من الأديان،** بقدر ما هي حالة مرضيّة تعتري الفطرة السوية، فتخرجها عن إطارها الإنساني إلى دائرة الشياطين. فكما كفر شياطين بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فعبدوا **العجل،** فإنهم كفروا على عهد أنبيائهم **فقاتلوهم وقتلوهم.** وكما تجرَّأوا على دين الله فحرَّفوه، وابتدعوا فيه، وكذبوا على ربّ العالمين، وضللوا الملايين؛ **فإنهم نقضوا كل العهود والمواثيق التي أبرموها، وكتموا ما أنزل** الله ـ تعالى ـ عليهم من كتاب، واشتروا به ثمناً قليلاً. وكما تآمروا على خيانة خلق الله، وإفسادهم، **وإشاعة الفاحشة بينهم،** من أجل ابتزازهم وسرقة أموالهم، فإنهم كفروا باللَّه على عهد عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فكذّبوه، وطاردوه، وحرضوا عليه كفرة الرومان، وأساؤوا إلى سمعته وحاولوا تلطيخ شرف أُمّه (شرفها الله)، كما حاولوا قتله وصلبه وتشويه رسالته. وكما كفروا باللَّه على عهد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فنقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، **وتآمروا مع عبدة الأوثان ضده،** وألبوا كل أهل الكفر عليه، **فإنهم حاولوا سمّه وقتله،** كما **حاولوا الدسّ** على رسالته لولا أنَّ الله ـ تعالى ـ قد تعهد بحفظها فحفظت.

وتكفي في ذلك الإشارة إلى دور الحركات الصهيونية العالمية وأذرعها المتعددة والمنتشرة في العالم كله من أجل تخريبه، وذلك من أمثال **الحركة الماسونية العالمية (أو حركة البنّائين الأحرار).** ومن هذه الأذرع الصهيونية **نوادي الروتاري، والليونز، والإنرهويل، الروتراكت، حيروت، الإنتراكت،** نبي برت (أو أبناء العهد) **وغيرها من مخططات المشروع التلمودي التدميري للعالم الذي كان وراء الحربين العالميتين**

الأولى والثانية، ولا يزال يقف من وراء كل حرب، ومفسدة، وفتنة في العالم.

والدليل على أنَّ اليهوديّة هي حالة من حالات الأمراض النفسيّة المستعصية، أنَّ متهوّدي اليوم (وهم ليسوا في غالبيتهم الساحقة من سلالات بني إسرائيل) لهم القلوب القاسية نفسها التي تفوق الحجارة قسوة. فقد اشتهروا بالكفر والشرك، والفسوق والعصيان، والكذب والتحايل، واللّجاجة والمناورة، والالتواء والتآمر، والدسّ والخديعة، والخيانة والغدر. وصاحب ذلك في السلوك اليهودي كل صور الظلم والإرهاب، ونقض العهود والمواثيق، والتزوير والتزييف، وأكل أموال الناس بالباطل، وخيانة الأمانات، والقسوة البالغة في التعامل، والغلظة المتناهية إذا كان بيدهم شيء من القوّة، والتظاهر بالاستكانة والذلّة والضعف حتى يتمكّنوا إذا كانوا أمام مَن هو أقوى منهم. لذلك لعب اليهود عبر التاريخ دور شياطين الإنس في كل عصر وفي كل مصر؛ كذلك أتقن اليهود التآمر في الظلام حتى ملكوا زمام العالم وأصبحوا يديرونه في الخفاء حسب أهدافهم الشريرة، ومطامعهم الكثيرة، ونفسياتهم المريضة، في غفلة من المسلمين بعد أن نجح اليهود في صرفهم عن دينهم، ولا حول ولا قوّة إلّا باللَّه العليّ العظيم...!!

وليس أدل على قسوة قلوب اليهود من جرائمهم التي ارتكبوها في حقّ كلّ الأُمم التي احتضنتهم وآوتهم بدءًا من دولة الخلافة الإسلاميّة التي أسقطوها، إلى ألمانيا التي تآمروا على خرابها، والاتحاد السوفييتي الذي دمّروه، إلى الولايات المتحدة ودول أوروبا الشرقيّة والغربيّة التي حطّموا كل قيمة إنسانيّة فيها!!.

ويتعاظم إجرام متهوّدي اليوم على أرض فلسطين (الدولة العربيّة الإسلاميّة لأكثر من أربعة عشر قرناً) والتي سرقها اليهود من أهلها، واغتصبوها من بين أيدي أبنائها بمؤامرة دوليّة حقيرة، حاكتها الحركة الصهيونية العالمية برعاية كل من بريطانيا وفرنسا، ثم تبنّت إثمها الولايات المتحدة الأمريكية ودول الوحدة الأوروبية. واليهود المحتلون للأراضي الفلسطينية فَجرَوا في معاملة المدنيين العزّل، الذين يقاتلونهم اليوم بشراسة لم تعرف لها البشريّة مثيلاً في غلظتها

وقسوتها، وتجبّرها، واستعلائها. وهم يوظفون في ذلك أحدث الآلات العسكريّة الأمريكيّة تطوراً: من الأسلحة المحرَّمة دوليًّا، وغير المحرّمة. وتستخدم هذه الأسلحة في كل يوم لهدم المنازل، والمدارس، والمستشفيات، والمساجد، وغيرها من دور العبادة، كما توظّف في تجريف الأراضي الزراعيّة وحرق كل ما عليها من الأشجار والثمار والمحاصيل، وفي حصار المدن وتدمير جميع بنياتها الأساسيّة، والخدمات الواصلة إليها. وليس هذا فقط بل برع الإسرائيليون في الحيلولة دون إسعاف المصابين، وتركهم ينزفون حتى الموت، وفي منع علاج الحوامل والمرضى المزمنين، وحرمانهم من الإسعافات الأوليّة، والعلاجات الضروريّة لهم. بل تفننوا في قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والشبان، وفي اعتقال مَن لا يقتلون منهم لتعذيبهم بوحشيّة بشعة في سجونهم ومعتقلاتهم!! وإن يَنْسَ المجتمع الدولي كل هذه الجرائم غير الإنسانيّة، وغير الأخلاقيّة، فلن ينسى اغتيال الطفل (محمَّد الدرّة) بدم بارد وهو يحتمي بحضن أبيه الفزع المفجوع!! ولن ينسى تجريد الأسرى من ملابسهم، واقتيادهم إلى ساحات التعذيب معصوبي الأعين، ومقيدي الأيدي والأرجل كما فعل الأمريكان المتهوّدون من قبل في سجون كل من أفغانستان، والعراق، وجوانتانامو وغيرها من السجون. . .!! ولن ينسى كل حر في العالم مذابح دير ياسين، وقبية، وصبرا وشاتيلا، وبحر البقر، وأبي زعبل، وبيروت، وجنين، وغزة، وغيرها، ولا حول ولا قوّة إلّا باللَّه العليّ العظيم. . .!!

ثانياً: إثبات العلاقة بين القسوة الماديّة للحجارة والقسوة المعنويّة لقلوب اليهود:

في هذه الآية الكريمة يعقد ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ وهو العليم الخبير ـ مقارنة بين القسوة الماديّة للحجارة، والقسوة المعنويّة لقلوب الفسقة العصاة من الصهاينة المتهودين. والآية الكريمة تؤكد أن قلوب اليهود ـ المليئة بالكراهيّة لجميع مَن غايرهم من البشر، وبالحقد والغلّ عليهم، والرَّغبة الدفينة في خيانتهم،

وإيذائهم والغدر بهم ـ هي أشدّ قسوة من الحجارة لأنَّها لا تلين أبداً، بينما من الحجارة ما يلين فتتفجَّر منه الأنهار، أو يتشقق فيخرج منه الماء، أو يهبط من خشية الله. . . !!

وبقدر دقّة هذا الوصف الإلٰهي للنفسيّة اليهوديّة المريضة، والخارجة على منهج الله وهدايته، والمليئة بالأسقام والعلل، جاء هذا الوصف العلمي الدقيق للحجارة، وتفاوتها في درجات القساوة على قدر كبير من الدقّة العلميّة والشمول والإحاطة على الرّغم من ورود ذلك في مقام التشبيه.

ثالثاً: قسوة الحجارة:

تعتبر قسوة الحجارة (Stiffness of Stones) واحدة من أهم خصائصها الميكانيكيّة، وتعتمد على نشأة الحجر، وتركيبه الكيميائي والمعدني، وبنيته، ونسيجه، كما تعتمد على تاريخه في الأرض، وعلى التغيّرات التي تعرّض لها عبر ذلك التاريخ. وهذه العوامل منفردة أو مجتمعة تؤثر في شدّة تماسك مكونات الصخر، وقدرته على مقاومة العديد من العمليّات الأرضيّة من مثل الانضغاط (Compressibility or Compaction)، والإجهاد القصي (Tenacity, Resistance, or Shear Stress or Stress Stain)، وهي أبعاد لا بدَّ من قياسها عند تقويم درجة متانة الحجر، وقدرته على تحمّل المنشآت عليه، أو الحفر فيه (للتعدين أو شقّ الترع والخنادق وغيرها).

وانضغاطيّة الحجر (أو قابليته للانضغاط = Compaction) تعني قابليته للهبوط تحت تأثير الأحمال الواقعة عليه، ويعتمد ذلك ـ فيما يعتمد من عوامل عديدة ـ على مساميّة الحجر، وقدرته على إنفاذ الموانع (نفاذيته)، وتركيبه البنيوي، ووزن الأحمال المسلطة عليه. وفي ذلك تقسم الأحجار إلى: قليلة، ومتوسّطة، وشديدة الانضغاط.

وبالنسبة لمتانة الأحجار (أو قدرتها على مقاومة الإجهاد القصي أو الاستجابة له ممَّا يؤدي إلى إعادة توزيع القوى الداخليّة للحجارة) فإنَّها تقاس بمعاملي القدرة

على مقاومة الاحتكاك، وشدّة تلاصق المكوّنات، وكلاهما يعتمد كذلك على نشأة الحجر، وتركيبه المعدني والحبيبي أي: على صفاته الميكانيكيّة، والروابط بين مكوّناته، ودرجة الرطوبة فيه.

وتتعرّض الحجارة في الغلاف الصخري للأرض لأنواع مختلفة من الإجهاد الخارجي والداخلي، ويتمّ ذلك في الحالة الأولى نتيجة للضغط الخارجي عليها بواسطة وزن كتلة الصخور التي تعلوها، أو بواسطة الضغوط الجانبيّة الناتجة عن تحرّك ألواح الغلاف الصخري للأرض في اتجاه التصادم والتضاغط، أو في اتجاه الشدّ والتباعد. وينتج عن ذلك العديد من البنيات الأرضيّة من مثل خطوط التصدّع، والفواصل، والتشققات الأرضيّة التي تؤدّي إلى تفجّر الماء المخزون تحت سطح الأرض. وفي حالة الضغوط الداخليّة فإنَّ ذلك يتمّ بواسطة الموائع المختزنة في الحجارة (من مثل الماء، أو النفط، أو الغاز).

وكل من **الإجهاد الخارجي، والإجهاد الداخلي للأحجار** قد يكون قويًّا أو ضعيفاً، وقد يكون سريعاً أو بطيئاً، وقد يكون في اتجاه واحد أو في أكثر من اتجاه. والنتيجة النهائيّة تعتمد على شدّة ذلك الإجهاد، وعلى نوع الحجارة، وعلى الظروف المحيطة بها من الضغط ودرجة الحرارة. وتتمثّل استجابة الحجارة للإجهاد في عدد من التغيّرات الملحوظة في الحجم والهيئة قد تنتهي بتقليل قسوتها، وتكيُّفها بالتصدّع أو التشقق أو التكسّر، وحينئذ يفيض منها الماء.

وكل من الجبال والمرتفعات الناتجة عن العمليّات الأرضيّة المختلفة يتمّ بريها بواسطة عمليّات التعرية المختلفة، ومنها عمليات النحر الرأسي للمجاري المائيّة، وتكوين كل من المساقط والشرف النهريّة، والفجاج العميقة التي تعين على تفجير الماء المخزون تحت سطح الأرض.

رابعاً: الخصائص المائيّة للحجارة ودورها في تليين قسوتها:

ينزل على الأرض سنويًّا ما مجموعه 380,000 كيلومتر مكعّب من ماء

المطر، الذي يتبخّر أصلاً من بحارها ومحيطاتها، ومن المسطحات والمجاري المائيّة على اليابسة، ومن الأنشطة الحياتيّة المختلفة كنتح النباتات وتنفّس وإخراج كل من الإنسان والحيوان.

ويتسرّب جزء من ماء المطر إلى ما تحت سطح الأرض عن طريق كل من التربة، والطبقات المساميّة، والحجارة والصخور الممزقة المنفذة للماء.

ويتحرَّك الماء المتّجه إلى ما تحت سطح الأرض أولاً في الاتجاه الرأسي بفعل الجاذبيّة حتى يصل إلى المخزون المائي، ثم يتبع ميل الطبقات المنفذة الحاملة للماء إذا كانت مائلة فيتحرك الماء أفقياً مع هذه الميول حتى يظهر على سطح الأرض مرّة أخرى على هيئة تدفق مائي بشكل من الأشكال التي منها **العيون والينابيع، والمجاري المائيّة المختلفة، والبرك، والبحيرات، والرطوبة الأرضيّة، والآبار الارتوازية.**

ويعتمد ذلك أساساً **على معدّل سقوط الأمطار** (أو انصهار الجليد في المناطق المكسوّة بالجليد)، وعلى نوعيّة كلّ من التربة والصخور السطحيّة، وعلى حجم الكساء الخضري في المنطقة، وعلى معدّلات البخر، وعلى غير ذلك من عوامل. **وذلك لأنَّ أكثر من ثلث ماء المطر النازل** على مناطق الكساء الخضري يقع على أوراق الأشجار فيتعرّض للبخر قبل أن يصل إلى سطح الأرض. ويصل نحو الربع من ماء المطر إلى سطح الأرض ولكنّه إمَّا يتبخّر، أو يحتبس على هيئة بحيرة داخلية أو سمك من الجليد، أو يتحرّك على هيئة مجرى مائي يفيض في النهاية إلى البحار والمحيطات. وباقي ماء المطر يتسرّب إلى ما تحت سطح الأرض إذا كانت نوعيّة كل من التربة والحجارة المكوّنة لسطح الأرض تسمح بذلك. وتلعب جذور النباتات دوراً مهمًّا في المساعدة على تشقق كل من التربة والصخور السطحيّة، وبالتالي تزيد من قدرتها على خزن الماء.

كذلك **تلعب تضاريس سطح الأرض** دوراً مهمًّا في خزن الماء تحته. فكلّما كانت التضاريس لطيفة الانحدار، سمح ذلك ببقاء ماء المطر لفترة أطول فوق

سطح أرض المنطقة ممَّا يساعد على تشبع كل من التربة والصخور بماء المطر. وعلى العكس من ذلك فإنَّه كلّما زاد انحدار سطح الأرض قلَّت الفرص لتحقيق ذلك.

ويتحرّك الماء المخزون تحت سطح الأرض بفعل الجاذبيّة من المناطق المرتفعة إلى المنخفضات من الأرض، تماماً كما يجري الماء في مختلف مجاريه السطحيّة. أمّا الماء المخزون تحت سطح الأرض فإنه يتأثّر بفروق الضغط الداخلي عليه من وزن كمّ الماء الذي يعلوه، ومن ضغوط الصخور المحيطة به. وبزيادة تلك الضغوط قد يتحرّك هذا الماء ضد الجاذبيّة فيفيض مكوّناً عدداً من العيون أو الينابيع أو البحيرات في مستويات عليا من سطح الأرض، أو يتحرَّك ليغذي الأنهار. وعلى ذلك فإنَّ تحرُّك الماء تحت سطح الأرض تحكمه قوانين الجاذبيّة بين نقطتين مختلفتين في المنسوب، وقوانين الأواني المستطرقة بين نقطتين بينهما فارق كبير في الضغط.

وفي الصخور متوسطة النفاذيّة يتحرَّك الماء المخزون تحت سطح الأرض ببطء شديد يتراوح بين نصف السنتيمتر، والسنتيمتر ونصف في اليوم الكامل. ويرتفع ذلك المعدل إلى مائة متر في اليوم وسط صخور عالية المساميّة والنفاذيّة من مثل الحصي، والصخور الرملية الخشنة الحبيبات، والبازلت الممزق بالشروخ والشقوق. وقد تتدنّى حركة الماء وسط الصخور المتبلورة إلى عشرات قليلة من السنتيمترات في السنة، بينما تبلغ سرعة تحرّك الماء الجاري على سطح الأرض إلى مترين في الثانية الواحدة، وذلك في أبطأ المجاري المائيّة المعروفة.

وبطء حركة الماء المخزون تحت سطح الأرض يمثّل صورة من صور الحكمة الإلٰهيّة في إبداع الخلق، **وذلك لكي يبقى هذا الماء المخزون لأطول مدَّة ممكنة في المنطقة التي خزن فيها (وقد يصل ذلك إلى عشرات الآلاف من السنين)**. وهذا الماء خزن تحت سطح الأرض في وقت كان المطر فيه غزيراً، وكانت المجاري المائيّة السطحيّة كافية لسدّ حاجات السكان. ولكن بعد تغير

المناخ، وندرة المطر في بعض مناطق الأرض، يبقى المخزون من الماء تحت سطح الأرض هو مصدر الماء الرئيس لساكني المنطقة. وبتغيّر المناطق المناخيّة، يبقى المخزون المائي تحت سطح الأرض شاهداً للَّه ـ تعالى ـ بتدبير أمر الكون بعلمه وحكمته وقدرته أبلغ تدبير، وبأعظم تقدير، فسبحان الذي خزنه حتى يحين الأوان لاستخدامه. . . !!

خامساً: تباين الصفات المائية لتربة الأرض ولحجارتها:

تتباين الصفات المائية لتربة الأرض ولحجارتها بتباين **صفاتها الطبيعيّة، والكيميائيّة، والميكانيكيّة**. ويشمل ذلك كلًّا من **المساميّة والنفاذيّة، والخاصيّة الشعريّة**، وقدرة حبيباتها على الاحتفاظ بالماء حول كل حبّة منها على هيئة أغشية تحيط بها. كما يشمل قدرة كل من حبيبات التربة أو الصخر على التوصيل الحراري، والكهربي، وعلى توصيل الموجات الصوتيّة، والاهتزازيّة، وعلى احتواء نسب معيّنة من الأملاح القابلة للذوبان في الماء أو القادرة على التفاعل معه. ومن ذلك أيضاً **درجة اللدونة أو المرونة** (Plasticity) لحبيبات التربة أو الصخر، والقدرة على الانتفاخ (Inflation Capacity)، وعلى التشرّب بالماء (Soaking Capacity)، وعلى الانكماش (Shrinking Capacity)، وعلى الهبوط (Subsidence Capacity).

فالحجارة الصلصاليّة على سبيل المثال يتغيّر شكلها بتغيّر كميّة الماء المخزون فيها، لأنَّها تتحوَّل من صخور صلبة أو شبه صلبة إلى الحالة المائعة تماماً بزيادة كميّة الماء فيها. وبذلك يمكن الحكم على إمكان مقاومتها للأحمال الخارجيّة، وعلى قدرتها على الثبات فوق المنحدرات أو هبوطها منها.

وبتمدّد المسام الدقيقة لكل من الحجر أو التربة التي تغطّيه بعد تشرّب كل منهما بالماء يمكن أن ينفتخ حجمه، وأن يتغيّر شكله. فإذا سحب منه الماء انكمش، وتصاحب عملية الانكماش في الحجم عادة بتشقق الحجارة وانفلاقها، فيخرج منها الماء إذا كانت خازنة له بكمّيات كبيرة.

ويشاهد هبوط كل من التربة والحجارة المكوّنة لسطح الأرض بصفة خاصّة في المناطق التي يضخّ من مخزونها المائي (تحت سطح الأرض) بكميّات مبالغ فيها. ويحدث ذلك في كل من حوض لندن الذي يهبط بمعدّل يتراوح بين ربع المتر ونصف المتر في السنة، وأرض المكسيك التي وصل الهبوط فيها إلى أكثر من عشرة أمتار خلال السنوات القليلة الماضية.

سادساً: تباين زاوية الانحدار للتربة أو للحجارة:

تعتبر قيمة زاوية الانحدار الطبيعي للتربة أو للحجارة المكوّنة لسطح الأرض عاملاً أساسيًّا لثباتها فوق المنحدرات. ولكلّ نوع من أنواع التربة والصخور زاوية انحدار قصوى إذا تعدّاها فإنَّه ينهار فوراً. وتعتمد قيمة هذه الزاوية على نوع التربة أو الحجارة، وعلى كل من تركيبها الكيميائي والمعدني والميكانيكي، وعلى درجة تشبعها بالماء. وتقل قيمة هذه الزاوية بزيادة كل من الرطوبة، وكميّة الماء المخزون في أي من التربة أو الصخر. وإذا وصل أي جزء من التربة أو الحجر إلى زاوية انحداره فإنَّه ينهار في الحال، هابطاً من أعلى مناسيب سفوح الجبال إلى أخفض مستوياتها.

سابعاً: أنواع الماء المخزون تحت سطح الأرض:

يقسم الماء المخزون تحت سطح الأرض من أعلى إلى أسفل إلى النطق التالية:

1 ـ نطاق الارتشاح (Vadose Water Zone):

وهو نطاق سطحي رقيق يتراوح سمكه بين نصف متر وعشرة أمتار، ويتسرّب عبره كل من الماء السطحي وماء المطر إلى المخزون المائي تحت سطح الأرض، والماء في «**نطاق الارتشاح**» طليق، أي: ليس مقيداً، ولكنَّه غير ثابت، فيظهر في مواسم الأمطار والفياضانات والرشح الشديد، ويختفي في مواسم الجفاف. والجزء الأكبر من مسام هذا النطاق مشغول بالهواء، ولذا يعرف باسم نطاق التهوية (Aeriation Zone).

2 ـ نطاق الماء الشعري (Capillary Water Zone):

ويوجد بين نطاق الارتشاح إلى أعلى، ونطاق التشبع إلى أسفل، وتمتلئ مسامه الشعريّة الدقيقة بالماء، والكبيرة بالهواء.

3 ـ نطاق التشبع (Saturation Zone):

ويتكوَّن عادة في الصخور عالية المساميّة والنفاذيّة أو عالية التشقق، وفيها يكون الماء حرًّا غير حبيس، ولكنَّه قد يكون محصوراً حصراً محليًّا (أي في أجزاء من الخزان الصخري). ويمتاز النظام المائي هنا بأنَّه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمستويات الأحواض والمجاري المائية المفتوحة (من مثل الأنهار، والبحيرات، والمستنقعات) المحيطة به، وبأنه موصول بالعوامل الجويّة المحيطة به كذلك. وتوجد أسفل نطاق التشبع عادة صخور غير منفذة أو ضعيفة النفاذيّة للماء تعرف باسم «**الصخور الصادّة للماء**»، وهي صخور تقل نفاذيتها مئات إلى آلاف المرّات عن نفاذيّة الصخور الحاملة للماء، وذلك لأنَّه لا يوجد في صخور الأرض وحجارتها وتربتها ما تنعدم فيه النفاذيّة انعداماً تاماً.

وتتمّ تغذية مخزون الماء في «**نطاق التشبع**» من كلّ من الأمطار، والأنهار، ومن غير ذلك من المجاري والمسطّحات المائيّة العذبة على سطح اليابسة. وقد يتكوّن النهر ابتداء من تفجّر الماء من نطاق التشبع، وفي هذه الحالة يقع الخزان المائي في مسار مجرى النهر قريباً من منابعه. وكما يعطي نطاق التشبع الماء للنهر، فإنَّه قد يتغذّى من مائه، فيصل معدّل التغير في مستوى الماء المخزون بين ثلاثة وأربعة أمتار في فترة فيضان الأنهار الكبيرة الجارية بالقرب من الخزان المائي. والماء في «نطاق التشبع» يتغيّر تركيبه الكيميائي، وكميّاته، ومعدّلات تدفّقه مع الزمن.

4 ـ الماء الارتوازي (Artesian Water):

وهو ماء حبيس، محصور، يوجد على أعماق كبيرة نسبيًّا في صخور ذات

أعمار متباينة، عالية المساميّة والنفاذيّة، أو شديدة التشقق. وتحفظ هذه الصخور الحاملة للماء الارتوازي بين نطاقين من الصخور الصادّة للماء. وهذه إمَّا يُحفر عليها، أو تظهرها الحركات الأرضيّة على هيئة أعداد من العيون والينابيع، وقد تتفجّر منها الأنهار كذلك. وهذه كلّها من الحقائق التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة إلَّا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبدايات القرن العشرين.

من أوجه الإعجاز في الآية الكريمة:

في هذا النصّ القرآني المعجز، يتَّضح لنا جانب من جوانب الإعجاز العلمي، والنفسي، والإنبائي/ التاريخي في كتاب ﷲ. وتتَّضح روعة التعبير فيه بهذه الدقّة العلميّة الفائقة، والشمول للحقائق الكونيّة والإحاطة بها، مع التشخيص الدقيق لدخائل النفس اليهوديّة المريضة، وفضح قسوة قلوب أصحابها. وفي ذلك يخاطب القرآن الكريم هذه الشرذمة الظالمة الباغية، والمجرمة المعتدية من اليهود القدامى، والمتهوّدين الجدد قائلاً لهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74].

وذلك لأنَّ الصخور الخازنة للماء قد تتفجّر منها الأنهار كما سبق وأن وضّحنا، وذلك بفعل الضغوط الداخلية الهائلة عليها (ومنها ضغط الماء المخزون فيها)، أو بفعل الضغوط الخارجيّة عليها، أو بهما معاً (ومن أهم الضغوط الخارجيّة ما يحدثه تحرّك ألواح الغلاف الصخري للأرض). لذلك فقد تلين تلك الحجارة وتتشقق فيخرج منها الماء على هيئة **الينابيع، والعيون، والنافورات الطبيعيّة، والآبار الارتوازيّة.** أمَّا قلوب شياطين الإنس من غلاة اليهود القدامى والمتهوّدين الجدد، وقد طبعت على الكفر والإلحاد والشرك، وعلى كراهيّة الخلق والحقد عليهم، وعلى تحريف الدين وتزييف الحقائق، وعلى الغرور الكاذب

والعلويّة المصطنعة ـ فإنَّها لم تلن ولن تلين أبداً..!! وليس أدلّ على ذلك من ممارساتهم الوحشيّة على أرض فلسطين التي اغتصبوها بمؤامرة دوليّة خسيسة، وظلّوا ينكّلون بشعبها الأعزل على مدى قرن من الزمان أو يزيد، في قسوة بالغة، وفي همجيّة، ووحشية واضحين...!

ولن يفلت غلاة الصهاينة اللّصوص القتلة من العقاب في الدنيا قبل الآخرة، فالأيّام دول، وكما تدين تدان..!! ولا بدّ من إزالة كيانهم الغاصب إن عاجلاً أو آجلاً...!! فأمريكا لن تبقى حامية لظلمهم وجورهم أبد الدهر، لأن نجمها قد بدأ في الأُفول، وسوف تنهار بأسرع ممَّا انهار به الاتحاد السوفييتي إن شاء الله ـ تعالى ـ. وحينئذ سوف يلقي هؤلاء عقابهم في الدنيا، ولعقاب الآخرة هو أشد وأنكى.

ونحن نستقرئ ذلك كلّه من هذا النصّ القرآني الموجز، والمعجز من سورة «البقرة»، والذي يشهد لكلّ ذي بصيرة بأنَّ القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأنَّ النَّبي الخاتم الذي تلقّاه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، فصلَّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تَبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين... والحمد للَّه ربّ العالمين.

97 ـ ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة: 8].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة نزلت في وصف علاقة المشركين بالمسلمين، والشرك باللَّه كان ولا يزال من أخطر مداخل الشيطان إلى الإنسان. فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة الحق**»[1] ويروي ابن عبَّاس كذلك: «**أنَّ رجالاً صالحين من قوم نوح هُلِكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبدت**»[2]. **وكانت هذه هي أول وثنيّة في تاريخ البشريّة** التي عاشت تتنقّل بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج اللَّه والخروج عليه منذ زمن عبد اللَّه ونبيّه نوحاً عليه السلام إلى اليوم، وستبقى كذلك حتى قيام السَّاعة. والمشركون ـ وفي مقدّمتهم كل من اليهود والنصارى ـ لا يدركون حقيقة الأُلوهيّة، ولا يدينون للَّه ـ تعالى ـ بالعبوديّة الخالصة، ولا يعترفون بالرسالة الخاتمة، ولا بالرسول الخاتم ﷺ.

ونتيجة لهذا الموقف السلبي للمشركين من دين اللَّه فإن القرآن الكريم يحذّر المسلمين من التعاهد مع المشركين لأنَّهم لا عهد لهم، والتاريخ يؤكّد ذلك، وإن غفل عنه الكثيرون، وفي ذلك يقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾ [التوبة: 8 ـ 10].

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

وهذه الآيات تحوي العديد من ومضات **الإعجاز الإنبائي والتاريخي** التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: في قوله ـ تعالى ـ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8].

يشير هذا النصّ القرآني الكريم إلى حقيقة أنَّ المشركين إذا كانت لهم الغلبة الماديّة في أي زمان وأي مكان، فإنَّهم يفسدون في الأرض ويتجبّرون على الخلق، وينشرون المظالم، ويُحرِّمون الحلال ويحلّون الحرام، حيث لا مانع لديهم من ضمير أو تشريع يحول بينهم وبين فعل تلك المظالم كلها، وأحداث التاريخ تؤكّد ذلك وتثبته ومنها ما يلي:

1 ـ حصار الكفّار والمشركين لرسول الله ﷺ ولمن آمن معه من المسلمين في **شِعَبْ بني هاشم** لمدّة ثلاث سنوات حتى اضطرّوا إلى أكل أوراق الشجر (من سنة 619 إلى سنة 622م).

2 ـ مؤامرة كفّار ومشركي قريش على قتل رسول الله ﷺ، أو سجنه، أو نفيه حتى اضطرّوه إلى **الهجرة** من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة (سنة 622م) بعد سلسلة طويلة من اضطهاد أصحابه وتعذيبهم بصورة وحشيّة.

3 ـ تكرار **خيانات كلّ من يهود بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع** لرسول الله ﷺ ونقضهم لعهودهم التي قطعوها له، والتآمر مع أعدائه من الكفّار والمشركين عليه، ومحاولة قتله وسمّه (صلوات الله وسلامه عليه).

4 ـ استمرار **الحملات الصليبيّة** على العالم الإسلامي لحوالي قرنين كاملين (من 1095 إلى 1291) راح ضحيّتها ملايين من القتلى والجرحى والمقعدين والأرامل والأيتام، وخسائر ماديّة لا تقدّر بثمن. فقد تمّ خلال هذه الحملات تدمير آلاف من مدن وقرى المسلمين، **ويكفي في ذلك الإشارة إلى قتل الصليبيين أكثر من ثمانين ألف نفس في ليلة واحدة حين استسلمت مدينة القدس لهم رافعة الرايات البيضاء.**

ولا تزال الحروب الصليبيّة مستمرّة إلى اليوم، في موجات متلاحقة من المدّ والجزر، تحت العديد من الأقنعة المستترة والمكشوفة، واستخدمت فيها أقذر الأساليب وأحقر الممارسات. وكانت تلك الحروب هي **المقدمات الأولى للاستعمار الغربي لغالبيّة أراضي المسلمين**، ولما تعرّضوا في ظلّه لأبشع صور القمع الوحشي وغير الإنساني الذي يرفضه كل إنسان شريف.

5 ـ كان الغرب من وراء **غارة المغول** على بلاد المسلمين، تلك الغارة التي اجتاحوا فيها كلًّا من بلاد خوارزم، وبخارى، وسمرقند، وإيران، والعراق، وبلاد الشام في هجمة همجيّة تخريبيّة تمّ خلالها سقوط بغداد وتدميرها بالكامل سنة (1258م/ 656هـ)، ولم يوقف تلك الهجمة إلّا هزيمة التتار المغوليين في «**معركة عين جالوت**» أمام جيوش المسلمين، ثم دخول هؤلاء الغازين في الإسلام (1260م/ 658هـ).

6 ـ **ثم اشتعلت الحروب الصليبيّة من جديد** وكان ذلك بسبب وصول الإسلام إلى رومانيا سنة (1264م/ 661هـ) على أيدي القوات التركيّة، وبسبب توالي انتصارات دولة الخلافة العثمانيّة على مدى سبعة قرون متواصلة تقريباً (من 1258م إلى 1924م الموافق 657هـ إلى 1343هـ). ونتيجة لذلك أعلن البابا أوجانيوس الرابع قيام حرب صليبيّة جديدة ضد المسلمين في سنة (1443م/ 847هـ) كان من نتائجها **إنهاء حكم المسلمين في الأندلس** بعد ثمانية قرون كاملة من الإعمار المادي والروحي والمعنوي. وقد تمَّ إخراج المسلمين من بلاد الأندلس بعد سلسلة من المذابح والجرائم المروعة والتي استمرّت إلى سنة (1492م/ 898هـ)، وراح ضحيّتها مئات الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان، وسجّلت تحت مسمى «**جرائم محاكم التفتيش**».

ولكن ما لبث **السلطان مراد الثاني** أن ألحق بالغربيين هزيمة ساحقة في سلسلة من المعارك المتلاحقة توجت بفتح القسطنطينيّة على يد السلطان محمَّد الفاتح وجيوشه الباسلة سنة (1453م/ 857هـ)، ثم فتح بلاد الصرب في سنة

(1458م/ 863هـ)، وضمّ كل من ألبانيا وبلاد البوسنة والهرسك وضَمّ كثير من دول شرق وجنوب أوروبا إلى **دولة الخلافة العثمانيّة**، ثم ضمّ بلاد التتار بعد إسلام أهلها طواعية واختياراً. وبسبب هذه الفتوحات الإسلاميّة المتسارعة شرع البابا (ليو) العاشر في إعداد **حرب صليبيّة سابعة** في سنة (1571م/ 923هـ) انتهت بهزائم منكرة للغربيين.

7 ـ في سنة (1662م/ 1073هـ) تجدّدت الحروب الصليبيّة بإعلان «**نداء الواجب المشترك**» الذي يلزم جميع مسيحيي العالم بضرورة العمل ضد دولة الخلافة الإسلاميّة التي عبروا عنها بتعبير (**العدو الأوَّل للكنيسة**). وانبثق عن هذه الدّعوة تحالف صليبي يضمّ كلًّا من ألمانيا وفرنسا واتحاد الراين والبنادقة. وقد عمل هذا التحالف في السرّ والعلن على إسقاط دولة الخلافة الإسلاميّة حتى تحقق له ذلك في سنة (1924م/ 1343هـ) بعد سلسلة من الحروب المتواصلة على الجبهات الشرقيّة (مع القوات الروسيّة والصينيّة)، وعلى الجبهات الغربيّة والجنوبيّة (**مع الاتحاد الصليبي الغربي**). وفي كل هذه الحروب كانت تجاوزات الصليبيين تفوق الخيال في وحشيّتها.

وبعد إسقاط دولة الخلافة العثمانيّة بدأت حملات الاستعمار الغربي والشرقي لاحتلال مختلف أراضي المسلمين بالقوّة، والعمل على تغريب المسلمين بإقصاء الإسلام محليًّا عن السلطة، وعن مقامات اتخاذ القرار، وتمكين الأقليّات الصغيرة والأحزاب الدهريّة من كل ذلك.

8 ـ كانت **الحرب العالمية الأولى** (والتي استمرت فيما بين 28/ 7/ 1914م، 11/ 11/ 1918م) والتي راح ضحيتها قرابة العشرين مليون قتيل من العسكريين والمدنيين، وأضعاف هذا الرقم من المشوهين، من إرهاصات إسقاط دولة الخلافة العثمانية، واستلاب أرض فلسطين من أيدي أصحابها وتسليمها للصهاينة الغرباء. ففي تواريخ متفرقة من شهر مايو (سنة 1916م) بدأت كل من بريطانيا وفرنسا في وضع اللمسات النهائية لاتفاقية «**سايكس ـ بيكو**» (The Sykes-Picot Agreement) التي كان ممثّل بريطانيا فيها «**مارك**

سايكس» أحد خبرائها في الشؤون التركية، ومثّل فرنسا فيها «**جورج بيكو**» القنصل الفرنسي في بيروت. وقد نصت هذه الاتفاقية على تقسيم المنطقة العربية المعرّفة باسم «**الهلال الخصيب**» إلى ثلاث مناطق: تحتل فرنسا إحداها، (وتشمل كلاً من سوريا ولبنان)، وتحتل بريطانيا المنطقة الثانية (وتشمل كلاً من العراق وشرق الأردن)، بينما تخضع المنطقة الثالثة وهي الأراضي الفلسطينية لإشراف دولي خاص تمهيداً لتسليمها للصهاينة.

وبإيعاز من بريطانيا أعلن في سنة (1917م) بدء **الثورة العربية** في محاولة لزلزلة دولة الخلافة العثمانية التي تمّ إسقاطها في سنة (1924م). وعندما دخلت القوات البريطانية إلى القدس في ديسمبر سنة (1917م) قال قائد تلك القوات الجنرال «إدمون ألنبي» (Edmon Allenby) قولته المشهورة: «**اليوم انتهت الحروب الصليبية**». وبالمثل فإن الجنرال الفرنسي «هنري جورو» (Henri Gauraud) عندما دخل إلى دمشق قام بركل ضريح البطل الإسلامي العظيم «صلاح الدين الأيوبي» بقدمه وهو يصيح قائلاً: «**ها قد عدنا يا صلاح الدين... فأين أحفادك منك!؟**». وقد تم تعيين هذا «الجورو» مندوباً سامياً لفرنسا على كل من سوريا ولبنان في الفترة (من 1919 إلى 1923م) فأفسد فيهما إفساداً كبيراً.

وفي سنة (1917م) قامت **الثورة الشيوعية في روسيا** بأيدي الحركة اليهودية الماسونية العالمية التي حاربت الدين الإسلامي في ظل محاربة كل المعتقدات السماوية. وقام الشيوعيون بفضح اتفاقية «سايكس ـ بيكو» نكاية في كل من بريطانيا وفرنسا.

وفي 2/ 11/ 1917م أصدرت الحكومة البريطانية «**وعد بلفور**» اللعين الذي وجهه وزير خارجية بريطانيا آنذاك آرثر جيمس بلفور (Arthur James Belfore) إلى ليونيل روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية.

9 ـ **بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية**، والتي راح ضحيّتها أكثر من 55 مليون قتيل، وملايين المقعدين والمشرّدين والأرامل والأيتام، وبعد تدمير أهم

عواصم العالم ومدنه التي كان في مقدّمتها كل من مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيّتين ـ بدأت موجة تململ الدول المحتلّة من نيران الاستعمار. ونتيجة لهذا التململ بدأت **حركات التحرر الوطني** التي راح فيها ملايين الضحايا، والتي انتهت بانسحاب المستعمرين الغربيين والشرقيين على مراحل من المماطلة، وذلك من غالبيّة الدول التي كانوا قد احتلوها بالقوة، والتي كان في مقدّمتها غالبية الدول المسلمة. وما كادت هذه الدول أن تلتقط أنفاسها حتى ظهرت **المؤامرة الغربيّة بغرس الكيان الصهيوني الغريب في قلب المنطقة العربيّة** ودعمه عسكريًّا وماليًّا وسياسيًّا بلا حدود، حتى يكون موطئ قدم للغرب في المنطقة، ووسيلة من وسائل إثارة القلاقل والفتن والحروب فيها باستمرار. وجرائم الصهاينة على مدى أكثر من نصف قرن على أرض كل من فلسطين والمنطقة العربيّة المحيطة بها والبعيدة عنها هي أكثر من أن تحصى في هذه العجالة، ولا تزال تلك الجرائم الصهيونية مستمرّة إلى اليوم بشراسة لا توصف بكلمات، ومنها تقسيم كل من العراق والسودان، والصومال، والإبادة البشرية والمادية للشعب السوري، والفوضى في البحرين وغيرها.

10 ـ ثم تجدّدت الغارة الصهيونية/ الصليبيّة على المسلمين فوق **أراضي البلقان** حين طالب كلّ من المسلمين والكروات المسيحيين بالاستقلال عن الحكومة اليوغوسلافيّة التي يتحكَّم فيها الصرب، وذلك في استفتاء تم في مارس 1992م. وفي أغسطس من نفس العام قامت القوات الصربيّة ـ بمساعدة العديد من الدول الأوروبيّة ـ باحتلال 70% من مساحة البوسنة والهرسك، واحتلّ الكروات 20% من مساحة هذه البلاد المسلمة، وحاصروا المسلمين في الـ 10% الباقية لهم من أراضيهم في عمليّة تطهير عرقي بشعة في قسوتها وانعدام إنسانيّتها، وذلك في قلب أوروبا التي تدّعي لنفسها أنَّها قارّة متحضّرة. وقد دُمّرت أراضي البوسنة والهرسك في أثناء هذه الغارة الصهيونية/ الصليبيّة الجديدة، وتم العديد من عمليّات القتل والإبادة الجماعيّة، والاعتداءات الجنسيّة على أهاليها بدرجة تقشعرّ لها الأبدان.

وبعد أن استجار العالم من ذلك الظلم البيِّن تدخّلت قوات الأُمم المتَّحدة في أواخر سنة 1992م من أجل حفظ ماء الوجه. ولكن هذه القوات الدولية والتي كانت غالبيتها أوروبية تخلّت عن الذين دخلت لحمايتهم بعد أن جرّدتهم من سلاحهم بدعوى إعلان المناطق التي حشد فيها المسلمون في كل من «سراييفو»، و«جورازدة» و«سربرنيتسيا» مناطق واقعة تحت حماية الأمم المتحدة. وبعد ذلك مباشرة قام مجرمو الصرب بدفن قرابة عشرة آلاف شيخ وامرأة وطفل وشاب في مدينة «سربرنيتسيا» أحياء بعد سلسلة من التعذيب والاغتصاب والإرهاب فاقت كل وصف، وتمّ ذلك تحت سمع وبصر قوات الأُمم المتَّحدة.

11 ـ **وتجدّدت الحروب الصليبيّة/ الصهيونيّة مرّة أخرى في حربي الخليج العربي الأُولى والثانية** بمؤامرات قوى الشرّ في العالم الغربي وذلك بقيادة كلّ من الولايات المتَّحدة وبريطانيا وحلفائهما. فقد دفعوا إلى المنطقة العربية بأكثر من مليون ونصف المليون جندي مزوّدين بأحدث ما أنتجت مصانع السلاح التقليدي وغير التقليدي من أدوات القتال، وذلك في هيئة احتلال عسكري جديد لأراضي المسلمين. وفي هذه المؤامرة الصهيونية الصليبية الجديدة تمّ احتلال أراضي **العراق** سنة 2003م، وقد سبق ذلك عدد من غزوات مشابهة لأراضي كلّ من **أفغانستان والصومال وجنوب السودان**.

وفي كل الأحداث والمواقع التي انتصر فيها أهل الكفر والشرك والضلال على المسلمين، لم يرقبوا فيهم إلًّا ولا ذمّة، تماماً كما تصف الآية الكريمة التي نحن بصددها. وتكفي هنا الإشارة إلى ما نفَّذه العسكريّون الأمريكيّون في كل من **سجون «جوانتانامو»، والعراق، وأفغانستان**، وغيرها من سجون الدول التي تتحكّم الولايات المتَّحدة الأمريكيّة في سياستها. كما تكفي الإشارة إلى ما حدث من العسكريين البريطانيين في **سجون ومعتقلات البصرة، والعمارة والشعيبة**، وفي سجون غيرها من مدن جنوب العراق. وهذا يعكس حجم الوحشيّة التي يتَّصف بها الغربيّون، وحجم الكراهيّة التي يكنّون للإسلام والمسلمين. وهذا كلّه لمما يعجز

القلم عن وصفه، وما يصم الحضارة الغربيّة بخلوها من أبسط قواعد الدين والأخلاق والإنسانيّة والرحمة. وفي المقابل فإنَّ سلوك الغربيين طوال هيمنتهم على العالم يصف كل ما ورد من مسميات يتشدّقون بها كذباً، من مثل حقوق الإنسان، واتّفاقيّة جنيف، وقرارات محكمة العدل الدوليّة، ولجان تقصّي الحقائق في جرائم الحرب، يصف ذلك كلّه بمجرّد حبر على الورق، لا يحظى بشيء من الاحترام أو التقيّد بالقوانين أو الأعراف الدولية أمام آلة الحرب الغربيّة الوحشيّة الهمجيّة.

وإنَّ جرائم السجون، (وفي مقدّمتها جرائم **سجن «أبو غريب»** في العراق) والتي سرّبت إلى وسائل الإعلام سنة 2004م، هي قطرة من جرائم الغربيين، سوف تبقى وصمة عار على جبين كل غربي إلى يوم الدين. **ويزيد هذا العار الغربي عارًا بعد اعتراف المجرمين الذين قاموا بالتعذيب بأنَّهم قاموا بذلك تنفيذاً لأوامر عليا من قياداتهم العسكريّة والسياسيّة. وبعد أن كشف مدير عمليّات اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر الدولي عن وجود عمليّات تعذيب واسعة النطاق متجاوزة حدّ البشاعة في كل السجون التي تديرها قوات الاحتلال الأمريكيّة والبريطانيّة في الأراضي العراقيّة لم تتوقف هذه الممارسات.** ولم تكن هذه الانتهاكات لكرامة الإنسان مقصورة على سجون «أبو غريب» و«البصرة» و«الشعيبة» التي تسرّبت إلى وسائل الإعلام بعض صور التعذيب الوحشي فيها بعد عام واحد من اجتياح القوات الأمريكيّة وقوات المتحالفين معها للأراضي العراقيّة، **بل كان هذا السلوك المقزّز للأبدان هو السمت العام لسلوك الغزاة الغربيين في كلّ مكان احتلّوه.** ويؤكّد ذلك ما أوضحه مسؤول اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر خلال مؤتمر صحفي عقد في جنيف حيث قال: **إنَّ عمليّات التعذيب الوحشي للسجناء العراقيين ليست حالات محدودة، بل هي أسلوب منهجي ينفذ على نطاق واسع بأساليب غير إنسانيّة، مذلّة ومهينة لكرامة الإنسان، وبتعليمات عليا من القيادات العسكريّة والسياسيّة للدول الغازية.**

وكان في **قيام جنود وضبّاط أمريكيّين بتدنيس المصحف الشريف** في سجون

جوانتانامو، وفي كل من الولايات المتحدة وأفغانستان، وبالاعتداء على الأعراض في سجون كلّ من هاتين الدولتين، وبطباعة كتاب مزيّف يسمّونه باسم «**الفرقان الحقّ**» كذّبوا فيه على الله، وزيّفوا الحقّ على المسلمين، وقاموا بتوزيعه في الدول المسلمة، **ثم قاموا بمحاولات عديدة للنيل من شخص رسول الله ﷺ** في كل وسائل الإعلام الغربيّة، كان في كل ذلك ما يؤكّد أنَّ الحملة هي ضد الإسلام كدين، وضد المسلمين كأمّة في مختلف أنحاء العالم، ويوضِّح ذلك كله وجه الإعجاز الإنبائي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8].

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: 8]:

على الرّغم من هذا التاريخ الطويل من تعديات الغربيين على المسلمين، وهو التاريخ المليء بالمصادمات الدمويّة، والعلاقات غير الإنسانيّة من قبل هؤلاء المشركين تجاه المسلمين، فإنَّ زعماء الغرب وكتَّابه ومفكّريه ظلّوا يرددون الدعوة الباطلة بأنَّهم لم يحتلوا العالم الإسلامي إلَّا من أجل تحديثه، وفرض قيم جديدة للحريّة والديمقراطيّة وحقوق الإنسان فيه، وإقامة نظم جديدة في الاقتصاد وسلوكيّات جديدة للإنسان المسلم.

والمتأمّل في هذا المخطط الغربي الشيطاني يدرك بغير عناء أنَّ الهدف الحقيقي من ورائه كان إخراج أُمَّة الإسلام من دينها، وتغريبها عن أصالتها وحضارتها وقِيمها، وإخضاعها الكامل للثقافة الغربيّة، وإذابتها في بوتقة تلك الثقافة ـ التي على الرّغم من تقدّمها العلمي والتقني المذهل ـ فإنها قد تحللت أخلاقيًا، ودينيًا، وسلوكيًا بشكل يجعلها تتآكل اليوم من داخلها. وكان من وراء المخطط الغربي في محاولاته لفرض القيم الغربيّة على العالم الإسلامي هو جرّ هذا العالم إلى هوّة السقوط الديني والأخلاقي والسلوكي التي انهارت مجتمعات الغرب في أحوالها، حتى لا تكون أُمه هي أربى من أُمه.

وكذلك كان الهدف من وراء إكراه المسلمين على نظم اقتصاديّة محددة محورها الربا المحرم هو حماية مصالح الغرب الماديّة على حساب مصالح

المسلمين، وابتزازهم، واستنفاد ثرواتهم بغير حقّ. ومن تلك الأهداف الغربية الخبيثة أيضاً كان العمل على مزيد من تفتيت العالم الإسلامي حتى يسهل إضعاف المسلمين في ظلّ عالم التكتّلات الذي نعيشه فلا تقوم لهم قائمة. وفي ظل فرقة المسلمين، وتغربهم، وتخلفهم، تبقى الغلبة الماديّة في المنطقة العربية بيد الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، والذي زرعه الغرب في قلب العالم العربي بالقوّة، ودون أدنى سند شرعي أو قانوني أو عرقي أو ديني أو لغوي. ويفعل الغرب ذلك انتقاماً لهزيمته في الحروب الصليبية، مع ادّعاءات عديدة بمحاولة إقامة العدل في المنطقة. وصدق الله العظيم الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحقّ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: 8]، **وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله**.

ثالثاً: قوله ـ تعالى ـ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 8]:

تشير الإحصائيات إلى **انهيار مؤسسة الأسرة** في كثير من المجتمعات الغربيّة، وحلّ محلّها ما يعرف باسم **المعاشرة المشتركة** (Co-habitation)، وهي علاقة جنسيّة بغير أية روابط أو ضوابط دينيّة، أو قانونيّة، أو إنسانيّة، أو أخلاقية، وهي زنا معلن تحت مسمى الحريّة الشخصيّة. وفي ظل هذه العلاقة المحرّمة يحرص الطرفان على عدم الإنجاب بسبب عدم استقرار تلك العلاقة. وإذا حدث إنجاب فإنَّ غالبيّة الأبناء لا يعرفون لهم أباً، وفي ظلّ هذه العلاقات المضطربة انتشر **الشذوذ الجنسي**، وشرَّعت له الحكومات الغربية كلها، وبلا استثناء، **فسمحت بزواج الأمثال، كما سمحت بالتبنّي** لمثل هذه البيوت المنحرفة عن الفطرة السويّة، ولهذه الأوساط العفنة الشقيّة. وبالطبع لا يمكن وصف نفسيّة الطفل الذي ينشأ في بيت سوء كهذا الوسط الشاذ. **وفي غياب الأسرة انتشرت كل الفواحش، والفتن، والجريمة، والإدمان على كل من الخمور والمخدرات. كذلك انتشر القمار والرّبا**، وسادت أخلاقيات المصلحة الماديّة البحتة، والعيش بالمبادئ الشخصيّة أيًّا كانت مستوياتها. وساد أيضاً اقتراف كل الأخطاء بدعوى الحريّة الشخصيّة حتى لو أدّى

ذلك إلى الإساءة إلى الآخرين، فانتشرت المظالم، وأُبيحت المحرّمات، وسادت التجاوزات، وتعددت المعاصي التي تستوجب غضب الخالق ﷻ ونزول عقابه. . . وفي وصف هذه المجتمعات المتحلّلة من كل قيمة أخلاقيّة جاء قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: 8].

ولا أجد وصفاً أبلغ من هذا الوصف الإلٰهي الذي ينطبق على أهل المجتمعات غير المسلمة المعاصرة انطباقاً دقيقاً، والسبق بالإشارة إلى ذلك هو **من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم**، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: 8].

ويبيّن القرآن الكريم أنَّ العبد من بني آدم إذا استسلم لغواية الشيطان فأشرك باللَّه، وتاه عن حقيقة التوحيد الخالص للَّه الخالق، فإنَّه يفقد إنسانيته، كما يفقد إمكانيّة تحقيق رسالته في هذه الحياة الدنيا: عبداً للَّه الذي خلقه لرسالة محددة، وهي رسالة ذات وجهين: أولهما: عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، وثانيهما: حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وإذا فقد الإنسان ذلك صار وحشاً كاسراً، ومخلوقاً فاسقاً، منافقاً، تائهاً، لا يعرف لحياته هدفاً، ولا لوجوده رسالة إلَّا الإفساد في الأرض، والبطش بالخلق، وخيانة العهود والمواثيق معهم، وهو ما تؤكّده الآيات في سورة «التوبة» التي تستمر محذرة المؤمنين من المشركين فتقول:

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: 9، 10].

وهذه الآيات الثلاث من سورة «التوبة» (8 ـ 10) تلخص علاقة المشركين بالمؤمنين عبر التاريخ، في ومضات من الإعجاز الإنبائي والتاريخي تؤكّد لكلّ ذي بصيرة بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة.

98 ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: 14].

تكشف هذه الآية الكريمة عن طبيعة النفسية اليهوديّة المريضة التي سبق وأن أشرنا إلى شيء من أمراضها، فقد برع اليهود في التعصّب الأعمى ضدّ كلّ من هم سواهم بصفة عامّة، كما برعوا في تدبير المؤامرات، ونقض المعاهدات، وتزييف التاريخ، وتحريف الدين، والافتراء على ربّ العالمين، وعلى كتبه وأنبيائه ورسله. كذلك برع اليهود في تربية ناشئتهم على كراهية الأغيار، والاستعلاء الكاذب عليهم، والتآمر على مصالحهم، والخوف الدائم منهم، ولذلك عاشوا مكروهين، محتقرين عبر تاريخهم الطويل. وقد أفاض القرآن الكريم في وصف أساليب السلوك اليهودي الذي صاغ تلك الشخصية المتآمرة، الخفية عبر التاريخ. ولذلك كان خوفهم من الأُمم المحيطة بهم شعوراً مسيطراً دوماً عليهم، فعاشوا وراء القرى المحصّنة، والجدر المرتفعة، والموانع والعوائق المتعددة، أو في حوار وأزقّة معزولة، وأحياء مغلقة [(عُرفت باسم الجيتووات اليهوديّة (مفردها جيتو = Ghetto) أو باسم حارات اليهود (مفردها حارة)] كأقليّات منبوذة مكروهة، محتقرة من جميع أبناء الأُمم التي عاشوا بينها.

وقد يتخيل البعض أن في تكدس اليهود في أحياء أو حارات منفصلة عن مساكن غيرهم من البشر ما يوحي بشيء من الود أو التراحم بينهم، ولكن الحقيقة أن اليهود فِرَق متناحرة، متباغضة ومتخاصمة فيما بينها، ولا يجمعها ظاهرياً إلا كراهية أهل الأرض جميعاً لليهود بصفة عامة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

أولاً: ـ قرى اليهود المحصّنة وجدرهم العالية في القديم:

في قوله ـ تعالى ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ...﴾ ما يؤكده في القديم والحديث. فقد جاء في **الإصحاح الثاني والعشرين من سفر «أشعيا» وهو أحد أسفار «العهد القديم» إشارات عديدة إلى نقب الأسوار، وإلى هدم البيوت لتحصينها، ووضع خنادق بين سورين وملئها بمياه البركة العتيقة، وهذا هو نفس ما يقوم به المحتلون الصهاينة لأرض فلسطين اليوم.**

وجاء في **الإصحاح السابع والثلاثين من السفر نفسه** إشارات إلى تخريب مدن محصنة حتى تصير روابي خربة.

وجاءت أحداث كل من يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر، وأحداث غيرهم من هؤلاء اللصوص المذعورين مؤكّدة هذا الوصف القرآني المعجز للنفسيّة اليهوديّة المريضة. وقد اشتهر اليهود عبر التاريخ بالبخل الشديد، وبالحرص الزائد عن الحدّ في حب التملك والهيمنة على الدنيا، وبالإغراق في التعامل بالربا، والبراعة في الخداع والغدر والمساومة، وبالخوف المرتعد من الموت. ولذلك اهتموا بتحصين قراهم وبناء الحصون المنيعة. ومن أسباب ذلك كثرة ذنوبهم، وآثامهم، ومؤامراتهم، وخياناتهم، ومبارزتهم الخلق بمختلف صنوف المعاصي، وعدم إيمان غالبيتهم بالبعث والحساب والجزاء، لذلك فإن اليهود لا يقاتلون أعداءهم أبداً إلّا في قرى محصّنة أو من وراء جدر. ولذلك أيضاً وصفهم القرآن الكريم بالمبالغة في الحرص على الحياة، وقد مثّل اليهود ركازة الكفر عبر التاريخ، فقد كفروا باللّٰه على عهد موسى عليه السلام فعبدوا العجل، وكفروا بأنبيائهم من بعد موسى فقاتلوهم وقتلوهم، وكفروا بعبد الله ورسوله عيسى فأغروا الرومان، به، وشوّهوا صورته، ونالوا من شرفه ومن عرض أُمّه الصديقة (شرفّها الله) وحرّفوا رسالته. كذلك كفرت غالبية اليهود برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ فحاولوا قتله وسمّه (كما سبق وأن أشرنا)، ولكن الله ـ تعالى ـ حفظه، وألّبوا عليه أهل الكفر

والشرك والضلال، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وحاولوا الدسّ عليه وعلى رسالته ولكن الله ـ تعالى ـ قد تعهَّد بحفظها فحُفظت.

ثانياً: ـ قرى اليهود المحصَّنة وجدرهم العالية في العصر الحديث:

1 ـ قبل نكسة يونيو 1967م:

- بتاريخ (29 ـ 31) أغسطس سنة 1897م عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأوَّل في مدينة بازل بسويسرا، وقرَّر إنشاء المنظّمة الصهيونيّة العالميّة، والمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين العربيّة المسلمة.

- وبتاريخ 2/ 11/ 1917م، أصدرت الحكومة البريطانيّة وعد بلفور اللّعين.

- وبتاريخ 24/ 7/ 1922م أقرَّ مجلس عصبة الأُمم المتَّحدة مشروع صكّ الانتداب البريطاني على أرض فلسطين من أجل تسهيل هجرة اليهود والمتهوّدين من جميع دول العالم إلى هذه الأرض المباركة. وقد قامت القوات البريطانيّة المحتلّة لأرض فلسطين بتمكين المهاجرين اليهود من تلك البلاد، دون وجه حق.

- وبعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية بسنتين (أي في سنة 1947م) **أصدرت الجمعية العامّة للأُمم المتَّحدة قرارها الجائر (رقم 181)** والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهوديّة.

- في 15/ 5/ 1948م أعلنت الحكومة البريطانيّة انتهاء انتدابها على أرض فلسطين وانسحابها منها، إلَّا أنَّها لم تنسحب عمليًّا إلَّا من المناطق التي سلّمتها إلى اليهود والمتهوّدين، وكان فيها: جميع المعسكرات البريطانيّة بكامل معدّاتها وأسلحتها وقواعدها الإستراتيجيّة. كذلك قام البريطانيون بتسليم كل أجهزة الدولة إلى اليهود المستوردين، بالإضافة إلى المستعمرات المحصنة تحصيناً رهيباً بالأسوار، والجُدر، والخنادق، والأسلك الشائكة، وحقول الألغام، فأعلن الصهاينة قيام دولة لهم على أرض فلسطين فور مغادرة المندوب السامي البريطاني لميناء حيفا. وعلى الفور تسابقت الدول

الكبرى على الاعتراف بدولة الصهاينة غير الشرعيّة، وكان في مقدّمة المعترفين بها كلّ من الولايات المتَّحدة الأمريكيّة والاتحاد السوفييتي.

2 ـ بعد نكسة يونيو 1967م:

- في صباح الخميس الخامس من يونيو 1967م، وبموافقة الولايات المتَّحدة الأمريكيّة، قام سلاح الجوّ الصهيوني بهجوم مباغت على جميع المطارات العسكريّة والمدنيّة في كلّ من مصر وسوريا والأردن. ووسط هول المفاجأة تمَّ احتلال كلّ فلسطين، وشبه جزيرة سيناء بأكملها، والمرتفعات السوريّة، ومساحات كبيرة من غرب الأردن.
- وبتاريخ 27/ 6/ 1967م صدر قرار من الكنيست بضمّ النصف الشرقي من مدينة القدس (القدس الشرقيّة) إلى الكيان الصهيوني، واعتبارها عاصمة موحدة لهذا الكيان الغريب.

وعلى الرّغم من وقوف أغلب دول العالم من وراء هذه المظالم، ووجود قناة السويس كمانع مائي يصعب عبوره إلّا أنَّ نفسيّة اللّص السارق للأرض، وطبيعة الجبان الخائف من الموت دفعتهم إلى إقامة «**خطّ بارليف**» على طول الضفّة الشرقيّة لقناة السويس كمانع حصين ليس له مثيل في العالم. وأقيم هذا الخط في قلب ساتر ترابي يتراوح ارتفاعه من ستة إلى ثمانية عشر متراً بطول الضفّة الشرقيّة للقناة. ومن وراء ذلك إلى الشرق يوجد خط المضايق الجبليّة، وكل من «هضبة العجمة» وخليج السويس إلى الجنوب، كما يوجد البحر الأبيض المتوسط إلى الشمال. وعلى الرّغم من كل ذلك قام الصهاينة بإقامة عدّة نقاط حصينة في جوف هذا الساتر الترابي الضخم يبلغ عددها **22 موقعاً حصيناً، تضم 31 نقطة عسكرية قويّة تبلغ مساحة كل منها أكثر من أربعة آلاف متر مربّع على هيئة منشأة هندسيّة معقّدة وغائرة في الأرض، وترتفع حتى تصل إلى قمّة الساتر الترابي**. وتتكوّن كل واحدة من تلك المنشئات العسكرية من عدّة طوابق خرسانيّة مسلّحة بقضبان السكك الحديديّة وألواح الحديد الصلب. وكل طابق مفصول عن الذي يليه بطبقة من القضبان الحديديّة والخرسانة المسلّحة، والأتربة والأحجار، وشكائر الرّمال،

وسبعة صفوف من البلاطات الخرسانيّة فوق بعضها البعض، ثم طبقة أخيرة من الردم السميك، وسور من الأسلاك الشائكة وصناديق معبّأة بالحجارة.

ويصف ثلاثة من قادة حرب رمضان المجيدة، هم اللواءان حسن البدري وطه المجذوب، والعميد أركان حرب ضياء الدين زهدي، في كتابهم المعنون «حرب رمضان وصفاً موجزاً لأحد هذه الحصون، وهو المعروف باسم «موقع الكيلومتر 10» جنوب بورفؤاد جاء فيه ما يلي:

«يلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقاً من الأسلاك الشائكة التي تفصل بينها حقول ألغام كثيفة، أمّا من الغرب فتوجد ثمانية نطق من تلك الأسلاك الشائكة المفصولة بحقول الألغام، والحصن مزوّد بأجهزة الإنذار، والشراك الخداعيّة، ويرتفع الساتر الترابي أمام الحصن إلى (18) متراً، ويحيط به من جميع الاتجاهات، ويقع بداخل الحصن الكثير من الدشم والملاجئ والأسلحة الصغيرة، والرشاشات المتوسّطة والثقيلة المبنيّة في جسم الساتر الترابي على طول محيط الحصن».

«ويصل عدد الملاجئ للأفراد والمعدات الثقيلة إلى (24)، ودشم الرشاشات إلى (26)، ودشم الأسلحة المضادة للطائرات إلى (4) بالإضافة إلى عدد من مصاطب الدبابات، والأسلحة المضادّة للدبابات».

«وملاجئ الأفراد مصمّمة لمقاومة جميع الأسلحة دون الذريّة منها، وبها كل وسائل التهوية والتدفئة والإضاءة، والاتصال التليفوني، والتطبيب والتمريض والإسعافات اللازمة، والإعاشة، والترفيه، والتخزينات التي تكفي المدافعين عنها لأشهر طويلة من الحصار إذا حوصرت».

«وترتبط جميع الدشم والملاجئ بخنادق عميقة. وهذه الملاجئ مجهّزة للوقاية من الأسلحة الكيماويّة، وغازات الحرب».

«ويخرج من الحصن مواسير ضخمة تتّصل بخزانات وقود خاصّة في الخلف

وتخترق الساتر الترابي لتلامس صفحة الماء في قناة السويس لتحويلها إلى كتلة من نار تصل درجة حرارتها إلى 700 درجة مئويّة لا تبقي ولا تذر».

ويذكر الكتاب أنَّ هذا وصف موجز لحصن واحد من اثنين وعشرين حصناً امتدّت على طول القناة أي: لمسافة (175 كيلومتراً).

ولم تكتفِ عصابات الجيش اليهودي الجبان بجدار خط بارليف، وبخط المضايق الجبليّة إلى الشرق منه، فأقامت بينهما خطَّين دفاعيين آخرين يقع الأوَّل على مسافة (300 ـ 500م) ويقع الثاني على بعد (3 ـ 5كم) من القناة، وقد أنشىء هذان الخطان بنفس مواصفات الخط الأول.

وقد استطاع جيش مصر الباسل تدمير كل تلك التحصينات المنيعة في ساعات معدودة، وفرَّ الجبناء كالجرذان المذعورة، ولم تنفعهم حصونهم المنيعة.

3 ـ إنشاء جدار أمني إسرائيلي على أرض فلسطين المحتلّة:

- في شهر مايو 2001م قامت القوات الإسرائيليّة المحتلّة لأرض فلسطين باجتياح الضفّة الغربيّة، وأصدرت حكومة هذا الكيان الغاصب قرارها الغاشم بإقامة منطقة عسكريّة عازلة بينها وبين الفلسطينيين، سميت باسم «**الجدار الأمني الإسرائيلي**». وقد صمَّمت هذه المنطقة العسكرية العازلة بتحصينات بالغة لتمتد على طول الخطّ الأخضر مع تعديلات عديدة يبتلع بها اللّص الصهيوني أكثر من 58% من مساحة الضفّة الغربيّة. وبهذه المنطقة المسروقة مائة وثمانون ألف دونم من أجود الأراضي الزراعيّة، بالإضافة إلى مناطق عديدة تتميّز بوفرة المياه تحت سطح الأرض، وعشرات القرى الفلسطينيّة. وقد تم تصميم هذا الجدار بغضّ النظر عمّا سوف يسببه من تمزيق للمدن الفلسطينيّة وتحويلها إلى كنتونات معزولة محاصرة، ومن تدمير النسيج الاجتماعي لشعب فلسطين. ثم قام المستعمر المحتل بإنشاء عدد من المستعمرات على أراضي الضفّة الغربيّة المغتصبة ليزيد من تمزيق الأراضي الفلسطينية بواسطة الجدار الأمني، محولاً الأراضي المغتصَبة إلى

8 مناطق معزولة، ومحاصرة، 14 جيتو يهودي محاطاً بأكثر من 46 حاجزاً عسكريًّا، 126 طريقاً مغلقاً. وكان كلّ ذلك الكيد من أجل الحيلولة دون إقامة أيّة دولة فلسطينيّة في المستقبل القريب.

- وفي 23/ 6/ 2002م بدأ الصهاينة المحتلّون لأرض فلسطين في بناء هذا الجدار الإسمنتي بارتفاع ثمانية أمتار، وبعدد من الأبراج المرتفعة التي تعلوه على مسافات متقاربة، والمزوّدة بآلات تصوير للمراقبة. وأحاطوا هذا الجدار بمنطقة عازلة يتراوح عرضها بين (50 و60م) تضمّ في الجانب الفلسطيني حاجزاً من الأسلاك الشائكة، وخندقاً يصل عمقه إلى أربعة أمتار، ثم طريقاً غير معبّد لدوريّات الجيش المحتل. ويشرف على هذا الطريق سياج من الأسلاك الشائكة بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف المتر مزوّد بأجهزة رادار كاشفة. وعلى الجانب الآخر من الجدار أُقيم حاجز من الأسلاك المزوّدة كذلك بآلات تصوير للمراقبة. ويقدر أن يصل طول الجدار بتعرّجاته المختلفة إلى ألف كيلومتر، وقد تمَّ حتى اليوم بناء 128 كيلومتراً فقط منه.

وكما انهار جدار «خطّ بارليف» في ساعات محدودة تحت أقدام أبطال الجيش المصري فسوف يهدم أبطال الانتفاضة الفلسطينيّة هذا الجدار إن شاء الله ـ تعالى ـ في القريب العاجل. ولن يكون في بناء هذا الجدار حماية للغاصب المحتل كما لم يغن عنه «خطّ بارليف» ففرّ منه جنوده كالجرذان المذعورة بعد ساعات محدودة من اقتحامه في سنة 1973م.

وهنا يتَّضح وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في التعبير القرآني الذي يصف النفسيّة اليهوديّة والمتهوّدة الجبانة بقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ عنها مخاطباً عباده المؤمنين:

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: 14].

ثالثاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾:

يتخيل كثير من الناس أن يهود العالم شيء واحد، والحقيقة أنهم فرق متعارضة، متباغضة، متناحرة، ومتخاصمة فيما بينها، ولا يجمعها ظاهرياً إلا كراهيتهم لكل من هو غير يهودي، وكراهية أهل الأرض جميعاً لهم لعلويتهم الكاذبة وتآمرهم الخسيس على غيرهم من بني آدم، الذين يسمونهم باسم الأمميين أو الأميين، أو الأغيار أو الجويم.

وفيما يلي نذكر عدداً من فرق اليهود والاختلافات بينهم في العقائد والعبادات:

1 ـ السامريون (The Samaritans):

وهؤلاء هم **يهود السامرة (نابلس)** الذين لم يرحلوا عنها بعد تدمير مملكتهم سنة (722ق.م.)، يكفرون كل من داود وسليمان عليهما السلام، ويعتبرون جبل صهيون قاعدة للكفر، ولذلك هم ليسوا بصهاينة، ولا يعظِّمون بيت المقدس، ولا حرمة له عندهم. وقد انقسم السامريون إلى فرقتين هما: **«الدوستانية» (الكاذبة)** و**«الكوستانية» (الصادقة)**. والسامريون يلقون من الصهاينة ما يلقاه الفلسطينيون من الاضطهاد، وهم لا يمثلون اليوم سوى فرقة صغيرة من فرق اليهود، يبلغ عدد أفرادها أقل من ألف، يعيش منهم في نابلس حوالي (325) فرداً.

والسامريون قبلتهم جبل مجاور لنابلس اسمه **جبل «جرزيم»**، ويعتقدون في قدسية نابلس، ولا يعترفون لمدينة القدس بأية قدسية، كما لا يعترفون بالتوراة التي يحملها غيرهم من يهود اليوم لأن لهم توراتهم الخاصة بهم. وتوراة السامريين مكتوبة باللغة العبرية القديمة، وتشمل الأسفار الخمسة الأولى فقط من العهد القديم، وتختلف عنها في نحو ستة آلاف (6000) موضع، وبعض السامريين يضيف إلى الأسفار الخمسة «سفر يوشع بن نون».

و«السامريون» لا يعترفون بما يسمى باسم أنبياء بني إسرائيل، ولا يقرون إلا بنبوة كل من موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وبنبوة نبي واحد يأتي من بعد موسى، يحكم بالتوراة ولا يخالفها (ولعل المقصود بذلك هو سيدنا محمد ﷺ). وهم يؤمنون بعودة المسيح المنتظر (ويسمونه الماشيح)، ولكن لا يؤمنون بالبعث، ويسمون إلاههم باسم «إل» خلافاً لسائر اليهود. ولغة العبادة عند السامريين هي العبرية السامرية. والسامريون لا يأكلون من طعام غيرهم، ويعظمون يوم السبت (والصلاة فيه للرجال دون النساء)، ويحرِّمون الحناء، ويلزمون النساء بغطاء للرأس عند الكبر. والمرأة عندهم تعزل طوال مدة دورتها الشهرية، وعندما تنجب تعزل (42) يوماً إذا كان مولودها ذكراً، (80) يوماً إذا كان مولودها أنثى. والصيام عند السامريين يوم كامل (24 ساعة) ويجب حتى على كل من المريض والطفل المفطوم عن الرضاعة.

2 ـ الزادوكيون (الصدقيون أو العُزيريُّون = The Zadocians or the Saducees):

وهم فرقة يهودية تنسب إلى زادوك (Zadoc)، ارتبطت عقائدهم بالثقافة اليونانية القديمة، ونشبت حروب طاحنة بينهم وبين اليهود الفريسيين مما أدى إلى القضاء التام عليهم تقريباً. والزادوكيون لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ولا بالجنة ولا بالنار، وينكرون وجود أي من الروح أو الملائكة أو الشياطين، كما ينكرون كلاً من تعاليم التلمود، وظهور المسيح. والزادوكيون (أو العزيريون) لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» مضافاً إليها «سفر يوشع» فقط، **ويدَّعون أن «عزيراً» هو ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.**

3 ـ الكتبة الفريسيون (أو الفريزيون = The Pharisees):

وهي فرقة يهودية متشددة ومتعصبة تعصباً أعمى، وتمثل أكبر فرق اليهود في القديم والحديث. وهذه الفرقة تؤمن بجميع أسفار «**العهد القديم**» بالإضافة إلى «التلمود» الذي قام أفراد منها بالتعاون على كتابته. والفريسيون يؤمنون بأن حاخاماتهم معصومون من الخطأ، وأن أقوالهم كالشريعة. وأفراد هذه الطائفة برعوا

في التحايل على تعاليم شريعتهم، مع أنهم يؤمنون بكل من الملائكة والشياطين والبعث ـ لا كما يؤمن به المسلمون ـ ولكن بالمشاركة في مُلك المسيح المنتظر، وأن الصالحين منهم فقط هم الذين سوف يبعثون وينشرون في الأرض. وأفراد الفريسيين يفضلون العزلة عن غير اليهود، ولا يتعاملون معهم إلا في أضيق الحدود. وقد لامهم المسيح عليه السلام بشدة على تزمتهم الكاذب، ونفاقهم الواضح، وعلويتهم المصطنعة ولذلك كانوا في طليعة الذين حاربوه وقاوموا دعوته، وشوهوا صورته، ولوثوا شرف أمه (رفعها الله). لذلك قيل أن الفريسيين هم الذين دبّروا محاولة قتل المسيح عليه السلام وصلبه، ولكن الله ـ تعالى ـ نجّاه من كيدهم ورفعه إليه. وقيل أيضاً أن «**شاؤول الطرسوسي**» الذي تسمى بعد ذلك باسم «بولس» كان من الفريسيين، واندس بين حواريي المسيح بعد رفعه ليفسد عليهم دينهم. ونظراً للتعصب الأعمى للفريسيين فإن معارك طاحنة نشبت بينهم وبين الزادوكيين حتى قضوا عليهم تقريباً.

4 ـ القناؤون (المتعصبون الغيورون):

قيل عن هذه الفرقة أنها شعبة من شعب الفريسيين، أو جناح عسكري لهم، لأن أفرادها كانوا أشد تعصباً من الفريسيين، فاشتهروا بعدم التسامح مع أعدائهم. ولقد قام «القناؤون» بعدة ثورات في مطلع القرن الميلادي الأول، مما دفع بالرومان إلى إبادتهم.

5 ـ الأسينيون (الأسيين = The Essenes):

هم فرقة يهودية ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد، تتسم بالغموض، ويقال أن لفائف البحر الميت التي اكتشفت في سنة (1947م) هي من آثارهم، وقد انقرضت هذه الفرقة بالكامل بعد تدمير بيت المقدس.

والأسينيون يحرِّمون كلًّا من الزواج، والملكية الفردية، والذبح حتى في طقوس عباداتهم، ويؤمنون بمجيء مسيح غير عيسى ابن مريم، كما يؤمنون بالقضاء

والقدر، ويختلفون في شعائرهم عن سائر اليهود.

6 ـ الأبيونيون (The Ebionites):

فرقة من اليهود امتد وجودها من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الميلادي الثاني، آمن أفرادها باللّهلله وبعبده ونبيه عيسى عليه السلام على أنه عبدٌ للّه ورسول من رسله، وأنه لم يُصلب بل رفعه الله تعالى إليه. ولكن عندما دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين إلى المسيحية وأدخل معه العديد من الطقوس الرومانية الوثنية، وقع الأبيونيون بين عدوين ضاريين كانا: اليهودية على شريعة التلمود من جهة، والنصرانية التي حرّفها بولس من جهة أخرى، فكان في ذلك فناؤهم واندثار معتقداتهم، في نهاية القرن الرابع الميلادي. وقد بقيت هذه الفرقة تعظم يوم السبت، **وترفض تعاليم بولس وتعتبرها من الهرطقة، وتنكر كافة عقائد النصارى.**

7 ـ المقاربة واليوذعانية:

وهذه الفرقة نهت عن كل من أكل اللحوم وشرب الأنبذة، ونادت بأن للتوراة ظاهراً وباطناً، وأثبتت نبوة المصطفى ﷺ.

8 ـ القراؤون:

هذه الفرقة اليهودية ظهرت في العراق، في زمن أبي جعفر المنصور، وتأثرت أفكارها بعلم الكلام عند المسلمين. والقراؤون يخالفون سائر اليهود في أعيادهم، ويؤمنون بالأسفار الخمسة فقط من «العهد القديم». ويؤمنون كذلك بمسيح غير عيسى ابن مريم الذي لا يؤمنون بنبوته، ولا بالأناجيل التي تروي سيرة حياته.

9 ـ يهود الدونمة:

وهذه الفرقة تعيش في تركيا وتنسب إلى اليهودي «**شبتاي زيفي**» الذي ادعى بأنه هو المسيح المنتظر، لذلك في القرن السابع عشر الميلادي، إثر رواج الشائعات بأن المسيح سوف يظهر في سنة (1648م) ليقود اليهود، ويحكم العالم من القدس الشريف. التفّ اليهود حول «**شبتاي زيفي**» هذا، ولكن سرعان ما تمّ

القبض عليه بواسطة السلطات التركية، وقدم للمحاكمة فتظاهر بقبول الإسلام ديناً حتى عُفي عنه ثم شكل هذه الفرقة التي عرفت بيهوديتها على الرغم من تظاهرها بالإسلام وحمل أتباعها أسماءً إسلامية. وهذه الفرقة تحرم تعدد الزوجات، كما تحرم الزواج إلا من بين أبناء الطائفة، وتفرض الختان.

10 ـ اليهودية الإصلاحية (Reformed Judaism):

هذه الحركة نشأت على يد اليهوي «**موسى مندلسون**» في ألمانيا، وكان ذلك في القرن الثامن الميلادي، في محاولة للانفلات من تشدد حاخامات اليهود وتسلطهم. ولذلك طالبت هذه الحركة بالخروج من العزلة والعنصرية التي فرضها الحاخامات على اليهود، وطالبت بالاندماج في المجتمعات التي كان أفرادها يعيشون فيها. كما طالبت باعتبار اليهودية ديناً وليست جنسية، وحاربت دعوى التميز العرقي لليهود، وطالبتهم بضرورة تغيير العديد من الطقوس والعبادات التي تعزلهم عن مجتمعاتهم. **وأنكرت هذه الحركة الوحي والبعث، وأسطورة أرض الميعاد، وعقيدة بناء دولة يهودية عليها. وكما أنكرت انتظار المخلص، واعتبرت كل معبد يهودي هيكلاً لرواده، وأباحت اختلاط الجنسين في تلك المعابد، كما أباحت استعمال الآلات الموسيقية والإنشاد في الصلاة. وهذه الحركة انتشرت من ألمانيا إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وأوكرانيا.**

11 ـ اليهودية المحافظة (Conservative Judaism):

وهي فرقة يهودية نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي كرد فعل للحركة اليهودية الإصلاحية، وللتوسط بينها وبين اليهودية الأرثوذكسية المتشددة في تعصبها لما يسمونه باسم «الموروث الديني». وهذه الفرقة كانت أول الفرق اليهودية في تعيين امرأة في وظيفة حاخام بعد أن كان ممنوعاً على النساء الدخول إلى معابد اليهود. وهذه الفرقة مرفوضة من اليهود المحتلين للأراضي الفلسطينية على الرغم من دعمها المادي للحركة الصهيونية العالمية. وأفراد هذه الفرقة يؤمنون بالأسفار الخمسة في «العهد القديم»، ويعتبرون

«التلمود» إنتاجاً بشرياً خالصاً، ولا يؤمنون بعودة المسيح، ويحافظون على كل من قوانين الطعام، والختان، وعلى فكرة العودة إلى أرض فلسطين.

12 ـ اليهودية الأرثوذوكسية (Orthodox Judaism):

هذه الفرقة ظهرت في بابل في حدود القرن السادس قبل الميلاد، وتقوم على أساس من تشكيل قوة قتالية عنصرية مستعلية على الخلق، غير قابلة للاندماج مع الغير، بل حريصة على الانعزال عنه، والتآمر عليه. وهي فرقة متشددة تؤمن بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأبناؤه، وأحباؤه، وتتمسك بالتراث الشفهي كما تتمسك بالتراث المكتوب، وترفض التجديد أو التغيير في أي منهما باعتبارهما وحياً من الله، وتقوم بتفسيرهما تفسيراً حرفياً. وأفراد هذه الفرقة لا يسمحون باختلاط الجنسين في العبادات، وهم يؤمنون بعودة المسيح، وبالعودة إلى أرض فلسطين.

13 ـ العيسوية:

نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وهذه الفرقة تقول بنبوة كل من عيسى ابن مريم ومحمد ـ صلى الله وسلم وبارك عليهما ـ وهم يخالفون اليهود في كثير من أحكام الشريعة.

14 ـ فرقة الحسيديم (Hasidic Jews):

هذه الفرقة أسسها اليهودي **«إسرائيل بن إليعازر»** في القرن الثاني قبل الميلاد، وعقيدتها حلولية، حيث يؤمنون بتناسخ الأرواح، وبأن العبادة تتم بأية طريقة ممكنة، وأن فلسطين محور الكون، وأن الشر داعم للخير، وهم يحرِّمون كلاً من الزواج، والملكية الفردية، والأضاحي، والقرابين.

15 ـ اليهودية المتحررة أو التجديدية (Libral Judaism = Reconstructurism):

وهي حركة تعتبر أكثر تحرراً من بقية الجماعات اليهودية الأخرى، وإن كانت اتجاهاتها غير واضحة. وهناك فرق وحركات يهودية أخرى عديدة مثل **البودجانية**، و**المارانوسية**، و**السبئية**، والتي ادعى بعض منشئيها النبوة، وانحرفوا بمعتقداتهم انحرافاً شديداً.

كذلك انقسم اليهود عرقياً إلى يهود السفارديمي وهم يهود بلاد الأندلس **(Sephardim or Sephardic Jews)** وإلى يهود السكناج أو الأشكنازيم (Ashkenazim or Ashkenaz Jews). والسكناج هم يهود كل من أوروبا الشرقية وألمانيا، وهم من سلالة المتهودين الخزر (The Chazar or the Khazar Jews) الذين هاجروا من مملكة الخزر القديمة إلى بولندة، وكوّنوا كياناً لهم هنالك في القرن الثامن عشر الميلادي. ومن بولندة انتشروا إلى بقية دول أوروبا الشرقية.

رابعاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾:

من كل ما سبق يتضح لنا بجلاء أن اليهود الذين يصرون على أنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، بينما بقية البشر هم مجرد حيوانات خلقت على هيئة الآدميين حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود، هم أناس لا عقل لهم. وذلك لأن جميع المعارف الحديثة ـ وفي مقدمتها علم الوراثة ـ تدحض دعواهم من أساسها. كذلك يدحض دعواهم كل من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة وهما مصدرا الوحي السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم في نفس لغة الوحي بهما.

من هذا الاستعراض يتضح الاضطراب في معتقدات اليهود عبر التاريخ، ومن هنا تتضح لمحة الإعجاز القرآني في وصفهم بأنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ حتى لو كانوا يحملون أعلى الدرجات في المعارف الدنيوية، لأن فساد العقيدة يُفقد الإنسان توازنه وقدرته على الحكم في الأمور غير المادية، ومن أهمها وأخطرها قضية الدين.

99 ـ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ [المائدة: 82].

في هذا النص القرآني الكريم إعجاز إنبائي وتاريخي عظيم، وذلك لأنَّه منذ أن عقد رسول الله ﷺ معاهدة تعايش مع يهود المدينة المنوّرة، فإنَّهم لم يفوا بهذا العهد أبداً ولم يكن ذلك بالأمر المتغرب منهم لأنهم كانوا من نسل أناس لم يحفظوا عهودهم للّه ـ تعالى ـ ولأنبيائه ورسله الذين أُرسلوا لهدايتهم من قبل. لذلك نزل حكم الله ﷻ في يهود المدينة حيث يقول مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: 99 ـ 101].

فبعد أن دخلت قبيلتا «الأوس والخزرج» في دين الإسلام، فقد اليهود دورهم الخبيث الذي كانوا قد تعوّدوا عليه في إثارة الفتنة بينهما. لذلك أضمر يهود المدينة العداء للإسلام ولرسوله، وللمؤمنين به. ثم زاد حقدهم على دين الله حين خلصت قيادة المدينة بالكامل إلى رسول الله ﷺ وصحبه الكرام من المهاجرين والأنصار فتلاشى تسلّط اليهود على أهل المدينة، كما تلاشت كلّ وسائلهم لإثارة الفتنة بين كل من «الأوس والخزرج»، والأنصار والمهاجرين، على الرّغم من استخدامهم لكل ما كان قد تجمع لدى اليهود عبر التاريخ من وسائل الخداع والمكر، وحبك صناعة الدسائس والفتن.

وحينما استعصت حصافة المسلمين في المدينة على كلّ دسائس وفتن اليهود، اتَّجهوا إلى تأليب قوى الكفر والشرك والضلال في الجزيرة العربيّة على دولة

الإسلام في المدينة، وفي ذلك يخاطبهم القرآن بقول ربّنا ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

[النساء: 47 ـ 51].

وبعد قيام دولة الإسلام وامتدادها من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً في أقل من قرن من الزمان، لم يجد كفّار اليهود أمامهم من وسيلة لمحاربة دين الله سوى الدسّ عليه بمفترياتهم الكاذبة التي استمرّت على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد. ثم تزايدت مفتريات اليهود على دين الله، وكتابه، وخاتم رسله في الأزمنة المتأخّرة بشكل رهيب. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أنَّ اليهود كانوا من وراء كلّ حروب العالم وفتنه، خاصّة تلك الحروب والفتن التي تعرّض لها العالم الإسلامي من مثل **الحروب الصليبيّة**، **غارة التتار**، **إخراج المسلمين من الأندلس**، **الاحتلال العسكري لغالبيّة أراضي المسلمين**، **إسقاط دولة الخلافة العثمانيّة**، **وفرض الوصاية البريطانيّة على أرض فلسطين** من أجل تيسير هجرة اليهود غير المشروعة إليها. وللتمهيد لذلك سعوا إلى تبديل اسم «**المشرق العربي**» بمسمى «**الشرق الأوسط**» من أجل إيجاد مكان لليهود في هذه المنطقة العربيّة، **ورفعوا العديد من الرايات الغريبة في قلب العالمَيْن العربي والإسلامي من مثل الليبرالية، والعلمانية، والاشتراكية، والشيوعية، والبعث العربي الاشتراكي، والقومية العربية**، وذلك من أجل إقصاء الإسلام عن مقامات اتخاذ القرار. ولخوف اليهود من إمكانيّة إعادة توحيد المسلمين خططوا بخبث شديد للحيلولة دون إمكانيّة تحقيق ذلك، فمنذ اللّحظة الأولى لدخولهم إلى المنطقة العربيّة نجحوا في إغراقها

في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار كما يتَّضح في النقاط التالية:

1 ـ الهجمة الإجراميّة الوحشيّة الشرسة على قطاع غزّة في 1908/ 1909م، بعد حصار لأكثر من ثلاث سنوات، ومنع وصول أي من مقوّمات الحياة إلى أهل ذلك القطاع كي يموتوا جوعاً وعطشاً ومرضاً، فيستسلموا للمخطط الصهيوني الشيطاني من أجل ابتلاع المنطقة العربيّة بالكامل. ولمَّا لم يستسلم شعب غزّة البطل كانت هذه الهجمة الشرسة التي سقط من خلالها أكثر من ألف وأربعمائة شهيد، وآلاف الجرحى من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وتمّ تدمير كل شيء على وجه الأرض من المساكن، والمدارس، والمساجد، والمستشفيات، والمكاتب، والدواوين الإداريّة، والمحال التجاريّة، والورش الصناعيّة، والمزارع النباتيّة والحيوانيّة. وقد تمّت تسوية ذلك كلّه بوجه الأرض في وحشية منقطعة النظير، وبقصف بمختلف أنواع الأسلحة من الجو والأرض والبحر، ومنها الأسلحة المحرَّمة دوليًّا.

2 ـ الهجمة الإسرائيليّة الإجراميّة الشرسة على دولة لبنان في يونيو 2006م، والتي راح ضحيّتها مئات الشهداء وآلاف الجرحى، وتمّت تسوية العديد من المنشآت المدنيّة بالأرض، ومنها الجسور، والطرقات، والمدارس، والمستشفيات، والمنازل والمصانع، وغير ذلك من المنشآت، وحدث خلال هذه الهجمة الإسرائيلية الشرسة الكثير من المذابح ومنها «**مذبحة قانا الثانية**».

3 ـ في فجر 22/ 3/ 2004م قامت طائرات العدو الإسرئيلي المروحيّة باغتيال الشيخ أحمد يّس رَحِمَهُ اللهُ وذلك بتسديد صواريخ مضادة للدروع على موكبه وهو خارج من المسجد عقب صلاة الفجر، وهو شيخ مقعد، وكان حوله عدد من المرافقين الذين قتل منهم من قتل، وأصيب مَن أُصيب في وحشية منقطعة النظير.

4 ـ في صبيحة الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001م رتبت المخابرات

الإسرائيليّة (الموساد) مع المخابرات الأمريكيّة (C.I.A) مسرحيّة ضرب كل من برجي مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكيّة (البنتاجون). وكان الهدف من وراء ذلك هو تحجيم المدّ الإسلامي في العالم الغربي، وإعطاء الضوء الأخضر للكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين لإنهاء القضية الفلسطينيّة. وكان من وراء ذلك أيضاً إعطاء المبرر الصوري للولايات المتَّحدة الأمريكيّة وحلقاتها لغزو دولتين عضوين في الأُمم المتَّحدة (هما كلّ من أفغانستان والعراق) متجاوزين في ذلك كل القوانين الدوليّة. وفي هذين البلدين المسلمين تمّ قتل وإصابة آلاف المسلمين من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان، وتمّ تدمير البلدين تدميراً كاملاً، كما تمّ اعتقال الآلاف من الرجال والشبان والنساء وتمّ تعريضهم لأبشع أساليب التعذيب. وكان من أهداف هذا الاحتلال إثارة الفتن الطائفيّة والعرقيّة والدينيّة في المنطقة من أجل مزيد من تفتيت العالمين العربي والإسلامي، حتى تبقى اليد العليا في المنطقة لشراذم الصهاينة، وحتى يعاود الاستعمار الغربي احتلاله لديار المسلمين.

5 ـ في 28/ 9/ 2000م قامت القوات الإسرائيليّة بهجمة شرسة بشعة على شباب الانتفاضة الثانية التي تحرّكت بها جموع الفلسطينيّين واستمرَّت لأكثر من أربع سنوات، تعرّض خلالها الأطفال والشبان والفتيات إلى **«حملة إسحاق رابين» لتحطيم العظام** تحت مرأى ومسمع من العالم كلّه دون حراك.

6 ـ في فجر الجمعة 15 من رمضان 1414هـ (1994م) قام أحد الصهاينة المجرمين باسم **(جولد شتاين)** بالتسلل إلى داخل المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل وفاجأ جموع المصلّين الصائمين الساجدين للَّه ـ تعالى ـ في صلاة الفجر بهجومه الوحشي عليهم بزخّات رشاشة، فقتل وجرح المئات من المصلّين ولم يوقف تلك المذبحة إلَّا مَن نجا من المصلّين الذين تكاثروا على هذا المجرم ضرباً بالنّعال حتى نفق، وهلك إلى الجحيم إن شاء الله.

7 ـ عقب **«مؤتمر مدريد»** الذي عقد في (30/ 10/ 1991م) توالت الاتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينيّة والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين من

أجل الوصول إلى ما يسمى بالتسوية السلميّة. وبعد جدل طال تحللت العصابات الصهيونيّة من كلّ ما قطعته على نفسها من الوعود والعهود، وبدأت في اجتياح الأراضي الفلسطينيّة في هجمات وحشيّة سافرة أغرقت البلاد في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار.

8 ـ في 8/ 10/ 1990م قتلت الشرطة الصهيونيّة بدم بارد سبعة عشر فلسطينيًّا وجرحت أكثر من مائة وخمسين آخرين في ساحة حرم المسجد الأقصى الشريف.

9 ـ بتاريخ 16/ 5/ 1990م قام الصندوق السويدي لإنقاذ الأطفال بنشر تقرير اتّهم فيه القوات الإسرائيليّة المحتلّة لأرض فلسطين باستخدام أساليب شديدة القسوة، وغير مميزة، ومتكرّرة من العنف ضد الأطفال الفلسطينيين. وقد أدّت هذه الأساليب العنيفة إلى قتل (159) طفلاً بمتوسط عمر عشر سنوات، وجرح ستة آلاف وخمسمائة (6500) طفل دون السادسة عشر من العمر بقذائف عسكريّة. كذلك أدت إلى إصابة أكثر من ثمانية وأربعين ألف (48,000) طفل آخرين أكثر من (40%) منهم دون سن العاشرة بإصابات متفرّقة، وذلك خلال السنتين الأولتين من انتفاضة الأقصى الأولى (1987 ـ 1993م).

هذه قطرة من بحر جرائم الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، تلك الخليّة السرطانيّة التي غرسها الغرب الصهيوني/ الصليبي الحاقد في قلب المنطقة العربيّة بمؤامرة حقيرة. وإذا أضفنا إلى قائمة الجرائم الإسرائيليّة تلك **المذابح الوحشيّة البشعة التي اقترفها الصهاينة المحتلّون في كل من (يافا، حيفا، الجليل، قبية، نحالين، القدس، قلقيلية، صفد، رام الله، الحولة، الخليل، الناصرة، نابلس، وادي الأردن، صور باهر، دير ياسين، القسطل، ناصر الدين، طبريا، بيسان، خان يونس، غزّة، كفر قاسم، الدوايمة، اللدّ والرملة، البريج، السموع)**، وغيرها من المذابح التي قام بها جنود الصهاينة ضد المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان الذين ذبحوهم وهم أحياء وسرقوا مساكنهم ومزارعهم وجميع

ممتلكاتهم، اتضح الهدف من زرع هذا الكيان الغريب في قلب المنطقة العربية.

وفي خلال هذه المجازر الوحشية جربت عصابات الصهاينة المحتلّة لأرض فلسطين أحقر وسائل **الاغتيالات السياسية** للقادة الفلسطينيين، وللعلماء العرب والمسلمين، وحتى للأجانب المتعاطفين مع القضيّة الفلسطينيّة ومع غيرها من القضايا العربيّة. لذلك قاموا بإرسال الرسائل المفخخة للعلماء الألمان الذين تعاونوا مع المصريين في تطوير صناعة الصواريخ، وجرّبوا القتل الجبان للآمنين في مساكنهم، في مئات الحالات. جرّبوه في لبنان (باغتيال أبو يوسف النجّار ورفاقه)، وجرّبوه في تونس (باغتيال أبو جهاد وأبو إياد ورفاقهما)، كما نفذوه في العشرات من المجاهدين على أرض فلسطين (من أمثال يحيى عيّاش، وفتحي الشقاقي، وأبو علي مصطفى، وجمال منصور، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، وإبراهيم المقادمة، وعبد العزيز الرنتيسي، وغيرهم كثير كثير)، وإن ننسَ لا ننسى العمليّة الحقيرة التي قاموا فيها بدسّ السمّ لياسر عرفات، على مرأى ومسمع من العالم كلّه.

وسجل الجرائم التي اقترفها الصهاينة المجرمون في حقّ الإسلام والمسلمين، وفي حقّ البشر أجمعين من الأغيار أو الأُمميين يحتاج إلى مجلّدات تنوء بحملها الجبال، وتعجز عن تسجيلها أعظم الحواسيب العملاقة مهما بلغت قدراتها، وكل ذلك ينطق بومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ وقوله الحق: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: 82].

وهذه الآية القرآنيَّة الكريمة تنبّه الغافلين من الزعماء العرب إلى استحالة تحقيق إمكانيّة التعايش بسلام، أو التبادل الدبلوماسي، أو التجاري، أو السياحي، أو فتح الحدود، مع هذه العصابة من اللّصوص، السارقين، المغتصبين، المفسدين في الأرض، والمتجبّرين على الخلق وقتلة الآلاف من الأبرياء العُزَّل من السلاح، وتذكرهم بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة: 51].

100 ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: 4].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تخبرنا بأنَّ «بني إسرائيل» سوف يفسدون إفساداً كبيراً في الأرض مرّتين، وسوف يعلون علوًّا كبيراً، وفي ذلك يقول الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: 4 ـ 8].

وواضح من هذه الآيات الكريمات أنَّ الإفساد الكبير الأول لبني إسرائيل في الأرض كان في المدينة المنورة، وانتهى بإجلائهم عن أرض الجزيرة العربيّة بالكامل. أمَّا إفسادهم الكبير الثاني فهو الواقع الآن على أرض فلسطين، والذي ينتظر القائد المسلم الشجاع الذي سوف يسوء وجوه هؤلاء المفسدين في الأرض فيطهّرها من دنسهم، وينقذ المسجد الأقصى من بين أيديهم القذرة عاجلاً غير آجل بإذنه ـ تعالى ـ وبتأييده ونصره.

من الدلالات الإنبائيّة والتاريخية في الآية الكريمة:

أوَّلاً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: نجد أن لفظة (القضاء) في اللّغة العربيّة تعني الحكم، وجمعه (الأقضية)، و(قضى)، (يقضي)، (قضاء) أي: حكم

وأمر وأعلم بالحكم والفصل فيه، ومعناه فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً. وقد يكون (القضاء) بمعنى الصنع والتقدير والإبداع والفراغ من كل ذلك. و(قضى) الدَّيْنَ بمعنى فصل الأمر فيه برده، و(الاقتضاء) المطالبة بقضائه. و(القضاء) من الله ـ تعالى ـ أخصّ من القدر لأنَّه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، و(القضاء) هو الفصل والقطع فيما قدر؛ وكل ما لم يكن (قضاء) فمرجو أن يدفعه الله، ولكن إذا (قضى) فلا دافع له، ولا يمكن تلافيه.

والفعل (**قضينا**) في الآية الكريمة التي نحن بصددها هو بمعنى الإخبار، وليس بمعنى الإجبار، فهو من علم الله ـ تعالى ـ وهو علم شمولي محيط بكلّ شيء (الماضي والحاضر والمستقبل، فكلّ ذلك عنده ﷻ حاضر)، وذلك لأنَّ الزمن من خلقه، والخالق محيط بخلقه، والمخلوق لا يحدّ خالقه أبداً. فالمستقبل بالنسبة للإنسان لم يكن بعد، وهو في علم الله الخالق البارئ المصوّر كائن قائم مشهود. ولذلك علم الله ـ تعالى ـ بعلمه المحيط أنَّ بني إسرائيل سوف يفسدون في الأرض مرّتين، وأنَّهم سوف يعلون علواً كبيراً، وسوف يتجبّرون على أهل الأرض. وأنهم كلّما بالغوا في تجاوزاتهم سلَّط الله ﷻ عليهم من عباده مَن يذيقهم سوء العذاب بقهرهم وإذلالهم، وتدميرهم، واستباحة جميع حرماتهم.

وكان هذا القضاء الإلٰهي في «التوراة» التي آتاها الله ـ تعالى ـ عبده ورسوله موسى بن عمران ﷺ وإن رأى بعض المفسّرين أنَّ المقصود بالكتاب في هذه الآية الكريمة هو اللّوح المحفوظ، وكلاهما يشير إلى علم الله المحيط بكلّ شيء.

ثانياً: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: 4].

(إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، ومعنى الاسم «إسرائيل» هو عبد الله. ولا نعرف من تاريخ يعقوب ﷺ سوى أنَّه ولد في زمن جدّه الخليل، وكانت وفاته بمصر عند ولده يوسف ﷺ، وأنَّه أبو الأسباط، ومن هنا سمي نسله باسم «بني إسرائيل». وقد أقام يعقوب ﷺ بمصر أربعاً وعشرين سنة، فلمَّا حضرته

الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يدفنه عند أبيه إسحاق في أرض فلسطين. وبالفعل نفَّذ يوسف عليه السلام الوصيّة بذلك، ونقل جثمان أبيه في تابوت من مصر إلى أرض فلسطين.

ويخطئ مَن يتصوّر أنَّ يهود اليوم هم كلّهم من نسل يعقوب عليه السلام، وذلك لأنَّ اليهوديّة كإحدى الأديان السماوية قبلها أفراد من أعراق متعددة وعلى ذلك فإنَّ الادّعاء بنقاء العرق اليهودي هو ادّعاء كاذب ينكره علم الأجناس، كما ينكره وجود أعراق يهوديّة متعدّدة اليوم [(يهود الخزر أو (**الإشكنازيم**)، يهود أسبانيا أو (**السفارديم**)، يهود الحبشة أو (**الفلاشا**)، و**اليهود العرب** (يهود كل من شمالي إفريقيا، واليمن، والعراق) **ويهود كل من بلاد فارس والهند والصين**].

ويشكّل «**يهود الخزر**» (وهم يهود روسيا وأوروبا الشرقيّة) أكثر من 92% من مجموع يهود اليوم. والخزر كانوا شعباً وثنياً قديماً (تركي/ مغولي/ تتري الأصل) عاش في المنطقة بين كل من وادي الفولجا ووادي الدانوب، وبين كل من البحرين الأسود وقزوين، ولا علاقة لهم بالمنطقة العربيّة ولا بالأُصول السامية من قريب أو بعيد. وهذا الشعب الخزري أقام في الفترة ما بين القرنين الثاني والعاشر الميلاديين مملكة وثنيّة حول بحر قزوين عرفت باسم «**مملكة الخزر**». شقّت طريقها إلى أوروبا الشرقيّة عبر سلسلة من الحروب الدمويّة التي استمرّت لعدّة قرون.

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي (سنة 740م) وصل إلى مملكة الخزر عدد من حاخامات اليهود الذين ساوموا ملك الخزر وكان اسمه **الملك** «**بولان**» (Bulan) على قبول اليهوديّة ديناً فتهوّد، وأجبر أهل مملكته على التهوّد بإعلان اليهوديّة ديناً رسميًّا لمملكة الخزر.

وفي القرن العاشر الميلادي تمكّنت الإمبراطوريّة الروسيّة من غزو مملكة الخزر والقضاء عليها، فهاجر النَّاجون من سكانها إلى دول أوروبا الشرقيّة، ومنها رحلوا إلى أوروبا الغربيّة ثم إلى الأمريكتين. ومن بقي من متهودي الخزريين مثلوا يهود الإمبراطوريّة القيصريّة الروسيّة، وهؤلاء يعرفون باسم «**الأشكنازيم**» (أو **السكناج**) أو يهود أوروبا الشرقيّة وهذا مفصل في المرجعين التاليين:

1 - Dunlop, D.M. (1954): The History of the Jewish Khazars, Princeton University Press.
2 - Koestler, Arthur (1965): The Khazars: The Thirteenth Tribe, Its Heritage and its Empire.

أمَّا اليهود من غير الخزر فيشكّلون أقل من (8%) من مجموع يهود اليوم، وهم يهود كل من آسيا وأفريقيا، وبلاد الأندلس، ويعرفون باسم الأسفارديم ـ أو السفاراديم ـ. وهذا يبطل الادّعاء الكاذب بنقاء العرق اليهودي من الاختلاط بأيّة أعراق أخرى، وبنسبته إلى عبد الله ونبيه يعقوب (إسرائيل) ﷺ. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الادعاء يبطله كل من علم الوراثة، وعلم الأجناس، كما يبطله التاريخ، ويؤكد على بطلانه نفي الإسلام للعصبيات المنتنة.

من هنا كان التعبير القرآني «**بنو إسرائيل**» ليس تعبيراً عرقيًا، لأنَّ القرآن الكريم يؤكّد وحدة الجنس البشري (الذي يرده إلى أب واحد وأم واحدة)، بل هو وصف لجماعة من النّاس مبالغة في أنانيتها. وقد وصلت الأنانيّة المفرطة في أفرادها إلى ما دفعهم إلى الاعتقاد الخاطئ بأنَّهم وحدهم هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبَّاؤه، وأنَّ غيرهم من الخلق عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين للقيام على خدمة اليهود. وانطلاقاً من أنانيتهم المفرطة فإن هذه الجماعة المستعلية بالباطل أقنعت أتباعها بأنَّ الربّ هو ربّ إسرائيل والإسرائيليين فقط، وأنَّ الأغيار (الأمميين) لا ربّ لهم. من هنا استحل اليهود استباحة دماء الأغيار، وأموالهم، وأراضيهم، وأعراضهم، ويعتبرون ذلك قربة إلى الله (تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً).

وانطلاقاً من هذه العقيدة الفاسدة برع اليهود ـ عبر التاريخ ـ في التعصب ضد كل من هو غير يهودي. وقد أفاض القرآن الكريم في وصف ملامح الشخصيّة اليهوديّة، وخصائصها الذاتيّة، والدوافع النفسيّة التي صاغت تلك الشخصيّة. وهي شخصية متغطرسة، متجبّرة، متكبّرة، قاسية، مستعلية على الأغيار بالباطل. ولذلك فهي تكره كل ما هو غير يهودي، وتتفنن في الغدر به، ونقض العهود والمواثيق

معه، والمبالغة في الحقد عليه، والحسد له، ومن هنا كان إصرار اليهود على إشاعة الفواحش بين الناس، وعلى هدم كلّ قيمة أخلاقيّة وكلّ فضيلة في مجتمعاتهم. وقد دفع ذلك غالبية أهل الأرض إلى الكراهية الشديدة لسلوكيات اليهود التي نتجت عن عبثهم بالدين وابتداعهم فيه، وكانت دافعاً لتعصبهم ضد الإنسانية كلها. فاليهود قاتلوا أنبياء الله وقتلوا بعضهم، وأوقدوا نيران الحروب والفتن على سطح الأرض، واستباحوا كل حرمات الآخرين بدعوى أنَّهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحبّاؤه وهي دعوى باطلة ولا أساس لها من الصحّة.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4].

اختلف المفسّرون في تحديد مرَّتي الإفساد الكبير الذي قام به بنو إسرائيل في الأرض، ولكن الرَّاجح أنَّ هاتين المرَّتين هما من أبشع ما قاموا به من إفساد، لأنَّ الإفساد في الأرض أصبح جزءًا لا يتجزَّأ من تكوينهم النفسي والعقدي.

والرَّاجح عند المفسّرين **أنَّ المرّة الأولى من الإفساد الكبير لبني إسرائيل في** الأرض قامت به فلول اليهود كانت في المدينة المنوّرة حين عادوا رسولَ الله ﷺ ورفضوا دعوته، وتآمروا عليه، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا مع الوثنيين من أعدائه، وألّبوا القبائل عليه، وحاولوا سمّه وقتله. ولكن الله ـ تعالى ـ نجّاه من كيدهم، ونصره عليهم بعد أن تكررت خيانات يهود كل من «بني قينقاع»، و«بني النضير»، و«بني قريظة»، و«خيبر»، فأمر رسول الله ﷺ بإجلائهم عن جزيرة العرب إجلاءً كاملاً فتطهّرت الأرض من أرجاسهم.

وكان الإفساد الكبير الثاني لليهود في الأرض هو هيمنتهم على عالم اليوم، هذه الهيمنة التي مكّنتهم من التآمر على أرض فلسطين بدءاً من سنة **(1649م)** حين أقاموا في بريطانيا **حركة صليبيّة ـ صهيونيّة تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين** بعد طردهم منها قبل ألف وستمائة سنة. ومن أجل تحقيق ذلك خططت الحركة الصهيونية العالمية بأذرعها المتعددة لإسقاط دولة الخلافة الإسلاميّة بعد إنهاكها في

سلسلة طويلة من المعارك التي لم تتوقف لعدة قرون، وبعد إسقاطها قسموا العالم الإسلامي إلى أكثر من (62) دولة ودويلة، وخططوا لاحتلال هذه الدول والدويلات بواسطة الدول الغربيّة المختلفة. ثم دعوا في سنة (1799م) للهجرة إلى فلسطين وتمكّنوا من امتلاك أوَّل قطعة أرض في تلك البلد المباركة سنة (**1854م**) بواسطة الضغوط الدوليّة. وبعد ذلك أنشأوا «**الاتحاد الإسرائيلي العالمي**» في فرنسا سنة (1860م). ومن خلال القوى المحتلّة لغالبية دول العالم العربي وعلى رأسها بريطانيا بدأت هجرة اليهود سرًّا إلى أرض فلسطين.

في سنة (**1895م**) أصدر النمساوي اليهودي «**هيرتزل**» كتاباً بعنوان **دولة اليهود**، وعقد «**المؤتمر الصهيوني العالمي الأول**» في سنة (**1897م**)، ثم تلاه عدّة مؤتمرات إلى اليوم. ومن خلال هذه المؤتمرات أشعل اليهود الحربين العالميتين الأولى والثانية، وسعوا إلى إعلان بريطانيا «**وعد بلفور**» في سنة (**1917م**)، **وأسسوا الثورة الشيوعيّة** في روسيا في السنة نفسها. **فلينين** (Lenin) الذي قاد الثورة البلشفية (The Bolshevik Revolution) في سنة (1917م) كان من أصول يهودية، وكانت زوجته يهودية، كما كان من رموز الحركة الماسونية العالمية. وكان المجلس الثوري الأول الذي شكله **لينين** يتكون من (384) عضواً، كانت غالبيتهم الساحقة من اليهود، فكان من بينهم (13) روسي فقط، (15) صيني، 356 يهودي. وكان من بين هؤلاء اليهود (264) قدموا من الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما شكل لينين اللجنة الحكومية البلشفية الأولى سنة (1918م) كانت تتألف من إثني عشر (12) عضواً كلهم من قيادات الحركة الماسونية العالمية، وكانت غالبيتهم من اليهود. وكان المجلس الحاكم مع السيد/ لينين يضم (59) عضواً، من بينهم (56) يهودي، وثلاثة من غير اليهود ولكن متزوجين من يهوديات، وكان على رأسهم **ستالين** (Stalin, 1879-1953).

كذلك كان **كارل ماركس** [Karl Marx 1818-1883] الألماني الذي حمل كلاً من المشروع اليهودي التلمودي، ولواء الشيوعية، وحرر البيان الشيوعي (The

Communist Manifesto) في سنة (1848م) بالتعاون مع الألماني **فريدريك إنجلز** (Friedrich Engels, 1820-1895)، كان يهودياً من عائلة تلمودية، وتربّى على أيدي الأب الروحي للصهيونية العالمية **هيس** (Hesse).

والمآسي والمجازر التي عانى منها غالبية أهل الأرض ـ بصفة عامة ـ والمسلمون ـ بصفة خاصة ـ بسبب المد الشيوعي أكبر من أن تحصى هنا. وهذه المآسي تمتلئ بها كتب التاريخ، خاصة ما كتب عن الخراب والدمار الذي سبّبه الاتحاد السوڤييتي في الجمهوريات الإسلامية التي احتلها عنوة.

ومن قبل كانت الحركات التلمودية المستترة من وراء قيام **الثورة الفرنسية (1789 ـ 1799م)**، التي لا تزال تحكم فرنسا إلى اليوم. وكان حكام فرنسا التلموديون من وراء احتلال هذه الدولة الأوروبية لكل من الجزائر (1830 ـ 1962م)، وتونس (1881 ـ 1956م)، والمغرب (1901 ـ 1955م)، ولكل من سوريا ولبنان (1919 ـ 1945م). والأثر التدميري الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي في العالمين العربي والإسلامي لا زلنا نعاني منه إلى اليوم.

كذلك لا يخفى على عاقل ما أحدثته كتابات الإنكليزي المسمى **تشارلس داروين** (Charles Robert Darwin 1809-1882)، وكتابه المعنون «عن أصل الأنواع» (On the Origin of Species, 1859)، في تغريب العالم عن الدين. وبالمثل لا يمكن أن ننسى أثر اليهودي النمساوي **سيجموند فرويد** (Sigmand Freud, 1939-1856) الذي نقل كل نظرياته الشاذة في علم النفس عن **كتاب القبالة** (Cabbala = Cabala) وهو كتاب تلمودي موضوع. وهذان نموذجان من سيل كتابات غيرهما من قيادات الحركات الماسونية أو الصهيونية العالمية من تدمير وتغريب في العالم ـ بصفة عامة ـ، وفي عالمنا الإسلامي ـ بصفة خاصة ـ.

ولم تكتفِ الحركات اليهودية العالمية بكل هذه المؤامرات بل خططت بدهاء شديد لغرس العديد من الرايات الغريبة التي زرعت في عالمنا العربي من أجل إقصاء الإسلام بالكامل عن مقامات اتخاذ القرار، وذلك من مثل: **الليبرالية**،

العلمانية، الاشتراكية، الشيوعية، القومية العربية، والبعث العربي الاشتراكي. وقد رأينا كيف دمرت هذه الرايات الفاسدة عالمنا المسلم.

وتحت مظلّة الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، تمّ التخطيط لتمكين يهود العالم من هذه الأرض المباركة، التي اغتصبوها بمؤامرة تلمودية/ صليبية حقيرة. وبذلك ملأ الصهاينة المنطقة العربية فساداً ومؤامرات خفيّة ومعلنة كان منها إسقاط دولة الخلافة الإسلاميّة في سنة (1924م)، وإعلان دولة للصهاينة في سنة (1948م)، وسلسلة من الانقلابات العسكرية التي دمرت المنطقة بالكامل. ثم قام هذا الكيان السرطاني الغريب بشنّ ستة حروب طاحنة في المنطقة راح ضحيّتها عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء، ونتج عنها من الخراب والدمار ما دفع بالمنطقة إلى الوراء لعشرات السنين.

وظلّ الضغط الدولي مستمراً على حكومات المنطقة حتى سلَّمت بالأمر الواقع، وقبلت بوجود كيان صهيوني غريب في قلب المنطقة العربيّة. ثم قامت الحركات الصهيونية التلمودية العالمية بدعم هذا الكيان الغريب مادياً وتقنياً حتى نما عسكرياً فوق حجمه وحاجته، وأصبح خليّة سرطانيّة مدمّرة تهدّد المنطقة بأسرها بالدمار الشامل. وما حدث في المنطقة على أرض فلسطين بصفة عامة طوال القرن الماضي، هو تجسيد لقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: 4 ـ 8].

هذه الآيات نزلت من قبل ألف وأربعمائة سنة، والهمجيّة الإسرائيليّة في قلب المنطقة العربيّة اليوم، والاستعلاء والكبر الممارسان بلا حدود، والغطرسة

العسكريّة، والإحساس بالعلويّة الكاذبة، والقيام بالتدمير الشامل للبنية الأساسيّة في كل من فلسطين ومصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان وغيرها من دول المنطقة العربيّة خير شاهد على صدق القرآن الكريم، وعلى أنَّ الوعد الحق قد قرب. ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ [الإسراء: 7].

الباب الخامس

بعض الشخصيات والوقائع الأخرى

ثاني وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لكل من ذي القرنين وقوم يأجوج ومأجوج

101 ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: 94].

يتلخّص وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي، في هذه الآية القرآنيّة الكريمة في الإشارة إلى كلٍّ من «**ذي القرنين**»، وإلى الأمّتين المعروفتين باسم «**يأجوج ومأجوج**» (Gog and Magog = Gogmagog)، وهما أُمَّتان قديمتان من الأشرار. وذكر القرآن الكريم لهاتين الأُمَّتين، وربطهما بشخص «**ذي القرنين**» الذي جاء ذكره ثلاث مرَّات في سورة «الكهف» (83، 86، 94) يعتبر من المعجزات الإنبائيّة والتاريخيّة في كتاب الله لأنَّ المؤرّخين لا يعرفون شيئاً عن هذا العبد الصالح، ولا عن هاتين الأُمَّتين الموغلتين في تاريخ العالم القديم، واللَّتين جاء ذكرهما في سورتين من سور القرآن الكريم هما «الكهف» (94) و«الأنبياء» (96)، وإن كانت قد وردت الإشارة إليهما في «سفر رؤيا» (20/ 10 ـ 8).

و«**يأجوج ومأجوج**» أُمَّتان من قدامى البشر، تميَّزتا بالكثرة في العدد، وبالعدوانيّة في الطبع، وبالرَّغبة في الإفساد في الأرض. والاسمان: «يأجوج ومأجوج» أعجميَّان، قال فيهما الدكتور حمدي بن حمزة الجهني: إنَّ معناهما في اللّغة الصينيّة (**سكّان قارّة آسيا وسكّان قارة الخيل**). وهاتان الأُمَّتان دوَّن خبرهما كل من القرآن الكريم والسنَّة النبويّة المطهّرة، ونوجز ما جاء عنهما في هذين المصدرين من مصادر الوحي السماوي فيما يلي:

أوّلاً: يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم:

جاء ذكر «يأجوج ومأجوج» في موضعين من كتاب الله وذلك على النَّحو التالي:

1 ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: 93، 94].

وتذكر كتب التفسير أنَّ السدَّين كانا عبارة عن حاجزين صناعيين، أو طبيعيين (على هيئة سلاسل من الجبال المتواصلة يمنة ويسرة حتى تصل البحر). وهذان السدان كانا موجودين قبل مجيء **ذي القرنين** لأولئك القوم، ولكن كانت بينهما فجوة يمرّ منها «يأجوج ومأجوج» إلى ما جاورهم من الناس، فَيَعْدُون عليهم قتلاً، وسلباً، ونهباً، وتخريباً وتدميراً وإفساداً في الأرض. ثم شاءت إرادة الله أن **يصل ذو القرنين** إلى هؤلاء القوم البسطاء. ولما كان الله (تعالى) قد يسَّر له من أسباب القوة والمنعة، ووهبه من أسباب العلم والحكمة ما وهبه، فإن هؤلاء القوم البسطاء (الذين لا يكادون يفقهون قولاً غير لسانهم إلَّا بمشقة وعسر لغرابة لغتهم، وبطء فهمهم للغات الآخرين نظراً لبعدهم عن مخالطة غيرهم من الأُمم المحيطة بأرضهم) قد طلبوا مساعدته. فقاموا إلى ذي القرنين وشكوا إليه ما يلقون من هاتين الأُمَّتين المفسدتين في الأرض من مظالم، وطلبوا منه أن يجعل بينهما سدًّا، على أن يجعلوا له جزءًا من أموالهم كخراج أو ضريبة. وجاء ردّ ذي القرنين على النَّحو التالي: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: 95 ـ 98].

2 ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: 96].

ومن معاني هذه الآيات أنَّ «**ذي القرنين**» قال لهؤلاء الذين لا يكادون يفقهون قولاً أنَّ ما وهبه الله ـ تعالى ـ من العلم والقوّة والحكمة هو خير ممَّا يبذلونه له هم من المال. ولذلك طلب منهم فقط أن يعينوه بالرجال الذين يعملون تحت إمرته لكي يجعل بينهم وبين «يأجوج ومأجوج» سدًّا منيعاً. وطلب منهم توفير قطع من الحديد ووضعها في الفتحة التي يرغبون في إغلاقها بين الحاجزين. ولما ساوى البناء بين جانبي الحاجزين أمرهم أن يوقدوا النيران على الحديد وأن ينفخوا فيها بالمنافيخ والكيران حتى صار الحديد كالنار من شدّة الاحمرار، ثم طلب منهم أن يأتوه بالنحاس المصهور الذي صبه فوق قطع الحديد المحماة فتشكل من هذا الخليط (المكوّن من الحديد والنحاس) واحدة من أصلب وأملس السبائك المعروفة في علم المعادن. ولما تم ذلك لم يستطع المفسدون من قوم «يأجوج ومأجوج» أن يتسوروا هذا السد لعلّوه وملاسته. وما استطاعوا أن يثقبوه لصلابته وثخانته. وبهذا السدّ المنيع أغلق **ذو القرنين** الطريق أمام «**يأجوج ومأجوج**» للاعتداء على هؤلاء القوم البسطاء، ولذلك قال: هذا السدّ نعمة من نعم الله، ورحمة على هؤلاء القوم المساكين الذين لا يكادون يفقهون قولاً. وأكد لهم ذو القرنين أن السد سيظل يحميهم من غارات «يأجوج ومأجوج» حتى يأتي أمر الله ـ تعالى ـ بخروجهم. وخروجهم من العلامات الكبرى للساعة، لأن الله ـ تعالى ـ سَيَدُكّ السدّ بأمر منه حتى يجعله مستوياً بسطح الأرض، فيخرج يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون، وهو وعد الله الذي لا يتخلف أبداً، وهو وعد نافذ لا محالة.

ومن معاني هذه الآيات الكريمة أنَّ القوم الأشرار المفسدون في الأرض الذين عرفوا باسم «**يأجوج ومأجوج**» سوف يظلّون محجوزين خلف السدّ الذي بناه «ذو القرنين» إلى وقت الساعة، حين يندك السدّ وينهدم فيتسارع هؤلاء الذين كانوا محجوزين خلفه من كل مرتفع من الأرض إلى حيث قدر لهم أن يصلوا، فيشيعون في الأرض الفساد والهلع والذعر إلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ بقيام الساعة. وحينئذ يدمر الكون الحالي، ثم يخلق الله ـ تعالى ـ كوناً آخر، فيه تبدل الأرض بأرض

غير أرضنا هذه، وتبدل السماوات بسماوات غير السماوات المحيطة بنا. ثم يبعث الخلق جميعاً من الأرض الجديدة، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: 48].

ويقول: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: 97].

ثانياً: يأجوج ومأجوج في أحاديث رسول الله ﷺ:

جاء ذكر «**يأجوج ومأجوج**» في أقوال رسول الله ﷺ وذلك في الأحاديث التالية:

1 ـ أخرج كل من الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، إن شاء الله ـ تعالى ـ واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم أجفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها (والنغف هو الدود الصغير). قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنَّ دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم»**[1].

2 ـ كذلك أخرج الإمام ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: لمّا كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذكروا **الساعة**، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى، فلم يكن عنده منها علم، فردّ الحديث إلى عيسى ابن مريم فقال: قد عهد إليَّ فيما دون وجبتها، فأمّا وجبتها فلا يعلمها إلَّا الله. فذكر خروج

(1) ابن ماجه، حديث رقم (4080).

الدّجّال، قال: فأنزل فأقتله، فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم «**يأجوج ومأجوج**» وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون، فلا يمرّون بماء إلَّا شربوه، ولا بشيء إلَّا أفسدوه، فيجأرون إلى الله، فأدعو الله أن يميتهم، فتنتن الأرض من ريحهم، فيجأرون إلى الله، فأدعو الله، فيرسل السماء بالماء، فيحملهم فيلقيهم في البحر. ثم **تنسف الجبال، وتمدّ الأرض مدّ الأديم**، فعُهد إليَّ: متى كان ذلك، كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها»[1].

قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله ـ تعالى ـ حيث يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: 96].

3 ـ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن حرملة بن يحيى... عن أمّ المؤمنين السيّدة زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: «خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمرًّا وجهه يقول: **لا إله إلَّا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**، وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها، قالت فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم إذا كثر الخبث**»[2].

وقد كانت رؤيا رسول الله ﷺ هذه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وقد وقعت غارات التتار بعدها بأكثر من ستة قرون، ودُمّرت دولة الخلافة العبّاسيّة على يد (هولاكو) في خلافة المعتصم آخر ملوك العبّاسيين (وكان ذلك في سنة 656هـ/ 1258م)، وقد يكون في ذلك تعبير لرؤيا رسول الله ﷺ حتى أمكن تجاوز ردم ذي القرنين فإذا رأى الناس يأجوج ومأجوج عرفوا أنَّ الردم قد اندكّ.

(1) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (4081).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3346)، مسلم في كتاب: الفتن، حديث رقم (7166)، والترمذي في كتاب: الفتن، حديث رقم (2187).

4 ـ عن حذيفة بن أسيد الغفاري أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**: وذكر **الدخان، والدجّال، والدّابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وفتح يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف (خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب)، ونار تخرج من قعر عدن**»[1]، وفي رواية مسلم: ...«**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[2].

ثالثاً: يأجوج ومأجوج في كتابات المفسرين:

1 ـ في شرحه لصحيح البخاري ذكر الفقيه **الشيخ محمَّد أنور الكشميري** رحمه الله (ت 1352هـ/ 1933م) ما نصّه: إنَّ سدّ ذي القرنين قد اندكّ اليوم، وليس في القرآن الكريم وعد ببقائه إلى يوم خروج يأجوج ومأجوج، ولا خبر بكونه مانعاً لخروجهم، ولكنَّه من تبادر الأوهام فقط، فإنَّ الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾.

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ إلخ، فلم يمنع ذلك من خروج يأجوج ومأجوج مرّة بعد مرّة، وقد خرجوا قبل ذلك أيضاً، وأفسدوا في الأرض بما يستعاذ منه؛ نعم يكون لهم الخروج الموعود في آخر الزمان، وذلك أشده، وليس في القرآن الكريم أنَّ هذا الخروج يكون عقب الاندكاك، متَّصلاً، بل فيه وعد باندكاكه فقط، فقد اندكّ كما وعد، أمَّا أنَّ خروجهم موعود بعد اندكاكه، بدون فصل فلا حرف فيه (فيض الباري على صحيح البخاري: 23/ 4).

وقال الشيخ الكشميري رحمه الله في موضع آخر من كتابه ما نصّه: ولم يذكر في القرآن الكريم لفظ الخروج من هذا السدّ قط، ولمَّا ذكر في سورة «الأنبياء» قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ لم يذكر السدّ أو

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، حديث رقم (2183)، وأبو داود في كتاب الملاحم، حديث رقم (4311)، وابن ماجه في كتاب الفتن، حديث رقم (4041).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، حديث رقم (7214).

الردم، فكان الخروج لعمومهم (فيض الباري على صحيح البخاري: 26/ 4).

2 ـ في كتابه المعنون «حاضر العالم الإسلامي» ذكر **الأمير شكيب أرسلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1871 ـ 1946م) أنَّ «**يأجوج ومأجوج**» **هم المجار وهم المغول** واعتمد في ذلك الاستنتاج على غزواتهم المتكرّرة لبلاد الإفرنج، واندفاعهم إليها حتى وصلوا إلى فرنسا، وملأوا أراضيها تدميراً وفساداً وخراباً. واعتمد هذا الأمير الأديب في استنتاجه أيضاً على غارة التتار المغول (الذين اعتبرهم من نسل يأجوج ومأجوج) على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وما أحدثوه من خراب ودمار، ونهب وقتل وسبي وغير ذلك من صور الإفساد في الأرض. واستعراض إفسادهم ذلك في الأرض يسهّل تصوّر إمكانيّة حصوله منهم مرَّة أخرى قبل مجيء الساعة. ويصف القرآن الكريم هذا الخروج بقول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾.

3 ـ وفي التعليق على قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: 96 ـ 97].

يذكر صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه: إنَّ هذا النص لا يحدّد زماناً معيّناً لخروج يأجوج ومأجوج، فاقتراب الوعد الحقّ بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن الكريم قول ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ والزمان في الحساب الإلٰهي غيره في حساب البشر، فقد تمرّ بين اقتراب الساعة ووقوعها السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة، وإذن فمن الجائز أن يكون السدّ قد فتح في الفترة ما بين اقتربت الساعة ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي صورة من صور انسياح «**يأجوج ومأجوج**».

4 ـ وترى مجموعة من الكتّاب المعاصرين أنَّ تعبير «**يأجوج ومأجوج**» هو اسم على كلِّ كافر باللّه أو مشرك به، من دُعاة الماديّة والدهريّة الذين يمثّلون غالبيّة أهل الأرض اليوم. ويبدو أنَّ هذا الاتجاه المادي الملحد أو المشرك أو الضال سوف يظل سائداً حتى قيام الساعة. ويعتمد أصحاب هذا التصوّر في ذلك على حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**يقول** الله ـ تعالى ـ: يا آدم فيقول: لبَّيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول الله ـ تعالى ـ: أخرج بعث النار، قال آدم: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (الحج: 2)؛ قالوا: يا رسول الله! وأينا ذاك الواحد؟ قال: **أبشروا فإنَّ منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج بقية ألف**، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إنِّي أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة**» فكبَّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنَّة**» **فكبَّرنا، فقال**: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنَّة**» فكبَّرنا، فقال: «**ما أنتم في الناس إلَّا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[1]».

وواضح من هذا الحديث الشريف أنَّ جمهور بعث النار هم من يأجوج ومأجوج، وهذا هو الذي دفع فريقاً من الكتاب المعاصرين إلى الاستنتاج بأنَّ هؤلاء الأشرار المفسدون في الأرض ليسوا عرقاً معيّناً من البشر، ولكن هي حالة نفسيّة، من الأنانيّة، والعنف، والكبر والاستعلاء على الخلق قد تصيب أيًّا من بني آدم، كما أصابت كفّار ومشركي العالم في زماننا ومن قبل زماننا.

وجاء في «الظلال» ـ رحم الله كاتبها ـ إنَّ سدًّا تمّ الكشف عنه على مقربة

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3348)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (531 ـ 532).

من مدينة (**ترمذ**) عُرف باسم «**باب الحديد**»، وقد مرَّ به في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي العالم الألماني (سيلد برجر) وسجّله في كتابه، وكذلك ذكره المؤرّخ الإسباني (كلافيجو) في رحلته (سنة 1403م)، وقال أنَّ سدّ مدينة باب الحديد على الطريق بين سمرقند والهند وقد يكون هو السدّ الذي بناه (ذو القرنين).

وعلى أيّ حال فإنَّ الجدل حول شخصيّة (**ذي القرنين**) وزمانه ومكانه، وموضع الردم الذي بناه سيبقى دائراً حتى يحسمه الكشف الأثري الدقيق. وكذلك سيبقى الجدل حول حقيقة (**يأجوج ومأجوج**). وتبقى إشارة القرآن الكريم إلى قصّة (**ذي القرنين**) مع القوم الذين بنى لهم الردم الفاصل بينهم وبين (**يأجوج ومأجوج**) يبقى ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة. وذلك لأنَّ أحداً من أهل الجزيرة العربيّة في زمن الوحي لم يكن يعرف شيئاً عن (**ذي القرنين**) أو عن الردم الذي بناه هذا العبد الصالح، أو عن (**يأجوج ومأجوج**)، فمن أين لرسول الله ﷺ هذا العلم لو لم يكن موصولاً بالوحي، ومعلماً من قِبَل خالق السمٰوات والأرض؟ وصدق الله العظيم إذ يقول في وصف هذا الرَّسول الخاتم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 3، 4].

ثالث وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الجنة

102 ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القلم: 17].

جاءت هذه الآية الكريمة والآيات التي تليها في سورة «القلم» (القلم: 17 ـ 33) في الردّ على **أبي جهل (عمرو بن هشام)** الذي رفض الإسلام عصبيّة وتكبّراً وتجبّراً، وانطلاقاً من كونه هو زعيم بني مخزوم من قريش، وكون المصطفى ﷺ من بني عبد مناف. وكان ذلك كما ورد من قصّته مع كلٍّ من **«الأخنس بن شريق»** و**«أبي سفيان بن حرب»** حين خرج ثلاثتهم منفردين يستمعون القرآن خفية من تلاوة رسول الله ﷺ على مدار ثلاث ليال، وهم في كلِّ ليلة يتواعدون على عدم العودة خشية أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيء من الميل إلى قبولهم الإسلام ديناً.

فلمَّا سأل الأخنس بن شريق أبا جهل رأيه فيما سمع من القرآن الكريم كان جوابه: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرّكب، وكنّا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك مثل هذا؟ باللّه لا نؤمن به ولا نصدّقه!

وكان من دوافع رفض مشركي قريش دين الإسلام أنَّ التوحيد الذي جاء به هذا الدّين السماوي يهدم كلّ صور الشرك التي كانوا هم وأهل الأرض ـ في غالبيّتهم الساحقة ـ قد وقعوا فيها إلى آذانهم حتى ضلُّوا وأضلُّوا، وملأوا الأرض انحرافاً وفساداً.

كذلك كان من دوافع مقاومة كفّار ومشركي قريش لدعوة رسول الله ﷺ عدد من الاعتبارات الاجتماعيّة التي كان في مقدّمتها الخوف من انتزاع الزعامة من بين مشايخهم، في بيئة قبليّة تجعل للزعامة الاجتماعيّة كل الاعتبار. وذلك لأنَّ رسول الله ـ مع علو قدره، وشرف نسبه في قريش ـ حتى من قبل أن يأتيه الوحي ـ لم تكن له زعامة اجتماعيّة فيهم. فقد كانت الزعامات الاجتماعيّة موزّعة بين مشايخ كل من مكَّة والطائف، وكانوا يخشون من انتزاع تلك الزعامات من أيديهم بانتشار الإسلام، ولذلك قال ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسانهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31].

والقرآن كان يتنزل بالدّعوة إلى التوحيد الخالص للّه ـ تعالى ـ وبتسفيه كل صور الشرك وكل الطقوس المبتدعة المرافقة لذلك (من عبادة أي من الأصنام، أو الأوثان، أو القمر، أو النجوم، أو الكواكب، أو الملائكة أو الجن). من هنا بدأ الكفّار والمشركون في مقاومة الدّعوة الإسلاميّة، وفي التطاول على شخص النَّبي الكريم ﷺ، وفي تعريض القلّة التي آمنت معه إلى أشد ألوان التعذيب. وقد أغرى كلاً من الكفّار والمشركين بذلك كثرة أموالهم وأولادهم، فنسوا أنَّ ذلك كلّه من نِعم الله عليهم، وما أشنع أن تقابل نعم الله ـ تعالى ـ بالكفر به، وبالتطاول على رسوله الكريم، وعلى أوليائه الصالحين!!

وللردّ على هؤلاء المشركين يضرب القرآن الكريم مثلاً بقصّة أصحاب الجنَّة، وهي قصّة تُذَكِّر بعواقب مانع زكاة الزروع. وكان ذلك من دوافع البطر بالنِّعمة، ومقابلتها بالاستعلاء والكبر، بدلاً من الحمد والشكر. وتؤكّد الآيات أنَّ كلّ ما وهب الله ـ تعالى ـ الإنسان من أموال وبنين هو من ضروب الابتلاء لهم، كما ابتلى أصحاب هذه القصّة التي تكشف أحداثها عمّا وراءها من تدبير الله وحكمته، وإحاطة علمه وطلاقة قدرته، ونفاذ حكمه في جميع خلقه.

وتبدأ القصّة بشيخ صالح كانت له جنَّة في الأرض، عبارة عن بستان ذي شجر يستر الأرض لكثرته (وقد تسمى الأشجار الساترة نفسها باسم «جنَّة أرضيّة»).

وكان هذا الشيخ الصالح يخرج زكاة ثمار جنّته بانتظام حتى وافاه الأجل المحتوم. وجاء أولاده من بعده فأغراهم الشيطان بالامتناع عن إخراج زكاة زروعهم، وأغواهم بذلك، وزيّنه في قلوبهم، فبيتوا الاستئثار بثمار تلك الحديقة عند تمام نضجها.

وعندما قرب موعد جني الثمار اجتمعوا بليل وقرّروا الخروج إلى حديقتهم في الصباح الباكر ليقطفوا ثمارها، ولا يتركوا منها شيئاً لمستحقي الزكاة، على عكس ما كان يفعل أبوهم من قبل. وتعاهدوا على تنفيذ ذلك وأقسموا عليه، وباتوا ليلتهم وقد عقدوا النيّة على تنفيذ مخططهم الشيطاني، ولكن القرار الإلٰهي كان قد سبقهم إلى جنتهم الأرضيّة، فأمر الله ـ تعالى ـ بتدمير جميع ثمار ذلك البستان قبل وصولهم إليه. وبالفعل نزل ببستانهم بلاء محيط وهم نائمون، فأصبح البستان كالذي قد صرمت (أي: قطعت) ثماره فلم يبق منها شيء، وفي ذلك يقول القرآن الكريم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: 17 ـ 20].

وفي الصباح الباكر تنادى الإخوة المتآمرون من أجل البدء في تنفيذ المخطط الذي كانوا قد أجمعوا كلمتهم عليه بالأمس. ثم تحرّكوا في تستر وصمت كاملين حتى لا يدركهم أحد من الفقراء أو المساكين (الذين كان أبوهم يوزع زكاة البستان عليهم وقت جمع ثماره)، فيتبعهم إلى البستان، أملاً في الحصول على شيء ممّا يجمع هؤلاء الأبناء، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم: 21 ـ 25].

و(**الحرد**) هو القصد أو التنحي، ومعنى ذلك أنّهم في الصباح الباكر ساروا إلى بستانهم سرًّا، متنحين عن قومهم، عازمين على تنفيذ المخطط الذي رسموه، وأجمعوا أمرهم عليه، وهم واثقون من قدرتهم على تنفيذه، قاصدين ذلك،

ومصمِّمين عليه، (ألا وهو جمع ثمار البستان منفردين لا يراهم أحد من النّاس، حتى لا يعطوا المساكين من قومهم شيئاً من تلك الثمار). لكنَّهم عندما وصلوا إلى بستانهم لم يعرفوه لأنَّهم وجدوا ثماره قد قطعت بالكامل حتى لم يبق منها ثمرة واحدة على فرع من فروعه أو على الأرض من حول أشجاره، فظنّوا أنَّهم قد ضلّوا الطريق إلى بستانهم الذي لم يعرفوه لأنه كان قد جُرِّدَ من ثماره تجريداً كاملاً. ولكن بالنّظر فيما حولهم من معالم أدركوا أنَّه بستانهم. وحينئذ تنبّهوا إلى أنَّهم قد حُرِمُوا ثمار بستانهم جزاء تآمرهم الشيطاني من أجل حرمان المساكين من حولهم من زكاة تلك الثمار، وزكاة الزروع حق شرعه الله ﷻ، لا يمكن الهروب من أدائه وإلّا نزل بالمتهرّبين منه عقاب الله الذي لا يُرَدّ. لذلك قال أرجحهم عقلاً، وأعدلهم رأياً: هلا ذكرتم الله وتبتم إليه، وتضرَّعتم له أن يغفر لكم خطاياكم بما بيَّتُّم من نوايا سيّئة، قرَّرتم بها حرمان مساكين قومكم من حقهم في ثمار بستانكم!! وهذا الحق شرّعه الله ﷻ لهم، وبإغفاله نالنا من العقاب الإلٰهي ما نالنا!

وكان أخوهم هذا قد نصحهم من قبل ألَّا يفعلوا ذلك فعصوه. وفي الحال أخذ بعضهم يلوم البعض الآخر على ما كانوا قد خطَّطوا له، وأقسموا عليه، بقصد حرمان المساكين من حقّهم الذي فرضه الله ـ تعالى ـ لهم. وبعد أن أفاقوا من غفلتهم تابوا إلى بارئهم، واستغفروه، وأنابوا إليه، وفي ذلك تقول الآيـــات: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: 26 ـ 33].

هذه الواقعة التي ختمت بتوبة أصحاب الجنَّة إلى الله ـ تعالى ـ بعد أن رأوا بأعينهم **العقاب الفوري الرادع لمانع زكاة الزروع**، يجب أن تبقى تذكرة لكلّ صاحب مال بضرورة إخراج زكاة ماله فور استحقاقها. وتعلّق الآيات بأنَّه إذا كان العقاب الذي نزل بأصحاب الجنَّة، فأهلك ثمار بستانهم وهم نائمون، بينما كانوا في قمّة

الثقة بقدرتهم على جمع ثمار جنَّتهم دون أن يراهم أحد من المساكين، فإنَّ إهلاك كفّار ومشركي قريش ليس بالأمر المستبعد، خاصّة وأنَّ هؤلاء المشركين كانوا قد فجروا في كفرهم وشركهم، وبالغوا في معارضة الإسلام، وفي إيذاء خاتم أنبياء الله ورسله، وفي تعذيب القلّة التي آمنت به في بدء دعوته بدون أدنى حق.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى تأمّل هاتين القصّتين للاعتبار بهما: قصّة أصحاب الجنّة وقصة كفار قريش. والأولون كانوا قد قرَّروا عدم إخراج زكاة ثمار جنَّتهم، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بحرمانهم منها حرماناً كاملاً، ثم تابوا إلى الله، واستغفروه، وعادوا من غيِّهم إلى صحوة حقيقية راشدة. وكفَّار ومشركو قريش كانوا قد أغرتهم وفرة أموالهم وكثرة أولادهم على رفض الحقّ الذي جاء به نبيّهم الصادق المصدوق، والأمين المؤتمن عندهم. ولذلك تهددهم ربّهم بسوق قصّة أصحاب الجنَّة إليهم. وفي هذه القصة إنذار واضح من الله ـ تعالى ـ إلى كفار ومشركي قريش بأن ما يملكون من مال وعيال قابل للزَّوال في لمح البصر، أو في أقل من ذلك. وفي الوقت ذاته يطمئن ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ عباده المسلمين بأنَّ كل ما يرونه على الكفّار والمشركين من آثار النِّعم في المال والعيال إنَّما هو ابتلاء من الله ـ تعالى ـ له عواقبه في الدنيا إذا لم تؤد حقوقه. وإذا لم يتب هؤلاء الكفّار والمشركون إلى بارئهم وينيبوا إليه، ويتطهَّروا من دنس الكفر والشرك، فإن عذاب الدنيا ينتظرهم، ثم إن عذاب الآخرة هو أشد وأنكى لهم، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: 33].

من الدروس المستفادة من قصّة أصحاب الجنَّة:

1 ـ ضرورة محاربة الإنسان لأمراض شحّ النفس، والبخل في ذاته، لأنَّ في المال حقّ معلوم للسائل والمحروم، وأنَّ الذي لا يخرج هذا الحق الشرعي معرض للعقاب الإلٰهي العاجل أو الآجل، أو بهما معاً إن لم يبادر بالتوبة إلى الله.

2 ـ إنَّ عدم إخراج الحق الشرعي من الزكاة في حينه هو صورة من صور غمط الحق، وبطر النِّعمة، وربّنا ـ تبارك وتعالى ـ لا يرتضي ذلك من عباده أبداً. وكما يكون الانحراف عن أداء حقّ الله في إخراج الزكاة على وقتها مرضاً في الأفراد، يكون في المجتمعات التي إن ضلَّت عن منهج الله ـ تعالى ـ وانحرفت عنه فإنَّ الله يبتليها بالحرمان من نعمه حتى تفيق من غيِّها، وتصحح من أخطائها، وتعود إلى كنف الله وطاعته ومرضاته.

3 ـ إنَّ ابتلاءات الناس في الدنيا قد تعين على إيقاظهم من غفلتهم، وعلى إحياء ضمائرهم من أجل تصحيح مسار حياتهم، وفي هذه الحالة يكون الابتلاء خيراً كبيراً من الله ﷻ.

4 ـ إنَّ الابتلاء كما يكون بالشدة والضيق، فإنَّه قد يكون بالرخاء والسعة، فليست إفاضة المال والجاه والسلطان هي دوماً من علامات رضى الله، وليس الفقر والمرض وغيرهما من الابتلاءات هي دوماً من علامات سخط الله وغضبه على عباده.

5 ـ إنَّ من الواجب على كلِّ إنسان عاقل أن يدرك أخطاءه في هذه الحياة الدنيا، وأن يقوم بتصحيحها فور اكتشافها، وأن يسارع بالتوبة إلى الله ـ تعالى ـ لأنَّ باب التوبة مفتوح لكلِّ تائب إلى أن يغرغر، ومن هنا كان واجب العقلاء من عباد الله أن يداوموا على الاستغفار، وعلى التوبة والإنابة إلى الله.

6 ـ إنَّ تكافل المجتمع الإسلامي هو فريضة من الله ـ تعالى ـ على كلِّ مسلم أن يقوم بها، وأن يساعد على إحيائها بكلِّ ما يستطيع من جهد ومال، لأنَّ الدنيا هي مزرعة الآخرة.

7 ـ إنَّ ما يخفى على العباد لا يخفى على ربّ العباد الذي يكافئ المحسن على إحسانه، ويجازي المسيىء بإساءته، والله سريع الحساب.

8 ـ أنَّ معصية أوامر الله، أو التقصير في تنفيذها يتسبب في الحرمان من ثواب

الله لأنَّ ذلك يتنافى مع حقيقة الخضوع بالعبوديّة للّه.

9 ـ إنَّ الرزق كله من الله ﷻ، وكل ما هو من الله لا يمكن أن يطلب بمعصية، بل لا بدَّ أن يطلب بتقديم الطاعات له ﷻ عبودية خالصة لجلاله.

واستعراض القرآن الكريم لقصّة أصحاب الجنَّة يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنَّه لم يرد لهذه القصة ذكر في أي من كتب «العهدين القديم أو الجديد». ولو أنَّها جاءت على ـ عادة القرآن الكريم ـ من أجل الاستفادة بما فيها من دروس وعِبر، دون الدخول في تفاصيل الأسماء، والأنساب، والأماكن والأزمنة. إلا أنها جاءت بعدد من الدروس المفيدة التي استعرضناها آنفاً ونوجزها في النقاط التالية:

1 ـ إن من واجبات المسلم أداء حق الله ـ تعالى ـ في المال، حتى لا يتعرض للابتلاء، الذي هو من سنن الله في خلقه.

2 ـ وإن من حق المسلم في مجتمعه أن يجد من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويذكره بتحقيق التكافل في مجتمعه.

3 ـ التحذير من التعاون على الظلم أو الوقوع فيه.

4 ـ التأكيد على ضرورة شكر نعم الله تعالى بالقول والعمل.

5 ـ التأكيد على حق الفقراء والمحتاجين في المال.

6 ـ ضرورة الحرص على تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة حتى لا يغتالهم الشيطان.

7 ـ التحذير من البخل والشح لأنه مدخل من مداخل الشيطان.

الخاتمـة

في هذين المجلدين تمت مناقشة أكثر من مائة نص قرآني كريم، أدركنا في كل واحد منها وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص تعرض لجوانب من سير خمسة وعشرين نبياً من أنبياء الله، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ، الذي ختم الله تعالى ببعثته سلسة النبوات، وبرسالته جميع رسالات السماء. وبما أنه ليس من بعد هذا النبي الخاتم نبي ولا رسول، فإن الله تعالى تعهد بحفظ رسالته الخاتمة في نفس لغة وحيها (اللغة العربية) فحفظت على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً دون أن يضاف إليها أو أن يحذف منها حرف واحد. وكان عهد الله بحفظ رسالته الخاتمة عهداً مطلقاً، حتى يتحقق العدل الإلهي الذي قرره ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: 15].

وحتى يتحقق وعده الذي قطعه على ذاته العلية بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: 9].

وبقاء القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله في (نفس لغة وحيه) فيه تجسيد لبقاء الهداية الربانية (التي بعث بها جميع أنبياء الله ورسله) قائمة بين الناس، تأمرهم بأوامر الله، وتنهاهم عن نواهيه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك اسمه ـ:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: 165].

وقال مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿ ...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: 3].

وفي ذلك أيضاً يروي أبو ذر الغفاري ﷺ قال: «أتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله! أي الأنبياء كان أول؟ قال: **آدم**، قلت: يا رسول الله! ونبيّ كان؟ قال: **نعم، نبي مكلم**. قلت: يا رسول الله! كم المرسلون؟ قال: **ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً**»(1).

وفي رواية أبي أمامة ﷺ قال: قال أبو ذر: «...قلت: يا رسول الله! كم وفّى عدد الأنبياء؟ قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً**»(2).

ويخاطب ربنا ـ تبارك وتعالى ـ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

وتشمل النصوص القرآنيه الكريمة التي استعرضناها كذلك نماذج من سير عدد من الصالحين (أمثال كل من **الخضر**، **لقمان**، **ذو القرنين وأصحاب الكهف**)، ومن سير عدد من الطالحين (أمثال كل من **فرعون وهامان**، **قارون**، **السامري**، **أصحاب الرس**، **أصحاب الأيكة**، **أصحاب مدين**، **أصحاب السبت**، **أصحاب الأخدود**، **وأصحاب الفيل**) وذلك لاستخلاص الدروس والعبر من بعض مواقف هؤلاء وأولئك.

في المجلد الأول تمت مناقشة خمسين نصاً قرآنياً كريماً، وتم عرض ما في كل نص منها من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص عرضت لعدد من الدروس والعبر المستقاة من سير أربعة عشر نبياً من أنبياء الله: بدءًا بأبينا **آدم** عليه السلام، ووصولاً إلى عبد الله ونبيه **أيوب** عليه السلام.

وفي المجلد الثاني تمت مناقشة اثنتين وخمسين نصاً قرآنياً كريماً، وما جاء بكل منها من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص

(1)، (2) مسند الإمام أحمد.

عرضت لعدد من المواقف في سير إحدى عشر نبياً من أنبياء الله، بدءًا بكل من الأخوين **موسى وهارون** عليهما السلام وانتهاءاً بخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا، وسيد الأولين والآخرين من ولد آدم، **محمد** ﷺ.

وهذا الاستعراض لمن نعرف من سلسلة الأنبياء يؤكد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء، وبين الناس جميعاً. وهذه الوحدة منبثقة من وحدانية الخالق تبارك وتعالى الذي شهد لذاته العلية بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وشهد له بها كل من الملائكة وأولي العلم، ولذلك قال ـ جل شأنه ـ:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِالْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18].

وجاء توحيد الله تبارك وتعالى في عشرات الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة من أجل التأكيد على هذه الحقيقة التي تمثل ركيزة الدين. كذلك جاء التأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء في العديد من **الآيات** والأحاديث، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[(1)].

ويقول: «**كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب**»[(2)].

ويقول: «**يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟**»[(3)].

وهذا الموقف الإسلامي، **الأصولي**، **المنطقي**، **النبيل** يختلف اختلافاً كلياً

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

عن مواقف أصحاب الكفر والشرك والضلال، الذين أذلهم الشيطان حتى أخرجهم من دائرة الإيمان إلى دوائر الكفر، ومن دائرة التوحيد إلى دوائر الشرك باللّه، ومزقهم إلى العديد من الفرق والشيع، المتربصة ببعضها، والمتوجسة خيفة من كل قائم حولها.

والكافرون لا حجة لهم في كفرهم، وذلك لأن كل شيء في الوجود يشهد بأن الكون المادي الذي نعيش فيه هو كون شاسع الاتساع، دقيق البناء، منضبط الحركات والعلاقات، ومحكم إحكاماً شديداً في كل جزئية من جزئياته. وهذا مما يؤكد أن كوننا المادي لا يمكن أن يكون قد أوجد ذاته بذاته، ولا أن يكون من نتاج العشوائية أو الصدفة، بل لا بدَّ له من موجد عظيم، له من صفات الربوبية والألوهية ما يتجلى في القدرة الفائقة، والدقة البالغة التي أبدع بها جميع خلقه.

وبالمثل فإنه لا حجة للمشركين الذين عبدوا الحجر، أو الشجر، أو البشر، كما عبدوا مختلف الحيوانات، أو النجوم والكواكب، وعبدوا الشيطان، بدعوى أن هذه المخلوقات تقربهم إلى الله زلفى، أو بدعوى المشركين أنهم يتقون شرورها بإشراكها في عبادتهم للّه، أو بإخلاص العبادة لها.

وهذا موقف ضال كل الضلال، لأن كل شيء في الوجود يؤكد وحدانية الخالق ﷻ، ويشهد بضرورة تنزهه فوق جميع صفات خلقه، وفوق كل وصف لا يليق بجلاله. وتكفي في ذلك الإشارة إلى وحدة بناء الكون من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، وإلى بنائه من لبنة واحدة (هي غاز الإيدروجين)، ومن تكرار اندماج نوى ذرات ذلك الغاز في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي). ومن هنا يؤكد القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ لم يخلق الخلق المكلف إلا لعبادته وحده بما أمر فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

أما الخلق غير المكلف (من الحيوانات، والنباتات، والجمادات) فكل منها يعبد الله ـ تعالى ـ عبادة فطرية، فطره الله ـ تعالى ـ عليها، ولا اختيار له فيها،

وفي حقه يقول ـ تعالى ـ:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44].

والمعركة بين الشيطان والإنسان بدأت مع أبوينا آدم وحواء عليهما السلام منذ اللحظة الأولى لخلقهما، ثم استعرت في زمن قوم نوح، واستمرت إلى اليوم، وستبقى إلى قيام الساعة. لذلك حذر الله ـ تعالى ـ أبوينا آدم وحواء من الشيطان، وأنزل تحذيره هذا في جميع رسالاته السماوية، كما حذر من مصيبة الشرك، فقال ـ وهو أصدق القائلين ـ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

وفي الحديث القدسي يقول الله ـ تعالى ـ: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانتابتهم الشياطين، واجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم**»[1].

وقال ﷺ: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق**»[2].

ويروي ابن عباس رضي الله عنهما «**أن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا، فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**»[3]. وكانت وثنية قوم نوح هي أول وثنية في تاريخ البشرية كلها.

وجاء تحذير القرآن الكريم للإنسان من الشيطان وجنوده وأعوانه في عشرات

(1) الطبراني.
(2) الحاكم.
(3) تقدم تخريجه سابقاً.

الآيات القرآنية الكريمة، كما تكرر ذلك كثيراً في أحاديث رسول الله ﷺ.

وعلى ذلك فإن تاريخ الإنسان على الأرض (أفراداً، وجماعات، وأمماً) يتلخص في صراعه مع الشيطان، وعلى نتيجة هذا الصراع من الانتصارات والهزائم وعلى انعكاسات ذلك على الإنسان وعلاقته بأخيه الإنسان. والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم من العروق، ولذلك كان حصنه الواقي، ودرعه الوحيد في صراعه مع الشيطان هو احتماؤه بجناب الله وشرعه.

من هنا كانت ضرورة الدين، وضرورة بعث الأنبياء والمرسلين، وحتمية أن يكون الدين ربانيًّا خالصاً، لا يداخله أدنى قدر من الابتداعات البشرية، وإلا أفسدته. والدين عند الله ـ تعالى ـ هو «**الإسلام**» الذي علمه لأبينا آدم لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم النبيين ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ لذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19].

وفي نفس السورة يؤكد ربنا ﷻ هذه الحقيقة بقوله العزيز:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

من هنا فإن منهج المسلمين في الحياة يختلف عن مناهج غيرهم في كل شيء، ومن ذلك كتابة التاريخ ولما كان غير المسلمين لا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه، ولا برسله، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر خيره وشره، جاءت كتاباتهم متسمة بالنقص في الفهم والإدراك، وفي التصور والتفسير، وفي التحليل والاستنتاج، وبالتالي في التقويم والحكم، وذلك لأنهم يكتبون من منطلقات مادية محضة لا تؤمن بما فوق المادة. وكل ما هو فوق المادة يعتبر من

أمور الغيب. ودعوى الماديين في إنكار الغيب تنطلق من ادعائهم الباطل بأن الإيمان بالغيب ليس منهجاً علميًا، بينما العلم يثبت أن الوجود كله قائم على الغيب، الذي أصبح من حقائق الوجود. وتاريخ الإنسان على الأرض مليء بالغيوب التي لو لم يخبرنا الله ـ تعالى ـ ببعضها ما كان أمام الإنسان من سبيل يوصله إليها. والحقيقة أن جميع المعارف المكتسبة ـ وكلها معارف جزئية ـ قامت في الحضارة المادية المعاصرة على أساس من إنكار الغيب، ثم جاءت في نهاية المطاف لتقر بحقيقته. فالدراسات في علم الفلك ـ على سبيل المثال ـ تؤكد أن كل ما يدركه الفلكيون اليوم في الجزء المرئي من السماء الدنيا هو أقل من (5%) مما هو موجود فعلاً فيه من مختلف صور المادة والطاقة. فالنجوم تشكل حوالي (0.5%)، والعناصر الثقيلة حوالي (0.03%)، وكل من غازي الإيدروجين والهيليوم الحرين يشكلان معاً (4%)، والنيوترينوات (Neutrinos) تشكل حوالي (0.3%) من مادة الجزء المدرك من السماء الدنيا. لذلك يتحدث الفلكيون اليوم عما يسمونه باسم «**المادة الخفية**» (Dark Matter) التي يقدرون نسبتها في الجزء المدرك من السماء الدنيا بحوالي (25%)، ويتحدثون عما يسمونه باسم «**الطاقة الخفية**» (Dark Energy) والتي يقدرون نسبتها بحوالي (70%) من كتلة الجزء المدرك من السماء الدنيا. وهذه الحقيقة وحدها كافية لإثبات أن الغيب هو من حقائق العلم التي لا يمكن إنكارها.

والغيب نوعان: «**غيب مرحلي**» تجري وراءه كل البحوث العلمية من أجل اكتشاف جزء منه، و«**غيب مطلق**» لا سبيل للإنسان في الوصول إليه إلا عن طريق وحي السماء، مما يؤكد ضرورة الدين، وضرورة أن يكون الدين ربانيًا خالصاً لا يداخله أي قدر من تصورات الناس. وإنكار الدين بقواعده الأساسية من العقيدة والعبادة الى كل من الأخلاق والمعاملات فيه إهدار لأهم الضوابط التي تقوم على أساسها حياة الناس: (أفراداً، وأسراً، ومجتمعات، وأمماً). وإذا كان غير المسلمين قد فقدوا أصول دينهم وابتدعوا فيه، ثم ثبت لهم بالتجربة فشل

المعتقدات الموضوعة في إدارة شؤون حياتهم فانصرفوا عنها، فإن هذا الوضع الشاذ لا نظير له في الإسلام الذي تعهد الله ـ تعالى ـ بحفظ أصوله فحفظت في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبين ﷺ.

من هنا فإن منكري الغيب من فاقدي الدين لا يمكن أن تأتي أحكامهم في أية قضية من القضايا الكلية إلا قاصرة، عاجزة، منقوصة مهما اجتهدوا في تحقيقها، ومهما توافر لديهم من المعلومات والقراءات والإحصاءات عنها. وذلك لأن منكر الغيب مثله كمثل الذي يدفن رأسه في الرمال فلا يرى شيئاً من حقائق الوجود الكثيرة من حوله.

من هذا المنطلق فإن فلسفة التاريخ من المنظور الإسلامي تختلف اختلافاً كليًّا عنها من المنظور المادي، الذي ينطلق من إنكار كل ما هو غيبي. فالماديون يعتبرون التاريخ مجرد انعكاس للظروف الاجتماعية كما تحددها المادية الجدلية **(الماركسية)** أو الحرية المنطلقة بلا حدود ولا قيود **(الليبرالية)** أو **الدنيوية الدهرية** التي سميت خطأ باسم **(العلمانية)** التي تنكر الآخرة، بينما ينطلق المسلم ـ في تعامله مع التاريخ ـ ينطلق من القرآن الكريم وهو كلام ربّ العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وعلى ذلك فإن الماديين لا يعترفون بالوحي ولا بالأنبياء، ولا بالمعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ على أيديهم. وإن تصادف وأشار هؤلاء الماديون إلى أحد من أنبياء الله، اعتبروه من زمرة المصلحين الاجتماعيين، واعتبروا المعجزات التي أجراها الله ـ تعالى ـ على يديه ضرباً من الخرافات والأساطير، ومن هنا يأتي تشويههم للتاريخ. وكان من دوافع ذلك أيضاً هذا القدر الكبير من التشويه الذي تعرض له قصص الأنبياء والمرسلين في كل من «العهدين القديم والجديد».

وفصل المعارف المكتسبة ـ ومنها التاريخ ـ عن مصدر الهداية الربانية يكشف عن زيف الفكر الوضعي، لأن إلغاء كل من البيان الإلٰهي، والإرادة الإلٰهية من التاريخ يجعل من المعارف المكتسبة ـ وهي كلها معارف جزئية ـ الحاكم

الوحيد على العباد، والأصل في الحاكمية أنها لا تكون إلّا للّه ـ تعالى ـ وحده.

وفصل التاريخ ـ كأحد المعارف المكتسبة ـ عن الإيمان باللّه ـ تعالى ـ يحول الأمور النسبية إلى أمور مطلقة، ومن أخطار ذلك ذيوع الاتجاه الخاطئ الداعي إلى **تأليه الإنسان لذاته**، وهو المخلوق الضعيف المحدود القدرات، المحكوم عليه بالموت مهما طال أجله. وتأليه الإنسان لذاته هو من مآسي الحضارة المادية المعاصرة، ومن أسباب فشلها في تحقيق الأمن والسلام لأهل الأرض، في ظل تقدم علمي وتقني مذهل، يرافقه انحسار ديني وأخلاقي مذهل كذلك. وكان هذا التقدم العلمي والتقني هو السبب الرئيس في غرور الانسان واستعلائه، بما توافر لديه من تقنيات متقدمة أذل بها أخاه الإنسان في دول العالم الثالث التي امتص الأقوياء ثرواتها وأغرقوا أراضيها في بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار. وكان التفوق العلمي والتقني الذي حققه الإنسان من أسباب تألهه على الأرض، وتجبره على الخلق. ونسي هذا المغرور أن نتائج العلوم التجريبية كلها ـ على أهميتها ـ هي نتائج جزئية، لا يمكن أن توصل الإنسان إلى ما يحتاجه من معارف شاملة تجيب على عدد من الأسئلة الكلية التي تتردد في ذهنه من مثل: من أنا؟ من الذي خلقني وأوجدني في هذه الحياة؟ ما هي رسالتي فيها؟ كيف يمكن لي تحقيق هذه الرسالة بنجاح؟ وما هو مصيري من بعد هذه الحياة؟

هذه الأسئلة الكلية تتردد في ذهن كل إنسان عاقل، بغض النظر عن مستوى ثقافته، ووضعه الاجتماعي، وإذا لم يجد الإجابات الشافية عليها فإنه لا يمكن له أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، أو أن يحقق شيئاً من رسالته فيها، أو أن يفارقها بشيء من النجاح.

وهذه الأسئلة الكلية لا يجيب عليها إلا وحي السماء الذي علمه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين

ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ ولذلك تعهد ربنا ﷻ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى يوم الدين.

والإيمان بوحي السماء يؤكد وجود العديد من السنن الكونية والعلاقات السببية التي تؤثر في كل من الكون والإنسان (أفراداً وجماعات)، كما تؤثر في الأحداث التاريخية. وإخضاع الأحداث التاريخية للسنن الكونية هو ربط لعالم الشهادة بعالم الغيب، مما يعين على حسن فهم تلك الأحداث التاريخية عند ربطها ببعضها، وبسنن الله الحاكمة للكون بكل ما فيه ومن فيه (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان ومجتمعاته وتاريخه). وعزل كتابة التاريخ عن حقيقة وجود الله، وعن هيمنة سننه الحاكمة للكون هو عزل للإنسان عن رؤية الحقيقة.

فالإنسان هو عبد لخالق عظيم، خلقه لرسالة محددة هي عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة عدل الله وشرعه في ربوعها. لذلك جعل الخالق ﷻ من الإنسان مخلوقاً عاقلاً، حرًّا، مختاراً، مكلفاً، ومكرماً. وبالتالي جعله مسئولاً عن تصرفاته، وعن تحقيق التسامي في ذاته، وعن إحداث التغيير في المجتمع من حوله. من هنا كان الإنسان ذلك المخلوق العاقل صاحب الإرادة الحرة يملك آفاقاً لا حدود لها في النمو بذاته. وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان لا يخضع خضوعاً كليًّا لما يسمى خطأ باسم «**الحتمية الاجتماعية والتاريخية**» التي يدعيها الماديون من أهل عصرنا. فالتاريخ ليس حتمية اجتماعية، بل دراسة لنشاط بني آدم على الأرض من لحظة خلق الإنسان الأول إلى اليوم، وحتى قيام الساعة. وهذا النشاط يجسد حقيقة استخلاف الإنسان على الأرض، ويجعل منه صانعاً للتاريخ وليس مصنوعاً به وبوقائعه التي هي أصلاً من صنع يديه.

وحركة الإنسان على الأرض تتم في إطار كل من عبادة الله ـ تعالى ـ بما أمر، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، مع الاستفادة بكل ما سخر الله ـ تعالى ـ له فيها من مختلف صور المادة والطاقة والأحياء. والتاريخ يسجل

نشاط الإنسان في هذه المجالات، ويرصد مقدار نجاحه أو فشله في كل دائرة من دوائرها، وما يترتب على ذلك من نتائج. فالكون خاضع لقوانين مطرده، لا تتخلف، ولا تتوقف، ولا تتبدل إلى ما شاء الله. وقوانين الكون سخرها الله ـ تعالى ـ للإنسان، فهي تقع في دائرة التسخير له، وفي متناول الإرادة الحرة التي وهبها الله ـ تعالى ـ إياه، في إطار تكليفه بالاستخلاف في الأرض. وانطلاقاً من ذلك كله فإن الإنسان لا يخضع خضوعاً كليًّا لما يسميه الماديون باسم «الحتمية الاجتماعية والتاريخية» والتي يعتبرونها من الحتميات المطلقة، والقاهرة لإرادة الإنسان.

وانطلاقاً من إنكارها لكل ما هو فوق المادة، فإن **العقلانية** المادية تعتبر العقل البشري هو المرجع الوحيد لتفسير كل شيء في الوجود. وعلى العكس من ذلك فإن **العقلانية الإسلامية** هي عقلانية إيمانية، توظف العقل الإنساني في كل المحسوسات المدركة من أمور الكون، وترد جميع الغيوب المطلقة إلى الله ـ تعالى ـ ومنها ركائز الدين (من العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات). وهنا يفترق العقلان: المسلم وغير المسلم. وتتجسد أزمة العقل المادي في توقفه عند حدود التسليم بالمحسوس المدرك فقط من أمور الكون، وتجاهل أو إنكار كل ما فوق ذلك، علماً بأن **المعارف المكتسبة** هي كلها معارف جزئية لا توصل إلى حقيقة كلية أبداً. **والمعارف الكلية** لا تستمد إلا من وحي السماء. وتجاهل الهداية الربانية أدى بالماديين إلى تأليه العقل البشري على الرغم من الاعتراف بمحدودية قدراته، بينما العقل في الإسلام هو وسيلة الإنسان في الوصول إلى المعارف المكتسبة، وهي وسيلة حررها الإسلام من الغلو في تقديس العقل، أو المبالغة في إهماله وعدم استخدامه لأقصى طاقاته، أو أسره وشل حركته بالإغراق في الأوهام الظنية وهي من الخرافات والأساطير، أو في غير ذلك من وساوس الشيطان.

ومع مغالاة الماديين في تقدير العقل البشري إلى حد التقديس شوهت المعارف المكتسبة تشويهاً كبيراً، خاصة في مجال الدراسات الإنسانية، وفي

مقدمتها علم التاريخ.

من هنا وجب أن يكون للمؤرخ المسلم موقفاً من كتابة التاريخ مختلفاً تماماً عن مواقف غير المسلمين الذين ينطلقون من منطلقات مادية بحتة، منكرة أو متجاهلة لكل ما هو فوق المادة، ومن ذلك إنكار الدين، والتنكر لربّ العالمين، وإغفال سير الأنبياء و المرسلين. فالماديون لا يذكرون الأنبياء في كتاباتهم التاريخية، ولا يتعرضون لدعوتهم ولا لما أجراه الله ـ تعالى ـ من معجزات على أيديهم، ولا لما نزل من عقاب بالكفار والمشركين من أقوامهم، وهذا كله يمثل جزءاً هاماً من تاريخ الإنسان على الأرض، وتجاهله يمثل إهمال قاعدة التاريخ وأساسه بالكامل.

انطلاقاً من ذلك فإن «**الشهيد سيد قطب**» في رسالته المعنونة «**في التاريخ.. فكرة ومنهاج**» نادى بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بأيدي صفوة من أبناء الإسلام، الذين فهموا هذا الدين فهماً صحيحاً من مصادره الرئيسة: الكتاب والسنة، وعاشوه واقعاً حياً في حياة كل واحد منهم.

ثم تبعه في ذلك شقيقه **الأستاذ محمد قطب** ـ حفظه الله ـ بتكرار الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وذلك في كتابه المعنون: «**حول التفسير الإسلامي للتاريخ**»، والذي يقول فيه «وحين يكتب المؤرخ المسلم تاريخ البشرية من زاوية الرصد الإسلامي فلن تتغير على يديه وقائع التاريخ... إنما الذي سيتغير هو تفسير التاريخ، وتقويم الإنجاز البشري، وهما العبرة الحقيقية من دراسة التاريخ». ويضيف قائلاً: «...كذلك يجد المسلم مصداق الموضوعية والعلمية في الآيات التي تتحدث عن سنن الله في الحياة البشرية، وهي محور التفسير الإسلامي للتاريخ». ثم يزيد الأمر توضيحاً بقوله: «...الواقع الغربي يشهد تفسيرين اثنين للتاريخ لا تفسيراً واحداً... أحدهما هو **التفسير الغربي (الليبرالي) للتاريخ**، والثاني هو **التفسير المادي للتاريخ» (أي التفسير الماركسي)**. ويختتم كتابه بقوله: «ومنهج التاريخ في مقدمة المناهج التي تحتاج الى إعادة البناء، سواء منها ما

يختص بالتاريخ الإسلامي، وما يتعلق بالتاريخ البشري كله... لأن درس التاريخ... هو درس في التربية في ذات الوقت».

وتبع هذين الكاتبين الكبيرين في الدعوة إلى التأصيل الإسلامي لكتابة التاريخ كل من الأستاذين الكريمين : **الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة**، وذلك بكتابهما المعنون : **«أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ»**. وقد استهل هذان الكاتبان الكريمان مقدمة كتابهما بالقول بأن: «...من حق البشرية الضالة اليوم أن تحصل على صورة صحيحة لتاريخ البشر على الأرض، ومن الإجرام في حقها تزوير ذلك التاريخ، وإعطائها معلومات مضللة..، ومن الأمانة العلمية أن يمتنع العلماء ـ خاصة الذين يرسمون للناس صورة القرون الخوالي ـ عن تقديم كتابات يعلمون أنها غير صحيحة.. لأنه ليس من مصلحة الإنسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة لا تكشف عن كل جوانبها، أو أن تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها، أو أن تجهل الدوافع الكامنة لسيرها وتحركها، والقيم الأساسية لحياتها وحضارتها، لأن هذا الجهل ينشئ أخطاء عميقة الأثر ـ لا في التصور والتفكير فحسب، ولكن في علاقات الأمم بعضها ببعض ـ كما ينشئ أخطاء بعيدة المدى في تكييف سياسة كل أمة وتوجهها. هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشري، وعن سوء تقدير الدور الذي قام به الإسلام، والذي يمثله العالم الإسلامي اليوم، هذا العالم الذي يمثل وحدة إنسانية شاملة، لها كل خصائصها المستقلة، ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها العسكري الطارئ إلا تأثيراً عارضاً في وزنها الحقيقي».

وأضاف هاذان الكاتبان الكريمان قولهما: «فالمؤلفات التاريخية المعاصرة تفتقد العرض الذي يقوم على أساس العقيدة الإسلامية،... ونظرة سريعة على إنتاجهم (أي على إنتاج المؤرخين والماديين المعاصرين) ـ الذي يسمونه علمياً ـ نجد أنهم قد أرَّخُوا لبداية تاريخ الإنسانية، فجعلوه تاريخ مجموعة من الحيوانات

تطورت عن الخلية الحية التي نشأت في البرك والمستنقعات. كما حولوه إلى تاريخ وثني جاهلي محض، لا وجود فيه لدين هو الإسلام الذي أوجب الله على البشرية اعتناقه، ولا وجود لرسل، ولا أنبياء، ولا لوحي، ولا لإله واجب على الإنسان التعبد له».

وبعد استعراض العديد من أساليب التشويه للتاريخ الإسلامي بأيدي كل من المستشرقين، وأعداء الدين، وبأيدي من تأثر بهم من أبناء المسلمين، يختم الكاتبان كتابهما بالتصحيح التالي قائلين: «...ويصبح عمر التاريخ الإسلامي بضعة آلاف عام أو يزيد، فتاريخ الإسلام يبدأ بخلق الكون مسلماً منقاداً طائعاً للَّه ربّ العالمين، وتاريخ الأمة الإسلامية يبدأ بخلق آدم عليه السلام وزوجه وبنيه ـ مستسلمين للَّه عز وجل ـ ويصبح الدين الإسلامي، وهو الدين الذي دعا إليه جميع الرسل عليهم السلام، وهو الدين الذي لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين ديناً غيره ـ يصبح حقيقة بارزة في تاريخ الأمة المسلمة. وفي ظل هذا التصور تبرز ملامح الأمة الإسلامية، ودورها على مدار تاريخ البشرية، وتبرز ملامح الجاهلية، ودورها في اجتيال الناس عن دين الله عز وجل... وتتضح أيضاً الحقيقة الكبرى التي من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وقام الصراع بين الحق والباطل... وتتضح حقيقة الكيد الشيطاني والتآمر العالمي على الأمة المسلمة، وكيف تستطيع أن تتقي شرهم، وتواجه كيدهم».

وتكفي في التدليل على فساد رؤية الماديين للتاريخ البشري الإشارة إلى ما جاء في «العهد القديم» من كذب على الله ـ تعالى ـ وعلى كافة أنبيائه والذي نورد فيما يلي نماذج منه:

1 ـ **التطاول على الذات الإلٰهية**، ووصف الله الخالق بما لا يليق بجلاله من النعوت من مثل الادعاء الباطل بأن الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان على صورته، والله منزه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. فقد جاء في ترجمة «**سفر التكوين**» **(الإصحاح الأول تكوين 1/**

27) ما نصه: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم». وجاء في الإصحاح الثاني (تكوين 2/ 1 ـ 3) ما نصه: «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. **فارتاح في اليوم السابع** من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله في اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً». وفي هذا الخيال الجامح قياس لقدرات الله ـ تعالى ـ بقدرات البشر، وهو قياس خاطئ تماماً. ولذلك فإن القرآن الكريم يؤكد أن الأمر الإلٰهي لا يحتاج إلى زمن فيقول: عن الله ﷻ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]. ويكذب فرية العهد القديم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ: 38].

كذلك صور «العهد القديم» الله ـ تعالى ـ بهيئة الإنسان الذي يمشي بين أشجار الجنة، باحثاً عن آدم وحواء،كأن علام الغيوب لم يكن يعلم مكان كل منهما، ولم يكن يعلم أنهما قد أكلا من الشجرة المحرمة، وهذا كله مما لا يليق بجلال الله.

2 ـ **الكذب على آدم وحواء** عليهما السلام بأنهما منعا من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (سفر التكوين: 17، 16/ 2) لأن الله ـ تعالى ـ علم آدم الفرق بين كل من الخير والشر، ثم أرسل الرسل، وأنزل الكتب من أجل تعريف الإنسان بكل من الخير والشر. وليس صحيحاً أن الله ـ تعالى ـ قال لآدم إنه في اليوم الذي يأكل فيه من الشجرة فإنه يموت موتاً، لأنه أكل ولم يمت.

كذلك ادعى «العهد القديم» أن الحية هي التي أغوت أمنا حواء بالأكل من الشجرة التي حرم الله ـ تعالى ـ عليها وعلى زوجها الأكل منها (سفر التكوين 24 ـ 1/ 3) والحقيقة أن الشيطان هو الذي أغواهما بذلك.

3 ـ وادعى كاتبو «العهد القديم» **على عبد الله ونبيه نوحاً** عليه السلام بادعاءات باطلة

عديدة منها أنهم اتهموه بالسكر والتعري، وجاء ذلك في ترجمة «العهد القديم» ـ سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع (9/ 20 ـ 27). وحين ذكروا أن الطوفان حدث ونوح عمره ستمائة عام، بينما يذكر القرآن الكريم أن نوح عليه السلام ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم جاء الطوفان. وكذلك ادعوا أن الطوفان قد عم الأرض جميعاً بارتفاع عدة أقدام فوق قمم الجبال، وأنه قضى على جميع أحياء الأرض. وذلك تكذبه الكشوف الأثرية التي حددت منطقة الطوفان بحدود المرتفعات المحيطة بكل من نهري دجلة والفرات، والممتدة من أقصى جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي. وادعوا كذلك أن **سفينة نوح** كانت قد رست على «**جبل أراراط**»، بينما اكتشفت بقاياها على «**جبل الجودي**» كما ذكر القرآن الكريم، والمسافة بينهما أكثر من مائتي ميل. ثم إن «جبل أراراط» هو جبل بركاني ثار أكثر من مرة في التاريخ الحديث، ولو كانت سفينة نوح قد رست عليه لاحترقت وضاع أثرها، بينما «جبل الجودي» هو جبل رسوبي، وجدت بقايا السفينة على أحد سفوحه مطمورة في رسوبيات للماء العذب.

4 ـ كذلك ادعى كاتبو «العهد القديم» **على عبد** الله **ونبيه إبراهيم** عليه السلام أنه سلم زوجته التي قال أنها أخته لفرعون مصر من أجل نجاته، ولكي ينال من ورائها خيراً كثيراً (سفر التكوين ـ الإصحاح الثاني عشر / 11 ـ 19)، كما سلمها بعد ذلك إلى «أبيمالك» ملك «جرار» (سفر التكوين/ 20/ 1 ـ 18). وإن كانت واحدة من القصتين لها أصل عندنا، ولكن ليست بالصورة البشعة التي جاءت في العهد القديم والتي لا تليق بنبي من أنبياء الله.

5 ـ وزاد كذب كاتبي «العهد القديم» عن كل الحدود حين ادعوا **على عبد** الله **ونبيه لوطاً** عليه السلام أنه زنى بابنتيه (الواحدة تلو الأخرى) وهو سكران، وأن ابنتي لوط حملتا سفاحاً من أبيهما، وجاء من زنى المحارم هذا كل من «موآب» أبو «المؤابيين»، و«بن عمي» أبو: «بني عمون» «سفر التكوين» (38 ـ 30/ 19). وهذا افتراء واضح لأن الأنبياء معصومون عن السكر والزنى،

وعن غير ذلك من الفواحش.

وادعى كاتبو «العهد القديم» أيضاً أن الملائكة أكلوا طعام لوط عليه السلام، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

6 ـ **وصفوا عبد الله ونبيه إسماعيل** عليه السلام بأنه إنسان وحشي «سفر التكوين» (12، 11/ 16)، ونفوا عنه النبوة، وأعطوها لأخيه إسحٰق «سفر التكوين» (27 ـ 18/ 17)، وادعوا أن الذبيح كان إسحٰق وليس إسماعيل «سفر التكوين» (21 ـ 19/ 21). وادعى كاتبوا «العهد القديم» كذلك أن هاجر خرجت وتاهت في «برية بئر سبع» حيث وجدت بئر ماء سقت منه غلامها الذي سكن في «بَرِّيَة فاران» «سفر التكوين» (21 ـ 19/ 21). وفي قاموس العهدين القديم والجديد «بَرِّيَة فاران» هي جبال مكة، وأين جبال مكة من بئر سبع؟ والآثار التاريخية أثبتت بطلان ذلك كله، فالبئر هي «بئر زمزم»، والبرية هي جبال مكة.

7 ـ **كذلك ادعى كتاب «العهد القديم» على عبد الله ونبيه إسحٰق** عليه السلام أنه كذب على «أبيمالك» ملك «جرار» (ملك الفلسطينيين) وعلى قومه، وذلك بادعاء أن زوجته هي أخته «سفر التكوين» (11 ـ 1/ 26) كما سبق وأن ادعو هذه الفرية على أبيه إبراهيم عليه السلام.

8 ـ **وادعوا على عبد الله ونبيه يعقوب** عليه السلام بأن جعلوه كاذباً مدلساً على أبيه، ومدعيًّا أنه هو ابنه الأكبر ليأخذ بركته، وكذبوا على أبيه إسحٰق بأنه شرب خمراً «سفر التكوين» (46 ـ 1/ 27). كما كذبوا على يعقوب بأنه صارع ملاك الرب لمدة ليلة كاملة، ولم يقدر عليه هذا الملاك، فخلع حق فخذ يعقوب، وعلى الرغم من ذلك فإن يعقوب رفض إطلاق ملاك الرب حتى يباركه، وهذه هي أسطورة لا أساس لها من الصحة «سفر التكوين» (32 ـ 24 / 33).

9 ـ **وكذبوا على عبد الله ونبيه يوسف** عليه السلام إذ زعموا أنه ألقي في البئر وهو ابن سبعة عشر عاماً، وأنه أخبر إخوته بالحلم الذي رآه، وأن أباه هو الذي

أمره بالخروج إلى إخوته حيث كانوا يرعون غنمهم في البرية «سفر التكوين» (35 ـ 1/ 37). وكذلك كذبوا على يوسف بالادعاء الباطل عليه بأنه خلع ثوبه بجوار زوجة العزيز، وهرب خارجاً من البيت «سفر التكوين» 18 ـ 7/ 39).

10 ـ وكذلك ادعى كتبة «العهد القديم» على **«يهوذا بن يعقوب** عليه السلام» أنه زنى بأرملة ابنه «سفر التكوين» (29 ـ 1/ 38).

11 ـ **وادعوا على عبد** الله **ونبيه أيوب** بأنه كان دائم السخط والتبرم،رافضاً لقضاء الله وقدره «سفر أيوب» (26 ـ 1/ 3).

12 ـ وكذبوا أيضاً على الله ـ تعالى ـ حين ادعوا أنه **أمر موسى بأن يأمر شعبه باقتراض ذهب وفضة المصريين وثيابهم ثم الهرب** من أجل استلابه خلسة «سفر خروج» (12 ـ 1/ 11، 26، 25/ 3). كذلك ادعو أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر كانوا نحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد «سفر الخروج» (37/ 12) علماً بأن مجموع تعداد شعب مصر في ذلك التاريخ لم يكن يصل إلى ستمائة ألف نسمة.

13 ـ **وكذبوا على عبد** الله **ونبيه موسى** عليه السلام بأن ادعوا عليه أنه خاطب ربه بجفوة واضحة. وليس ذلك من شيم الأنبياء أبداً «خروج» (14 ـ 12/ 32). وادعوا عليه أنه غفر لقومه خطيئتهم، ونحن نعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله «خروج» (33 ـ 30/ 32). كذلك لم يرد في «العهد القديم» ذكر لقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح المعروف باسم الخضر.

14 ـ وادعى كاتبو «العهد القديم» على **عبد** الله **ونبيه هارون** أنه هو الذي صنع العجل من الذهب الذي اختلسه الإسرائيليون من شعب مصر، وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. وأن بني إسرائيل عبدوا ذلك العجل الذهبي أثناء غياب موسى للقاء ربه «خروج» (6 ـ 1/ 32) وهذا لا يمكن أن يكون قد صدر عن هارون النبي، لأن الأنبياء معصومون عن الوقوع في مثل هذه الخطايا.

15 ـ وادعوا أن «مريم» أخت «هارون» كانت نبية، وأنها حملت الدف بيدها ورقصت «خروج» (21، 20/ 15) وليس ذلك من شيم الأنبياء ولا من شيم بنات أسر النبوة.

16 ـ وادعوا على **عبد** الله **ونبيه داود** عليه السلام أنه زنى بزوجة أحد جنوده (أوريا الحثى) بينما كان هذا الجندي في ميدان القتال دفاعاً عنه، فحملت المرأة سفاحاً منه ثم مات الولد. وبعد ذلك استدعى داود زوجها من ساحة القتال وحمله خطاباً إلى قائد جنده ليضعه في مقدمة المقاتلين، فإذا احتدم القتال تخلوا عنه ليقتل، فلما فعلوا ما أمرهم به داود سقط (أوريا) صريعاً. تزوج داود أرملة (أوريا)، وجاء لداود من هذه المرأة التي زنى بها ابنه سليمان ـ شرفهما الله ـ «سفر صموئيل الثاني» (27 ـ 3/ 11) وداود عليه السلام يصفه القرآن الكريم بأنه أواب (أي كان تواباً إلى الله في جميع أحواله) وأنه كان قوياً في تدينه، وفي طاعته لرب العالمين.

ويذكر رسول الله ﷺ هذا النبي الصالح بقوله الشريف: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه؛ وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى**»[1]. **وكان داود في** زمانه مثال التفاني في العبادة، والعدل ـ وكثرة القربات إلى الله ـ تعالى ـ وخشيته. فهل يمكن لنبي من أنبياء الله، ونبي خصه الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه بأنبل الصفات، كما خصه رسول الله ﷺ بالتبتل في العبادة أن يأتي بالجرائم التي ألحقه بها كتبة «العهد القديم»؟ كذلك أنكر هؤلاء الكتبة الكذبة نبوة داود عليه السلام كما أنكروا نبوة ابنه سليمان عليهما السلام على الرغم من ادعائهم بأن الله ـ تعالى ـ تراءى لكل منهما في العديد من المرات، والله لا يخاطب إلا أنبياءه. كذلك فإن ما جاء في «العهد القديم» بأن أحد أبناء داود عليه السلام زنى بأخته من أبيه هو من الكذب الصراح على عبد الله ونبيه داود، وعلى آل بيته الأطهار.

---

(1) أخرجه كل من البخاري حديث رقم (3420)، ومسلم حديث رقم (1159).

17 ـ وقد ادعى كتاب «العهد القديم» على **عبد** الله **ونبيه سليمان** عليه السلام بالردة عن دينه، وبالزواج من سبعمائة زوجة، بالإضافة إلى ثلاثمائة من السراري. وادعوا أنهن كن جميعاً (الزوجات والسراري) من عبدة الأصنام فأملن قلب سليمان في شيخوخته فعبد أصنامهن، وبنى لتلك الأصنام بيوتاً على مرتفعات من الأرض، حتى غضب عليه الرب الذي ادعوا أنه تراءى له مرتين «سفر الملوك الأول»، (13 ـ 1/ 11).

والقرآن الكريم يصف النبي الصالح سليمان بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [صٓ: 30]. ويؤكد القرآن الكريم أن سليمان ورث عن أبيه داود كلًّا من النبوة والملك ومكارم الأخلاق، ويمتدحهما كتاب الله في العديد من آياته. فهل يمكن لنبي موصول بالوحي، معصوم في التبليغ عن ربه أن ينحرف مثل هذا الانحراف؟

18 ـ كذلك ادعى كُتَّاب «العهد القديم» على **عبد** الله **ونبيه يونس بن متى** عليه السلام بأنه رفض أمر الله إليه بالمسير إلى «نينوى»، وليس من أخلاق الأنبياء معصية أوامر الله. ويذكر هؤلاء الكتبة أن يونس ابتلعته سمكة كبيرة وذلك في الترجمة الإنجليزية، وفي الترجمة العربية المقابلة جاء «أن الرب أعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان، **فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال**» «سفر يونان» (1 /17) ولو ابتلعه الحوت لاختنق ومات.

كذلك جاء في الترجمة الإنجليزية **أن** الله **أظل يونان بشجرة عنب**، بينما جاء في الترجمة العربية المقابلة أن «**الرب الإله أعد يقطينة فارتفعت فوق يونان...**» والنقل عن القرآن الكريم هنا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

وهكذا كان تعامل كُتَّاب «العهد القديم» مع جميع أنبياء الله ورسله، فحاولوا تشويه صورة كل واحد منهم، واتهامه بالعديد من السلوكيات والصفات التي لا تليق حتى بأراذل الناس، وعوامهم، وجهالهم. وهذا يؤكد على كذب هؤلاء الكتبة وافترائهم على الله ـ تعالى ـ وعلى خيرة خلقه. وذلك لأن الأصل في الأنبياء أنهم هم الصفوة من الخلق، وأن الله ـ تعالى ـ اختارهم بعلمه المحيط بكل شيء لتبليغ

هدايته لأقوامهم. ولتحقيق ذلك كان الله ـ تعالى ـ ينزههم بأعلى قدر من مكارم الأخلاق، ويثبتهم على الالتزام بالحق والعدل، ويعصمهم من الزلل حتى يكون في سلوك كل واحد منهم القدوة الصالحة لقومه ؛ كما يعصمهم من نزغات الشياطين حتى لا يحيدوا عن الحق في تبليغ رسالة ربهم إلى خلقه.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تمتلئ به أسفار «العهد القديم» من الأخطاء اللغوية ؛ والعقائدية؛ والتعبدية؛ والأخلاقية ؛ والتشريعية؛ والتاريخية؛ والعلمية، وغيرها، زيادة على التحيز الواضح لبني إسرائيل فإن دور اليد البشرية اليهودية في صياغة «العهد القديم» تبدو جلية لكل عين بصيرة. وذلك لأن الأصل في كلام الله أنه يتصف دوماً بالكمال المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ كما يتصف بالعدل المطلق الذي لا ينحاز لعرق من أعراق عباده، أو للون من ألوانهم على حساب عرق أو لون آخر.

كذلك كتب دهاقنة اليهود كتاب «العهد الجديد» افتراءً على الله ـ تعالى ـ وتحريفاً لرسالة وتعاليم وسيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعد ضياع الإنجيل الذي أنزله الله تعالى هداية للخراف الضالة من بين إسرائيل، الذين كانوا قد ضلوا ضلالاً بعيداً. ومن أمثلة الافتراءات في «العهد الجديد» ابتداع دعاوى مثل الخطيئة والكفارة، والتثليث، والقول الباطل بألوهية المسيح، أو ببنوته للَّه، أو بألوهية أمه، أو بقتله وصلبه. والاختلاف بين الأناجيل الأربعة في عشرات القضايا (التي منها نسب المسيح نفسه) تشهد بأنه كتاب موضوع، لا علاقة له بالوحي الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وإن حاول التحدث عنه.

والتسمية باسم «العهد» في كل من «العهدين القديم والجديد» هي مؤامرة يهودية في الادعاء على الله ـ تعالى ـ بأنه أعطى لإبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده عهداً بتملك أرض فلسطين ملكاً أبدياً. وكان اليهود هم أول من كتب هذين العهدين، وأول من جمعهما في مجلد واحد، وأول من فسرهما للنصارى بالدس

اليهودي الواضح في معظم فقرات هذين العهدين.

ومع كثرة الباطل الذي يمتلئ به «العهدان القديم والجديد» فإنه لا يزال يتردد بين ثناياهما بعض بقايا الحق القديم الذي أنزله الله ـ تعالى ـ في أصول كل من «التوراة» و«الزبور» و«الإنجيل». وبقايا هذا الحق القديم يصححه ويكمله ما جاء في القرآن الكريم.

والتشابه بين قصص القرآن الكريم وبعض ما جاء في «العهدين القديم والجديد» دفع بغلاة اليهود والنصارى إلى الادعاء الباطل بأن سيدنا محمداً ﷺ قد نقل القصص القرآني عن هذين العهدين، والفرق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار. وقد عرضنا لذلك بشيء من التفضيل في هذين المجلدين. ويكفي لنفي هذه الفرية أن «العهد القديم» لم يشر إلى أي من النبيين الصالحين «هود» و«صالح» عليهما السلام، ولا إلى العديد من الأمم التي ذكرها القرآن الكريم مثل «أصحاب الرس»، و«أصحاب الأيكة»، و«قوم تبّع»، و«أصحاب الأخدود»، و«أصحاب الجنة»، وغيرهم. وقد فصل القرآن الكريم قصة كل من هذين النبيين (هود وصالح) مع قومهما، وجاءت الكشوف الأثرية متوافقة تماماً مع ما أورده القرآن الكريم بشأن كل منهما.

كذلك صحح القرآن الكريم الأخطاء العديدة التي أوردها كُتَّاب «العهد القديم» في عرضهم لقصص عدد من أنبياء الله ورسله، وأخبار من وافق زمان كل واحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين من الصالحين والطالحين. والمتأمل للطبعات المتتالية «للعهدين القديم والجديد»، ولما أدخل ولا يزال يدخل عليهما من تعديلات باستمرار، وللتناقض بين ترجماتهما إلى العديد من لغات أهل الأرض، (خاصة بين النص العربي وما يقابله من ترجمات أجنبية)، يتضح له بجلاء أن كُتّاب «العهدين القديم والجديد» ومترجميهما إلى اللغة العربية هم الذين أخذوا عن القرآن الكريم، وليس العكس. وقد أشرنا إلى شيء من ذلك بالتفصيل في هذين المجلدين.

وابتداع اليهود في «العهد القديم» بالذات يصفه النبي المصطفى ﷺ بقوله الشريف: «**إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة**»، **ولذلك قال ـ تعالى ـ في تزكيته للقرآن الكريم ما نصه:** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: 76]. ويخاطب ﷻ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]. فالقرآن الكريم يهيمن على كل ما سواه من بقايا الرسالات السماوية السابقة، وذلك بما نزل فيه من الحق، خاصة وأنه هو الصورة الوحيدة من وحي السماء الموجود بين أيدي أهل الأرض اليوم، محفوظاً بنفس لغة وحيه (اللغة العربية) دون أن يضاف إليه أوأن ينتقص منه حرف واحد، وذلك تحقيقاً للوعد الإلٰهي الذي قطعه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على ذاته العلية ـ ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً.

من هنا كان اهتمامي بقضية «**الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم**» من أجل توضيح هذا الجانب من جوانب الإعجاز في كتاب الله، خاصة وأن هذا الوجه من أوجه الإعجاز لم يتعرض له من قبل إلا نفر قليل من الكتاب المسلمين. وهذا الوجه كغيره من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ـ وهي عديدة ـ يشهد لهذا الكتاب الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه حفظاً كاملاً على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً. وبهذا الحفظ الإلٰهي للقرآن الكريم يبقى هذا الكتاب العزيز شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، كما يبقى الحجة البالغة على الناس جميعاً إلى أن يشاء الله ربّ العالمين.

ومن خلال استعراض آيات «الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله» يمكن تصحيح العديد من المغالطات التي ملأت كتب التاريخ، والتي دفعت بغالبية أهل الأرض إلى التوجه المادي، الدهري (العلماني) البحت الذي عانت منه البشرية طويلاً ولا تزال تعاني حتى اليوم.

وكان من أسباب هذه الانحرافات هو ضياع أصول الرسالات السماوية السابقة على تنزل القرآن الكريم، ثم إعادة كتابة ما بقي عن بعضها من ذكريات كانت قد حملت مشافهة من الأجداد والآباء لكل من الأبناء والأحفاد لعشرات العقود إن لم يكن لعشرات القرون. وفي خلال هذا النقل الشفهي تعرضت تلك الكتب للعديد من الحذف والإضافة، والتبديل والتغيير، الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية متّبعيها. وعندما فكر أتباع هذه المعتقدات في تدوينها تم ذلك من الذاكرة، وبواسطة العديد من الأيدي المتفرقة، التي لم يكن أصحابها من الأنبياء ولا بالمرسلين، ومن ثم لم يكونوا معصومين من الخطأ. وكان هؤلاء الكتاب في أماكن متفرقة، وفي أزمنة متباعدة، فتضاربت الآراء واختلفت. ونتيجة لذلك تعددت الفرق، وتنوعت واختلفت، وتطاحنت واقتتلت، لابتعادها عن وحي السماء الذي أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين.

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل كلّا من «**صحف إبراهيم**» و«**التوراة**» و«**الزبور**» و«**الإنجيل**» و«**القرآن الكريم**» ـ فيما نعلم من أسماء وحي السماء ـ لم ينزل كتاباً اسمه «**العهد القديم**» أو «**العهد الجديد**»، فكلاهما صناعة بشرية خالصة، لا علاقة لأي منهما بوحي السماء، وإن تحدثا عنه حديثاً مشوهاً مبتوراً في غالبيته.

والتحريف في هذين الكتابين، وفي أمثالهما من الكتب الموضوعة كان من الأسباب الرئيسة في صرف غالبية شعوب الأرض عن دين الله، وقد دفعهم ذلك إلى التنكر لربّ العالمين، وإلى العيش بأحكام البشر القاصرة المحدودة، وبالمقاييس المادية المحضة التي لا تغني شيئاً في أمور الدين ولا في تأصيل دوره في تنشئة الإنسان الصالح. وهذه المقاييس المادية ـ وإن أفلحت في تناول المحسوس المدرك من أمور الكون ـ إلا أنها شغلت الإنسان بالدنيا، وأنسته الآخرة، وملأت رأسه بالإيمان بذاته وبقدرات عقله فقط، فألّه الذات والعقل

والمادة، ونسي الموت والبعث والحشر والحساب، والجزاء كما نسي الخلود في الآخرة إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً.

ويمثل ذلك واحداً من مآسي عصرنا، ذلك العصر الذي تميز بتقدم علمي وتقني مذهل، رافقه انحسار ديني وأخلاقي وسلوكي مذهل كذلك. وهذا التوجه المادي البحت للإنسان المعاصر أغرق الأرض في بحار من المظالم، والدماء، والأشلاء، والخراب، والدمار، بسبب نسيان الإنسان لحقيقة رسالته في هذه الحياة، ولحتمية مصيره من بعدها. وتبقى هذه من القضايا التي يحتاج الإنسان فيها دوماً إلى بيان من الله، لأنها فوق طاقة القدرات البشرية. لذلك علّم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أبانا آدم عليه السلام لحظة خلقه التفاصيل الكلية لهذه القضايا المصيرية، وأنزلها على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، ثم أكملها وحفظها في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) ـ. ولو لم يبصرنا ربنا ـ تبارك اسمه ـ بهذه القضايا عن طريق الوحي إلى أنبيائه ورسله، ما كان أمام الإنسان من وسيلة للتعرف عليها، وهي من حقائق الوجود التي لا تستقيم حياته على الأرض بدونها. والذين لا يدركون ذلك لا يمكنهم أن يعرفوا الحكمة من وراء خلق الإنسان، ولا أن يدركوا حقيقة رسالته في هذه الحياة، ولا أن يتحققوا من مصيره من بعدها.

وفاقد ذلك لا يستطيع أن يحقق صحة التحليل، أو دقة الاستنتاج، أو صواب الحكم في أية قضية من القضايا، مهما كان حجم ما لديه فيها من وقائع وبيانات وإحصاءات. ويتضح هذا الفشل الناتج عن جهل الإنسان برسالته في هذه الحياة وبمصيره من بعدها أكبر ما يتضح في مجالات الدراسات الإنسانية، وفي مقدمتها دراسة التاريخ. ومن هنا كانت أهمية الدعوة إلى التأصيل الإسلامي لجميع المعارف المكتسبة، وضرورة إعادة كتابة التاريخ بالضوابط الإسلامية الصحيحة. ومن أجل المساهمة في ذلك كان هذان المجلدان اللذان أدعو الله ـ تعالى ـ أن يجعل فيهما شيئاً من النفع، وأن يغفر ما جاء فيهما من تقصير، والله يقول الحق،

ويهدي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أنبياء الله ورسله أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونخص منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم خاتمهم أجمعين سيدنا محمد النبي العربي الأمين وآله وصحبه ومن تبع هداه، ودعى بدعوته إلى يوم الدين (اللّهم آمين).

قائمة بالمراجع

أولاً: المراجع العربية:

1 ـ **الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت855هـ/ 1463م)**: «أخبار مكة وما جاء فيها من آثار»؛ تحقيق: رشدي الصالح، مطابع دار الثقافة، مكة 1385هـ/ 1965م الطبعة الثانية.

2 ـ **الأشقر، عمر سليمان (1422هـ/ 2001م)**: «صحيح القصص النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، الطبعة السادسة.

3 ـ **الأشقر، عمر سليمان (1423هـ/ 2002م)**: «الرسل والرسالات»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية عشر.

4 ـ **الأشقر، عمر سليمان (1427هـ/ 2007م)**: «قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن.

5 ـ **الأشقر، عمر سليمان (1427هـ/ 2007م)**: «قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن.

6 ـ **الأشقر، عمر سليمان (1432هـ/ 2011م)**: «قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن.

7 ـ **الأميري، أحمد البراء (1420هـ/ 2000م)**: «فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم»؛ دار القلم، دمشق ـ سوريا.

8 ـ **الأنصاري، عبد الرحمٰن حسن الطيب، حسين بن علي أبو الحسن (1425هـ/ 2005م)**: «العلا ومدائن صالح (الحجر) حضارة مدينتين»؛ دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.

9 ـ **ابن الأثير الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/ 1234م)**: «الكامل في التاريخ» (تاريخ ابن الأثير)؛ أعيدت طباعته بواسطة دار صادر، بيروت لبنان (1383هـ/ 1963م).

10 ـ **ابن إسحاق، أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي (ت151هـ/ 773م)**: «السير والمغازي»؛ أعادت طباعته دار الفكر، بيروت ـ لبنان (1398هـ/ 1977م).

11 ـ **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/ 1328م)**: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»؛ أعادت طباعته دار العاصمة ـ الرياض (1414هـ/ 1994م).

12 ـ **ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد (ت852هـ/ 1460م)**: «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» (المسمى تاريخ ابن خلدون)؛ أعادت نشره دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان (1400هـ/ 1900م).

13 ـ **ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري القرشي (ت230هـ/ 845م)**: «الطبقات الكبرى»؛ تحقيق: إحسان عباس؛ نشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان (1380هـ/ 1960م).

14 ـ **ابن عبد القادر، فوزي بن عبد المنصف بن عثمان (1426هـ/ 2005م)**: «القصص الحق؛ تقديم: عصري جديد لقصص القرآن المجيد»؛ غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت.

15 ـ **ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/ 1372م)**: «قصص الأنبياء»؛ تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي؛ دار المعرفة، بيروت ـ لبنان (1427هـ/ 2006م).

16 ـ **ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/ 1372م)**: «البداية والنهاية» (تاريخ ابن كثير)؛ أعادت نشره مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى (1410هـ/ 1990م)، الطبعة الثانية (1417هـ/ 1997م).

17 ـ **ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/ 1372م)**: «صحيح قصص الأنبياء»؛ صححه أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري؛ مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية (1422هـ/ 2002م).

18 ـ **أبو خليل، شوقي (1422هـ/ 2001م)**: «أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام»؛ دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان؛ ودار الفكر، دمشق ـ سوريا.

19 ـ **أبو زيد، حمدي بن حمزة (1425هـ/ 2004م)**: «فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم، زمانهم، أوطانهم»؛ الناشر: هو المؤلف، الرياض.

20 ـ **أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم (1431هـ/ 2010م)**: «الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة ـ عرض وتحليل»؛ مؤسسة الفرقان الإسلامي ـ جدة.

21 ـ **البار، محمد علي (1427هـ/ 2007م)**: «إضاءات قرآنية ونبوية في تاريخ اليمن»؛ العصر الحديث للنشر والتوزيع، ودار المنهل، بيروت ـ لبنان.

22 ـ **البلادي، عاتق بن غيث (1412هـ/ 1992م)**: «أخبار الأمم المبادة في القرآن»؛ دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

23 ـ **الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشافعي (ت427هـ/ 1035م)**: «عرائس المجالس في بيان قصص الأنبياء»؛ أعادت نشره مطبعة الأمة ـ القاهرة (1321هـ/ 1912م).

24 ـ **جاد المولى، محمد أحمد؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، والسيد شحاته (1407هـ/ 1987م)**: «قصص القرآن»؛ دار الجيل، بيروت ـ لبنان (الطبعة الرابعة عشر).

25 ـ **الحمصي، نهدي صبح (1423هـ/ 2003م)**: «علم الآثار عبر العصور»؛ بيروت ـ لبنان (بدون ناشر).

26 ـ **خليل، عماد الدين (1401هـ/ 1981م)**: «في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل»؛ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

27 ـ **خليل، محمد رشاد (1404هـ/ 1984م)**: «المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره»؛ دار المنار ـ القاهرة.

28 ـ **داود، عبد الأحد (1431هـ/ 2010م)**: «محمد ﷺ كما ورد ذكره في كتاب اليهود والنصارى»؛ نقله إلى العربية محمد فاروق الزين؛ العبيكان، الرياض.

29 ـ **دروزة، محمد عزة (1384هـ/ 1964م)**: «عصر النبي ﷺ **وبيئته قبل البعثة»؛ دار اليقظة العربية، بيروت ـ لبنان، (الطبعة الثانية).**

30 ـ **رشيد، حكمت إبراهيم (1424هـ/ 2004م)**: «سير الأنبياء في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم: دراسة مقارنة»؛ مطبعة العراب، عمان ـ الأردن.

31 ـ **رضوان، أحمد حسن (1204هـ/ 1990م)**: «من الكهف إلى الكون: تأملات في سورة الكهف»؛ دار الغد العربي للصحافة والنشر والإعلان، 3 شارع دانق ـ العباسية ـ القاهرة.

32 ـ **الزير، محمد بن حسن (1405هـ/ 1985م)**: «في سبيل أدب إسلامي: القصص في الحديث النبوي: دراسة فنية وموضوعية»؛ بدون ناشر، الرياض، (الطبعة الثالثة).

33 ـ **سالم، السيد عبد العزيز (1391هـ/ 1971م)**: «تاريخ العرب في عصر الجاهلية»؛ دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان.

34 ـ **السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر عبد الله** (1307هـ/ 1976م): «رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج»؛ تحقيق وتعليق: د.أحمد بن عبد الرحمٰن بن عثمان القاضي، دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ المملكة العربية السعودية.

35 ـ **شعبان، حلمي علي (1209هـ/ 1995م)**: «شعيب عليه السلام»؛ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

36 ـ **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ/ 923م)**: «تاريخ الأمم والملوك» (تاريخ الطبري)؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت ـ لبنان (1387هـ/ 1967م).

37 ـ **الطويل، هدى حسن (1427هـ/ 2006م)**: «فاعتبروا يا أولي الأبصار: أنبياء في القرآن تركوا آثاراً (تفسير موضوعي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بآثار الأمم السابقة)»؛ دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

38 ـ **ظبيان، محمد تيسير (1398هـ/ 1978م)**: «أعظم اكتشاف تاريخي وأثري في القرن العشرين: أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى»؛ دار الاعتصام ـ القاهرة.

39 ـ **علي، جواد (1400هـ/ 1980م)**: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»؛ دار العلم للملايين (الطبعة الثالثة)، بيروت ـ لبنان.

40 ـ **علي، جواد (1403هـ/ 1983م)**: «تاريخ العرب في الإسلام: السيرة النبوية»؛ مكتبة النهضة العربية ـ بغداد.

41 ـ **عمارة، محمد (بدون تاريخ)**: «بين العصمة والازدراء: الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس»؛ إعداد موقع الإسلام والعالم، نشر صحيفة «المصريون» موقع على الشبكة العنكبوتية (http://www.almesryoon.com).

42 ـ **عوف، أحمد محمد (1211هـ/ 1997م)**: «عبقرية الحضارة المصرية»؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

43 ـ **الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (ت889هـ/ 1497م)**: «أخبار مكة المكرمة في قديم الدهر وحديثه»؛ دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش (1407هـ/ 1987م).

44 ـ **الفقير، بدر بن عادل (1426هـ/ 2006م)**: «السياحة في منطقة العلا: موارد الجذب ومعوقات التنمية: دراسة في الجغرافيا السياحية»؛ جامعة الملك سعود ـ الرياض.

45 ـ **قطب، سيد (1392هـ/ 1972م)**: «في التاريخ... فكرة ومنهاج»؛ منشورات العصر الحديث، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ـ لبنان.

46 ـ **قطب، محمد (1409هـ/ 1989م)**: «حول التفسير الإسلامي للتاريخ»؛ المجموعة الإعلامية، جدة ـ المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية).

47 ـ **الكتاب المقدس (1999م)**: كتاب الحياة، عربي/إنكليزي، الطبعة الخامسة، International Biblesociety.

48 ـ **الكبيسي، أحمد (1429هـ/ 2008م)**: «أحسن القصص: قصص القرآن الكريم»؛ دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

49 ـ كتب العهدين القديم والجديد ـ طبعات متعددة، ترجمة: فان دايك (1963، 2000، 2003)، بيروت، القاهرة، دار الكتاب المقدس ـ القاهرة ـ الإصدار الخامس (2003م).

50 ـ **الماوردي، أبو الحسن علي محمد (ت450هـ/ 1058م)**: «أعلام النبوة»؛ أعادت طباعته مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة (1391هـ/ 1971م).

51 ـ **المجذوب، محمد (1391هـ/ 1971م)**: «نظرات تحليلية في القصة القرآنية»؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، (الطبعة الثانية).

52 ـ **مسعود، جمال عبد الهادي محمد، وفاء محمد رفعت جمعة (1414هـ/ 1994م)**: «نحو تأصيل إسلامي للتاريخ: المنهج، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي: لماذا؟ وكيف؟»؛ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر.

53 ـ **مسعود، جمال عبد الهادي محمد (1410هـ/ 1990م)**: «جزيرة العرب»؛ دار الوفاء، المنصورة ـ مصر، (الطبعة الثانية).

54 ـ **مؤنس، حسين (1407هـ/ 1987م)**: «أطلس تاريخ الإسلام»؛ الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ـ مصر.

55 ـ **النجار، زغلول راغب محمد (1421 ـ 1432هـ/ 2001 ـ 2011م)**: «من أسرار القرآن»؛ مجموعة مقالات بجريدة الأهرام القاهرية ـ مصر.

56 ـ **النجار، زغلول راغب محمد (1429هـ/ 2009م)**: «خواطر في معية خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ»؛ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة، (الطبعة الرابعة).

57 ـ **النجار، عبد الوهاب (1406هـ/ 1986م)**: «قصص الأنبياء: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (الطبعة السابعة).

58 ـ **النجار، محمد الطيب (1399هـ/ 1979م)**: «تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية»؛ دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة، (الطبعة الثانية).

59 ـ **النشرتي، حمزة، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى (1420هـ/ 1999م)**: «موسوعة القصص القرآني» (في مجلدين)؛ الناشر: حمزة النشرتي ـ المنوفية ـ مصر.

60 ـ **وائل، أحمد عبد القادر (1408هـ/ 1998م)**: «الأصل العربي للحضارات»؛ مكتبة الحرمين للعلوم النافعة؛ القاهرة ـ مصر.

61 ـ ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله (ت626هـ/ 1229م): «معجم البلدان»؛ أعادت طباعته دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى (1399هـ/ 1979م)، الطبعة الثانية (1417هـ/ 1997م).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1 - Bermants, Chain & Michael Witzman (1979): «Ebla, An Archeological Enigma»; Weidenfeld & Nicholson, London.

2 - Bermants, Chain & Michael Weitzman (1979): «Ebla A Revelation in Arehaeology», Times Books, N.Y. NewYork. U.S.A.

3 - Blake, Everett C. & Anna G.Edmonds (1977): «Biblical Sites in Turkey»; Red House Prss, Istanbul, Turkey.

4 - Bucaille, Maurice (1976): «The Bible, The Quran and Science»; Seghers, Paris.

5 - Bucaille, Maurice (1987): «Mummies of the Pharoes: Modren Medical Investigations»; NewYork, Saint Martin's Press.

6 - Bucaille, Maurice (1995): «Moses and Pharaoh, the Hebrews in Egypt»; Seghers, Paris.

7 - Clapp, Nicholas (1999): «The Road to Ubar: Finding the Atlantis of the Sands»; Mariner Books.

8 - Corbalis, Michael C. (2002): «From Hand to Mouth: The Origin of languages»; Princton University Press.

9 - Crabb, Charlene (1993): «Frankincense»; Discover, January, 1993.

10 - Doe, Brian (1971): «Southern Arabia»; Thames & Hudson, London.

11 - Dunlop, D. M. (1954): «The History of the jewish khazars»; Princton University Press.

12 - Evedy, Mc., C. (1983): «The Penguin Atlas of Ancient History»; Sheck Wah Tong Printing Press Ltd., Hongkong.

13 - Fay, La, Howard (1978): «Ebla, Splendor of an unknown Empire»; National Geographic Magazine, v.154, No.6, pp.730-759, December, 1978.

14 - Fiennes, Ranulph (1990): «Atlantis of the Sands (The Search for the Lost City of Ubar)»; Penguin Books, Canada, Ltd.

15 - Groom, Nigel (1981): «Frankincense and Myrrh», Longman; London.

16 - Mallowan, Max (1964): «Nuh's Flood Reconsidered», Iraq vol.xxvi-2.

17 - Mallowan, Max (1971): «Early Dynastic Period in Mesopotamia»; Cambridge Ancient History 1-2, Cambridge, England, U.K.

18 - Maugh II, Thomas H. (1992): «Ubar, Fabled Lost City, Found by LA Team», in The Los Angeles Times, 5 February, 1992.

19 - Ostling, R.N. (1992): «Arabia's Lost Sand Castle»; in Time International. No.7, 17 February, 1992.

20 - Pettinatio, G. & Dahood, M. (1981): «The Archives of Ebla, an Empire Inscribed in Clay»; Doubleday & Co, Inc., NewYork, U.S.A.

21 - Reinhold. R. (1986): Unearthing Arabia's Past»; in Reader's Degest, August, 1986.

22 - Ryan, William & Walter Pitman (1980): «Noah's flood: the new scientific discoveries about the event that changed the history»; Simon Schuster, New-York, NY 10020.

23 - Thomas, Bertram (1932): «Arabia Felix: Across the Empty Quarter of Arabia»:, Schriebr's Sons, NewYork, U.S.A.

24 - Robinson, James M. (General Editor, 1988): «The Nag'a Hammadi Library in English», Third Completely Revised Edition; E.J.Brill, Leiden, NewYork, Kobenhaven, Koln.

25 - Thompson, Frank Charles (1983): «The Thompson Chain - Reference Bible, New International Version», B.B.Kirkbride Bible Co. Inc. (Indianapolis - Indiana) and Zondervan Bible Publishers (Grand Rapids, Michigan).

26 - Yahya, Harun (1420 A.H./ 1999 C.E.): «Perished Nations», Ta-Ha Publishers Ltd., London, England.

فهرس الموضوعات

الباب الخامس

بعض الشخصيات والوقائع الأخرى 1179

ملحق

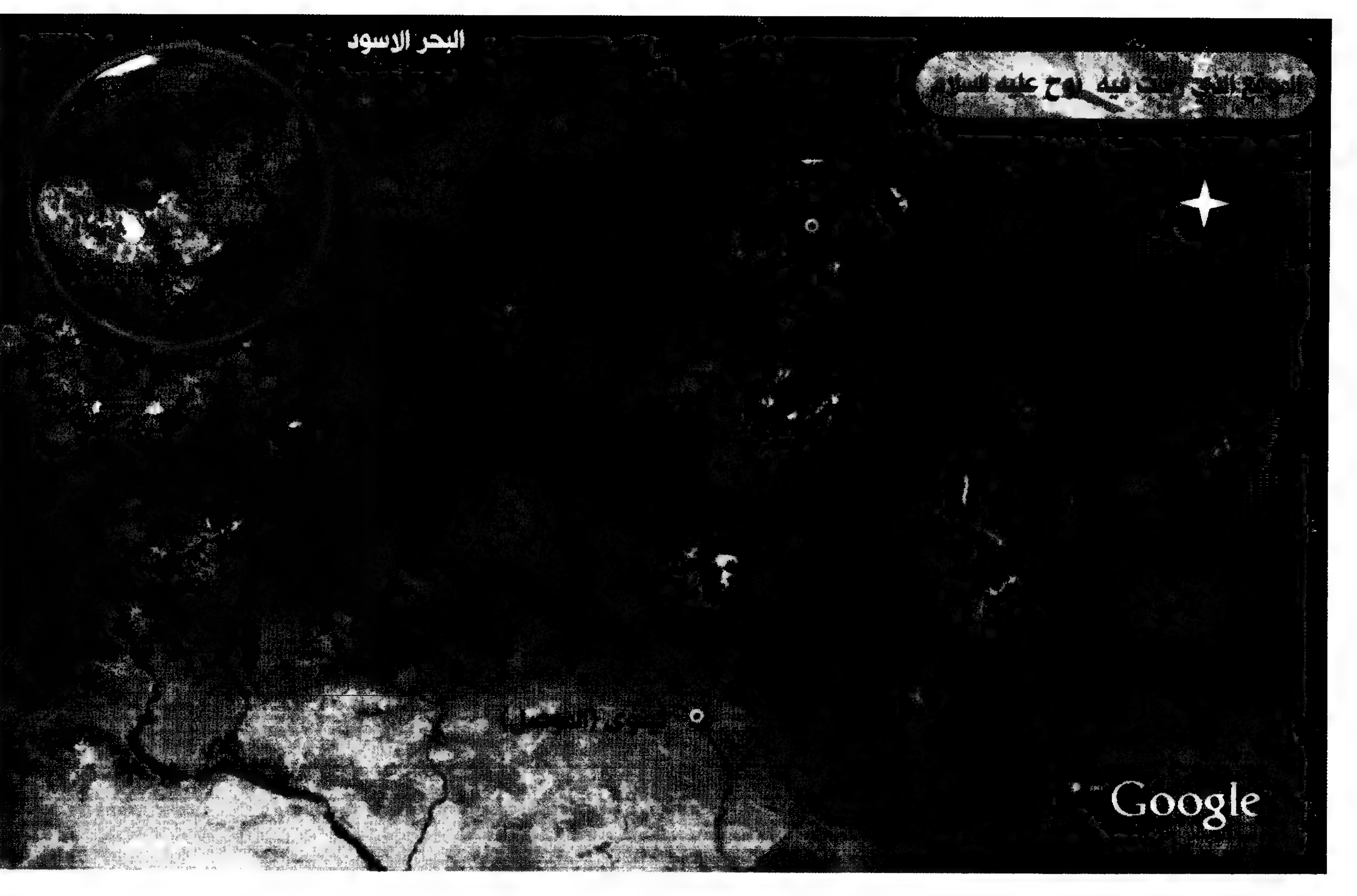
الخرائط والصور للمواقع الواردة في الكتاب



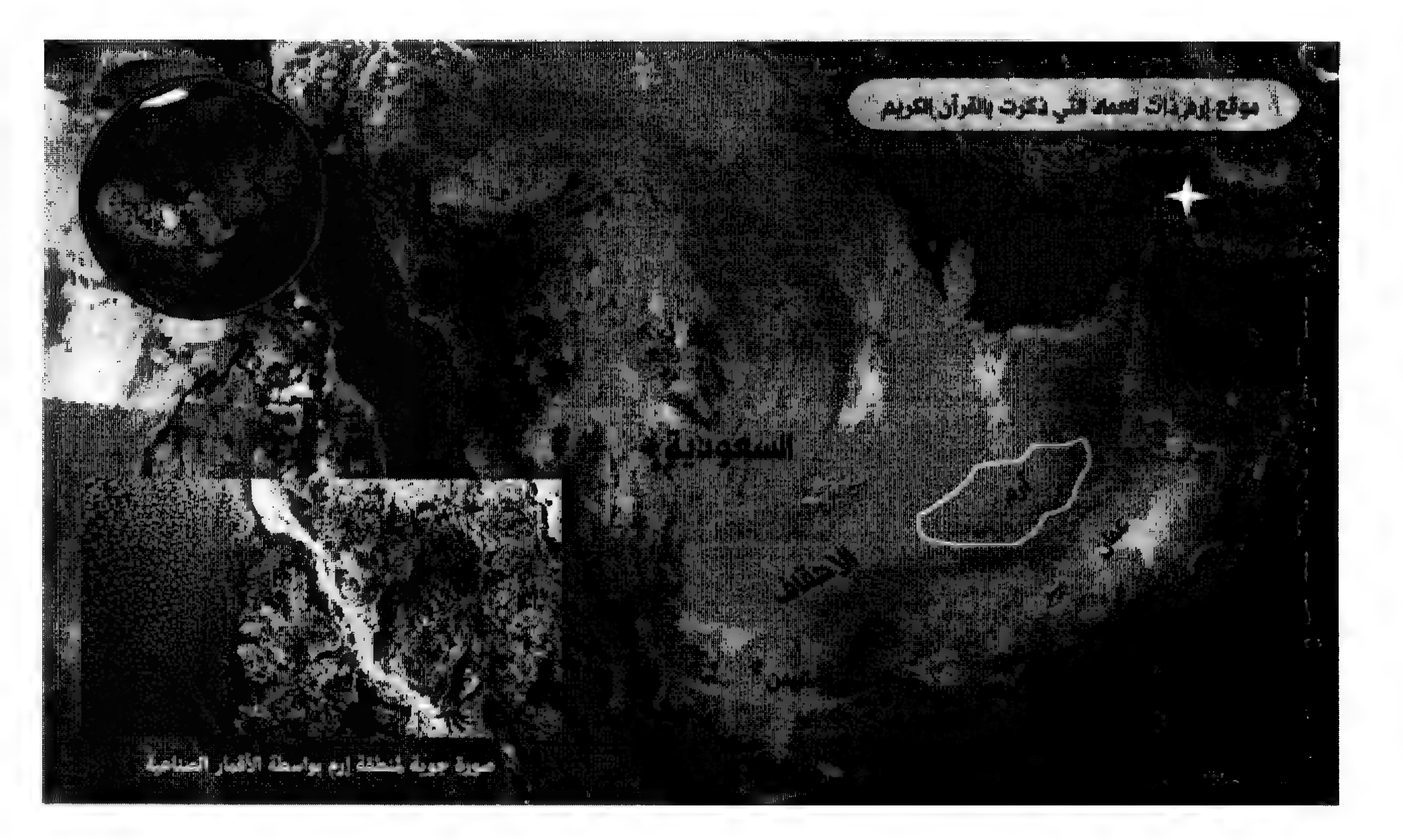




أسماء الرسل والأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم
محمد بن عبد الله
570 م
عيسى بن مريم
4 ق.م
يحيى
30 ق.م
زكريا
100 ق.م
يونس
800 ق.م
اليسع
900 ق.م -
الياس
900 ق.م -
سليمان
985 ق.م -
داود
1043 ق.م -
هارون
1439 ق.م -
موسى
1436 ق.م -
شعيب
1450 ق.م -
ذو الكفل
1450 ق.م -
أيوب
1400 ق.م -
يوسف
1610ق.م -
يعقوب
???
إسحاق
1764ق.م -
إسماعيل
1780ق.م -
لوط
1840 ق.م -
إبراهيم
1860 ق.م -
صالح
2000 ق.م -
هود
2500 ق.م-2000
نوح
30000ق.م



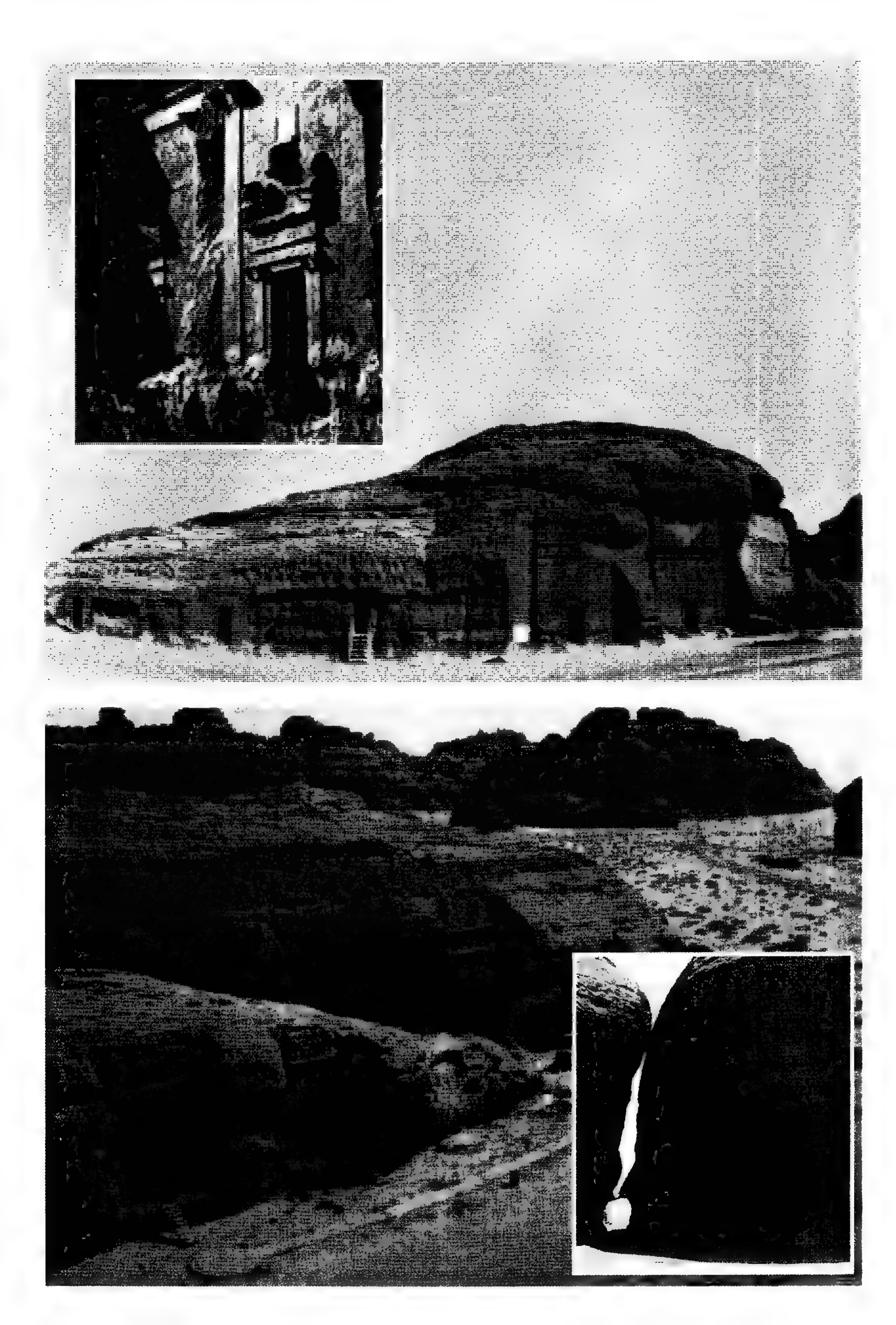
خريطة توضح الفرق بين موقع جبل آرارت وموقع جبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام

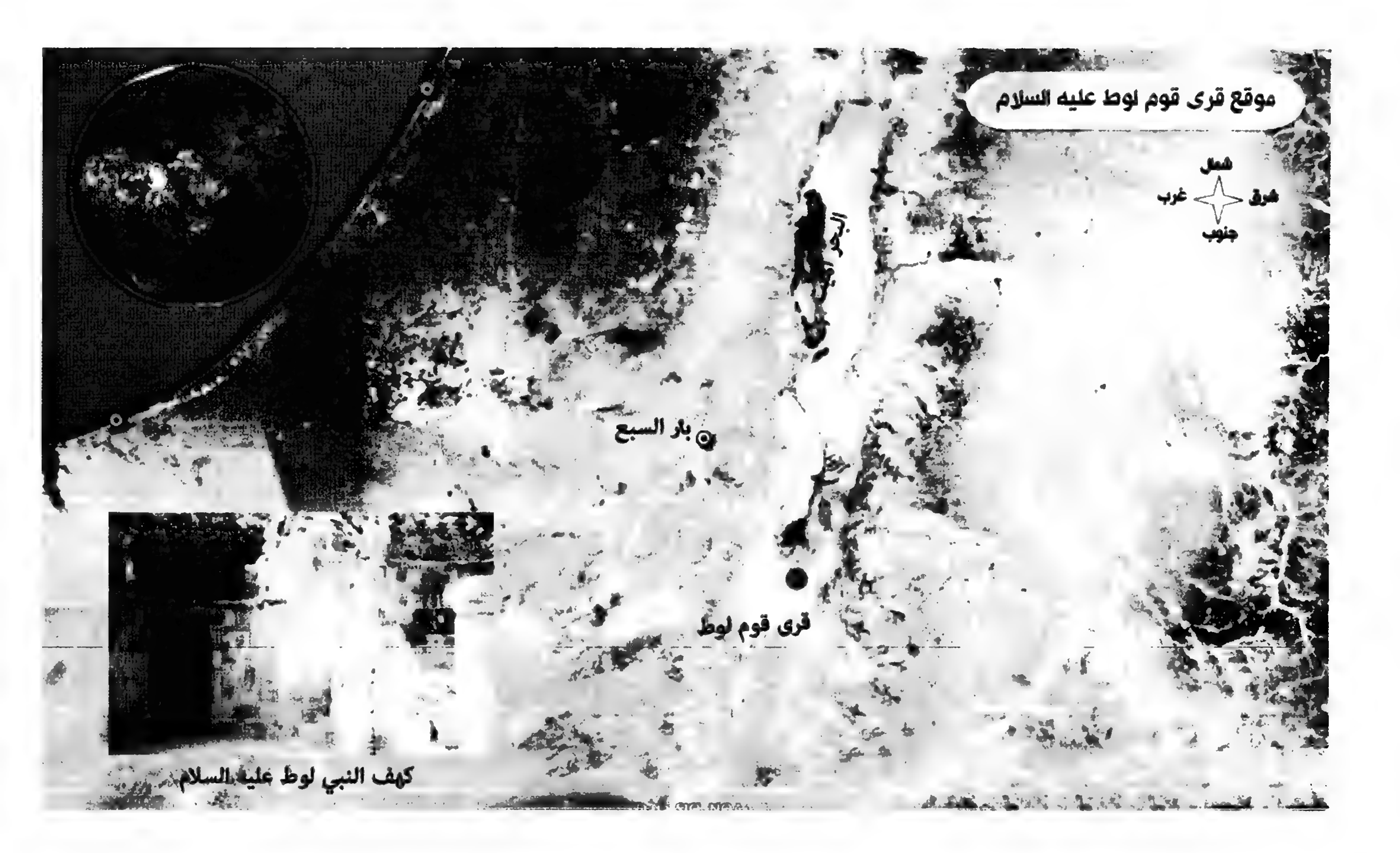


صورة جوية لمنطقة إرم بواسطة الأقمار الصناعية

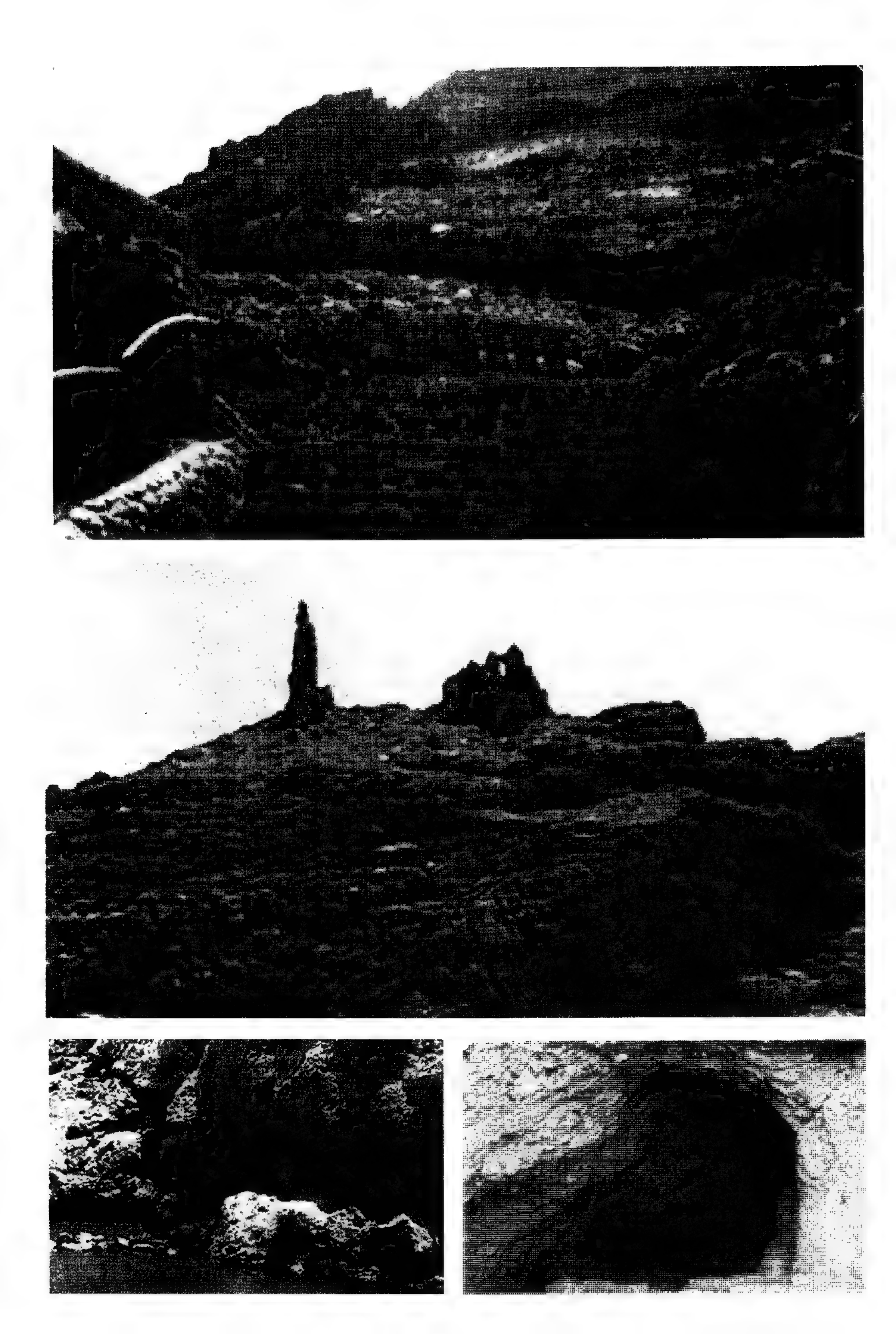


مدائن النبي صالح عليه السلام
Data SIO, NOAA, U.S. Navy, NGA, GEBCO
Image U.S. Geological Survey
Streaming

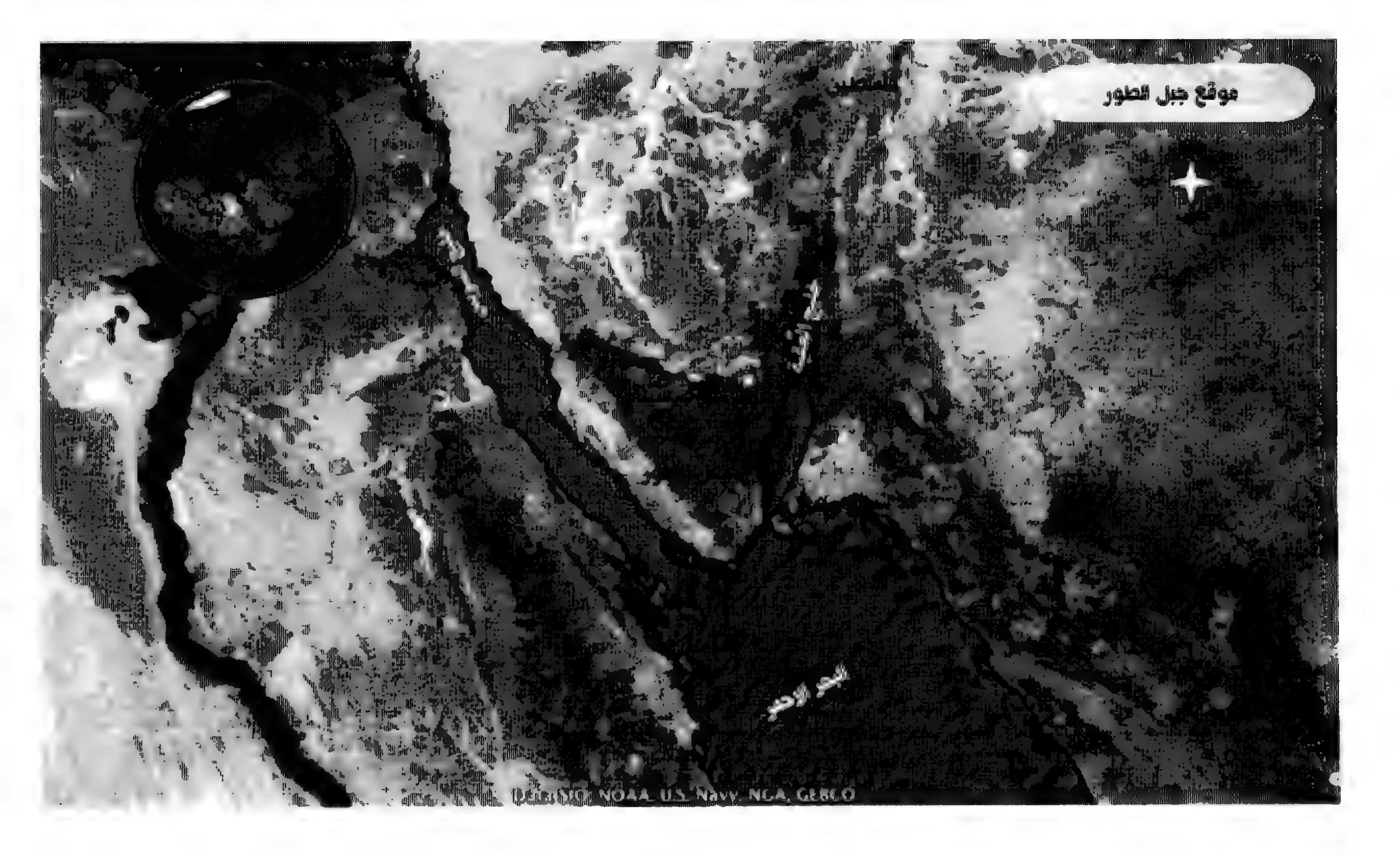


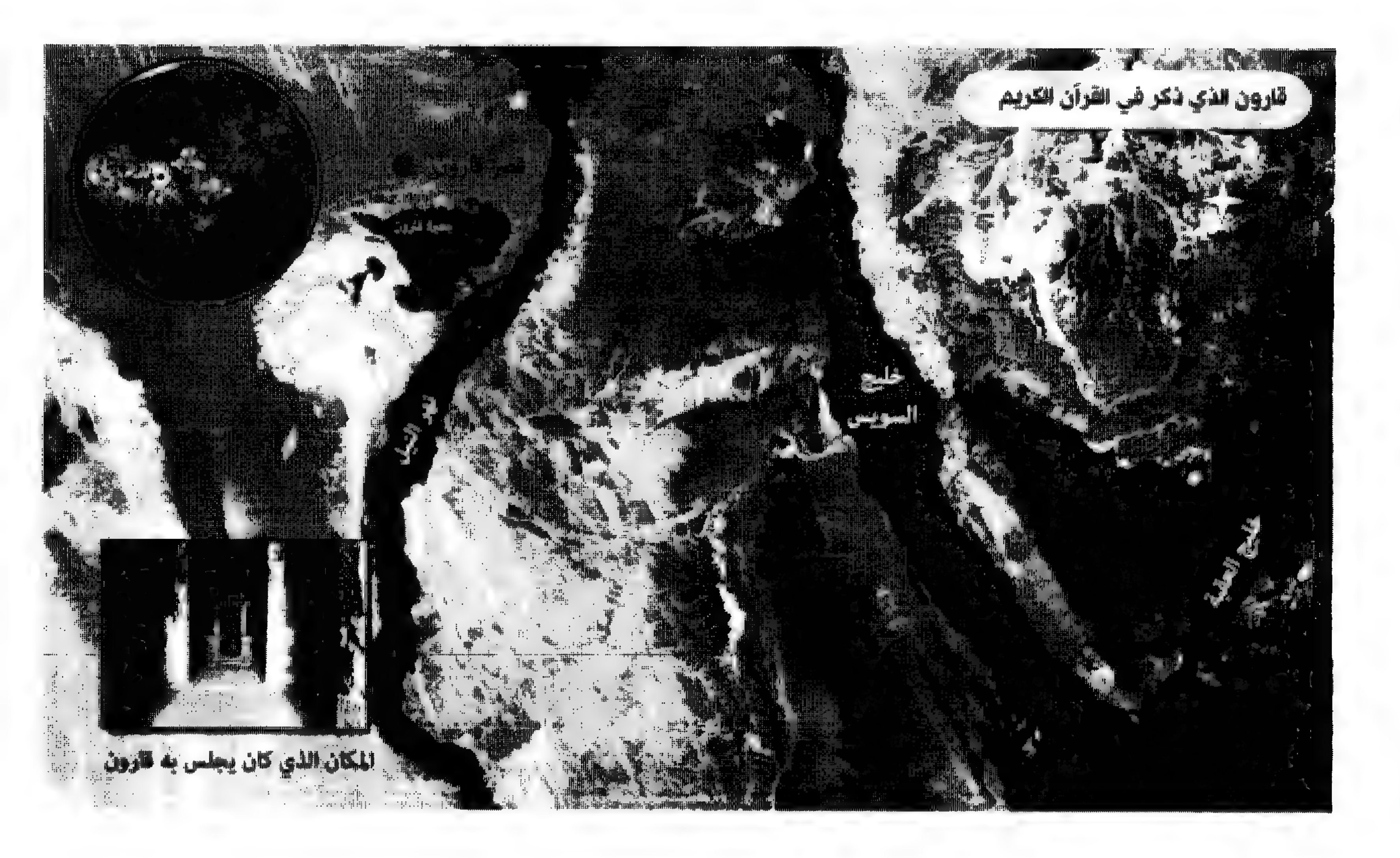


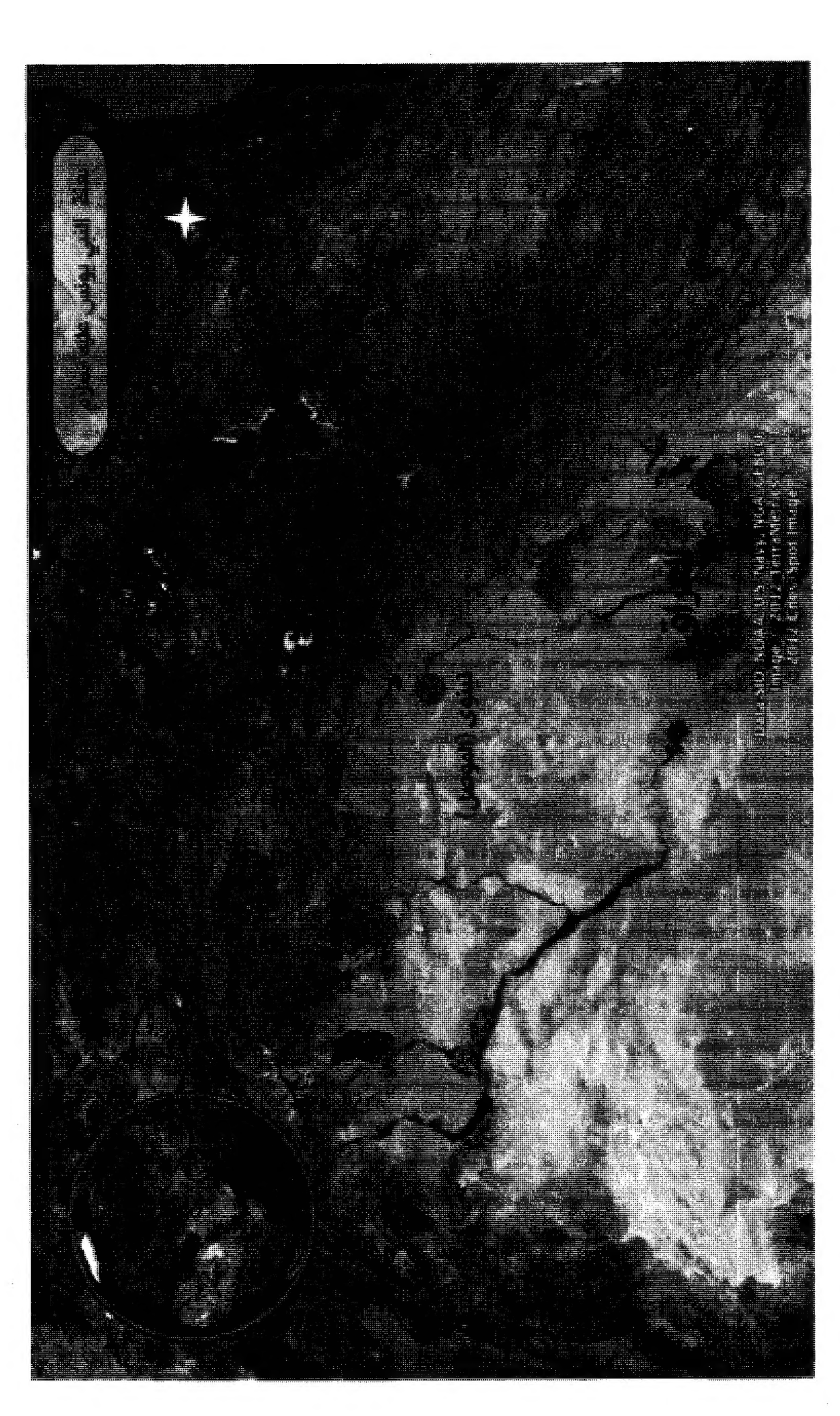
كهف النبي لوط عليه السلام




بعثة النبي يوسف عليه السلام
مصر


موقع جبل الطور
البحر الأحمر
Data SIO, NOAA, U.S. Navy, NGA, GEBCO

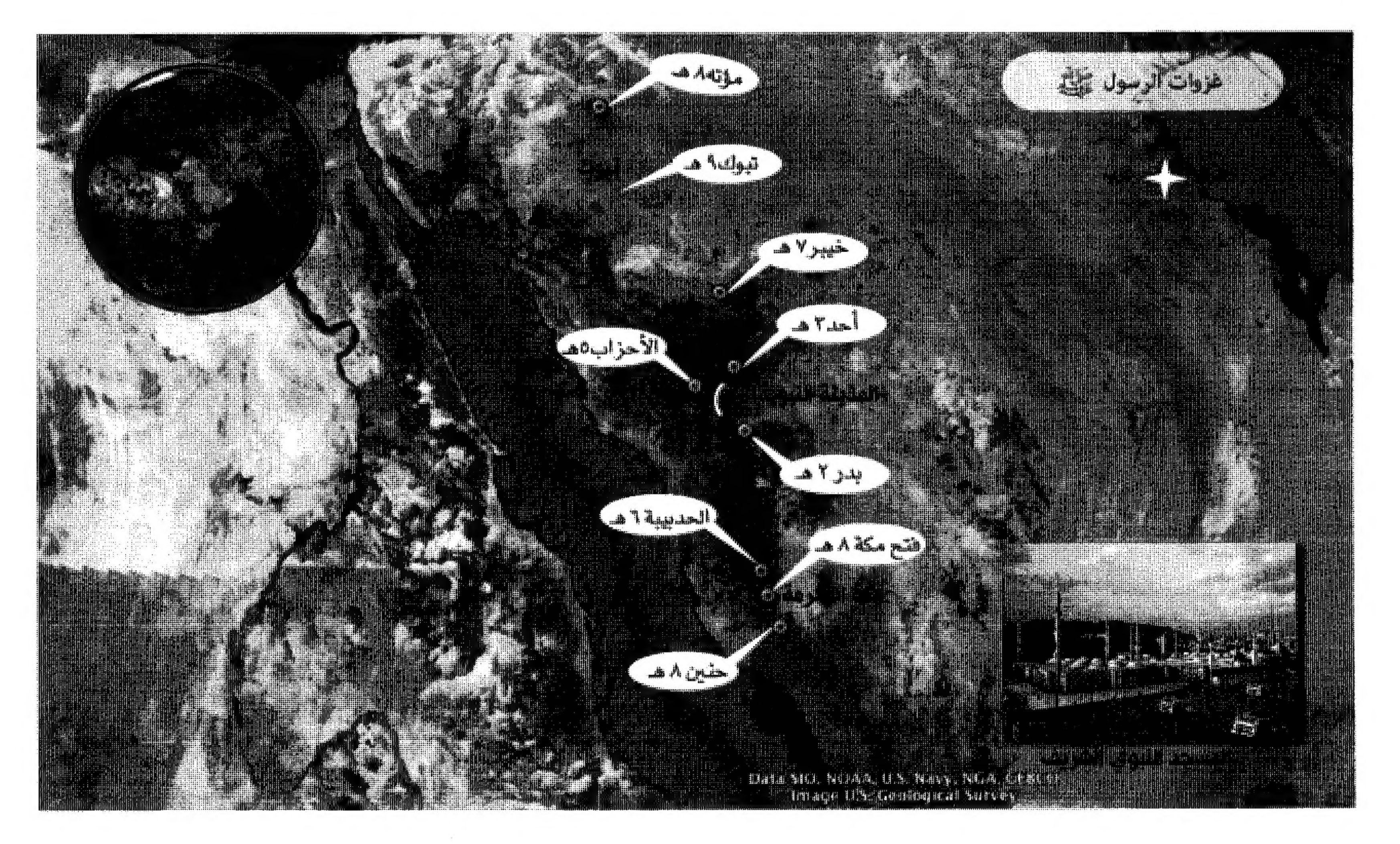

قارون الذي ذكر في القرآن الكريم
خليج السويس
المكان الذي كان يجلس به قارون

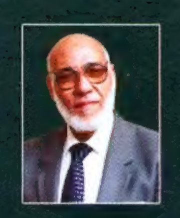


طريق هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم

طريق هجرة
طريق القوافل

يثرب
جبل أحد
وادي ملل
حرّة رهط
بطن ريم
وادي قيد الحفاة
جبال قدس
بئر الطلوب
المدالج
ثنية هرشى
وادي حيا
وادي مر
غدير خم
منازل بني مدلج
بحر الأحمر
وادي مر
مكة المكرمة
بطن مر
منى
عرفات
الحديبية
جبل الثور
وادي إبراهيم


غزوات الرسول ﷺ
مؤتة ٨ هـ
تبوك ٩ هـ
خيبر ٧ هـ
أحد ٣ هـ
الأحزاب ٥ هـ
بدر ٢ هـ
الحديبية ٦ هـ
فتح مكة ٨ هـ
حنين ٨ هـ
Data SIO, NOAA, U.S. Navy, NGA, GEBCO
Image U.S. Geological Survey



الأستاذ الدكتور زغلول النجار

الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم يشمل الدقة الفائقة في استعراض عدد من المواقف التاريخية الهامة التي أنبأنا بها الله تعالى في القرآن الكريم بعد حدوثها لأزمان طويلة في سير عدد من أنبياء الله ورسله، وفي تفاعل أممهم معهم سلباً أو إيجاباً، وسير عدد من الصالحين، وعدد من الطالحين من بني آدم (رجالاً ونساء).

الإعجاز الإنبائي يتضح بمقارنة القصص القرآني مع ما جاء في التراث الإنساني الموجود بأيدي الناس اليوم، ومع ما أثبتته الكشوف الأثرية والتاريخية المتعددة لأمور لم تكن قد حدثت حين نزول القرآن الكريم.

وفي هذا الكتاب تمت مناقشة أكثر من مائة نص قرآني كريم، أدركنا في كل واحد منها وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص تعرض جوانب من سير خمسة وعشرين نبياً من أنبياء الله، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ختم الله ببعثته سلسلة النبوات، وبرسالته جميع رسالات السماء.



